فهرست الجزء الأول من الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية

فهرست كتاب خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام

صحيفة

(تمت فهرست الجزء الاول)

فهرست الجزء الثانى من الفتوحات الاسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

تمت فهرست خلاصة الكلام في الجزء الاول من الفتوحات

فهرست خلاصة الكلام في الجزء الثاني منها

(تمت فهرست الجزء الثانى من الفتوحات الاسلامية)

تابعة للهامش

صحيفه

صحيفة

﴿ تمت فهرست الهامش خلاصة الكلام ﴾

الجزؤ الأول من الفتوحات الاسلامية * بعد مضى الفتوحات النبوية *

لمؤلفها فريد العصر والأوان * عليّ الهمة عظيم الشان * شيخ الاسلام

بالاقطار الحجازية * ومفتي السادة الشافعية بمكة المحمية *

الاستاذ السيد أحمد ابن السيد زيني دحلان *

أسكنه الله بحبوحة الجنان *

آمين آمين

آمين

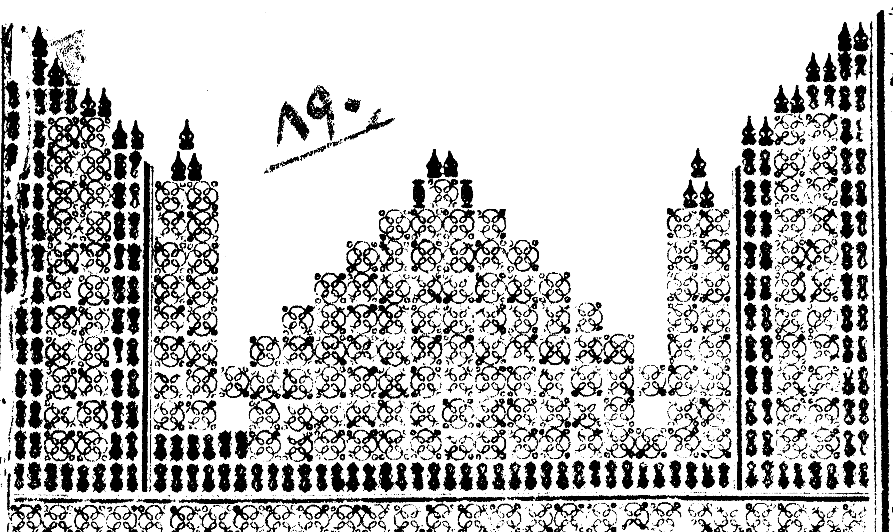
وبهامشه خلاصة الكلام * في بيان امرآء البلد الحرام *

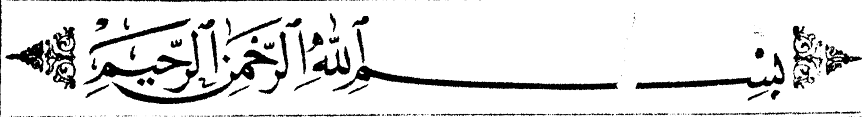
للمؤلف المذكور أيضا

(الطبعة الثانية)

(طبع فى المطبعة الميرية الكائنة بمكة المحمية)

(سنة ١٣١١ هجرية)





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين ❁ أما بعد ❁ فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام * كثير الذنوب والآثام * المرتجى من ربه الغفران * أحمد بن زيني دحلان * غفر الله له ولوالديه ومشايخه ومحبيه والمسلمين أجمعين هذه وريقات جمعت فيها بغاية الاختصار الفتوحات الاسلامية التي افتتحها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم من الخلفاء والملوك فابتدأت بما كان منها في زمن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وسميتها الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية فأولها بعث جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما لأن النبي صلى الله عليه وسلم جهزه في زمنه الذي توفي فيه وأمره ان يسير الى الموضع الذي استشهد فيه أبوه زيد بن حارثة رضي الله عنه وأمره ان يوطئ الخيل تخوم البلقا والداروم من أرض فلسطين ومشارق الشام وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مسير جيش اسامة فلما استخلف ابو بكر رضي الله عنه وارتد كثير من العرب أشار عليه بعض الصحابة رضي الله عنهم بتأخير جيش أسامة رضي الله عنه فامتنع وقال أول شئ أنفذه سير الجيش الذي جهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت جيش أسامة الذي جهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار أسامة رضي الله عنه بجيشه كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبث الجنود في بلاد قضاعة التي ارتدت وأغار على أبني فسبى وقتل وغنم ورجع لأربعين يوما ولم يحدث أبو بكر رضي الله عنه في مغيبه شيأ وكان انفاذ جيش أسامة من أعظم الامور نفعا للمسلمين فان العرب قالوا لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه ولما ارتد كثير من العرب بعد وفاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (أما بعد) فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام المرتجي من ربه الغفران أحمد بن زيني دحلان غفر الله له ولوالديه ومشايخه ومحبيه والمسلمين أجمعين قد سألني بعض من لا تسعني مخالفته أن ألخص في كراريس من ولي امارة مكة من زمن النبي صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا ليسهل مراجعة ذلك عند الاحتياج وان كان ذلك مذكورا في التواريخ الا أنه منتشر في ضمن كثير من الوقائع والاخبار لا يهتدي اليه من أراده الا بمشقة فجمعت هذه الكراريس ملخصا لما فيها من التواريخ المعتمدة عند أهل العرفان مقتصرا على ما لا بد منه في البيان (وسميته خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام) واعلم أن علم التاريخ علم يعرف به أحوال الماضين وموضوعه أخبار السابقين وثمرته اعطاء كل ذي حق حقه واسترجاع النفوس

النبي صلى الله عليه وسلم ثبتت قريش وثقيف على الاسلام ولم يرتد أحد منهم وأما قريش فثبتهم الله بسهيل بن عمرو العامري رضي الله عنه فانه خطب أهل مكة خطبة تشبه خطبة أبي بكر رضي الله عنه التي خطب بها يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وثبت أهل المدينة بها فلما جاء خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة ارتجت مكة وكاد أهلها يرتدون فقام سهيل بن عمرو رضي الله عنه على باب الكعبة وصاح بهم فاجتمعوا اليه فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ألم تعلموا ان الله قال انك ميت وانهم ميتون* وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل *وتلى آيات أخر ثم قال والله اني أعلم أن هذا الدين ليمتد امتداد الشمس والقمر في طلوعهما وغروبهما وقال أيضا يا أهل مكة لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد والله ليتمن الله هذا الامر كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد رأيته قائما مقامي هذا وحده وهو يقول قولوا معي لا اله الا الله تدين لكم العرب وتؤدي اليكم العجم الجزية والله لتنفقن كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله فمن بين مستهزء ومصدق فكان ما رأيتم فوالله ليكونن الباقي ثم ذكر لهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلاف أبي بكر رضي الله عنه وقال ان ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمته تامة وان الله ناصر من نصره ومقوي دينكم وان الله جمعكم على خيركم يعني أبا بكر رضي الله عنه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به وهذه الخطبة هي المقام الذي أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة بدر لما أسر سهيل بن عمرو مع من أسر من كفار قريش يوم بدر وكان فصيحا بليغا يخطبهم ويحثهم ويحرضهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما أسر قال عمر رضي الله عنه يا رسول الله دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو فلا يقوم عليك خطيبا في مواطن أبدا لأن سهيلا كان أعلم اي مشقوق الشفة العليا والأعلم اذا نزعت ثنيتاه لم يستطع الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه دعه يا عمر فعسى ان يقوم مقاما تحمده عليه ولا تذمه فكان ذلك المقام هذه الخطبة التي قام بها حين جاءهم بمكة خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وثبت الله بها أهل مكة وكان اسلام سهيل ابن عمرو عام فتح مكة واستشهد يوم اليرموك سنة ثنتي عشرة وقيل مات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة ويجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في لؤي بن غالب لأنه من بني عامر بن لؤي والنبي صلى الله عليه وسلم من بني كعب بن لؤي وكان سهيل رضي الله عنه من أشراف قريش وله ترجمة واسعة وأما ثقيف فثبتهم الله بعثمان ابن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه فانه قام فيهم بمثل ما قام به سهيل بن عمرو في مكة فثبتوا وكان قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظهور مسيلمة الكذاب ودعواه النبوة باليمامة وظهور طليحة بن خويلد الأسدي ودعواه النبوة في بني أسد وغطفان وظهور الأسود العنسي ودعواه النبوة باليمن فأما الأسود العنسي فسلط الله عليه فيروز الديلمي فقتله وأخبر

وثبتها واستكثارها من الاعمال الصالحة قال تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك قال حسان بن يزيد لم نستعن على دفع كذب الكذابين بمثل التاريخ ويحكى أن يهوديا أظهر كتابا ذكر فيه أنه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم باسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة جمع من الصحابة منهم علي ومعاوية وسعد بن معاذ رضي الله عنهم فعرضوا ذلك على الحافظ أبي بكر الخطيب فتأمله وقال هذا مزور فقيل له من أين علمت ذلك قال فيه شهادة معاوية وهو أسلم يوم الفتح وكان الفتح في السنة الثامنة من الهجرة وكان فتح خيبر في السنة السابعة وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات سعد يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين فأي منقبة أشرف من هذا قال الصفدي التاريخ للزمان مرآة وتراجم العلماء للمشاركة والمشاهدة مرقاة وأخبار الماضين لمن عاقره الهموم ملهاة وأنشد يقول
لولا الأحاديث أبقتها أوائلنا ... من الندى والردى لم يعرف السمر
يقال من أرخ فقد حاسب

النبي صلى الله عليه وسلم بقتله قبل وفاته ثم جاءتهم الأخبار بقتله في أول خلافة ابي بكر رضي الله عنه وأما مسيلمة وطليحة الأسدي فسيأتي الكلام عليهما ولما ارتد كثير من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عظمت مصيبة المسلمين واشرأبت اليهودية والنصرانية وعم النفاق وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية واضطرمت الارض نارا وكانت ردتهم مختلفة فمنهم من قال لو كان نبيا ما مات ومنهم من قال انقضت النبوة بموته فلا نطيع أحدا أبدا ومنهم من قال نؤمن بالله ومنهم من قال نؤمن بالله ونشهد ان محمدا رسول الله ونصلي ولكن لا نعطيكم أموالنا فقال ابو بكر رضي الله عنه ان الزكاة مثل الصلاة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم فجادله في ذلك كثير من الصحابة منهم عمر وابو عبيدة وسالم مولى ابي حذيفة وغيرهم ومن مجادلاتهم له قول عمر رضي الله عنه له تألف الناس وارفق بهم فانهم بمنزلة الوحش فقال له أبو بكر رضي الله عنه رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك أجبار في الجاهلية وخوار في الاسلام قد انقطع الوحي وتم الدين اينقص وانا حي والله لأجاهدنهم مهما استمسك السيف في يدي وان منعوني عقالا وقال له عمر أيضا بما شحت العرب على اموالها فلو تركت للناس صدقة هذه السنة وأبى الاقتتالهم وقال له عمر أيضا كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم فقال له أبو بكر رضي الله عنه أليس قد قال الا بحقها ومن حقها اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والله لو منعوني عقالا وفي رواية عناقا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ولو خذلني الناس كلهم لجاهدتهم بنفسي فقال عمر رضي الله عنه فوالله ماهو الا ان رأيت أن شرح الله صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق وقال عمر بعد ذلك والله لقد رجح ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة في قتال اهل الردة وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه لولا ان الله من علينا بأبي بكر أجمعنا ان لا نقاتل على ابنة مخاض وابن لبون ونعبد الله حتى يأتينا اليقين فعزم الله لأبي بكر على قتالهم ثم اتفق الصحابة كلهم رضي الله عنهم على قتالهم واستصوبوا مارآه أبو بكر رضي الله عنه قال انس بن مالك رضي الله عنه كره الصحابة أولا قتال مانعي الزكاة وقالوا أهل القبلة فتقلد ابو بكر رضي الله عنه سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره وهذا دليل على كمال شجاعته وقال أبو بكر بن عياش سمعت أبا حصين يقول ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر رضي الله عنه لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال أهل الردة

﴿ ذكر أول وقعة في قتال أهل الردة ﴾

كان بعض أهل الردة طمعوا في استيلائهم على المدينة واستيصال الصحابة ليرجعوا الأمر جاهلية كما كانوا فتعجل جماعة من بني عبس وذبيان ونزلوا في الأبرق ونزل آخرون بذي القصة ومعهم قوم من بني اسد وكنانة وبعثوا وفدا الى أبي بكر يطلبون الاقتصار على الصلاة دون

الايام على عمره ومن كتب حوادث الزمان فقد كتب الى من بعده بحديث دهره ومن قيد ماشهده فقد أشهد عصره من لم يكن من أهل عصره وقد قيل

اذا علم الانسان أخبار من مضى * توهمته قد عاش حينا من الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره * اذا كان قد أبقى الجميل من الذكر

وقال آخر

طالع تواريخ من في الدهر قد وجدوا * تجد همومًا تسلي عنك ما تجد
تجد أكابرهم قد جرعوا غصصا * من الرزايا بهم كم فتتت كبد

قالوا ومن حفظ التاريخ زاد عقله ومن نظر في وقائع الزمان هانت مصيبته قال ابن عباس رضي الله عنهما ذكر الله التاريخ في كتابه واستنبطه بعضهم من قوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين والحاصل أن القرآن فيه الاعلام بذكر الامم الماضية والقرون الخالية وفيه الاحياء لذكرهم ومآثرهم فيحصل بذلك التثبت له

الزكاة فأبى ابو بكر من ذلك وأخذ فى الاحتراس والتحذر منهم فجعل على أنقاب المدينة عليا والزبير وطلحة وعبدالله بن مسعود وغيرهم ورجع وفد المرتدين فأخبروا قومهم بقلة أهل المدينة فأغاروا على من كان بأنقاب المدينة فبعثوا الى ابى بكر فخرج فى أهل المسجد الحاضرين فى ذلك الوقت على النواضح فهربوا والمسلمون فى اتباعهم الى ذى خشب وكان للمرتدين كمين فى ذى حسى فنفروا ابل المسلمين بشنان نفخوها وفيها حبال ثم دهدهوها على الارض فنفرت ابل المسلمين وهم عليها ورجعت بهم الى المدينة ولم يصرع مسلم فظن المرتدون بالمسلمين الوهن وبعثوا الى اهل ذى القصة بالخبر فقدموا عليهم وبات أبو بكر رضى الله عنه يعبى الناس وخرج على تعبيته فما طلع الفجر الا وهم والعدو على صعيد واحد فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف فما ذر قرن الشمس حتى ولوهم الادبار وغلبوهم على عامة ظهرهم وقتلوا رجالا منهم وتبعهم ابو بكر رضى الله عنه ومن معه حتى نزلوا بذى القصة وكان ذلك أول الفتح ووضع بها النعمان بن مقرن فى عدد ورجع الى المدينة فذل له المشركون واعتز المسلمون بوقعة أبى بكر هذه واستبشروا ولما قدم أسامة بن زيد استخلفه ابو بكر رضى الله عنه على المدينة وخرج بمن معه من المسلمين الى ذى حسى وذى القصة حتى نزل بالابرق فقاتل من به فهزم الله المشركين وأخذ الحطيئة أسيرا فطأطأت بنو عبس وبنو بكر وأقام ابو بكر بالابرق أياما وغلب على بنى ذبيان وبلادهم وحماها لدواب المسلمين وصدقاتهم ثم رجع الى المدينة ولما انهزم بنو عبس وذبيان رجعوا الى طليحة الاسدى وهو ببزاخة ثم قطع ابو بكر رضى الله عنه البعوث وعقد الألوية فعقد احد عشر لواء وجعل لكل لواء أميرا وعزم ابو بكر على الخروج لقتال المرتدين بنفسه وأمر الناس بالجهاد فخرجوا وخرج هو فى مائة من المهاجرين والانصار وخالد بن الوليد يحمل اللواء حتى نزل بذى القصة ومكث اياما ينتظر الناس وبعث الى من كان حوله من أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة فأقبلوا من كل ناحية حتى كثر الناس وجعل عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب رضى الله عنهما يكلمان أبا بكر فى الرجوع الى المدينة لما رأيا عزمه على المسير بنفسه وقال عمر ارجع يا خليفة رسول الله تكن للمسلمين فئة وردأ فانك ان تقتل يرتد الناس ويعلو الباطل على الحق وأبو بكر يظهر المسير بنفسه واخرج الدارقطنى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال لما برز أبو بكر واستوى على الراحلة اخذ على بن ابى طالب رضى الله عنه بزمامها وقال الى أين يا خليفة رسول الله أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للاسلام نظام أبدا ولما ألحوا عليه فى الرجوع رجع بعد أن بعث الامراء فى كل ناحية لقتال أهل الردة

﴿ ذكر مسير خالد بن الوليد الى بزاخة لقتال طليحة بن خويلد الاسدى من بنى أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس ﴾

ادعى النبوة قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وزعم ان جبريل يأتيه وسجع للناس الأكاذيب والخرافات التى تمجها الأسماع كقوله والحمام واليمام والصرد والصوام قد صمن

صلى الله عليه وسلم ولامته والتنويه بعلو قدره وشرف أمته وهذا اوان الشروع فى المقصود فنقول أول أمير تولى امارة مكة بعد فتح النبى صلى الله عليه وسلم اياها فى رمضان فى السنة الثامنة من الهجرة (عتاب بن أسيد رضى الله عنه) وهو بتشديد التاء وبفتح همزة أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أسلم عتاب رضى الله عنه يوم الفتح فولاه النبى صلى الله عليه وسلم مكة عند مخرجه الى حنين فى العشر الاول من شوال سنة ثمان من الهجرة وكان عمره احدى وعشرين سنة وجعل معه معاذ بن جبل الانصارى وهبيرة بن شبل رضى الله عنهما يعلمان الناس القرآن والفقه فى الدين قيل ان أول من صلى بمكة جماعة بعد الفتح هبيرة بن شبل رضى الله عنه فكان معاذ وهبيرة رضى الله عنهما يفتيا وبان الصلاة بالناس بمكة وحج عتاب رضى الله عنه بالناس سنة ثمان ولم يزل واليا على أهل مكة الى وفاة سيدنا أبى بكر الصديق رضى

قبلكم بأعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام وكثر أتباعه من بني أسد وغطفان وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول ان الله مايصنع بتعفر وجوهكم وتقبيح أدباركم شيأ اذكروا الله واعبدوه قياما فبعث أبوبكر رضي الله عنه خالد بن الوليد رضي الله عنه لقتال طليحة ومعه كثير من المهاجرين والانصار ومعه أيضا عدي بن حاتم في ألف من طيئ وكان طليحة قد أسلم ثم ارتد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكان كاهنا فادعى النبوة فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم استطار أمر طليحة واجتمعت اليه غطفان وهوازن وغيرهم وارتد ايضا عيينة بن حصن الفزاري وصار مع طليحة ونزلوا جميعا بزاخة فقصدهم خالد بن الوليد بمن معه وتقاتلوا واشتد القتال ثم انهزموا فقتل من قتل منهم وأسلم من أسلم فوثب طليحة على فرسه واحتقب امرأته ونجا بها الى الشام روي ان طليحة قال لاصحابه لما رأى انهزامهم ويلكم مايهزمكم فقال له رجل منهم انا اخبركم انه ليس منا رجل الا وهو يحب ان صاحبه يموت قبله واننا نلقى قوما كلهم يحب ان يموت قبل صاحبه وكان خالد بن الوليد قبل القتال ولقاء القوم أرسل طليعة عكاشة بن محصن الاسدي وثابت بن أرقم الانصاري فلقيهما حبال اخو طليحة فقتلاه فبلغ خبره طليحة فخرج هو واخوه سلمة فقتل طليحة عكاشة وقتل اخوه ثابتا وقيل ان حبال اخو طليحة اسر فأرادوا ارساله الى ابي بكر رضي الله عنه فقال اضربوا عنقي ولا تروني محمدكم هذا ولما وقع القتال من طليحة وقومه كان خالد رضي الله عنه يحرض المؤمنين ويقول يامعشر الانصار الله الله واقتحم وسط القوم وكر على اصحاب طليحة فاختلطت الصفوف واختلفت السيوف بينهم واشتد القتال وقاتل خالد يومئذ بسيفين حتى قطعهما وقاتل عيينة بن حصن مع طليحة قتالا شديدا وكذا قومه وكان معه منهم سبعمائة ولما انهزم القوم اسر عيينة بن حصن وقرة بن هبيرة القشيري وارسلا الى ابي بكر رضي الله عنه فرجعا للاسلام فقبله منهما واما طليحة فانه لما انهزم الناس فر وبقي نحو الشام عند بني غسان الى ان توفي ابوبكر رضي الله عنه ودخل بنو أسد وغيرهم في الاسلام اسلم طليحة وحسن اسلامه ولقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبايعه وقال له عمر رضي الله عنه انت قاتل عكاشة وثابت والله لا احبك ابدا فقال ياامير المؤمنين مايهمك من رجلين اكرمهما الله بالشهادة على يدي ولم يهني بايديهما ثم كان لطليحة آثار جليلة في قتال الفرس لما فتح العراق وكان من الشجعان المشهورين استشهد رضي الله عنه بنهاوند سنة ثمان عشرة ولما اوقع الله ببني اسد ماوقع وانهزموا بث خالد السرايا ليصيبوا ماقدروا عليه فجعلت العرب تسير الى خالد راغبة في الاسلام او خائفة من السيف ومنهم من مضى الى ابي بكر ولم يأت خالدا ولما فرغ خالد من بني أسد سار الى أرض بني تميم فلما وصل الى البطاح من ارض تميم لم يجد بها جمعا ففرق السرايا في نواحيها فلقوا اثني عشر رجلا فيهم مالك بن نويرة التميمي وكانوا ممن ارتدوا ومنعوا الزكاة فأخذوهم وجاؤا بهم خالدا واختلف الذين اخذوهم في مالك بن نويرة ومن معه فقال قوم انهم اسلموا فلنا عليهم من سبيل وقال قوم لم يسلموا وان قتلهم وسبيهم حلال وكان ذلك رأي خالد فيهم فأمر بهم خالد فقتلوا وقتل معهم مالك وتزوج خالد امرأته وقيل ان خالدا سمع من مالك كلاما استدل به على عدم اسلامه من ذلك انه قال ان صاحبكم قد توفي فعلم خالد انه أراد

الله عنه وكانت وفاته ووفاة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما في يوم واحد وذلك لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاثة عشر من الهجرة وقيل ان عتابا توفي يوم ورد خبر وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لاهل مكة وقال صلى الله عليه وسلم لعتاب حين بعثه واليا على أهل مكة هل تدري الى من أبعثك أبعثك الى أهل الله فاستوص بهم خيرا يقولها ثلاثا وولي امارة مكة في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه (المحرز بن حارثة بن سعد بن عبد العزى ثم قنفذ بن عمير بن جدعان التيمي ثم نافع بن الحارث الخزاعي وخرج نافع هذا مرة للقاء سيدنا عمر رضي الله عنه الى عسفان حين قدم للحج واستخلف على مكة عبد الرحمن بن أبزى مولى بني خزاعة فأنكر عليه سيدنا عمر رضي الله عنه كونه جعل مولى من الموالي واليا على أهل مكة فلما رأى عتبه عليه قال ياأمير المؤمنين انه أقرؤهم وأعلمهم بالكتاب والسنة فهان مابعمر رضي الله

انه صلى الله عليه وسلم ليس بصاحب له فتيقن ردته فقتله بعد ان تكرر من مالك قوله فعل صاحبكم شأن صاحبكم فقال له خالد وليس بصاحب لك وقيل انه لما قدم مالك بن نويرة ومعه الاسرى على خالد حبسهم عند ضرار بن الازور وكانت ليلة ممطرة فنادى مناديه ان أدفئوا أسراكم وكانت فى لغة كنانة كناية عن القتل فبادر ضرار بقتلهم وكان كنانيا وسمع خالد الداعية فخرج متأسفا وقد فرغوا فقال اذا أراد الله امرا أصابه ولما قدم خالد على أبى بكر رضى الله عنه سأله عن قتل مالك بن نويرة فأخبره بذلك واعتذر اليه فقبل عذره وأراد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان أبابكر رضى الله عنه يقتل خالدا قصاصا فى مالك بن نويرة فقال أبو بكر ياعمر تأول خالد فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فانى لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين ودفع ابو بكر رضى الله عنه ديات لأولياء مالك بن نويرة ومن قتل معه وكان مالك بن نويرة أسلم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وقدم عليه فجعله النبى صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه فجمعها فلما بلغه وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ردها من حيث جاءت وكان أمره ما تقدم وكان خالد رضى الله عنه بعد وقعة مالك بن نويرة رجع من البطاح الى المدينة واجتمع بأبى بكر رضى الله عنه واعتذر مما كان فى أمر مالك بن نويرة فقبل عذره وأمره بالسير الى قتال مسيلمة فسار خالد ومن معه لقتال أهل اليمامة التابعين لمسيلمة ولنذكر قبل ذلك خبر سجاح بنت الحارث التميمية

﴿ ذكر خبر سجاح ﴾

لما ارتد كثير من العرب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ادعت النبوة سجاح بنت الحارث التميمية وأقبلت من الجزيرة وتبعها كثير من قومها وقوم من بنى تغلب وكانوا أخوالها وسجعت لهم أسجاع طليحة الأسدى ومسيلمة الكذاب من ذلك قولها أعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم أغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب وأرادت أن تغزو بجموعها أبابكر رضى الله عنه بالمدينة ثم أشاروا عليها بغزو مسيلمة باليمامة فخرجت بمن معها تريد اليمامة وقالت عليكم باليمامة دفوا دفيف الحمامة فانها غزوة صرامة لا يلحقكم بعدها ملامة فبلغ ذلك مسيلمة فاحتال عليها وأرسل لها هدية ثم أرسل لها يستأمن على نفسه حتى يأتيها فأمنته فجاءها فى أربعين من بنى حنيفة وأرسل لها أبعدى أصحابك ففعلت وقد ضرب لها قبة فجمرها وأكثر فيها من رائحة الطيب المحرك للشهوة واجتمع بها فى تلك القبة فقالت له ما أوحى اليك ربك فقال ألم تر الى ربك كيف فعل بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى بين صفاق وحشى قالت وماذا أيضا قال ان الله خلق للنساء أفراجا وجعل الرجال لهن أزواجا فتولج فيهن ايلاجا وتخرجها اذا شاءت اخراجا فينتجن لهن سخالا انتاجا قالت أشهد أنك نبى قال هل لك ان أتزوجك وآكل بقومى وقومك العرب قالت نعم قال

☼ ألا قومى الى النيك ☼ فقد هيى لك المضجع ☼ فان شئت ففى البيت ☼
☼ وان شئت ففى المخدع ☼ وان شئت سلقناك ☼ وان شئت على أربع ☼
☼ وان شئت بثلثيه ☼ وان شئت به أجمع ☼ قالت بل به أجمع ☼

عنه وقال ان الله ليرفع أقواما بهذا الكتاب ويضع آخرين أى لعدم عملهم به وممن ولى مكة لعمر رضى الله عنه (خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة وأحمد بن خالد وطارق بن المرتفع بن الحارث بن عبد مناف والحارث بن نوفل القرشى) وكان سيدنا عمر رضى الله عنه يحج بالناس فى زمن خلافته الا السنة الاولى من خلافته فانه أمر عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس وكانت وفاة سيدنا عمر رضى الله عنه لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وممن ولى مكة فى خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه (على بن عدى بن ربيعة وخالد بن العاص والحارث بن نوفل المتقدم ذكرهما ثم عبد الله بن خالد بن أسيد) وهو أخو عتاب بن أسيد (ثم عبد الله بن عامر الحضرمى ونافع بن الحارث الخزاعى) المتقدم ذكره وفى أول سنة من خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه أمر عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس ثم صار سيدنا عثمان يحج بنفسه الى أن حصر

فانه أجمع للشمل قال بذلك أوحى الى فأقامت عنده ثلاثا ثم انصرفت الى قومها فقالوا لها ما عندك
قالت كان على الحق فتبعته وتزوجته قالوا هل أصدقك شيأ قالت لا قالوا فارجعي
فاطلبي الصداق فرجعت فلما رآها أغلق باب الحصن وقال مالك قالت أصدقني قال من مؤذنك
قالت شبث بن ربعي الرياحي فدعاه وقال له ناد في أصحابك ان مسيلمة رسول الله قد وضع
عنكم صلاتين مما جاءكم به محمد صلاة الفجر وصلاة العشاء الاخيرة فانصرفت بها أصحابها
فقال بعض منهم

☼ أمست نبيتنا أنثى نطوف بها ☼ وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا ☼

وصالحها مسيلمة على غلات اليمامة سنة تأخذ النصف والنصف الثاني تترك عنده من يأخذه فأخذت
النصف وانصرفت الى الجزيرة وتركت عنده من يأخذ النصف الباقي فلم يفاجئهم الا وقد جاء
خالد اليهم فارفضوا قيل انها لما قتل مسيلمة صارت الى اخوالها تغلب بالجزيرة فماتت عندهم
ولم يسمع لها ذكر وقيل انها أسلمت وحسن اسلامها وانتقلت الى البصرة وماتت بها وصلى
عليها سمرة بن جندب وهو أمير على البصرة لمعاوية قبل قدوم عبيدالله بن زياد من
خراسان وولايته البصرة

﴿ ذكر مسير خالد بن الوليد رضي الله عنه الى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب بن حبيب الحنفي ﴾

كان ابوبكر رضي الله عنه لما بعث السرايا لقتال المرتدين أرسل عكرمة بن أبي جهل رضي الله
عنه في عسكر الى مسيلمة وأتبعه بشرحبيل بن حسنة التميمي وقيل الكندي وكان حليفا
لبني زهرة رضي الله عنهما فعجل عكرمة فوافاهم فنكبوه فانهزم وأقام شرحبيل بالطريق حين
أدركه الخبر وكتب عكرمة لابي بكر بالخبر فكتب اليه أبوبكر ان لا ترجع فتوهن الناس
امض الى قتال أهل عمان ومهرة وكان قد أرسل الى قتالهم حذيفة بن محصن وعرفجة
ابن هرثمة فأمر عكرمة باللحاق بهما ثم لما جاء خالد الى المدينة بعد قصة مالك بن نويرة أمره
بالمسير الى اليمامة لقتال مسيلمة بن حبيب ومسيلمة من بني حنيفة وهي قبيلة من قبائل ربيعة
ابن نزار بن معد بن عدنان وكان مسيلمة رئيسا في قومه فقدم مع وفد بني حنيفة على النبي
صلى الله عليه وسلم فأسلم واجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وسأله أن يجعل له الامر بعده
وكان في يد النبي صلى الله عليه وسلم عسيب من سعف النخل فقال لمسيلمة لو سألتني هذا
العسيب الذي في يدي ما أعطيتكه فلما رجع الى اليمامة ارتد عدو الله وادعى النبوة وقال
اني أشركت في الامر مع محمد فاتبعه بنو حنيفة وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من
مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فاني قد أشركت في الامر معك وان لنا نصف
الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون وبعث الكتاب مع رجلين من
قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرأ كتابه أتشهدان أني رسول الله قالا نعم
قال أتشهدان ان مسيلمة رسول الله قالا نعم اشترك معك في الامر فقال أما والله لولا
ان الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ثم كتب الى مسيلمة في جوابه بسم الله الرحمن الرحيم

سنة خمس وثلاثين فأمر
عبد الله بن عباس رضي
الله عنهما فحج بالناس
ولما استشهد سيدنا عثمان
رضي الله عنه كان أمير
مكة (خالد بن العاص)
المتقدم ذكره وولي مكة في
خلافة سيدنا علي رضي الله
عنه (أبو قتادة الانصاري
وقثم بن العباس) وقيل
وليها أيضا أخوه (معبد بن
العباس رضي الله عنهم)
ولما استشهد سيدنا على
رضي الله عنه كان أمير
مكة قثم بن العباس ولم
يتفق لسيدنا علي رضي الله
عنه ان يحج بنفسه في زمن
خلافته لاشتغاله بالحروب
فحج بالناس سنة سبع
وثلاثين عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما وحج بهم
سنة ثمان وثلاثين قثم بن
العباس وفي سنة تسع
وثلاثين حج بهم شيبة بن
عثمان الحجبي وسبب ذلك
أنه قدم مكة يزيد بن شجرة
الرهاوي عاملا لمعاوية
رضي الله عنه على مكة
وأخذ البيعة له بمكة ونازعه
عامل علي رضي الله عنه
ثم اتفقا على أن يعتزلا الحج
بالناس ويحج بهم شيبة بن
عثمان واستشهد سيدنا علي
رضي الله عنه سنة أربعين

من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب السلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقد أهلكت اهل الحجر أبادك الله ومن صوت معك فلما جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخفاه وكتب عن رسول الله كتابا زعم أنه وصله بثبوت الشركة بينهما وأخرج ذلك الكتاب الى قومه فافتتنوا بذلك وكان ذلك في آخر السنة العاشرة من الهجرة قال الزمخشري في ربيع الابرار قال الجاحظ كان مسيلمة قبل ادعاء النبوة يدور في الاسواق التي بين دور العرب والعجم يلتمس تعلم الحيل والنيرنجات واحتيالات اصحاب الرقى والنجوم ومما تعلمه من الحيل انه صب على بيضة من خل حاذق قاطع فلانت حتى اذا مددتها استطالت واستدقت كالعلك ثم أدخلها قارورة ضيقة الرأس وتركها حتى انضمت واستدارت وعادت كهيئتها الاولى فأخرجها الى قومه وهم قوم اعراب وادعى النبوة فآمن به جماعة ووضع الصلاة عن قومه وأحل الخمر والزنا ونحو ذلك واتفق معه بنو حنيفة الا أفرادا منهم من ذوي عقولهم ومن أراد الله به الخير ثم اشتغل بتأليف سجعات يزعم أنه يعارض بها القرآن وهي ركيكة ضحكة للعقلاء منها قوله الفيل ما الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر وخرطوم طويل ان ذلك من خلق ربنا لقليل ومنها قوله ياضفدع كم تنقنقين اعلاك من الماء واسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين وروى ياضفدع بنت ضفدعين لحسن ماتنقنقين لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين امكثي في الارض حتى يأتيك الخفاش بالخبر اليقين لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريش قوم لا يعدلون وسجع اللعين على سورة انا اعطيناك الكوثر فقال انا اعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر ان مبغضك لفاجر وفي رواية انا اعطيناك الجماهر فخذ لنفسك وبادر واحذر ان تحرص اوتكاثر وفي رواية انا اعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر في الليالي الفوادر ولما سمع اللعين والنازعات غرقا قال والزارعات زرعا فالحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخافرات حفرا والخابزات خبزا فالثاردات ثردا فاللاقمات لقما والآكلات اكلا لقد فضلتم على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر وله غير ذلك مما يدل على سخافة عقله وعقل من صدقه واتبعه روى ان امرأة أتت مسيلمة فقالت ادع الله لنا ولنخلنا ولآبارنا فان محمدا دعا لقومه فجاشت آبارهم وكثر ماؤها قال كيف صنع قالت دعا بسجل فدعا لهم فيه ثم تمضمض ومج فيه فأفرغوه في تلك الآبار ففعل مسيلمة كذلك فغارت تلك المياه ولما سمع اللعين ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل في عين علي رضي الله عنه وكان ارمد فبرء تفل في عين بصير فعمي ومسح بيده ضرع شاة حلوب فارتفع درها ويبس ضرعها وحفرت بنو حنيفة بئرا فاعذبوها متاحا فجاؤا الى مسيلمة وطلبوا منه ان يأتيها وان يبارك فيها فأتاها فبصق فيها فعادت اجاجا وتوضأ مسيلمة في حائط فصب وضوءه فيه فلم ينبت وقال له رجل بارك على ولدي فان محمدا يبارك على اولاد اصحابه فلم يؤت بصبي مسح مسيلمة رأسه اوحنكه الا قرع اولثغ وجاءه رجل فقال يا أبا ثمامة اني ذو مال وليس لي مولود يبلغ سنتين حتى يموت غير هذا المولود وهو ابن عشرين ولي مولود ولد أمس احب ان تبارك فيه وتدعو ان يطيل الله عمره فقال سأطلب

من الهجرة وولي مكة في خلافة سيدنا معاوية رضي الله عنه جماعة منهم أخوه (عتبة بن أبي سفيان ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وابنه عمرو بن سعيد) المعروف بالاشدق (وخالد بن العاص المخزومي وعبد الله بن خالد بن أسيد) وكانت وفاة معاوية رضي الله عنه سنة ستين من الهجرة وولي مكة في زمن ابنه يزيد جماعة منهم (عمرو بن سعيد والوليد بن عتبة بن أبي سفيان وعثمان بن محمد بن أبي سفيان والحارث بن خالد المخزومي وعبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب ويحيى ابن حكيم) ثم بايع أهل مكة (عبد الله بن الزبير) رضي الله عنهما سنة اثنتين وستين من الهجرة ومات يزيد سنة أربع وستين واستمر بها عبد الله بن الزبير الى أن استشهد سنة ثلاث وسبعين من الهجرة فولي مكة (الحجاج) من قبل عبد الملك ثم بعد الحجاج وليها جماعة منهم (مسلمة بن عبد الملك بن مروان ثم الحارث بن خالد المخزومي) وفد على عبد الملك فلم يصله فرجع من عنده وأنشد أبياتا

لك الذى طلبت فجعل عمر المولود اربعين سنة فرجع الرجل الى اهله مسرورا فتردى الاكبر فى بئر ووجد الصغير ينزع فى الموت فلم يمس من ذلك اليوم حتى ماتا جميعا فقالت امهما فلا والله مالابى ثمامة عند الهه مثل منزلة محمد صلى الله عليه وسلم وكان مسيلمة قبيح الخلقة وذميم الصورة وصفته على عكس صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يزعم ان جبريل يأتيه بالوحى وكان اسمه هارون ابن حبيب وكنيته ابو ثمامة ولقبه مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة قيل انه كان يقول ان الذى يأتيه اسمه رحمن وقيل انه من باب تعنتهم فى كفرهم ولما فرغ خالد من البطاح ورجع الى المدينة ورضى عنه ابو بكر رضى الله عنه بعثه الى مسيلمة فتعجل الى البطاح وأمده أبو بكر رضى الله عنه بالرجال فانتظر البعوث حتى قدمت عليه فنهض الى اليمامة وكان جيشه اربعة آلاف وكان اهل اليمامة اربعون الف مقاتل ولما بلغهم دنو خالد بن الوليد رضى الله عنه خرجوا وعسكروا فى منتهى ريف اليمامة واستنفروا الناس فنفروا اليهم واقبل خالد وجعل على مقدمته شرحبيل بن حسنة فهجم عليه من أصحاب مسيلمة ليلة سرية أربعون اوستون فقبض المسلمون عليهم وقتلوهم ثم سار خالد ونازل بنى حنيفة واشتدت الحرب ولم يلق المسلمون حربا مثلها قط وتذامرت بنو حنيفة وقاتلت قتالا شديدا وكانت الحرب يومئذ تارة للمسلمين وتارة للكافرين ثم أنزل الله نصره على المسلمين حتى الجؤا بنى حنيفة الى حديقة احتشدوا فيها فدخلها المسلمون عليهم وقاتلوهم أشد القتال فلم يزالوا كذلك حتى قتل مسيلمة واشترك فى قتله وحشى مولى جبير بن مطعم الذى قتل حمزة رضى الله عنه ورجل من الانصار اما وحشى فدفع اليه حربته فوقعت بين ثديه وضربه الانصارى بسيفه واختلف فى هذا الانصارى فقيل هو ابو دجانة وقيل هو عبد الله بن زيد قال ابن عمر فصرخ رجل وقال قتله العبد الاسود وقالت جارية على ظهر بيت وآمير المؤمنين قتله العبد الاسود فولت بنو حنيفة عند قتله مهزومة وأخذهم السيف من كل جانب ثم بقى منهم جماعة بالحصون فصالحهم خالد على كل شئ دون النفوس وفى رواية فصالحهم على الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع ونصف السبى وكان وحشى يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الاسلام يعنى حمزة ومسيلمة وفى تاريخ ابن الوردى لما عزى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة حين قتله وحشى بأحد قال بعضهم ويل لوحشى من النار فقال صلى الله عليه وسلم أما حمزة فأجله قد انقضى وأما وحشى فسوف يدرك الشرف من بعده فقالوا كيف يارسول الله قال هو يقتل مسيلمة الكذاب فكان كما قال صلى الله عليه وسلم واستشهد فى هذه الوقعة كثير من مشاهير المهاجرين والانصار وفضلاء الصحابة يطول الكلام بتعداد اسمائهم وجملة من قتل من المهاجرين والانصار من المدينة ثلثمائة وستون ومن المهاجرين من غير المدينة ثلثمائة رجل ومن بقية المسلمين ستمائة فجملة من استشهد من المسلمين الف ومائتان وقيل الف وثمانمائة ومن المشركين نحو عشرين الفا قتل منهم فى الحديقة فقط سبعة عشر الفا كما فى تاريخ ابن خلدون وكانت هذه الوقعة فى ربيع الاول من سنة ثنتى عشرة من الهجرة كذا فى تاريخ الخميس والذى يقتضيه تاريخ ابن الاثير وتاريخ

فبلغت عبد الملك فأرسل فى طلبه فلما وقف بين يديه سأله عما عليه من الدين فقال ثلاثون ألفا فقال له عبد الملك قضاء دينك أحب اليك أم ولاية مكة فقال بل ولاية مكة فولاه اياها قيل ان ذلك كان قبل ولاية مسلمة بن عبد الملك ثم عزل الحارث وولى مسلمة ثم عزل مسلمة وولى (خالد بن عبد الله) القسرى (ثم نافع بن علقمة الكنانى ثم يحيى بن الحكم بن أبى العاص) وتوفى عبد الملك سنة ست وثمانين فولى الخلافة ابنه الوليد فولى مكة (عمر بن عبد العزيز بن مروان) وعزله سنة تسع وثمانين وقيل سنة احدى وتسعين وولى (خالد بن عبد الله القسرى) المتقدم ذكره واستمر الى أن توفى الوليد سنة ست وتسعين فولى الخلافة سليمان بن عبد الملك وولى مكة (خالد بن عبد الله القسرى) ثم عزله وولى (طلحة بن داود) ثم عزله بعد ستة أشهر وولى (عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد) وتوفى سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين وولى الخلافة عمر بن عبد العزيز فولى مكة (عبد العزيز المذكور ثم (محمد بن طلحة ابن عبد الله بن عبد الرحمن

ابن خلدون أنهـا كانت فى أواخر السنة الحادية عشر لأنهم ذكروا ان مسير خالد الى العراق فى أول سنـة ثنتى عشرة وكان ذلك بعد فراغه من قتال أهل اليمامة وكان القتـال يوما كاملا من بكرة النهـار الى بعد العصر وقاتل خالد بن الوليد فى ذلك اليوم قتالا شديدا وكان يقول شهدت عشرين زحفا فلم أر قوما اصبر لوقـع السيوف ولا اضرب بهـا ولا اثبت اقداما من بنى حنيفة يوم اليمـامة وقال ابو برزة الاسلمى لقد اقتحم خالد حتى اعـذر وصبر حتى ظفر وقال رافع بن خديج خرجنـا ونحن اربعة آلاف فانتهينا الى اليمـامة فنتهى الى قوم هم الذين قال الله فيهم ستدعون الى قوم أولى بأس شديد ثم ان الله بمنـه وكرمه وفضله رزقنـا عليهم الظفر وكان مـع المسلمين امرأة وهى ام عمـارة نسيبة بنت كعب الانصارية وهى والدة عبدالله بن زيد الذى قتل مسيلمة مع وحشى وشهدت امه ذلك اليوم وقطعت يدها فى ذلك القتـال وكانت ام عمـارة هـذه جاءت الى ابى بكر رضى الله عنـه لما تجهز القـوم للخروج واستأذنتـه فى الخروج فقال لهـا ابو بكر رضى الله عنـه ما مثلك يحال بينه وبين الخروج قـد عرفنـاك وعرفنا جرأتك فى الحرب فاخرجى على اسم الله وكان مسيلمة قبـل خروجهم قد ظفر بابن لهـا وهو حبيب ابن زيد وكان مقبلا من عمان يريد المدينة فسمع به مسيلمة فأرسل من قبض عليه وجئ به اسيرا فقـال له مسيلمة اتشهد انى رسول الله فقـال لا اسمـع فقـال له اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم فأمر به فقتل وكان كلمـا قال اتشهد انى رسول الله قال لا اسمع فاذا قال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم حتى قطعه عضوا عضوا حتى قطع يديه من المنكبين ورجليه من الوركين ثم أحرقه بالنار وهو فى كل ذلك لا ينزع عن قوله ولا يرجع عما بدأ به حتى مات فى النار فخرجت امه مع القوم لتأخذ بثار ابنها فلمـا انتهوا الى اليمامة فكانت تقاتل مع المسلمين قالت فلمـا انتهينا الى الحديقة ازدحمنا على الباب فاقتحمنا فضاربناهم سـاعة وجعلت اقصد عدو الله مسيلمة لان أراه واقد عاهدت الله لئن رأيته لا اكذب عنه أو اقتل دونه وجعلت الرجال تختلط والسيوف بينهم تختلف وخرس القوم فلا صوت الا وقـع السيوف حتى بصرت بعـدو الله فشددت عليه وعرض لى منهم رجـل فضرب يدى فقطعهـا فوالله ما عرجت عليها حتى انتهيت الى الخبيث وهو صريع قد قتله ابنى عبـدالله وفى رواية وابنى يمسح سيفه بثيـابه فقلت أقتلته قال نعم يا امه فسجدت شكرا لله تعـالى وقطع الله دابرهم فلمـا انقطعت الحرب ورجعت الى منزلى جاءنى خالد ابن الوليد بطبيب من العرب فداوانى بالزيت المغلى وكان والله اشد على من القطع وكان خالد كثير التعاهد لى حسن الصحبة لنا يعرف لنا حقنا ويحفظ فينا وصية نبينـا وعن محمد بن يحيى بن حبان قال جرحت ام عمـارة يوم اليمـامة أحـد عشر جرحا بين ضربة سيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح وقطعت يدهـا سوى ذلك ولما قدمت المدينة كان ابو بكر رضى الله عنـه يأتيها ويسأل عنها وهو يومئـذ خليفة وممن استشهد يوم اليمامة ثابت بن قيس ابن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفاخر به وفود العرب اذا قدموا عليـه يفتخرون بفصاحة خطبائهم وكان يوم اليمـامة معه راية الانصـار ولمـا استشهد ودفنـه المسلمون سمعوه حين ادخلوه فى قـبره يقول محمد رسول الله ابو بـكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظروه فاذا هو ميت ذكر ذلك القاضى عياض فى الشفا

ابن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم عروة بن عياض ثم عبدالله بن قيس بن مخرمة ثم عثمـان بن عبيدالله بن عبدالله بن سراقة العدوى) وذكرا بن جرير أن عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد المذكور أولا هو الذى ولى مكة لعمر بن عبد العزيز مدة خلافته جميعها وجمع بعض الناس فقال لعل المذكورين من الولاة تولوا أمارة مكة لعمر بن عبد العـزيز من ولايته عـن الوليد فى المدة التى كانت ولايته بالمدينة فان مكة كانت فى ولايته أيضا وتوفى عمر بن عبد العزيز عن الوليد سنة احدى ومائة فولى الخلافة بعده يزيد بن عبد الملك فولى مكة (عبد العزيز) السابق ذكره (ثم عبد الرحمن بن الضحاك القرشى ثم عبد الواحد بن عبدالله النصرى) وتوفى يزيد ابن عبـد الملك سنة مائة وخمسة وقيل مائة وسبعة فولى الخلافة هشام بن عبد الملك فولى مكـة فى زمنه جماعة منهم (عبد الواحد النصرى) المتقدم ذكره ثم (ابراهـيم بن هشـام المخزومى) خال هشام بن عبد الملك (ثم أخوه محمد بن هشام) وقيل بن ولى مكة

وبعد وفاته رآه رجل من المسلمين فى منامه يقول له انى موصيك بوصية فاياك ان تقول هذا حلم فتضيعه انى لما قتلت بالامس جاء رجل من ضاحية نجد وعلم درعى فأخذها وأتى بها منزله وأكفأ عليها برمته وجعل على البرمة رحلا وخباؤه فى اقصى العسكر الى جنب خبائه فرس أبلق يستن فى طوله فأت خالد بن الوليد فأخبره فليبعث الى درعى فليأخذها واذا قدمت على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ان على من الدين كذا ولى من الدين كذا وسعد ومبارك غلاماى حران فاياك ان تقول هذا حلم فتضيعه فلما أصبح الرجل أتى خالدا رضى الله عنه فأخبره فبعث خالد الى الدرع فوجدها كما قال وأخبره بوصيته فأجازها ولا نعلم ان أحدا من المسلمين أجيزت وصيته بعد موته الا ثابت بن قيس بن شماس وقد روى ان بلال بن الحارث رضى الله عنه كان صاحب الرؤيا ولما انقضى القتال اجتمع خالد بن الوليد ببعض أهل اليمامة وسألهم عن اسجاع مسيلمة فقصوها عليه فقال سبحان الله هذا الكلام ماخرج من أل ولا بر فأين يذهب بكم عن احلامكم وقال ابو بكر رضى الله عنه فى حق أهل اليمامة لن يزالوا من كذابهم فى بلية الى يوم القيامة الا ان يعصمهم الله تعالى وقصة يوم اليمامة طويلة وقع فيها عجائب من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانت معجزات له صلى الله عليه وسلم وكرامات لهم وكلها مذكورة فى التواريخ وفى هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم والكلام على بقية أهل الردة الذين قاتلهم غير خالد بن الوليد سيأتى الكلام عليه مؤخرا بعد اتمام الكلام على غزوات خالد بن الوليد بالمشرق والعراق

ذكر مسير خالد بن الوليد الى العراق

ولما فرغ خالد بن الوليد من أمر اليمامة بعث اليه ابو بكر رضى الله عنه فى المحرم من سنة ثنتى عشرة فأمره بالمسير الى العراق فسار من اليمامة وقيل قدم على أبى بكر رضى الله عنه ثم سار من المدينة وانتهى الى قرية بالسواد وصالح أهلها على عشرة آلاف دينار فقبضها ووضع الجزية عليهم ثم سار الى الحيرة وخرج اليه اشرافها مع اياس ابن قبيصة الطائى الأمير عليها بعد النعمان ابن المنذر فدعاهم الى الاسلام أو الجزية أو مناجزة الحرب فاختاروا الجزية فصالحوه على تسعين ألف درهم ثم سار الى الابلة وكان معه عشرة آلاف وأمده ابو بكر رضى الله عنه بالمثنى بن حارثة الشيبانى ومعه ثمانية آلاف وكان قبل مجئ خالد استأذن أبابكر رضى الله عنه ان يغزوا بالعراق فلما قدم خالد أمر ابو بكر المثنى ان يكون مع خالد ونازلوا الحفير وكان ذلك الفرج اعظم فروج فارس واشدها شوكة وكان صاحبه اسمه هرمز فكان يحارب العرب فى البر ويحارب الهند فى البحر فلما سمع هرمز بهم كتب الى كسرى اذدشير الملك بالخبر وتعجل هو الى الكواظم واقترن قومه بالسلاسل لئلا يفروا فسمع بهم خالد وكانوا سبقوه فى النزول على الماء فنزل خالد على غير ماء فقال له اصحابه فى ذلك فقال لهم لعمرى ليصيرن الماء لأصبر الفريقين فحطوا أثقالهم وتقدم خالد الى الفرس فلاقاهم فأرسل الله سحابة فأغدرت وراء صف المسلمين فقويت قلوبهم وخرج هرمز ودعا خالدا الى البراز وتواطأ مع اصحابه على الغدر فخالد فبرز اليه خالد ومشى نحوه راجلا ونزل هرمز أيضا

(ونضاربا)

(من هشام بن عبد الملك (نافع بن علقمة الكنانى) السابق ذكره فى خلافة عبد الملك وتوفى هشام بن عبد الملك سنة مائة وخمس وعشرين فولى الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك فولى مكة (يوسف بن محمد الثقفى) وقتل الوليد بن يزيد سنة ست وعشرين ومائة وولى الخلافة يزيد بن الوليد وولى مكة (عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز) وكانت مدة خلافة يزيد بن الوليد خمسة أشهر ثم مات فولى الخلافة أخوه ابراهيم بن الوليد ثم بعد أربعين ليلة خلع وولى الخلافة مروان بن محمد بن مروان فأثبت ولاية (عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز) على مكة [illegible] وولى على مكة (عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك) ثم تغلب على مكة أبو حمزة الخارجى وأخرج منها عبد الواحد وقصته مع الخارجى مذكورة فى التواريخ ثم جهز مروان بن محمد جيشا لاخراج الخارجى من مكة والمدينة وأمر على الجيش عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى فخرج جيش أبى حمزة الخارجى وقتله وولى مكة وولى عليها أيضا مروان بن

وتضاربا فاحتضنه خالد وحمل أصحاب هرمز الذين تواطأ معهم فاشغل ذلك خالدا عن قتله وحمل القعقاع بن عمرو عليهم فأزاحهم وانهزم اهل فارس وركبهم المسلمون وقتل خالد هرمز وأخذ سلبه وكانت قلنسوته بمائة ألف وكانت هذه عادتهم اذاتم شرف الانسان تكون قلنسوته بمائة ألف وبعث خالد بالفتح والاخماس الى ابى بكر وسميت هذه الوقعة ذات السلاسل ثم سار خالد فنزل بمكان البصرة وبعث المثنى بن حارثة فى آثار العدو فحاصر حصن المرأة وفتحه فأسلمت وتزوجها وكان كسرى اذدشير لما جاءه كتاب هرمز بمسير خالد أمده بجيش فلقيه المنهزمون فرجعوا ونزلوا الثنى وهو النهر وتعرف هذه الوقعة بوقعة الثنى وسار اليهم خالد واقتتلوا وانهزم الفرس وقتل منهم نحو ثلاثين الف سوى من غرق وغنم المسلمون غنيمة عظيمة واخذ الجزية من الفلاحين وصاروا فى ذمة وكان فى السبى والد الحسن البصرى وكان نصرانيا ولما جاء الخبر الى كسرى بعث جيشا عظيما وعسكروا بالدلجة فسار اليهم خالد فقاتلهم وهزمهم وقتل كثيرا منهم ثم اجتمعوا على مليس ومعهم كثير من نصارى العرب فسار اليهم خالد فبرز اليه مالك بن قيس فقتله خالد واشتد القتال ثم انهزموا واستأسر الكثير منهم وقتلهم خالد حتى سال النهر بالدم وسمى نهر الدم وبلغ عدة قتلاهم سبعين الفا ثم سار الى امغيشيا فغزا اهلها واعجلهم ان ينقلوا اموالهم فغنم جميع مافيها وخربها فلما بلغ ذلك ابابكر رضى الله عنه قال عجزت النساء ان يلدن مثل خالد ثم سار الى الحيرة وحمل الرجال والاثقال فى السفن فخرج مرزبان الحيرة فعسكر عند العربين وارسل ابنه ليقطع الماء عن السفن فوقفت على الارض فسار اليه خالد فقتله وجميع من معه ثم سار خالد الى ابيه فى الحيرة فهرب من غير قتال وحاصر خالد قصور الحيرة وافتتحها واكثر القتل فخرج ابن قبيصة من القصر الابيض وعمرو بن عبد المسيح ابن بقيلة وكان معمرا فقال له خالد كم أتى عليك قال مئو سنين قيل ان عمره كان أربعمائة سنة قال فما اعجب ما رأيت قال رأيت القرى منظومة مابين دمشق والحيرة تخرج المرأة فلا تتزود الارغيفا وكان معه خادم معه كيس فسأله خالد ما فى هذا الكيس قال فيه سم ساعة فأخذه خالد ونثره فى يده وقال لم تستصحب هذا معك قال خشيت ان يكون على غير ما رأيت فيكون الموت احب الى من مكروه ادخله على قومى فقال له خالد لن تموت نفس حتى تأتى على أجلها ثم قال خالد بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ وابتلع السم فقال ابن عبد المسيح والله لتبلغن ما اردتم مادام احد منكم هكذا وابى خالد ان يصالحهم الا على تسليم كرامة بنت عبد المسيح لصحابى اسمه سويل كما فى تاريخ ابن الاثير وقيل شريك كما فى تاريخ ابن خلدون وكرامة بنت عبد المسيح قيل اسمها الشيما وسبب اشتراط تسليمها له ان النبى صلى الله عليه وسلم لما ذكر استيلاء أمته على ملك فارس والحيرة سأله ذلك الصحابى ان يعطى كرامة بنت عبد المسيح قال ابن الاثير وكان رآها شابة فمال اليها فوعده النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فلما فتحت الحيرة طلبها وشهد له شهود بوعد النبى صلى الله عليه وسلم فسلموها لخالد وسلمها خالد له وفاء لوعد النبى صلى الله عليه وسلم اياه فاشتروها منه بألف درهم وصالحهم خالد على مائتى الف وتسعين الفا واهدوا له هدايا فبعث بالفتح والهدايا الى ابى بكر رضى الله عنه فقبلها ابو بكر من الجزية

محمد (الوليد بن عروة السعدى) ويقال أيضا وليها مروان (محمد بن عبد الملك بن مروان) وانقضت دولة مروان بن محمد سنة مائة واثنتين وثلاثين وقتل

﴿ابتداء دولة بنى العباس﴾

وقام ملك بنى العباس فكان أول خلفائهم السفاح أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فولى مكة فى أيامه عمه (داود بن على بن عبد الله بن عباس) رضى الله عنهم ثم وليها أيضا فى زمن السفاح (عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب) وتوفى السفاح سنة مائة وست وثلاثين وولى الخلافة أخوه المنصور فولى مكة فى خلافته جماعة أولهم (العباس بن عبد الله بن معبد) السابق ذكره (ثم زياد بن عبد الله الحارثى) السابق ذكره أيضا ثم عزله وولى مكة (الهيثم بن معاوية العتكى الخراسانى) واستمر الى سنة ثلاث وأربعين فعزله وولى مكة (السرى بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب) واستمر الى سنة خمس وأربعين ومائة

﴿ظهور النفس الزكية ومبايعة الائمة له﴾

وكتب الى خالد ان يأخذ منهم بقية الجزية وقصة بنت عبد المسيح ذكرها الدميرى فى حياة الحيوان فى ترجمة البغلة فقال روى الطبرانى وابو نعيم من طرق صحيحة عن خزيمة ابن اوس قال هاجرت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقدمت عليه عند منصرفه من تبوك فأسلمت فسمعته يقول هذه الحيرة قد رفعت اليكم ستفتحونها وهذه الشيما بنت بقيلة الازدية على بغلة شهباء معتجرة بخمار اسود فقلت يارسول الله ان نحن دخلنا الحيرة فوجدناها على هذه الصفة فهى لى قال عليه الصلاة والسلام هى لك فأقبلنا مع خالد ابن الوليد نريد الحيرة فلما دخلناها كان اول من تلقانا الشيما بنت بقيلة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة شهباء معتجرة بخمار اسود فتعلقت بها وقلت هذه وهبها لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منى خالد عليها البينة فأتيته بها فسلمها الى ونزل الينا اخوها عبد المسيح فقال أتبيعنيها فقلت نعم فقال احتكم ماشئت فقلت والله لا انقصها عن الف درهم فدفع لى الف درهم فقيل لى لو قلت مائة الف درهم لدفعها لك فقلت لا احسب مالا أكثر من الف درهم قال الطبرانى وبلغنى ان الشاهدين كانا محمد ابن مسلمة وعبد الله بن عمرو رضى الله عنهم انتهى وفى اسد الغابة ان اسم الصحابى المذكور حزيم ابن اوس الطائى وان المرأة اسمها الشيما وان الشاهدين محمد بن مسلمة وعبد الله بن عمرو وقيل محمد بن مسلمة ومحمد ابن بشير فمن قال ان الصحابى شويل او شريك فلعله يلقب بذلك وكذلك من قال ان اسم المرأة كرامة فلعله لقب لها لان القصة واحدة وهى من معجزاته صلى الله عليه وسلم واعلام نبوته والحيرة مدينة بارض الكوفة على ساحل البحر كان بها ملك النعمان بن المنذر وغيره من ملوك العرب عمالا لكسرى ملك الفرس والآن لا اثر للمدينة المذكورة ومكان المدينة دجله

﴿ ذكر فتح ماوراء الحيرة ﴾

كان الدهاقين يتربصون بخالد مايصنع بأهل الحيرة فلما صالحهم واستقاموا له جاءته الدهاقين من كل ناحية فصالحوه عما يلى الحيرة من الفلاليح على الفى الف وبث السرايا فى الثغور وامرهم بالغارة فمخروا السواد كله الى شاطئ دجله وكتب الى ملوك فارس يدعوهم الى الاسلام اواداء الجزية واقام بالحيرة سنة يصعوب ويصعد والفرس حائرون فيمن يملكونه لان ملكهم مات فحصل الاضطراب بينهم ثم سار خالد الى الانبار فحاصرهم وامر الرماة ان يقصدوا عيونهم فرموا رشقا واحدا ثم تابعوا فأصابوا الف عين فسميت تلك الوقعة ذات العيون فأرسلوا يطلبون الصلح على امر لم يرضه خالد فرد الرسل ونحر من ابل العسكر كل ضعيف وألقاه فى خندقهم ثم عبره فاجتمع المسلمون والكفار فى الخندق فبذلوا لخالد ماأراد وعقدوا الصلح معه والحقهم بما منهم ليس معهم شئ غير المتاع ثم صالحه من حول الانبار واهل كلواذا

﴿ ذكر فتح عين التمر ﴾

ولما فرغ خالد من الانبار سار الى عين التمر وبها جمع عظيم من العجم ومعهم جمع من العرب من بنى تغلب وغيرهم فقال لهم العرب نحن اعلم بقتال العرب فدعونا وخالدا فقالوا صدقتم

وفيها ظهر بالمدينة النفس الزكية وهو محمد بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب فبايعته الائمة من أهل عصره كمالك وأبى حنيفة رحمهما الله تعالى ومن فى طبقتهما فوجه الى مكة من قبله (محمد بن الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب) ومعه القاسم بن اسحق واليا على اليمن يعنى القاسم بن اسحق فخرج عليهم السرى أمير مكة من قبل المنصور فالتقيا بشعب أذاخر فانهزم السرى ودخل محمد بن الحسن مكة وأقام بها يسيرا فأتاه كتاب من محمد بن عبد الله يأمره بالرجوع الى المدينة هو ومعه ويخبره بمسير جيش المنصور اليه لمحاربته وعليهم أمير عيسى بن موسى بن على بن عبد الله بن عباس فسار من مكة هو والقاسم بن اسحق فبلغه وهو بنواحى قديد قتل محمد بن عبد الله النفس الزكية والقصة مذكورة فى التواريخ وقيل ان الذى ولاه محمد بن عبد الله على مكة الحسن بن معاوية والد محمد بن الحسن والله أعلم بالصواب ثم عاد السرى الى ولاية

فتقدم العرب لقتال خالد فأسرأميرهم ثم قتله وهزمهم واسر كثيرا منهم فانهزم العجم وتركوا الحصن فتحصن المنهزمون من العرب فنازلهم خالد فطلبوا الامان فأبى فنزلوا على حكمه فأخذهم اسرى ثم قتلهم اجمعين وسبى كل من فى الحصن وغنم مافيه ووجد فى بيعتهم اربعين غلاما يتعلمون الانجيل فاخذهم فقسمهم على أهل البلاد منهم سيرين والد محمد بن سيرين ونصير والد موسى بن نصير وحمران مولى عثمان رضى الله عنه وارسل الى ابى بكر بالخبر والخمس

ذكر خبر دومة الجندل

لما فرغ خالد من عين التمر جاء كتاب من عياض بن غنم رضى الله عنه وكان أميرا على جيش لقتال نصارى العرب الذين بدومة الجندل فكتب لخالد يستمده على من بازائه من نصارى العرب وكانوا قبائل كثيرة فسار اليه خالد فنزل دومة وعياض عليها من الجهة الاخرى فقاتلوا انصارى العرب من الجهتين فانهزموا الى الحصن فحاصروهم وافتتحوا الحصن عنوة وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية واقام خالد بدومة الجندل فطمع الاعاجم فى الحيرة وكثرت جموعهم بالحصيد ومعهم كثير من نصارى العرب وكان خالد جعل على الحيرة القعقاع ابن عمرو فقاتلهم بالحصيد وقتل من العجم مقتلة عظيمة وهزمهم وغنم المسلمون غنايم كثيرة ثم اجتمع الاعاجم بالمضيخ بنى البرشاء وكثرت جموعهم فبلغ الخبر خالدا فكتب الى القعقاع ومن معه من الامراء ووعدهم ساعة من ليلة يجتمعون فيها الى المضيخ وخرج خالد قاصدا اليهم فلما كانت تلك الساعة من ليلة الوعد اتفقوا جميعا فأغاروا عليهم وهم نائمون من ثلاثة اوجه فقتلوا كثيرا منهم وكان معهم عبد العزى ابن ابى رهم ولبيد بن جرير وكانا قد اسلما ومعهما كتاب من ابى بكر رضى الله عنه باسلامهما فقتلا فى المعركة فوداهما ابو بكر واوصى باولادهما وكان عمر رضى الله عنه يعتد بقتلهما وقتل مالك بن نويرة على خالد فيقول أبو بكر كذلك يلقى من نازل اهل الشرك

ذكر وقعة الثنى والزميل

كان ربيعة بن بجير التغلبى بالثنى والزميل وهما شرقى الرصافة ومعه جموع يريد بها قتال خالد رضى الله عنه فلما اصاب خالد اهل المضيخ امر القعقاع والامراء بالمسير ليغيروا عليهم وسار خالد من المضيخ واجتمع بالثنى فبيتوا القوم واغاروا عليهم من ثلاثة اوجه وجردوا فيهم السيوف فلم يفلت منهم مخبر وغنم وسبى ولما انهزم من كانوا بالمضيخ كان فيهم الهذيل بن عمران فلحق بجندلهم كان بالبشر فى عسكر ضخم فبيتهم خالد بغارة شعواء وقتل منهم قتلة عظيمة وقسم الغنائم وبعث الخمس الى ابى بكر رضى الله عنه ثم سار خالد الى الرضاب وبها جمع من نصارى العرب فهربوا وتفرقوا لما سمعوا بمسير خالد فوصل اليها خالد ولم يلق كيدا

ذكر وقعة الفراض

ثم سار خالد من الرضاب الى الفراض وهى تخوم الشام والعراق والجزيرة وافطربها

مكة من قبل المنصور واستمر الى سنة مائة وست وأربعين فعزله المنصور وولى مكة (عبد الصمد بن على بن عبد الله بن عباس) عم المنصور والسفاح واستمر الى سنة مائة وتسع وأربعين وكان عبد الصمد هذا من عجائب المخلوقات منها أنه مات بأسنانه التى ولد بها وكانت قطعة واحدة من أسفل وله اتفاقات غريبة ثم ولى بعد عبد الصمد (محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس) رضى الله عنهما واستمر الى سنة مائة وثمان وخمسين وفيها توفى المنصور وولى الخلافة ابنه محمد المهدى فولى مكة (ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس) الى سنة مائة واحدى وستين فولى (جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس) الى سنة ست وستين فولى (عبيد الله بن قثم بن العباس ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب) وذكر الفاكهى ان محمد بن ابراهيم الامام السابق ذكره ممن ولى مكة أيضا للمهدى وتوفى المهدى سنة مائة وثمان وستين وولى الخلافة ابنه موسى الهادى

رمضان لاتصال الغزوات وحميت الروم واستعانوا بمن يليهم من الفرس فأعانوهم واجتمع معهم من العرب تغلب واياد والنمر وساروا الى خالد واقتتلوا بالفراض قتالا عظيما وانهزمت الروم ومن معهم وامر خالد المسلمين ان لا يرفعوا عنهم السيف فقتل في المعركة وفي الطلب مائة الف واقام خالد بالفراض عشرا ثم آذن بالرجوع الى الحيرة لخمس بقيت من ذي القعدة وخرج هو من الفراض حاجا سرا ومعه عدة من اصحابه يعسف البلاد فأتى مكة وحج ورجع فما توافى جنده بالحيرة حتى وافاهم ولم يعلم بحجه الا من اعلمه ولم يعلم بذلك ابو بكر رضي الله عنه الا بعد رجوعه فعتب عليه في ذلك وكانت عقوبته اياه ان صرفه الى الشام من العراق ممدا جموع المسلمين باليرموك وكانت غزواته هذه كلها في اقل من سنة لانه توجه الى العراق في المحرم سنة ثنتي عشرة كما تقدم ولنذكر بقية الكلام على قتال اهل الردة الذي جرى من الامراء غير خالد بن الوليد ثم نرجع لما كان في فتوح الشام

ذكر ردة بني عامر وهوازن وسليم

كانت بنو عامر تقدم الى الردة رجلا وتؤخر اخرى وتنظر امر طليحة وما تصنع بنو اسد وغطفان حتى احيط بهم واوقع بهم خالد بن الوليد وكان رأس بني عامر قرة بن هبيرة وعلقمة ابن علاثة وكان علقمة اسلم ثم ارتد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولحق بالشام بعد فتح الطائف فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم اقبل مسرعا حتى عسكر في بني كعب فبلغ ذلك ابابكر رضي الله عنه فبعث اليه سرية عليها القعقاع ابن عمرو فأغار على الماء الذي عليه علقمة وكان لا يبرح الا مستعدا فسابقهم على فرسه فسبقهم واسلم اهله وولده فأخذهم القعقاع وقدم بهم على أبي بكر رضي الله عنه فجحدوا ان يكونوا على ما كان علقمة ولم يبلغ ابابكر رضي الله عنه انهم فارقوا دارهم وقالوا له ما ذنبنا فيما صنع علقمة فارسلهم ثم اسلم علقمة فقبل ذلك منه وقبلت بنو عامر بعد هزيمة اهل بزاخة يقولون ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله واتوا خالد بن الوليد فبايعهم على ما بايع اهل بزاخة واعطوه بايديهم على الاسلام ولم يقبل من احد من اسد وغطفان وطي وسليم وعامر الا ان يأتوه بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا على الاسلام في حال ردتهم فأتوه بهم فمثل بهم وحرقهم ورضخهم بالحجارة ورمى بهم من الجبال ونكسهم من الآبار وارسل الى ابي بكر رضي الله عنه يعلمه واما قرة بن هبيرة فكان قد لقي عمرو بن العاص رضي الله عنه منصرفه من عمان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعمرو اتركوا الزكاة فان العرب لا تدين لكم بالاتاوة فغضب عمرو واسمعه كلاما وابلغ مقالته ابابكر رضي الله عنه فكتب الى خالد بذلك فقبض على قرة بن هبيرة وبعث به الى ابي بكر فأسلم واعتذر فقبل ذلك منه ابو بكر وحقن دمه ثم اجتمع فلال من غطفان وهوازن وطي واسد الى سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر في الجوب وبلغ ذلك خالدا بعد فراغه من اهل بزاخة فقاتلهم وسلمى واقفة على جملها حتى عقر وقتلت وقتل حول هودجها مائة رجل فانهزموا واما بنو سليم فكان الفجاءة ابن عبد يا ليل قدم على ابي بكر رضي الله عنه يستعينه مدعيا اسلامه ويضمن له قتال

وفي أيامه تغلب على مكة (الحسين بن علي بن الحسن المثنى بن الحسن السبط) وذلك في سنة مائة وتسع وستين فانه ظهر بالمدينة وخرج بمن بايعه الى مكة فدخل مكة وبلغ الهادي خبره فكتب الى محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس يأمره بمحاربته ومدافعته وكان محمد بن سليمان قد توجه الى الحج في هذه السنة في عدة من قومه وعسكر بذي طوى وانضم اليه من حج من جماعتهم وقوادهم فلاقاهم الحسين فاقتتلا يوم التروية فقتل الحسين وهو محرم وقتل من أصحابه نحو مائة رجل بفخ وهو موضع معروف بقرب الزاهر وحمل رأس الحسين الى الهادي فلما رآه تعبس ولم يحمد ذلك ومنع الآتين برأسه من الجائزة وممن قتل مع الحسين من أهل بيته سليمان بن عبد الله ابن حسن وعبد الله بن اسحق بن ابراهيم بن حسن وروى أبو الفرج الاصبهاني في مقاتل الطالبيين باسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم قال انتهى رسول الله صلى الله عليه

اهل الردة فأعطاه وأمره فخرج الى الجون وارتد وبعث نجبة بن أبى المثنى من بنى الشريد وأمره بشن الغارة على المسلمين فى سليم وهوازن فبعث ابوبكر الى طريفة ابن حاجز وعبدالله بن قيس الحاسى فنهضا اليه ولقياه فقتل نجبة وهرب الفجاء فلحقه طريفة فأسره وجاء به الى أبى بكر رضى الله عنه فأوقدله فى مصلى المدينة حطبا ثم رمى به فى النار مقموطا وفاءت بنو سليم كلهم ودخلوا فى الاسلام وكان منهم ابوشجرة بن عبدالعزى السلمى وهو ابن الخنساء وكان قدارتد وقال شعرا منه قوله

* فرويت رمحى من كتيبة خالد * وانى لارجو بعدها ان اعمرا *

يعنى عمر بن الخطاب فلما اسلم قبل ابوبكر رضى الله عنه منه الاسلام فلما كانت خلافة عمر رضى الله عنه قدم المدينة فرأى عمر يقسم مالا فى المساكين فقال اعطنى فانى ذو حاجة فقال ومن انت فقال ابوشجرة بن عبد العزى السلمى قال اى عدو الله لا والله الست الذى تقول

* فرويت رمحى من كتيبة خالد * وانى لارجو بعدها ان اعمرا *

وجعل عمر يعلوه بالدرة على رأسه فسبقه عدوا الى ناقته فركبها ولحق بقومه وقال أبياتا منها قوله

* ضن علينا ابو حفص بنائله * وكل مختبط يوماله ورق *

ذكر ردة اهل البحرين

كانت عبدالقيس وبكر بن وائل وغيرهم من أحياء ربيعة قدارتدوا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فأما عبدالقيس فردهم الجارود ابن المعلى الى الاسلام وكان قد أسلم ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم فلما رجع الى قومه دعاهم الى الاسلام فأسلموا فلما توفى النبى صلى الله عليه وسلم ارتدوا وقالوا لوكان نبيا ما مات فقال لهم الجارود تعلمون ان لله انبياء من قبله ولم تروهم وتعلمون انهم ماتوا ومحمد صلى الله عليه وسلم قد مات وانا شهدان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فأسلموا وثبتوا على اسلامهم واجتمعت ربيعة بالبحرين على الردة الا الجارود ومن تبعه وخرج الحطم بن ضبيعة اخو بنى قيس ابن ثعلبة فى بكر بن وائل فاجتمع اليه كثير من المرتدين وكثير ممن لم يزل مشركا حتى نزل القطيف وهجر اسم موضع واستغوى من بهما وبعث بعثا الى دارين والى جواثا فحصر المسلمون واشتد الحصر على من بهما فبعث ابوبكر رضى الله عنه العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه لقتال اهل الردة بالبحرين ومعه جموع من المسلمين فنزل هجر وبعث الى الجارود ان ينازل بعبد القيس الحطم بن ضبيعة وخندق العلاء والمسلمون على انفسهم وقاتلوا المرتدين وكانوا يتراوجون القتال ويرجعون الى خندقهم فكانوا كذلك شهرا وسمعوا فى بعض الليالى ضوضاة شديدة اى جلبة وصياحا فى المشركين فبعثوا من يأتيهم بالخبر فجاءهم بأن القوم سكارى فبيتوهم ووضعوا السيوف فيهم وفر القوم هرابا واقتحموا الخندق فمن بين مترد وناج ومقتول ومأسور وأبادوا القوم وكفى الله شرهم وقسموا الغنائم ثم ندب العلاء الناس الى دارين وقال لهم قد أراكم الله من آياته فى البر لتعتبروا بها فى البحر فانهضوا الى عدوكم واستعرضوا البحر وارتحلوا وارتحلوا

وسلم الى فخ فصلى فيه بأصحابه صلاة الجنائز ثم قال يقتل ههنا رجل من أهل بيتى فى عصابة من المسلمين ينزل لهم باكفان وحنوط من الجنة تسبق أرواحهم الى الجنة أجسادهم انتهى وكان الحسين هذا شهيد فخ كريما شجاعا مفضالا وفد مرة على المهدى فأعطاه أربعين ألف دينار ففرقها ببغداد والكوفة وكان لا يملك ما يلبسه الا فروة ليس تحتها قميص كذا قال الفاسى وتوفى موسى الهادى سنة سبعين ومائة فولى الخلافة أخوه هرون الرشيد فولى مكة فى زمنه جماعة لا يعرف ترتيبهم فى الولاية منهم (أحمد بن اسمعيل بن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما وحماد البربرى وسليمان بن جعفر بن سليمان بن على بن عبدالله بن عباس والعباس بن موسى بن عيسى بن محمد ابن على بن عبدالله بن عباس والعباس بن محمد بن ابراهيم الامام) السابق ذكره (وعبد الله ابن قثم بن عباس) السابق ذكره (وعلى بن موسى بن عيسى أخو العباس

وكان بينهم وبين دارين البحر فاقتحموا البحر على الخيل والابل والحمير وغير ذلك وفيهم الراجل ودعا ودعوا وكان من دعائهم ياارحم الراحمين يا كريم ياحليم ياأحد ياصمد يا حي يامحيي الموتى ياحي ياقيوم لااله الاالله انت ياربنا فاجتازوا ذلك الخليج باذن الله يمشون على مثل رملة فوقها مايغمر اخفاف الابل وبين الساحل ودارين يوم وليلة بسفن البحر فالتقوا واقتتلوا قتالاشديدا فظفر المسلمون وانهزم المشركون واكثر المسلمون فيهم القتل فاتركوابها مخبرا وغنموا وسبوا فلمافرغوا رجعوا حتى عبروا كما جاؤا وضرب الاسلام بجرانه فيها وكتب العلاء الى ابي بكر رضي الله عنه يعرفه هزيمة المرتدين وقتل الحطم ابن ضبيعة ولما قسمت الغنيمة كان للفارس ستة آلاف وللراجل ألفان وكان مع المسلمين راهب من اهل هجر فأسلم فقيل له ماحملك على الاسلام قال ثلاثة اشياء خشيت ان يمسخني الله بعدها فيض في الرمال وتمهيد ثبج البحر ودعاء سمعته في عسكرهم في الهواء سحرا اللهم انت الرحمن الرحيم لااله غيرك البديع فليس قبلك شيء والدائم غير الغافل الحي الذي لايموت وخالق مايرى ومالايرى وكل يوم انت في شان علمت كل شيء بغير معلم فعلمت ان القوم لم يعانوا بالملائكة الاوهم على حق مكان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسمعون هذا منه بعد والعلاء بن الحضرمي صحابي مشهور توفي سنة اربع عشرة من الهجرة وكان مجاب الدعوة واصله من حضرموت ونزل جده مكة وكان حليفا لحرب بن امية وكان له في هذه الغزوة آثار محمودة وكرامات كثيرة منها انهم سلكوا مفازة وعطشوا عطشا شديدا حتى خافوا الهلاك فنزل العلاء وصلى ركعتين ثم قال ياحليم ياعليم ياعلي ياعظيم اسقنا فجاءت سحابة كأنها جناح طائر فقعقعت عليهم وأمطرت حتى ملؤا الآنية وسقوا الركاب قال الراوي ثم نطلقنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم وفي رواية أتينا على خليج من البحر ماخيض فيه قبل ذلك اليوم فلم نجد سفنا وكان المرتدون قد أحرقوا السفن فصلى ركعتين ثم قال ياحليم ياعليم ياعلي ياعظيم أجزنا ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال جوازا باسم الله قال ابو هريرة وكان مع القوم فمشينا على الماء فوالله ما ابتل لنا قدم ولاخف ولاحافر وكان الجيش اربعة آلاف وقال ابراهيم بن ابي حبيبة حبس لهم البحر حتى خاضوا اليهم وجاوزه العلاء واصحابه مشاعلى ارجلهم وكانت تجري فيه السفن قبل

❁ ذكر ردة اهل عمان والمهرة ❁

كان على اهل عمان والمهرة عاملان للنبي صلى الله عليه وسلم جيفر وعياذ ابناء الجلندي فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم قام بعمان رجل من الازد يقال له لقيط بن مالك الازدي فارتد وادعى النبوة وتغلب على عمان ودفع عنها الملكين فبعث جيفر الى ابي بكر بالخبر فبعث ابوبكر رضي الله عنه حذيفة بن محصن الحميري الى عمان وعرفجة البارقي الى المهرة وامرهما ان يكاتبا جيفر ويأخذا برأيه وكان قد بعث عكرمة بن ابي جهل الى اليمامة ومسيلمة ووقعت عليه النكبة كما مر فأمره بالمسير الى حذيفة وعرفجة ليقاتل معهما عمان والمهرة ويتوجه اذا فرغ من ذلك الى اليمن فمضى عكرمة فلحق بهما قبل ان يصلا عمان وقد عهد اليهم ابوبكر ان ينتهوا

ابن موسى والفضل بن العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ومحمد بن عبيدالله بن سعيد بن المغيرة ابن عمر بن عثمان ابن عفان رضي الله عنه (وموسى بن عيسى بن موسى) المتقدم ذكره وفي سنة مائة وثلاث وسبعين جاءت الحبشة في زمن الحج الى جدة فأوقعوا بمن فيها فخرج الناس هاربين الى مكة فخرج معهم أهل مكة لقتال الحبشة ودفعهم فلما رأت الحبشة ذلك هربوا الى المراكب فجهز وراءهم صاحب مكة غزاة في البحر وقيل ان ذلك كان سنة ثلاث وثمانين ومائة والله أعلم وأراد الرشيد أن يوصل مابين بحر القلزم وبحر الروم ليتهيأ له أن يغزو الروم ببلادهم فقال له يحيى بن خالد البرمكي لو فعلت ذلك دخلت سفائن الروم أرض العرب واختطفوا المسلمين من المسجد الحرام فتركه وتوفي الرشيد سنة أحدى وتسعين ومائة وقيل سنة ثلاث وتسعين ومائة وولي الخلافة ابنه محمد الامين فولى مكة في أيامه (داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس) رضي الله عنهما فضمت اليه

الى رأي عكرمة فراسلوا جيفرا وعياذا وبلغ لقيطا المتغلب مجيء الجيوش فعسكر بمدينة دبا وعسكر جيفر وعياذ بصحار واستقدموا عكرمة وحذيفة وعرفجة وكانوا رؤساء الذين تقدموا بجيوشهم ثم عمدوا الى لقيط واصحابه فقاتلوهم وقد اقام لقيط عياله وراء صفوفه وهم المسلون بالهزيمة حتى جاءهم مددهم من بني ناجية وعليهم الحريث بن راشد من بني عبد القيس وسيحان بن صوحان فانهزم العدو وظفر المسلمون وقتلوا من العدو نحو عشرة آلاف وسبوا الذرارى والنساء وتم الفتح وقسموا الغنائم وبعثوا بالخمس الى أبي بكر رضي الله عنه وكان الخمس ثمانمائة رأس واقام حذيفة بعمان وسار عكرمة الى المهرة فهزمهم وقتل رئيسهم واصابوا منهم الفى نجيبة واجاب اهل تلك النواحي الى الاسلام وبعث الى ابي بكر رضي الله عنه بالفتح ثم ساروا الى اليمن

﴿ ذكر ردة اهل اليمن ﴾

لما ظهر الاسود العنسى وادعى النبوة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ارتد كثير من اهل اليمن ثم لما قتل فيروز الديلمي الاسود العنسى رجع كثير منهم الى الاسلام فلما جاءهم خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ارتد الناس الا القليل وكان ابوبكر رضي الله عنه اقام فيروزا الديلمي أميرا على صنعا فكان يقاتل كل من قدر على قتاله وكان باليمن عمال للنبي صلى الله عليه وسلم أقامهم قبل وفاته منهم عمرو بن حزم على نجران للصلاة ومعه أبوسفيان ابن حرب على الصدقات وعلى ما بين زمع وزبيد ونجران خالد بن سعيد بن العاص وعلى همدان كلها عامر بن شهر الهمداني وعلى الجند يعلى ابن أمية وعلى مارب أبوموسى الاشعرى وعلى وعك الطاهر بن ابى هالة وعلى حضرموت زياد بن لبيد البياضي وعكاشة بن نور الغوثى وعلى كندة المهاجر بن ابى أمية المخزومي وكان معاذ بن جبل يعلم القرآن باليمن ينتقل على هؤلاء وهؤلاء في اعمالهم فلما ارتد الناس رجع عمرو بن حزم الى المدينة واتبعه خالد بن سعيد واما المهاجر ابن ابى أمية فانه لما ولاه النبي صلى الله عليه وسلم على كندة مرض ولم يصل اليها واقام زياد ابن لبيد ينوب عنه وكان ابوبكر رضي الله عنه قد حارب اهل الردة اولا بالكتب والرسل ولم يرسل الى من ارتد وابتدأ بالمهاجرين والانصار ثم استنفر كلا على من يليه حتى فرغ من آخر امور الناس لا يستعين بمرتد وكتب الى عتاب بن اسيد بمكة وعثمان ابن ابى العاص بالطائف بركوب من لم يرتد على من ارتد وكان قد اجتمع بتهامة اوباش من مدلج وخزاعة فبعث عتاب اليهم ففرقهم وقتلهم واجتمع بشنوءة جمع من الازد وخثعم وبجيلة فبعث اليهم عثمان بن أبي العاص من فرقهم وقتلهم واجتمع بطريق الساحل من تهامة جموع من عك والاشعريين فسار اليهم الطاهر بن ابى هالة ومعه مسروق العكي فهزموهم وقتلوهم واقام بالاجناد ينتظر امر ابى بكر ومعه مسروق العكي وبعث ابوبكر رضي الله عنه الى نجران وكتب ابوبكر الى عثمان بن ابى العاص ان يضرب البعوث على مخاليف اهل الطايف فضرب على كل مخلاف عشرين وأمر عليهم اخاه عبد الرحمن وكتب الى عتاب بن اسيد ان يضرب على مكة وعملها خمسمائة ففعل وامر عليهم اخاه خالد بن اسيد واقاموا ينتظرون أمر أبي بكر رضي الله

المدينة فولى ابنه سليمان المدينة فبعد مضي مدة كتب اليه أهل المدينة يلتمسون منه الاتيان اليهم ويفضلونها على مكة فرد عليهم أهل مكة بقصيدة مثلها وحكم بينهم رجل من بني عجل ناسكا كان مقيما بجدة والقصة مشهورة لا حاجة لاستيفائها ولما خلع الامين سنة سبع وتسعين ومائة وبويع المأمون أبقى (داود بن عيسى) على ولاية مكة والمدينة ثم فارق مكة متخوفا من الحسين ابن الحسن بن على الاصغر بن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبي طالب رضي الله عنه المعروف بالافطس وذلك ان أبا السرايا السرى بن منصور الشيباني قام بالعراق يدعو لبيعة أهل البيت وتغلب على كثير من العراق فولى مكة (الحسين بن الحسن) المذكور فلما بلغ داود بن عيسى توجه الحسين الى مكة جمع أصحابه وقال لا أستحل القتال بمكة والله لئن دخلوا من هذا الفج لاخرجن من هذا الفج فانحاز في ناحية ثم خرجوا الى العراق وصعد الناس عرفة بلا امام فصلى بهم رجل من

عنه فأمر المهاجر بن ابي امية المخزومي ان يسير الى اليمن ليصلح من امره ثم يسير الى عمله الذي ولاه النبي صلى الله عليه وسلم وامره بقتال من بين نجران واقصى اليمن ففعل ذلك ومر بمكة والطايف فسار معه خالد بن اسيد وعبد الرحمن بن ابي العاص بمن معهما ومر بجرير بن عبد الرحمن وعكاشة بن ثور فضمهما اليه وكان عمرو بن معدى كرب وقيس بن مكشوح ممن ارتدا فظفر بهما المهاجر فأوثقهما وبعث بهما الى ابي بكر فتابا فقبل توبتهما وردهما وسار المهاجر وقتل كل من ظفر به من المرتدين وقاتل من قاتله وقبل توبة من يتوب الى ان وصل الى صنعا وكتب الى ابي بكر بدخوله صنعا فجاء الجواب ان يسير الى كندة مع عكرمة بن ابي جهل وقد جاءه من ناحية عمان ومعه خلق كثير من المهرة والازد وناجية وعبد القيس وغيرهم فساروا مع المهاجر الى كندة وكتب زياد النائب على كندة الى المهاجر يستحثه فلقيه الكتاب بالمفارة بين مارب وحضرموت فاستخلف عكرمة على الناس وتعجل الى زياد وشدوا الى كندة وكانوا قد ارتد كثير منهم وارتد الاشعث بن قيس الكندي فجعلوه اميرا عليهم فقاتلهم المهاجر وهزمهم وقتل كثيرا منهم وفروا الى النجير حصن لهم فتحصنوا فيه مع من استغووه فحاصروهم وسدوا عليهم الطريق وقطعوا عنهم المدد ولحق عكرمة المهاجر وهم محاصرون القوم ثم استأمن الاشعث الى عكرمة فخرج اليه فجاء به الى المهاجر فأمنه فى أهله وماله وتسعة من قومه كانوا خرجوا معه فقال لهم المهاجر اكتبوا ما شئتم وهلموا الكتاب حتى اختمه واشترطوا على انفسهم ان يفتحوا لهم باب الحصن ففعلوا فاقتحمه المسلمون وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية والنساء فكان فى السبي الف امرأة وكان الاشعث بن قيس لما كتب الصحيفة وختم عليها المهاجر كتب التسعة ونسي ان يكتب نفسه فلما فرغوا من القتل والسبي طلب المهاجر الصحيفة التى كتبوها والتى ختم عليها فاذا الاشعث ليس مكتوبا معهم فقال المهاجر الحمد لله الذى اخطأنك يا اشعث يا عدو الله قد كنت اشتهي ان يخزيك الله وشده كتافا فقبل له اخره وسيره الى ابي بكر فهو اعلم بالحكم فيه فسيره الى ابي بكر مع السبي فكان المسلمون يلعنونه ويلعنه سبايا قومه وسماه نساء قومه عرف النار وهو اسم الغادر عندهم فلما قدم المدينة قال له ابو بكر ما ترانى اصنع بك قال لا اعلم قال فانى اقتلك قال فانا الذى راوضت القوم فى عشرة فما يحل دمى قال ابو بكر فاوجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من فيها وانما كنت قبل ذلك مراوضا فلما خشي القتل قال او تحتسب فى خيرا فتطلق الاسارى وتقيلنى عثرتى وتفعل بى مثل مافعلت بامثالى وترد على زوجتى وقد كان خطب ام فروة اخت ابي بكر لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وأخرها الى ان يقدم الثانية فتوفى النبي صلى الله عليه وسلم وارتد فان فعلت ذلك تجدنى خير اهل بلادى لدين الله فحقن دمه وزوجه اخته وحسن اسلامه واقام بالمدينة حتى فتح العراق وشهد فتح القادسية واليرموك وكان مع على رضى الله عنه فى قتال صفين وتوفى بالكوفة سنة اثنتين وأربعين من الهجرة وقيل بعد على رضى الله عنه باربعين يوما وصلى عليه الحسن بن على رضى الله عنهما قال ابن الاثير قد اختلف فى تاريخ حرب المسلمين هؤلاء المرتدين فقال ابن اسحاق كان فتح اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود الى

عرض الناس بالاخطبة ودفعوا من عرفة وقيل ان الحسين بن الحسن لما بلغ سرف توقف عن دخول مكة خوفا من بنى العباس فلما بلغه خلوها منهم وخروج داود بن عيسى دخل فى عشرة أنفار من أصحابه فطاف وسعى ومضى الى عرفة فوقف بها بالليل ثم صلى بالناس الصبح بالمزدلفة وقام بمنى الى ان قضى الحج ثم عاد الى مكة فعسف وظلم واستمر الى ان بلغه قتل أبى السرايا سنة مائتين فخاف تغير الناس عليه فعمد الى محمد بن جعفر الصادق الملقب بالديباج لجماله وسأله المبايعة له بالخلافة فكره محمد بن جعفر ذلك فاستمال ابنه على بن محمد المذكور فلم يزل به حتى بايعوه بالخلافة وجمعوا الناس على مبايعته كرها ولقبوه أمير المؤمنين وذلك فى ربيع الاول سنة مائتين وبقى شهورا ليس له من الامر شئ والامر للافطس وعلى بن محمد وهما على أقبح سيرة ثم جاء جيش من المأمون

الشام سنة ثنتي عشرة وقال ابو معشر ويزيد بن عياض وابو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ان فتوح الردة كلها لخالد وغيره كان سنة احدى عشرة وكان مسير خالد الى العراق في اول سنة ثنتي عشرة الى ذي القعدة منها وهذا القول هو الذي يدل عليه سياق تلك الوقائع

﴿ ذكر فتوح الشام ﴾

لما فرغ ابوبكر رضي الله عنه من اهل الردة واستقامت له العرب حدث نفسه بغزو الروم ولم يطلع عليه احد فبينما هو كذلك اذ رأى شرحبيل بن حسنة في المنام صورة غزو الشام وبعث الجند فجاءه شرحبيل وجلس اليه فقال ياخليفة رسول الله احدثت نفسك بالغزو وان تبعث الى الشام جندا قال نعم حدثت نفسي بذلك ولم يطلع عليه احد وما سألتني الا لشيء فأخبره شرحبيل بما رأى فاوله ابوبكر ببعثه جندا الى الشام وفتحها عليهم ثم انه بعد ذلك امر الامراء وبعث الى الشام البعوث وعن عبدالله بن ابي اوفى الخزاعي رضي الله عنه قال لما اراد ابوبكر رضي الله عنه ان يجهز الجنود الى الشام دعا عمر وعثمان وعليا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص واباعبيدة ابن الجراح ووجوه المهاجرين والانصار من اهل بدر وغيرهم وشاورهم وكلهم استصوبوا رأى أبي بكر رضي الله عنه وقالوا ما رأيت من الرأى فأمضه فانا سامعون لك مطيعون لانخالف أمرك وعلي رضي الله عنه في القوم لايتكلم فقال له ابوبكر ماذا ترى يا اباالحسن فقال ارى أنك مبارك الامر ميمون النقيبة فانك ان سرت اليهم بنفسك اوبعثت عليهم نصرت ان شاء الله تعالى قال بشرك الله بخير ومن اين علمت هذا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايزال هذا الدين ظاهرا على كل من ناواه حتى تقوم الساعة واهله ظاهرون فقال ابوبكر سبحان الله ما احسن هذا الحديث لقد سررتني سرك الله في الدنيا والآخرة ثم انه قام في الناس خطيبا ورغب الناس في الجهاد ثم امر بلالا فاذن في الناس انفروا ايها الناس الى جهاد عدوكم الروم بالشام ثم شرع في بعث الجيوش وكان ذلك في افتتاح سنة ثلاث عشرة من الهجرة وقيل في أول السنة التي قبلها حين بعث خالد بن الوليد الى العراق وكتب الكتب الى اهل مكة والطايف واليمن وغيرها فكتب لهم جميعا بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليكم فاني أحمد الله الذي لااله الا هو واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد عزمت ان اوجهكم الى ناحية بلاد الشام لتأخذوها من ايدي الكفار والطغاة فمن عول منكم على الجهاد والصدام فليبادر الى طاعة الملك العلام ثم كتب انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ثم بعث الكتب اليهم واقام ينتظر قدومهم وكان الذي بعثه بالكتب التي لليمن انس بن مالك رضي الله عنه فامرت الايام حتى قدم انس رضي الله عنه يبشره بقدوم اهل اليمن وقال ياخليفة رسول الله وحقك على الله ما قرأت كتابك على احد الابادر لطاعة الله ورسوله واجابوا دعوتك وقد تجهزوا في العدد والعديد والزرد والنضيد وقد أقبلت اليك ياخليفة رسول الله مبشرا بقدوم الرجال فسر أبوبكر رضي الله عنه بقوله سرورا عظيما ثم عقد الالوية وامر الامراء وبعثهم الى الشام

وعليه عيسى بن يزيد الجلودي فطلب محمد بن جعفر الدياج الامان بعد قتال عند بئر ميمونة وخلع نفسه فأجلوه ثلاثا فخرج من مكة ودخلها العباسيون ثم سار الدياج الى العراق واعتذر للمأمون فقبله قال الذهبي ان الجلودي خرج بالدياج الى العراق واستخلف على مكة ابنه (محمد) وقيل استخلف يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي وجاء من اليمن ابراهيم بن موسى الكاظم ودخل مكة عنوة وقتل يزيد بن محمد سنة مائتين واثنتين وقال الفاسي وولي مكة بعد الجلودي (هرون بن المسيب ثم حمدون بن علي بن عيسى بن ماهان) ثم وليها (ابراهيم بن موسى الكاظم) السابق ذكره وذكر الازرقي أن يزيد بن حنظلة كان واليا على مكة خليفة لحمدون وممن ولي مكة للمأمون (عبدالله بن الحسن بن عبدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه) مع المدينة وممن ولي مكة أيضا للمأمون (صالح بن العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وسليمان بن عبدالله بن

افواجا يتبع بعضهم بعضا كلما اجتمع جماعة امرهم بالتوجه فن الامراء الذين عقد لهم الالوية ابوعبيدة ابن الجراح ويزيد بن ابى سفيان وربيعة ابن عامر وشرحبيل بن حسنة وخالد بن سعيد وعمرو بن العاص وغيرهم وجعل كل واحد اميرا على جماعة وأمره بالتوجه الى الموضع الذى عينه له وجعل أباعبيدة اميرا على الجميع وكلما توجه امير يودعه ابو بكر رضى الله ويوصيه فكان يوصيهم بوصايا كثيرة منها تقوى الله وحسن الصحبة والمواظبة على الصلوات فى اوقاتها جماعة وان يصلح كل منهم نفسه حتى يصلح الله له الناس وان يكرموا رسل العدو اذا قدموا اليهم وان يقللوا لبثهم عندهم حتى يخرجوا من عسكرهم وهم جاهلون لم يطلعوا على شئ من الخلل وان يمنعوا عسكرهم من محادثتهم وان يكون الامير هو المتولى لكلامهم وان يكثروا الحرس ويفرقوهم فى العسكر وان يكثروا مفاجاتهم فى محارسهم بغير علم منهم فن وجدوه غفل يعاقب بغير افراط وان يعاقب بينهم فى الليل ويجعل النوبة الاولى أطول من الاخيرة فانها ايسرهما لقرب الاخيرة من النهار وان لايغفلوا عن العسكر فيفسدوا ولا يتجسسوا عليهم فيفضحوهم ولايكشفوا على الناس اسرارهم بل يكتفوا بعلانيتهم وان يكثروا من مجالسة اهل الصدق والوفا وان يشاوروهم وان لايجبنوا فيجبن الناس وان يجتنبوا الغلول فان الغلول يقرب الفقر ويدفع النصر وقال ستجدون أقواما حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وماحبسوا انفسهم له الى غير ذلك مما اوصاهم به وكان ابوبكر رضى الله عنه يدعو لهم اذا خرجوا فن دعائه اللهم احفظهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم واحطط أوزارهم واعظم اجورهم ولما بلغ هرقل مسير جيوش المسلمين حشد جيوشه وكان بفلسطين فحث الناس وحرضهم على القتال عن دينهم وبلادهم ثم أتى دمشق ففعل مثل ذلك ثم أتى حمص ففعل مثل ذلك ثم أتى انطاكية فأقام بها وبعث الى الروم فحشدهم فجاء منهم مالايحصى ولما دنى أبو عبيدة من الجابية اتاه آت فأخبره ان هرقل بأنطاكية وانه جمع من الجموع مالم يجمعه احد كان قبله من آبائه فكتب الى ابى بكر رضى الله عنه بذلك فجائه الجواب بعده بالنصر ثقة بوعد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له انه يمد له بالرجال ثم امدهم بجند مع هاشم بن عتبة بن ابى وقاص وسعيد بن عامر وبجند مع معاوية مددا لاخيه يزيد وكان الناس اقبلوا من كل جهة يريدون الجهاد فكان ابوبكر رضى الله عنه كلما اجتمع اناس بعثهم مددا لمن سبقهم

﴿ ذكر اول وقعة بالشام ﴾

اول وقعة بالشام كانت بالعربة من ارض فلسطين خرج ستة قواد من الروم مع كل قائد خمسمائة فكانوا ثلاثة آلاف فبعث اليهم يزيد بن ابى سفيان أباامامة الباهلى فى خمسمائة فحملوا عليهم وهزموهم وقتلوا كثيرا منهم وقائدا من قوادهم فاجتمع كثير من الروم بالدثنة فساروا اليهم فهزموهم وزحفت جيوش المسلمين حتى قربوا من الشام فعند ذلك فزع الروم وارسلوا الى ملكهم فأمدهم بجموع كثيرة نحو تسعين ألفا فنزلوا بثنية جلق بأعلى فلسطين وعليهم اخو هرقل شقيقه ونزل هرقل بحمص وكان فى جهة فلسطين عمرو بن العاص بمن معه من المسلمين وبعث هرقل سنين الفا نحو ابى عبيدة بالجابية وبعث جيشا قريبا من

بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وابنه محمد بن سليمان والحسن بن سهل الآتى لم يباشرها بل عقد له عليها وممن وليها للمأمون أيضا (عبيد الله بن عبد الله بن الحسن بن جعفر بن الحسين بن الحسن بن على بن أبى طالب) رضى الله عنه واستمر الى أن توفى المأمون سنة مائتين وثمان عشرة فولى الخلافة أخوه المعتصم بن الرشيد فولى مكة (صالح بن العباس) المتقدم ذكره وبقى الى خلافة المتوكل وولى مكة للمعتصم أيضا (اشناس التركى) من كبار قواده وذلك أنه أراد الحج ففوض اليها المعتصم ولاية كل بلد يدخلها فلما دخل مكة أقام (محمد بن داود بن عيسى) نائبا عنه على الحج ودعى لاشناس على المنابر فى الحرمين وكل بلاد دخلها حتى رجع الى سر من رأى وتوفى المعتصم سنة مائتين وثمان وعشرين وعلى مكة محمد بن داود وتولى الخلافة ابنه الواثق وتوفى الواثق سنة مائتين واثنتين وثلاثين وعلى مكة محمد بن داود السابق ذكره فولى الخلافة أخوه المتوكل بن المعتصم فولى مكة (على ابن عيسى

ذلك نحـو يزيد بن أبي سفيان وكان نازلا بالبلقا وجيشا نحو شرحبيل بن حسنة وكان نازلا ببصرى فرأى المسلمون ان الاجتماع اليق بهم من التفرق فاجتمعوا باليرموك وهو واد بناحية الشام وجاء الروم ايضا واجتمعوا باليرموك وصار الوادى خندقا لهم وأقام الجميع شهر صفر وشهرى ربيع لايقدرون منهم على شئ من الوادى والخندق ولايخرج الروم خرجة الا أخذهم المسلمون وادبلوا عليهم فكانت بينهم وقعات ومناوشات فى تلك المدة ولما رأى المسلمون مطاولة الروم استمدوا ابابكر رضى الله عنه فكتب الى خالد بن الوليد وهو بالعراق يأمره بالمسير اليهم وان يأخذ نصف الناس الذين عنده ويستخلف على النصف الآخر المثنى بن حارثة الشيبانى فسار خالد من العراق فى تسعة آلاف وقيل فى ستة وأغار فى طريقه على كثير من المشركين وأخذهم وناله مشقة كثيرة فى مسيره هذا وسار فى مفاوز ليس فيها ماء فأمر صاحب كل جماعة ان يعطشوا بعض الابل المسنة ثم يسقوها الماء علا بعد نهل والعلل الشربة الثانية والنهل الاولى ثم يصروا آذان الابل ويشدوا مشافرها لئلا تجتر ثم ساروا يوما وليلة وشقوا بطون عشرة من الابل فمزجوا ما فى كرشها من الماء بما كان من الالبان وسقوا ذلك للخيل ففعلوا ذلك أربعة ايام ولما وصل ثنية العقاب وهى من ارض الشام ناشرا رايته وهى راية سوداء كانت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب اغار على غسان وهم من نصارى العرب الذين بالشام فصبحهم وقتل وسبى وارسل سرية الى كنيسة بالغوطة فقتلوا الرجال وسبوا النساء وساقوا العيال الى خالد ثم سار حتى وصل الى بصرى فقاتل من بها فظفر بهم ثم صالحهم فكانت بصرى اول مدينة فتحت بالشام على يد خالد واهل العراق وقيل ان فتح بصرى كان بعد اليرموك ثم سار خالد فطلع على المسلمين فى ربيع الآخر وكان ابوبكر رضى الله عنه كتب لخالد ان يسير من العراق الى الشام ويلتق اباعبيدة ومن معه من المسلمين فاذا التقيتم فأنت امير الجماعة والسلام فكتب خالد كتابا لابى عبيدة وارسله مع عمرو بن الطفيل الازدى وفيه اما بعد فانى اسأل الله لنا ولك الامن يوم الخوف والعصمة فى دار الدنيا من كل سوء وقد اتانى كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنى بالمسير الى الشام وبالقيام على جندها والتولى لامرها والله ماطلبت ذلك قط ولااردته اذ وليته فأنت على حالك التى كنت عليه لانعصيك ولانخالفك ولانقطع دونك امرا فأنت سيد المسلمين لاننكر فضلك ولانستغنى عن رأيك تمم الله بنا وبك من احسان ورحمنا واياك من صلى النار والسلام عليك ورحمة الله وبركاته فلما قرأ ابو عبيدة كتاب خالد قال بارك الله لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رأى وحيا الله خالدا وكان ابوبكر رضى الله عنه كتب لابى عبيدة رضى الله عنه اما بعد فانى قد وليت خالدا قتال العدو بالشام فلاتخالفه واسمع له وأطع فانى لم أبعثه عليك ان لاتكون عندى خيرا منه ولكننى ظننت ان له فطنة فى الحرب ليست لك اراد الله بنا وبك خيرا والسلام

ذكر وقعة اليرموك

لما وصل خالد بن الوليد وتكامل جمع المسلمين باليرموك وكانوا تسعة وثلاثين ألفا سوى

ابن جعفر بن أبى جعفر المنصورى) الى سنة مائتين وتسع وثلاثين فتوفى فوليها (عبد الله بن محمد بن داود ثم عبد الصمد بن موسى ابن محمد بن ابراهيم الامام ثم محمد بن سليمان بن عبد الله ابن محمد بن ابراهيم الامام) وممن عقد له على ولاية مكة ولم يباشر فى خلافة المتوكل (ابنه محمد المنتصر) فأرسل اليها بعض قواده نائبا عنه وممن وليها أيضا فى خلافة المتوكل (ايتاخ مولى المعتصم) وكان من كبار قواد المتوكل واستمر فى ولايتها الى أن قتل المتوكل سنة مائتين وسبع وأربعين وولى الخلافة ابنه المنتصر ومات بعد ستة أشهر فولى الخلافة المستعين بن المعتصم فولى مكة فى أيامه (عبد الصمد ابن موسى) المتقدم ذكره (ثم جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس) رضى الله عنهما وتغلب على مكة فى ايامه اسمعيل بن يوسف بن ابراهيم بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسين المثنى فانهزم صاحب مكة جعفر بن الفضل وأخذ جعفر

ستة الف مع عكرمة ابن ابي جهل وقيل كانوا ستة وثلاثين الفا سوى من كان مع عكرمة فيكونون جميعا اربعين الفا وكان فيهم الف صحابي منهم نحو مائة ممن شهد بدرا وكان الروم في مائتي ألف وأربعين الف مقاتل منهم ثمانون الف مقيد واربعون الف مسلسل للموت واربعون الف مربوط بالعمائم لئلا يفروا وثمانون الف راجل وكان قتال المسلمين لهم على التساند كل أمير على اصحابه لم يجمعهم احد حتى قدم خالد من العراق وكان القسيسون والرهبان يحرضون الروم شهرا ثم خرجوا الى القتال الذي لم يكن بعده قتال في جمادى الآخرة فلما احس المسلمون بخروجهم ارادوا الخروج متساندين كما كانوا قبل ذلك فمنعهم خالد وسار فيهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان هذا يوم من ايام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي اخلصوا فيه جهادكم وارضوا الله بعملكم فان هذا يوم له مابعده ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبية وانتم متساندون فان ذلك لا يحل ولا ينبغي وان من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون انه رأى قالوا هات فما الرأى قال ان ابابكر لم يبعثنا الا وهو يرى انا سنتياسر ولو علم بالذي كان لما جمعكم ان الذي انتم فيه اشد على المسلمين مما قد غشيهم وانفع للمشركين من امدادهم ولقد علمت ان الدنيا قد فرقت بينكم فالله الله فقد افرد كل رجل منكم ببلد لا ينتقصه منه ان دان من الامراء ولا يزيد عليه ان دانوا له ان تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا فان هؤلاء قد تهيئوا وان هذا يوم له مابعده ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم وان هزمونا لم نفلح بعده فهلموا فلنتناوب الامارة فليكن بعضنا اليوم والآخر غدا والآخر بعد غد حتى تتأمروا كلكم ودعوني اتأمر اليوم فأمروه وهم يرون انها كخرجاتهم فخرجت الروم في تعبية لم يرالراؤن مثلها قط وخرج خالد في تعبية لم تعبها العرب قبل ذلك فخرج في ستة وثلاثين كردوسا فجعل القلب كراديس وأقام فيه اباعبيدة وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن ابي سفيان وجعل القعقاع بن عمرو على كردوس وجعل على كل كردوس رجلا من الشجعان وكان القاضي ابو الدرداء والقاص ابو سفيان ابن حرب وعلى الطلايع قباث بن اشيم وعلى الاقباض عبد الله ابن مسعود وقال رجل لخالد ما أكثر الروم وأقل المسلمين فقال خالد ما أكثر المسلمين وأقل الروم انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان والله لوددت ان الاشقر يعني فرسه برأ من توجيه وانهم اضعفوا في العدد وكان فرسه قد حفي في مسيره فأمر خالد عكرمة بن ابي جهل والقعقاع ابن عمرو فأنشبا القتال والتحم الناس وتطارد الفرسان وتقاتلوا فاذهم على ذلك قدم البريد من المدينة واسمه محمية بن زنيم فسألوه الخبر فأخبرهم بسلامة وامداد مع انه انما جاء بخبر وفاة ابي بكر رضي الله عنه واستخلاف عمر بن الخطاب وعزل خالد وولاية ابي عبيدة فبلغه خالدا واباعبيدة سرا وبينماهم كذلك اذ خرج فارس من فرسان الروم يقال له جرجة الى بين الصفين وطلب خالدا فخرج اليه وامن كل منهما صاحبه فقال جرجه ياخالد اخبرني واصدقني ولا تكذبني فان الحر لا يكذب ولا تخادعني فان الكريم لا يخادع المسترسل هل انزل الله على نبيكم سيفا من

ما على المقام من الذهب وكان وضعه المتوكل فضربه جعفر دنانير وصرفه في قتاله فغلبه اسمعيل على مكة فهرب جعفر واستولى اسمعيل على مكة ثم سار الى المدينة فلكها ثم مات بالجدري سنة مائتين واثنين وخمسين وممن ولي مكة للمستعين (ابنه العباس ومحمد بن طاهر بن الحسين) ولم يباشرا وقتل المستعين سنة مائتين واثنين وخمسين وولي الخلافة المعتز بن المتوكل وولي مكة في زمنه (عيسى بن محمد بن اسمعيل المخزومي) قال الفاسي وممن ولي مكة في خلافة المعتز أو المهدي أو المعتمد (محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور) الملقب كعب البقر وقتل المعتز سنة مائتين وخمس وخمسين وولي الخلافة المهتدي بن الواثق فولي مكة في زمنه (علي بن الحسن الهاشمي) كذا ذكره الفاكهي ولم يرفع نسبه وقتل المهتدي سنة ست وخمسين ومائتين وولي الخلافة المعتمد على الله ابن المتوكل فولي مكة أخاه (الموفق طلحة ابن المتوكل) وقيل (محمد بن المتوكل) ثم ابراهيم بن محمد بن اسمعيل

السماء فأعطاكه فلا تسله على قوم الا هزمتهم قال لا قال ففيم سميت سيف الله فقال ان الله بعث فينا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فكنت فيمن كذبه وقاتله ثم ان الله هدانى فتابعته فقال أنت سيف الله سله الله على المشركين ودعا لى بالنصر قال فأخبرنى الى ما تدعو قال خالد الى الاسلام أو الجزية أو الحرب قال فما منزلة الذى يجيبكم ويدخل فيكم قال منزلتنا واحدة قال فهل له مثلكم من الاجر والذخر قال نعم وأفضل لاننا اتبعنا نبينا وهو حى يخبرنا بالغيب ونرى منه العجائب والآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا ان يسلم وأنتم لم تروا مثلنا ولم تسمعوا مثلنا فمن دخل منكم بنية وصدق كان أفضل منا فقلب جرجة فرسه وسار مع خالد وأسلم وعلمه الاسلام واغتسل وصلى ركعتين ثم خرج مع خالد فقاتل الروم وحملت الروم حملة أزالوا المسلمين عن مواقفهم الى المحامية وعليهم عكرمة ابن أبى جهل وعمه الحارث بن هشام رضى الله عنهما فقال عكرمة قاتلت مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم أفر اليوم ثم نادى من يبايع على الموت فبايعه عمه الحارث بن هشام وضرار بن الازور فى اربعة من وجوه المسلمين وفرسانهم فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى اثبتوا جميعا جراحا فمنهم من برئ ومنهم من مات وقاتل خالد وجرجة قتالا شديدا فقتل جرجة عند آخر النهار وصلى الناس الظهر والعصر ايماء وتضعضع الروم وحمل خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم فانهزم فرسانهم وتركوا الرجالة ولما رأى المسلمون خيل الروم قد توجهت للهرب افرجوا لها فتفرقت وقتل الرجالة واقتحموا فى خندقهم فاقتحموه عليهم وهوى فيه المقترنون وغيرهم ثمانون ألفا من المقترنين واربعون ألف مطلق سوى من قتل فى المعركة وتجلل الفيقار وجماعة من اشراف الروم برانسهم وجلسوا فقتلوا متزملين ودخل خالد الخندق ثم نزل فى خيمة تذارق أخى هرقل فلما اصبحوا أتى خالد بعكرمة بن أبى جهل جريحا فوضع رأسه على فخذه وبعمرو بن عكرمة فجعل رأسه على ساقه ومسح وجوههما وقطر فى حلوقهما الماء وكان مع المسلمين كثير من النساء فقاتلن فى ذلك اليوم قتالا كثيرا وفى السيرة الحلبية وكان ابو سفيان بن حرب فى ذلك اليوم يقاتل ويحرض المسلمين على القتال ويقول الله الله عباد الله انصروا دين الله ينصركم الله واصيبت احدى عينيه فى ذلك اليوم فصار اعمى لانه اصيبت عينه الاخرى فى غزوة الطائف فجاء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم وسأله ان يدعو الله ويردها له فقال له ان شئت دعوت الله وان شئت خير امنها فى الجنة فرمى بها وقال خير امنها فى الجنة قال انس بن مالك رضى الله عنه رأيته فى خلافة عثمان رضى الله عنه وهو اعمى يقوده قائد فيدخل به على عثمان رضى الله عنه ولما انهزمت الروم كان هرقل بحمص فنادى بالرحيل عنها وجعلها بينه وبين المسلمين وأمر عليها أميرا كما أمر على دمشق وكان من أصيب من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة وابنه عمرو وعمه الحارث ابن هشام وسلمة بن هشام وعمرو بن سعيد وابان بن سعيد والطفيل بن عمرو وطليب ابن عمير وهشام بن العاص اخو عمرو بن العاص وعياش بن ابى ربيعة وسعيد بن الحارث ابن قيس بن عدى السهمى ونعيم بن النحام والنضير ابن الحارث العبدرى اخو النضر بن الحارث الذى قتل كافرا يوم بدر وابو الروم بن عمير العبدرى اخو مصعب بن عمير وقيل قتلوا يوم اجنادين اخرج ابن عساكر عن الزهرى ان عكرمة بن ابى جهل رضى الله عنه كان يوم اليرموك اعظم الناس

العباسى) الملقب بزى ثم وليها (أبو المغيرة محمد بن أحمد بن عيسى) المتقدم ذكره وذكر الفاسى أن المعتمد كان قد ولى أبا عيسى محمد بن يحيى المخزومى ثم عزله بأبى المغيرة السابق ذكره فتحاربا فقتل أبو عيسى ودخل أبو المغيرة مكة ورأس أبى عيسى بين يديه على رمح وممن ولى مكة للمعتمد (الفضل بن العباس بن الحسين بن اسمعيل العباسى وهرون بن محمد بن اسحق بن موسى بن عيسى) وقد عد الناس ممن ولى مكة للمعتمد أحمد بن طولون صاحب مصر ولم تثبت ولايته بهذا القدر لانه لم يباشرها وممن ولى مكة من المعتمد (محمد بن أبى الساج وأخوه يوسف بن أبى الساج) ومات المعتمد سنة تسع وسبعين ومائتين وبويع بعده لابن أخيه المعتضد بن الموفق طلحة بن المتوكل قال القاضى محمد بن جار الله فى تاريخه وأما ولاتها يعنى مكة فى خلافة المعتضد ثم فى خلافة أولاده المكتفى والمقتدر والقاهر ثم فى خلافة الراضى بن المقتدر ثم المتقى ثم المستكفى ثم المطيع جماعة كثيرة ولم يعرف منهم سوى عج بالعين المهملة والجيم ولم يعلم مبدء ولايته غير ان بعضهم ذكر أنه كان واليا سنة مائتين واحدى وثمانين وذكر ابن الاثير انه كان واليا سنة مائتين وخمس

بلاء وأنه كان يركب الاسنة ويقاتل قتالا شديدا حتى جرحت الاسنة صدره ووجهه فقالوا له اتق الله وارفق بنفسك فقال كنت انا وابي من اشد الناس على النبي صلى الله عليه وسلم وكنت اقاتل عن اللات والعزى فابذل نفسي لها فكيف استبقيها الآن عن الله ورسوله لا والله أبدا قال فلم يزدد الا اقداما حتى مات يومئذ ووجدوا به بضعا وسبعين ما بين ضربة وطعنة ورمية واخرج ابن المبارك والبيهقي ان عكرمة بن أبي جهل ترجل يوم كذا يقاتل فقال خالد بن الوليد لا تفعل فان قتلك على المؤمنين شديد فقال خل عني يا خالد فانه قد كان لك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقة واني وابي كنا من اشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى وقاتل حتى قتل وكان عكرمة يعظم القرآن غاية التعظيم وذكر الامام الغزالي في كتاب آداب تلاوة القرآن من احياء علوم الدين ان عكرمة المذكور كان اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي وروى ابو نعيم وابن منده وابن عبد البر عن حبيب بن ابي ثابت ان الحارث بن هشام وابن اخيه عكرمة بن ابي جهل وعياش بن ابي ربيعة اخو الحارث بن هشام لامه جرحوا يوم اليرموك فلما اثبتوا دعى الحارث بن هشام بماء ليشربه فنظر اليه عكرمة فقال ادفعه الى عكرمة فلما أخذه عكرمة نظر اليه عياش فقال ادفعه الى عياش فما وصل الى عياش حتى مات ولا وصل الى واحد منهم حتى ماتوا رضي الله عنهم وهذا شأنهم كلهم في هذا الايثار ومما يدل على ذلك ان مثل هذه القصة بعينها قد تكررت من كثير منهم فقد روى ابن المبارك عن ابي جهم ابن حذيفة العدوي قال انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شنة من ماء واناء فقلت ان كان به رمق سقيته من الماء ومسحت به وجهه فاذا انا به ينشغ فقلت اسقيك فأشار اي نعم فاذا رجل يقول آه فأشار ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص اخو عمرو بن العاص رضي الله عنهما فأتيته فقلت اسقيك فسمع آخر يقول آه فأشار هشام ان انطلق اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فأتيت ابن عمي فاذا هو قد مات رحمهم الله تعالى ورضي عنهم وهذا الذي ذكرناه في وقعة اليرموك هو اصح الأقوال وكذا كونها في سنة ثلاث عشرة هو اصح الاقوال وأنها قبل فتح الشام وقيل بعد وقعة اجنادين وبعد فتح الشام وان وقعة اليرموك واجنادين كانا سنة خمس عشرة وقيل في وقعة اليرموك ان جيش الروم كان ستمائة الف وقيل الف الف وكان مع الروم من العرب المتنصرة ستون الفا من غسان ولخم وجذام وان القتال كان بين المسلمين ومتنصرة العرب فلما هزموا زحف الروم بجيوشهم ودام الحرب اياما كثيرة الى ان تمت الهزيمة على الروم وكان القتلى من الروم لا يحصى عددهم وقيل كانوا مائة الف وخمسة آلاف والاسرى كانوا أربعين الفا وان قتلى المسلمين اربعة آلاف ولما قسمت الغنائم اصاب الفارس اربعة وعشرين الف مثقال من الذهب الاحمر والراجل ثمانية آلاف وكذلك من الفضة واتبع خالد بن الوليد المنهزمين من الروم الى قريب دمشق الشام ومعه كثير من المسلمين يقتلون ويأسرون فيهم وكانت وقعة اليرموك من اعظم وقائع الاسلام ومن المعجزات الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

وتسعين فيحتمل انه استمر لهذا التاريخ أو عزل وأعيد وممن ولي مكة في هذه المدة (مؤنس الخادم) الملقب بالمظفر بالعقد لا بالمباشرة ولم يعلم من باشرها له في مدة عقدها له ومن ولاتها بعد سنة ثلاثمائة أو قبلها (ابن ملاحظ) ترجمه الهمداني بسلطان مكة ولا أعلم له اسما ولا متى كانت ولايته غير اني أظن أنه كان عليها سنة ثلاثمائة أو قبلها وممن وليها في هذه المدة ابن محلب وقيل ابن محارب ولم يعلم أول ولايته

(ذكر دخول القرامطة مكة)

ومما ينبغي ذكره هنا دخول أبي طاهر القرمطي سنة سبع عشرة وثلاثمائة وقتله الحجاج ونهبه الاموال لان هذه من الحوادث الفظيعة والوقائع الشنيعة التي ما أصيب أهل الاسلام بمثلها لكن لا بد من اتمام الفائدة بذكر ابتداء أمر القرامطة فنقول ذكر كثير من المؤرخين ان ابتداء أمرهم كان من سنة ثمان وسبعين ومائتين في خلافة المعتمد على الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد وكان أول من ظهر منهم رجل قدم من خوزستان الى سواد الكوفة يظهر الزهد والتقشف ويصطنع الخوص ويأكل من كسب يده ويكثر الصلاة وأقام على ذلك مدة وكان اذا قعد اليه رجل ذاكره أمر الدين وزهده في الدنيا ثم أعلم الناس أنه يدعو الى

ذكر وقعة اجنادين

الاكثرون على أنها بعد اليرموك وقيل انها كانت قبل اليرموك وحاصلها ان الروم اجتمع كثير من جنودهم قيل انهم كانوا تسعين الفا بأجنادين فسار لهم جيوش المسلمين ونازلوهم وكان على الروم تذارق اخو هرقل لابويه وقيل كان على الروم القيقلان واجنادين يروى بكسر الدال وفتحها بين الرملة وبيت جبرين من ارض فلسطين ولما نزلت الروم باجنادين واجتمعت المسلمون وعسكروا عليهم بعث القيقلان رجلا عربيا الى المسلمين يأتيه بخبرهم فدخل فيهم وأقام يوما وليلة ثم عاد اليه فقال ما وراءك قال وجدت قوما رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار ولو سرق ابن ملكهم قطعوه ولو زنى رجموه لاقامة الحق فيهم فقال ان كنت صدقتني لبطن الارض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها ثم انتشب القتال بين المسلمين والروم وكان قتالا شديدا قتل فيه من المشركين في المعركة ثلاثة آلاف وقيل ان قتلاهم بلغوا خمسين الفا وقتلى المسلمين اربعمائة وخمسة وسبعون واتبعهم المسلمون يأسرون ويقتلون ثم تحصن المنهزمون منهم في المدائن العظام كدمشق وحمص وايليا وقيسارية واستشهد رجال من المسلمين منهم الفضل ابن العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه وضرار ابن الخطاب الفهري وآخرون رحمهم الله ورضي الله عنهم وقتل تذارق اخو هرقل في وقعة اجنادين وقيل في وقعة اليرموك

ذكر فتح دمشق

لما انهزم الروم جاء الخبر لابي عبيدة انهم اجتمع لهم جيش بفحل بكسر الفاء وهو موضع بناحية الشام وأتاه الخبر ايضا بأن اهل دمشق جاءهم مدد من حمص فكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فجاءه الجواب يأمره فيه بأن يبدأ بدمشق فانها حصن الشام وبيت ملكهم وان يشغل اهل فحل بخيل تكون بازائهم واذا فتح دمشق سار الى فحل فاذا فتحت سار هو وخالد الى حمص وترك شرحبيل ابن حسنة وعمرو بن العاص بالاردن وفلسطين فامتثل ابو عبيدة امر عمر رضي الله عنه فأرسل الى فحل طائفة من المسلمين فنزلوا قريبا منها وبثق الروم الماء حول فحل فوحلت الارض فنزل عليهم المسلمون فكان اول محصور بالشام اهل فحل ثم اهل دمشق وفلسطين وبعث ابو عبيدة جندا فنزلوا بين حمص ودمشق وارسل جندا آخر فكانوا بين دمشق وفلسطين وسار أبو عبيدة وخالد فقدموا على دمشق وعليها فسطاس فنزل أبو عبيدة على ناحية وخالد على ناحية وعمرو بن العاص على ناحية ويزيد بن ابي سفيان على ناحية فحصرهم المسلمون سبعين ليلة حصارا شديدا وقاتلوهم بالزحف والمجانيق وجاءت خيول من هرقل مغيثة دمشق فمنعتها خيول المسلمين التي عند حمص فخذل اهل دمشق وطمع فيهم المسلمون واتخذ خالد بن الوليد حبالا كهيئة السلالم وادهاقا والدهق الحبل يرمى في انشوطة فتؤخذ به الدابة والانسان فلما امسى ذلك اليوم نهض هو ومن معه من جنده الذين قدم عليهم وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومذعور وأثبتوا الحبال بالشرف وكان ذلك الموضع احصن موضع بدمشق واكثره ماء فصعد المسلمون ثم تحدر خالد واصحابه وترك بذلك الموضع من يحميه وامرهم بالتكبير فكبروا فأتاهم المسلمون الى الباب والى الحبال وانتهى

امام من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ولم يزل على ذلك حتى استجاب له خلق كثير ومرض بقرية من سواد الكوفة فحمله رجل من أهل القرية يقال له كرميته لحمرة عينيه وهو بالنبطية اسم لحمرة العين فلما شفي من مرضه سمي باسم ذلك الرجل كرميته ثم خفف فقالوا قرمطة ويقال للتابعين له القرامطة وفي تاريخ ابن خلكان القرمطي بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة والقرمطة في اللغة تقارب الشي بعضه من بعض يقال خط مقرمط ومشى مقرمط اذا كان كذلك وكثر اتباع القرمطي من أهل السواد والبادية ممن لا عقل ولا دين له وأخبرهم بعقائد باطلة وأحكام مخالفة للشرع في الصلاة والأذان وغيرها فاعتقدوا صدقه واغتروا بعبادته وزهده وتقشفه فأجابوه ثم انتقل الى ناحية الشام وانقطع خبره الأن مذهبه انتشر وكثر المتمسكون به وزعم القرامطة انهم يدعون الى محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق وقيل انهم يدعون لمحمد بن الحنفية وظهر من القرامطة بناحية السماوة رجل يقال له ذكرويه بن يحيى ويكنى أبا القاسم وسموه الشيخ وزعم انه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق قال ابن الاثير

خالدالى من يليه فقتلهم وقصد الباب فقتل البوابين وثار اهل المدينة لايدرون ماالحال وتشاغل اهل كل ناحية بما يليهم وفتح خالدالباب وقتل من عنده من الروم فلمارأى الروم ذلك قصدوا الجهة الاخرى التى فيها ابوعبيدة وقصدوا اباعبيدة وبذلوا الصلح فقبل منهم وفتحوا له الباب الذى من جهته وقالوا له ادخل وامنعنا من اهل ذلك الجانب ولم يعلم ابوعبيدة بماصنع خالد ودخل اهل كل باب بصلح مما يليهم غير الباب الذى دخل منه أصحاب خالد ودخل خالد عنوة فالتقى خالد وابوعبيدة فى وسط المدينة هذا قتلا ونهبا وهذا صفحا وتسكينا فامر أبوعبيدة خالدا ان يكف وقال انى صالحت القوم فقال خالد انى دخلتها عنوة فتنازعا فى ذلك ثم اجروا ناحية خالد مجرى الصلح وكان صلحهم على المقاسمة وقسموا معهم للجنود التى عند فحل وعند حمص وغيرهم ممن هو رده للمسلمين هذا هو الصحيح فى كيفية دخول خالدوابى عبيدة وقيل ان خالدا ومن معه نقبوا جانبا من السور ودخلوا معه ويمكن ان جماعة منهم دخلوا بالحبال التى صنعها وجماعة آخرون نقبوا جانبا من السور وأما ابو عبيدة وبقية الامراء فانهم دخلوا بالصلح الذى عقد مع ابى عبيدة وقد تقدم ان خبر وفاة ابى بكر واستخلاف عمر وعزل خالد وتولية ابى عبيدة جاءهم وهم فى قتال اليرموك سنة ثلاث عشرة وفتح دمشق كان فى رجب سنة اربع عشرة فى خلافة عمر رضى الله عنه وقيل انما جاءهم خبر وفاة ابى بكر بعد فتح دمشق سنة ثلاث عشرة وان وفاة ابى بكر رضى الله عنه كان فى الليلة التى دخلوا فيها دمشق وكان ذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة والقائلون بان خبر وفاته انما جاء بعد فتح دمشق هم القائلون بأن وقعة اليرموك كانت بعد فتح دمشق وانها سنة خمس عشرة والقول الاول اصح وانما عزل عمر رضى الله عنه خالدا لانه كان ينقم عليه قتل مالك بن نويرة وقال أيضا ان خالدا فيه تبذير للمال يعطى الشاعر اذا مدحه ويعطى للمجاهد والفارس بين يديه فوق مايستحق ولايبقى لفقراء المسلمين ولا لضعفائهم شيأ وكان ذلك اجتهادا من عمر وما وقع من خالد كان أيضا باجتهاد وكل منهما مأجور ولايريد الا الحق ولما جاء امر عمر رضى الله عنه بعزله امتثل امره ومازال ابوعبيدة يستشيره ولايعمل الا برأيه ومشورته وكان كل منهما يعرف قدر صاحبه وماخص به من الفضائل رضى الله عنهم ولما فتحت دمشق ارسل ابوعبيدة لعمر رضى الله عنهما بالفتح فكان لعمر واهل المدينة سرور كثير عند ورود خبر الفتح وكتب له عمر ان يرسل الجند الذى جاؤا من العراق مع خالد فأرسلهم الى العراق وامر عليهم هاشم بن عتبة بن ابى وقاص وبقى خالد مع أبى عبيدة وسيأتى ان شاء الله الكلام على بقية فتوحات العراق

﴿ ذكر غزوة فحل ﴾

بكسر الفاء وبالحاء المهملة لما فتحت دمشق سار ابوعبيدة الى فحل واستخلف على دمشق يزيد ابن ابى سفيان وبعث خالدا على المقدمة وعلى الناس شرحبيل بن حسنة وكان على المجنبتين ابو عبيدة وعمروا بن العاص وعلى الخيل ضرار بن الازور وعلى الرجال

(عياض)

وقيل لم يكن لمحمد بن اسمعيل ولد اسمه عبد الله وكانوا ايهمونه يحيى بن المهدى فقصد القطيف ونزل على رجل يعرف بعلى بن المعلى وكان من غلاء الشيعة فأظهر له يحيى أنه رسول المهدى وذكر له انه خرج الى شيعته فى البلاد يدعوهم الى أمره وان ظهوره قد قرب فجمع له على بن المعلى الشيعة من أهل القطيف وأقرأهم كتابا كان مع يحيى من المهدى يزعم أنه من المهدى فأجابوه وقالوا انهم خارجون معه اذا ظهر أمره ووجه الى سائر قرى البحرين يدعوهم لذلك فأجابوه وكان ممن أجابه أبوسعيد الجنابى بتشديد النون كما فى تاريخ ابن خلكان نسبة الى جنابة قرية من أعمال فارس فاجتمع على أبى سعيد خلق كثير من الاعراب والقرامطة فقتل من كان حوله من أهل القرى ممن لم يدخل تحت طاعته ثم سار الى القطيف ففعل مثل ذلك وأظهر فى سنة بضع وثمانين ومائتين انه يريد البصرة فكتب عامل البصرة الى أمير المؤمنين المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد فأمره ببناء سور على البصرة فبناه وأنفق فى عمارته أربعة عشر ألف دينار ثم أغار أبو سعيد بمن معه من الجيوش على نواحى

عياض بن غنم وتقدم ان الروم بثقوا الماء حول فحل فوحلت الارض فنازل المسلمون اهل فحل وبينهم وبين الروم تلك المياه والاوحال وكتب المسلمون الى عمر رضى الله عنه واقاموا ينتظرون الجواب فاغترهم الروم فخرجوا عليهم وكان على الروم سقلار بن الخارق فأتوهم والمسلمون حذرون وكان شرحبيل بن حسنة لا يبيت ولا يصبح الا على تعبية فلما هجموا على المسلمين لم يناظروهم فاقتتلوا أشد القتال ليلتهم ويومهم واظلم الليل عليهم فانهزم الروم وهم حيارى وقد اصيب رئيسهم سقلار والذى يليه نسطوس وظفر المسلمون بهم وركبوهم ولم تعرف الروم مأخذهم فانتهت بهم الهزيمة الى الوحل فركبوه ولحقهم المسلمون فأخذوهم بحيث انهم صاروا لا يمنعون يد لامس فوخزوهم بالرماح فكانت الهزيمة بفحل والقتل بالردغ فأصيب الروم وهم ثمانون الفا لم يفلت منهم الا الشريد وقد كان الله يصنع بالمسلمين خيرا وهم كارهون كرهوا البثوق والوحل فكانت عونا لهم على عدوهم وغنموا اموالهم واقتسموها ثم سار أبو عبيدة وخالد ومن معهما الى حمص وسيأتى ذكر ذلك

ذكر فتح بلاد ساحل دمشق

لما استخلف ابو عبيدة يزيد بن سفيان على دمشق وسار الى فحل بعث يزيد دحية الكلبى الى تدمر وأبا الازاهر القشيرى الى حوران فصالحوهما ووليا عليهما وسار يزيد الى مدينة صيدا وعرقه وجبيل وبيروت وهى سواحل دمشق وعلى مقدمته اخوه معاوية ففتحها فتحا يسيرا وجلا كثير من أهلها وتولى فتح عرقه معاوية بنفسه فى ولاية اخيه يزيد ثم ان الروم غلبوا على بعض هذه السواحل فى آخر خلافة عمر واول ولاية عثمان فقصدهم معاوية ففتحها ثم رمها وشحنها بالمقاتلة واعطاهم القطائع ولما ولى عثمان الخلافة جمع لمعاوية الشام كله فوجه معاوية سفيان ابن نجيب الازدى الى طرابلس وهى ثلاث مدن مجتمعة ثم بنى فى مرج على اميال منها حصنا يسمى حصن سفيان قطع المادة عن اهلها من البر والبحر وحاصرهم فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا فى احد الحصون الثلاثة وكتبوا الى ملك الروم يسألونه ان يمدهم او يبعث اليهم بمراكب يهربون فيها الى الروم فوجه اليهم بمراكب كثيرة وركبوا فيها ليلا وهربوا فلما اصبح سفيان وكان يبيت هو والمسلمون فى حصنه ثم يغدوا على العدو فوجد الحصن خاليا فدخله وكتب بالفتح الى معاوية فأسكنه معاوية جماعة كثيرة من اليهود وهو الذى فيه المينا اليوم ثم بناه عبد الملك ابن مروان وحصنه ثم نقض اهله ايام عبد الملك ففتحه ابنه الوليد فى زمانه

ذكر فتح بيسان وطبرية

لما قصد ابو عبيدة حمص من فحل ارسل شرحبيل بن حسنة ومن معه الى بيسان فقاتلوا اهلها فقتلوا منهم خلقا كثيرا ثم صالحهم من بقى مثل صلح دمشق فقبل ذلك منهم وكان ابو عبيدة قد بعث ابا الاعور السلمى الى طبرية يحاصرهم فصالحه اهلها على مثل صلح دمشق ايضا وان يشاطروا المسلمين المنازل فنزلها القواد وخيولها وكتبوا بالفتح الى عمر رضى الله عنه ولقرب الزمن فى تلك الغزوات وقرب بعضها من بعض اختلفوا فى تقدم بعضها على

هجر من نواحى البصرة وقوى أمره فجهز المعتضد لقتاله الجيوش ووقع بينهم وبينه وقائع يطول الكلام بذكرها مذكورة فى التواريخ وامتد ملك القرامطة الى نواحى الشام ومصر واليمن والحجاز وملكوا جانبا من العراق وتوفى المعتضد سنة تسع وثمانين ومائتين وولى الخلافة بعده ابنه المكتفى وبقى القتال بينه وبين القرامطة وزاد أمرهم وانتشرت جيوشهم فى أقطار الارض وتعرضوا الحجاج ونهبوهم وقتلوا أكثر الحجاج سنة أربع وتسعين ومائتين وتوفى المكتفى سنة خمس وتسعين ومائتين وولى الخلافة بعده أخوه المقتدر بن المعتضد وبقى القتال بينه وبين القرامطة فى مواضع كثيرة وفى سنة احدى وثلاثمائة قتل أبو سعيد الجنابى رئيس القرامطة وقائد جيوشهم وكان قد عهد الى ابنه سعيد فانتزع الامر منه أخوه أبو طاهر وقام بالقتال وقيادة الجيوش والدعوة الى مذهب القرامطة وكان قتل أبى سعيد فى الحمام قتله خادم له صقلبى وكان أبو سعيد قد استولى على هجر والاحسا والقطيف والطائف وسائر بلاد البحرين ولم يزل أمرهم منتشرا وفتنتهم قائمة الى ان دخل ابو طاهر مكة سنة سبع عشرة وثلاثمائة وكان لهذه الطائفة الملحدة

بعض والأمر فى ذلك سهل

﴿ ذكر الوقعة بمرج الروم ﴾

لما سار أبو عبيدة وخالد ومن معهما من فحل قاصدين حمص بلغ الخبر هرقل فبعث جيشا عليهم توزر البطريق فنزل بمرج الروم غربى دمشق ونزل ابو عبيدة ايضا بمرج الروم ونازله يوم نزوله شغش الرومى فى مثل جيش توزر مددا لتوزر وعونا لاهل حمص فلما نزل اصبحت الارض من توزر بلاقع وكان خالد بازائه وأبو عبيدة بازاء شغش وسار توزر يطلب دمشق فلما علم خالد بمسيره سار خلفه فى جمع ممن معه وبلغ يزيد بن ابى سفيان فعل توزر فخرج من دمشق واستقبله فاقتتلوا ولحق بهم خالد وهم يقتتلون فأخذهم من خلفهم ولم يفلت منهم الا الشريد وغنم المسلمون ما معهم فقسمه يزيد فى أصحابه واصحاب خالد وعاد يزيد الى دمشق ورجع خالد الى ابى عبيدة وقد قتل توزر وقاتل ابو عبيدة شغش فاقتتلوا بمرج الروم فقتلت الروم مقتلة عظيمة وقتل شغش وتبعهم المسلمون الى حمص فلما بلغ هرقل ذلك امر بطريق حمص بالمسير اليها وكان عنده وسار هو الى الرها وسار ابو عبيدة الى حمص

﴿ ذكر فتح حمص وبعلبك وغيرهما ﴾

لما فرغ امر مرج الروم سار أبو عبيدة والمسلمون الى حمص فنازلوها وقاتلوا أهلها فكانوا يغادونهم القتال ويراوحونهم فى كل يوم بارد ولقى المسلمون بردا شديدا ولقى الروم حصارا طويلا فصبر المسلمون والروم وكان هرقل قد أرسل الى حمص يعدهم المدد وامر أهل الجزيرة جميعها بالتجهز الى حمص فساروا نحو الشام ليمنعوا حمص عن المسلمين فسير سعد بن ابى وقاص من العراق السرايا الى هيت وحصروها وسار بعضهم الى قرقيسيا فتفرق اهل الجزيرة وعادوا عن نجدة اهل حمص فكان اهلها يقولون تمسكوا بمدينتكم فانهم حفاة فاذا أصابهم البرد تقطعت اقدامهم فكانت اقدام الروم تسقط ولا يسقط للمسلمين اصبع فلما خرج الشتاء قام شيخ من الروم فدعاهم الى مصالحة المسلمين فلم يجيبوه وقام آخر فلم يجيبوه فناجزهم المسلمون فكبروا تكبيرة فانهدم كثير من دور حمص وزلزلت حيطانهم فتصدعت فكبروا ثانية فأصابهم اعظم من ذلك فخرج اهلها اليهم يطلبون الصلح ولا يعلم المسلمون بما حدث فيهم فأجابوهم وصالحوهم على مثل صلح دمشق وانزلها ابو عبيدة السمط بن الاسود الكندى فى بنى معاوية والاشعث بن ميناس فى السكون والمقداد فى بلى وانزلها غيرهم ايضا وبعث بالاخماس الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع عبد الله بن مسعود وكتب عمر الى ابى عبيدة ان اقم بمدينتك وادع اهل القوة من عرب الشام فانى غير تارك البعثة اليك ثم استخلف ابو عبيدة على حمص عبادة بن الصامت وسار الى حماه فتلقاه اهلها مذعنين فصالحهم ابو عبيدة على الجزية لرؤسهم والخراج على ارضهم ومضى نحو شيزر فخرج اليه اهلها يسألونه الصلح على ماصالح عليه اهل حماه فصالحهم وسار الى معرة حمص وهى معرة النعمان نسبت معرة الى النعمان بن بشير الانصارى رضى الله عنه فاذعنوا له بالصلح على ما صالح اليه اهل حمص ثم أتى اللاذقية فقاتله اهلها وكان لها باب عظيم يفتحه جمع من الناس فعسكر المسلمون على

اعتقاد فاسد يؤدى الى الكفر يستبيحون دماء المسلمين ويرون ضلال كافة المسلمين فأعظم نحس خبيث ظهر منهم أبو طاهر القرمطى وبنى دار الهجرة وسماها دار الهجرة وأراد نقل الحج اليها لعنه الله وأخزاه وكثر فتكه فى المسلمين وسفكه دماءهم الى ان اشتد به الخطب وانقطع الحج فى أيامه خوفا منه ومن طائفته الفاجرة واشتدت شوكتهم فى أواخر سنة سبع عشرة وثلاثمائة لم يشعر الحجاج يوم التروية بمكة الا وقد وافاهم عدو الله أبو طاهر القرمطى فى عسكر جرار فدخلوا بخيلهم وسلاحهم الى المسجد الحرام ووضعوا السيف فى الطائفين والمصلين والمحرمين الى أن قتلوا فى المسجد الحرام وفى مكة وشعابها ما زهاء ثلاثين ألف انسان وسبوا من النساء والذرية مثل ذلك وتلك مصيبة ما أصيب الاسلام بمثلها وركض عند الكعبة أبو طاهر بسيفه مشهورا فى يده قيل وهو سكران وصفر لفرسه عند البيت الشريف فبال وراث والحجاج يطوفون حول البيت الحرام والسيوف تنوشهم الى ان قتل فى المطاف الشريف ألف وسبعمائة طائف وكان ممن يطوف شيخ الصوفية فى ذلك الوقت الشيخ على بن بابويه ولم يقطع طوافه وجعل يقول

(بعد)

بعد منها ثم امر فحفر حفاير عظيمة تستر الحفرة منها الفارس راكبا ثم اظهروا انهم صابرون عنها ورحلوا فلما جنهم الليل عادوا واستتروا فى تلك الحفاير وأصبح أهل اللاذقية وهم يرون ان المسلمين قد انصرفوا عنهم فاخرجوا سرحهم وانتشروا بظاهر البلد فلم يرعهم الا والمسلمون يصبحون بهم ودخلوا معهم المدينة وملكت عنوة وهرب قوم من النصارى ثم طلبوا الامان على ان يرجعوا الى ارضهم فقوطعوا على خراج يؤدونه قلوا او كثروا وتركت لهم كنيستهم وبنى المسلمون باللاذقية مسجدا جامعا بناه عبادة بن الصامت ثم وسع فيه بعد ولما فتح المسلمون اللاذقية جلا اهل جبله من الروم عنها فلما كان زمن معاوية بنى حصنا خارج الحصن الرومى وشحنه بالرجال وفتح المسلمون مع عبادة بن الصامت انطرسوس وكان حصنا فجلا عنه أهله فبنى معاوية مدينة نطرسوس ومصرها واقطع بها القطائع المقاتلة وكذلك فعل ببانياس وفتح سلمية أيضا

﴿ ذكر فتح قنسرين ودخول هرقل القسطنطنية ﴾

ثم ارسل أبو عبيدة خالد بن الوليد الى قنسرين فلما نزل الحاضر زحف اليهم الروم وعليهم ميناس وكان من اعظم الروم بعد هرقل فاقتتلوا وقتل ميناس ومن معه مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها فماتوا على دم واحد وسار خالد حتى نزل على قنسرين فتحصنوا منه فقال المسلمون لهم لو كنتم فى السحاب لحملنا الله اليكم أو لانزلكم الينا فنظروا فى أمرهم ورأوا مالقى اهل حمص فصالحوهم على مثل صلح حمص فابى خالد الا على خراب المدينة فأخربها فعند ذلك دخل هرقل القسطنطنية وسببه ان خالدا وعياضا ادربا الى هرقل من الشام وادرب عمرو ابن مالك من الكوفة فخرج من ناحية قرقيسيا وادرب عبد الله ابن المعتمر من ناحية الموصل ثم رجعوا فعندها دخل هرقل القسطنطنية فلما بلغ عمر صنيع خالد قال أمر خالد نفسه يرحم الله ابا بكر هو كان اعلم بالرجال منى وقد كان عزله والمثنى بن حارثة وقال انى لم اعزلهما عن ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت ان يوكلوا اليهما ولما سار هرقل الى القسطنطنية خرج من الرها فنزل بشمشاط ثم ادرب منها الى القسطنطنية فلما اراد المسير من شمشاط علا على نشز ثم التفت الى الشام فقال السلام عليك ياسورية سلام لا اجتماع بعده ولا يعود اليك رومى أبدا الا خائفا حتى يولد المولود المشؤم وياليته لم يولد فما احلى فعله وأمر فتنته على الروم ثم سار فدخل القسطنطنية وأخذ اهل الحصون التى بين اسكندرونة وطرسوس معه لئلا يسير المسلمون فى عمارة مابين انطاكية وبلاد الروم وشعث الحصون فكان المسلمون لايجدون بها أحدا وربما كمن عندها الروم فأصابوا من المتخلفين فاحتاط المسلمون لذلك

﴿ ذكر فتح حلب وانطاكية وغيرهما من العواصم ﴾

لما فرغ ابو عبيدة من قنسرين سار الى حلب فبلغه ان اهل قنسرين نقضوا وغدروا فوجه اليهم السمط الكندى فحصرهم وفتحها واصاب فيها بقرا وغنما فقسم بعضه فى جيشه وجعل بقيته فى المغنم ووصل ابو عبيدة الى حاضر حلب وهو قريب منها فجمع

سقط ميتا رحمه الله تعالى وملؤا بر ؤس الشهداء بئر زمزم ومابمكة من آبار وحفر ودفنت الموتى بلا غسل ولا كفن ولا صلاة وطلع أبو طاهر الى باب الكعبة وقلع بابها وصار يقول وهو على عتبة الباب (أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وافنيهم أنا) وصاح فى الحجاج وهو على فرسه يقول ياحمير أنتم تقولون ومن دخله كان آمنا فأين الامان وقد فعلنا مافعلنا فأخذ شخص بلجام فرسه وكان قد استسلم لقتله وقال له ليس معنى الآية الشريفة ماذكرت وانما معناها من دخله فأمنوه فلوى أبو طاهر عنان فرسه ولم يلتفت اليه وصانه الله ببركة بذل نفسه فى سبيل الله للردع لهذا الكافر أخزاه الله تعالى وأراد قلع الميزاب وكان من ذهب فاطلع قرمطيا على الكعبة فأصيب بسهم من جبل أبى قبيس فأخطأ نحره وخر ميتا وأمر آخر مكانه فسقط من فوق الى أسفل على رأسه ومات فهاب الثالث الاقدام على القلع فترك ذلك أبو طاهر على رغم أنفه وقال اتركوه حتى يأتى صاحبه يعنى المهدى الذى يزعم أنه يخرج منهم وكان ممن قتل بمكة أميرها ابن محارب والحافظ أبو الفضل

اصنافا من العرب المتنصرة فصالحهم أبو عبيدة على الجزية ثم اسلموا بعد ذلك واتى حلب فتحصن اهلها وحصرهم المسلمون فلم يلبثوا ان طلبوا الصلح والامان على انفسهم وأولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصرهم فاعطوا ذلك واستثنى عليهم موضع المسجد ثم سار أبو عبيدة الى انطاكية وقد تحصن بها كثير من الخلق من قنسرين وغيرها وحاصرها من جميع الجوانب ثم انهم صالحوه على الجلاء او الجزية فجلا بعض وأقام بعض فأمنهم ثم نقضوا فوجه اليهم عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ففتحها على الصلح الاول وكانت انطاكية عظيمة الذكر عند المسلمين فلما فتحت كتب عمر الى ابى عبيدة ان رتب بأنطاكية جماعة من المسلمين واجعلهم بها مرابطة ولا تحبس عنهم العطا وبلغ ابا عبيدة ان جمعا من الروم بين معرة مصرين وحلب فسار اليهم فلقيهم فهزمهم وقتل عدة بطارقة وسبى وغنم وفتح معرة مصرين على مثل صلح حلب وجالت خيوله فبلغت بوقا وفتحت قرى الجومة وسرمين وتيزين وغلبوا على جميع أرض قنسرين وانطاكية ثم اتى ابو عبيدة حلب وقد التاث اهلها فلم يزل بهم حتى اذعنوا وفتحوا المدينة وسار أبو عبيدة يريد قورس فلقيه راهب من رهبانها يسأله الصلح فصالحه على مثل صلح انطاكية وبث خيله فغلب على جميع ارض قورس وفتح تل عزاز ثم سار الى منبج وصالحه اهلها على مثل صلح انطاكية وسير عياض بن غنم الى ناحية دلوك وعبان فصالحه اهلها على مثل صلح منبج وولى أبو عبيدة كل كورة فتحها عاملا وضم اليه جماعة وشحن النواحي المخوفة وسار الى بالس وبعث جيشا مع حبيب ابن مسلمة الى قاصرين فصالحهم اهلها على الجزية او الجلاء فجلا اكثرهم الى بلد الروم وارض الجزيرة وقرية جسر منبج واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية الى الفرات وعاد ابو عبيدة الى فلسطين وكان بجبل اللكام مدينة يقال لها جرجومة وأهلها يقال لهم الجراجمة فسار اليهم حبيب بن مسلمة من انطاكية فافتتحها صلحا على ان يكونوا اعوانا للمسلمين وسير ابو عبيدة جيشا مع ميسرة بن مسروق العبسي فسلكوا درب بغراس من اعمال انطاكية الى بلاد الروم فلقى جمعا للروم معهم عرب من غسان وتنوخ واياد يريدون اللحاق بهرقل فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ولحق به مالك بن الحارث الاشتر النخعي مددا من قبل ابى عبيدة وهو بانطاكية فسلموا وعادوا وسير ابو عبيدة جيشا آخر الى مرعش مع خالد بن الوليد ففتحها على جلاء أهلها بالامان وأخربها وسير جيشا آخر مع حبيب بن مسلمة الى حصن الحدث فملكه وكل هذه الفتوحات كانت من سنة ثلاث عشرة الى سنة خمس عشرة يتلو بعضها بعضا فى أزمان متقاربة وكان فيها ايضا فتح قيسارية وحصر غزة

﴿ ذكر فتح قيسارية وحصر غزة ﴾

فى سنة خمس عشرة على الصحيح كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى يزيد ابن ابى سفيان ان يرسل معاوية الى قيسارية وكتب عمر ايضا الى معاوية يأمره بذلك فسار معاوية اليها فحصر اهلها فجعلوا يزاحفونه وهو يهزمهم ويردهم الى حصنهم ثم زاحفوه آخر ذلك

محمد بن الحسن بن أحمد الجارودى الهروى أخذته السيوف وهو متعلق بيديه بحلق باب الكعبة حتى سقط رأسه على عتبة باب البيت الحرام وقتلوا أيضا امام الفقهاء الحنيفة الفقيه أبو سعيد أحمد بن الحسين البردعى والشيخ أبو بكر ابن عبد الرحمن بن عبد الله الرهاوى وشيخ الصوفية على بن بابويه كما تقدم والشيخ محمد بن خالد بن زيد البردعى نزيل مكة وجماعة كثيرين من العلماء والصلحاء والصوفية والحجاج من أهل خراسان والمغاربة وغيرهم ونهبت أموالهم وسبيت نساؤهم وذراريهم ونهبت دور الناس وقتل من وجد من أهل مكة وغيرها الا من اختفى فى الجبال وممن هرب من مكة يومئذ قاضيها يحيى بن عبد الرحمن بن هرون القرشى مع عياله الى وادى رهجان ونهبت القرامطة من داره وثيابه وأمواله ما قيمته مائة ألف دينار وخمسون ألف دينار كما فى تاريخ القطبى فافتقر بعد تلك الثروة وكذلك نهبت دور أهل مكة الى أن صار الباقى ممن نجا من تلك الواقعة فقراء يستعطون الناس ولم يحج فى هذا العام أحد ولا وقف بعرفة الا قدر يسير قادوا بأنفسهم وسعوا بأرواحهم فوقفوا به بلا امام وأتوا جهم مستسلمين

(مستميتين)

تجيبين فهزمهم وقتل فيهم مقتلة عظيمة وبلغت قتلاهم في المعركة ثمانين ألفا وكلها في هزيمتهم مائة الف وفتحها وكان علقمة بن مجزز قد حصر القيقار بغزة وجعل يراسله فلم يشفه احد بما يريد فاتاه كأنه رسول علقمة فامر القيقار رجلا ان يقعدله في الطريق اذا رجع فاذا مر به قتله ففطن علقمة فقال للقيقار ان معي نفرا يشركونني في الرأى فأنطلق فآتيك بهم فبعث القيقار الى ذلك الرجل ان لا يتعرض له فخرج علقمة من عنده فلم يعد فكان فعله هذا كما فعل عمرو بن العاص بالارطبون كما سيأتي ومجزز بجيم وزايين

❁ ذكر فتح بيسان ووقعة اجنادين ❁

لما انصرف ابوعبيدة وخالد رضى الله عنهما الى حمص نزل عمرو بن العاص وشرحبيل رضى الله عنهما على اهل بيسان فافتتحاها وصالحا اهل الاردن واجتمع عسكر الروم بغزة واجنادين وبيسان وسار عمرو وشرحبيل الى الارطبون ومن معه وكان الارطبون باجنادين واستخلف على الاردن ابا الاعور السلمي وكان الارطبون ادهى الروم وابعدها غورا وكان قد وضع جندا عظيما بايليا وجندا عظيما بالرملة فلما بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخبر قال قد رمينا ارطبون الروم بارطبون العرب يعني عمرو بن العاص فانظروا عم تنفرج وكان معاوية قد شغل اهل قيسارية عن عمرو وكان عمرو قد جعل علقمة بن حكيم الفراسي ومسروقا العكي على قتال ايليا فشغلوا من به عنه وجعل أيضا ابا ايوب المالكي على من بالرملة من الروم فشغلهم عنه وتتابعت الامدادات من عند عمر الى عمرو واقام عمرو على اجنادين لا يقدر من الارطبون على شئ ولا تشفيه الرسل فسار اليه بنفسه فدخل عليه كأنه رسول ففطن به الارطبون وقال لاشك ان هذا هو الامير او من يأخذ الامير برأيه فأمر انسانا ان يقعد على طريقه اذا رجع ليقتله وفطن عمرو لفعله فقال له قد سمعت مني وسمعت منك وقد وقع لك مني موقعا وانا واحد من عشرة بعثنا عمرو اليك فأرجع فآتيك بهم الآن فان رأوا الذى عرضت على الآن فقد رآه الامير واهل العسكر وان لم يروه رددتهم الى مأمنهم فقال نعم ورد الرجل الذى أمره بقتله فخرج عمرو من عنده ثم علم الرومي انها خدعة اختدعه بها فقال هذا ادهى الخلق وبلغت خديعته عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال لله در عمرو وعرف عمرو مأخذه اذا قاتله فقاتله باجنادين قتالا شديدا حتى كثرت القتلى بينهم وانهزم ارطبون الى ايليا ونزل عمرو اجنادين وافرج المسلمين الذين يحصرون بيت المقدس لارطبون فدخل بيت المقدس

❁ ذكر فتح بيت المقدس ❁

كان فتح بيت المقدس سنة خمس عشرة من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل سنة ست عشرة في ربيع الاول وسبب ذلك انه لما دخل ارطبون بيت المقدس فتح عمرو ابن العاص غزة ثم فتح سبسطية وفيها قبر يحيى ابن زكريا عليهما الصلاة والسلام وفتح نابلس بامان على الجزية وفتح مدينة لد ثم فتح تبنى وعمواس وبيت جبرين ويافا وقيل فتحها معاوية وفتح عمرو مرج عيون فلما تم له ذلك أرسل الى ارطبون رجلا يتكلم بالرومية وقال له اسمع

للموت وأخذ أبو طاهر خزانة الكعبة وحليها وما كان فيها من الاموال فجمع الجميع مع مانهبه من أموال الحجاج وقسمه على أصحابه وعرى البيت وانتزع ثوبه وقسمه بين أصحابه وأراد أخذ حجر المقام الذى فيه صورة قدم سيدنا ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا وسائر الانبياء أفضل الصلاة والسلام فلم يظفر به لان سدنة الكعبة الشريفة غيبوه في بعض شعاب مكة وتألم لذلك واستدعى بجعفر بن أبي علاج البناء وأمره بقلع الحجر الاسود من محله فقلعه بعد العصر يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ذلك العام وصار بزندقته يقول أخزاه الله تعالى

فلو كان هذا البيت لله ربنا * لصب علينا النار من فوقنا صبا
لانا حججنا حجة جاهلية * محللة لم نبق شرقا ولا غربا
وانا تركنا بين زمزم والصفا * جنائز لا تبغي سوى ربها ربا

وقلع ذلك الكافر قبة زمزم وباب الكعبة وأقام بمكة ستة أيام وقيل أحد عشر يوما ثم انصرف الى بلد هجر وحمل معه الحجر الاسود يريد أن يحول الحج الى مسجد الضرار الذى سماه دار الهجرة وعلقه في الاسطوانة السابعة مما يلي صحن الجامع من الجانب الغربي من المسجد المذكور

مايقول وكتب معه كتابا فوصل الرسول ودفع الكتاب الى ارطبون وعنده وزراؤه فقال ارطبون لايفتح والله عمرو شيأ من فلسطين بعد اجنادين فقالوا له من اين علمت هذا فقال صاحبها رجل صفته كذا وكذا وذكر صفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرجع الرسول الى عمرو بن العاص وأخبره بالخبر فكتب الى عمر بن الخطاب يقول له انى اعالج عدوا شديدا وبلادا قد ادخرت لك فرأيك فعلم ان عمرا لم يقل ذلك الا بشيء سمعه فسار عمر من المدينة وقيل ان الروم الذين كانوا ببيت المقدس طلبوا من المسلمين ان يروهم اميرهم فاروهم اباعبيدة وخالد بن الوليد فقالوا لانسلم احدا من هذين مدينة بيت المقدس ولو حصرتمونا عشر سنين وانما نسلمها لرجل صفته كذا وكذا وذكروا صفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب ابو عبيدة وبقية الامراء بذلك لعمر بن الخطاب فقدم عليهم وكان أبو عبيدة رضي الله عنه لما حصر بيت المقدس اراد ان يصالحهم على مثل صلح اهل مدن الشام فقالوا لانصالحكم الا ان يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب فكتب اليه بذلك فسار عن المدينة واتى بيت المقدس وفي تاريخ ابن الوردي وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال لعمر رضي الله عنه انك ستفتح بيت المقدس بلا قتال فكان في مجيئه اظهار معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم في اخباره بالغيب ففتحها بلا سيف كما اخبره به النبي صلى الله عليه وسلم ولما سار عمر من المدينة استخلف عليها علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال له علي اين تخرج بنفسك انك تريد عدوا كلبا فقال عمر ابادر بالجهاد قبل موت العباس رضي الله عنه انكم لو فقدتم العباس لانتقض بكم الشر كما ينتقض الحبل فمات العباس لست سنين من خلافة عثمان رضي الله عنه فانتقض الناس وسار عمر رضي الله عنه من المدينة وهو على بعيره وعليه غرارتان في احداهما سويق وفي الاخرى تمر وبين يديه قربة مملوءة ماء وخلفه جفنة للزاد ومعه جماعة من الصحابة وكان اذا نزلوا منزلا لايبرح به حتى يصلي الصبح ثم يأخذ الجفنة يملأها سويقا ويصف التمر حولها ويقرب للمسلمين ويقول كلوا هنيئا مريئا فيأكل ويأكل المسلمون ثم يرحل فلم يزل كذلك في مسيره حتى قدم الشام وقيل انه لما قدم الجابية كان على فرس وكان قدومه الى الشام اربع مرات الاولى على فرس والثانية على بعير والثالثة على بغل ورجع لاجل الطاعون والرابعة على حمار وكتب الى امراء الاجناد ان يوافوه بالجابية ليوم سماه ويستخلفوا على اعمالهم فكان اول من لقيه يزيد بن سفيان وأبو عبيدة ثم خالد على الخيول عليهم الديباج والحرير فنزل واخذ الحجارة ورماهم بها وقال ما اسرع ما رجعتم من رأيكم تستقبلوني في هذا الزي وانما شبعتم منذ سنتين وبالله لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم فقالوا يا أمير المؤمنين انها يلامعة وان علينا السلاح قال فنعم اذن واليلامع من السلاح مابرق فلما دخل الجابية جاءه أهل بيت المقدس وقد هرب عنهم ارطبون الى مصر فصالحوه على الجزية وفتحوها له ويروى ان الروم امتنعوا من فتح باب السور حتى يروا عمر ويجدوا فيه الصفة التي يجدونها في كتبهم فأمر عمر بعيره فقدم اليه فاستوى الى ركوبه عليه وعليه مرقعة ليس عليه غيرها وعلى رأسه قطعة عباة قطوانية وقد عصب بها رأسه وليس معه غير أبي عبيدة رضي الله عنهما سائرا بين يديه حتى قرب من السور ووقف

وبقي موضع الحجر الاسود من البيت الشريف خاليا يضع الناس أيديهم فيه ويلمسونه تبركا بمحله وفي تاريخ الخميس أن أباطاهر القرمطي دخل مكة باناس قلائل نحو سبعمائة لم يطق أحد رده خذلانا من الله تعالى وانفاذا لما أراده سبحانه وتعالى والله غالب على أمره فسبحان من لا يسئل عما يفعل ولا راد لما قضاه سبحانه وتعالى ثم ان الفاجر أباطاهر القرمطي أراد أن يخطب لعبيد الله المهدي أول الخلفاء العبيديين ويقال لهم الفاطميون وهم الذين ملكوا المغرب ومصر وكان هذا الامر أول ظهور عبيد الله المهدي فبلغ عبيد الله المذكور ذلك فكتب اليه ان أعجب العجب ارسالك بكتبك الينا ههنا بما ارتكبت في بلد الله الامين من انتهاك حرمة بيت الله الحرام الذي لم يزل محترما في الجاهلية والاسلام وسفكت فيه دماء المسلمين وفتكت بالحجاج والمعتمرين وتعديت وتجرأت على بيت الله تعالى وقلعت الحجر الاسود الذي هو يمين الله في الارض يصافح به عباده وحملته الى منزلك ورجوت ان أشكرك على ذلك فلعنك الله ثم لعنك الله والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وقدم في يومه ما يجوبه في غده فلما وصل كتاب عبيد الله المهدي الى ابي طاهر وعلم ما فيه انحرف عن طاعته (بازاء)

بازاء السور فنظر اليه البطريق وهو خلف السور وزعق بأعلى صوته هذا والله الذي نجد نعته وصفته في كتبنا وهو الذي يكون فتح بلادنا على يديه بلا محالة ثم قال لاهل بيت المقدس ويحكم انزلوا اليه واعقدوا معه الامان والذمة ففتحوا الباب وخرجوا الى عمر يسألونه العهد والميثاق والذمة وعقد الجزية فخر ساجدا لله على قتب بعيره ثم نزل اليهم وقال ارجعوا الى بلادكم ولكم العهد والذمة اذ سألتمونا واقررتم بالجزية فرجع القوم ولم يغلقوا الابواب ورجع عمر الى معسكره وبات فيه ليلة فلما كان من الغد قام فدخل اليها ومعه المسلمون وعقد الجزية ايضا لاهل الرملة وجعل علقمة بن حكيم على نصف فلسطين وأسكنه الرملة وجعل علقمة بن مجزز على نصفها الآخر واسكنه بيت المقدس وضم اليه عمرو بن العاص وشرحبيل ولقياه بالجابية راكبا فقبلا ركبته وضم كل واحد منهما محتضنهما ثم سار الى بيت المقدس من الجابية فركب فرسه فرأى فيه عرجا فنزل عنه فأتى ببرذون فركبه فجعل يتجلجل به فنزل وضرب وجهه وقال لا اعلم من علمك هذه الخيلاء ثم لم يركب برذونا قبله ولا بعده وبقي ارطبون بمصر فلما ملك المسلمون مصر قتل ولما دخل عمر بيت المقدس كشف عن الصخرة وامر ببناء المسجد عليها وأقام عشرة ايام ثم رجع الى المدينة وكان في هذه السنة والتي بعدها كثير من الفتوحات بالعراق وسنذكرها ان شاء الله بعد تمام الكلام على فتوحات الشام ومصر

﴿ ذكر خبر حمص حين قصد هرقل من بها من المسلمين ﴾

في سنة سبع عشرة قصد الروم اباعبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بحمص وكان المهيج للروم اهل الجزيرة فانهم ارسلوا الى ملك الروم وحثوه على ارسال الجنود الى الشام ووعدوا من انفسهم المعاونة ففعل ذلك فلما سمع المسلمون باجتماعهم عسكروا بفناء مدينة حمص وأقبل خالد من قنسرين اليهم فاستشارهم ابوعبيدة في المناجزة والتحصين الى مجئ الغياث فأشار خالد بالمناجزة وأشار سائرهم بالتحصين ومكاتبة عمر فأطاعهم وكتب الى عمر ذلك فكتب عمر الى امراء الاجناد بالعراق ان يبعثوا جند الاغاثة لابي عبيدة وكان عمر رضي الله عنه قد اتخذ في كل مصر خيولا على قدر ذلك المصر من فضول أموال المسلمين عدة يكون ان كان بالكوفة من ذلك اربعة آلاف فرس وكان القيم عليها سلمان بن ربيعة الباهلي ونفر من أهل الكوفة وفي كل مصر من الامصار على قدره فان تأتهم آتية ركب الناس وساروا الى ان يتجهز بقية الناس فلما سمع عمر الخبر كتب الى سعد بن ابي وقاص بالعراق ان اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم فان أباعبيدة قد أحيط به وكتب اليه أيضا سرح سهيل بن عدي الى الرقة وهي بلدة على الفرات بتشديد الراء والقاف المفتوحتين فان أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص وأمره ان يسرح عبدالله بن عتبان الى نصيبين ثم ليقصدا حران والرها وان يسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ وان يكون عياض ابن غنم على امراء الجزيرة ان كانت حرب فمضى القعقاع من يومه على اربعة آلاف الى حمص وسار عياض بن غنم وامراء الجزيرة كل أمير الى كورته وسار عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المدينة يريد حمص مغيثا لأبي عبيدة ولما بلغ أهل الجزيرة الذين اعانوا الروم على أهل حمص خبر الجنود

واستمر الحجر عندهم اثنين وعشرين سنة يستجلبون به الناس طمعاً أن يتحول الحج الى بلدتهم ويأبى الله ذلك والاسلام وشريعة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهذه مصيبة من أعظم مصائب الاسلام وأشدهن في الدين من أولئك الكفرة اللئام الملحدين ذابت لها أكباد العباد وعمت فتنتها في الحاضر والباد الى أن دمر الله تلك الطائفة القاهرة وابتلى أبوطاهر النجس فرماه الله بالآكلة فصار يتناثر لحمه بالدود وتقطعت أوصاله وطال عذابه ومات أشقى ميتة الى دار الخلود وتعذب بانواع البلاء في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ولما أيست القرامطة من تحويل الحج الى هجر ردوا الحجر الاسود الى محله في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وجاء به سنبر بن الحسن القرمطي في يوم النحر عاشر ذي الحجة من السنة المذكورة فلما صار بفناء الكعبة حضر أمير مكة أبوجعفر محمد بن الحسن فأخرجوا سفطا فيه الحجر الاسود وعليه ضباب من فضة في طوله وعرضه لضبط شقوق حدثت فيه بعد قلعه وأحضروا جصا يشد به فوضع حسن ابن المروق البنا الحجر في مكانه الذي قلع منه وقيل بل وضعه سنبر بيده وقال أخذناه بقدرة الله وأعدناه بمشيئته وقد أخذناه بامر

الاسلامية فارقوا هرقل ورجعوا الى بلادهم وزحف ابو عبيدة الى الروم فانهزموا وقدم القعقاع من العراق بعد الوقعة بثلاث فكتبوا الى عمر بالفتح وبقدوم المدد اليهم فكتب اليهم أن أشركوهم فى الغنيمة فانهم نفروا اليكم وانفرق لهم عدوكم وقال جزى الله أهل الكوفة خيرا يكفون حوزتهم ويمدون أهل الامصار فلما فرغوا رجعوا وبلغ عمر فى مسيره هذا الى الجابية فوافاه خبر انهزام الروم فكتب الجواب لابى عبيدة ورجع من الجابية واصحب معه خالد بن الوليد ومن معه ولما قدم سهيل بن عدى على الرقة سرح الوليد بن عقبة الى عرب الجزيرة فقبض اهل الرقة عن هرقل وساروا مع سهيل بن عدى الى اياد ابن نزار فانهم دخلوا ارض الروم فكتب عمر الى هرقل بلغنى ان حيا من احياء العرب تركوا دارنا وأتوا دارك فوالله لتخرجنهم أو لنخرجن النصارى اليك فأخرجهم هرقل وتفرق منهم اربعة آلاف فيما يلى الشام والجزيرة

﴿ ذكر فتح الجزيرة وارمينية ﴾

الجزيرة بلاد تشتمل على ديار بكر ومضر وربيعة بين دجلة والفرات اليها ينسب الامام الجزرى وارمينية كورة كانت للروم لما أرسل سعد العساكر الى الجزيرة ارفض به أهل الجزيرة عن الروم وساروا الى كورهم حين سمعوا بارسال العساكر من الكوفة فنزل عليهم سهيل ابن عدى وحاصرهم حتى صالحوه ونازل عبد الله بن عتبان الموصل ونصيبين فصالحوه كصنع اهل الرقة وخرج الوليد بن عقبة فقدم على عرب الجزيرة فينهض معه مسلمهم وكافرهم الا اياد بن نزار فانهم دخلوا ارض الروم فكتب الوليد بذلك الى عمر فكتب عمر الى هرقل كما تقدم ولما اخذوا الرقة ونصيبين ضم عياض اليه سهيلا وعبد الله بن عتبان وصار بالناس الى حران فلما وصل اجابه اهلها الى الجزيرة فقبل منهم ثم ان عياضا سرح سهيلا وعبد الله الى الرها فاجابوهما الى الجزية واجروا كل ما أخذوه من الجزيرة عنوة مجرى الذمة فكانت الجزيرة اسهل البلدان فتحا ورجع سهيل وعبد الله الى الكوفة وكتب ابو عبيدة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد انصرافه من الجابية يسأله ان يضم اليه عياض بن غنم اذ أخذ خالد بن الوليد معه الى المدينة فصرفه اليه فاستعمل حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة وحربها والوليد بن عقبة على عربها وابى الوليد بن عقبة ان يقبل من تغلب الجزية وقال ليس الا الاسلام فكتب اليه عمر انما ذلك بجزيرة العرب لا يقبل منهم الا الاسلام فدعهم على ان لا ينصروا وليدا ولا يمنعوا أحدا منهم من الاسلام وكان فى تغلب عن وامتناع فهم بهم الوليد فخاف عمر ان يسطوا عليهم فعزله وأمر عليهم فرات ابن حيان وهند بن عمر الجملى والصحيح الذى عليه الاكثر ان فتح الجزيرة معدود من فتح اهل الشام وأنه سنة سبع عشرة وقيل انه من فتح العراق وانه سنة تسع عشرة وانما أخذ عمر خالدا معه وعزله عن أمارة الاجناد لانه رأى منه تبذيرا وسرفا فى الاموال اعطى مرة للاشعث بن قيس عشرة آلاف وله عطايا كثيرة فلما قدم المدينة شكا خالد عمر على الناس وقال له انك فى أمرى غير مجمل فقال له عمر من أين

ونظر الى الحجر الاسود وتأمله فاذا السواد فى رأسه دون سائره وسائره أبيض وحضر معهم ممن حج تلك السنة الشيخ محمد بن عبد الملك بن صفوان الاندلسى وشهد رد الحجر الى مكانه ولما أعيد الحجر الاسود الى مكة حمل على قعود هزيل فسمن وكان لما مضوا به مات تحته أربعون بعيرا وتلك من آيات الله فى الحجر الشريف وكانت مدة استمراره عند القرامطة اثنين وعشرين سنة الا أربعة أيام وكان المنصور بن القائم بن المهدى العبيدى أرسل لاحمد بن أبى سعيد القرمطى أخى أبى طاهر بخمسين ألف ذهب فى الحجر الاسود ليرده فلم يفعل وبذل بحكم التركى مدبر الخلافة ببغداد خمسين ألف دينار للقرامطة على رد الحجر الاسود فأبوا وقالوا أخذناه بأمر ولا نرده الا بأمر الى أن أراد الله تعالى رده على الوجه الذى ذكرناه قال العلامة القطبى فى تاريخه وفى التواريخ صور أخرى لهذه القضية متناقضة وهذا أصح ما روى فيها فاعتمدنا عليه فعض عليه بالنواجذ قال القطبى ثم ان الحجبة خافوا من استطالة يد خائن اليه لعدم استحكام بنائه فقلعوه وجعلوه فى البيت الشريف حفظا له

هذا الثرافقال من الغنا ثم والسهمان ما زاد على ستين الفا فهولك فقوم عمر ماله فزاد
عشرين الفا فجعلها في بيت المال ثم قال ياخالد والله انك علي لكريم وانك الي لحبيب
وكتب الى الامصار انى لم اعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فخموه وفتنوا
به فخفت ان يوكلوا اليه فأحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع وان لا يكونوا بعرض فتنة
وعوضه عما اخذه منه وكان خالد ابن خال عمر رضي الله عنهما لان ام عمر حنتمة بنت هاشم
ابن المغيرة وخالد بن الوليد ابن المغيرة وكان في قلنسوة خالد التي يقاتل فيها شعرات من شعر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيستنصر بها وببركته صلى الله عليه وسلم فلا يزال منصورا وكان
يقول اعتمرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة اعتمرها فحلق شعره فاستبق الناس الى
شعره فسبقت الى الناصية فأخذتها فاتخذت قلنسوة فجعلتها في مقدم القلنسوة فما واجهته
في وجه الا وفتح له وسماه النبي صلى الله عليه وسلم سيفا من سيوف الله يوم غزوة موتة
لما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بالمدينة بما وقع في تلك الغزوة يوم وقوعها فذكر
لهم استشهاد زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة وقال ثم اخذ الراية سيف
من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه ومناقبه كثيرة وله ترجمة واسعة توفي رضي الله
عنه في خلافة عمر رضي الله عنه بحمص وقيل بالمدينة سنة احدى وعشرين من الهجرة ولما
حضرت خالدا الوفاة قال لقد شهدت مائة زحف اوزهاءها وما في بدني موضع شبر الا وفيه
ضربة اوطعنة اورمية وها انا اموت على فراشي كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء ومامن
عمل عندي أرجى من لا اله الا الله وأنا متترس بها وفي سنة ثمان عشرة وقع بالشام الطاعون
المسمى طاعون عمواس مات فيه خمسة وعشرون الفا ومات فيه ابوعبيدة واستخلف معاذ
ابن جبل فطعن ايضا فيه ومات فاستخلف عمر على الناس عمرو بن العاص وطعن فيه يزيد بن أبي
سفيان فاستعمل عمر بن الخطاب اخاه معاوية ابن أبي سفيان على دمشق وخراجها واستعمل
شرحبيل بن حسنة على جند الاردن وخراجها ولما حصل ذلك الطاعون قام ابوعبيدة خطيبا
في الناس فقال ايها الناس ان هذا الوجع رحمة ربكم ووعدة نبيكم وموت الصالحين قبلكم
وان اباعبيدة سأل الله ان يقسم له منه حظه فطعن فمات واستخلف على الناس معاذ بن جبل
فقام خطيبا بعده فقال ايها الناس ان هذا الوجع رحمة ربكم ووعدة نبيكم وموت الصالحين
قبلكم وان معاذا يسأل الله ان يقسم لآل معاذ حظهم فطعن ابنه عبد الرحمن فمات ثم قال فدعا به
لنفسه فطعن في راحته فلقد كان يقبلها ثم يقول ما احب ان لي بما فيك شيأ من الدنيا فلما مات
واستخلف عمرو بن العاص خرج بالناس الى الجبال ورفعه الله عنهم وكان الناس قد اصابهم
من الموت مالم يروا مثله قط وطمع فيهم العدو وطال مكث ذلك الطاعون فانه مكث شهورا
وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم الى الشام في مدة ذلك الطاعون فلما كان بسرغ
وهو موضع قرب الشام بين المغيثة وتبوك لقيه أمراء الاجناد فيهم أبو عبيدة بن الجراح
فأخبروه بالوباء وشدته وكان معه كثير من المهاجرين والانصار لانه خرج بهم غازيا
فجمع المهاجرين الاولين والانصار فاستشارهم فاختلفوا عليه فمنهم القائل خرجت لوجه الله
فلا يصدك عنه هذا ومنهم القائل انه بلاء وفناء فلا نرى ان تقدم عليه فقال لهم قوموا

وصونا عمن أراده الله بسوء ثم أمر صائغين فصنعاله طوقا من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبعة وثلاثون
درهما فطوقوا به الحجر وشدوا عليه به وأحكموا بناءه في محله كما كان ذلك قديما وكما هو الآن أيضا كذلك وبقية وقائع القرامطة مع الخلفاء بالعراق والشام ومصر مذكورة في التواريخ فلا حاجة الى الاطالة بها وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم ولنرجع الى ما نحن بصدده من ذكر ولاة مكة فنقول وممن وليها (محمد بن طغج) المعروف بالاخشيد عقد له بها ولولديه (أبي القاسم وعلي) وكان مبدأ ذلك سنة ثلاثمائة واحدى وثلاثين قال الفاسي ولا أعلم من باشر لهم ولاية مكة وانما ولوها بعقد من المكتفي ولما مات طغج الاخشيد تولى كفالة ولديه كافور الاخشيدي بمصر وممن ولي مكة (القاضي أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسي) وذلك سنة ثلاثمائة وثمان وثلاثين وقيل انه باشر ذلك لعلي ابن الاخشيد هذا ما تحصل منا لكلام على ولاتها في هذه المدة

(ذكر خطبة محمد بن سليمان العلوي لنفسه بمكة)

وفي سنة ثلاثمائة وواحدة
وقع في الموسم أن محمد بن سليمان من ولد محمد بن داود العلوي خطب لنفسه بالامامة في مكة وخلع طاعة العباسيين وكان

ثم احضر مهاجرة الفتح من قريش فاستشارهم فلم يختلفوا عليه واشاروا بالعود فنادى عمر في الناس اني مصبح على ظهر فقال ابو عبيدة افرارا من قدر الله فقال لو غيرك قالها يا ابا عبيدة اي لانتقمت منه نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ارأيت لو كان لك ابل فهبطت واديا له عدوتان احداهما مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعيت المخصبة رعيتها بقدر منه وان رعيت المجدبة رعيتها بقدر منه وكان عبد الرحمن بن عوف غائبا فحضر فأخبر انه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم حديثا في ذلك وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم به ذا الوباء ببلدة فلا تقدموا عليه واذا وقع ببلد وانتم به فلا تخرجوا فرارا منه فكان ذلك الحديث موافقا لما رآه عمر رضي الله عنه فانصرف بالناس الى المدينة ومات في ذلك الطاعون كثير من الصحابة منهم الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو رضي الله عنهما ولما فرغ الطاعون كتب امراء الاجناد الى عمر رضي الله عنه بما في ايديهم من المواريث فسار عمر الى الشام واستخلف على المدينة على ابن ابي طالب رضي الله عنه فلما قدم الشام قسم المواريث والارزاق وسد فروج الشام ومصالحها واخذ بدورها ورجع الى المدينة في ذي القعدة ولما كان بالشام وحضرت الصلاة قال له الناس لو أمرت بلالا فأذن فأمره فأذن فما بقي احد ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وبلال يؤذن الا بكى حتى بل لحيته وعمر اشدهم بكاء وبكى من لم يدركه ببكائهم لذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ ذكر فتح مصر والاسكندرية ﴾

كان ابتداء الامر وانتهاؤه في ذلك من سنة ثماني عشرة الى سنة عشرين وقيل ان فتوح مصر كان في سنة ست عشرة لان عمرو بن العاص رضي الله عنه حمل الطعام لاهل المدينة عام الرمادة التي اشتد القحط فيه في بحر القلزم من مصر الى المدينة وعام الرمادة كان سنة ثماني عشرة وقال الجلال السيوطي في كتابه المسمى بحسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة لما كانت سنة ثمان عشرة وقدم عمر بن الخطاب الجابية قام اليه عمرو بن العاص رضي الله عنه فخلا به فقال يا أمير المؤمنين ائذن لي ان اسير الى مصر وحرضه عليها وقال انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهي اكثر الارض اموالا واعجزهم عن القتال والحرب فتخوف عمر بن الخطاب على المسلمين وكره ذلك فلم يزل عمرو بن العاص يعظم أمرها عند عمر ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن عمر بن الخطاب لذلك فأذن له في المسير وسبب قوة رجاء عمرو بن العاص في ان الله يفتح مصر على يديه قصة وقعت له في الجاهلية ذكرها السيوطي ايضا في حسن المحاضرة ولنذكرها وان كان فيها طول تتميما للفائدة قال اخرج ابن عبد الحكم عن خالد بن يزيد انه بلغه ان عمرو بن العاص قدم الى بيت المقدس بتجارة في نفر من قريش واذا هم بشماس من شمامسة الروم من أهل الاسكندرية قدم للصلاة في بيت المقدس فخرج في بعض جبالها يسيح وكان عمرو بن العاص يرعى ابله وابل اصحابه وكانت رعية الابل نوبا بينهم فبينما عمرو يرعى ابله اذ مر به ذلك الشماس وقد اصابه عطش شديد في يوم شديد الحر فوقف على عمرو فاستسقاه فسقاه عمرو من قربة له فشرب حتى روي

أول خطبة الحمد لله الذي أعاد الحق الى نظامه وأبرز زهر الاسلام من كمامه وكل دعوة خير الرسل باسباطه لابني أعمامه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وكف عنهم ببركته أمر المعتدين وجعلها في عقبه الى يوم الدين ثم أنشد

(* لا طلبن بسيفي *)
(* من كان للحق دينا *)
(* واسطون بقوم *)
(* بغوا وجاروا علينا *)
(* يهدون كل بلاء)
(من العراق الينا *)

وفي سنة ثلاثمائة وسبع عشرة كان دخول القرامطة مكة كما تقدم الكلام على ذلك وفي سنة ثلاثمائة وثمان وخمسين خرجت مصر عن حكم الدولة العباسية ودخلت في حكم دولة العبيديين واشتهروا أيضا بالفاطميين ودخلها قائدهم القائد جوهر وهو عبد المعز العبيدي ثم دخلها مولاه سنة ثلاثمائة واحدى وستين ثم اتسع ملكهم حتى دعي لهم على منابر الحرمين فصارت الخطبة الاسلامية على قسمين فمن بغداد وحلب وسائر ممالك الشرق الى أعمال الفرات يخطب فيها للمطيع العباسي ومن حلب الى بلاد المغرب مع الحرمين يخطب فيها للعبيديين

(ذكر دولة الاشراف بمكة)

ولنذكر أول دولة الاشراف الذين ملكوا مكة طبقة بعد طبقة فان ابتداء ملكهم ولاية مكة كان من هذه المدة (تم)

ثم نام الشماس فى مكانه وكان الى جانب الشماس فى مكانه حيث نام حفرة فخرجت منها حية عظيمة فبصر بها عمرو فنزع لها سهما فقتلها فلما استيقظ الشماس نظر الى حية عظيمة قد نجاه الله منها فقال لعمرو ماهذا فاخبره عمرو انه رماها بسهم فقتلها فاقبل الى عمرو فقبل رأسه وقال قد أحيانى الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية فما أقدمك هذه البلاد قال قدمت مع اصحاب لى نطلب الفضل من تجارتنا فقال له الشماس وكم ترجو ان تصيب من تجارتك قال رجائى ان اصيب ما أشترى به بعيرا فانى لا أملك الا بعيرين فأملى ان اصيب بعيرا آخر فيكون لى ثلاثة أبعرة فقال له الشماس ارأيت دية أحدكم بينكم كم هى قال مائة من الابل فقال له الشماس لسنا أصحاب ابل نحن اصحاب دنانير قال عمرو تكون الف دينار فقال له الشماس انى رجل غريب فى هذه البلاد وانما قدمت أصلى فى كنيسة بيت المقدس وقد قضيت ذلك وانا أريد الرجوع الى بلادى فهل لك ان تتبعنى الى بلادى ولك عهد الله وميثاقه أنى أعطيك ديتين لان الله تعالى احيانى بك مرتين فقال له عمرو واين بلادك قال مصر فى مدينة يقال لها الاسكندرية فقال له عمرو لا اعرفها ولم أدخلها قط فقال له الشماس لو دخلتها لعلمت انك لم تدخل قط مثلها فقال له عمرو وتفى لى بما تقول وعليك بذلك العهد والميثاق فقال الشماس نعم لك الله على بالعهد والميثاق انى افى لك وأردك الى اصحابك فقال عمرو كم يكون مكثى فى ذلك قال شهر تنطلق معى ذاهبا عشرا وتقيم عندنا عشرا وترجع فى عشر ولك على ان احفظك ذاهبا وابعث معك من يحفظك راجعا فقال له عمرو انظرنى حتى أشاور اصحابى فانطلق عمرو الى أصحابه فاخبرهم بما عاهد عليه الشماس وقال لا تخرجوا واقيموا حتى أرجع اليكم ولكم على العهد ان اعطيكم شطر ذلك على ان يصحبنى منكم رجل آنس به فقالوا نعم وبعثوا معه رجلا منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس الى مصر حتى انتهى الى الاسكندرية فرأى عمرو من عمارتها وكثرة أهلها ومابها من الاموال والخير ما اعجبه ذلك وقال ما رأيت مثل مصر قط وكثرة مافيها من الاموال ونظر الى الاسكندرية وعمارتها وجودة بنائها وكثرة اهلها ومابها من الاموال فازداد تعجبا ووافق دخول عمرو الاسكندرية عيدا فيها عظيما يجتمع فيها ملوكهم واشرافهم ولهم اكرة من ذهب مكللة يترامى بها ملوكهم وهم يتلقونها باكمامهم وفيما اخبروا عن تلك الاكرة على ماوضعها من مضى منهم ان من وقعت الاكرة فى كمه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم فلما قدم عمرو الاسكندرية اكرمه الشماس الاكرام كله وكساه ثوب ديباج البسه اياه وجلس عمرو والشماس مع الناس فى ذلك المجلس حيث يترامون بالاكرة وهم يتلقونها باكمامهم فرمى بها رجل منهم فاقبلت تهوى حتى وقعت فى كم عمرو فتعجبوا من ذلك وقالوا ما كذبتنا هذه الاكرة قط الا هذه المرة اترى هذا الاعرابى يملكنا هذا لا يكون أبدا وان ذلك الشماس مشى فى اهل الاسكندرية واعلمهم ان عمرا احياه مرتين وانه قد ضمن له الفى دينار وسألهم ان يجمعوا له ذلك فيما بينهم ففعلوا ودفعوها الى عمرو فانطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشماس دليلا ورسولا وزودهما واكرمهما حتى رجع هو ومن معه الى اصحابه فبذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها ورأى منها ما علم انها افضل البلاد واكثرها مالا فلما رجع عمرو الى اصحابه

فالطبقة الاولى من الاشراف الذين ملكوا مكة الموسويون ويقال لهم بنو موسى وهم أول من ملكها من الاشراف الحسنيين وتداولوها وأولهم (جعفر بن محمد بن الحسين) وقيل ابن الحسين بن محمد الثائر بن موسى الثانى بن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه تغلب جعفر بن محمد المذكور على مكة زمن الاخشيدية قبل أن يملك مصر العبيديون وكان ذلك بعد موت كافور الاخشيدى وكان موت كافور سنة ثلاثمائة وست وخمسين وتغلب جعفر على مكة سنة ثلاثمائة وثمان وخمسين وقيل ست وخمسين وقيل سنة ثلاثمائة وستين وسبب ذلك انه وقعت فتنة بين بنى حسن وبنى حسين أصحاب المدينة وكان جعفر بن محمد بالمدينة فبادر وملك مكة ولما ملك العبيديون مصر دعا جعفر للمعز العبيدى فكتب له المعز بولاية مكة ثم لما توفى جعفر المذكور تولى ابنه عيسى بن جعفر ودامت ولايته الى سنة ثلاثمائة وأربع وثمانين ثم ملكها بعده أخوه (أبو الفتوح الحسن ابن جعفر) كما سيأتى وفى مدة ولاية عيسى بن جعفر سنة س وستين وثلاثمائة أرسل العزيز العبيدى صاحب مصر أميرا علويا بالمكة ولاه نائبا عنه فحصر مكة واشتد الغلاء ولم يحج أحد

دفع اليهم فيما بينهم الف دينار وامسك لنفسه الفا قال عمرو فكان ذلك المال اول مال تأثلته
فلما أكرمه الله بالاسلام وفتح على يديه كثيرا من ارض الشام مالت نفسه الى فتح مصر ورجا
ان يحقق له وقوع الاكرة في كمه مع ما صح من قول النبي صلى الله عليه وسلم لتفتح عليكم بعدي
مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لكم منهم صهرا وذمة فرغب عمر بن الخطاب في ان يسيره اليها
حتى وافقه على ذلك نعقد له على أربعة آلاف رجل كلهم من عك ويقال على ثلاثة آلاف وخمسمائة
فقال عمر سر وأنا مستخير الله في مسيرك وسيأتي كتابي اليك سريعا ان شاء الله تعالى فان
ادركك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل ان تدخلها اوشيأ من ارضها فانصرف
وان انت دخلتها قبل ان يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره فسار عمرو
ابن العاص من جوف الليل ولم يشعر به احد من الناس واستخار عمر الله فكأنه تخوف على
المسلمين في وجههم فكتب الى عمرو بن العاص ان ينصرف بمن معه من المسلمين فأدرك
الكتاب عمرا وهو برفح فتخوف عمرو بن العاص ان هو أخذ الكتاب وفتحه ان يجد فيه
الانصراف كما عهد اليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية
فيما بين رفح والعريش فسأل عنها فقيل له انها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين
فقال عمرو انتم تعلمون ان هذه القرية من مصر قالوا بلى فقال ان أمير المؤمنين عهد الى
وأمرني ان لحقني كتابه ولم ادخل مصر ان ارجع وان لم يلحقني كتابه حتى دخلنا ارض
مصر فسيروا وامضوا على بركة الله فتقدم عمرو بن العاص فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو
توجه الى الفسطاط فكان يجهز على عمرو الجيوش فكان اول موضع قوتل فيه الفرما قاتله
الروم قتالا شديدا نحوا من شهر ثم فتح الله على يديه فهزم الروم وكان بالاسكندرية اسقف
للقبط يقال له أبو ميامين فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص كتب الى القبط يعلمهم انه لايكون
للروم دولة وان ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقي عمرو فيقال ان القبط الذين كانوا بالفرما
كانوا يومئذ لعمرو اعوانا ثم توجه عمرو لايدافع الا بالامر الخفيف حتى نزل القواصر فنزل
ومن معه فقال بعض القبط لبعض الا تعجبون من هؤلاء القوم يقدمون على جموع الروم
وانما هم في قلة من الناس فأجابه رجل آخر منهم ان هؤلاء القوم لايتوجهون الى أحد
الا ظهروا عليه حتى يقتلوا آخرهم فتقدم عمرو لايدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى بلبيس
فقاتلوه بها نحوا من شهر حتى فتح الله عليه ثم مضى لايدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى
ام دنين فقاتلوه بها قتالا شديدا وابطأ عليه الفتح فكتب الى عمر يستمده فأمده بأربعة
آلاف تمام ثمانية آلاف فسار عمرو بمن معه حتى نزل على الحصن فحاصرهم بالقصر الذي
يقال له باب اليون حينا وقاتلهم قتالا شديدا يصبحهم ويمسيهم فلما ابطأ عليه الفتح كتب
الى عمر بن الخطاب يستمده فأمده عمر بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل وكتب اليه
اني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل منهم رجال مقام الالف الزبير بن العوام والمقداد بن
الاسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد واعلم ان معك اثنا عشر الفا ولا تغلب
اثنا عشر الفا من قلة وكان الروم قد خندقوا حول حصنهم وجعلوا للخندق ابوابا وجعلوا
سكك الحديد موتدة بأفنية الابواب فلما قدم المدد الى عمرو بن العاص اتى الى القصر ووضع

من العرب في هذه السنة وتوالت جيوشه وضيقوا على أهل مكة والمدينة لاجل طلب الخطبة لهم
ومازال الامر حتى خطبوا
للعزيز وتوفي العزيز سنة
ثلاثمائة وست وثمانين فولي
مصر ابنه الحاكم بامر الله
ثم انه في سنة ثلاثمائة وخمس
وتسعين أرسل الحاكم
بامر الله الى صاحب مكة
اذ ذاك وهو أبو الفتوح
الحسن بن جعفر سجلا
ينتقص فيه الصحابة رضي
الله عنهم وبعض أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم
وأمره أن يأمر الخطيب
أن يقرأه على المنبر فشق
ذلك على الامير أبي الفتوح
وفشى ذلك الامر في الموسم
وحضر الحجاج وتداعت
العرب من حوالي مكة من
هذيل وغيرهم وحضروا
في المسجد غضبا لله ورسوله
فلما كان الخطيب على المنبر
زحف الناس زحفة واحدة
بالحجارة والعصي على المنبر
فكسروه حتى صار
رضاضا ولم يدروا أنه على
المنبر أم لا وكان يوما عظيما فلم
يقدر أحد بعد ذلك أن يعلن
بهذا المذهب القبيح ثم ان
أبا الفتوح أظهر العصيان
لصاحب مصر الحاكم
بامر الله بسبب طلبه سب
الصحابة وخلع طاعة الحاكم
وبايع الناس لنفسه وخطب
بالناس فقال في أول خطبته طسم تلك آيات الكتاب المبين الى قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا (عليه)

عليه المنجنيق وكان على القصر رجل من الروم يقال له الاعرج واليا عليه وكان تحت يد المقوقس ودخل عمرو الى صاحب الحصن كأنه رسول فتناظر معه فى شئ مما هم فيه فقال اخرج واستشير اصحابى وكان صاحب الحصن اوصى الذى كان على الباب اذا مر به عمرو راجعا ان يلقى عليه صخرة فيقتله فمر عمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب فقال قد دخلت فانظر كيف تخرج فرجع عمرو الى صاحب الحصن فقال انى اريد ان آتيك بنفر من اصحابى حتى يسمعوا منك مثل الذى سمعت فقال العلج فى نفسه قتل جماعة احب الى من قتل واحد فارسل الى الذى امره بقتل عمرو ان لايتعرض له رجاء ان يأتى بأصحابه فيقتلهم وخرج عمرو فلما ابطأ عليه الفتح قال الزبير انى اهب نفسى لله ارجو ان يفتح الله بذلك على المسلمين فوضع سلما الى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد وامرهم اذا سمعوا تكبيره ان يجيبوا جميعا فما شعروا الا والزبير على رأس الحصن يكبر معه السيف وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا ان ينكسر فلما اقتحم الزبير وتبعه من تبعه وكبر وكبر من معه واجابهم المسلمون من خارج لم يشك اهل الحصن ان العرب قد اقتحموا جميعا فهربوا فعمد الزبير واصحابه الى باب الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن فخاف المقوقس على نفسه فحينئذ طلب الصلح من عمرو بن العاص على ان يفرض للعرب على القبط دينارين على كل رجل منهم فأجابه عمرو الى ذلك وكان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر وقال ابن عبد الحكم شهرا قال ان المسلمين لما حصروا باب اليون شهرا كان به جماعة من الروم واكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس فلما رأوا حرص المسلمين على فتح الحصن ورغبتهم فيه خافوا ان يظهروا فتنحى المقوقس وجماعة من اكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلى ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة وامروا بقطع الجسر وتخلف الاعرج فى الحصن بعد المقوقس فلما خاف فتح الحصن ركب هو واهل القوة والشرف وكانت سفنهم ملصقة بالحصن ثم لحقوا بالمقوقس فى الجزيرة فأرسل المقوقس الى عمرو بن العاص انكم قوم ولجتم فى بلادنا والححتم على قتالنا وطال مقامكم فى أرضنا وانما انتم عصبة يسيرة وقد اظلتكم الروم وجهزوا اليكم ومعهم من العدة والسلاح وقد احاط بكم هذا النيل وانما انتم اسارى فى ايدينا فأرسلوا الينا رجالا منكم نسمع من كلامهم فلعله ان يأتى الامر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل ان تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ولعلكم ان تندموا ان كان الامر مخالفا لطلبتكم ورجائكم فابعث الينا رجالا من اصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شئ فلما أتى الى عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس فقال أترون أنهم يقتلون الرسل ويحبسونهم ويستحلون ذلك فى دينهم وانما فعل عمرو ذلك لاجل ان يروا حال المسلمين وما هم فيه ثم رد عليهم عمرو مع رسله انه ليس بينى وبينك الا احدى ثلاث خصال اما ان دخلتم فى الاسلام فكنتم اخواننا وكان لكم مالنا وان ابيتم فاعطيتم الجزية عن يد وانتم صاغرون واما ان جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فلما جاءت رسل المقوقس اليه قال كيف رأيتموهم قالوا رأينا قوما الموت احب اليهم من الحياة والتواضع احب اليهم

منهم ما كانوا يحذرون ثم خرج من مكة يريد الشام فدانت له العرب وسلموا عليه بالخلافة وأظهر العدل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فانزعج منه الحاكم صاحب مصر وخضع لقبائل من العرب منهم آل الجراح واستمال منهم حسان بن مفرج فبذل له ولاخوانه أموالا جزيلة على أن يتخلوا عن أبى الفتوح ويخلوا بينه وبينه فلما فطن لذلك أبو الفتوح استجار بمفرج أبى حسان فكتب مفرج الى الحاكم فى شأنه ففرح بذلك ورضى عن أبى الفتوح وأبقى له ملك مكة فرجع الى مكة واليا عليها وفى مدة غيبته عن مكة تغلب على مكة أبو الطيب داود بن عبد الرحمن بن القاسم ابن الفاتك عبد الله بن داود بن سليمان بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ويقال لبنى أبى الطيب السليمانيون فلما رجع أبو الفتوح الى مكة تنحى أبو الطيب عنها وأبو الفتوح هذا ذكره صاحب دمية القصر وأورد له من الشعر قوله وصلتنى الهموم وصل هواك * وجفانى الرقاد مثل جفاك

من الرفعة ليس لاحدهم رغبة في الدنيا ولا نهمة وانما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم مايعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد يغسلون اطرافهم بالماء ويتخشعون في صلاتهم فقال عند ذلك المقوقس والذي يحلف به لو ان هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ولا يقوى على قتال هؤلاء احد ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم اذا امكنتهم الارض وقدروا على الخروج من موضعهم فرد اليهم المقوقس رسله ان ابعثوا الينا رسلا منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم الى ماعسى ان يكون فيه صلاح لنا ولكم فبعث عمرو بن العاص عشرة أنفار احدهم عبادة بن الصامت وكان طوله عشرة اشبار وهو احد الشجعان المشهورين والفصحاء المتكلمين وامره عمرو ان يكون متكلم القوم وان لا يجيبهم الى شئ دعوه اليه الا احدى هذه الخصال الثلاث فان امير المؤمنين امرني ان لا اقبل شيأ سوى خصلة من هذه الثلاث خصال وكان عبادة ابن الصامت رضي الله عنه اسود فلما دخلوا على المقوقس تقدم عبادة فهابه المقوقس لسواده فقال نحوا عني هذا الاسود وقدموا غيره يكلمني فقالوا ان هذا الاسود افضلنا رأيا وعلما وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وانا نرجع جميعا الى قوله ورأيه وقد امره الامير دوننا بما امره به فقال المقوقس لعبادة تقدم يا اسود وكلمني برفق فاني اهاب سوادك وان اشتد على كلامك ازددت لك هيبة فتقدم اليه عبادة فقال قد سمعت مقالتك وان فيمن خلفت من اصحابي الف رجل اسود كلهم اشد سوادا مني وأفظع منظرا ولو رأيتهم لكنت اهيب لهم مني وانا قد وليت وادبر شبابي واني مع ذلك بحمد الله ما اهاب مائة رجل من عدوي ولو استقبلوني جميعا وكذلك اصحابي وذلك لاننا انما رغبتنا وبغيتنا الجهاد في الله تعالى واتباع رضوان الله وليس غزونا عدونا من حارب الله رغبة في الدنيا ولا طلبا للاستكثار منها الا ان الله قد احل لنا ذلك وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا ومايبالي احدنا اكان له قنطار من الذهب ام كان لا يملك الا درهما لان غاية احدنا من الدنيا اكلة يأكلها فيسد بها جوعته وشملة يلتحفها فان كان احدنا لا يملك الا ذلك كفاه وان كان له قنطار من ذهب انفقه في طاعة الله واقتصر على هذا لان نعيم الدنيا ورخاءها ليس برخاء انما النعيم والرخاء في الآخرة وبذلك امرنا ربنا وامر به نبينا وعهد الينا ان لا تكون همة احدنا من الدنيا الا فيما يمسك جوعته ويستر عورته وتكون همته وشغله في رضا ربه وجهاد عدوه فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وان قوله لاهيب عندي من منظره وان هذا واصحابه أخرجهم الله لخراب البلاد وما أظن ملكهم الا سيغلب على الارض كلها ثم اقبل المقوقس على عبادة فقال أيها الرجل قد سمعت مقالتك وماذكرته عنك وعن اصحابك ولعمري مابلغتم مابلغتم الا بما ذكرته ولا ظهرتم على ماظهرتم عليه الا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم مالا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة والشدة من لا يبالي احدهم من لقي ولا من قاتل وانا لنعلم أنكم لن تقدروا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم وقد اقمتم بين ظهرنا شهرا وانتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرأف عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة مابأيديكم ونحن تطيب انفسنا ان نصالحكم على ان نفرض لكل رجل منكم دينارين ولاميركم مائة دينار ولخليفتكم

وحكي لي الرسول أنك غضبي * ياكفى الله شرما هو حاكي * وكان فيه من الشجاعة والنجدة والقوة مالامزيد عليه * يحكى أن أخته أرسلت اليه بدراهم ليأخذ لها حنطة فأنف من ذلك فأخذ الدراهم وفركها بيده حتى محا رسمها وأذهب نقشها وردها اليها مع حنطة أرسلها لها وقال لحامل الدراهم ان هذه الدراهم زيوف لا تصلح فبلغ أخته ذلك وكانت مثله في القوة فأخذت كفا من الحنطة وفركتها حتى صيرته دقيقا ثم أرسلت به اليه وقالت ان هذه الحنطة لا تصلح ولم يزل أبو الفتوح واليا على مكة حتى مات سنة أربعمائة وثلاثين فمدة ملكه ثلاث وأربعون سنة ثم ولي مكة بعد أبي الفتوح ابنه (شكر الملقب تاج المعالي واسمه محمد ويكنى أبا عبد الله) وكان جوادا عظيم القدر وقد عليه بعض العرب وكانت تحت العربي فرس مشهورة عجيبة الخلق فاعجبت الشريف شكرا لكن لم يسعه طلبها من ذلك العربي لكونه نزل ضيفا عنده فلما رجع ذلك العربي الى أهله أرسل اليه الشريف شكر بعض قواده بمائة دينار وقال له انزل عليه في بعض الطريق واشتر منه الفرس لك لا لي ولا تذكرني له فادرك القائد العربي في بعض المنازل فنزل عليه فلما

الف دينار فتقبضونها وتنصرفوا الى بلادكم قبل ان يغشاكم مالاقوة لكم به فقال عبادة بن
الصامت رضي الله عنه ياهذا لاتغرن نفسك ولا اصحابك اما ماتخوفوننا به من جمع الروم وعددهم
وكثرتهم وانا لانقوى عليهم فلعمري ماهذا بالذي تخوفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه
ان كان ماقلتم حقا فذلك والله ارغب مايكون في قتالهم واشد لحرصنا عليهم لان ذلك أعذر لنا
عند ربنا اذا قدمنا عليه ان قتلنا عن آخرنا كان ذلك امكن لنا في رضوانه وجنته ومامن شيء اقر
لاعيننا ولا احب الينا من ذلك وانا منكم حينئذ على احدى الحسنيين اما ان تعظم لنا بذلك غنيمة
الدنيا ان ظفرنا بكم او غنيمة الآخرة ان ظفرتم بنا وانها لاحب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد
منا وان الله تعالى قال لنا في كتابه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
ومامن رجل الا وهو يدعو ربه صباحا ومساء ان يرزقه الشهادة وان لا يرده الى بلده ولا الى
أهله وولده وليس لاحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وانما
همنا ماأمامنا واما أنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا
كلها لنا ماأردنا لانفسنا منها الا اكثر مما نحن فيه فانظر الذي تريد فبينه لنا فليس بيننا وبينكم
خصلة نقبلها منكم ولا نجيبك اليها الا خصلة من ثلاث فاختر ايها شئت ولا تطمع نفسك
في الباطل بذلك امرني الأمير وبها امره أمير المؤمنين وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الينا من قبل اما ان اجبتم الى الاسلام الذي هو الدين الذي لايقبل الله غيره وهو دين انبيائه
ورسله وملائكته أمرنا الله ان نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان فعل
كان له مالنا وعليه ماعلينا وكان اخانا في دين الله فان قبلت ذلك انت واصحابك فقد
سعدتم في الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل اذاكم ولا التعرض لكم
وان أبيتم الا الجزية فأدوا الينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون نعاملكم على شيء
نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبدا مابقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناواكم
وتعرض لكم في شيء من ارضكم ودمائكم واموالكم ونقوم بذلك عنكم اذا كنتم في
ذمتنا وكان لكم به عهد الله علينا وان ابيتم فليس بيننا وبينكم الا المحاكمة بالسيف حتى
نموت عن آخرنا او نصيب منكم مانريد هذا ديننا الذي ندين الله به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه
غيره فانظروا لانفسكم فقال له المقوقس هذا مما لايكون ابدا ماتريدون الا ان تأخذونا
لكم عبيدا ما كانت الدنيا فقال له عبادة هو ذاك فاختر ماشئت فقال له المقوقس افلا تجيبونا
الى خصلة غير هذه الثلاث فرفع عبادة يديه فقال لا ورب السماء ورب هذه الارض ورب
كل شيء مالكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لانفسكم فالتفت المقوقس عند ذلك الى اصحابه
فقال قد فرغ القول فما تقولون فقالوا او يرضى احد بهذا الذل اما ما أرادوا من دخولنا
في دينهم فهذا لايكون أبدا ان نترك دين المسيح بن مريم وندخل في دين لانعرفه وأما ما
أرادوا من ان يسبونا ويجعلونا عبيدا أبدا فالموت أيسر من ذلك لو رضوا منا ان نضعف
لهم ماأعطيناهم مرارا كان أهون علينا فقال المقوقس لعبادة قد أبى القوم فما ترى فراجع
صاحبك على ان نعطيكم في مرتكم هذه ماتمنيتم وتنصرفون فقام عبادة واصحابه فقال
المقوقس لمن حوله عند ذلك أطيعوني وأجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله

عرفه أكرمه وفرح به فأتاه بعد ساعة بلحم فأكل ونام فلما أصبح ذكر له ماجاء له من جهة الفرس وانه
يريد شراءها منه فأتاه العربي
بجلدها وأكرعها وقال له
انك لما نزلت علينا البارحة
كرهنا أن لا نذبح لك
فما وجدنا غير الفرس
فذبحناها وكانت ضيافتك
من لحمها فشكر له القائد
ذلك وأسلم المائة الدينار
ورجع الى الشريف
شكر وأخبره بالخبر فقال له
أحسنت ولو رجعت
بالدراهم ألحقتك بالفرس
وأما الآن فأنت حر لوجه
الله واستمر الشريف شكر
الى أن توفي سنة أربعمائة
وثلاث وخمسين في شهر
رمضان وفي عمدة الطالب
ان وفاته كانت سنة أربعمائة
وأربع وستين وكان
له شعر حسن منه

(قوض خيامك من
أرض تهان بها *
وجانب الذل ان الذل يجتنب
(وارحل اذا كان في
الاوطان منقصة *
فالمندل الرطب في أوطانه
حطب*

قيل ان ملكه كان ثلاثا
وعشرين سنة جمع بين ملك
مكة والمدينة بعد محاربة
بينه وبين بني حسين ولم
يخلف بعده الا بنتا فولي
الامر بعده (عبدله) فغضب
لذلك بنو الطيب المتقدم ذكرهم فانتزعوا الملك منه ووقعت بينه وبين بني أبي الطيب مظالم واشياء يطول الكلام بذكرها

مالكم بهم طاقة وان لم تجيبوا اليهم طائعين لتجيبونهم الى ماهو اعظم منها كارهين فقالوا اى
خصلة نجيبهم اليها قال اذن أخبركم اما دخولكم فى غير دينكم فلا آمركم به واما قتالهم فانا اعلم
انكم لن تقدروا عليهم ولن تصبروا صبرهم ولابد من الثلاث قالوا فنكون لهم عبيدا ابدا
قال نعم تكونون عبيدا مسلطين فى بلادكم آمنين على انفسكم واموالكم وذراريكم خير لكم
من ان تموتوا عن آخركم وتكونوا عبيدا تباعوا وتمزقوا فى البلاد مستعبدين ابدا انتم
واهلوكم وذراريكم قالوا فالموت أهون علينا وامروا بقطع الجسر بين الفسطاط والجزيرة
وبالقصر من الروم والقبط جمع كثير فالح المسلمون عند ذلك بالقتال على من فى القصر حتى
ظفروا بهم ومكن الله منهم فقتل منهم خلق كثير واسر من اسر وانحازت السفن كلها الى
الجزيرة وصار المسلمون قد احدق بهم الماء من كل وجه لايقدرون على ان ينفذوا
ويتقدموا نحو الصعيد ولا الى غير ذلك من المداين والقرى والمقوقس يقول لاصحابه الم
اعلمكم هذا واخافه عليكم ماتنتظرون فوالله لتجيبونهم الى ما ارادوا طوعا او لتجيبونهم
الى ماهو أعظم منه كرها فأطيعونى قبل ان تندموا فلما رأوا منهم ما رأوا وقال لهم المقوقس ما قال
اذعنوا بالجزية ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه وارسل المقوقس الى عمرو بن
العاص رضى الله عنه انى لم ازل حريصا على اجابتك الى خصلة من تلك الخصال التى
ارسلت الى بها فأبى ذلك من حضرنى من الروم والقبط فلم يكن لى ان افتات عليهم وقد
عرفوا نصحى لهم وحبى صلاحهم ورجعوا الى قولى فأعطنى امانا اجتمع انا وانت فى نفر
من اصحابى ونفر من اصحابك فان استقام الامر بيننا تم ذلك لنا جميعا وان ابيتم رجعنا الى
ما كنا عليه فاستشار عمرو اصحابه فى ذلك السؤال فقالوا لانجيبهم الى شئ من الصلح ولا
الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير كلها فيئا لنا وغنيمة كما صار القصر ومافيه وقال عمرو
قد علمتم ما عهد الى أمير المؤمنين فى عهده فان أجابوا الى خصلة من الخصال الثلاث التى عهد
الى فيها أجبتهم اليها وقبلت منهم مع ماقد حال من الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم فاجتمعوا
على عهد بينهم واصطلحوا على ان يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط
دينارين دينارين عن كل نفس شريفهم ووضيعهم من بلغ الحلم منهم ليس على الشيخ الفانى
ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا على النساء شئ وعلى ان للمسلمين عليهم منزلا لجماعتهم
حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك لهم ضيافة ثلاثة ايام
وان لهم ارضهم وأموالهم لايتعرض لهم فى شئ منها فشرط هذا كله على القبط خاصة
وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية فرض عليهم الدينارين ورفع ذلك
عرفاؤهم بالايمان المؤكدة فكان جميع من احصى يومئذ بمصر فيما احصوا وكتبوا أكثر
من ستة آلاف الف وذلك ستة ملايين فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر الف الف دينار
أى اثنى عشر مليونا من الدنانير كل سنة وقيل بلغت غلتهم ثمانية آلاف الف وشرط المقوقس
للروم ان يخيروا فمن احب منهم ان يقيم على مثل هذا اقام على هذا لازماله مفترضا عليه ممن
اقام بالاسكندرية وماحولها من ارض مصر كلها ومن اراد الخروج منها الى ارض
الروم خرج على ان للمقوقس الخيار فى الروم خاصة حتى يكتب الى ملك الروم يعلمه ما فعل

(فان)

وكان ممن ولى مكة من بنى الطيب (محمد بن أبى الفاتك بن عبد الرحمن بن جعفر) وفى سنة أربعمائة وخمس
وخمسين قدم الى الحج
صاحب اليمن محمد الصليحى
قد خل مكة سادس
ذى الحجة وملكها وانتزعها
من بنى أبى الطيب
واستعمل العدل والاحسان
لاهل مكة فرخصت
الاسعار واستراحت الناس
جدا وكثر الدعاء له واستمر
بمكة الى يوم عاشوراء وقيل
الى ربيع الاول فقام
الاشراف الحسنيون عليه
وقالوا له اخرج الى بلدك
واجعل لك بمكة نائبا من
شئت فجعل على مكة (محمد
ابن جعفر بن محمد بن عبدالله
بن هاشم) واستنجد له
الصليحى عسكرا وأعطاه
مالا وسلاحا وخمسين فارسا
وقيل ان الداعى للصليحى
على الخروج من مكة ان
بنى أبى الطيب كانوا قد
اتسعوا من مكة لما قصدها
الصليحى فجمعوا جموعا
وأرسلوا له يطلبون منه
الخروج من مكة وأن يولى
عليهم واحدا منهم وكان قد
وقع فى جماعته الوباء
ومات منهم نحو سبعمائة
فخرج منها على الصورة
المذكورة فى عمدة الطالب
انه لما توفى شكر بقيت مكة
شاغرة فملكها حمزة بن وهاس
ابن أبى الطيب داود
السليمانى وقامت الحرب بين بنى موسى وبين بنى سليمان قريبا من سبع سنين ثم خلصت للامير محمد بن

جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم وبقيت في أولاده مدة ولم يملكها من السليمانيين سوى حمزة بن وهاس لكن الذي في التواريخ انه ملكها أربعة منهم أبو الطيب ومحمد بن أبي الفاتك كما تقدم قال الفاسي ومحمد بن جعفر هذا أحد ملوك مكة المعروفين بالهواشم وهو أبو هاشم محمد بن جعفر بن عبد الله بن أبي هاشم محمد بن الحسين بن محمد الثائر لانه ثار بالمدينة زمن المعتز بن المتوكل ومحمد الثائر هو ابن موسى ابن عبد الله بن موسى الجون ابن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط ودامت ولايته الى ثلاثين سنة وفي تاريخ الدنجاري نقلا عن الوقائع وفي سنة أربعمائة وسبع وخمسين حج أبو الغنائم نقيب الاشراف ببغداد فأمر أمير مكة محمد بن جعفر بالدعاء في الخطب للعباسيين ولم يدع لصاحب مصر فقطع صاحب مصر الميرة عن أهل مكة لقطع محمد بن جعفر صاحب مكة الدعاء لصاحب مصر فأخذ محمد ابن جعفر صاحب مكة قناديل الكعبة وصفائح الذهب التي كانت على الباب واستمر على الخطبة لبني العباس وترك الاذان حي على خير العمل وقد كانوا أيام العبيديين ألزموهم بذلك فلما بلغ العباسيين ذلك بعثوا له بثلاثين ألف دينار فقصده بنو سليمان

فان قبل ذلك ورضيه جاز عليهم والا كانوا جميعا على ما كانوا عليه وكتبوا به كتابا وكتب المقوقس الى ملك الروم يعلمه على وجه الامر كله فكتب اليه ملك الروم يقبح رأيه ويعجزه ويرد عليه ما فعل ويقول في كتابه انما اتاك من العرب اثنا عشر الفا وبمصر من بها من كثرة عدد القبط مالا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال واحبوا اداء الجزية الى العرب واختاروهم علينا فان عندك بمصر من الروم وبالاسكندرية ومن معك اكثر من مائة الف معهم العدة والقوة والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت فعجزت عن قتالهم ورضيت ان تكون انت ومن معك من الروم في حال القبط اذ لا تقاتلهم انت ومن معك من الروم حتى تموت أو تظفر عليهم فانهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كأكلة فناهضهم القتال ولا يكون لك رأي غير ذلك وكتب ملك الروم مثل ذلك الى جماعة الروم فقال المقوقس لما اتاه كتاب ملك الروم والله انهم على قلتهم وضعفهم اقوى واشد منا على كثرتنا وقوتنا ان الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا وذلك انهم قوم الموت احب اليهم من الحياة يقاتل الرجل منهم وهو مستقبل ويتمنى ان لا يرجع الى اهله ولا بلده ولا ولده ويرون ان لهم اجرا عظيما فيمن قتلوا منا ويقولون انهم ان قتلوا ادخلوا الجنة وليس لهم رغبة في الدنيا ولا لذة الا على قدر بلغة العيش من الطعام واللباس ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا معهم واعلموا معشر الروم والله اني لا اخرج مما دخلت فيه وصالحت العرب عليه واني لأعلم انكم سترجعون غدا الى قولي ورأيي وتتمنون ان لو كنتم اطعتموني وذلك اني قد عاينت ورأيت وعرفت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه ويحكم اما يرضى احدكم ان يكون آمنا في دهره على نفسه وماله وولده بدينارين في السنة ثم اقبل المقوقس على عمرو بن العاص فقال له ان الملك قد كره ما فعلت وعجزني وكتب الي والى جماعة الروم ان لا نرضى بمصالحتك وامرهم بقتالك حتى يظفروا بك او تظفر بهم ولم اكن لاخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه وانما سلطاني على نفسي ومن اطاعني وقد تم الصلح فيما بينك وبينهم ولم يأت من قبلهم نقض وانا متم لك على نفسي والقبط متمون لك على الصلح الذي صالحتهم عليه وعاهدتهم واما الروم فانا منهم بريء وانا اطلب منك ان تعطيني ثلاث خصال قال له عمرو وما هن قال لا تنقض بالقبط وأدخلني معهم والزمني ما لزمهم وقد اجتمعت كلمتي وكلمتهم على ما عاهدتك فهم متمون لك على ما تحب واما الثانية فان سألك الروم بعد اليوم ان تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيئا وعبيدا فانهم أهل لذلك فاني نصحتهم فاستغشوني ونظرت اليهم فاتهموني واما الثالثة فاطلب اليك ان انا مت ان تأمرهم ان يدفنوني في ابي حنش بالاسكندرية فأنعم له عمرو بن العاص واجابه الى ما طلب على ان يضمنوا له الجسرين جميعا ويقيموا له الانزال والضيافة والاسواق والجسور ما بين الفسطاط الى الاسكندرية ففعلوا وصارت لهم القبط أعوانا كما جاء في الحديث واستعدت الروم وجاشت وقدم عليهم من ارض الروم جمع عظيم ثم انتقلوا بسلطيس فاقتتلوا بها قتالا شديدا ثم هزمهم الله ثم التقوا بالكريون فاقتتلوا بها بضعة عشر يوما وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة وحامل اللواء يومئذ وردان

مولى عمرو وصلى عمرو يومئذ صلاة الخوف ثم فتح الله يومئذ على المسلمين وقتلوا منهم مقتلة
عظيمة واتبعوهم حتى بلغوا الاسكندرية فتحصن بها الروم وكانت عليهم حصون مبنية
لاترام حصن دون حصن فنزل المسلمون مابين حلوه الى قصر فارس الى ماوراء ذلك ومعهم
رؤساء القبط يمدونهم بما احتاجوا اليه من الاطعمة والعلوفة ورسل ملك الروم تختلف الى
الاسكندرية فى المراكب بمادة لروم وكان ملك الروم يقول لئن ظفرت العرب على الاسكندرية
ان ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم لانه ليس للروم كنائس اعظم من كنايس الاسكندرية
وانما كان عيد الروم حين غلبت العرب على الشام بالاسكندرية فقال الملك لئن غلبوا على
الاسكندرية لقد هلكت الروم وانقطع ملكها فامر بجهازه ومصلحته لخروجه الى الاسكندرية
حتى يباشر قتالها بنفسه اعظامالها وامر ان لايتخلف احد من الروم وقال مابقى للروم بعد
الاسكندرية حرمة فلما فرغ من جهازه صرعه الله فأماته وكفى الله المسلمين مؤنته وكان موته سنة تسع
عشرة وقال الليث بن سعد مات هرقل سنة عشرين فكسر الله بموته شوكة الروم فرجع كثير
ممن قد توجه الى الاسكندرية وانتشرت العرب عند ذلك والحت القتال على اهل الاسكندرية
فقاتلهم قتالا شديدا وحاصروا الاسكندرية تسعة اشهر بعد موت هرقل وخمسة قبل ذلك
وفتحت يوم الجمعة شهر المحرم سنة عشرين وقال ابن عبدالحكم أقام عمرو بن العاص محاصرا
الاسكندرية أشهرا ولما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ماابطأ بفتحها الالما
احدثوا وكتب الى عمرو بن العاص امابعد فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر انكم تقاتلونهم
منذ سنتين وماذاك الالما احدثتم واحببتم من الدنيا ماأحب عدوكم وان الله تبارك وتعالى
لاينصر قوما الابصدق نياتهم وقد كنت وجهت اليك أربعة نفر وأعلمتك ان الرجل منهم مقام
ألف رجل على ما كنت اعرف الاان يكون غيرهم ماغيرهم فاذا أتاك كتابى فاخطب الناس
وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم فى الصبر والنية وقدم أولئك الاربعة فى صدور الناس وهم
الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وأمر الناس جميعا
ان تكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فانها ساعة
تنزل الرحمة فيها ووقت الاجابة وليعج الناس الى الله ويسألوه النصر على عدوهم ففعلوا
ففتح الله عليهم قال ابن عبدالحكم حدثنى ابى قال لما أبطأ على عمرو بن العاص فتح الاسكندرية
استلقى على ظهره ثم جلس فقال انى فكرت فى هذا الامر فانه لايصلح آخره الامن اصلح اوله
يريد الانصار فدعا عبادة بن الصامت فعقدله ففتح الله على يديه الاسكندرية من يومهم ذلك
ثم روى ابن عبدالحكم عن الامام مالك ان ذلك كان سنة عشرين ولما هزم الله الروم وفتحت
الاسكندرية وهرب الروم فى البر والبحر خلف عمرو بن العاص بالاسكندرية الف رجل من
اصحابه ومضى عمرو ومن معه فى طلب من هرب من الروم فى البر ورجع من كان هرب من الروم
فى البحر الى الاسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين الامن هرب منهم وبلغ عمرو بن العاص
فكر راجعا ففتحها واقام بها وكتب الى عمر بن الخطاب ان الله قد فتح علينا الاسكندرية
عنوة بغير عقد ولاعهد فكتب اليه عمر بن الخطاب يأمره ان لايجاوزها ويقبح رأيه فى اتباعه
من هرب والذى قتلوا من المسلمين من حين حصار الاسكندرية الى ان فتحت عنوة اثنان

الحسنيون وهم أولاد سليمان ابن عبدالله بن موسى ويقال لسليمان الحرابى لشجاعته ويقال لبنيه الحرابيون
ومعهم حمزة بن وهاس بن
أبى الطيب داود بن
عبدالرحمن بن أبى الفاتك
عبدالله بن داود بن سليمان
ابن عبدالله الصالح بن موسى
الجون بن عبد الله المحض
بن الحسن المثنى بن الحسن
السبط بن على بن أبى طالب
رضى الله عنه فلاقاهم
محمد بن جعفر المذكور
وحاربهم فغلبوه ففر الى
ينبع فولى مكة) حمزة بن
وهاس) فجمع محمد بن
جعفر جموعا وقصد حمزة
ابن هاس وكانت بينهم
حروب حتى أخذ محمد بن
جعفر مكة من حمزة بن
وهاس وكان محمد بن جعفر
على غاية من القوة والشجاعة
كر فى بعض حروبه على
التركمانى فضربه بالسيف
فقطع درعه وجسده
والفرس حتى وصل السيف
الى الارض فبهت الجند
واستمر محمد بن جعفر الى أن
توفى سنة أربعمائة وأربع
وثمانين فولى مكة أيضا
(القاسم بن محمد بن جعفر)
كذا قال القاضى وقال غيره
القاسم بن شميل بن محمد بن
جعفر قال وهذا البطن يقال
لهم الهواشم ولم يزل
القاسم على مكة حتى هجم
الاصبهبد بن سار تكين فى
أوائل السنة المذكورة فهرب القاسم ولقام (الاصبهبد بمكة) الى شوال سنة أربعمائة وسبع وثمانين

(وعشرون)

وعشرون رجلا ولما فتحت بعث عمرو بن العاص معاوية بن خديج وافدا الى عمر بن الخطاب مبشرا له بالفتح فقال معاوية بن خديج لعمرو بن العاص الا تكتب معى كتابا فقال عمرو وما تصنع بالكتاب ألست رجلا عربيا تبلغ الرسالة وما رأيت وما حضرت فلما قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأخبره بفتح الاسكندرية خر عمر ساجدا وقال الحمد لله وقيل بل كتب عمرو بن العاص مع الرسول كتابا لعمر بن الخطاب وقال فيه أما بعد فانى فتحت مدينة لا اصف ما فيها غير أنى اصبت فيها أربعة آلاف منية وهى المكان الصلب المرتفع بأربعة آلاف حمام واربعين ألف يهودى واربعمائة ملهى للملوك قال ابن عبد الحكم لما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية وجد فيها اثنى عشر الف بقال يبيعون البقل الاخضر ورحل منها سبعون الف يهودى فى الليلة التى خافوا فيها دخول عمرو بن العاص قيل ان سبب فتح الاسكندرية ان رجلا كان يقال له ابن بسامه كان بوابا فسأل عمرو بن العاص ان يؤمنه على نفسه وارضه وأهل بيته ويفتح له الباب فأجابه عمرو الى ذلك ففتح له الباب فدخل وكان عدة من بالاسكندرية من الروم مائتى الف من الرجال فلحق بأرض الروم أهل القوة وركبوا السفن وكان بها سامائة مركب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون ألفا مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والأهل وبقى من بقى من الاسارى ممن بلغ الخراج فاحصى يومئذ ستمائة الف سوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو فى قسمتهم وكان أكثر الناس يريدون قسمتها فقال عمرو لا أقدر اقسمها حتى اكتب الى أمير المؤمنين فكتب اليه يعلمه بفتحها وشانها ويعلمه ان المسلمين طلبوا قسمتها فكتب اليه عمر لا تقسمها وذرهم يكون خراجهم فيئا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو واحصى أهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر صلحا كلها بفريضة دينارين دينارين على كل رجل لا يزاد على كل واحد فى جزية أكثر من دينارين الا أنه يلزم بقدر ما توسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم لأن الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة واخرج ابن عبد الحكم عن يزيد بن ابى حبيب قال كانت قرى من قرى مصر قاتلت ونقضوا فسبوا منها قرية يقال لها بلهيت وقرية يقال لها الخيس وقرية يقال لها سلطيس وقرطس وفرق سباياهم بالمدينة وغيرها فردهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى قراهم وصيرهم وجماعة القبط أهل الذمة واخرج عن يحيى ابن أيوب ان أهل سلطيس وحصبل وبلهيت ظاهروا الروم على المسلمين فى جمع كان لهم فلما ظهر عليهم المسلمون استحلوهم وقالوا هؤلاء لنا فيء مع الاسكندرية فكتب عمرو بن العاص بذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه ان يجعل الاسكندرية وهؤلاء الثلاث قريات ذمة للمسلمين ويضربون عليهم الخراج ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم ولا يجعلوا فيئا ولا عبيدا ففعلوا ذلك وأخرج ابن عبد الحكم عن هشام ابن ابى رقية اللخمى ان عمرو بن العاص رضى الله عنه لما فتح مصر قال لقبط مصر من كتمنى كنزا عنده فقدرت عليه قتلته وان قبطيا من أهل الصعيد يقال له بطرس ذكروا لعمرو أن عنده كنزا فارسل اليه فسأله فأنكر وجحد فحبسه فى السجن وعمرو يسأل عنه

الى أن توفى فى صفر سنة خمسمائة وثمان عشرة وقيل سبع عشرة وكان القاسم بن محمد هذا أديبا شاعرا لطيفا من شعره

قومى اذا خاضوا العجاج حسبتهم * ليلا وخلت وجوههم أقمارا *
لا يبخلون بزادهم عن جارهم * عدل الزمان عليهم أو جارا *
واذا الطراد دعاهم لملمة * بذلوا النفوس وفارقوا الاعمارا *
واذ ازناد الحرب أذكت نارها * قدحوا باطراف الاسنة نارا *

ولما توفى القاسم بن محمد ولى مكة بعده ابنه (فليتة بن القاسم) ويقال له أبو فليتة وكان أديبا فاضلا شاعرا واستمر الى أن توفى سنة خمسمائة وسبع وعشرين فولى مكة ابنه (هاشم بن فليتة) وفى سنة خمسمائة وتسع وثلاثين نهب هاشم بن فليتة الحج العراقى بالحرم الشريف وهم يطوفون لفتنة وقعت بينه وبين أمير الحج العراقى ودامت ولاية هاشم بن فليتة الى سنة خمسمائة وتسع وأربعين وقيل الى سنة خمسمائة واحدى وخمسين فتوفى فولى مكة ابنه (القاسم بن هاشم) وكان يلقب عمدة الدين وفى سنة خمسمائة وثلاث وخمسين وقعت

هل يسمعونه يسأل عن احد فقالوا لا انما سمعناه يسأل عن راهب في الطور فأرسل عمرو الى بطرس فنزع خاتمه من يده فكتب عمرو الى ذلك الراهب ان ابعث الى بما عندك وختمه بخاتم بطرس فجاءه رسوله بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوبا فيها مالكم تحت الفاسقية الكبيرة فارسل عمرو الى الفاسقية فحبس عنها الماء ثم قلع منها البلاط الذى تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا ذهبا مضروبة فضرب عمرو رأس بطرس عند باب المسجد فأخرج القبط كنوزهم شفقة ان يسعى على احد منهم فيقتل كما قتل بطرس ثم ذكر الجلال السيوطى في حسن المحاضرة اختلاف العلماء في ان مصر فتحت صلحا او عنوة فنقل عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب ان مصر كلها صلح الا الاسكندرية فانها فتحت عنوة ونقل عن عون بن حطان انه كان بقريات من مصر منهن ام دنين عهد واخرج عن يحيى بن ايوب وخالد بن حميد قال فتح الله ارض مصر كلها بصلح غير الاسكندرية وثلاث قريات ظاهروا الروم على المسلمين سلطيس وهصيل و بلهيت ونقل عن ابن هبيرة ان مصر فتحت عنوة وأخرج عن عبد الرحمن بن زياد قال سمعت أشياخنا يقولون ان مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد وأخرج عن ابى العالية انه سمع عمرو بن العاص رضى الله عنه يقول لقد قعدت مقعدى هذا وما لاحد من قبط مصر على عهد ولا عقد الا اهل انطابلس فان لهم عهدا يوفى لهم به وزاد في رواية عن ابن لهيعة ان عمرا قال ان شئت قتلت وان شئت خمست وان شئت بعت وفى رواية عن ربيعة بن عبد الرحمن بن عمرو بن العاص ان عمر بن الخطاب حبس درها وصرها ان يخرج منه شئ نظرا للاسلام واهله واخرج عن زيد ابن اسلم قال كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين احد ممن عاهده فلم يوجد فيه لاهل مصر عهد وأخرج عن الصلت بن ابى عاصم انه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح ان مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد وأخرج نحو ذلك عن ابى سلمة ابن عبد الرحمن وعراك بن مالك وسالم بن عبد الله بن عمر واخرج ابن عبد الحكم ومحمد بن الربيع الجيزى من طرق عن سفيان بن وهب الخولانى قال لما فتحنا مصر بغير عهد قام الزبير ابن العوام فقال يا عمرو اقسمها فقال عمرو بن العاص لا اقسمها فقال الزبير والله لتقسمنها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال عمرو لم اكن لاحدث حدثا حتى اكتب بذلك الى أمير المؤمنين فكتب اليه عمر بن الخطاب أقرها حتى يغدو منها حبل الحبلة يعنى ولد الولد وروى ابن عبد الحكم عن ابن شهاب قال كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة وبعضها عنوة فجعلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه جميعا ذمة وحملهم على ذلك فمضى ذلك فيهم الى اليوم قال القضاعى ان فتح مصر كان يوم الجمعة في شهر محرم سنة عشرين وانهم ساروا الى الاسكندرية في شهر ربيع الأول سنة عشرين وقيل في جماد الآخرة وان عمرو ابن العاص رضى الله عنه قفل من الاسكندرية بعد فتحها والمقام بها في ذى القعدة سنة عشرين وقال الليث بن سعد اقام عمرو بالاسكندرية في حصارها وفتحها ستة اشهر ثم انتقل الى الفسطاط فاتخذها دارا واخرج ابن عبد الحكم عن يزيد بن ابى حبيب ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبنائها هم ان يسكنها فكتب الى عمر بن الخطاب

ان القاسم لما فر من أمير العراق استولى على مكة عمه عيسى ولهذه الفتنة دخلت هزيل مكة ونهبوها وتعب الناس وفيها صادر القاسم ابن هاشم أعيان مكة والتجار والمجاورين وأخذ غالب أموالهم وهرب من مكة خوفا من أمير الحج ثم ان القاسم جمع جموعا ورجع فخرج عيسى من مكة فلكها القاسم وذلك سنة خمسمائة وسبع وخمسين واقام بها اياما يسيرة ثم قتل وسببه انه قتل قائدا من قواده فتغير عليه اصحابه وكاتبوا عمه عيسى فأقبل عليهم فهرب القاسم وطلع جبل أبى قبيس فسقط عن فرسه فاخذه بعض اصحاب عيسى فقتله فلما سمع بذلك عمه ندم وغسله ودفنه بالمعلا وفى تاريخ السنجارى نقلا عن الوقائع وفى ايام عيسى وقعت فتنة عظيمة بين عسكر عيسى بن فليتة وبين الحج العراقى فقتل من اهل مكة جماعة فأغار عيسى على الحج العراقى ونهبه ولم يتمكنوا من دخول مكة فنفروا مشاة وقد اخذوا جميع جمالهم واسبابهم وقتل من الفريقين خلق كثير واستمر عيسى ابن فليتة الى سنة خمسمائة وخمس وستين فنازعه اخوه مالك بن فليتة واستولى على مكة نحو

(رضى)

رضي الله عنه يستأذنه في ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ماء قال نعم يا أمير المؤمنين اذا جرى النيل فكتب عمر الى عمرو لا احب ان تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف فتحول عمرو من الاسكندرية الى الفسطاط وأخرج ابن عبد الحكم ايضا عن يزيد بن ابي حبيب ان عمر بن الخطاب كتب الى سعد بن ابي وقاص وهو نازل بمدائن كسرى والى عامله بالبصرة والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية ان لا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى اردت ان اركب اليكم راحلتي حتى اقدم اليكم قدمت فتحول سعد من مدائن كسرى الى الكوفة وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه فنزل البصرة وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط قال ابن عبد الحكم ان عمرو ابن العاص لما كان بمصر كان له فسطاط فلما اراد التوجه الى الاسكندرية أمر بنزع فسطاطه فاذا فيه يمام قد فرخ فقال لقد تحرم بنا فأمر به فاقره كما هو حتى يطير افراخ واوصى به صاحب القصر فلما قفل المسلمون من الاسكندرية قالوا اين ننزل قال الفسطاط يعني فسطاطه الذي خلفه وكان مضروبا في موضع الدار الذي يعرف اليوم بدار الحصا فلذلك سميت مصر الفسطاط قال القضاعي لما رجع عمرو بن العاص من الاسكندرية ونزل موضع الفسطاط انضمت القبائل بعضها الى بعض وتنافسوا في المواضع فولى عليهم امراء فكانوا هم الذين أنزلوا الناس وفصلوا بين القبائل وقال ابن قتيبة ان العرب تقول لكل مدينة فسطاط ولذلك قيل لمصر فسطاط قال ابن فضل الله في المسالك مسجد عمرو بن العاص مسجد عظيم بمدينة الفسطاط بناه عمرو موضع فسطاطه وما جاوره وموضع فسطاطه حيث المحراب والمنبر وبنى عمرو بن العاص دارا لعمر بن الخطاب وكتب له انا قد اختططنا لك دارا عند المسجد الجامع فكتب الى عمرو أني لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر وأمره ان يجعلها سوقا للمسلمين قال ابن لهيعة هي دار البركة فجعلت سوقا فكان يباع فيها الرقيق وبنى خارجة ابن حذافة غرفة عالية فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام عليك اما بعد فقد بلغني ان خارجة ابن حذافة بنى غرفة واراد ان يطلع على عورات جيرانه فاذا أتاك كتابي هذا فاهدمها ان شاء الله والسلام فلما جاء الكتاب هدمها وسأل المقوقس عمرو بن العاص ان يبيعه سفح الجبل المقطم بسبعين الف دينار فعجب عمرو من ذلك فكتب في ذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر سله لم اعطاك به ما اعطاك وهي لا تزرع وهي لا يستنبط بها ماء ولا ينتفع بها فسأله فقال انا لنجد صفتها في الكتب ان فيها غراس الجنة وفي رواية انا نجد في كتابنا ان ما بين هذا الجبل وحيث نزلتم ينبت فيه شجر الجنة فكتب بقوله الى عمر بن الخطاب فقال صدق فاجعلها مقبرة للمسلمين وفي رواية انا لا نعلم غراس الجنة الا للمؤمنين فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشيء فكان أول من دفن فيها رجل من مغافر يقال له عامر فقيل عمرت وروى عمرو بن العاص عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الارض فقال ابو بكر رضي الله عنه ولم يا رسول الله قال لانهم وأزواجهم في رباط الى يوم القيامة ثم قال عمرو بن العاص فاحمدوا الله

نصف يوم وجرى بين عسكره وعسكر أخيه فتنة الى وقت الزوال ثم خرج مالك وبقي عيسى ثم عاد مالك سنة سبع وخمسين وخمسمائة ومعه هذيل فخرج اليهم عسكر عيسى فانهزموا ودخل مالك جدة ونهب التجار وأخذ ما في الجلاب

(انقراض دولة العبيديين)

وفي سنة خمسمائة وسبع وستين كان انقراض دولة العبيديين بمصر وكان آخرهم العاضد وتفاصيل دولتهم مذكورة في التواريخ واستولى على مصر السلطان صلاح الدين الايوبي ودعا للعباسيين ولم يزل عيسى ابن فليتة الى أن توفي في سنة خمسمائة وسبعين وفي الحج من هذه السنة وقع بين عيسى قبل وفاته وبين أمير الحج العراقي مقاتلة بالزاهر ولما توفي عيسى بن فليتة ولي مكة بعده ابنه (داود بن عيسى) واستمر الى ليلة النصف من رجب سنة خمسمائة واحدى وسبعين فعزله الناصر العباسي فوليها أخوه (مكثر بن عيسى) واستمر الى الموسم ثم عزل وجرى بينه وبين طاشتكين أمير الحج العراقي حرب شديد كان الظفر فيه لطاشتكين وتحصن مكثر بحصن له على جبل أبي قبيس بعد نهب الحجاج وأخذ اموالهم فدخل طاشتكين مكة وأخرجه من الحصن قهرا فهرب

معاشر المسلمين على ما أولاكم ولما فتح عمرو مصر أتى اهلها اليه حين دخل بؤنه من اشهر العجم فقالوا له أيها الامير ان لنيلنا هذا سنة لايجرى الا بها فقال لهم وماذاك قالوا اذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل مايكون ثم ألقيناها فى هذا النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون فى الاسلام وان الاسلام يهدم ماقبله فأقاموا بؤنه وابيب ومسرى لايجرى النيل قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو كتب الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر قد أصبت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك بطاقة فألقها فى داخل النيل اذا أتاك كتابى فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الواحد القهار الذى يجريك فنسأل الواحد القهار ان يجريك فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ اهل مصر للجلاء والخروج منها لانه لايقوم بمصلحتهم فيها الا النيل فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا وقد زالت تلك السنة السوء عن اهل مصر وعن يزيد بن أبى حبيب ان موسى عليه السلام دعا على فرعون فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء حتى طلبوا موسى ان يدعو الله رجاء ان يؤمنوا فدعا الله فأصبحوا وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا فاستجاب الله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام

ذكر فتوحات العراق بعد مسير خالد بن الوليد الى الشام

لما أراد خالد بن الوليد المسير الى الشام بأمر أبى بكر رضى الله عنه أخذ معه بعض الجند كما تقدم واستخلف على من بقى بالعراق المثنى بن حارثة الشيبانى وهو صحابى من نسل ذهل بن شيبان وينتهى نسبه الى ربيعة بن نزار وفد المثنى على النبى صلى الله عليه وسلم سنة تسع مع وفد قومه وسيره ابو بكر الصديق رضى الله عنه فى صدر خلافته الى العراق قبل مسير خالد بن الوليد الى العراق وهو الذى أطمع ابابكر والمسلمين فى الفرس وهون أمر الفرس عندهم وكان شهما شجاعا ميمون النقيبة حسن الرأى أبلى فى قتال الفرس بلاء لم يبلغه احد وكان استخلاف خالد له على جيش العراق بأمر من ابى بكر رضى الله عنه فلما توجه خالد الى الشام واستخلفه على الجند أقام بالحيرة وذلك سنة ثلاث عشرة وكان الفرس قد هلك ملكهم كسرى كما تقدم ثم استقام أمرهم على تمليك شهر زاز بن ازدشير ابن شهريار بن سابور فوجه الى المثنى بن حارثة جيشا عظيما عليهم هرمز جاذويه فخرج المثنى من الحيرة نحوه فأقام ببابل فأقبل هرمز نحوه وكتب ملكهم كسرى الذى ملكوه عليهم الى المثنى كتابا انى قد بعثت اليكم جندا من وحش اهل فارس انما هم رعاء الدجاج والخنازير ولست اقاتلكم الا بهم فكتب اليه المثنى انما أنت احد رجلين اما باغ فذلك شر لك وخير لنا واما كاذب فأعظم الكاذبين عند الله فضيحة وعند الناس الملوك وأما الذى يدلنا عليه الرأى فانكم انما اضطررتم بهم فالحمد لله الذى رد كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير فجزع الفرس من كتابه فالتقى المثنى وهرمز ببابل فاقتتلوا قتالا شديدا وكان معهم فيل يفرق الناس فانتدب له المثنى ومعه

ونهبت مكة وأحرقت بها دور كثيرة فلما استقر الحال سلم طاشتكين البلد (للقاسم بن مهنا الحسينى) أمير المدينة فاستمر بمكة ثلاثة أيام فرأى عجزه عن القيام بامارة مكة فراجع فى ذلك طاشتكين فولى مكة (داود بن عيسى) السابق ذكره وأمر طاشتكين بهدم القلعة التى كانت على أبى قبيس ولم يوف أكثر الحجاج المناسك فى هذا العام

(ذكر آخر أمراء مكة الملقبين بالهواشم)

قال الفاسى بعد ذكر اعادة داود بن عيسى لامارة مكة ولا نعلم الى متى استمرت غير أنه كان يتداول هو وأخوه مكثر امارة مكة ثم انفرد بها مكثر بن عيسى نحو عشر سنين آخرها سنة سبع وتسعين وخمسمائة وهو آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم غير ان الآخر هل هى ولايته أو ولاية أخيه داود على الشك والصحيح انها ولاية مكثر بن عيسى وفى أيام مكثر بن عيسى أبطل السلطان صلاح الدين الايوبى صاحب مصر المكس المأخوذ من الحجاج فى البحر على طريق عيذاب وكان من لم يؤد بعيذاب يؤخذ منه بجدة وهو سبعة دنانير مصرية على كل انسان وكان يأخذ ذلك أمير مكة وكان سبب ابطاله ان الشيخ علوان الاسدى الحلبى حج فلما وصل الى جدة طولب بذلك فأبى أن يسلم لهم شيأ وأراد (ناس)

ناس فقتلوه وانهزم الفرس وتبعهم المسلمون الى المدائن يقتلونهم ومات ملكهم كسرى شهرزان لما انهزم هرمز واختلف الفرس وبقي مادون دجلة بيد المثنى ثم اجتمعت الفرس وملكوا دخت زنان ابنة كسرى فلم ينفذ لها امر فخلعوها وملكوا سابور بن شهرزان وقام بتدبير أمره الفرخزاد بن لينذوان فقتل وثارت بينهم فتنة وحصروا الملك سابور ثم قتلوه وملكوا ازرميد اخت بنت كسرى وتشاغلوا بتلك الفتنة وابطأ على المثنى خبر أبي بكر رضي الله عنه واستخلف على المسلمين بشير بن الخصاصية وهو صحابي من نسل سدوس ابن شيبان والخصاصية جدته نسب اليها وهي من الازد وأبوه يزيد بن سعيد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد الازد وكان اسمه زحما فسماه النبي صلى الله عليه وسلم بشيرا وكان سير المثنى الى أبي بكر رضي الله عنهما ليخبره خبر المشركين ويستأذنه في الاستعانة بمن حسنت توبته من المرتدين فانهم أنشط الى القتال من غيرهم فقدم المدينة وأبوبكر رضي الله عنه مريض قد أشفى فأخبره الخبر فاستدعى عمر وقال انى لارجوا ان اموت يومي هذا فاذا أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ولا تشغلنكم مصيبة عن امر دينكم ووصية ربكم فقد رأيتني متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وماصنعت وما اصيب الخلق بمثله واذا فتح الله على اهل الشام فاردد أهل العراق الى العراق فانهم أهله وولاة أمره وأهل الجرأة عليهم ومات أبوبكر رضي الله عنه ليلا فدفنه عمر رضي الله عنه وندب الناس مع المثنى وكان الانتداب الى فارس أثقل الوجوه على المسلمين وأكرهها اليهم لشدة سلطانهم وقوة شوكتهم وقهرهم الامم فكان عمر رضي الله عنه يبايع الناس ثلاثة ايام وفي الرابع ندب الناس الى العراق فكان اول منتدب به ابو عبيد بن مسعود الثقفي وهو صحابي أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهو والد المختار وانتدب ايضا سعد بن عبيد الانصاري وسليط بن قيس الانصاري وكانا ممن شهد بدرا وتتابع الناس وتكلم المثنى فقال ايها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه فانا قد فتحنا ريف فارس وغلبناهم على خير شقي السواد ونلنا منهم واجترأنا عليهم ولنا ان شاء الله مابعدها فاجتمع الناس فقيل لعمر أمر عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين والانصار قال لا والله لا افعل وانما رفعهم الله بسبقهم ومسارعتهم الى العدو فاذا فعل فعلهم قوم وتثاقلوا كان الذين ينفرون خفافا وثقالا ويسبقون الى الرفع أولى بالرياسة فهم والله لا أؤمر عليهم الا اولهم انتدابا ثم دعا أباعبيد وسعدا وسليطا وقال لهما لو سبقتماه لوليتكما ولادركتما بها مالكما من السابقة فأمر أباعبيد وقال له اسمع من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشركهم في الامر ولا يمنعني ان أؤمر سليطا الا سرعته الى الحرب وفي التسرع الى الحرب ضياع الاعراب فانه لا يصلحها الا الرجل المكيث وواصاه بجنده فكان بعث ابي عبيد اول جيش سيره عمر رضي الله عنه ثم بعده سير يعلى بن امية الى اليمن وأمره باجلاء اهل نجران بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لا يجتمع بجزيرة العرب دينان واعتذر عمر في عزله المثنى عن الامارة بقوله انى لم أعزله وخالد بن الوليد عن ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت ان يوكلوا اليهما فأحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع وان لا يكونوا بعرض فتنة

الرجوع فلاطفوه وبعثوا الى صاحب مكة وكان الشريف مكثر بن عيسى فأمر باطلاقه ومساعحته فلما طلع الى مكة اجتمع به واعتذر اليه بأن مدخول مكة لا يفي بمصالحنا وهذا الحامل لنا على هذا فكتب الشيخ علوان الى السلطان صلاح الدين وذكر له حاجة أمير مكة وعرفه ان البلد ضعيفة وانها ماتدخل مايكفيه وان ذلك هو الذي حمله على هذه البدعة الشنيعة فأنعم عليه مولانا السلطان صلاح الدين بثمانية آلاف أردب قمح وقيل بألفي دينار وألفي أردب قمح وأمره بترك هذه المظلمة جزاه الله خيرا وكان الخطيب يدعو في خطبته للخليفة العباسي ثم لمكثر ثم للسلطان صلاح الدين

(ذكر من مات في جوف الكعبة من الزحام)

وفي سنة خمسمائة واحدى وثمانين مات في جوف الكعبة من الزحام أربعة وثمانون نفسا وفي سنة خمسمائة وخمس وثمانين أخذ داود بن عيسى بن فليتة طوق الحجر الاسود وكان من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبعة وتسعون درهما فلما قدم الحاج عزل داود أمير الحج وولى أخاه مكثر وهرب داود الى وادي نخلة ومات هنالك وبه ينتفي الشك السابق ويعلم ان انتهاء دولتهم كان في ولاية مكثر وفي سنة خمسمائة واثنتين وتسعين عند خروج

﴿ ذكر خبر النمارق ﴾

فسار أبو عبيد الثقفي وسعد بن عبيد وسليط بن قيس الانصاريان ومن معهم والمثنى بن حارثة وأمره عمر بالتقدم الى ان يقوم عليه أصحابه وأمرهم باستنفار من حسن اسلامه من أهل الردة ففعلوا ذلك وسار المثنى فقدم الحيرة وكان الفرس تشاغلوا عن المسلمين بما وقع بينهم ثم ملكوا عليهم بوران بنت كسرى بشرط ان تملك رستم بن الفرخزاد عشر سنين ثم يكون الملك في آل كسرى ان وجدوا من غلمانهم والا ففي نسائهم فدعت بوران مرازبة فارس وأمرتهم ان يسمعوا لرستم ويطيعوا وتوجته فدانت له فارس قبل قدوم ابي عبيد ثم قدم المثنى الى الحيرة في عشر وقدم بعده ابو عبيد بشهر فكتب رستم الى الدهاقين ان يثوروا بالمسلمين وبعث في كل رستاق رجلا يثور باهله ووعدهم يوما وبعث جندا لمصادمة المثنى وبلغ المثنى الخبر فعجل فخرج من الحيرة ونزل خفان ونزل جيش الفرس النمارق فسار اليه ابو عبيد واقتتلوا بالنمارق قتالا شديدا فهزم الله أهل فارس واسر رئيس جيشهم واسمه جابان ولحق المنهزمون بكسكر وبها نرسي بن خالة الملك فسار اليهم أبو عبيد واقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزم الفرس وهرب نرسي وغلب المسلمون على عسكره وارضه وجمعوا الغنائم ولما بلغ بوران ورستم هزيمة جابان بعث الجالينوس بجيش فنزل بباقشياثا فسار اليه ابو عبيد فهزمه وهرب الجالينوس وغلب ابو عبيد على تلك البلاد ثم ارتحل حتى قدم الحيرة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لابي عبيد انك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية تقدم على قوم تجرؤا على الشر فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تكون واحذر لسانك ولا تفشين سرك فان صاحب السر مايضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه واذا ضيعه كان بمضيعة فكان ابو عبيد شديد الحذر والتحفظ حسن التدبير محافظا على ما أوصاه به عمر رضي الله عنه

﴿ ذكر وقعة قس الناطف ويقال لها الجسر واستشهاد ابي عبيد رضي الله عنه ﴾

ولما رجع الجالينوس الى رستم منهزما ومن معه من جنده قال رستم أي العجم اشد على العرب قالوا بهمن جاذويه المعروف بذي الحاجب فوجهه ومعه فيله ورد الجالينوس معه وقال لبهمن ان انهزم الجالينوس ثانية فاضرب عنقه فأقبل بهمن جاذويه فنزل بقس الناطف وأقبل ابو عبيد فنزل بالمروحة فرأت دومة امرأة ابي عبيد في منامها ان رجلا نزل من السماء باناء فيه شراب فشرب ابو عبيد ومعه نفر فأخبرت بها أبا عبيد فقال هذه الشهادة ان شاء الله تعالى وعهد الى الناس فقال ان قتلت فعلى الناس فلان فان قتل فعليهم فلان حتى أمر الذين شربوا من الاناء وكلهم من قومه ثقيف ثم قال فان قتل فلان فعلى الناس المثنى بن حارثة ثم عبر على الجسر بجيوشه الى قس الناطف فالتقى مع بهمن وجيوشه واقتتلوا قتالا شديدا واشتد الامر بالمسلمين فترجل ابو عبيد والناس ثم مشوا اليهم ثم صافحوهم بالسيوف فجعلت الفيلة لاتحمل على جماعة الادفعتهم فنادى ابو عبيد احتوشوا الفيلة وقطعوا بطانها واقلبوا عنها اهلها ووثب هو على الفيل الابيض فقطع بطانه ووقع الذي

اليماني من الكعبة الشريفة وقال أبو شامة في ذيل الروضتين في سنة اثنين وتسعين وخمسمائة وقع من الركن قطعة وتحرك البيت الشريف مرارا وهذا شيء لم يعهد وفي سنة خمسمائة وسبع وتسعين وقيل ثمان وتسعين وقيل تسع وتسعين انتزع مكة من مكثر (الشريف قتادة بن ادريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد الثائر بن موسى بن عبد الله ابن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه) والشريف قتادة هذا هو جد سادات الاشراف ملوك مكة الى الآن خلد الله ملكهم الى آخر الزمان وبه انقرضت دولة بني فليتة الهواشم وكان الشريف قتادة يكنى أبا عزيز وهو أول من ملك مكة المشرفة من هذا الفخذ الشريف وكان ذا بأس ونجدة وشوكة فجمع بني عمه وأركبهم الخيل قبل أن يملك مكة وحارب الاشراف بني حراب من أولاد عبدالله المحض بن الحسن المثنى ثم استأنف منهم جماعة فصاروا معه وملك ينبع والصفراء

عليه وفعل القوم مثل ذلك فما تركوا فيلا الا حطوا رحله وقتلوا اصحابه وأهوى الفيل لأبي عبيد فضربه ابو عبيد بالسيف وخبطه الفيل بيده فوقع فوطئه الفيل وقام عليه فلما بصربه الناس تحت الفيل خشعت أنفس بعضهم ثم أخذ اللواء الذي أمر به بعده فقاتل الفيل حتى تنحى عن ابي عبيد فأخذه المسلمون فأحرزوه ثم قتل الفيل الأمير الذي بعد ابي عبيد وتتابع سبعة نفس من ثقيف كلهم يأخذ اللواء ويقاتل حتى يموت ثم أخذ اللواء المثنى بن حارثة فهرب عنه الناس فلما رأى عبدالله بن مرثد الثقفي مالقي ابو عبيد ومايصنع الناس بادرهم الى الجسر فقطعه وقال أيها الناس موتوا على ما مات عليه امراؤكم أو تظفروا وحاز المشركون المسلمين الى الجسر فتواثب بعضهم الى الفرات فغرق من لم يصبر وأسرعوا فيمن صبر وحمى المثنى وفرسان من المسلمين الناس وقال انا دونكم فاعبروا على هينتكم ولا تدهشوا ولا تغرقوا أنفسكم وقاتل عروة ابن زيد الخيل وابو محجن الثقفي قتالا شديدا وقاتل ابو زبيد الطائي قتالا شديدا حمية للعرب وكان نصرانيا قدم الحيرة لبعض أمره ونادى المثنى من عبر نجا وأمر بعقد الجسر فعبر الناس وكان آخر من قتل سليط بن قيس وعبر المثنى فلما عبر ارفض عنه أهل المدينة وبقي المثنى في قلة وكان قد جرح واثبت فيه حلق من درعه وكان جملة من مات من المسلمين أربعة آلاف بين قتيل وغريق وقتل من الفرس ستة آلاف وأراد بهمن جاذويه العبور خلف المسلمين فأتاه الخبر باختلاف الفرس وأنهم قد ثاروا برستم ونقضوا الذي بينهم وبينه وأنهم صاروا فريقين الفهلوج على رستم وأهل فارس على الفيرزان فرجع بهمن الى المدائن

ذكر وقعة البويب

لما بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقعة ابي عبيد بالجسر ندب الناس الى المثنى وكان ممن ندب بجيلة وامرهم الى جرير بن عبدالله البجلي فاجتمع كثير منهم فأمرهم عمر بالتوجه الى العراق فأبوا الا الشام فعزم عليهم عمر التوجه الى العراق وينفلهم ربع الخمس فأجابوا وسيرهم الى المثنى وكتب الى اهل الردة فلم يأته احد الا بعثه الى المثنى وبعث المثنى الرسل فيمن يليه من العرب فتوافوا اليه في جمع عظيم وجاءه انس بن هلال النمري في جمع عظيم من النمر نصارى وقالوا نقاتل مع قومنا وبلغ الخبر رستم والفيرزان فجمعوا جموعهم من وراء الفرات واجتمع المسلمون بالبويب وكان على جيش الفرس مهران الهمداني فأرسل الى المثنى يقول اما ان تعبر الينا واما ان نعبر اليك فقال المثنى اعبروا فعبر مهران فنزل على شاطئ الفرات وعبى المثنى اصحابه وكان في رمضان فأمرهم بالافطار ليقووا على عدوهم فأفطروا واقبل الفرس في ثلاثة صفوف مع كل صف فيل ولهم زجل فقال المثنى لاصحابه ان الذي تسمعون فشل فالزموا الصمت ودنوا من المسلمين وطاف المثنى في صفوفه يحرضهم وقال اني مكبر ثلاثا فتهيؤا ثم احملوا في الرابعة فلما كبر اول تكبيرة عجلتهم فارس وخالطوهم فلما طال القتال واشتد قال المثنى لانس بن هلال النمري انك امرؤ عربي وان لم تكن على ديننا فاذا حملت على مهران فاحمل معي فأجابه فحمل المثنى على مهران فأزاله حتى دخل

وسبب طمعه في مملكة مكة ما بلغه من عكوف أمرائها الهواشم بني فليتة على اللهو وتبسطهم في الظلم واعراضهم عن العدل اغترارا منهم بما هم فيه من العز والعنف لرعاياهم فتوحش لذلك خواطر جماعة من قوادهم ولما عرف ذلك قتادة منهم اليه وسألهم المساعدة على ما يرومه من الاستيلاء على مكة وبعثه على السير اليها ان بعض الناس فزع اليه مستغيثا به في ظلامة ظلمها بمكة فوعده بالنصر وتجهز في جماعة من قومه فما شعر أهل مكة الا وهو معهم بها وولاتها على ماهم عليه من اللهو والانهماك فلم يكن لهم بمقاومته طاقة فملكها دونهم وقيل انه لم يأت اليها بنفسه في ابتداء ملكه لها وانما أرسل اليها ابنه حنظلة فملكها وأخرج منها مكثر بن عيسى بن فليتة وقاتل حنظلة ابن قتادة ولم يحصل لحنظلة ظفر وتم البلاد لقتادة فجاء اليها قتادة بنفسه بعد ولده حنظلة سنة ستمائة وواحدة وعلى القول الاول قالوا ان قتادة دخل مكة بغتة يوم السابع والعشرين من رجب وكانت ملوك مكة تخرج في مثل ذلك اليوم الى التنعيم تعتمر مع غالب أهل مكة اتباعا لعبد الله بن الزبير في اعتماره في مثل هذه الليلة فدخل الشريف قتادة من أعلى مكة فرجع الشريف مكثر وجماعته فحاربوهم وكان الظفر له عليهم فهربوا الى وادي نخلة قال الشيخ أحمد بن الفضل باكثير

في ميمنته ثم خالطوهم واجتمع القلبان وارتفع الغبار والمجنبتان تقتتل ولا يستطيعون ان يفزعوا لنصر أميرهم لا المسلمون ولا المشركون وأفنى المثنى قلب المشركين فلما رأوه قد ازال القلب وثب مجنبتا المسلمين على مجنبتي المشركين وجعلوا يردون الاعاجم على ادبارهم حتى هزموا الفرس وسبقهم المثنى الى الجسر وأخذ طريق الاعاجم فافترقوا مصعدين ومنحدرين وأخذتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جثثا بقيت عظام القتلى دهرا طويلا وكانوا يحرزون القتلى مائة الف وسمى ذلك اليوم الاعشار احصى مائة رجل من المسلمين قتل كل رجل منهم عشرة من الفرس وتبعهم المسلمون الى الليل ومن الغد الى الليل وغنم المسلمون غنائم كثيرة واعطى بجيلة ربع الخمس كما شرط لهم عمر رضي الله عنه

✤ ذكر خبر الخنافس وسوق بغداد ✤

سوق الخنافس يجتمع بها تجار مدائن كسرى والسواد وقضاعة وربيعة يخفرونهم فركب المثنى واغار على الخنافس يوم سوقها فانتهب السوق وما فيها وسلب الخضراء ثم رجع الى الانبار فتحصن اهلها منه فلما عرفوه نزلوا اليه وأتوه بالاعلاق والزاد وأخذ منهم الادلاء على سوق بغداد وهو موضع المدينة التي اختطها المنصور فيما بعد وصبحهم في اسواقهم فوضع السيف فيهم وأخذ ما شاء ثم رجع الى الانبار وشن الغارات بخيول اصحابه على الاطراف وبعث خيلا على احياء تغلب بصفين فأغاروا عليهم وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية واستاقوا الاموال واغاروا على قوم من تغلب والنمر بشاطئ دجلة ففروا وأدركوهم بتكريت فأصابوا ما شاؤا من النعم

✤ ذكر الخبر الذي هيج أمر القادسية وتملك يزدجر ✤

لما رأى اهل فارس ما يفعل المسلمون بالسواد قالوا لرستم والفيرزان وهما على اهل فارس لم يبرح بكما الاختلاف حتى رهنتما اهل فارس واطمعتما فيهم عدوهم ولم يبلغ من امركما ان نقركما على هذا الرأي وان تعرضاها للهلكة ما بعد بغداد وساباط وتكريت الا المداين والله لتجتمعان او لنبدأن بكما ثم نهلك وقد اشتفينا منكما ولم يبق من ولد كسرى من الذكور الا غلام عمره احد وعشرون سنة يدعى يزدجر فملكوه واجتمعوا عليه فاطمأنت فارس واستوثقوا وتبارى المرازبة في طاعته ومعونته فجندوا جنودا كثيرة فبلغ ذلك المثنى والمسلمين فكتبوا الى عمر بن الخطاب ثم بلغهم ان اهل السواد كفروا وصار من له عهد كمن لا عهد له فلما وصل الكتاب الى عمر رضي الله عنه قال والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب فلم يدع رأسا ولا ذا رأي وشرف وبسطة ولا خطيبا ولا شاعرا الا رماهم به فرماهم بوجوه الناس وغررهم وكتب عمر الى المثنى ومن معه يأمره بالخروج من بين العجم والتفرق في المياه التي تلي العجم وان لا يدعوا في ربيعة ومضر وحلفائهم احدا من اهل النجدات ولا فارسا الا احضروه اما طوعا او كرها ففعلوا ذلك وكان ذلك في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وارسل عمر في الحجة عند مخرجه الى الحج الى عماله على العرب ان لا يدعوا من له نجدة او فرس او سلاح او رأي الا وجهوه اليه فاما من كان على النصف ما بين المدينة والعراق فجاء اليه بالمدينة لما عاد من الحج واما من كان

ووقع حرب أيضا بين الشريف قتادة وصاحب المدينة الشريف سالم بن قاسم الحسيني وفي ذلك يقول الشريف قتادة (مصارع آل المصطفى عدن مثل ما * بدأن ولكن صرن بين الاقارب) ثم حارب ثقيفا وأهل الطائف وتملك البلاد منهم واتسع ملكه واتسعت ولايته من بلاد اليمن الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وعظم شأنه جدا وصار له صيت في العرب لم يكن لغيره وكان فاضلا أديبا شاعرا وله الشعر البليغ وكانت ولادته في حدود سنة سبع وعشرين وخمسمائة وتوفي بمكة سنة سبع عشرة وستمائة في سن التسعين ولقتادة شعر بليغ يشهد بنبله وتسموا الهمم العلية لمثله وذلك ان الخليفة الناصر العباسي طلب الشريف قتادة يأتيه ببغداد فسار متوجها اليه الى ان وصل النجف وبلغ الخليفة وصوله فأخرج لملاقاته العلماء والاعيان وكبراء الدولة وكان مما أخرجوا معهم أسد في سلسلة فلما رآه الشريف قتادة تطير وقال مالي ولارض تذل فيها الاسود والله لادخلتها ورجع من النجف ولم يدخل العراق فلما بلغ ذلك الناصر كتب اليه يعاتبه فكتب اليه الشريف قتادة الجواب ومن جملة قوله (بلادي وان جارت على عزيزة * (أقرب)

أقرب الى العراق فانضم الى المثنى بن حارثة وجاءت امداد العرب الى عمرو لما اجتمع الناس استخلف على المدينة عليا رضى الله عنه وخرج من المدينة حتى نزل على ماء يدعى ضرار فعسكر به فى ابتداء سنة اربع عشرة ولا يدرى الناس ماذا يريد ايسير ام يقيم فسأله عثمان عن سبب حركته فأحضر الناس فأعلمهم الخبر واستشارهم فى المسير الى العراق فقال العامة سر وسر بنا معك فدخل معهم فى رأيهم وقال اغدوا واستعدوا فانى سائر الا ان يجئ رأى هو أمثل من هذا ثم جمع وجوه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وارسل يطلب حضور على رضى الله عنه من المدينة فحضر فاجتمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن ابن عوف ثم استشارهم فاتفقوا على ان يبعث رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرميه بالجنود فان كان الذى يشتهى فهو الفتح والا أعاد رجلا وبعث آخر ففى ذلك غيظ العدو فجمع عمر بقية الناس وقال لهم انى كنت عزمت على المسير حتى صرفنى ذووا الرأى منكم وقد رأيت انى اقيم وأبعث رجلا فأشيروا على برجل وكان سعد بن ابى وقاص بعثه لصدقات هوازن وكتب اليه بانتخاب ذوى الرأى والنجدة والسلاح فجاءه كتابه وعمر يستشير الناس فيمن يبعثه يقول سعد فى كتابه قد انتخبت لك الف فارس كلهم ذو نجدة ورأى وصاحب حيطة يحفظ حريم قومه اليهم انتهت أحسابهم ورأيهم فلما وصل كتابه لعمر قالوا له قد وجدته يا أمير المؤمنين قال من هو قالوا سعد بن مالك وهو سعد بن ابى وقاص فانتهى الى قولهم فأرسل اليه وطلبه وأقره على حرب العراق وأوصاه بوصايا كثيرة وسرحه فيمن اجتمع اليه من نفر المسلمين وهم اربعة آلاف ثم أمده بألفين من أهل اليمن وألفين من اهل نجد وكان المثنى فى ثمانية آلاف وكان سعد بن ابى وقاص من بنى زهرة ابن كلاب وهم رهط آمنة ام النبي صلى الله عليه وسلم فهو سعد بن مالك ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وآمنة ام النبي صلى الله عليه وسلم بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب فيلتقى نسبه مع آمنة فى عبد مناف بن زهرة ومع النبي صلى الله عليه وسلم فى كلاب ابن مرة وكان سعد رضى الله عنه من السابقين فى الاسلام ومن العشرة المبشرين بالجنة ومن الشجعان المشهورين وهو أول من أراق دما فى سبيل الله وأول من رمى بسهم فى سبيل الله وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبلى يوم أحد بلاء عظيما وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض وشهد له بالجنة ودعا له ان الله يجيب دعوته فكان مجاب الدعوة ومناقبه كثيرة رضى الله عنه وبه فتح الله العراق ولما طعن عمر رضى الله عنه جعله من الستة اصحاب الشورى المستحقين للخلافة ومما أوصاه به عمر رضى الله عنه لما جعله أميرا على جيوش العراق أنه قال لا يغرنك من الله ان قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمحو بالسيئ السيئ ولكنه يمحو السيئ بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب الا طاعته فالناس فى ذات الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الامر الذى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه ووصاه بالصبر وسار سعد والمثنى قبله

(معودة لثم الملوك لظهرها * وفى بطنها للمجدبين ربيع)
(أأتركها تحت الرهان وأبتغى * بها بدلا انى اذا لرقيع)
(وما أنا الا المسك فى أرض غيركم * أضوع وأما عندكم فأضيع

قيل لما جاءه كتاب الناصر المشتمل على العتاب فى رجوعه أرسل له الناصر معه مال وكسوة فاخرة ولم يظهر له التعتب عما جرى من فعله وجعل الامير الذى جاء بالكتاب يستدرجه ويخدعه ويحثه على التوجه للقاء الخليفة ويقول له ليس كمال الخدمة الا تقبيل العتبة ولا عز الدنيا والآخرة الا نيل هذه المرتبة فقال له الشريف قتادة أنظر فى ذلك ثم جمع بنى عمه وعرفهم ان ذلك استدراج لهم وقال لهم يا بنى الزهراء عزكم الى آخر الدهر مجاورة هذه البنية والاجتماع فى بطحائها واعتمدوا بعد اليوم ان تعاملوا هؤلاء بالشر رهبوكم من طريق الدنيا والآخرة ولا يرغبونكم بالمال والعدد فان الله قد عصمكم وعصم أرضكم بانقطاعها وانها لا تبلغ الا بشق الانفس ثم غدا الشريف على الامير وقال له اسمع الجواب وأنشده الابيات المتقدمة فقال لا مبريا شريف

وصار ينتظر قدومه فمات المثنى قبل قدوم سعد من جراحات كانت به انتقضت عليه ولما
وصل سعد رتب الجيوش ولم يزل عمر رضي الله عنه يمده بالرجال حتى استكمل عنده ستة
وثلاثون الفا واوصى المثنى قبل موته أخاه المعنى بن حارثة ان يبلغ سعد اذا قدم ان يقاتلوا
الفرس على حدود أرضهم على ادنى حجر من أرض العرب ولا يقاتلوهم في قعر دارهم فان
يظهر الله المسلمين فلهم ماوراءهم وان كانت الاخرى رجعوا الى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم
واجرأ على أرضهم الى ان يرد الله الكرة عليهم فلما بلغ سعدا ذلك ترحم على المثنى ومن معه
وكان مع سعد تسعة وتسعون من أهل بدر وثلثمائة وبضعة عشر ممن كانت لهم صحبة فيما بين
بيعة الرضوان الى مافوق ذلك وثلاثمائة ممن شهدوا فتح مكة وسبعمائة من ابناء الصحابة وقدم
على سعد كتاب عمر بمثل رأى المثنى روى الطبراني ان عمر رضي الله عنه كتب الى سعد بن ابي
وقاص قد وجهت اليك أو امددتك بألفي رجل عمرو بن معدي كرب وطليحة بن خويلد
فشاورهما في الحرب ولا تولهما واذا قال ولا تولهما لما يعلم فيهما من شدة الاقدام بالعسكر وعدم
التأني وكان كل منهما يعد بألف فارس لشجاعتهما وشدتهما وسيأتي ذكر شئ مما كان
منهما مما يدل على ذلك وكان ملك العرب عامل كسرى بالحيرة قبيصة بن اياس الطائي فلما سمع
بمجئ سعد سأل عنه وعنده عبدالله بن سنان الاسدي فأخبره أن سعدا رجل من قريش فقال
قبيصة والله لا جاد به القتال فان قريشا عبيد من غلب والله لايخرجون من بلادهم الا بخفير فغضب
عبدالله بن سنان من قوله وأمهله حتى دخل قبته فقتله ولحق بسعد فأسلم وسار سعد بالجيوش
حتى نزل القادسية وهي قريب من موضع الكوفة وكتب عمر بن الخطاب لسعد رضي الله
عنهما انكم اذا لقيتم العدو وهزمتموهم فتى لاعب أحد منكم أحدا من العجم بامان او باشارة
أو بلسان كان عندهم امانا فاجروا لهم ذلك مجرى الامان والوفاء فان الخطأ بالوفا بقية وان
الخطا بالغدر هلكة فيها وهنكم وقوة عدوكم وكان سعد قد جعل على مقدمة جيشه زهرة بن
عبدالله بن قتادة بن الحوية التميمي وهو صحابي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم واسلم فلما
نزل زهرة في المقدمة وأمسى بعث سرية في ثلاثين معروفين بالنجدة وأمرهم بالغارة على
الحيرة فلما جاوزوا السيلحين سمعوا جلبة فكثوا حتى حاذوهم واذا اخت ازاذمرد بن ازاذ
به مرزبان الحيرة تزف الى صاحب الصنين وهو من اشراف العجم فحمل بكير بن عبدالله
الليثي أمير السرية على شيرزاد بن ازاذبه فدق صلبه وطارت الخيل على وجوهها وأخذوا
الاثقال وآنية ازاذبه في ثلاثين أمرأة من الدهاقين ومائة من التوابع ومعهم مالايدرى
قيمته فاستاق ذلك ورجع به وأتى به سعدا فقسم ذلك على المسلمين ومكث سعد بالقادسية
شهرا لم يأته أحد من الفرس وخيله تغير بالاطراف وتأتي بغنائم كثيرة حتى اخصب
المسلمون ووصف بعض من كان مع سعد قوم سعد الذين كانوا معه في الجيش للحجاج بن
يوسف بقوله مارأيت قط أزهد في دنيا منهم ولا أشد بغضا لها وكانوا ابرارا أتقياء ليس
فيهم جبان ولا غدار فاستغاث أهل السواد الى يزدجرد وأعلموه ان العرب قد نزلوا القادسية
ولا يبقى على فعلهم شئ وقد اخربوا مابينهم وبين الفرات ونهبوا الدواب والاطعمة وان
ابطأ الغياث اعطيناهم بأيدينا وكتب له بذلك الذين لهم الضياع وهيجوه على ارسال الجنود

الامور التي في الكتب
ماعلمت ولكن قد
رأيت ان هذا من شرف
العرب الذين يسكنون
البوادي وحاشا الله أن
أحل هذه الابيات عنك
الى الديوان ما كون قد
جنيت على بيت الله وعلى
النبي صلى الله عليه
وسلم وبني بنته رضي الله
عنها والله لو بلغ هذا الى
حيث أشرت يعني الخليفة
لترك كل وجه وحول
جميع الوجوه اليك حتى
يغرى منك مالهذا ضرورة
انه ان كان خطر ببالك
انهم استدعوك فلا تسر
اليهم وقل جميلا فأصغى
اليه الشريف قتادة وشكر
رأيه ثم قال ما الرأي عندك قال
الرأي عندي أن ترسل من
أولادك من ان وقع عليه
شئ مايهمك ولا يقع ان
شاء الله ومعاذ الله أن يجرى
الا ماتحبه وسترى ان شاء
الله من الخير مالا يخفى عنك
فأعجبه قوله وفعل فبعث
ابنه راجحا ومعه أشياخ
من الاشراف فدخلوا بغداد
واجتمعوا بالخليفة الناصر
وقابلهم بالاعزاز والاكرام
وأنزلهم أشرف الاماكن
ثم عادوا الى مكة وكان

الشريف قتادة عند ذكر هذه القضية يقول لمن الله أول رأى عند الغضب ولا أعدمنا عاقلا (فأرسل)

فارسل يزدجرد الى رستم وقال له انى اريد ان اوجهك فى هذا الوجه فانت رجل فارس اليوم وقد ترى ما حل بالفرس مما لم يأتهم مثله فاظهر له الاجابة ثم قال له دعنى فان العرب لا تزال تهاب العجم مالم تضر بهم بى ولعل الدولة ان تثبت بى اذا لم احضر الحرب فيكون الله قد كفى ونكون قد اصبنا المكيدة والرأى فى الحرب انفع من بعض الظفر والاناة خير من العجلة وقتال جيش بعد جيش أمثل من هزيمة بمرة واشد على عدونا فأبى عليه وأعاد رستم كلامه وقال قد اضطر فى تضييع الرأى الى اعظام نفسى وتزكيتها ولو اجد من ذلك بدا لم اتكلم به فانشدك الله فى نفسك وملكك ودعنى اقم بعسكرى واسرح الجالينوس فان تكن لنا فذلك والا بعثنا غيره حتى اذا لم نجد بدا صبرنا لهم وقد وهناهم ونحن حامون فانى لا ازال مرجوا فى اهل فارس مالم اهزم فأبى الا ان يسير فخرج حتى ضرب عسكره بساباط وعلى مقدمته الجالينوس فى اربعين الفا وخرج هو فى ستين الفا وفى ساقته عشرون الفا وجاءت الاخبار الى سعد بذلك فكتب الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر لا يكربنك ما يأتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه وابعث اليه رجالا من اهل المناظرة والرأى والجلد يدعونه الى الله فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم فأرسل سعد نفرا ممن هم كذلك وأمرهم أن يأتوا يزدجرد فخرجوا من العسكر وتركوا رستم واستأذنوا على يزدجرد فاذن لهم فدخلوا وقد احضر وزراءه ورستم معهم واستشارهم فيما يصنع ويقوله لهم واجتمع الناس ينظرون اليهم وتحتهم خيول كلها صهال وعليهم البرود وبايديهم السياط واحضر الترجمان وقال له سلهم ما جاء بكم وما دعاكم الى غزونا والولوع ببلادنا من اجل اننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا فقال النعمان ابن مقرن لاصحابه ان شئتم تكلمت عنكم ومن شاء آثرته فقالوا بل تكلم فقال ان الله رحمنا فأرسل الينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة الا وقاربه منها فرقة وتباعد عنه منها فرقة ثم أمر ان ننبذ الى من خالفه من العرب فبدأ بهم فدخلوا معه على وجهين مكره عليه فاغتبط وطائع فازداد فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق ثم امرنا ان نبتدئ بمن يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح فان أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزية فان ابيتم فالمناجزة فان اجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمنا على ان تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وان بذلتم الجزية قبلنا ومنعناكم والا قاتلناكم فتكلم يزدجرد وقال انى لا اعلم امة فى الارض كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم قد كنا نوكل بكم قرى الضواحى فيكفونا امركم ولا تطمعوا ان تقدموا لفارس فان كان غرر لحقكم فلا يغرنكم منا وان كان الجهد فرضنا لكم قوتا الى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم فقام المغيرة بن زرارة الاسدى وقال ايها الملك ان هؤلاء رؤس العرب ووجوههم وهم اشراف يستحيون من الاشراف انما يكرم الاشراف ويعظم حقهم الاشراف وليس كل ما ارسلوا به قالوه ولا كل ما تكلمت به جابوك عنه فجاوبنى لاكون الذى ابلغك وهم يشهدون على ذلك فأما ما ذكرت من سوء الحال فهى على ما وصفت واشد ثم ذكر من سوء عيش العرب وارسال الله النبى صلى الله عليه وسلم

ناصحا مثبتا عنده ذلك وقيل ان الخليفة لما بلغته الابيات السابقة كتب اليه أما بعد فاذا نزع الشتاء جلبابه ولبس الربيع أثوابه قابلناكم بجنود لا قبل لكم بها ولنخرجنكم منها أذلة وانتم صاغرون فلما أحس الشريف قتادة بالشر كتب الى بنى عمه بنى حسين بالمدينة يستنجدهم ومن جملة كتابه قوله

(بنى عمنا من آل موسى وجعفر * وآل حسين كيف صبركم عنا)
(بنى عمنا انا كأفنان دوحة * فلا تتركونا يجتنى الفنافنا)
(اذا ما أخ خلى أخاه لآكل * بدا بأخيه الآكل ثم به ثنا)

فلما أقبلت الجنود الناصرية أتته بنو حسين فكسروها وبددوا شملها فلما رأى الخليفة الناصر شدة بأسه مدحه على سيرته وأولاه صفا سريرته وأقطعه قرى متعددة وتوفى الشريف قتادة سنة سبع عشرة وستمائة فى سن التسعين كما تقدم قيل ان ولده الحسن قتله خنقا وكان مريضا والله أعلم بحقيقة الحال فولى مكة (الحسن بن قتادة) المذكور وكان للشريف قتادة كثير من الاولاد منهم الحسن وراجح وادريس وعلى فتولى مكة بعد قتادة الحسن وكان فاتكا جريا قتل أقباش الناصرى لاتهامه أنه واطأ راجح

اليهم نحو قول النعمان وقتال من خالفهم او الجزية ثم قال له اختران شئت الجزية عن يد وأنت صاغر وان شئت فالسيف او تسلم فتنجي نفسك فقال لولا ان الرسل لاتقتل لقتلتكم لاشئ لكم عندي ثم استدعى بوقر من تراب فقال احملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن ثم قال لرسل سعد ارجعوا الى صاحبكم فأعلموه اني مرسل اليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسية ثم اورده بلادكم حتى اشغلكم بانفسكم بأشد مانالكم من سابور فقام عاصم ابن عمرو الكناني الليثي ليأخذ التراب وقال أنا أشرفهم أنا سيد هؤلاء فحمله على عنقه وخرج الى راحلته فأخذ التراب وركبها وقال لسعد لما جاءه أبشر لقد أعطانا الله أقاليد ملكهم واشتد ذلك على جلساء الملك وقال الملك لرستم ما كنت ارى ان في العرب مثل هؤلاء ما أنتم بأحسن جوابا منهم ولقد صدقني القوم لقد وعدوا امرا ليدركنه او ليموتن عليه على أني وجدت أفضلهم أحمقهم حيث حمل التراب على رأسه فقال رستم ايها الملك انه أعقلهم وتطير الى ذلك وأبصرها دون أصحابه وخرج رستم من عند الملك غضبان كئيبا وبعث في أثر الوفد وقال لثقته ان ادركهم الرسول تلافينا ارضنا وان اعجزوه سلبكم الله ارضكم فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم فقال ذهب القوم بارضكم من غير مثال وكان منجما كاهنا وأغار سواد بن مالك التميمي بعد مسير الوفد الى يزدجرد على النجاف والفراض فاستاق ثلاثمائة دابة من بين بغل وحمار وثور واوقروها سمكا وصبح العسكر فقسمه سعد بين الناس ويسمون ذلك اليوم يوم الحيتان وبعث سعد سرية اخرى فأصابوا ابلا لبني تغلب والنمر واستاقوها ومن فيها فنحر سعد الابل وقسمها في الناس فأخصبوا وغار عمرو ابن الحارث على النهرين فاستاق مواشي كثيرة وعاد وسار رستم من ساباط وجمع آلة الحرب وقال رستم للملك يشجعه بذلك ان فتح الله علينا توجهنا الى ملكهم في دارهم حتى نشغلهم في اهلهم وبلادهم الى ان يقبلوا المال ولما فصل رستم عن ساباط كتب الى اخيه البنذوان اما بعد فرموا حصونكم واعدوا واستعدوا فكأنكم بالعرب قد قارعوكم عن ارضكم وابنائكم وقد كان من رأيي مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود سعودهم نحوسا فان السمكة قد كدرت الماء وان النعام حسنت والزهرة قد حسنت واعتدل الميزان وذهب بهرام ولا ارى هؤلاء القوم الا سيظهرون علينا ويستولون على ما يلينا وان أشد ما رأيت ان الملك قال لتسيرن اولأسيرن بنفسي ولقي جابان رستم على قنطرة ساباط وكانا منجمين فشكا اليه وقال له الا ترى ما أرى فقال له رستم اما انا فأقاد بخشاش وزمام ولا اجد بدا من الانقياد ثم سار فنزل بكوثى فأتى برجل من العرب فقال ما جاء بكم وماذا تطلبون فقال جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وأبنائكم ان أبيتم أن تسلموا فقال رستم فان قتلتم قبل ذلك قال من قتل منا دخل الجنة ومن بقي منا أنجزه الله ما وعده فنحن على يقين فقال رستم قد وضعنا اذن في ايديكم فقال أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها فلا يغرنك من ترى حولك فانك لست تحاول الانس وانما تحاول القدر فضرب عنقه ثم سار فنزل البرس فغصب اصحابه الناس ابناءهم واموالهم ووقعوا على النساء وشربوا الخمور فضج اهلها الى رستم فقال يا معشر فارس والله لقد صدق العربي والله ما اسلمنا الا اعمالنا والله ان العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب احسن سيرة منكم ان الله كان ينصركم على العدو ويمكن لكم في البلاد بحسن السيرة وكف الظلم والوفاء (والاحسان)

الملك المسعود صاحب اليمن من قبل أبيه ملك مصر والملك المسعود هو يوسف الملقب اقسيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب مصر وأبو بكر العادل هو أخو السلطان صلاح الدين كان ملك مصر فيه وفي أولاده بعد أخيه صلاح الدين قدم الملك المسعود من اليمن الى مكة ومعه جيش فحاربه الشريف حسن ثم كان الظفر للملك المسعود وهرب الشريف حسن ولما تملك الملك المسعود مكة جعل أمرها نيابة (لنور الدين علي بن عمر بن رسول) ورتب له عسكرا فقصده الحسن بن قتادة بجيش جاء به من ينبع سنة عشرين وستمائة فخرج اليه نور الدين الى الحديبية وكسره فهرب الحسن راجعا ثم رحل الى الشام ثم الى العراق ووصل الى بغداد فأدركه أجله هنالك وفي سنة ستمائة وست وعشرين ولي مكة الملك المسعود عتيقه (صارم الدين ياقوت المسعودي) ثم توفي في تلك السنة الملك المسعود فاستولى على اليمن بعده نور الدين عمر بن علي بن رسول وبويع بالسلطنة وتلقب

والاحسان فاذا تغير تم فلا أرى الامغيرا مابكم ومااناباآمن من ان ينزع الله سلطانه منكم واتى ببعض من يشكي منه فضرب عنقه ثم سار حتى نزل الحيرة ودعا اهلها وتهددهم وهم بهم فقال له ابن بقيلة لاتجمع علينا ان تعجز عن نصرتنا وتلومنا على الدفع عن انفسنا ولما نزل رستم بالنجف رأى فى منامه كأن ملكا نزل من السماء ومعه النبي صلى الله عليه وسلم وعمر فأخذ الملك سلاح أهل فارس فختمه ثم دفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه النبي صلى الله عليه وسلم الى عمر فأصبح رستم حزينا وأرسل سعد السرايا ورستم بالنجف والجالينوس بين النجف والسليحين فطافت فى السواد فبعث سوادا وحميضة فى مائة فأغاروا على النهرين وبلغ رستم الخبر فأرسل اليهم رستم خيلا وسمع سعد أن خيله قد وغلت فارسل عاصم بن عمرو وجابر الاسدى فى آثارهم فلقيهم عاصم وخيل فارس تحوشهم ليخلصوا ماأيديهم فلما رأته الفرس هربوا ورجع المسلمون بالغنائم وأرسل سعد عمرو بن معدى كرب وطليحة الاسدى طليعة فساروا فى عشرة فلم يسيروا الا فرسخا وبعض آخر حتى رأوا مسالحهم وسرحهم على الطفوف قد ملؤها فرجع عمرو ومن معه وأبى طليحة الا التقدم فقالوا له أنت رجل فى نفسك غدر ولن تفلح بعد قتل عكاشة بن محصن فارجع معنا فأبى فرجعوا الى سعد فأخبروه بقرب القوم ومضى طليحة حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يجوسه ويتوسم فهتك أطناب بيت رجل عليه واقتاد فرسه ثم هتك على آخر بيته وحل فرسه ثم فعل بآخر كذلك ثم خرج يعدو به فرسه ونذر به الناس فركبوا فى طلبه فأصبح وقد لحقه فارس من الجند فقتله طليحة ثم آخر فقتله ثم لحق به ثالث فرأى مصرع صاحبيه وهما أبناء عمه فازداد فلحق طليحة فكر عليه طليحة واسره ولحق الناس فرأوا فارسى الجند قد قتلا واسر الثالث وقد شارف طليحة عسكره فأحجموا عنه ودخل طليحة على سعد ومعه الفارسي وأخبره الخبر فسأل الترجمان الفارسي عن ذلك فطلب الأمان فأمنه سعد فقال اخبركم عن صاحبكم هذا قبل ان اخبركم عمن قبلى باشرت الحروب منذ أنا غلام الى الآن وسمعت بالأبطال ولم أسمع بمثل هذا ان رجلا قطع فرسخين الى عسكر فيه سبعون الفا يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة فلم يرض ان يخرج كما دخل حتى سلب فرسان الجند وهتك عليهم البيوت فلما أدركناه قتل الاول وهو يعد بألف فارس ثم الثانى وهو نظيره ثم أدركته انا وخلفت من بعدى من يعدلنى وانا الثائر بالقتيلين فرأيت الموت واستؤسرت ثم أخبره عن الفرس وأسلم ولزم طليحة وكان من أهل البلاء بالقادسية وسماه سعد مسلما ثم سار رستم وقدم الجالينوس وبهمن ذو الحاجب فنزل الجالينوس بحيال زهرة بن الحوية ونزل ذو الحاجب بطرنا باذونزل رستم بالحزاره ثم سار رستم فنزل بالقادسية وكان بين مسيره من المدائن ووصوله القادسية اربعة اشهر لايقدم لاجل ان يطاول المسلمين رجاء ان يضجروا ابمكانهم فينصرفوا وكان قصده ان يطاولهم اكثر من ذلك لولا ان الملك يستعجله وينهضه وكان عمر قد كتب الى سعد يأمره بالصبر والمطاولة أيضا فاستعد للمطاولة ولم تضر ربها وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلا منها فيل سابور الابيض وكانت الفيلة تألفه فجعل فى القلب ثمانية عشر فيلا وفى المجنبتين خمسة عشر فيلا

مكة (طفتكين التركى) أحد خدامه قال ابن خلكان ولقد حكى لى من حضر الخطبة فسمع يوم الجمعة الخطيب يقول على المنبر فى حق الملك الكامل صاحب مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشام وصناديدها والجزيرة ووليدها سلطان القبلتين ورب العلامتين وخادم الحرمين الشريفين المحترمين الملك الكامل خليل أمير المؤمنين وفى سنة ستمائة وتسع وعشرين وقيل سبع وعشرين اتصل راجح بن قتادة بنور الدين عمر بن على بن رسول صاحب اليمن فلم يزل به ويحسن له أخذ مكة حتى بعث معه جيشا الى مكة أخرجوا نائب الملك الكامل وهو طفتكين التركى ثم جاء جيش من الملك الكامل فأخرجوا راجحا ومن معه ثم وليها (راجح بن قتادة) مع عسكر من صاحب اليمن سنة ثلاثين وستمائة ثم وليها (عسكر الملك الكامل) فى آخر هذه السنة وخرج منها راجح كذا فى تاريخ السنجارى والحاصل أنه من سنة ست وعشرين ستمائة ومابعدها كانت ولاية مكة لملوك اليمن وعساكرها وملوك مصر وعساكرها ولم تصف مكة لآل قتادة بل كانوا مع

ملوك اليمن اما أصولا أو نوابا ثم صفا الامر للشريف راجح بن ❊ ٦٠ ❊ قتادة ودامت ولايته الى آخر ذى الحجة

فلما اصبح رستم من تلك الليلة ركب وسار حتى اتى على منقطع عسكر المسلمين ثم صعد حتى انتهى الى القنطرة فتأمل المسلمين ووقف على موضع يشرف منه عليهم ووقف على القنطرة وارسل الى زهرة فوافقه فاداره على ان يصالحه ويجعل له جعلا على ان ينصرفوا عنه من غير ان يصرح له بذلك بل يقول له كنتم جيراننا وكنا نحسن اليكم ونحفظكم ويخبره عن صنيعهم مع العرب فقال له زهرة ليس امرنا امر اولئك انا لم نأتكم لطلب الدنيا انما طلبتنا وهمتنا الآخرة وقد كنا كما ذكرت الى ان بعث الله فينا رسولا فدعانا الى ربه فأجبناه فقال الله لرسوله انى سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بدينى فأنا منتقم بهم منهم وأجعل لهم الغلبة ماداموا مقرين به وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد الا ذل ولا يعتصم به احد الا عز فقال له رستم ما هو قال أما عموده الذى لا يصلح الا به فشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال واى شئ ايضا قال واخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله والناس بنو آدم وحواء اخوة لاب وأم قال ما أحسن هذا ثم قال رستم ارأيت ان اجبت الى هذا ومعى قومى كيف يكون امركم اترجعون قال اى والله قال صدقتنى اما ان اهل فارس منذ ولى ازدشير لم يدعوا احدا يخرج من عمله من السفلة وكانوا يقولون اذا خرجوا من اعمالهم تعدوا طورهم وعادوا اشرافهم فقال زهرة نحن خير الناس للناس فلا نستطيع ان نكون كما تقولون بل نطيع الله فى السفلة ولا يضرنا من عصى الله فينا فانصرف عنه ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا فأنفوا فارسل الى سعد ان ابعث الينا رجلا نكلمه ويكلمنا فدعا سعد جماعة ليرسلهم فقال له ربعى ابن عامر متى نأتهم جميعا يروا انا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل فأرسله وحده فسار اليهم فحبسوه على القنطرة واعلم رستم بمجيئه فاظهر زينته وجلس على سرير من ذهب وبسط البسط والنمارق والوسائد المنسوجة بالذهب وأقبل ربعى على فرسه وسيفه فى خرقة ورمحه مشدود بعصب وقد فلما انتهى الى البسط قيل له انزل فحمل فرسه عليها ونزل وربطها بوسادتين شقهما وادخل الحبل فيهما فلم ينهوه واروه التهاون وعليه درع واخذ عباءة بعيره فتدرعها وشدها على وسطه فقالوا ضع سلاحك فقال لم آتكم لا ضع سلاحى بأمركم انتم دعوتمونى فأخبروا رستم فقال ائذنوا له فأقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه فلم يدع لهم نمرقا ولا بساطا الا افسده وهتكه برمحه فلما دنى من رستم جلس على الارض وركز رمحه على البسط فقيل له ما حملك على هذا قال انا لا نستحب القعود على زينتكم فقال له ترجمان رستم ما جاء بكم قال الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام فأرسلنا بدينه الى خلقه فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه دوننا ومن أبى قاتلناه حتى نفضى الى الجنة أو الظفر فقال رستم قد سمعنا قولكم فهل لكم ان تؤخروا هذا الامر حتى ننظر فيه قال نعم وان مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نمكن الاعداء أكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثا فانظر فى امرك واختر واحدة من ثلاث بعد الاجل اما الاسلام وندعك وارضك او الجزية فنقبل ونكف عنك وان احتجت الينا نصرناك او المنابذة فى اليوم الرابع الا ان تبدأ بنا انا كفيل بذلك عن

سنة احدى وخمسين وستمائة وهذا اجمال تحته تفصيل ينطوى على عجائب تدل على همة هذا السيد الشريف الجليل وان كان فيها تطويل وقد بسط ذلك العلامة الرضى فى تاريخه وان كان فى بعض ما ذكره مخالفة لما فى تاريخ السنجارى باعتبار تواريخ الازمان فلنذكر عبارة الرضى بتمامها قال العلامة الرضى فى تاريخه ذكر اهل التواريخ المعتمدة انه فى سنة ستمائة وست وعشرين التى توفى فيها الملك المسعود وصل جيش من مصر ومعه أمير عظيم من أمراء مصر يسمى طغتكين ودخل مكة وكان فيها نور الدين ففر نور الدين الى اليمن واستمر بها جيش مصر الى سنة سبع وعشرين وستمائة فوصل جيش من صاحب اليمن نور الدين عمر بن على بن رسول وصحبته الشريف راجح بن قتادة فاستولوا على مكة فجهز صاحب مصر الملك الكامل جيشا كبيرا فقاتلوا الشريف راجحا فانكسر واستولوا على مكة بأميرهم الاول طغتكين فأسرف فى القتال ونهب البلاد وأخاف اهل مكة خوفا شديدا ثم عاد الشريف راجح بجمع عظيم وأمداه

أصحابي قال أسيدهم انت قال لا لكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم فخلا رستم برؤساء قومه فقال هل رأيتم كلاما قط أعز وأوضح من كلام هذا الرجل فقالوا معاذ الله ان نميل الى دين هذا الكلب اما ترى الى ثيابه فقال ويحكم لا تنظروا الى ثيابه ولكن انظروا الى الرأى والكلام والسيرة ان العرب تستخف باللباس وتصون الاحساب ليسوا مثلكم فلما كان من الغد ارسل رستم الى سعد ابعث الينا ذلك الرجل فبعث اليهم حذيفة بن محصن فاقبل فى نحو من ذلك الزى ولم ينزل عن فرسه ووقف على رستم راكبا قال له انزل قال لا أفعل فقال له ما جاء بك ولم يجئ الاول قال له ان أميرنا يحب ان يعدل بيننا فى الشدة والرخاء وهذه نوبتى فقال ما جاء بكم فأجابه مثل الاول فقال رستم المواعدة الى يوم ما قال نعم ثلاثا من أمس فرده واقبل على أصحابه وقال ويحكم اما ترون ما ارى جاءنا الاول بالامس فغلبنا على أرضنا وحقر ما نعظم واقام فرسه على زبرجنا وجاء هذا اليوم فوقف علينا وهو فى يمن الطاير يقوم على ارضنا دوننا فلما كان الغد أرسل الى سعد ابعث الينا رجلا فبعث المغيرة بن شعبة فأقبل اليهم وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب وبسطهم على غلوة لا يوصل الى صاحبهم حتى يمشى عليها فأقبل المغيرة حتى جلس موضع رستم على سريره فوثبوا عليه وأنزلوه ومعكوه فقال قد كانت تبلغنا عنكم الاحلام ولا أرى قوما أسفه منكم انا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضا فظننت انكم تواسون قومكم كما نتواسى فكان أحسن من الذى صنعتم ان تخبرونى ان بعضكم أرباب بعض فان هذا الامر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه أحد وانى لم آتكم ولكن دعوتمونى اليوم علمت انكم مغلوبون وان ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول فقالت السفلة صدق والله العربى وقالت الدهاقين والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون اليه قاتل الله اولينا حيث كانوا يصغرون أمر هذه الامة ثم تكلم رستم فحمد قومه وعظم أمرهم وقال لم نزل متمكنين فى البلاد ظاهرين على الاعداء اشرافا فى الامم فليس لاحد مثل عزنا وسلطاننا ننصر عليهم ولا ينصرون علينا الا اليوم واليومين والشهر للذنوب فاذا انتقم الله منا ورضى علينا يرد لنا الكرة على عدونا ولم يكن فى الامم امة اصغر عندنا امرا منكم كنتم اهل قشف ومعيشة سيئة لا نراكم شيأ وكنتم تقصدوننا اذ قحطت بلادكم فنأمر لكم بشئ من التمر والشعير ثم نردكم وقد علمت انه لم يحملكم على ما صنعتم الا الجهد فى بلادكم فأنا آمر لاميركم بكسوة وبغل والف درهم وآمر لكل واحد منكم بوقر تمر وتنصرفون عنا فانى لست اشتهى ان اقتلكم فتكلم المغيرة فحمد الله واثنى عليه قال ان الله خالق كل شئ ورازقه فمن صنع شيأ فانما هو يصنعه واما الذى ذكرت به نفسك واهل بلادك فنحن نعرفه فالله صنعه بكم ووضعه فيكم وهو له دونكم واما الذى ذكرت فينا من سوء الحال والضيق والاختلاف فنحن نعرفه ولسنا ننكره والله ابتلانا به والدنيا دول ولم يزل أهل الشدائد يتوقعون الرخاء حتى يصيروا اليه ولم يزل اهل الرخاء يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم يقصر عما اوتيتم واسلمكم ضعف الشكر الى تغير الحال ولو كنا فيما ابتلينا به اهلا لكان عظيم ما ابتلينا به مستجلبا من الله رحمة ورأفة علينا ان الله تبارك وتعالى بعث فينا

صاحب اليمن بعسكره فقدم مكة وطرد أمير صاحب مصر فلما بلغ الملك الكامل صاحب مصر ذلك جهز عسكرا مع الحاج فلما بلغ ذلك الشريف راجحا خرج من مكة ودخل عسكر مصر من غير محاربة فى سنة ثلاثين وستمائة ثم فى سنة احدى وثلاثين جهز الملك المنصور صاحب اليمن عسكرا ومعهم الشريف راجح فدخلوا مكة وأخرجوا امير صاحب مصر فلما أن وصل الحاج بلغ الشريف راجحا أن السلطان الملك الكامل صاحب مصر واصل بنفسه على النجائب فخرج الشريف راجح فجاء الملك الكامل وحج فلما رجع عاد الشريف راجح الى مكة وفى سنة اثنتين وثلاثين وصل عسكر من مصر وأخرجوا الشريف راجحا فتوجه الى اليمن فبعث معه المنصور بخزانة وعسكر فخرج اليه عسكر مصر ووقع بينهما قتال كبير انكسر فيه عسكر الشريف راجح هذا كله الى سنة أربع وثلاثين وستمائة وفى سنة خمس وثلاثين قدم السلطان نور الدين عمر بن على بن رسول فى ألف فارس فتلقاه الشريف راجح فى ثلاثمائة فارس ودخلوا مكة وخرج عسكر مصر وتصدق نور الدين على أهل مكة بأموال كثيرة وفى هذه السنة مات الملك الكامل صاحب

رسولا ثم ذكر مثل ما تقدم من ذكر الاسلام والجزية والقتال وقال له وان عيالنا قد ذاقوا الطعام ببلادكم فقالوا لا صبر لنا عنه فقال رستم اذن تموتون دونها فقال المغيرة يدخل من قتل منا الجنة ومن قتل منكم النار ويظفر من بقي منا بمن بقي منكم فاستشاط رستم غضبا ثم حلف ان لا يرتفع الصبح غدا حتى نقتلكم اجمعين وانصرف المغيرة وخلا رستم بأهل فارس وقال اين هؤلاء منكم هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا ام كاذبين والله لئن كان بلغ من عقلهم وصونهم لسرهم ان لا يختلفوا فما قوم ابلغ لما ارادوا منهم ولئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شيء فلجوا وتجلدوا فارسل رستم رسوله خلف المغيرة وقال له اذا قطع القنطرة فأعلمه أن عينه تفقأ غدا فاعلمه الرسول بذلك فقال المغيرة بشرتني بخير وأجر ولولا أن اجاهد بعد هذا اليوم أشباهكم من المشركين لتمنيت أن الاخرى ذهبت فرجع الى رستم فأخبره فقال اطيعوني يا أهل فارس اني لأرى فيكم نقمة لا تستطيعون ردها ثم ارسل اليه سعد بقية ذوي الرأي فساروا وكانوا ثلاثة فقالوا لرستم ان اميرنا يدعوك الى ما هو خير لنا ولك والعافية ان تقبل ما دعاك اليه ونرجع الى ارضنا وترجع الى ارضك وداركم لكم وامركم فيكم وما اصبتم كان زيادة لكم دوننا وكنا عونا لكم على احد ان ارادكم فاتق الله ولا يكونن هلاك قومك على يديك وليس بينك وبين ان تغبط بهذا الامر الا ان تدخل فيه وتطرد به الشيطان عنك فقال لهم ان الامثال اوضح من كثير من الكلام انكم كنتم اهل جهد وقشف لا تنتصفون ولا تمتنعون فلم نسيء جواركم وكنا نميركم ونحسن اليكم فلما طعمتم طعامنا وشربتم شرابنا وصفتم لقومكم ذلك ودعوتموهم ثم اتيتمونا وانما مثلكم ومثلنا كمثل رجل كان له كرم فرأى فيه ثعلبا فقال وما ثعلب فانطلق الثعلب فدعا الثعالب الى ذلك الكرم فلما اجتمعوا اليه سد صاحب الكرم النقب الذي كن يدخلن منه فقتلهن فقد علمت ان الذي حملكم على هذا الحرص والجهاد فارجعوا ونحن نميركم لاني لا اشتهي ان أقتلكم ومثلكم ايضا كالذباب يرى العسل فيقول من يوصلني اليه وله درهمان فاذا دخل غرق ونشب فيقول من يخرجني وله اربعة دراهم وقال ايضا ان رجلا وضع سلة وجعل طعاما فيها فأتى الجرذان فخرقوا السلة فدخلوا فيها فأراد سدها فقالوا له لا تفعل اذن تخرقه ولكن انقب بحياله ثم اجعل قصبة مجوفة فاذا دخلها الجرذان وخرجن منها فاقتل كل ما خرج منها وقد سددت عليهم ان يقتحموا القصبة ولا يخرج منها أحد الا قتل فما دعاكم الى ما صنعتم ولا أرى عددا ولا عدة قال فتكلم القوم وذكروا سوء حالهم وما من الله به عليهم من ارسال رسوله واختلافهم أولا ثم اجتماعهم على الاسلام وما امرهم به من الجهاد وقالوا واما ما ضربت لنا من الأمثال فليس كذلك ولكن انما مثلكم كمثل رجل غرس ارضا واختار لها اشجارا واجرى اليها الانهار وزينها بالقصور واقام فيها فلاحين يسكنون قصورها ويقومون على جناتها فخلا الفلاحون في القصور على ما لا يحب فأطال امهالهم فلم يستحيوا فدعا اليها غيرهم واخرجهم منها فان ذهبوا عنها تخطفهم الناس وان اقاموا فيها صاروا خولا لهؤلاء فيسومونهم الخسف ابدا والله لو لم يكن ما نقول حقا ولم يكن الا الدنيا لما صبرنا عن الذي نحن فيه من لذيذ عيشكم ورأينا من زبرجكم ولقارعناكم عليه فقال رستم اتعبرون الينا ام نعبر اليكم فقالوا اعبروا الينا ورجعوا من عنده عشيا وارسل

مصر وخطب بمكة لصاحب اليمن المنصور وأقام الشريف راجح في ولاية مكة الى سنة سبع وثلاثين وستمائة وفي هذه السنة أرسل صاحب مصر الملك الصالح بن الملك الكامل ألف فارس ومعهم الشريف شيحة بن قاسم الحسيني أمير المدينة فلما سمع بهم الشريف راجح خرج من مكة فدخلها الشريف شيحة فلما بلغ ذلك صاحب اليمن جهز عسكرا الى مكة مع الشريف راجح فلما أحس بهم الحسيني فر هاربا من مكة وأخلاها وفي سنة تسع وثلاثين وستمائة أرسل صاحب مصر عسكرا الى مكة فلما بلغ صاحب اليمن تجهز وخرج الى مكة بجيش كثير فهرب المصريون وأحرقوا دار السلطنة بمكة فدخل السلطان نور الدين علي بن رسول مكة وصام رمضان بها وأبطل المكوس والجبايات وأعرض عن ولاية الشريف راجح وأرسل يطلب الشريف أبا سعد الحسن بن علي بن قتادة وولاه مكة فذهب الشريف راجح الى المدينة واستنجد أخواله من بني حسين على ابن أخيه الحسن بن علي بن قتادة فأنجدوه فخرج راجح معهم من المدينة ومعهم سبعمائة فارس فاصدامة معهم الامير عيسى الملقب بالحرون وكان فارس بني

(سعد)

سعد الى الناس ان يقفوا مواقفهم وأرسل اليهم شأنكم والعبور فأرادوا القنطرة فقال لا ولا كرامة أما شيء غلبناكم عليه فلا نرده عليكم فباتوا يسكرون (أي يسدون) العتيق حتى الصباح بالتراب والقصب والبرادع حتى جعلوه طريقا واستتم بعدما ارتفع النهار ورأى رستم من الليل كأن ملكا نزل من السماء فأخذ قسي أصحابه فختم عليها ثم صعد بها الى السماء فاستيقظ مهموما واستدعى خاصته فقصها عليهم وقال ان الله ليعظنا لو اتعظنا ولما ركب رستم ليعبر كان عليه درعان ومغفر وأخذ سلاحه ووثب فاذا هو على فرسه ولم يضع رجله في الركاب وقال غدا ندقهم دقا فقال له رجل ان شاء الله فقال وان لم يشأ ثم قال انما صفا الثعلب حين مات الاسد يعني كسرى واني اخشى ان تكون هذه سنة القرود وانما قال هذه الاشياء توهينا للمسلمين عند الفرس والا فالمشهور عنه الخوف من المسلمين وقد اظهر ذلك الى من يثق به

﴿ ذكر يوم ارماث ﴾

لما عبر الفرس العتيق (اسم للماء مطلقا ويسمى به نهر هناك) وجلس رستم على سريره وضرب عليه طياره وعبا في القلب ثمانية عشر فيلا عليها صناديق ورجال وفي المجنبتين ثمانية أو سبعة أفيال وأقام الجالينوس بينه وبين ميمنته والفيرزان بينه وبين ميسرته وكان الملك يزدجرد قد وضع بينه وبين رستم رجالا على كل دعوة (أي وظيفة) رجلا أولهم على باب ايوانه وآخرهم مع رستم فكل ما فعل رستم شيأ قال الذي معه للذي يليه كان كذا وكذا ثم يقول الثاني ذلك للذي يليه وهكذا الى ان ينتهي الى يزدجرد في اسرع وقت وأخذ المسلمون مصافهم وكان أميرهم سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه أصابه دماميل وعرق النساء فلا يستطيع الجلوس انما هو مكب على وجهه في صدره وسادة على سطح القصر يشرف على الناس والصف في اصل حائطه ولو تعداه الصف فواق ناقة لاخذ برمته ومانقص ذلك من شجاعة سعد رضي الله عنه وعابه بعض من كان يبغضه فقال

* نقاتل حتى انزل الله نصره ※ وسعد بباب القادسية معصم *
* فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ※ ونسوة سعد ليس فيهن ايم *

فبلغت أبياته سعدا وكان مجاب الدعوة فقال اللهم ان كان هذا كاذبا وقال الذي قاله رياء وسمعة فاقطع عني لسانه فبينما هو واقف في الصف يومئذ أتاه سهم غرب فأصابه فكان سببا لاعتقال لسانه فما تكلم بكلمة حتى لحق بالله تعالى ونزل سعد الى الناس فاعتذر اليهم وأراهم ما به من القروح في فخذيه واليتيه فعذره الناس وعلموا حاله ولما عجز عن الركوب استخلف خالد بن عرفطة على الناس فاختلف عليه فأخذ نفرا ممن شغب عليه فحبسهم في القصر منهم ابو محجن الثقفي وقيدهم وقيل بل كان حبس ابي محجن بسبب شرب الخمر واعلم الناس انه قد استخلف خالد ابن عرفطة فسمعوا واطاعوا وخطب الناس يومئذ وهو يوم الاثنين من المحرم سنة اربع عشرة وحثهم على الجهاد وذكرهم ماوعدهم الله من فتح البلاد ومانال من كان قبلهم من

حسين في زمانه فبلغ ذلك الشريف أباسعد الحسن ابن قتادة وكان ابنه أبونمي في ينبع فأرسل اليه يطلبه وعمر أبي نمي في ذلك الوقت سبع عشرة سنة أوثماني عشرة فخرج في أربعين من ينبع قاصدا مكة فصادف القوم سائرين فلما صادفهم حمل عليهم بالاربعين الذين معه وهم سائرون فهزمهم ورجعوا الى المدينة مغلوبين وفي ذلك يقول السيد جعفر بن محمد بن معية الحسني وهو اذذاك لسان بني حسن بالعراق من قصيدة يذكر فيها تلك الواقعة ويمدح أبانمي ويحسن فعله

ألم يبلغك شأن بني حسين * وفرهم ومافعل الحرون
فيالله فعل أبي نمي * وبعض الناس يشبهه الجنون
يصف بأربعين على مئين * وكم من كثرة طالبت تمون

ثم ان أبانمي دخل مكة بعد هزم الجيش مسرورا منصورا فأكرمه أبوه بأن جعله شريكا له في الملك وكان أبوه الحسن بن علي بن قتادة من الشجاعة بالمحل الاعلى وكانت أمه أم ولد حبشية يحكى أنه كان في بعض حروبه فلحقته أمه في هودج ودعته فلما جاءها قالت له يا بني انك تقف اليوم موقفا ان ظفرت فيه بعدوك قال الناس ظفر ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان هربت قال الناس هرب ابن الامة السوداء فانظر لنفسك فانه لاموت

المسلمين من الفرس وكذلك فعل أمير كل قوم وأرسل سعد نفرا من ذوى الرأى والنجدة منهم المغيرة وحذيفة وعاصم وطليحة وقيس الاسدى وغالب وعمرو بن معدى كرب وامثالهم ومن الشعراء الشماخ والحطيئة واوس بن مغراة وعبيدة بن الطيب وغيرهم وأمرهم بتحريض الناس على القتال ففعلوا وكان صف المسلمين مع حائط قديس والخندق فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق وقد تقدم ان جيش رستم كان مائة وعشرين الفا وجيش المسلمين كان بضعة وثلاثين الفا وكان مع الفرس ثلاثون الف مسلسل وأمر سعد الناس بقراءة سورة الجهاد وهى الانفال فلما قرئت هشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها فلما فرغ القراء منها قال سعد الزموا مواقفكم حتى تصلوا الظهر فاذا صليتم فانى مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا فاذا سمعتم الثانية فكبروا والبسوا عدتكم فاذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس فاذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لاحول ولاقوة الا بالله فلما كبر سعد الثانية برز أهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج اليهم من الفرس أمثالهم فاعتوروا الطعن والضرب وبرز غالب بن عبدالله الاسدى وأنشد أبياتا فخرج اليه هرمز وكان من ملوك الباب وكان متوجا فأسره غالب فجاء به سعدا ورجع وبرز عاصم بن عمرو التميمى وطارد فارسا فانهزم فتبعه عاصم حتى خالط صفهم فحموه فأسر عاصم رجلا على بغل وعاد به واذا هو خباز الملك ومعه من طعام الملك وخبيصه فأتى به سعد فنفله أهل موقفه وخرج فارس فطلب البراز فبرز اليه عمرو بن معدى كرب فأخذه وجلد به الارض فذبحه وأخذ سواريه ومنطقته وحملت الفيلة على المسلمين ففرقت بين الكتائب فنفرت الخيل وكانت الفرس قد قصدت بجيلة بسبعة عشر فيلا فنفرت خيل بجيلة فكادت بجيلة تهلك لنفار خيلها عنها وعمن معها وارسل سعد الى بنى اسد ان دافعوا عن بجيلة وعمن معها من الناس فخرج طليحة بن خويلد وحمال بن مالك فى كتائبهما فباشروا الفيلة وخرج الى طليحة فيل عظيم منهم فقتله طليحة وقام الاشعث بن قيس فى كندة فقال معشر كندة لله در بنى اسد اى فر يفرون واى هز يهزون عن مواقفهم اغنى كل قوم ما يليهم وانتم تنتظرون من يكفيكم اشهد ما احسنتم اسوة قومكم من العرب فنهد ونهدوا معه فازالوا الذين بازائهم فلما رأى الفرس ما يلقى الناس والفيلة من اسد رموهم بحدهم وحملوا عليهم وفيهم ذو الحاجب والجالينوس والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد فاجتمعت حلبة فارس على اسد ومعهم تلك الفيلة فثبتوا لهم وكبر سعد الرابعة وزحف اليهم المسلمون ورحا الحرب تدور على اسد وحملت الفيلة على الميمنة والميسرة وكانت الخيول تحيد عنها فأرسل سعد الى عاصم بن عمرو التميمى فقال يامعشر بنى تميم اما عندكم لهذه الفيلة من حيلة قالوا بلى والله ثم نادى فى رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة فقال يامعشر الرماة ذودوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل وقال يامعشر الثقافة استدبروا الفيلة فقطعوا وضنها (الوضين ما يربط به القتب) وخرج يحميهم ورحا الحرب تدور على اسد وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد واقبل اصحاب عاصم على الفيلة فاخذوا باذناب توابيتها فقطعوا وضنها وارتفع عواؤهم فما بقى لهم فيل الاعوى وقتل اصحابها ونفس عن اسد وردوا فارسا عنهم الى مواقفهم

(واقتتلوا)

بمثله حتى ظفر وأقام الحسن ابن على بن قتادة على ولاية مكة أربع سنين وفى سنة احدى وخمسين وستمائة قدم الشريف (جماز بن حسن بن قتادة) من دمشق فى عسكر من الملك الناصر على انه يأخذ له مكة ويخطب له بها فدخل مكة فى رمضان واستولى عليها وقتل الحسن بن على بن قتادة ثم نقض العهد السابق مع الناصر وخطب للملك المظفر بن المنصور صاحب اليمن واستمر الى الحج فقدم عمه الشريف راجح بن قتادة بجيش واستولى على مكة وخرج منها جماز بن قتادة بلا قتال وكانت هذه الولاية للشريف راجح آخر ولايته بمكة واستمر فيها الى شهر ربيع الاول سنة ثنتين وخمسين وستمائة فهجم على مكة ابنه (غانم بن راجح) وانتزع الملك من أبيه وتوفى الشريف راجح سنة أربع وخمسين وستمائة وكان شجاعا طوالا من الرجال اذا قام تصل يده الى ركبتيه واستمر غانم بن راجح الى شوال من السنة المذكورة فانتزعها منه (أبونمى وعمه ادريس بن على بن قتادة) بعد قتال بينهم مات فيها ثلاثة أنفار واستمر الى الخامس والعشرين من ذى القعدة فجاء بجيش المبارز بن على بن الحسين بن برطاس من الملك المظفر صاحب اليمن

واقتتلوا حتى غربت الشمس ثم حتى ذهبت هدأة من الليل ثم رجع هؤلاء وهؤلاء واصيب من اسد تلك العشية خمسمائة وكانوا ردأ للناس وكان عاصم حامية للناس وهذا اليوم الاول وهو يوم ارماث

﴿ ذكر يوم اغواث ﴾

ولما أصبح القوم وكل سعد بالقتلى والجرحى من ينقلهم فسلم الجرحى الى النساء ليقمن عليهم وأما القتلى فدفنوا هنالك على شرف وهو وادبين العذيب وعين الشمس فلما نقل سعد القتلى والجرحى طلعت نواصي الخيل من الشام وكان فتح دمشق قبل القادسية فلما قدم كتاب عمر على أبي عبيدة بن الجراح بارسال اهل العراق سيرهم والامير عليهم هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص وكان من الشجعان المشهورين وكان له صحبة أسلم عام الفتح رضي الله عنه وعلى مقدمته القعقاع ابن عمرو التميمي وله صحبة روى عنه انه قال شهدت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعجل القعقاع فقدم على الناس صبيحة هذا اليوم وهو يوم اغواث وقد عهد الى اصحابه ان يتقطعوا اعشارا وهم الف كل مابلغ عشرة مدى البصر سرحوا عشرة تقدم اصحابه في عشرة فأتى الناس فسلم عليهم وبشرهم بالجنود وحرضهم على القتال وقال اصنعوا كما أصنع وطلب البراز فقالوا فيه (اى القعقاع) يقول ابو بكر رضي الله عنه لايهزم جيش فيهم مثل هذا فخرج اليه ذو الحاجب فعرفه القعقاع فنادى يالثارات أبي عبيد وسليط واصحاب الجسر وتضاربا فقتله القعقاع وجعلت خيله ترد الى الليل وتنشط الناس وكأن لم يكن بالامس مصيبة وفرحوا بقتل ذي الحاجب وانكسرت الاعاجم بذلك وطلب القعقاع البراز فخرج اليه الفيرزان والبندوان فانضم الى القعقاع الحارث بن ظبيان بن الحارث احد بني تيم اللات فتبارزوا فقتل القعقاع الفيرزان وقتل الحارث البندوان ونادى القعقاع يامعشر المسلمين باشروهم بالسيوف فانما يحصد الناس بها فاقتتلوا حتى المساء فلم يراهل فارس في هذا اليوم مايعجبهم وأكثر المسلمون فيهم القتل ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل لان توابيتها كانت قد تكسرت بالامس فاستأنفوا عملها فلم يفرغوا منها حتى كان الغد وكان القعقاع كلما طلعت قطعة من اصحابه كبر وكبر المسلمون ويحمل ويحملون وحمل بنوعم القعقاع عشرة عشرة على ابل قد ألبسوها وهي مجللة مبرقعة وأطافت بهم خيولهم تحميهم وامرهم القعقاع ان يحملوها على خيل الفرس يتشبهون بالفيلة ففعلوا بهم هذا اليوم وهو يوم اغواث كما فعلت فارس يوم ارماث فجعلت خيل الفرس تفر منها وركبتها خيول المسلمين فلما رأى الناس ذلك سروا بهم فلقي الفرس من الابل اعظم مالقي المسلمون من الفيلة وحمل رجل من تميم على رستم يريد قتله فقتل دونه وخرج رجل من فارس يبارز فبرز اليه الاعرف ابن الاعلم العقيلي فقتله ثم برز اليه آخر فقتله واحاطت به فوارس منهم فصرعوه واخذوا سلاحه فغبر في وجوههم التراب حتى رجع الى اصحابه وحمل القعقاع يومئذ ثلاثين حملة كلما طلعت قطعة حمل حملة واصاب فيها وقتل فكان آخرهم بزرجمهر الهمداني وبارز الاعور بن قطبة شهريار سجستان فقتل كل واحد منهما

حيث جاء ولم يحج أحد تلك السنة لهذه الفتنة وفي سنة أربع وخمسين وستمائة تنازع ادريس وأبونمي ثم اصطلحا واستمرا الى سنة سبع وستين وستمائة فتنازعا وانفرد بها أبونمي وأخرج عمه ادريس وخطب لصاحب مصر السلطان بيبرس وحج السلطان بيبرس تلك السنة فتلقاه الشريف أبونمي وأصلح بينه وبين عمه ادريس واشترك معه في أمر مكة ثم توجه الى بلده فانفرد بها ادريس وأخرج أبانمي فبعد أربعين يوما جمع جموعا وقصد مكة فخرج اليه الشريف ادريس والتقيا بخليص فقتل الشريف ادريس وذلك سنة تسع وستين وستمائة فدخل أبونمي مكة واستقل بولايتها فاستنجد غانم ابن ادريس بجماز بن شيحة صاحب المدينة فجمع جموعا وقصد مكة وأخرج أبانمي ثم عاد أبونمي بعد أربعين يوما ومعه جموع فأخرجهما واستمر بها

﴿ ذكر من مات من الزحام بباب العمرة ﴾

قال الفاسي وفي سنة ستمائة وسبع وسبعين مات من الزحام بباب العمرة ثمانون رجلا وفي سنة ستمائة وثلاث وثمانين وقعت فتنة بين الشريف أبي نمي وبين بني

صاحبه وقاتلت الفرسان الى نصف النهار فلما اعتدل النهار تزاحف الناس فاقتتلوا حتى انتصف الليل فكانت ليلة ارماث تدعى الهدأة وليلة اغواث تدعى السواد ولم يزل المسلمون يرون يوم اغواث الظفر وقتلوا عامة اعلامهم وجالت فيه خيل القلب وثبت رجلهم فلولا ان خيلهم عادت أخذ رستم اخذا وبات الناس على مابات عليه القوم ليلة أرماث وقد ذكرنا ان ابا محجن الثقفي كان قد حبس بالقصر وقيد فلما كان يوم اغواث قال لسلمى زوج سعد بن ابي وقاص هل لك ان تخلين عني وتعيريني البلقا وهي فرس سعد فلله علي ان سلمني الله ان ارجع اليك حتى أضع رجلي في قيدي فأبت فلم يزل بها حتى رضيت ان تطلقه فأطلقته واعطته البلقا فرس سعد فركبها وخرج للقتال ولم يعلم به احد فلما كان بحيال الميمنة كبر ثم حمل على ميسرة الفرس ثم رجع خلف المسلمين وحمل على ميمنة الفرس فكان يقصف الناس قصفا منكرا وتعجب الناس منه وهم لايعرفون من هو فقال بعضهم هو من بعض اصحاب هاشم اوهاشم بنفسه وكان سعد يقول لولا محبس ابي محجن لقلت هذا ابو محجن وهذه البلقا وقال بعض الناس هذا الخضر وقال بعضهم لولا ان الملائكة لاتباشر الحرب لقلنا انه ملك فلما انتصف الليل وتراجع المسلمون والفرس عن القتال اقبل ابو محجن فدخل القصر وأعاد رجليه في القيد فقالت له سلمى في اي شئ حبسك سعد فقال والله ماحبسني بحرام أكلته ولا شربته ولكنني كنت صاحب شراب في الجاهلية وانا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني فقلت

* اذا مت فادفني الى أصل كرمة ۞ تروي عظامي بعد موتي عروقها *

* ولا تدفنني في الفلاة فانني ۞ اخاف اذا مامت ان لا اذوقها *

فلذلك حبسني فلما أصبحت سلمى أتت سعدا فصالحته وكانت مغاضبة له وأخبرته بخبر أبي محجن فأطلقه فقال اذهب فما انا مؤاخذك بشئ تقوله حتى تفعله فقال لاجرم لا اجيب لساني الى قبيح أبدا وكان عدد قتلى المسلمين وجرحاهم يوم أغواث الفين من جريح وميت ومن المشركين عشرة آلاف فجعل المسلمون ينقلون قتلاهم الى المقابر والجرحى الى النساء وكان النساء والصبيان يحفرون القبور وكان على الشهداء حاجب بن زيد واما قتلى المشركين فبين الصفين وكان ذلك مما يقوي المسلمين وبات القعقاع تلك الليل يسرب أصحابه الى المكان الذي فارقهم فيه وقال اذا طلعت الشمس فأقبلوا مائة مائة فان جاء هاشم فذاك والا جددتم للناس رجاء وجدا لايشعر به أحد واصبح الناس على مواقفهم فلما ذر قرن الشمس أقبل أصحاب القعقاع فعبى أصحابه وكان المشركون قد باتوا يعملون توابيت الفيلة حتى أعادوها وأصبحوا على مواقفهم وأقبلت الرجالة مع الفيلة يحمونها ان تقطع وضنها ومع الرجالة فرسان يحمونهم فلم تنفر الخيل منهم كما كانت بالامس لأن الفيل اذا كان وحده كان أوحش واذا أطافوا به كان آنس فلما انتشب القتال كبر المسلمون وتقدموا وكثر الطعن والضرب وأقبل هاشم والحرب قائم فعبى أصحابه سبعين سبعين وحمل حتى خالط القلب واشتد القتال وحمل عمرو ابن معدي كرب وضرب في الفرس حتى ستره الغبار وحمل اصحابه فأفرج المشركون عنه بعدما صرعوه وان سيفه لفي يده يصادمهم وقد طعن فرسه فاخذ برجل فرس العجمي فلم

أخيه وأعانهم عليه عسكر وردوا من اليمن فخرج الشريف أبونمي من مكة وجمع جموعا وأخرج بني أخيه والعسكر اليمني فورد جيش من مصر مع الحج لاخراج أبي نمي وكان على مكة سور فأغلق أبونمي أبواب السور ومنعهم من الدخول فحاصروه وأحرقوا باب السور من جهة المعلا ودخلوا مكة وفر من مكة أبونمي زمن الحج فأقام بمكة ثلاثة آلاف فارس مع نائب من قبل صاحب مصر فاتفق أن خرج منهم ناس الى جهة منى فكمن لهم أبونمي في تلك الناحية وهجم عليهم فقتل أميرهم ثم نادى مناديه من قتل رجلا فله فرسه وسلبه ففتكت العرب بالترك وأخذوا خيلهم وسلاحهم ثم دخل العرب مكة وصدقوا معه فكسروا ماوجدوه بمكة من العسكر وفر من فر الى مصر فلما بلغ ذلك صاحب مصر جهز جيشا كثيفا وأراد أن يسير بنفسه فعذله بعض الصالحين ومنعه وأدركته مكاتيب الشريف أبي نمي وهداياه وهو يعتذر اليه فقبل عذره وأبقاه على امارة مكة ثم في سنة ستمائة وثمان وثمانين ولى السلطان قلاوون صاحب مصر على مكة (جماز بن شيحة الحسيني) صاحب المدينة وأعانه بعسكر فخرج منها أبونمي ودخلوا مكة ثم عاد ابونمي وأخرجهم منها وفي سنة ستمائة وتسع وثمانين

(يلحق)

يطلق الجرى فنزل عنه صاحبه وفرالى اصحابه وركبه عمرو وبرز فارس فبرز اليه رجل من المسلمين يقال له بشر ابن علقمة وكان قصيرا فترجل الفارس اليه فاحتمله وجلس على صدره ثم أخذ سيفه ليذبحه ومقود فرسه مشدود فى منطقته فلما سل سيفه نفر الفرس فجذبه المقود فقلبه عنه وتبعه المسلم فقتله وأخذ سلبه فباعه باثنى عشر الفا فلما رأى سعد الفيول قد فرقت بين الكتائب وعادت لفعلها أرسل الى القعقاع وعاصم ابن عمرو اكفيانى الابيض وكانت كلها آلفة له وكان بازائهما وقال لحمال والربيل اكفيانى الاجرب وكان بازائهما فأخذ القعقاع وعاصم رمحين وتقدما فى خيل ورجل وفعل حمال والربيل بمثل فعلهما فحمل القعقاع وعاصم فوضعا رمحيهما فى عين الفيل الابيض فنفض رأسه فطرح ساسته ودلى مشفره فضربه القعقاع فرمى به ووقع لجنبه وقتلوا من كان عليه وحمل حمال والربيل الاسديان على الفيل الآخر فطعنه حمال فى عينه فأقعى ثم استوى وضربه الربيل فابان مشفره وبصر به سائسه فبقر أنف الربيل وجبينه بالطبرزين فأفلت الربيل جريحا وبقى الفيل جريحا متحيرا بين الصفين كلما جاء صف المسلمين وخزوه واذا أتى صف المشركين نخسوه وولى الفيل وكان يدعى الاجرب وقد عور حمال عينه فالقى نفسه فى العتيق فأتبعته الفيلة فخرقت صف الاعاجم فعبرت فى أثره فأتت المدائن فى توابيتها وهلك من فيها فلما ذهبت الفيلة وخلص المسلمون والفرس ومال الظل وتزاحف المسلمون فاجتلدوا حتى أمسوا فاشتد القتال وصبر الفريقان وجاء الليل وكانت تسمى تلك الليلة ليلة الهرير لترك الكلام وانما كانوا يهرون هريرا وارسل سعد طليحة الاسدى وعمرو بن معدى كرب ليلة الهرير الى مخاضة أسفل العسكر ليقوموا عليها حرسا خشية ان يأتى القوم منها فلما أتياها قال طليحة لو خضنا وأتينا الاعاجم من خلفهم قال عمرو بل نعبر أسفل فافترقا وأخذ طليحة وراء العسكر وكبر ثلاث تكبيرات ثم ذهب وقد ارتاع اهل فارس وتعجب المسلمون وطلبه الاعاجم فلم يدركوه واما عمرو فانه أغار اسفل المخاضة ورجع وخرج جماعة من فرسان المسلمين وطاردوا جماعة من الفرس فاذاهم لايشدون ولا يريدون غير الزحف فقدم المسلمون صفوفهم وزاحفوهم بغير اذن سعد وكان أول من زاحفهم القعقاع فقال سعد اللهم اغفرها له وانصره فقد أذنت له ان لم يستأذنى ثم لحقهم أسد فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حملت النخع فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حملت بجيلة فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حملت كندة فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم زحف الرؤساء ورحا الحرب تدور على القعقاع وكان سعد قال لهم اذا كبرت ثلاثا فاحملوا فكبر فى أثناء تلك الحملة تكبيرتين فلما كبر الثالثة لحق الناس بعضهم بعضا وخالطوا القوم واستقبلوا الليل استقبالا بعد ماصلوا العشاء وكان صليل الحديد فيها كصوت القيون * جمع قين وهو الحداد * ليلتهم الى الصباح وافرغ الله الصبر عليهم افراغا وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها ورأى العرب والعجم أمرا لم يروا مثله قط وانقطعت الاخبار والاصوات عن سعد ورستم وأقبل سعد على الدعاء فلما كان عند الصبح انتمى الناس فاستدل بذلك على انهم الاعلون واصبح الناس ليلة الهرير وتسمى ليلة القادسية من بين تلك الليالى وهم حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها فسار القعقاع فى الناس

وقع بين الشريف أبي نمي وبين الحاج فتنة بالثنية من الشبيكة وانتهى الامر الى أن هجموا على مكة وشهروا بالحرم الشريف أكثر من عشرة آلاف سيف وقتل من الفريقين نحو أربعين نفسا من جملتهم ولد الشريف أحمد بن قتادة وأما الجرحى فكثير ونهبت أموال الناس واستمرا الشريف أبو نمي منفردا بمكة الى سنة سبعمائة وواحدة فلما كان شهر صفر نزل عن ولاية مكة لولديه (الشريف حميضة ورميثة) ثم توفى الشريف أبو نمى بعد ذلك بيومين وخلف ثلاثين ولدا مابين ذكر وأنثى ولما توفى صلى عليه وطيف بنعشه سبعا على جرى عادتهم ودفن وبنى عليه قبة بالمعلا وكان فاضلا كريما شجاعا وكانت ولايته مكة انفرادا ومشاركة لابيه وعمه نحو خمسين سنة الأأوقات يسيرة زالت ولايته عنها وبقى ملك مكة فى بنيه ثم بعد وفاته استمر ولداه حميضة ورميثة الى الموسم وفى هذه السنة حج الامير بيبرس صاحب الكرك فلما كان بمكة اجتمع به الشريف (عطيفة وأبو الغيث) ابنا الشريف أبى نمى وشكيا اليه أن أخويهما ظلماهما واستبدا بامارة مكة وانهما قد قهراهما وأنالاهما الخسف فولاهما الامير بيبرس على مكة قبض على حميضة ورميثة وصحبهما معه الى مصر وقيل وليها أبو الغيث ومحمد بن ادريس بن قتادة وفى سنة سبعمائة وثلاث

فقال ان الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم فاصبروا ساعة فاحملوا فان النصر مع الصبر فاجتمع
اليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح فلما رأت ذلك القبائل
قام فيها رؤساؤهم وقالوا لا يكونن هؤلاء أجد في أمر الله منكم ولا هؤلاء يعني الفرس اجرأ على
الموت منكم فحملوا فيما يليهم وخالطوا من بازائهم فاقتتلوا حتى قام قائم الظهيرة فكان أول من
زال الفيرزان والهرمزان فتأخرا وثبتا حتى انتهيا وانفرج القلب وركد عليهم النقع وهبت
ريح عاصف فقلعت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق وهي دبور ومال الغبار عليهم
وانتهى القعقاع ومن معه الى السرير فعثروا به وقد قام رستم عنه حين أطارت الريح الطيارة
الى بغال قد قدمت عليه بمال فهي واقفة فاستظل في ظل بغل وحمله وضرب هلال بن علقمة
الحمل الذي تحته رستم فقطع حباله ووقع عليه أحد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فأزال
عن ظهره فقارا فرآه هلال فضربه ضربة فنفحت مسكا ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه
فيه واقتحمه هلال عليه وأخذ برجليه ثم خرج به فضرب جبينه بالسيف حتى قتله ثم ألقاه بين
أرجل البغال ثم صعد السرير وقال قتلت رستم ورب الكعبة الي الي فأطافوا به وكبروا فنفله سعد
سلبه ولم يظفر بقلنسوته ولو ظفر بها لكانت قيمتها مائة الف وقيل ان هلالا لما قصد رستم رماه
رستم بنشابة اثبت قدمه بالركاب فحمل عليه هلال فضربه فقتله ثم احتز رأسه وعلقه ونادى
قتلت رستم فانهزم قلب المشركين وقام الجالينوس على الردم (بالدال) ونادى الفرس الى
العبور وكانت الهزيمة عليهم وأما المقترنون فانهم جشعوا فتهافتوا في العتيق فوخزهم المسلمون
برماحهم فما أفلت منهم مخبر وهم ثلاثون الفا واخذ ضرار بن الخطاب العلم الاكبر الذي كان للفرس
فعوض منه ثلاثين الفا وكانت قيمته الف الف ومائتي الف وقتل من الفرس في المعركة عشرة
آلاف سوى من قتلوا في الايام قبله وقتل من المسلمين قبل ليلة الهرير الفان وخمسمائة وقتل ليلة
الهرير ويوم القادسية ستة آلاف وجمعت الاسلاب والاموال فجمع شئ لم يجمع قبله ولا بعده
مثله وأمر سعد القعقاع وشرحبيل باتباع المنهزمين حتى بلغا مقدار الخرارة من القادسية وخرج
زهرة بن الحوية التميمي في آثارهم في ثلثمائة فارس ثم أدركه الناس فلحق المنهزمين والجالينوس
يجمعهم فقتله زهرة وأخذ سلبه وقتلوا ما بين الخرارة الى السيلحين الى النجف وعادوا من اثر
المنهزمين ومعهم الاسرى فروى شاب من النخع وهو يسوق ثمانين رجلا اسيرا من الفرس واستكثر
سعد سلب الجالينوس فكتب فيه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب عمر الى سعد تعمد الى
مثل زهرة بن الحوية وقد صلى بمثل ما صلى به تفسد قلبه وقد بقي عليك من حربك ما بقي أمض له سلبه
وفضله على أصحابه عند عطائه بخمسمائة فلما اتبع المسلمون الفرس كان الرجل يشير الى الفارس
فيأتيه فيقتله وربما أخذ سلاحه فقتله به وربما امر رجلين فيقتل احدهما صاحبه ولحق سلمان بن
ربيعة الباهلي وعبد الرحمن بن ربيعة بطائفة من الفرس قد نصبوا راية وقالوا لا نبرح حتى نموت
فقتلهم سلمان ومن معه وكان قد ثبت بعد الهزيمة بضعة وثلاثون كتيبة من الفرس استحيوا
من الفرار فقصدهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين لكل كتيبة منهم رئيس وكان قتال اهل
الكتائب من الفرس على وجهين منهم من هرب ومنهم من ثبت حتى قتل وكان ممن هرب
من أمراء الكتائب الهرمزان ثم تراجع الناس من طلب المنهزمين وقد قتل مؤذنهم فتشاح

عادرميثة وحميضة من مصر واليمن على مكة وأظهرا العدل ثم رجعا الى الجو رفبعث اليهما صاحب
مصر جيشا فانهزما ثم
عادا وفي سنة اثنتي عشرة
وسبعمائة حج الناصر
قلاوون صاحب مصر
ففرا منه ثم عادا بعد رجوعه
وفي سنة سبعمائة وثلاث
عشرة وصل عسكر من
صاحب مصر ومعهم
ثلاثمائة فارس مدرعين
ومعهم أبو الغيث بن أبي نمي
فلما سمع بهم حميضة ورميثة
فرا الى حلي من أرض اليمن
واستولى أبو الغيث على
مكة وقصد حلياً بمن معه
في طلب حميضة ورميثة
فلم يظفر بهما لانهما بالسراة
فرجع الى مكة وأقام الجيش
بمكة شهرين ثم ان أبا الغيث
قصر في حق الجيش
وكتب لهم خطا بانه غني
عنهم فعادوا الى مصر ولما
بلغ حميضة رجوع الجيش
قصد أبا الغيث بجمع من
العرب وانتزع مكة منه
وقتله على فراشه وذلك
سنة سبعمائة وأربع عشرة
وبعد أن قتله حمله الى داره
ثم استدعى اخوانه للضيافة
فأتوه فقدم لهم أخاهم أبا الغيث
مصلوقا في جفنة وكان قد
أوقف على رأس كل واحد
منهم عبدين أسودين في يد كل
واحد منهما سيف فأذعنوا له
واستمر حميضة مستقلا
بأمر مكة فانتزعها منه أخوه رميثة في شعبان سنة سبعمائة وخمس عشرة بولاية من الناصر صاحب

(المسلمون)

المسلمون فى الاذان حتى كادوا يقتتلون واقرع سعد بينهم فخرج سهم رجل فأذن وفضل اهل البلاء من أهل القادسية عند العطاء بخمسمائة خمسمائة وهم خمسة وعشرون رجلا واما أهل الايام قبلها فانهم فرض لهم على ثلاثة آلاف فضلوا على أهل القادسية فقيل لسعد لو ألحقت بهم أهل القادسية فقال لم اكن لالحق بهم من لم يدركهم وقيل له لو فضلت من بعدت داره على من قاتلهم بفنائه قال كيف افضل عليهم وهم شجن العدو وهل فعل المهاجرون بالانصار هذا وكانت العرب تتوقع وقعة العرب وأهل فارس بالقادسية فيما بين العذيب الى عدن ابين وفيما بين الابلة وايلة يرون ان ثبات ملكهم وزواله بها وكانت فى كل بلدة مصيخة اليها تنظر مايكون من أمرها فلما كانت وقعة القادسية سارت بها الجن فأتت بها اناسا من الانس فسبقت اخبار الانس وكتب سعد الى عمر بالفتح وبعدة من قتلوا وبعدة من اصيب من المسلمين وسمى من يعرف مع سعد بن عميلة الفزارى وكان عمر يسأل الركبان من حين يصبح الى انتصاف النهار عن أهل القادسية ثم يرجع الى أهله ومنزله قال فلما لقى البشير سأله من اين فأخبره قال ياعبدالله حدثنى قال هزم الله المشركين وعمر يخب معه يسأله والآخر يخبره وهو يسير على ناقته لايعرفه حتى دخل المدينة واذا الناس يسلمون عليه بامرة المؤمنين قال البشير هلا أخبرتنى رحمك الله انك امير المؤمنين فقال عمر لا بأس عليك يا اخى وأقام المسلمون بالقادسية فى انتظار قدوم البشير وامر عمر الناس ان يقوموا على أقباضهم ويصلحوا احوالهم ويتابع اليهم أهل الشام ممن شهد اليرموك ودمشق ممدين لهم والصحيح ان وقعة القادسية كانت سنة أربع عشرة كما تقدم وقيل كانت سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر الوقايع بعد فتح القادسية الى ان فتحت مداين كسرى ﴾

لما فرغ سعد رضى الله عنه من امر القادسية اقام بها بعد الفتح شهرين وكاتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيما يفعل فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى المداين وان يخلف النساء والعيال بالعتيق وان يجعل معهم جندا كثيفا وان يشركهم فى كل مغنم ماداموا يخلفون المسلمين فى عيالهم ففعل ذلك وسار من القادسية لايام بقين من شوال فلما وصلت مقدمة المسلمين برس لقوا جندا من الفرس فقاتلهم المسلمون فهزم الله الفرس وقتل المسلمون كثيرا منهم وانحاز المنهزمون الى بابل وكان بها كثير من جندهم وعليهم الفيرزان فقصدهم المسلمون فقاتلوهم وقتلوا كثيرا منهم وهزموا الباقين فانطلقوا على وجوههم فسار الهرمزان نحو الاهواز فأخذ مافيها من الاموال لكسرى وسار الى نهاوند فأخذ مافيها من الاموال كلها وكان بها كنوز لكسرى وسار النخيرخان ومهران الرازى الى المداين وقطعا الجسر فأقام سعد ببابل وارسل زهرة بن الحوية الى نهر شير قبالة المدينة العتيقة من المداين الغربية فتلقاه دهقان ساباط للصلح فأرسله الى سعد فصالحه على تأدية الجزية فوصل سعد والمسلمون الى نهر شير ليحاصروا المداين فرأوا الايوان من بعد فقال ضرار بن الخطاب الله اكبر ابيض كسرى هذا ماوعد الله ورسوله وكبر الناس معه فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا ثم نزلوا على المدينة محاصرين لها وكان نزولهم عليها فى ذى الحجة فحاصروها شهرين ونصبوا عليها عشرين منجنيقا ودنوا اليهم بالدبابات وارسل سعد الخيول

مصر وجاء معه جيش فهرب حميضة الى الخلف والخليف وهو حصن بينه وبين مكة ستة أيام بعد ان أخذ ماجمعه من النقد والبز نحو مائة حمل وأحرق الباقى بالنار وكان وصول الجيش مكة منتصف شهر رمضان وأقاموا بها ثلاثة عشر يوما ثم توجهوا الى الخلف والخليف وكان حميضة قد التجأ الى صاحب ذلك الحصن وصاهره ليحميه فقصده أخوه رميثة بمن معه من العسكر الى هناك فوقعت بينهم محاربة وأسروا ابنا لحميضة وأخذوا جميع مامعه من الاموال ورجعوا الى مكة فى شهر ذى القعدة وهرب حميضة الى العراق وقصد السلطان خدابند من سلاطين التتار وكان مسلما فأكرمه وأنعم عليه فلما رأى اقباله عليه حسن له أن يعينه على أخذ مكة ووعده بان يخطب له بها فعين له عشرة آلاف من العسكر وأمر عليهم السيد طالب الافطس وأرسل الشريف حميضة الى أمراء العرب فأجابوه وأهم ذلك أهل الشام فلجؤا الى أمراء طى وهم عرب كثيرون فاتفق وفاة السلطان خدابند فى أثناء ذلك وكان بين وزيره رشيد الدين وبين السيد طالب الافطس عداوة فكاتب الوزير العسكر وذكر لهم موت السلطان فحصل فيهم الاختلاف وثارت عليهم

فأغارت على من ليس له عهد فأصابوا مائة ألف فلاح فأرسل سعد الى عمر بالخبر فكتب له عمر ان من جاءكم من الفلاحين ممن لم يعينوا عليكم فهو في أمان ومن هرب فأدركتموه فشأنكم به فخلى سعد عنهم وأرسل الى الدهاقين ودعاهم الى الاسلام او الجزية ولهم الذمة فتراجعوا فلم يبق في غربي دجلة الى ارض العرب سوادي الا آمن واغتبط بملك الاسلام واشتد الحصار بأهل المداين الغربية حتى اكلوا السنانير والكلاب وصبروا من شدة الحصار على أمر عظيم فبينما هم محاصرونهم اذ أشرف عليهم رسول الملك فقال الملك يقول لكم هل لكم الى المصالحة على ان لنا ما يلينا من دجلة الى جبلنا ولكم ما يليكم من دجلة الى جبلكم وما شبعتم لا أشبع الله بطونكم فقال له أبو مقرن الاسود مقالة أنطقه الله بها ولا يدري ما قال لهم لا هو ولا من كان معه فرجع الرجل فقطعوا دجلة الى المداين الشرقية التي فيها الايوان فقال لأبي مقرن من كان معه ما قلت له فقال والذي بعث محمدا بالحق ما ادري وانا ارجو ان اكون نطقت بالذي هو خير وسأله سعد والناس عما قال فلم يعلم فنادى سعد في الناس فنهدوا اليهم فما ظهر على المدينة احد ولا خرج رجل الا رجل ينادي يطلب الامان فأمنوه فقال لهم ما بقي بالمدينة من يمنعكم فدخلوا فما وجدوا فيها شيأ ولا احدا الا الاسارى وذلك الرجل فسألوه لأي شئ هربوا فقال بعث الملك اليكم يعرض عليكم الصلح فأجبتموه انه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبدا حتى نأكل عسل افريدون بأترج كوثى فقال الملك يا ويلتا ان الملائكة تتكلم على ألسنتهم ترد علينا فساروا الى المدينة القصوى فدخل المسلمون المدينة الغربية وانزلهم سعد المنازل

ذكر فتح المداين التي فيها ايوان كسرى

لما دخل المسلمون المداين الغربية كان البحر بينهم وبين المداين الشرقية التي فيها الايوان وليس للمسلمين سفن يعبرون فيها ورأى سعد رؤيا ان خيول المسلمين اقتحمت دجلة فعبرت فعزم سعد لتأويل الرؤيا فجمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان عدوكم قد اعتصم بهذا البحر فلا تخلصون اليهم معه ويخلصون اليكم اذا شاؤا في سفنهم فيناوشونكم وليس وراءكم شئ تخافون ان تؤتوا منه قد كفاكم اهل الايام وعطلوا ثغورهم وقد رأيت من الرأي ان تجاهدوا العدو قبل ان تحصدكم الدنيا الا اني قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم فقالوا جميعا عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل فندب الناس الى العبور وقال من يبدأ ويحمي لنا الفراض (وهي فرضة النهر ومن البحر محيط السفن) حتى تتلاحق به الناس لكي لا يمنعوهم من العبور فانتدب له عاصم ابن عمرو وذو البأس في ستمائة من أهل النجدات فاستعمل عليهم عاصما فتقدمهم عاصم في ستين فارسا وجعلهم على خيل ذكور واناث ليكون اساما لسباحة الخيل ثم اقتحموا دجلة فلما رآهم الاعاجم وما صنعوا اخرجوا للخيل التي تقدمت مثلها فاقتحموا عليها دجلة فلقوا عاصما وقد دنا من الفراض فقال عاصم الرماح الرماح اشرعوا وتوخوا العيون فالتقوا فاطعنوا وتوخى المسلمون عيونهم فولوا ولحقهم المسلمون فقتلوا اكثرهم ومن نجا منهم صار اعور من الطعن وتلاقوا الستمائة بالستين غير متعبين ولما رأى سعد عاصما على الفراض قد منعها اذن للناس في الاقتحام وقال قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل

العرب الذين مع الشريف حيضة فنهبت العرب العسكر وكانت بينهم مقتلة وقاتل الشريف حيضة العرب قتالا شديدا يومئذ حتى قال الا فطس مازلت أسمع بحملات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حتى شاهدتها من الشريف حيضة معاينة ثم ان الشريف حيضة قدم مكة ومعه ثلاثة وعشرون راحلة وكتب الى أخيه رميثة يستأذنه في دخول مكة فامتنع أن يدخله الا باذن السلطان فكتب الى السلطان بمصر يعرفه بذلك وانه ليس مع أخيه الا فرس واحدة فكتب اليه السلطان ان وافق أن يأتي الى أبوابنا ويقيم عندنا فأمنه وسامحه بذنوبه السالفة وأما الحجاز فلا يقيم فيه وكتب السلطان بالامان لحيضة وأرسله مع عدة من الاتراك لاحضار حيضة فلما وصلوا اعتذر حيضة بعدم القدرة على السفر وتغيب عنهم فرجعوا الى مصر واستمر رميثة الى انقضاء السنة فلما كان يوم الاحد سادس جمادى الاخرة سنة سبعمائة وثمان عشرة أقبل حيضة بجموع ودخل مكة وأخرج منها رميثة وخطب حيضة لملك العراق وهو ابن خدابندا أبي سعيد وقيل ان استيلاءه هذا كان برضاء من رميثة فجهز الملك الناصر جيشا من مصر وأمرهم أن لا يعودوا الا بعد القبض على حيضة فلم يظفروا (والله)

والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزمن عدوه ولا قوة الا بالله العلي العظيم وتلاحق الناس في دجلة وأنهم يتحدثون كما يتحدثون في البر وطبقوا دجلة حتى ما يرى من الشاطئ شيء وكان الذي يساير سعدا سلمان الفارسي رضي الله عنهما فعامت بهم خيولهم وسعد يقول حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزمن عدوه ان لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات فقال له سلمان الاسلام جديد ذللت لهم البحور كما ذلل لهم البر اما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه افواجا كما دخلوا فيه افواجا فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفقدوا شيأ الا ان مالك بن عامر العنبري سقط منه قدح فذهبت به جرية الماء فقال الذي يسايره معيرا له أصابه القدر فطاح فقال والله أني لعلى حالة ما كان الله ليسلبني قدحي من بين العسكر فلما عبروا ألقته الريح الى الشاطئ فتناوله بعض الناس وعرفه صاحبه فأخذه صاحبه ولم يغرق منهم احد غير أن رجلا من بارق يدعى غرقدة زال عن ظهر فرس له اشقر وكاد يغرق فثنى القعقاع عنان فرسه اليه فأخذه بيده فأخرجه سالما وخرج الناس سالمين وخيلهم تنفض اعرافها فلما رأى الفرس ذلك وأتاهم أمر لم يكن في حسابهم خرجوا هاربين نحو حلوان وكان يزدجرد قد قدم عياله الى حلوان قبل ذلك وخلف مهران والنخيرخان وكان على بيت المال بالنهروان وخرجوا معهم بما قدروا عليه من الثياب والمتاع والآنية والفصوص والالطاف ما لا يدرى قيمته وخلفوا ما كانوا أعدوا للحصار من البقر والغنم والاطعمة وكان في بيت المال ثلاثة آلاف الف الف الف ثلاث مرات أخذ منها رستم عند مسيره الى القادسية النصف وبقي النصف ولما دخلوا المداين نزل سعد القصر الابيض وجاء جماعة من الفرس وعقدوا ذمة على تأدية الجزية وبعث سعد جماعة الى الاطراف من كل جهة يغيرون ويؤمنون من اراد الامان واتخذ سعد ايوان كسرى مصلى ولم يغير ما فيها ولما دخل سعد الايوان قرأ* كم تركوا من جنات وعيون الى قوله قوما آخرين وصلى فيه صلاة الفتح ثمان ركعات ولم يكن بالمداين اعجب من عبور الماء وكان يدعى يوم الجراثيم لا يعيا احد الا شخصت له جرثومة من الارض يستريح عليها ما يبلغ الماء حزام فرسه

﴿ ذكر ما جمع من غنايم أهل المداين وقسمتها ﴾

اجتمع عند سعد بعد دخوله المداين من الغنايم والاموال ما لا يحصى ورأوا بالمداين قبابا مملوءة سلالا مختومة برصاص فحسبوه طعاما فاذا فيه آنية الذهب والفضة وكان الرجل يطوف ليبيع الذهب بالفضة متماثلين ورأوا كافورا كثيرا فحسبوه ملحا فعجنوا به فوجدوه مرا وأدرك الطلب مع زهرة جماعة من الفرس على جسر النهروان فازدحموا عليه فوقع منهم بغل في الماء فعجلوا وكبوا عليه فقال بعض المسلمين ان لهذا البغل لشأنا فجالدهم المسلمون عليه حتى اخذوه واذا هو يحمل عليه حلية كسرى ووشاحه ودرعه التي فيها الجوهر وكان يجلس فيها للمباهاة ولحق الكلج ببغلين معهما فارسان فقتلهما واخذ البغلين فاذا عليهما سفطان فيهما تاج كسرى مرصعا وعلى البغل الآخر سفطان فيهما ثياب كسرى التي كان يلبس من الديباج

بل ترك مكة وفر منها وبقي مجيا الى أن قتل بالشرق قيل ان الملك الناصر دس عليه من قتله غيلة وقيل ان جيش الناصر تبعه حتى أدركوه فقتلوه وبقي رميثة على ولاية مكة ثم قبض عليه بهادر مقدم العسكر الذي بعث به الناصر وولى الناصر سنة تسع عشرة (عطيفة بن ابي نمى) وجهز معه جيشا وحج الملك الناصر تلك السنة وفي سنة سبعمائة واحدى وعشرين توجه الشريف عطيفة الى مصر من القحط الذي حصل بمكة من عدم الامطار وقلة الواصل من البحر فرسم السلطان بنقل الحب الى مكة ورتب لصاحب مكة كل عام شيأ من القمح يحمل اليه من الصعيد والزم ان يسقط المكس الذي يأخذه على الواردين ففعل ذلك وفي سنة اثنين وعشرين وسبعمائة اطلق الملك الناصر الشريف رميثة وأشركه مع أخيه عطيفة في ولاية مكة

(ذكر الفتنة بين الترك والتكارنة)

وفي سنة سبعمائة وأربع وعشرين حج ملك التكرور موسى وحضر معه للحج أكثر من خمسة عشر ألفا من التكارير ووقعت فتنة بين الترك والتكارير بالمسجد الحرام وأشهرت السيوف بالمسجد وكان أمير التكرور بالشباك المشرف على المسجد من رباط هناك فأمر جماعته بالكف فأمسكوا

المنسوج بالذهب المنظوم بالجوهر وغير الديباج منسوجا منظوما وادرك القعقاع فارسيا فقتله وأخذ منه عيبتين فى احداهما خمسة اسياف وفى الاخرى ستة اسياف وأدراع منها درع كسرى ومغافره ودرع هرقل ودرع خاقان ملك الترك ودرع النعمان ودرع داهر ملك الهند استلبها الفرس ايام غزاهم خاقان وهرقل وداهر وايام هرب النعمان من كسرى وكذا الاسياف فاحضر القعقاع الجميع عند سعد فخيره بين الاسياف فاختار سيف هرقل واعطاه درع بهرام ونفل سائرها الاسيف كسرى والنعمان بعث بهما الى عمر بن الخطاب لتسمع العرب بذلك وبعثوا بتاج كسرى وحليته وثيابه الى عمر ليراه المسلمون وادرك عصمة بن خالد الضبي رجلين معهما حمارين فقتل احدهما وهرب الآخر وأخذ الحمارين فاذا على احدهما سفطان فى احدهما فرس من ذهب بسرج من فضة وعلى ثغره ولبانه الياقوت والزمرد المنظوم على الفضة ولجام كذلك وفارس من فضة مكلل بالجوهر وفى الآخر ناقة من فضة عليها شليل من ذهب وبطان من ذهب ولها زمام من ذهب وكل ذلك منظوم بالياقوت وعليها رجل من ذهب مكلل بالجواهر كان كسرى يضعهما على اسطوانة التاج واقبل رجل بحق الى صاحب الاقباض فقال هو والذى معه مارأينا مثل هذا مايعدله ماعندنا ولا يقاربه فقالوا هل أخذت منه شيأ فقال والله لولا الله ما أتيتكم به فقالوا من أنت فقال والله لا اخبركم فتحمدونى ولكن احمد الله وارضى بثوابه فأتبعوه رجلا فسأل عنه فاذا هو عامر بن عبد قيس وقال سعد والله ان الجيش لذو أمانة ولولا ماسبق لاهل بدر لقلت انهم على فضل أهل بدر لقد تتبعت منهم هنات ماحسبها من هؤلاء وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما والله الذى لا اله الا هو مااطلعنا على احد من أهل القادسية انه يريد الدنيا مع الآخرة فلقد اتهمنا ثلاثة نفر فارأينا كأمانتهم وهم طليحة وعمرو بن معدى كرب وقيس بن المكشوح وقال عمر رضى الله عنه لما قدم عليه بسيف كسرى ومنطقته وزبرجده ان قوما ادوا هذا لذو وأمانة فقال على رضى الله عنه انك عففت فعفت الرعية فلما جمعت الغنائم قسم سعد الفيء بين الناس بعد ماخمسه وكانوا ستين ألفا فاصاب الفارس اثناعشر الفا وكلهم كان فارسا ليس فيهم راجل ونفل من الاخماس فى أهل البلاء وقسم المنازل بين الناس واحضر العيالات فانزلهم الدور فاقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جلولا وحلوان وتكريت والموصل ثم تحولوا الى الكوفة وارسل سعد من الخمس كل شىء اراد ان يعجب منه العرب وما كان يعجبهم ان يقع وكان من جملة ماغنموه بساط كسرى ويقال له القطيف وهو من اعجب ماكان لملك الفرس وهو بساط واحد طوله ستون ذراعا وعرضه ستون ذراعا كانت الاكاسرة تعده للشتاء اذا ذهبت الرياحين شربوا عليه فكأنهم فى رياض فيه طرق كالصور وفيه فصوص كالانهار ارضها مذهبة وخلاف ذلك فصوص كالدر وفى حافاته كالارض المزروعة والارض المبقلة بالنبات فى الربيع والورق من الحرير على قضبان الذهب وزهره الذهب والفضة وثمره الجوهر واشباه ذلك واراد سعد اخراج خمس القطيف فلم تعتدل قسمته فقال للمسلمين هل تطيب انفسكم على اربعة اخماسه فنبعث به الى عمر يضعه حيث يشاء فانا لانراه ينقسم وهو بيننا قليل وهو يقع من أهل المدينة موقعا فقالوا نعم فبعث به الى عمر فلما قدم خمس الغنائم على عمر رضى الله عنه

وفى سنة سبعمائة وثلاثين وقعت فتنة بين أمير المصريين وأهل مكة وقتل الامير وابنه وجماعة منهم وذلك يوم الرابع عشر من ذى الحجة والخطيب يخطب فلما بلغ السلطان ذلك غضب ونوى أن يبعث الى مكة جيوشا ويستأصل الاشراف فقيض الله له قاضى القضاة جلال الدين القزوينى فوعظه وعظا بليغا وصرفه عن نيته فرضى على رميثة وأبقاه واليا على مكة بمفرده ورحل عطيفة الى مصر واستمر رميثة الى سنة سبعمائة وأربع وثلاثين فأشرك معه أخاه عطيفة بلا قتال ثم انفرد بها رميثة وأخرج عطيفة ليلة رحيل الحاج من مكة واستمر الى سنة سبعمائة وخمس وثلاثين فرجع عطيفة وشاركه الى اثناء سنة سبعمائة وست وثلاثين فتنافرا فأقام عطيفة بمكة وخرج رميثة وأقام بالجديد من وادى مر ثم هجم رميثة على مكة فى شهر رمضان من السنة المذكورة فلم يظفر وخرج منها بعد ان قتل وزير عطيفة وبعض أصحابه واقام بالجديد ثم اصطلحا سنة سبع وثلاثين ثم انفرد رميثة بالولاية بعد ان حضر هو واخوه عطيفة عند الملك الناصر بمصر فاعتقل عطيفة وبعث رميثة الى مكة ولم يزل عطيفة بمصر الى أن توفى هناك سنة ثلاث

(قسمه)

قسمه فى مواضعه ثم قال أشيروا على فى هذا لقطيف فن بين مشير بابقائه ذخيرة للملة وآخر مفوض اليه فأشار على رضى الله عنه بقسمته بين المسلمين وقال ان تبقه على هذا اليوم لم تعدم فى غد من يستحق به ماليس له فقال صدقتنى اذ نصحتنى فقطعه بينهم فأصاب عليا قطعة منه قال ابن الاثير فباعها بعشرين الفا وفى السيرة الحلبية بعشرين الف دينار وكان النبى صلى الله عليه وسلم قال لسراقة بن مالك الكنانى حين أراد التعرض للنبى صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر الى المدينة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى ومنطقته وتاجه فلما أتى بذلك كله لعمر بن الخطاب مع جملة ما أتى به من خمس الغنائم دعا سراقة بن مالك وألبسه اياهما وكان سراقة رجلا ازب اى كثير شعر الساعدين فقال عمر ارفع يديك وقل الله أكبر الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز الذى كان يقول انا رب الناس وألبسهما سراقة رجلا اعرابيا من مدلج ورفع عمر صوته ثم اركب سراقة وطيف به فى المدينة اظهار المعجزة النبى صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بذلك قبل وقوعه ولم يأخذ عمر رضى الله عنه شيأ من تلك الغنائم التى قسمها بين الناس وكان يقرأ قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية ويقول اللهم انه لا طاقة لنا ان نحب الا مازينته فوفقنى ان انفقه فى حقه وكان رضى الله عنه يبكى ويقول ان الله زوى الدنيا عن النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه وفتحها لى فأخاف ان اكون مستدرجا وروى البخارى فى صحيحه فى كتاب الرقاق ان عمر رضى الله عنه قال اللهم انا لانستطيع الا ان نفرح بما زينته لنا اللهم انى اسألك ان انفقه فى حقه ورواه الدار قطنى بأبسط من هذا فقال ان عمر بن الخطاب اتى بمال من المشرق يقال له نفل كسرى فامر به فصب وغطى ثم دعا الناس فاجتمعوا ثم امر به فكشف عنه فاذا هو حلى وجواهر ومتاع فبكى عمر رضى الله عنه وحمد الله عز وجل فقالوا له ما يبكيك يا أمير المؤمنين هذه غنائم غنمها الله لنا ونزعها من أهلها فقال ما فتح الله من هذا على قوم الاسفكوا دماءهم واستحلوا حرمهم قال زيد بن أسلم فبقى من ذلك المال مناطق وخواتم فرفع فقال عبد الله بن أرقم لعمر رضى الله عنه حتى متى تحبسه لا تقسمه فقال اذا رأيتنى فارغا فآذنى به فلما رآه فارغا بسط شيأ فى حش نخله ثم جاءه به فى مكتل فصب فكأنه استكثره ثم قال اللهم أنت قلت زين للناس حب الشهوات فتلا الآية حتى فرغ منها ثم قال لانستطيع الا ان نحب ما زينت لنا فقنى شره وارزقنى ان انفقه فى حقه فما قام حتى مابقى منه شئ

﴿ ذكر وقعة جلولا وفتح حلوان فى سنة ست عشرة ايضا ﴾

لما انتهى الفرس الى جلولا بعد الهرب من المداين احتفروا وخندقا واجتمعوا على مهران الرازى وتقدم يزدجرد الى حلوان وأحاطوا خندقهم بحسك الحديد الا طرقهم فبلغ ذلك سعدا فأرسل الى عمر فكتب اليه عمر ان سرح هاشم بن عتبة الى جلولا واجعل على مقدمته القعقاع ابن عمرو وان هزم الله الفرس فاجعل القعقاع بين السواد والجبل وليكن الجند اثنى عشر الفا فيهم وجوه المهاجرين والانصار وأعلام العرب ففعل ذلك سعد وسار هاشم من المداين فربابل فصالحه دهقانها على ان يفرش له جريب الارض دراهم ففعل وصالحه ثم مضى حتى قدم جلولا فحاصرهم فى خنادقهم وأحاط بهم وطاولهم الفرس وجعلوا لايخرجون الا اذا

وفى سنة سبعمائة وثلاث وأربعين كان بعرفة فتنة وقتال عظيم بين الاشراف وأمير الحج وقتل من الترك نحو ستة عشر رجلا ومن الاشراف نفر يسير منهم السيد محمد بن عقبة بن ادريس بن قتادة وبعد الوقوف توجهوا الى مكة وتحصنوا بها وتركوا الحضور الى منى فى أيامها ودخل الحج مكة قبل النفر الاول وفات كثير من الناس المناسك بسبب هذه الفتنة وفى سنة سبعمائة وأربع وأربعين وقعت أيضا فتنة بين أمير الحاج وأهل مكة وقتل جماعة وخمدت الفتنة ولم يزل الشريف رميثة متوليا الى سنة خمس وأربعين وسبعمائة فنزل عن الولاية وتركها لولديه ثقبة وعجلان لكبره وعجزه ثم ان ثقبة توجه الى مصر يطلب مكة من السلطان الملك الصالح اسمعيل بن الناصر محمد قلاوون فلما وصل اليه اعتقله وأمر برد ولاية مكة الى أبيه رميثة فردت اليه وخرج الشريف عجلان الى اليمن ومنع الجلاب من الوصول الى مكة ولما رحل الحج قصد مكة ونزل الزاهر ثم اصطلح مع ابيه (ولاية

ارادواوزاحفهم المسلمون نحو ثمانين يوما كل ذلك ينصر المسلمون عليهم وجعلت الامداد ترد من يزدجرد الى مهران وامد سعد المسلمين وخرجت الفرس وقد اختلفوا فاقتتلوا فأرسل الله عليهم الريح حتى أظلمت عليهم البلاد فتحاجزوا فسقط فرسانهم فى الخندق فجعلوا فيه طرقا مما يليهم ليصعد منه خيلهم فأفسدوا حصنهم وبلغ ذلك المسلمين فنهضوا اليهم وقاتلوهم قتالا شديدا لم يقتتلوا مثله ولا ليلة الهرير الا انه كان أعجل وانتهى القعقاع ابن عمرو من الوجه الذى زحف فيه الى باب خندقهم فأخذه وأمر مناديا فنادى يامعشر المسلمين هذا اميركم قد دخل الخندق وأخذه فأقبلوا اليه ولا يمنعكم من بينكم وبينه من دخوله وانما امر بذلك ليقوى المسلمين فحملوا ولا يشكون بأن هاشما فى الخندق فاذاهم بالقعقاع بن عمرو وقد أخذه فانهزم المشركون عن المجال يمنة ويسرة فهلكوا فيما أعدوا من الحسك فعقرت دوابهم وعادوا رجالة واتبعهم المسلمون فلم يفلت منهم الا القليل وقتل يومئذ منهم مائة ألف فجللت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه فسميت جلولاء بما جللها من قتلاهم فهى جلولاء الوقيعة فسار القعقاع بن عمرو فى الطلب حتى بلغ خانقين ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الرى وقدم القعقاع حلوان فنزلها فى جند ولما سار يزدجرد من حلوان استخلف عليها خسرشنوم وكان الزينبى دهقان حلوان فلما قرب القعقاع من حلوان خرج عليه خسرشنوم والزينبى معهما فقتل الزينبى وهرب خسرشنوم واستولى المسلمون على حلوان وبقى القعقاع بها الى ان تحول سعد الى الكوفة فلحقه القعقاع واستخلف على حلوان قباذ وكان اصله خراسانيا وكتبوا الى عمر بالفتح وبنزول القعقاع حلوان واستأذنوه فى اتباعهم فأبى وقال لوددت ان بين السواد وبين الجبل سدا لا يخلصون الينا ولا نخلص اليهم حسبنا من الريف السواد انى آثرت سلامة المسلمين على الانفال وادرك القعقاع فى اتباعه الفرس مهران بخانقين فقتله وادرك الفيرزان فنزل وتوغل فى الجبل فتحامى واصاب القعقاع سبايا فأرسلهن الى هاشم فقسمهن فاتخذن سرارى فولدن وممن ينسب الى ذلك السبى ام الشعبى وقسمت الغنيمة واصاب كل واحد من الفوارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب وقيل ان الغنيمة كانت ثلاثين ألف ألف وبعث سعد الاخماس الى عمر رضى الله عنه بعد ان قسم الاربعة الاخماس على الغانمين فلما قدم الخمس على عمر رضى الله عنه قال والله لا يجنه سقف حتى اقسمه فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن الارقم يحرسانه فى المسجد فلما أصبح جاء فى الناس فكشف عنه فلما نظر الى ياقوته وزبرجده وجواهره بكى فقال له عبد الرحمن بن عوف ما يبكيك يا أمير المؤمنين فوالله ان هذا لموطن شكر فقال عمر والله ما ذلك يبكينى وبالله ما اعطى الله هذا قوما الا تحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسدوا الا القى الله بأسهم بينهم ومنع عمر من قسمة السواد لتعذر ذلك بسبب الآجام والغياض وتبعيض المياه وما كان لبيوت النار وسكك البرد وما كان لكسرى ومن جاء معه وما كان لمن قتل وخاف ايضا الفتنة بين المسلمين فلم يقسمه ومنع من بيعه لانه لم يقسم واقروها حبيسا يولونها من أجمعوا عليه بالرضا وكانوا لا يجمعون الا على الامراء فلا يحل بيع شئ من ارض السواد ما بين حلوان والقادسية واشترى جرير أرضا على شاطئ الفرات فرد عمر ذلك الشراء وكرهه

ذكر اتخاذ البصرة والكوفة مصرا من الامصار

الشريف عجلان بن رميثة) وفى سنة ست وأربعين توجه الشريف عجلان الى مصر فولاه الملك الصالح مكة دون ابيه فوصل الى مكة ومعه خمسون مملوكا وقبض على البلاد بلا قتال فى حياة أبيه وجاء معه أخوه ثقبة وخرج الى وادى نخلة وأقام مع رميثة بمكة أخواه سند ومغامس وأعطاهما رسوما يأكلانها ثم أخرجهما لى مر الظهران ثم لحقا بأخيهما ثقبة بنخلة فلم يجداه وأخبرا أنه توجه الى مصر فلحقاه بمصر فقبض عليهم جميعا وكان الملك الصالح قد توفى قبل وصول عجلان الى مكة وتسلطن بعده اخوه الكامل شعبان فكتب الى عجلان بالولاية وتوفى الشريف رميثة سنة ست وأربعين أيام مجئ ابنه عجلان من مصر وولايته عليها وكان عند وصوله زين السوق بمكة وفى أثناء الزينة توفى أبوه رميثة وكانت ولايته مكة سبع مرات كما فى تاريخ الرضى شريكا لاخيه حميضة نحو عشر سنين وشريكا لاخيه عطيفة نحو خمس سنين ومنفردا نحو خمس عشرة سنة فكانت مدة ولايته ثلاثين سنة وكان الشريف رميثة كريما شجاعا ممدوحا

(ذكر شراكة ثقبة وسند ومغامس للشريف عجلان فى ولاية مكة) وفى سنة سبع وأربعين (اختلف)

اختلف في السنة التي اتخذت البصرة فيها مصرا فقيل سنة ست عشرة بعد فتح جلولا أرسل سعد عتبة بن غزوان رضي الله عنه بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاتخذها مصرا وخرج عليه أهل الابلة فقاتلهم عتبة فهزمهم واجتمع اهل دستميسان فقتلهم عتبة فهزمهم واخذ مرزبانها أسيرا وكان من سبي ميسان يسار أبو الحسن البصري وارطبان جد عبدالله بن عون بن ارطبان وقيل ان اتخاذ عتبة البصرة مصرا كان في سنة اربع عشرة وقيل خمس عشرة واما الكوفة فاتخذها سعد مصرا سنة خمس عشرة دلهم على موضعها ابن بقيلة قال لسعد الادلك على ارض الله ارتفعت عن البقة وانحدرت عن الفلاة فدله على موضعها فتحول سعد من المداين اليها وسبب ذلك ان العرب استوخمت المداين وبعث سعد اناسا يستطيبون لهم ارضا ينزلونها فاستطابوا الكوفة وهواها فتحول اليها سعد ومن معه سنة سبع عشرة

﴿ ذكر فتح تكريت والموصل في سنة ست عشرة ايضا ﴾

كان ذلك بعد فتح جلولا وسبب ذلك ان الانطاق سار من الموصل الى تكريت وخندق عليه ليحمي ارضه ومعه الروم وأياد وتغلب والنمر والشهارجه فبلغ ذلك سعدا فكتب الى عمر فكتب اليه عمر أن سرح اليه عبدالله بن المعتم واستعمل على مقدمته ربعي ابن الافكل وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة فسار عبدالله الى تكريت ونزل على الانطاق فحصره ومن معه اربعين يوما فتزاحفوا اربعة وعشرين زحفا وأرسل عبدالله بن المعتم الى العرب الذين مع الانطاق يدعوهم الى نصرته وكانوا لا يخفون عليه شيأ ولما رأت الروم المسلمين ظاهرين عليهم تركوا امراءهم ونقلوا امتاعهم الى السفن فأرسلت تغلب واياد والنمر الى عبدالله بالخبر وسألوه الامان واعلموه انهم معه فارسل اليهم ان كنتم صادقين فأسلموا فأجابوه وأسلموا فأرسل اليهم عبدالله اذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا انا اخذنا ابواب الخندق فخذوا الابواب التي تلي دجلة وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه ونهد عبدالله والمسلمون وكبروا وكبرت تغلب واياد والنمر واخذوا الابواب فظن الروم ان المسلمين قد اتوهم من خلفهم مما يلي دجلة فقصدوا الابواب التي عليها المسلمون واخذتهم سيوف المسلمين وسيوف الربعيين الذين أسلموا تلك الليلة فلم يفلت من اهل الخندق الا من اسلم من تغلب واياد والنمر وارسل عبد الله بن المعتم ربعي بن الافكل الى الحصنين نينوى والموصل وقال اسبق الخبر وسرح معه تغلب واياد والنمر فقدمهم ابن الافكل الى الحصنين فسبقوا الخبر واظهروا الظفر والغنيمة وبشروهم ووقفوا بالابواب واقبل ابن الافكل فاقتحم عليهم الحصنين وكلبوا ابوابهما فنادوا بالاجابة الى الصلح وصاروا ذمة وقسموا الغنيمة فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف درهم وسهم الراجل الف درهم وبعثوا بالاخماس الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وولي حرب الموصل ربعي ابن الافكل والخراج عرفجة بن هرثمة ثم فتحت بقية اعمال الموصل وجميع معاقل الاكراد وصار الجميع للمسلمين

﴿ ذكر فتح ماسبذان في سنة ست عشرة أيضا ﴾

لما انقضى فتح جلولا بلغ سعدا ان آذين بن هرمزان قد جمع جمعا وخرج بهم الى السهل

أو ثمان وأربعين أطلق السلطان الشريف ثقبة وأخويه سندا ومغامسا وأشركهم مع الشريف عجلان فجاؤا من مصر ومعهم مرسوم فيه أن لهم نصف البلاد وأن الشريف عجلان له نصف البلاد ثم تنازعوا فكان ثقبة بالجديد من وادي مر فخرج اليه الشريف عجلان وأراد قتاله فاصلح بينهما القواد ثم اتسع الشريف عجلان عن البلاد فوثب ثقبة ودخل البلاد فجاء الخبر الى الشريف عجلان فذهب الى مصر ومعه ولداه الجيش وأحمد فرجع متوليا مكة وأخرج منها اخوته ثقبة وسندا ومغامسا الى اليمن وكان قدومه مكة خامس شوال سنة خمسين وسبعمائة وفي سنة سبعمائة واحدى وخمسين حج الملك المجاهد صاحب اليمن فوقع بينه وبين الشريف عجلان وحشة فأغرى به الشريف المصريين فقبضوا عليه بمنى قيل انه لما أحس بهم هرب الى جبل هناك وقاتل بعض جماعته ثم انكسروا ونهبت محطته بما فيها فنزل من الجبل على أمان من المصريين فقيدوه وقيل انه لما صعد الى الجبل ورأى القتل في جماعته نادى بأعلى صوته ان كان القصد أنا فلا تقتلوا الناس فانا آتيكم فكفوا عن الحرب ونزل اليهم بنفسه فترجل له الامراء عن الخيول

فأرسل اليهم ضرار بن الخطاب فى جيش فالتقوا بسهل ماسبذان فأقتتلوا فأسرع المسلمون القتال فى المشركين وأخذ ضرار آذين أسيرا فضرب رقبته ثم خرج فى الطلب حتى انتهى الى السيروان فاخذ ماسبذان عنوة فهرب اهلها فى الجبال فدعاهم فاستجابوا له وأقام بها حتى تحول سعد الى الكوفة فارسل اليه فنزل الكوفة واستخلف على ماسبذان ابن الهذيل الاسدى فكانت احد فروج الكوفة

ذكر فتح قرقيسا فى سنة ست عشرة ايضا

لما انقضى ايضا فتح جلولا ارسل سعد عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف فى جند نحو هيت فنازل من بها وقد خندقوا عليهم فلما رأى اعتصامهم بخندقهم ترك الاخبية على حالها وخلف عليهم الحارث بن يزيد يحاصرهم وخرج فى نصف الناس فجاء قرقيسا على غرة فأخذها عنوة فأجابوا الى الجزية ثم ان الحارث بن يزيد راسل أهل هيت فأجابوا الى الجزية وكانت ثغور الكوفة اربعة حلوان وعليها القعقاع وماسبذان وعليها ضرار ابن الخطاب وقرقيسا وعليها عمر بن مالك والموصل وعليها عبد الله بن المعتم وكان بها خلفاؤهم اذا غابوا عنها

ذكر غزوة فارس من البحرين فى سنة سبع عشرة

لما كان العلاء الحضرمى على البحرين فى خلافة ابى بكر ثم فى خلافة عمر رضى الله عنهما ندب الناس لغزو فارس فى البحر وقد كان عمر نهاه عن الغزو فى البحر خوف الغرق فخالفه وندب الناس الى قتال فارس فأجابوه ففرقهم اجنادا على احدها الجارود بن المعلى وعلى الآخر سوار بن همام وعلى الآخر خليد بن المنذر بن ساوى وخليد على جميع الناس وحملهم فى البحر الى فارس بغير اذن عمر فعبرت الجنود من البحرين الى فارس فخرجوا الى اصطخر وبازائهم أهل فارس وعليهم الهربذ فقاتلوهم قتالا شديدا بمكان يدعى طاوس فقتل سوار والجارود وقتل من أهل فارس مقتلة عظيمة ثم أراد المسلمون الرجوع الى البصرة فلم يجدوا الى الرجوع سبيلا واخذت الفرس منهم طرقهم فعسكروا وامتنعوا ولما بلغ عمر رضى الله عنه صنيع العلاء ارسل الى عتبة بن غزوان يأمره بانفاذ جند كثيف الى المسلمين بفارس قبل ان يهلكوا وقال فأنى القى فى روعى كذا وكذا نحو الذى كان فارسل عتبة جيشا كثيفا اثنى عشر الف مقاتل وعليهم ابو سبرة بن أبى رهم احد بنى عامر بن لؤى فسار بالناس على الساحل لا يعرض له احد حتى التقى ابو سبرة وخليد وكان اهل اصطخر حيث اخذوا الطريق على المسلمين جمعوا اهل فارس اليهم من كل وجهة فالتقوا هم وابو سبرة بعد طاوس وقد توافت الى المسلمين امدادهم فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركين واصاب المسلمون منهم ماشاؤا وهى الغزوة التى شرفت بها نابتة البصرة وكانوا أفضل نوابت الأمصار ثم انكفؤا بما أصابوا فرجعوا الى البصرة سالمين

ذكر الخبر عن فتح الاهواز ومناذر ونهر تيرى

فى سنة سبع عشرة فتحت الاهواز ومناذر ونهر تيرى وقيل سنة عشرين وكان السبب فى

واركبوه بغلا وذهبوا به وألزم الامراء الشريف عجلان بحفظ الحج بعد ان ذهب أكثره نهبا ثم ذهب المصريون بالملك المجاهد الى مصر فأكرمه صاحبها ثم جهزه الى بلاده فلما بلغ الدهنا من وادى ينبع ورد أمر من صاحب مصر بالذهاب به الى الكرك فاعتقل هناك ثم شفع فيه فاعيد الى مصر ثم توجه منها الى بلده فوصلها فى ذى الحجة سنة سبعمائة واثنتين وخمسين وفى سنة احدى وخمسين وسبعمائة ولى مكة الشريف ثقبة مع الشريف عجلان بموافقة بينهما وكان ثقبة قد ولى بمفرده فى هذه السنة فلم يمكنه عجلان فأقام بخليص الى أن دخل مع امير الحج فاصلح الامر بينه وبين أخيه على المشاركة ثم استقل بها ثقبة اثناء سنة سبعمائة وثلاث وخمسين بعد قبضه على أخيه عجلان واستمر ثقبة الى أن قبض أمراء الحج عليه وعلى أخويه سند ومغامس وابن عمه محمد بن عطيفة وفرعه القواد والعبيد وذلك موسم سبعمائة وأربعة وخمسين وذلك ان عجلان خرج الى الامراء واشتكى عليهم أمره فدخلوا مكة وقبضوا على الاشراف ثم أحضروا الشريف عجلان وألبسوه الخلعة من الزاهر ودخلوا به مكة وذهبوا بالاشراف الى مصر ثم أطلق ثقبة من مصر واصطلح مع (هذا)

هذا الفتح انه لما انهزم الهرمزان يوم القادسية وهو احد البيوتات السبعة فى اهل فارس قصد خورستان فملكها وقاتل بها من أرادهم فكان الهرمزان يغير على اهل ميسان ودستميسان من مناذر ونهرتيرى فاستمد عتبة بن غزوان سعدا فأمده بجيوش والتقواهم والهرمزان بين نهرتيرى وبين دلب وتوجه بعض جيوشهم لاخذ مناذر ونهرتيرى فبينما الهرمزان يقاتل الذين التقى معهم جاءه الخبر بأخذ مناذر ونهرتيرى فكسر ذلك قلب الهرمزان ومن معه فهزمه الله واياهم وقتل المسلمون منهم ماشاؤا واصابوا ماشاؤا واتبعوهم حتى وقفوا على شاطئ دجيل وأخذوا مادونه وعسكروا بحيال سوق الاهواز وعبر الهرمزان جسر سوق الاهواز وأقام وصار دجيل بين الهرمزان والمسلمين فلما رأى الهرمزان مالا طاقة له به طلب الصلح فاستأمروا عتبة فأجاب الى ذلك على الاهواز كلها ماخلا نهرتيرى ومناذر وماغلب المسلمون عليه من سوق الاهواز فانه لايرد عليهم ثم وقع اختلاف بين المسلمين والهرمزان فى حدود الارض فحاربهم الهرمزان ومنع ماقبله واستعان بالاكراد فكتب عتبة بذلك الى عمر فكتب اليه عمر يأمره بقصده وأمده بجند فالتقوا مع الهرمزان عند جسر سوق الاهواز مما يلى السوق فانهزم الهرمزان وسار الى رامهرمز وفتح المسلمون سوق الاهواز واتسعت لهم البلاد الى تستر ثم لم يزل القتال بينهم وبين الهرمزان الى ان طلب الصلح فأجاب عمر الى ذلك وان يكون ماأخذه المسلمون بأيديهم واصطلحوا على ذلك وأقام الهرمزان والمسلمون يمنعونه اذا قصده الاكراد ويجبى اليهم

ذكر فتح رامهرمز وتستر واسر الهرمزان

كان فتح رامهرمز وتستر والسوس فى سنة سبع عشرة وكان سبب فتحها ان يزدجرد لم يزل وهو بمرو يثير أهل فارس أسفا على ماخرج من ملكهم فتحركوا وتكاتبوا هم واهل الاهواز وتعاقدوا على النصرة فكتب الامراء بذلك الى سعد فكتب الى عمر فكتب اليه عمر ان ابعث الى الاهواز جندا كثيفا مع النعمان ابن مقرن وعجل وليتزلوا بازاء الهرمزان ويتحققوا أمره وكتب الى ابى موسى الاشعرى وكان على البصرة ان ابعث الى الاهواز جندا كثيفا وأمر عليهم سعد بن عدى اخا سهيل وابعث معه البراء ابن مالك ومجزاة بن ثور وعرفجة بن هرثمة وغيرهم وعلى أهل الكوفة والبصرة جميعا ابو سبرة بن ابى رهم فخرج النعمان بن مقرن فى اهل الكوفة فسار الى الاهواز وسار نحو الهرمزان وهو برامهرمز فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان اليه بادره بالشدة ورجا أن يقتطفه ومعه اهل فارس فالتقى النعمان والهرمزان باربك فاقتتلوا قتالا شديدا ثم ان الله عز وجل هزم الهرمزان فترك رامهرمز ولحق بتستر وسار النعمان الى رامهرمز ونزلها وصعد الى ايذج فصالحه تيرويه على ايذج ورجع الى رامهرمز فأقام بها ووصل اهل البصرة فنزلوا سوق الاهواز وهم يريدون رامهرمز فأتاهم خبر الوقعة وهم بسوق الاهواز واتاهم الخبر ان الهرمزان نزل بتستر فساروا نحوه وسار ايضا النعمان وغيره من الامراء فاجتمعوا على تستر وبها الهرمزان وجنوده من اهل فارس والجبال والاهواز وعليهم الخنادق وامد عمر المسلمين ايضا بأبى موسى وجعله على أهل

السنة المذكورة ثم وليها عجلان بمفرده فى موسم هذه السنة ثم اشتركا فى موسم سنة سبعمائة وثمان وخمسين ودامت ولايتهما الى أن عزلا سنة سبعمائة وستين بعد ان استدعيا للحضور الى سلطان مصر الناصر حسن فاعتذرا فولاها (الشريف سند بن رميثة ومحمد بن عطيفة بن أبى نمى) وجهز مع محمد بن عطيفة جيشا كثيفا وكان سند باليمن مع أخويه فوصل الى مكة ولائم العسكر والامراء

(ذكر فتنة بين الاشراف وعسكر مصر)

وفى سنة سبعمائة واحدى وستين وقعت فتنة بين عسكر مصر والاشراف وقتل كثير من الاتراك وعثرت بالشريف مخامس بن رميثة فرسه فسقط فقتله الاتراك وأسر الاشراف كثيرا من الاتراك وأرسلوهم الى ينبع وصاروا يبيعونهم ينادى عليهم الدلالون كالعبيد فلما بلغ صاحب مصر هذه الفتنة أرسل الشريف عجلان وولده الى الاسكندرية الى البرج وكانا معتقلين عنده وأمر بتجهيز عسكر للحجاز وأمرهم باستئصال الاشراف وقال لاحاجة لنا بهم فلم يقم بعد ذلك الا اياما حتى عزلته الاتراك وولوا

البصرة وعلى الجميع ابو سبرة فحاصروهم اشهرا وأكثروا فيهم القتل وزاحفهم المشركون أيام تستر ثمانين زحفا يكون لهم مرة وعليهم مرة فلما كان في آخر زحف منها واشتد القتال قال المسلمون للبراء بن مالك وهو اخو انس بن مالك رضي الله عنهما يا براء اقسم على ربك ليهزمنهم وكان مجاب الدعوة فقال اللهم اهزمهم لنا واستشهدني فهزموهم حتى ادخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها عليهم ثم دخلوا مدينتهم وأحاط بها المسلمون فبينماهم على ذلك وقد ضاقت المدينة بهم وطالت حربهم خرج رجل الى النعمان يستأمنه على أن يدله على مدخل يدخلون منه ورمى في ناحية ابي موسى بسهم ان امنتموني دللتكم على مكان تأتون المدينة منه فأمنوه في نشابة فرمى اليهم بأخرى وقال انهدوا من قبل مخرج الماء فانكم تقتحمونها فندب الناس اليه فانتدب له عامر بن قيس وبشر كثير ونهدوا لذلك المكان ليلا وقد ندب النعمان اصحابه ليسيروا مع الرجل الذي يدلهم على المدخل الى المدينة فانتدب له بشر كثير فالتقواهم وأهل البصرة على ذلك المخرج فدخلوا في السرب والناس من خارج فلما دخلوا المدينة كبروا فيها وكبر المسلمون من خارج وفتحت الابواب فاجتلدوا فيها فأناموا كل مقاتل وقصد الهرمزان القلعة فتحصن بها وأطاف به الذين دخلوا فنزل اليهم على حكم عمر فأوثقوه واقتسموا ما أفاء الله عليهم فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف وسهم الراجل ألفا وجاء صاحب الرمية والرجل الذي خرج بنفسه فأمنوهما ومن اغلق بابه معهما وقتل من المسلمين بشر كثير وممن قتله الهرمزان بنفسه مجزاة بن ثور والبراء بن مالك وخرج أبو سبرة بنفسه في أثر المنهزمين الى السوس ونزل عليها ومعه النعمان ابن مقرن وابو موسى وكتبوا الى عمر فكتب الى ابي موسى يرده الى البصرة فانصرف اليها من على السوس وسار زر بن عبد الله الفقيمي الى جند يسابور فنزل اليها وارسل ابو سبرة وفدا الى عمر بن الخطاب فيهم أنس بن مالك والاحنف بن قيس ومعهم الهرمزان فقدموا به المدينة وألبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب وتاجه وكان مكللا بالياقوت وألبسوه حليته ليراه عمر والمسلمون فطلبوا عمر فلم يجدوه فسألوا عنه فقيل جلس في المسجد لوفد من الكوفة فوجدوه في المسجد متوسدا برنسه وكان قد لبسه للوفد فلما قاموا عنه توسده ونام فجلسوا دونه وهو نائم والدرة في يده فقال الهرمزان أين عمر قالوا هو ذا فقال اين حرسه وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب قال فينبغي ان يكون نبيا قالوا بل يعمل بعمل الانبياء فاستيقظ عمر بجلبة الناس فاستوى جالسا ثم نظر الى الهرمزان فقال الهرمزان قالوا نعم فقال الحمد لله الذي أذل بالاسلام هذا وغيره اشباهه وأمر بنزع ما عليه فنزعوه وألبسوه ثوبا صفيقا فقال له عمر ياهرمزان كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة أمر الله فقال ياعمر انا واياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم فلما كان الآن معكم غلبتمونا ثم قال له ما حجتك وما عذرك في انتقاضك مرة بعد أخرى فقال أخاف ان تقتلني قبل ان اخبرك قال لا تخف ذلك واستسقى ماء فأتي به في قدح غليظ فقال لو مت عطشا لم استطع ان اشرب في مثل هذا فأتي به في اناء يرضاه فقال اني اخاف ان اقتل وانا اشرب فقال عمر لا بأس عليك حتى تشربه فأكفأه فقال عمر أعيدوا عليه ولا تجمعوا بين القتل والعطش فقال لا حاجة لي في الماء انما أردت ان استأمن به فقال له عمر اني قاتلك فقال قد أمنتني فقال كذبت

(قال)

مصر الملك المنصور محمد بن المظفر فأطلق السيد عجلان وولاه مكة وأشرك معه أخاه ثقبة بسؤال منه وأرسل السلطان مع الشريف عجلان عسكرا وكان ثقبة بوادي مر فلما وصل عجلان وادي مر اجتمع بأخيه ثقبة وكان عليلا فاستمر هناك الى أن توفي في شوال سنة اثنتين وستين وسبعمائة وحمل الى مكة ودفن بها واستمر الشريف عجلان على ولاية مكة

(ذكر شراكة أحمد بن عجلان مع أبيه في ولاية مكة)

ثم أشرك معه ابنه أحمد في شوال من السنة المذكورة وجعل له ربع المتحصل وقطع الدعاء لسند على المنبر وأمر بالدعاء لابنه أحمد ثم ان سند بن رميثة استولى على جدة ونازع في الامر ولم يتم له ومات بالجديد سنة سبعمائة وثلاث وستين واستمر عجلان وابنه سنة سبعمائة وأربع وستين ثم انفرد بها أحمد بن عجلان بسؤال أبيه له ذلك على شروط منها أن لا يقطع اسمه في الخطبة والدعاء بأعلى زمزم فولى ابنه أحمد ذلك وكان شجاعا وجمع من الاموال والخيل ما لم يجمعه أحد قبله من هذا الفرع وفي سنة سبعمائة وست وستين أسقط السلطان المكس المأخوذ بمكة وعوض عنه صاحب مكة مائة وستين ألف درهم من بيت المال وألف أردب

قال انس صدق يا امير المؤمنين قد امنته قال عمر يا أنس انا أؤمن قاتل مجزاة بن ثور والبراء بن مالك والله لتأتين بمخرج اولاعاقبنك قال انك يا امير المؤمنين قلت له لا بأس عليك حتى تخبرنى ولا بأس عليك حتى تشربه وقال لعمر من حوله مثل ماقال أنس فأقبل على الهرمزان وقال خدعتنى والله لا انخدع الا ان تسلم فأسلم ففرض له فيمن فرض لهم الفين وانزله المدينة وكان المترجم بينهما المغيرة بن شعبة لانه كان يفقه بالفارسية الى ان جاء المترجم

ذكر فتح السوس

لما نزل ابو سبرة على السوس كان بها شهريار اخو الهرمزان فأحاط المسلمون بها وناوشوهم القتال مرات وحاصروهم ثم اقتحموا الباب ودخلوا عليهم فالقى المشركون بايديهم ونادوا الصلح الصلح فأجابهم الى ذلك المسلمون بعد مادخلوها عنوة واقتسموا مااصابوا وقيل فى فتح السوس ان يزدجرد سار بعد وقعة جلولا فنزل اصطخر ومعه سياه فى سبعين من عظماء الفرس فوجهه الى السوس والهرمزان الى تستر ونزل سياه بين رامهرمز وتستر ودعا من معه من عظماء الفرس وقال لهم قد علمتم انا كنا نتحدث ان هؤلاء القوم سيغلبون على هذه المملكة وتروث دوابهم فى ايوانات اصطخر ويشدون خيولهم فى شجرها وقد غلبوا على مارأيتم فانظروا لانفسكم فقالوا رأينا رأيك قال ارى ان تدخلوا فى دينهم ووجهوا شيرويه فى عشرة من الاساورة الى ابى موسى فشرط عليهم ان يقاتلوا معه العجم ولا يقاتلوا العرب وان قاتلهم أحد من العرب منعهم منهم وينزلوا حيث شاؤا ويلحقوا بأشرف العطاء ويعقد لهم ذلك عمر على ان يسلموا فأعطاهم عمر ماسألوا فأسلموا وشهدوا مع المسلمين حصار تستر ومضى سياه الى حصن قد حاصره المسلمون فى زى العجم فالقى نفسه الى جانب الحصن ونضح ثيابه بالدم فرآه أهل الحصن صريعاً فظنوه رجلا منهم ففتحوا له باب الحصن ليدخلوه اليهم فوثب وقاتلهم حتى خلوا عن الحصن وهربوا فملكه

ذكر مصالحة جند يسابور

ثم سار بعض المسلمين عن السوس فنزل بجند يسابور وزر بن عبد الله محاصرهم فأقاموا عليها يقاتلونهم فرمى الى من بها من عسكر المسلمين بالامان فلم يفجأ المسلمين الا وقد فتحت أبوابها وأخرجوا اسواقهم فسألهم المسلمون فقالوا رميتم لنا بالامان فقبلناه واقررنا الجزية فقال المسلمون مافعلنا وسأل المسلمون بعضهم من فعل ذلك فاذا هو عبد يدعى مكنفا كان اصله منها فعل هذا فقالوا هو عبد فقال أهلها لانعرف العبد من الحر وقد قبلنا بالجزية ومابدلنا فان شئتم فاغدروا فكتبوا الى عمر فأجاز أمانهم فأمنوهم وانصرفوا عنهم

ذكر مسير المسلمين الى كرمان وغيرها

قيل فى سنة سبع عشرة اذن عمر للمسلمين فى الانسياح فى بلاد فارس وانتهى فى ذلك الى رأى الاحنف بن قيس حيث قال له ياأمير المؤمنين نهيتنا عن الانسياح فى البلاد وان فارس لايزالون يقاتلوننا مادام ملكهم فيهم فلايزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فى الانسياح فنسيح فى بلادهم

جهة باب الصفا وباب الزيادة وباب الباسطية وفى سنة سبعمائة وخمس وثمانين وقعت فتنة بين حجاج التكرور والمغاربة وبين حجاج العراق واليمن زمن الحج وقتل فيها نحو ألف انسان واستمر الدعاء على المنبر للشريف عجلان وابنه أحمد الى سنة سبعمائة وسبع وسبعين فانتقل الشريف عجلان للجديد من وادى مرثم توفى به وحمل على أعناق الرجال الى مكة وصلى عليه وطيف به اسبوعا ودفن بالمعلى وبنى عليه قبة وقد بلغ سبعين سنة وكانت مدة ولايته استقلالا واشتراكا نحو ثلاثين سنة

(ذكر شراكة محمد بن أحمد بن عجلان لابيه فى ولاية مكة)

ثم استمر أحمد بن عجلان الى سنة سبعمائة وثمان وسبعين فأشرك معه ابنه محمد بن أحمد بن عجلان ودامت ولايتهما الى أن توفى أحمد سنة سبعمائة وثمان وثمانين

(ذكر من مات فى جوف الكعبة من الزحام)

وفى سنة احدى وثمانين وسبعمائة مات فى جوف الكعبة من الزحام أربعة وثلاثون رجلا ولما ان توفى الشريف أحمد بن عجلان أقام ابنه محمد مائة

ونزيل ملكهم فهنالك ينقطع رجاء اهل فارس فقال عمر صدقتني والله وأذن في الانسياح فأمر أباموسى ان يسير من البصرة الى منقطع ذمة البصرة فيكون هنالك حتى يأتيه أمره وبعث بألوية من ولي مع سهيل بن عدي فدفع لواء خراسان الى الاحنف بن قيس ولواء ازدشير وسابور الى مشاجع بن مسعود السلمي ولواء اصطخر الى عثمان بن ابي العاص الثقفي ولواء فسا ودار بجرد الى سارية بن زنيم الكناني ولواء كرمان الى سهيل بن عدي ولواء سجستان الى عاصم بن عمرو ولواء مكران الى الحكم بن عمير التغلبي فخرجوا ولم يتهيأ مسيرهم في ذلك الوقت وأمدهم بنفر من اهل الكوفة وسيأتي الكلام على تفصيل ذلك

﴿ ذكر وقعة نهاوند ﴾

قيل انها كانت سنة ثمان عشرة وقيل سنة تسع عشرة وقيل سنة احدى وعشرين وكان الذي هيج أمر نهاوند أن المسلمين لما خلصوا من جند العلاء من بلاد فارس وفتحوا الأهواز كاتبت الفرس ملكهم وهو بمرو فحركوه وكاتب الملوك بين الباب والسند وخراسان وحلوان فتحركوا وتكاتبوا واجتمعوا الى نهاوند ولما وصل أوائلهم بلغ سعدا الخبر فكتب الى عمر وثار بسعد قوم سعوا به وتعصبوا عليه ولم يشغلهم ما نزل بالناس وكان جماعة خالفوا سعدا وصاروا يشكون منه فمن تحرك في أمره الجراح بن سنان الاسدي في نفر فقال لهم عمر والله ما يمنعني ما نزل بكم من النظر فيما لديكم فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس في الاستعداد للفرس وكان محمد بن مسلمة صاحب العمال يقتص آثار من شكي زمان عمر فطاف بسعد على اهل الكوفة يسأل عنه فما سأل عنه جماعة الا اثنوا عليه خيرا سوى من مالأ الجراح الاسدي فانهم سكتوا ولم يقولوا سوأ ولا يسوغ لهم حتى انتهوا الى بني عبس فسألهم فقال اسامة ابن قتادة اللهم انه لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية ولا يغزو في السرية فقال سعد اللهم ان كان قالها رياء وكذبا وسمعة فأعم بصره وأكثر عياله وعرضه لمضلات الفتن فعمي واجتمع عنده عشر بنات وكان يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يجسها فاذا عثر عليها قال دعوة سعد الرجل المبارك ثم دعا سعد على أولئك النفر فقال اللهم ان كانوا خرجوا أشرا وبطرا ورياء فاجهد بلادهم فجهدوا وقطع الجراح بن سنان بالسيوف يوم بادر الحسن بن علي رضي الله عنهما ليغتاله بساباط وشدخ قبيصة بالحجارة وقتل أربد بالوجئ ونعال السيوف وكان سعد رضي الله عنه مجاب الدعوة لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له بذلك وكان من العشرة المبشرين بالجنة ومن السابقين للاسلام ومن اخوال النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول رجل رمى بسهم في سبيل الله واول رجل اهرق دما من المشركين في سبيل الله وجمع له النبي صلى الله عليه وسلم ابويه فقال فداك ابي وامي ثم ان محمد بن مسلمة رجع الى المدينة بسعد وبالقوم الذين شكوا منه فقدموا على عمر فاخبروه الخبر فقال كيف تصلي يا سعد قال اطيل الاوليين واحذف الأخريين فقال هكذا الظن بك يا ابا اسحاق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بينا فاراد عمر رضي الله عنه الاحتياط وقطع النزاع لئلا يطول الشر ويتسع الامر فقال من خليفتك يا سعد على الكوفة فقال عبد الله بن عبد الله بن عتبان فأقره

يوم ثم قتل في مستهل ذي الحجة من السنة المذكورة قتله أمير الحج المصري وقيل قتل في أيام منى بسوق منى ضربه رجل بسكين مسمومة وغاب في سواد الناس ولم يعرف وقيل ان الشريف محمد بن أحمد بن عجلان كان في حبس أبيه جماعة من الاشراف منهم عمه محمد وخالاه أحمد وحسن ابنا ثقبة وابن خاله علي بن أحمد بن ثقبة فسأل السلطان أباه أحمد أن يطلقهم فأبى ثم كلمهم ابنه محمد بعد موت أبيه فتغير عليه السلطان وكان بمصر عنان بن مغامس فارا من أحمد بن عجلان فأضمر السلطان ولاية (عنان بن مغامس بن رميثة) عوض محمد وسيره من مصر مع الحج المصري ولم يطلعه على ذلك وأمر أمير الحج المصري أن يحتفل بمحمد لئلا يتشوش فيفر فيفوت المراد فلما وصل الى مكة خرج محمد لتلقيه فلما حضر عند المحمل وثب عليه باطنيان فجرحاه جراحات مات منها من فوره وذلك يوم الاثنين مستهل ذي الحجة سنة سبعمائة وثمان وثمانين وله من العمر نحو عشرين سنة ولما قتل أعلن بولاية عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نمي عوضه ودخل مكة مع الترك وهم مسلحون حتى انتهوا الى أجياد فحاربوا من ثبت لهم من جماعة محمد وثبتت ولاية مكة لعنان بن مغامس وله

(وأمر)

وامر سعدا بالبقاء معه في المدينة ولما طعن عمر رضي الله عنه جعله من الستة اصحاب الشورى الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وقال ان تولوا سعدا فأهل هو والا فليستعن به الوالي فاني لم أعزله عن ضعف ولا خيانة هكذا كان سبب نهاوند فابتداء البعث كان في زمن سعد واما الوقعة فهي في زمان عبد الله بن عبد الله بن عتبان فنفرت الاعاجم بكتاب يزدجرد فاجتمعوا بنهاوند على الفيرزان في خمسين الفا ومائة الف مقاتل وكان سعد كتب الى عمر بالخبر ثم شافهه به لما قدم عليه وقال له ان أهل الكوفة يستأذنونك في الانسياح وان يبدؤهم بالشدة ليكون اهيب لهم على عدوهم فجمع عمر الناس واستشارهم وقال لهم هذا يوم له ما بعده وقد هممت ان اسير فيمن قبلي ومن قدرت عليه فأنزل منزلا وسطا بين هذين المصرين ثم استنفرهم واكون لهم ردأ حتى يفتح الله عليهم او يقضي ما احب فان فتح الله عليهم صببتهم في بلدانهم فقال طلحة بن عبيد الله يا أمير المؤمنين قد احكمتك الامور وعجمتك البلابل واحتنكتك التجارب وانت وشأنك ورأيك لا ينبو في يديك ولا يكل عليه اليك هذا الامر فمرنا نطع وادعنا نجب واحملنا نركب وقدنا ننقد فانك ولي هذا الامر وقد بلوت وجربت واختبرت فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء الله لك الا عن خيارهم ثم جلس فعاد عمر فقام عثمان فقال أرى يا امير المؤمنين ان تكتب الى أهل الشام فيسيروا من شامهم والى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ثم تسير انت بأهل الحرمين الى الكوفة والبصرة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين فانك اذا سرت قل عندك ما قد تكاثر من عدد القوم وكنت اعز عزاء واكثر يا امير المؤمنين انك لا تستبقي بعد نفسك من العرب باقية ولا تمتع من الدنيا بعزيز ولا تلوذ منها بحريز ان هذا يوم له ما بعده من الايام فاشهده برأيك واعوانك ولا تغب عنه وجلس فعاد عمر فقام علي بن ابي طالب فقال اما بعد يا امير المؤمنين فانك ان اشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم وان اشخصت اهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ذراريهم وانك ان اشخصت من هذه الارض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك اهم اليك مما بين يديك من العورات والعيالات اقرر هؤلاء في امصارهم واكتب الى أهل البصرة فليتفرقوا ثلاث فرق فرقة في حرمهم وذراريهم وفرقة في أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا ولتسر فرقة الى اخوانهم بالكوفة مددا لهم ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا قالوا هذا امير العرب واصلها فكان ذلك اشد لكلبهم عليك واما ما ذكرت من مسير القوم فان الله هو اكره لمسيرهم منك وهو اقدر على تغيير ما يكره واما عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر فقال عمر هذا هو الرأي كنت احب ان اتابع عليه فأشيروا علي برجل اوليه ذلك الثغر وليكن عراقيا قالوا انت اعلم بجندك وقد وفدوا عليك فقال والله لأولين رجلا يكون اول الاسنة اذا لقيها غدا فقيل من هو فقال النعمان بن مقرن المزني فقالوا هو لها وكان النعمان يومئذ معه جمع من أهل الكوفة قد اقتحموا جندسابور والسوس فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى ماه لتجتمع الجيوش عليه فاذا اجتمعوا اليه سار بهم الى الفيرزان ومن معه وكتب عمر الى عبد الله بن عبد الله بن عتبان ليستنفر الناس مع النعمان ويجتمعوا عليه بماه فندب الناس فكان اسرعهم الى ذلك الرواد ليبلوا في الدين

وذلك ان الشريف أحمد ابن عجلان كان قد قبض على عنان وحسن بن ثقبة ومحمد بن عجلان وأحمد بن ثقبة وابنه علي وقيدهم وحبسهم ثم انهم أرادوا الفرار من السجن ففطن بهم الحراس وفر منهم عنان وما شعر أحد به هناك فسار الى جهة سوق الليل فصادف كبيش بن عجلان وجماعة يفتشون عليه بضوء معهم فاختفى في محل هناك وأراد الله خلاصه فلم يصادفوه وصادف بعض معارفه فأخفاه في بيت له بشعب علي في صهريج ووضع عليه حشيشا فنمى الى كبيش انه ثمة فجاء الى البيت وفتشه سوى الصهريج فلم يجده فرجع ثم ان عنانا بعث لبعض أصحابه فأخرجوا له ركائب الى المعلى وجاؤا عليه حشيشا ليخفى أمرها ولحقها عنان من سوق الليل وجاء الى المعابدة عند امرأة كان يعرفها فأخفته بالباس ثياب النساء ونما الخبر الى كبيش فركب وأتى الى منزل تلك المرأة وسألها عنه فقالت من عنان وأتت بكلام فهم منه انه ليس عندها فصدقها ورجع فلما جن الليل ركب عنان مع رجلين أو ثلاثة

وليدركوا حظا فخرج الناس وعليهم حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرن اخو النعمان بن مقرن حتى قدموا على النعمان وكتب عمر الى الجند الذين كانوا بالاهواز ليشغلوا فارسا عن المسلمين وعليهم المقترب وحرملة وزر فأقاموا بتخوم اصبهان وفارس وقطعوا امداد فارس عن أهل نهاوند واجتمع الناس على النعمان وفيهم حذيفة ابن اليمان وعبدالله بن عمر وجرير بن عبدالله البجلي والمغيرة بن شعبة وغيرهم فأرسل النعمان طليحة بن خويلد الاسدي وعمرو بن معدي كرب وعمرو بن ثني وهو ابن أبي سلمى ليأتوه بخبر القوم فخرجوا وساروا يوما الى الليل فرجع اليه عمرو بن ثني فقالوا ما ارجعك فقال لم اكن في ارض العجم وقتلت ارض جاهلها وقتل ارضا عالمها ومضى طليحة وعمرو بن معدي كرب فلما كان آخر الليل رجع عمرو فقالوا ما رجعك قال سرنا يوما وليلة ولم نر شيأ فرجعت ومضى طليحة حتى انتهى الى نهاوند وبين موضع المسلمين الذين هم به ونهاوند بضعة وعشرون فرسخا فقال الناس ارتد طليحة الثانية فعلم كلام القوم ورجع فلما رأوه كبروا فقال ماشأنكم فأعلموه بالذي خافوا عليه فقال والله لو لم يكن دين الا العربي ما كنت لأجزر العجم الطماطم هذه العرب العادية فأعلم النعمان انه ليس بينهم وبين نهاوند شئ يكرهه ولا احد فرحل النعمان وعبى اصحابه وهم ثلاثون ألفا فجعل على مقدمته اخاه نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن وعلى المجردة القعقاع ابن عمرو وعلى الساقة مجاشع بن مسعود وقد توافت اليه امداد المدينة فيهم المغيرة بن شعبة فانتهوا الى اسبيذهان والفرس وقوف على تعبيتهم واميرهم الفيرزان وعلى مجنبتيه الزردق وبهمن جاذويه الذي جعل مكان ذي الحاجب وقد توافى اليهم الامداد بنهاوند كل من غاب عن القادسية ليسوا بدونهم فلما رآهم النعمان كبر وكبر معه الناس فتزلزلت الأعاجم وحطت العرب الاثقال وضرب فسطاط النعمان فابتدر أشراف الكوفة فضربوا فسطاطهم ونشب القتال بعد حط الاثقال فاقتتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم سجال وانهم انجحروا في خنادقهم يوم الجمعة وحاصرهم المسلمون وأقاموا عليهم ماشاء الله والفرس بالخيار لا يخرجون الا اذا أرادوا الخروج فخاف المسلمون ان يطول امرهم حتى اذا كان ذات يوم في جمعة من الجمع اجتمع أهل الرأى من المسلمين وقالوا تراهم علينا بالخيار وأتوا النعمان في ذلك فوافوه وهو يروى في الذي رووا فيه فأخبروه فبعث الى من بقي من أهل النجدات والرأى فأحضرهم فتكلم النعمان فقال قد ترون المشركين واعتصامهم بخنادقهم ومدنهم وانهم لا يخرجون الينا الا اذا شاؤا ولا يقدر المسلمون على اخراجهم وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق فما الرأى الذي به نستخرجهم الى المناجزة وترك التطويل فتكلم عمرو بن ثني وكان اكبر الناس وكانوا يتكلمون على الاسنان فقال التحصن عليهم اشد من المطاولة عليكم فدعهم وقاتل من أتاك منهم فردوا عليه رأيه وتكلم عمرو بن معدي كرب فقال ناهدهم وكابدهم ولا تخفهم فردوا جميعا عليه رأيه وقالوا انما يناطح بنا الجدران وهي اعوان علينا وقال طليحة أرى ان تبعث خيلا لينشبوا القتال فاذا اختلطوا بهم رجعوا الينا استطرادا فانا لم نستطرد لهم في طول ماقاتلناهم فاذا رأوا ذلك طمعوا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضي الله فيهم وفينا ما احب فأمر القعقاع

ووصل خليصا وقد كانت ركابه فسأل عن ناقة لصاحب له ثمة فجئ بها وأخبروه أن صاحبها كان اذا فرغ من علفها قال ليت عنانا يخلص فيجو عليك فكان ماعناه فركب عنان وسار الى مصر فأقبل عليه الملك الظاهر برقوق وولاه مكة عوضا عن محمد بن أحمد بن عجلان كما تقدم وكان السيد كبيش بن عجلان لما قتل محمد بن أحمد بن عجلان فر الى جدة واستولى عليها بمن معه من العرب ونهب الاموال التي بجدة والغلال التي فيها لبعض الدولة بمصر والتف عليه للطمع بعض أصحاب عنان ثم انتقل كبيش بما أخذه من الاموال للوادي وأكثر القتل في الطرقات وعنان مقيم بمكة

(مشاركة أحمد بن ثقبة وعقيل بن مبارك بن رميثة لعنان في ولاية مكة)

وأشرك معه في الامارة ابن عمه أحمد بن ثقبة وعقيل ابن مبارك بن رميثة وكان أحمد بن ثقبة ضريرا لانه كحله محمد بن أحمد بن عجلان وانما أشركه لانه كان من أجل بني حسن وأسمدهم خيلا ورجالا وسلاحا وكان يدعى لهم معه على زمزم ورأى ان ذلك تقويم لامره فكان الامر بخلاف ذلك فنما الامر الى السلطان وعرفوه ماوقع من الاختلال فعزل عنانا

(ولاية علي بن عجلان بن

(ابن)

ابن عمرو وكان على المجردة فأنشب القتال فأخرجهم من خنادقهم كأنهم جبال حديد وقد تواثقوا ان لا يفروا وقد قرن بعضهم بعضا كل سبعة فى قران والقى حسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا فلما خرجوا نكص ثم نكص واغتنمها الاعاجم ففعلوا كما ظن طليحة وقالوا هى هى فلم يبق أحد الا من يقوم على الابواب وركبوهم ولحق القعقاع بالناس وانقطع الفرس عن حصنهم بعض الانقطاع والمسلمون على تعبية فى يوم جمعة صدر النهار وقد عهد النعمان الى الناس عهده وأمرهم ان يلزموا الارض ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم ففعلوا واستتروا بالجحف من الرمى وأقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى افشوا فيهم الجراح وشكا الناس وقالوا للنعمان ألا ترى ما نحن فيه فما تنتظر بهم ايذن للناس فى قتالهم فقال رويدا رويدا وانتظر النعمان بالقتال أحب الساعات كانت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقى العدو فيها وذلك عند الزوال فلما كان قريبا من تلك الساعة ركب فرسه وسار فى الناس ووقف على كل راية يذكرهم ويحرضهم ويمنيهم الظفر وقال لهم انى مكبر ثلاثا فاذا كبرت الثالثة فانى حامل فاحملوا وان قتلت فالامير بعدى حذيفة بن اليمان فان قتل ففلان حتى عد سبعة آخرهم المغيرة ثم قال اللهم أعزز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان أول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك وقيل بل قال اللهم انى اسألك أن تقر عينى اليوم بفتح يكون فيه عز الاسلام واقبضنى شهيدا فبكى الناس ورجع الى موقفه وكبر ثلاثا والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال وحمل النعمان والناس معه وانقضت رايته انقضاض العقاب والنعمان معلم ببياض القبا والقلنسوة فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع السامعون بوقعة كانت اشد منها وما كان يسمع الا وقع الحديد وصبر لهم المسلمون صبرا عظيما وانهزم الاعاجم وقتل منهم ما بين الزوال والاعتام ما طبق ارض المعركة دما يزلق الناس والدواب فلما أقر الله عين النعمان بالفتح استجاب له فقتل شهيدا رمى بسهم فى خاصرته فقتله وزلق به فرسه فصرع فجاء اخوه نعيم بثوب وأخذ الراية وناولها حذيفة فأخذها وتقدم موضع النعمان وترك نعيما مكانه وقال لهم المغيرة اكتموا مصاب اميركم حتى تنتظروا ما يصنع الله فينا وفيهم لئلا يهن الناس فاقتتلوا فلما أظلم الليل عليهم انهزم المشركون وذهبوا وتبعهم المسلمون وعمى الله على المشركين قصدهم فتركوه واخذوا نحو اللهب الذى كانوا دونه فوقعوا فيه فكان الواحد منهم يقع فيقع عليه ستة بعضهم على بعضهم فى قياد واحد فيقتلون جميعا وجعل يعقرهم حسك الحديد فمات منهم فى اللهب مائة ألف او يزيدون سوى من قتل فى المعركة وقيل قتل فى اللهب ثمانون الفا سوى من قتل فى الطلب ولم يفلت الا الشريد ونجا الفيرزان من الصرعى فهرب نحو همذان فتابعه نعيم بن مقرن وقدم القعقاع قدامه فأدركه بثنية همذان وهى اذ ذاك مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلا فحبسه الدواب على اجله فلما لم يجد طريقا نزل عن دابته وصعد الجبل فتبعه القعقاع راجلا فأدركه فقتل المسلمون الفيرزان على الثنية وقالوا ان لله جنودا من عسل واستاقوا العسل وما معه من الاحمال وسميت الثنية ثنية لعسل ودخل المشركون همذان والمسلمون فى آثارهم فنزلوا عليها واخذوا ما حولها فلما رأى ذلك خسرشنوم استأمنهم ولما تم الظفر

رميثة بن أبى نمى) ووصل الخبر بولايته فى ثانى شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة ثم قدم مكة ومعه كبيش وآل عجلان ومن جمعوا فلم يمكنهم منها عنان وأصحابه وقاتلوهم بأذاخر وقتل كبيش ونحو عشرين معه ورجع آل عجلان الى الوادى ثم توجه على بن عجلان الى مصر

(ذكر رجوع على بن عجلان مشاركا لعنان فى ولاية مكة)

فأعاده صاحب مصر وأشركه مع عنان بشرط حضور عنان الى خدمة المحمل المصرى وجاء على مع المحمل فلما بلغ عنانا ذلك تهيأ للقاء المحمل فلما كاد ان يصل خوف بآل عجلان فرجع الى الزيما وأقام بها وحج بالناس على بن عجلان بعد ان قرئ توقيعه بالحطيم وسار بعد الحج بمن معه من الاتراك الى الزيما فهرب عنان ومن معه ولما رجل الحج المصرى نزل عنان بمن معه الوادى وشارك على بن عجلان فى جدة ثم سافر عنان الى مصر فى أثنائها سنة سبعمائة وتسعين فاعتقل هناك

واصطلح على بن عجلان مع الاشراف بمكة واستمر الى سنة سبعمائة واثنتين وتسعين وفى أثنائه شاركه عنان بولاية من الملك

للمسلمين جعلوا يسألون عن أميرهم النعمان بن مقرن فقال لهم اخوه معقل هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة فاتبعوا حذيفة ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة بعد الهزيمة واحتووا على مافيها من الامتعة والأموال والاسلاب والاثاث وتاهم الهربذ صاحب بيت النار على أمان فقال لحذيفة أتؤمنني ومن شئت على ان اخرج لك ذخيرة لكسرى تركت عندي لنوائب الزمان قال نعم فاحضر جوهرا نفيسا في سفطين فأرسلهما حذيفة مع الاخماس الى عمر وكان حذيفة قد نفل منها وارسل الباقي مع السائب بن الاقرع الثقفي وكان كاتبا حاسبا أرسله عمر اليهم وقال ان فتح الله عليكم فاقسم على المسلمين فيئهم وخذ الخمس وانتني به وان هلك هذا الجيش فاذهب فبطن الارض خير من ظهرها قال السائب فلما فتح الله على المسلمين واحضر الفارسي السفطين اللذين كانا عنده فاذا فيهما اللؤلؤ والزبرجد والياقوت فلما فرغت من القسمة احتملتهما معي وقدمت على عمر وكان عمر رضي الله عنه قد قدر الوقعة فبات يتململ ويخرج ويتوقع الاخبار فبينما رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه فرجع الى المدينة ليلا فمر به راكب فسأله من اين أقبل فقال من نهاوند وأخبره بالفتح وقتل النعمان فلما اصبح الرجل تحدث بهذا بعد ثلاث من الوقعة فبلغ الخبر عمر فسأله فاخبره فقال ذلك بريد الجن ثم قدم البريد بعد ذلك فأخبره بأيسره ولم يخبره بقتل النعمان قال السائب فخرج عمر من الغد يتوقع الاخبار قال فأتيت فقال ما وراءك فقلت خيرا يا أمير المؤمنين فتح الله عليك واعظم الفتح واستشهد النعمان بن مقرن فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون ثم بكى فنشج حتى بانت فروع كتفيه فوق كتده فلما رأيت ذلك ومالقي قلت يا أمير المؤمنين ما اصيب بعده رجل يعرف وجهه فقال اولئك المستضعفون من المسلمين ولكن الذي اكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم وما يصنع اولئك بمعرفة عمر ثم أخبرته بالسفطين فقال أدخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما والحق بجندك قال ففعلت وخرجت سريعا الى الكوفة وبات عمر فلما اصبح بعث في اثري رسولا فما أدركني حتى دخلت الكوفة فأنخت بعيري واناخ بعيره على عرقوب بعيري فقال الحق بأمير المؤمنين فقد بعثني في طلبك فلم اقدر عليك الا الآن قال فركبت معه فقدمت على عمر فلما رآني قال الي ومالي وللسائب قلت ولما ذاقال ويحك والله ماهو الا ان نمت الليلة التي خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبني الى السفطين يشتعلان نارا يقولون لنكوينك بهما فأقول اني سأقسمهما بين المسلمين فخذهما عني فبعهما في اعطية المسلمين وأرزاقهم قال فخرجت بهما فوضعتهما في مسجد الكوفة فابتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بألفي ألف درهم ثم خرج بهما الى ارض الاعاجم فباعهما بأربعة آلاف الف فمازال اكثر أهل الكوفة مالا وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف وسهم الراجل الفين وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند فتح الفتوح لانه لم يكن بعده للفرس اجتماع وملك المسلمون بلادهم ولم يزل يزدجرد امره في انتكاس ونقصان وكلما اخذت منه مدينة انتقل الى أخرى الى ان قتل في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة احدى وثلاثين وسيأتي تفصيل ذلك ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر فتح الدينور والصيمرة وغيرهما ﴾

لما انصرف ابو موسى من نهاوند وكان قد جاء مددا على بعث أهل البصرة فمر بالدينور

وكان معه القواد ومع علي الشريف واستمر الى شهر صفر سنة سبعمائة وأربع وتسعين فولي مكة علي بن عجلان بمفرده وذلك ان بعض آل عجلان هم بقتل عنان في المسعى ففر ولم يظفروا به وخرج من مكة ولم يدخلها الا بعد ان استدعاه هو وعلي بن عجلان سلطان مصر فدخل عنان مكة ليتجهز بعد ان أخليت من العبيد وأقام مدة يسيرة وخرج الى مصر ولحقه علي بن عجلان واستخلف على مكة أخاه محمد بن عجلان مع العبيد وقبض على عنان بمصر وسجن بالاسكندرية مع جماز الحسيني صاحب المدينة وعلي بن مبارك بن رميثة وولديه وذلك سنة سبعمائة وتسع وتسعين ورجع علي بن عجلان الى مكة متوليا من الظاهر برقوق

(موت الشريف عنان بمصر)

ثم نقل عنان الى مصر سنة ثمانمائة واربع وحصل له مرض اقتضى ابطال بعض جسده فعولج لذلك بجماعة في محل حمي بالنار فاشتدت عليه الحرارة فاحترق ومات سنة ثمانمائة وخمس عن ثلاث وستين سنة وكان شجاعا مقداما جوادا كريما أجاز الشاعر ابن العليف في قصيدة بثلاثين ألف درهم واستمرت

فأقام عليها خمسة ايام وصالحه اهلها على الجزية ومضى فصالحه اهل شيروان على مثل صلحهم وبعث السائب بن الاقرع الثقفى الى الصميرة مدينة مهرجا نقذف ففتحها صلحا

﴿ ذكر فتح همذان والماهين وغيرهما ﴾

لما انهزم المشركون دخل من سلم منهم همذان وحاصرهم نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو فلما رأى ذلك خشر شنوم استأمنهم وقبل منهم الجزية على ان يضمن منهم همذان ودستبى وان لا يؤتى المسلمون منهم فاجابوه الى ذلك وأمنوه ومن معه من الفرس وأقبل كل من كان هرب منهم وبلغ الخبر الماهين بفتح همذان وملكها فاقتدوا بخشر شنوم وكاتبوا حذيفة فأجابهم الى ماطلبوا واجمعوا على القبول

﴿ ذكر فتح اصبهان ﴾

بعث عمر رضى الله عنه اليها عبد الله بن عبد الله بن عتبان وكان شجاعا من اشراف الصحابة ومن وجوه الانصار وأمده بأبى موسى وكان على جند اصبهان الاسبيدان وعلى مقدمته شهريار بن جاذويه شيخ كبير فى جمع عظيم فاقتتلوا برستاق اصبهان قتالا شديدا ودعا الشيخ الى البراز فبرز له عبد الله بن ورقاء الرياحى فقتله وانهزم أهل اصبهان وسمى ذلك الرستاق رستاق الشيخ الى هذا اليوم وصالحهم الاسبيدان على رستاق الشيخ وهو أول رستاق اخذ من اصبهان ثم سار عبد الله الى مدينة جى وهى مدينة اصبهان والملك بأصبهان الفاذوسفان فنزل بالناس على جى وحاصرها وقاتلها ثم صالحه الفاذوسفان على اصبهان وعلى ان من اقام الجزية اقام على ماله وان يجرى من اخذت ارضه عنوة مجراهم ومن ابى وذهب كانت لكم ارضه فخرج الناس من جى ودخلوا فى الذمة الاثلاثين رجلا من أهل اصبهان فلحقوا بكرمان ثم قدم كتاب عمر الى عبد الله يأمره بالمسير الى سهيل بن عدى ليكون معه على قتال من بكرمان فسار واستخلف على اصبهان السائب بن الاقرع ولحق بسهيل ونازلوا كرمان حتى فتحوها وسيأتى ذكر ذلك فى فتوحات سنة ثلاث وعشرين

﴿ ذكر فتح زويلة ﴾

فى سنة احدى وعشرين بعث عمرو بن العاص من مصر عقبة بن نافع الفهرى بجيش فافتتح زويلة صلحا ومابين برقة وزويلة فصار سلما للمسلمين

﴿ ذكر فتح همذان ثانيا ﴾

قد تقدم مسير نعيم بن مقرن الى همذان وفتحها على يده ويد القعقاع بن عمرو فلما رجعا عنها كفر أهلها فرجع اليهم نعيم بن مقرن فى سنة اثنتين وعشرين وحاصرهم ثم سألوا الصلح ففعل وقبل منهم الجزية وقيل ان ذلك كان سنة اربع وعشرين بعد مقتل عمر رضى الله عنه لستة اشهر وان نعيما خرج اليهم فى جيش كثيف وقاتلهم قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند فانهزم الفرس هزيمة قبيحة وقتل منهم مقتلة كبيرة لا يحصون وقيل ان

الاشراف وذلك انه بعد وصوله من مصر بشهر قبض على جماعة من الاشراف والقواد فخودع فيهم فأطلقهم فصاروا يشوشون عليه ويكلفونه مالاتصل قوته اليه

(قتل الشريف على بن عجلان)

فأفضى الحال الى أن قل الامان بمكة وجدة فقصد التجار ينبع ولحق أهل مكة لذلك شدة ما زال القواد به حتى عملوا على قتله فقتلوه سابع شوال سنة سبعمائة وسبعة وتسعين ولما قتل ولى مكة أخوه

(الشريف محمد بن عجلان)

(ولاية الشريف الحسن بن عجلان)

وتقوى بالعبيد الى أن وصل أخوه الشريف الحسن بن عجلان من مصر بولاية مكة عوضا عن أخيه لانه كان قبل ذلك توجه الى مصر مغاضبا لأخيه على فلما وصل خبر قتل على الى مصر جعل سلطان مصر الحسن واليا على مكة فجاء الى مكة ومعه عسكر ولاقاه أخوه محمد من عسفان ودخل مكة يوم السبت الرابع

منه الى وادي مر فسار اليهم والتقوا بمكان يقال له الزبارة فقاتلهم وقتل منهم عدة وتمت له ولاية مكة

المغيرة بن شعبة حين كان عاملا على الكوفة أرسل جرير بن عبد الله البجلي الى همذان فقاتله أهلها وأصيبت عين جرير بسهم فقال احتسبها عند الله الذي زين بها وجهي وسلبنيها في سبيله ثم فتحها على مثل صلح نهاوند وغلب على ارضها قسرا وقيل كان فتحها على يد المغيرة بنفسه وكان جرير على مقدمته وقيل فتحها قرظة بن كعب الانصاري

ذكر فتح قزوين وزنجان

لما سير المغيرة جريرا الى همذان فتحها سير البراء بن عازب في جيش الى قزوين فسار البراء حتى أتى أبهر وهو حصن فقاتلوه ثم طلبوا الأمان فأمنهم وصالحهم ثم غزا قزوين فلما بلغ أهلها الخبر أرسلوا الى الديلم يطلبون النصرة فوعدوهم ووصل المسلمون اليهم فخرجوا لقتالهم والديلم وقوف على الجبل لا يمدون يدا فلما رأى ذلك أهل قزوين طلبوا الصلح على صلح أبهر ثم غزا البراء الديلم حتى ادوا اليه الاتاوة وغزا جيلان والطيلسان وفتح زنجان عنوة ولما ولى الوليد بن عقبة الكوفة غزا أيضا الديلم وجيلان وموقان والببر والطيلسان ثم انصرف

ذكر فتح الري

في سنة اثنتين وعشرين غزا نعيم بن مقرن الري وخرج من الري الزينبي ابو الفرخان فلقي نعيما طالبا الصلح ومسالما ومخالفا لملك الري وهو سياوخش بن مهران بن بهرام فاستمد ملك الري أهل دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان فأمدوه خوفا من المسلمين فالتقوا مع المسلمين في سفح جبل الري الى جنب مدينتها فاقتتلوا به وكان الزينبي قال لنعيم ان القوم كثير وأنت في قلة فابعث معي خيلا ادخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به وناهدهم انت فانهم اذا خرجنا عليهم لم يثبتوا لك فبعث معه نعيم خيلا من الليل عليهم ابن اخيه المنذر ابن عمرو فأدخلهم الزينبي المدينة ولا يشعر القوم وبيتهم نعيم بياتا فشغلهم عن مدينتهم فاقتتلوا وصبروا حتى سمعوا التكبير من ورائهم فانهزموا فقتلوا مقتلة عظيمة وافاء الله على المسلمين بالري نحوا مما في المدائن وصالحه الزينبي على الري ومرزبه عليهم نعيم وراسله المصمغان في الصلح على شيء يفتدي به منه على دنباوند فأجابه الى ذلك وقيل ان فتح الري كان سنة احدى وعشرين

ذكر فتح قومس وجرجان وطبرستان

لما أرسل نعيم الى عمر بالبشارة والاخماس الري كتب اليه عمر يأمره بارسال اخيه سويد بن مقرن ومعه هند بن عمرو والجلي وغيره الى قومس فسار سويد نحو قومس فلم يقم له احد فأخذها سلما وعسكر بها وكاتبه الذين لجؤا الى طبرستان منهم وأهل المفاوز فأجابهم الى الصلح والجزية ثم سار الى جرجان فعسكر بها فكاتبوه وصالحوه على الجزية وقيل ان ذلك كان سنة ثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنه

وحاسن الناس من الرعية والتجار وكان أديبا فاضلا شاعرا واستمر الشريف حسن بن عجلان على ولاية مكة الى سنة ثمانمائة وتسع فأشرك معه ولده بركات ابن حسن في امارة مكة وفي هذه السنة وصلت هدية كبيرة من صاحب بنقالة السلطان غياث الدين أعظم شاه ومعها صدقة لاهل الحرمين وخلع للقضاة والائمة وهدية من صاحب كنبايت وكتاب يخبر فيه انه أنهى اليه ان الناس في صلاة الجمعة لا يجدون ما يستظلون به من الشمس عند سماع الخطبة بالمسجد الحرام وان بعض الناس منهم الشيخ حسن المناوي حسن اليه ان يجعل ما يستظل به الناس وانا بعثنا بخيام تنصب في المطاف فجاءت تلك الخيام ونصبت حول المطاف مدة قليلة وكان في نصبها ضرر لعثار الناس بأطنابها فأخذها الشريف بعد سفر الحج المصري بأيام قلائل وفي سنة ثمانمائة وعشر تكلم الشريف حسن لابنه أحمد في مشاركته لاخيه بركات فولى السلطان نصف امارة مكة لاحمد شركة لاخيه وولى أباهما نيابة السلطنة في جميع بلاد الحجاز وجاء التوقيع من السلطنة سنة احدى

﴿ ذكر فتح طرابلس الغرب وبرقة ﴾

في سنة اثنتين وعشرين سار عمرو بن العاص من مصر الى برقة فصالحه اهلها على الجزية ثم سار الى طرابلس الغرب فحاصرها شهرا فلم يظفر بها وكان قد نزل شرقيها فخرج رجل من المسلمين من بني مدلج يتصيد في سبعة نفر وسلكوا غربي المدينة فلما رجعوا اشتد عليهم الحر فأخذوا على جانب البحر ولم يكن السور متصلا بالبحر والبلد فدخلوا المدينة من ذلك الجانب وكبروا فلما سمع الروم التكبير في البلد ظنوا ان المسلمين دخلوها فلم يكن لهم ملجأ الا سفنهم ونظر عمرو ومن معه فرأى السيوف في المدينة وسمعوا الصياح فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد فلم يفلت من الروم الا القليل بما خف معهم في مراكبهم وكان اهل حصن سبرة قد تحصنوا لما نزل عمرو على طرابلس فلما امتنع عليه فتح طرابلس أمنوا واطمأنوا فلما فتحت طرابلس سير عمرو جندا الى سبرة فصبحوها وقد فتح اهلها الباب واخرجوا مواشيهم لتسرح لانهم لم يكن بلغهم خبر فتح طرابلس فوقع المسلمون عليهم ودخلوا الحصن مكابرة وغنموا ما فيه وعادوا الى عمرو ثم عاد عمرو الى برقة وقد اجتمع بها قوم من البربر فصالحوه على ثلاثة عشر الف دينار يؤدونها جزية وشرطوا ان يبيعوا من ارادوا من اولادهم في جزيتهم

﴿ ذكر فتح اذربيجان ﴾

لما فتح نعيم الري بعث سماك بن خرشة الانصاري وليس بأبي دجانة ممدا لبكير بن عبد الله بأذربيجان وكان بكير قد سار اليها بأمر عمر رضي الله عنه فأمر عمر نعيما ان يمد بكيرا بسماك بن خرشة وكان بكير حين بعث اليها سار حتى اذا طلع بجبال جرميدان طلع عليهم اسفنديار بن فرخزاد فاقتتلوا فانهزم الفرس واخذ بكير اسفنديار اسيرا فقال له اسفنديار الصلح احب اليك ام الحرب فقال بل الصلح فقال امسكني عندك فان اهل آذربيجان ان لم اصالح عليهم او اجئ اليهم لم يقوموا لك وجلوا الى الجبال التي حولها ومن كان على التحصن تحصن فأمسكه عنده وصارت البلاد اليه الا ما كان من حصن وقدم عليه سماك بن خرشة ممدا واسفنديار في امان وقد افتتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه وكتب بكير الى عمر يستأذنه في التقدم فأذن له ان يتقدم نحو الباب وان يستخلف على ما افتتحه فاستخلف عليه عتبة بن فرقد فأقر عتبة سماك بن خرشة على عمل بكير الذي كان فتحه وجمع عمر اذربيجان كلها لعتبة بن فرقد وكان بهرام بن فرخزاد قصد طريق عتبة واقام به في عسكره حتى قدم عتبة فاقتتلوا فانهزم بهرام فلما بلغ خبره اسفنديار وهو في الاسر عند بكير قال الآن تم الصلح وطفئت الحرب فصالحه وأجاب الى ذلك اهل اذربيجان كلهم وعادت اذربيجان سلما وكتب بذلك بكير وعتبة الى عمر وبعثا بالخمس

﴿ ذكر فتح الباب ﴾

الباب مدينة عظيمة بناها كسرى في هذه السنة اعني سنة اثنتين وعشرين امر عمر رضي الله

عشرة وثمانمائة فكان الخطيب يدعو للشريف حسن وولده بمكة ويدعى في المدينة للشريف حسن بمفرده وفي سنة ثمانمائة واثنتي عشرة كان بين الشريف حسن وأمير الحاج المصري منافرة حصل بسببها قتل في الحجاج ونهب لكثير منهم حال توجههم لعرفة ومنى وتخلف اكثر اهل مكة عن الحج وسبب ذلك ان امير الحاج لما وصل الى ينبع اعلن للناس ان امير مكة معزول وانه يريد محاربته فنما الخبر الى الشريف فاستعد للقتال وجمع من الخيل والرجال ما لم يجمع مثله احد قبله من امراء مكة قيل ستمائة فرس وخمسة آلاف مقاتل حتى ضاقت بهم مكة وتعبت الخواطر وتوقع الناس فتنة عظيمة فبينما هم كذلك اذ لاطف الله وأتى الخبر من مصر أن السلطان قد أعاد الشريف حسنا وأولاده وبعث اليهم بالخلع مع خادمه الخاص فيروز وبعد ذلك بيوم أو يومين وصل الخادم فيروز مكة وألبس الشريف وأولاده التشاريف السلطانية وقرأ العهد الذي معه بعودهم وتأخر أمير الحج عن الدخول تخوفا من الشريف لما بلغه ما هو فيه من القوة فتكلم الاغا فيروز مع الشريف في عدم مؤاخذة أمير الحاج وطلب منه ان يأذن له في الدخول فأجابه الشريف الى ذلك مع

عنه سراقة بن عمرو وكان يدعى ذاالنور بالمسير الى الباب وجعل على مقدمته عبدالرحمن بن ربيعة الباهلى وكان له صحبة وكان ايضا يدعى ذاالنور وجعل على احد مجنبتيه حذيفة بن سعيد الغفارى وعلى الاخرى بكير بن عبدالله الليثى وكان بكير سبقه الى الباب وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة الباهلى فسار سراقة فلما خرج من اذربيجان قدم بكير الى الباب وكان الملك بها يومئذ شهريار وهو من ولد شهريار الذى افسد بنى اسرائيل واغزى الشام بهم فلما اطل عبدالرحمن بن ربيعة على الباب كاتبه شهريار واستأمنه على ان يأتيه ففعل فأتاه فقال انى بازاء عدو كلب وامم مختلفة ليست لهم احساب ولا ينبغى لذى الحسب والعقل ان يعينهم على ذى الحسب ولست من القبج ولا الارمن فى شئ وانكم قد غلبتم على بلادى وامتى فانا منكم ويدى مع ايديكم وجزيتى اليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون فلا تسومونا الجزية فتوهنونا بعدوكم فسيره عبدالرحمن الى سراقة فلقيه بمثل ذلك فاجابه بقبول ذلك منه ثم قال له سراقة لابد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو فأجابه الى ذلك وكتب سراقة فى ذلك الى عمر فأجازه عمر واستحسنه

﴿ ذكر فتح موقان ﴾

لما فرغ سراقة من الباب ارسل بكير بن عبدالله وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن اسيد وسلمان بن ربيعة الى اهل تلك الجبال المحيطة بارمينية فوجه بكير الى موقان وحبيب الى تفليس وحذيفة الى جبال اللان وسلمان الى الوجه الآخر وكتب سراقة الى عمر بفتح الباب وبارسال هؤلاء النفر الى الجهات المذكورة فأتى عمر امر لم يظن ان يستتم له بغير مؤنة لانه فرج عظيم وجند عظيم فلما استوثقوا واستحلوا الاسلام مات سراقة واستخلف عبدالرحمن بن ربيعة ولم يفتح احد من اولئك القواد الا بكير فانه فض اهل موقان ثم تراجعوا على الجزية عن كل حالم دينار ولما بلغ عمر موت سراقة واستخلافه عبدالرحمن بن ربيعة اقر عبدالرحمن على فرج الباب وامره بغزو الترك

﴿ ذكر غزو الترك ﴾

لما امر عمر عبدالرحمن بن ربيعة بغزو الترك وكانوا فى بلنجر بأقصى ولاية الباب وهم امم كثيرة فخرج عبدالرحمن بالناس حتى قطع الباب فقال له شهريار ماتريد ان تصنع قال اريد غزو الترك فى بلنجر قال انا لنرضى منهم ان يدعونا من دون الباب قال عبدالرحمن لكننا لا نرضى حتى نغزوهم فى ديارهم وبالله ان معنا اقواما لو يأذن لهم اميرنا فى الامعان لبلغت بهم الروم قال وماهم قال اقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا فى هذا الامر بنية ولا يزال هذا الامر لهم دائما ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم فغزا بلنجر غزاة فى زمن عمر فقالوا ما اجترأ علينا الا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت فهربوا منه وتحصنوا فرجع بالغنيمة والظفر وقد بلغت خيله البيضاء على رأس مائتى فرسخ من بلنجر وعادوا ولم يقتل منهم احد ثم غزاهم ايام عثمان بن عفان غزوات فظفر كما كان يظفر حتى تبدل اهل الكوفة ونذر فيهم الاختلال فغزا عبدالرحمن بن ربيعة بعد ذلك الترك فتذامرت عليه

أمير الحاج جميع مامعه من السلاح للشريف ودخل مكة مع فيروز المذكور وحضر بين يدى مولانا الشريف واعتذر اليه ثم انه خرج من عنده وانقبض كل منهما عن صاحبه الى ان انقضت أيام الحج ووقف الناس بعرفة فى هذه السنة يومين لاختلاف وقع فى الشهر وتوجه أمير الحاج بالحج بعد ان دفع اليه الشريف سلاحه وظهر من الشريف فى حقه ماحمده عليه الناس كافة ولم يحج مولانا الشريف ولا أحد من أولاده تلك السنة ولا أهل مكة الا القليل وأصاب الحج مشقة بين المأزمين فحصل هنالك قتل ونهب من غوغاء العرب ودفع عن الناس بعض رجال الشريف وفى سنة ثلاثمائة وخمس عشرة وقعت فتنة بعرفة بين العرب وقتل من آل جميل جماعة فركب الشريف حسن بنفسه لاخماد الفتنة وسلم الله تعالى

(ذكر الجمل الذى دخل المسجد الحرام)

قال العلامة القطبى ان فى أثناء جمادى الآخرة من هذه السنة هرب جمل لجمال فدخل المسجد وجعل يطوف بالكعبة والناس حوله يريدون امساكه فلم يقدروا فتركوه الى أن

واجتمعوا في الفيافي فرمى رجل منهم رجلا من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه اصحابه فخرجوا عليه عند ذلك فاقتتلوا واشتد قتالهم ونادى مناد من الجو صبرا عبد الرحمن وموعدكم الجنة فقاتل عبد الرحمن حتى قتل وانكشف اصحابه وأخذ الراية اخوه سلمان بن ربيعة فقاتل بها ونادى مناد من الجو صبرا آل سلمان فقال سلمان اوترى جزعا وخرج سلمان بالناس ومعه ابو هريرة الدوسى على جيلان فقطعوها الى جرجان ولم يمنعهم ذلك من انجاء جسد عبد الرحمن فهم يستسقون به الى الآن

﴿ ذكر فتح خراسان ﴾

كان فتح خراسان في سنة ثلاث وعشرين على الصحيح وسبب ذلك ان يزدجرد سار الى الرى بعد هزيمة اهل جلولا وانتهى اليها وعليها ابان جاذويه فوثب على يزدجرد فأخذه فقال يزدجرد يا ابان تغدرنى قال لا ولكن قد تركت ملكك فصار في يد غيرك فاحببت ان اكتتب ما كان لى من شئ وأخذ خاتم يزدجرد واكتتب صكا كا بكل ما اعجبه ثم ختم عليها ورد الخاتم الى يزدجرد فسار يزدجرد من الرى الى اصبهان ثم منها الى كرمان والنار التى يعبدونها معهم ثم قصد خراسان فأتى مرو فنزلها وبنى للنار بيتا واطمأن وامن من ان يؤتى وان له من بقى من الاعاجم وكاتب الهرمزان وأثار أهل فارس فنكثوا واثار أهل الجبال والفيرازن فنكثوا فأذن عمر للمسلمين فدخلوا بلاد الفرس وكتب للاحنف بن قيس بالمسير الى خراسان وكان قبل ذلك قد عقد له لواء عليها مع الالوية التى عقدها فسار بجيش كثيف فدخلها من الطبسين فافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان العبدى ثم سار نحو مرو الشاهجان فأرسل الى نيسابور مطرف بن عبد الله بن الشخير والى سرخس الحارث بن حسان فلما دنا الاحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد الى مرو الروذ حتى نزلها ونزل الاحنف مرو الشاهجان وكتب يزدجرد وهو بمرو الروذ الى خاقان والى ملك الصغد والى ملك الصين يستمدهم وخرج الاحنف من مرو الشاهجان واستخلف عليها حارثة بن النعمان الباهلى بعد ما لحقت به أمداد الكوفة وسار نحو مرو الروذ فلما سمع يزدجرد سار عنها الى بلخ ونزل الاحنف مرو الروذ وقدم اهل الكوفة الى يزدجرد واتبعهم الاحنف فالتقى أهل الكوفة ويزدجرد ببلخ وانهزم يزدجرد وعبر النهر ولحق الاحنف بأهل الكوفة وقد فتح الله عليهم فبلخ من فتوحهم وتتابع اهل خراسان فنهم من هرب ومنهم من شد على الصلح فيما بين نيسابور الى طخارستان وعاد الاحنف الى مرو الروذ واستخلف على طخارستان ربعى بن عامر وكتب الاحنف الى عمر بالفتح فقال عمر وددت ان بيننا وبينها بحرا من نار فقال على ولم يا أمير المؤمنين قال لان اهلها ينتقضون منها ثلاث مرات فيجتاحون في الثالثة فكان ذلك باهلها احب الى من ان يكون بالمسلمين وكتب عمر الى الاحنف ان يقتصر على مادون النهر ولا يجوزه ولما عبر يزدجرد النهر مهزوما انجده خاقان من الترك واهل فرغانة والصغد فرجع يزدجرد وخاقان الى خراسان فنزل بلخ ورجع اهل الكوفة الى الاحنف بمرو الروذ ونزل المشركون عليه بمرو ايضا وكان الاحنف لما بلغه خبر عبور يزدجرد وخاقان النهر اليه خرج ليلا يتسمع هل يسمع برأى ينتفع به فمر برجلين ينقيان

ودموعه تتساقط وألقى نفسه على الارض فمات فحمله الناس الى ما بين الصفا والمروة وحفروا له ودفنوه ثمت

(ذكر الفتنة التى حصلت في المسجد بين القواد والمصريين وتسمير أبواب المسجد وجعله اصطبلا للخيل)

وفي سنة ثمانمائة وسبع عشرة لما كان يوم الجمعة خامس ذى الحجة حصلت فتنة بين القواد والمصريين وانتهكت حرمة المسجد الحرام لما حصل فيه من القتال وسفك الدماء وتلويث الخيل بسبب طول مقامها في المسجد وسبب ذلك أن امير الحاج المصرى أدب بعض العبيد بالعمرة على حمل السلاح لنهيه عن ذلك وحبسه فرغب مواليه في اطلاقه فامتنع فلما قام الناس لصلاة الجمعة من اليوم المذكور هجم جماعة من القواد المسجد الحرام من باب ابراهيم على خيولهم وعليهم لامات الحرب وانتهوا الى مقام الحنفى فلقيهم الترك والحجاج وقاتلوهم الى ان وصلوا سوق المعلافة أسفل مكة فظهر عليهم المصريون وانتهب السوق

علفا وأحدهما يقول لصاحبه لو اسندنا الامير الى هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقا
وكان الجبل فى ظهورنا فلا يأتون من خلفنا وكان قتالنا من وجه واحد رجوت ان ينصرنا
الله عليهم فرجع فلما اصبح جمع الناس ورحل بهم الى سفح الجبل وكان معه من اهل البصرة
عشرة آلاف ومن أهل الكوفة نحو منهم واقبلت الترك ومن معها فنزلت وجعلوا يغادونهم
القتال ويراوحونهم وفى الليل يتنحون عنهم فخرج الاحنف ليلة طليعة لاصحابه حتى اذا كان
قريبا من عسكر خاقان وقف فلما كان فى وجه الصبح خرج فارس الترك بطوقه فضرب بطبله
ثم وقف قريبا من العسكر موقفا يقفه مثله فحمل عليه الاحنف فتقاتلا فطعنه الاحنف فقتله
وأخذ طوق التركى ووقف فخرج آخر من الترك ففعل مثل فعل صاحبه فحمل عليه
الاحنف فتقاتلا فطعنه فقتله وأخذ طوقه ووقف ثم خرج الثالث من الترك ففعل مثل فعل
الرجلين فحمل عليه الاحنف فقتله ثم انصرف الاحنف الى عسكره وكانت عادة الترك أنهم
لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم أكفاء كلهم يضرب بطبله ثم يخرجون بعد خروج
الثالث فلما خرجوا تلك الليلة بعد الثالث فأتوا على فرسانهم مقتولين فقام خاقان وتطير فقال
قد طال مقامنا وأصيب فرساننا مالنا فى قتال هؤلاء القوم خير فرجعوا وارتفع النهار للمسلمين
ولم يروا منهم احدا وأتاهم الخبر بانصراف خاقان والترك الى بلخ وقد كان يزدجرد ترك خاقان
مقابل المسلمين بمرو الروذ وانصرف الى مرو الشاهجان فتحصن حارثة بن النعمان ومن معه
فحصرهم واستخرج يزدجرد خزائنه من موضعها وخاقان مقيم ببلخ فلما جمع يزدجرد خزائنه
وكانت كبيرة عظيمة واراد ان يلحق بخاقان قال له اهل فارس اى شئ تريد ان تصنع قال اريد اللحاق
بخاقان فأكون معه او بالصين قالوا ان هذا رأى سوء ارجع بنا الى هؤلاء القوم فصالحهم
فانهم اوفياء وهم أهل دين وان عدوا يلينا فى بلادنا احب الينا مملكة من عدو يلينا فى بلاده ولا دين
لهم ولا ندرى ما وفاؤهم فأبى عليهم فقالوا فدع خزائننا نردها الى بلادنا ومن يلينا لا تخرجها
من بلادنا فأبى فاعتزلوه وقاتلوه وأخذوا الخزائن واستولوا عليها وانهزم منهم ولحق
بخاقان وعبر النهر من بلخ الى فرغانة واقام يزدجرد ببلد الترك فلم يزل مقيما بها زمن عمر كله الى ان
كفر أهل خراسان زمن عثمان وكان يكاتبهم ويكاتبونه وسيرد ذكر ذلك فى موضعه ثم اقبل
أهل فارس بعد رحيل يزدجرد على الاحنف فصالحوه ودفعوا اليه تلك الخزائن والاموال
وتراجعوا الى بلدانهم وأموالهم على أفضل ما كانوا عليه زمن الاكاسرة واغتبطوا بملك
المسلمين وأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهمه يوم القادسية وسار الاحنف الى بلخ فنزلها بعد
عبور خاقان النهر منها ونزل اهل الكوفة فى كورها الاربع ثم رجع الى مرو الروذ فنزلها وكتب
بفتح خاقان ويزدجرد الى عمر ولما عبر خاقان ويزدجرد النهر لقوا رسول يزدجرد الذى
أرسله الى ملك الصين فاخبرهما أن ملك الصين قال له صف لى هؤلاء القوم الذين أخرجوكم
من بلادكم فانى أراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم ولا يبلغ امثال هؤلاء القليل منكم مع كثرتكم
الا بخير فيهم وشر فيكم فقلت سلنى عما احببت فقال أيوفون بالعهد قلت نعم قال وما
يقولون لكم قبل القتال قلت يدعوننا الى واحدة من ثلاث اما دينهم فان أجبناهم
أجرونا مجراهم أو الجزية والمنعة او المنابذة قال فكيف طاعتهم أمراءهم قلت أطوع

وبعض بيوت المكيين فلما كان آخر النهار أمر أمير الحاج بتسمير أبواب المسجد كلها الا باب بنى
شيبة والباب الذى
عند المدرسة المجاهدية
فسمرت الابواب وأدخل
جميع خيله المسجد وجعلت
فى الرواق الشرقى قريبا
من رباط الشرابى وباتت
فى المسجد الى الصباح
والمشاعل موقدة فى المسجد
ومشاعل المقامات موقدة
أيضا ونهب القواد الحاج
الذى بالابطح وخارج
المسجد فخرج الشريف
حسن وانضم الى القواد
بموضع بأسفل مكة
وحضر اليه فى بكرة هذا
اليوم جماعة من أعيان
مكة وذكروا له ما وقع
فأظهر التعب وكراهة ذلك
فرجعوا الى أمير الحاج
المصرى وأخبروه بمقالته
وأخبروه انه أخطأ
فى امساك القائد وضربه
فأمر باطلاقه وطلب
منهم ان صاحب مكة
يخمد هذه الفتنة فرجع
الجماعة الى الشريف
وأخبروه والتمسوا منه
اخماد الفتنة والعفو عن
هذه الزلة فبعث ولده
الشريف احمد الى
أمير الحاج فخلع عليه
الامير وخرج من
عنده ونادى بالامان
فاطمأنت الناس وأمنت
بعد جراحات كثيرة حصلت للفريقين قال بعضهم ولا أعلم فتنة أعظم منها بعد القرامطة وكان

قوم وارشدهم قال فما يحلون وما يحرمون فأخبرته قال هل يحلون ما حرم عليهم أو يحرمون ما حلل لهم قلت لا قال ان هؤلاء القوم لا يزالون على ظفر حتى يحلوا حرامهم ويحرموا حلالهم ثم قال اخبرني عن لباسهم فاخبرته وعن مطاياهم فقلت الخيل العراب ووصفتها له قال نعمت الحصون ووصفت له الابل وبروكها وقيامها بحملها فقال هذه صفة دواب طوال الاعناق وكتب معه الى يزدجرد أنه لم يمنعني ان ابعث اليك بجند أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق على ولكن هؤلاء القوم الذين وصفهم لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلا لهم سربهم أزالوني ما داموا على ما وصفهم فسالمهم وارض منهم بالمسالمة ولا تهيجهم ما لم يهيجوك فاقام يزدجرد بفرغانة ومعه آل كسرى بعهد من خاقان ولما وصل خبر الفتح الى عمر بن الخطاب جمع الناس وخطبهم وقرأ عليهم كتاب الفتح وحمد الله تعالى في خطبته على انجاز وعده ثم قال الا وان ملك المجوسية قد هلك فليس يملكون من بلادهم شبرا يضر بمسلم الا وان الله أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وابناءهم لينظر كيف تعملون فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم فاني لا اخاف على هذه الأمة ان تؤتى الا من قبلكم

﴿ ذكر فتح شهرزور والصامغان ﴾

استعمل عمر رضي الله عنه عزرة بن قيس على حلوان فحاول عزرة فتح شهرزور فلم يقدر عليها فغزاها عتبة بن فرقد ففتحها بعد قتال على مثل صلح حلوان فكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت وصالح أهل الصامغان ودار اباذ على الجزية والخراج وقتل خلقا كثيرا من الاكراد وكتب الى عمر ان فتوحي قد بلغ اذربيجان فولاه اياها وولى هرثمة بن عرفجة الموصل ولم تزل شهرزور واعمالها مضمومة الى الموصل حتى افردت عنها آخر خلافة الرشيد

﴿ ذكر غزو معاوية بلاد الروم ﴾

في هذه السنة اعني سنة اثنتين وعشرين غزا معاوية بلاد الروم ودخلها في عشرة آلاف من المسلمين فأثخن فيهم وغنم ورجع سالما

﴿ ذكر الخبر عن فتح توج ﴾

لما خرج أهل البصرة الذين توجهوا الى فارس امراء عليها وكان فيهم سارية بن زنيم الكناني فساروا وأهل فارس مجتمعون بتوج فلم يقصدهم المسلمون بل توجه كل أمير الى الجهة التي أمر عليها وبلغ ذلك أهل فارس فتفرقوا الى بلدانهم كما افترق المسلمون فكانت تلك هزيمتهم وتشتت أمورهم فقصد مجاشع بن مسعود السلمي سابور واردشير فالتقى هو والفرس بتوج فاقتتلوا ما شاء الله ثم انهزم الفرس وقتلهم المسلمون كيف شاؤا كل قتلة وغنموا ما في عسكرهم وحصروا توج فافتتحوها وقتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا ما فيها وكان ذلك افتتاح سنة ثلاث وعشرين وهذه توج الاخيرة والأولى هي التي استنقذتها جنود العلاء ابن الحضرمي ايام طاوس ثم دعوا الى الجزية فرجعوا وأقروا بها وارسل مجاشع بن مسعود السلمي بالبشارة والاخماس الى عمر رضي الله عنه

القائد الذي وقعت الفتنة بسببه يقال له جراد واتفق أن تلك السنة كانت غلاء فقال بعض الأدباء في ذلك

(* وقع الغلاء بمكة *)
(والناس أضحوا في جهاد)
(* والخير قل فهاهم *)
(يتقاتلون على جراد)

وفيه تورية لطيفة واستمر الشريف حسن وأولاده الى سنة ثمان عشرة وثمانمائة

(ولاية رميثة بن محمد بن عجلان)

فولى السلطان الشريف (رميثة بن محمد بن عجلان) فدخل مكة في العشر الاول من ذي الحجة وصرح في توقيعه انه ولي نيابة السلطنة عن عمه حسن وامارة مكة عوضا عن ابن عمه

(رجوع الشريف حسن في ولاية مكة)

وخرج الشريف حسن من مكة الى الشقان وبعث ابنه بركات الى مصر لاستعطاف السلطان فأنعم عليه بولاية مكة وجهز له خلعة فوصلت في العشر الاوسط من شوال سنة ثمانمائة وتسع عشرة فتوجه الشريف حسن الى مكة فلما بلغ المعلاة ومعه أصحاب رميثة ومنعوه الدخول فأزال من كان هناك بالرمي بالنشاب والاحجار فعمد بعض العسكر الباب فحرقه حتى سقط على الارض هدموا بعض السور مما يلي الجبل وبركة الشامي ودخل منه بعض العسكر ورقوا موضعا من الجبل ورموا أصحاب رميثة

﴿ ذكر فتح اصطخر وجور وغيرهما ﴾

في سنة ثلاث وعشرين قصد عثمان بن ابي العاص الثقفي اصطخر وكان عمر رضي الله عنه عقد له لواء اصطخر لما عقد الالوية لمن اذن لهم في الانسياح الى بلاد فارس فالتقى عثمان هو واهل اصطخر بجور فاقتتلوا وانهزم الفرس وفتح المسلمون جور ثم اصطخر وقتلوا ماشاء الله ثم فر منهم من فر فدعاهم عثمان الى الجزية والذمة فأجابه الهربذ اليها فتراجعوا وكان عثمان قد جمع الغنائم لما هزمهم فبعث بخمسها الى عمر وقسم الباقي في الناس وفتح عثمان كيزرون والنوبندجان وغلب على ارضها وفتح هو وأبو موسى مدينة شيراز وارجان وفتح سينيز على الجزية والخراج وقصد عثمان ايضا جنابا ففتحها ولقيه جمع الفرس بناحية جهرم فهزمهم وفتحها ثم ان شهرك خلع الطاعة في آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان فوجه اليه عثمان بن ابي العاص ابنه واتته الامداد من البصرة وأميرهم عبيد الله بن معمر وشبل بن معبد فالتقوا بارض فارس فقال شهرك لابنه وهما في المعركة وبينهما وبين قرية شهرك ثلاثة فراسخ وتسمى القرية ايضا شهرك يابني اين يكون غداؤنا ههنا ام بشهرك قال له ياأبت ان تركونا فلايكون غداؤنا ههنا ولا بشهرك ولايكون الا في المنزل وما اراهم يتركوننا فمافرغا من كلامهما حتى شب المسلمون الحرب فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل شهرك وابنه وخلق كثير والذي قتل شهرك الحكم بن ابي العاص اخو عثمان وقيل قتله سوار بن همام العبدي حمل عليه فطعنه فقتله وحمل ابن شهرك على سوار فقتله وحوصر الفرس بمدينة سابور فصالح عليها ملكها ازرنبان وكان في جيوش المسلمين ابو صفرة والد المهلب قبل ان عبد الله بن معمر أمير الامداد التي جاءت لهذا الجيش من البصرة بلغه ان ازرنبان يريد الغدر به فقال له احب ان تتخذ لاصحابي طعاما وتذبح لهم بقرة وتجعل عظامها في الجفنة التي تليني فاني احب ان اتمشش العظام ففعل وجعل يأخذ العظم الذي لايكسر الا بالفؤس فيكسره بيده ويأخذ مخه وكان من أشد الناس فقام ازرنبان وقبل قدمه وقال هذا مقام العائذ بك وأعطاه عهدا

﴿ ذكر فتح فساودار ابجرد ﴾

قد تقدم ان عمر رضي الله عنه لما عقد الوية لمن أذن لهم في الانسياح في بلاد فارس عقد لواء لسارية بن زنيم الكناني على فساودار ابجرد في سنة ثلاث وعشرين فسار حتى انتهى اليهم فنزل عليهم وحاصرهم ماشاء الله ثم انهم استمدوا وتجمعوا وتجمعت اليهم اكراد فارس فدهم المسلمين أمر عظيم وجمع كثير وأتاهم الفرس من كل جانب فرأى عمر فيما يرى النائم تلك الليلة معركتهم وعددهم في ساعة من النهار فنادى من الغد الصلاة جامعة حتى اذا كان في الساعة التي رأى فيها مارأى خرج اليهم وكان بن زنيم والمسلمون بصحراء ان اقاموا فيها أحيط بهم وان استندوا الى جبل خلفهم لم يؤتوا الا من وجه واحد فقام عمر على المنبر فقال يا أيها الناس اني رأيت هذين الجمعين واخبر بحالهما وصاح عمر وهو يخطب ياسارية بن زنيم الجبل ياسارية الجبل ثم اقبل على الناس فقال ان لله جنودا ولعل بعضها ان تبلغهم فسمع سارية

مكة من الفقهاء والصلحاء ومعهم ربعات شريفة وتبلوا الشريف حسنا وسألوه كف القتال فأجاب الى ذلك بشرط خراج معاندية من مكة فرجع الجماعة الى الشريف رميثة وأخبروه بذلك ودخل الشريف حسن وخيم عسكره بالمعلى حول البركتين فأقام هناك حتى أصبح ودخل مكة لابسا خلعة السلطان الملك المؤيد في السادس والعشرين من شوال من السنة المذكورة وطاف بالبيت وقرأ توقيعه وكان يوما مشهودا ونادى بالامان ثم بعد نحو خمسة أيام خرجوا الى الجيس ثم ان الشريف رميثة اجتمع بعمه الشريف حسن واصطلحا فتغير الفؤاد على الشريف حسن وقاموا بنصرة ذوي رميثة بن أبي نمي وهم أولاد أحمد بن ثقبة بن رميثة بن أبي نمي وأولاد علي بن مبارك بن رميثة وأعتذروا لايدخلون مكة الغير حسن ثقبة وميلب بن علي بن مبارك وجماعة تكل منهم نحو جماعة فجهز عليهم الشريف حسن نهر بوا من جدة وقصدوا مكة فخاربهم نائب الشريف وهو حسن مفتاح الزفتاوي فقتلوه وقتلوا جماعة ثم فروا الى جهة الجيس في شوال سنة ثمانمائة وعشرين

ومن معه الصوت فلجؤا الى الجبل ثم قاتلوهم فهزمهم الله تعالى كذ في الكامل لابن الاثير وهذه القصة رواها كثير من أئمة الحديث بأسانيد صحيحة منهم البيهقي وابو نعيم وابن مردوية واللالكاى وابن الاعرابي والخطيب بالفاظ متعددة والمعاني متقاربة فنها رواية لابن عمر قال وجه عمر جيشا ورأس عليهم رجلا يدعى سارية فبينما عمر يخطب جعل ينادى ياسارية الجبل ثلاثا ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال يا امير المؤمنين هزمنا فبينا نحن كذلك اذ سمعنا صوتا ينادى ياسارية الجبل ثلاثا فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزمهم الله تعالى قال قيل لعمر انك تصيح بذلك وذلك الجبل الذى كان سارية عنده بنهاوند من ارض العجم وفي رواية لابن عمر ايضا كان عمر يخطب يوم الجمعة فعرض في خطبته ان قال ياسارية الجبل من استرعى الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم لبعض فقال لهم علي رضي الله عنه ليخرجن مما قال فلما فرغ سألوه فقال وقع في خلدى ان المشركين هزموا اخواننا وانهم يمرون بجبل فان عدلوا اليه قاتلوا من وجه واحد وان جازوا هلكوا فخرج مني ماتزعمون انكم سمعتموه فجاء البشير بعد شهر فذكر انهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم قال فعدلنا الى الجبل ففتح الله علينا وفي رواية عن عمرو بن الحارث قال بينا عمر يخطب يوم الجمعة اذ ترك الخطبة فقال ياسارية الجبل مرتين او ثلاثا ثم أقبل على خطبته فقال بعض الحاضرين لقد جن انه لمجنون فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان يطمئن اليه فقال انك لتجعل لهم على نفسك مقالا بينا انت تخطب اذ أنت تصيح ياسارية الجبل اى شئ هذا قال انى والله ما ملكت ذلك رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين ايديهم ومن خلفهم فلم املك ان قلت ياسارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلبثوا الى ان جاء رسول سارية بكتابه وفيه ان القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى اذا حضرت الجمعة سمعنا مناديا ينادى ياسارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم فقال اولئك الذين طعنوا عليه دعوا هذا الرجل فانه مصنوع له انتهى واصاب المسلمون في مغانمهم مع سارية سفطا فيه جوهر فاستوهبه منهم سارية وبعث به الى عمر فقدم الرسول على عمر وهو يطعم الطعام فأمره فجلس واكل فلما انصرف عمر تبعه الرسول فظنه عمر انه لم يشبع فأمره فدخل بيته فلما جلس اتى عمر بغدائه خبز وزيت وملح جريش فأكلا فلما فرغا قال الرجل انا رسول سارية يا امير المؤمنين قال مرحبا واهلا ثم أدناه حتى مس ركبته وسأله عن المسلمين فأخبره بقصة السفط فنظر اليه وصاح به لا ولا كرامة حتى يقدم على ذلك الجند فيقسمه بينهم فطرده فقال يا أمير المؤمنين انى قد انضيت جملى واستقرضت في جائزتي فأعطني ما تبلغ به فمازال به حتى ابدله بعيرا من ابل الصدقة وجعل بعيره في ابل الصدقة ورجع الرسول مغضوبا عليه محروما وسأل اهل المدينة الرسول هل سمعوا شيأ يوم الوقعة قال نعم سمعنا ياسارية الجبل الجبل وقد كدنا نهلك فلجأنا اليه ففتح الله علينا

ذكر فتح كرمان

كان سهيل بن عدى قد عقد له عمر لواء على كرمان مع الالوية التي عقدها فأمره في هذه السنة اعنى سنة ثلاث وعشرين بالمسير الى كرمان فسار ولحقه عبد الله بن عبد الله بن عتبان

وقدم من مصر الشريف بركات بن حسن شريكا لوالده فسر بذلك والده ورشحه للامر

(ذكر قيام الشريف بركات بن حسن بولاية مكة)

وفي سنة ثمانمائة واحدى وعشرين تخلى الشريف حسن عن أمر مكة لابنه الشريف بركات فجمع عليه ابنه أحمد وخرج عن طاعة أبيه فاستعطفه أبوه فلم يفد وأغراه بعض جماعة من المفسدين على نهب جدة ففعل ثم صالح أباه ودخل مكة ثم نكث وذهب الى ينبع ثم رجع مع الحج ثم عاد الى ينبع وفي سنة ثمانمائة وثلاث وعشرين طلب الشريف حسن من السلطان المؤيد صاحب مصر تفويض امارة مكة لولديه بركات وابرهيم وانفصل عن الامارة لرغبته في العبادة لكبره وضعفه وتوجه عقب الارسال الى حلى في شهر صفر فوصل جوابه ثاني عشر ربيع الاول سنة ثمانمائة وأربع وعشرين وجاء عهد مكة له ولابنه بركات ولم يسمح بها لابراهيم لحصل التنافر بين الاخوين فخرج ابراهيم الى اليمن ثم جاء ومعه جمع من الاشراف وغيرهم ودخل مكة والزموا المؤذن بالدعاء له فدعا له الخطيب مع أخيه وأبيه بالكره عليهما واستمر الامر على ذلك سنة ثمانمائة وست وعشرين فأمر الشريف حسن بترك الدعاء لابنه ابراهيم لانه أمره بابانة ذوى راجح فلم

وحشد لهم اهل كرمان واستعانوا عليهم بالقفص فاقتتلوا في اداني أرضهم ففضهم الله تعالى المشركين
واخذ المسلمون عليهم الطريق وقتل النسير بن عمرو العجلي مرزبانها فدخل النسير من قبل
طريق القرى اليوم الى جيرفت وعبد الله بن عبد الله من مفازة سير فأصابوا ما أرادوا من بعير
أو شاة فقوموا الابل والغنم فتحاصوها بالاثمان لعظم البخت على العرب وكرهوا ان يزيدوا
وكتبوا الى عمر بذلك فاجابهم اذا رأيتم ان في البخت فضلا فزيدوا

❊ ذكر فتح سجستان ❊

كان عاصم بن عمرو قد عقد له عمر لواء على سجستان مع الالوية التي عقدها فأمره في هذه
السنة بالمسير اليها فسار ولحقه عبد الله بن عمير فاستقبلهم اهلها فالتقوا هم واهل سجستان في
اداني ارضهم فهزمهم المسلمون ثم اتبعوهم حتى حصروهم بزرنج ومخروا ارض سجستان
ثم انهم طلبوا الصلح على زرنج وما احتازوا من الارضين فاعطوا وكانوا قد اشترطوا في
صلحهم ان فدافدها حمى فكان المسلمون يتجنبونها خشية ان يصيبوا منها شيأ فيخفروا فأقام
أهل سجستان على الخراج وكانت سجستان اعظم من خراسان وابعد فروجا يقاتلون
القندهار والترك واتما كثيرة

❊ ذكر فتح مكران بضم الميم وسكون الكاف ❊

كان الحكم بن عمرو التغلبي قد عقد له عمر لواء على مكران مع الالوية التي عقدها فأمره في
هذه السنة بالمسير اليها فسار حتى انتهى اليها ولحقه شهاب بن المخارق وسهيل بن عدي
وعبد الله بن عبد الله بن عتبان فانتهوا الى دوين النهر وأهل مكران على شاطئه فاستمد ملكهم
ملك السند فأمده بجيش كثيف فالتقوا مع المسلمين فانهزموا وقتل منهم في المعركة مقتلة
عظيمة واتبعهم المسلمون يقتلونهم اياما حتى انتهوا الى النهر ورجع المسلمون الى مكران فاقاموا
بها وكتب الحكم الى عمر بالفتح وبعث اليه بالاخماس مع صحار العبدي فلما قدم المدينة سأله
عمر عن مكران فقال يا امير المؤمنين هي ارض سهلها جبل وماؤها وشل وتمرها دقل وعدوها
بطل وخيرها قليل وشرها طويل والكثير فيها قليل والقليل فيها ضائع وماوراءها شر منها
فقال اسجاع أنت ام مخبر لا والله لا يغزوها جيش لي ابدا وكتب الى سهيل والحكم بن عمرو ان
لا يجوزن مكران احد من جنودهما وامرهما ببيع الفيلة التي غنمها المسلمون ببلاد الاسلام
وقسم اثمانها على الغانمين

❊ ذكر فتح بيروذ والاهواز ❊

لما فصلت الخيول الى الكور اجتمع ببيروذ جمع عظيم من الاكراد وغيرهم وكان عمر قد عهد
الى ابي موسى ان يسير الى اقصى ذمة البصرة حتى لا يؤتى المسلمون من خلفهم وخشي ان
يهلك بعض جنوده او يخلفوا في اعقابهم فاجتمع الاكراد ببيروذ وابطأ ابو موسى حتى
تجمعوا ثم سار فنزل بهم ببيروذ فالتقوا في رمضان بين نهر تيرى ومناذر فقام المهاجر بن

وجعل للشريف حسن ألف أحمر تحمل اليه من مصر في مقابلة تركه المكوس على الخضروات بمكة وأمر أن يكتب ذلك في بعض أساطين المسجد الحرام ثم ولى مصر السلطان برسباي فجعل امارة مكة للشريف رميثة ابن محمد بن عجلان وكان باليمن فلم يصادف الامر محلا وكان أمير الحاج فيروز الناصري فدخل مكة وهو في غاية الوجل والخوف وكان يظن عدم مقابلة الاشراف له فتسقط حرمته فخرج الشريف حسن الى لقاء المحمل على جري العادة ولبس التشريف الوارد ثم قابل الامير المذكور مقابلة خاصة وقال له بلغنا ان مولانا السلطان عزلنا عن امارة مكة لكلام الحساد الباطل فلما بلغنا ذلك لم نفعل فعل أهل الظلم والجور الذين اذا بلغهم عزلهم نهبوا البلاد وأضروا بالعباد فاجابه الامير بأن هذه بلدتكم خلفا عن سلف وان مولانا السلطان محب لكم وسوف تعلمون صحة قولي اذا رجعت وجاءتكم المكاتيب منه بعدم صحة مانقل لكم عنه فلما سافر الامير المذكور أرسل معه الشريف هدية عظيمة للسلطان فلما وصل

زياد وقد تحنط واستقبل القوم وعزم ابوموسى على الناس فأفطروا وتقدم المهاجر وقاتل قتالا شديدا حتى قتل ووهن الله المشركين حتى تحصنوا فى قلة وذلة واشتد جزع الربيع بن زياد على اخيه المهاجر وعظم عليه فقده فرق له ابوموسى فاستخلفه عليهم فى جند وخرج ابوموسى حتى بلغ اصبهان واجتمع بها بالمسلمين الذين يحاصرون جيا فلما فتحت رجع ابوموسى الى البصرة وفتح الربيع بن زياد الحارثى بيروذ من نهر تيرى وغنم مامعهم

﴿ ذكر خبر سلمة بن قيس الاشجعى والاكراد ﴾

كان عمر رضى الله عنه اذا اجتمع اليه جيش من المسلمين امر عليهم اميرا من اهل العلم والفقه فاجتمع اليه جيش من المسلمين فبعث عليهم سلمة بن قيس الاشجعى فقال سر باسم الله قاتل فى سبيل الله من كفر بالله فاذا لقيتم عدوكم فادعوهم الى الاسلام فان اجابوا واقاموا بدارهم فعليهم الزكاة وليس لهم من الفئ نصيب وان ساروا معكم فلهم مثل الذى لكم وعليهم مثل الذى عليكم وان ابوا فادعوهم الى الجزية فان أجابوا فاقبلوا منهم وان ابوا فقاتلوهم وان تحصنوا منكم وسألوكم ان ينزلوا على حكم الله ورسوله اوذمة الله ورسوله فلا تجيبوهم فانكم لاتدرون اتصيبون حكم الله ورسوله وذمتهما ام لا ولاتغدروا ولاتقتلوا وليدا ولاتمثلوا فساروا حتى لقوا عددا من الاكراد المشركين فدعوهم الى الاسلام والجزية فلم يجيبوا فقاتلوهم فهزموهم وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية فقسمه بينهم ورأى سلمة جوهرا فى سفط فاسترضى عنه المسلمين وبعث به الى عمر فقدم الرسول بالبشارة وبالسفط على عمر فسأله عن امور الناس وهو يخبره حتى اخبره بالسفط فغضب غضبا شديدا وامر به فوجئ به فى عنقه ثم قال ان تفرق الناس قبل ان تقدم عليهم ويقسمه سلمة فيهم لاسوءنك فسار حتى قدم على سلمة فباعه وقسمه فى الناس وكان الفص يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون الفا وفى هذه السنة غزا معاوية الروم وفتح عسقلان صلحا الى هنا انتهت الفتوحات التى كانت فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه واستشهد عمر رضى الله عنه لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة فكانت خلافته عشر سنين وستة اشهر واربعة ايام وقصة استشهاده مشهورة لاحاجة الى الاطالة بذكرها اخرج ابويعلى عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى جبريل آنفا فقلت ياجبريل حدثنى بفضائل عمر بن الخطاب فقال لوحدثتك بفضائل عمر منذ لبث نوح فى قومه مانفدت فضائل عمر وان عمر حسنة من حسنات ابى بكر رضى الله عنهما وربما ان العقول القاصرة تستبعد كثرة هذه الفضائل لعمر رضى الله عنه لكن من كان ذا بصيرة وأمعن فكره فيما خص الله به عمر من الفضائل فى نفسه وفيما اجراه الله على يديه وماحصل للاسلام واهله بسببه من كونه اعز الله به الاسلام فى ابتدائه ومن كثرة الفتوحات التى فتحها الله على يديه حتى كثر العلم واتسع الاسلام وكثر المسلمون يتضح له ان كل خير وقع لاهل الاسلام منذ خلافة عمر رضى الله عنه الى يوم القيامة كله من فضائل عمر رضى الله عنه ومن حسناته ويكتب الله له مثل اجورهم وذلك شئ كثير لايمكن ضبطه ولااحصاؤه ولومكث العبد منذ لبث نوح فى

للحاج وقدم له الهدية رضى السلطان فأرسل الى الشريف حسن بالتأييد والاستمرار وقضى جميع مطالبه

* (ولاية الشريف على بن عنان بن مغامس على مكة) *

وفى سنة ثمانمائة وسبع وعشرين توجه الشريف على بن عنان بن مغامس بن رميثة بن أبى نمى الى مصر فولاه السلطان برسباى امارة مكة فورد من مصر ومعه عسكر جرار فدخل مكة سادس جمادى الاولى من السنة المذكورة وخرج منها الشريف حسن وأهل بيته

* (رجوع الشريف حسن فى الامارة) *

وفى أول ذى الحجة سنة ثمانمائة وثمان وعشرين ورد التفويض من السلطان برسباى للشريف حسن وعزل على بن عنان لموجب كتاب وصل الى السلطان من الشريف حسن رفق فيه المعانى وعرفه ان عزله له من غير جناية فأعاد اليه مكانته وحفظ عليه أمانته فدخل مكة رابع ذى الحجة من السنة المذكورة

* (ذكر وفاة الشريف حسن بمصر سنة ٨٢٩) * ثم ان الشريف حسن بعد موسم سنة ثمانمائة وعشرين توجه الى مصر

قومه واخرج عبدالله بن الامام احمد فى زوائد المسند عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لارجو لامتى فى حبهم لابى بكر وعمر ما ارجو لهم فى قول لا اله الا الله واخرج ابو ذر الهروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر معى وانا مع عمر والحق بعدى مع عمر حيث كان وهذا مثل ماقال صلى الله عليه وسلم فى حق على رضى الله عنه وأدر الحق معه حيث دار فكل من عمر وعلى رضى الله عنهما كان مع الحق ولهذا كان على رضى الله عنه مع الخلفاء الثلاثة قبله فى زمن خلافتهم ولم ينازع احدا منهم لعلمه بأنهم كانوا مع الحق فكان هو معهم فلما جاءت نوبة خلافته ونوزع فى ذلك قاتل من نازعه فلا يصح ان ينسب اليه ان سكوته فى زمن الخلفاء الثلاثة كان تقية حاشاه الله من المحابات فى دين الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ ذكر الفتوحات فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ﴾

كانت البيعة لعثمان رضى الله عنه فى اوائل المحرم سنة اربع وعشرين فعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وولاها سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه عملا بقول عمر رضى الله عنه اوصى الخليفة بعدى ان يستعمل سعدا فانى لم اعزله عن سوء ولا خيانة فكان اول عامل بعثه عثمان رضى الله عنه

﴿ ذكر خلاف اهل الاسكندرية ﴾

فى سنة خمس وعشرين خالف اهل الاسكندرية ونقضوا صلحهم وكان سبب ذلك ان الروم عظم عليهم فتح المسلمين الاسكندرية وظنوا انهم لايمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الاسكندرية عن ملكهم فكاتبوا من كان فيها من الروم ودعوهم الى نقض الصلح فأجابوهم الى ذلك فسار اليه من القسطنطينية جيش كثير وعليهم منويل الخصى فأرسوا بها واتفق معهم من بها من الروم ولم يوافقهم المقوقس بل ثبت على صلحه فلما بلغ الخبر الى عمرو بن العاص سار اليهم وسار الروم اليه فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الروم وتبعهم المسلمون الى ان ادخلوهم الاسكندرية وقتلوا منهم فى البلد مقتلة عظيمة منهم منويل الخصى وكان الروم لما خرجوا من الاسكندرية قد اخذوا اموال أهل تلك القرى من وافقهم ومن خالفهم فلما ظفر بهم المسلمون جاء اهل القرى الذين خالفوهم فقالوا لعمرو بن العاص ان الروم اخذوا دوابنا واموالنا ولم نخالف نحن عليكم وكنا على الطاعة فرد عليهم ماعرفوا من اموالهم بعد اقامة البينة وهدم عمرو سور الاسكندرية وتركها بغير سور وفى هذه السنة بلغ سعد بن ابى وقاص عن اهل الرى عزم على نقض العهد فارسل اليهم واصلحهم وغزا الديلم ثم انصرف

﴿ ذكر صلح أهل ارمينية واذربيجان ﴾

فى هذه السنة نقضت أهل اذربيجان فأمر عثمان رضى الله عنه الوليد بن عقبة بن ابى معيط ان يغزوهم وكان على الكوفة لان سعد بن ابى وقاص اختصم مع عبد الله بن مسعود فاستحسن عثمان رضى الله عنه ان يعزل سعدا قطعا للنزاع فعزله وولاها الوليد فغزاهم

الاولى سنة ثمانمائة وتسع وعشرين وقد أصابته علة فتجهز للرجوع فأدركته منيته فتوفى بعصر سادس عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكانت ولايته سنة سبعمائة وخمس وسبعين وكانت مدة ولايته انفرادا ومشاركة لابنه بركات ست عشرة سنة وشهورا وكان صاحب ثروة وخيرات كثيرة بمكة بنى رباطا للرجال وآخر للنساء ولم يكن بمكة من يدانيه فى جوده وكرمه وكان من الفضلاء أجازه بالحديث جماعة من علماء مصر والشام وخرج له التقى بن فهد أربعين حديثا ومدحه كثير من الشعراء منهم العلامة شرف الدين اسمعيل بن المقرى صاحب الروض والارشاد فى مذهب الشافعية وله فى مدحه قصائد منها قصيدة مطلعها

أحسنت فى تدبير ملكك باحسن

• وأجدت فى تحليل اخلاط الفتن

وهى طويلة

(ولاية الشريف بركات بن حسن على مكة بعد وفاة أبيه وذكر بعض فضائله) وولى مكة بعده ابنه الشريف بركات بن حسن

الوليد وعلى مقدمته عبدالله بن شبيل الاحمسي فأغار على أهل موقان والبير والطيلسان ففتح وغنم وسبي فطلب اهل كور اذربيجان الصلح فصالحهم على ثمانمائة الف درهم وقبض المال وبث السرايا وبعث سلمان بن ربيعة الباهلي الى اهل ارمينية في اثني عشر الفا فسار في ارمينية يقتل ويسبي ويغنم ثم انصرف وقدملا يديه حتى أتى الوليد فعاد الوليد وقدظفر وغنم وجعل طريقه على الموصل ثم أتى الحديثة فنزلها فأتاه بها كتاب عثمان فيه ان معاوية ابن ابي سفيان كتب الي يخبرني ان الروم قداجلبت على المسلمين في جموع كثيرة وقدرأيت ان يمدهم اخوانهم من اهل الكوفة فابعث اليهم رجلا له نجدة وبأس في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف من المكان الذي يأتيك كتابي فيه والسلام فقام الوليد في الناس وأعلمهم الحال وندبهم مع سلمان ابن ربيعة الباهلي فانتدب معه ثمانية آلاف فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام الى ارض الروم فشنوا الغارات على ارض الروم فأصاب الناس ماشاؤا من الغنائم وافتتحوا حصونا كثيرة وقيل ان الذي أمد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص وكان على الكوفة بعد عزل الوليد وكان سبب ذلك ان عثمان كتب الى معاوية ان يغزي حبيب بن مسلمة في أهل الشام ارمينية وهي غير التي باذربيجان بالعراق فوجهه اليها فأتى قاليقلا فحصرها وضيق على من بها فطلبوا الامان على الجلاء أو الجزية فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم واقام حبيب بها فيمن معه شهرا ثم بلغه ان بطريق ارمياقس وهي البلاد التي صارت بعد بيد أولاد السلطان قلج ارسلان السلجوقي وهي ملاطية وسيواس واقسراي وقونيه وماوالاها من البلاد الى خليج القسطنطينية قد توجه نحوه في ثمانين الفا من الروم واسم القس المذكور الموريان فكتب حبيب الى معاوية يخبره فكتب معاوية الى عثمان فارسل عثمان الى سعيد بن العاص يأمره بامداد حبيب فأمده بسلمان في ستة آلاف واجمع حبيب على تبييت الروم فسمعته امرأته ام عبدالله بنت يزيد الكلبية فقالت اين موعدك فقال سرادق الموريان ثم بيتهم فقتل من وقف له ثم أتى السرادق فوجد امرأته قد سبقته اليه فكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها حجاب سرادق ولما انهزمت الروم عاد حبيب الى قاليقلا ثم سار منها ونزل مربالا فأتاه بطريق خلاط بكتاب عياض بن غنم بأمان البطريق المذكور فأجراه عليه وحمل اليه البطريق ماعليه من المال ونزل حبيب خلاط ثم سار منها فلقيه صاحب مكس وهي من البسفرجان فقاطعه على بلاده ثم سار منها الى ازدشاط وهي القرية التي يكون منها القرمز الذي يصبغ به فنزل على نهر دبيل وسرح الخيول اليها فحصرها فتحصن أهلها فنصب عليهم منجنيقا فطلبوا الامان فأجابهم اليه وبث السرايا فبلغت خيله ذات اللجم وانما سميت ذات اللجم لأن المسلمين أخذوا لجم خيولهم فكبسهم الروم قبل ان يلجموها ثم ألجموها فقاتلوهم فظفروا بهم ووجه سرية الى سراج طير وبغروند فصالحه بطريقهما على اتاوة فقدم عليه بطريق البسفرجان فصالحه على جميع بلاده وأتى السيسجان فحاربه أهلها فهزمهم وغلب على حصونهم وسار الى جرزان فأتاه رسول بطريقها يطلب الصلح فصالحه وسار الى تفليس فصالحه أهلها وهي من جرزان وفتح عدة حصون تجاورها صلحا وسار سلمان بن ربيعة الباهلي الى اران ففتح البيلقان صلحا على ان أمنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم الجزية والخراج ثم أتى

فاضلا مائلا بالطبع الى العلماء والاخذ عنهم وقد أجازله جماعة منهم الحافظ العراقي والهيثمي والبرهاني والمراغي وحدث عنه البقاعي وغيره) *

(ذكر استدعاء السلطان برسباي الشريف بركات الى مصر)

قال القاضي جمال الدين ابن ظهيرة ان السلطان برسباي بعد موت الشريف حسن استدعى ابنه بركات من مكة فتوجه اليه ومعه أخوه ابراهيم فقدما مصر في شهر رمضان سنة تسع وعشرين وثمانمائة فلاقاهم السلطان بالاجلال والاكرام وخلع عليه الخلعة السنية وعزاه عن الروح الزكية وولاه أمر مكة البهية وطلب الشريف بركات لاخيه ابراهيم أن يكون نائبا عنه بمكة اذا غاب وتوجها الى مكة فوصلاها في ذي القعدة فقرأ عهده ولبس الخلعة واستمر الى سنة ثمانمائة وخمس وأربعين فعزل بأخيه علي ثم أعيد

(ولاية علي بن حسن بن عجلان)

وفي سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة وصلت المراسيم من صاحب مصر بأن ثلث ماتحصل من عشور المراكب الهندية يكون لامير مكة والثلثان لصاحب

سلمان مدينة برذعة فعسكر على الترثور نهر بينه وبينها نحو فرسخ فقاتله اهلها اياما وشن الغارات فى قراها فصالحوه على مثل صلح البيلقان ودخلها ووجه خيله ففتحت رساتيق الولاية ودعا أكراد البلاشجان الى الاسلام فقاتلوه فظفر بهم فاقر بعضهم على الجزية وادى بعضهم الصدقة وهم قليل ووجه سرية الى شمكور ففتحوها وسار سلمان الى مجمع ارس والكر ففتحه وصالحه صاحب سكر وغيرها على الاتاوة وصالحه ملك شروان وسائر ملوك الجبال واهل مسقط والشابران ومدينة الباب وهى غير التى فى العراق وهذه بقرب حلب

﴿ ذكر غزوة معاوية الروم ﴾

فى هذه السنة سنة ٢٥ غزا معاوية الروم فبلغ عمورية وهى المسماة بروسا فوجد الحصون التى بين انطاكية وطرسوس خالية فجعل عندها جماعة كثيرة من أهل الشام والجزيرة حتى انصرف من غزاته ثم اغزى بعد ذلك يزيد بن الحر العبسى الصائفة وأمره ففعل مثل ذلك ولما خرج هدم الحصون الى انطاكية

﴿ ذكر غزوة افريقية ﴾

فى هذه السنة سير عمرو بن العاص عبدالله بن سعد بن ابى سرح الى أطراف افريقية غازيا بأمر عثمان وكان عبدالله من جند مصر فلما سار اليها أمده عمرو بالجنود فغنم هو وجنده فلما عاد عبدالله كتب الى عثمان يستأذنه فى غزو افريقية فأذن له فى ذلك

﴿ ذكر غزوة كابل ﴾

فى هذه السنة ارسل عثمان رضى الله عنه عبدالله بن عامر الى كابل وهى عمالة سجستان فبلغها فى قول فكانت اعظم من خراسان حتى مات معاوية فامتنع أهلها

﴿ ذكر فتح افريقية ﴾

كان ذلك فى سنة ست وعشرين قد تقدم ان عبدالله بن ابى سرح استأذن عثمان رضى الله عنه فى غزو افريقية فأذن له وقال له ان فتح الله عليك فلك من الفئ خمس الخمس نفلا وأمر عثمان عبدالله بن نافع بن عبد القيس وعبدالله بن نافع بن الحارس على جند وسرحهما وأمرهما بالاجتماع مع عبدالله بن ابى سرح على صاحب افريقية فخرجوا حتى قطعوا ارض مصر ووطؤا ارض افريقية وكانوا فى جيش كثير عدتهم عشرة آلاف من شجعان المسلمين فصالحهم أهلها على مال يؤدونه ولم يقدموا على دخول افريقية والتوغل فيها لكثرة أهلها ثم ان عثمان ولى عبدالله بن ابى سرح مصر فارسل الى عثمان يستأذنه فى غزو افريقية والاستكثار من الجموع فاستشار عثمان من عنده من الصحابة فأشار اكثرهم بذلك فجهز اليه العساكر من المدينة وفيهم جماعة من اعيان الصحابة منهم عبدالله بن عباس وغيره فسار بهم عبدالله ابن ابى سرح الى افريقية فلما وصلوا الى برقة لقيهم عبد الله بن نافع فيمن معه من المسلمين وكانوا بها وساروا الى طرابلس الغرب فنهبوا من عندها من الروم وساروا نحو افريقية

مكة وفى سنة اثنتين وأربعين توفى سلطان مصر السلطان برسباى فتغلب السلطان جقمق على ابن برسباى وملك مصر وأرسل للشريف خلع التأييد وأرسل الامير سيدون ومعه خمسون فارسا من الترك تقيم بمكة وولاه نظر الحرمين ومشد العمائر بها وفى هذه السنة وقع بين الاشراف وآل بنى نمى وبين السيد على بن حسن منافرة فسافر السيد على صحبة الحاج ثم وقعت فتنة بين الاشراف والاتراك واقتتلوا فى المسعى وقتل جماعة من الفريقين

(ذكر اعفاء السلطان الشريف من تقبيل خف جمل المحمل)

وفى سنة ثلاث وأربعين وردت مراسيم باعفاء السلطان الشريف من تقبيل خف الجمل الذى يأتى بالمحمل وفى سنة خمس وأربعين وقبل ست وأربعين عزل السلطان الشريف بركات

(ولاية الشريف على بن حسن بن عجلان على مكة)

وولى مكة أخاه الشريف على بن حسن ووصل الى مكة فى رجب وخرج منها الشريف بركات وتوجه الى اليمن واستمر الشريف على الى شوال من السنة المذكورة فقبض

وبث السرايا فى كل ناحية وكان ملكهم اسمه جرجير وملكه من طرابلس الى طنجة وكان هرقل ملك الروم قد ولاه افريقية فهو يحمل الخرج اليه كل سنة فلما بلغه خبر المسلمين تجهز وجمع العساكر واهل البلاد فبلغ عسكره مائة الف وعشرين ألف فارس والتقى هو والمسلمون بمكان بينه وبين مدينة سبيطلة يوم وليلة وهذه المدينة كانت ذلك الوقت دار الملك فأقاموا هناك يقتتلون كل يوم وراسله عبدالله بن ابى سرح يدعوه الى الاسلام أو الجزية فامتنع منهما وتكبر عن قبول احدهما وانقطع خبر المسلمين عن عثمان فسير عبدالله بن الزبير فى جماعة اليهم ليأتيه بأخبارهم فسار مجدا ووصل اليهم وأقام معهم ولما وصل كثر الصياح والتكبير فى المسلمين فسأل جرجير عن الخبر فقيل قد أتاهم عسكر ففت ذلك فى عضده ورأى عبدالله بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من بكرة الى الظهر فاذا أذن الظهر عاد كل فريق الى خيامه وشهد القتال من الغد فلم ير ابن ابى سرح معهم فسأل عنه فقيل انه سمع منادى جرجير يقول من قتل عبدالله ابن ابى سرح فله مائة الف دينار وازوجه ابنتى وهو يخاف على جيش المسلمين ان قتل فحضر عنده عبدالله بن الزبير وقال له تأمر مناديا ينادى من أتانى برأس جرجير نفلته مائة الف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده ففعل ذلك فصار جرجير يخاف أشد من عبدالله ثم ان عبدالله بن الزبير قال لعبدالله بن ابى سرح ان أمرنا يطول مع هؤلاء وهم فى امداد متصلة وبلاد هى لهم ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم وقد رأيت ان نترك غدا جماعة صالحة من ابطال المسلمين فى خيامهم متأهبين ونقاتل نحن الروم فى باقى العسكر الى ان يضجروا ويملوا فاذا رجعوا الى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان فى الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ونقصدهم على غرة فلعل الله ينصرنا عليهم فأحضر جماعة من اعيان الصحابة واستشارهم فوافقوه على ذلك فلما كان الغد فعل عبدالله ما اتفقوا عليه وأقام جميع شجعان المسلمين فى خيامهم وخيولهم عندهم مسرجة ومضى الباقون فقاتلوا الروم الى الظهر قتالا شديدا فلما اذن بالظهر هم الروم بالانصراف على العادة فلم يمكنهم ابن الزبير وألح عليهم بالقتال حتى أتعبهم ثم عاد عنهم هو والمسلمون فكل من الطائفتين ألقى سلاحه ووقع تعبا فعند ذلك أخذ عبدالله بن الزبير من كان مستريحا من شجعان المسلمين وقصد الروم فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم وحملوا حملة رجل واحد وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيهم المسلمون وقتل جرجير قتله عبدالله بن الزبير وانهزم الروم وقتل منهم مقتلة عظيمة واخذت ابنة الملك جرجير سبية واعطيت لعبدالله بن الزبير مع مائة الف ونازل عبدالله بن ابى سرح المدينة فحصرها حتى فتحها ورأى فيها من الاموال ما لم يكن فى غيرها فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل الفا ولما فتح عبدالله مدينة سبيطلة بث جيوشه فى البلاد فبلغت قفصة فسبوا وغنموا وسير عسكرا الى حصن الاجم وقد احتمى به اهل تلك البلاد فحصره وفتحه بالامان فصالحه اهل افريقية على الفى الف وخمسمائة ألف دينار وارسل الى عثمان بالبشارة بفتح افريقية ثم عاد عبدالله بن ابى سرح الى مصر وكان مقامه بافريقية سنة وثلاثة اشهر ولم يفقد من المسلمين سوى ثلاثة منهم ابو ذؤيب الهذلى الشاعر فدفن هناك

الأتراك وعلى أخيه ابراهيم وتوجهوا بهما الى جدة ثم الى مصر وأظهر وارسلوا بولاية أخيهما الشريف أبى القاسم بن حسن وكان بمصر فقام بحفظ مكة ولده زاهر بن أبى القاسم

(ولاية الشريف أبى القاسم بن حسن على مكة)

ووصل الشريف أبو القاسم من مصر فى ذى القعدة من السنة المذكورة ودخل مكة لابسا الخلعة واستمر الى ربيع الاول سنة تسع وأربعين وثمانمائة فهجم عليه الشريف بركات ففر

(رجوع الشريف بركات الى مكة وفرار أخيه أبى القاسم)

فولى مكة الشريف بركات وشاع فى آخر السنة ان السلطان غضب من فعل الشريف بركات وانه بعث بعزله مع الحج فجاء الحج وقد احترز الشريف بركات غاية الاحتراز وورد مع الحج نحو عشرين أميرا فخرج الشريف بركات للقاء الامراء على جرى العادة فى أكمل عدة فلما بصروا به على هذه الصفة ألبسوه الخلعة الواردة معهم وحج بالناس الا أنه اعتزلهم بالموقف فوقف جانبا عنهم الى أن نفروا ثم خرج بعد النزول عن مكة ولم يجتمع بأحد من أرباب الدولة

(رجوع الشريف أبى القاسم الى مكة)

فعاد الشريف أبو القاسم

الى مكة واستمر الى سنة احدى وخمسين (رجوع الشريف بركات الى ولاية مكة) فلما كان

ذكر انتقاض افريقية وفتحها ثانية

كان هرقل ملك القسطنطينية يؤدى اليه كل ملك من ملوك النصارى الخراج من مصر وافريقية واندلس وغير ذلك فلما صار ملك افريقية للمسلمين ارسل هرقل بعد مدة الى اهلها بطريقا وامره أن يأخذ منهم مثل ما اخذ المسلمون فنزل البطريق فى قرطاجنة وجمع النصارى الذين فى افريقية واخبرهم بما أمره الملك فأبوا عليه وقالوا نحن نؤدى ماكان يؤخذ منا وقد كان ينبغى له ان يسامحنا لما ناله المسلمون منا وكان قد قام بأمر افريقية بعد قتل جرجير رجل آخر من الروم فطرده البطريق بعد فتن كثيرة وتغلب الروم على افريقية فسار ذلك الرجل الى الشام وبه معاوية وقد استقر له الامر بعد قتل على رضى الله عنه فوصف له افريقية وطلب ان يرسل معه جيشا فسير معه معاوية بن حديج السكونى فوصل الى افريقية وهى نار تضطرم ومعه عسكر عظيم فنزل عند قونية وارسل البطريق اليه ثلاثين الف مقاتل فلما سمع بهم معاوية بن حديج سير اليهم جيشا من المسلمين فقاتلوهم فانهزمت الروم وحصر حصن جلولا فلم يقدر عليه فانهدم الحصن فلكه المسلمون وغنموا ما فيه وبث السرايا فسكن الناس واطاعوا وعاد الى مصر

ذكر غزوة الاندلس

لما افتتحت افريقية فى خلافة عثمان رضى الله عنه أمر عثمان رضى الله عبد الله بن نافع ابن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس ان يسيرا الى الاندلس فأتياها من قبل البحر وكتب عثمان الى من انتدب معهما اما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الاندلس فخرجوا ومعهم البربر ففتح الله على المسلمين فتوحات كثيرة من اراضى افريقية وزاد فى سلطان المسلمين مثل افريقية واما الاندلس فلم تفتح الا فى خلافة الوليد بن عبد الملك كما سيأتى ان شاء الله

ذكر غزوة قنسرين

وفى سنة سبع وعشرين غزا معاوية قنسرين فقتل وسبى وغنم ورجع وفى سنة ثمان وعشرين كان فتح قبرس على يد معاوية

ذكر فتح قبرس فى خلافة عثمان رضى الله عنه غزاها معاوية سنة ٢٨

وكان معه جماعة من الصحابة منهم ابو ذر وابو الدرداء وعبادة بن الصامت ومعه زوجته ام حرام وكان معاوية قد استأذن عمر رضى الله عنه ان يغزو فى البحر فلم يأذن له خوفا على المسلمين من ركوب البحر فلما كانت خلافة عثمان رضى الله عنه استأذن والح عليه فاذن له وقال لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم بل خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه ففعل وسار المسلمون من الشام الى قبرس وسار عبد الله ابن ابى سرح من مصر فاجتمعوا عليها فصالحهم اهلها على جزية سبعة آلاف دينار كل سنة بعد قتل وسبى كثير فى قبرس ويؤدون مثلها لملك الروم وفى هذه الغزوة ماتت ام حرام بنت ملحان الانصارية ألقتها بغلتها بجزيرة قبرس فاندقت عنقها فماتت تصديقا للنبى صلى الله عليه وسلم حيث أخبرها أنها فى اول من يغزو فى البحر كما فى صحيح البخارى

سابع عشر ربيع الاول من السنة المذكورة ورد قاصد من مصر باعادة الشريف بركات الى امارة مكة ورضى عنه السلطان لان ابنه محمد بن بركات توجه الى مصر وتلطف بالسلطان فأكرمه ورضى عنه وأعاد والده الى مكانه ولما جاء هذا القاصد الى مكة خرج منها الشريف أبو القاسم الى وادى الابار ثم توجه الى مصر ومات بها هو وأخوه على سنة ثمانمائة وثلاث وخمسين وكان الشريف على بن حسن فاضلا كريما ذا ذوق وفهم ونظم رقيق فمن شعره قوله

* اذا نال العلا قوم بقوم * رقيت علوها فردا وحيدا

(استدعاء السلطان جقمق الشريف بركات الى مصر وأخذ العلماء عنه الحديث لعلو سنده ورجوعه الى مكة)

وفى سنة ثمانمائة واحدى وخمسين استدعى السلطان الشريف بركات الى مصر فقدم الى القاهرة مستهل رمضان فخرج السلطان للقائه الى الريدانية وبالغ فى اكرامه وقابله بالاجلال والاكرام وأخذ عنه العلماء بالقاهرة وازدحموا على القراءة عليه لعلو سنده وأجازهم ورجع الى مكة ودخلها خامس جمادى الاولى محرما بالعمرة فطاف

(ذكر)

ومعي بالليل وخرج الى الزاهر وبات به ودخل مكة فى الصبح لابسا خلعة الولاية وقرئ توقيعه بالحطيم

۞ ذكر انتقاض اهل فارس ۞

فى سنة تسع وعشرين انتقض اهل فارس فسار اليهم عبيدالله بن معمر فالتقوا على باب اصطخر فقتل عبيدالله وانهزم المسلمون وبلغ الخبر عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبدشمس وكان على البصرة بعد عزل ابى موسى وكان لعبدالله بن عامر صحبة فاستنفر اهل البصرة وسار بالناس الى فارس فالتقوا باصطخر واشتد القتال فانهزم الفرس وقتل منهم مقتلة عظيمة وفتحت اصطخر عنوة واتى دارابجرد وقد غدر اهلها ففتحها وسار الى مدينة جور فانتقضت اصطخر فلم يرجع وتمم السير الى جور وحاصرها الى ان فتحها وكان سبب فتحها ان بعض المسلمين قام يصلى ذات ليلة والى جانبه جراب له فيه خبز ولحم فجاء كلب فجره وعدا به حتى دخل المدينة من مدخل لها خفى فلزم المسلمون ذلك المدخل حتى دخلوها منه وفتحوها عنوة فلما فرغ منها ابن عامر عاد الى اصطخر وفتحها عنوة بعد ان حاصرها واشتد القتال عليها ورميت بالمجانيق وقتل بها خلقا كثيرا من الاعاجم وافنى اكثر اهل البيوتات ووجوه الاساورة وكانوا قد لجؤا اليها

۞ ذكر غزوة سعيد بن العاص طبرستان ۞

فى سنة ثلاثين غزا سعيد بن العاص طبرستان وكان على الكوفة بعد عزل الوليد بن عقبة وكان أهل طبرستان فى خلافة عمر صالحوا سويد بن مقرن على مال بذلوه ثم نقضوا فغزاهم سعيد بن العاص ومعه الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وعبدالله بن عمرو بن العاص وحذيفة بن اليمان واناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وخرج ابن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق سعيدا ونزل نيسابور ونزل سعيد قومس واتى جرجان فصالحوه على مائتى ألف ثم أتى طميسة فقاتله أهلها وضرب سعيد يوما رجلا بالسيف على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه فسألوه الأمان فأعطاهم وفتح ايضا نامية وفى هذه السنة غزا حذيفة الباب مددا لعبدالرحمن بن ربيعة وفى هذه الغزوة رأى حذيفة اختلافا كثيرا بين الناس فى القرآن فلما رجع أشار على عثمان بجمع القرآن فى المصاحف ففعل وقصة ذلك مشهورة لاحاجة لذكرها

۞ ذكر غزوة الصوارى ۞

فى سنة احدى وثلاثين غزا معاوية الصوارى وسببها ان المسلمين لما أصابوا من أهل افريقية وقتلوهم وسبوهم خرج قسطنطين بن هرقل فى جمع لم يجمع الروم مثله منذ كان الاسلام فخرجوا فى خمسمائة مركب أوستمائة وخرج المسلمون وعلى أهل الشام معاوية بن أبى سفيان وعلى أهل مصر عبدالله بن ابى سرح على طريق البحر وكانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم فأرسى المسلمون والروم وسكنت الريح فقال المسلمون الأمان بيننا وبينكم فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرؤن القرآن ويصلون ويدعون والروم يضربون بالنواقيس وقربوا من الغد سفنهم وقرب المسلمون سفنهم فربطوا بعضها مع بعض واقتتلوا بالسيوف والخناجر وقتل من المسلمين بشر كثير وقتل من الروم مالايحصى وصبر الفريقان صبرا لم يصبروا فى

وفى سنة ثمانمائة وتسع وخمسين مرض الشريف بركات فعرض لابنه محمد أن يكون ولى عهده من بعده

(* وفاة الشريف بركات)

ثم توفى الشريف بركات تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة بأرض خالد من وادى مر وحمل على أعناق الرجال الى مكة وغسل وصلى عليه وطيف به سبعا على عادة أشراف مكة ودفن بالمعلا وبنى عليه قبة ورثاه الشعراء

*(تفويض الولاية للشريف محمد بن بركات)

وجاء جواب عرضه ثانى يوم دفنه وفيه تفويض مكة للشريف محمد بن بركات وكان غائبا فى اليمن لقبض بعض أموال والده ولما رجع قرئ مرسومه بالحطيم والخطاب فيه لوالده الشريف بركات وفى شهر شوال ورد اليه مرسوم من السلطان يتضمن التعزية فى والده وتأييده فى ولاية مكة وكان مولد الشريف محمد بن بركات فى رمضان سنة ثمانمائة وأربعين بمكة وكان جم الفضائل شريف الشمائل واستمر الى سنة ثلاث وتسعمائة متوليا على مكة مظهرا للعدل فى الرعية ودانت له العباد واتسع ملكه وتصرفه فى البلاد وكانت مدة ولايته ثلاثا وأربعين سنة وفى سنة ثمانمائة

موطن قط مثله ثم أنزل الله نصره على المسلمين فانهزم قسطنطين جريحا ولم ينج من الروم الا الشريد وسار قسطنطين الى صقلية فسأله اهلها عن حاله فأخبرهم فقالوا أهلكت النصرانية وأفنيت رجالها ولو اتانا العرب لم يكن عندنا من يمنعهم ثم ادخلوه الحمام وقتلوه وتركوا من كان معه وأذنوا لهم فى المسير الى القسطنطينية

﴿ ذكر مقتل يزدجرد بن شهريار ملك الفرس ﴾

فى سنة احدى وثلاثين كان مقتل يزدجرد واختلف فى كيفية قتله اختلافا كثيرا وكان قد هرب من فارس الى خراسان ولم يزل المسلمون يتبعونه ويقفون أثره من مدينة الى مدينة وهو يهرب ثم بيته جماعة من الترك فقتلوه وقيل نام عند رجل ينقر الارحاء فقتله وقيل غير ذلك وكان ملكه عشرين سنة منها اربع سنين فى دعة وست عشرة فى تعب من محاربة العرب اياه وغلظتهم عليه وكان آخر من ملك من آل ازدشير بن بابك وصفا الملك بعده للعرب

﴿ ذكر مسير عبد الله بن عامر الى خراسان وفتحها ﴾

لما قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه نقض أهل خراسان وغدروا فلما افتتح ابن عامر فارس قام اليه حبيب بن اوس التميمى فقال له ايها الامير ان الارض بين يديك ولم يفتح منها الا القليل فسر فان الله ناصرك قال أولم نؤمر بالمسير وقيل ان الاحنف بن قيس قال له ان عدوك منك هارب ولك هائب والبلاد واسعة فسر فان الله ناصرك ومعز دينه فسار الى كرمان واستعمل عليها مجاشع بن مسعود السلمى وله صحبة وأمره بمحاربة اهلها وكانوا قد نكثوا أيضا واستعمل على سجستان الربيع بن زياد الحارثى وكانوا ايضا قد نقضوا الصلح وغدروا ثم سار ابن عامر الى نيسابور وجعل على مقدمته الاحنف بن قيس فأتى الطبسين وهما حصنان وهما بابا خراسان فصالحه اهلهما على ستمائة الف درهم وبعث سرية الى رستاق زام من اعمال نيسابور ففتحه عنوة وفتح باخرز من اعمال نيسابور ايضا وفتح جوين من اعمال نيسابور ايضا ووجه الاسود بن كلثوم العدوى الى بيهق من اعمالها ايضا فقصد قصبته ودخل حيطان البلد من ثلمة كانت فيه ودخلت معه طائفة من المسلمين فأخذ العدو عليهم تلك الثلمة فقاتل الاسود حتى قتل هو وطائفة ممن معه وقام بأمر الناس بعده اخوه أدهم بن كلثوم فظفر وفتح بيهق وكان الاسود يدعو الله ان يحشره فى بطون السباع والطير فلم يواره اخوه ودفن من استشهد من اصحابه وافتتح ابن عامر فى هذه الغزوة بشت من نيسابور وهذه بشت بالشين المعجمة وليست بست التى بالسين المهملة فان تلك من بلاد الداون وهذه من خراسان من نيسابور وافتتح ايضا خواف واسفراين وارغيان ثم قصد نيسابور بعد ما استولى على اعمالها وافتتحها فحصر اهلها اشهرا وكان على كل ربع منها مرزبان للفرس يحفظه فطلب صاحب ربع من تلك الارباع الامارة على ان يدخل المسلمين المدينة فاجيب الى ذلك فادخلهم ليلا ففتحوا الباب وتحصن مرزبانها الاكبر فى حصنها ومعه جماعة وطلب الامان والصلح على جميع نيسابور فصالحه على الف الف درهم وولى نيسابور قيس بن الهيثم السلمى وسير جيشا الى نسا وابيورد فافتتحوها صلحا وبعث

(سرية)

واثنين وسبعين تولى سلطنة مصر الملك الاشرف قايتباى وأرسل الخلعة لمولانا الشريف محمد بن بركات وخلعة لقاضى مكة القاضى برهان الدين بن ظهيرة القرشى المخزومى وأرسل مراسيم تقتضى رفع المكوس بمكة وأمر ان ينقر ذلك على اسطوانة بالمسجد الحرام بباب السلام وفى سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة غزا مولانا الشريف محمد بن بركات قبيلة زبيد بين خليص ورابغ وقتل شيخهم رومى وأخاه مالكا ونحو سبعين رجلا وغنم نحو ثلاثين ألفا من المواشى وفى سنة ثمانمائة وسبع وسبعين وصل مع الحج مرسوم من السلطان يطلب صاحب مكة مولانا الشريف محمد بن بركات والقاضى ابراهيم بن ظهيرة فأرسل مولانا الشريف عوضه ابنه الشريف بركات وصحبته القاضى برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة والقاضى أبو السعود بن ظهيرة وجماعة من اقاربهم فقوبلوا بالاجلال والاكرام من السلطان قايتباى ثم رجعوا

(ذكر من مات بجوف الكعبة من الزحام)

وفى سنة احدى وثمانين مات من الزحام بالكعبة خمسة وعشرون نفسا

(ذكر سلطنة الشريف هزاع بن محمد بن بركات

سرية أخرى الى سرخس مع عبدالله بن خازم السلمى فقاتلوا أهلها ثم طلبوا الامان والصلح على امان مائة رجل فاجيبوا الى ذلك فصالحهم مرزبانها على ذلك وسمى مائة رجل ولم يذكر نفسه فقتله عبدالله ودخل سرخس عنوة وأتى مرزبان طوس الى ابن عامر فصالحه عن طوس على ستمائة درهم وسير جيشا الى هراة عليهم عبدالله بن خازم فبلغ مرزبان هراة ذلك فسار الى ابن عامر فصالحه عن هراة وباذغيس وبوشنج وقيل بل سار ابن عامر فى الجيش الى هراة فقاتله أهلها ثم صالحه مرزبانها على الف الف درهم ولما غلب ابن عامر على هذه البلاد أرسل اليه مرزبان مرو فصالحه على الفى الف ومائتى الف درهم وارسل ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلى الى مرزبانها وكانت مرو كلها صلحا الاقرية منها يقال لها سنج فانها أخذت عنوة ووجه ابن عامر الاحنف بن قيس الى طخارستان فمر برستاق يعرف بعد ذلك برستاق الاحنف ويدعى سوانجرد فحصر أهلها فصالحوه على ثلثمائة الف درهم فقال الاحنف اصالحكم على ان يدخل رجل منا القصر فيؤذن فيه ويقيم فيكم حتى ينصرف فرضوا بذلك ومضى الاحنف الى مرو الروذ فقاتله أهلها فقتلهم وهزمهم وحصرهم وكان مرزبانها من اقارب باذان صاحب اليمن فكتب الى الاحنف أنه دعانى الى الصلح اسلام باذان فصالحه على ستمائة الف وسير الاحنف سرية فاستولت على رستاق بغ واستاقت منه مواشى ثم صالحه أهلها وجمع له أهل طخارستان فاجتمع أهل الجوزجان والطالقان والفارياب ومن حولهم فى خلق كثير فالتقوا واقتتلوا وحمل ملك الصغانيان على الاحنف فانتزع الاحنف الرمح من يده وقاتل قتالا شديدا فانهزم المشركون وقتلهم المسلمون قتلا ذريعا كيف شاؤا وعاد الى مرو الروذ ولحق بعض العدو بالجوزجان فوجه اليهم الاحنف الاقرع بن حابس التميمى فى خيل وقال يابنى تميم تحابوا وتباذلوا تعدل أموركم وابدؤا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم فسار الاقرع فلقى العدو بالجوزجان فكانت بالمسلمين جولة ثم عادوا فهزموا المشركين وفتحوا الجوزجان عنوة وفتح الاحنف الطالقان صلحا وفتح الفارياب ثم سار الاحنف الى بلخ وهى مدينة طخارستان فصالحه أهلها على اربعمائة الف وقيل سبعمائة الف واستعمل على بلخ أسيد بفتح الهمزة بن المتشمس ثم سار الى خوارزم وهى على نهر جيحون فلم يقدر عليها فاستشار اصحابه فقال له حضين بالضاد المعجمة بن المنذر قال عمرو بن معدى كرب

* اذا لم تستطع شيأ فدعه ☼ وجاوزه الى ماتستطيع *

فعاد الى بلخ وقد قبض أسيد صلحها ولما تم لابن عامر هذا الفتح قال له الناس مافتح لاحد مافتح عليك فارس وكرمان وسجستان وخراسان فقال لا جرم لاجعلن شكرى لله تعالى على ذلك ان اخرج محرما من موقفى هذا فأحرم بعمرة من نيسابور وقدم على عثمان واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم فسار قيس بعد شخوصه فى ارض طخارستان فلم يأت بلدا منها الا صالحه أهلها وأذعنوا له حتى أتى سمنجان فامتنعوا عليه فحصرهم حتى فتحها عنوة

ذكر فتح كرمان

لما سار ابن عامر عن كرمان الى خراسان واستعمل مجاشع بن مسعود السلمى على كرمان أمره

صلاة التراويح بجميع القرآن على يمين مقام المالكية وجعل له حطيم من الخشب علق فيه من الثريات والقناديل مالا يحصى واوقد من الشموع فى تلك الليالى مالا يحصى وكان فى كل ليلة يخرج من بيت والده فى زفة عظيمة فيها جماعات من الاعيان ويتلقاه من باب المسجد القضاة الاربعة يمشون معه الى مصلاه ثم اذا فرغ يمشون معه الى باب المسجد ويصلى خلفه الامراء والقضاة والفقهاء والاعيان والاروام والتجار وغيرهم ويصلى على يمينه فقيهه وعن شماله القاضى أبو السعود بن ظهيرة وفى ليلة الختم زف المصلى المذكور راكبا من بيت والده الى الصفا وسار الى ان دخل المسجد وزيد فى الشموع والوقيد أضعافا مضاعفة ومشى معه جميع الناس وكان من جملة الماشين معه والده وأنشد المنشدون فى الختم وخلع عليهم وعلى المكبرين والفراشين والوقادين وفرقت الحلاوة على الحاضرين وكان ذلك كله مما يضرب به المثل وفى سنة أربع وثمانين وثمانمائة غزا مولانا الشريف جازان من أرض اليمن فخرب حصونها وأوديتها وأخذ الاموال وغنم غنائم

ان يفتحها وكان أهلها قد نكثوا وغدروا فافتتح هميد عنوة واستبقى أهلها واعطاهم امانا وبنى بها قصرا يعرف بقصر مجاشع وأتى السيرجان وهى مدينة كرمان فاقام عليها اياما يسيرة وأهلها متحصنون وفتحها عنوة فجلا كثير من أهلها عنها وفتح جيرفت عنوة وسار فى كرمان فدوخ أهلها وأتى القفص وقد تجمع له خلق كثير من الاعاجم الذين جلوا فقاتلهم فظفر بهم وظهر عليهم وهرب كثير من أهل كرمان فركبوا البحر ولحق بعضهم بمكران وبعضهم بسجستان فأقطعت العرب منازلهم واراضيهم فعمروها واحتفروا لها القنى فى مواضع منها وأدوا العشر

ذكر فتح سجستان وكابل وغيرهما

قد تقدم ذكر فتح سجستان ايام عمر بن الخطاب ثم ان أهلها نقضوا بعده فلما توجه ابن عامر الى خراسان سير اليها من كرمان الربيع بن زياد الحارثى فقطع المفازة حتى أتى حصن زالق فأغار على اهله يوم مهرجان وأخذ الدهقان فافتدى نفسه بان غرز عنزة وغمرها ذهبا وفضة وصالحه على صلح فارس ثم أتى بلدة يقال لها كركويه فصالحه أهلها وسار الى زرنج فنزل على مدينة روشت بقرب زرنج فقاتله أهلها واصيب رجل من المسلمين ثم انهزم المشركون وقتل منهم مقتلة عظيمة وأتى الربيع ناشروذ ففتحها ثم أتى شروان فغلب عليها وسار منها الى زرنج فنازلها وقاتله أهلها فهزمهم وحصرهم فارسل اليه مرزبانها ليصالحه واستأمنه على نفسه ليحضر عنده فأمنه وجلس له الربيع على جسد من اجساد القتلى واتكأ على آخر وأمر اصحابه ففعلوا مثله فلما رآهم المرزبان هاله ذلك فصالحه على الف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب ودخل المسلمون المدينة ثم سار منها وأتى القرية التى بها مربط فرس رستم الشديد فقاتله اهلها فظفر بهم ثم عاد الى زرنج واقام بها نحو سنة وعاد الى ابن عامر واستخلف عليها عاملا فاخرج اهلها العامل وامتنعوا فكانت ولاية الربيع سنة ونصفا وسبى فيها اربعين الف رأس وكان كاتبه الحسن البصرى فاستعمل ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس على سجستان فسار اليها فحصر زرنج فصالحه مرزبانها على الفى الف درهم والفى وصيف وغلب عبد الرحمن مابين زرنج والكش من ناحية الهند وغلب من ناحية الرخج على مابينه وبين الداون فلما انتهى الى بلد الداون حصرهم فى جبل الزوز ثم صالحهم ودخل على الزوز وهو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان فقطع يده واخذ الياقوتتين ثم قال للمرزبان دونك الذهب والجوهر وانما أردت ان اعلمك أنه لا يضر ولا ينفع وفتح كابل وزابلستان وهى ولاية غزنة ثم عاد الى زرنج فاقام بها ثم استخلف عليها امير بن احمر اليشكرى وانصرف فأخرج اهلها امير بن احمر وامتنعوا

غزوة مضيق القسطنطينية

فى سنة اثنتين وثلاثين غزا معاوية بن ابى سفيان مضيق القسطنطينية فقتل وسبى وغنم ورجع

ذكر غزوة بلنجر

لما تتابعت الغزوات على الخزر والترك تذامروا وقالوا كنا لا يقرن بنا احد حتى جاءت هذه

قايتباى فاحتفل به مولانا الشريف غاية الاحتفال وأرسل بعض قواده يسبقه للقاء السلطان فوصل الى الحوراء ولاقى السلطان ومد له سماطا فجلس عليه السلطان بنفسه وأظهر من كرم الاخلاق واللطف مالا يوصف حتى يقال انه لما تناول من نوع الحلواء الذى يقال له كل واشكر التفت الى قائد الشريف وقال له قد أكلنا وشكرنا وخلع على القائد ومن معه ولما وصل الى ينبع عدل الى المدينة لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم وسار مولانا الشريف محمد بن بركات للقائه الى الصفراء فلاقاه السلطان راجعا من المدينة وكان صحبة الشريف ولده هزاع وقاضى مكة برهان الدين بن ظهيرة وجملة من الاعيان ووجوه مكة وصار السلطان يلاطفهم ويشكر لهم فعلهم وفارقوه من بدر وتقدموا الى مر الظهران ورتبوا له هناك سماطا فلما كان يوم الاحد مستهل ذى الحجة وصل السلطان الى الوادى ووجد السماط ممدودا فجلس عليه ومن معه وجعل يأكل وخلع على الخدم ووصل بقية الخطباء والقضاة وأعيان مكة

الامة القليلة فصرنا لانقوم لها فقال بعضهم ان هؤلاء لايموتون وما اصيب منهم احد في غزوهم وكان المسلمون غزوهم قبل ذلك فلم يقتل منهم احد فلهذا ظنوا انهم لايموتون فقال بعضهم افلا تجربون فكمنوا لهم في الغياض فمر بالكمين نفر من الجند فرموهم منها فقتلوهم فتواعد رؤسهم على حربهم ثم اتعدوا يوما وكان عثمان قد كتب الى عبدالرحمن بن ربيعة وهو على الباب ان الرعية قد ابطرها البطنة فلا تقتحم بالمسلمين فاني اخشى ان يقتلوا فلم يرجع عبدالرحمن عن مقصده فغزا نحو بلنجر وكان الترك قد اجتمعت مع الخزر فقاتلوا المسلمين قتالا شديدا وقتل عبدالرحمن وكان يقال له ذو النون وهو اسم سيفه فأخذ أهل بلنجر جسده فجعلوه في تابوت فهم يستسقون به فلما قتل وقتل كثير ممن معه انهزم الناس وافترقوا فرقتين فرقة نحو الباب فلقوا سلمان بن ربيعة اخا عبدالرحمن كان قد سيره سعيد بن العاص مددا للمسلمين بأمر عثمان فلما لقوه نجوا معه وفرقة نحو جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسي وابوهريرة

✻ ذكر خروج الترك مع ملكهم قارن ✻

في سنة ثنتين وثلاثين خرجت جموع من الترك من ناحية خراسان في أربعين ألفا عليهم قارن من ملوكهم فانتهى الى الطبسين واجتمع له أهل بادغيس وهراة وقهستان وكان على خراسان يومئذ قيس بن الهيثم السلمي استخلفه عليها ابن عامر عند خروجه الى مكة محرما فدوخ جهتها وكان معه ابن عمه عبدالله بن خازم فقال لابن عامر اكتب لي على خراسان عهدا اذا خرج منها قيس ففعل فلما اقبلت جموع الترك قال قيس لابن خازم ماترى قال أرى ان تخرج من البلاد فان عهد ابن عامر عندي بولايتها فترك منازعته وذهب الى ابن عامر وقيل اشار عليه ان يخرج الى ابن عامر يستمده فلما خرج اشهر عهد ابن عامر له بالولاية عند مغيب قيس وسار ابن خازم للقاء الترك في أربعة آلاف وأمر الناس فحملوا الودك فلما قرب من قارن أمر الناس ان يدرج كل رجل منهم على زج رمحه خرقة او قطنا ثم يكثروا دهنه ثم سار حتى أمسى فقدم مقدمته ستمائة ثم اتبعهم وأمر الناس فأشعلوا النار في اطرف الرماح فانتهت مقدمته الى معسكر قارن نصف الليل فناوشوهم وهاج الناس على دهش وكانوا آمنين من البيات ودنا ابن خازم منهم فرأوا النيران يمنة ويسرة تتقدم وتتأخر وتنخفض وترتفع فهالهم ذلك ومقدمة ابن خازم يقاتلونهم ثم غشيهم ابن خازم واكثروا القتل في المشركين وقتل ملكهم قارن فانهزم المشركون واتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاؤا واسروا سبيا كثيرا وكتب ابن خازم بالفتح الى ابن عامر فرضي وأقره على خراسان

✻ غزوة حصن المرأة ✻

في سنة ثلاث وثلاثين غزا معاوية حصن المرأة من ارض الروم بناحية ملاطية فقتل وسبي وغنم ورجع وفي هذه السنة كانت غزوة عبدالله بن سعد بن ابي سرح افريقية الثانية حين نقض اهلها العهد

الادعية الى ان دخل من باب السلام فدخل بحصانه فعثر فطاحت عمامته فتقدم رمضان المهتار فناوله اياها وكانت ذلك تأديباله من الله تعالى حيث لم يدخل محرما فترجل من العتبة الثانية وقرأ الرئيس لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام الآية ثم دعا للسلطان وأمن أصحاب الاصوات وطاف وخرج الى الصفا فسعى راكبا فلما فرغ من السعي عاد الى الزاهر في صيوانه وبات هناك وركب في الصبح في موكب أعظم ولاقاه مولانا الشريف محمد بن بركات وأعيان الاشراف وقضاة مكة وخرج للقائه حتى النساء ودخل مكة في أوفى عظمة ووصل الى مدرسته التى بناها قبل ذلك عند باب النبي ومد له الشريف سماطا واستمر بها الى ان طلع عرفات وعاد بعد أيام التشريق الى مكة وتأخر بعد الحج أياما بمكة ولما أراد السفر ركب معه شريف مكة وأولاده وقاضيها فودعهم وأمرهم بالرجوع من الزاهر ورجع الى مصر فوجدها على غاية

 من الضبط في مدة غيبته واستمر السلطان قايتباي على سلطنة مصر الى ان توفى

ذكر انتقاض اهل قبرس وغزوهم في سنة ٣٣

وفي هذه السنة نقض أهل قبرس واعانوا الروم على الغزو في البحر بمراكب اعطوهم اياها فغزا معاوية أهل قبرس وفتحها عنوة وقتل وسبى ثم أقرهم على صلحهم وبعث اليهم اثني عشر الفا فبنوا المساجد وبنى مدينة وفي تاريخ جنابي أن في سنة خمس وثلاثين ركب البحر أمير مصر عبدالله بن ابى سرح من الاسكندرية بقصد غزو القسطنطينية فاستقبلهم ملك الروم في الف مركب وكان المسلمون في مائة مركب فالتقوا باسكلة قنكه مغرب انطاكية فرأى ملك الروم رؤيا عبرت له بتعبير مستخرج من الالفاظ التي رآها فجمعت وخرج منها حروف ترجمتها لاتطلب الغلبة فلم يعمل بمقتضى ذلك بل استهان بالمسلمين وقاتلهم ففتح الله النصر للمسلمين وولى الكفار هاربين فنهم من غرق في البحر ومنهم من أخذه السيف ومنهم من اسر وغنم المسلمون كثيرا من مراكبهم ورجعوا الى جزيرة رودس وشنوا عليها الغارة وفتحوها في اسرع زمان وضربوا على من فيها الجزية واعطوهم الامان

ذكر فتح رودس في سنة ٣٥

وفي تاريخ ابن الاثير ان فتح رودس كان في سنة ثلاث وخمسين في خلافة معاوية فتحها جنادة بن ابى امية الازدى وسيأتي ذكر ذلك ولعله فتح ثان بعد هذا الفتح انتهت الفتوحات التي كانت في خلافة عثمان رضي الله عنه ثم وقع الاختلاف بين المسلمين في شأن الامراء الى ان قتل عثمان رضي الله عنه شهيدا وقصته مشهورة لاحاجة لنا الى ذكرها وكان استشهاده لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة الاثنى عشر يوما وقيل الاثمانية ايام وقيل بل قتل ايام التشريق وكان عمره اثنتين وثمانين سنة وقيل ثمانيا وثمانين وقيل تسعين ثم بويع على رضي الله عنه ووقع الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في قتلة عثمان وكانوا مجتهدين في طلب الحق فنهم من اصاب ومنهم من اخطأ فالمصيب له اجران والمخطئ له اجر واحد فيجب الامساك عما جرى بينهم وتأويله بأحسن التأويل وحمله على احسن المحامل واستمر الحال الى ان استشهد على رضي الله عنه سبع عشرة خلت من رمضان سنة اربعين وعمره ثلاث وستون سنة ومدة خلافته خمس سنين الاثلاثة اشهر ثم بويع ابنه الحسن رضي الله عنه واستمر ستة اشهر ثم نزل عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه حقنا لدماء المسلمين وتحقيقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان اجماع الصحابة على خلافة معاوية رضي الله عنه سنة احدى واربعين في ربيع الاول وقيل الآخر وفي هذه السنة استعمل عمرو بن العاص وكان على مصر عقبة بن نافع بن عبد قيس على افريقية فانتهى الى لواتة ومزاتة فاطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سنته فقتل وسبى ثم افتتح في سنة اثنتين واربعين غدامس فقتل وسبى وفتح في سنة ثلاث واربعين كورا من كور السودان وافتتح ودان وهي من برقة وافتتح عامة بلاد البربر وهو الذي اختط القيروان سنة خمسين وفي سنة اثنتين (واربعين)

سنة احدى وتسعمائة الشريف محمد بن بركات في الحادي عشر من محرم بوادي مر الظهران وحمل الى مكة وصلى عليه ودفن بالمعلاو بني عليه قبة ولما وصلوا به من الوادي الى مكة ضجت البلاد وغلقت الابواب وقرئت الربعات ثلاثة أيام بالمسجد الحرام صباحا ومساء بحضرة الاشراف والقضاة والفقهاء وغيرهم وحزن عليه الناس وكان موته مصيبة عظيمة على العباد ورثاه الشعراء بالمراثي وكانت مدة ولايته ثلاثا واربعين سنة كما تقدم وكان رحمه الله جامعا لاشتات الفضائل حاويا لمحاسن الشمائل وكان الشيخ على بن محمد بن عبدالرحمن المعروف بابن مصاص من الصالحين المجاورين بمكة قال رأيت في المنام في أيام الشريف محمد بن بركات صاحب مكة ان الشريف المذكور توفي وان الشيخ عليا المذكور الرائي للرؤيا يغسله وكان دم لايخرج منه القيح ويسيل فأراد الشيخ على ان يكتفي بذلك الغسل ويكفنه والقيح يسيل فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول له نقه نقاك الله قال فكررت غسله الى ان نظف ثم استيقظت فلما توفي الشريف محمد بن

واربعين ايضا غزا المسلمون اللان وغزوا الروم ايضا وهزموهم هزيمة منكرة وقتلوا جماعة من بطارقتهم وفى سنة ثلاث واربعين غزا بسر بن ابى ارطاة الروم وشتى بأرضهم حتى بلغ القسطنطينية وفيها أعاد معاوية عبدالله بن عامر على ولاية البصرة وجعل اليه ولاية خراسان وسجستان فاستعمل ابن عامر عبدالرحمن بن سمرة على سجستان فأتاها وعلى شرطته عباد ابن الحصين الحبطى فكان يغزو البلد قد كفر اهله فيفتحه حتى بلغ كابل فحصرها اشهرا ونصب عليها مجانيق فثلم سورها ثلمة عظيمة فبات عليها عباد بن الحصين ليلة يطاعن المشركين حتى اصبح فلم يقدروا على سدها وخرجوا من الغد يقاتلون فهزمهم المسلمون ودخلوا البلد عنوة ثم سار الى بست ففتحها عنوة وسار الى زران فهرب اهلها وغلب عليها ثم سار الى خشك فصالحه اهلها ثم اتى الرخج فقاتلوه فظفر بهم وفتحها ثم سار الى زابلستان وهى غزنة واعمالها فقاتله اهلها وقد كانوا نكثوا ففتحها وعاد الى كابل وقد نكث اهلها ففتحها واستعمل ابن عامر على ثغر السند عبدالله بن سوار العبدى فغزا القيقان فاصاب مغنما ثم غزاهم مرة أخرى فاستنجدوا بالترك فقتلوه وكان كريما لم يوقد احد فى عسكره نارا فرأى ذات ليلة نارا فقال ماهذه قالوا امرأة نفساء يعمل لها الخبيص فأمر ان يطعم الناس الخبيص ثلاثة ايام

❁ ذكر غزوة السند ❁

وفى سنة اربع واربعين دخل المسلمون مع عبدالرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم وشتوا بها وغزا بسر بن ابى ارطاة فى البحر وغزا المهلب بن ابى صفرة ثغر السند فاتى بنة والاهواز بين الملتان وكابل فلقيه العدو وقاتله ولقى المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارسا من الترك فقاتلوه فقتلوا جميعا وفى سنة ست وأربعين غزا الروم مالك بن عبدالله وشتى فى ارض الروم وقيل بل كان عبدالرحمن بن خالد بن الوليد وقيل بل كان مالك بن هبيرة السكونى وفى سنة سبع وأربعين كان مشتى مالك بن هبيرة بارض الروم غازيا ومشتى عبدالرحمن القينى بانطاكية وفيها سار الحكم بن عمرو الغفارى وكان على خراسان الى جبال الغور فغزا من بها وكانوا اقد ارتدوا فأخذهم بالسيف عنوة وفتحها وأصاب منها مغانم كثيرة وسبايا وكان المهلب بن ابى صفرة مع الحكم بخراسان وغزا معه بعض جبال الترك فغنموا واخذ الترك عليهم الشعاب والطرق فعيى الحكم بالامر فولى المهلب الحرب فلم يزل يحتال حتى أسر عظيما من عظماء الترك فقال له امان تخرجنا من هذا المضيق اولاقتلنك فقال له أوقد النار حيال طريق من هذه الطرق وسير الاثقال نحوه فانهم يستجمعون فيه ويخلون ماسواه من الطرق فبادرهم الى طريق أخرى فمايدركونكم حتى تخرجوا منه ففعل ذلك فسلم الناس بمامعهم من الغنائم وفى سنة ثمان وأربعين كان على غزو المسلمين الروم فى الشتاء عبدالرحمن القينى وفى الصيف عبدالله بن قيس الفزارى وغزا مالك بن هبيرة السكونى البحر وغزا عقبة بن عامر الجهنى باهل مصر البحرين وغزا يزيد بن شجرة الرهاوى باهل الشام فى البحر

❁ ذكر غزوة القسطنطينية ❁

فى سنة تسع وأربعين وقيل ثمان واربعين سير معاوية جيشا كثيفا الى بلاد الروم للغزو وجعل

فلازلت أغسله حتى نظف وهذا يدل على صلاح مولانا الشريف محمد وصلاح هذا الرائى

(ولاية الشريف بركات بن محمد)

فتولى مكة بعده ابنه الشريف بركات ومولده سنة ثمانمائة واحدى وستين بمكة المشرفة ونشأ فى كفالة والده وكان دخل القاهرة سنة ثمانمائة وثمان وسبعين ورجع شريكا لوالده وأخذ فى مصر على نحو أربعين شيخا وأجازوه بمكة جماعة وجاء التأبيد له من سلطان مصر وأشرك معه أخوه هزاع فى لبس الخلعة الثانية الواردة اليه ثم خالفه أخوه الشريف هزاع ومعه أخوه أحمد سنة تسعمائة وأربع وتداخلا مع أمراء الحج فسعوا له فى ولاية مكة وطلبوا له مرسوما بالولاية من سلطان مصر السلطان الغورى

(ولاية الشريف هزاع بن محمد بن بركات)

فجاء المرسوم بولاية هزاع ووقع بينه وبين الشريف بركات حرب بوادى مر فكسر فيه هزاع وقتل من أصحابه نحو الثلاثين ثم أعانه الحج المصرى فكثر القتال على الشريف بركات وأخذت محطته بما فيها فانهزم وذهب الى جدة ودخل الشريف هزاع مكة

عليهم سفيان بن عوف الازدى وكان فى الجيش عبد الله بن عباس وابن عمرو ابن الزبير وابو ايوب الانصارى ويزيد بن معاوية فاوغلوا فى بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية واقتتل المسلمون والروم قتالا شديدا واستشهد ابو ايوب رضى الله عنه ودفن بالقرب من سورها وفى سنة خمسين أغزا معاوية بسر بن ارطاة وسفيان بن عوف الازدى ارض الروم واغزا فضالة ابن عبيد الله الانصارى فى البحر وفى هذه السنة استعمل معاوية عقبة بن نافع الفهرى على افريقية وكان مقيما ببرقة وزويلة منذ فتحها ايام عمرو بن العاص وله فى تلك البلاد جهاد وفتوح فلما استعمله معاوية سير اليه عشرة آلاف فارس فدخل افريقية وانضاف اليه من اسلم من البربر فكثر جمعه ووضع السيف فى اهل البلاد لانهم كانوا اذا دخل اليهم امير اطاعوا واظهر بعضهم الاسلام فاذا عاد الامير عنهم نكثوا وارتد من اسلم ثم رأى ان يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين واهلهم واموالهم ليأمنوا من ثورة تكون من اهل البلاد فقصد موضع القيروان وكانت اجمة مشتبكة بها شئ كثير من انواع الحيوان من السباع والحيات وغير ذلك فدعا الله تعالى وكان مستجاب الدعوة ومن اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم نادى ايتها الحيات والسباع انا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحلوا عنا فانا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه فنظر الناس ذلك اليوم الى الدواب تحمل اولادها وتنتقل ورأى ذلك كثير من قبائل البربر فأسلموا وقطع الاشجار وامر ببناء المدينة فبنيت وبنى المسجد الجامع وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم حتى كان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع وكان فى أثناء عمارة المدينة المذكورة يغزو ويرسل السرايا فتغير وتنهب ودخل كثير من البربر فى الاسلام واتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هنالك من الجنود بمدينة القيروان وأمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الاسلام فيها وفى سنة احدى وخمسين كان على غزو المسلمين فضالة بن عبيدة فشتى بالروم وفى الصيف بسر بن أبى ارطاة وفى السنة المذكورة غزا الحكم الربيع بن زياد والحارث وكان على خراسان فتحها صلحا وكانت قد نقضت بعد ما صالحهم الاحنف بن قيس وفتح الربيع ايضا قهستان عنوة وقتل من بناحيتها من الاتراك وبقى منهم نيزك طرخان فقتله قتيبة بن مسلم فى ولايته وفى سنة ثنتين وخمسين كان على غزو المسلمين الروم سفيان بن عوف وبسر بن ابى ارطاة فى الشتاء وفى الصيف محمد بن عبد الله الثقفى وفى سنة ثلاث وخمسين كان على الجيش فى الشتاء عبد الرحمن ابن ام الحكم الثقفى بالروم وفى هذه السنة فتحت رودس جزيرة فى البحر فتحها جنادة بن ابى امية الازدى ونزلها المسلمون وهم على حذر من الروم وكانوا اشد شئ على الروم يعترضونهم فى البحر ويأخذون سفنهم وكان معاوية يكثر لهم العطاء وكان العدو قد خافهم فلما توفى معاوية اقفلهم ابنه يزيد واخذ الجزية والخراج من اهلها وفى سنة اربع وخمسين كان على جيش المسلمين فى غزوهم الروم محمد بن مالك شتاء ومعن بن يزيد السلمى صيفا وفى هذه السنة فتح المسلمون جزيرة اروادقريب القسطنطينية ومقدمهم جنادة بن ابى امية وفى هذه السنة ايضا استعمل معاوية على خراسان عبيد الله بن زياد فسار الى خرسان فقطع النهر الى جبال بخارى على الابل فى جيش وفتح رامنى ونسف وبيكند وهى من بخارى وغنم غنائم كثيرة ولما لقى الترك وهزمهم كان مع ملكهم زوجته فعجلوها عن لبس خفيها فلبست أحدهما وبقى الآخر

(فأخذه)

ثم ذهب الشريف بركات الى بدر وجمع جموعا فلم يأمن هزاع فخرج مع الحج المصرى الى ينبع فدخل الشريف بركات مكة أواخر ذى الحجة ثم تأهب لقتال هزاع وأقبل هزاع نحوه بجموع وعساكر فخرج لقتاله والتقيا بالبرقة تاسع جمادى الاولى سنة تسعمائة وسبع وقتل خلق كثير من الفريقين فانهزم الشريف بركات وتوجه الى الليث

(وفاة الشريف هزاع)

ودخل الشريف هزاع مكة وجاءته المراسيم والخلع من السلطان ثم مرض وتوفى خامس عشر رجب من السنة المذكورة

(ولاية الشريف أحمد بن محمد بن بركات)

فولى مكة أخوه أحمد بن محمد بن بركات الملقب بالجازانى وكان أيضا مغاضبا لاخيه بركات وكانت ولايته بمساعدة القاضى أبى السعود بن ظهيرة ومالك بن رومى شيخ طائفة زبيد وأعيان الاشراف

(رجوع الشريف بركات بن محمد لولاية مكة واعتذار صاحب مصر له)

ثم وردت المراسيم والخلع من السلطان صاحب مصر للشريف بركات واعتذر اليه السلطان بان ماوقع انما هو بمباطنة امير الحج لاخويه فدخل مكة الشريف بركات وخرج منها أخوه الشريف أحمد الجازانى ثم قبض الشريف

فأخذه المسلمون فقوم بمائتي الف درهم وفي سنة خمس وخمسين كان على جيش المسلمين في الغزو شتاء عمرو بن محرز وقيل عبدالله بن قيس الفزاري وفي سنة ست وخمسين كان على جيش المسلمين في غزو الروم جنادة بن ابي امية وغزا في البحر يزيد بن شجرة وفي البر عياض بن الحارث وفي هذه السنة استعمل معاوية على خراج خراسان وحربها سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه فلما قدم خراسان قطع جيحون الى سمرقند والصغد وهزم الكفار وفتح ترمذ صلحا وفي سنة سبع وخمسين كان على جيش المسلمين بارض الروم عبدالله بن قيس شتاء وفي سنة ثمان وخمسين كان على جيش المسلمين بارض الروم مالك بن عبدالله الخثعمي وفي البحر عمرو بن يزيد الجهني وقيل جنادة بن ابي امية وفي سنة تسع وخمسين كان على جيش المسلمين عمرو بن مرة الجهني بارض الروم في البر وفي البحر جنادة بن ابي امية وقيل لم يكن في البحر غزوة هذه السنة وفي هذه السنة غز المسلمون حصن كمخ من بلاد الروم ومعهم عمير بن الحباب السلمي فصعد عمير السور ولم يزل يقاتل عليه وحده حتى كشف الروم فصعد المسلمون فكان الفتح بعمير وبذلك كان يفتخر وفي سنة ستين كانت غزوة لمالك بن عبدالله في سورية وفي السنة المذكورة توفي معاوية رضي الله عنه وفي سنة احدى وستين استعمل يزيد على خراسان سلم بن زياد فقدم خراسان وعبر نهر جيحون وكان معه المهلب بن ابي صفرة وكان مما يلي خوارزم مدينة يجتمع فيها كثير من ملوكهم وكان المسلمون يطالبون امراءهم غزوة تلك المدينة فيأبون عليهم فألح المهلب على سلم وسأله التوجه الى تلك المدينة فوجهه في ستة آلاف فحاصرهم فطلبوا ان يصالحهم على ان يفدوا انفسهم فاجابهم الى ذلك وصالحوه على نيف وعشرين الف الف وكان في صلحهم يأخذ منهم عروضا فكان يأخذ الرأس والدابة والمتاع بنصف ثمنه فبلغت قيمة ما اخذ منهم خمسين الف الف وغزا سلم سمرقند ووجه جيشا الى خجندة فهزموا واستعمل سلم أخاه يزيد على سجستان فغدر اهل كابل فنكثوا واسروا اباعبيدة بن زياد فسار اليهم يزيد بن زياد في جيش فاقتتلوا وانهزم المسلمون وقتل منهم كثير فلما بلغ الخبر سلم بن زياد سير طلحة بن عبدالله الخزاعي وهو طلحة الطلحات ففدى اباعبيدة بن زياد بخمسمائة الف درهم وسار طلحة من كابل الى سجستان واليا عليها فجبى المال واعطى زواره ومات بسجستان وفيه يقول القائل

رحم الله اعظما دفنوها بسجستان ان طلحة الطلحات

﴿ ذكر غزو عقبة بن نافع بلاد السوس وكثير من قلاع افريقية ﴾

في سنة ثنتين وستين ترك بالقيروان عقبة بن نافع جندا مع الذراري والاموال واستخلف بها زهير ابن قيس البلوي واحضر اولاده فقال اني قد بعت نفسي من الله عز وجل فلا ازال اجاهد من كفر بالله واوصى بما يفعل بعده ثم سار في عسكر عظيم حتى دخل مدينة باغاية وقد اجتمع بها خلق كثير من الروم فقاتلوه قتالا شديدا وانهزموا عنه وقتل فيهم قتلا ذريعا وغنم منهم غنائم كثيرة ودخل المنهزمون المدينة وحاصرهم عقبة ثم كره المقام عليهم فسار الى بلاد الزاب وهي بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة فقصد مدينتها العظمى واسمها اربة فامتنع بها من هناك من الروم والنصارى وهرب بعضهم الى الجبال فاقتتل المسلمون ومن بالمدينة من النصارى عدة

بركات على القاضي أبي السعود بن ظهيرة لاعانته الشريف أحمد الجازاني وأخذ أمواله وقتله تغريقا في البحر عند القنفذة ثم ان الشريف أحمد الجازاني جمع جموعا وتقاتل مع أخيه الشريف بركات سنة ثمان وتسعمائة فانهزم الشريف بركات وقتل ولده السيد ابراهيم ودخل مكة ثم خرج منها وتوجه الى اليمن ودخل مكة الشريف أحمد وصادر أهلها وأخذ أموالهم وسبى الارقاء وأمهات الاولاد وحصل الخوف والنهب الكثير ثم عاد الشريف بركات وتحارب حادي عشر رمضان مع أخيه أحمد بالمحنى وانهزم الشريف بركات وتوجه الى الحسينية فتبعه أخوه أحمد بعسكره فاخلف الشريف بركات الطريق ودخل مكة ففرح به أهل مكة لما جرى عليهم من ظلم أخيه وعاهدوه على القتال معه وحفروا خندقا في أعلى مكة وفي أسفلها فجاء اليه أخوه أحمد ثالث عشر رمضان من أسفل مكة فقاتله الشريف بركات وأهل مكة معه وأظهر له المجاورون من الاروام الصدق فكسروا الشريف أحمد بعد قتل جماعة من الفريقين وفر الى جهة جدة واستنجد بصاحب ينبع فأعانه بجيش بعثه له فتقوى به وقصد مكة في الرابع والعشرين من شوال من

دفعات ثم انهزم النصارى وقتل كثير من فرسانهم ورحل الى تاهرت فلما بلغ الروم خبره استعانوا بالبربر فاجابوهم ونصروهم فاجتمعوا في جمع كثير واقتتلوا قتالا شديدا واشتد الامر على المسلمين لكثرة العدو ثم ان الله تعالى نصرهم فانهزمت الروم والبربر واخذهم السيف وكثر فيهم القتل وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ثم سار حتى نزل على طنجه فلقيه بطريق من الروم اسمه بليان فأهدى له هدية حسنة ونزل على حكمه ثم سأله عن الاندلس فعظم الامر عليه فسأله عن البربر فقال هم كثيرون لا يعلم عددهم الا الله تعالى وهم بالسوس الادنى وهم كفار لم يدخلوا في النصرانية ولهم بأس شديد فسار عقبة اليهم نحو السوس الاقصى وهو مغرب طنجة فانتهى الى اوائل البربر فلقوه في جمع كثير فقتل فيهم قتلا ذريعا وبعث خيله في كل مكان هربوا اليه وسار هو حتى وصل الى السوس الاقصى وقد اجتمع له البربر في عالم لا يحصى فلقيهم وقاتلهم وهزمهم وقتل المسلمون فيهم حتى ملوا وغنموا منهم وسبوا سبيا كثيرا وسار حتى بلغ ماليان ورأى البحر المحيط فقال يارب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك ثم عاد فنفر الروم والبربر عن طريقه خوفا منه واجتاز بمكان يعرف اليوم بماء الفرس فنزله ولم يكن به ماء فلحق الناس عطش كثير وأشرفوا على الهلاك فصلى عقبة ركعتين ودعا فبحث فرس له الارض بيديه فكشف له عن صفاة فانفجر الماء فنادى عقبة في الناس فحفروا احساء كثيرة وشربوا فسمي ماء الفرس فلما وصل الى مدينة طبنة وبينها وبين القيروان ثمانية ايام امر اصحابه ان يتقدموا فوجا فوجا ثقة منه بما نال من الله وانه لم يبق احد يخشاه وسار الى تهوذا لينظر اليها في نفر يسير فلما رآه الروم في قلة طمعوا فيه واغلقوا باب الحصن وشتموه وقاتلوه وهو يدعوهم الى الاسلام فلم يقبلوا منه ثم ارسل الروم الى كسيلة بن كرم البربري ليسرع لقتال عقبة فبادر الى ذلك وكان كسيلة المذكور قد اسلم في مدة امارة ابي المهاجر افريقية قبل عقبة وحسن اسلامه وهو من اكابر البربر وصحب ابا المهاجر فلما ولى عقبة عرفه ابو المهاجر محل كسيلة وامره بأكرامه فلم يقبل عقبة واستخف بكسيلة واتى عقبة مرة بغنم فأمر كسيلة بذبحها وسلخها مع السلاخين فقال كسيلة هؤلاء فتياني وغلماني يكفونني المؤنة فشتمه وأمره بسلخها فقبح ابو المهاجر ذلك عند عقبة فلم يرجع فقال له اوثق الرجل فأني اخاف عليك منه فتهاون به عقبة فأضمر كسيلة الغدر فلما كان الآن ورأى الروم قلة من مع عقبة ارسلوا الى كسيلة واعلموه حاله وكان في عسكر عقبة وقد أضمر الغدر واعلم الروم بذلك واطمعهم فلما راسلوه اظهر ما كان يضمره وجمع اهله وبني عمه وقصد عقبة فقال ابو المهاجر عاجله قبل ان يقوى جمعه فزحف عقبة الى كسيلة فتنحى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه فلما كثر جمعه قاتل عقبة فهزمه وكسر عقبة والمسلمون اجفان سيوفهم وتقدموا الى البربر وقاتلوهم فقتل المسلمون جميعهم لم يفلت منهم احد واسر محمد بن اوس الانصاري في نفر يسير فخلصهم صاحب قفصة وبعث بهم الى القيروان فعزم زهير بن قيس البلوى على القتال وكان خليفة عقبة بالقيروان فخالفه جيش الصنعاني وعاد الى مصر فتبعه اكثر الناس فاضطر زهير الى العود معهم فسار الى برقة واقام بها واما كسيلة فاجتمع اليه جمع من أهل افريقية وقصد افريقية وبها اصحاب الانفال والذراري من المسلمين فطلبوا الامان من كسيلة فأمنهم ودخل

عند باب المعلا مقاتلة شديدة وفر جماعة الشريف بركات وثبت معه الاروام والمجاورون وأبان ذلك اليوم عن شجاعة وقوة حتى انه كان تحته ذلك اليوم فرس تسمى بالجرادة وانه أقحمها الخندق الذى حفره الاتراك حول سور المعلا وكان عرضه سبعة اذرع وجعل يضرب في الجيش بنفسه فانهزموا وهو يضربهم حتى أبعدهم وانهزموا راجعين الى ينبع ثم ان الشريف بركات خرج الى اليمن لاجل بعض الاصلاحات فجاء الشريف أحمد ودخل مكة في غيبة بركات وأذل أهلها وعاقبهم أشد عقاب وأهانهم أشد اهانة وقتل خلقا كثيرا ونهب البيوت وسبى الارقاء وأمهات الاولاد ورجع الى ينبع فصادف اقبال تجريدة من مصر الى مكة فاجتمع بأميرها وجعل له ستين الف أشرفي أحمر على ان يقبض على الشريف بركات ويوليه مكة فتركه بينبع ورجع الى مكة وكان قد رجع الشريف بركات من اليمن في تلك السنة في ثالث عشر ذى القعدة فخرج الى ملاقاة

التجريدة فخلع أمير التجريدة على الشريف بركات بالزاهر ودخل مكة وهو لابس الخلعة وأمير التجريدة معه فلم يزالوا الى ان وصلوا

القيروان واستولى على افريقية واقام بها وحصلت الفتنة بين عبدالملك بن مروان وعبدالله
بن الزبير فلما قوى امر عبدالملك انفذ الجيوش الى افريقية وكتب الى زهير بن قيس البلوى
بولاية افريقية فسار سنة تسع وستين الى افريقية بالجيوش فبلغ خبره الى كسيلة فاحتفل
وجمع وحشد البربر والروم وأحضر اشراف اصحابه وقال قد رأيت ان أرحل الى ممش
فانزلها فان بالقيروان خلقا كثيرا من المسلمين ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم ونخاف
ان قاتلنا زهيرا ان يثبت هؤلاء من ورائنا فاذا نزلنا ممش امناهم وقاتلنا زهيرا فان ظفرنا بهم تبعناهم
الى طرابلس وقطعنا اثرهم من افريقية وان ظفروا بنا تعلقنا بالجبال ونجونا فأجابوه الى ذلك
ورحل الى ممش وبلغ ذلك زهيرا فلم يدخل القيروان بل أقام ظاهرها ثلاثة ايام حتى أراح
واستراح ثم رحل فى طلب كسيلة فلما قاربه نزل وعبى اصحابه وركب اليه فالتقى العسكران
واشتد القتال وكثر القتل فى الفريقين حتى أيس الناس من الحياة فلم يزالوا كذلك أكثر النهار
ثم نصر الله المسلمين وانهزم كسيلة واصحابه وقتل هو وجماعة من اعيان اصحابه بممش وتبع
المسلمون الروم والبربر فقتلوا من ادركوا منهم فأكثروا وفى هذه الوقعة ذهب رجال
البربر والروم وملوكهم واشرافهم وعاد زهير الى القيروان ثم ان زهيرا رأى بافريقية ملكا
عظيما فأبى ان يقيم وقال انما قدمت للجهاد فاخاف ان اميل الى الدنيا فاهلك وكان عابدا زاهدا
فترك بالقيروان عسكرا وهم آمنون لخلو البلاد من عدو او ذى شوكة ورحل فى جمع كثير
يريد مصر وكان قد بلغ الروم بالقسطنطينية مسير زهير من برقة الى افريقية لقتال كسيلة
فاغتنموا خلوها فخرجوا اليها فى مراكب كثيرة وقوة قوية من جزيرة صقلية واغاروا
على برقة فأصابوا منها سبيا كثيرا وقتلوا ونهبوا ووافق ذلك قدوم زهير من افريقية الى
برقة فأخبر الخبر فأمر العسكر بالسرعة والجد فى قتالهم ورحل هو ومن معه وكان الروم
خلقا كثيرا فلما رآه المسلمون استغاثوا به فلم يمكنه الرجوع فباشر القتال واشتد الامر وعظم
الخطب وتكاثر الروم عليهم فقتلوا زهيرا واصحابه ولم ينج منهم احد وعاد الروم بما غنموا
الى القسطنطينية ولما سمع عبدالملك بن مروان بقتل زهير عظم عليه واشتد وكان مشغولا
بما كان بينه وبين ابن الزبير فلما قتل ابن الزبير واجتمع المسلمون عليه جهز جيشا كثيرا ثم
سيرهم الى افريقية واستعمل عليهم وعلى افريقية حسان بن النعمان الغسانى ولم يدخل افريقية
قط جيش مثله فلما ورد القيروان تجهز منها وسار الى قرطاجنة وكان صاحبها اعظم ملوك
افريقية ولم يكن المسلمون قط حاربوها فلما وصل اليها رأى بها من الروم والبربر ما لا يحصى كثرة
فقاتلهم وحصرهم وقتل منهم كثيرا فلما رأوا ذلك اجتمع رأيهم على الهرب فركبوا فى
مراكبهم وسار بعضهم الى صقلية وبعضهم الى الاندلس فدخل حسان قرطاجنة بالسيف
فسبى ونهب وقتلهم قتلا ذريعا وارسل الجيوش فيما حولها فأسرعوا اليه خوفا فامرهم
فهدموا من قرطاجنة ما قدروا عليه ثم بلغه ان الروم والبربر قد اجتمعوا له فى صطفورة
وبنزرت وهما مدينتان فسار اليهم وقاتلهم ولقى منهم شدة وقوة فصبر لهم المسلمون فانهزمت
الروم وكثر القتل فيهم واستولوا على بلادهم ولم يترك حسان موضعا من بلادهم الا وطئه
وخافه اهل افريقية خوفا شديدا ولجأ المنهزمون من الروم الى مدينة باجة فتحصنوا بها

مدرسة الاشرف قايتباى فقبض على الشريف بركات ومن معه من الاشراف وجعلهم
فى الحديد ونهبت بيوتهم
واخذت خيولهم وابلهم
ونادى فى البلد للشريف
أحمد الجازانى وحج بهم
أمير التجريدة وهم فى الحديد
ثم رجع بهم الى مصر فتعب
السلطان الغورى لذلك
وأمر باطلاقهم من الحديد
وأنزل الشريف بركات
فى منزل خاص به هو ومن
معه من الاشراف ثم ان
الشريف بركات ما زال
ينتهز الفرصة حتى أمكنه
الله ففر الى مكة أواخر سنة
تسعمائة وثمانية وفى تاريخ
الرضى سنة تسعمائة وتسعة
ولم يشعر به الغورى
الا بعد يومين فأرسل
خلفه فلم يلحقه فبالغ فى
التحفظ على من بقى بمصر
من الاشراف وجعل عليهم
حرسا وأخرج الحاج فى
هذه السنة بقوة عظيمة من
العسكر والمدافع خوفا من
الشريف بركات فلما بلغ
ذلك الشريف بركات بعث
مكاتيب لامير الحج يؤمنه
ويأمره على أمر الاحوال
ويعرفه أنى من خدمة السلطان
ولا يحصل منى شئ فى
أمر الحاج فلما بلغ هذا الخبر
السلطان رضى عنه وجهز
اليه عياله وجميع ما كان
له بمصر وفى غيبته هذه عن مكة قتلت الاروام المقيمون بمكة اخاه الشريف أحمد صاحب مكة فى الطواف يوم الجمعة عاشر رجب

وتحصن البربر بمدينة بونة فعاد حسان الى القيروان لان الجراح قد كثرت فى اصحابه فأقام بها حتى صحوا فلما اصلح الناس قال حسان دلونى على اعظم من بقى من ملوك افريقية فدلوه على امرأة تملك البربر تعرف بالكاهنة و كانت تخبرهم بأشياء من الغيب ولهذا سميت الكاهنة وكانت بربرية وهى بجبل اوراس وقد اجتمع حولها البربر بعد قتل كسيلة فسأل أهل أفريقية عنها فعظموا محلها وقالوا له ان قتلتها لم تختلف البربر بعد عليك فسار اليها فلما قاربها هدمت حصن باغاية ظنا منها انه يريد الحصون فلم يعرج حسان على ذلك وسار اليها فالتقوا على نهر نيني واقتتلوا اشد قتال رآه الناس فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير واسر منهم كثير وانهزم حسان ثم انها اطلقت الاسرى سوى خالد بن يزيد القيسى وكان شريفا شجاعا فاتخذته ولدا فسار حسان حتى فارق افريقية و قام و كتب الى عبد الملك بالمقام الى ان يأتيه امره فأقام بعمل برقة خمس سنين فسمى ذلك المكان قصور حسان الى الآن وملكت الكاهنة افريقية كلها واساءت السيرة فى اهلها وعسفتهم وظلمتهم ثم سير اليه عبد الملك الجنود والاموال وامره بالمسير الى افريقة وقتال الكاهنة فارسل حسان رسوله سرا الى خالد بن يزيد وهو عند الكاهنة بكتاب يستعلم منه الامور فكتب اليه خالد جوابه فى رقعة يعرفه تفرق البربر ويأمره بالسرعة وجعل الرقعة فى خبزة وعاد الرسول فخرجت الكاهنة ناشرة شعرها تقول ذهب ملكهم فيما يأكل الناس فطلب الرسول فلم يوجد فوصل الى حسان وقد احترق الكتاب بالنار فعاد الى خالد و كتب اليه بما كتب اولا واودعه قربوس السرج فوصل الى حسان فسار فلما علمت الكاهنة بمسيره اليها قالت العرب يريدون البلاد والذهب والفضة ونحن انما نريد المزارع والمراعى ولا ارى الا ان اخرب أفريقية حتى ييأسوا منها وفرقت اصحابها ليخربوا البلاد فخربوها وهدموا الحصون ونهبوا الاموال وهذا هو الخراب الاول لافريقية فلما قرب حسان من البلاد لقيه جمع من اهلها من الروم يستغيثون من الكاهنة ويشكون اليه منها فسره ذلك فسار الى قابس فلقيه اهلها بالاموال والطاعة وكانوا قبل ذلك يتحصنون من الامراء وجعل فيها عاملا وسار الى قفصة ليتقرب الطريق فأطاعه من بها واستولى عليها وعلى قسطيلية ونفزاوه وبلغ الكاهنة قدومه فاحضرت ولدين لها وخالد بن يزيد وقالت لهم انى مقتولة فامضوا الى حسان وخذوا لانفسكم منه امانا فساروا اليه وبقوا معه وسار حسان نحوها فالتقوا واقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل حتى ظن الناس انه الفناء ثم نصر الله المسلمين وانهزم البربر وقتلوا قتلا ذريعا وانهزمت الكاهنة ثم ادركت فقتلت ثم ان البربر استأمنوا الى حسان فأمنهم وشرط عليهم ان يكون منهم عسكر مع المسلمين عدتهم اثناعشر الفا يجاهدون العدو فأجابوه الى ذلك فجعل على هذا العسكر ابنى الكاهنة ثم فشى الاسلام فى البربر وعاد حسان الى القيروان و قام لا ينازعه احد الى ان توفى عبد الملك سنة ست وثمانين فلما ولى ابنه الوليد ولى افريقية عمه عبد الله بن مروان وعزل حسان ثم استعمل الوليد على افريقية موسى بن نصير سنة تسع وثمانين وسيأتى الكلام على غزواته

جيضة خلعة لولاية مكة وأقامه على الحجاز حتى يأتى أمر السلطان من مصر وكتبوا الى السلطان الغورى بذلك ثم ان الشريف جيضة قابل أمير الحج المصرى ولبس الخلعة الواردة وحج بالناس ذلك العام وأما الشريف بركات فانه سار من ينبع الى المدينة ثم منها الى الشرق فنزل على السيد جيدان ابن شامان الحسينى وكان بعض الاشراف من بنى حسين خطب ابنته الشريفة عيشة بنت جيدان فقبله وقى الحسى زبيضرب وقد تهيؤ للزواج ولم يبق الا العقد فسأل الشريف بركات من العريس ان يسمح له بهذه البنت فيتزوجها فسمح له بها فعقدوا بها على الشريف بركات

(زواج الشريف بركات بالشرق)

فدخل بها الشريف بركات فحملت منه بالشريف أبى نمى بن بركات

(ولادة الشريف أبى نمى ابن بركات سنة ٩١١ ليلة ٩ من ذى الحجة)

فولدت له الشريف أبا نمى المذكور ليلة التاسع من ذى الحجة سنة تسعمائة واحدى عشرة ولنرجع الى اتمام الكلام اولا فنقول انه لما كان يوم التروية سنة

(ذكر)

❁ ذكر صلح عبدالملك بن مروان لملك الروم ❁

كانت الصوائف تعطلت من الشأم منذ وفاة معاوية لحدوث الفتن بين المسلمين والصوائف الجيوش التي كانت تجهز في أوان الصيف لسد الثغور وحرب الكفار واستمر ذلك من صدر الاسلام الى أواخر الدولة العباسية ولما اشتدت الفتنة بين ابن الزبير وعبدالملك اجتمعت الروم سنة سبعين واستجاشوا على من بالشام من المسلمين فصالح عبدالملك ملكهم على ان يؤدى اليه كل جمعة الف دينار خوفا منه على المسلمين وفي سنة ثلاث وسبعين خرج الروم من ناحية ارمينية في ستين ألفا وكان على ارمينية محمد بن مروان من قبل اخيه عبدالملك فقاتلهم وهزمهم وأكثر القتل فيهم وفي سنة اربع وسبعين استعمل عبدالملك على خراسان امية بن عبدالله بن خالد بن أسيد فلما وصل امية الى كرمان استعمل ابنه عبد الله على سجستان فلما قدمها غزا ملك الترك رتبيل وكان رتبيل هائبا للمسلمين فلما وصل عبدالله الى بست ارسل رتبيل يطلب الصلح وبذل الف الف وبعث اليه بهدايا ورقيق فأبى عبدالله قبول ذلك وقال ان ملأ لي هذا الرواق ذهبا والافلا صلح وكان غرا فخلى له رتبيل البلاد حتى أوغل فيها وأخذ عليه الشعاب والمضايق فطلب ان يخلى عنه وعن المسلمين ولا يأخذ منه شيأ فأبى رتبيل وقال بل يأخذ ثلاثمائة الف درهم صلحا ويكتب لنا كتابا ولا يغزو بلادنا ما كنت أميرا ولا يحرق ولا يخرب ففعل ذلك وبلغ ذلك عبدالملك فعزله وفي هذه السنة غزا محمد بن مروان صائفة وكانت الروم خرجت من قبل مرعش وكذا في السنة التي بعدها وفي سنة خمس وسبعين كان على ثغر السند مجاعة بن سعد التميمى من قبل الحجاج فغزا وفتح اماكن من قندابيل وفي سنة ست وسبعين غزا محمد بن مروان الروم من ناحية ملاطية وفي سنة سبع وسبعين غزا الصائفة الوليد بن عبدالملك وفي سنة ثمان وسبعين ولى الحجاج عبيدالله بن أبي بكرة سجستان وكان رتبيل ملك الترك مصالحا وكان يؤدى الخراج وربما امتنع فبعث الحجاج الى عبيدالله بن أبي بكرة يأمره بمناجزته وان لا يرجع حتى يستبيح بلاده ويهدم قلاعه ويقيد رجاله فسار عبيدالله في أهل البصرة وأهل الكوفة وكان على أهل الكوفة شريح بن هانئ كان من أصحاب علي رضي الله عنه ومضى عبيد الله حتى دخل بلاد رتبيل فأصاب من الغنائم ماشاء وهدم حصونا وغلب على ارض من أراضيهم واصحاب رتبيل من الترك يتركون لهم أرضا بعد أرض حتى أمعنوا في بلادهم ودنوا من مدينتهم وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخا فاخذوا على المسلمين العقاب والشعاب فسقط في أيدى المسلمين فظنوا ان قد هلكوا فصالحهم عبيدالله على سبعمائة ألف درهم يوصلها الى رتبيل ليمكن المسلمين من الخروج من أرضه فلقيه شريح فقال له انكم لاتصالحون على شئ الاحسبه السلطان من أعطياتكم وقد بلغت من العمر طويلا وقد كنت اطلب الشهادة منذ زمان وان فاتتني اليوم الشهادة ماادركها حتى اموت ثم قال شريح ياأهل الاسلام تعاونوا على عدوكم فقال له عبيدالله بن ابي بكرة انك شيخ قد خرفت فقال له شريح انما حسبك ان يقال بستان عبيدالله وحمام عبيد الله ياأهل الاسلام من أراد منكم الشهادة فالى فاتبعه ناس من المتطوعة وفرسان الناس وأهل الحفاظ

في النهب فأرسل الامراء للشريف بركات وضمنوا له ان يأخذوا له من أخيه حميضة خمسة آلاف دينار فقال حميضة مالي قدرة فأعطاه الامراء من مال الصر الذى جاؤا به فكف العرب ودخل مكة وهرب الشريف حميضة ثم ان السلطان الغورى أرسل بالتفويض الى الشريف بركات سنة تسعمائة وعشر وان المعول في الامور عليه فأمر ان يخلع على أخيه قايتباى ويدعى له ولابنه علي بن بركات ويختص الشريف بركات بالدعاء على المنبر وفي سنة تسعمائة وثلاث عشرة خرج الشريف بركات لقتال مالك بن رومى الزبيدى الذى كان سببا في نهب مكة من أخيه أحمد الجازاني ووصل الى جبل الروحا وقتل مالك بن رومى وأولاده الثلاثة واخاه مشهور بن رومى وطائفة كثيرة منهم وبعث برؤسهم الى الغورى ونصبت على أبواب مصر وحصل بذلك غاية الفرح للسلطان الغورى

(وفاة علي بن بركات بن محمد بن بركات)

 وفي هذه السنة توفي علي بن بركات فجعل الشريف بركات عوضه أخاه محمد

فقاتلوا حتى اصيبوا الا قليلا وقاتل شريح حتى قتل في اناس من اصحابه ونجا من نجا فخرجوا من بلاد رتبيل وفي هذه السنة اصاب أهل الروم أهل انطاكية وظفروا بهم وفي سنة ثمان وسبعين عزل عبد الملك امية بن عبد الله عن خراسان وضمها الا عمال الحجاج فولى على خراسان المهلب بن ابي صفرة

﴿ ذكر غزوة المهلب ماوراء النهرحين كان واليا على خراسان ﴾

في سنة ثمانين قطع المهلب نهر بلخ ونزل على كش فأتاه ابن عم ملك الختل ودعاه الى غزو الختل وكان اسم ملكهم الشبل فوجه المهلب مع ابن عم الملك ابنه يزيد بن المهلب فنزل يزيد ناحية ونزل ابن عم الملك ناحية فبيته الشبل وأخذه فقتله فحصر يزيد قلعة الشبل فصالحوه على فدية حملت اليه ورجع يزيد عنهم ووجه المهلب ابنه حبيبا فوافى صاحب بخارا في اربعين الفا فنزل جماعة من العدو قرية فسار اليهم حبيب في اربعة آلاف فقتلهم واحرق القرية فسميت المحترقة ورجع حبيب الى ابيه واقام المهلب بكش سنتين فقيل له لو تقدمت الى ماوراء ذلك فقال ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذا الجند وصالح المهلب أهل كش على فدية يأخذها منهم وأتاه كتاب ابن الاشعث بخلع الحجاج ويدعوه الى مساعدته فبعث بكتابه الى الحجاج واقام بكش

﴿ ذكر تسيير الجنود الى رتبيل مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ﴾

قد تقدم ذكر حال المسلمين حين دخل بهم ابن ابي بكرة بلاد رتبيل ثم استأذن الحجاج عبد الملك في تسيير الجنود نحو رتبيل فاذن له عبد الملك فاخذ الحجاج في تجهيز الجيش فجعل على أهل الكوفة عشرين الفا وعلى اهل البصرة عشرين الفا وجد في ذلك وأعطى الناس اعطياتهم كملا وأنفق فيهم الفي الف سوى اعطياتهم وأنجدهم بالخيل الرائقة والسلاح الكامل واعطى كل رجل يوصف بشجاعة وغناء وكان يسمى جيش الطواويس لحسنه فلما فرغ من امر الجند بعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بأمر من عبد الملك وكان الحجاج يبغض عبد الرحمن المذكور فسيره على ذلك الجيش طاعة لأمر عبد الملك فسار بهم حتى قدم سجستان وبلغ الخبر رتبيل فأرسل يعتذر ويبذل الخراج فلم يقبل منه فسار اليه ودخل بلاده وترك له رتبيل ارضا ارضا ورستاقا رستاقا وحصنا حصنا وعبد الرحمن يحوي ذلك وكلما حوى بلدا بعث اليه عاملا وجعل معه اعوانا وجعل الارصاد على العقاب والشعاب ووضع المسالح بكل مكان مخوف حتى اذا حاز من ارض عظيمة وملأ الناس ايديهم من الغنائم العظيمة منع الناس من الوغول في ارض رتبيل وقال نكتفي بما اصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ويجترئ المسلمون على طرقها وفي العام المقبل نأخذ ماوراءها ان شاء الله تعالى ثم كتب الى الحجاج بما فتح الله عليه وبما يريد ان يعمل فلما أتى كتابه الى الحجاج كتب جوابه ان كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ويستريح الى الموادعة قد صانع عدوا قليلا ذليلا قد اصابوا من المسلمين جندا كان بلاؤهم حسنا وغناؤهم عظيما

بن بركات وكان كل منهما يلبس معه الخلعة أعني محمد او قايتباى وفي سنة تسعمائة وخمس عشرة بعث مولانا الشريف السيد عرار بن عجل الى السلطان الغوري بهدية من جملتها عشرون عبدا حبشيا وعشرون ألف دينار ذهبا وعشرون فرسا وللدويدار ثلاثة آلاف دينار فقابلهم السلطان وخلع عليه وعلى من معه وأرسل الى مولانا الشريف بخلعة وهدية سنية وخاطبه بخطاب بليغ وفوض اليه جميع أمور الاقطار الحجازية حتى ينبع وغيرها وحصل بمكة فرح عظيم

(وفاة قايتباى بن بركات بن محمد بن بركات)

وفي سنة تسعمائة وثماني عشرة توفي السيد قايتباى وفي شهر ربيع الاول من هذه السنة أرسل السلطان الغوري يطلب الشريف بركات الى عنده فأرسل يعتذر اليه وأرسل ابنه أبا نمي بن بركات بدله الى مصر ومعه السيد عرار بن عجل وقاضيا مكة صلاح الدين بن ظهيرة الشافعي ونجم الدين بن يعقوب المالكي وولداه القاضي محمد والقاضي تاج الدين وجملة من القواد فتوجهوا الى مصر ومعهم السيد أبو نمي وعمره اذ ذاك ثماني سنين فلما دخلوا مصر قابلهم السلطان الغوري بالاعزاز والاكرام وأجلس

وأحببت ان تكف عن ذلك العدو وتحمى النفس عن أصيب من المسلمين فامض لما أمرتك به من الوغول فى ارضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ثم أردفه كتابا آخر بنحو ذلك وفيه امابعد فرمن قبلك من المسلمين فليحربوا وليقيموا بها فانها دارهم حتى يفتحها الله عليهم ثم كتب كتابا ثالثا بذلك ويقول له ان مضيت لما امرتك به والافأخوك اسحاق بن محمد امير الناس فدعا عبد الرحمن الناس وقال لهم ايها الناس انى لكم ناصح ولصلاحكم محب ولكم فى كل مايحيط به نفعكم ناظر وقد كان رأيى فيما بينى وبين عدوى بما رضيه ذووا احلامكم واولو التجربة منكم وكتبت بذلك الى اميركم الحجاج فاتانى كتابه يعجزنى ويضعفنى ويأمرنى بتعجيل الوغول بكم فى ارض العدو وهى البلاد التى هلك فيها اخوانكم بالامس وانما أنا رجل منكم أمضى اذا مضيتم وآبى اذا أبيتم فثار اليه الناس وقالوا بل نأبى على عدو الله ولانسمع له ولانطيع فكان اول من تكلم ابو الطفيل عامر بن واثلة الكنانى وله صحبة رضى الله عنه فقال بعد حمد الله امابعد فان الحجاج يرى بكم مارأى القائل الاول احمل عبدك على الفرس فان هلك فلك وان نجا فلك وان الحجاج مايبالى ان يخاطر بكم فيقحمكم بلايا كثيرة ويغشى اللهوب واللصوب فان ظفرتم وغنمتم اكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة فى سلطانه وان ظفر عدوكم كنتم أنتم الاعداء البغضاء الذين لايبالى عنتهم ولا يبقى عليهم اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا الامير عبد الرحمن فانى اشهدكم انى اول خالع فنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا قد خلعنا عدو الله وقام عبد المؤمن بن شبث بن ربعى فقال عباد الله انكم ان اطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم مابقيتم وجمركم تجمير فرعون الجنود (التجمير حبس الجيش فى ارض العدو من غير رجوع) فانه بلغنى انه اول من جمر البعوث ولن تعاينوا الأحبة او يموت اكثركم فيما ارى فبايعوا اميركم وانصرفوا الى عدوكم الحجاج فانفوه عن بلادكم فوثب الناس الى عبد الرحمن فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه من ارض العراق وعلى النصرة لعبد الرحمن ولم يذكروا عبد الملك وجعل عبد الرحمن على بست عياض بن هميان الشيبانى وعلى زرنج عبد الله بن عامر التميمى وصالح رتبيل على ان ابن الاشعث ان ظهر فلاخراج عليه ابدامابقى وان هزم فاراد منعه رجع الى العراق وجعل عبد الرحمن على مقدمته عطية بن عمرو العنبرى وجعل على كرمان حريثة بن عمرو التميمى فلما بلغ فارس اجتمع الناس بعضهم الى بعض وقالوا اذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك فاجتمعوا الى عبد الرحمن فكان اول الناس خلع عبد الملك تيجان بن ابجر من بنى تيم الله بن ثعلبة قام فقال ايها الناس انى خلعت ابا ذبان (كنية عبد الملك) كخلع قيصى فخلعه الناس الاقليلا منهم وبايعوا عبد الرحمن وكانت بيعته تبايعوا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى جهاد اهل الضلالة وخلعهم وجهاد المحلين فلما بلغ الحجاج خلعه كتب الى عبد الملك يخبر عبد الرحمن ويسأله ان يعجل بعثه بجنود اليه ولما بلغ المهلب خبر عبد الرحمن كتب الى الحجاج من خراسان امابعد فان اهل العراق قد اقبلوا اليك وهم مثل السيل ليس يرده شئ حتى ينتهى الى قراره وان لاهل العراق شدة فى اول مخرجهم وصبابة الى ابنائهم ونسائهم فاتركهم حتى يسقطوا الى اهاليهم ويشموا اولادهم ثم واقعهم عندها فان الله ناصرك عليهم فلما قرأ كتابه شتمه وسبه وقال مالى نظر وانما نظر الى ابن عمه يعنى

فسأل السيد ابانمى ماسورتك فقال انا فتحنا لك فتحا مبينا فاستبشر الغورى بذلك ثم جعله شريكا لوالده فى أمر مكة وجدة وينبع وسائر الاقطار الحجازية وكتب له توقيعا شريفا بكل ذلك وأعاده الى والده وأكثر الشعراء المدائح والتهنئة وكان يدعى لهما على المنابر وفى سنة تسعمائة وعشرين حجت زوجة السلطان الغورى ومعها ولده محمد وكاتم السر محمود فأكرمهم مولانا الشريف بركات وقام بكل مايحتاجونه أتم قيام وسألاه ان يتوجه معهم الى مصر ليجازوه على فعله فسار معهم وأكثر شعراء مصر من مدائح الشريف بركات بقصائد كثير فلما وصل الى مصر وكانت هذه ثالث مرة لدخوله مصر وأكرمه السلطان وأجزل بره والاحسان اليه ثم رجع الى مكة فى شهر رجب من العام المذكور وزينت مكة لقدومه وكان يوم قدومه أكبر فرح

(ذكر قتال السلطان الغورى والسلطان سليم خان وفقد سلطان مصر سنة ٩٢٢)

فى سنة اثنتين وعشرين كان القتال بين السلطان الغورى والسلطان سليم ملك القسطنطينية بمرج دابق وكسرت الجراكسة

وفقد السلطان الغوري في المعركة تحت سنابك الخيل وذلك كله مبسوط في التواريخ ودخل السلطان سليم

عبدالرحمن لان كلا من المهلب وعبدالرحمن من قحطان ثم بعد وقوع بعض الوقائع بين الحجاج وعبدالرحمن نظر في كتاب المهلب فاستصوب ماقاله وقال لله دره اي صاحب حرب هو ولما وصل كتاب الحجاج لعبد الملك هاله ودعا خالد بن يزيد بن معاوية فأقرأه الكتاب فقال ياأمير المؤمنين ان كان الحدث من سجستان فلاتخفه فان كان من خراسان فاني أتخوفه فجهز عبدالملك الجند الى الحجاج على البريد من مائة ومن خمسين واقل واكثر وكتب الحجاج تتصل بعبد الملك كل يوم بخبر عبدالرحمن فنزل الحجاج البصرة ولما اجتمع الجند عنده سار من البصرة ليلقى عبدالرحمن ولم يتركهم حتى يسقطوا الى اهاليهم كما كتب اليه المهلب فنزل تستر وقدم بين يديه مقدمة الى دجيل فلقوا عنده خيلا لعبد الرحمن فانهزم اصحاب الحجاج بعد قتال شديد وكان ذلك يوم الاضحى سنة احدى وثمانين وقتل منهم جمع كثير فلما اتى خبر الهزيمة الى الحجاج رجع الى البصرة وتبعه اصحاب عبدالرحمن فقتلوا منهم واصابوا بعض اثقالهم وأقبل الحجاج حتى نزل الزاوية وجمع عنده الطعام وترك البصرة لاهل العراق فاقبل عبدالرحمن حتى دخل البصرة فبايعه جميع اهلها قراؤها وكهولها مستبصرين في قتال الحجاج ومن معه من أهل الشام ثم دخل عبدالرحمن ومن معه الكوفة وبايعه أهلها وصار له جيش يبلغ مائة الف فيهم كثير من الصحابة وابنائهم وعلماء التابعين وغيرهم وممن بايع عبدالرحمن وكان في جيشه سعيد بن جبير والشعبي وعبدالرحمن بن ابي ليلى وهؤلاء من كبار علماء التابعين ومن الصحابة ابو الطفيل عامر بن واثلة ووقع بينهم وبين جيوش الحجاج وقائع كثيرة في اكثرها كان النصر لجيوش عبدالرحمن ثم ان عبد الملك واهل الشام قالوا ان كان يرضى اهل العراق بنزع الحجاج عنهم نزعناه فان عزله ايسر من حربهم ونحقن بذلك الدماء فبعث عبدالملك ابنه عبدالله واخاه محمد بن مروان الى الحجاج في جند كثيف وامرهما ان يعرضا على اهل العراق عزل الحجاج وان يجريا عليهم اعطياتهم كما يجرى على أهل الشام وان ينزل عبدالرحمن بن الاشعث اي بلد شاء من بلاد العراق فاذا نزله كان واليا عليه مادام حيا وعبدالملك خليفة فان اجاب أهل العراق الى ذلك عزل الحجاج وصار محمد بن مروان امير العراق وان ابى اهل العراق قبول ذلك فالحجاج امير الجماعة والى القتال ومحمد بن مروان وعبدالله بن عبدالملك في طاعته فلم يأت الحجاج امر قط كان اشد عليه ولااوجع لقلبه من ذلك فخاف ان يقبل أهل العراق عزله فيعزله عنهم فكتب الى عبد الملك والله لواعطيت أهل العراق نزعي لم يلبثوا الاقليلا حتى يخالفوك ويسيروا اليك ولايزيدهم ذلك الاجراءة عليك وذكر له اشياء مما فعله أهل العراق ايام عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم قال له ان الحديد بالحديد يلم فأبى عبدالملك الاعرض عزله على أهل العراق فلما اجتمع عبدالله بن عبدالملك ومحمد ابن مروان مع الحجاج خرج عبدالله بن عبد الملك وقال يااهل العراق انا ابن امير المؤمنين وهو يعطيكم كذا وكذا وخرج محمد بن مروان وقال انا رسول امير المؤمنين وهو يعرض عليكم كذا وكذا فذكر هذه الخصال فقالوا نرجع العشية فرجعوا واجتمع أهل العراق عند ابن الاشعث فقال لهم قد أعطيتم امرا انتهازكم اليوم اياه فرصة وانكم اليوم على النصف فان كانوا اعتدوا عليكم بيوم كذا فانتم تعتدون عليهم بيوم كذا فاقبلوا ماعرضوا عليكم وأنتم

مصر يوم الجمعة غرة محرم الحرام سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وكان السلطان سليم كثير المحبة لاهل الحرمين وهو أول من رتب لهم صدقة الحب ولما فرغ من أمر مصر أراد أن يجهز جيشا الى مكة المشرفة وكان بالديار المصرية القاضي صلاح الدين ابن أبي السعود بن ظهيرة معتقلا بها صادره الغوري يطلب منه عشرة آلاف دينار فعجز فأمر بحمله الى مصر واعتقله ثمة فأطلقه السلطان سليم لما دخل مصر فلما بلغ القاضي تجهيز الجيش اجتمع بوزير مولانا السلطان سليم وعرفه عظمة صاحب مكة ومنزلته من الشرف وانه من خدم مولانا السلطان وان الرأي ارسال مكتوب اليه ولا تبدو منه مخالفة أبدا ولا يحتاج الى تجهيز جيش فاستقر الحال على ارسال توقيع شريف لمولانا الشريف بركات وابقاء الشريف أبي نمي على شركة أبيه نظير توقيع السلطان الغوري وكتب القاضي صلاح الدين لمولانا الشريف يعرفه بما وقع ويسأل منه ارسال ابنه الشريف محمد أبي نمي الى الحضرة السلطانية يتشرف باللقاء ويكون

(اعزاه)

دليلا على الرضا والبقاء فقبل الشريف ذلك فلما وصل اليه الامر السلطاني أرسل ابنه أبانمى وأطلق

اعزاء اقوياء لقوم لكم هائبون وانتم لهم منتقصون فوالله لازلتم عليهم جرآء وعندهم اعزاء
أبدا ما بقيتم ان أنتم قبلتم فوثب الناس من كل جانب فقالوا ان الله قد أهلكهم فاصبحوا في الضنك
والمجاعة والقلة والذلة ونحن ذوو العدد الكثير والسعر الرخيص والمادة القريبة والله
لانقبل وأعادوا خلعه ثانية وابلغوا ذلك عبد الله بن عبد الملك ومحمد بن مروان فقالا للحجاج
شأنك بعسكرك وجندك واعمل برأيك فانا قد أمرنا ان نسمع لك ونطيع فقال قد قلت أنه لا يراد
بهذا الأمر غيركم فكانا يسلمان عليه بالأمرة ويسلم عليهما بالأمرة ثم أعيد القتال واشتد الأمر
وتفصيل ذلك يطول وجملة الايام التى اقتتلوا فيها مائة يوم وثلاثة ايام ثم وقعت الهزيمة على
اصحاب عبد الرحمن ثم رجع الحجاج الى الكوفة وعاد محمد بن مروان الى الموصل وعبد الله بن
عبد الملك الى الشام وأخذ الحجاج يبايع الناس الذين كانوا مع عبد الرحمن وكان لا يبايع أحدا الا قال
له اشهد أنك كفرت فان قال نعم بايعه والا قتله فأتاه رجل من خثعم كان معتزلا للناس جميعا فسأله
عن حاله فأخبره باعتزاله فقال له أنت متربص اتشهد أنك كافر قال بئس الرجل انا اعبد الله ثمانين
سنة ثم اشهد على نفسي بالكفر قال اذن اقتلك قال وان قتلتني فقتله ولم يبق أحد من أهل الشام
والعراق الا رحمه ثم أتى بعده بآخر فقال له الحجاج أرى رجلا ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر
فقال له الرجل اتخادعني عن نفسي انا اكفر أهل الارض واكفر من فرعون فضحك منه وخلى
سبيله وأتى بمحمد بن سعد بن ابى وقاص فقال له ياظل الشيطان اعظم الناس تيها وكبرا تأبى بيعة
يزيد بن معاوية وتتشبه بالحسين وعبد الله بن عمر ثم صرت مؤذنا لابن الاشعث وجعل يضرب
رأسه بعود في يده حتى ادماه ثم أمر به فقتل ثم أتى بعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر فقال
ياعبد المرأة يقوم بالعامود على رأسك ابن الحائك يعني ابن الاشعث وتشرب معه في الحمام
فقال اصلح الله الامير كانت فتنة شملت البر والفاجر فدخلنا فيها فقد أمكنك الله منا فان عفوت
فبحلمك وفضلك وان عاقبت عاقبت مذنبين فقال الحجاج اما أنها شملت البر فكذبت ولكنها
شملت الفاجر وعوفي منها الابرار وأما اعترافك فعسى أنه ينفعك فرجاله السلامة ثم أمر به
فقتل وأتى الحجاج بأسيرين فأمر بقتلهما فقال احدهما ان لي عندك يدا قال وما هي قال ذكر
عبد الرحمن بن الاشعث يوما امك بسوء فنهيته قال ومن يعلم ذلك قال هذا الاسير الآخر فسأله
الحجاج فصدقه فقال له الحجاج فلم لم تفعل كما فعل قال وينفعني الصدق عندك قال نعم قال منعني
البغض لك ولقومك فقال خلوا عن هذا لفعله وعن هذا لصدقه وقتل الحجاج يوم الهزيمة
ممن قبض عليهم عشرة آلاف ولما انهزم اصحاب عبد الرحمن بن الاشعث نادى منادي الحجاج
من لحق بقتيبة بن مسلم الباهلي فهو آمن وكان قد ولى قتيبة الري وسار اليه فلحق به ناس كثير
وكان منهم الشعبي فذكره الحجاج يوما فسأل عنه فقالوا انه لحق بقتيبة بن مسلم بالري
فكتب الحجاج الى قتيبة يأمره بارسال الشعبي فأرسله قال الشعبي فلما قدمت على الحجاج لقيت
يزيد بن ابى مسلم وكان صديقا لي فاستشرته فقال اعتذر مهما استطعت وأشار بمثل ذلك
اخواني ونصحائي فلما دخلت على الحجاج فرأيت غير ما ذكروا لي فسلمت عليه بالامرة وقلت
ايها الامير ان الناس قد أمروني ان اعتذر بغير ما يعلم الله انه الحق وأيم الله لا أقول في هذا المقام
الا الحق قد والله مردنا عليك وحرضنا وجهدنا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا بالاتقياء البررة

السلطان سليم الجماعة
الذين كانوا بمصر من أعيان
مكة في حبس الغوري
وأرسل بهم بعد اكرامهم
الى مكة

*(ابتداء المحمل الرومي سنة
٩٢٣)* وأرسل الامير مصلح
بك بمحمل رومي وكسوة
للكعبة وصدقات ولما وصل
الشريف أبونمى الى
مصر قابله السلطان سليم
بالاجلال والاكرام وأعاده
شريكا لوالده وعمره اذ ذاك
اثنتا عشرة سنة وبعث معه
أمرا سلطانيا بقتل حسين
الكردي صاحب جدة
من جهة الغوري وهو أول
من بنى السور على جدة
وولى على جدة الخواجا قاسم
الشرواني فجاء بأمر السيد
عرار ونزل جدة وأغرق
حسين الكردي المذكور
في البحر بعد ان ربط في ظهره
صخرة ولما ان قدم الامير
مصلح بيك بالمحمل الرومي
والامير العلائي بالمحمل
المصري خرج الشريف
للقائهما هو وابنه في عرضة
من قومه فالتقوا في الزاهر
ولبسا الخلعة وسارا مع
الامراء والمحمل خلفهما
الى ان أوصلاهما الى باب
السلام فأدخل المحملان
الحرم وجعل أحدهما
على يمين مدرسة الاشرف قايتباي والآخر على يسارها وسكن الامير مصلح المدرسة وسكن الامير المصري ورباطا كان

ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وما جرت اليه ايدينا وان عفوت عنا
فبحلمك وبعد فالحجة لك علينا فقال الحجاج أنت والله احب الى قولا ممن يدخل علينا يقطر
سيفه من دمائنا ثم يقول مافعلت ولا شهدت وقد امنت ياشعبي كيف وجدت الناس بعدنا
فقلت اصلح الله الأمير اكتحلت بعدك السهر واستوعرت الجناب واستحلست الخوف
وفقدت صالح الاخوان ولم أجد من الأمير خلفا قال انصرف ياشعبي فانصرفت وأما سعيد
ابن جبير فانه اختفى ثم هرب الى خراسان وتنقل الى اماكن كثيرة مختفيا ثم جاور بمكة فلما
ولى أمارة مكة خالد بن عبدالله القسرى بعد موت عبدالملك ومبايعة ابنه الوليد قيل لسعيد
بن جبير ان خالدا رجل سوء فلو سرت عن مكة فقال والله لقد فررت حتى استحييت
من الله ويستحيني ما كتب الله لى فلما اقدم خالد مكة كتب له الوليد بحمل أهل العراق الى
الحجاج فأخذ سعيد بن جبير وأرسله مع حرسيين فانطلق أحدهما لحاجة وبقى الآخر فقال
لسعيد انى ابرأ الى الله من دمك انى رأيت فى منامى فقيل لى تبرأ من دم سعيد بن جبير فاذهب حيث
شئت فانى لا اطلبك فأبى سعيد فرأى ذلك الحرسى تلك الرؤيا ثلاثا ويأذن لسعيد فى الذهاب
وهو لا يفعل فقدموا به الكوفة فانزل فى داره وأتاه قراء الكوفة فجعل يحدثهم وهو يضحك
وبنية له فى حجره فلما نظرت الى القيد فى رجله بكت ثم ادخلوه على الحجاج فلما أتى به أقبل عليه فقال
ياسعيد الم اشركك فى أمارتى الم افعل بك كذا الم استعملك قال بلى قال فما اخرجك على قال انما انا
امرؤ من المسلمين يخطئ مرة ويصيب مرة فطابت نفس الحجاج ثم عاوده فى شئ فقال انما كانت
بيعة فى عنقى فغضب الحجاج وانتفخ وقال ياسعيد الم اقدم مكة فقتلت ابن الزبير واخذت بيعة
اهلها وأخذت بيعتك لامير المؤمنين عبدالملك قال بلى قال ثم قدمت الكوفة واليا فجددت
البيعة فأخذت بيعتك لامير المؤمنين ثانية قال بلى قال فنكثت بيعتين وتوفى بواحدة للحائك
ابن الحائك والله لاقتلنك قال انى اذن لسعيد كما سمتنى امى فأمر به فضربت عنقه فلما سقط
رأسه هلل ثلاثا فلما التبس عقل الحجاج فجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوا انه يريد القيود
فقطعوا رجلى سعيد من انصاف ساقيه وأخذوا القيود وكان الحجاج اذا نام يراه فى منامه
يأخذ بمجامع ثوبه فيقول ياعدو الله فيم قتلتنى فيقول مالى ولسعيد بن جبير مالى ولسعيد بن
جبير وعاش الحجاج بعده اياما ثم هلك قال الامام الشعرانى فى الطبقات قتله فى شعبان وتوفى
الحجاج فى رمضان وكان بينهما خمسة عشر يوما وفى تاريخ بن خلكان ان الحجاج رؤى فى النوم
بعد موته فقيل له مافعل الله بك قال قتلنى بكل قتيل قتلته قتلة وقتلنى بسعيد بن جبير سبعين
قتلة وكان عمر سعيد بن جبير سبعا وأربعين سنة وقيل سبعا وخمسين قيل ان سعيد بن جبير قال
اللهم لاتسلطه على احد بعدى فلم يقتل أحدا بعده قال الامام احمد قتل الحجاج سعيد بن جبير
وماعلى وجه الارض أحد الا وهو مفتقر الى علمه وكان قتله سنة أربع وتسعين وقيل خمس
وتسعين فبين قتله وانتهاء فتنة ابن الاشعث احدى عشرة سنة فقد كان ابتداء فتنة ابن الاشعث
سنة احدى وثمانين وانتهاؤها سنة ثلاث وثمانين وأما ابن الاشعث فانه لما انهزمت جيوشه
سار الى رتبيل ملك الترك فاكرمه وآواه ثم أرسل اليه الحجاج يتوعده ويتهدده فقتله وبعث
برأسه الى الحجاج وقيل بل أصابه مرض فمات فقطع رأسه وارسله للحجاج فبعث به الى

(عبدالملك)

فى مسيل الوادى هدم بعد ذلك لتوسعة المسيل وفرقت الصدقة الرومية لاربع مضين من ذى الحجة
سنة تسعمائة وثلاث وعشرين فى الحرم على الفقراء والمجاورين من أهل مكة وقرر فيها لصاحب مكة خمسمائة دينار ثم فرقت الذخيرة وهى صدقة كانت تخرج من خزينة مصر تخرجها الجراكسة فأبقاها مولانا السلطان سليم تفرق على العربان أصحاب الادراك وفقراء أهل مكة ثم فرقت صدقة الاوقاف المصرية ويسمى الصر الحكمى ولم يحج فى تلك السنة المحمل الشامى وخطب يوم التروية الشريف النواكيرى ودعا لحضرة مولانا السلطان سليم وخطب بعرفة قاضى صلاح الدين بن ظهيرة ودعا للسلطان فى الموقف الاعظم

(أول ورود حب الصدقة لاهل مكة سنة ٩٢٣)

ثم وصلت الى بندر جدة مراكب من السويس فيها سبعة آلاف أردب قمح وهو أول حب ورد لاهل مكة فكتب جميع بيوت أهل مكة الا السوقة والتجار ووزع عليهم ذلك الحب وكان المتولى لنشر ذلك الامير مصلح قال العلامة السنجارى وقد
تزايد هذا الحب ولله الحمد حتى صار معاش أهل مكة منه فان السلطان سليمان زاد على ذلك ثلاثة آلاف

عبدالملك فطيف به فى الشام ليريه الناس ثم ارسله لاخيه عبدالعزيز بن مروان بمصر فطيف به فى مصر وكان ذلك سنة خمس وثمانين

❁ فتح قالى قلا ❁

فى سنة احدى وثمانين سير عبدالملك بن مروان ابنه عبيدالله فى جيش ففتح قالى قلا وفى هذه السنة هجم جماعة من الديلم على قزوين فتصايح الناس واغلقوا الابواب و قاتلوهم قتالا عظيما وظفر المسلمون بهم فلم يفلت منهم احد وفى هذه السنة كان يزيد بن المهلب فى مفازة بست فى ستين فارسا فلقيهم خمسمائة من الترك فقاتلوهم قتالا شديدا فقتلوا كثيرا من الترك الى أن انهزموا وفى سنة اثنتين وثمانين توفى المهلب واستخلف على خراسان ابنه يزيد فاقره الحجاج وفى سنة اربع وثمانين فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس بعد حصار وقتال فملكها وما فيها من الاموال والذخائر وكانت من أحصن القلاع وأمنعها وكان نيزك اذا رآها سجد لها معظما لها وفى هذه السنة غزا عبدالله بن عبدالملك الروم ففتح المصيصة وبنى حصنها ووضع بها ثلاثمائة مقاتل من ذوى البأس ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك وبنى مسجدها وفى هذه السنة غزا محمد بن مروان ارمينية فهزمهم ثم سألوه الصلح فصالحهم وفى سنة خمس وثمانين عزل الحجاج يزيد بن المهلب وولى اخاه الفضل بن المهلب فغزا باذغيس وأصاب مغنما فقسمه فاصاب كل رجل ثمانون ثم غزا أخرون (اسم بلد) وشومان فغنم وقسم ما اصاب ولم يكن للفضل بيت مال كان يعطى الناس كلما جاءه شئ وان غنم شيأ قسمه فيهم وفى هذه السنة غزا محمد بن مروان ارمينية فصاف بها وشتى وفى سنة ست وثمانين توفى عبدالملك بن مروان وولى ابنه الوليد فابقى الحجاج وولى الحجاج خراسان قتيبة بن مسلم الباهلى وباهلة من قيس عيلان بن مضر وعزل الفضل وافتتح قتيبة خوارزم وسمرقند وبخارا وقد كانوا كفروا بعد فتحها الاول وبلغ مالم يبلغه المهلب ولا غيره فجهز قتيبة عند قدومه الجيوش للغزو فلما كان بالطالقان أتاه دهاقين بلخ وساروا معه فقطع النهر فتلقاه ملك الصغانيان بهدايا ومفاتيح من ذهب ودعاه الى بلده فمضى معه فسلمها اليه لان ملك أخرون وشومان كان يسئ جواره ثم سار قتيبة الى أخرون وشومان وهما من طخارستان فصالحه ملكها على فدية أداها اليه فقبلها قتيبة ثم انصرف الى مرو (احدى قواعد اقليم خراسان الاربع وهى مرو وهراة وبلخ ونيسابور) واستخلف على الجند اخاه صالح بن مسلم ففتح صالح بعد رجوع قتيبة كاشان وأورشت وهى من فرغانة وفتح اخشيكت وهى مدينة فرغانة القديمة وفى هذه السنة غزا مسلمة بن عبدالملك ارض الروم وفى سنة سبع وثمانين كتب قتيبة الى نيزك طرخان صاحب باذغيس ان يطلق من عنده من اسرى المسلمين وكتب اليه يتهدده فخافه نيزك فأطلق الاسرى وبعث بهم اليه وكتب له قتيبة مع سليم الناصح مولى عبيدالله بن ابى بكرة يدعوه الى الصلح والى ان يؤمنه وكتب اليه يحلف بالله لئن لم يقدم عليه ليغزونه ثم ليطلبنه حيث كان حتى يظفر به اويموت دونه فقدم سليم بالكتاب فقال له نيزك وكان يستنصحه ياسليم ماأظن عند صاحبك خيرا كتب الى كتابا لايكتب الى مثلى فقال له سليم انه رجل شديد فى سلطانه سهل اذا سوهل

الاسلامية الدعاء من صميم الفؤاد بدوام هذه الدولة الشريفة العثمانية أدامها الله تعالى الى يوم القيامة وعمر الامير مصلح مقام السادة الحنفية ولما فرغ توجه الى المدينة المنورة لاجراء الصدقات ثم الى مصر ثم الى الروم

(وفاة السلطان سليم سنة ٩٢٦)

وتوفى السلطان سليم سنة تسعمائة وست وعشرين وتولى ابنه مولانا السلطان سليمان وأرسل بالتأييد لصاحب مكة مولانا الشريف بركات وابنه السيد أبونمى

* (فاة الشريف بركات سنة ٩٣١) *

واستمر الشريف بركات الى ان توفى رابع عشر ذى الحجة وفى تاريخ الرضى لست بقين من ذى القعدة سنة تسعمائة واحدى وثلاثين وصلى عليه تجاه الكعبة وطيف به سبعا ودفن بالمعلا وبنى عليه قبة وله من العمر احدى وسبعون سنة وكانت مدة ولايته استقلالا ومشاركة لابيه وولده واخوته نحو ثلاث وخمسين سنة وخلف كثيرا من الاولاد أعظمهم وأعلاهم قدرا الشريف أبونمى

(ولاية الشريف أبى نمى استقلالا بعد وفاة أبيه وعمره عشرون سنة)

فولى مكة بعد وفاة أبيه وتقدم ان ولادته كانت سنة احدى عشرة وتسعمائة وكان ذا جد واقبال وسعد

صعب اذا عسر وسر فلا يمنعك منه غلظة كتابه اليك فأحسن حالك عنده فعقد الصلح لاهل باذغيس على ان لا يدخلها قتيبة وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبدالملك الروم فقتل منهم عددا كثيرا بسوسنة من ناحية المصيصة وقيل ان الذى غزا في هذه السنة هشام بن عبدالملك ففتح حصن بواق وحصن الاخرم وحصن بولس وقمقم وقتل من المستعربة نحوا من الف وسبي ذريتهم ونساءهم

✱ ذكر غزوة قتيبة بيكند ✱

كانت غزوة بيكند سنة سبع وثمانين وهي ادنى مداين بخارا سار اليهم قتيبة بجيوشه فلما نزل بهم استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم فأتوهم في جمع كثير واخذوا الطرق على قتيبة فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل اليه خبر شهرين وابطأ خبره على الحجاج فأشفق على الجند فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد وهم يقتتلون كل يوم وكان لقتيبة عين من العجم يقال له تندر فأعطاه اهل بخارا مالا ليرد عنهم قتيبة فأتاه سرا من الناس وقال له ان الحجاج قد عزل وقد أتى عامل الى خراسان فلو رجعت بالناس كان اصلح فأمر به فقتل خوفا من ان يظهر الخبر فيهلك الناس ثم أمر اصحابه بالجد في القتال فقاتلهم قتالا شديدا فانهزم الكفار يريدون المدينة وتبعهم المسلمون قتلا واسرا كيف شاؤا وتحصن من دخل المدينة بها فوضع قتيبة الفعلة ليهدم سورها فسألوه الصلح فصالحهم واستعمل عليهم عاملا وارتحل عنها يريد الرجوع فلما سار خمسة فراسخ نقضوا الصلح وقتلوا العامل ومن معه فرجع قتيبة فنقب سورهم فسقط فسألوه الصلح فلم يقبل ودخلها عنوة وقتل من كان بها من المقاتلة وكان فيمن اخذوا من المدينة رجل اعور هو الذى استجاش الترك على المسلمين فقال لقتيبة افدى نفسي بخمسة آلاف حريرة قيمتها الف الف فاستشار قتيبة الناس فقالوا هذا زيادة في الغنائم وما عسى ان يبلغ كيد هذا قال لا والله لا يروع بك مسلم ابدا فأمر به فقتل واصابوا فيها من الغنائم والسلاح وآنية الذهب والفضة ما لا يحصر ولا اصابوا بخراسان مثله فقوى المسلمون فلما فرغ قتيبة من فتح بيكند رجع الى مرو

✱ ذكر فتح طوانة من بلد الروم ✱

في سنة ثمان وثمانين غزا مسلمة بن عبدالملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك بلد الروم وكان الوليد قد كتب الى صاحب ارمينية يأمره ان يكتب الى ملك الروم يعرفه ان الخزر وغيرهم من ملوك جبال ارمينية قد اجمعوا على قصد بلاده ففعل ذلك وقطع الوليد البعث على أهل الشام الى ارمينية واكثر واعظم جهازه وساروا نحو الجزيرة ثم عطفوا منها الى بلد الروم فاقتتلوا هم والروم فانهزم الروم ثم رجعوا فانهزم المسلمون فبقي العباس في نفر منهم ابن محيريز الجمحي فقال له العباس اين أهل القرآن الذين يريدون الجنة فقال ابن محيريز نادهم يأتوا فنادى العباس يا أهل القرآن فاقبلوا جميعا فهزم الله الروم حتى دخلوا طوانة وحصرهم المسلمون وفتحوها قيل وفي هذه السنة ايضا غزا مسلمة بن عبدالملك

يستخدم به في جميع الاحوال وكان والده الشريف بركات يضع يده على ناصية ابنه أبي نمي ويقول لم تزل الاكدار على متوالية حتى ظهرت هذه الناصية وقد أعز الله الشريف أبا نمي هذا وأعلاه ورفع شأنه وجعل له من الذكر والصيت ما لم يكن لاحد من اسلافه وآبائه شارك والده في ولاية مكة وعمره ثمان سنين ثم أبقاه السلطان سليم على المشاركة ثم استقل باعباء سلطنة الحجاز بعد موت أبيه وعمره اذ ذاك عشرون سنة وجاءته المراسيم السلطانية السليمانية فخمدت بولايته نار الفتن وأبهج بمكة وجه الزمن ولم يزل متمتعا بمكارم الشيم ودانت له رقاب الامم وفي سنة تسعمائة وأربع وأربعين توجه الشريف أبو نمي لاخذ جازان وصاحبها اذ ذاك عامر بن عز فأخذها الشريف وفر صاحبها فأقام بها الشريف قائدا من جهته يضبطها ورجع ظافرا منصورا واستمرت في حكمه الى سنة تسعمائة وخمس وأربعين فلما مر بها سليمان باشا راجعا من اليمن أخرج منها قائد الشريف واقام فيها نائبا من جهته واضافها الى ما فتحه من اليمن ثم ورد سليمان باشا

(الروم)

الروم أيضا ففتح ثلاثة حصون أحدها حصن قسطنطين وغزالة وحصن الاخرم وقتل من المستعربة نحوا من ألف وأخذ الاموال

﴿ ذكر غزو نومشكث ورامثنة ﴾

في هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم نومشكث واستخلف على مرو اخاه يسار بن مسلم فتلقاه أهلها فصالحهم ثم سار الى رامثنة فصالحه أهلها وانصرف عنهم وزحف اليه الترك ومعهم الصغد وأهل فرغانة في مائتي الف وملكهم ابن اخت ملك الصين فاعترضوا المسلمين فلحقوا عبد الرحمن ابن مسلم اخا قتيبة وهو على الساقة بينه وبين قتيبة واوائل العسكر ميل فلما قربوا منه ارسل الى قتيبة يخبره وادركه الترك فقاتلوه ورجع قتيبة فانتهى الى عبد الرحمن وهو يقاتل الترك وقد كاد الترك يظهرون عليه فلما رأى المسلمون قتيبة طابت نفوسهم وقاتلوا الى الظهر وابلى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة فانهزم الترك ورجع قتيبة فقطع النهر عند ترمذ وأتى مرو وفي سنة تسع وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد الروم فافتتح مسلمة حصن عمورية وفتح العباس اذرولية ولقي من الروم جمعا فهزمهم وقيل ان مسلمة قصد عمورية فلقي بها جمعا من الروم كثيرا فهزمهم وافتتح هرقلة وقونية وغزا العباس الصائفة من ناحية البذندون

﴿ ذكر غزو قتيبة بخارا ﴾

في هذه السنة أتى قتيبة كتاب الحجاج يأمره بقصد وردان خذاه فعبر النهر من زم فلقي الصغد وأهل كش ونسف في طريق المفازة فقاتلوه فظفر بهم ومضى الى بخارا فنزل خرقانة السفلى عن يمين وردان فلقوه في جمع كثير فقاتلهم يومين وليلتين فظفر بهم وغزا وردان خذاه ملك بخارا فلم يظفر بشيء فرجع الى مرو وكتب الى الحجاج يخبره فكتب اليه الحجاج ان صورها فبعث اليه بصورتها فكتب اليه الحجاج أن تب الى الله جل ثناؤه مما كان منك واتها من مكان كذا وكذا وكتب اليه ان كس بكش وانسف نسف ورد وردان واياك والتحويط ودعني من ثنيات الطريق فلما ورد الكتاب على قتيبة خرج غازيا سنة تسعين فاستجاش وردان خذاه بالصغد والترك ومن حوله فأتوه وقد سبق اليها قتيبة فحصرها فلما جاءتهم امدادهم خرجوا الى المسلمين يقاتلونهم فقالت الأزد اجعلونا ناحية وخلوا بيننا وبين قتالهم فقال قتيبة تقدموا فتقدموا وقاتلوهم قتالا شديدا ثم ان الازد انهزموا حتى دخلوا العسكر وركبهم المشركون فحطموهم حتى ادخلوهم عسكرهم وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكين فكروا راجعين فانطوت مجنبتا المسلمين على الترك فقاتلوهم حتى ردوهم الى مواقفهم فوقف الترك على نشز فقال قتيبة من يزيلهم عن هذا الموضع فلم يقدم عليهم احد من العرب فأتى قتيبة بني تميم فقال لهم يوما كايامكم فاخذ وكيع بن حسان بن قيس التميمي اللواء وقال يابني تميم اتسلمونني اليوم قالوا لا ياابا مطرف وكان هريم ابن أبي طحمة على خيل تميم ووكيع رأسهم فقال وكيع ياهريم قدم خيلك ودفع اليه الراية وقدم هريم وتقدم وكيع في الرجالة فانتهى هريم الى نهر بينهم وبين الترك فوقف فقال

السيد احمد فقابله مولانا السلطان سليمان وصحبته السيد عرار بن عجل والقاضي تاج الدين المالكي فوصلوا الروم واجتمعوا بمولانا السلطان سليمان ففرح بهم واجلس السيد احمد بن الشريف ابي نمي مسامتا له على يساره واحسن اليهم واشرك السيد احمد مع ابيه في امرة مكة

(جد الاشراف آل منديل وآل حراز)

والسيد أحمد هذا هو جد السادة آل منديل وآل حراز وتوفي السيد عرار هناك وتوعك السيد أحمد فلم يرجع من عامه ورجع سنة تسعمائة وسبع وأربعين ولاقاه والده الشريف أبو نمي من وادي مر الظهران ومد له سماطا هناك ودخل مكة غرة ربيع الاول وقرأ توقيعه بالحطيم يوم العاشر من ربيع ولبس الخلعة السلطانية وطاف بها والمؤذن يدعو له ولوالده وامتدحه الادباء والشعراء بالشعر الرائق

(ذكر قتال الشريف أبي نمي الافرنج بجدة)

ومن مناقب الشريف أبي نمي قتاله الافرنج وذلك انه في سنة تسعمائة وثمان

وكيع تقدم ياهريم فنظر هريم نظر الجمل الهائج الصائل وقال أأقحم الخيل هذا النهر فان انكشفت
كان هلاكها يا أحمق فقال وكيع يا ابن اللخناء اترد أمري فحذفه بعمود كان معه فعبر هريم في
الخيل وانتهى وكيع الى النهر فحمل عليه جسرا من خشب وقال لاصحابه من وطن نفسه
على الموت فليعبر والا فليثبت مكانه فما عبر معه الا ثمانمائة رجل فلما عبر بهم ودنا من العدو
قال لهريم أني مطاعنهم فاشغلهم عنا بالخيل فحمل عليهم حتى خالطهم وحمل هريم في الخيل
فطاعنهم ولم يزالوا يقاتلونهم حتى احدروهم من التل ونادى قتيبة ماتعبرون العدو منهزمين فلم
يعبر احد النهر حتى انهزموا وعبر الناس ونادى قتيبة من أتى برأس فله مائة فأتى برؤس كثيرة
فجاء يومئذ احد عشر رجلا من بني قريع كل رجل برأس فيقال له من أنت فيقول قريعي فجاء
رجل من الأزد برأس فقيل له من أنت فقال قريعي فعرفه جهم بن زحر فقال كذب والله انه
أزدي فقال له قتيبة مادعاك الى هذا فقال رأيت كل من جاء يقول قريعي فظننت أنه ينبغي
لكل من جاء برأس ان يقوله فضحك قتيبة وجرح خاقان وابنه وفتح الله عليهم
وكتب بالفتح الى الحجاج

❊ ذكر صلح قتيبة مع الصغد ❊

لما أوقع قتيبة بأهل بخارا هابه الصغد فرجع طرخون ملكهم ومعه فارسان فدنا من عسكر قتيبة
وطلب رجلا يكلمه فارسل اليه قتيبة حيان النبطي فطلب الصلح على فدية يؤديها اليهم فأجابه
قتيبة الى ماطلب ورجع طرخون الى بلاده ورجع قتيبة ومعه نيزك

❊ ذكر غدر نيزك وفتح الطالقان ❊

لما رجع قتيبة من بخارا ومعه نيزك وقد خاف لما يرى من الفتوح فقال لاصحابه انا مع هذا
يعني قتيبة ولست آمنه فلو استأذنته ورجعت كان الرأي قالوا افعل فاستأذن قتيبة فأذن له
وهو بآمل فرجع يريد طخارستان واسرع السير حتى أتى النوبهار قال لاصحابه لا
اشك ان قتيبة قد ندم على اذنه وسيبعث الى المغيرة بن عبد الله يأمره بحبسي وندم قتيبة
على اذنه له فأرسل الى المغيرة يأمره بحبس نيزك وسار نيزك وتبعه المغيرة فوجده قد دخل
شعب خلم فرجع المغيرة وأظهر نيزك الخلع وكتب الى اصبهبذ بلخ والى باذان ملك مرو الروذ
والى ملك الطالقان والى ملك الفارياب والى ملك الجوزجان يدعوهم الى خلع
قتيبة فاجابوه فواعدهم الربيع ان يجتمعوا ويغزوا قتيبة وكتب الى كابل شاه يستظهر به
وبعث اليه بثقله وماله وسأله ان يأذن له ان اضطر اليه ان يأتيه فاجابه الى ذلك وكان
جبغويه ملك طخارستان ضعيفا فاخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب لئلا يخالف عليه وكان
جبغويه هو الملك ونيزك عبده فاستوثق منه واخرج عامل قتيبة من بلاد جبغويه وبلغ
قتيبة خلعه قبل الشتاء وقد تفرق الجند فبعث أخاه عبد الرحمن بن مسلم في اثني عشر ألفا
الى البروقان وقال اقم بها ولا تحدث شيأ فاذا انقضى الشتاء سر نحو طخارستان واعلم اني
قريب منك فسار فلما كان آخر الشتاء كتب قتيبة الى نيسابور وغيرها من البلاد ليقدم عليه
الجنود فقدموا قبل اوانهم فسار نحو الطالقان وكان ملكها قد خلع وطابق نيزك على الخلع فأتاه

ونزلوا المرسى المعروف بابي
الدوائر في خمسة وثمانين
برشة مشحونة بالرجال
والسلاح فقاتلهم مولانا
الشريف أبو نمي بنفسه
وترك الحج ونزل الى جدة
في جيش عظيم بعد ان
أمر بالنداء في نواحي مكة
من صحبنا فله أجر الجهاد
وعلينا السلاح والنفقة
فبلغ أهل الجهاد مبلغا عظيما
لا يعد ولا يحد ونفقة مولانا
الشريف شاملة للجميع
وعيون الكفار تدور
عليهم كل حين فشاهدوهم
يزيدون عددا وعددا
وعيشا رغدا وخدم مولانا
الشريف يتوجهون الى
أطراف البلاد ويحضرون
بأنواع الطعام بأغلا ثمن
حتى فرغت الحبوب
وكادت تعدم فاقبلوا على
نحر الابل وكانوا ينحرون
لكل مائة نفس بدنة فاستمر
ذلك مدة فقال بعض
الناس لمولانا الشريف
ان هذا الفعل يستأصل
ماعندك من الابل فأجابه
بأني نويت ان انحر ما
املكه ويملكه أولادي
واحفادي فاذا نفدت الابل
نحرت الخيل ثم كل حيوان
يجوز اكله ولما قرب زمن
الحج برز أمره الى ابنه الشريف احمد ان يقابل الامراء ويلبس الخلع الواردة ويحج بالناس على

قتيبة فأوقع باهل الطالقان فقتل من اهلها مقتلة عظيمة وصلب منهم سماطين اربعة فراسخ
في نظام واحد ثم استعمل على الطالقان أخاه عمر بن مسلم ثم سار الى الفارياب فخرج اليه
ملكها مذعنا فقبل منه ولم يقتل بها احدا واستعمل عليها رجلا من اهله وبلغ ملك
الجوزجان خبرهم فهرب الى الجبال وسار قتيبة الى الجوزجان فلقيه اهلها سامعين مطيعين
فقبل منهم ولم يقتل بها احدا واستعمل عليها عامر بن مالك الحماني ثم أتى بلخ فلقيه اهلها
فلم يقم بها الا يوما واحدا وسار يتبع اخاه عبدالرحمن الى شعب خلم ومضى نيزك الى بغلان
وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضايقه ليمنعوه ووضع مقاتلته في قلعة حصينة من وراء
الشعب فأقام قتيبة اياما يقاتلهم على مضيق الشعب لايقدر على دخوله ولا يعرف طريقا
يسلكه الى نيزك الا الشعب او مفازة لاتحتملها العساكر فبقي متحيرا فقدم انسان فاستأمنه على ان يدله
على مدخل القلعة التي من وراء الشعب فأمنه قتيبة وبعث معه رجالا فانتهى بهم الى القلعة من
وراء شعب خلم فطرقوهم وهم آمنون فقتلوهم وهرب من بقي منهم ومن كان في الشعب
فدخل قتيبة الشعب فأتى القلعة ومضى الى سمنجان فاقام بها اياما ثم سار الى نيزك وقدم
اخاه عبدالرحمن فارتحل نيزك من منزله فقطع وادي فرغانة ووجه ثقله واموالها الى كابل
شاه ومضى حتى نزل الكرز وعبدالرحمن يتبعه فنزل عبدالرحمن حذاء الكرز ونزل قتيبة بمنزل
بينه وبين عبدالرحمن فرسخان فتحصن نيزك في الكرز وليس اليه مسلك الامن وجه واحد
وهو صعب لاتطيقه الدواب فحصره قتيبة شهرين حتى قل مافي يد نيزك من الطعام
وأصابهم الجدري وجدر جبغويه وخاف قتيبة الشتاء فدعا سليما الناصح وكان يصادق
نيزك فقال انطلق الى نيزك واحتل لتأتيني به من غير أمان فان احتال وأبى فأمنه واعلم اني
ان عاينتك وليس هو معك صلبتك قال فاكتب الى عبدالرحمن لايخالفني فكتب اليه فقدم
عليه فقال له ابعث رجالا ليكونوا على فم الشعب فاذا خرجت انا ونيزك فليعطفوا من ورائنا
فيحولوا بيننا وبين الشعب فبعث عبدالرحمن خيلا فكانت هناك وحمل سليم معه اطعمة
وأخبصة اوقارا وأتى نيزك فقال له انك اسأت الى قتيبة وغدرت قال نيزك فما الرأي قال أرى
ان تأتيه فانه ليس ببارح وقد عزم على ان يشتو مكانه هلك او سلم قال نيزك كيف آتيه على غير
امان قال ماأظنه يؤمنك لما في نفسه عليك لانك قد ملأته غيظا ولكني ارى ان لايعلم حتى تضع
يدك في يده فاني ارجو ان يستحي ويعفو قال اني ارى نفسي تأبى هذا وهو ان رآني قتلني
فقال سليم ماأتيتك الا لاشير عليك بهذا ولو فعلت لرجوت ان تسلم وتعود حالك عنده فاذا
أبيت فاني منصرف وقدم سليم الطعام الذي معه ولا عهد لهم بمثله فانتهبه اصحاب نيزك فساء
ذلك فقال له سليم اني لك من الناصحين ارى أصحابك قد جهدوا وان طال بهم الحصار لم آمنهم
ان يستأمنوا بك فائت قتيبة فقال لاآمنه على نفسي ولاآتيه الا بأمان وان ظني ان يقتلني وان
أمنني ولكن الامان اعذر الي قال ابن خلدون ولم يزل يفتل له في الذروة والغارب وهو يمتنع
حتى قال وانه قد أمنك وقوله ولم يزل الخ هو مثل من امثال العرب يضرب في الخداع
والمماكرة اه ميداني فقال سليم قد أمنك افتتهمني قال لا وقال له اصحابه اقبل قول سليم فلا
يقول الاحقا فخرج معه ومع جبغويه وصول طرخان خليفة جبغويه وحبس طرخان

عادة أجداده فلما وصل امراء الحج وبلغوا ماقصدوه توجهوا للقاء مولانا الشريف أبي نمي
بجدة لالباسه الخلع فقابلهم
ولاقاهم وهو شاكي السلاح
لابسا درعه على هيئة
المقاتل ولما أن قرب الامراء
أمر باطلاق المدافع فاطلق
لمقابلتهم نحو ثلثمائة
مدفع فألبسوه الخلع الواردة
صحبتهم وانصرفوا اجمعين
ولما رأى الافرنج صبره
وحصاره لهم انقلبوا
خائبين مخذولين ولما بلغ
مولانا السلطان سليمان
ذلك زاد في اكرام المشار
اليه وسمح له بنصف معلوم
جدة الى غير ذلك من
الانعامات التي لاتحصر

(فتنة بين الشريف ابي نمي وامير الحج محمود باشا سنة ٩٥٨)

وفي سنة تسعمائة وثمان
وخمسين وقعت فتنة عظيمة
بين الشريف ابي نمي وامير
الحاج محمود باشا وذلك ان
محمود باشا سولت له نفسه
الهجوم على الشريف ابي
نمي يوم النحر وقتله هو
واولاده في ساعة واحدة
فظفرهم الله به ووقع في
ايديهم وارادوا قتله ثم ان
الشريف خشي على الحاج
فأمسك عن قتله وأمر
باطلاقه ثم ذهب الشريف
ليلة النفر الى مكة والناس في
أمر مريج فلم يزد ذلك
الجبار الاطغيانا فنادى ان
يف معزول فلما سمع الاعراب ذلك نهبوا الحاج وأخذوا أموالا كثيرة وعزموا على أخذ مكة أيضا فبلغ ذلك

صاحب شرطته وشقران ابن اخي نيزك فلما خرجوا من الشعب عطف الخيل التي خلفها سليم فحالوا بين الاتراك اصحاب نيزك والخروج فقال نيزك هذا اول الغدر قال سليم تخلف هؤلاء عنك خير لك واقبل سليم ونيزك ومن معه حتى دخلوا على قتيبة فحبسهم وكتب الى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك واستخرج قتيبة ما كان في الكرز من متاع ومن كان فيه فقدم به على قتيبة فانتظر بهم كتاب الحجاج فأتاه كتاب الحجاج بعد اربعين يوما يأمره بقتل نيزك فدعا قتيبة الناس واستشارهم في قتله واختلفوا فقال ضرار بن حصين اني سمعتك تقول اعطيت الله عهدا ان امكنك منه ان تقتله فان لم تفعل فلا ينصرك الله عليه ابدا فدعا نيزك فضرب عنقه بيده وأمر بقتل صول وابن اخي نيزك وقتل من اصحابه سبعمائة وقيل اثنى عشر الفا وصلب نيزك وابن اخيه وبعث برأسه الى الحجاج واخذ الزبير مولى عباس الباهلي حقا لنيزك فيه جوهر فكان اكثر من في بلاده مالا وعقارا من ذلك الجوهر واطلق قتيبة جبغويه ومن عليه وبعث به الى الوليد فلم يزل بالشام حتى مات الوليد فلما قتل قتيبة نيزك رجع الى مرو وارسل ملك الجوزجان يطلب الامان فأمنه على ان يأتيه فطلب رهنا ويعطى رهائن فأعطاه قتيبة حبيب بن عبد الله بن حبيب بن محمد واعطى ملك الجوزجان رهائن من اهل بيته وقدم على قتيبة ثم رجع فمات بطالقان فقال اهل الجوزجان انهم سموه فقتلوا حبيبا وقتل قتيبة الرهائن الذين كانوا عنده وذلك سنة احدى وتسعين

﴿ ذكر قتل ذاهر ملك السند وفتح السند ﴾

قد تقدم ذكر اول غزو المسلمين السند في سنة ثلاث وأربعين في خلافة عثمان رضي الله عنه وان عبد الله بن عامر استعمل على ثغر السند عبد الله بن سوار العبدي وفي سنة أربع وأربعين غزا المهلب بن أبي صفرة ثغر السند عاملا للحكم بن عمرو الغفاري حين كان على خراسان وفي سنة خمس وسبعين كان على ثغر السند مجاعة بن مسعر التميمي من قبل الحجاج وفي سنة تسع وثمانين ثم فتح بقية السند للمسلمين على يد محمد بن القاسم بن الحكم بن ابي عقيل الثقفي ابن عم الحجاج لان الحجاج هو ابن يوسف بن الحكم فيجتمع هو والحجاج في الحكم بن أبي عقيل ولى الحجاج محمد بن القاسم المذكور واستعمله على ذلك الثغر وسير معه ستة آلاف مقاتل وجهزه بكل ما يحتاج اليه حتى المسال والابر والخيوط فسار محمد الى مكران فاقام بها أياما ثم أتى قنزبور ففتحها ثم سار الى ارمائيل ففتحها ثم سار الى الديبل فقدمها يوم جمعة ووافته سفن كان حمل فيها الرجال والسلاح والاداة فخندق حين نزل الديبل وانزل الناس منازلهم ونصب منجنيقا يقال له العروس كان يمد به خمسمائة رجل وكان بالديبل بد عظيم والبد صنم في بناء عظيم وكان تحت منارة عظيمة مرتفعة وفي رأس المنارة دقل عظيم وعلى الدقل راية حمراء اذا هبت الريح اطافت بالمدينة وكانت تدور وكل ما يعبد فهو عندهم بد فحصر الديبل وطال حصارها فرمى الدقل بحجر العروس فكسره فتطير الكفار بذلك ثم خرجوا اليه فناهضهم القتال فهزمهم حتى ردهم الى البلد وامر بالسلاليم فنصبت فصعد عليها الرجال ففتحت عنوة وقتل فيها ثلاثة ايام وهرب عامل ذاهر

أمير الحاج بمكة والناس في أمر مريج بحيث عطلت اكثر شعار الحج ورحل كثير من الحجاج من غير رمى للجمار ثم رحل محمود باشا وهو يتوعد الشريف بالعزل والقهة من السلطنة ثم كان عكس ما أضمر فلما وصل الخبر من الابواب السلطانية أرسلوا التأييد والاعتذار لمولانا الشريف عما وقع من محمود باشا وانه قوبل بما يستحقه من النكال وكان ذلك من كرامات صاحب مكة وقبل هذه الفتنة كان السيد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن احمد بن علي بن احمد بن الاستاذ الفقيه المقدم باعلوى بالفقيه المشهور صاحب الشبيكة أرسل من حضرموت كتابا لمولانا الشريف ابي نمى يقول فيه ما عليك من الطباخين والعبيد والفلاحين وأنت منصور عليهم مع اشارات كثيرة فهم معناها لا بعدو قوعها وارسلها مع خادمه فحفظ الشريف الكتاب فوقعت تلك الوقعة بني فلما اراد الخادم أن يسافر الى حضرموت طلب من الشريف جوابا للكتاب فقال له الشريف شخك صفته كذا وكذا وجعل يصف السيد فقال له الخادم هذه صفة سيدي عبد الله بالفقيه فقال له الشريف رأيته في

ملك السند عنها وانزلها محمد بن القاسم أربعة آلاف من المسلمين وبنى جامعها وسار عنها الى البيرون وكان اهلها بعثوا الى الحجاج فصالحوه فلقوا محمدا بالميرة وأدخلوه مدينتهم ثم سار عنها فجعل لايمر بمدينة الافتحها حتى عبر نهرا دون مهران فأتاه أهل سربيلس فصالحوه ووظف عليهم الخراج ثم عبر نهر مهران واستعد ملك السند لمحاربته واسمه ذاهر بن صعصعة ثم عقد الجسر على النهر فقاتله ذاهر وهو على فيل وحوله الفيلة ومعه التكاكرة وهم قواد السند فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله وترجل ذاهر فقاتل حتى قتل عند المساء ثم انهزم الكفار وقتلهم المسلمون كيف شاؤا فلما قتل ذاهر لحقت امرأة ذاهر بمدينة راور فساروا اليها وخافته فاحرقت نفسها وجواريها وملك المدينة ولحق المنهزمون بمدينة برهمنا باذ العتيقة ففتحها عنوة وقتل من وجد بها وخربها ثم استولى على مدائن السند واحدة واحدة وقطع نهر بياس الى الملتان فحاصرها وقطع الماء عنها فنزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبى الذرية وقتل سدنة البد وهم ستة آلاف واصابوا ذهبا كثيرا فجمع في بيت طوله عشرة اذرع وعرضه ثمانية اذرع يلقى اليه من كوة في وسطه فسميت الملتان فرج بيت الذهب والفرج الثغر وكان بد الملتان تهدى اليه الاموال ويحج من البلاد ويحلقون رؤسهم ولحاهم عنده ويزعمون ان صنمه هو أيوب النبي صلى الله عليه وسلم وعظمت فتوح محمد بن القاسم ونظر الحجاج في النفقة على ذلك الثغر فكان ستين الف الف درهم ونظر في الخمس الذي حمل اليه فكان مائة الف الف وعشرين الف الف فقال ربحنا النصف وهو ستون الف الف وأدركنا ثارنا ورأس ذاهر ولما مات الحجاج سنة خمس وتسعين كان محمد بن القاسم بالملتان فأتاه خبر وفاته فرجع الى الرور والبغرور وكان قد فتحهما فاعطى الناس ووجه الى البيلمان جيشا فلم يقاتلوا وأعطوا الطاعة ثم أتى محمد الكيرج فخرج اليه دوهر فقاتله فانهزم دوهر وقيل بل قتل ونزل اهل المدينة على حكم محمد فقتل وسبى ومات الوليد بن عبد الملك وولى اخوه سليمان فعزل محمد بن القاسم عن السند وولاها يزيد بن ابى كبشة السكسكي فاخذ محمدا وقيده وحمله الى العراق فبكى أهل السند على محمد فلما وصل الى العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط فعذبه صالح ثم قتله وكان الحجاج قتل آدم اخا صالح وكان يرى رأي الخوارج ومات يزيد بن ابى كبشة بعد قدومه ارض السند بثمانية عشر يوما واستعمل سليمان بن عبد الملك على السند حبيب بن المهلب فقدمها وقد رجع ملوك السند الى ممالكهم وغلبوا عليها فنزل حبيب على شاطئ مهران فاعطاه اهل الرور الطاعة وحارب قوما فظفر بهم ثم مات سليمان واستخلف عمر بن عبد العزيز فكتب الى الملوك يدعوهم الى الاسلام والطاعة على ان يملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فاسلم جيشبة بن ذاهر والملوك وتسموا باسماء العرب وكان عمرو بن مسلم الباهلي عامل عمر بن عبد العزيز على ذلك الثغر

﴿ ذكر غزو الهند وفتحه ﴾

لما كان عمرو بن مسلم الباهلي عاملا لعمر بن عبد العزيز على السند غزا بعض الهند فظفر ثم ان الجنيد ابن عبد الرحمن المرى ولي السند ايام هشام بن عبد الملك فأتى الجنيد شط مهران فمنعه جيشبة

ونزل من منى للطواف والسعي وكان عنده في منزله الشيخ أحمد الحرفوش فحصل للشيخ محمد حالة جلال فجعل يدور في المجلس الذي هو فيه وقد امتلاء غيظا ويشير بيده كأنه يدفع شيأ ويقول حوش ياحرفوش فاستغرب الحرفوش ذلك ثم ان الشيخ لما سكنت حالته قال للحرفوش الآن وقعت بمنى فتنة عظيمة وكان الامر كذلك (ويحكى) عن بعض مشايخ اليمن انه أمر بعض فقرائه وهو باليمن ان يجذب ماء من بئر عندهم في بلده ويكبه في الارض في ساعة الواقعة ثم عاد الى شعوره وقال وقعت فتنة عظيمة بمنى وأطفأناها بهذا الماء ومحمود باشا صاحب الواقعة كان ممن ولي اليمن وأرسله داود باشا صاحب مصر بخلع للشريف فلما وصل الى مكة كأنه لم يرض بما قوبل به من الشريف فعاد الى مصر وهو تعبان في نفسه فلما صار أمير الحج سنة تسعمائة وثمان وخمسين وقعت منه هذه الفتنة ثم انه ورد متوليا لليمن سنة تسعمائة وستين فلما وصل الى جدة لم يحتفل به جماعة الشريف لما سلف منه فأرسل للشريف يعتذر ويحلف له ان ما وقع منه كان عن غير اختيار وانه تاب الى الله عز وجل ورجع فقبل

ابن ذاهر العبور وارسل اليه أني قد اسلمت وولاني الرجل الصالح بلادي ولست آمنك فاعطاه
رهنا وأخذ منه رهنا على خراج بلاده ثم ترادوا وكفر جيشبة وحارب وقيل انه لم يحارب ولكن
الجنيد تجنى عليه فأتى الهند فجمع جموعا واعد السفن واستعد للحرب فسار اليه الجنيد بالسفن
فالتقوا في بطيحة فأخذ جيشبة أسيرا فقتله وهرب صصة بن ذاهر وهو يريد أن يمضي الى العراق
ويشكو غدر الجنيد فلم يزل الجنيد يؤنسه حتى وضع يده في يده فقتله وكان ذلك سنة سبع ومائة
وغزا الجنيد الكيرج من آخر الهند وكانوا قد نقضوا فاتخذ كباشا وصك بها سور المدينة والكباش
آلة من خشب وحديد يجرونها بنوع من الحيل فتدق الحائط فينهدم فلما صك السور بالكباش
ثلمه فدخلها فقتل وسبى ووجه العمال الى المرمذ والمندل ودهنج وبروبح وبعث جيشا الى ازين
فأغاروا عليها وحرقوا ربضها وفتح البيلمان وحصل عنده سوى ماحمل اربعون الف الف وحمل
مثلها وولي الجنيد الهند تميم بن زيد القيني فضعف ووهن ثم مات وفي ايامه خرج المسلمون عن بلاد
الهند ورفضوا مراكزهم ثم ولي الحكم بن عوام الكلبي وقد كفر أهل الهند الا أهل قصة فبنى
مدينة سماها المحفوظة وجعلها مأوى للمسلمين وكان معه عمر بن محمد بن القاسم الثقفي وكان يفوض
اليه عظيم الأمور فأغزاه من المحفوظة فلما قدم عليه وقد ظفر أمره فبنى مدينة سماها المنصورة
فهي التي ينزلها الامراء واستخلص ما كان قد غلب عليه العدو ورضي الناس بولايته ثم قتل
الحكم وكان العمال يقاتلون العدو فكانوا يفتحون ناحية ويأخذون ما تيسر لهم لضعف الدولة
الأموية بعد ذلك الى ان جاءت الدولة العباسية

﴿ ذكر فتوحات موسى بن نصير بافريقية ﴾

في سنة تسع وثمانين استعمل الوليد على افريقية موسى بن نصير فوصل الى افريقية وكان البربر
قد طمعوا في البلاد وبلغه ان باطراف البلاد قوما خارجين عن الطاعة فوجه اليهم ابنه عبدالله
فقاتلهم فظفر بهم وسبى منهم الف رأس وسير ابنه أيضا في البحر الى جزيرة ميورقة فنهبها وغنم
منها مالا يحصى وعاد سالما فوجه ابنه هرون الى طائفة أخرى فظفر بهم وسبى منهم نحو ذلك
وتوجه هو بنفسه الى طائفة أخرى فغنم نحو ذلك فبلغ الخمس ستين الف رأس من السبي ولم يذكر
أحد أنه سمع بسبي اعظم من هذا ثم ان افريقية قحطت واشتد بها الغلاء فاستسقى بالناس وخطبهم ولم
يذكر الوليد فقيل له في ذلك فقال هذا مقام لا يدعى فيه لأحد ولا يذكر الا الله عز وجل فسقى
الناس ورخصت الاسعار ثم خرج غازيا الى طنجة يريد من بقي من البربر وقد هربوا خوفا منه
فتبعهم وقتلهم قتلا ذريعا حتى بلغ السوس الأدنى لا يدافعه أحد فاستأمن البربر اليه واطاعوه
واستعمل على طنجة مولاه طارق بن زياد وجعل معه جيشا كثيفا جلهم البربر وجعل معهم من
يعلمهم القرآن والفرائض وعاد الى افريقية فمر بقلعة مجانة فتحصن أهلها منه وترك عليها من
يحاصرها حتى فتحت وحينئذ لم يبق له في افريقية من ينازعه وقيل كانت ولاية موسى سنة ثمان
وسبعين استعمله عليها عبد العزيز بن مروان وهو حينئذ على مصر لاخيه عبد الملك وفي هذه السنة
اعني تسعا وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية اذربيجان ففتح حصونا ومدائن
هناك وغزا مسلمة أيضا ارض الروم سنة تسعين ففتح حصونا خمسة وغزا العباس بن
الوليد حتى بلغ ارزن

(ذكر)

الشريف عذره وأرسل الى خدمه فتلافوا ما فرط منهم في حقه ثم انه صعد الى مكة للطواف فخرج الناس
لملاقاته وبشروه برضا
الشريف ففرح بذلك
وقابله مولانا الشريف
من تربة الشيخ محمود
هو واخوته ففرح غاية
الفرح وأنزلوه مدرسة
قايتباي وجعلوا له سماطا
فاقام يومين ورجع الى
جدة متوجها الى اليمن

(وفاة السيد أحمد بن أبي نمي سنة ٩٦١)

وفي سنة تسعمائة واحدى
وستين توفي السيد احمد بن
أبي نمي والسيد احمد هذا
هو جد السادة الاشراف
آل منديل وآل حراز
وكان أكبر من الشريف
حسن وكان مشاركا لابيه
بأمر سلطاني بالتماس
والده فكان يلبس معه
خلعة ثانية فلما توفي
التمس مولانا الشريف من
السلطنة ان يكون عوضه
السيد حسن أكبر أولاده
فجاءت التشريفات
والمراسيم والخلعة من
السلطنة للشريف حسن
في مشاركة أبيه
في ولاية مكة وزينت البلد
سبعة أيام

(ابتداء مجيء المحمل من اليمن سنة ٩٦٣ واستمر الى ١٠٤٩)

وفي سنة تسعمائة وثلاث
وستين عرض الوزير مصطفى باشا المتولي على مولانا السلطان أن يحدث محملا يجيء من اليمن فأذن له

❁ ذكر غزوة قتيبة بن مسلم شومان وكش ونسف ❁

فى سنة احدى وتسعين سار قتيبة الى شومان فحصرها وكان سبب ذلك ان ملكها طرد عامل قتيبة من عنده فأرسل اليه قتيبة رسولين احدهما من العرب اسمه عياش والآخر من اهل خراسان يدعوان ملك شومان ان يؤدى ما كان صالح عليه فقدما على شومان فخرج اهلها اليهما فرموهما فانصرف الخراسانى وقاتلهم عياش فقتلوه ووجدوا به ستين جراحة وبلغ قتله قتيبة فسار اليهم بنفسه فلما أتاها أرسل اخاه صالح بن مسلم الى ملكها وكان صديقا له يأمره بالطاعة ويضمن له رضا قتيبة ان رجع الى الصلح فأبى وقال لرسول صالح اتخوفنى من قتيبة وانا أمنع الملوك حصنا فأتاه قتيبة وقد تحصن ببلده فوضع عليه المجانيق ورمى الحصن فهشمه وقتل رجل فى مجلس الملك بحجر فلما خاف ان يظهر عليه قتيبة جمع ما كان بالحصن من مال وجوهر ورمى به فى بئر بالقلعة لا يدرك قعرها ثم فتح القلعة وخرج اليهم فقاتلهم حتى قتل وأخذ قتيبة القلعة عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية ثم سار الى كش ونسف ففتحهما وامتنعت عليه فارياب فاحرقها فسميت المحترقة وسير من كش ونسف أخاه عبد الرحمن الى الصغد وكان ملكها طرخون فقبض عبد الرحمن من طرخون ما كان صالحه عليه قتيبة ودفع اليه رهنا كان معه ورجع الى قتيبة ببخارا وكان قد سار اليها من كش ونسف فرجعوا الى مرو ولما كان قتيبة ببخارى تملك بخاراخذاه وكان غلاما حدثا وقتل من يخاف ان يضاده وقيل ان قتيبة سار بنفسه الى الصغد فلما رجع عنهم قالت الصغد لطرخون انك رضيت بالذل واستطبت الجزية وانت شيخ كبير لا حاجة لنا فيك فحبسوه وولوا غوزك فقتل طرخون نفسه وفى هذه السنة غزا عبد العزيز بن الوليد الصائفة وفيها عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وارمينية واستعمل عليها أخاه مسلمة بن عبد الملك فغزا مسلمة الترك من ناحية اذربيجان حتى بلغ الباب وفتح مدائن وحصونا ونصب عليها المجانيق وغزا مسلمة بن عبد الملك ارض الروم فى سنة ثنتين وتسعين ففتح حصونا ثلاثة وجلا أهل سوسنة الى بلاد الروم

❁ ذكر فتح الاندلس ❁

فى سنة ثنتين وتسعين فى خلافة الوليد بن عبد الملك غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الاندلس فى اثنى عشر الفا وكانوا قبل ذلك سبعة آلاف فنزلوا جبل طارق ثم امدهم موسى بخمسة آلاف فصاروا اثنى عشر الفا فلقى ملك الاندلس بعد ان جمع جيوشه فى اعمال شذونة فزحف له طارق بجميع من معه وزحف الملك وكان جيشه مائة الف واتصلت الحرب ثمانية أيام ثم قتل ملكهم قتله طارق بيده وهزم الله الكفار وسار طارق متبعا لهم فادرك خلقا من المنهزمين فقاتلوه قتالا شديدا ثم انهزموا ولم يلق المسلمون بعدها حربا مثلها ولم تقف هزيمة العدو على موضع بل كانوا يسلمون له بلدا بلدا ومعقلا معقلا فتوغل فى بلاد الاندلس وفتحها مدينة بعد مدينة والكلام على ذلك يطول وهو مبسوط فى التواريخ واستقامت الامور هناك وعلا الاسلام واما القتلى من الكفار من أول الفتح الى آخره فشئ كثير لا يمكن احصاؤه والقتل من المسلمين بالنسبة لذلك قليل جدا وأما الغنائم من الذهب والفضة والخيل والجواهر

مكة ومعه المحمل والامير وأنزلوا المحمل بالمعلا واستمر مجئ هذا المحمل الى سنة ألف وتسع وأربعين ثم انقطع لما حدث من الفتن وفى سنة أربع وسبعين وتسعمائة طلب مولانا الشريف من السلطان تفويض الامر الى ابنه الشريف حسن وأراد هو العكوف على العبادة فجاء الامر بالتفويض لابنه الحسن بحيث فوض اليه أمر مكة وجدة والمدينة وينبع وخيبر وحلى وجميع أقطار الحجاز من خيبر الى حلى الى نجد وما دخل فى ذلك وعكف مولانا الشريف أبو نمى على العبادة واجتناء العلوم وكان جامعا لاشتات الفضائل حاويا لمحاسن الشمائل وله النثر الفائق والشعر الرائق وتوفى ابنه الشريف بركات سنة تسعمائة وخمس وثمانين فحزن عليه كثيرا قال الشيخ نور الدين الشهير بالجم دخلت على مولانا الشريف أبى نمى معزيا له فى ولده السيد بركات فانهلت دموعه فاخذها بمنديل فأنشدته ارتجالا

يا أيها الملك العزيز ومن رقى ❁ هام العلى رفع المهيمن شانه ❁ لا تبك مرحوما أتى تاريخه ❁ بركات أنزله اللطيف جنانه ❁

والاثاث وبقية الاشياء فشيء كثير لا يمكن حصره ولا ضبطه وكانت توجد الطنفسة منسوجة بقضبان الذهب وتنظم السلسلة من الذهب باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فكان الجند اذا وجدوها لا يستطيعون حملها فيأتون بالفاس فيضربون به وسطها فيأخذ احدهم نصفها والآخر النصف الآخر ومما وجد في تلك الغنائم مائة وسبعون تاجا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر واصناف الجواهر الثمينة ووجد فيها ألف سيف ملوكي مرصعة بالجواهر ووجد فيها من الدر والياقوت اكيال ومن اواني الذهب والفضة ما لا يحيط به وصف ومما وجدوه مائدة سليمان عليه السلام قيل انها من منهوبات بخت نصر لما خرب بيت المقدس وقيل انها لم تكن لسليمان وانما أصلها ان العجم في ايام ملكهم كان أهل الثروة منهم اذا مات احدهم اوصى بمال للكنائس فصاغوا من ذلك المال تلك المائدة وكانت مصوغة من الذهب وقيل من الذهب والفضة مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمرد لم ير الراؤن مثلها وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد كلها مكللة بالجواهر وحافاتها وارجلها منها وكان لها ثلاثمائة وستون رجلا وقيل خمسة وستون فحملت الى الوليد ومعها ثلاثون ألف رأس من السبي ومن الذهب والفضة والجواهر ونفائس الامتعة ما لا يقدر قدره وكان ابتداء القتال والفتح لليلتين بقيتا من رمضان سنة ثنتين وتسعين والتحق موسى بن نصير بمولاه طارق بن زياد في رمضان سنة ثلاث وتسعين ومعه ثمانية عشر الفا وتوغلا في الاندلس الى ان وصلوا الى بلاد الافرنج فنمى الخبر الى الوليد بن عبد الملك واشتد قلقه على المسلمين فبعث اليهم بأمرهم بالرجوع قيل انهم انتهوا الى مفازة كبيرة وأرض سهلة ذات آثار فاصابوا فيها صنما عظيما قائما كالسارية مكتوبا فيه بالنقر كتابة عربية قرئت فاذا فيها يابني اسماعيل انتهيتم فارجعوا وان سألتم الى ماذا ترجعون أخبرتكم انكم ترجعون الى الاختلاف فيما بينكم حتى يضرب بعضكم اعناق بعض وقد فعلتم فرجعوا سنة خمس وتسعين وولى موسى على افريقية ابنه عبد الله وعلى الاندلس ابنه عبد العزيز وعلى طنجة ابنه عبد الملك فصار جميع الاندلس والمغرب بين أولاده ورجع هو ومولاه طارق قيل كان رجوعهم قبل وفاة الوليد وقيل بل كان بعد موت الوليد وولاية سليمان وقيل قدموا والوليد مريض مرض الموت ثم تسع أمر المسلمين بالاندلس وصار لهم ملك ضخم ثم استولى عليها النصارى شيأ فشيأ الى سنة تسعمائة وأربع فاستولوا عليها جميعها وبقي قليل من المسلمين لا ناصر لهم قاموا في بعض الجبال على النصارى ثم تقووا عليهم واخرجوهم وكان آخرهم خروجا سنة الف وعشر واسأل الله أن يهيئ للاسلام من ينصره حتى يسترجع ما استولى عليه الكفار

✽ ذكر غرق المسلمين الذي حصل منهم غلول في غنائم الاندلس ✽

لما فتح موسى بلاد الاندلس سير طائفة من عسكره في البحر الى جزيرة سردانية وهي في بحر الروم من اكبر الجزائر كثيرة الفواكه فدخلها المسلمون وعمد النصارى الى مالهم من آنية ذهب وفضة فالقوا الجميع في الميناء التي لهم وجعلوا اموالهم في سقف بنوه للبيعة العظمى التي لهم تحت السقف الاول وغنم المسلمون فيها ما لا يعد ولا يوصف وأكثروا الغلول

فيه واستمر الشريف أبو نمي الى أن توفي في تاسع شهر المحرم وقيل في العاشر سنة تسعمائة واثنين وتسعين بوادي الابار من جهة اليمن وحمل الى مكة وصلي عليه تجاه الكعبة ودفن بالمعلا وبني عليه قبة وكان عمره ثمانين سنة وشهرا ويوما ومدة ولايته منفردا ومشاركا اولاده ثلاث وسبعون سنة (يحكى) ان الشيخ عفيف الدين الدلاصي لما توفي الشريف أبو نمي امتنع من الصلاة عليه فرأى تلك الليلة سيدة النساء السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها في المسجد الحرام والناس يسلمون عليها واراد الشيخ عفيف الدين السلام عليها فأعرضت عنه فتحامل وسألها فقالت يموت ابني ولا تصلي عليه فاعتذر اليها واستيقظ من نومه وحدث بما رأى وأعقب الشريف أبو نمي كثيرا من الذكور والاناث فمن الذكور الحسن وثقبة وشبير وراجح ومنصور ومسرور ومنهم أحمد وبركات لكنهما توفيا في حياته ولكل منهما عقب وكان من أعظم أولاد الشريف أبي نمي الشريف حسن

✽ (ولاية الشريف حسن بن أبي نمي استقلالا) ✽

فاتفق ان رجلا اغتسل فى المينا فعلقت رجله فى شئ فاخرجه فاذا صحفة من فضة فأخذ المسلمون جميع مافى المينا ثم دخل رجل من المسلمين الى تلك الكنيسة فنظر الى حمام فى سقف الكنيسة فرماه بسهم فأخطأه ووقع فى السقف وانكسر لوح فنزل منه شئ من الدنانير فاستخرج المسلمون جميع ماكان فى السقف واخذوه وازدادوا غلولا فكان بعضهم يذبح الهرة ويرمى مافى جوفها ويملأ جلدها دنانير ويخيط عليه ويلقيها فى الطريق فاذا خرج اخذها وكان يضع قائم سيفه على الجفن ويملؤه ذهبا فلما ركبوا فى البحر سمعوا قائلا يقول اللهم غرقهم فغرقوا عن آخرهم فوجدوا اكثر الغرقى والدنانير على اوساطهم وفى سنة خمس وثلاثين ومائة غزا هذه الجزيرة عبدالرحمن بن حبيب الفهرى وكان على الاندلس فقتل من بها قتلا ذريعا ثم صالحوه على الجزية فأخذت منهم ثم منعوا وبقيت لم يغزها احد بعده فعمرها الروم فلما كانت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة اخرج اليها المنصور بن القائم العلوى صاحب افريقية اسطولا من المهدية فغزوا بجنوة ففتحوا المدينة واوقعوا باهل سردانية وسبوا فيها واحرقوا مراكب كثيرة واخربوا جنوة وغنموا مافيها وفى سنة ست واربعمائة غزاها مجاهد العامرى من الاندلس وكان صاحبها فى البحر فى مائة وعشرين مركبا ففتحها وقتل فاكثر وسبى النساء والذرية فسمع بذلك ملوك الروم فجمعوا اليه وساروا اليه من البر الكبير فى جمع عظيم فاقتتلوا وانهزم المسلمون واخرجوا من جزيرة سرادنية ولم تغز بعد ذلك

﴿ ذكر غزو سجستان ﴾

وفى سنة ثنتين وتسعين غزا قتيبة بن مسلم سجستان واراد قصد رتبيل الاعظم فلما نزل قتيبة سجستان ارسل رتبيل اليه رسلا بالصلح فقبل ذلك وانصرف واستعمل عليهم عبد ربه ابن عبدالله الليثى

﴿ ذكر صلح خوارزم شاه وفتح خام جرد ﴾

فى سنة ثلاث وتسعين صالح قتيبة بن مسلم خوارزم شاه وكان سبب ذلك أن ملك خوارزم كان ضعيفا فغلبه اخوه خرزاد على أمره وكان اصغر منه وكان اذا بلغه أن عند احد ممن هو منقطع الى الملك جارية اومالا اودابة اوبنتا اواختا اوامرأة جميلة ارسل اليه واخذه منه كان لايمتنع عليه احد ولا الملك فاذا قيل للملك قال لا اقوى به وهو مغتاظ عليه فلما طال ذلك عليه [كت]ب الى قتيبة يدعوه الى ارضه ليسلمها له واشترط عليه ان يدفع اليه اخاه وكل من يضاده [و]حكم فيهم بما يرى ولم يطلع احدا من مرازبته على ذلك فاجابه قتيبة الى ماطلب وتجهز للغزو [واظه]ر قتيبة انه يريد الصغد وسار من مرو وجمع خوارزم شاه اجناده ودهاقينه وقال ان [قتيبة] يريد الصغد وليس بغازيكم فهلموا ننعم فى ربيعنا هذا فاقبلوا على الشرب والتنعم فلم [يشعر]وا حتى نزل قتيبة فى هزارسب فقال خوارزم شاه لاصحابه ماترون قالوا نرى ان نقاتله [قال ل]كنى لاارى ذلك لانه قد عجز عنه من هو اقوى منا واشد شوكة ولكنى اصرفه بشئ [ادفع]ه اليه فاجابوه الى ذلك فسار خوارزم شاه ونزل بمدينة الفيل من وراء النهر وهى احصن [...]ه وقتيبة لم يعبر النهر فارسل اليه خوارزم شاه فصالحه على عشرة آلاف راس وعين ومتاع

الوجود*
قد كنت بدرا فى سماء السعود
ماصرت فى الترب ولكنما*
أسكنك الله جنان الخلود
ذكر السيد عبد القادر العيدروس صاحب النور السافر ٩٩٢ فى أخبار أهل القرن العاشر ان الشريف أبانمى كان من أكابر العلماء واجلة الاولياء وقد أخذ كثيرا عن العلماء وأخذ عنه كثيرون اه وكانت ولادة مولانا الشريف حسن بن أبى نمى سنة تسعمائة واثنتين وثلاثين حملت به أمه عام وفاة جده الشريف بركات وكان الشريف حسن جامعا بين الفتوة والبسالة كما جمع جده صلى الله عليه وسلم بين النبوة والرسالة كانه معهد للكمالات الجلية ومعقد لخناصر أرباب الهمم العلية وكان آية عظيمة فى حل المشكلات معوفور العقل وصحة الفراسات نشر للعلماء المفاخر والحق عاجزهم بالماهر فانتظموا فى سوحة انتظام لالئ الاكاليل ونثموا فى محاسنه مايضاهى زواهر الاكاليل وكان يجيز على التأليف والقصيدة الالف واكثر فأبرزت

له مخدرات العلوم من أنواع مانظم ونثر وهو أول من كتب فى التوقيعات

يجرى على الوجه الشرعى والقانون المحرر المرعى فكان يكتب ﴿١٣٠﴾ ذلك على الحجج الشرعية وتبعه على

وعلى ان يعينه على خام جرد فقبل قتيبة ذلك وقيل صالحه على مائة الف رأس ثم بعث قتيبة اخاه عبدالرحمن الى خام جرد وكان احد أعداء خوارزم شاه وكان يغازى خوارزم شاه فقاتله فقتله عبدالرحمن وغلب على ارضه وقدم منهم باربعة آلاف أسير فقتلهم قتيبة وسلم قتيبة الى خوارزم شاه اخاه ومن كان يخالفه فقتلهم ودفع اموالهم الى قتيبة

﴿ ذكر فتح سمرقند ﴾

لما قبض قتيبة صلح خوارزم شاه قام اليه المجشر بن مزاحم السلمى فقال له سرا ان اردت الصغد يوما من الدهر فالآن فانهم آمنون من أن يأتيهم عامل وانما بينك وبينهم عشرة ايام فقال اشار عليك بهذا احد قال لا قال فسمعه منك احد قال لا قال والله لئن تكلم به أحد لاضربن عنقك فلما كان الغد امر اخاه عبدالرحمن فسار فى الفرسان والرماة وقدم الاثقال الى مرو فسار يومه فلما امسى كتب اليه قتيبة اذا اصبحت فوجه الاثقال الى مرو وسر بالفرسان والرماة الى الصغد واكتم الاخبار فانى فى الاثر ففعل عبدالرحمن ما امره وخطب قتيبة الناس وقال لهم ان الصغد شاغرة برجلها وقد نقضوا العهد الذى بيننا وصنعوا ما بلغكم وانى ارجو ان تكون خوارزم والصغد كقريظة والنضير ثم سار فاتى الصغد فبلغها بعد عبدالرحمن بثلاث او اربع فحصرهم بسمرقند شهرا واستجاشوا ملك الشاش واخشاد خاقان وفرغانة وكتبوا لهم ان العرب ان ظفروا بنا أتوكم بمثل ما اتونا به فانظروا لانفسكم ومهما كان عندكم من قوة فابذلوها فنظروا وقالوا ائتونا من سفلتنا فانهم لا يجدون كجدنا فانتخبوا أهل النجدة من ابناء الملوك والمرازبة والاساورة والابطال وولوا عليهم ابن خاقان وامروهم ان يأتوا عسكر قتيبة فيبيتوه فانه مشغول بحصار سمرقند فساروا وبلغ قتيبة الخبر فانتخب من عسكره ستمائة فارس من الشجعان وبعث بهم اخاه صالح بن مسلم وأمرهم بالمسير الى عدوهم فساروا فنزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم فجعل صالح له كمينين فلما مضى نصف الليل جاءهم عدوهم فلما رأوا صالحا حملوا عليه فلما اقتتلوا شد الكمينان عن يمين وشمال فلم ير قوم كانوا أشد من أولئك قال بعض اصحاب صالح انا لنقاتلهم فى الليل اذ رأيت قتيبة وقد جاء سرا فضربت ضربة اعجبتنى فقلت كيف ترى بأبى وامى قال اسكت فض الله فاك ثم قاتلوهم اشد القتال فهزموهم وقتلوهم وقتلوا ابن خاقان ولم يفلت منهم الا الشريد وحوينا اسلابهم وسلاحهم واحتززنا رؤسهم وأسرنا منهم أسرى فسألناهم عمن قتلنا فقالوا ما قتلتم الا ابن ملك او عظيما او بطلا كان الرجل منهم يعد بمائة رجل وكتبنا اسماءهم على آذانهم ثم دخلنا العسكر حين اصبحنا فلم يأت احد بمثل ما جئنا به من القتلى والاسرى والخيل ومناطق الذهب والسلاح قال واكرمنى قتيبة واكرم معى جماعة وظننت انه رأى منهم مثل الذى رأى منى ولما رأى أهل الصغد ذلك خافوا خوفا شديدا ونصب قتيبة عليهم المجانيق فرماهم بها وثلم ثلمة فقام عليها رجل فشتم قتيبة فرماه بعض الرماة فقتله فاعطاه قتيبة عشرة آلاف وسمع بعض المسلمين قتيبة وهو يقول كانه يناجى نفسه حتى متى يا سمرقند يعشش فيك الشيطان اما والله لئن اصبحت لأحاولن من اهلك اقصى غاية فانصرف ذلك الرجل فقال لاصحابه كم من نفس تموت غدا واخبر الخبر فلما اصبح

ذلك من بعده من الملوك ويكتب على القصص وهى الانهاآت ايجاب الى سؤاله زاد الله فى نواله وكتبه فلان ويمهر الحجة والقصة ويكتب على التقارير اسمه فقط من غير ان يمهر عليها ولما توفى والده تولى امارة مكة وجاءته المراسيم السلطانية بالتأييد وهناه الشعراء ومدحوه بقصائد كثيرة ولما بنى دار السعادة التى هى منزله جعل له بعض الافاضل أبيات شعر كتبت فى بعض الطراز هى هذه

ياسائلى عن محل الملك من كثب * له السعادة ما ان سارت الفلك
هذى الديار التى قد عز منشؤها * فما بنى مثلها عجم ولا ترك
أرخت بنيانها اذ تم معظمها * بنظم بيت كدر زانه السلك
مامنزل الملك الا ماحوى حسن * وفى بنيه يكون العز والملك

فكتب ذلك فى الطراز فعظم على أخيه السيد ثقبة بن أبى نمى بيت التاريخ فأنشأ داره المعروفة به وكتب فى طرازها شعر أنشأه له بعض الفضلاء وجاء فيه بقوله

*(مامنزل الملك الا ماحوى ثقبه) * ففرح به السيد ثقبة غاية الفرح لمناقضته للسابق

(قتيبة)

قتيبة أمر الناس بالجد فى القتال فقاتلوهم واشتد القتال وأمرهم قتيبة ان يبلغوا ثلمة السور فجعلوا الترسة على وجوههم وحملوا فبلغوها ووقفوا عليها ورماهم الصغد بالنشاب فلم يبرحوا فأرسل الصغد الى قتيبة فقالوا انصرف عنا اليوم حتى نصالحك غدا فقال قتيبة لا نصالحهم الا ورجالنا على الثلمة فصالحوه والرجال على الثلمة على الف الف ومائتى الف مثقال فى كل عام وان يعطوه فى تلك السنة ثلاثين الف رأس وان يخلوا القتيبة مدينة سمرقند فلا يكون لهم فيها مقاتل الى ان يبنى فيها مسجدا ويدخل ويصلى ويخطب ويتغدى ويخرج فلما تم الصلح وأخلوا المدينة وبنى المسجد دخلها قتيبة فى اربعة آلاف انتخبهم فدخل المسجد فصلى فيه وخطب وأكل طعاما ثم أرسل الى الصغد من أراد منكم ان يأخذ متاعه فليأخذ فانى لست خارجا منها ولست آخذ منكم الا ما صالحتكم عليه غير أن الجند يقيمون فيها فأكرههم على اقامة جند فيها وقيل أنه شرط عليهم أيضا بيوت النيران وحلية الاصنام فقبض ذلك وأتى الاصنام فكانت كالقصر العظيم وأخذ ما عليها من الحلية وأمر بها فأحرقت فجاءه غوزك فقال ان شكرك على واجب لا تتعرض لهذه الاصنام فان منها اصناما من احرقها هلك فقال قتيبة انا احرقها بيدى فدعا بالنار فكبر ثم اشعلها فاحترقت فوجدوا من بقايا مسامير الذهب خمسين الف مثقال واصاب بالصغد جارية من ولد يزدجرد فأرسلها الى الحجاج فأرسلها الحجاج الى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد ولما بعث قتيبة بالفتح الى الحجاج انتقل الى مرو واستعمل على سمرقند اياس بن عبدالله ثم ان أهل خوارزم استضعفوا اياسا فجمعوا له جوعا وأرادوا قتاله فوجه قتيبة جوعا الى خوارزم مع المغيرة بن عبدالله وعزل اياسا من سمرقند وولى اخاه عبدالله بن مسلم فلما قدم المغيرة على سمرقند خشى ملكهم من ابناء الذين كان قتلهم ففر الى بلاد الترك وجاء المغيرة فقتل وسبى وملك خوارزم وصالحه الباقون على الجزية

✻ ذكر غزوة قتيبة الشاش وفرغانة ✻

فى سنة اربع وتسعين قطع قتيبة النهر وفرض على أهل بخارى وكش ونسف وخوارزم عشرين ألف مقاتل فساروا معه فوجههم الى الشاش وتوجه هو الى فرغانة فأتى خجندة فجمع له اهلها جموعا واقتتلوا معه مرارا كل ذلك يكون الظفر للمسلمين ثم ان قتيبة اتى كاشان مدينة فرغانة وأتاه الجنود الذين وجههم الى الشاش وقد فتحوها واحرقوا اكثرها وانصرف الى مرو وفى هذه السنة غزا العباس بن الوليد ارض الروم ففتح انطاكية وفيها غزا عبدالعزيز بن الوليد غزالة وبلغ الوليد بن هشام المعيطى برج الحمام ويزيد بن ابى كبشة ارض سورية

✻ ذكر غزوة الشاش ✻

فى سنة خمس وتسعين بعث الحجاج بجيش من العراق الى قتيبة فغزا بهم الشاش فلما كان بشاش او بكشماهان أتاه موت الحجاج فى شوال فغمه ذلك ورجع الى مرو وتفرق الناس فأتاه كتاب الوليد قد عرف امير المؤمنين بلاءك وجدك واجتهادك فى جهاد اعداء المسلمين وامير المؤمنين رافعك وصانع بك الذى يجب لك فأتم مغازيك وانتظر ثواب ربك ولا تغب عن أمير المؤمنين

الطراز فلما وصل الى هذا النصف قرأه بكسر الميم من الملك فلا تسأل عما وقع للسيد ثقبة من الخجل وعجب الحاضرون من حسن هذا التحريف من مولانا الشريف حسن وللشيخ عبد القادر الطبرى أبيات فيها تاريخ دار السعادة فى شطرهى هذا

ان بيتا بناه خير مليك ء أسس الملك كفه وأشاده
فاق فى وصفه وحسن بناه * كل قصر لاهل العلى والسياده
جاء تاريخ وصفه فى نصيف * أنا بيت الملوك دار السعاده

(موضع دار السعادة ودار الهناء)

يقال ان دار السعادة كان فى موضع التكية المصرية الآن وكان من تولى من ذوى زيد ينزله وأما ذوو بركات فينزلون فى دار الهناء ويقال انه كان فى موضع بيت الشريف غى الذى تجاه باب الوداع وذكر السيد محمد مدنى المعروف بكبريت انه دخل الشيخ عبدالرزاق الشيبى على مولانا الشريف حسن يستأذنه فى السفر الى الهند فأنشده مولانا الشريف بيت الطغرائى فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وأنت تغنيك منه مصة الوشل

كتبك حتى كأني انظر لى بلائك والثغر الذى أنت فيه وفى هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح هرقلة وفيها فتح آخر الهند الا الكيرج والمندل وقد تقدم ذكر ذلك وفى هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين

﴿ ذكر فتح قتيبة مدينة كاشغر ﴾

فى سنة ست وتسعين غزا قتيبة كاشغر فسار وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم بسمرقند فلما عبر النهر استعمل رجلا على معبر النهر ليمنع من يرجع الا بجواز منه ومضى الى فرغانة وأرسل الى شعب عصام من يسهل الطريق الى كاشغر وهى أدنى مداين الصين وبعث جيشا مع كبير بن فلان الى كاشغر فغنم وسبى سبيا فختم أعناقهم وأوغل حتى بلغ قريب الصين فكتب اليه ملك الصين ان ابعث الى رجلا شريفا يخبرنى عنكم وعن دينكم فانتخب قتيبة عشرة لهم جمال وألسن وبأس وعقل وصلاح فأمر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن من الخز والوشى وغير ذلك وخيول حسنة وكان منهم هبيرة بن مشمرج الكلابى فقال لهم اذا دخلتم عليه فأعلموه أنى قد حلفت أنى لا انصرف حتى اطأ بلادهم واختم ملوكهم واجبى خراجهم فساروا وعليهم هبيرة فلما قدموا عليه دعاهم ملك الصين فلبسوا ثيابا بياضا تحتها الغلائل وتطيبوا ولبسوا النعال والاردية ودخلوا عليه وعنده عظماء قومه فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا احد ممن عنده فنهضوا فقال الملك لمن حضره كيف رأيتم هؤلاء فقالوا رأينا قوما ماهم الا نساء مابقى منا أحد الا انتشر ماعنده فلما كان الغد دعاهم فلبسوا الوشى والعمائم الخز والمطارف وغدوا عليه فلما دخلوا قيل لهم ارجعوا وقال لاصحابه كيف رأيتم هذه الهيئة قالوا هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك فلما كان اليوم الثالث دعاهم فشدوا سلاحهم ولبسوا البيض والمغافر وأخذوا السيوف والرماح والقسى وركبوا فنظر اليهم ملك الصين فرأى مثل الجبل فلما دنوا ركزوا رماحهم واقبلوا مشمرين فقيل لهم ارجعوا فركبوا خيولهم واخذوا رماحهم ودفعوا خيلهم كأنهم يتطاردون فقال الملك لاصحابه كيف ترونهم فقالوا مارأينا مثل هؤلاء فلما امسى بعث اليهم أن ابعثوا الى زعيمكم فبعثوا اليه هبيرة بن مشمرج فقال له قد رأيتم عظم ملكى وانه ليس احد يمنعكم منى وانتم فى يدى بمنزلة البيضة فى كفى وانى سائلكم عن امر فان لم تصدقونى قتلتكم قال سل قال لم صنعتم بزيكم الاول اليوم الاول والثانى والثالث ماصنعتم قال امازينا اليوم الاول فلباسنا فى اهلنا واما اليوم الثانى فزينا اذا أتينا أمراءنا واما الثالث فزينا لعدونا قال ماأحسن مادبرتم دهركم فقولوا لصاحبكم ينصرف فانى قد عرفت قلة اصحابه والا بعثت عليكم من يهلككم قالوا كيف يكون قليل الاصحاب من اول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون يعنون الشام واما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا آجالا اذا حضرت فاكرمها القتل ولسنا نكرهه ولا نخافه وقد حلف اميرنا ان لا ينصرف حتى يطأ ارضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية قال فانا نخرجه من يمينه ونبعث تراب ارضنا فيطؤه ونبعث اليه ببعض ابنائنا فيختمهم ونبعث اليه بجزية يرضاها ثم بعث اليه بهدية واربعة غلمان من ابناء ملوكهم وشئ من تراب ارضهم واجاز

فأجابه بقول الطغرائى من القصيدة أريد بسطة كف أستعين بها * على قضاء حقوق للعلى قبلى

فاستحسن استحضاره الجواب من القصيدة حيث لم يكن مذكورا عقب البيت الذى ذكره مولانا الشريف فأمر له بألف دينار وفى سنة تسعمائة وست وتسعين فقد مفتاح الكعبة وذلك ان الشيخ عبد الواحد الشيبى فتح الكعبة فى رمضان على جرى العادة فسرق من حجره مفتاح الكعبة وهو مصفح بالذهب فوقعت الضجة واغلقت أبواب الحرم وفتشت الناس فلم يظفر وابه ثم وجده سنان باشا باليمن مع رجل أعجمى فأخذه وقرره وكبس داره فوجد عنده غير المفتاح كثير من المسروقات فربطه فقطع رأسه وأرسل المفتاح للشيخ عبد الواحد الشيبى وقد ترجم مولانا الشريف حسن بن أبى نمى العلامة المحبى فى كتابه المسمى خلاصة الاثر فى أعيان أهل القرن الحادى عشر وأطال فى ترجمته فما ذكره قوله نشأ فى كفالة والده معيدا رأيا جيدا ولبس الخلعة الثانية بعد أخيه أحمد فى سنة اثنين وستين وتسعمائة ثم فوض اليه والده الامر فلبس الخلعة الكبرى التى لصاحب مكة ولبس أخوه تقبة الخلعة

العشرة الوافدين فأحسن جائزتهم فقدموا على قتيبة فقبل الجزية وختم الغلمان وردهم ووطئ التراب ووصل الخبر الى قتيبة في هذه الغزوة بموت الوليد فرجع

ذكر مقتل قتيبة بن مسلم

كان قتيبة فحل عمال الدولة الاموية والحجاج فرعونها ومكث قتيبة على خراسان ثلاث عشرة سنة وفتح كثيرا من المداين التي كانت فتحت قبله ثم كفر أهلها وتغلبوا فقاتلهم حتى فتحها وفتح غيرها ايضا كما تقدم وفي هذه السنة اعني سنة ست وتسعين قتل وعمره سبع واربعون سنة وسبب قتله موافقته للوليد بن عبد الملك حين اراد خلع اخيه سليمان وذلك ان عبد الملك بن مروان عهد بالخلافة لابنه الوليد ثم من بعده لاخيه سليمان فاراد الوليد ان يخلع اخاه سليمان ويبايع لابنه عبد العزيز فلم يوافقه على ذلك الا الحجاج وقتيبة بن مسلم ثم مات الحجاج ثم مات الوليد ولم يتمكن من خلع اخيه فبويع لاخيه سليمان فخاف قتيبة منه وكان سليمان بن عبد الملك صديقا ليزيد بن المهلب فخاف قتيبة ان يعزله ويولي يزيد بن المهلب فدعى الناس لخلع سليمان وكان قتيبة قد عزل وكيع بن حسان عن رياسة بني تميم وصيرها لضرار بن حصين الضبي فلما اراد خلع سليمان لم يوافقه وكيع وتجمع معه كثير من قومه فثار من ذلك فتنة بين المسلمين بخراسان يطول الكلام بذكرها فقتل فيها قتيبة وقتل معه من اهله اخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم ومسلم وقتل كثير ابنه وكان عدة من قتل مع قتيبة من اهل بيته احد عشر رجلا ونجا عمر بن مسلم اخو قتيبة وحمل رأس قتيبة ورؤس اهل بيته الى سليمان بن عبد الملك وقام بالامر بخراسان وكيع بن حسان تسعة اشهر ولما قتل قتيبة قال رجل من اهل خراسان يامعشر العرب قتلتم قتيبة والله لو كان منا فمات لجعلناه في تابوت فكنا نستسقي به ونستفتح به وفي هذه السنة جهز سليمان بن عبد الملك الجيوش الى القسطنطينية واستعمل ابنه داود على الصائفة فافتتح حصن المرأة وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الوضاحية ففتح الحصن الذي فتحه الوضاح صاحب الوضاحية وفيها غزا عمر بن هبيرة ارض الروم في البحر فشتى بها

ذكر ولاية يزيد بن المهلب خراسان

كان سليمان بن عبد الملك ولى يزيد بن المهلب العراق وبعد مقتل قتيبة بتسعة أشهر ولاه خراسان فأقام عمالا له بالعراق وتوجه الى خراسان

ذكر فتح جرجان وطبرستان

في سنة ثمان وتسعين غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان لما قدم خراسان وسبب غزوهما واهتمامه بهما انه لما كان عند سليمان بن عبد الملك بالشام كان سليمان كلما فتح قتيبة فتحا يقول ليزيد الاترى الى ما يفتح الله على قتيبة فيقول يزيد مافعلت جرجان التي قطعت الطريق وافسدت قومس ونيسابور ويقول هذه الفتوح ليست بشيء الشأن هي جرجان ولم تكن جرجان يومئذ مدينة انما هي جبال ومخارم وابواب يقوم الرجل على باب منها فلا

الثانية واستمر مشاركا لوالده في الامرة الى ان انتقل والده سنة اثنتين وتسعمائة فاستقل بسلطنة الحجاز وقام بها أحسن قيام وضبط الامور والاحكام على أحسن نظام وأمنت البلاد واطمأنت العباد وقطع دابر أهل الفساد فكانت القوافل والاحمال تسير بكثير من الاموال مع آحاد الرجال ولو في المخاوف والمهالك وخافه كل مقدام فاتك وكان عظيم القدر مفرط السخاء بصيرا بفصل الامور شجاعا مقداما صاحب فراسة عجيبة

(فراسة الشريف حسن بن أبي نمي في أحكامه)

(حكى) انه سرقت الفرضة السلطانية بجدة وضاع منها قماش له صورة وأموال كثيرة ولم يكسر بابها ولا نقب جدارها ولا أثر يحال عليه معرفة المطلوب والطالب بل وجد حبل مسدول من بعض الجوانب فلما عرض الامر عليه طلب الحبل ثم شمه فقال هذا حبل عطار ثم دفعه الى ثقة من خدامه وأمره ان يدور على العطارين فعرفه بعضهم وقال هذا حبل كان عندي اشتراه مني فلان فسألوا عن ذلك فوجدوا الحبل قد نقل من رجل الى ان وصل لشخص من جماعة أمير جدة ثم وجدت السرقة بعينها في المحل الذي ظنها فيه ومن ذلك انه اختصم عنده رجلان مصريان

يقدم عليه احد فلما ولاه سليمان خراسان لم يكن له همة غير جرجان فسار اليها فى مائة الف من اهل الشام و العراق وخراسان سوى الموالى والمتطوعة فابتدأ بقهستان فحاصرها وكان اهلها طائفة من الترك وكان اهلها يخرجون ويقاتلون فيهزمهم المسلمون فى كل ذلك فاذا هزموا دخلوا الحصن فخرجوا ذات يوم وخرج اليهم الناس فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزموا ودخلوا الحصن ثم الح عليهم القتال وقطع عنهم المواد واشتد عليهم الحصار فطلب الصلح صول دهقان قهستان على ان يؤمنه على نفسه واهله وماله ليدفع له المدينة بما فيها فصالحه ووفى له ودخل المدينة فاخذ مما كان فيها من الاموال والكنوز والسبى ما لا يحصى وقتل اربعة عشر الف تركى صبرا وكتب الى سليمان بن عبد الملك بذلك ثم خرج حتى أتى جرجان وكان اهل جرجان قد صالحهم سعيد بن العاص وكانوا يجبون احيانا مائة الف واحيانا مأتى الف واحيانا ثلاثمائة الف وربما اعطوا ذلك وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجا ولم يأت جرجان بعد سعيد احد ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن يسلك طريق خراسان احد الا على فارس وكرمان واول من صير الطريق من قومس قتيبة ابن مسلم حين ولى خراسان وبقى امر جرجان كذلك حتى ولى يزيد بن المهلب فأتاهم فاستقبلوه بالصلح وزادوه وهابوه فأجابهم الى ذلك وصالحهم فلما فتح قهستان وجرجان طمع فى طبرستان ان يفتحها فعزم على ان يسير اليها فاستعمل عبد الله بن المعمر اليشكرى على ساسان وقهستان وخلف معه أربعة آلاف ثم أقبل الى أدنى جرجان مما يلى طبرستان فاستعمل على ايزوسار اشد بن عمر وجعله فى أربعة آلاف ودخل بلاد طبرستان فارسل اليه الاصبهبد صاحبها يسأله الصلح وان يخرج من طبرستان فابى يزيد ورجا أن يفتحها ووجه أخاه اباعيينة من وجه وابنه خالد بن يزيد من وجه وأبا الجهم الكلبى من وجه ومع كل منهما جيش وقال اذا اجتمعتم فأبو عيينة على الناس فسار ابو عيينة واقام يزيد معسكرا واستجاش الاصبهبد اهل جيلان والديلم فأتوه فالتقوا فى سفح الجبل فانهزم المشركون فى الجبل واتبعهم المسلمون حتى انتهوا الى فم الشعب فدخل المسلمون وصعد المشركون فى الجبل واتبعهم المسلمون يرومون الصعود فرماهم العدو بالنشاب والحجارة فانهزم أبو عيينة والمسلمون يركب بعضهم بعضا يتساقطون فى الجبل حتى انتهوا الى عسكر يزيد وكف عدوهم عن اتباعهم وخافهم الاصبهبد فكاتب أهل جرجان ومقدمهم المرزبان يسألهم ان يبيتوا من عندهم من المسلمين وان يقطعوا عن يزيد المادة والطريق فيما بينه وبين بلاد الاسلام ويعدهم أن يكافئهم على ذلك فثاروا بالمسلمين فقتلوهم أجمعين وهم غارون فى ليلة وقتل عبد الله بن المعمر ومن معه فلم ينج منهم أحد وكتبوا الى الاصبهبد بأخذ المضايق والطرق وبلغ ذلك يزيد بن المهلب وأصحابه فعظم عليهم وهالهم وفزع يزيد الى حيان النبطى وكان من رؤساء جنده ليسير الى الاصبهبد فى عمل الصلح فأتى حيان الاصبهبد فقال له انا رجل منكم وان كان الدين فرق بينى وبينكم فانا لكم ناصح فأنت احب الى من يزيد بن المهلب وقد بعث يستمدوا امداده منه قريبة وانما أصابوا منه طرفا ولست آمن من أن يأتيك من لا تقوم له فأرح نفسك وصالحه فان صالحته صير حده على اهل جرجان بغدرهم وقتلهم أصحابه فصالحه على سبعمائة الف وأربعمائة وقر زعفران اوقيمته

الحب وقال لهما ما اسم هذا فى بلادكم فقالت برخكم بها اليمنى فظهر بعد ذلك انها ملكه ومن ذلك انه اختصم لديه رجلان شامى ومصرى فى جمل فادعى كل منهما انه له وأقام بذلك حجة ثم قال لهما انى سأحكم بحكم فان ظهر لى أن الحق بيد أحدكما غرمت الاخر ثمن الجمل فأمر بذبح الجمل فذبح وأمر باستخراج مخه فاستخرج فتأمله وقضى بالجمل للشامى وأمر المصرى بتسليم القيمة فقيل له فى ذلك فقال رأيت مخه منعقدا فاستدللت بذلك فان أهل الشام يعلفون دوابهم الكرسنة وهى تعقد المخ وأهل مصر يعلفون الفول وهو يعقد الشحم دون المخ فظهر بعد ذلك ان الحق كما قال ومن ذلك ان شخصا دفن مالا بالمزدلفة أى ليكون محفوظا مدة مقامه بالمزدلفة وكان شخص يرقبه فلما قصد النفر منها الى منى وجد المال قد حفر عنه واخذ ولم يظفر بأثر من آثار الغريم الا بعصا ملقاة فأخذها ورفع شكواه اليه وذكر له القصة فسأله هل وجدت من أثر فقال نعم وجدت عصا ملقاة فطلبها منه فاحضرها ثم تأملها فأمر باحضار جماعة مخصوصين من العرب

من العين وأربعمائة رجل على كل رجل منهم ترس وطيلسان ومع كل رجل جام من فضة وخرقة حرير وكسوة ثم رجع حيان الى يزيد بن المهلب فقال ابعث من يحمل صلحهم فقال من عندهم او من عندنا فقال من عندهم وكان يزيد قد طابت نفسه ان يعطيهم ماسألوا ويرجع الى جرجان فارسل يزيد من يقبض ماصالحهم عليه حيان وانصرف الى جرجان

﴿ ذكر فتح جرجان الفتح الثانى ﴾

قد تقدم ذكر فتح قهستان وجرجان ثم غدر اهله باصحاب يزيد بن المهلب فلما صالح يزيد اصبهبذ طبرستان سار الى جرجان وعاهد الله لئن ظفر بهم لا يرفع السيف حتى يطحن بسائل دمائهم ويأكل من ذلك الطحين فأتاها وحصر اهلها بحصن فجأة سبعة اشهر وهم يخرجون اليه فى الايام فيقاتلون ويرجعون وكانوا ممتنعين فى الجبل والاوعار فبينماهم كذلك اذ ظفروا برجل يعرف الطرق فضمن له يزيد دية ان دلهم على الحصن وطرقه ومعالمه فانتخب معه يزيد ثلاثمائة رجل واستعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد وقال يزيد للرجل متى تصلون قال غدا العصر فساروا فلما كان الغد وقت الظهر احرق يزيد كل حطب عنده حتى اضطرمت النيران ونظر العدو الى النار فهالهم ذلك فهجم خالد بن يزيد ومن معه عليهم قبل العصر وهم آمنون من ذلك الوجه وسار يزيد بمن معه يقاتلهم من جهة اخرى فاشعروا الا بالتكبير من ورائهم فانقطعوا جميعا الى حصنهم وركبهم المسلمون فأعطوا بايديهم ونزلوا على حكم يزيد فسبى ذراريهم وقتل مقاتلتهم وصلبهم فرسخين الى يمين الطريق ويساره قيل ان الذين قتلهم اربعون الفا فلذلك كان عمر بن عبد العزيز يسمى يزيد بن المهلب جبارا واجرى الماء على الدم وعليه أرحاء ليطحن بدمائهم ليبر بيمينه فطحن وخبز واكل وبنى مدينة جرجان ولم تكن بنيت قبل ذلك مدينة ورجع الى خراسان واستعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفى وكتب بالفتح الى سليمان واخبره انه قد حصل من الخمس ستمائة الف الف فقال له كاتبه المغيرة بن ابى قرة مولى بنى سدوس لاتكتب تسمية المال فانك من ذلك بين امرين اما استكثره فأمرك بحمله واما سمحت نفسه لك به فاعطاكه فتكلف الهدية فلا يأتيه من قبلك شئ الا استقله فكأنى بك قد استغرقت ماسميت ولم يقع منه موقعا ويبقى المال الذى سميت مخلدا فى دواوينهم فان ولى وال بعده اخذك به وان ولى من يتحامل عليك لم يرض باضعافه ولكن اكتب فسله القدوم وشافهه بما احببت فهو اسلم فلم يقبل منه وامضى الكتاب فكان الامر كما قال كاتبه فان عمر بن عبد العزيز لما ولى بعد سليمان طالبه بذلك المال سنة تسع وتسعين وعزله وقيده وحبسه ثم هرب من السجن فى مدة مرض عمر بن عبد العزيز ثم لما بويع يزيد بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز طلب يزيد بن المهلب فجمع جموعا وقاتل يزيد بن عبد الملك بعد ان خلعه وبايع الناس لنفسه وكانت جموع يزيد بن المهلب نحو مائة الف وآخر الامر قتل هو وكثير من اخوته واهل بيته وذلك سنة اثنتين ومائة وقصة ذلك طويلة مذكورة فى التواريخ قيل ان يزيد بن المهلب اصاب فى غنائم جرجان تاجا فيه جوهر فقال لاصحابه اترون احدا يزهد فى هذا قالوا لا فدعا محمد بن واسع الازدى فقال خذ هذا التاج قال لا حاجة لى فيه قال عزمت عليك فأخذه فأمر يزيد رجلا ينظر مايصنع به فلقى سائلا فدفعه اليه

يضربوا فأشر فهم على العصا وسألهم هل يعرفون صاحبها فقالوا نعم هى عصا فلان فأحضره وسأله فأنكر فشدد عليه فأقر بالمال ومن ذلك ان شخصا من سادات اليمن وصل الى مكة بجارية حسناء سنها نحو العشر سنوات فتعصب عليه طائفة من الجبرت وادعى بعضهم انها من أصل وانها بنت فلان وشهد منهم شاهدان من طلبة العلم بذلك واستخلصوها من يد ذلك السيد قهرا فرفع القضية له فطالب الشاهدين وأخذ يستدرجهما بمدحهما وانهما من مشاهير من جاور بمكة من مدة طويلة وان شهادتهما مقبولة ثم سألهما عن الشهادة فأدياها كما سبق وانها بنت فلان الجبرتى ولدت ببلده ونحن بها قبل وصولنا مكة فقبل شهادتهما ثم سألهما عن مدة اقامتها بمكة وهل خرجا بعد دخولها فذكرا ان المدة تنوف على ثلاثين سنة وانهما ماخرجا منها الى بلدهما بعد ان دخلا فشاغلهما بالكلام ساعة ثم سألهما عن سن الجارية فقالا نحو عشر سنين فأخذ يبهتهما ويتكلم عليهما حيث شهدا بولادتها وهما ببلدهما وقصد اتلافهما وأعاد الجارية الى سيدها وكانت هذه الحكومة منه حكمة بالغة فانه قصم بها طائفة الجبرت عن مثل ذلك فانهم سلكوا هذا المسلك مدة واستخلصوا به ارقاء

فأخذ الرجل السائل فأتى به يزيد فأخبره فأخذ يزيد التاج وعوض السائل مالا كثيرا

◆ ذكر محاصرة القسطنطينية ◆

وفي هذه السنة أعني سنة ثمان وتسعين سار سليمان بن عبد الملك الى دابق وجهز جيشا مع اخيه مسلمة بن عبد الملك ليسير الى القسطنطينية وسبب ذلك انه مات ملك الروم فأتى اليون من اذربيجان لسليمان بن عبد الملك فاخبره بموته وضمن له فتح الروم فوجه ذلك الجيش مع أخيه مسلمة فسار الى القسطنطينية فلما دنا منها امر كل فارس ان يحمل معه مدين من طعام على عجز فرسه الى القسطنطينية ففعلوا فلما اتاها امر بالطعام فالقى امثال الجبال وقال للمسلمين لا تأكلوا منه شيأ واغيروا في ارضهم وازرعوا وعمل بيوتا من خشب فشتى فيها وصاف وزرع الناس وبقي الطعام في الصحراء والناس يأكلون ما اصابوا من الغارات والزرع واقام مسلمة قاهرا للروم معه اعيان الناس فارسل الروم الى مسلمة يعطونه عن كل رأس دينارا فلم يقبل فقالت الروم لاليون ان صرفت عنا المسلمين ملكناك فاستوثق منهم فأتى مسلمة فقال له ان الروم قد علموا انك لا تصدقهم القتال وانك تطاولهم ما دام الطعام عندك فلو احرقته اعطوا الطاعة بأيديهم فامره به فاحرق فقوى الروم وأصابوا المسلمين حتى كادوا يهلكون وبقوا على ذلك حتى مات سليمان سنة تسع وتسعين وقيل انما خدع اليون مسلمة بأن سأله ان يدخل من الطعام الى الروم بمقدار ما يعيشون به ليلة واحدة ليصدقوا ان امر مسلمة وامره واحد وانهم في امان من السبي والخروج من بلادهم فاذن له وكان اليون قد اعد السفن والرجال فنقلوا تلك الليلة الطعام فلم يتركوا في تلك الحظائر الا ما لا يذكر واصبح اليون محاربا وقد خدع مسلمة خديعة لو كانت لامرأة لعيبت بها ولقي الجند ما لم يلقه جيش آخر حتى ان الرجل كان يخاف ان يخرج من العسكر وحده وأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق وكل شيء غير التراب وسليمان مقيم بدابق ودخل الشتاء فلم يقدر ان يمدهم حتى مات فلما بويع عمر بن عبد العزيز بعده بعث الى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالقفول منها بمن معه من المسلمين ووجه له خيلا عتاقا وطعاما كثيرا وحث الناس على معونتهم فرجعوا سنة تسع وتسعين وفي سنة مائة واحدى توفي محمد بن مروان وتوفي عمر بن عبد العزيز فبويع ليزيد بن عبد الملك وكان في مدته الحرب المتقدم ذكره بينه وبين يزيد بن المهلب

◆ ذكر غزوة الترك ◆

في سنة اثنتين بعد قتل يزيد بن المهلب استعمل يزيد بن عبد الملك على العراق وخراسان اخاه مسلمة بن عبد الملك فاستعمل مسلمة على خراسان سعيد الملقب خذينة ومعناه الدهقانة ربة البيت لانه كان رجلا لينا متنعما وهو سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن ابي العاص فجده الحارث اخو مروان بن الحكم فاستضعفه الناس وسموه خذينة فطمعت الترك فجمعهم خاقان ووجههم الى الصغد وعلى الترك صول فأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلي محاصرين لمن فيه من المسلمين وفيه أهل مائة بيت من المسلمين بذراريهم وكان على سمرقند

الناس من أيديهم ثم قل في الخلاصة وكان محبا للعلماء معظما لهم كثير الانعام عليهم فكانوا يتقربون الى خدمته بالتآليف الجليلة فيجيزهم عليها الجوائز الجزيلة من ذلك ان الشيخ عبد القادر الطبري تقرب الى خدمته بشرح لقصيدة الدريدية فأجازه عليها بألف دينار واتفق انه حكم تاريخ الشرح قوله

أرخني مؤلفي * بيت شعر ماذهب
أحمد جود ماجد * أجازني ألف ذهب

فلما قرأ البيتين قال والله ان هذا النزر جدا بالنسبة الى هذا التأليف ولكن حيث وقع الاختصار عليه فعلى الرأس والعين وأعطاه ذلك وكان مولانا الشريف حسن رحمه الله ذا فضل باهر وأدب غض ومحاضرة فائقة واستحضار غريب (يحكى) انه كان في مجلس تصدر بعض الناس على بعض بني عمه فيه فظهر أثر الغضب على ابن عمه فتفطن له مولانا الشريف حسن فقال انه ليقودني العجب ويهزني من عطف أريحتي ساعد الطرب قصيدة أبي الطيب المتنبي التي أولها

فؤاد ما تسليه المدام * وعمر مثل ما يهب اللئام

فتسلى بذلك ابن عمه وتبسم وجهه بعد القطوب لانه علم تلميحه الى قوله فيها ولو لم يعل الا ذو محل

(عثمان)

عثمان بن عبدالله بن مطرف بن الشخير استعمله سعيد خذينة فكتبوا اليه يستمدونه وخافوا ان يبطئ عليهم المدد فصالحوا الترك على أربعين الفا واعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة وندب عثمان الناس فانتدب أربعة آلاف مع المسيب بن بشر الرياحى من سائر القبائل فقال لهم المسيب من اراد الغزو والصبر على الموت فليتقدم فرجع عنه الف وقال ذلك ايضا بعد فرسخ فرجع الف آخر ثم اعادها ثالثة بعد فرسخ فاعتزله الف فلما كان على فرسخين من العدو أخبره بعض الدهاقين بأن القوم أتاهم ملك الترك وبايعه كل الدهاقين غيرى وأنا فى ثلاثمائة مقاتل فهم معكم وعندى الخبر قد كانوا صالحوهم واعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة فلما بلغهم مسيركم اليهم قتلوا الرهائن وميعادهم ان يقاتلوا غدا ويفتحوا لهم القصر يعنى قصر الباهلى الذى فيه أهل مائة بيت فبعث المسيب الى القصر المذكور رجلين عجميا وعربيا يأتيانه بالخبر فجاؤا فى ليلة مظلمة وقد اجرت الترك الماء بدائر القصر لئلا يصل اليه احد ودنوا من القصر فصاح بهما الربيئة فقالا له اسكت وادع لنا فلانا من المسلمين الذين فى القصر فدعاه فأعلماه قرب العسكر وسألاه هل عندكم امتناع غدا فقال لهما نحن مستميتون وقد اجمعنا على تقديم نسائنا للموت امامنا حتى نموت جميعا غدا فرجعا الى المسيب فأخبراه فقال لمن معه انى سائر الى هذا العدو المحاصرين للقصر فمن احب ان يذهب فليذهب فلم يفارقه احد وبايعوه على الموت فاصبح وسار وقد ازداد القصر تحصينا بالماء الذى اجراه الترك فلما كان بينه وبين الموضع الذى فيه الترك نصف فرسخ نزل وكان قد أجمع على بياتهم فلما أمسى أمر اصحابه بالصبر وحثهم عليه وقال ليكن شعاركم يا محمد ولا تتبعوا موليا وعليكم بالدواب التى لهم فاعقروها فانها اذا عقرت كانت اشد عليهم منكم وليست بكم قلة فان سبعمائة سيف لا يضرب بها فى عسكر الا أوهنوه وان كثر اهله فلما دنوا منهم كبروا وذلك فى السحر وثار الترك وخالطهم المسلمون فعقروا الدواب وترجل المسيب فى رجال معه فقاتلوا قتالا شديدا وانقطعت يمين رجل من المسلمين فأخذ السيف بشماله فقطعت فجعل يذب بيده حتى استشهد وقتلوا كثيرا منهم وعظيما من عظمائهم فانهزمت الترك ونادى منادى المسيب لا تتبعوهم واقصدوا القصر لا طلاق من فيه واحملوا من فيه ولا تحملوا من متاعهم الا الماء ومن حمل امرأة أو صبيا أو رجلا ضعيفا لا يقدر على المشى حسبة فأجره على الله ومن أبى فله اربعون درهما وان كان فى القصر احد من أهل عهدكم فاحملوه فأتوا القصر وحملوا من فيه واخرجوهم ثم ساروا الى سمرقند ورجعت الترك من الغد فلم يروا فى القصر أحدا ورأوا قتلاهم فقالوا لم يكن الذين جاؤنا بالامس من الانس قال بعض من كان بالقصر لما التقوا ظننا ان القيامة قد قامت لما سمعنا من هماهم القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل وفى هذه السنة غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية ارمينية وهو على الجزيرة قبل ان يلى العراق فهزمهم واسر منهم خلقا كثيرا وقتل سبعمائة اسير وفيها غزا عباس بن الوليد بن عبد الملك الروم فافتتح دلسة

✵ ذكر غزوة الصغد ✵

وفى هذه السنة عبر سعيد خذينة النهر وغزا الصغد وقد كانوا نقضوا العهد وأعانوا الترك على

ثمين القيمة فلم يطلبه ويفتش عليه فقال له مولانا الشريف لم لا تقف لطلب ذلك الخاتم الثمين فقال ألست من أبناء أمير المؤمنين فلمح مولانا الشريف الى قول أبى الطيب

بليت بلى الاطلال ان لم أقف بها * وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه *

(ولمح ابن عمه لقول المتنبى)

كذا الفاطميون الندا فى أكفهم * أعز امحاء من خطوط الرواجب

وقد نظم الامام عبد القادر الطبرى أرجوزة فى محاسن مولانا الشريف حسن وسماها حسن السيرة وشرحها بشرح سماه حسن السريرة وأطال فى ذلك ثم قال فى خلاصة الاثر انه لم يزل حاميا حوزة البيت المعظم وذابا عن سوحه المطهر المفخم حتى انه من مزيد أمنه اختلط فيه العرب والعجم ورعى الذئب مع الغنم وأمن السبل الحجازية ومهد الطرق الحرمية فكانت تشد الرحال فى سائر جهاته وليس معها خفير سوى الاجير ولا يفقد منها صواع ولا يختلس منها ولا قدر صاع وربما ترك المتاع أو المنقطع فى القفر السبسب ليؤتى له بما يحمل عليه أو يركب

المسلمين فقال الناس لسعيد انك قد تركت الغزو وقد اغار الترك وأعانهم أهل الصغد فقطع النهر وقصد الصغد فلقيه الترك وطائفة من الصغد فهزمهم المسلمون فقال سعيد لا تتبعوهم وقال هم جباية امير المؤمنين يعنى يأخذ منهم المال ففى استئصالهم ضياع له وفى رواية قال هم بستان امير المؤمنين وقد هزمتموهم افتريدون بوارهم وقد قاتلتم يا أهل العراق الخلفاء غير مرة فهل أبادوكم فانكفوا عنهم ثم سار المسلمون الى واد بينهم وبين المرج فقطعه بعض العسكر وقد أكمن لهم الترك فخرجوا عليهم وانهزم المسلمون الى الوادى ثم تلاحق المسلمون وجاء الامير والناس فانهزم العدو وكان سعيد اذا بعث سرية فاصابوا وغنموا وسبوا رد السبي وعاقب السرية فثقل سعيد على الناس وضعفوه وسعوا فى عزله فعزل سنة ثلاث ومائة وولى مكانه سعيد الحرشي بالحاء المهملة والشين المعجمة من بنى الحريش بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة ينتهى الى قيس بن عيلان بن مضر وفى سنة ثلاث ومائة غزا العباس ابن الوليد الروم ففتح مدينة يقال لها دلسة

﴿ ذكر الوقعة بين الحرشي والصغد ﴾

لما قدم الحرشي خراسان كان الناس بازاء العدو وقد نكبوا فخطبهم وحث الناس على الجهاد وقال انكم لا تقاتلون بكثرة ولا بعدة ولكن بنصر الله وعز الاسلام فقولوا لا حول ولا قوة الا بالله ولما سمع اهل الصغد بقدوم الحرشي خافوا على أنفسهم لانهم كانوا قد أعانوا الترك على اصحاب خذينة فأجمع عظماؤهم على الخروج من بلادهم فقال لهم ملكهم لا تفعلوا واقيموا واحملوا خراج ما مضى واضمنوا له خراج ما يأتى وعمارة الارض والغزو معه ان اراد ذلك واعتذروا مما كان منكم واعطوه هائن قالوا نخاف ان لا يرضى ولا يقبل ذلك منا ولكن نأتى خجندة فنستجير ملكها ونرسل الى الامير فنسأله الصفح عما كان منا ونوثق انه لا يرى امرا يكرهه فقال لهم ملكهم انا رجل منكم والذى أشرت به عليكم خير لكم فأبوا وخرجوا الى خجندة وارسلوا الى ملك فرغانة يسألونه ان يمنعهم وينزلهم مدينته فأراد أن يفعل فقالت امه لا يدخل هؤلاء الشياطين مدينتك ولكن فرغ لهم رستاقا يكونون فيه فأرسل اليهم سموا رستاقا تكونون فيه حتى افرغه لكم وأجلونى اربعين يوما وقيل عشرين يوما فاختاروا شعب عصام ابن عبد الله الباهلى وكان قتيبة قد خلفهم فيه فقال نعم ولا انا على عقد وجوار حتى تدخلوه وان اتتكم عزية قبل ان تدخلوه ليس لكم على جوار فرضوا ففرغ لهم الشعب فجاء الخبر الى الحرشي فغزاهم وعاجلهم قبل ان يدخلوا شعب عصام وخرج اهل الصغد للقتال فانهزموا وقد كانوا حفروا خندقا وغطوه بالتراب ليسقط فيه المسلمون عند القتال فلما انهزموا اخطأهم الطريق وأسقطهم الله فى ذلك الخندق ثم حاصرهم الحرشي ونصب عليهم المجانيق فأرسلوا الى ملك فرغانة ليجيرهم فقال قد شرطت عليكم ان لا جوار قبل الاجل الذى بينى وبينكم فطلبوا الصلح من الحرشي على ان يردوا ما فى أيديهم من سبي العرب ويعطوا ما كسر من الخراج ولا يتخلف أحد منهم بخجندة ولا يغتالوا أحدا فان أحدثوا حدثا استبيحت دماؤهم فقبل منهم وخرجوا من خجندة ونزلوا فى العسكر وبلغ الحرشي انهم قتلوا امرأة ممن كان فى أيديهم

عن مثله من الملوك الاوائل فلقد كانت هذه الطرق مخوفة والمخاليف كلها غير مألوفة حتى من اراد أن يعزم من مكة الى التنعيم للاعتمار لا بد له أن يأخذ خفيرا من أرباب الدولة الكبار وان لم يفعل ذلك يعطب فى نفسه وماله ولا يرثى فى أخذ الثار له ولطالما نهبت الاموال ما بين مكة وعرفة ليلة الصعود اليها وسفكت الدماء فى تلك المشاعر وجدلت الاجساد لديها واذا سرق متاع قبل ان يظفر به وربما قتل صاحبه عند طلبه بسببه وكل ذلك من العرب المحيطين باطراف البلاد الساعين فى الارض بالفساد فقد بسط الله بساط الامان بولايته ألزمهم بحراسة هذه المواطن وغرم ما يذهب للناس فى هذه الاماكن وعاملهم بصنوف العقاب وأنواع العذاب من التصلب وقطع الايدى وتكليف أحدهم بالقتل ان لم يدل الى غير ذلك من أصناف الاجتهادات السياسية والآراء السلطانية المرضية حتى اصلح العالم غاية الاصلاح ونادى منادى الامن بالبشر والفلاح فاطمأنت النفوس باقامة هذا الناموس واعتدلت أحوال الرعايا واتصل ذلك الى عمـ

في هذه المآثر الحميدة وحمدالله تعالى في هذه المعدلة الظاهرة الحميدة لوك البقايا فشكر كل سعيه

من المسلمين فقتل الذي قتلها فخاف منه بعض عظمائهم ان يقتله فنقض وخرج واعترض الناس ومعه جماعة منهم فقتل ناسا وتضعضع العسكر ولقوا منه شرا وانتهى الى ثابت بن عثمان بن مسعود فقتله ثابت وقتل الصغد اسرى عندهم من المسلمين مائة وخمسين رجلا فاخبر الحرشي بذلك فامر بقتلهم وعزل التجار عنهم فقاتلهم الصغد بالخشب ولم يكن لهم سلاح فقتلوا عن آخرهم وكانوا ثلاثة آلاف وقيل سبعة آلاف وغنم أموال الصغد وذراريهم وأخذ منه ما عجبه وكتب الى يزيد بن عبد الملك بالفتح وسرح الحرشي سرية الى حصن يطيف به وادي الصغد فلقوها على فرسخ وقاتلوا فهزموا ودخلوا الحصن فحصروا فيه ثم طلبوا الصلح على ان لا يتعرض لنسائهم وذراريهم ويسلموا القلعة فقبل منهم ذلك وبعث الامناء لقبض ما في القلعة فقبضوه وباعوه وقسموه وسار الحرشي الى كش وصالحوه على عشرة آلاف رأس وولى نصر بن سيار قبض صلح كش وكان في نسف خزائن منيعة فوجه اليها المسربل بن الخريت وكان صديقا لملكها فجاء الملك وأخبره بما صنع الحرشي بأهل خجندة وخوفه قال فاترى قال ان تنزل بأمان قال فما اصنع بمن لحق بي قال تجعلهم في أمانك فصالحهم فامنوه وبلاده ورجع الحرشي الى بلاده ومعه الملك فقتله وصلبه ومعه الامان وكانت هذه الوقائع سنة اربع ومائة وفيها عزل الحرشي عن خراسان ووليها مسلم بن سعيد الكلابي

ذكر غزو المسلمين بلاد الخزر وظفر الخزر بهم

في هذه السنة دخل جيش للمسلمين بلاد الخزر من أرمينية وعليهم ثبيت النهراني فاجتمعت الخزر وهم التركمان في جمع كثير وأعانهم قفجاق وغيرهم من أنواع الترك ولقوا المسلمين في مكان يعرف بمرج الحجارة فاقتتلوا هناك قتالا شديدا فقتل كثير من المسلمين واحتوت الخزر على عسكرهم وغنموا جميع ما فيه وأقبل المنهزمون الى الشام فقدموا على يزيد بن عبد الملك وفيهم ثبيت فوبخهم يزيد على الهزيمة فقال ثبيت يا أمير المؤمنين ما جبنت ولا نكبت عن لقاء العدو ولقد لصقت الخيل بالخيل والرجل بالرجل ولقد طاعنت حتى انقصف رمحي وضاربت حتى انقطع سيفي غير ان الله تبارك وتعالى يفعل ما يريد

ذكر غزوة أخرى على الخزر

ولما تمت الهزيمة المذكورة على المسلمين طمع الخزر في البلاد فجمعوا وحشدوا فولى يزيد على ارمينية الجراح بن عبدالله الحكمي وامده بجيش كثيف فسار لغزو الخزر فتسامعوا به فعادوا حتى نزلوا بالباب والابواب ونزل الجراح الى بردعة فاقام بها حتى استراح هو ومن معه وسار نحو الخزر فعبر نهر الكر فسمع بأن بعض من معه من أهل تلك الجبال قد كاتب ملك الخزر يخبره بمسير الجراح اليه فحينئذ أمر الجراح مناديه فنادى في الناس ان الامير مقيم ههنا عدة ايام فاستكثروا من الميرة فكتب ذلك الرجل الى ملك الخزر يخبره ان الجراح مقيم ويشير عليه بترك الحركة فلما كان الليل أمر الجراح بالرحيل فسار مجدا حتى انتهى الى مدينة الباب والابواب فلم ير الخزر فدخل البلد وبث السرايا للنهب والغارة على ما يجاوره فغنموا وعادوا من الغد وسار الخزر اليه وعليهم ابن ملكهم فالتقوا عند نهر الران واقتتلوا شديدا فظفروا بالخزر

وكثر حجاج بيت الله العتيق وضربوا اليها آباط الابل من كل فج عميق فيرون ما كانوا يسمعون به عيانا فيستخيرون الله تعالى في ان تكون بلده لهم مسكنا وأهلها اخوانا وكان في القواعد القديمة لولاة مكة الكريمة أن ينادي بعد تمام الحج يا أهل الشام شامكم ويا أهل اليمن يمنكم فيرحل كل الى بلده ولا يقيم بمكة الاخواص أهلها من ذوي البيوت القديمة فلما تولى مكة وشاع ذكره رغب كل أحد في المجاورة بها وصارت مصرا من الامصار

(وفاة داود بن عمر الانطاكي صاحب التذكرة سنة ١٠٠٨)*

وفي تاريخ الرضي في سنة ثمان بعد الالف توفي العالم العلامة الفاضل الحكيم داود بن عمر الانطاكي البصير صاحب التذكرة وكان اجتمع بمولانا الشريف حسن بن أبي نمي صاحب الترجمة وله معه محاورات ولطائف وكان آية في الحذق والنباهة من جملة ذلك انه لما حضر مجلس الشريف المذكور أمر الشريف أحد اخوانه أن يمد يده ليجسها على انها يد الملك فلما جسها قال ليست هذه يد الملك فاعطاه الاخرى فقال وهذه أيضا ليست يد الملك فأعطاه

وهزموهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتل منهم خلق كثير وغنم المسلمون جميع مامعهم وساروا حتى نزلوا على حصن يعرف بالحصين فنزل أهله بالامان على مال يحملونه فاجابهم ونقلهم عنها ثم سار الى مدينة برغوا فاقام عليها ستة ايام وهو مجد فى قتالهم فطلبوا الامان فأمنهم وتسلم حصنهم ونقلهم منه

﴿ ذكر فتح بلنجر ﴾

ثم سار الجراح الى بلنجر وهو حصن مشهور من حصونهم فنازله وكان أهل الحصن قد جمعوا ثلاثمائة عجلة فشدوا بعضها الى بعض وجعلوها حول حصنهم ليحتموا بها وتمنع المسلمين من الوصول الى الحصن وكانت تلك العجل اشد شئ على المسلمين فى قتالهم فلما رأوا الضرر الذى عليهم انتدب جماعة منهم نحو ثلاثين رجلا وتعاهدوا على الموت وكسروا جفون سيوفهم وحملوا حملة رجل واحد وتقدموا نحو العجل وجد الكفار فى قتالهم ورموا من النشاب ماكان يحجب عين الشمس فلم يرجع اولئك حتى وصلوا الى العجل وتعلقوا ببعضها وقطعوا الحبل الذى يمسكها وجذبوها فانحدرت وتبعها سائر العجل لان بعضها كان مشدودا الى بعض وانحدر الجميع الى المسلمين والتحم القتال واشتد وعظم الأمر على الجميع حتى بلغت القلوب الحناجر ثم ان الخزر انهزموا واستولى المسلمون على الحصن عنوة وغنموا جميع مافيه فأصاب الفارس ثلاثمائة دينار وكانوا بضعة وثلاثين الفا ثم ان الجراح احضر صاحب بلنجر ورد اليه أمواله وأهله وحصنه وجعله عينا لهم يخبرهم بما يفعله الكفار ثم سار عن بلنجر فنزل على حصن الوبندر وبه نحو اربعين الف بيت من الترك فصالحوا الجراح على مال يؤدونه ثم ان الترك والتركمان تجمعوا وأخذوا الطرق على المسلمين فكتب صاحب بلنجر الى الجراح يعلمه بذلك فعاد مجدا حتى وصل الى رستاق ملى وادركهم الشتاء فاقام المسلمون به وكتب الجراح الى يزيد بن عبد الملك يخبره بما فتح الله عليه وبما اجتمع من الكفار ويسأله المدد فوعده انفاذ العساكر اليه وأدرك يزيد أجله قبل انفاذ الجيش وكان موته فى شعبان سنة خمس ومائة فلما مات يزيد وبويع أخوه هشام بن عبد الملك أرسل الى الجراح وأقره على عمله ووعده المدد ثم أرسله اليه فقوى أمر الجراح فغزا اللان فى سنة ست وصالحه أهلها فأدوا الجزية ثم أن هشاما عزل الجراح عن ارمينية سنة سبع ومائة وولاها اخاه مسلمة بن عبد الملك الى سنة احدى عشرة ثم عزل اخاه مسلمة وولاها الجراح ثانية فدخل بلاد الخزر من ناحية تفليس ففتح مدينتهم البيضا وانصرف سالما فجمعت الخزر جموعها وحشدت وسارت الى بلاد الاسلام من ناحية اللان فلقيهم الجراح فيمن معه من أهل الشام فاقتتلوا اشد قتال رآه الناس فصبر الفريقان وتكاثرت الخزر والترك على المسلمين فاستشهد الجراح ومن كان معه بمرج اردبيل وكان قد استخلف اخاه الحجاج بن عبد الله على ارمينية ولما قتل الجراح طمع الخزر وأوغلوا فى البلاد حتى قاربوا الموصل وعظم الخطب على المسلمين وكان الجراح خيرا فاضلا وكان أولا من عمال عمر بن عبد العزيز على خراسان ورثاه كثير من الشعراء ولما بلغ هشاما خبره دعا سعيدا الحرشي وكان قد عزل عن خراسان فقال له بلغني ان الجراح قد انحاز عن المشركين

الشريف حسن يده فقبلها وقال هذه والله يد الملك فانظروا الى فطنته وذكائه مع كفاف نظره

(وفاة الشريف ثقبة بن أبي نمي سنة ١٠٠٨) *

وفى هذه السنة توفى الشريف ثقبة بن أبي نمي أخو مولانا الشريف حسن وله عقب يقال لهم ذوو ثقبة كان بعضهم بمكة وكان بعضهم فى البر

(وفاة الشريف حسن بن ابي نمي سنة ١٠١٠) *

وفى سنة ألف وعشر توجه مولانا الشريف حسن الى نجد غازيا فتوفى هناك ثالث جمادى الآخرة وكان فى مسافة عشرة ايام عن مكة فحمل على بغال الى مكة ووصلوا به فى ثلاثة أيام وغسل وكفن وصلى عليه تجاه الكعبة ودفن بالمعلى وبنى عليه قبة رحمه الله وله من العمر تسع وسبعون سنة ونحو ثلاثة أشهر ومدة ولايته مشاركا لابيه ومستقلا نحو خمسين سنة

(عدد أولاد الشريف حسن وأسماؤهم)

وله أولاد كرام ذرية فخام نحو سبعة وعشرين وخلف من الاناث خمسا وعشرين وقيل ستة عشر فالاولاد الذكور أبو طالب وحسين وباز وسالم وأبو القاسم ومسعود وعبد المطلب وعبد الكريم وادريس وعقيل وعبد الله وعبد المحسن وعبد المنعم وعدنان وفهيد وشنبر والمرتضى (قال)

قال كلا ياأمير المؤمنين الجراح اعرف بالله من أن ينهزم ولكنه قتل قال فارأيك قال تبعثني على اربعين دابة من دواب البريد ثم تبعث الى كل يوم أربعين رجلا ثم اكتب الى أمراء الاجناد يوافوني ففعل ذلك هشام وسار الحرشي فكان لايمر بمدينة الاويستنهض أهلها فيجيبه من يريد الجهاد ولم يزل كذلك حتى وصل الى مدينة أرزن فلقيه جماعة من أصحاب الجراح وبكوا وبكى لبكائهم وفرق فيهم نفقة وردهم معه وجعل لايلقاه احد من أصحاب الجراح الارده معه ووصل الاخلاط وهي ممتنعة عليه فحصرها وفتحها وقسم غنائمها في أصحابه ثم سار عن خلاط وفتح القلاع والحصون شيأ بعد شئ الى أن وصل الى برذعة فنزلها وكان ابن خاقان يومئذ باذربيجان يغير وينهب ويسبي ويقتل وهو محاصر مدينة ورثان فخاف الحرشي ان يملكها فارسل بعض اصحابه الى أهل ورثان سرا يعرفهم وصولهم ويأمرهم بالصبر فسار القاصد ولقيه بعض الخزر فاخذوه وسألوه عن حاله فأخبرهم وصدقهم فقالوا له ان فعلت مانأمرك به أحسنا اليك وأطلقناك والاقتلناك قال فماالذي تريدون قالوا تقول لاهل ورثان انكم ليس لكم مدد ولامن يكشف مابكم وتأمرهم بتسليم البلد الينا فأجابهم الى ذلك فلماقارب المدينة وقف بحيث يسمع اهلها كلامه فقال لهم أتعرفوني قالوا نعم انت فلان قال فان الحرشي قدوصل الى مكان كذا في عساكر كثيرة وهو يأمركم بحفظ البلد والصبر ففي هذين اليومين يصل اليكم فرفعوا اصواتهم بالتكبير والتهليل وقتلت الخزر ذلك الرجل ورحلوا عن مدينة ورثان فوصلها الحرشي في العساكر وليس عندها احد فارتحل طلب الخزر الى أردبيل فسار الخزر عنها ونزل الحرشي باجروان فأتاه فارس على فرس ابيض فسلم عليه وقال له هل لك ايها الامير في الجهاد والغنيمة قال كيف لي بذلك قال هذا عسكر الخزر في عشرة آلاف ومعهم خمسة آلاف من المسلمين اسارى وسبايا وقدنزلوا على أربعة فراسخ فسار الحرشي ليلا فوافاهم آخر الليل وهم نيام ففرق اصحابه في أربعة جهات فكبسهم مع الفجر ووضع المسلمون فيهم السيف فابزغت الشمس حتى قتلوا اجمعون غير رجل احد واطلق الحرشي من معهم من المسلمين واخذهم الى باجروان فلما دخلها اتاه ذلك الرجل صاحب الفرس الابيض فسلم وقال هذا جيش للخزر ومعهم اموال للمسلمين وحرم الجراح واولاده بمكان كذا فسار الحرشي اليهم فما شعروا الاوالمسلمون معهم فوضعوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاؤا ولم يفلت من الخزر الاالشريد واستنقذوا من معهم من المسلمين والمسلمات وغنموا اموالهم واخذ اولاد الجراح فأكرمهم واحسن اليهم وحمل الجميع الى باجروان وبلغ خبر مافعله الحرشي بعساكر الخزر ابن ملكهم فوبخ عساكره وذمهم ونسبهم الى العجز والوهن فحرض بعضهم بعضا واشاروا عليه بجمع اصحابه والعود الى قتال الحرشي فجمع اصحابه من نواحي اذربيجان فاجتمع معه عساكر كثيرة وسار الحرشي اليه فالتقيا بارض برزند واقتتل الناس اشدقتال واعظمه فانحاز المسلمون يسيرا فحضرهم الحرشي فأمرهم بالصبر فعادوا الى القتال وصدقوهم الحملة واستغاث من مع الخزر من الاسارى ونادوا بالتكبير والتهليل والدعاء فعندها حرض المسلمون بعضهم بعضا ولم يبق احدا لاوبكى رحمة للاسرى واشتدت نكايتهم في العدو فولوا الادبار منهزمين

الخفاجي في كتابه الريحانة آخر ترجمة مولانا الشريف حسن بن أبي نمي وقدكان انتهاء صعود الشرف بالحجاز بالشريف حسن وفي المغرب بمولاي أحمد وفي الروم بالسلطان مراد ونحن الآن لاندري مايريد ومايراد فقدذهب سليمان وانحلت الشياطين ووقف الرجاء على شفاجرف هار بين قوم مجانين فالجواددون الحمار المصري وأبوجهل يعظ الحسن البصري اه وارخ بعضهم وفاة مولانا الشريف حسن بقوله من قصيدة

فنظمت تاريخ الوفاة
جوا هرا * في سلك بيت
صغته بنضار * حسن عفاعنه
العزيز بطوله * وأحله
اوج الجناب البارى

(ولاية الشريف أبي طالب بن حسن بن أبي نمي)

ولماتوفي مولانا الشريف حسن تولى امارة مكة ابنه مولانا الشريف أبو طالب قال في خلاصة الاثر كان من أمره انه لما كبر أبوه فوض أولا نيابة الامارة لابنه الشريف حسين فلم يطل أمره فيها فمات فولاها شقيقه الشريف مسعودا وكان موصوفا بالشجاعة والقوة لكنه لم يسلك

بكامرضيا فتوفي وهو شاب فآلت الى أبي طالب صاحب الترجمة وكان ذافكر صائب وشجاعة عظيمة وفضيلة باهرة وبعد ما

وتبعهم المسلمون حتى بلغوا بهم نهر أرس وعادوا عنهم وحووا ما في عساكرهم من الاموال والغنائم وأطلقوا الاسرى والسبايا وحملوا الجميع الى باجروان ثم ان ابن ملك الخزر جمع من لحق به من عساكره وعاد بهم نحو الحرشي فنزل على نهر البيلقان وبلغ الخبر الحرشي فسار نحوه في عساكر المسلمين فوافاهم وهم على نهر البيلقان فالتقوا هناك فصاح الحرشي بالناس فحملوا حملة صادقة ضعضعوا صفوف الخزر وتابع الحملات وصبر الخزر صبرا عظيما ثم كانت الهزيمة عليهم فولوا الادبار منهزمين وكان من غرق منهم في النهر اكثر ممن قتل وجمع الحرشي الغنائم وعاد الى باجروان فقسمها وارسل الخمس الى هشام بن عبد الملك وعرفه ما فتح الله على المسلمين فكتب اليه هشام يشكره واقام بباجروان فأتاه كتاب هشام يأمره بالمسير اليه واستعمل اخاه مسلمة بن عبد الملك على ارمينية واذربيجان فوصل الى البلاد وسار الى الترك في شتاء شديد حتى جاز البلاد في آثارهم وفي سنة ثلاث عشرة ومائة فرق مسلمة الجيوش ببلاد خاقان ففتحت مداين وحصون على يديه وقتل منهم واسر وسبي واحرق ودان له من وراء جبال بلنجر وقتل ابن خاقان فاجتمعت تلك الامم جميعها الخزر وغيرهم عليه في جمع لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقد جاز مسلمة بلنجر فلما بلغه خبرهم امر اصحابه فأوقدوا النيران ثم ترك خيامهم واثقالهم وعاد هو وعسكره جريدة وقدم الضعفاء وأخر الشجعان وطووا المراحل كل مرحلتين في مرحلة حتى وصل الى الباب والابواب في آخر رمق فعزله هشام وولى ارمينية واذربيجان مروان بن محمد وسيأتي الكلام ان شاء الله على غزواته وما فتحه وانما تابعنا الكلام الى سنة ثلاث عشرة لارتباط بعضه ببعض ولنرجع الى اتمام الكلام على الفتوحات الحاصلة في غير اذربيجان وارمينية من سنة خمس الى سنة ثلاث عشرة فنقول كان في سنة خمس غزوة لسعيد بن عبد الملك بارض الروم فبعث سرية في نحو الف مقاتل فأصيبوا جميعا وفي سنة ١٠٤ استعمل مسلم بن سعيد الكلابي امير بخراسان بعد عزل الحرشي عنها فغزا الترك بما وراء النهر سنة ١٠٥ فلم يفتح شيأ وقفل فتبعه الترك فلحقوه والناس يعبرون جيحون فوقف على الساقة عبيد الله بن زهير ومعه خيل بني تميم حتى عبر الناس سالمين وغزا مسلم أيضا تلك السنة فشين فصالح أهلها على ستة آلاف رأس ودفع اليه القلعة وفي سنة خمس أيضا غزا مروان بن محمد الصائفة اليمنى فافتتح قونيه من أرض الروم وكمخ

﴿ ذكر غزو مسلم بن سعيد الكلابي الترك ﴾

في سنة ست ومائة قطع مسلم النهر ولحق به من لحق من اصحابه فلما بلغ بخارا أتاه كتاب خالد ابن عبيدالله القسري يخبره بولايته العراق ويأمره باتمام غزاته فسار الى فرغانة فلما وصلها بلغه ان خاقان قد أقبل عليه وانه في موضع ذكروه فارتحل فسار ثلاث مراحل في يوم وأقبل اليهم خاقان فلقي طائفة من المسلمين واصاب دواب لمسلم وقتل جماعة من المسلمين ثم اطاف خاقان بالعسكر وثار الناس في وجوههم فأخرجوهم من العسكر فرحل مسلم بالناس فسار ثمانية ايام والترك يحيطون بهم واصاب الناس عطش واحرق الناس ما ثقل من الامتعة فحرق ما قيمته الف الف وأتوا خجندة فأصابتهم مجاعة ولما أراد عبور النهر والترك محيطون به أمر

حكم بالنيابة عن أبيه مدة أمر أبوه أمراء الحاج ان يلبسوه الخلعة الكبرى وألبسوا ولده عبد المطلب الخلعة الثانية فألبساهما ثم جهز من أتباعه الامير بهرام بهدية سنية الى الابواب السلطانية في هذا الخصوص والتمس من السلطان محمد بن السلطان مراد تقريرا بذلك فاجيب الى ملتمسه ورجع بهرام بالتقرير وصورة منشور مطولة مذكورة في ريحانة الخفاجي

(ما كتب في منشور الشريف أبي طالب)

ومن جملة ما في ذلك المنشور ثم ليعلم كل من كحل بصره بالاثمد منشورنا الكريم وشنف مسامعه بلآلي لفظه العظيم ممن في دائرة تلك الديار وهالة تلك الاقطار وانتظم في سلك سكان القرى والامصار من السادات الكرام والقضاة والحكام وولاة الامور من الاعيان والوافدين على تلك الديار والسكان ان امارة تلك المعاهد وما فيها من العساكر وما احاطت به من الاصاغر والاكابر وسائر الوظائف والمناصب والجهات والمراتب مفوضة الى السيد السند الشريف أبي طالب ناظرا بعين الانصاف مجتنبا سبيل الاعتساف وبصرف المستحقين بحسن التصريف وبصرف من لا يستحق برايه الشريف أغناه مقام

مسلم الناس ان يحترطوا سيوفهم ويحملوا ففعلوا وصارت الدنيا كلها سيوفا فأفرجوا لهم فعبروا ثم وافاه كتاب خالد بن عبد الله بعزله وولاية اخى خالد وهو اسد بن عبد الله القسرى وفى سنة سبع ومائة ملك الجنيد بن عبد الرحمن بعض بلاد السند وقتل صاحبه جيشبة وتقدم تفصيل ذلك

﴿ ذكر غزوة بالاندلس ﴾

فى سنة سبع ومائة غزا عنبسة بن شحيم الكلبى عامل الاندلس لهشام بن عبد الملك بلد الفرنج فى جمع كثير ونازل مدينة قرقونه وحصر أهلها فصالحوه على نصف اعمالها وعلى جميع ما فى المدينة من اسرى المسلمين واسلابهم وان يعطوا الجزية ويلتزموا باحكام الذمة من محاربة من حاربه المسلمون ومسالة من سالموه فعاد عنهم عنبسة

﴿ ذكر غزوة الغور ﴾

فى هذه السنة غزا اسد بن عبد الله الغور وهو جبال هراة فعمد أهلها الى اثقالهم فصيروها فى كهف ليس اليه طريق فامر اسد باتخاذ توابيت ووضع فيها الرجال ودلاها بسلاسل فوصلوا الى الكهف فاستخرجوا ماقدروا عليه

﴿ ذكر غزوة الختل والغور ﴾

فى سنة ثمان ومائة قطع اسد النهر وأتاه قاخان فلم يكن بينهما قتال وقيل عاد مهزوما من الختل واظهر انه يريد يشتو بسرخ دره فامر الناس فارتحلوا ووجه راياته وسار فى ليلة مظلمة الى سرخ دره فكبر الناس فقال مالهم فقالوا هذه علامتهم اذا قفلوا فقال للمنادى ناد ان الامير يريد الغوريين فمضى اليهم فقاتلوهم يوما وصبروا لهم ثم عادوا من الغد فاقتتلوا وانهزم المشركون وحوى المسلمون عسكرهم وظهروا على البلاد واسروا وسبوا وغنموا ورجعوا وفى هذه السنة غزا مسلمة ابن عبد الملك الروم مما يلى الجزيرة ففتح قيسارية وهى مدينة مشهورة وفيها ايضا غزا ابراهيم بن هشام ففتح حصنا من حصون الروم وفيها ايضا سار ابن خاقان ملك الترك الى اذربيجان فحصر بعض مدنها فسار اليه الحارث بن عمرو الطائى فالتقوا فاقتتلوا فانهزم الترك وتبعهم الحارث حتى عبر نهر ارس فعاد اليه ابن خاقان فعاود الحرب أيضا فانهزم ابن خاقان وقتل من الترك خلق كثير وفى سنة تسع ومائة فصل هشام بن عبد الملك ولاية خراسان عن ولاية العراق وعزل اسدا عن خراسان واستعمل على خراسان اشرس بن عبد الله السلمى وله وقائع مع أهل سمرقند ستأتى وفى هذه السنة غزا عبد الله بن عقبة الفهرى فى البحر وغزا معاوية بن هشام ارض الروم ففتح حصنا يقال له طيبة وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية اذربيجان وتقدم ذكر ذلك وفى هذه السنة ايضا غزا بشر بن صفوان عامل افريقية جزيرة صقلية فغنم شيأ كثيرا ثم رجع الى القيروان

﴿ ذكر ماجرى لاشرس بن عبد الله السلمى مع أهل سمرقند وغيرها ﴾

سنة عشر ومائة ارسل اشرس جماعة الى سمرقند وغيرها مما وراء النهر يدعوهم الى

كافية من منطوق ومفهوم فليتحقق من وقف على هذا الخطاب ومن عنده علم الكتاب من أهل مكة ومن فى جوارها وطيبة الطيبة وسائر اقطارها وبقية الثغور الباسمة لدولتنا بمباسم السرور من حاضرها وباديها انا أعطينا القوس باريها فلم تك تصلح الاله ولم يك يصلح الا لها سدد الله سهام رأيه فى اغراض الصواب وفتح له بمفاتح لسر كل مغلق من الابواب ماسقطت من أكف الثريا الخواتم ورقت على منابر الاغصان خطب الحمائم والسلام

(وفاة الشريف عبد المطلب بن حسن سنة ١٠١٠)

وفى سنة وفاة الشريف حسن توفى ابنه الشريف عبد المطلب وكانت ولادة الشريف أبى طالب سنة تسعمائة وخمس أو ست وستين واستقل بالملك بعد وفاة أبيه من غير شريك فيه وهنأه الله بما صار اليه وأصلح الله به أمور البلاد والعباد وقام باعباء الملك وأظهر السطوة وقهر أهل العناد فهابته النفوس وانصف فى احكامه

السيرة المرضية وكان حسن الهيئة شديد الهيبة فاذا حضر الناس مجلسه سكتوا لهابته وكانت تخافه البوادى

الاسلام على ان توضع عنهم الجزية فدعوهم لذلك فأسلموا فجاء الخبر الى اشرس بأن الخراج قد انكسر فكتب اشرس الى العامل بلغني انهم لم يسلموا رغبة وانما أسلموا نفورا من الجزية فانظروا من اختتن وأقام الفرائض وقرأ سورا من القرآن فارفعوا الجزية عنه وعزل ذلك العامل وولى ابن هانى فكتب لاشرس انهم اسلموا وبنوا المساجد فكتب اليه اشرس ان يعيد الجزية على من كانت عليه ولو أسلم فاعتزلوا في سبعة آلاف على فراسخ من سمرقند وامتنعوا وارادوا القتال فكتب اشرس بوضع الخراج عنهم فرجعوا وضعف امرهم ثم تتبعوا وحبسوا واقيمت عليهم العقوبات وخرقت ثيابهم والقيت مناطقهم في اعناقهم واخذت الجزية ممن أسلم فكفرت الصغد وبخارى واستجاشوا بالترك فخرج اشرس غازيا فنزل آمل واقام شهرا وقدم قطن بن قتيبة بن مسلم في عشرة آلاف فعبر النهر ولقي الترك وأهل الصغد وبخارى ومعهم خاقان فحصروا قطنا في خندقه واغار الترك على سرح المسلمين فبعث اشرس خيلا استنقذت من ايدي الترك ما اخذوه ثم عبر اشرس النهر بالناس ولحق بقطن ولقيهم العدو فانهزموا امامهم وسار اشرس بالناس حتى جاء بيكند فحصرها المسلمون فقطع اهل البلد عنهم الماء واصابهم العطش فرحلوا قاصدين البلد فاعترضهم دونها العدو فقاتلوهم قتالا شديدا حتى أزالوا الترك عن الماء وحمل قطن بن قتيبة في جماعة تعاقدوا على الموت فانهزم العدو واتبعهم المسلمون يقتلونهم الى الليل ثم رجع اشرس الى بخارى وجهز عليها عسكرا يحاصرونها ثم حاصر خاقان مدينة كرجه من خراسان وبها جمع من المسلمين فاغلقوا الباب وقطعوا القنطرة التي على الخندق ليمنعوا الكفار من الدخول اليهم ثم أمر خاقان بقطع الخندق فجعلوا يلقون فيه الحطب الرطب ليعبروا عليه وجعل المسلمون يلقون حطبا يابسا على الحطب الرطب حتى سوى الخندق فأشعلوا فيه النيران وهاجت ريح شديدة صنعا من الله فاحترق الحطب في ساعة واحدة وكانوا جمعوه في سبعة أيام ثم فرق خاقان على الترك اغناما وأمرهم ان يأكلوا لحمها ويحشوا جلودها ترابا ويكبسوا خندقها ففعلوا ذلك فأرسل الله سحابة فأمطرت مطرا شديدا فاحتمل السيل ما في الخندق والقاه في النهر الاعظم ورماهم المسلمون بالسهام فأصابت بازغري نشابة في سرته فمات من ليلته وكان داهية وكان خاقان لا يخالفه فدخل عليهم بموته أمر عظيم فلما امتد النهار جاؤا بالاسرى الذين عندهم وهم مائة فقتلوهم وكان عند المسلمين مائتان من اولاد المشركين رهائن فقتلوهم واستماتوا واشتد القتال ولم يزل أهل كرجه كذلك حتى اقبلت جنود العرب فنزلت فرغانة فعير خاقان قومه في طول المدة وعدم الفتح قال زعمتم انها تفتح في خمسة أيام فصارت الخمسة شهرين وأمرهم بالرحيل وشتمهم فقالوا امهلنا الى غد وانظر ما نصنع فلما كان الغد وقف خاقان وتقدم ملك الطار بند فقاتل المسلمين وقتل منهم ثمانية وجاء حتى وقف على ثلمة الى جنب بيت فيه مريض من تميم فرماه التميمي بكلوب فتعلق بدرعه ثم نادى النساء والصبيان فجذبوه فسقط لوجهه ورماه رجل بحجر فأصاب اصل اذنه فصرع وطعنه آخر فقتله فاشتد قتله على الترك وأرسل خاقان الى المسلمين انه ليس من رأينا ان نرحل عن مدينة نحاصرها دون افتتاحها فارحلوا انتم عنا فقالوا له ليس من ديننا ان نعطي بايدينا حتى نقتل فاصنعوا ما بدا لكم فاعطاهم

(الترك)

وأهل النوادي وكان سخيا ندي الكف (ومما يحكى) من كرمه انه زار النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يلي أمر مكة فلما أمسى نزل في واد هناك هو ومن معه فأضافه رجل من أهل الوادي يقال له السوداني فذبح الذبائح ومد الموائد وقدمها ثم بلغه أن الشريف أباطالب لم يأكل من ذلك الطعام ولم يحضره لشغل عرض له فعمد السوداني الى أربع أو خمس دجاجات فذبحهن وطبخهن وقدمهن على كيلتين من العيش في زبدية كبيرة من الصيني وجاء بها اليه وقال له ياسيدي هذا عشاء عبدك اجبر خاطره جبر الله خاطرك فغسل الشريف يده وأكل من تلك الزبدية لقيمات ودعا له فلما استقل بالولاية وفد عليه السوداني بعد سنة فقال له الشريف الزبدية التي تعشينا فيها عندك فقال نعم فقال املأها له ذهبا وله كثير من هذا القبيل ولاهل عصره فيه مدائح كثيرة ولما توفي أبوه أمر بالقبض على عبد الرحمن بن عتيق وكان وزيرا لابيه الشريف حسن وكان ظالما جبارا عنيدا صدرت منه مظالم كثيرة تتعلق بدماء الناس وأموالهم وكان غالبا على الشريف حسن متوليا عليه لايسمع فيه شكية شاك حتى كان الناس يقولون ليس في دولة الشريف حسن مايشينها

الترك الامان على ان يرحل خاقان عنهم ويرحلوا هم ... الى سمرقند أو الدبوسية فرأى أهل كرجة ماهم فيه من الحصار فأجابوا الى ذلك فأ... وا من الترك رهائن ان لا يعرضوا لهم وطلبوا ان كورصول التركي يكون معهم في جماعة ليمنعهم الى الدبوسية فسلموا اليهم الرهائن وأخذوا هم أيضا من المسلمين رهائن وارتحل خاقان عنهم ثم رحلوا هم بعـده فقال الاتراك الذين مع كورصول ان بالدبوسية عشرة آلاف مقاتل ولا نأمن ان يخرجوا علينا فقال لهم المسلمون ان قاتلوكم قاتلناهم معكم فساروا فلما صار بينهم وبين الدبوسية فرسخ نظر أهلها الى الفرسان فظنوا ان كرجة فتحت وان خاقان قد قصدهم فتأهبوا للحرب فأرسل المسلمون اليهم يخبرونهم خبرهم فلقوهم وحملوا من كان يضعف عن المشي ومن كان مجروحا فلما بلغ المسلمون الدبوسية أرسلوا الى من عنده الرهائن يعلمونه بوصولهم ويأمرونه باطلاقهم فجعلت العرب تطلق رجلا من الرهن والترك رجلا حتى بقي سباع بن النعمان مع الترك ورجل من الترك عند العرب وجعل كل فريق يخاف من صاحبـه الغدر فقال سباع خلوا رهينة الترك فخلوه وبقي سباع مع الترك فقال له كورصول ما حملك على هذا قال وثقت بك وقلت ترفع نفسك عن الغدر فوصله كورصول واعطاه سلاحه وبرذونا وأطلقه وكان مدة حصار كرجة ثمانية وخمسين يوما فيقال انهم لم يسقوا ابلهم خمسة وثلاثين يوما وفي هذه السنة ارتد أهل كردر فأرسل اليهم اشرس جندا فظفروا بهم وفي هذه السنة غزا معاوية بن هشام الروم ففتح صملة وغزا الصائفة عبدالله بن عقبة الفهري وفيها مات الحسن البصري وعمره سبـع وثمانون سنة وفيهـا أيضا مات محمد بن سيرين وعمره احدى وثمـانون سنة

﴿ ذكر غزو ماوراء النهر ﴾

في سنة احدى عشرة ومائة عزل هشام بن عبدالملك أشرس بن عبدالله عن خراسان واستعمل عليها الجنيد بن عبدالرحـمن المري الغطفاني القيسي فلما قدم خراسان سار الى ماوراء النهر وأرسل الجنيد الى أشرس وهو يقاتل اهل بخارى والصغد ان أمدني بخيل وخاف ان يقتطع دونه فوجه اليه اشرس عامر بن مالك الحماني في جماعة فلما كان عامر ببعض الطريق عرض له الترك والصغد فدخل حائطا حصينا وقاتلهم على الثلمة وكان ممن معه واصل بن عمرو القيسي عاصم بن عمر السمرقندي فاستداروا مع جماعة من القوم حتى صاروا من وراء الماء الذي هناك جمعوا قصبا وخشبا وعبروا عليه فلم يشعر خاقان الا والتكبير من خلفه وحمل المسلمـون على الترك فقاتلوهم وقتلوا عظيما من عظمائهـم وانهزم الترك وسار عامر الى الجنيـد فلقيـه أقبل معه فلما انتهى الى فرسخين من بيكند تلقته خيل الترك فقاتلهم فكاد الجنيد يهلك ومن معه ثم أظهره الله وسار حتى قدم العسكر فظفر الجنيد وقتل الترك وزحف اليه خاقان فالتقوا دون زرمان من بلاد سمرقند واسر الجنيد من الترك ابن اخي خاقان فبعث به الى هشـام ورجع الجنيد الى مرو وقد ظفر وفي هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزا سعيد بن ... الصائفة اليمنى حتى أتى قيسارية وغزا في البحر عبدالله بن أبي كريم وفي سنة ثنتي عشرة كان دخول الجراح بن عبدالله الحكمي بلاد الخزر وقتله وتقدم الكلام على ذلك مستوفى

عـلى ابن عتيق وحبسه وأراد ان يحقق مظالمـه فيردها الى اهلها فأيس ابن عتيق من الخلاص فقتل نفسه وذلك في جمادى الآخرة سنة الف وعشر وأرخ الادباء ذلك بقوله

أشقى النفوس الباغية
ابن عتيق الطاغيـه
نارا الجحيم استعوذت
منه وقالت ماليـه
لما أتى نار بخه*أجب لظى
والهـاويه*

ولم يزل الشريف أبو طالب في أعلى درجات الحبور مالكا لازمة الامور والعلماء عاكفة على أبوابه والشعراء ناظمة محاسـن صفاته في أحاسن ألقابه

(وفاة الشريف ابي طالب سنة ١٠١٢)

الى ان توفي راجعا من بعض غزواته بمحـل يقـال له العش من نواحي بيته في العشر من جمادى الآخرة سنة ألف واثني عشرة فغسـل هنـاك وكفـن وقصد به مكة ولم يأت معه من السادة الاشراف غير السيد ابراهيم بن بركات وصلى عليه يوم الاربعاء ضحى ثاني عشر جمادى الآخرة ودفـن بالمعـلى وبنى عليه قبـة فـكانت

 ولايتـه سنتين وأربعـة عشر يوما وعمره سبع وأربعون سنة وهو يزار

(ولاية الشريف ادريس بن حسن)
فولي مكة بعده أخوه مولانا الشريف ادريس بن الحسن بن أبي نمي ومولده سنة تسعمائة وأربع وسبعين وكانت ولايته باجماع من السادة الاشراف وأشركوا معه اخاه السيد فهيد بن حسن وابن أخيه الشريف محسن بن الحسين بن الحسن وأرسلوا قاصدا الى الروم بما وقع عليه الاتفاق فقوبل بالاجلال والاكرام من مولانا السلطان أحمد وبعث اليه بخلعة الاستمرار وقرئ توقيعه بالحطيم حادي عشر صفر سنة ألف وثلاث عشرة قال في خلاصة الاثر في ترجمة الشريف ادريس وكان من أجل الناس من سراة الاشراف تهابه الملوك والاشراف شجاعا حسن الاخلاق وكان يكنى أباعون وكان له من العبيد المولدين والرقيق الجلب مايزيد على أربعمائة ومن المقاديم من العرب جماعة كثيرون واستمر أخوه الشريف فهيد وابن أخيه الشريف محسن مشاركين له في الربع في جميع اقطار الحجاز الداخلة تحت حكم صاحب مكة فكثرت اتباع فهيد من الاشراف وغيرهم بحيث صار موكبه بعضا هي (عقالة)

﴿ ذكر وقعة الجنيد بن عبد الرحمن المري بالشعب ﴾

في سنة ثنتي عشرة ومائة خرج الجنيد من مرو غازيا طخارستان فوجه عمارة بن حريم الى طخارستان في ثمانية عشر الفا ووجه ابراهيم بن بسام الليثي في عشرة آلاف الى وجه آخر وجاشت الترك فأتوا سمرقند وعليها سورة بن الحر فكتب سورة الى الجنيد ان خاقان جاش الترك فخرجت اليهم فلم اطق ان أمنع حائط سمرقند فالغوث الغوث فأمر الجنيد الناس بعبور النهر فقال له جماعة من جنده ان الترك ليسوا كغيرهم لايلقونك صفا ولا زحفا وقد فرقت كثيرا من الجند ولا يعبر النهر في أقل من خمسين الفا فاكتب الى عمارة فليأتك وامهل ولا تعجل قال فكيف بسورة ومن معه من المسلمين لو لم اكن الا في بني مرة أو من طلع معي من الشام لعبرت ثم عبر الجنيد بمن كان حاضرا فنزل كش وتأهب للمسير وبلغ الترك مسيره فغوروا الآبار التي في طريق كش فقال الجنيد اي طريق الى سمرقند اصلح فقالوا طريق المحترقة فقال المجشر بن مزاحم السلمي القتل بالسيف اصلح من القتل بالنار طريق المحترقة كثير الشجر والحشيش ولم يزرع منذ سنين فان لقينا خاقان أحرق ذلك كله فقتلنا بالنار والدخان ولكن خذ طريق العقبة فهو بيننا وبينهم سواء فأخذ الجنيد طريق العقبة فارتقى في الجبل فأخذ المجشر بعنان دابته وقال انه كان يقال ان رجلا مترفا من قيس يهلك على يديه جند من جنود خراسان وقد خفنا ان تكونه فقال ليفرخ روعك قال أما ما كان بيننا مثلك فلا فبات في أصل العقبة ثم سار بالناس حتى صار بينه وبين سمرقند اربع فراسخ ودخل الشعب فصبحه خاقان في جمع عظيم وزحف اليه أهل الصغد وفرغانة والشاش وطائفة من الترك فحمل خاقان على المقدمة فرجعوا الى العسكر والترك تتبعهم وجاؤا من كل وجه فرتب الجنيد جيشه وجعل على كل جهة رئيسا مشهورا بالشجاعة وشد نصر بن سيار هو ومن معه على العدو فكشفوهم ثم كروا عليهم وقتل يومئذ من الازد ثمانون رجلا وصبر الناس يقاتلون حتى أعيوا فكانت السيوف لاتقطع شيأ فقطع عبيدهم الخشب يقاتلون به حتى مل الفريقان فكانت المعانقة ثم تحاجزوا فبينا الناس كذلك اذ أقبل رهج وطلعت فرسان فنادى منادي الجنيد الارض الارض فترجل وترجل الناس ثم نادى ليخندق كل قائد على حياله فخندقوا وتحاجزوا وقد اصيب من الازد مائة وتسعون رجلا وكان قتالهم يوم الجمعة فلما كان يوم السبت قصدهم خاقان وقت الظهر فلم يجد موضعا للقتال أسهل من الموضع الذي نزل به قبائل بكر بن وائل فقصدهم فلما اقربوا جالت بكر عليهم فافرجوا لهم وسجد الجنيد واشتد القتال بينهم فلما رأى الجنيد شدة الامر استشار اصحابه فقال له عبد الله بن حبيب اختر اما ان تهلك انت او سورة بن الحر قال هلاك سورة أهون علي قال فاكتب له فليأتك من سمرقند في اهل سمرقند فانه اذا بلغ الترك اقباله توجهوا اليه فكتب اليه الجنيد يأمره بالقدوم فقال لسورة حليس بن غالب الشيباني ان الترك بينك وبين الجنيد فان خرجت كروا عليك فاختطفوك فكتب الى الجنيد اني لااقدر على الخروج فكتب اليه الجنيد يا ابن اللخناء تخرج والاوجهت اليك شداد بن خليد الباهلي وكان عدوه فاخرج والزم الماء ولا تفارقه فأجمع على المسير وقال اذا سرت على النهر لا اصل في يومين وبيني وبين هذا الوجه ليلة فاذا سكنت الرجل سرت فجاءت عيون الاتراك فأخبروهم

بمقالة سورة ورحل سورة واستخلف على سمرقند موسى بن اسود الحنظلي وسار في اثني عشر الفا فأصبح على رأس جبل فتلقاه خاقان حين اصبح وقد سار ثلاثة فراسخ وبينه وبين الجنيد فرسخ فقاتلهم اشد القتال وصبروا فقال غوزك لخاقان اليوم حار فلا تقاتلهم حتى يحمى عليهم السلاح فواقفهم وأشعل النار في الحشيش وحال بينهم وبين الماء فقال سورة لعبادة ماترى يا با سليم فقال ارى ان الترك يريدون الغنيمة فاعقر الدواب واحرق المتاع وجرد السيف فانهم يخلون لنا الطريق وان منعونا شرعنا الرماح وتزحف زحفا وانما هو فرسخ حتى نصل الى العسكر فقال لا اقوى على هذا ولا فلان وفلان وعدد رجالا ولكن اجمع الخيل فأصكهم بها سلمت ام عطبت وجمع الناس وحملوا فانكشفت الترك وثار الغبار فلم يبصروا وكان من وراء الترك لهب فسقطوا فيه وسقط العدو والمسلمون وسقط سورة فاندقت فخذه وتفرق الناس فقتلهم الترك ولم ينج منهم غير ألفين ويقال الف وكان ممن نجى عاصم بن عمير السمرقندي وانحاز المهلب بن زياد العجلي في سبعمائة الى رستاق يسمى المرغاب فنزلوا قصرا هنالك فأتاهم الاشكند صاحب نسف ومعه غوزك فأعطاهم غوزك الامان فقال قريش بن عبد الله العبدي لا تثقوا بهم ولكن اذا جننا الليل خرجنا عليهم حتى نأتي سمرقند فعصوه فنزلوا بالامان فساقهم الى خاقان فقال لا اجير أمان غوزك فقاتلهم الوجف بن خالد ومعه المسلمون فاصيبوا غير سبعة عشر رجلا فقتلوا غير ثلاثة وقتل سورة في اللهب فلما قتل خرج الجنيد من الشعب يريد سمرقند مبادرا فقال له خالد بن عبيد الله سر واسرع فقال له المجشر انزل واخذ بلجام دابته فنزل ونزل الناس معه فلم يستتم نزولهم حتى طلع الترك فقال المجشر له لو لقونا قبل نزولنا ونحن نسير ألم يهلكونا فلما اصبحوا تناهضوا بجال الناس فقال الجنيد ايها الناس انها النار فرجعوا ونادى الجنيد اى عبد قاتل فهو حر فقاتل العبيد قتالا عجب منه الناس فسروا بما رأوا من صبرهم وصبر الناس حتى انهزم العدو ومضوا فقال موسى بن النعر اتفرحون بما رأيتم من العبيدان لكم منهم ليوما اروزبان اى ذا رياسة ومضى الجنيد الى سمرقند فحمل عيال من كان مع سورة الى مرو واقام بالصغد اربعة اشهر ولما انصرف الترك بعث الجنيد بالخبر الى هشام وكتب اليه ان سورة عصاني أمرته بلزوم الماء فلم يفعل فتفرق عنه اصحابه فأتتني طائفة وطائفة الى نسف وطائفة الى سمرقند واصيب سورة في بقية اصحابه فكتب هشام الى الجنيد قد وجهت اليك عشرة آلاف من أهل البصرة وعشرة آلاف من أهل الكوفة ومن السلاح ثلاثين الف رمح ومثلها ترسة ومثلها سيفا فافرض أي ما شئت في العطا فلا غاية لك في الفريضة بخمسة عشر الفا ولما سمع هشام مصاب سورة قال انا لله وانا اليه راجعون مصاب سورة بخراسان ومصاب الجراح بالباب وابلى نصر بن سيار يومئذ بلاء حسنا وارسل الجنيد ليلة بالشعب رجلا وقال له تسمع ما يقول الناس وكيف حالهم ففعل ثم رجع اليه فقال رأيتهم طيبة أنفسهم يتناشدون الاشعار ويقرؤن القرآن فسره ذلك قال عبيد بن حاتم ابن النعمان رأيت فساطيط بين السماء والارض فقلت لمن هذه فقالوا لعبد الله بن بسطام واصحابه فقتلوا في غد فقال رجل مررت في ذلك الموضع بعد ذلك بحين فشممت رائحة المسك وأقام الجنيد بسمرقند وتوجه خاقان الى بخارى وعليها قطن بن قتيبة بن مسلم فخاف الجنيد الترك على قطن بن قتيبة فشاور اصحابه فقال قوم نلزم سمرقند وقال قوم نسير منها

ولم يحفظ اتباعه وعبيده من النهب والسرقة فكثر ضررهم على الناس وعجز عن مداراته الشريف ادريس ولما اشتد أمره اخذ بجانب اكمل الدين القطبي وأراد أن يصيره مفتيا فلم يرض الشريف ادريس ووقع بينهما تنافر بسبب ذلك فأرسل الشريف ادريس لابن أخيه الشريف محسن وكان اذ ذاك باليمن وكان خروجه الى اليمن مغاضبا لعمه الشريف ادريس وكتب اليه أن يأتي بجميع من معه من الاشراف والقواد والعرب فحضر ومعه أمير حلي محمد بن بركات الحرامي ونودي في البلد بأن البلاد لله وللسلطان وللشريف ادريس والشريف محسن وخلع الشريف فهيد من الذكر ومنع من الربع وجعل ما كان له للشريف محسن ولم يخطب له وكان يومئذ في بيته جموع وافرة فاستعد أصحابه للقتال وأشار اليه اعيانهم بالحرب فامتنع من ذلك وطلب من الشريف ادريس مقدار شهر مهلة ليتأهب للخروج من مكة لي حيث أراد فأعطاه ثم خرج مكة سنة تسع عشرة وألف بعد أن طلب من أخيه الشريف ادريس أن يمكنه من سكنى مكة بغير ربع فامتنع فانضم ببعض أكابر الحج المصري وسافر الى مصر ثم توجه الى الديار الرومية واجتمع بالسلطان أحمد فقال انه أنعم عليه بامارة

فنأتي ربنجن ثم كش ثم الى نسف فنتصل منها الى ارض زم ونقطع النهر وننزل آمل فنأخذ عليه بالطريق واستشار عبدالله بن ابى عبدالله مولى بنى سالم واخبره بما قالوا فاشترط عليه ان لايخالفه فيما يشير به عليه من ارتحال ونزول وقتال فقال نعم قال فانى اطلب اليك خصالا قال وماهى قال تخندق حيثما نزلت ولايفوتنك حمل الماء ولوكنت على شاطئ نهر وان تطيعنى فى نزولك وارتحالك قال نعم قال اما ما اشاروا عليك فى مقامك بسمرقند حتى يأتيك الغياث فالغياث يبطئ عنك واما ما اشاروا من طريق كش ونسف فانك ان سرت بالناس من غير الطريق فتت فى اعضادهم وانكسروا عن عدوهم واجترأ عليك خاقان وهو اليوم قد استفتح بخارى فلم يفتحوا له فان اخذت غير الطريق بلغ أهل بخارى ما فعلت فيستسلموا لعدوهم وان اخذت الطريق الاعظم هابك العدو والرأى عندى أن تأخذ عيال من قتل مع سورة فتقسمهم على عشائرهم وتحملهم معك فانى ارجو بذلك أن ينصرك الله على عدوك وتعطى كل رجل تخلف بسمرقند الف درهم وفرسا فأخذ برأيه وخلف بسمرقند عثمان بن ابى عبدالله بن الشخير فى اربعمائة فارس واربع مائة راجل فشتم الناس عبدالله بن ابى عبدالله وقالوا ما أراد الا هلاكنا فخرج الجنيد وحمل العيال معه وسرح الاشهب بن عبيد الحنظلى ومعه عشرة من الطلائع وقال كلما مضت مرحلة تسرح الى رجلا يعلمنى الخبر وسار الجنيد فأسرع السير فقال له عطاء الدبوسى انظر اضعف شيخ فى العسكر فسلحه سلاحا تاما بسيفه ورمحه وترسه وجعبته ثم سر على قدر مشيه فانا لانقدر على سرعة المسير والقتال ففعل الجنيد ذلك ولم يعرض للناس عارض حتى خرجوا من الاماكن المخوفة ودنا من الطواويس واقبل اليه خاقان بكرمينية اول يوم من رمضان واقتتلوا فأتاه عبدالله بن ابى عبدالله وهو يضحك فقال الجنيد ليس هذا يوم ضحك قال الحمد لله اذ لم يلقك هؤلاء فى جبال معطشة وعلى ظهر انما اتوك وانت مخندق آخر النهار كالين وانت معك الزاد فقاتلوا قليلا ثم رجعوا ثم قال للجنيد ارتحل فان خاقان ود أنك تقيم فينطوى عليك اذا شاء فسار وعبدالله على الساقة ثم أمره بالنزول فنزل واستقى الناس وباتوا فلما أصبحوا ارتحلوا فقال عبدالله اتوقع ان خاقان يصدم الساقة اليوم فشدوها بالرجال فقواهم الجنيد وجاءت الترك فمالت على الساقة فاقتتلوا واشتد القتال بينهم وقتل مسلم بن احوز عظيما من عظماء الترك فتطيروا من ذلك وانصرفوا من الطواويس وسار المسلمون فدخلوا بخارى يوم المهرجان فتلقوهم بالدراهم البخارية فأعطاهم عشرة عشرة قال عبدالمؤمن بن خالد رأيت عبدالله بن أبى عبدالله فى المنام بعد موته فقال حدث الناس عنى برأيى يوم الشعب وكان الجنيد يذكر خالد ابن عبدالله فيقول زبدة من الزبد صنبور من صنبور قل من قل هيفة من الهيف والهيفة الضبع والقل الفرد والصنبور الذى لااخ له وقدمت الجنود من الكوفة والبصرة على الجنيد فسرح معهم حوثرة بن زيد العنبرى فيمن انتدب معه وبقى الجنيد فى ولايته الى سنة ست عشرة ومائة كما سيأتى وفى هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خرشنة وفى سنة ثلاث عشرة ومائة غزا عبدالله البطال ارض الروم ومعه عبدالوهاب ابن بخت فانهزم الناس عن البطال فحمل عبدالوهاب وهو يقول مارأيت فرسا جبن منك

مكة فعاجلته المنية ومات هناك فى سنة عشرين بعد الالف وقيل فى تاريخ موته *مات بالروم نهيد ابن الحسن واستمر الشريف محسن مشاركا لعمه الشريف ادريس على صدق الكلمة والنصح والمساعدة فى الاحوال المهمة ونافره بنو أخيه عبدالمطلب ابن حسن لامر فقام الشريف محسن فى موافقتهم له فتم ذلك ودخلوا فى الطاعة وطابت نفوسهم

* (دخول الشريف ادريس وابن أخيه الشريف محسن أقصى الشرق) *

وتوغل الشريف ادريس والشريف محسن فى الشرق ووصلا الى قرب الاحساء واجتمعوا هناك بذوى عبدالمطلب حين كانوا مغاضبيه واصطلحوا ثم وصلوا الى الاحساء وضربت خيامهم قبالة الباب القبلى من سور الاحساء وأكرمهما صاحبها على باشا وأمرهما بالدخول والاقامة عنده فامتنعوا وأقاموا نحو ثمانية أيام ورجعوا ولم يتفق لاحد من أشراف مكة المتولين من القتاديين دخول الاحساء كما اتفق لهذين الشريفين ثم وقع بين الشريفين ادريس ومحسن تنافر بسبب خدام الشريف ادريس وتجاوزهم فى التعدى وعمت البلوى بما يصدر منهم من الامور

(وسفك)

وسفك الله دمي ان لم اسفك دمك ثم القى بيضته عن رأسه وصاح انا عبد الوهاب بن بخت أمن الجنة تفرون ثم تقدم في نحر العدو فمر برجل يقول واعطشاه فقال تقدم الرى امامك فخالط القوم فقتل وقتل فرسه وفي هذه السنة ايضا فرق مسلمة بن عبد الملك الجيوش ببلاد خاقان ففتحت مداين وحصون على يديه وقتل منهم وأسر وسبي واحرق ودان له من كانوا وراء جبال بلنجر وقتل بن خاقان فاجتمعت تلك الامم جميعها الخزر وغيرهم على خاقان في جمع لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقد جاز مسلمة بلنجر فلما بلغه خبرهم امر اصحابه فاوقدوا النيران ثم ترك خيامهم واثقالهم وعاد هو وعسكره جريدة وقدم الضعفاء وأخر الشجعان وطوى المراحل كل مرحلتين في مرحلة حتى وصل الى الباب والابواب في آخر رمق وقد تقدم ذكر ذلك واعيدها هنا ليرتبط الكلام بعضه

﴿ ذكر قتل عبد الرحمن الغافقي امير الاندلس ﴾

وفي سنة ثلاث عشرة ايضا كان غزو من المسلمين الذين بافريقية على بلاد افرنجه وذلك ان هشام بن عبد الملك كان قد استعمل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي على افريقية والاندلس فاستعمل عبيدة على الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي فغزا افرنجه واوغل في ارضهم وغنم غنائم كثيرة وكان فيما اصاب صورة رجل بكسر الراء وسكون الجيم من ذهب مفصصة بالدر والياقوت والزمرد فكسرها وقسمها في الناس فبلغ ذلك عبيدة فغضب غضبا شديدا وكتب اليه يتهدده فأجابه عبد الرحمن وكان رجلا صالحا اما بعد فأن السموات والارض لو كانتا رتقا لجعل الله للمتقين منها مخرجا يعني فان الله قادر أن ينجيني مما تتهددني به ثم خرج غازيا مرة ثانية بلاد الفرنج فقتل هو ومن معه شهداء

﴿ ذكر ولاية مروان بن محمد ارمينية واذربيجان بعد انقضاء غزو مسلمة بن عبد الملك ﴾

في سنة اربع عشرة ومائة استعمل هشام بن عبد الملك مروان بن محمد بن مروان وهو ابن عمه على الجزيرة واذربيجان وارمينية وكان سبب ذلك انه كان في عسكر مسلمة بارمينية حين غزا الخزر فلما عاد مسلمة سار مروان الى هشام فلم يشعر به حتى دخل عليه فسأله عن سبب قدومه فقال ضقت ذرعا بما اذكره ولم ار من يحمله غيري قال وما هو قال مروان قد كان من دخول الخزر الى بلاد الاسلام وقتل الجراح وغيره من المسلمين ما دخل به الوهن على المسلمين ثم رأى امير المؤمنين انه يوجه اخاه مسلمة بن عبد الملك اليهم فوالله ما وطئ من بلادهم الا أدناها ثم انه لما رأى كثرة جمعهم أعجبه ذلك فكتب الى الخزر يؤذنهم بالحرب واقام بعد ذلك ثلاثة اشهر فاستعد القوم وحشدوا فلما دخل بلادهم لم يكن له فيهم نكاية وكان قصاراه السلامة وقد أردت ان تأذن لي في غزوة اذهب بها عنا العار وأنتقم من العدو قال قد أذنت لك قال وتمدني بمائة وعشرين الف مقاتل قال قد فعلت قال وتكتم هذا الامر عن كل واحد قال قد فعلت وقد استعملتك على ارمينية فودعه وسار الى ارمينية واليا عليها وسير هشام الجنود من الشام والعراق والجزيرة فاجتمع عنده من الجنود والمتطوعة مائة وعشرون الفا فأظهر انه

المشتملة على التلبيس خصوصا من وزيره أحمد بن يونس وكان الشريف ادريس متغافلا عما يصنعونه ولم يلق سمعه لى ما ينهى اليه من ظلمهم ولا ينصف أحدا من شكاياتهم وراجعه الشريف محسن في شأنهم مرارا وردد القول عليه فكانت الشكوى الى غير منصف فرأى الشريف محسن وخامة عواقب الحال فعند ذلك اجتمع أهل الحل والعقد من بني عمه السادة الاشراف والعلماء والفقهاء والاعيان ورفعوا الشريف ادريس عن ولاية الحجاز

(استقلال الشريف محسن بولاية الحجاز)

وفوضوا الامر الى الشريف محسن وكان ذلك في سنة أربع وثلاثين وألف ولما أشيع بمكة ان السادة الاشراف نيتهم اقامة الشريف محسن مستقلا بالامر حصل اضطراب عظيم في البلد وحركة عظيمة وقسمت آلات الحرب من الجانبين وكان ذلك يوم الاربعاء ثالث المحرم سنة أربع وثلاثين وألف فلما كان يوم الخميس ألبس كل منهما آلة الحرب لمن معه من العساكر والجنود ووقف كل منهما عند باب داره فبرز من جماعة الشريف بن شرذمة من جانب مقعد السيد بشير بنية عقد النداء في البلد للشريف محسن استقلالا فقبل وصولهم المقعد رمتهم

يريد غزو اللان وقصد بلادهم وارسل الى ملك الخزر يطلب منه المهادنة فأجابه الى ذلك وارسل اليه ملك الخزر من يقرر الصلح فأمسك الرسول عنده الى ان فرغ من جهازه وما يريد ثم أغلظ لهم القول وآذنهم بالحرب وسير الرسول الى صاحبه بذلك ووكل به من يسيره على طريق فيه بعد وسار هو في أقرب الطريق فوصل الرسول الى صاحبه الا ومروان قد وافاهم فأعلم صاحبه الخبر وأخبره بما قد جمع له مروان وحشد واستعد فاستشار ملك الخزر اصحابه فقالوا ان هذا قد اغترك ودخل بلادك فان أقمت الى ان تجمع جنودك لم يجتمعوا عندك الابعد مدة فيبلغ منك ما يريد وان أنت لقيته على حالك هذه هزمك وظفر بك والرأي ان تتأخر الى اقصى بلادك وتدعه وما يريد فقبل رأيهم وسار حيث أمروه ودخل مروان البلاد وأوغل فيها وأخربها وغنم وسبي وانتهى الى آخرها وأقام فيها عدة أيام حتى أذلهم وانتقم منهم ودخل بلاد ملك السرير فأوقع باهله وفتح قلاعا ودان له الملك وصالحه على الف رأس نصفين خمسمائة غلاما وخمسمائة جارية سود الشعور ومائة الف مد من البر تحمل الى الباب وصالحه اهل قرمان على مائة رأس نصفين وعشرين الف مد من البر ثم دخل ارض زريكران فصالحه ملكها ثم اتى ارض حزين فابى حزين ان يصالحه فحاصرهم فافتتح حصنهم عنوة ثم اتى سغدان فافتتحها صلحا ووظف على طير شانشاه عشرة آلاف مد بر كل سنة تحمل الى الباب ثم نزل على قلعة صاحب اللكز وقد امتنع من أداء الوظيفة فخرج ملك اللكز يريد ملك الخزر فقتله راع بسهم وهو لا يعرفه فصالح اهل اللكز مروان واستعمل عليهم عاملا وسار الى قلعة شروان وهي على البحر فاذعن اهلها بالطاعة وسار الى الدودانية فاوقع بهم ثم عاد وفي هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى فأصاب ربض اقرن وغزا عبد الله البطال الروم والتقى هو وقسطنطين في جمع فهزمهم البطال واسر قسطنطين وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى وبلغ قيسارية وفي سنة خمس عشرة ومائة غزا معاوية بن هشام ارض الروم وغزا عبد الملك بن قطن عامل الاندلس ارض البشكنس فغنموا وعادوا سالما وفي سنة ست عشرة ومائة غزا معاوية بن عبد الملك ارض الروم الصائفة وفيها عزل هشام بن عبد الملك الجنيد بن عبد الرحمن المري عن خراسان واستعمل عليها عاصم بن عبد الله الهلالي وسبب ذلك ان الجنيد تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب فغضب هشام لعداوته ليزيد بن المهلب لانه خلع أخاه يزيد بن عبد الملك كما تقدم فولى عاصما خراسان وكان الجنيد اصابه استسقاء فقال هشام لعاصم ان ادركته وبه رمق فأزهق نفسه فقدم عاصم وقد مات الجنيد وفي هذه السنة استعمل هشام على افريقية عبد الله بن الحبحاب الموصلي فسير جيشا الى صقلية وهي بكسرات مشددة اللام جزيرة بالمغرب فلقيهم مراكب الروم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت الروم وكانوا قد أسروا جماعة من المسلمين منهم عبد الرحمن بن زياد فبقي اسيرا الى سنة احدى وعشرين ومائة وفي سنة ست عشرة ايضا جهز عبد الله بن الحبحاب جيشا مع حبيب بن ابي عبيدة وسيرهم الى ارض السودان فظفر بهم ظفرا لم يظفر احد مثله واصاب ما شاء ثم غزا البحر ثم انصرف سالما وفيها سير ايضا ابن الحبحاب جيشا الى السوس فغنموا وظفروا وعادوا وفي سنة سبع عشرة ومائة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى

الجبالية المجعولون في مدرسة السيد العيدروس بالبندق فقتل من الجماعة المذكورين بالبندق السيد سليمان بن عجلان بن ثقبة والقائد مرجان بن زين العابدين وزير الشريف محسن فرجع الباقون وفي ضحى هذا اليوم ركب الشريف أحمد ابن عبد المطلب بن حسن ومعه خيل والمنادي ينادي بان البلاد للشريف محسن ولم يزل هذا الاضطراب في البلد ذلك اليوم جميعه ومن ألطاف الله تعالى ان الجماعة بالمسجد الحرام قائمة ذلك اليوم والاسواق فاتحة وفيها الاقوات ولم يحصل تغير أبدا فلما كانت ليلة الجمعة خامس المحرم وقع الصلح بينهما على أن يستقل الشريف محسن بالامر ويكون الكف عن المحاربة ستة أشهر منها ثلاثة يكون الشريف ادريس فيها في البلد وثلاثة في البر فاتفق الحال ودعا الخطيب للشريف محسن يوم الجمعة بمفرده ثم خرج ادريس من مكة ليلة المولد وقال في خلاصة الاثر ونقل الثقات انه لما ضويق عليه وأجلبت عليه الاشراف ومن معهم بحيث انه أصيبت جويرية بين يديه بالبندق فسقطت ميتة بين يديه فارتاع لذلك وحزن ووضع منديلا لطيفا على وجهه وبكى لفقد الناصرين قد خلت عليه في تلك الحالة أخته الشريفة زينب بنت

من نحو الجزيرة وفرق سراياه في ارض الروم وفيها بعث مروان بن محمد وهو على ارمينية بعثين وافتتح احدهما حصونا ثلاثة من اللان ونزل الآخر على تومانشاه فنزل أهلها على الصلح وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان واعاد أمر خراسان لوالي العراق خالد بن عبد الله القسري فولى خالد خراسان اخاه اسد بن عبد الله وهذه ولايته الثانية وسيأتي ذكر غزواته وفيها بعث عبيد الله بن الحبحاب حبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع غازيا الى المغرب فبلغ لسوس الاقصى وارض السودان فلم يقاتله احد الا ظفر به واصاب من الغنائم والسبي أمرا عظيما فلمئ أهل المغرب منه رعبا واصاب في السبي جاريتين من البربر ليس لكل واحدة منهما غير ثدي واحد ورجع سالما وسير جيشا في البحر سنة سبع عشرة ومائة أيضا الى جزيرة السردانية وهي جزيرة كبيرة ببحر المغرب ففتحوا منها ونهبوا وغنموا وعادوا وسير جيشا الى صقلية سنة اثنتين وعشرين فلم يلقه احد الا هزمه فظفر ظفرا لم ير مثله حتى نزل على مدينة سرقوسة وهي من اعظم مدن صقلية فقاتلوه فهزمهم وحصرهم فصالحوه على الجزية وفي سنة ثمان عشرة ومائة غزا معاوية وسليمان ابنا هشام بن عبد الملك ارض الروم وفي هذه السنة كانت وفاة معاوية المذكور في حياة والده واعقب أولادا منهم عبد الرحمن الداخل ابن معاوية بن هشام الذي ملك الاندلس ثم أولاده بعده وفي هذه السنة غزا اسد بن عبد الله القسري والي خراسان طخارستان ثم ارض جبوية فغنم وسبى وفيها غزا مروان بن محمد بن مروان ارمينية ودخل ارض ورنيس من ثلاثة ابواب فهرب منه ورنيس الى الخزر ونزل حصنه فحصره مروان ونصب عليه المجانيق فقتل ورنيس قتله بعض من اجتاز به وارسل رأسه الى مروان فنصبه لأهل حصنه فنزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبى الذرية

◈ ذكر مقتل خاقان ◈

لما كانت سنة تسع عشرة ومائة غزا اسد بن عبد الله القسري بلاد الختل ففتح منها قلاعا وامتلأت أيدي العسكر من السبي والشاء ولما بلغ الخبر خاقان جيش جيوشه وقصد أسدا فعبر المسلمون النهر راجعين الى بلادهم فتبعهم خاقان والتقوا بعد عبور النهر واقتتلوا قتالا شديدا وهزموا خاقان ثم مضى أسد الى بلخ وشتى فيها ثم قصدهم خاقان بجيوشه الى بلخ ثم التقوا على فرسخين من الجوزجان فانهزم خاقان ومن معه وتبعهم المسلمون ثلاثة فراسخ وغنموا مائة وخمسين ألفا من الشاء ودوابا كثيرة ورجع اسد الى بلخ ثم وصل خاقان الى بلاده وأخذ في الاستعداد للحرب ولاعب يوما خاقان بالنرد كورصول فغمزه كورصول وتشاجرا فصك كورصول يد خاقان فكسرها فحلف خاقان ليكسرن يده فتنحى وجمع جمعا ثم بيت خاقان فقتله وتفرقت الترك واشتغلت الترك يغير بعضهم على بعض وأرسل أسد مبشرا الى هشام فلما بلغ هشام بن عبد الملك مقتل خاقان سجد شكرا لله ثم غزا اسد الختل مرة ثانية وفرق عسكره في أودية الختل فملؤا أيديهم من الغنائم والسبي وهرب أهله الى الصين وفي سنة تسع عشرة أيضا غزا الوليد بن القعقاع ارض الروم وغزا مروان بن محمد

الى الشريف محسن والاشراف وطلب منهم مهلة شهرين في البلد وأربعة أشهر خارجها ليتأهب للسفر الى حيث شاء فأعطاه الشريف محسن ذلك وشرط عليه أن لا يحدث شيأ من المخالفات فاستقر شهر محرم وصفر فمرض فيه حتى خيف عليه

(وفاة الشريف ادريس سنه ١٠٣٤)

وفي ليلة المولد خرج من مكة فطاف للوداع الا في محفة وخرج وقد أضعفه المرض فتوفي سابع عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة عند جبل شمر ودفن بمحل يسمى ياطب ومن الاتفاق العجيب أن ياطب حسابه بالجمل اثنتان وعشرون سنة وهي مدة ولايته مجبورة فان ولايته احدى وعشرون سنة ونصف وعمره ستون سنة ووصل خبر وفاته الى مكة في مستهل رجب وصلى عليه صلاة الغائب بالمسجد الحرام رحمه الله تعالى واستقر الشريف محسن على أمارة مكة وعرض الى الابواب السلطانية بما وقع فجاء الجواب بالتأييد وقرئت المراسيم رابع عشر ثان سنة ألف وأربع وثلاثين وكان القارئ لمرسومه العلامة الشيخ عبد الرحمن المرشدي وكانت ولادة مولانا

ابن مروان من ارمينية فدخل بلاد اللان وسار فيها حتى خرج منها الى بلاد الخزر فمر ببلنجر وسمندر وانتهى الى البيضاء التي يكون فيها خاقان وكان ذلك قبل مقتل خاقان فهرب منه خاقان وفي سنة عشرين توفي اسد بن عبد الله بمدينة بلخ وفيها عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن العراق وولى يوسف بن عمر الثقفي وولى نصر بن سيار الكناني خراسان بعد موت اسد بن عبد الله وفي هذه السنة غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة وفتح سندرة وغزا اسحاق بن مسلم العقيلي تومانشاه وافتتح قلاعها وخرب ارضها وفي هذه السنة توفي مسلمة بن عبد الملك بن مروان وفي سنة احدى وعشرين ومائة غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح بها مطامير

﴿ ذكر غزوات نصر بن سيار الكناني ما وراء النهر ﴾

كان نصر بن سيار عاقلا حازما شجاعا مدبرا عمرت خراسان في مدة ولايته عمارة لم تعمر قبلها وأحسن الولاية والجباية مكث واليا على خراسان الى سنة ثلاثين ومائة فكانت مدة ولايته عشر سنين وكان قبل ولايته من امراء الاجناد بخراسان وولي على بعض المداين وكان جعفر بن حنظلة الذي استخلفه اسد على خراسان عند موته قد عرض على نصر أن يوليه بخارى فاستشار البختري بن مجاهد مولى بني شيبان فقال له لا تقبلها الا أنك شيخ مضر وكأنك بعهدك قد جاء على خراسان كلها فلما اتاه عهده بعث الى البختري ليأتيه فقال البختري لاصحابه قد ولي نصر خراسان فلما اتاه سلم عليه بالامارة فقال له من اين علمت فقال كنت تأتيني فلما بعثت الى علمت أنك قد وليت ولما مات اسد بن عبد الله وبلغ خبر موته هشام ابن عبد الملك استشار عبد الكريم بن سليط الحنفي وكان عالما بمن يوليه خراسان فقال عبد الكريم يا امير المؤمنين أما رجل خراسان حزما ونجدة فالكرماني فاعرض عنه وقال ما اسمه قال جديع بن علي قال لا حاجة لي فيه وتطير قال فالمسن المجرب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني قال هشام ربيعة لا تسد بها الثغور قال عبد الكريم فقلت في نفسي كره ربيعة واليمن فارمه بمضر فقلت عقيل بن معقل الليثي ان غفرت هنته قال ماهي قلت ليس بالعفيف قال لا حاجة لي فيه فقلت منصور بن ابي الخرقاء السلمي ان غفرت نكره فانه مشؤم قال غيره قلت فالمجشر بن مزاحم السلمي عاقل شجاع له رأي مع كذب فيه قال لا خير في الكذب قلت يحيى بن الحضين قال ألم أخبرك ان ربيعة لا تسد بها الثغور قال فقلت نصر بن سيار قال هو لها قلت هو عفيف مجرب عاقل ان غفرت له واحدة قال ماهي قلت عشيرته بخراسان قليلة قال لا ابالك تريد اكثر من عشيرة انا عشيرته فكتب عهده وبعثه مع عبد الكريم فأعطاه نصر لما اتاه به عشرة آلاف درهم واستعمل نصر على أعمال خراسان رجال مضر الى اربع سنين لم يستعمل احدا من غير مضر وغزا نصر في سنة احدى وعشرين ما وراء النهر مرتين احداهما من نحو الباب الحديد فسار من بلخ من تلك الناحية ثم رجع الى مرو وخطب الناس واخبرهم أنه اقام منصور بن عمر بن ابي الخرقاء على كشف المظالم وأنه قد وضع الجزية عمن قد أسلم وجعلها على من كان يخفف عنه من المشركين فرغبوا في الاسلام فلم تمض جمعة

الشريف محسن سنة تسعمائة وأربع وثمانين ونشأ في كلاءة عمه أبي طالب لأن أباه الشريف حسينا توفي في حياة أبيه الشريف الحسن بن أبي نمي كما تقدم وكان الشريف محسن كثير الفضائل قال العلامة العصامي في تاريخه قام بالامر الشريف محسن وأحسن كما أحسن الله اليه ونهض من احكام الاحكام ما وجب عليه فصفت من الامن مناهله ووضحت من طريق الجهل مجاهله وقد ألف العلامة أحمد بن الفضل باكثير تأليفا في مناقبه ومحاسنه سماه وسيلة المآل بذكر فضائل الآل ومدحه الشعراء بقصائد وأرخوا عام ولايته فمن ذلك قول الامام علي بن عبد القادر الطبري

عام ولاية المليك محسن *ابن الحسين بن الشريف الحسن*
من رام أن يضبطه فقد أتى *تاريخه خير ملوك لزمن*

وللامام زين العابدين بن عبد القادر الطبري أبيات في آخرها التاريخ وهو هذا

فلهذا قد جاء تاريخه المقرون باليمن المؤرخ عامه * ولي الملك محسن بن حسين * أنجز الله نصره وأدامه *

ومن الوقائع الغريبة في مدة ولايته انه خرج في خمس وثلاثين بعد الالف غازيا الى جهة الشرق فاتفق انه في هذه السنة كانت خطبة العيد للامام زين العابدين ابن الامام عبد القادر (حتى)

حتى أتاه ثلاثون الف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤسهم وثمانون الفا من المشركين كانت قد القيت عنهم فحول ماكان على المسلمين اليهم ووضعه عن المسلمين ثم ضيف الخراج ووضعه مواضعه ثم غزا الثانية الى زرشغر وسمرقند ثم رجع ثم غزا الثالثة الى الشاش من مرو فحال بينه وبين عبور نهر الشاش كورصول فى خمسة عشر الفا وكان معهم الحارث بن سريج وكان قبل ذلك من أمراء المسلمين على جند خراسان ثم وقعت فتنة بينهم فاعتزلهم وصار مع خاقان ثم مع كورصول فعبر كورصول فى أربعين رجلا فبيت العسكر فى ليلة مظلمة ومع نصر ملك بخارى فى أهل بخارى ومعه أهل سمرقند وكش ونسف وهم عشرون الفا فنادى نصر ان لايخرجن احد واثبتوا على مواضعكم فخرج عاصم بن عمير السعدى وهو على جند سمرقند فرت به خيل الترك فحمل على رجل فى آخرهم فأسره فاذا هو ملك من ملوكهم صاحب أربعة آلاف قبة ثم تبين انه كورصول فأتى به الى نصر فقال له نصر من انت قال كورصول فقال نصر الحمد لله الذى امكن منك ياعدو الله قال ماترجو من قتل شيخ وانا اعطيك أربعة آلاف بعير من ابل الترك والف برذون تقوى به جندك وتطلق سبيلى فاستشار نصر أصحابه فأشاروا باطلاقه فلم يوافقهم ثم سأله عن عمره قال لاأدرى قال كم غزوت قال اثنتين وسبعين غزوة قال اشهدت يوم العطش قال نعم قال نصر لو اعطيتنى ماطلعت عليه الشمس ماأفلت من يدى بعدماذكرت من مشاهدك وقال لعاصم بن عمير السعدى قم الى صلبه فخذه فقال من اسرنى فقال نصر وهو يضحك اسرك يزيد بن قران الحنظلى واشار اليه قال هذا لايستطيع ان يغسل استه اولايستطيع ان يتم له بوله فكيف يأسرنى اخبرنى من اسرنى قال اسرك عاصم بن عمير قال لست اجد ألم القتل اذا كان اسرنى فارس من فرسان العرب فقتله وصلبه على شاطئ النهر فلما قتل كورصول احرقت الترك ابنيته وقطعوا آذانهم وقطعوا شعورهم واذناب خيلهم فلما اراد نصر الرجوع أحرقه لئلا يحملوا عظامه فكان ذلك اشد عليهم من قتله وارتفع الى فرغانة فسبى بها ألف رأس وكتب يوسف بن عمر امير العراق الى نصر سر الى هذا الغادر دينه فى الشاش يعنى الحارث بن سريج فان اظفرك الله به وبأهل الشاش فخرب بلادهم واسب ذراريهم واياك وورطة المسلمين فقرأ الكتاب على الناس واستشارهم فقال يحيى بن الحصين انظر أهذا من امير المؤمنين او من الامير فقال نصر يا يحيى تكلمت بكلمة أيام عاصم فبلغت الخليفة فحظيت بها وبلغت الدرجة الرفيعة فقالت اقول مثلها سر يا يحيى فقد وليتك مقدمتى فلام الناس يحيى فساروا الى الشاش فأتاهم الحارث بن سريج فنصب عليهم عرادتين بالتشديد تثنية عرادة شئ اصغر من المنجنيق واغار الاخرم وهو فارس الترك على المسلمين فقتلوه والقوا رأسه الى الترك فصاحوا وانهزموا وسار نصر الى الشاش فتلقاه ملكها بالصلح والهدية والرهن واشترط عليه نصر اخراج الحارث بن سريج عن بلده فأخرجه الى فاراب ثم تنقل الحارث فى بلاد الترك الى سنة ست وعشرين ثم اصطلح مع المسلمين ورجع الى خراسان سنة سبع وعشرين فكانت مدة مفارقته للمسلمين واتصاله بالترك ثنتى عشرة سنة ورد عليه نصر ماكان اخذ له ثم استعمل نصر على الشاش بعد الصلح مع أهله نيزك بن صالح مولى عمرو بن

الشافعية الى أئمة الاحناف وما وقع فيها من الغرائب *) فلما كان يوم الاربعاء سلخ رمضان المعظم أرسل الوزير حيدر باشا الوارد من اليمن ذلك العام الى الوزير مصطفى السيورى ان لايباشر العيد الا خطيب حنفى فتوجه الامام عبد القادر الطبرى الى الوزير مصطفى السيورى وراجعه فى ذلك فقال الوزير تراجع الباشا فرجع الامام عبد القادر الى منزله وأتى بعد المغرب الى دار ولده وقد تأهب وأحضر كل مايحتاج اليه فجاءه الخبر بالمنع فشهق شهقة الامام عبد القادر كانت موتا وظنت صعقة فلما تحقق موته نقل الى بيته وباشر الخطبة الشيخ محمد بن موسى الفليوى المكى ونزلوا بجنازة الامام عبد القادر والخطيب على المنبر فياله من فرح انقلب الى مأتم وسرور تبدل الى حزن ومأتم وتقطع قلوب عيال أتتهن المصائب غافلات فدموع الحزن فى دم الدلال سافكات ولم يزل مولانا الشريف محسن منفردا بمراده قامعا لاضداده آمنا

فى سربه عزيزا فى حزبه الى ان دخلت سنة سبع وثلاثين وألف فورد

العاص ثم سار حتى نزل قباء من ارض فرغانة وكانوا احسوا بمجيئه فأحرقوا الحشيش وقطعوا الميرة فوجه نصر الى ولى صاحب فرغانة فحاصروه في حصن وغفلوا عنه فخرج وغنم دواب المسلمين فوجه اليهم نصر رجالا من تميم ومعهم محمد بن المثنى وكمن المسلمون لهم فخرج الترك واستاقوا بعض الدواب فخرج عليهم المسلمون فهزموهم وقتلوا الدهقان واسروا منهم واسروا ابن الدهقان فقتله نصر ثم سألوه الصلح فأرسل نصر سليمان ابن صول بكتاب الصلح الى صاحب فرغانة فأمر به فادخل الخزائن ليراها ثم رجع اليه فقال كيف رأيت الطريق فيما بيننا وبينكم قال سهلا كثير الماء والمرعى فكره ذلك وقال ما اعلمك فقال سليمان قد غزوت غرشستان وغور الختل وطبرستان فكيف لا اعلم قال فكيف رأيت ما اعددنا قال عدة حسنة ولكن ماعلمت ان المحصور لايسلم من خصال لاياءمن اقرب الناس اليه واوثقهم في نفسه اويفنى ماجمع فيسلم برمته اويصيبه داء فيموت فكره ماقال له وأمره فأحضر كتاب الصلح فأجاب اليه وسير أمه معه وكانت صاحبة أمره فقدمت على نصر فأذن لها وجعل يكلمها وكان مماقالت له كل ملك لايكون عنده ستة أشياء لايكون ملكا وزير يبث اليه ما في نفسه ويشاوره ويثق بنصيحته وطباخ اذالم يشته الطعام اتخذله مايشتهي وزوجة اذا دخل عليها مغتما فنظر الى وجهها زال غمه وحصن اذا فزع أتاه فأنجاه تعني البرذون وسيف اذا قاتل لايخشى خيانته وذخيرة اذا حملها عاش بها اين كان من الارض ثم دخل تميم ابن نصر في جماعة فقالت من هذا قالوا هذا فتى خراسان تميم بن نصر فقالت ماله نبل الكبير ولا حلاوة الصغير ثم دخل الحجاج بن قتيبة بن مسلم الباهلي فقالت من هذا فقالوا الحجاج بن قتيبة بن مسلم فأحبته وسألت عنه وقالت يامعشر العرب مالكم وفاء ولا يصلح بعضكم بعضا قتيبة الذي ذلل لكم ما أرى وهذا ابنه تقعده دونك فحقه ان تجلسه انت هذا المجلس وتجلس انت مجلسه وعقدت الصلح ورجعت

﴿ ذكر غزو مروان بن محمد بن مروان ﴾

في سنة احدى وعشرين غزا مروان بن محمد بأرمينية وهو واليها فأتى قلعة بيت السرير فقتل وسبى ودخل غوميك وهو حصن فيه بيت الملك وسريره فهرب الملك منه حتى أتى حصنا يقال له خيزج فيه سرير من ذهب فسار اليه مروان ونازله صيفيته وشتويته فصالح الملك على الف رأس كل سنة ومائة ألف مد فصالحه وسار مروان فدخل ارض ارزو بطران فصالحه ملكها ثم سار في ارض تومان فصالحه وسار حتى أتى حمزين فأخرب بلاده وحصر حصنا له شهرا فصالحه ثم أتى مروان ارض مسدارة فافتتحها على صلح ثم نزل مروان كيران فصالحه طبرسران وفيلان وكل هذه الولايات على شاطئ البحر من ارمينية الى طبرستان وفي هذه السنة غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح بها مطامير وفي هذه السنة قتل البطال واسمه عبدالله ابو الحسين الانطاكي وقتل معه جماعة من المسلمين ببلاد الروم وكان كثير الغزو الى الروم والاغارة على بلادهم وله عندهم ذكر عظيم حكي انه دخل بلادهم في بعض غزاته هو واصحابه فدخل قرية لهم ليلا وامرأة تقول لصغير لها يبكي تسكت والاسلمتك للبطال ثم رفعته بيدها

(وقالت)

من السلطنة العلية أحمد باشا متوليا على اليمن فلما دخ مركبه جدة ومعه نحو الفين من العسكر غرق بالقرب من جدة ونجا هو ونحو ثلثمائة من عسكره وكان دخوله الى جدة في صفر من السنة المذكورة فطلب الباشا المذكور من خدام مولانا الشريف محسن الذين في جدة غواصين لطلب أسبابه فعينوا له أقواما فغاصوا نحو خمسة عشر يوما ولم يخرجوا شيأ من أسبابه فتخيل انهم مأمورون بذلك من مولانا الشريف محسن مع انه بعث الى مولانا الشريف بهدية سنية وأرسل له مولانا الشريف الشيخ عبدالرحمن المرشدي مفتي السلطنة بمكة بمكاتيب منه وأوصى عليه خدمه فلما استحكم ذلك الخيال من الباشا أنفت نفسه وشنق حاكم مولانا الشريف بجدة وهو القائد راجح ونزل الى جدة الشريف أحمد بن عبدالمطلب بن الحسن بن أبي نمي قال في خلاصة الأثر انه كان بين الشريف مسعود بن ادريس بن حسن وبين الشريف أحمد بن عبد المطلب ممالأة ومواطأة قبل نزوله لبندر جدة مضمونها ان الشريف أحمد قال للشريف مسعود انى لا أريد الملك لنفسي انما أريد ذلك وهو بيننا فخذل من استطعت من آل أبي نمي وثبطهم وحل عزائمهم

وقالت خذه يا بطال وكان قريبا منها ولم تعلم به فتناوله من يدها وكان عبد الملك بن مروان يرسله
مع ابنه مسلمة الى بلاد الروم وأمره مرة على رؤساء أهل الجزيرة والشام وأمر ابنه مسلمة ان
يجعله على مقدمته وطلائعه وقال انه ثقة شجاع مقدام فجعله مسلمة على عشرة آلاف فارس وله
قصص ووقائع كثيرة

✵ ذكر صلح نصر بن سيار مع الصغد ✵

في سنة ثلاث وعشرين ومائة صالح نصر بن سيار الصغد وسبب ذلك ان خاقان لما قتل
في ولاية اسد بن عبد الله تفرقت الترك في اغارة بعضها على بعض فطمع أهل الصغد في الرجعة
اليها وانحاز قوم منهم الى الشاش فلما ولى نصر بن سيار ارسل اليهم يدعوهم الى الرجوع
لبلادهم وأعطاهم ما أرادوا وكانوا يسألون شروطا أنكرها امراء خراسان منها ان لا
يعاقب من كان مسلما فارتد عن الاسلام ولا يعدى عليهم في دين لاحد من الناس ولا يؤخذ اسراء
المسلمين منهم الا بقضية قاض وشهادة عدول فعاب الناس ذلك على نصر وتكلموا فيه فقال
لو عاينتم شوكتهم في المسلمين مثل ما عاينت ما أنكرتم ذلك وارسل رسولا الى هشام بن
عبد الملك في ذلك فأجابه اليه وفي سنة اربع وعشرين ومائة غزا سليمان بن هشام الصائفة
فلقي أليون ملك الروم فهزمه وقتل وسبي وغنم وفي سنة خمس وعشرين توفي هشام بن
عبد الملك وبويع الوليد بن يزيد بن عبد الملك فأقر نصر بن سيار على خراسان ثم ثارت فتن بين
أولاد عبد الملك وقتل الوليد بن يزيد سنة ست وعشرين وبويع ليزيد بن الوليد بن عبد الملك
وتوفي بعد ستة اشهر وبويع اخوه ابراهيم بن الوليد ثم خلع بعد سبعين يوما وبويع مروان بن
محمد سنة سبع وعشرين فأقر نصر بن سيار على ولاية خراسان واستمر مروان بن محمد خمس سنين
وعشرة اشهر وثارت الفتن بينه وبين بني العباس وقتل مروان بن محمد سنة اثنتين وثلاثين وعمره اثنتان
وستون سنة وقامت الدولة العباسية وتفصيل ذلك كله طويل مذكور في التواريخ والقصد
في هذا الكتاب ذكر الفتوحات التي فيها جهاد الكفار وفي مدة هذه الفتن انقطع الغزو
والجهاد وانتشرت الفتن بين المسلمين في كل قطر واقليم

✵ ذكر ملك الروم ملاطية ✵

من الفتن التي كانت بين المسلمين في هذه السنين ان الروم طمعوا في البلاد فأقبل قسطنطين
في الروم الى ملاطية وكمخ في سنة ثلاث وثلاثين في خلافة السفاح اول خلفاء بني العباس
اقبل قسطنطين نازل كمخ فأرسل أهلها الى أهل ملطية يستنجدونهم فسار اليهم منها ثمانمائة
فارس فقاتلوهم الروم فانهزم المسلمون ونازل الروم ملطية وحصروها وارسل قسطنطين
الى أهل ملطية اني لم احصركم الا على علم من المسلمين واختلافهم فلكم الامان وتعودون الى
المسلمين حتى اخترب ملطية فلم يجيبوه الى ذلك فنصب المجانيق فاذعنوا وسلموا البلد
بالامان وانتقلوا الى بلاد الاسلام وحملوا ما أمكنهم حمله وما لم يقدروا على حمله القوه
في الآبار والمجاري وسار ملك الروم الى قاليقلا فنزل مرج الحصى وارسل كوشان الارمني
فحصرها فنقب أخوان من الارمن من أهل المدينة ردما كان في سورها فدخل كوشان ومن

وبعده الشريف مسعود بذلك وفعل فلما نزل الشريف أحمد الى جدة تداخل مع أحمد باشا
المذكور فولاه شرافة مكة
ونادى له في جدة وأبان
عزل مولانا الشريف
محسن ثم قدر الله ان
الباشا مات في تلك الايام
وعد الناس ذلك من كرامات
صاحب مكة فكتب
كيخيا الباشا لمولانا
الشريف محسن بوفاة
الباشا وطلب منه عشرة
آلاف قرش ليتوجه لها الى
اليمن قال والبلاد بلادكم
فبلغ فعل الكيخيا الشريف
أحمد بن عبد المطلب
فاستمال العسكر فقتلوا له
الكيخيا ومن بقي من جماعة
الشريف محسن وصادر
التجار وأهل البلد فأخذ منهم
جملة من الاموال وتأهب
لحرب الشريف محسن
فلما بلغ ذلك مولانا الشريف
محسنا خرج لهم الى الحدبة
موضع مقابل جدة
فخرج اليه بعض الاتراك
وأخذوا اقطيع غنم لعرب
فقاتلهم بعض الاشراف
فقتل السيد ظفر بن سرور
ابن أبي غي والسيد
أبو القاسم بن جازان
وغيرهما ومن الاتراك
نحو الخمسين ثم انحاز كل
الى فئته وأتى الخبر لمولانا
الشريف محسن ان
السيد مسعود بن ادريس
شوكة واستمال الاشراف بني حسن بكتاب جاءه من الشريف أحمد بن عبد المطلب أطمعه فيه بمناصفة مكة ان هو استمال

معه المدينة فغلبوا عليها وقتلوا رجالها وسبوا النساء وساق الغنائم الى ملك الروم وفي هذه السنة كان متوليا على خراسان أبو مسلم القائم بدعوة بني العباس فوجه ابا داود خالد بن ابراهيم الذهلي الى الختل فدخلها فلما انتهى الى ارض فرغانة تحالف اخشيد فرغانة وملك الشاش واستمد اخشيد ملك الصين فأمده بمائة الف مقاتل فحصروا ملك الشاش فنزل على حكم ملك الصين وبلغ الخبر ابا مسلم فوجه الى حربهم زياد بن صالح فالتقوا على نهر طراز فظفر بهم المسلمون وقتلوا منهم زهاء خمسين الفا واسروا نحو عشرين الفا وهرب الباقون الى الصين

﴿ ذكر غزوة كش ﴾

في سنة اربع وثلاثين غزا ابو داود خالد بن ابراهيم الذهلي أهل كش فقتل ملكها وهو سامع مطيع وقتل اصحابه وأخذ منهم من الاواني الصينية المنقشة المذهبة مالم ير مثلها ومن السروج ومتاع الصين من الديباج والطرف شيأ كثيرا وحمله الى ابي مسلم وهو بسمرقند وقتل عدة من دهاقينهم ورجع ابو داود الى بلخ وفي سنة خمس وثلاثين غزا عبدالله بن حبيب جزيرة صقلية وغنم بها وسبي بعد أن غزا أيضا تلمسان وفي سنة ست وثلاثين توفي السفاح وبويع اخوه المنصور وقتل ابا مسلم سنة سبع وثلاثين وولى خراسان بعد قتل ابي مسلم ابا داود خالد بن ابراهيم الذهلي وفي سنة ثمان وثلاثين خرج قسطنطين ملك الروم الى بلاد الاسلام فدخل ملطية عنوة وغلب وقهر أهلها وهدم سورها وعفا عمن فيها من المقاتلة والذرية فبعث المنصور اخاه العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ومعه صالح بن علي وعيسى بن علي في جيش فبنوا ما كان ملك الروم اخربه من سور ملطية ثم غزوا الصائفة سنة تسع وثلاثين ومائة من درب الحدث فوغلوا في ارض الروم وغزا مع صالح اختاه ام عيسى ولبابة وكانتا نذرتا ان زال ملك بني امية ان تجاهدا في سبيل الله وغزا من درب ملطية جعفر بن حنظلة المهراني وفي هذه السنة كان الفداء بين المنصور وملك الروم فاستفدى المنصور اسرى قاليقلا وغيرهم من الروم وبناها وعمرها ورد اهلها اليها وندب اليها جندا من أهل الجزيرة وغيرهم فأقاموا فيها وحموها ولم يكن بعد ذلك صائفة الى سنة ست واربعين لاشتغال المنصور بالفتنة التي كانت بينه وبين بني عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وقيل ان الحسن بن قحطبة غزا الصائفة سنة أربعين مع عبدالوهاب بن ابراهيم الامام واقبل قسطنطين ملك الروم في مائة الف فبلغ جيحان فسمع كثرة المسلمين فاحجم عنهم ثم لم يكن بعدها صائفة الى سنة ست وأربعين لكن حصلت وقائع وغزوات بخراسان وغيرها في هذه المدة كما سترى ذلك وفي سنة تسع وثلاثين ومائة كان دخول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الاندلس وتملكها فخرجت الاندلس عن ولاية بني العباس وقصة تملك عبد الرحمن الداخل الاندلس طويلة ملخصها انه لما قامت الدولة العباسية اخذوا يتتبعون بني امية قتلا فهرب عبد الرحمن المذكور مختفيا ومازال يتنقل حتى دخل الاندلس وكان بالاندلس رجال من بقايا عمال بني امية ومواليهم فأعانوه حتى

بركات فخرج خلفه الشريف أحمد ومعه العسكر الذين وردوا مع الباشا السابق ذكره وسار من جدة الى مكة في سبعة عشر يوما ولما وصل التنعيم لاربع عشرة ليلة بقيت من رمضان خرج الشريف محسن للقائه بجيش جرار الا ان غالب من معه كان مباطنا للشريف أحمد بواسطة السيد مسعود بن ادريس فلما لتقى الفريقان وتبين للشريف محسن انحلال عقد من معه كف عن القتال بعد ان أطلق جماعة الشريف أحمد مدفعين وتوجه الشريف محسن ومعه بعض جماعته الى اليمن

(وفاة الشريف محسن بأرض اليمن سنة ١٠٣٨) واستمر هناك الى ان توفي سنة ألف وثمان وثلاثين وعمره أربع وخمسون سنة ودفن بصنعاء وبني عليه قبة هناك تزار

(دخول الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن مكة ومعاقبته لبعض أعيانها سنة ١٠٣٧) فدخل مكة الشريف أحمد بن عبد المطلب ضحى يوم الاحد سابع عشر رمضان سنة سبع وثلاثين وألف وفر من مكة من كان فيها من جماعة الشريف محسن

انتزع الاندلس من عمال بنى العباس بعد حروب كثيرة واستفحل ملكه وملك بنيه بعده بالاندلس وكان دخوله الاندلس فى خلافة المنصور العباسى وكان المنصور يعجب من أمره ويسميه صقر قريش واراد استرجاع الاندلس من يده فلم يتمكن له ذلك والكلام على ذلك طويل ذكرته فى التاريخ الذى جمعته فى اخبار الاندلس ملخصا من نفح الطيب وغيره ولما استقامت اموره وتمكنت دولته بلغه عن بعض من اعانه أنه يقول لولا انا ماتوصل لهذا الملك وكان منه ابعد من النجم وقال قائل آخر انما اعانه سعده لاعقله وتدبيره فحركه ذلك الى ان قال

لايلف ممن علينا قائل ✱ لولاى مامللك الامام الداخل
سعدى وحزمى والمهند والقنا ✱ ومقادر بلغت وحال حائل
ان الملوك مع الزمان كواكب ✱ نجم يطالعنا ونجم آفل
والحزم كل الحزم ان لايغفلوا ✱ ايروم تدبير البرية غافل
ويقول قوم سعده لاعقله ✱ خير السعادة ما حواها العاقل
ابنى امية قد جبرنا صدعكم ✱ بالغرب رغما والسعود قبائل
مادام من نسلى امام قائم ✱ فالملك فيكم ثابت متواصل

ومازال مستقرا فى ملكه ثلاثا وثلاثين سنة واربعة أشهر الى ان توفى سنة ١٧٢ وعمره تسع وخمسون سنة واستمر الملك فى بنيه الى اواخر القرن الرابع وسيأتى ذكر كثير من غزواته وفتوحاتهم ولنرجع الى تمام الكلام على فتوحات بنى العباس ففى سنة ١٤٠ مات ابوداود خالد بن ابراهيم الذهلى عامل خراسان واقيم مقامه عبد الجبار بن عبدالرحمن الازدى ثم ظهر منه مخالفة وعصيان واراد خلع المنصور فجهز المنصور فى سنة احدى واربعين ابنه المهدى وعمره نحو خمس عشرة سنة ومعه جيش فأسر عبدالجبار وبعث به الى المنصور فقتله وصارت ولاية خراسان للمهدى بن المنصور وكان كثير من أهل خراسان قدنقضوا لما تغيرت الدولة واسترجع بعض الكفار ما كان لهم من الملك فكتب المنصور الى ابنه المهدى ان يغزو طبرستان

✱ ذكر غزوة طبرستان ✱

فى سنة احدى واربعين ومائة كتب المنصور الى ابنه المهدى وهو على خراسان ان يغزو طبرستان وينزل الرى ويوجه ابا الخصيب وخازم بن خزيمة والجنود الى الاصبهبذ وكان الاصبهبذ يومئذ محاربا للمصمغان ملك دنباوند معسكرا بازائه فلما بلغه دخول جنود الاسلام بلاده ودخول ابى الخصيب سارية فقال المصمغان للاصبهبذ متى قهروك صاروا الى فاجتمعوا على حرب المسلمين فانصرف الاصبهبذ الى بلاده فحارب المسلمين فطالت تلك الحروب فوجه المنصور عمر بن العلاء الى طبرستان وكان عالما ببلاد طبرستان فاخذ الجنود وقصد الرويان ففتحها وأخذ قلعة الطلق ومافيها وطالت الحرب فألح خازم على القتال ففتح طبرستان وقتل منهم فأكثر وسار الاصبهبذ الى قلعته فحصر فطلب الامان على ان يسلم القلعة

واختفى من اختفى وممن أختفى من الاعيان الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدى الحنفى مفتى السلطنة العلية فلما بلغه اختفاؤه حث فى طلبه ونادى عليه ببراءة الذمة ممن وجد لديه فأظهره من أضمره فنهب داره وقبض عليه وحبسه وأخاه القاضى أحمد بن عيسى المرشدى

(سبب قتل الشيخ عبدالرحمن المرشدى)

ثم قتل الشيخ عبد الرحمن فى السجن كما سيأتى قال الرضى فى تاريخه اختلفت الاقوال فى سبب قتل الشيخ عبدالرحمن المرشدى فقيل تعريضه بالشريف احمد بن عبد المطلب فى خطبة عقده التى خطب بها فى زواج سلطانة بنت على شهاب وكان الشريف أحمد طلب التزوج بها فلم يزوج فعرض الشيخ بذلك حيث قال فى ابتداء الخطبة الحمدلله الذى اعز سلطانه وأدحض شيطانه وقيل انه جاء الى الشريف المذكور عند موت أخيه السيد محمد بن عبدالمطلب مزيا بالابساط وفا أبيض أى وكانت عادتهم لبس السواد فى مثل ذلك اليوم وقيل ان الشريف أحمد حين استولى على مكة وطلع الى دار السعادة على فرش الشريف محسن وجد تحت طرف المرتبة فتيا من الشيخ المذكور بتسميتهم بغاة جائرين ظالمين وبوجوب قتالهم بخطه المعروف واسمه الموصوف وكان

بما فيها من الذخائر وكتب المهدى الى المنصور بذلك فوجه المنصور رجالا احصوا ما فى الحصن وانصرفوا ودخل الاصبهبذ بلاد جيلان من الديلم واخذت ابنته وقصدت الجنود بلد المصمغان فظفروا به وبالحيرة ام منصور بن المهدى وفى سنة ثنتين وأربعين ومائة خلع الطاعة عيينة بن موسى بن كعب عامل السند فبعث المنصور عمر بن أبى حفص العتكى عاملا على السند والهند فسار وغلب عليها بعد حروب

﴿ ذكر نكث الاصبهبذ ﴾

فى سنة ثنتين وأربعين ومائة نكث الاصبهبذ بطبرستان العهد بينه وبين المسلمين وقتل من كان ببلاده منهم فلما انتهى الخبر الى المنصور سير مولاه ابا الخصيب وخازم بن خزيمة وروح ابن حاتم فاقاموا على الحصن يحاصرونه وهو فيه فلما طال عليهم المقام احتال أبو الخصيب فى ذلك فقال لاصحابه اضربونى واحلقوا رأسى ولحيتى ففعلوا ذلك ولحق بالاصبهبذ فقال له فعل بى هذا تهمة منهم لى ان يكون هواى معك وأخبره انه معه وانه دليل على عورة عسكرهم فقبل ذلك الاصبهبذ وجعله فى خاصته والطفه وكان باب حصنهم من حجر يلقى القاء يرفعه الرجال وتضعه عند فتحه واغلاقه وكان الاصبهبذ يوكل به ثقات اصحابه نوبا بينهم فلما وثق الاصبهبذ الى أبى الخصيب وكله بالباب فتولى فتحه واغلاقه حتى أنس به ثم كتب ابو الخصيب الى روح وخازم والقى الكتاب فى سهم وأعلمهم أنه قد ظفر بالحيلة وواعدهم ليلة فى فتح الباب فلما كانت تلك الليلة فتح لهم فقتلوا من فى الحصن من المقاتلة وسبوا الذرية واخذوا امكلام ابراهيم ابن المهدى وكان مع الاصبهبذ سم فشربه ومات

﴿ ذكر نكث الديلم ﴾

فى سنة ثلاث واربعين نكث الديلم وثاروا بالمسلمين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة فبلغ ذلك المنصور فندب الناس الى قتال الديلم وجهادهم فساروا اليهم وقاتلوهم حتى اخضعوهم سنة اربع واربعين وفى سنة خمس واربعين كان ابتداء بناء مدينة بغداد وانتقل المنصور اليها سنة ست واربعين وفيها خرجت الترك والخزر بباب الابواب فقتلوا من المسلمين بأرمينية جماعة كثيرة وفى سنة ست واربعين غزا الصائفة جعفر بن حنظلة البهرانى وغزا مالك بن عبد الله الخثعمى بلاد الروم فغنم غنائم كثيرة وفى سنة سبع واربعين اغار استرخان الخوارزمى فى جمع من الترك على المسلمين بناحية ارمينية وسبى من المسلمين خلقا ودخلوا تفليس فسير المنصور الى محاربتهم جبرائيل بن يحيى وحرب بن عبد الله فى جند كثير فقاتلوهم فهزم جبرائيل وقتل حرب وقتل من اصحاب جبرائيل خلق كثير وفى سنة تسع واربعين غزا العباس بن محمد ارض الروم ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن الاشعث واغزا عبد الرحمن الداخل صاحب الاندلس مولاه بدرا الى بلاد العدو فجاوز اليه وأخذ الجزية

﴿ ذكر خروج استاذسيس ﴾

فى سنة خمسين ومائة خرج استاذسيس فى أهل هراة وباذغيس وسجستان وغيرها من خراسان

فى اصفاده وأحزانه فأقبل مرة فلما قرب من حضرة الشريف أحمد بن عبد المطلب أنشد

لا تضع للعزيز قدرا وان كنت مشارا اليه بالتعظيم
فالعزيز الكريم ينقص قدرا بالتعدى على العزيز الكريم

فالتفت الشريف الى الحاضرين وقال انظروا الى جراءته فى ثلبى وقوة جنانه لحربى فحمل عين ذلك المجلس وهو الامام زين العابدين بن عبد القادر الطبرى يعتذر ويحسن التعليل بما قدر فقصره الشريف عن التطويل وقال هيهات انما اقصد من القطعة ما قيل ولم الخمر بالعقول رمى الخمر بتنجيسها وبالتحريم * ثم قال والله انى لاعلم انه افضلكم على الاطلاق وقد عن لى العفو عنه الا انه جاء منكرا اذ جعل نفسه عقلا وجعلنى خمرا وأمر باعادته الى حبسه الى ان نقله الى رمسه فانه لم يزل فى الحبس الى الموسم فورد الحج المصرى وأميره قانصوه باشا ومعه الخلع الواردة لصاحب مكة فخرج للقائه الشريف أحمد فألبسه الخلعة على جرى العادة وحج بالناس ولم يحج احد من اهل مكة فى هذا العام الا القليل ولما كانت ليلة الحادى عشر من ذى الحجة جاء مولانا

(وكان)

و كان فيما قيل في ثلاثمائة الف مقاتل فغلبوا على عامة خراسان وساروا حتى التقوا هم واهل مروالروذ فخرج اليهم الاجشم المروذى في اهل مروالروذ فقاتلوه قتالا شديدا فقتل الاجشم وكثر القتل في اصحابه وهزم عدة من القواد فوجه المنصور وهو بالراذان خازم بن خزيمة الى المهدى فولاه المهدى محاربة استاذسيس وضم اليه القواد فسار خازم وأخذ معه من انهزم وجعلهم في اخريات الناس يكثر بهم من معه وكان معه من هذه الطبقة اثنان وعشرون الفا ثم انتخب منهم ستة آلاف وضمهم الى اثنى عشر الفا كانوا معه من المنتخبين وكان بكار بن سلم العقيلي فيمن انتخب و تعبى للقتال و كان لواؤه مع الزبرقان فمكر بهم وراوغهم في ان ينقلهم من موضع الى موضع وخندق الى خندق حتى قطعهم ثم سار خازم الى موضع فنزله وخندق عليه وعلى جميع اصحابه وجعل له اربعة ابواب وجعل على كل باب الفا من اصحابه الذين انتخبوا وأتى اصحاب استاذ سيس و معهم الفؤوس والرازة والزبل ليطموا الخندق فاتوا الخندق من الباب الذى عليه بكار بن سلم فحملوا على اصحاب بكار حملة هزموهم بها فرمى بكار بنفسه فترجل على باب الخندق وقال لاصحابه لا يؤتى المسلمون من ناحيتنا فترجل معه من اهله وعشيرته نحو خمسين رجلا وقاتلوهم حتى ردوهم من بابهم ثم أقبل على الباب الذى عليه خازم رجل من اصحاب استاذ سيس اسمه الحريش وهو الذى كان يدبر امرهم فلما رآه خازم مقبلا بعث الى الهيثم بن شعبة وكان في الميمنة يأمره ان يخرج من الباب الذى عليه بكار فان من بازائه قد شغلوا عنهم ويسير حتى يغيب عن ابصارهم ثم يرجع من خلف العدو وقد كانوا يتوقعون قدوم ابى عون وعمرو بن مسلم بن قتيبة من طخارستان وبعث خازم الى بكار يقول له اذا رأيت رايات الهيثم قد جاءت فكبروا وقولوا قد جاء أهل طخارستان ففعل ذلك الهيثم وخرج خازم في القلب على الحريش يشغلهم بالقتال وصبر بعضهم لبعض فبينما هم على ذلك نظروا الى اعلام الهيثم قد أقبلت فتنادوا بينهم جاء أهل طخارستان وحمل اصحاب خازم فكشفوهم ولقيهم اصحاب الهيثم فطعنوهم بالرماح ورموهم بالنشاب وخرج نهار بن حصين من ناحية الميسرة وبكار بن سلم واصحابه من ناحيتهم فهزموهم ووضعوا فيهم السيوف فقتلهم المسلمون فأكثروا فكان عدد من قتل سبعين الفا وأسروا اربعة عشر الفا ونجا استاذسيس الى جبل في نفر يسير فحصرهم خازم وقتل الاسرى ووافاه ابو عون وعمرو بن سلم ومن معهما فنزل استاذ سيس على حكم ابى عون فحكم ان يوثق استاذ سيس وبنوه وأهل بيته بالحديد وان يعتق الباقون وكانوا ثلاثين الفا فأمضى خازم حكمه وكسى كل رجل ثوبين وكتب الى المهدى بذلك فكتب المهدى الى المنصور وقد قيل ان استاذ سيس قد ادعى النبوة وأظهر أصحابه الفسق وقطع السبيل قيل انه جد المأمون أبو امه مراجل وابنه غالب خال المأمون وفي هذه السنة قدم المهدى من خراسان فقدم عليه اهل بيته من الشام والكوفة والبصرة وغيرها فهنؤه بمقدمه فأجازهم وحملهم وكساهم وفعل بهم المنصور مثل ذلك وبنى له الرصافة وفيها غزا الصائفة عبدالوهاب بن ابراهيم الامام ابن محمد بن على وفي سنة ثنتين وخمسين ومائة استعمل المنصور على خراسان حميد بن قحطبة فغزا كابل وغزا الصائفة عبد الوهاب بن ابراهيم الامام وفي سنة ثلاث وخمسين

مولانا الشريف فبعث من ليلته الى الحبس

(قتل الشيخ عبدالرحمن المرشدى في السجن)

وأمر بقتل الشيخ وأخيه فشفع حاكمه عتيق بن عمر في القاضى احمد أخى الشيخ عبد الرحمن لصحبة كانت بينهما فشفعه فيه ونزل المأمورون بقتل الشيخ عبدالرحمن فقتلوه صبرا في تلك الليلة ودفن بالشبيكة وقتل معه تلك الليلة حيدر الشامى أحد تجار مكة بدلا عن القاضى احمد بن عيسى المرشدى لكونه أمر بقتل الاثنين فلما كانت صبيحة يوم النحر جاء الامراء الى مولانا الشريف وذكروا له امر الشيخ وشفعوا فيه فقال قد تفرطنا فيه وهلا ذكرتم لنا قبل هذا وكان عمر الشيخ المرشدى حين قتل احدى وستين سنة وأصاب الناس عليه أعظم حسرة وقتل الشريف احمد هذه القتلة بعينها كما سيأتى وفي الاثر كما تدين تدان وهذا حال الدهر مع كل قاص ودان وكان الشريف احمد بن عبد المطلب ذا أدب وفضل نبيها نجيبا جيد الذكاء حسن الصورة عظيم الهيبة اخذ طريق الصوفية عن العارف بالله أحمد الشناوى وهو الذى بشره بولاية مكة لكنه قال له على الشهادة يا أحمد فقال على

غزا الصائفة معيوف بن يحيى فوصل الى حصن من حصون الروم ليلا واهله نيام فسبي واسر من كان فيه ثم قصد اللاذقية الخراب فسبي منها ستة آلاف رأس سوى الرجال البالغين وفي سنة اربع وخمسين غزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالي فبلغ الفرات وفي سنة خمس وخمسين غزا الصائفة يزيد بن اسيد السلمي وفيها طلب ملك الروم الصلح الى المنصور على ان يؤدي الجزية وفي سنة ست وخمسين غزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالي وفي سنة سبع وخمسين غزا الصائفة يزيد بن اسيد السلمي فسبي وغنم وفي سنة ثمان وخمسين توفي المنصور وبويع ابنه محمد المهدي وغزا الصائفة معيوف بن يحيى من درب الحدث فلقي العدو فاقتتلوا ثم تحاجزوا وفي سنة تسع وخمسين غزا العباس بن محمد الصائفة الرومية فبلغوا القره وفتحوا مدينة للروم ومطمورة ولم يصب من المسلمين احد ورجعوا سالمين

﴿ ذكر فتح مدينة باربد بالهند ﴾

في سنة ستين ومائة فتحت مدينة باربد وكان المهدي سير في سنة تسع وخمسين جيشا في البحر وعليهم عبد الملك بن شهاب المسمعي الى بلاد الهند في جمع كثير من الجند والمتطوعة وفيهم الربيع بن صبيح فساروا حتى نزلوا على باب باربد فلما نازلوها حصروها من نواحيها وحرض الناس بعضهم بعضا على الجهاد وضايقوا أهلها ففتحها الله عليهم عنوة واحتمى أهلها بالبد الذي لهم فأحرقه المسلمون عليهم فاحترق بعضهم وقتل الباقون واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلا وأفاءها الله عليهم وفي سنة ستين أيضا غزا ثمامة بن العبس الصائفة وغزا الغمر بن العباس الخثعمي بحر الشام وفي سنة احدى وستين غزا الصائفة ثمامة ابن الوليد فنزل بدابق وجاشت الروم في ثمانين الفا فأتى ثمامة عمق مرعش فقتل وسبي واتى مرعش فحاصرها فقاتلهم وقتل من المسلمين عدة كثيرة وكان عيسى بن علي مرابطا بحصن مرعش فانصرف الروم الى جيحان وبلغ الخبر المهدي فعظم عليه وتجهز لغزو الروم كما سنذكر وفي سنة اثنين وستين خرجت الروم الى الحدث فهدموا سورها وغزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثمانين الف مرتزق سوى المتطوعة فبلغ اذروليه واكثر التحريق والتخريب في بلاد الروم ولم يفتح حصنا ولا لقي جمعا ورجع الناس سالمين وفيها غزا يزيد بن اسيد السلمي من ناحية قاليقلا فغنم وافتتح ثلاثة حصون وسبي

﴿ ذكر غزو المهدي ﴾

في سنة ثلاث وستين تجهز المهدي لغزو الروم فخرج وعسكر بالبردان وجمع الاجناد من خراسان وغيرها وسار عنها واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادي وعمره نحو عشرين سنة واستصحب معه ابنه هارون الرشيد وعمره نحو سبع عشرة سنة وسار على الموصل والجزيرة وعبر الفرات الى حلب وارسل وهو بحلب فجمع من تلك الناحية من الزنادقة فجمعوا فقتلهم وقطع كتبهم وسار عنها مشيعا لابنه هارون الرشيد حتى جاز الدرب الى جيحان فسار هارون بالجيش حتى نازل حصن سمالوا فحصروه ثمانية وثمانين يوما ونصب

س وأخذ أموالهم ولم
م أحدا وعاقب كثيرا
كان قبل استبعدها عنه
فر منه وكان له اخوان
لساء قبل الولاية فجعل
لاذية واستمر متغلبا
مكة فحبس من حبس
ى من قتل فنفرت الناس
لت عن مكة وخالفت
ئل وتقطعت الطرق
كثر العسكر الفساد
رف البلاد وسكنوا
ت الاشراف وانتهكوا
تهم وكان ممن فر منه
تي الشيخ جمال الدين
باقشير فتوجه مع الحج
ري الى مصر مختفيا
يلة خروجه مختفيا
ف في خروجه في
نه الشريف أحد عائذا
عمرة فكتب بطاقة
بعض العامة
عليها الشريف أحمد
صله له فقرأها في ضوء
وكان يسير به ليلا بدلا
المشاعل فاذا فيها
ل الدماء وتحرم بالعمرة
عن دما الناس أمسك
بنا والله اعجب حالا
واها فانك متنسك *
عن صاحب الرقعة
ف وبقي الشيخ جمال
باقشير بمصر الى ان
شريف أحمد فرجع
ة واستمر الشريف

فيه المجانيق ففتحه الله عليهم بالامان ووفى لهم وفتحوا فتوحا كثيرة ورجعوا ولما عاد المهدى من الغزاة زار بيت المقدس وفى سنة أربع وستين ومائة غزا عبد الكبير بن عبد الحميد بن زيد بن الخطاب من درب الحدث فأتاه ميخائيل البطريق فى تسعين الفا فخاف عبد الكبير ومنع من القتال ورجع بهم فأراد المهدى قتله فشفع فيه فحبسه وفى هذه السنة غزا عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس بلاد الافرنج فدوخها ونهب وسبى وبلغ قلهرة وفتح مدينة ... هدم قلاع تلك الناحية وسار الى بلاد البشكنس ونزل على حصن مثمين الاقرع تقدم الى ملد وثون بن اطلال وحصر قلعته وقصد الناس جبلها وقاتلوهم فيها ... نوة وخربوها ثم رجعوا

✹ ذكر غزو هرون الرشيد الروم ✹

... وستين سير المهدى ابنه هارون الرشيد لغزو الروم فى خمسة وتسعين الفا وتسعمائة ... ين ... فأ ... ن بلاد الروم ولقيهم عسكر نقيطا قومس القوامسة فبارزه ... ه يزيد وانهزمت الروم وغلب المسلمون على عسكرهم وساروا ... حب المسالح اى الثغور فحمل لهم مائة الف دينار وثلاثة وتسعين الفا ... ين دينار ومن الفضة احدى وعشرين الف الف درهم وأربعة عشر الفا درهم وسار الرشيد حتى بلغ خليج القسطنطينية وملك الروم يومئذ عطسة امرأة ... ليون وذلك أن ابنها كان صغيرا قد هلك أبوه وهو فى حجرها فجرى الصلح بينها وبين الرشيد على الفدية وان تقيم له الادلاء والاسواق فى الطريق وذلك انه دخل مدخلا ضيقا مخوفا فأجابته الى ذلك ومقدار الفدية سبعون ألف دينار كل سنة ورجع عنها وكانت الهدنة ثلاث سنين وكان مقدار ما غنم المسلمون الى ان اصطلحوا خمسة آلاف رأس سبى وستمائة وثلاثة واربعين رأسا ومن الدواب الذلل بأدواتها عشرين الف رأس وذبح من البقر والغنم مائة الف رأس وقتل من الروم فى الوقائع قبل الصلح أربعة وخمسون الفا وقتل من الاسرى صبرا الفان وتسع ... اسيرا وفى سنة ثمان وستين ومائة نقض الروم الصلح فوجه على بن سليمان وهو عا ... وقنسرين يزيد بن البدر بن البطال فغنموا وظفروا وفى سنة تسع وستين ومائة ... مهدى وبويع ابنه موسى الهادى وغزا الصائفة معيوف بن يحيى من طريق ... وقد كانت الروم قبل ذلك جاؤا مع بطريقهم الى الحدثة فهرب الوالى وأهل السوق ... لها الروم فقصدهم معيوف فبلغ مدينة أشنة فغنم وسبى وفى سنة سبعين ومائة توفى الهادى وبويع اخوه هارون الرشيد واستمر الى سنة ثلاث وتسعين ومائة فكانت مدته ثلاثا وعشرين سنة وكان يحج سنة ويغزو سنة وفى سنة احدى وسبعين توفى عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام صاحب الاندلس وكانت دولته بالاندلس ثلاثا وثلاثين سنة ثم صار الملك لاولاده بعده فقام بالامر بعده ابنه هشام وفى سنة أربع وسبعين غزا الصائفة عبد الملك بن صالح الهاشمى من قبل هارون الرشيد وفى سنة خمس وسبعين غزاها ابنه عبد الرحمن بن عبد الملك ابن صالح وفيها سار هشام بن عبد الرحمن صاحب الاندلس الى بلاد الفرنج فقصد ألبة والقلاع

من ينبع أو الحوراء وجاء معه مختفيا وكان قانصوه مأمورا ان ينظر فى أمر مكة ويولى فيها من يختار ولما ان قضت الحجاج مناسكهم وذهبوا الى بلادهم تخلف قانصوه بثقله أسفل مكة فلما تحرك للسفر قدم ثقله ولم يبق الا مخيمه وخيام العسكر فأشار قانصوه الى شخص يتعاطى خدمته من أبناء الطواف يسمى محمد المياس ان يحسن للشريف أحمد الوصول الى قانصوه للوداع ففعل وذهب الى الشريف أحمد وحسن له ذلك يوم السبت رابع عشر صفر فلما كانت ليلة الاحد خامس عشر الشهر المذكور سنة تسع وثلاثين وألف ركب الشريف أحمد اليه وصحبته جماعة من الاشراف ومن الخدم فلم يزالوا يدخلون فى الخيم من باب الى باب حتى وصلوا اليه فتحادثا مليا ثم نصبا الشطرنج

(قتل الشريف أحمد بن عبد المطلب سنة ١٠٣٩)

فلما كانت الساعة الخامسة من الليلة المذكورة قبض على الجميع فقتل الشريف أحمد وأطلق الباقين فتحركت عساكره فأظهر

 لهم مقتولا ونشر العلم ونودى المطيع للسلطان يقف تحته فوقفت العساكر تحته

فلقيه العدو فظفر بهم وقتل منهم خلقا كثيرا وفتح الله عليه وفي السنة التي بعدها غزا عبد الملك ابن عبد الواحد ففعل مثل ذلك وكذا في سنة سبع وتسعين فدخلوا بلاد العدو فبلغوا اربونة وجرندة وكان بها حامية الفرنج فقتل رجالها وهدم أسوارها وأبراجها وأشرف على فتحها فرحل عنها الى أربونة ففعل مثل ذلك وأوغل في بلادهم ووطئ أرض برطانية فاستباح حريمها وقتل مقاتلتها وجاس البلاد شهورا يخرب الحصون ويحرق ويغنم قد أجفل العدو من بين يديه هاربا وأوغل في بلادهم ورجع سالما معه من الغنائم مالا يعلمه الا الله تعالى وهي من أشهر مغازي المسلمين بالاندلس وفعل مثل ذلك في السنتين اللتين بعدها وتوفي هشام صاحب الاندلس سنة ثمانين ومائة وقام بالامر بعده ابنه الحكم ومن غزوات الرشيد الشهيرة غزوة أرض الروم في سنة احدى وثمانين فتح فيها حصن الصفصاف وفيها غزا عبد الملك بن صالح أرض الروم فبلغ انقرة وافتتح مطمورة وفي هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والروم وكان عدة الاسرى ثلاثة آلاف وسبعمائة وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة غزا الصائفة عبد الرحمن ابن عبد الملك بن صالح فبلغ افسوس مدينة أصحاب الكهف

﴿ ذكر غزو الخزر بلاد الاسلام ﴾

في سنة ثلاث وثمانين ومائة خرج الخزر من باب الابواب فأوقعوا بالمسلمين وأهل الذمة وسبوا أكثر من مائة الف رأس وانتهكوا أمرا عظيما لم يسمع بمثله فولى الرشيد ارمينية ليزيد بن مزيد الشيباني مضافا الى اذربيجان ووجه اليهم فظفر بهم وفي سنة ست وثمانين ومائة ملك الفرنج لعنهم الله مدينة برشلونة بالاندلس وأخذوها من المسلمين ونقلوا حماة ثغورهم اليها وتأخر المسلمون الى ورائهم وكان سبب ملكهم اياها اشتغال المسلمين بفتنة كانت بينهم

﴿ ذكر غزو الروم ﴾

وحيث ذكر الروم هنا وفيما تقدم وفيما يأتي فالمراد بهم النصارى اليونان الذين كان لهم ملك القسطنطينية وهم غير النصارى المعروفين بالافرنج كالفرنسيس وانكلترا وفي سنة سبع وثمانين ومائة دخل القاسم بن الرشيد ارض الروم فأناخ على قرة وحصرها ووجه العباس ابن جعفر بن محمد بن الاشعث فحصر حصن سنان حتى جهد أهلها فبعث اليه الروم ثلاثمائة وعشرين اسيرا من المسلمين على ان يرحل عنهم فأجابهم ورحل عنهم صلحا وكان على ملك الروم حينئذ امرأة اسمها ريني فخلعها الروم وملكت نقفور فكتب نقفور الى الرشيد من نقفور ملك الروم الى هارون ملك العرب اما بعد فان الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت اليك من اموالها ما كنت حقيقا بحمل اضعافها اليها لكن ذلك لضعف النساء وحمقهن فاذا قرأت كتابي هذا فاردد ما حصل لك من اموالها والا فالسيف بيننا وبينك فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب حتى لم يقدر احد ان ينظر اليه دون ان يخاطبه وتفرق جلساؤه فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من هرون امير المؤمنين الى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ماتراه دون ماتسمعه والسلام ثم سار من يومه حتى نزل على هرقلة ففتح

وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما

(ولاية الشريف مسعود ابن ادريس بن حسن بن أبي نمي سنة ١٠٣٩) فولي مكة بعده مولانا الشريف مسعود بن ادريس بن حسن بن أبي نمي وكان ملكا جوادا شجاعا حسن التدبير محبا للادب عارفا بمقادير العلماء والافاضل فبلغت به الناس المنى وكثر عليه الثناء ومدحه الشعراء بالقصائد

(دخول السيل المسجد وسقوط البيت سنة ١٠٣٩) وفي هذه السنة اعني سنة تسع وثلاثين بعد الالف كان سقوط البيت في مدة الشريف مسعود المذكور وسببه انه وقع مطر شديد في التاسع عشر من شعبان ودخل السيل المسجد وغرق فيه نحو الف انسان وهذه القصة مع العمارة مذكورة في التواريخ فلا حاجة بنا الى ذكرها

(وفاة الشريف مسعود سنة ١٠٤٠) وفي اثناء مدة العمارة توفي الشريف مسعود في عشرين من ربيع الثاني سنة أربعين وألف فكانت مدة ولايته سنة وثلاثة أشهر

(ولاية الشريف عبد الله بن حسن بن ابي نمي وهو جد ساداتنا آل عون امراء مكة حالا الى آخر الدوران)

وغنم وأحرق وخرب فسأله نقفور المصالحة على خراج يحمله كل سنة فأجابه الى ذلك فلما رجع من غزوته وصار بالرقة نقض نقفور العهد وكان البرد شديدا فأمن رجعة الرشيد اليه فلما جاء الخبر بنقضه ماجسر احد على اخبار الرشيد خوفا على انفسهم من العود فى مثل ذلك البرد واشفاقا من الرشيد فاحتيل له بشاعر من اهل جنده فقال ابياتا منها

نقض الذى اعطيته نقفور ☼ فعليه دائرة البوار تدور
ابشر امير المؤمنين فانه ☼ فتح أتاك به الاله كبير
فتح يزيد على الفتوح يؤمنا ☼ بالنصر فيه لواؤك المنصور

فلما سمع الرشيد ذلك قال اوقد فعل ذلك نقفور فرجع الى بلاد الروم فى اشد زمان واعظم كلفة حتى بلغ بلادهم فأقام بها حتى شفى واشتفى وبلغ ماأراد ورجع وفى هذه السنة ملك الفرنج مدينة تطيلة بالاندلس فتجهز الحكم صاحب الاندلس وسير العساكر مع ابن عم له فلقى المشركين وقاتلهم ففض جمعهم وهزمهم وقتل اكثرهم ونجا الباقون منهزمين وفى سنة ثمان وثمانين ومائة غزا ابراهيم بن جبريل الصائفة فدخل ارض الروم فخرج اليه نقفور ملك الروم واقتتلوا وقتل من الروم اربعون الفا وسبعمائة وفى سنة تسع وثمانين كان الفداء بين المسلمين والروم فلم يبق بأرض الروم مسلم

☼ ذكر فتح هرقلة وقبرس وغيرهما ☼

فى سنة تسعين غزا هارون الرشيد الروم فى مائة الف وخمسة وثلاثين الفا من المرتزقة سوى الاتباع والمتطوعة وفتح هرقلة واخربها ووجه داود بن عيسى سائرا فى ارض الروم فى سبعين الفا يخرب وينهب ففتح الله عليه وفتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودلسة وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف ومقدونية واستعمل حميد بن معيوف على سواحل الشام ومصر فبلغ قبرس وكانوا قد نقضوا العهد فهدم واحرق وسبى من اهلها سبعة عشر الفا ثم سار الرشيد الى طوانة فنزل بها وبعث نقفور بالخراج والجزية عن رأسه اربعة دنانير وعن رأس ولده دينارين وعن بطارقته كذلك وكتب نقفور الى الرشيد فى جارية من سبي هرقلة كان خطبها لولده فأرسلها اليه

☼ ذكر غزو الفرنج بالاندلس ☼

فى سنة احدى وتسعين ومائة تجهز لذريق ملك الفرنج بالاندلس وجمع جموعه ليسير الى مدينة طرطوشة ليحصرها فبلغ ذلك الحكم صاحب الاندلس فجهز العساكر وسيرها مع ولده عبدالرحمن فاجتمعوا فى جيش عظيم وتبعهم كثير من المتطوعة فسار فلقوا الافرنج فى اطراف بلادهم قبل ان ينالوا من بلاد المسلمين شيأ فاقتتلوا وبذل كل من الطائفتين جهده واستنفد وسعه فأنزل الله تعالى نصره على المسلمين فانهزم الكفار وكثر القتل فيهم والاسر ونهبت أموالهم وأثقالهم وعاد المسلمون ظافرين غانمين وفى هذه السنة غزا يزيد بن مخلد الهبيرى ارض الروم فى عشرة آلاف فأخذت الروم عليه المضيق فقتلوه وخمسين رجلا

فاجتمع السادة الاشراف واتفقوا على تولية الشريف عبدالله بن حسن بن أبي نمي وعرضوا ذلك الى السلطنة العلية فجاءته مراسيم التأييد وكان اتمام عمارة البيت الشريف على يده وهذا الشريف عبدالله بن حسن بن ابي نمي هو جد سيدنا الشريف محمد بن عبد المعين بن عون امير مكة فانه محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبدالله بن حسين بن عبدالله بن حسن ابن ابي نمي وقد ترجم صاحب خلاصة الاثر مولانا الشريف عبدالله بن حسن بن أبي نمي فقال كان سيدا جليلا عظيما صالحا ولى مكة بعد أخيه الشريف مسعود وهو اذ ذاك أكبر آل أبي نمي بالاتفاق من الاشراف وامراء السلطان وكان ممتنعا من الولاية وتخلف عن جنازة الشريف مسعود لذلك فألزموه بذلك حقنا لدماء العالم ومازالوا به حتى رضى وحصل بولايته الامن والامان واستمر مولانا الشريف عبدالله بن حسن الى ان حج بالناس سنة اربعين

(نزول الشريف عبدالله بن حسن عن الامارة لولده محمد ومشاركة زيد بن محسن لولده المذكور سنة ١٠٤١)

وفى شهر صفر من سنة احدى وأربعين وألف خلع نفسه تعففا وديانة وقلد أمر مكة لولده الشريف محمد بن عبدالله وأرسل الى اليمن يطلب

وسلم الباقون وفيها أمر الرشيد بهدم الكنائس التى فى الثغور وألزم أهل الذمة بمخالفة هيئة المسلمين فى لباسهم وركوبهم وفى سنة اثنتين وتسعين تحركت الخرمية بناحية اذربيجان فوجه اليهم الرشيد عبدالله بن مالك فى عشرة آلاف فقتل وسبى وأسر فأمره الرشيد بقتل الاسرى وبيع السبى وفى هذه السنة كان الفداء الثانى بين المسلمين والروم وكان عدة الاسرى من المسلمين ألفين وخمسمائة أسير وفى سنة ثلاث وتسعين توفى هارون الرشيد وبويع ابنه الأمين ثم وقع الاختلاف بينه وبين أخيه المأمون الى ان قتل الأمين سنة ثمان وتسعين ومائة وكان المأمون بخراسان فبويع وقدم العراق سنة اثنتين ومأتين وقيل سنة اربع

﴿ ذكر الغزو بالاندلس الى بلاد الفرنج ﴾

فى سنة مأتين جهز الحكم صاحب الاندلس جيشامع وزيره عبدالكريم بن مغيث الى بلاد الفرنج فسار بالعساكر حتى دخل ارضهم وتوسط بلادهم فخربها ونهبها وهدم عدة من حصونها كلما أهلك موضعا وصل الى غيره فاستخرج خزائن ملوكهم فلما رأى ملكهم فعل المسلمين ببلادهم كاتب ملوك جميع تلك النواحى مستنصرا بهم فاجتمعت اليه النصرانية من كل اوب فأقبل فى جموع عظيمة بازاء عسكر المسلمين وبينهم نهر فاقتتلوا قتالا شديدا عدة ايام والمسلمون يريدون ان يعبروا النهر وهم يمنعون المسلمين من ذلك فلما رأى المسلمون ذلك تأخروا عن النهر فعبر المشركون اليهم فاقتتلوا أعظم قتال فانهزم المشركون الى النهر فأخذهم السيف والاسر فمن عبر النهر سلم وأسر جماعة من ملوكهم وقامصتهم وعاد الفرنج ولزموا جانب النهر يمنعون المسلمين من جوازه فبقوا كذلك ثلاثة عشر يوما يقتتلون كل يوم فجاءت الامطار وزاد النهر وتعذر جوازه فقفل عبدالكريم عنهم وفى سنة احدى ومأتين وقع انتقاض فى الديلم فسير المأمون عبدالله بن خرداذبه والى طبرستان فافتتح جبال طبرستان وأسر ملك الديلم واشخصه الى المأمون وفى سنة ست ومأتين توفى الحكم صاحب الاندلس وقام بالامر بعده ابنه عبدالرحمن الاوسط وفى هذه السنة غزا المسلمون من افريقية جزيرة سردانية فغنموا واصابوا من الكفار وأصيب منهم ثم عادوا وفى سنة ثمان ومأتين سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى الافرنج واستعمل عليه الوزير عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث فساروا الى البة والقلاع فنهبوا بلاد ألبة واحرقوها وحصروا واعدة من الحصون فغنموا بعضها وصالحه بعضها على مال واطلاق الاسرى من المسلمين فغنموا أموالا جليلة القدر واستنقذوا من أسارى المسلمين وسبيهم كثيرا وعادوا سالمين وفى سنة عشر ومأتين سير عبدالرحمن بن الحكم أيضا جيشا الى بلاد الافرنج واستعمل عليه ابنه عبيدالله المعروف بابن البلنسى فسار ودخل بلاد العدو وتردد فيها بالغارات والسبى والقتل والاسر ولقى جيوش الاعداء فى ربيع الاول فاقتتلوا وانهزم المشركون وكثر القتل فيهم فكان فتحا عظيما وفيها افتتح عسكر سيره عبدالرحمن أيضا حصن القلعة من ارض العدو وتردد فيها بالغارات منتصف شهر رمضان وفى سنة ثنتى عشرة ومأتين

يريدان يجعله شريكا لوالده فوفد عليه الشريف زيد ابن محسن من اليمن فأشركه مع والده فى النصف الآخر وتخلى مولانا الشريف عبدالله عن الامر وتجرد للعبادة لأنه كان يدعى له على المنبر معهما

(وفاة الشريف عبدالله بن حسن سنة ١٠٤١)

واستمر مولانا الشريف عبدالله بن حسن بعدان خلع نفسه الى ان توفى ليلة الجمعة عاشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وصلى عليه ودفن فى قبة والده الشريف حسن فكانت مدة ولايته تسعة أشهر وثلاثة أيام وأعقب جملة من الذكور هم محمد وأحمد وجود وحسين وهاشم وثقبة وزامل ومبارك وزين العابدين واستمر بعد وفاته ابنه الشريف محمد والشريف زيد بن محسن على ولاية مكة وجاءهما التأييد من السلطنة العلية ولبسا خلعتين وقرئ مرسومهما فى سابع جمادى الاولى من هذه السنة وفى هذه السنة عصى أهل الطائف وقتلوا السيد راشد بن بركات بن أبى نمى صبرا فى مضربه

بالمبعوث فجاء الخبر للسيد على بن بركات بن أبى نمى فاستحث بنى عمه جميعا فأجابوه فخرج معهم مولانا (سير)

سير عبدالرحمن ايضا جيشا الى بلاد الافرنج فوصلوا الى برشلونة ثم ساروا الى جرندة وقاتل اهلها فأقام الجيش شهرين ينهبون ويقتلون ويخربون ثم رجعوا وفي هذه السنة سير زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب عامل المأمون على افريقية جيشا في البحر الى جزيرة صقلية وكان الروم تغلبوا عليها فلما وصلوا اليها ملكوا اكثيرا منها ثم امد الروم قسطنطين ملكهم بجيوش ووقعت وقائع كثيرة ثم كان النصر للمسلمين وقتلوا من الروم خلقا كثيرا

❁ ذكر غزوة المأمون الى الروم ❁

في سنة خمس عشرة ومائتين سار المأمون الى الروم في المحرم وانتهى الى طرسوس ودخل منها بلاد الروم في جمادى الاولى ودخل ابنه العباس من ملطية فأقام المأمون على حصن قرة حتى افتتحه عنوة وهدمه وقيل ان أهله طلبوا الامان فأمنهم وفتح قبله حصن ماجدة ووجه اشناس الى حصن سندس فأتاه برئيسه ووجه عجيف بن عنبسة وجعفر الخياط الى صاحب حصن سناذ فسمع وأطاع ثم رجع المأمون وفي سنة ست عشرة ومائتين عاد المأمون الى بلاد الروم وسبب ذلك انه بلغه ان ملك الروم قتل ألفا وستمائة من أهل طرسوس والمصيصة فسار حتى دخل ارض الروم وقيل ان سبب دخوله ان ملك الروم كتب اليه بدأ بنفسه فسار ولم يقرأ كتابه فلما دخل أرض الروم اناخ على انطيعوا فخرجوا على صلح ثم سار الى هرقلة فخرج أهلها على صلح ووجه اخاه المعتصم فافتتح ثلاثين حصنا ومطمورة ووجه يحيى ابن اكثم من طوانة فأغار وقتل وأحرق واصاب سبيا ورجع ثم سار المأمون الى كيسوم فأقام بها يومين ثم ارتحل الى دمشق ثم الى مصر ثم رجع الى الروم سنة سبع عشرة ومائتين فاناخ على لؤلؤة وهي اسم لحصن مائة يوم ثم رحل عنها وترك عجيفا عليها فخدع وأسر ثمانية ايام ثم اطلق ثم جاء ملك الروم فأحاط بعجيف فبعث اليه المأمون الجنود فارتحل ملك الروم وخرج أهل لؤلؤة الى عجيف بأمان وأرسل ملك الروم يطلب المهادنة فلم يتم ذلك وفي سنة ثماني عشرة ومائتين توفي المأمون وهو في بلاد الروم عند نهر البدندون وحمل الى طرسوس فدفن بها وبويع أخوه المعتصم بوصية منه وعهد اليه وفي هذه السنة دخل كثير من أهل الجبال وهمذان واصفهان وماسبذان وغيرها في دين الخرمية وتجمعوا فعسكروا في عمل همذان فوجه اليهم المعتصم العساكر وعليهم اسحاق بن ابراهيم بن مصعب فأوقع بهم في اعمال همذان وقتل منهم ستين الفا وهرب الباقون الى بلاد الروم والخرمية فرقة من المجوس يعتقدون مذهب التناسخ وان الارواح تنتقل من حيوان الى غيره والرجل منهم ينكح أمه وأخته وبنته ورئيسهم بابك الخرمي وكان للمعتصم معهم وقائع يطول الكلام بذكرها الى ان أباد كثيرا منهم بالقتل والاسر

❁ ذكر خروج الروم الى زبطرة ❁

في سنة ثلاث وعشرين ومائتين خرج ملك الروم الى بلاد الاسلام وأوقع بأهل زبطرة وغيرها قيل انه خرج في مائة الف وقيل اكثر من ذلك فقتل اهل زبطرة الرجال وسبي الذرية والنساء واغار على اهل ملطية وغيرها من حصون المسلمين وسبي المسلمات ومثل

مكة ومعه غالب الاشراف في موكب عظيم وفي أواخر هذه السنة كانت وقعة الجلالية وملخصها ان عسكرا من اليمن خرجوا عن طاعة قانصوه باشا وجاء الخبر انهم لما وصلوا القنفذة اجتمع بهم السيد نامي بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي واستمالهم على أخذ مكة فأرسلوا مكاتيب لمولانا الشريف محمد ومولانا الشريف زيد يطلبون الاذن في دخول مكة ثم يتوجهون الى مصر فرجع اليهم الجواب بعدم الاذن في دخول مكة ثم جاء الخبر بأن الاتراك وصلوا السعدية فخرج مولانا الشريف محمد ومولانا الشريف زيد ومعهم العساكر الى قوز المكاسة أسفل مكة قال العلامة العصامي وكان خروجهم في عشرين من شعبان في مثل سقوط البيت وفي الساعة بعد العصر وكان ذلك السقوط سنة تسع وثلاثين وألف كما تقدم ووقع اللقاء بين العسكرين هنالك فحصلت ملحمة عظيمة

(قتل مولانا الشريف محمد بن عبد الله في وقعة الجلالية سنة ١٠٤١) وقتل مولانا الشريف محمد بن عبدالله صاحب مكة وجماعة من الاشراف منهم السيد أحمد بن حراز

بمن صار في يده من المسلمين وسمل اعينهم وقطع انوفهم وآذانهم فنفر الى قتالهم أهل الثغور من الشام والجزيرة الامن لم يكن له دابة ولا سلاح

﴿ ذكر فتح عمورية وهي بروسة ﴾

لما خرج ملك الروم وفعل في بلاد الاسلام ما فعل بلغ الخبر المعتصم فاستعظمه وكبر لديه وبلغه أن امرأة هاشمية صاحت وهي اسيرة في ايدي الروم وامعتصماه فأجابها وهو جالس على سريره لبيك لبيك ونهض من ساعته وصاح في قصره النفير النفير وبلغه ان عمورية عين النصرانية واشرف عندهم من القسطنطينية فتجهز بما لم يعهد من السلاح وحياض الادم وغير ذلك وفرق عساكره ثلاث فرق فخربوا بلاد الروم وقتلوا كثيرا واحرقوا ووصلوا الى انقورية ثم اجتمعوا في عمورية وحاصروها ونصبوا عليها المجانيق وكانت في غاية الحصانة وقد ذكر الشيخ محي الدين بن العربي في كتابه المسمى بالمسامرة فتح عمورية فقال فتحها المعتصم في رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائتين وسبب فتحها ان رجلا وقف على المعتصم فقال يا أمير المؤمنين كنت بعمورية وجارية من احسن النساء اسيرة قد لطمها علج في وجهها فنادت وامعتصماه فقال العلج ومايقدر عليه المعتصم يجئ على ابلق ينصرك وزاد في ضربها فقال المعتصم وفي اي جهة عمورية فقال له الرجل هكذا واشار الى جهتها فرد المعتصم وجهه اليها وقال لبيك ايتها الجارية لبيك هذا المعتصم بالله اجابك ثم تجهز اليها في اثني عشر ألف فرس أبلق وفي هذه التلبية يقول له في قصيدة ابو تمام حبيب الطائي

لبيت صوتا رطيبا قد هرقت له ✻ كاس الكرى ورضاب الخرد العرب

فلما حاصرها وطال مقامه عليها جمع المنجمين فقالوا له انا نرى انك ما تفتحها الا في زمان نضج العنب والتين فبعد عليه ذلك واغتم لذلك فخرج ليلة متجسسا في العسكر يسمع ما يقول الناس فمر بخيمة حداد يضرب نعال الخيل وبين يديه غلام أقرع قبيح الصورة يضرب نعال الخيل ويقول في رأس المعتصم فقال له معلمه اتركنا من هذا مالك والمعتصم فقال ما عنده تدبير له كذا وكذا يوم على هذه المدينة مع قوته ولا يفتحها لو أعطاني الامر ما بات غدا الا فيها فتعجب المعتصم مما سمع وانصرف الى خيامه وترك بعض رجاله موكلا بالغلام فلما أصبح جاؤا به فقال ما حملك يا هذا على ما بلغني عنك فقال الذي بلغك حق ولني ما وراء خبائك وقد فتح الله عمورية فقال قد وليتك وخلع عليه وقدمه على الحرب فجمع الرماة واختار منهم اهل الاصابة وجاء الى بدن من ابدان السور وفي البدن من اوله الى آخره خط اسود من خشب عرضه ثلاثة اشبار واكثر فحمى السهام بالنار وقال للرماة من اخطأ منكم ذلك الخط الاسود ضربت عنقه واذا بذلك الخط خشب ساج فعندما حصلت فيه السهام المحمية قام النار فيه واحترق فنزل البدن كما هو وتحامى الرجال ودخل البلد بالسيف وذلك قبل الزمان الذي ذكره المنجمون وفي ذلك يقول ابو تمام حبيب الطائي في قصيدته التي امتدح بها المعتصم عند فتحه عمورية

السيف أصدق أنباء من الكتب ✻ في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في ✻ متونهن جلاء الشك والريب

(الى)

والسيد حسين بن مغامس والسيد سعيد بن راشد وأصيبت يد السيد هزاع بن محمد الحرث وقتل من الجماعة نحو المائتين ورجع الاشراف بالشريف محمد عصر ذلك اليوم وغسلوه وصلوا عليه ودفنوه في المعلى مع آبائه وكانت مدة ولايته سبعة أشهر الا ستة أيام وتوجه من نجا من الاشراف الى جهة وادي مر الظهران بعد ان قاتل مولانا الشريف زيد قتالا شديدا ثم بعد تمام الواقعة دخلت الاتراك مكة

*(ولاية الشريف نامي ابن عبد المطلب سنة ١٠٤١)

ومعهم الشريف نامي بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي فنودي له بالبلد وأشركوا معه السيد عبد العزيز بن ادريس بن حسن في ربع مكة لكن لم يشركوه في الدعاء على المنبر وأرسلوا الى أمير جدة دلاور اغا ان يسلمها اليهم فمنع من ذلك فتجهز اليه الشريف عبد العزيز والعسكر وحاصروا الامير المذكور ثم دخلوا جدة ونهبوا ابيته وأخذوه وأهانوه وضربوه ثم أطلقوه ونهبوا غالب التجار بجدة ثم رجعوا الى مكة وتفرق العسكر الى غالب بيوت الاشراف وبقية البيوت وعاثت العسكر في مكة وصادر الشريف نامي بعض التجار وقتل مصطفى بيك كبير

الى آخر ما ذكره فى القصيدة فلما دخلها ومعه الرجل الذى بلغه حديث الجارية قال له سر بى الى الموضع الذى رأيتها فيه فسار به وأخرجها من موضعها وقال لها ياجارية هل اجابك المعتصم وملكها العلج الذى لطمها والسيد الذى كان يملكها وجميع ماله وأخذ السيف الروم وأقبل الناس بالاسرى والسبى من كل وجه وأقام عليها خمسة وخمسين يوما وفرق الاسرى على القواد وسار الى نحو طرسوس ثم رجع الى دار ملكه

❊ ذكر غزوات زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب عامل افريقية ❊

قد تقدم ذكر غزوة من غزواته سنة ثنتى عشرة ومائتين ثم كانت له غزوة فى سنة ثلاث عشرة وكذا فى سنة اربع عشرة وهكذا الى سنة ثلاث وعشرين ومائتين والكلام على تفصيل تلك الغزوات طويل وفى أكثرها كان النصر للمسلمين وتوفى زيادة الله المذكور سنة ثلاث وعشرين وولى بعده اخوه الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب وسير سرية سنة اربع وعشرين الى صقلية فغنمت وسلمت وفى سنة خمس وعشرين استأمن عدة حصون الى المسلمين من جزيرة صقلية منها حصن البلوط وقرلوره ومرو وسار اسطول المسلمين الى قلوريه ففتحها ولقى اسطول صاحب القسطنطينية فهزموه بعد قتال فعاد الاسطول الى القسطنطينية مهزوما فكان فتحا عظيما وفى سنة ست وعشرين ومائتين سارت سرية للمسلمين بصقلية الى قصريانة فغنمت واحرقت وسبت فلم يخرج اليهم احد فسارت الى حصن الغيران وهو اربعون غارا فغنمت جميعها وفى سنة ثلاث وعشرين سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى البة والقلاع فنزلوا حصن الفرات وغنموا ما فيه وقتلوا أهله وسبوا النساء والذرية وعادوا وسير جيشا أيضا فى سنة أربع وعشرين فكان بينهم وبين المشركين حرب شديد فانهزم المشركون وقتل منهم ما لا يحصى وفعل مثل ذلك سنة خمس وعشرين ومائتين وفى سنة أربع وعشرين نقض كثير من أهل طبرستان فجهز المعتصم عليهم الجيوش وقاتلهم وقتل كثيرا منهم واسر آخرين حتى رجعوا الى الطاعة وتوفى المعتصم سنة سبع وعشرين ومائتين وبويع ابنه الواثق وفى هذه السنة سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى أرض العدو فلما كانوا بين اربونة وشرطانية تجمعت الروم عليهم واحاطوا بالعسكر وقاتلوهم الليل كله فلما أصبحوا أنزل الله نصره على المسلمين وهزم عدوهم وفى هذه السنة ايضا سير عبد الرحمن بن الحكم جيشا وجعل عليه عبد الله المعروف بابن البلنسى الى بلاد العدو فوصلوا الى البة والقلاع فخرج اليه المشركون فى جمعهم وكان بينهم حرب شديد وقتال عظيم فانهزم المشركون وقتل منهم ما لا يحصى وجمعت الرؤس اكداسا اى مجموعا بعضها فوق بعض حتى كان الفارس لا يرى من يقابله وفيها خرج ملكهم لذريق فى عسكره واراد الغارة على مدينة سالم من الاندلس فسار اليه فرتون بن موسى فى عسكر جرار فلقيه وقاتله فانهزم لذريق وكثر القتل فى عسكره وسار فرتون الى الحصن الذى كان بناه أهل البة وراء ثغور المسلمين فحصره وافتتحه وهدمه

❊ ذكر غزوات بافريقية ❊

وفى سنة ثمان وعشرين ومائتين غزا فى البحر بافريقية الفضل بن جعفر الهمدانى فنزل

أثناء شهر ذى القعدة أشيع بأن صاحب مصر بعث أربعة صناجق مع تجريدة وأسلحة لمولانا الشريف زيد بن محسن وكان بعد الواقعة توجه الى المدينة فصادف ببدر السيد على بن هيزع بريد مصر فكتب معه الى صاحب مصر فوصل السيد على المذكور وأخبر الباشا وهول الامر فيما وقع بمكة من الجلالية فجهز الباشا ثلاثة آلاف عسكرى ومعهم خمسة صناجق سافروا او جهز قبطان السويس ومعه خمسمائة عسكرى وأرسل قفطانين لمولانا الشريف زيد وأمره بلبسهما والتوجه الى ينبع لملاقاة العسكر فلبسهما بالمدينة المنورة فى حجرة النبى صلى الله عليه وسلم وتوجه الى ينبع ولاقى العسكر وسار معهم الى ان وصلوا الجموم ووصل خبرهم الى مكة فبعث الشريف نامى عيونا يبصرون له العسكر فى وادى الجموم نحو ثلاثين خيالا وعشرة هجانة فوصلوا الوادى ليلا فشعر بهم العسكر المصرى فلحقتهم الخيل فقتلوا منهم ثلاثة عشر خيالا وخمسة أو ستة هجانة

وفر الباقون الى مكة فجاؤا الى الشريف نامى وأخبروه بما هالهم فلما تيقن ذلك خرج من مكة ومن معه من الجلالية ومعه أخوه سيد

مرسى مسينى وبث السرايا فغنموا غنائم كثيرة واستأمن اليه أهل نابل وصاروا معه وقاتل الفضل الروم الذين بهامدة سنتين واشتد القتال فلم يقدر على أخذها فمضى طائفة من العسكر واستداروا اخلف جبل مطل على المدينة فصعدوا اليه ونزلوا الى المدينة وأهل البلد مشغولون بقتال الفضل بن جعفر ومن معه فلما رأى أهل البلدان المسلمين دخلوا عليهم من خلفهم انهزموا وفتح البلد وفتح أيضا مدينة مسكان وفى سنة تسع وعشرين ومائتين خرج ابو الاغلب العباس بن الفضل فى سرية فبلغ شرة فقاتله أهلها قتالا شديدا فانهزمت الروم وقتل منهم مازيد على عشرة آلاف رجل واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر ولم يكن بصقلية مثلها وفى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين حصر الفضل بن جعفر مدينة مسينى فأخبر الفضل ان أهل مسينى كاتبوا البطريق الذى بصقلية لينصرهم فأجابهم وقال لهم ان العلامة عند وصولى ان توقد النار ثلاث ليال على الجبل الفلانى فاذا رأيتم ذلك فى اليوم الرابع أصل اليكم فنجتمع أنا وأنتم على المسلمين بغتة فأرسل الفضل من أوقد النار على ذلك الجبل ثلاث ليال فلما رأى أهل مسينى النار أخذوا فى أمرهم واعد الفضل ماينبغى ان يستعد به وكمن الكمناء وأمر الذين يحاصرون المدينة ان ينهزموا الى جهة الكمين فاذا خرج أهلها عليهم قاتلوهم فاذا جاوزوا الكمين عطفوا عليهم فلما كان اليوم الرابع خرج أهل مسينى وقاتلوا المسلمين وهم ينتظرون وصول البطريق فانهزم المسلمون واستجروا الروم حتى جاوزوا الكمين ولم يبق بالبلد أحد الاخرج فلما جاوزوا الكمين عاد المسلمون عليهم وخرج الكمين من خلفهم ووضعوا السيف فيهم فلم ينج منهم الا القليل فسألوا الأمان على أنفسهم وأموالهم ليسلموا المدينة فأجابهم المسلمون الى ذلك وأمنوهم وسلموا المدينة وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وصل عشر شلنديات من الروم فارسوا بمرسى الطين وخرجوا ليغيروا فضلوا الطريق فرجعوا خائبين وركبوا البحر راجعين فغرق منها سبع قطع وفى سنة أربع وثلاثين ومائتين صالح أهل رغوس وسلموا المدينة الى المسلمين بمافيها فهدمها المسلمون وأخذوا منها ماأمكن حمله وفى سنة خمس وثلاثين سار طائفة من المسلمين الى مدينة قصريانة فغنموا وسبوا واحرقوا وقتلوا فى أهلها وكان الامير على صقلية للمسلمين محمد بن عبد الله بن الاغلب وكان مقيما بمدينة بلرم ولم يخرج منها وانما كان يخرج الجيوش والسرايا فتفتح وتغنم وكانت امارته عليها تسع عشرة سنة وتوفى سنة ست وثلاثين ومائتين وفى سنة ثمان وعشرين ومائتين بعث عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا عليهم الحارث بن بزيغ لقتال الافرنج فوقع القتال وأصاب الحارث ضربة فى وجهه قلعت عينه ثم اسر فجهز عبد الرحمن بن الحكم جيشا واستعمل عليه ابنه محمدا فأوقع بالافرنج وقتل ملكهم غرسية وكثيرا من قومه واطلق الحارث بن بزيغ وفى سنة ثلاثين ومائتين خرج جماعة كثيرون فى بحر الاندلس من المجوس وأوقعوا بالمسلمين فى مدائن كثيرة فجهز عليهم عبد الرحمن بن الحكم جيوشا كثيرة مع قواده فقاتلوا المجوس قتالا شديدا وهزموهم وقتلوا كثيرا منهم فى وقائع كثيرة وفى سنة احدى وثلاثين ومائتين بعث الواثق جيشا لقتال الروم فقصدوا اجليقية وقتلوا واسروا وسبوا وغنموا ثم قصدوا مدينة اليون فحصروها ورموها بالمجانيق فخاف أهلها فتركوها بمافيها

واربعين وألف وتوجهوا الى تربة وتحصنوا بها وفارقهم فى أثناء الطريق السيد عبد العزيز بن ادريس وانحدر الى ينبع وكان بمكة مولانا السيد أحمد بن قتادة بن ثقبة بن مهنا فنادى أن البلاد لمولانا السلطان فأمن الناس واطمئنوا وأرسل لمولانا الشريف زيد يعرفه بخلو البلاد

(دخول مولانا الشريف زيد بن محسن مع العسكر المصريين وخروج الشريف نامى الى تربة)

فلما كان وقت شروق الشمس يوم الخميس سادس ذى الحجة دخل مولانا الشريف زيد ومعه الصناجق ونزل بدار السعادة ودخل المحمل المصرى عقب دخوله ولم يكن معهم حجاج غير العسكر ثم نزل مولانا الشريف زيد المسجد وقت الضحى من ذلك اليوم وطاف بالبيت والرئيس يدعوله والمنادى ينادى له فى شوارع مكة ثم سأل عن تخلف من العسكر فاخبر بجماعة منهم تخلفوا وانهم قتلوا منهم نحو الخمسين وحج بالناس فى السنة المذكورة وامتدحه الشعراء بقصائد وحصل للناس سرور كثير

وخرجوا هاربين فغنم المسلمون منهم ماأرادوا وخربوا البلاد ولم يقدروا على هدم سورها لان عرضه سبع عشرة ذراعا فتركوه ومضوا وقد ثلموا فيه ثلما كثيرة وفى هذه السنة أمر الواثق بفداء المسلمين واجتمع المسلمون والروم على نهر اللامس وأحضر المسلمون من معهم من الاسرى وأحضر المشركون من معهم من الاسرى وكان النهر بين الطائفتين فكان المسلمون يطلقون الاسير فيطلق الروم الاسير من المسلمين فيلتقيان فى وسط النهر ويأتى كل الى اصحابه فاذا وصل الاسير الى المسلمين كبروا واذا وصل الاسير الى الروم صاحوا حتى فرغوا وكان النهر مخاضة تعبره الاسرى وكان عدة أسرى المسلمين اربعة آلاف واربعمائة وستين نفسا ومن النساء والصبيان ثمانمائة نفس والمحلق بالمسلمين من أهل الذمة مائة نفس ولما فرغوا من الفداء غزا احمد بن سعيد بن مسلم الباهلى المقدم فى أمر الفداء شاتيا فأصاب الناس ثلج ومطر فمات من المسلمين مائتا نفس واسر نحوهم وغرق بالبدندون خلق كثير وجاء بطريق من الروم ينذره فقال وجوه الناس لاحمد ان عسكرا فيه سبعة آلاف لاتخوف عليهم فان كنت كذلك فواجه القوم واطرق بلادهم ففعل وغنم نحوا من ألف بقرة وعشرة آلاف شاة ورجع فعزله الواثق واستعمل مكانه نصر بن حمزة الخزاعى وتوفى الواثق سنة اثنين وثلاثين وبويع اخوه المتوكل ابن المعتصم وفى سنة خمس وثلاثين سير عبدالرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا كثيفا لقتال الافرنج فبلغوا البة وغنموا وظفروا وفى سنة ست وثلاثين سير جيشا الى برشلونة فقتلوا من أهلها فأكثروا وأسروا جما غفيرا وغنموا وعادوا سالمين وكذا فى سنة سبع وثلاثين وتوفى الحكم سنة ثمان وثلاثين وقام بالامر بعده ابنه محمد

❁ ذكر غزوات وفتوحات بأفريقية ❁

قد تقدم ان ابتداء فتوح المسلمين لافريقية كان فى خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه على يد عبدالله بن سعد بن أبى سرح سنة عشرين من الهجرة ولما كانت خلافة هارون الرشيد ولى على افريقية ابراهيم بن الاغلب التميمى سنة أربع وثمانين ومائة وتوارث بنوه الملك بعده عالا لخلفاء بنى العباس واستمر ذلك فيهم الى سنة مائتين وست وتسعين فزالت دولتهم لما صار ملك افريقية للفاطميين ويقال لهم العبيديون فكانت مدة ملك بنى الاغلب مائة سنة واثنتى عشرة سنة وكان مقر ملكهم القيروان واتسع ملكهم وقوى بافريقية وصار لهم اموال كثيرة وخيل وجنود وافرة وملك ضخم ومراكب فى البحر ولهم كثير من المآثر المحمودة والمواقف المشهودة والغزوات الكثيرة والفتوحات الشهيرة وقد تقدم ذكر كثير منها وسيأتى غيرها وأكثر فتوحات افريقية كان على ايديهم وتقدم ان اول من اختط مدينة القيروان عقبة بن نافع الفهرى رضى الله عنه ولد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولم تثبت له صحبة وكان صالحا من كبار التابعين وخيارهم وكان خطة القيروان سنة خمسين من الهجرة حين كان أميرا على افريقية فى خلافة معاوية رضى الله عنه فلما اختطها صارت قاعدة افريقية ومقر ملكها ثم بعد سنين كثيرة صارت مدينة تونس بدلا عنها وافريقية بلاد واسعة قال فى القاموس ان افريقية قبالة الاندلس وقال السيد مرتضى فى شرحه على

بالامان وهجم العسكر على الحصن ودخلوه وقتلوا غالب من فيه وأمسكوا كور محمود والشريف نامى وأخاه سيدا وجاء الخبر الى مكة فزينت البلد سبعة أيام وكان دخولهم الحصن عاشر محرم سنة اثنين وأربعين وألف فرجعوا ودخلوا مكة سابع عشر محرم فاستفتوا بمكة على الشريفين نامى وأخيه فأفتى العلماء بقتلهما

(تعليق الشريف نامى وأخيه بالمدعى)

فشنقوا الشريفين بالمدعى فى روشنين متقابلين يوم الخميس ثامن عشر محرم وأمرت العساكر بتخريق سواعد كور محمود وأركبوه جملا وطافوا به فى شوارع مكة ثم علقوه بالجميزة التى فى المعلى وبقى حيا الى آخر النهار فأنزلوه وقتلوه وحرقوه وذروا رماده فى الهواء وتخلف أمير الحاج المصرى والشامى الى ان رجع العسكر من تربة وتوجهوا جميعا أواخر صفر واستمر مولانا الشريف زيد حاكما بمكة ضابطا لها مؤمنا لها ولاهلها الى أن توفى الى رحمة الله وكانت مدة

 الشريف نامى مائة يوم ويوم على قدر حروف اسمه وكان مولد مولانا

تجبي اليه ثمرات العلوم والآداب من كل طائل ويقابل بالبشر والنائل ويباحث العلماء في دقيق المسائل وفي سنة ثلاث وأربعين خرج مولانا الشريف زيد لقتال صبح وهم فرقة من حرب فسار اليهم ونصره الله عليهم حتى صعد الى أقصى جبلهم وغنم منهم أموالا لاتعد ثم صالحه أهل السهل بالسلاح والمال فأخذه منهم ورجع

(وقوع الفناء في الخيل بمكة سنة ١٠٤٣)

وفي هذه السنة وقع الموت والفناء في الخيل بمكة وسمته العامة أبامشفر وفنيت الخيل حتى لم يبق بمكة الا فرس واحد أخذوه لمولانا الشريف وصارت الاشراف تركب الحمير وفي عشرين من ذي الحجة وقعت فتنة بين العبيد والعسكر المصري وسببها انهم تراجموا عند مقيا الماء بالبرابيز فسارت الفتنة واتسعت حتى ان العسكر أحضروا مدفعا عند البرابيز وآخر عند المدرسة واستمرت الفتنة الى ان هجم الليل ثم خرج مولانا الشريف ثاني يوم وأسكن الفتنة ونادى مناديه بالامان فأمن الناس وسكنت الفتنة

القاموس ان افريقية قبالة جزيرة صقلية منحرفة الى الشرق والاندلس منحرفة عنها الى جهة المغرب وصقلية بكسرات مشددة اللام جزيرة عظيمة بالمغرب كثيرة البلدان والقرى والمواشي افتتح المسلمون كثيرا من مدائنها وقراها بعد غزوات كثيرة وكان اول الغزو اليها زمن ولاية معاوية بن حديج على افريقية في خلافة معاوية رضي الله عنه ولم يفتحها وتابع الغزو اليها في زمن ولاية بني الاغلب من اول دولتهم الى آخرها وتملكوا اكثر الجزيرة ولم يزل الفتح فيها والغزو اليها ولم يتم فتحها الى ان انقضت ولاية بني الاغلب سنة مائتين وست وتسعين وجزيرة صقلية الآن داخلة في ممالك ايطاليا واعلم ان المغرب يشتمل على ثلاث ممالك عظام وهي المغرب الادنى والمغرب الاوسط والمغرب الاقصى فالمغرب الادنى القيروان وتونس وطرابلس الغرب وأعمال كل منها والمغرب الاوسط تلمسان والجزائر وأعمالها وذلك الآن بيد الفرنسيس تملكوه من سنة الف ومائتين وست وأربعين والمغرب الاقصى فاس ومراكش والسوس واعمال كل منها وذلك الآن بيد سلطان فاس وانما قيل لذلك المغرب الاقصى لانه أبعد عن دار الخلافة في صدر الاسلام وكان قبل استحداث مدينة تونس موجود مدينة عظمى تسمى (قرطاجنة) بتشديد النون المفتوحة وكانت مدينة شهيرة من عجائب الدنيا وكانت عند الروم تضاهي مدينة رومه وكان بها كثير من ملوك الفرنج ومعهم من الفرنج امم لاتحصى فغزاها المسلمون سنة تسع وستين من الهجرة بأربعين الف الجند اميرهم حسان بن النعمان في خلافة عبدالملك بن مروان فحاصرها حسان بن النعمان بمن معه من الجند الى ان افتتحها وقتل كثيرا ممن كان فيها ونجا قوم منهم في المراكب الى جزيرة صقلية وقوم منهم الى الاندلس ولما انصرف عنها حسان بن النعمان دخلها قوم من أهل الضواحي والبادية وتحصنوا بها فرجع اليهم حسان وقاتلهم اشد قتال وافتتحها عنوة وأمر بتخريبها واعفاء أثرها وكسر قنواتها فذهبت كأمس الدابر ولم يبق بها الا آثار خفيفة تدل على ماكان فيها من عجائب الصنعة واحكام العمل وعمر بأنقاضها مدينة تونس بالقرب منها ومن غزوات بني الاغلب غزوة لزيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب في سنة مائتين واثنتين جهز جيشا في مراكب في البحر الى مدينة سردانية وهي جزيرة كبيرة ببحر المغرب كانت للروم فغنموا وقتلوا كثيرا ورجعوا سالمين وفي سنة سبع ومائتين سير جيشا ففتحوا مواضع من جزيرة صقلية وسير ايضا جيشا في سنة ثنتي عشرة ففتحوا ايضا مواضع كثيرة من جزيرة صقلية ثم وقع اختلاف بين ملوك الروم الذين كانوا في صقلية فاستنجد بعض منهم بزيادة الله بن الاغلب ووعده بأنه يملكه جزيرة صقلية فسير معه جيشا في ربيع الاول من سنة ثنتي عشرة ومائتين فوصلوا الى مدينة مازر من صقلية ثم ساروا فلقيهم جمع من الروم فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا فانهزمت الروم وقتل كثير منهم وغنم المسلمون اموالهم ودوابهم واستولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة ثم توجهوا الى حصار قصريانة وهي من جزيرة صقلية وبث المسلمون السرايا في كل ناحية فغنموا شيئا كثيرا وافتتحوا امرا كثيرة حول سرقوسة وحاصروا سرقوسة برا وبحرا ولحقتهم الامداد من افريقية فضيقوا على سرقوسة فوصل اسطول من القسطنطينية فيه جمع كثير

من الر... الجماعاتهم وذلك في سنة ثلاث عشرة ومائتين وكان قد حل بالمسلمين وباء شديد هلك فيه ... فلما رأى المسلمون شدة الوباء ووصول الروم تحمل المسلمون في مراكبهم ليسيروا ويتر... الحصار فوقف الروم في مراكبهم على باب المرسى فمنعوا المسلمين من الخروج فلما رأى المسلمون ذلك أحرقوا مراكبهم وعادوا ورحلوا الى مدينة ميناو فحصروها ثلاثة ايام وتسلموا الحصن وسار طائفة منهم الى حصن جرجنت فقاتلوا أهله وملكوه وسكنوا فيه واشتدت نفوس المسلمين بهذا الفتح وفرحوا ثم ساروا الى مدينة قصريانة ووصل جيش كثير من القسطنطينية مددا لمن في الجزيرة فتصافوا هم والمسلمون واقتتلوا فانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير ودخل منهم من سلم قصريانة ثم ان سرية للمسلمين سارت للغنيمة فخرج عليها طائفة من الروم فاقتتلوا وانهزم المسلمون وعادوا من الغد ومعهم جمع من عسكر المسلمين فخرج اليهم الروم وقد اجتمعوا وحشدوا وتصافوا مرة ثانية واقتتلوا فانهزم المسلمون ايضا وقتل منهم نحو ألف قتيل وعادوا الى معسكرهم وخندقوا عليهم فحصرهم الروم ودام القتال بينهم فضاقت الاقوات على المسلمين فعزموا على بيات الروم فعلموا بهم ففارقوا الخيام فلما خرج المسلمون لبيات الروم لم يجدوا أحدا وأقبل عليهم الروم من كل ناحية فأكثروا القتل في المسلمين وانهزم الباقون من المسلمين ودخلوا ميناو فحصرهم الروم ودام الحصار على المسلمين حتى أكلوا الدواب والكلاب فلما سمع بذلك من في مدينة جرجنت من المسلمين هدموا المدينة وساروا الى مازر ولم يقدروا على نصرة اخوانهم من المسلمين ودام الحال الى ان دخلت سنة أربع عشرة ومائتين وقد أشرف المسلمون على الهلاك اذ أقبل أسطول كثير من المسلمين الذين في الاندلس خرجوا غزاة ووصل ايضا في ذلك الوقت مراكب كثيرة من افريقية مددا للمسلمين فبلغت عدة الجميع ثلاثمائة مركب فنزلوا الى الجزيرة فانهزم الروم عن حصار المسلمين وفرج الله عنهم وسار المسلمون الى مدينة بلرم وكانت للروم فحصروها وضيقوا على من بها فطلب صاحبها الامان لنفسه ولاهله ولماله فاجيب الى ذلك وسار في البحر الى بلاد الروم ودخل المسلمون البلد في رجب سنة ست عشرة ومائتين فلم يروا فيه الأقل من ثلاثة آلاف انسان وكان فيه لما حصر وسبعون الفا وماتوا كلهم وبقي المسلمون الى سنة تسع عشرة ومائتين ثم ساروا الى مدينة قصريانة فخرج اليهم من كان فيها من الروم فاقتتلوا اشد قتال ففتح الله على المسلمين وانهزم الروم الى معسكرهم ثم رجعوا في الربيع فقاتلهم فنصر الله المسلمين أيضا ثم سار المسلمون أيضا سنة عشرين الى قصريانة فقاتلهم الروم فهزمهم الله تعالى وانتصر المسلمون عليهم وأسرت امرأة لبطريقهم وابن له وغنم المسلمون ما كان في معسكرهم وعادوا الى بلرم ثم سيروا عسكرا الى ناحية طبرمين فغنموا غنائم كثيرة ثم عدا بعض عسكر المسلمين على أمير المسلمين وهو محمد بن سالم فقتلوه ولحقوا بالروم فأرسل زيادة الله بن الاغلب من افريقية الفضل بن يعقوب عوضا عنه فسار في سرية الى ناحية سرقوسة فأصابوا غنائم كثيرة وعادوا ثم سارت سرية كبيرة فغنمت وعادت فعرض لهم الملك صاحب صقلية ومعه جمع كثير من الروم فتحصنوا من الروم في ارض وعرة وشجر كثيف فلم يتمكن الملك من قتالهم ووافقهم الى العصر فلما رأى أنهم لا يقاتلونهم عاد عنهم فتفرق أصحابه وتركوا التعبية فلما رأى المسلمون ذلك حملوا

نادى منادي الشريف على الموجود منهم في ذلك العام ان يخرجوا الى السفر سابع عشر ذي الحجة ولا يحجون بعد عامهم هذا ودار عليهم العسكر وأخرجوهم من بين الحجاج فخرجوا على أشنع حال وفي هذه السنة غزا مولانا الشريف بني سعد وغامد ورجع سالما غانما وفي سنة تسع وأربعين وألف حج بشير اغا الطواشي من مماليك السلطان مراد وكان حظيا عنده فاستأذنه في الحج فأذن له وأخرج دستور امكرما بيده ومعناه جواز تصرفه في كل ما يريد من عزل وتولية فلما دخل مصر خرج لملاقاته صاحب مصر الى خارج البلد فلما نظر اليه ترجل عن فرسه وسار الى ان قبل ركبته ومشى الى ان أمره بالركوب فدخل مصر ووصل الخبر بما وقع لمولانا الشريف زيد فأخذته أنفة الاريحية والهمة العلية وأقلقه ما ورد عليه من الخبر وحدوث هذه العبر فعزم على الخروج من مكة ليكون عذرا في عدم اللقاء وحاجزا عن التسافل بعد الارتقاء ولما تزايد عليه هذا الطارئ قصد العارف بالله السيد

عبد الرحمن المحجوب وذكر له ما خطر بباله لتزايد بلباله فقال له مولانا السيد عبد الرحمن دع عنك هذا فالله يكفيك من ذلك وطب

عليهم حملة صادقة فانهزم الروم وطعن الملك وجرح عدة جراحات وسقط عن فرسه فأتاه حماة أصحابه واستنقذوه جريحا وحملوه وغنم المسلمون مامعهم من سلاح ومتاع ودواب فكانت وقعة عظيمة وسير زيادة الله بن الاغلب من افريقية الى صقلية أبا الاغلب ابراهيم بن عبد الله اميرا على تلك الجيوش فوصل اليهم منتصف رمضان فبعث اسطولا فلقوا جمعا للروم فى اسطول فغنم المسلمون مافيه من مال وأسروا مافيه من رجال فضرب ابو الاغلب رقاب كل من فيه و بعث اسطولا آخر الى قوصرة فظفر بحراقة فيها رجال من الروم ورجل من اهل افريقية كان مسلما فتنصر فأتى بهم فضربت رقابهم وسارت سرية اخرى الى جبل النار والحصون التى فى تلك الناحية فاحرقوا الزرع وغنموا واكثروا القتل ثم سير ابو الاغلب سنة احدى وعشرين ومائتين سرية الى جبل النار ايضا فغنموا غنائم عظيمة حتى بيع الرقيق بأبخس الاثمان وعادوا سالمين وفيها سير ابو الاغلب ايضا سرية الى قسطلياسة فغنموا وسبوا ولقيهم العدو فكانت بينهم حرب استظهر فيها الروم وفيها ايضا جهز اسطولا فساروا نحو الجزائر فغنموا غنائم عظيمة وفتحوا مدنا ومعاقل وعادوا سالمين وفيها ايضا سير سرية الى مدينة قصريانة فخرج اليهم العدو فاقتتلوا فانهزم المسلمون واصيب منهم جماعة ثم كانت وقعة اخرى بين الروم والمسلمين فانهزم الروم وغنم المسلمون منهم تسعة مراكب كبار برجالها وشلندى فلما جاء الشتاء وأظلم الليل رأى رجل من المسلمين غفلة من اهل قصريانة فتقرب ورأى طريقا فدخل منه ولم يعلم به احد ثم انصرف الى العسكر فأخبرهم فجاؤا معه فدخلوا من ذلك الموضع وكبروا وملكوا اربضه وتحصن المشركون منهم بحصنه وطلبوا الامان فأمنوهم وغنم المسلمون غنائم كثيرة وعادوا الى بلرم وفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين وصل كثير من الروم فى البحر الى صقلية وكان المسلمون قد حاصروا جفلوذى وقد طال حصارها فلما وصل الروم رحل المسلمون عنها وجرى بينهم وبين الروم الواصلين حروب كثيرة ثم جاء للمسلمين الخبر بوفاة زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب أمير افريقية فوهن المسلمون ثم تشجعوا وضبطوا انفسهم (سرقوسة) بسين مفتوحة وقاف وواو وسين ثانية (وبلرم) بفتح الباء الموحدة واللام وتسكين الراء وبعدها ميم (ميناو) بميم وياء تحتها نقطتان ونون وبعد الالف واو (وجرجنت) بجيم وراء وجيم ثانية مفتوحة وتاء فوقها نقطتان و(قصريانه) بالقاف والصاد المهملة والراء والياء تحتها نقطتان وبعد الالف نون مشددة وهاء وهذه الغزوات هى التى ذكرت مجملة قبل هذا الموضع بورقة استحسنا تدارك ذكرها تفصيلا لما اشتملت عليه من الفوائد ولما توفى محمد بن عبد الله أمير صقلية سنة ست وثلاثين كما تقدم اجتمع المسلمون بها على ولاية العباس بن الفضل بن يعقوب فولوه أمرهم وكتبوا بذلك الى محمد بن الاغلب أمير افريقية فأرسل اليه عهدا بولايته فكان العباس يرسل السرايا ويأتيه الغنائم الى ان أتاه عهده بولايته فخرج بنفسه وأرسل سرية الى قلعة ابى ثور فغنموا وأسروا وعادوا فقتل الاسرى ثم توجه الى مدينة قصريانة فنهب وأحرق وخرب ليخرج اليه البطريق فلم يفعل فعاد العباس وفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين خرج حتى بلغ قصريانة وهى المدينة التى بها دار الملك بصقلية وكان قبلها يسكن سرقوسة فلما ملك المسلمون بعض الجزيرة نقل دار الملك

نفسا فما يقع الا الخير ولله التدبير فاعتمد على قوله فلما أن وصل بشير اغا الى رابغ أتاه نجاب بخبر وفاة مولانا السلطان فبطل ما بيده من الاحكام وصار كأحد الناس بعد ان كان رئيس الحكام وجاء الخبر الى مولانا الشريف زيد بالتأييد وان السلطان توفى فى أوائل شوال فولى بعده مولانا السلطان ابراهيم بن احمد خان اخو السلطان مراد فورد بشير أغا مكة فلاقاه مولانا الشريف بقرب مكة وبشير اغا عنده ان خبر موت السلطان مكتوم فلما تقاربا وتصافحا ركض مولانا الشريف فرسه متقدما على بشير اغا وناكبه وقال (الله رحمت ايليه سلطان مراده) فحين سمعه بشير اغا تداخل فى جسمه ومشى كالاسير وهذا من جملة سعودات مولانا الشريف زيد ومن جملة ما اتفق ان الشريف رحمه الله رأى ليلة فى منامه ان شخصا ينشد هذا البيت

كان لم يكن أمر وان كان كائنا * فكان به أمر نفى ذلك الامرا *

فحفظ البيت وكتبه بالسواك على رمل فى صحن نحاس خشية النسيان وكانت هذه الرؤيا فى الليلة التى أسفر صباحها عن ورود هذا الخبر واستمر بشير أغا الى ان حج وتوجه صحبة الحاج وقد ضمن البيت الذى رآه مولانا الشريف زيد فى منامه الشاعر المشهور محمد الانسى

(الى)

الى قصريانة لحصانتها فخرج العباس ومعه جمع عظيم فغنم وخرب واتى قطانية وسرقوسة وتوطس ورغوس فغنم من جميع هذه البلاد وخرب واحرق ونزل على شيرة وحصرها خمسة أشهر فصالحه اهلها على خمسة آلاف رأس وفي سنة اثنتين واربعين سار العباس في جيش كثيف ففتح حصونا جمة وفي سنة ثلاث واربع سار الى قصريانة فخرج اهلها فلقوه فهزمهم وقتل فيهم فأكثر وقصد سرقوسة وطبرمين وغيرهما فنهب وخرب وأحرق ونزل على القصر الجديد وحصره وضيق على من به من الروم فبذلوا له خمسة عشر الف دينار فلم يقبل منهم وأطال الحصر فسلموا اليه الحصن على شرط ان يطلق مائتي نفس فأجابهم الى ذلك وملكه وباع كل من فيه سوى مائتي نفس وهدم الحصن

ذكر فتح قصريانة

في سنة اربع واربعين ومائتين فتح المسلمون مدينة قصريانة وهي المدينة التي بها دار الملك بصقلية وكان الملك قبلها يسكن سرقوسة فلما ملك المسلمون بعض الجزيرة نقل دار الملك الى قصريانة لحصانتها وسبب فتحها ان العباس سار في جيوش المسلمين الى مدينة قصريانة وسرقوسة وسير جيشا في البحر فلقيهم اربعون شلندي للروم فاقتتلوا أشد قتال فانهزم الروم وأخذ المسلمون منهم عشر شلنديات برجالها وعاد العباس الى مدينته فلما كان الشتاء سير سرية فبلغت قصريانة فنهبوا وخربوا وعادوا وكان معهم اسير من الروم له عند الروم قدر ومنزلة فأمر العباس بقتله فقال استبقني ولك عندي نصيحة قال وما هي قال أملكك قصريانة والطريق في ذلك أن القوم في هذا الشتاء وهذه الثلوج آمنون من قصدكم اليهم فهم غير محترسين ترسل معي طائفة من عسكركم حتى ادخلكم المدينة فانتخب العباس الفي فارس انجاد أبطالا وسار الى ان قاربها وكمن هناك مستترا وسير عمه رباحا في شجعانهم فساروا مستخفين في الليل والرومي معهم مقيد بين يدي رباح فأراهم الموضع الذي ينبغي ان يملك منه فنصبوا السلالم وصعدوا حتى وصلوا الى سور المدينة قريبا من الصبح والحرس نيام فدخلوا من باب صغير فيه يدخل منه الماء وتلقى فيه الاقذار فدخل المسلمون كلهم فوضعوا السيف في الروم وفتحوا الابواب وجاء العباس في باقي العسكر فدخلوا المدينة وصلوا الصبح بها يوم الخميس وبنى فيها في الحال مسجدا ونصب فيه منبرا وخطب فيه يوم الجمعة وقتل من وجد فيه من المقاتلة وأخذوا ما فيها من بنات البطارقة بحليهن وابناء الملوك واصابوا فيها ما يعجز الوصف عنه وذل الشرك يومئذ بصقلية ذلا عظيما ولما سمع الروم بذلك أرسل ملكهم بطريقا من القسطنطينية في ثلاثمائة شلندي وعسكر كثير فوصلوا الى سرقوسة فخرج اليهم العباس من المدينة ولقي الروم وقاتلهم فهزمهم فركبوا في مراكبهم هاربين وغنم المسلمون منهم مائة شلندي وكثر القتل فيهم ولم يصب من المسلمين ذلك اليوم غير ثلاثة نفر بالنشاب وفي سنة ست وأربعين ومائتين نكث كثير من قلاع صقلية فخرج العباس اليهم وقاتلهم فانهزم الروم وقتل كثير منهم وسار الى بعض القلاع التي نكثت فحصرها فأتاه الخبر بأن كثيرا من عساكر الروم قد وصلت فرحل اليهم وجرى بينه وبينهم قتال

في قصيدة طويلة امتدح بها مولانا الشريف زيد فأجازه بألف دينار وفي هذه السنة عصى أهل الجار فغزاهم مولانا الشريف ولم يزل بهم حتى أضعفهم ثم رجع سالما رابع ذي الحجة وفي سنة ثلاث وخمسين وألف وقع سيل عظيم بعرفة يوم الموقف واستمر من الظهر الى المغرب ولما نفر الناس عاقهم السيل المعترض من تحت العلمين عن المرور ومنعهم من دخول الحرم واستمر الناس وقوفا الى آخر الليل فخف فقطعه الناس بغاية المشقة وفي سنة الف وست وخمسين وردت مشيخة الحرم المكي لصنجق جدة مصطفى بيك وكان متوليا صنجقها فقط من سنة اثنتين وخمسين فلما جاءته مشيخة الحرم مضافة الى الصنجقية استفحل أمره وشرع في التطرق للاحكام بمكة فنفرت نفس مولانا الشريف زيد من ذلك فلما جاء وقت الحج خرج مولانا الشريف من مكة وأقام بها نائبا السيد ابراهيم بن محمد بن عبدالله بن حسن ابن ابي نمي وتوغل في بلاد الشرق حتى وصل الى محل بينه وبين البصرة خمسة أيام وكان أوصى بعض هذيل رجلا يقال له أحمد الجعفري بقتل مصطفى بيك وأمره ان يقتله مهما أمكن وفي هذه السنة ورد بشير اغا السابق ذكره متوليا مشيخة حرم المدينة فجاء الى مكة وطلع الى

شديد فهزمهم وعاد الى قصريانة فحصنها وشحنها بالعساكر وفى سنة سبع وأربعين ومائتين سار العباس الى سرقوسة فغنم وسار الى غيران فرقنة فاعتل ومات بعد ثلاثة ايام فنبشه الروم وأحرقوه وكانت ولايته احدى عشرة سنة وأدام الجهاد شتاء وصيفا وغزا أرض قلورية وانكبردة وأسكنها المسلمين

﴿ ذكر مسير الروم الى أرض مصر ﴾

فى سنة تسع وثلاثين ومائتين فى خلافة المتوكل جاءت ثلاثمائة مركب للروم مع ثلاثة رؤساء فأناخ احدهم فى مائة مركب بدمياط وبينها وبين الشط شبيه بالبحيرة يكون ماؤها الى صدر الرجل فمن جازها الى الارض امن من مراكب البحر فجازه قوم فسلموا وغرق كثير من نساء وصبيان ومن كان به قوة سار الى مصر وكان على معونة مصر عنبسة بن اسحاق الضبى فلما حضر العيد امر الجند الذين بدمياط ان يحضروا الى مصر فساروا منها فاتفق وصول الروم وهى فارغة من الجند فنهبوا وأحرقوا وسبوا وأحرقوا جامعها وأخذوا ما بها من سلاح ومتاع وغير ذلك وسبوا من النساء المسلمات والذميات نحو ستمائة امرأة وأوقروا سفنهم من ذلك وكان عنبسة قد حبس بسر بن الاكشف بدمياط فكسر قيده وخرج يقاتلهم وتبعه جماعة وقتل من الروم جماعة وسارت الروم الى أشنوم تنيس وكان عليه سور وبابان من حديد قد عمله المعتصم فنهبوا ما فيه من سلاح واخذوا البابين ورجعوا ولم يعرض لهم احد وغزا الصائفة فى هذه السنة على بن يحيى الارمينى وفى سنة أربعين كان قتال بين محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس وبين الافرنج فكان النصر له عليهم وقتل منهم نحو ثمانية آلاف وفى سنة احدى وأربعين قتلت تدورة ملكة الروم من اسرى المسلمين اثنى عشر الفا فانها عرضت النصرانية على الاسرى فمن تنصر تركته ومن أبى قتلته وارسلت تطلب المفاداة لمن بقى منهم ففداهم المتوكل وكانوا سبعمائة وخمسة وثمانين رجلا ومن النساء مائة وخمسا وعشرين امرأة

﴿ ذكر اغارة البجاة على مصر ومجاوزة ارض النوبة والبجاة أهل تلك الارض ﴾

فى سنة احدى واربعين اغارت البجاة على أرض مصر وكانت قبل ذلك لا تغزوا بلاد الاسلام لهدنة قديمة وفى بلادهم معادن الذهب يؤدون منها الخمس الى أهل مصر فامتنعوا أيام المتوكل وقتلوا من وجدوه من المسلمين فلما بلغ الخبر المتوكل شاور وزراءه فى امرهم فذكروا له أنهم اهل بادية واهل ابل وشياه وان الوصول الى بلادهم صعب لانها مفاوز وبين ارض الاسلام وبينها مسيرة شهر فى أرض قفر وجبال وعرة وان كل من يدخلها من الجيوش يحتاج ان يتزود للمدة التى يتوهم انه يقيمها الى ان يخرج الى بلاد الاسلام فان جاوز تلك المدة هلك واخذتهم البجاة باليد وان ارضهم لا ترد على سلطان شيأ فامسك المتوكل عنهم فطمعوا وزاد شرهم حتى خاف اهل الصعيد على انفسهم منهم فولى المتوكل محمد بن عبد الله القمى محاربتهم وكتب الى عنبسة بن اسحاق عامل حرب مصر بازاحة علته واعطائه

واستمر الى هلال رجب فنزل مصطفى بيك مكة من طريق كراء فلما وصل الى النقب الاحمر ظهر له العربى المأمور بقتله وكان قد صحبه وخدمه وتعرف به وألفه فأقبل عليه وقد انفرد عن أعوانه ومع الجعفرى شاب آخر فلما قرب منه وحياه قال للشاب قبل يد سيدك وكان على جانبه الايسر فأعطاه يمينه فضربه الجعفرى من جانبه الايسر بجنبية فى وسطه فقطع بها مصارينه وكلاه وأقام عليه ثم كلاه فلما طاح قال لرفيقه السراح وتولوا بين الجبال لا تدركهم الخيل ولا الرجال فلحق مصطفى بيك أصحابه وقد خرجت روحه ونقلوه الى مكة ودفنوه بالمعلى وقدم مولانا الشريف من سفره فى ذى القعدة وسرت بقدومه كل نفس وذهب الصنجق مثل ما ذهب أمس

(زيارة مولانا الشريف زيد بن محسن المدينة المنورة سنة ١٠٥٩)

وفى سنة تسع وخمسين وألف عزم مولانا الشريف على زيارة النبى صلى الله عليه وسلم فتوجه ودخلها فى شهر شعبان من السنة المذكورة

(قتلة زفر افندى قاضى المدينة) واتفق أن وقعت حادثة

من الجند مايحتاج اليه ففعل ذلك وسار محمد الى ارض البجاة وتبعه ممن يعمل فى المعادن والمتطوعة عالم كثير فبلغت عدتهم نحوا من عشرين الفا بين فارس وراجل ووجه الى القلزم فحمل فى البحر سبعة مراكب موقورة بالذخيرة وامر اصحابه ان يوافوه بها فى ساحل البحر مما يلى بلاد البجاة وسار حتى جاوز المعادن التى يعمل منها الذهب وسار الى حصونهم وقلاعهم وخرج اليه ملكهم وكان معه صنم من حجارة كهيئة الصبى يسجد له فى جيش كثير اضعاف من مع القمى وكانت البجاة على الابل فتحاربوا أياما وطاولهم البجاة لتفنى ازواد المسلمين وعلوفاتهم فيأخذوهم بغير حرب فأقبلت تلك المراكب التى فيها الاقوات فى البحر ففرق القمى ما كان فيها فى اصحابه فاتسعوا فيها فلما رأى ملك البجاة ذلك صدقهم القتال وجمع لهم فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وكانت ابلهم ذعرة تنفر من كل شئ فلما رأى القمى ذلك جمع كل جرس فى عسكره وجعلها فى أعناق خيله ثم حملوا على البجاة فنفرت ابلهم لاصوات الاجراس فحملتهم على الجبال والاودية وتبعهم المسلمون قتلا واسرا حتى ادركهم الليل ثم رجع الى معسكره ولم يقدر على احصاء القتلى لكثرتهم ثم ان ملكهم طلب الامان فامنه على مملكته وبلاده فأدى لهم الخراج للمدة التى كان منعها وهى اربع سنين وسار القمى الى المتوكل فخلع عليه وعلى أصحابه وفى هذه السنة اغارت الروم على عين زربة فأخذت من كان بها اسيرا من الزط (الزط جيل من السودان طوال الاجسام) من نسائهم وذراريهم ودوابهم وفى هذه السنة ايضا سير محمد صاحب الاندلس الجيوش الى غزو الافرنج فدخلوا بلادهم ووصلوا الى البة والقلاع وافتتحوا بعض حصونها وعادوا وفى سنة اثنتين واربعين خرجت الروم من ناحية سميساط حتى قاربوا آمد وخرجوا من الثغور الجزرية فانتهبوا وأسروا نحوا من عشرة آلاف ثم رجعوا فخرج قوم من المتطوعة فى آثارهم فلم يلحقوهم وكتب المتوكل الى على بن يحيى الارمينى ان يسير الى بلادهم ثانيا ففعل وفى هذه السنة سير محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا الى بلاد الافرنج فدخلوا الى برشلونة وحاربوا قلاعها وجاوزوها الى ماوراء اعمالها ففتحوا كثيرا وافتتحوا حصنا من اعمال برشلونة يسمى طراجة من آخر حصون برشلونة وفى سنة اربع وأربعين بعث المتوكل بغا الكبير فى العساكر الصائفة فدخل بلاد الروم فدوخها واكتسحها من سائر النواحى ورجع وفى سنة خمس واربعين أغارت الروم على سميساط فقتلوا وسبوا وأسروا خلقا كثيرا وغزا على بن يحيى الارمينى الصائفة ومنع أهل لؤلؤة رئيسهم من الصعود اليها فبعث اليهم ملك الروم يضمن لكل رجل منهم الف دينار على ان يسلموا اليه (لؤلؤة) قلعة للصقالبة فاصعدوا البطريق اليهم ثم أعطوا ارزاقهم الفائتة وما أرادوا ثم سلموا البطريق ولؤلؤة الى بلكاجور فسيره الى المتوكل فبذل ملك الروم فى فدائه الف مسلم كانوا مأسورين عنده وفى سنة ست وأربعين أيضا غزا عمر بن عبيد الله الاقطع الصائفة فجاؤا بسبعة عشر ألف رأس وغزا قربياس فجاء بخمسة آلاف رأس وغزا الفضل بن قارن فافتتح حصن انطاكية وغزا بلكاجور فغنم وسبا وغزا على بن يحيى الارمينى فاخرج خمسة آلاف رأس ومن الدواب والرمك والحمير نحوا من عشرة آلاف رأس وفى هذه السنة كان الفداء على يد على بن يحيى الارمينى ففودى بألفين وثلاثمائة وسبعة وستين

عجيبة ليلة عاشر الشهر المذكور وهى ان حضرة زفر أفندى قاضى الشرع الشريف نزل لحضور صلاة الصبح وقت الغلس ومعه ثلاثة من الخدم فلما كان عند الدفتر دارية وثب عليه شخص فضربه بالسلاح فى ظهره فأنفذه من صدره فأكب على دابته ولم تزل سائرة به الى ان دخلت به محراب سيدنا عثمان رضى الله عنه وامام الشافعية قائم يصلى فى المحراب الفجر فقام بعض الناس اليه وأنزلوه على آخر نفس وهو يقول يارسول الله يارسول الله ووضع امام الوجه الشريف وبعد لحظة قضى عليه فاتهموا مولانا الشريف زيدا بقتله من غير معرفتهم شيأ يقتضى ذلك فحشدت العساكر واجتمعت وأغلقت باب السور وكان الشريف زيد نازلا خارج السور فوجهوا المدافع اليه وشرعوا ينادون اخرج عنا فبعث اليهم الشريف زيد أكابر جماعته وأكابر جماعة عسكر مصر فحلفوا لهم بانه لا علم للشريف زيد بذلك ولا شعور له ولا وهم على ذلك خطابا من تحت السور فتراجعوا وفتحوا باب السور وفى اليوم الثانى استدعى وجوههم لينظر فى حال قتلة الافندى ويبحث عنهم فلم يزل يمسك رؤس الفتنة واحدا بعد واحد وحبسهم مدة مديدة ثم حصلت شفاعة فى بعضهم

نفسا وفي هذه السنة والتي قبلها خرج المجوس من بلاد الاندلس في مراكب الى بلاد الاسلام فأمر محمد بن عبد الرحمن صاحب البلاد باخراج العساكر الى قتالهم فوصلت مراكب المجوس الى اشبيلية فحلت بالجزيرة ودخلت الى قتالهم واحرقت المسجد الجامع ثم جازت الى العدوة ثم تقدموا الى حائط افرنجة وأغاروا وأصابوا من النهب والسبي كثيرا ثم انصرفوا فلقيتهم مراكب محمد فقاتلوهم فأحرقوا مركبين من مراكب المجوس واخذوا مركبين آخرين فغنموا مافيها فحمي المجوس عند ذلك وجدوا في القتال واستشهد جماعة من المسلمين ثم مضت مراكب المجوس حتى وصلت الى مدينة بنبلونه فأصابوا صاحبها غرسية الفرنجي فافتدى نفسه منهم بتسعين الف دينار وفي هذه السنة غزا عامل طرسوسة بنبلونه فافتتح حصن بيلسان وسبى اهله ثم كانت على المسلمين في اليوم الثاني وقعة استشهد فيها جماعة وفي سنة سبع وأربعين غزا محمد صاحب الاندلس في جيوش كثيرة بنبلونة فوطئ بلادها ودوخها وخربها ونهبها وقتل فيها فأكثر وافتتح حصونا واسر فرتون بن غرسية فحبسه بقرطبة عشرين سنة ثم أطلقه وفي هذه السنة قتل المتوكل قتله خدمه الاتراك وبويع ابنه المنتصر ومات بعد ستة اشهر وبويع المستعين بن المعتصم

﴿ ذكر فتوحات وغزوات بافريقية ﴾

لما توفي أمير صقلية العباس بن الفضل سنة سبع واربعين ولي الناس عليهم ابنه عبد الله وكتبوا الى الامير بافريقية بذلك واخرج عبد الله السرايا ففتح قلاعا متعددة وبعد خمسة أشهر وصل من افريقية خفاجة بن سفيان أميرا على صقلية وكان وصوله سنة ثمان وأربعين فأكثر الغزوات والسرايا على الروم الذين بتلك النواحي وشن عليهم الغارات ففتح حصونا كثيرة واستمر الى سنة خمس وخمسين وتوفي وأقيم بعده ابنه محمد وكان الروم يحاصرون مالطة فسير اليهم جيشا سنة ست وخمسين فلما سمع الروم بذلك رحلوا ثم قتل محمد بن خفاجة سنة سبع وخمسين قتله خدمه الخصيان وهربوا فطلبهم الناس فأدركوهم فقتلوهم وفي سنة ثمان وأربعين ومائتين سار جيش للمسلمين بالاندلس الى مدينة برشلونة وهي للفرنج فأوقعوا بأهلها فارسل صاحبها ملك الفرنج يستمده فأرسل اليه جيشا كثيفا وأرسل المسلمون يستمدون فأتاهم المدد فنازلوا برشلونة وقاتلوا قتالا شديدا فملكوا أرباضها وبرجين من أبراج المدينة فقتل من المشركين خلق كثير وسلم المسلمون وعادوا وقد غنموا وفي سنة ثمان وأربعين غزا وصيف التركي بلاد الروم ومعه اثنا عشر الفا فدخل بلاد الروم وافتتح حصن فروريه وفي سنة تسع وأربعين سير محمد صاحب الاندلس جيشا الى مدينة ألبة والقلاع من بلد الفرنج فجالت الخيل في ذلك الثغر وغنمت وافتتحت بها حصونا منيعة وفي سنة تسع وأربعين ايضا غزا جعفر بن دينار الصائفة فافتتح حصنا ومطامير واستأذنه عمر بن عبيد الله الاقطع في المسير الى بلاد الروم فأذن له فسار في خلق كثير من أهل ملطية فلقيه الملك في جمع عظيم من الروم بمرج الاسقف فحاربه محاربة شديدة قتل فيها من الفريقين خلق كثير ثم أحاطت به الروم وهم خمسون الفا وقتل عمر وممن معه الفان من المسلمين فلما قتل عمر بن عبيد الله

(خرج)

فأطلقهم وذهب بالباقين وهم تسعة نفر وأمر بابقائهم في ينبع واستمروا الى الحج فاستشفعوا بأمير الحاج فشفعه فيهم ثم تعسكروا والغيطاس بيك أمير جدة ونزلوا معه واتفق انه في نزوله هذا الى بندر جدة كان غاضبا لمولانا الشريف لاسباب ذكرها المؤرخون أقواها وأعظمها تردد السيد عبد العزيز بن الشريف ادريس المذكور سابقا في دولة الشريف نامي على غيطاس بيك وافساده على الشريف زيد وتغير خاطر البيك المذكور عليه فواطأه على الباسه شرافة مكة فبعد نزوله الى جدة لحقه السيد عبد العزيز المذكور فألبسه شرافة مكة ونودي له في البلاد ثم خرج غيطاس بيك والشريف عبد العزيز ومن معهما من العسكر وخرج الشريف زيد ومن معه من الاشراف لدفعهم وتلاقوا تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ستين وألف قرب موضع قبر السيدة ميمونة رضي الله عنها وصار بينهم قتال عظيم أصيب فيه عدد كثير من الجانبين من الاشراف وغيرهم فلما اشتد الحال طلب الشريف عبد العزيز الامان له ولغيطاس بيك ومن معهما فأعطاهم مولانا الشريف زيد الامان وارسل مع غيطاس بيك خمسين نفرا يوصلونه الى

خرج الروم الى الثغور الجزرية وكلبوا عليها وعلى أموال المسلمين وحرمهم فبلغ ذلك على بن يحيى وهو قافل من ارمينية الى ميافارقين فى جماعة من أهلها ومن أهل السلسلة فنفر اليهم فقتل فى نحو من اربعمائة رجل ولما اتصل الخبر ببغداد وسامرا بقتل عمر بن عبيد الله وعلى بن يحيى وكانا من شجعان الاسلام شديدا بأسهما عظيما غناؤهما عن المسلمين فى الثغور شق ذلك عليهم مع استعظامهم قتل الاتراك للمتوكل واستيلائهم على أمور المسلمين فاجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء بالنفير وقام بعض الاجناد يطلبون ارزاقهم وثار من ذلك فتن متتابعة يطول الكلام بذكرها واستمرت الى ان خلع المستعين وبويع المعتز بن المتوكل سنة احدى وخمسين ومائتين ثم قتل المستعين سنة ثنتين وخمسين وفى سنة ثلاث وخمسين ايام المعتز غزا محمد بن معاذ من ناحية ملطية فانهزم وأسر

﴿ ذكر غزوة عظمى بالأندلس على بلاد الفرنج ﴾

فى سنة احدى وخمسين وقيل اثنتين وخمسين سير محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا مع ابنه المنذر الى بلاد الفرنج فساروا وقصدوا الملاحة وكانت أموال لذريق ملك الفرنج بناحية البة والقلاع فلما عم المسلمون بلدهم بالخراب والنهب جمع لذريق عساكره وسار يريدهم فالتقوا بموضع يقال له فج المركوين فاقتتلوا فانهزم الفرنج الأأنهم لم يبعدوا واجتمعوا بهضبة بالقرب من موضع المعركة فتبعهم المسلمون وحملوا عليهم واشتد القتال فولى الفرنج منهزمين لا يلوون على شئ وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وكان عدد ما أخذ من رؤس الفرنج الفين واربعمائة واثنين وتسعين رأسا وكان فتحا عظيما وعاد المسلمون بالغنائم الكثيرة وسير جيشا أيضا فى السنة التى بعدها فقصدوا البة والقلاع ومدينة مانة وقتلوا من أهلها عددا كثيرا ثم قفلوا سالمين وفى سنة ثلاث وخمسين أيضا سير جيشا فافتتحوا حصون جرفيق وغلبوا على أكثرها وفى سنة خمس وخمسين ومائتين خلع المعتز ثم قتل وبويع المهتدى بن الواثق وخلع ثم قتل سنة ست وخمسين وبويع المعتمد على الله بن المتوكل وفى سنة تسع وخمسين ومائتين خرجت عساكر الروم فنازلوا سميساط ثم نازلوا ملطية وقاتلهم أهلها فانهزم الروم وقتل بطريق من بطارقتهم وفى هذه السنة سارت سرية للمسلمين بافريقية الى سرقوسة فصالحهم أهلها على ان يطلقوا الاسرى من المسلمين الذين كانوا عندهم وكانوا ثلاثمائة وستين أسيرا فلما أطلقوهم عادوا عنهم

﴿ ذكر القتال مع صاحب الزنج ﴾

ابتداء ظهور صاحب الزنج كان فى سنة خمس وخمسين ومائتين وذكر القتال معه ملحق بالقتال مع الكفار لأنه وان كان يدعى الاسلام لكن ما فعله بأهل الاسلام أشنع مما تفعله الكفار كما ستراه والكلام على قصته طويل مبسوط فى التواريخ وتلخيصها ان رجلا من بنى عبد القيس اسمه على بن محمد بن عبد الرحيم كان فى سر من رأى واصله من الرى وكان متصلا بحاشية المنتصر بن المتوكل يمدحهم بشعره ويستمنحهم من عطائهم ثم أنه شخص من سر من رأى سنة تسع واربعين

(وفاة السيد عبد العزيز بمصر بالطاعون سنة ١٠٦٣)

وتوفى السيد عبد العزيز بمصر بالطاعون سنة ثلاث وستين وألف واما غيطاس بيك فجاء فى سنة احدى وستين أميرا على الحاج فتوهم منه مولانا الشريف غاية التوهم الا انه خرج للخلعة على العادة وانما اخل بالقانون القديم وهى المناكبة فصافحه بيده ومن تلك السنة تركت المناكبة وبقيت المصافحة فقضى حجه وذهب وقيل فى أسباب فتنة غيطاس بيك ان سببها رضوان بيك العقادى امير الحاج وكان غيطاس بيك من مماليكه ففى سنة ثمان وخمسين وقعت منافسة بين رضوان بيك وبين مولانا الشريف فحقد عليه رضوان بيك وكتب الى الابواب وأكثر الخطاب وطلب عزل الشريف زيد فوافقه السلطان على مراده وأخرج عزل الشريف زيد فأضمر رضوان بيك عزله وتولية الشريف مبارك بن بشير بن حسن الى ان وصل الى عسفان ولم يظهر ما أكن وكان صاحب مصر أحمد باشا طلب الى الابواب فلما وصل الروم أخبر بذلك فتكلم مع حضرة الوزير الصدر الاعظم وراجعه فى ذلك وعرفه ان رضوان بيك حل

أعيد مولانا الشريف زيد وجهزوا قاصدا بأمر مولانا السلطان ناسخا للامر الاول الذي بيد رضوان بك وأمر القاصد بالجد في السير لاداء هذا الخبر فوصل يوم الرابع من ذي الحجة وكان ذلك يوم وصول مولانا الشريف من الطائف فنزل من المعابدة في الآي أعظم الى ان دخل من باب السلام والامراء بين يديه الى ان وصل الحطيم وفتحت الكعبة فقرأ مرسوم الوارد ولبس القفطان وكتب الاتراك لرضوان بك بما وقع فدخل مطويا على خنق فحج ورجع وهو جاهد في هوى نفسه فأخذ صنجقية جدة لغيطاس بك وقربه لانتهاز فرصته حتى وقعت تلك الفتنة وقيل سببها اتهامه مولانا الشريف في قتل قاضي المدينة والله أعلم بحقيقة الحال ولا مانع من اجتماع تلك الاسباب وفي سنة سبع وستين عقد مولانا الشريف زيد على ابنته لمولانا الشريف حمود بن عبد الله واحتفل في زواجه ومدحه علماء مكة ومدحوا مولانا السيد حمود بعدة قصائد وفي سنة اثنتين وسبعين وألف حصل بمكة غلاء شديد وسببه حدوث جراد كثير وأعقب ذلك وباء عظيم عم الارض ودخل الجراد مكة فصار

ومائتين الى البحرين وادعى نسبته في العلويين فقال مرة انه علي بن محمد بن احمد ابن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وقال مرة انه من ولد الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن ابي طالب ودعا الناس بهجر الى طاعته فاتبعه جماعة كثيرة من أهلها ومن غيرهم وخالفه آخرون فجرى بين الطائفتين عصبية وقتال قتل فيه جماعة وكان أكثر أهل البحرين قد احلوه محل نبي وجبي الخراج ونفذ فيهم حكمه وقاتلوا أصحاب السلطان بسببه فقام منهم جماعة وتنكروا له فانتقل الى الاحسا وصحبه جماعة من أهل البحرين ثم تنقل في البادية وقال أوتيت في تلك الايام بالبادية آيات من آيات امامتي ظاهرة للناس منها أني لقنت سورا من القرآن فجرى بها لساني في ساعة وحفظتها في دفعة واحدة منها سبحان والكهف وص ومنها أني تفكرت في الموضع الذي اقصده حيث نبت بي البلاد فاظلتني غمامة وخوطبت منها فقيل لي اقصد البصرة الى غير ذلك من مقالاته المخترعة وفي تاريخ الخلفاء للجلال السيوطي أنه ادعى أنه ارسل الى الخلق فرد الرسالة وكان له منبر يصعد اليه ويسب عثمان وعليا ومعاوية والزبير وطلحة وعائشة وفي تاريخ ابن الاثير وابن خلدون أنه كان يرى رأي الخوارج وهذا يبطل انتسابه الى العلويين وكان أول ظهوره للناس سنة خمس وخمسين ومائتين وكان في مبدأ أمره يدعو الغلمان من الزنوج الذين يسكنون السباخ في جهة البصرة فاجتمع له منهم خلق كثير وكان يعدهم بالعتق ويرغبهم في الاحسان فاذا جاء احد من موالي الزنوج يطلبون عبيدهم يأمر كل عبد ان يضرب مولاه ثم يحبسهم ثم يطلقهم فامتنع موالي الزنوج من طلب عبيدهم وكان يخطب العبيد وغيرهم ممن تبعه في كل وقت ويرغبهم ولم يزل هذا دأبه والزنوج يأتون اليه بكثرة ويتابعونه ويدخلون في أمره واتخذ له راية وكتب عليها قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الآية فكثرت جيوشه واستحكم أمره وشن الغارات وبث اصحابه يمينا وشمالا للاغارة والنهب وسار بالجيش الى الابلة فخرج اليه ابو الاحوص الباهلي ومعه اربعة آلاف فهزمهم وملك الابلة ثم سار الى القادسية فملكها ونهبها فكثر عنده المال والسلاح فخرج جماعة من أهل البصرة لقتاله فهزمهم وقتل منهم وأخذ سلاحهم ثم خرج طائفة أخرى فكذلك وأخرى فكذلك ثم خرج له قائدان من البصرة بجيش فهزمهما وقتل منهما وكان معهما سفن القتها الريح الى الشط فغنم مافيها وكثر شغبه وفساده وجاء ابو هلال من قواد الاتراك في اربعة آلاف مقاتل فلقيه فهزمه وقتل كثيرا من اصحابه ثم خرج اليه ابو منصور احد موالي الهاشميين في عسكر عظيم فهزمهم وكان من اعيان اصحابه يحيى بن محمد الازرق البحراني وسليمان بن جامع وهو قائد جيشه وذكر ريحان احد غلمان السورجيين وهو أول من صحبه منهم أنه قال كنت موكلا بغلمان مولاي انقل لهم الدقيق فأخذني اصحابه فساروا بي اليه وأمروني أن اسلم عليه بالامرة ففعلت فسألني عن الموضع الذي جئت منه فاخبرته وسألني عن اخبار البصرة فقلت لاعلم لي وسألني عن غلمان السورجيين وعن أحوالهم وما يجري لهم فأعلمته فدعاني الى ماهو عليه فاجبته فأمرني ان احتال على من قدرت عليه من الغلمان الزنج واقبل بهم عليه ووعدني ان يجعلني قائدا على من أتيته بهم فعدت اليه من الغداة وقد أتيته بجماعة من الزنج وجاء

جماعة مع غلمان الدباشين ومازال يدعو غلمان أهل البصرة وغيرهم فيقبلون اليه للخلاص
من الرق والتعب فاجتمع عنده خلق كثير منهم فخطبهم ووعدهم ان يجعلهم قوادا ويملكهم
الاموال وحلف لهم بالايمان أن لا يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع شيأ من الاحسان اليهم
ولمن اتى بهم وجاء اليه بعض موالى العبيد وبذلوا له على كل عبد خمسة دنانير ليسلم لكل
منهم عبده فبطح اولئك الموالى وأمر كل من عنده من العبيد فضربوا مواليهم كل سيد
خمسمائة سوط وكان اذا خاطب العبيد يذكرهم ما كانوا فيه من الشقاء وسوء الحال وان الله
تعالى أبعدهم من ذلك وانه يريد ان يرفع اقدارهم ويملكهم العبيد والاموال وجاءه مرة
رجل من رؤساء الزنج يكنى بأبي صالح بثلاثمائة من الزنج فلما كثروا جعل القواد فيهم منهم
وقال لهم كل من أتى منكم برجل فهو مضموم اليه ومازالت جيوشه تكثر من الزنج
وغيرهم حتى بلغت الوفا مؤلفة واعدادا لا تحصى فشن الغارات على القرى والامصار
واكثر القتل والنهب وجهز له الخليفة الجيوش الكثيرة المرة بعد الاخرى وهو يهزم تلك
الجيوش ويقتل كثيرا منها ويسبي من القرى والامصار النساء والذرية ومازال أمره
هكذا اربع عشرة سنة حتى ظفروا به وقتلوه واضمحل امره قال الجلال السيوطي فى
تاريخ الخلفاء استمر القتال مع صاحب الزنج من حين تولى المعتمد على الله بن المتوكل بن المعتصم
ابن هارون الرشيد سنة ست وخمسين ومائتين الى سنة سبعين ومائتين فقتل فيها رئيس الزنج
لعنه الله قال وذكر الصولى ان الذين قتلهم من المسلمين الف الف وخمسمائة الف انسان
وقتل باليوم الواحد بالبصرة ثلاثمائة الف ولما قوى أمر صاحب الزنج صار المباشر لقتاله
وقيادة الجيوش لقتاله الموفق طلحة بن المتوكل وهو اخو الخليفة المعتمد على الله بن المتوكل
وباشر معه ايضا القيادة بعض تلك الجيوش ابنه ابو العباس أحمد الذى صار بعد المعتمد على الله
خليفة ولقب بالمعتضد قال المسعودى فى تاريخه المسمى مروج الذهب شخص الموفق لمحاربة
صاحب الزنج فى صفر سنة سبع وستين ومائتين وقدم الموفق ابنه ابا العباس فى ربيع الآخر
الى سوق الجيش وقيادته وكان رجل يقال له الشعرانى من اصحاب صاحب الزنج قد تحصن
فى جمع كثير من الزنج ففتح ابو العباس بن الموفق هذا الموضع وغنم جميع ما كان فيه ثم فتح
مواضع كثيرة وقتل من كان فيها من الزنج وسار الموفق الى الاهواز فأصلح ما أفسده الزنج ثم
عاد الى البصرة فلم يزل منازلا لصاحب الزنج حتى قتل فكانت مدة أيامه اربع عشرة سنة
واربعة أشهر يقتل الصغير والكبير والذكر والانثى ويحرق ويخرب وقد كان أتى البصرة فى
وقعة واحدة من وقايعه فقتل ثلاثمائة ألف من الناس وكان المهلبي من اصحاب صاحب الزنج
بعد هذه الوقعة بالبصرة فنصب منبرا وكان يصلى يوم الجمعة بالناس ويخطب على ذلك المنبر
ويدعو لصاحب الزنج ويلعن جبابرة بنى العباس وكثيرا من الصحابة فاجتمع من بقى من أهل
البصرة وأرادوا الخروج على المهلبي ليقتلوه فعلم بهم فوضع السيف فيهم فمن ناج سالم ومن مقتول
ومن غريق واختفى كثير من الناس فى الدور والآبار فكانوا يظهرون فى الليل فيأخذون الكلاب
فيذبحونها فيأكلونها والفيران والسنانير فافنوها حتى لم يقدروا منها على شئ فكانوا اذا مات
منهم الواحد أكلوه وعدموا مع ذلك الماء العذب وذكر عن امرأة منهم انها حضرت امرأة

يقع فى كل شئ حتى تعب الناس واستمر مدة حتى كسى الجدران بأجمعها فأعقبه الغلاء فأشار مولانا الشيخ محمد البابلي بترك التسعير فنادى المنادى بذلك فأظهر كل ما عنده وهون الله الامر

(حدوث سيل عظيم بمكة دخل المسجد سنة ١٠٧٣)

وفى سنة ثلاث وسبعين وألف يوم السبت السابع من شعبان أمطرت السماء بعد صلاة العصر وحصل سيل عظيم دخل المسجد الحرام فبلغ القناديل ومات به فى المسجد ستة نفر وبات تلك الليلة الى الصباح فلما طلعت الشمس نزل مولانا الشريف بنفسه وأمر بفتح مسيل باب ابراهيم فنزل السيل الى أسفل مكة وباشر مولانا الشريف العمل بنفسه حال التنظيف فاقتدى الناس به ونظفوا المسجد وغسلت الكعبة ظاهرا وباطنا ثم جيء بالحمير والبقر لحرث الارض وحمل ما بقى من التراب والطين وجدد سليمان اغا المعمار بعض ما تلف ثم جاء سنة أربع وسبعين محمد أغا الكزلار بالامر لاتمام هذه العمارة وأعقبه السلطان بالامر بقتله فاوجدوه فى مكة بل توجه الى الزيارة بعد الحج فادركوه ثمة وقتلوه وبقى سليمان أغا على العمارة وفى سنة ست وسبعين وألف خرج مولانا الشريف الى بلاد

تنازع وعندها اختها وقداحتوشوها ينظرون ان تموت فيأكلون لحمها قالت المرأة فماماتت حتى ابتدرنا فقطعناهـا وأكلناها ولقدحضـرت أختها ثم جاءت وهى تبكى ومعهـا رأس اختها فقيل لها ويحك مالك تبكين قالت اجتمعوا على اختى فماتركوها حتى تموت موتا حسنا حتى قطعوها فظلمونى فلم يعطونى من لحمها شيأ الا رأسها هذا وهى تشتكى ظلمهم لها فى اختها ومثل هذا كثير وأعظم مما وصفنا ثم قال المسعودى وبلغ من امر عسكر صاحب الزنج انه كان ينادى فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعبـاس وغيرهم من ولد هـاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وابناء الناس فتباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة وينادى عليهـا بنسبها هذه فلانة ابنة فلان الفلانى ولكل زنجى منهم العشرة والعشرون والثلاثون يطؤهن الزنج ويخدمن النسـاء الزنجيات كما تخدم الوصائف ولقد استغـاثت الى صـاحب الزنج امرأة من ولد الحسن بن على بن أبى طـالب رضى الله عنهمـا كانت عند بعض الزنج وسألته ان ينقلها منه الى غيره من الزنج أو يعتقها مما هى فيه فقال هو مولاك وأولى بك من غيره ثم قال المسعودى وقد تكلم الناس فى مقدار ما قتل فى هذه السنين من الناس فمكثر ومقلل فأما المكثر فانه يقول أفنى من الناس مالا يدركه العد ولا يقع عليه الاحصاء ولا يعلم ذلك الا الله تعالى عالم الغيب فيما فتح من هذه الامصار والبلدان والضياع وأباد اهلها والمقلل يقول افنى من الناس خمسمائة الف الف انتهى وقال الجلال السيوطى فى تاريخ الخلفاء ولما قتل هذا الخبيث لعنه الله تعالى اتى برأسه على رمح ودخلوا به بغداد وعملت الزينة وضج الناس بالدعاء للموفق طلحة ومدحه الشعراء وكان يوما مشهودا وتراجع الناس الى المدائن التى كان اخـذهـا وهى كثيرة كواسط والبصرة وغيرهما انتهى وبالجملة فان هذه القضية كانت مصيبة عظمى على أهل الاسلام هذا تلخيص قصة صاحب الزنج باختصار وان أردت تفصيل الوقائع والحروب التى كانت لهذه القصة فى تلك السنين فانظرها فى التواريخ تجدها مبسوطة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر ملك الروم لؤلؤة ﴾

فى سنة ثلاث وستين ومائتين سلمت الصقالبة لؤلؤة الى الروم وهى قلعة للصقالبة وكان سبب ذلك ان احمد بن طولون قدأدمن الغزو بطرسوس قبل ان يلى مصر فلما ولى مصر سنة خمس وخمسين كان يؤثر ان يلى طرسوس ليغزو منها أمير افلم يجب الى ذلك وكان العمـال الذين يأتون الى طرسوس يسيؤن السير وآل الامر الى استيلاء الروم على القلعة المذكورة فشق ذلك على أهل طرسوس لانها كانت شجى فى حلق العدو ولم يكن يخرج الروم فى بر او بحر الا رأوه وأنذروا به واتصل الخبر بالمعتمد على الله فقلد طرسوس احمد بن طولون واستعمل عليها من يقوم بغزو العدو ويحفظ ذلك الثغر ويقيم الجهاد وفى هذه السنة سير محمد صاحب الاندلس ابنه المنذر فى جيش كبير وجعل طريقه على ماردة فلما جاوزهـا الى ارض العدو تبعه تسعمائة فارس من العسكر فخرج عليهم جمع كثير من الفرنج فاقتتلوا قتالا كثيرا صبروا فيه وقتل من الفرنج عدد كثير ثم استظهر المشركون على التسعمائة فوضعوا السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم اكرمهم الله بالشهادة وفى سنة أربع وستين غزا بالصائفة عبدالله بن رشيد بن

جهيئة لقتالهم بالعساكر المصرية ومعه غالب الأشراف وكان خروجه لاخذ ثار السيد مساعد بن محمد بن مساعد بن حسن بن مسعود وكان الملزم له بالخروج أخاه السيد غالب بن محمد بن مساعد بن مسعود لانه ولى الدم الاقرب فتوجه مولانا الشريف لقتالهم فظفر بهم ورجع سالما

* (وفاة الشريف زيد بن محسن سنة ١٠٧٧) *

وفى سنة سبع وسبعين وألف مرض الشريف زيد ثم توفى يوم الثلاثاء ثالث محرم الحرام فمدة ولايته خمس وثلاثون سنة وشهر وأيام ورثاه الشعراء بقصائد وأرخوا وفاته بتواريخ من ذلك قول الشيخ أحمد بن أبى القاسم الحلى حيث قال

مات كهف الورى مليك ملوك الأرض من لم يزل مدى الدهر محسن * فالمعالى قالت لنا أرخو * مذ ثوى فى الجنان زيد بن محسن

وعمره احدى وستون سنة وأعقب الشريف سعدا ومحمد يحيى وأحمد وحسنا وأما ابنه حسين فمات فى حياة أبيه وخلف محسنا ولى أمارة مكة كما سيأتى ولم يحضر وفاته غير الشريف سعد وحسن وأما السيد محمد فكان بالمدينة وأحمد كان بجدة رديف ملك الشريف زيد السيد حمود بن عبد الله بن حسن بن أبى نمى فكان يرى انه الاحق بولاية مكة بعد الشريف زيد لكون أبيه الشريف

كاووس فى أربعين ألفا من اهل الثغور الشامية فأثخن فى الروم وغنم ورجع فلما رحل عن البدندون خرج عليه جمع من الروم فأحاطوا بالمسلمين فاستمات المسلمون و نزلوا وعرقبوا دوابهم وقاتلوا حتى قتلوا الا خمسمائة فانهم حملوا حملة رجل واحد ونجوا على دوابهم وقتل الروم من قتلوا واسروا عبدالله بن رشيد بعد ضربات اصابته وحمل الى ملك الروم فبعث به الى احمد بن طولون صاحب مصر ومعه كثير من الاسرى وأهدى لابن طولون عدة مصاحف

﴿ ذكر ملك المسلمين مدينة سرقوسة ﴾

فى سنة اربع وستين ومائتين ملك المسلمون سرقوسة وهى من اعظم مدائن صقلية وكان سبب ملكها ان جعفر بن محمد امير صقلية غزاها فافسد زرعها وزرع ماحولها من بلاد صقلية التى بارض الروم ونازل سرقوسة وحصرها براو بحرا و ملك بعض ارباضها فوصل مراكب الروم نجدة لها فسير اليها اسطولا فأصابوها فتمكنوا حينئذ من حصرها فأقام العسكر محاصرا لها تسعة اشهر وفتحت عنوة وقتل من اهلها عدة الوف واصيب فيها من الغنائم مالم يصب بمدينة اخرى ولم ينج من رجالها الا الفذ النادر و أقاموا فيها بعد فتحها شهرين ثم هدموها ثم وصل بعد هدمها من القسطنطينية اسطول فالتقواهم والمسلمون فظفر بهم المسلمون واخذوا منهم اربع قطع فقتلوا من فيها وانصرف المسلمون الى بلادهم و فى هذه السنة سير محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس ابنه المنذر فى جيش الى مدينة بنبلونة و جعل طريقه على سرقسطة فقاتل اهلها ثم انتقل الى تطيلة و جال فى مواضع ثم دخل بنبلونة فخرب كثيرا من حصونه واذهب زروعه وعاد سالما وفى سنة خمس وستين خرج خمسة من بطارقة الروم الى اذنة فقتلوا واسروا قتلوا نحوا من الف واربعمائة واسروا نحوا من اربعمائة وكان ارجوز والى الثغور فعزل عنها وفى سنة ست وستين ومائتين وردت سرية من الروم الى ديار ربيعة فاسرت نحوا من مائتين وخمسين انسانا ومثلت بالمسلمين فنفر اليهم اهل الموصل ونصيبين فرجعت الروم وفى هذه السنة لقى اسطول المسلمين اسطول الروم عند صقلية فظفر الروم بالمسلمين بعد قتال شديد ولحق من سلم منهم الى مدينة بلرم من صقلية وفى هذه السنة ايضا غزا عامل ابن طولون على الثغور الشامية فى ثلاثمائة من اهل طرسوس واعترضهم اربعة آلاف من الروم فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل المسلمون خلقا كثيرا من العدو واصيب من المسلمين جماعة وفى سنة سبع وستين ولى جزيرة صقلية الحسن بن العباس فبعث السرايا الى كل ناحية وخرج الى قطانية فافسد زرعها وزرع طبرمين وقطع اشجارها وسار الى بقارة فافسد زرعها وانصرف الى بلرم واخرجت الروم سرايا فاصابوا من المسلمين كثيرا وفى سنة ثمان وستين سارت سرية من صقلية فلقيهم جيش الروم فاصيب المسلمون كلهم غير سبعة نفر وعزل الحسن بن العباس عن صقلية ووليها محمد بن الفضل فبث السرايا فى كل ناحية من صقلية وخرج هو فى جيش عظيم فسار الى مدينة قطانية فاهلك زرعها ثم رحل الى اصحاب الشلندية فقاتلهم فأصاب فيهم فاكثر القتل ثم رحل الى طبرمين فافسد زرعها ثم رحل فلقى عسكر الروم فاقتتلوا وانهزم الروم وقتل اكثرهم فكانت

الشريف زيد انحازت الاشراف بأجمعها الى دار السيد حمود و لم يبق مع الشريف سعد الا جماعة يحصيهم العدد فترددت الرسل من الجانبين السيد حمود والشريف سعد الى عماد افندى وكان عين الدولة بمكة لانه صنجق جدة وشيخ الحرم المكى ووقعت رجة عظيمة بمكة فى التولية على المسلمين فيمن يقوم مقام الشريف زيد بين ولده الشريف سعد والسيد حمود بن عبد الله وقام كل من الرجلين أشد قيام وجمع الجموع وبذل المال وتحصنوا فى البيوت والمنابر فرد الامر الى عماد أفندى شيخ الحرم فاستحسن تولية الشريف سعد فأرسل الخلعة اليه فلبسها فى بيته فقيل لعماد افندى ان الشريف زيدا كان قد أخذ أمرا سلطانيا من الدولة لابنه السيد محمد وكتمه لامر خشيه ولم يظهره خوفا من الاختلاف فهو ولى العهد بعده فقال قولوا للشريف سعد بشرط انك قائم مقام فجاء جماعة من الاشراف من جهة السيد حمود يراجعون عماد أفندى فقال لهم نحن ألبسنا الشريف سعدا بشرط انه قائم مقام أخيه السيد محمد يحيى لانه هو القائم بعد أبيه بأمر

عدة القتلى ثلاثة آلاف قتيل ووصلت رؤسهم الى بلرم ثم سار المسلمون الى قلعة كان الروم بنوها عن قريب وسموها مدينة الملك فملكها المسلمون عنوة وقتلوا مقاتلتها وسبوا من فيها وفي هذه السنة خرج ملك الروم المعروف بابن الصقلبية فنازل ملطية وأعانهم أهل مرعش والحدث فانهزم ملك الروم وغزا الصائفة من ناحية الثغور الشامية الفرغاني عامل ابن طولون فقتل من الروم بضعة عشر الفا وغنم الناس فبلغ السهم اربعين دينارا وفي سنة تسع وستين خرج محمد بن الفضل امير صقلية في عسكر الى ناحية رمطة وبلغ العسكر الى قطانية فقتل كثيرا من الروم وسبي وغنم ثم انصرف الى بلرم وفي سنة سبعين زحف الروم في مائة الف ونزلوا قلية على ستة اميال من طرسوس فخرج اليهم بازمار عامل طرسوس لابن طولون ليلا فبيتهم وقتل منهم سبعين الفا وجماعة من البطارقة وقتل مقدمهم بطريق البطارقة وغنم منهم سبعة صلبان ذهبا وفضة وكان اعظمها من ذهب مكللا بالجواهر وغنم خمسة عشر الف دابة ومن السروج والسيوف مثل ذلك واربع كراسي من ذهب ومائتين من فضة وعشرين علما من الديباج وآنية كثيرة ونحوا من عشرة آلاف علم ديباج وديباجا كثيرا وغير ذلك وفي هذه السنة اراد اسماعيل بن موسى احد امراء الاندلس بناء مدينة ماردة فلما سمع الفرنجي صاحب برشلونة جمع وحشد يريد منعه من ذلك فسمع به اسماعيل فقصده وقاتله وهزمه وقتل اكثرهم وبقي اكثر القتلى في تلك الارض دهرا طويلا وفي سنة احدى وسبعين سارت سرية للمسلمين بصقلية الى رمطة فخربت وغنمت وسبت واسرت كثيرا وعادت وسار جيش كثير من صقلية الى قطانية فأهلك ما فيها وسار الى طبرمين فقاتل أهلها وافسد زرعها وتقدم فيها فأتى رسول بطريق الروم يطلب الهدنة والمفاداة فهادنه ثلاثة اشهر وفاداه ثلاثمائة اسير من المسلمين ورجع الجيش وفي سنة اثنتين وسبعين غزا الصائفة بازمار وخرجت سرية من صقلية الى الروم الذين بها فغنمت وعادت وفيها قدم بطريق من القسطنطينية في عسكر كبير فنزل على مدينة سبرينة فحصرها وضيق على من بها من المسلمين فسلموها على امان ولحقوا بصقلية ثم سار عسكر البطريق الى مدينة منتية فحصروها حتى سلمها اهلها بامان وفي سنة ثلاث وسبعين غزا بالصائفة بازمار وتوغل في ارض الروم وقتل وغنم واسر وسبي وعاد الى طرسوس وفيها توفي محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس ومدة ملكه اربع وثلاثون سنة وولي بعده ابنه المنذر وتوفي بعد سنة واحد عشر شهرا وبويع اخوه عبد الله

﴿ ذكر غزو الروم ووفاة بازمار ﴾

في سنة ثمان وسبعين خرج بازمار غازيا في جيش فبلغوا شكند ونازلوها فاصاب بازمار شظية من حجر منجنيق فرجع ومات في طريق ودفن بطرسوس وفي سنة تسع وسبعين توفي المعتمد على الله وبويع المعتضد بن الموفق بن المتوكل وفي سنة ثمانين غزا اسماعيل بن احمد الساماني صاحب خراسان بلاد الترك وافتتح مدينة ملكهم واسر أباه وامرأته خاتون ونحوا من عشرة آلاف وقتل منهم خلقا كثيرا وغنم من الدواب ما لا يحصى واصاب الفارس

سلطاني فلم يردوا له جوابا ورجعوا الى بيت السيد حمود فأخبروه وفي خلاصة الأثر أنهم راجعوا عماد أفندي فقال له بعضهم وهو السيد مبارك بن فضل بن مسعود نحن حمود شيخنا وكبيرنا ولا نرضى الا به وكان عند عماد أفندي السيد راجح بن قايتباي من جانب الشريف سعد فوقع بينهما كلام طويل ثم ذهب الاشراف الى الشريف حمود وكان للشريف زيد عبد حبشي اسمه بلال ومملوك تركي اسمه ذو الفقار وكان شيخا للعسكر وأوصاه الشريف زيد على بنيه فقام عليهم أحسن قيام وكان ذا هيبة ورأي سديد فقام على قدميه وشمر عن ساقيه ورتب العسكر في المواضع الحصينة والسيد حمود لم يبرح من بيته بين بني عمه وشيعته ونار الفتنة قائمة أشد قيام

(جلوس الشريف سعد بن زيد للتهنئة بالامارة سنة ١٠٧٧)

فجلس الشريف سعد للتهنئة ودعا مشايخ العرب وأهل الادراك وفعل ما تفعل الملوك حال الجلوس وامتدحه الشعراء بعدة قصائد وفي اليوم الثالث من جلوسه حصل اضطراب عظيم من بعد الظهر الى بعد العصر بين الشريف سعد والسيد حمود وكل منهما جمع جيوشه وتحصنوا

من الغنيمة ألف درهم وفي سنة احدى وثمانين غزا المسلمون الروم فدامت الحرب بينهم اثنى عشر يوما فظفر المسلمون وغنموا غنيمة كثيرة وعادوا

ذكر حصر الصقالبة القسطنطينية

في سنة ثلاث وثمانين سارت الصقالبة الى الروم فحصروا القسطنطينية وقتلوا من أهلها خلقا كثيرا وخربوا البلاد فلم يجد ملك الروم منهم خلاصا فجمع من عنده من اسارى المسلمين واعطاهم السلاح وسألهم معونته على الصقالبة ففعلوا لكون الصقالبة كفارا فكشفوا الصقالبة وازاحوهم عن القسطنطينية ولما رأى ملك الروم ذلك خاف من المسلمين على نفسه فردهم واخذ السلاح منهم وفرقهم في البلاد حذرا من جنايتهم عليه وفي هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والروم فكان جملة من فدى من المسلمين الرجال والنساء والصبيان الفين وخمسمائة وأربعة انفس وفي سنة خمس وثمانين غزا راغب مولى الموفق في البحر فغنم مراكب كثيرة فضرب اعناق ثلاثة آلاف من الروم كانوا فيها واحرق المراكب وفتح حصونا كثيرة وعاد سالما وفيها غزا ابن الاخشيد صاحب مصر بأهل طرسوس ففتح الله على يديه وبلغ اسكندرونة وفي سنة سبع وثمانين غزا ابو العباس احمد بن الاغلب مدينة بلرم برا وبحرا فخرج اليه أهلها فقاتلوه ثم انهزموا ووقع القتل فيهم وملك البلد ثم رحل الى طبرمين فقطع كرومها وقاتلوهم ثم رحل الى قطانية فحصرها فلم ينل منها غرضا فرجع الى صقلية الى ان دخلت سنة ثمان وثمانين فتجهز للغزو وطاب الزمان وعمر الاسطول وسيره الى قطانية ونصب عليها المجانيق واقام اياما ثم انصرف الى مسيني وجاز الى ريو وقد اجتمع بها كثير من الروم فقاتلهم على باب المدينة وهزمهم وملك المدينة بالسيف وغنم من الذهب والفضة مالا يحد وشحن المراكب بالدقيق والامتعة ورجع الى مسيني وهدم سورها ووجد بها مراكب وصلت من القسطنطينية فأخذ منها ثلاثين مركبا ورجع الى المدينة وفي سنة ثمان وثمانين ومائتين سير المعتضد جيشا الى صائفة الروم ففتحوا حصونا كثيرة ورجعوا باسرى كثيرة ثم أن الروم ساروا في البر والبحر الى ناحية كيسوم فأخذوا من المسلمين اكثر من خمسة عشر الفا وعادوا وفي سنة تسع وثمانين توفي المعتضد وبويع ابنه المكتفي وفي سنة احدى وتسعين ومائتين خرجت الترك في خلق كثير الى ماوراء النهر فوجه اليهم صاحب خراسان اسماعيل الساماني جيشا كثيرا وتبعهم من المتطوعة خلق كثير فساروا نحو الترك فوصلوا اليهم وهم غارون فكبسهم المسلمون مع الصبح وقتلوا منهم خلقا عظيما لا يحصون وانهزم الباقون واستبيح عسكرهم وعاد المسلمون سالمين غانمين وفي هذه السنة خرج من الروم مائة الف عشرة صلبان مع كل صليب عشرة آلاف الى الثغور فقصد جماعة منهم الحدث (بلدة الروم) فاغاروا وسبوا واحرقوا وفي هذه السنة غزا من طرسوس القائد المعروف بغلام زرافه ففتح مدينة انطاكية بالسيف وقتل خمسة آلاف من الروم واسر مثلهم واستنقذ من الاسارى خمسة آلاف وغنم ستين من مراكب الروم بما فيها من المال والمتاع فقسمها مع غنائم انطاكية فكان السهم ألف دينار وفي سنة اثنتين وتسعين اغار الروم على مرعش ونواحيها فنفر أهل المصيصة وأهل طرسوس

في البيوت والمناور وركب جماعة السيد جود على الجبل الذي خلف بيته وعلى الجبل المعروف بجبل عمرو ترامو وابالرصاص من بعد ولم تحصل مواجهة واستمر بهم الحال وكل يوم يصبحون في قيل وقال وكل من الفريقين واقف على قدميه كالسبع الصائل ولما كان اليوم الثالث عشر وقع الاتفاق بين الشريف سعد والسيد جود على قدر معلوم من المعلوم وعينت جهاته وكان يوما عظيما عند الناس وحصل بذلك الامن وارتفع البأس وأمر الشريف سعد بالزينة ثلاثة أيام ثم كتب محضر من الشريف سعد الى الدولة العلية بانهاء ما صار من وفاة الشريف زيد وجلوس الشريف سعد بعده والتماس تأييده وبقائه وعليه خطوط الاعيان وذهب به عبد والده المذكور سابقا بلال أغا الى مصر وسلمه الى صاحب مصر فأرسله الى الدولة العلية مع مزيد الاعتناء منه وأصحبه مكتوبا من عنده وصدر أيضا عرض آخر من السيد جود بنقض ما كتبه الشريف سعد ولم يكن عليه الا خطوط السادة الاشراف وأرسله مع رجل من أهل مصر يسمى الشيخ عيسى فقضى الله عليه قبل دخوله مصر بيومين فوجدوا العرض في تركته فلم يجد نفعا وصدر ايضا عرض ثالث من السيد محمد يحيى بن زيد من المدينة لانه كان

واجلوهم واصيب جماعة من المسلمين وفي هذه السنة كان الفداء فكان جملة من فودي من اسرى المسلمين الف نفس ومائتي نفس وفي سنة ثلاث وتسعين اغارت الروم على قورس من اعمال حلب فقاتلهم اهلها قتالا شديدا ثم انهزموا وقتل الروم اكثرهم ودخل الروم قورس فأحرقوا جامعها وساقوا من بقي من أهلها وفي سنة أربع وتسعين غزا ابن كيغلغ من طرسوس فأصاب من الروم أربعة آلاف رأس سبي ودواب ومتاع ودخل بطريق من بطارقة الروم في الامان وأسلم وفيها ايضا غزا ابن كيغلغ فبلغ شكند وفتح الله عليه وسار الى الليس فغنموا نحوا من خمسين الف رأس وقتلوا مقتلة عظيمة من الروم وانصرفوا سالمين وكان بطريق على حرب اهل الثغور من قبل ملك الروم فأرسل ذلك البطريق الى المكتفي يطلب الامان فاعطاه فخرج من حصنه ومعه مائتا اسير من المسلمين كانوا معه في الحصن وكان ملك الروم ارسل ليقبض عليه فاعطى المسلمين سلاحا فخرجوا معه وقبضوا على الذين ارسلهم ملك الروم ليقبضوا عليه وقتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا ما في عسكرهم فاجتمعت الروم لمحاربة البطريق فسار اليهم جمع من المسلمين ليخلصوه ومن معه من اسرى المسلمين فبلغوا قونية فبلغ الخبر الى الروم فانصرفوا عنه فانصرف البطريق ومن معه الى بغداد واخرب المسلمون قونية وارسل ملك الروم الى الخليفة المكتفي فطلب الفداء وفي سنة ثلاث وتسعين افتتح اسماعيل الساماني صاحب خراسان مدائن كثيرة من بلاد الترك والديلم وفي سنة خمس وتسعين توفي المكتفي وبويع اخوه المقتدر بن المعتضد وفي هذه السنة فودي من المسلمين ثلاثة آلاف نفس رجالا ونساء وفي سنة ست وتسعين كان ابتداء دولة العبيديين بافريقية وتفصيل ذلك طويل مذكور في التواريخ وفي هذه السنة بعث المقتدر جيشا لغزو الروم وعليه مونس الخادم فظفر وغنم واسر منهم جماعة وعاد وفي سنة سبع وتسعين وجه المقتدر القاسم ابن سيما لغزو الصائفة وكذا في سنة ثمان وتسعين وفي سنة تسع وتسعين غزا الصائفة رستم امير الثغور من ناحية طرسوس فحصر حصن مليح الارمني ثم دخل بلده واحرقها وفي سنة ثلاثمائة توفي عبدالله بن محمد صاحب الاندلس وبويع حفيده عبدالرحمن الناصر بن محمد بن عبدالله واستمر عبدالرحمن الناصر خمسين سنة وهو اول من تسمى منهم بأمير المؤمنين لما رأوا ظهور الضعف في خلفاء بني العباس وكانوا قبل ذلك يقال لمن ولي منهم الامير فلان وغزا عبدالرحمن الناصر في بلاد الفرنج غزوات كثيرة وأثخن فيهم حتى خضعوا له وصاروا ابها دونه ويلتمسون رضاه وتفصيل غزواته يطول الكلام بذكرها وسيأتي ذكر شيء منها وفي سنة اثنتين وثلاثمائة سار الوزير للمقتدر علي بن عيسى لغزو الصائفة فلم يتيسر له فغزاها ثانية في برد شديد وثلج وغزا أيضا بشرا الخادم والي طرسوس بلاد الروم ففتح فيها وغنم وسبي واسر مائة وخمسين بطريقا وكان السبي نحوا من الفي رأس وفي سنة ثلاث وثلاثمائة أغارت الروم على الثغور الجزرية وقصدوا حصن منصور وسبوا من فيه وجرى على الناس أمر عظيم وظهرت الروم أيضا فأوقعوا بجماعة من مقاتلة طرسوس والغزاة فقتلوا منهم نحو ستمائة فارس ولم تكن للمسلمين صائفة في هذه السنة لكثرة الفتن في بغداد في مدة المقتدر وفيها خرج مليح الارمني الى مرعش فعاث في بلدها واسر جماعة

العثمانية فلما كان اليوم الثاني والعشرون من رجب جاءت الاخبار الصحيحة بأن الدولة العلية قد أنعمت على الشريف سعد بشرافة مكة وفي السادس والعشرين من رجب وصل رسول حضرة السلطان بالخلعة الشريفة والامر السلطاني فلبس الخلعة بالمسجد الحرام وقرئ الامر السلطاني وجلس للتهنئة وامتدحه الشعراء ولم يحضر هذا المجلس السيد حمود ولا احد ممن معه من السادة الاشراف ثم استمر الشريف سعد والسيد حمود على كيفية حسنة وحالة مستحسنة الى ان حصل بينهما التنافر والفراق وقام كل منهما في مقاومة صاحبه على ساق وذلك بأسباب عدم ايفاء الشريف سعد بما رتبه للسيد حمود من تلك المقررات والوعود فاز مع السيد حمود على الترحل عن البلاد ومفارقة العيال والاولاد فبرز الى وادي مر يوم الاربعاء ثاني ذي القعدة من سنة سبع وسبعين وألف وأرجفت الناس لهذا الخروج وخيف انقطاع السبل وأقام بمن معه من السادة والاشراف والخدم والاتباع الى قدوم الحاج المصري فاجتمع بأميره السيد حمود ومعه السيد أحمد بن محمد الحارث

ممن حولها وعادو فى سنة اربع وثلاثمائة سار مؤنس الخادم الى بلاد الروم لغزو الصائفة بجيوش كثيرة وفتح حصونا كثيرة من الروم وعاد فأكرمه المقتدر وخلع عليه وفى سنة خمس وثلاثمائة جاءت رسل من ملك الروم للخليفة المقتدر يطلبون المهادنة والفداء فاجيبوا الى ذلك وأنفذ المقتدر مع مؤنس للفداء مائة الف وعشرين الف دينار وكان قبل ذلك عقد لثمال الخادم على الغزاة فى بحر الروم وسار وكان قبل ذلك أيضا غزا جنى الصفوانى بلاد الروم فغنم ونهب وسبى وعاد سالما فقرئت الكتب على المنابر ببغداد بذلك ثم جاءت رسل ملك الروم بطلب الهدنة وفى سنة ثلاثمائة وثمان غزا عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس الى جليقية فاستنجد عليه ملوك الافرنج بعضهم بعضا فهزمهم ووطئ بلادهم ودوخ ارضهم وفتح معاقلهم وخرب الحصون وفى سنة ثنتى عشرة وثلاثمائة غزا بنبلونة وفعل اكثر من ذلك وله غزوات غيرها يطول الكلام بذكرها والجلالقة هم الاسبنيول وفى سنة عشر انقضت الهدنة التى كانت بين المقتدر وملك الروم فغزا المسلمون فى البر والبحر فغنموا وسلموا ودخل أهل طرسوس ملطية فظفروا وبلغوا من بلاد الروم والظفر بهم مالم يظنوه وعادوا وفى سنة احدى عشرة غزا مؤنس بلاد الروم فغنم وفتح حصونا وغزا ثمال أيضا فى البحر فغنم من السبى ألف رأس ومن الدواب ثمانية آلاف رأس ومن الغنم مائتى ألف رأس ومن الذهب والفضة شيأ كثيرا وفى سنة ثنتى عشرة جاء رسول ملك الروم بهدايا بطلب الهدنة وتقرير الفداء فاجيب الى ذلك ثم غدروا بالصائفة فدخل المسلمون بلاد الروم فأثخنوا ونهبوا وسبوا وعادوا وفى سنة ثلاث عشرة كتب ملك الروم الى أهل الثغور يأمرهم بحمل الخراج فان فعلوا والاقصدهم فقتل الرجال وسبى الذرية وقال اننى قد صح عندى ضعف ولاتكم فلم يفعلوا ذلك فسار اليهم وأخرب البلاد ودخل ملطية واخربها وسبى منها سنة أربع عشرة وفتح الروم ابوابا من الربض فدخلوا فقاتلهم أهلها واخرجوهم وخربوا قرى كثيرة من قراها ونبشوا الموتى ومثلوا بهم وقصد أهل ملطية بغداد مستغيثين فلم يغاثوا فعادوا بغير فائدة وغزا أهل طرسوس صائفة فغنموا وعادوا

﴿ ذكر حرب بين المسلمين والروم ﴾

فى سنة خمس عشرة وثلاثمائة خرجت سرية من طرسوس الى بلاد الروم فوقع عليها العدو فاقتتلوا فاستظهر الروم واسروا من المسلمين اربعمائة رجل فقتلوا صبرا وسار الدمستق فى جيش عظيم الى مدينة دبيل فحاصرها وضيق عليها والدمستق عندهم ملك عظيم يلى بلاد الروم التى هى شرقى دجلة القسطنطينية ويكون تحت امر الملك الذى فى القسطنطينية وكان مع الدمستق دبابات ومجانيق ومزاريق تزرق بالنار فلايقوم بين يديها احد وكان الرامى بها من اشجعهم فرماه رجل من المسلمين بسهم فقتله واراح الله المسلمين منه وكان الدمستق يجلس على كرسى عال ليشرف على البلد وعلى عسكره فأمرهم بالقتال على مايراه فصبر له أهل البلد وهو ملازم للقتال حتى وصلوا الى سور المدينة فنقبوا فيه نقوبا كثيرة ودخلوا المدينة فقاتلهم أهلها ومن فيها من العسكر قتالا شديدا فانتصر المسلمون واخرجوا الروم منها وقتلوا منهم نحو

وقالوا لامير الحج انت أيها الامير لاندع أحدا يحج الأن نأخذ ماهو لنا وكان قدره مائة ألف أشرفى فالتزم للسيد حمودان ينقده الشريف سعد قبل الصعود خمسين ألفا منها فقبل ذلك وخلى سبيله ومن معه فلما دخل أمير الحج مكة خامس ذى الحجة خرج اليه الشريف سعد ولبس الخلعة المعتادة ثم كلمه أمير الحج فيما التزمه للسيد حمود ومن معه فصدق التزامه وأعطى خادم السيد حمود الخمسين الالف قبل الصعود وبقى السيد حمود ومن معه بالوادى الى ثالث عشر وقيل عشرين من ذى الحجة فدخل مكة ومن معه من الاشراف وقصد أمير الحج وكبار العساكر الصلح بينه وبين الشريف سعد فترددت الرسل بينهم ثم عقدوا مجلسا حضره الامراء ووجوه أركان الدولة وعماد افندى لسماع الدعاوى التى بينهم فأرسل الشريف سعد بلالاغا وكيلا عنه فى الخصومة والدعوى فاغتاظ السيد حمود من ذلك وأراد الفتك به

 فى ذلك المجلس فذهب مسرعا فزعا فأرسل الشريف سعد أخاه

عشرة آلاف رجل وفي هذه السنة أيضا غزا ثمال الصائفة من طرسوس ولقي جمعا كثيرا من الروم فاقتتلوا فانتصر المسلمون عليهم وقتلوا من الروم كثيرا وعادوا في انعامهم وغنموا ثلاثمائة رأس من الغنم ولقيهم رجل من رؤساء الاكراد يعرف بابن الضحاك وكان له حصن يعرف بالجعفري وكان قد ارتد عن الاسلام وتنصر وصار الى ملك الروم وخدمه فأجزل له القطيعة وأمره بالعود الى حصنه فلقيه المسلمون فقاتلوه فأسروه وقتلوا كل من معه وفي سنة ست عشرة وثلاثمائة خرج الدمستق في عساكر الروم فحاصر خلاط وملكها صلحا وجعل الصليب في جامعها ورحل الى بدليس ففعل بها كذلك وخاف أهل ارزن وغيرهم ففارقوا بلادهم وانحدر اعيانهم الى بغداد واستغاثوا الى الخليفة فلم يغاثوا وفي هذه السنة وصل سبعمائة رجل من الروم والارمن الى ملطية ومعهم الفؤس والمعاول وأظهروا انهم يتكسبون بالعمل ثم ظهر أن مليحا الارمني وضعهم ليكونوا بها فاذا حصرها سلموها اليه فعلم بهم أهل ملطية فقتلوهم وأخذوا ما معهم وفي سنة سبع عشرة خلع المقتدر وبويع اخوه القاهر ثم بعد يومين أعيد المقتدر وخلع القاهر وكانت هذه الفتنة هائلة وبسببها ضعفت الثغور الجزرية عن دفع الروم عنهم منها ملطية وميافارقين وآمد وارزن وغيرها وعزموا على طاعة ملك الروم والتسليم اليه لعجز الخليفة المقتدر بالله عن نصرهم وارسلوا الى بغداد يستأذنون في التسليم ويذكرون عجزهم ويستمدون العساكر لتمنع عنهم فلم يحصلوا على فائدة فعادوا فصالحوا الروم وملكوهم البلاد وفي سنة سبع عشرة أيضا كان دخول القرامطة مكة يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجة فنهبوا اموال الحجاج وقتلوهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه وقلعوا الحجر الاسود وأنفذوه الى هجر وقلعوا باب البيت وأصعدوا رجلا ليقلع الميزاب وكان من ذهب فأصيب بسهم من جبل ابي قبيس فما أخطأ نحره وخر ميتا فأصعدوا آخر مكانه فسقط من فوق الى أسفل على رأسه ومات فهاب الثالث الاقدام على القلع فتركوا قلع الميزاب وكان جملة من قتلوه من الطائفين والمصلين والمحرمين في مكة وشعابها زهاء ثلاثين ألفا وسبوا من النساء والذرية مثل ذلك وتلك مصيبة ما اصيب الاسلام بمثلها وكان رئيسهم عدو الله المكنى بأبي طاهر وركض عند الكعبة فرسه وسيفه مشهور بيده وصفر لفرسه عند البيت الشريف فبال وراث قيل ان الذين قتلهم في المطاف الف وسبعمائة وملأ بئر زمزم من رؤسهم والكلام على هذه القصة وغيرها من وقائعهم طويل مذكور في التواريخ وقاتلهم خلفاء بني العباس ولهم معهم وقائع كثيرة وكان ابتداء ظهورهم سنة ثمان وسبعين ومائتين ولهم عقائد قبيحة يكفرون بها وان كانوا يدعون الاسلام ويزعمون انهم يدعون الناس للبيعة للمهدي المنتظر وزعموا انه محمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وكل ذلك زور وباطل قال ابن الاثير ولم يكن لمحمد بن اسماعيل ولد اسمه عبدالله ومكث الحجر الاسود عندهم في هجر اثنتين وعشرين سنة وكانوا يريدون تحويل الحج الى هجر فلما أيسوا من ذلك رجعوه الى موضعه من البيت وكان ذلك في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وابتلى ابو طاهر رئيسهم بداء الآكلة فصار يتناثر لحمه بالدود وتقطعت اوصاله وطال عذابه ومات شر ميتة ولعذاب الآخرة أشد وأبقى وانما ذكرنا هذه القصة لان قتال هؤلاء وما فعلوه ملحق بقتال

على السيد حمود بأنه أخذ أموال الامن طريق جدة فلم يثبت عليه ذلك بوجه شرعي وطلب مولانا السيد حمود ان يتوجه الى الديار المصرية ويرفع أمره الى الحضرة السلطانية فأذنوا له واتفق الحال على ذلك ثم لما توجه الحاج الشامي وسائر الحجاج توجه معهم حتى وصل الى بدر فتخلف عنهم وأقام بها فلما دخلت سنة ثمان وسبعين وألف توجه السيد حمود من بدر الى ينبع في شهر صفر وارسل ولده أبا القاسم والسيد احمد الحارث وولده السيد محمد والسيد غالب ابن زامل ابن عبدالله بن حسن وجماعة من ذوي عنقا وأرسل معهم هدية الى صاحب مصر المسمى عمر باشا ومن جملة تلك الهدية ستة من الخيل فلما بلغوا الحوراء لاقاهم قاصد من ابراهيم باشا المتولي بعد عزل عمر باشا بمكاتيب متضمنة للامر بالاصلاح فرجع السيد غالب بن زامل بصحبة القاصد لينظر ما يتم عليه الحال وأقام الباقون بالحوراء نحو خمسة عشر يوما ينتظرون الفرج بعد الشدة فلم يصل اليهم خبر بعد هذه المدة فساروا الى مصر فدخلوها ليلة عيد المولد وقدموا مكاتيبهم والهدية

(الكفار)

الكفار وأفعالهم ولا عبرة بكونهم يدعون الاسلام فانهم كانو يستبيحون دماء المسلمين ويرون ضلال كافة المسلمين ومن عقائدهم الزائغة المكفرة أن الصلاة ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان بعد غروبها فقط وان النبيذ حرام والخمر حلال ولا غسل من الجنابة الا الوضوء كوضوء الصلاة وان محمد بن الحنفية رسول الله بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك من ضلالاتهم واستمرت شوكتهم الى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ثم اضمحل أمرهم شيأ فشيأ حتى لم يبق لهم دولة

❊ تنبيه ❊

يوجد على وجه الحجر الاسود قطع كانت تكسرت منه ثم الصقت به واشتهر على ألسنة كثير من الناس ان سبب تكسر هذه القطع من القرامطة لما أخرجوا الحجر الاسود وليس الامر كذلك بل سبب تكسرها ما ذكره السنجاري في تاريخ مكة ونص عبارته في سنة أربعمائة وأربع عشرة يوم النفر الاول وكان جمعة دخل المسجد رجل أشقر بيده سيف مسلول ودبوس من حديد فتقدم بعد أن فرغ الامام من صلاة الجمعة وقصد الحجر الاسود فضربه بالدبوس ثلاث مرات وقال الى متى يعبد هذا الحجر ومحمد وعلى فليمنعني مانع من هذا فاني أريد رب هذا البيت فخافه أكثر الحاضرين وكاد يهرب فثار اليه رجل فضربه بخنجر فقتله وقطعه الناس بالسلاح ثم أحرقوه فحصل في الحجر الاسود شطب وخرج منه قطع صغار فأعادها سدنة الكعبة وأمير مكة والصقوها باللك فصارت آثار ذلك باقية الى الآن اه ولنرجع الى ما كنا بصدده وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة غزا ثمال والي طرسوس بلاد الروم فعبر نهرا ونزل عليهم ثلج الى صدور الخيل وأتاهم جمع كثير من الروم فواقعوهم فنصر الله المسلمين فقتلوا من الروم ستمائة واسروا نحوا من ثلاثة آلاف وغنموا من الذهب والفضة والديباج وغيره شيأ كثيرا وعاد ثمال الى طرسوس ودخل بلاد الروم صائفة في جمع كثير من الفارس والراجل فبلغوا عمورية وكان قد تجمع بها كثير من الروم ففارقوها لما سمعوا خبر ثمال ودخل المسلمون فوجدوا فيها من الطعام والامتعة شيأ كثيرا فأخذوا وأحرقوا ما كانوا عمروه منها وأوغلوا في بلاد الروم ينهبون ويقتلون ويخربون حتى بلغوا انقرة وهي التي تسمى الآن انكورية وعادوا سالمين لم يلقوا كيدا فبلغت قيمة السبي مائة الف دينار وستة وثلاثين الف دينار وفي هذه السنة كاتب ابن الديراني وغيره من الارمن وهم باطراف ارمينية الروم وحثوهم على قصد بلاد الاسلام ووعدوهم النصر فسارت الروم في خلق كثير فخربوا بزكرى وبلاد خلاط وما جاورها وقتل من المسلمين خلق كثير واسروا كثيرا منهم فبلغ خبرهم مفلحا غلام يوسف بن ابي الساج وهو والي أذربيجان فسار في عسكر كبير وتبعه كثير من المتطوعة الى ارمينية وقصد بلد ابن الديراني ومن وافقه فخربه وقتل اهله ونهب أموالهم وبالغ الناس في كثرة القتلى من الارمن حتى قيل انهم كانوا مائة الف قتيل والله اعلم وتحصن ابن الديراني بقلعة له وفي هذه السنة ايضا سارت الروم الى سميساط فحصروها فاستصرخ اهلها بسعيد بن حمدان صاحب الموصل وديار ربيعة فتجهز وسار مسرعا اليهم وقد كاد الروم يفتحونها فلما قاربهم هربوا منه فسار الى ملطية وكان اهلها قد ضعفوا فصالحوا الروم وسلموا مفاتيح البلد اليهم فحكموا على المسلمين وكان في ملطية جمع من الروم ومن عسكر مليح الارمني ومعهم بني ابن نفيس صاحب

والخيل التي معهم لابراهيم باشا فأكرمهم وعظمهم وأضافهم واحترمهم فاستمر الحال كذلك الى شهر جمادى الآخرة ولم يرجع ذلك القاصد من مكة الى مصر فأشيع بها أن السادة الاشراف الذين بينبع قتلوا ذلك القاصد وحصل الهرج والمرج وجاءت الاكاذيب فوجا بعد فوج فأشار بعض الاشقياء على الباشا بامساك السيد أبي القاسم والسيد محمد الحارث ونقلهم من منزلهم الى محل آخر وجعل عليهم حرسا واستمر السيد حمود بينبع ولما أن سافر الحج وقع تنافر بين الشريف سعد وأخيه السيد محمد فانه طلب ان يكون له ربع مكة بشعار الدعاء مع الشريف سعد فامتنع الشريف سعد فخرج السيد محمد مغاضبا لاخيه ولحق بالسيد حمود بينبع فخرج الشريف سعد وضرب وطاقه بالزاهر لارادة لحوقهم ثم جاءه خبر ورود خلعة له من صاحب مصر فرجع الى مكة وجاءته الخلعة سابع عشر رجب ولما سمع السيد حمود باعتقال والده أبي القاسم والسيد محمد الحارث لحقه من التعب مالا مزيد عليه ثم جهز الباشا صاحب مصر تجريدة لقتال السيد حمود ومن معه خمسمائة من العسكر وعليهم صنجق فلما وصلت الى ينبع اعترضها السيد حمود والسيد محمد بن زيد ومن معهم من

المقتدر وكان قدتنصر وهو مع الروم فلما أحسوا باقبال سعيد خرجوا منها وخافوا أن يأتيهم سعيد بن حمدان فى عسكره من خارج المدينة ويثور أهلها بهم فيهلكوا ففار قوها ودخلها سعيد ثم استخلف عليها أميرا وعادعنها ودخل بلاد الروم غازيا وقدم بين يديه سريتين فقتلا من الروم خلقا كثيرا قبل دخوله اليها وفى سنة عشرين قتل المقتدر (استطراد) قال العلامة القطبى فى تاريخه كان المقتدر فى كل عام يصرف يوم عرفة من الابل والبقر أربعين الف رأس ومن الغنم خمسين الفا وكان يصرف فى كل سنة فى طريق مكة والحرمين ثلاثمائة الف دينار وخمسة عشر الف دينار وكان فى داره أحد عشر الف غلام خصى غير الصقالبة والروم والسود وختن خمسة من أولاده فصرف فى ختانهم ستمائة الف دينار وقدم مرة عليه رسل ملك الروم بهدايا لطلب الهدنة فعمل المقتدر موكبا عظيما لارهاب العدو فأقام مائة وستين الف مقاتل بالسلاح الكامل صفين من باب الشماسية الى دار الخلافة ببغداد لتمر الرسل بين الصفين فى هذه المسافة وأقام بعدهم الخدم وهم سبعة آلاف خادم ثم الحجاب وهم سبعمائة حاجب ونصبت الستور على حيطان دار الخلافة فبلغت ثمانية وثلاثين الف ستر من الديباج وكانت البسط الفاخرة التى فرشت فى الارض اثنين وعشرين الف بساط وفى الحضرة مائة سبع فى سلاسل الذهب والفضة وكان من جملة الزينة شجرة صيغت وصنعت من الذهب والفضة والجواهر وأغصانها تتمايل بحركات مصنوعة وعلى الاغصان طيور من ذهب وفضة ينفخ الريح فيها فيسمع لكل طير تغريد وصفير خاص وهذا بعد وهن الدولة العباسية وضعفها فكيف كانت زينتها فى ايام قوة دولتهم فى كمال وصفها فسبحان من لا يزول ولا يزال ولا يفنى ملكه ولا يعتريه الزوال ولا تغيره الشؤن ولا تحوله الاحوال وهو الله الكبير المتعال لا اله الا هو وحده لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا مثال كون الاكوان وقدرها تقديرا الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا انتهى ولنذكر قصة قتل المقتدر فان فيها اعتبار الكل من كانت له بصيرة وهى تدل على هوان الدنيا وخسة قدرها عند الله تعالى وذوى البصائر من عباده وحاصلها ان مؤنسا الخادم كان عبدا خصيا من عبيد المعتضد والد المقتدر فلما صارت الخلافة للمقتدر زاده فى رفعة القدر وولاه قيادة كثير من جيوشه وصار من أعظم وزرائه وفى سنة عشرين وثلاثمائة حصلت وحشة بينه وبين المقتدر فسار مؤنس الى الموصل مغاضبا للمقتدر فاستولى المقتدر على اقطاع مؤنس وماله واملاكه واملاك اصحابه وكتب الى بنى حمدان امراء الموصل بصد مؤنس عن الموصل وقتاله فجرى بين مؤنس وبينهم قتال فانتصر مؤنس واستولى على الموصل واجتمعت عليه العساكر من كل جهة فسار بهم الى جهة بغداد ثم لما وصل الى بغداد نزل عند باب الشماسية بجنوده فخرج المقتدر الى قتال مؤنس بمن بقى معه من العساكر لان كثيرا منهم انعزلوا عنه وانحدروا الى واسط ليكونوا مع مؤنس ولما خرج المقتدر للقتال كان بين يديه الفقهاء والقراء ومعهم المصاحف منشورة وعليه البردة النبوية ووقف على تل فألح عليه اصحابه بالتقدم الى القتال فتقدم ثم انهزمت اصحابه فلحق المقتدر قوم من العسكر مغاربة فقال لهم ويحكم انا الخليفة

الأشراف وجمع من جهينة وغيرهم وقتلوا منهم نحو أربعمائة

نفس واستولوا على أموالهم وقبضوا على الصنجق وحريمه وأولاده وقالوا هؤلاء رهائن فى السيد أبى القاسم بن حمود والسيد محمد بن احمد الحارث وأصيب فى هذه الوقعة جماعة من الاشراف وقتل آخرون ولم يزل الصنجق عندهم الى ان مات ووصل خبر هذه الواقعة بمكة تاسع عشر رجب وحصل بمكة اضطراب عظيم ولما وصل الخبر الى مصر اشتد حنق صاحب مصر وأمر بقتل من بها من اتباع السيد أبى القاسم والسيد محمد الحارث وضيق عليهما بنقلهما الى حبس شنيع لا يليق بهما وجمع العلماء واستفتاهم فى قتلهما فامتنعوا عن الافتاء بذلك فضيق عليهما الحبس واستمر الى ان عزل ابراهيم باشا وتولى حسين باشا جنبلاط فسأل عن حالهما من حين دخوله وعن سبب حبسهما فأخبر بقضيتهما ثم تفحص الى الغاية عن حالهما بسؤلات كثيرة حتى ظهر له أنهما مظلومان فأمر بالافراج عنهما واحضارهما لديه فأكرمهما غاية الاكرام وخيرهما بين الاقامة والعود بعد ان أنزلهما فى بيت نقيب الاشراف وأكرمهما هو أيضا بمالا (فقالوا)

فقالوا قد عرفناك يا سفلة أنت خليفة ابليس فضربه واحدهم بسيفه فسقط الى الارض فذبحوه وقطعوا رأسه ورفعوه على خشبة وهم يكبرون ويلعنونه وأخذوا ماعليه حتى سراويله وكشفت عورته ثم حفروا له فى موضعه ودفنوه وعفى قبره وحملوا رأسه الى مؤنس وهو بالراشدية لم يشهد الحرب فلما رأى مؤنس رأس المقتدر لطم وجهه وبكى ثم ان القاهر اخا المقتدر لما بويع بعد قتل المقتدر وتمكن له الأمر قتل مؤنسا ولم تطل مدة القاهر بل خلع سنة اثنتين وعشرين وسملت عيناه وعاش دهرا طويلا اعمى محبوسا فى دار الخلافة ثم اطلقوه واهملوه فوقف يوما بجامع المنصور بين الصفوف وقال تصدقوا على فأنا من قد عرفتم وذلك فى أيام المستكفى ليشنع عليه فمنعوه من الخروج الى ان مات سنة تسع وثلاثين وعمره ثلاث وخمسون سنة ولما خلع القاهر بويع الراضى بن المقتدر وفى هذه السنة سار الدمستق الى سميساط فى خمسين الفا ونزل ملطية وحصرها مدة طويلة هلك اكثر أهلها بالجوع وضرب خيمتين على احدهما صليب وقال من أراد النصرانية انحاز الى خيمة الصليب ليرد اليه أهله وماله ومن أراد الاسلام انحاز الى الخيمة الاخرى وله الامان على نفسه ونبلغه مأمنه فانحاز أكثر المسلمين الى الخيمة التى عليها الصليب طمعا فى أهلهم وأموالهم وسير مع الباقين بطريقا يبلغهم مأمنهم وفتحها بالأمان ثم افتتحوا سميساط وخربوا اعمالها واكثروا القتل وفعلوا الافاعيل الشنيعة وصارا كثر البلاد فى ايديهم وفتحوا بلد جنوة ومروا بسردانية فأوقعوا بأهلها ثم مروا بقرقيسا من ساحل الشام فأحرقوا مراكبها وعادوا سالمين وفى سنة ست وعشرين كان الفداء بين المسلمين والروم وكان عدة من فودى من المسلمين ستة آلاف وثلاثمائة اسير ما بين ذكر وانثى وفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة توفى الراضى وبويع اخوه المتقى بن المقتدر وفى سنة ثلاثين وصل الروم الى قريب حلب ونهبوا وخربوا البلاد وسبوا نحو خمسة عشر الف انسان وفى هذه السنة غزا الثملى من ناحية طرسوس الى بلاد الروم فقتل وسبى وغنم وعاد سالما وقد اسر عدة من بطارقتهم وفى سنة احدى وثلاثين ارسل ملك الروم الى المتقى لله يطلب منه منديلا يزعم ان المسيح مسح بها وجهه فصارت صورة وجهه فيه وانه فى بيعة الرها وذكر أنه ان ارسل المنديل اطلق عددا كثيرا من أسارى المسلمين فأحضر المتقى لله القضاة والفقهاء واستفتاهم فاختلفوا فبعض رأى تسليمه الى الملك واطلاق الاسرى وبعض قال ان هذا المنديل لم يزل من قديم الدهر فى بلاد الاسلام لم يطلبه ملك من ملوك الروم وفى دفعه اليهم غضاضة وكان فى الجماعة على بن عيسى الوزير فقال ان خلاص المسلمين من الاسر ومن الضر والضنك الذى هم فيه اولى من حفظ هذا المنديل فأمر الخليفة بتسليمه اليهم واطلاق الاسرى ففعل ذلك وارسل الى الملك من يستلم الاسرى من بلاد الروم فاطلقوا

❁ ذكر خروج الروسية على بلاد الاسلام ❁

فى سنة ثنتين وثلاثين خرجت طائفة من الروسية فى البحر الى نواحى اذربيجان وركبوا فى البحر فى نهر الكر وهو نهر كبير فانتهوا الى مدينة بردعة فخرج اليهم نائب ملك الديلم بأذربيجان فى جموع من الديلم والمتطوعة يزيدون على خمسة آلاف

الى ان توفى بالطاعون ولم يزل السيد جود بينبع بعد الوقعة المشروحة ثم انتقل الى الشرق ووقع له بالشرق وقائع مع مطير وبنى ظفر وبنى حسين ولم يزل على هذا الحال وهو فى غاية الاعزاز والاجلال الى أن اذن الله بالصلح بينه وبين الشريف سعد فوفد عليه السيد جود بالطائف وقيل بالمبعوث سنة احدى وثمانين والف فقابله بالاجلال والاكرام ثم دخل معه الطائف وتكاتبا وتعاهدا على تشييد مبانى الصلح المحكم الاساس بمرأى من ضريح سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وأقاما فى أرغد عيش بعد ذلك الطيش وفى سنة تسع وسبعين وقع غلاء وقحط بمكة حتى أكل الناس الكلاب والهررات والرمم العظام واما بندر جدة فكان أعظم من ذلك فكانوا يرسلون الى مكة لطلب القوت وأهل الطائف اجتمع عليهم البرد والجوع والمخافة ووصلت كيلة الحب عندهم خمسين محلقا ثم لطف الله فورد جدة المراكب المصرية بالغلال وجرايات اهل مكة

رجل فلقوا الروس فلم يكن الا ساعة حتى انهزم المسلمون منهم وقتلوا من آخرهم وتبعهم الروس الى البلد فهرب من كان له مركوب وترك البلد فنزله الروس ونادوا فيه بالأمان واقبلت العساكر الاسلامية من كل ناحية لمقاتلتهم فكانت الروس تقاتلهم فلا يثبت المسلمون لهم وكان عامة البلد يخرجون ويرمون الروس بالحجارة ويصيحون بهم فينهاهم الروس عن ذلك فلم ينتهوا سوى العقلاء فانهم كفوا أنفسهم وسار العامة والرعاع لايضبطون أنفسهم فلما طال ذلك عليهم نادى مناديهم بخروج أهل البلد منه وان لايقيموا بعد ثلاثة ايام فخرج من كان له ظهر يحمله وبقي اكثرهم بعد الاجل فوضع الروسية فيهم السلاح فقتلوا منهم خلقا كثيرا وأسروا بعد القتل بضع عشرة الف نفس وجمعوا من بقي بالجامع وقالوا اشتروا أنفسكم والاقتلناكم وسعى لهم انسان نصراني فقرر على كل رجل عشرين درهما فلم يقبل منهم الا عقلاؤهم فلما رأى الروسية أنه لايحصل منهم شيء قتلوهم عن آخرهم ولم ينج منهم الا الشريد وغنموا أموال أهلها واستعبدوا السبي واختاروا من النساء من استحسنوها

﴿ ذكر مسير المرزبان بن محمد بن مسافر ملك الديلم اليهم ﴾

لما فعل الروس بأهل برذعة ماذكرناه استعظمه المسلمون وتنادوا بالنفير وجمع المرزبان بن محمد الناس واستنفرهم فبلغ عدة من معه ثلاثين الفا وسار بهم فقاتلوهم فامتنعوا عليه فأمكن لهم بعض الايام فهزمهم وقتل أميرهم ونجا الباقون الى حصن البلد وحاصرهم المرزبان حتى هربوا من البلد وحملوا ماقدروا عليه وطهر الله البلد منهم وملك الروس أيضا في هذه السنة رأس عين واستباحوها ثلاثا وقاتلهم الاعراب ففارقوها وكانوا ثمانين الفا مع من سبق وفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة خلع المتقي بن المكتفي بن المعتضد ومكث سنة وأربعة اشهر ثم خلع وبويع المطيع لله بن المقتدر بن المعتضد سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة حين تغلب بنو بويه على الخلفاء وبنو بويه كزبير ويقال أيضا بسكون الواو وفتح الياء ينتهي نسبهم الى ملوك الفرس وانما نسبوا الى الديلم لانهم طال مقامهم ببلادهم وخدموا كثيرا من عمال الخلفاء حتى صاروا قواد جيوش ثم تقوى أمرهم حتى تغلبوا على الخلفاء وصار الملك بايديهم وليس للخلفاء الا الاسم والدعاء على المنابر وكتابة المناشير وكتابة اسمائهم على الدراهم والدنانير واخبارهم طويلة مذكورة في التواريخ ودخل معز الدولة بن بويه بغداد بجيوشه سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وخلع الخليفة المستكفي بن المكتفي وأقام في الخلافة المطيع لله بن المقتدر وكان ابتداء ظهورهم سنة عشرين وثلاثمائة ومازالوا يتغلبون على ممالك بني العباس شيأ فشيأ حتى تغلبوا على بغداد سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وصاروا يتوارثون الملك بالتغلب الى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة فقامت دولة السلجوقية وتغلبوا عليهم وعلى الخلفاء أيضا وفي سنة خمس وثلاثين كان الفداء بالثغور بين المسلمين والروم على يد نصر الثملي امير الثغور لسيف الدولة بن حمدان صاحب حلب وحمص وكان عدة الاسرى الفين واربعمائة اسير وثمانين اسيرا من ذكر وانثى وفضل للروم على المسلمين مائتان وثلاثون اسيرا لكثرة من معهم من الاسرى فوفاهم ذلك سيف الدولة ومن هذا التاريخ صار امر الصوائف الى سيف الدولة

فقبض عليهم وحبسهم بالقلعة ومنع الخطيب من الدعاء للشريف سعد وفي خلاصة الاثر ان سبب ارسال حسن باشا ان أهل المدينة رفعوا الى السلطان شكايات من الشريف فلما بلغ الشريف سعدا مافعله حسن باشا بالمدينة أخذ حذره منه وجمع جموعا فلما دخل حسن باشا مكة دخلها وهو في تخت الى باب السلام ثم استلم الصر المكي ولم يقسم منه شيأ فدعا مولانا الشريف كبراء الحج وسألهم عن حال هذا الرجل وقال ليظهر مابيده ان كان بيده عزل أو تولية وكادت ان تقوم فتنة فالتزم له الامراء بأنه لايقع منه محذور فتوثق منهم وجمع مولانا الشريف بالناس بعد اضطراب شديد وقع بمكة بحيث عزل السوق فلما حج ونزل فرق حسن باشا الصر على أهاليه ولم يجتمع مولانا الشريف سعد بالباشا الى ان سعى بينهما امراء الحج وضمنوا عدم المخالفة وطيبوا خاطر مولانا الشريف فاجتمع به في الحرم ثاني محرم الحرام خلف مقام الحنفي ساعة وحضر أعيان الدولة وجمع من المسلمين وأصلحوا بينهما ثم قام مولانا الشريف الى منزله ثم ان مولانا الشريف أتاه

ابن حمدان صاحب حلب وحمص وفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة غزا سيف الدولة بن حمدان الى بلد الروم فلقيه الروم واقتتلوا فانهزم سيف الدولة وأخذ الروم مرعش وأوقعوا بأهل طرسوس وفي سنة ثمان وثلاثين غزا سيف الدولة أيضا بلاد الروم واوغل فيها وفتح حصون كثيرة وسبي وغنم فلما أراد الخروج من بلاد الروم اخذوا عليه المضايق فهلك من كان معه من المسلمين أسرا وقتلا واسترد الروم الغنائم والسبي وغنموا أثقال المسلمين وأموالهم ونجا سيف الدولة في عدة يسيرة

﴿ ذكر غزوة بصقلية ﴾

في سنة أربعين غزا الروم بصقلية الحسن بن علي الكلبي عامل المنصور العبيدي وجاءت جنود من القسطنطينية مددا للروم بصقلية فاقتتلوا مع المسلمين اشد القتال ثم انهزم الروم وركبهم المسلمون يقتلون ويأسرون الى الليل وغنموا جميع أثقالهم وسلاحهم ودوابهم وفي سنة احدى واربعين ملك الروم مدينة سروج وسبوا اهلها وغنموا اموالهم وأخربوا المساجد وفي سنة ثلاث واربعين غزا سيف الدولة ابن حمدان بلاد الروم فقتل واسر وسبي وغنم وكان فيمن قتل قسطنطين بن الدمستق فعظم الامر على الروم وعلى الدمستق فجمع عساكره من الروم والروس والبلغار وغيرهم وقصد الثغور فسار اليه سيف الدولة فالتقوا عند الحدث فاشتد القتال بينهم وصبر الفريقان ثم ان الله تعالى نصر المسلمين فانهزم الروم وقتل منهم وممن معهم خلق كثير واسر صهر الدمستق وابن ابنته وكثير من بطارقته وعاد الدمستق مهزوما مسلولا وفي سنة خمس واربعين وثلاثمائة سار سيف الدولة في جيوش الى بلاد الروم وغزاها حتى بلغ خرشنة وصارخة وفتح عدة حصون وسبي واسر واحرق وخرب واكثر القتل فيهم ورجع الى اذنة فأقام بها ثم رجع الى حلب فلما سمع الروم بما فعل جمعوا وساروا الى ميافارقين واحرقوا اسوارها ونهبوا وخربوا وسبوا أهلها ونهبوا اموالهم وعادوا وفي هذه السنة سار الروم في البحر فأوقعوا بأهل طرسوس وقتلوا منهم الفا وثمانمائة رجل واحرقوا القرى التي حولها وفعلوا مثل ذلك ايضا بطرسوس والرها سنة ثمان وأربعين وفي سنة تسع واربعين غزا سيف الدولة بلاد الروم في جمع كثير فأثر فيها أثارا كثيرة واحرق وفتح عدة حصون واخذ من السبي والغنائم والاسرى شيئاً كثيرا وبلغ الى خرشنة ثم أن الروم اخذوا عليه المضايق فلما اراد الرجوع قال له من معه من أهل طرسوس أن الروم قد ملكوا الدرب خلف ظهرك فلا تقدر على العود منه والرأي ان ترجع معنا فلم يقبل منهم وكان معجبا برأيه يحب أن يستبد ولا يشاور أحدا لئلا يقال انه اصاب برأي غيره وعاد من الدرب الذي دخل منه فظهر الروم عليه واستردوا ماكان معه من الغنائم وأخذوا أثقاله ووضعوا السيف في اصحابه فأتوا عليهم قتلا واسرا وتخلص هو في ثلاثمائة رجل بعد جهد ومشقة وهذا من سوء رأى كل من يجهل اراء الناس العقلاء والله اعلم بالصواب وفي سنة ثلاثمائة وخمسين سار قفل عظيم من انطاكية الى طرسوس ومعهم صاحب انطاكية فخرج عليهم كمين للروم فأخذ

الى منزله هو وأخوه الشريف أحمد بن زيد فلما أرادوا الانصراف ألبس كلا منهما قفطانا يليق به وقام مشيعا لهما الى باب الطريق وفي اليوم العاشر من محرم وصل المذكور الى زيارة مولانا الشريف فاجتمع به ولما أراد القيام أمر له مولانا الشريف بفرس تساوي ألف دينار فنزل من عنده وسافر من وقته الى جدة ثم ظهر منه غاية الشقاق كما سيأتي وفي ثالث ربيع الاول من هذه السنة ثار عسكر مولانا الشريف من تأخير المرتبات وتعصبوا مع شيخ اليمنية ونهبوا ما قدروا عليه من السوق فأقاموا بالمعلى يوما وليلة ثم نزلوا متوجهين الى اليمن فخرج اليهم السيد حسن بن زيد وضمن لهم الوفاء ورجع بهم وفي الخامس من ربيع الاول دخل السيد محمد يحيى بن زيد مكة مصالحا لاخيه مولانا الشريف سعد فتكلمت العساكر المقيمون بمكة مع مولانا الشريف في أمره وانه كان ممن أثخن القتل بينبع في العسكر مع السيد حمود فأظهر لهم مولانا الشريف كتابا من الباشا صاحب مصر فيه الامر باصلاح الاشراف المطلوبين مهما امكن وسجل ذلك عند قاضي الشرع فسكنت الفتنة وفي خامس عشر ربيع الآخر وقعت منافرة بين عسكر مولانا الشريف

من كان فيها من المسلمين وقتل كثيرا منهم وأفلت صاحب انطاكية وبه جراحات وفى هذه السنة غزا نجا غلام سيف الدولة بلاد الروم من ناحية ميافارقين وغنم ما قيمته قيمة عظيمة وسبى واسر وخرج سالما

﴿ ذكر استيلاء الروم على مدينة زربة وهو ثغر قرب المصيصة والمصيصة بلدة بالشام ﴾

فى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة نزل الروم مع الدمستق على عين زربة وهى فى سفح جبل عظيم وهو مشرف عليها وهم فى جمع عظيم فانفذ بعض عسكره فصعدوا الجبل فملكوه فلما رأى ذلك اهلها وان الدمستق قد ضيق عليه ومعه الدبابات وقد وصل الى السور وشرع فى النقب طلبوا الامان فأمنهم الدمستق وفتح له باب المدينة فدخلها فرأى أصحابه الذين فى الجبل قد نزلوا الى المدينة فندم على اجابتهم الى الامان ونادى فى البلد اول الليل بأن يخرج جميع اهله الى المسجد الجامع ومن تأخر فى منزله قتل فخرج من امكنه الخروج فلما اصبح أنفذ رجالته فى المدينة وكانوا ستين الفا وأمرهم بقتل من وجدوه فى منزله فقتلوا خلقا كثيرا من الرجال والنساء والصبيان وامر بجميع ما فى البلد من السلاح فجمع فكان شيأ كثيرا وأمر من فى المسجد ان يخرجوا من البلد حيث شاؤا يومهم ذلك ومن أمسى قتل فخرجوا مزدحمين فمات بالزحمة جماعة ومروا على وجوههم لايدرون اين يتوجهون وماتوا فى الطرقات وقتل الروم من وجدوه بالمدينة آخر النهار واخذوا كل ماخلفه الناس من أموالهم وأمتعتهم وهدموا سور المدينة وأقام الدمستق فى بلد الاسلام احدا وعشرين يوما وفتح حول عين زربة اربعة وخمسين حصنا للمسلمين بعضها بالسيف وبعضها بالامان وكان من جملة تلك الحصون التى فتحت بالامان حصن أمر اهله بالخروج منه فخرجوا فتعرض احد الارمن لبعض حرم المسلمين فلحق المسلمين غيرة عظيمة فجردوا سيوفهم فاغتاظ الدمستق لذلك فأمر بقتل جميع المسلمين وكانوا أربعمائة رجل وقتل النساء والصبيان ولم يترك الامن يصلح ان يسترق فلما ادركه الزمن الذى يصوم فيه النصارى انصرف على انه يعود بعد العيد وخلف جيشه بقيسارية وكان ابن الزيات صاحب طرسوس قد خرج فى اربعة آلاف رجل من الطرسوسيين فأوقع بهم الدمستق فقتل اكثرهم وقتل اخا ابن الزيات فعاد الى طرسوس وكان قد قطع الخطبة لسيف الدولة بن حمدان فلما أصابهم هذا الوهن اعاد أهل البلد الخطبة لسيف الدولة وأرسلوا اليه بذلك فلما علم ابن الزيات حقيقة الامر صعد الى روشن فى داره فألقى نفسه الى نهر تحته فغرق وارسل أهل بقراس الدمستق وبذلوا له مائة الف درهم فأقرهم وترك معارضتهم

﴿ ذكر استيلاء الروم على مدينة حلب وعودهم منها بغير سبب ﴾

فى هذه السنة استولى الروم على مدينة حلب دون قلعتها وكان سبب ذلك ان الدمستق سار الى حلب ولم يشعر به المسلمون لانه كان قد خلف عسكره بقيسارية ودخل بلادهم كما ذكرناه فلما قضى صوم النصارى خرج الى عسكره من البلاد جريدة ولم يعلم به احد وسار بهم فعند وصوله سبق خبره وكبس مدينة حلب ولم يعلم به سيف الدولة بن حمدان

جراحات ثم اصطلحوا وفى هذا الشهر توجه مولانا السيد محمد يحيى الى قبيلة بنى سعد لخروجهم عن الطاعة فلم يقدر عليهم فأرسل الى أخيه مولانا الشريف سعد يعرفه بذلك فأرسل اليه بجموع جزيلة وقبل وصولهم دانوا للطاعة على اعطاء جميع الاموال وسلامة الارواح وفى ثانى رجب من هذه السنة وصل الى بندر جدة سلطان من سلاطين العجم فأرسل اليه مولانا الشريف من يقابله ومعهم تحوت ثم دخل مكة وأدى الحج ونال منه مولانا الشريف مالا عظيما وفى شهر رمضان فى التاسع منه من هذه السنة وقعت صاعقة بمكة قتلت رجلا وفى هذه السنة طلب مولانا السيد أحمد بن زيد من أخيه أن يكون شريكا له فى مكة فوافقه على ذلك وفوض اليه ربع مدخول مكة فطلب أن يدعى له فى المنبر معه فأمره مولانا الشريف بذلك ثم عرض الى السلطنة وطلب تقرير ذلك فجاءت المراسيم بذلك ولما جاء الحج ألبس كل منهما خلعة وفى سنة احدى وثمانين وألف لما كان يوم

ولا غيره فلما بلغهما وعلم سيف الدولة الخبر أعجله الامر عن الجمع والاحتشاد فخرج اليه فيمن معه فقاتله فلم يكن له قوة الصبر لقلة من معه فقتل اكثرهم ولم يبق من اولاد داود بن حمدان احد قتلوا جميعهم فانهزم سيف الدولة في نفر يسير وظفر الدمستق بداره وكانت خارج مدينة حلب تسمى الدارين فوجد فيها لسيف الدولة ثلاثمائة بدرة من الدراهم وأخذ له الفا وار بعمائة بغل ومن خزائن السلاح مالا يحصى فأخذ الجميع وخرب الدار وملك الحاضر وحصر المدينة فقاتله أهلها وهدم الروم في السور ثلمة فقاتلهم اهل حلب عليها فقتل من الروم كثير ودفعوهم عنها فلما جنهم الليل عمروها فلما رأى الروم ذلك تأخروا الى جبل جوشن ثم ان رجالة الشرطة بحلب قصدوا منازل الناس وخانات التجار لينهبوها فلحق الناس اموالهم ليمنعوها فخلا السور منهم فلما رأى الروم السور خاليا من الناس قصدوه وقربوا منه فلم يمنعهم احد فصعدوا الى اعلاه فرأوا الفتنة قائمة في البلد بين اهله فنزلوا وفتحوا الابواب ودخلوا البلد بالسيف يقتلون من وجدوا ولم يرفعوا السيف الى ان تعبوا وضجروا وكان في حلب الف واربعمائة من الاسارى فتخلصوا واخذوا السلاح وقتلوا الناس وسبي من البلد بضعة عشر الف صبي وصبية وغنموا مالا يوصف كثرة فلما لم يبق مع الروم ما يحملون عليه الغنيمة امر الدمستق باحراق الباقي واحرق المساجد وكان قد بذل لاهل البلد الامان على ان يسلموا اليه ثلاثة آلاف صبي وصبية ومالا ذكره وينصرف عنهم فلم يجيبوه الى ذلك فلكهم كما ذكرنا وكان عدة عسكره مائتي الف رجل منهم ثلاثون الفا بالجواشن وهي الصدر والدرع وثلاثون الفا للهدم واصلاح الطرق من الثلج ومعه اربعة آلاف بغل تحمل الحسك الحديد وهي أداة للحرب من حديد لها شوك تلقى حول العسكر للحفظ من الدخول اليهم ولما دخل الروم البلد قصد الناس القلعة فمن دخلها نجا بحشاشة نفسه واقام الدمستق تسعة ايام واراد الانصراف عن البلد بما غنم فقال له ابن اخت الملك وكان معه هذا البلد قد حصل في ايدينا فليس من يدفعنا عنه فلأي سبب ننصرف عنه فقال له الدمستق قد بلغنا ما لم يكن الملك يؤمله وغنمنا وقتلنا وخربنا واحرقنا وخلصنا اسرانا وبلغنا ما لم يسمع بمثله فتراجعا الكلام الى ان قال له الدمستق انزل على القلعة فحاصرها فانني مقيم بعسكري على باب المدينة فقدم ابن اخت الملك الى القلعة ومعه سيف وترس وتبعه الروم فلما قارب من باب القلعة التي عليه حجر فسقط ورمي بخشب فقتل فاخذه اصحابه وعادوا الى الدمستق فلما رآه قتيلا قتل من معه من اسرى المسلمين وكانوا الفا ومائتي رجل وعاد الى بلاده ولم يعرض لسواد حلب وامر اهله بالزراعة والعمارة ليعود اليهم بزعمه

﴿ ذكر فتح طبرمين من صقلية ﴾

وفي هذه السنة سارت جيوش المسلمين بصقلية وأميرهم حينئذ أحمد بن الحسن بن علي بن ابي الحسن عامل العبيديين الى قلعة طبرمين من صقلية أيضا وهي بأيدي الروم فحاصروها وهي من أمنع الحصون وأشدها على المسلمين فامتنع اهلها ودام الحصار عليهم فلما رأى المسلمون ذلك عمدوا الى الماء الذي يدخلها فقطعوه عنها وأجروه الى مكان آخر فعظم الامر عليهم

ضربه فردفي وجهه باب المنبر فتلاحقته العامة من العساكر والمجاورين فضربوا الاعجمي بالسيوف الى أن أثخنوه جراحة وسحبوه الى ان أخرجوه من باب السلام ثم جرته العامة الى المعلى وجعلوا عليه قامة وأحرقوه ولما نزل الى جدة حسن باشا المتقدم ذكره بارز مولانا الشريف بالعداوة وقطع معاليه من جدة وطلع الى الحج ختام سنة احدى وثمانين وقيل اثنتين وثمانين وألف فلما فرغ من تعريفه توجه الى المزدلفة ثم الى منى وأقام بها فلما كان اليوم الثالث من أيام منى رمي برصاصة وقيل بثلاث رصاصات عند غروب الشمس تجاه جمرة العقبة وهو منحدر الى مكة فاصيب في فخذه فوقع من فوق حصانه فاحتمله العسكر الى التخت ونزلوا به وقتلوا من وجدوه تجاههم من الحجاج والفقراء الى ان وصلوا باب الباسطية مسكنه وبلغ مولانا الشريف الخبر فنزل من منى بمن معه من العسكر والاشراف في لباس الحديد ونزل الى بيته واعتدت عساكر حسن باشا للحصار

 وجعلوا المدافع على باب السدرة ورباط الباسطية ومن جهة باب الشبيكة

وطلبوا الامان فلم يجابوا اليه فعادوا وطلبوا ان يؤمنوا على دمائهم ويكونوا رقيقا للمسلمين وأموالهم فيأ فأجيبوا الى ذلك واخرجوا من البلد وملكه المسلمون وكان مدة الحصار سبعة اشهر ونصفا واسكن القلعة نفرا من المسلمين وسميت المعزية نسبة للمعز العبيدى صاحب افريقية وسار جيش الى رمطة مع الحسن بن عمار فحصروها وضيقوا عليها فلما رأى الروم ذلك خافوا وأرسلوا الى ملك القسطنطينية يعلمونه الحال ويطلبون منهم ان ينجدهم بالعساكر فجهز اليهم عسكرا عظيما يزيدون على اربعين الف مقاتل وسيرهم فى البحر فوصلت الاخبار الى الامير أحمد امير صقلية فأرسل الى المعز بافريقية يعرفه ذلك ويستمده ويسأله ارسال العساكر اليه سريعا وشرع هو فى اصلاح الاسطول والزيادة فيه وجمع الرجال المقاتلة فى البر والبحر وأما المعز فانه جمع الرجال وحشد وفرق فيهم الأموال الجليلة وسيرهم مع الحسن ابن على والد أحمد فوصلوا الى صقلية فى رمضان وساروا الى الذين يحاصرون رمطة فكانوا معهم على حصارها فأما الروم فانهم وصلوا أيضا الى مدينة صقلية فى شوال ونزلوا عند مدينة مسينى وزحفوا منها بجموعهم التى لم يدخل صقلية مثلها الى رمطة فلما سمع الحسن ابن عمار مقدم الجيش الذين يحاصرون رمطة ذلك جعل عليها طائفة من عسكره يمنعون من يخرج منها وبرز بالعساكر للقاء الروم وقد عزموا على الموت ووصل الروم وأحاطوا بالمسلمين ونزل اهل رمطة الى من يليهم ليأتوا المسلمين من ظهورهم فقاتلهم الذين جعلوا هناك لمنعهم وأبعدوهم عما أرادوا وتقدم الروم الى القتال وهم مدلون بكثرتهم وبما معهم من العدد وغيرها والتحم القتال وعظم الامر على المسلمين وألحقهم العدو بخيامهم وأيقن الروم بالظفر فلما رأى المسلمون عظم مانزل بهم اختاروا الموت ورأوا انه أسلم لهم وأخذوا بقول الشاعر * تأخرت استبقى الحياة فلم اجد * لنفسى حياة مثل ان اتقدما *
فحمل بهم الحسن بن عمار أميرهم وحمى الوطيس حينئذ وحرضهم على قتال الكفار وكذلك فعل بطارقة الروم وحملوا وحرضوا عساكرهم وحمل منويل مقدم الروم فقتل فى المسلمين فطعنه المسلمون فلم يؤثر فيه لكثرة ماعليه من اللباس فرمى بعضهم فرسه فقتله واشتد القتال عليه فقتل هو وجماعة من بطارقته فلما قتل انهزم الروم أقبح هزيمة وأكثر المسلمون فيهم القتل ووصل المنهزمون الى حرف خندق عظيم كالحفرة فسقطوا فيها من خوف السيف فقتل بعضهم بعضا حتى امتلأت وكانت الحرب من بكرة الى العصر وبات المسلمون يقاتلونهم فى كل ناحية وغنموا من السلاح والخيل وصنوف الاموال مالايحد وكان فى جملة الغنيمة سيف هندى عليه مكتوب هذا سيف هندى وزنه مائة وسبعون مثقالا طالما ضرب به بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل الى المعز مع الاسرى والرؤس وسار من سلم من الروم الى ريو واما اهل رمطة فانهم ضعفت نفوسهم وكانت الاقوات قد قلت عندهم فاخرجوا من فيها من الضعفاء وبقى المقاتلة فزحف اليهم المسلمون وقاتلوهم الى الليل ولزموا القتال فى الليل أيضا وتقدموا بالسلاليم فملكوها عنوة وقتلوا من فيها وسبوا الحرم والصغار وغنموا مافيها وكان شيأ كثيرا عظيما ورتب فيها من المسلمين من يعمرها ويقيم فيها ثم أن الروم تجمع من سلم منهم واخذوا معهم من فى صقلية وجزيرة ريو منهم وركبوا مراكبهم

الحج ومولانا الشريف فأخبرهم أن هذا الامر ليس لى به خبر وقد وقع ذلك والله أعلم بفاعله ولا لنا علم به وطلب مولانا الشريف محاسبته مادام فى قيد الحياة عما هو له من مدخول جدة لانه منعه من غير أمر يقتضى ذلك بعد انعام السلطنة على به وصمم فى الدعوى ووكل الخواجا محمد سعيد بن مصطفى السيورى وزير جدة من جهته فجاء الى حضرة القاضى وادعى على الباشا المذكور وأحضر دفاتر بندر جدة فصح لمولانا الشريف عنده أربعة وعشرون ألف قرش فتوسطت الامراء فى ترك البعض فأخذ عشرة آلاف وباع بأربعة عشر ألفا وقيل كان المبلغ ثلاثين ألفا فترك عشرة وأخذ عشرين ثم أن الباشا المذكور توجه الى جدة فى سابع عشر ذى الحجة ثم توجه الى المدينة فلما دخلها وأقام بها أياما حسن له محمد ظافر السابق ذكره ان يبعث الى مولانا السيد أحمد بن محمد الحارث بن الحسين بن أبى نمى ويوليه شرافة مكة فبعث اليه فجاء الى المدينة فألبسه حسين باشا خلعة فى الروضة الشريفة ونادى له فى البلد وأمر بالدعاء له على المنبر وأرسل الى جدة يريد

يحفظون نفوسهم فركب الامير أحمد في عساكره واصحابه في المراكب أيضا وزحف اليهم في الماء وقاتلهم واشتد القتال بينهم وألقى جماعة من المسلمين نفوسهم في الماء وخرقوا كثيرا من المراكب التي للروم فغرقت وكثر القتل في الروم فانهزموا لا يلوى احد على احد وسارت سرايا المسلمين في مداين الروم فغنموا منها فبذل أهلها لهم كثيرا من الاموال وهادنوهم وكانت هذه الوقائع في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة والهدنة في سنة اربع وخمسين وهذه الوقعة الاخيرة تعرف بوقعة المجاز ولنرجع الى تمام الكلام على حوادث سنة احدى وخمسين ففيها أخذ الروم حصن دلوك وثلاثة حصون مجاورة له وفيها سير سيف الدولة حاجبه في جيش مع أهل طرسوس الى بلاد الروم فغنموا وقتلوا وسبوا وعادوا فقصد الروم حصن سيسية فملكوه وفيها سار نجا غلام سيف الدولة في جيش الى حصن زياد فلقيه جمع من الروم فهزمهم واستأمن اليه من الروم خمسمائة رجل وفي هذه السنة أيضا في شوال أسرت الروم أبا فراس بن سعيد بن حمدان من منبج وكان متقلدا لها وكان ذا فصاحة وبلاغة وله ديوان شعر جيد وبقي أسيرا الى سنة خمس وخمسين فافتداه سيف الدولة بمال جزيل وتسلمه منهم وفي سنة احدى وخمسين أيضا سار جيش من الروم الى جزيرة اقريطش فأرسل أهلها الى المعز العبيدي صاحب افريقية يستنجدونه فأرسل اليهم نجدة فقاتلوا الروم فانتصر المسلمون وأسرى من كان بالجزيرة من الروم وفي سنة اثنتين وخمسين دخل أهل طرسوس بلاد الروم غازين ودخلها أيضا نجا غلام سيف الدولة من درب آخر وأوغل أهل طرسوس في غزوتهم حتى وصلوا الى قونية وعادوا وفي هذه السنة اجتمع جماعة كثيرة من الارمن وقصدوا الرها فأغاروا عليها فغنموا وأسروا وعادوا موفورين

﴿ ذكر حصر الروم المصيصة ووصول الغزاة من خراسان ﴾

في سنة ثلاث وخمسين حصر الروم مع الدمستق المصيصة وقاتلوا أهلها ونقبوا سورها واشتد قتال اهلها على النقب حتى دفعوهم عنه بعد قتال عظيم وأحرق الروم رستاقها ورستاق أدنة وطرسوس لمساعدتها اهلها فقتل من المسلمين خمسة عشرة الف رجل وأقام الروم في بلاد الاسلام خمسة عشر يوما لم يقصدهم من يقاتلوهم فعاد و الغلاء الاسعار وقلة الاقوات ثم ان انسانا وصل الى الشام من خراسان يريد الغزو ومعه خمسة آلاف رجل وكان طريقهم على ارمينية وميا فارقين فلما وصلوا الى سيف الدولة في صفر أخذهم سيف الدولة وسار بهم نحو بلاد الروم لدفعهم عن المسلمين فوجد الروم قد عادوا وافترق الغزاة الخراسانية الى الثغور لشدة الغلاء وعاد أكثرهم الى بغداد ومنها الى خراسان ولما أراد الدمستق العود الى بلاد الروم أرسل الى اهل المصيصة وادنة وطرسوس انى منصرف عنكم لا للعجز ولكن لضيق العلوفة وشدة الغلاء وانا عائد اليكم فمن انتقل منكم فقد نجا ومن وجدته بعد عودى قتلته ثم نزل ملك الروم بعد ذلك على طرسوس وحصرها وجرى بينهم وبين اهلها حروب كثيرة سقط في بعضها الدمستق الى الارض وكاد يؤسر فقاتلت عليه الروم وخلصوه واسر اهل طرسوس بطريقا كبيرا من بطارقة الروم ورحل الروم عنهم وتركوا عسكرا على المصيصة مع الدمستق فحصرها

ألبس الشريف أحمد الحرث *(صورة ما كتبه الشريف سعد للسيد أحمد ابن الحرث حين ولاه حسن باشا أمارة مكة بالمدينة)* فكتب الى السيد أحمد كتابا سالك فيه مسلك مثله من الاعتراف بحق الاكبر مع مزيد اللطافة ومضمونه كما في تاريخ العصامي بعد مزيد الثناء وجيد الدعاء ان هذا الذى سمعناه من تقمصك لبرد الملك وأثوابه فهذا أمر أنت بيته الاعلى ومثلك أحرى به وأولى فانك أنت الشيخ والوالد الحائز لكل طريف من الكمال وتالد فان كان هذا محكم الاساس والبنيان جاريا على مقتضى رسوم السلطان فنحن بالطاعة أعوان وان كان الامر خلاف ذلك وانما كان من تسويلات هذا الظالم الغادر وتمويهات ذلك المذمم الغير الظافر فاجل حلمك ان تستخفه أو ان تستنزله اخلاط الاشارب وغوغاء الجيش فأرسل اليه بالجواب مولانا السيد أحمد بأن الامر لم يكن على هواى وانما هو الزام مع علمي بأن هذا الابتداء لا يكون له تمام والسلام ولما

بلغ حسن باشا ان الشريف سعدا قد ذم جميع أحوالهم وعزم على حربه وقتاله وتجهز للمسير اليه والركوب عليه وضع في الحوامن

ثلاثة اشهر لم يمنعهم منها احد فاشتد الغلاء على الروم وكثر فيهم الوباء فمات كثير منهم فاضطروا الى الرحيل

﴿ ذكر استيلاء الروم على المصيصة وطرسوس ﴾

فى سنة اربع وخمسين وثلاثمائة سار نقفور ملك الروم الى قيسارية ليقرب من بلاد الاسلام و بها ونقل أهله اليها فأرسل اليه أهل طرسوس والمصيصة يبذلون له اتاوة ويطلبون أن ينفذ اليهم بعض اصحابه يقيم عندهم فعزم على اجابتهم فأتاه الخبر بأنهم قد ضعفوا وأنهم لا ناصر لهم وان الغلاء قد اشتد عليهم وقد عجزوا عن القوت وأكلوا الكلاب والميتة وقد كثر فيهم الوباء فيموت منهم فى اليوم نحو ثلاثمائة نفس فعاد نقفور عن اجابتهم واحضر الرسول واحرق الكتاب على رأسه واحترقت لحيته وقال لهم أنتم كالحية فى الشتاء تخدر وتذبل حتى تكاد تموت فان أخذها انسان وأحسن اليها وادفأها انتعشت ونهشته وأنتم انما أطعتم لضعفكم وان تركتكم حتى تستقيم أحوالكم تأذيت بكم وأعاد الرسول وجمع جيوش الروم وسار الى المصيصة بنفسه فحصرها وفتحها عنوة بالسيف ووضع السيف فيهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم رفع السيف ونقل كل من بها الى بلد الروم وكانوا نحو مائتى الف انسان ثم سار الى طرسوس فحاصرها فاذعن أهلها بالطاعة وطلبوا الامان فأجابهم اليه وفتحوا البلد فلقيهم بالجميل وأمرهم ان يحملوا من سلاحهم واموالهم مايطيقون ويتركوا الباقى ففعلوا ذلك وساروا برا وبحرا وسير معهم من يحميهم حتى بلغوا انطاكية وجعل الملك المسجد الجامع اصطبلا لدوابه وأحرق المنبر وعمر طرسوس وحصنها وجلب الميرة اليها حتى رخصت الاسعار وتراجع اليها كثير من أهلها ودخلوا فى طاعة الملك وتنصر بعضهم والعياذ بالله تعالى وأراد الملك المقام بها ليقرب من بلاد الاسلام ثم عاد الى القسطنطينية وأراد الدمستق ان يقصد ميافارقين وبها سيف الدولة فأمره الملك باتباعه الى القسطنطينية وفى هذه السنة نزلت طائفة من الترك على بلاد الخزر فاستنصر اهل الخزر باهل خوارزم فلم ينجدوهم وقالوا أنتم كفار فان أسلمتم نصرناكم فأسلموا الا ملكهم فنصرهم أهل خوارزم وأزالوا الترك عنهم ثم اسلم ملكهم بعد ذلك

﴿ ذكر خروج الروم الى بلاد الاسلام ﴾

فى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فى شوال خرجت الروم فقصدوا مدينة آمد ونزلوا عليها وحاصروها وقتلوا أهلها فقتل منهم ثلاثمائة رجل واسر نحو اربعمائة اسير ولم يمكنهم فتحها فانصرفوا الى دارا وقربوا من نصيبين ولقيهم قافلة واردة من ميارقين فأخذوها وهرب الناس من نصيبين خوفا منهم حتى بلغت اجرة الدابة مائة درهم وراسل سيف الدولة الاعراب ليهرب معهم وكان فى نصيبين فاتفق ان الروم عادوا قبل هربه فأقام بمكانه وساروا من ديار الجزيرة الى الشام فنازلوا انطاكية فأقاموا عليها مدة طويلة يقاتلون أهلها فلم يمكنهم فتحها فخربوا بلدها ونهبوه وعادوا الى طرسوس وفى سنة ست وخمسين توفى سيف الدولة وملك ابنه

ذلك وسهل الامر فيما هنالك فتحرك الحركة واستقر وأقام بالمدينة واستمر وكان السيد جود بن عبد الله بالمبعوث فبعث اليه السيد أحمد الحارث وحسن باشا يطلبانه اليهما المعونة واتفق ان مولانا الشريف سعد ابعث اليه أيضا يطلبه ويسدنيه ويخبره بما وقع فاتفق وصول الرسولين اليه فى يوم واحد فتوجه قاصدا جهة مولانا الشريف سعد فوصل اليه وهو على الجابالقرب من ينبع كذا فى تاريخ السنجارى وفى خلاصة الاثر فعزم سعد وأحمد الى المدينة وصمما على القتال وكان جود نازلا بالمبعوث فى المربعة المنسوبة الى السيد محمد الحارث فأتاه السيد أحمد بن حسن بن حراز رسولا من الحارث وحسن باشا بكتابين يستدعيانه اليهما للانضمام ووعداه بما يريده من الجهات والمعينات ومضمون كتاب ابن الحرث بعد الثناء وانهار الود والشوق ان أخاك لم يكن له هذا الامر ببال ولم يلتفت اليه بالمقال والخيال وانما ألجأنى والدى محمد الى الشعرى وكرر على القول مرة بعد

 أ ... فالنامة لا ... افق ... دع الاوهام فحينئذ رجعت والقصد أنى

المعالى شريف وفى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وصلت سرية كبيرة من الروم الى أنطاكية فقتلوا فى سوادها وغنموا وسبوا اثنى عشر الفا من المسلمين وفى سنة ثمان وخمسين دخل ملك الروم الشام ولم يمنعه احد ولا قاتله فسار فى البلاد الى طرابلس واحرق بلدها وحصر قلعة عرقة فملكها ونهبها وسبى من فيها وكان صاحب طرابلس قد أخرجه اهلها لشدة ظلمه فقصد قلعة عرقة فاخذه الروم وجميع ماله وكان كثيرا وقصد ملك الروم حمص وكان اهلها قد انتقلوا عنها وأخلوها فأحرقها ملك الروم ورجع الى بلدان الساحل فأتى عليها نهبا وتحريقا وملك ثمانية عشر منبرا واما القرى فكثيرة لا يحصى وأقام فى الشام شهرين يقصد اى موضع شاء ويخرب ماشاء ولا يمنعه الا ان بعض العرب كانوا يغيرون على اطرفهم فأتاه جماعة منهم وتنصروا وكادوا المسلمين من العرب وغيرهم فامتنعت العرب من قصدهم وصار للروم الهيبة العظيمة فى قلوب المسلمين فأراد أن يحصر انطاكية وحلب فبلغه ان اهلها قد اعدوا الذخائر والسلاح وما يحتاجون اليه فامتنع من ذلك وعاد ومعه من السبى نحو مائة الف رأس ولم يأخذ الا الصبيان والصبايا والشبان فأما الكهول والشيوخ والعجائز فمنهم من قتله ومنهم من أطلقه وكان بحلب قرعويه غلام سيف الدولة فصانع الروم عليها فعادوا الى بلادهم فقيل كان سبب عودهم كثرة الامراض والموت وقيل ضجروا من طول السفر والغيبة عن بلادهم فعادوا على عزم الرجوع وسير ملك الروم سرية الى الجزيرة فنهبوا وسبوا وأحرقوا وعادوا

ذكر ملك الروم انطاكية

فى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ملك الروم مدينة انطاكية وسبب ذلك انهم حصروا حصنا بالقرب من أنطاكية يقال له حصن لوقا وافقوا اهله وهم نصارى على ان يرحلوا منه الى انطاكية ويظهروا انهم انما انتقلوا منه خوفا من الروم فاذا صاروا بأنطاكية أعانوهم على فتحها وانصرف الروم عنهم بعد موافقتهم على ذلك وانتقل اهل الحصن ونزلوا بانطاكية بالقرب من الجبل الذى بها فلما كان بعد انتقالهم بشهرين جاءت الروم مع اخى تقفور الملك وكانوا نحو اربعين الفا فأحاطوا بسور انطاكية وصعدوا الجبل الى الناحية التى بها أهل حصن لوقا فلما رآهم اهل البلد قد ملكوا تلك الناحية طرحوا انفسهم من السور وملك الروم البلد ووضعوا فى اهله السيف ثم اخرجوا المشايخ والعجائز والاطفال من البلد وقالوا لهم اذهبوا حيث شئتم وأخذوا الشباب من الرجال والنساء والصبيان والصبايا فحملوهم الى بلاد الروم سبيا وكانوا يزيدون على عشرين الفا

ذكر ملك الروم مدينة حلب وعودهم عنها

لما ملك الروم أنطاكية أنفذوا جيشا كثيفا الى حلب وكان أبو المعالى شريف بن سيف الدولة محاصرا لها وبها قرعويه غلام سيف الدولة متغلبا عليها فلما سمع ابو المعالى خبر الروم فارق حلب وقصد البرية ليبعد عنهم وحصروا البلد وبه قرعويه واهل البلد قد تحصنوا بالقلعة فملك الروم المدينة وحصروا القلعة فخرج اليهم جماعة من اهل حلب وتوسطوا بينهم وبين قرعويه وترددت الرسل فاستقر الامر بينهم على هدنة مؤبدة على مال يحمله قرعويه اليهم وان يكون الروم اذا أرادوا الغزو لا يمكن قرعويه اهل القرايا من الجلاء عنها ليبتاع الروم ما يحتاجون

ك الذى تعرفه ولا تنكره فأقبل الينا فهو أعظم جميل نذكره ففكر جودر ساعة وقال كأنى برسول سعد يصبحنا ان لم يمسنا فقبل الغروب اذا براكب منيخ فتقدم اليه وأخرج مكتوبين من سعد وأحمد مضمونهما استحثاثه فى المسير اليهما وان حسن باشا قد شمر عن ساقيه للحرب وكشر عن نابيه للطعن والضرب واستشهد سعد بقول الشاعر

وما غلظت رقاب الاسد حتى * بأنفسها تولت ما عناها

وأتبعه بقوله وأنت تعلم ان الامر الذى يعنينا يعنيك وأدرى بما يؤول اليه الامر فى ذلك وهذه الف دينار صحبة الواصل اليك فأدرك أدرك أدام الله فضله عليك فقال له بعض الحاضرين ما رأيت لمن تتوجه قال الى سعد صاحب الفضل ومولاه فان بينى وبينه فى ضريح الحبر عبد الله عهودا لو عارضنى فيها والدى عبد الله لكفحت وجهه بالسيف دون ذلك ثم توجه على الركائب يومه الثانى وقوض الاخبية وفارق المبانى حتى وصل الى سعد واخيه وهما بمحل يقال له ملجا فوافى ذلك عزل حسن باشا واتى الخبر لمولانا الشريف سعد بالخزانة والذخيرة التى طلبها حسن باشا فأرسلت له من جدة فتعرضها وأخذها عن آخرها وقسمها على من عنده ثم جاء الخبر من السلطنة بعزل حسن

اليه منها وكان مع حلب حماه وحمص وكفرطاب والمعرة وافامية وشيزر وما بين ذلك من الحصون والقرايا وسلموا الرهائن الى الروم وعادوا من حلب وتسلمها المسلمون

﴿ ذكر ملك الروم ملازكرد ﴾

وفى هذه السنة ارسل ملك الروم جيشا الى ملازكرد من اعمال ارمينية فحصروها وضيقوا على من بها من المسلمين وملكوها عنوة وقهرا وعظمت شوكتهم وخافهم المسلمون فى اقطار البلاد وصارت كلها سائبة لا تمتنع عليهم يقصدون أيها شاؤا الضعف ملوك الاسلام عن مدافعتهم ووقوع الفتن بينهم

﴿ ذكر مافعله الروم بالجزيرة ﴾

فى سنة احدى وستين وثلاثمائة فى المحرم أغار ملك الروم على الرها ونواحيها وساروا فى ديار الجزيرة حتى بلغوا نصيبين فغنموا وسبوا واحرقوا وخربوا البلاد وفعلوا مثل ذلك بديار بكر فسار جماعة من أهل تلك البلاد الى بغداد مستنفرين وقاموا فى الجوامع والمشاهد واستنفروا المسلمين وذكروا مافعل الروم من النهب والقتل والاسر والسبى فاستعظمه الناس وخوفهم أهل الجزيرة من انفتاح الطريق وطمع الروم وأنهم لا مانع لهم عنهم فاجتمع معهم أهل بغداد وقصدوا دار الخليفة المطيع لله وأرادوا الهجوم عليه فنعوا من ذلك واغلقت الابواب فأسمعوه مايقبح ذكره

﴿ ذكر انهزام الروم وأسر الدمستق ﴾

فى سنة اثنتين وستين وثلاثمائة كانت وقعة بين هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان وبين الدمستق بناحية ميافارقين وكان سببها ماذكرناه من غزو الروم بلاد الاسلام فلما رأوا أنهم لا مانع لهم قوى طمعهم على أخذ آمد فسار الدمستق اليها وبها هزارمرد غلام ابى الهيجاء بن حمدان فكتب الى ابى تغلب بن ناصر الدولة يستصرخه ويعلمه الحال فسير اليه اخاه هبة الله بن ناصر الدولة واجتمعا على حرب الدمستق وكان الدمستق فى كثرة فلقياه فى مضيق لا تجول فيه الخيل والروم على غير اهبة فانهزموا وأخذ المسلمون الدمستق أسيرا ولم يزل محبوسا الى ان مرض سنة ثلاث وستين وبالغ ابو تغلب فى علاجه وجمع الاطباء له فلم ينفعه ذلك ومات وفى سنة ثلاث وستين اصاب الخليفة المطيع لله فالج وثقل لسانه وتعذرت عليه الحركة فخلع نفسه وبويع لابنه الطائع لله وفى سنة ست وستين توفى الحكم بن عبدالرحمن الناصر صاحب الاندلس واقيم بعده ابنه هشام وكان صغيرا ولقب المؤيد وقام بأمره الوزير المنصور بن ابى عامر واشتغل بالغزو وفتح من بلاد الاعداء كثيرا وامتلأت الاندلس بالغنائم واستمر المنصور ستا وعشرين سنة غزا فيها ثنتين وخمسين غزوة يطول الكلام بذكرها وسيأتى ذكر شئ منها ومن محاسن غزواته أنه دخل بلاد الفرنج غازيا فجاز الدرب اليها وهو مضيق بين جبلين وأوغل فى بلاد الفرنج يسبى ويخرب ويغنم فلما أراد الخروج رآهم قد سدوا الدرب وهم عليه يحفظونه من المسلمين فأظهر أنه يريد المقام فى بلادهم وشرع هو وعسكره فى عمارة المساكن وزرع الغلات واحضروا الحطب والتبن والميرة ومايحتاجون اليه فلما رأوا عزمه على المقام مالوا الى السلم فراسلوه فى ترك الغنائم

ذكر هذه الخلعة وكان ارسالها ضربا من المكايد وتوجه القاصد بخبر العزل الى المدينة فتوجه حسن باشا من المدينة على طريق غزة وتوفى فى الطريق وتوجه معه محمد ظافر وأغاة القلعة وذهب محمد ظافر الى غزة ثم الى مصر ثم انقطعت الاخبار عن مولانا الشريف وكثرت الاقاويل عند الوزير حتى قيل انهم أحضروا له ثوب الباشا الذى ضرب بالرصاص فيه وزاد الاعداء فى الكلام وكان الشيخ محمد ابن سليمان المغربى المشهور بالرودانى اذ ذاك فى القسطنطينية وكان مجاورا بالمدينة ثم بمكة وله عداوة مع الشريف سعد وذلك انه تشفع عنده فى شفاعة فلم يقبلها ثم سافر الى الروم واتصل بالوزير واجتمع بالسلطان محمد بن ابراهيم وطلب منه ان يزيل اشياء كانت بمكة فأمر السلطان بابطالها فلما كانت قضية حسن باشا حضر عند الوزير وانفتح ذلك المجال فوجد مكانا فسيحا للمقال فعند ذلك أمر الوزير الاعظم باخراج أمر سلطانى الى صاحب مصر أحمد باشا بتجهيز ثلاثة آلاف عسكرى من مصر الى مكة وكتب الى حسين باشا صاحب حلب ان يحج فى

والجواز الى بلاده فقال أنا عازم على المقام فتركوا له الغنائم فلم يجبهم الى الصلح فبذلوا له مالا ودواب تحمل له ماغنمه من بلادهم فأجابهم الى الصلح وفتحوا له الدرب فجاز الى بلاده

﴿ ذكر غزوات بالهند ﴾

وكان القائم بتلك الغزوات السلطان سبكتكين بضم السين وفتح الباء وسكون الكاف الاولى وفتح التاء وكسر الكاف الثانية وبنوه بعده وسبكتكين كان في الاصل غلاما لابي اسحق ابن البتكين صاحب جيش غزنة للسامانية ملوك خراسان عمل الخلفاء العباسيين وكان سبكتكين مقدما عند مولاه ابي اسحق المذكور فلما مات ابو اسحق لم يخلف من أهله وأقاربه من يصلح للتقدم فاجتمع عسكره واتفقوا على تقديم سبكتكين لما عرفوه من عقله ودينه ومروءته فقدموه عليهم وولوه أمرهم سنة ست وستين وثلاثمائة فأحسن السيرة فيهم وصار له ملك ضخم توارثه بنوه في كابل والهند وخراسان الى سنة سبع واربعين وخمسمائة فتكون مدة ولايتهم مائتي سنة وثلاث عشرة سنة تقريبا وكان ملوكهم من أحسن الملوك سيرة لاسيما السلطان محمود بن سبكتكين فان آثاره في الجهاد معروفة وأعماله للآخرة مشهورة وكان مقر سلطنتهم غزنة فهي دار ملكهم وهي من مدائن كابل وهذا اول ذكر غزواتهم ففي سنة ست وستين وثلاثمائة غزا سبكتكين وهو والد السلطان محمود صاحب غزنة فافتتح قلاعا حصينة على شواهق الجبال وعاد سالما ظافرا ولما رأى جيبال ملك الهند مادهمه وان بلاده تملك من اطرافها جمع الجيوش الكثيرة واستكثر من الفيول وسار حتى اتصل بولاية سبكتكين فسار سبكتكين عن غزنة اليه ومعه عساكره وخلق كثير من المتطوعة فالتقوا واقتتلوا أياما كثيرة وصبر الفريقان وبالقرب منهم عقبة غورك وفيها عين ماء لاتقبل نجسا ولاقذرا واذا القي فيها شيء من ذلك اكفهرت السماء وهبت الرياح وكثر الرعد والبرق والامطار ولاتزال كذلك الى ان تطهر من الذي القي فيها فأمر سبكتكين بالقاء نجاسة في تلك العين فجاء الغيم والرعد والبرق وقامت القيامة على الهنود لانهم رأوا مالم يروا مثله وتوالت عليهم الصواعق والامطار واشتد البرد حتى هلكوا وعميت عليهم المذاهب واستسلموا لشدة ماعاينوه وأرسل ملك الهند الى سبكتكين يطلب الصلح وترددت الرسل فأجابهم اليه بعد امتناع على مال يؤديه وبلاد يسلمها وخمسين فيلا يحملها اليه فاستقر ذلك ورهن عنده جماعة من اهله على تسليم البلاد وسير معه سبكتكين من يتسلمها فان المال والفيلة كانت معجلة فلما أبعد ملك الهند قبض على من معه من المسلمين وجعلهم عنده عوضا عن رهائنه فلما سمع سبكتكين بذلك جمع العساكر وسار نحو الهند فاخرب كل مامر عليه من بلادهم وقصد لمغان وهي من أحسن قلاعهم فافتتحها عنوة وهدم بيوت الاصنام وأقام فيها شعار الاسلام وسار عنها يفتح البلاد ويقتل أهلها فلما بلغ ما أراده عاد الى غزنة فلما بلغ الخبر ملك الهند جمع العساكر وسار في مائة الف مقاتل فلقيه سبكتكين وأمر اصحابه ان يتناوبوا القتال مع الهنود ففعلوا ذلك فضجر الهنود من دوام القتال معهم وحملوا حملة واحدة فعند ذلك اشتد الامر وعظم الخطب وحمل المسلمون أيضا جميعهم واختلط

واصلاح البلد وتولية من يرى فيه الصلاح وجعل اليه أمر ذلك فلما كان ثالث شوال ورد من مصر الخبر بتجهيز العساكر الى الجهة الحرمية وكثر الهرج والمرج واستمر مولانا الشريف بينبع الى ذي القعدة فرجع ووصل الى مكة يوم الحادي عشر من ذي القعدة

(غريبة)

ولما كان يوم الثالث عشر من ذي القعدة جاء رجل من أهل وادي الجموم معروف بالخير عليه آثار الجذب وانفرد عن الناس ونادى بأعلى صوته من الشبيكة وهو سائر الى ان وصل المعلى وهو يقول ياأهل مكة أشهدكم وأشهد الله وملائكته أني أديت الامانة الى شريف مكة وهو أن أمرا يريد ان ينزل بأهل هذه البلدة عقوبة فليخرج بجميع الناس يوم الجمعة يصلي بهم ركعتين ليرفع هذا البلاء بذلك عن أهل هذه البلدة وقد أديت ما أمرت بتبليغه فوصل خبره الى مولانا الشريف فاستدعاه وسأله عن حاله فقال أنا رجل مقيم بالريان فصليت البارحة العشاء ونمت ثم قمت لصلاة أصليها فاغتسلت من عين هناك فغشيني نور طبق الافق فسجدت خشية ثم رفعت رأسي وأنا كالغائب فشاهدت النور قد اجتمع

بعضهم ببعض فانهزم الهنود وأخذهم السيف من كل جانب واسر منهم مالا يعد وغنم اموالهم واثقالهم ودوابهم الكثيرة وذل الهنود بعد هذه الوقعة ولم يقم لهم بعدها راية ورضوا بأن لا يطلبوا فى أقاصى بلادهم ولما قوى سبكتكين بعد هذه الوقعة أطاعه الافغانية والخلج وصاروا فى طاعته

❊ ذكر غزوة للامير أبى القاسم الكلبى امير صقلية ❊

فى سنة احدى وسبعين وثلاثمائة فى ذى القعدة سار الامير ابو القاسم من صقلية يريد الجهاد وسبب ذلك ان ملكا من ملوك الفرنج يقال له بردويل خرج فى جموع كثيرة يريد صقلية فحصر قلعة مالطه وملكها واصاب سريتين للمسلمين فسار الامير أبو القاسم بعساكره ليرحله عنها فلما قاربها خاف وجبن فجمع وجوه أصحابه وقال لهم انى راجع من مكانى هذا فلا تكسروا على رأيى فرجع هو وعساكره وكان اسطول الكفار يساير المسلمين فى البحر فلما رأوا المسلمين راجعين ارسلوا الى بردويل ملك الفرنج يعلمونه ويقولون له ان المسلمين خائفون منك فالحق بهم فانك تظفر فجرد الفرنجى من عساكره أثقالهم وسار جريدة وجد فى السير فأدركهم فى العشرين من المحرم سنة ثنتين وسبعين فتعبى المسلمون للقتال واقتتلوا واشتدت الحرب بينهم فحمل طائفة من الفرنج على القلب والاعلام فشقوا العسكر ووصلوا اليها وقد تفرق كثير من المسلمين عن اميرهم واختل نظامهم فوصل الفرنج اليه فأصابته ضربة على امرأسه فقتل وقتل معه جماعة من اعيان الناس وشجعانهم ثم ان المنهزمين من المسلمين رجعوا مصممين على القتال ليظفروا او يموتوا واشتد حينئذ الامر وعظم الخطب على الطائفتين فانهزم الفرنج أقبح هزيمة وقتل منهم نحو اربعة آلاف قتيل واسر من بطارقتهم كثير وتبعهم المسلمون الى ان أدركهم الليل وغنموا من اموالهم كثيرا وافلت ملك الفرنج هاربا ومعه رجل يهودى كان خصيصا به فوقف فرس الملك فقال له اليهودى اركب فرسى فان قتلت فانت لولدى فركبه الملك ونجا وقتل اليهودى ولما قتل الامير ابو القاسم كان معه ابنه جابر فقام مقام ابيه ورحل بالمسلمين لوقتهم ولم يمكنهم من اتمام الغنيمة فتركوا كثيرا منها

❊ ذكر دخول الروسية فى دين النصرانية ❊

قد تأخر دخول الروسية فى النصرانية عن بقية الافرنج سكان أوروبا وذلك أنه كان أول دخول الروسية فى دين النصرانية سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وسبب ذلك أنه وقع اختلاف بين ملوك الروم مع بعضهم فاستنجد بعض منهم بملوك الاسلام وذلك البعض هو ورد الرومى وكان من اكابر رؤسائهم وقواد جيوشهم وعظماء بطارقتهم فطمع فى الملك ولا قدرة له على قتال بقية المتنازعين فكاتب أبا تغلب بن حمدان أمير حلب والموصل نيابة عن الخليفة واستنجد به وصاهره فأجابه ابن حمدان واستجاش بالمسلمين من الثغور فحصل له جيش ضخم فقصد قتال الروم بذلك الجيش فأخرجوا له جيشا بعد جيش وهو يهزمهم فقوى جنانه فقصد القسطنطينية ومع تلك الجيوش أيضا ورد الرومى الطالب لتملك القسطنطينية فجمعوا له جيوشا

خط مخطوط لم اعرف بقية الاسطر غير هذه الثلاثة فأردت ان اميل الى جهة اليمين فرأيت من أخذ بشقى الايسر فاردت ان اميل الى الايسر فأخذت من الايمن فقلت من أنت وقد غمرتنى رائحة المسك فقال اسمع وع انا شمشائيل رسول جبريل من رب العالمين اذهب الى مكة وأبلغ صاحبها السلام وناد بأعلى صوتك من أسفل مكة الى أعلاها وقل للملك ان سلمت يوم عرفة سلمت فأمر مولانا الشريف بالاحسان اليه ثم صرفه وعاد من يومه ولم يعد مولانا الشريف رأيا فى قوله وحمل الناس قوله على التخليط والتغليط واذا نظرت الى ما وقع بعد ذلك علمت صدق الدعوى ولما كان يوم الثالث والعشرين من ذى القعدة وصل ثلاثة آلاف من العسكر ورئيسهم محمد جاوش ونزلوا بجرول خارج الشبيكة فخرج اليهم الوزير والحاكم وبعث مولانا الشريف لمحمد جاوش هدية من جملتها فرس عربية مذهبة وكذلك أخوه الشريف أحمد فشكر فعلهما ثم اجتمعا به واستخبراه عن مجيئه بهذا العسكر فلم يخبرهما وقال لا علم لى وانما جهزت بهذا العسكر الى مكة وقيل لى يصل اليك مع الحج حسين باشا صاحب

كثيرة وقاتلوه قتالاً شديداً حتى انهزم فرجع ورد الرومي الى بلاد الاسلام وقصد ديار بكر ونزل بظاهر ميافارقين وكاتب عضد الدولة بن بويه المتغلب بالعراق على الخلفاء ووعده ببذل الطاعة فأجابه بجواب حسن ووعده بأنه ينصره فبلغ ذلك ملوك الروم وكان ملكان منهما أخوين مشتركين في ملك القسطنطينية فكاتبا عضد الدولة وبعثا له بهدايا واستمالاه فقوي في نفسه ترجيح جانبهما وأعرض عن نصرة ورد الرومي وكتب لنائبه بديار بكر وهو ابو علي التميمي أن يقبض على ورد الرومي وأصحابه فشرع يدبر الحيلة عليه فبلغ الخبر بعض اصحاب ورد فقالوا له ان ملوك الروم قد كاتبوا عضد الدولة وراسلوه في أمرنا ولا شك انهم يرغبونه بالمال وغيره فيسلمنا اليهم فالرأي ان نرجع الى بلاد الروم ونصطلح معهم ان أمكننا أو نحاربهم ونبذل أنفسنا فاما ظفرنا أو متنا كراما فقال ورد ما هذا رأي ولا رأينا من عضد الدولة غير الجميل ولا يجوز ان نتصرف قبل ان نعلم ما عنده فلما قال لهم ورد ذلك فارقه كثير من أصحابه فطمع فيه أبو علي التميمي نائب عضد الدولة بديار بكر فكاتبه وطلب حضوره عنده والاجتماع به فأجابه ورد الى ذلك وحضر عنده فلما اجتمع به قبض عليه وعلى ولده واخيه وبعض أصحابه وذلك سنة سبعين وثلاثمائة وحبسهم بميافارقين ثم حملهم لعضد الدولة ببغداد فبقوا في الحبس الى ان مات عضد الدولة سنة خمس وسبعين وصار ملك بني بويه لصمصام الدولة فأطلق ورداً الرومي ومن كان محبوساً معه وشرط عليه اطلاق عدد كثير من اسارى المسلمين وأن يسلم له سبع حصون عينها من بلاد الروم برساتيقها وأن لا يقصد بلاد الاسلام لا هو ولا أحد من أصحابه مدة حياته وجهزه بما يحتاج اليه من مال وغيره فسار ورد الى بلاد الروم واستمال في طريقه خلقاً كثيراً من أهل البوادي وغيرهم وأطمعهم في العطاء والغنيمة فاجتمع معه جيش فسار به حتى نزل بملطية فتملكها فقوي بها وبما فيها من مال وغيره وقصد من ملوك الروم ورديس بن لارن وراسله واستماله فاستقر الامر بينهما على ان تكون القسطنطينية وما جاورها من شمال الخليج لورديس والجانب الآخر لورد وتحالفا ثم اجتمعا فقبض ورديس على ورد وحبسه ثم ندم فأطلقه عن قريب وعبر ورديس الخليج وحصر القسطنطينية وبها الملكان وضيق عليهما فكاتبا ملك الروسية واستنجدا به وعرضا عليه التزوج بأخت لهما فأجابهما لما طلباه منه من النجدة فامتنعت اختهما من تسليم نفسها الى من يخالفها في الدين فتنصر ملك الروسية فكان ذلك أول دخول الروسية في النصرانية ثم تزوجها وسار بجنوده الى قتال ورديس فاقتتلوا فقتل ورديس واستقر الملكان في ملكهما وكاتبا ورداً واصطلحا معه وأقراه على ما بيده من الممالك وبقي دهراً طويلاً ثم هلك مسموماً

﴿ استطراد ﴾

حيثما ذكر بعض المؤرخين ابتداء دخول الروسية في النصرانية فينبغي أيضاً ذكر ابتداء دخول غيرهم من دول الافرنج في النصرانية وذلك يتوقف اولاً على ذكر ابتداء دولة كل دولة منها وكيف كانت دياناتها قبل دخولها في النصرانية وبيان ذلك أن أقدم الدول وقواها في اوائل الدهور دولة الفرس فانهم كانوا اقوى الدول وكانت الدول في اقطار الارض تخضع لهم وتنقاد لامرهم وينتهي نسب ملوك الفرس الى وشهنج وهو مهلائيل بن

حلب والامر اليه وأمرني حضرة الباشا صاحب السعادة ان لا ادخل البلد بهذا العسكر ثم جاء كتاب من الشيخ محمد بن سليمان لمولانا الشريف من المدينة يخبره بوصوله مع حسين باشا وانه من المحبين لكم فقابلوه بما يليق به فانه عين للوزير الاعظم فلما قرأ الشريف كتابه أمر القاضي امام الدين ابن الشيخ أحمد المرشدي ان يتلقى المشار اليه وأرسل معه كاتب الجراية محمد حلبي وفي اليوم الثالث من ذي الحجة بعث مولانا الشريف لمحمد جاوش ان يترفع عن طريق العرضة يوم خروج الشريف للقاء الامير ولبس الخلعة فامتنع من ذلك فعند ذلك ظهر لمولانا الشريف المراد من هذا النزل وفي اليوم الخامس من ذي الحجة ورد الامير المصري وانتظر مجيء مولانا الشريف للخلعة فلم يأته فأرسل اليه يسأل عن سبب التأخر فأخبره مولانا الشريف بامتناع محمد جاوش عن الترفع من طريقه فبعث اليه ان اقبل واترك العسكر اليمانية فلا يضيق بكم الطريق وترددت المراسيل الى قبيل الزوال فأرسل محمد جاوش بعض الصناجق رهائن في ان لا يحصل شيء من العسكر فخرج مولانا الشريف وأخوه ومن معهما وطلعوا من الجون ونزلوا على الزاهر ولبسا الخلعة ورجعا

قينان بن شيث بن آدم عليه السلام وكان وشهنج ملكاً مسلماً صالحاً له ملك واسع وآثار جيدة كثيرة ثم تغير من جاء بعده من عقبه فأحدثوا دين المجوسية واتخذوا الهين اثنين النور والظلمة فأثبتوا الها وهو النور وشيطانا وهو الظلمة وقالوا ان النور هو الله وقالوا انه قديم وسموه يزدان وقالوا ان الظلمة اله مخلوق وهو الشيطان وسموه اهرمن فأصل دينهم مبنى على تعظيم النور وهو يزدان وتحقير الظلمة وهو اهرمن فلما عظموا النور عبدوا النار وقيل ان الفرس وملوكهم ينتهى نسبهم الى فارس بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل انهم من نسل يافث بن نوح وهم يقولون أنهم من ولد كيومرث وهو آدم عليه السلام ويقولون ان الملك فيهم من كيومرث وهو آدم عليه السلام وبقى فيهم الى ان استلبه منهم المسلمون من هذه الامة فى أوائل ظهور الاسلام وكان فى زمن قوة ملكهم موجودا فى مشارق الارض ومغاربها ملوك كثيرة ولكن هم كانوا أقوى الملوك وكان أكثر الملوك ينقادون لهم ويدخلون تحت طاعتهم ومن جملة الملوك الذين كانوا يخضعون لهم ملوك اليونان وملوك الروم الى ان صار ملك اليونان الاسكندر فقاتلهم وقهرهم واستلب الملك منهم وجعل فى ارضهم ملوكا من اكابرهم صاروا تحت طاعته يسمون ملوك الطوائف وكانوا عشرين ملكا وكذلك قهر الاسكندر ملوك الروم فكانوا تحت طاعته فمن حين غلبة الاسكندر للملوك الفرس صار ملك اليونان اقوى الملوك ودخل تحت طاعته ملوك الفرس وملوك الروم وهذا الاسكندر يقال له الاسكندر الرومى مع انه كان من اليونان لكنه نسب الى الروم لغلبته اياهم وقهره لهم ودخولهم تحت طاعته وينتهى نسب اليونان الى يونان بن يافث بن نوح عليه السلام وكان مبدأ ملك اليونان قبل ميلاد ابراهيم عليه السلام لكنهم كانوا تحت طاعة ملوك الفرس الى زمن غلبة الاسكندر للفرس فصار الروم أيضا تحت طاعته وقيل ان اول من ظهر امره من اليونان رجل اسمه اللن ولد سنة اربع وسبعين لمولد موسى عليه السلام وقيل ان تاريخ ظهور ملك اليونان سنة ثمان وستين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام وكان تاريخ غلبة الاسكندر للفرس والروم بعد مضى خمسة آلاف سنة ومائتين واحدى وثمانين سنة من هبوط آدم عليه السلام الى الارض وذلك ايضا بعد مضى ثلاثة آلاف سنة وتسع وثلاثين سنة من الطوفان وذلك أيضا بعد مضى الف وتسعمائة سنة وثمان وخمسين سنة من مولد ابراهيم عليه السلام وبعد مضى ألف وستمائة سنة وثلاث عشرة سنة من وفاة موسى عليه السلام واما عيسى عليه السلام فكان ميلاده بعد غلبة الاسكندر بثلاثمائة وثلاث سنين وكان الناس قبل ميلاد عيسى عليه السلام يؤرخون بغلبة الاسكندر ثم بعد ميلاد عيسى عليه السلام صاروا يؤرخون بميلاد عيسى عليه السلام وتركوا التاريخ بغلبة الاسكندر ولما بعث نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اصطلح المسلمون فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على انهم يؤرخون بالهجرة وكان بين الهجرة وميلاد عيسى عليه السلام ستمائة واحدى وثلاثين سنة وقيل ستمائة واحدى وعشرين سنة وكان اليونان يعبدون الكواكب وكانت لهم اصنام على صور الكواكب يعبدونها وكان من اليونان الفلاسفة الذين دونوا علم الطب اليونانى وكان كثير منهم ينكرون حدوث العالم ويقولون

من الشبيكة وهو أول الاختلاف فانه لم يعهد من صاحب مكة انه خرج للقاء الامير من الجون

فلما وصلا الى منزلهما أطلقا الصناجق الرهائن فرجعوا الى العسكر كذا فى تاريخ البخارى وفى تاريخ الرضى ان مولانا الشريف لما خرج من الجون وقف منتظر الارسال الخلعة اليه فأرسلوا اليه بالطلب للحضور فأبى وعاد الى مكة عازما على الحرب والقتال فأرسلوا اليه الخلعة بنهاية الاسراع وفى هذا اليوم أرسل مولانا الشريف قاصدا الى البيضاء من جهة اليمن بأمر الامير فرحان صاحب حج اليمن بالعود من هناك وان لا يدخل مكة فرد الحج من يلملم فلما وصل الامير فرحان صنعاء وأخبر الامام القائم فيهم وهو المتوكل على الله اسمعيل قال لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة فقد صد صلى الله عليه وسلم عن البيت فتعب غالب فقهاء الزيدية وقصدوا الامام المذكور بالقصائد التى فيها مايشق عليه من العتاب والتعريض والتحريض على أخذ مكة ولما كان سادس ذى الحجة ورد الشيخ محمد بن سليمان مكة وصحبته القاضى امام الدين بن الشيخ أحمد المرشدى والجمال

محمد بن مصطفى كاتب الجراية وحسين المسيرى فسألهم مولانا الشريف عمار أو موفهموه من حسين

انه قديم ويعتقدون التأثير الطبيعي ولما غلب الاسكندر ملوك فارس والروم بقى الملك فى اليونان الى مضى ثلاثة عشر ملكا منهم وذلك فى مدة مائتين واثنتين وثمانين سنة اولها من غلبة الاسكندر ثم غلبهم الروم واستلبوا الملك منهم فصارت الغلبة لملك الروم وهذا الاسكندر الذى غلب فارس والروم غير الاسكندر المذكور فى القرآن الذى يقال له ذو القرنين كما حقق ذلك جماهير المفسرين للقرآن فانهم حققوا ان الاسكندر ذا القرنين المذكور فى القرآن كان مسلما صالحا بل قيل بنبوته وانه كان قبل الاسكندر الرومى بدهور طويلة وأما الروم الذين غلبوا اليونان واستلبوهم ملكهم فانهم من عقب روم بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام فغلب الروم اليونان واستلبوهم ملكهم بعد مضى مائتين واثنتين وثمانين سنة من غلبة الاسكندر ولم يرجع لليونان ملكهم واستمروا رعية لغيرهم وسكنوا المورة واستمروا رعية ايضا الى ظهور الدولة العثمانية فلما كانت سنة الف ومائتين وست وثلاثين حصل منهم خروج عن الطاعة للسلطان محمود الثانى العثمانى فجهز عليهم وقاتلهم ثم توسط بعض الدول بينهم بالصلح وتوسطوا ايضا فى جعلهم دولة مستقلة ببلاد المورة فكان الامر كذلك الى هذا الوقت واما الاروام فانهم بعد فتح السلطان محمد القسطنطينية سنة ثمان وخمسين وثمانمائة انقرضت دولتهم ولم ترجع لهم دولة بل هم رعية للدولة العثمانية الى الآن وكان انتقال ملك اليونان للروم قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمائة وخمس واربعين سنة وكانت ديانة الروم عبادة الكواكب والاصنام التى على صور الكواكب فكانوا تابعين فى ذلك لليونان لان الغالب على الناس ان يكونوا على دين ملوكهم واستمر الروم على ذلك الى ان دخلوا فى دين النصارى وذلك بعد مضى مائتين وسبع وثلاثين سنة من ميلاد المسيح عليه السلام ثم ان بعض ملوك الروم اعاد عبادة الاصنام وصار يقتل من يتبع الملة المسيحية وبعضهم يقبلها ويردها الى ان تملك منهم قسطنطين فارتضى الملة المسيحية ودخل فيها وأمر الناس بالدخول فيها والتمسك بها وكان ذلك سنة ثلاثمائة وست من ميلاد المسيح فتنصر الروم جميعا وكان مقر ملك الروم مدينة رومة الى ان بنى القسطنطينية فان الملك قسطنطين المذكور هو الذى بناها ونقل كرسى السلطنة من رومة لى القسطنطينية وكان ذلك سنة ثلاثمائة واثنتى عشرة من ميلاد المسيح عليه السلام وقيل ان هذا تاريخ بناء القسطنطينية واما نقل كرسى السلطنة اليها فكان سنة ثلاثمائة وثلاثين من ميلاد المسيح عليه السلام واما مدينة رومة فأول من بناها ملك من ملوك الروم قبل غلبتهم لليونان اسمه روملس ويقال لها رومة ورومية وكان بناؤه اياها قبل ميلاد المسيح عليه السلام بسبعمائة وثلاث وخمسين سنة وأما بيان كيفية غلبة اليونان لافرس وغلبة الروم لليونان والمحاربات الواقعة بينهم فلا حاجة الى ذكر شئ منها لان ذلك شئ طويل لا فائدة فى ذكره ولما ملك الروم اليونان وغلبوا عليهم واستلبوهم ملكهم خضع للروم كثير من الملوك ودخل تحت طاعتهم كثير من الملوك الذين لا يستطيعون محاربة ملك الروم كملوك الافرنج الذين فى اوروبا وكثير من ملوك افريقيا وآسيا وصار ملك ملك الروم ضخما قويا واسعا واستمر ذلك الى سنة اربعمائة وست وسبعين مسيحية وذلك قبل الهجرة بمائة وست واربعين سنة فاستلب ملك ايطاليا ملك رومة وانتزعها من ملك القسطنطينية وهو ملك الروم وفصلها

باشا فأخبروه انهم لاقوه ورأوا منه غاية الكمال وسألوه عن العساكر المصرية فقال ما عندى علم بهم وانما أمرت بالخروج مع الحج الشامى وحفظه من العرب ولما كان يوم السابع من ذى الحجة ورد حسين باشا مكة ونزل بالزاهر ودخل الطواف ليلة ثمان بعد أن أرسل له مولانا الشريف هدية سنية منها فرس محلاة تساوى ألف دينار وكذلك بعث اليه مولانا الشريف أحمد وخرج مولانا الشريف للقائه تلك الليلة بعد صلاة المغرب بالمعلى وتصافحا على خيولهما وقبل الباشا المذكور يد مولانا الشريف أحمد وأظهر الفرح بلقائه وأبدى من الخضوع ما تقر به العين وهو مضمر ما أضمر شمر لحسين وأمر مولانا الشريف بالتقدم عنه وتأخر عنه فى السير ولم يزالا الى باب السلام فقال لمولانا تأذنوا لنا ان نشرب عندكم قهوة اذا فرغنا فأذن له مولانا الشريف ودخل الحرم وعزم مولانا الشريف الى دار السعادة ثم طاف وسعى ودخل الحرم بعد السعى ثم دخل من الحرم الى دار الخواجا محمد الكركو وكان نزل بها اغاة الكتاب حج فى هذه السنة واستمر عنده الى نحو ثلث الليل ثم خرج من عنده وطلع الى مولانا الشريف واستمر عنده يظهر اللطف والمؤانسة ويستدعى الحديث بأنواع المجانسة الى ان مضى نحو نصف الليل فخرج من

عن ملكه وصارت من ممالك ايطاليا لكنه لم يستقل بملكها بل نازعه فى ذلك كثير من دول اوروبا ووقع بينه وبينهم محاربات وانتزاع ورجوع مرة بعد اخرى والكلام على ذلك طويل وماصار لملك ايطاليا استقلال تام بالملك الا سنة الف وسبع وعشرين من ميلاد المسيح الموافق ذلك سنة اربعمائة وثمان عشرة هجرية فاستقلالهم بالملك تأخر الى هذا الوقت وان كانوا متقدمين بالنسبة الى وجود اصل ملكهم فهم اقدم دول اوروبا بالنسبة لكونهم أول من أخرج رومة عن طاعة ملك الروم وان كان تمام استقلالهم متأخرا واما اول الاستقلال فهو سنة اربعمائة وست وسبعين مسيحية وذلك قبل الهجرة بمائة وست واربعين سنة بل كان لهم ملوك ايضا قبل ذلك لكنهم كانوا تحت طاعة ملوك الروم بل قال بعضهم ان أول وفودهم الى ارض ايطاليا وسكناهم فيها كان قبل ميلاد المسيح بألف وسبعمائة سنة فهذا وجه قول من قال انهم اقدم ملوك الافرنج الذين فى اوروبا ومن حين وفودهم فى ذلك الوقت كان لهم رئيس بمنزلة الملك واما دخولهم فى دين النصارى فكان بعد ميلاد المسيح عليه السلام بخمسمائة سنة ثم لم يزل دين النصارى ينتشر عند الافرنج سكان اوروبا الى سنة خمسمائة وست وتسعين من ميلاد المسيح عليه السلام ثم زاد انتشاره حتى عم اكثرهم وتأخر عن الدخول فيه الروسية لانهم انما دخلوا فيه سنة ثلاثمائة وخمس وسبعين هجرية كما تقدم ولما كانت ايطاليا اقدم تلك الطوائف كان تأسيس دينهم ومقر رؤساء الدين عندهم وقد كانت النصارى بعد رفع عيسى عليه السلام مثل ما كانوا عليه حين كان بين اظهرهم من الاقرار لله بالوحدانية وله بالرسالة مع الاقرار بأنه عبد الله ورسوله ثم بعد رفعه دخلت عليهم شبه حصل بسببها الافتراق فى دينهم فانقسموا ثلاث طوائف ملكانية ونسطورية ويعقوبية فالملكانية مصرحة بالتثليث كما قال الله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهؤلاء يقولون الآلهة ثلاثة المسيح وامه والله ويقولون ان المسيح ناسوت كلى قديم ازلى من قديم ازلى ويقولون ان مريم ولدت الهاً أزليا ويطلقون لفظ الابوة على الله تعالى وتنزه عما يقول الظالمون علوا كبيرا ويطلقون ايضا لفظ البنوة على عيسى عليه السلام اطلاقا حقيقيا واما النسطورية فخالفوا الملكانية فلم يقولوا بالامتزاج بل قالوا ان الكلمة اشرقت على جسد عيسى كاشراق الشمس على كوة او على بلور واما اليعقوبية فيقولون انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الاله هو المسيح كما حكى الله عنهم ذلك بقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم واما المسلمون فقالوا كما ذكر الله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فهذا هو المراد من الكلمة ومن الشبه التى دخلت على النصارى حتى قالوا بالوهية عيسى عليه السلام انه يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى وما عقلوا ان ذلك بأمر الله بل هو فعل الله وخلقه وايجاده أجراه على يد عيسى عليه السلام وقد أقام الله عليهم الحجة فى ابطال زعمهم فقال سبحانه وتعالى ٭ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر أنى يؤفكون ٭فقوله سبحانه وتعالى كانا يأكلان الطعام برهان على افتقارهما الى الطعام كافتقار جميع الحيوانات فكيف يكون الها من يفتقر الى الطعام ولا يكون قوامه الا به وأيضا أكل الطعام يستلزم البول

وأخوه مولانا الشريف احمد تلقاه على جرى العادة للبس الخلعة الواردة مع الامير الا أنه ترك عسكر اليمن وطلع من الحجون وقال مولانا الشريف لبعض جلسائه لما رجع لما نزلنا من الحجون نظرت بعين الفراسة فاذا هو قد جمع عسكره الى العسكر المصرى وأظهر فى طى ذلك غدرى وأوقفهم موقف البراز وكل فى يده جراز وخلفه الملبس للدروع والكل منهم خدوع فعلمت انه أمر بيت بليل وقدمنا فى الحصون من ظهور الخيل فلم نزل حتى خلصنا الى سعة وأخذنا ناحية مرتفعة فأرسل له السيد الحسين بن حسن بن يحيى وطلبنا منه الخلعة بعد البناء على مفارقة الاحياء فأرسل يأمرنا بالوصول اليه لشرب القهوة وقد أعد لنا بساطا على سهوة فأرسلت أقول ما جرت بهذا عادة وشرب القهوة من غير هذه المادة فأرسل يقول ان فى هذا تعظيم شأن السلطان ولكم منا الامان وان لم يكن منكم وصول الينا فلا خلع لكم لدينا فعند ذلك ثنيت عنان فرسى راجعا وفى القتال طامعا

ينادى مناديه الامان الامان فلما علم الانصراف عن وطاقه والثبات لشقاقه أرسل بالخلع منشورة فعلمت

والغائط فكيف يكون الها من يحتاج الى ان يبول ويتغوط فأكل الطعام كناية عن البول والغائط لكن لم يعبر بالبول والغائط لفحش الاتيان بلفظهما والقرآن العزيز الفاظه في غاية النزاهة والعذوبة مع غاية الفصاحة والبلاغة ومن شبههم أيضا كون المسيح ولد بلا أب فنسبوه الى الله تعالى وغاب عن عقولهم آدم عليه السلام فانه أغرب من عيسى عليه السلام فانه بلا أب ولا أم وقد أبطل الله لهم هذه الشبهة حيث قال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال كن فيكون فخلق آدم بلا اب ولا أم اعجب من خلق عيسى من أم بلا اب وبعد دهور طويلة افترق النصارى فرقتين احداهما تسمى كاتوليكية والاخرى بروتستانية ومع ذلك فبينهم اختلاف كثير ويتشعب من اختلافهم مذاهب كثيرة ليس هذا محل تفصيلها وكلهم يقرون بالبعث ثم منهم من يقول ان البعث بالاجساد والارواح ومنهم من يقول انه بالارواح فقط وفي تاريخ الامام محمد بن جرير الطبري ان قيام الساعة مما يؤمن ويقربه جميع اهل الاسلام وأهل التوراة واهل الانجيل والمجوس وانما ينكره قوم من غير اهل التوحيد ثم قال وكل الذين ذكرناهم فانهم مقرون بفناء جميع العالم حتى لا يبقى غير القديم الواحد ومقرون بأن الله عز وجل محييهم بعد فنائهم وباعثهم بعد هلاكهم الا قوما من عباد الاوثان فانهم يقرون بالفناء وينكرون البعث اه ويسمون الملكانية كاتوليكية وهي صفة مدح عندهم مثل التسمية بأهل السنة عند المسلمين اما اليعقوبية والنسطورية فلم يوجد الآن احد منهم في بلاد الافرنج بل هم الآن كلهم ملكانية وكان اليعقوبية والنسطورية موجودين في الزمن السابق وانقرضوا ولربما يوجد احد من اليعقوبية والنسطورية في نصارى الشام ومصر والعراق والحبشة والحاصل ان أهل المذهب الكاتوليكي كلهم ملكانية ورئيس المذهب الكاتوليكي عند النصارى هو الاسقف العظيم والحبر الكبير والقسيس الفخيم ويسمونه البابا ومقره وسكناه رومة عند دولة ايطاليا فله الرياسة على كل متمسك بالمذهب المذكور بمعنى ان له النظر في اجراء الاحكام الدينية الباطنية فهو عندهم بمنزلة القطب عند المسلمين وكان له عندهم ملك سياسي في الاراضي التي تحت سلطنته واكثر ايطاليا على المذهب الكاتوليكي وكانوا في سنة سبعمائة وست وعشرين من ميلاد المسيح الموافق مائة وثمانية من الهجرة جعلوا البابا دولة جمهورية تكون تحت رياسته فكان ذلك التاريخ مبدأ أمره ولم يزل يترقى أمر الباباوات حتى صارت لهم سطوة الدين والدنيا فكانت لهم ممالك واسعة في الارض وكانوا رؤساء في الدين والدنيا بحيث انهم صار لهم حق كبير في تولية ملوك اوروبا وعزلهم حسب مشيئتهم فكانت سطوتهم سائدة على كل ملوكهم وكان لغيرهم من الملوك تاج واحد وأماهم فكان لهم ثلاث تيجان واحد فوق واحد دلالة على كمال السلطنة وعلوها وبلغ اعتبارهم عندهم انهم عندما كانوا يركبون على الخيل يمسك لهم الركاب كثير من ملوكهم وكانوا اذا أمروا بمحاربة امة لا يخالفهم احد ويحرقون من خالفهم بالنار وهو حي وكان البابا مرة الزم امبراطور ألمانيا ان يقف حافيا ثلاثة ايام في فصل الشتاء امام باب قصره ليطلب منه الغفران ورفس البابا مرة برجله تاج ملك جرمانيا حيث كان جاثيا امامه يطلب الغفران قال بعض مؤرخي الافرنج المتأخرين ان جهالة تلك الاعصار طمست بصائر الشعوب حتى لم يروا خطأ في رؤساء الدين فكانوا

ان الامر شورة فلبست الخلع أنا وأحمد ورجعت أشكر الله وأحمد ثم ركب مولانا الشريف حاجا بالقوم وهو محترس من ذلك الخائن وبات بمنى ثم صعد الى عرفات واستمر في منزله بعرفات الى أن نفر الباشا الى المزدلفة مع المحملين فعند ذلك ركب مولانا الشريف الى الموقف الاعظم ثم الى المزدلفة ثم الى منى ولما كان ثاني يوم النحر الذي فيه ترد الخلع السلطانية والمرسوم المتضمن بقاء الشرافة والوصايا على الحجاج والرعايا تأخر أمين الصرة في وصوله الى مولانا الشريف عن الوقت المعهود فأرسل مولانا الشريف يطلبه فوجده عند الباشا وبعثوا يطلبونه الى عنده لالباسه فأرسل يعرفهم ان القواعد جرت باتيانهم اليه فامتنعوا فعلم حينئذ القضية

(ارتحال الشريف سعد وأخيه أحمد ووصوله الى الديار الرومية سنة ١٠٨٢)

ولما علم انه لابد من القتال او الارتحال رأى ان القتال في هذا الشهر الشريف مما يضر بأهل التعريف فاختار الارتحال فارتحل هو وأخوه الشريف أحمد ليلة الثاني عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين والف فما اصبح الصباح الا وقد ذهب وراح ثم توجه الى الطائف ثم الى تربة ثم الى بيشة وأقام بها ثم سار عنها الى جهات عديدة ثم

يذعنون لكل احكامهم ويخضعون لكل مايستقر عليه رأيهم كأنه منزل من الله تعالى لايشوبه عيب فلما بلغت شوكتهم الى هذا الحد لم يبق في اوروبا مملكة الا واضطربت من افعالهم ولاملك الا تعكر من مطامعهم ولا كرسي الا وارتج من شوكتهم فنشأ من ذلك فتن كثيرة كان منها انحطاط امر الباباوات شيأ فشيأ الى سنة الف وثمانمائة واحدى وسبعين مسيحية الموافق ألفا ومائتين وثمانيا وثمانين هجرية فسقط أمرهم بالكلية ودخل الايطاليون الى عاصمة مملكة البابا وأخذوها منه وابقوه على الكاتوليكية رئيسا فقط ومقره في الكنيسة الرومانية وليس له من الرياسة غير ذلك واستمر الامر كذلك الى هذا الوقت وأما الاحكام بين الرعايا وما يتعلق بالسياسة وتدبير الملك فقد جعلوا لها قوانين دونوها بعقولهم واتخذوا لكل نوع منها مجالس مخصوصة وهكذا سائر دول اوروبا مع انه كان عندهم في الانجيل وفي الكتب القديمة احكام مدونة تتعلق بالعبادات والمعاملات والانكحة فتركوا كثيرا منها وأسسوا تلك القوانين العقلية ورأوها اقوى في تثبيت ملكهم ثم ان الملكانية الذين تقدم انهم يسمون كاتوليكية استمروا على المذهب الكاتوليكي الى القرن التاسع فلما كثر المنكرون رياسة البابا صاحب رومة صاروا يسمون المنكرين لرياسته بروتستان وصارت هذه التسمية عندهم مثل تسمية المبتدعة الخارجين عن مذهب أهل السنة عند المسلمين فان المسلمين أهل السنة يسمون المخالفين لهم بالمبتدعة فصار عندهم النصارى الملكانية لايسمى كاتوليكيا الا من اعترف برياسة البابا ومن لم يعترف بها فهو بروتستان بمنزلة المبتدع عند المسلمين وكان هذا الاصطلاح عندهم في القرن التاسع من قرون الهجرة النبوية فهذا هو الفرق الاعظم عندهم بين الفريقين ومع ذلك فالذين يسمونهم بروتستان كثير منهم لايستأنفون من هذه التسمية لكن الاكثر منهم اذا قيل له أنت بروتستان يستأنف من ذلك ولا يرضى بهذا اللقب لانه بمنزلة المبتدع ويقول بل انا كاتوليكي وان كان غير معترف برياسة البابا ثم ان بين الفريقين أيضا اختلافا في مسائل كثيرة فأعظمها ان البروتستان لايعترفون برياسة البابا بل يقولون هو من جملة رؤساء الاساقفة ولا تنحصر رياسة الاساقفة فيه بل هي فيه وفي اسقف القسطنطينية واسقف اسكندرية لامزية ولارياسة لاحد الثلاثة على الآخرين ولا يزيد قدر احد الثلاثة على الآخرين واما الكاتوليكية الاصليون عندهم فهم المعترفون برياسة البابا صاحب رومة على غيره ومن الاختلاف الواقع بينهم ان بعض البروتستان يخالفون مذهب الملكانية الاصلي للفريقين في اعتقاد التثليث لانهم نظروا في كتب أهل الاسلام وأدلتهم على وحدانية الله فاعترفوا بصحة تلك الادلة واعترفوا بوحدانية الله تعالى لكنهم لم يعترفوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واعترفوا برسالة عيسى المسيح عليه السلام وقالوا انه عبدالله ورسوله ويوافقون النصارى في بقية دياناتهم فهذا موضع من مواضع المخالفة بينهم وبين الكاتوليكية لكن هذا الاعتقاد اعني اعتقاد الوحدانية لله تعالى لايقول به كل البروتستان بل بعضهم والبعض الآخر من البروتستان يقولون بالتثليث مثل الكاتوليكية لكنهم سموهم بروتستان لعدم اعترافهم برياسة البابا بل يقولون أصول الاساقفة اسقف رومة واسقف القسطنطينية واسقف الاسكندرية ثم ان جميع الفريقين لهم عبادات ومشروعات مختلفة اختلافا كثيرا لم يتفقوا كلهم على شئ

توجه الى الديار الرومية وأقام بها وقابل الدولة العلية ثم عاد الى ولاية مكة سنة الف ومائة وثلاث كما سيأتي بيانه وحاصل الامر أنه تولى شرافة مكة أربع مرات سيأتي ان شاء الله تعالى بيانها في محلها فهذه المرة لاولى وكانت مدة ولايته في هذه المرة ست سنوات الا احد عشر يوما وقيل الا احدا وعشرين يوما فلما أصبح الناس يوم الثاني عشر من ذي الحجة شاع بين الناس ارتحال مولانا الشريف سعد وأخيه فاجتمع حسين باشا وأمين الصرة وكاتب الديوان ومحمد جاوش في منزل الشيخ محمد بن سليمان بمنى واستدعوا جماعة من الاشراف منهم السيد أحمد بن محمد الحارث والسيد بشير بن سليمان

(ولاية الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم على مكة سنة ١٠٨٣)

واستدعوا الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن أبي نمي وأظهر الباشا أمر السلطان بتولية المشار اليه شرافة مكة وألبسوه خلعة الولاية وكان بعض من حضر من الاشراف وصلتهم كتب من الوزير الاعظم ومن صاحب مصر بالتوصية والمعاونة وكل ذلك كان برأي الشيخ محمد بن سليمان وتدبيره فانه الذي سيرهم على هذا المنهج المذكور ورتب تلك المقدمات لانتاج هذا الفعل المقدور

(منها)

منها الا الدعاء فانهم كلهم اعترفوا بعشر وعينه واما صلاتهم وصيامهم وباقى عباداتهم فهم مختلفون فيها اختلافا كثيرا فمن ذلك ان الصوم يقول الكاتوليكية انه فرض ويقول البروتستان انه سنة وليس بفرض والصوم المذكور هو صوم أربعين يوما فى فصل الربيع الذى يكون قبل الصيف بحيث يكون آخر الاربعين موافقا لآخر الربيع هذا متفق عليه بينهم لكن الكاتوليكية الاكثر منهم وهم أهل الديانة القوية منهم يقولون ان الصوم هو امساك عن تناول الطعام والشراب من طلوع الشمس الى غروبها فى الاربعين يوما وأما البروتستان وبعض الكاتوليكية الذين ضعفت ديانتهم فانهم يجوزون فى حالة الصيام تناول الطعام والشراب لكنهم يقولون لا يجوز تناول اللحم بجميع أنواعه وكذا ما تولد من الحيوان كاللبن والسمن الا الحوت فانهم يجوزون تناوله حالة الصيام ويتناولون ايضا الخبز والحلوى وسائر الاطعمة غير لحم الذى ليس لحم حوت ويشربون الخمر والماء فى حالة الصيام ومن الفرق بين الفريقين ان لكل منهم أولياء يعتقدون فيهم ويتوسلون بهم لكن بينهم اختلاف فى بعض الاولياء فهذا البعض يعترف به أحد الفريقين دون الآخر وبالعكس فاذا كان الاولياء الذين يعتقدهم لكاتوليك لا يعتقدهم انسان يقولون انه بروتستان وهناك فرقة يسمونهم اللاتينية وفرقة يسمونهم أهل الديانة الروسية (ارثوذكس) وذلك بسبب عدم اعترافهم برياسة البابا وان كانوا موافقين الكاتوليك فى جميع ما هم عليه من الديانات والاعتقادات ومع ذلك فكثير من اللاتينية واهل الديانة الروسية يقولون نحن كاتوليك افتخارا بهذا اللقب فيقولون لهم كذبتم انتم لاتينية اومن اهل الديانة الروسية حيث انكم لم تعترفوا برياسة البابا وهناك فروق كثيرة بين طوائفهم ومذاهب مختلفة يكفر فيها بعضهم بعضا لا حاجة الى ذكرها وانما المدار عندهم فى الفرق بين الكاتوليكية والبروتستان الاعتراف برياسة البابا وعدم الاعتراف بها وقد عرفت ان الاصل الاصيل عندهم فى تأسيس الديانات والاقدمية فى الملك هى دولة ايطاليا ومع ذلك فبعض منهم ينكرون رياسة البابا فيكونون عندهم بروتستان لكن الاكثرون منهم يعترفون بها فيقرون لهم بأنهم كاتوليك وبعض من الفرنسيس والانكليز وغيرهم خرجوا عن ملة النصارى بالكلية فى الباطن وان كانوا يعترفون بها فى الظاهر واما فى الباطن فصاروا كالزنادقة عند المسلمين فهؤلاء لا يعترفون فى الباطن بشئ من دياناتهم بل ولا بنبوة عيسى ولا غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل بعض منهم ينكرون الصانع ولا يعترفون ببعث ولا نشور ويقولون ما هى الا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا الا الدهر فهؤلاء دهرية لكنهم لا يتظاهرون بذلك بل يخفونه ويظهرون انهم على ملة النصارى وفى هذا القدر كفاية فلنتمم الكلام على ذكر بقية دولهم وكيفية ابتداء كل دولة ومتى كان دخولهم فى النصرانية (اما دولة الفرنسيس) فأصلهم أيضا شعوب وقبائل مختلفة دخلت تلك البلاد فى أوقات مختلفة واستوطنوا تلك الارض التى هم فيها الآن وأخص تلك القبائل وأشهرها قوم يقال لهم الكليتيين ويقال لهم ايضا الافرنك بالكاف ثم غيرت بجيم فصار الافرنج وقيل اصله فرنك بالكاف فابدلت الكاف سينا فصار فرنسه وفى تاريخ ابن خلدون عند ذكره الفرنسيس قال هذه الامة المعروفة بالافرنجة تسميها العامة بالافرنسيس نسبة الى بلد من امهات بلدانهم تسمى افرنسة وينتهى نسب الاكثر منهم الى يافث بن نوح عليه السلام ومع ذلك فقد اختلط بهم كثير من غير جنسهم

ومن جملة من كتب له مع السادة الاشراف من الوزير الاعظم السيد جود بن عبدالله بن حسن المتقدم ذكره ولم يحضر معهم بل لما تولى الشريف بركات خرج من مكة ثم رجع كما سيأتى ولفظ كتابه * فرع ذؤابة هاشم وشيخ المحامد والمكارم السيد جود نظم الله عقوده وأباد حسوده وبعد فلا يخفاكم ان الكعبة البيت الحرام ومطاف طواف الاسلام وهو أول بيت وضع للناس وأسس على التقوى منه الاساس وانه لم يزل فى هذه الدولة العثمانية أمنا لاهله من النوائب وروضا مخصبا بأحسن الاطايب الى ان ظهر من السيد سعد من الامر الشنيع ما يشيب عنده الطفل الرضيع وما كفاه ذلك حتى شد الخناق على أهل المدينة لبهية وأذاقهم كأس المنون روية فلما بلغ هذا الحال السمع الكريم السلطانى أمر بعزل السيد سعد عن شرافة مكة وتفويضها الى الشريف بركات فيعمل فيها بحسن التصرفات وتكونوا له عونا وظهيرا وناصحا ونصيرا وكل ما يتفرع غصنه من دوحة فاطمة الزهراء أو تتصل نسبته الى مكة المكرمة الغراء تهدونه الى طريق الصلاح وترشدونه الى معالم النجاح والفلاح وأنتم على ما تعهدونه من التكريم

وصاروا ملحقين بهم والغالب انه اذا اطلق الافرنج غالبا ينصرف اليهم فيراد بهم الفرنسيس وقد يطلق اسم الافرنج على غيرهم من تلك الطوائف الساكنين باوروبا حتى صار هذا الاطلاق شائعا فى هذه الازمان وابتدأ الملك فى الفرنسيس من سنة أربعمائة وعشرين من ميلاد المسيح عليه السلام وذلك قبل الهجرة بمائتين واثنين من السنين هذا ابتداء انتظام الملك فيهم واستقلالهم فيه وأما قبل ذلك فكان لهم ملوك لم ينتظم أمرهم ولم يكمل لهم الاستقلال بل كانوا تارة يكون لهم استقلال وتارة يكونون تحت طاعة غيرهم وقهره وأما اذا اعتبر ابتداؤهم الاصلى فانه كان قبل ميلاد المسيح عليه السلام بخمسة قرون وكانوا تحت قهر ملوك اليونان ثم بعد ذهاب ملك اليونان صاروا تحت قهر ملوك الروم فلا يحسب لهم ملك مستقل فى تلك الازمان وكانت دياناتهم عبادة الاوثان التى على صور الكواكب وعبر بعضهم عن دياناتهم قبل دخولهم فى النصرانية بانها تشبه ديانات أهل الهند عباد الاوثان ثم دخلوا فى النصرانية سنة ست وتسعين واربعمائة من ميلاد المسيح عليه السلام وكان أول من دخل منهم فى النصرانية الملك كلوديس واكثرهم يدعون انهم على المذهب الكاتوليكى وكثير منهم على المذهب البروتستانى ومنهم من لايتدين بدين النصارى ولا غيرهم وينكرون بعثة الانبياء عليهم السلام بل منهم من ينكر الصانع ولكنهم يتسترون ويقولون انهم على دين النصارى ومن ملوك الفرنسيس المشهورين كارلويس الكبير المسمى شارلمان كان ساعيا فى ترقى أسباب العلوم العقلية والفنون الادبية والصناعية التى يتسع بها ملكهم وشاع صيته وانتشر ذكره ومكث فى الملك خمسا واربعين سنة وكان معاصرا لهارون الرشيد وكان بينه وبينه مكاتبات واهدى اليه الرشيد مرة شطرنجا نحاسيا وساعة فلكية من مخترعات بلاد المشرق واهدى اليه ايضا أنواعا كثيرة من البزورات التى تزرع وليست فى بلادهم الافرنجية وارسل له مفاتيح كنيسة فى بيت المقدس وأمر الرشيد العمال الذين كانوا له فى بيت المقدس ان يعاملوا الزوار الذين يأتون من بلاد الفرنسيس للزيارة أحسن المعاملة ومات شارلمان المذكور سنة ثمانمائة واربع عشرة مسيحية الموافق مائة وتسعا وتسعين هجرية فيكون موته بعد وفاة الرشيد واما عدد سكان ارضهم وعدد رعاياهم وعدد عساكرهم وما هو عندهم من الاموال والسلاح وغير ذلك فلا حاجة بنا الى ذكره وكذا ما كان يقع بينهم وبين بقية الدول الافرنج من المحاربات وتغلب بعضهم على بعض فلا حاجة بنا الى ذكره نعم وقع بينهم وبين الانكليز امر غريب عجيب وهو انهم تحاربوا ومكث الحرب بينهم واستدام نحو مائة وست عشرة سنة تارة تكون الغلبة لهؤلاء وتارة لهؤلاء وكان ابتداء ذلك الحرب من سنة الف وثلاثمائة وسبع وثلاثين مسيحية الموافق سبعمائة وثمانيا وثلاثين هجرية وانتهاؤه بالصلح بينهم سنة الف واربعمائة وثلاث وخمسين مسيحية الموافق سنة ثمانمائة وسبعا وخمسين هجرية وذلك مبسوط فى تواريخهم ويسمونه حرب المائة سنة وكان استيلاء الفرنسيس على الجزائر بافريقية سنة الف ومائتين وست واربعين وفى سنة الف ومائتين وست وتسعين أدخلوا الحاكم التونسية فى حمايتهم (واما دولة الانكليز) ويقال لها دولة انكلترا او برطانيا وكان اول ظهورهم قبل ميلاد المسيح عليه السلام بخمس وخمسين سنة وكان بينهم وبين الافرنج دول اوروبا محاربات كثيرة ولم ينتظم

الى التطويل بنقلها وفى الشرع الروى للسيد الشلى فى ترجمة السيد عبد الله الحدادان الشريف بركات قبل ان يتولى الامارة بأيام أتاه وهو فى الجريعنى السيد الحداد وسأله الدعاء بتيسير المطلوب فدعا له بذلك (تهنئة الشيخ محمد بن أحمد الزرعة واستشهاده من القرآن وما وقع لولده بعد موته سنة ١٠٨٦) فلما ذهب سأل الشيخ رجل من أشراف مكة عما طلب فقال انه طلب ان يكون ملكا ثم ان مولانا الشريف بركات نزل من منى الى مكة فى موكب عظيم وجاء الناس يهنؤنه بالملك من السادة الاشراف والاعيان والعربان وامتدحه الشعراء بقصائد وممن جاء منها الشيخ محمد بن أحمد الزرعة فقرأ عند لقائه أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا وكان الشريف بركات من آل ابراهيم بن بركات بن أبى نمى فعجب الحاضرون وكذا الشريف بركات من هذا الاستحضار لكن جوزى الشيخ محمد الزرعة بعد ذلك منه كما

الملك لهم ويتم الاستقلال الا سنة ثمانمائة وسبع وعشرين مسيحية الموافق مائتين و ثلاثا واربعين هجرية وكان اول دخولهم فى النصرانية سنة خمسمائة و ست وتسعين مسيحية وذلك قبل الهجرة بست وعشرين سنة وهم ايضا مثل الفرنسيس فيهم الكاتوليكية والبرتستان والدهرية وأما أصلهم الذى تنتهى اليه أنسابهم فهم ايضا مجتمعون من اصناف وفروع شتى وفيهم جماعة من الكلتيين وجماعة ينتهى نسبهم الى يافث بن نوح عليه السلام ولهم جزيرتان منفصلتان احداهما جزيرة بريتانيا والاخرى جزيرة ايرلندا ولذلك اشتهرت مملكتهم بمملكة بريتانيا وايرلندا وكانوا فى اول امرهم كالوحوش ويلبسون جلود الوحوش وكانت مساكنهم حقيرة يقيمونها تارة من الاعواد وأوراق الشجر وتارة من الطين وكان شغلهم صيد الحيوانات يتعيشون منها وحالهم يشبه اجلاف العرب وكانوا يسجدون للصخور والحجارة وينابيع الماء ثم لم يزل امرهم يظهر ويقوى حتى صارت لهم دولة قوية وكان استيلاؤهم على الهند مبتدأه سنة الف وسبعمائة وسبع وخمسين مسيحية الموافق سنة الف و مائة وثنتين وسبعين هجرية وتمام استيلائهم على الهند سنة الف و ثمانمائة وست عشرة مسيحية الموافق سنة الف ومائتين وثمانيا هجرية و كان تمام استيلائهم المذكور بعد حروب وعناء شديد و اما استيلاؤهم على جبل الطارق الذى فى المغرب فكان سنة الف ومائة و ست عشرة هجرية انتزعوه من الاسبانيول فى السنة المذكورة وقد حاول الاسبانيول و الفرنسيس انتزاعه بعد ذلك من الانقليز مرارا عديدة فلم يتيسر لهم ذلك وكان الاسبانيول قبل أخذه منهم قد انتزعوه من المسلمين سنة ثمانمائة وسبع وستين هجرية وهذا الجبل من اعظم الحصون فى العالم ويعتبر مفتاحا للبحر المتوسط وهو مقابل للجزيرة الخضراء التى هى من بلاد الاندلس فاصل بينها و بين افريقية ويسمى جبل الفتح وجبل طارق وهو طارق بن زياد الذى فتح الاندلس سنة ثنتين وتسعين من الهجرة وطارق هذا هو مولى موسى بن نصير بضم النون وفتح الصاد مصغرا وموسى المذكور هو مولى عبد العزيز بن مروان اخو عبد الملك بن مروان و والد عمر بن عبد العزيز فسمى الجبل باسم طارق المذكور لانه نزل بالمسلمين عنده لما قصد فتح الاندلس ويسمى جبل الفتح ايضا للعلة المذكورة والعامة يسمونه جبل الطار وصوابه جبل طارق

﴿ وأما دولة النمسا المسماة ايضا اوستوريا ﴾

فهم ايضا من اصناف شتى واكثرهم من التتار وابتداء دولتهم كان من سنة ثلاث وثلاثين من ميلاد المسيح عليه السلام وكان بعض دول اوروبا يدخلونهم تحت طاعتهم ويتغلبون عليهم وما حصل للنمسا استقلال الملك التام الا من سنة تسعمائة وثنتين وثمانين مسيحية الموافق سنة مائتين وثمانيا واربعين هجرية ودخولهم فى النصرانية فى حدود السنين التى دخل فيها من تقدم ذكرهم ومثل ذلك يقال فيمن يأتى ذكرهم من الدول الا الروسية فانه تأخر دخولهم فى النصرانية الى سنة ثلاثمائة وخمس وسبعين هجرية كما تقدم

﴿ وأما دولة البروسية ﴾

فهم قسم كبير من جرمانيا ويقال لجرمانيا أيضا ألمانيا وهم امم كثيرة لهم ملوك شتى والبروسية

وخلف سبعة عشر ألف دينار وأوصى منها لابن ابن له بأربعة آلاف فقال الشيخ محمد بن سليمان ان هذا الرجل لم يزك ماله وقد استغرقت الزكاة ماله وصار لبيت المال وأمر ولد الشيخ محمد الزرعة وهو الشيخ تاج الدين ان ينزل عند القاضى ويقر بأنه ليس له أهلية التصرف فى هذا المال وأقام على نفسه الخواجا محمد سكيكر بالتصغير وكيلا مفوضا فى حفظ ماله والتصرف فيه وأسلموه المال بالكره ورتب له القاضى معلوما مقررا يأخذه من الوكيل وأرخ بعضهم ولاية الشريف بركات بقوله بارك الله لنا فى بركات الان فيه زيادة واحد ولما كان يوم الخامس عشر من ذى الحجة نزل مولانا الشريف بركات الى الحطيم واجتمع كبراء العسكر وقرئ مرسوم يتضمن عزل الشريف سعد بن زيد وتولية الشريف بركات وألبس مولانا الشريف قفطانا ودعا فاتح الكعبة لمولانا السلطان ولما كان يوم التاسع والعشرين من ذى الحجة اجتمع مولانا الشريف وكبير العسكر وحسين باشا فى منزل الشيخ محمد بن سليمان فأظهر أمر ا سلطانيا يتضمن نظره فى

طائفة منهم وابتداء دولتهم من سنة أربع وخمسين من ميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام واستقلالهم التام بالملك من سنة الف وثلاثمائة وخمس عشرة مسيحية الموافق سنة ثمانمائة وثمان عشرة هجرية ثم انضم الى حمايتهم كثير من الدول الصغار من دول جرمانيا فقوى ملكهم واتسع

﴿ وأما دولة الروسية المسماة بالموسكوف ﴾

فهم ايضا مجتمعون من اجناس كثيرة ومنهم من ينتهي نسبه الى يافث بن نوح عليه السلام وكانوا قبل استقلالهم في الملك تحت الرومانية قبل ميلاد المسيح عليه السلام ثم لما تقوى بعض دول اوروبا تغلبوا عليهم فكانوا تحت طاعتهم وما كان لهم الاستقلال التام بالملك الا من سنة ثمانمائة واثنين وستين مسيحية الموافق مائتين وثمانيا واربعين هجرية وكانوا يعبدون الاوثان كغيرهم من دول أوروبا ودخولهم في النصرانية سنة ثلاثمائة وخمس وسبعين كما تقدم

﴿ وأما دولة اسبانيا ويقال لهم أيضا الاسبانيول ﴾

فهم أيضا من اجناس مختلفة وكان لهم ملوك في القديم تابعون لدولة اليونان ثم لدولة الرومانيين بعد اليونان ثم تغلب عليهم بعض من هو أقوى منهم من ملوك أوروبا ثم استولى المسلمون على اكثر ممالكهم لما فتح الاندلس فكان الاندلس تحت يد اسبانيا الى سنة ثنتين وتسعين هجرية فانتزعه المسلمون منهم وبقي لهم ملك ضعيف في آخر الاندلس ووقع بينهم وبين المسلمين حروب كثيرة ثم انتزعوا الاندلس من المسلمين شيأ فشيأ الى أواخر التسعمائة من الهجرة ثم أخرجوا من بقي من المسلمين بالاندلس في سنة الف وعشر واستقلوا بالملك وكانت ديانتهم عبادة الاوثان كغيرهم ممن تقدم ودخلوا في النصرانية في الزمن الذي دخل فيه من تقدم ذكرهم

﴿ وأما دولة البرتوغال ﴾

فكانت تابعة أيضا للرومانيين وكانت ممالكهم في أواخر الاندلس فلما استولى المسلمون على الاندلس أضافوها الى ما بيدهم من الاندلس ثم انتزعت من المسلمين سنة اربعمائة وتسع وثمانين هجرية واستولى عليها الاسبانيول ثم انتزعها البرتوغال من الاسبانيول واستقلوا بالملك فيها سنة الف وخمسين هجرية

﴿ واما دولة هولاندا ويقال لهم الفلمنك ﴾

فكانت تحت طاعة اسبانيا وكان بين الدولتين حروب كثيرة استمرت نحو ثمانين سنة الى ان استقلوا بالملك في حدود تسعمائة وسبع وثمانين من الهجرة وكان في السنين المذكورة استيلاؤهم على بلاد الجاوى وكان دخولهم في النصرانية في حدود السنين التي دخل فيها من تقدم ذكرهم

﴿ واما دولة الدنيمارك ﴾

فكانت تحت طاعة ملوك اوروبا الى سنة ست وتسعين وثلاثمائة والف مسيحية الموافق سبعمائة وتسعا وتسعين هجرية فاستقلوا بالملك

﴿ واما دولة السويد والنورويج ﴾

فكانت أيضا تحت ملوك اوروبا ثم ساروا تحت طاعة الدنيمارك ثم استقلوا بالملك سنة الف وخمسمائة وثلاث وعشرين مسيحية الموافق تسعمائة وثلاثين هجرية

(واما)

الحرمين واصلاحهما والتصرف في أحوالهما فأذن له مولانا الشريف بركات ومكنه من زمام وفق التصريف فنشر منشور العسف وبث جيوش الكبرياء فنفرت عنه القلوب وشرع في اظهار المطلوب وكان مولانا الشريف بركات يحضر درسه في كثير من الاوقات وكذا شيخ الحرم صاحب جدة وفي رابع محرم الحرام من سنة ثلاث وثمانين وألف أخرج الشيخ محمد بن سليمان أمرا يتضمن اخراج من كان في الخلاوي الموقوفة ممن له بيت وعيال فروجع في ذلك فلم يقبل وأظهروا له فتاوى فما أجدى ذلك نفعا وأخذ مدرسة الشرابية من يد الشيخ أحمد الحكيم وكان بيده أوامر لآبائه تقضي له بالسكنى فما أجدى ذلك وأعطاها لبعض المجاورين وأخرج الشيخ ابراهيم بيري زاده من وقف الدورلي الكائن بأعلى المدعى من جهة سوق الليل وقال انه من عمائر السلطان جقمق وانه كان موضع دشيشة للفقراء وأخذ ما بأيدي الناس من حب السلطان جقمق الوارد الى مكة وحب السلطان سليمان الواصل من مصر لاهل مكة وكذلك حب السلطان قايتباي ومال المصرية وعمر بذلك تكية في محل وقف الدورلي المذكور وطبخ فيها شربة للفقراء

﴿ واما دولة البلجيك ﴾

فهي من ممالك جرمانيا وماصار استقلالها الامن سنة ألف وثمانمائة وثلاثين مسيحية الموافق سنة ألف ومائتين وستا وأربعين هجرية

﴿ واما دولة السويسره ﴾

فكانت أيضا يتداول التملك عليها ملوك اوروبا واستقلت بالملك سنة ألف وستمائة وثمان واربعين مسيحية الموافق سنة ألف وثمانيا وخمسين هجرية

﴿ وأما دولة باواريا ﴾

فمملكتهم تجمع ملوكا كثيرة كل واحد منهم له مملكة صغيرة وكانت تلك الممالك وملوكها تحت طاعة من قوى من ملوك اوروبا ثم صارت ممالك باواريا مستقلة سنة خمسمائة وثلاثين مسيحية الموافق لما قبل الهجرة باثنين وتسعين سنة ثم صارت هذه الممالك في هذه السنين تابعة لملك البروسية

﴿ فائدتان ﴾

الاولى تتفرع مسئلة فقهية على معرفة تاريخ دخول هذه الطوائف في دين النصرانية وهي انه ان كان دخولهم فيه قبل نسخه فانهم يلحقون بأهل الكتاب في حل أكل ذبحتهم وفي حل تزوج المسلمين نساءهم وان كان دخولهم فيه بعد نسخه فلا يلحقون بأهل الكتاب فيما ذكر ونسخ دينهم انما كان ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال الامام الرازي في تفسيره عند تفسيره قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم مانصه قال الكثير انما يحل نكاح الكتابية التي دانت بالتوراة والانجيل قبل نزول القرآن قالوا والدليل عليه قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فقوله من قبلكم يدل على أن من دان بالكتاب بعد نزول القرآن خرج عن حكم أهل الكتاب اه وذكر الخطيب الشربيني في تفسيره مثل ذلك في حل أكل ذبائحهم وهذا الذي ذكره كل منهما هو مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه واما أهل المذاهب الثلاثة فلم يقولوا بهذا التفصيل بل أطلقوا القول بحل أكل ذبائح اهل الكتاب وحل التزوج من نسائهم ولو دخلوا في دين أهل الكتاب بعد نسخه

﴿ الفائدة الثانية ﴾

كانت دول الفرنج قبل ظهور الاسلام في غاية التوحش وعدم المعرفة بالحرب والصنائع وأنواع السياسات وتدبير الحروب وأنواع العلوم العقلية وماوجد ذلك فيهم وانتشر الابعد ظهور الاسلام ومخالطتهم للمسلمين فتعلموا ذلك منهم فحصل لهم التمدن والحضارة قال بعض مؤرخيهم عند ذكر الحروب التي كانت بينهم وبين المسلمين في القرن السادس ايام السلطان صلاح الدين الايوبي المسماة بحرب الصليب مانصه ان تلك الحروب وان هلك فيها كثير من النفوس وذهب فيها كثير من الاموال من غير حصول على المقصود لكنه أعقب نتائج نافعة لهم منها أنهم من ذلك الوقت شرعوا في ترتيب العساكر وتعلموا بمواصلتهم المسلمين صناعة التجارة والزراعة وكثيرا من العلوم العقلية والفلكية وألفوا التواريخ النافعة وتوسعوا في معرفة علم الفلك والقوافيه وتخلقوا بأخلاق الحضر وتعودوا الاسفار برا وبحرا لاستكشاف

المبكي
وظائف الناس قد صارت
مفرقة *
مابين عبد ومعتوق وآفاقي
وأهل مكة قد غارت
نجومهم *
فاترى كوكب يبدو بآفاق
وعمر الشيخ محمد بن سليمان
عدة أوقاف بمكة كانت خربة
قد استولت عليها الايدي
ونصب الشيخ عليا العصامي
مدرسا شافعيا في مدرسة
قايتباي ونصب الشيخ محمد
المغربي الغدامسي مدرسا
مالكيا في المدرسة المذكورة
ومدرسها الحنفي قاضي
الشرع ونصب مدرسا
للحديث الشيخ عبد الله
العباسي عوضا عن المدرس
الحنبلي وصرف على
الدشيشة من كراء جقمق
وقايتباي وأموال الحرمين
ومن الاوقاف الباقية
والحاصل انه تصرف
تصرفات كثيرة يطول
الكلام بذكرها وفي سابع
محرم من سنة ثلاث وثمانين
ورد مكة السيد حمود بن
عبد الله بن حسن بعدان
كاتب مولانا الشريف
فراجع فيه الشيخ محمد بن
سليمان وحسين باشا لانهما
غضبا من خروجه وعدم
حضوره ولاية الشريف

بركات فأعلمهم الشريف بركات ان الصلاح في اصلاحه وكتب له حجة شرعية تتضمن الامان والاذن من جهة السلطنة

أحوال الاقطار واكتشفوا على امريكا فى اسفارهم سنة ثمانمائة وتسعين هجرية ولم تكن
قبل ذلك معلومة لأحد قط واكتسبوا من المسلمين أنواع الفروسية واللعب بالخيل والرماح
وتعاطوا المعانى الغريبة فى كلامهم وأشعارهم لاسيما من كانوا منهم مخالطين للمسلمين بالاندلس
وتعلموا ايضا المشورة فى الاحكام وعلموا ان الملك يفسد بالاستبداد وعدم المشورة فدونوا لهم
أحكاما وقوانين يرجعون اليها واستكثروا من جمع كتب الاسلام وترجمتها بلسانهم ليعلموا
معانيها فأخذوا منها ما يكون به صلاح الملك واتخذوا مدارس لتعليم أنواع الفنون وعرفوا
ان الملك لا ينتظم الا بذلك كله ومن مقالات بعض مؤرخيهم لاتصلح السكنى ببلد حتى
تكون الشريعة فيها اقوى من السلطان ومراده بالشريعة ما أسسوه من القواعد العقلية
لاحكامهم وسياسة ملكهم واذا كان هذا فى تلك الاحكام العقلية فكيف اذا رجع المسلمون
الى شريعتهم المطهرة المؤسسة بالوحى من الله تعالى وتمسكوا بها حتى يكون حكم السلطان
تابعا لحكمها فلاشك انها تكون اقوى من السلطان وقال بعض مؤرخيهم أيضا ما بلغت امة
من الامم غاية الاستقامة الا باحترام قوانين احكامها المؤسسة على العدل كما ان عدم احترامها
يكون منشأ الرجوع الى القهقرى ولا يتوهم ان ذلك لبركة فى قوانينهم العقلية وانما ذلك بسبب
ابتنائها على التجارب العادى ومراعاة الوازع الدنيوى واما الشريعة المطهرة فهى اقوى
من ذلك كله لانها مبنية على الوحى الالهى الذى يحصل من اتباعه كمال البركة واذا كانت
مخالفة قوانينهم يرونها موجبة للانحطاط فلاشك ان مخالفة الشريعة المطهرة يحصل منها
كمال الانحطاط مع ما يعقب ذلك من العذاب فى الدار الآخرة وقال بعض مؤرخيهم وبالجملة
فبالسبب المذكور وهو مخالطة الاوروباويين للامة الاسلامية المتقدمة عليهم فى التمدن
والحضارة كان ابتداء التمدن عند الاوروباويين

﴿ تتميم ﴾

ذكر كثير من المفسرين للقرآن العزيز وكثير من المؤرخين أن الذين ملكوا الدنيا من مشرقها
الى مغربها ثلاثة مسلمان وكافر أما المسلمان فهما سليمان بن داود عليهما السلام وذو القرنين
وأما الكافر فهو النمرود الذى كان فى زمن ابراهيم الخليل عليه السلام وزاد بعضهم رابعا
كافرا وهو بخت نصر فيكونون اربعة مسلمان وكافران لكن قال ابن الاثير فى الكامل أن
بخت نصر لم يملك الدنيا كلها وانما كان له ملك واسع وهو الذى خرب بيت المقدس وقتل
بنى اسرائيل وأسر سبعين الفا منهم لان الله سلطه عليهم لما كثرت فيهم المعاصى والمخالفات
وبخت نصر هذا كان مجوسيا من مجوس بابل ولم يعرف له اب وكان عاملا على العراق
لملك الفرس وكان بين ابتداء ملكه وتخريبه بيت المقدس تسع عشرة سنة وبين الهجرة
وتخريبه بيت المقدس الف وثلاثمائة وتسع وستون سنة وبقى خرابا سبعين سنة ثم عمر
وتراجعت اليه بنوا اسرائيل والذى عمره بعض ملوك الفرس بوحى من الله تعالى الى النبى
أرميا عليه السلام فأخبر ذلك النبى ملك الفرس فامتثل أمره وعمره ثم خرب مرة ثانية بعد
رفع عيسى عليه السلام بأربعين سنة وذلك قبل الهجرة بخمسمائة ونيف وخمسين سنة

له فى دخوله فجاء وكان دخوله فى اليوم المذكور وأراد الشريف بركات ومن معه من العسكر
أن يتوجهوا الى الطائف
خلف الشريف سعد وأخيه
فجاءهم الخبر بخروجه من
الطائف وكان خروج
الشريف سعد من الطائف
يوم الثامن عشر من المحرم
وتوجه الى عباسة ثم الى
تربة وفى الخامس والعشرين
من المحرم توجه السيد
حمود الى الطائف بالعساكر
الصارجية وفى السادس
والعشرين توجه الشريف
بركات بالعساكر المصرية
وتأخر عنه محمد جاوش
أياما ثم لحق به ومن معه من
العسكر ثم توجهوا الى
المبعوث وفى ثالث صفر
أمر الشيخ محمد بن سليمان
ان تدهن السوارى
المكتوب فيها أبطال المكوس
ليظهر للناس ما فيها من
الكتابة فدهنت ولما كان
ليلة المولد الشريف أمر
بترك الدفوف ومنع من
ذلك أهل الزوايا وفى
خلاصة الاثر فى ترجمة
الشريف بركات قال وفى
أيامه عمرت المحكمة
المكية المعروفة الآن بمحكمة
بين البزازين والمدعى وصرف
عليها أموالا كثيرة وعم
نفعها وفى اليوم الثانى عشر
من ربيع ورد الخبر من مصر
بقتل محمد نافر الطاغية
المدينة واستمر مولانا الشريف بالمبعوث الى شهر ربيع الاول فأتاه الخبر بأن مولانا الشريف سعد اتوجه الى (وكان)

وكان ذلك التخريب لما قتل اليهود يحيى بن زكريا عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم فقتلوهم وسبوهم ونفوهم من ديارهم وخربوا بيت المقدس وقد ذكر الله تعالى هذين التخريبين فى القرآن العزيز فى سورة الاسراء فى قوله تعالى* وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علواً كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد * الآية وذكر المرة الثانية فى قوله تعالى *فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم * اى بعثناهم وسلطناهم ليسوؤا وجوهكم وبقى خرابا الى ان عمره ملك من ملوك الروم بعد تنصرهم وبنى كنيسة قامة على القبر الذى تزعم النصارى ان عيسى عليه السلام دفن فيه وخربوا هيكل بيت المقدس الى الارض وأمروا أن يلقى فى موضعه قامات البلد وزبالته فصار موضع الصخرة الشريفة مزبلة وبقى على ذلك الى ان قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشام سنة ست عشرة من الهجرة وفتح بيت المقدس فأزال ذلك وأرجع موضع الصخرة كما كان والله سبحانه وتعالى أعلم ولنرجع الى ما كنا بصدده من ذكر الفتوحات الاسلامية فنقول وفى سنة احدى وثمانين وثلاثمائة خلع الطائع لله وبويع القادر بالله احمد بن اسحاق بن المقتدر وفى سنة ثنتين وثمانين نزل ملك الروم بأرمينية وحصر خلاط وملاذكرد وارجيش فضعفت نفوس الناس عنه ثم هادنه أبو على الحسن بن مروان الكردى مدة عشر سنين فعاد ملك الروم الى بلاده وفى هذه السنة سار بغراخان ايلك ملك الترك بعساكره الى بخارى فسير اليه الامير نوح بن منصور الساماني جيشا كثيرا ولقيهم ايلك فهزمهم فعادوا الى بخارى وهو فى اثرهم فخرج الامير نوح بنفسه وسائر عساكره ولقيه فاقتتلوا قتالا شديدا أجلت المعركة عن هزيمة ايلك فعاد منهزما الى بلاده وفى سنة ثلاث وثمانين جمع ملك الترك جيوشا كثيرة وسار الى بخارى فملكها بسبب اختلاف وقع بين المسلمين مع بعضهم وفى سنة سبع وثمانين توفى سبكتكين صاحب غزنة ووقع اختلاف بين ولديه اسماعيل ومحمود ثم تم الملك لمحمود فاستولى على خراسان وغيرها وصار له ملك ضخم وجاءه التقليد من الخليفة القادر بالله ولقب يمين الدولة

❊ ذكر غزوة يمين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين صاحب غزنة ❊

فى سنة اثنتين وتسعين تجهز بجيوش كثيرة لغزو الهند وقصد برشور فأتاه عدو الله جيبال ملك الهند فى عساكر كثيرة فاختار يمين الدولة من عساكره خمسة عشر الفا وسار نحوه فالتقوا واقتتلوا وصبر الفريقان فلما انتصف النهار انهزم الهنود وقتل منهم مقتلة عظيمة واسر ملك الهند ومعه جماعة كثيرة من اهله وعشيرته وغنم المسلمون منهم اموالا جليلة وجواهر نفيسة ومن جملة ذلك قلادة كانت فى عنق ملكهم من الجوهر العديم النظير قومت بمائتى الف دينار واصيب امثالها فى اعناق مقدمى الاسرى وغنموا خمسمائة الف رأس من العبيد وفتح من بلاد الهند بلادا كثيرة فلما فرغ من غزواته أحب ان يطلق ملك الهند الذى أسره ليراه الهنود فى شعار الذل فأطلقه بما قرره عليه فأدى المال ومن عادات الهنود انهم من حصل منهم فى ايدى المسلمين اسيرا لم ينعقد له بعدها رياسة فلما رأى ملك الهند

بيشة فنزل مولانا الشريف الى الطائف واستمر هنالك وأما الشريف أحمد بن زيد فانه فارق أخاه الشريف سعدا من بيشة وتوجه الى دويرة بنى حسين لمصاهرته اياهم واستمر مقيما عندهم الى ان ورد الحج الى المدينة ودخلها ليلة دخول الحج المدينة واجتمع بأمير الحج الشامى ثم ارتحل من المدينة ثانى ذى الحجة ونزل ديار حرب على أحمد بن رحمة واستمر الى أن رجع الحج الشامى فلم يتفق له معه مسير فتوجه فى أول سنة أربع وثمانين وألف الى الفرع واستمر بهامدة ثم لما خرج مولانا الشريف بركات لقتال حرب رجع اليهم الشريف أحمد وحضر القتال ثم لما كسرت حرب رجع الى الفرع ثم وصل اليه أخوه الشريف سعد وأما أخوهما السيد حسن بن زيد فتوفى باليمن سنة أربع وثمانين وألف وكان خروج مولانا الشريف بركات لقتال حرب فى أواسط سنة أربع وثمانين وألف خرج هو وجميع السادة الاشراف والعساكر المصرية والعربان وكان شيخهم أحمد بن رحمة فحفروا خنادق قبل وصول مولانا الشريف اليهم وتأهبوا المقاتلة فأقبل عليهم بجيوشه ونزل بدرا وأقام بها مدة مصابرا لهم وهم متحصنون فى جبالهم وورد عليه سعاته فى

حاله بعد خلاصه حلق رأسه ثم ألقى نفسه في النار فاحترق بنار الدنيا قبل نار الآخرة

﴿ ذكر غزوة أخرى الى الهند أيضاً ﴾

لما فرغ يمين الدولة السلطان محمود سبكتكين من امر جيبال رأى ان يغزو غزوة أخرى فسار نحو ويهند فأقام عليها محاصراً لها حتى فتحها قهراً وبلغه ان جماعة من الهند قد اجتمعوا بشعاب تلك الجبال عازمين على الفساد والعناد فسير اليهم طائفة من عسكره فأوقعوا بهم وأكثروا القتل فيهم ولم ينج منهم الا الشريد الفريد وعاد الى غزنة سالماً ظافراً

﴿ ذكر غزوة بهاطية من بلاد الهند ﴾

في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة غزا يمين الدولة بهاطية من أعمال الهند وهي مدينة حصينة عالية السور يحيط بها خندق عميق فامتنع صاحبها ثم انه خرج الى ظاهرها فقاتل المسلمين ثلاثة أيام ثم انهزم في الرابع وطلب المدينة ليدخلها هو وأصحابه فسبقه المسلمون الى باب البلد فملكوه عليهم وأخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن خلفهم فقتل المقاتلة وسبيت الذرية وأخذت الاموال وأما الملك فانه لما عاين الهلاك أخذ جماعة من ثقاته وسار الى رؤس تلك الجبال فسير اليه يمين الدولة سرية فلم يشعر الملك الا وقد أحاطوا به وحكموا السيوف في أصحابه فلما أيقن بالعطب أخذ خنجرا فقتل نفسه وأقام يمين الدولة ببهاطية حتى أصلح أمرها ورتب قواعدها وعاد عنها الى غزنة واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها ما يجب عليهم تعليمه ولقي في عوده شدة شديدة من الامطار وكثرتها وزيادة الانهار فغرق مما معه ومن عسكره شئ عظيم

﴿ ذكر غزوة المولتان ﴾

في سنة ست وتسعين وثلاثمائة غزا السلطان يمين الدولة المولتان وكان سبب ذلك ان واليها كان قد أسلم ثم نقل عنه خبث الاعتقاد ونسب الى الالحاد ودعا اهل ولايته الى ماهو عليه فأجابوه فرأى يمين الدولة ان يجاهده ويستنزله عما هو عليه فسار نحوه فرأى الانهار التي في طريقه كثيرة الزيادة عظيمة المد وخاصة سيحون فانه منع جانبه من العبور فأرسل الى اندبال يطلب اليه ان يأذن له في العبور من بلاده الى المولتان فلم يجبه الى ذلك فابتدأ به قبل المولتان فدخل بلاده وجاسها وأكثر القتل فيها والنهب لاموال اهلها والاحراق لابنيتها ففر اندبال من بين يديه وهو في أثره كالشهاب في أثر الشيطان من مضيق الى مضيق الى ان وصل الى قشمير ولما سمع ملك المولتان بخبر اقباله علم عجزه عن الوقوف بين يديه والعصيان عليه فنقل أمواله الى سرنديب وأخلى المولتان فوصل يمين الدولة اليها ونازلها فاذا أهلها في ضلالهم يعمهون فحصرهم وضيق عليهم وتابع القتال حتى افتتحها عنوة وألزم أهلها عشرين الف درهم عقوبة لعصيانهم

﴿ ذكر غزوة كواكير ﴾

ثم سار عن المولتان الى كواكير وكان بها ستمائة صنم فافتتحها وأحرق الاصنام فهرب صاحبها الى قلعة له فسار خلفه اليها وهي حصن كبير يسع خمسمائة الف انسان وفيه خمسمائة فيل وعشرون الف دابة وفي الحصن مايكفي الجميع مدة فلما اقام بها يمين الدولة

عليهم ثم يحل عزمه عن القتال فعل ذلك بهم مرارا عديدة مع طول الاقامة فتفرق اكثرهم بهذه المصابرة مع أشياء اخر حتى صاروا لا يهتمون بحركته ولو عظمت ففي أثناء ذلك وثب عليهم وثوب الاسد فكسرهم واستأصلهم وأقام في قتلهم نحو سنة أيام وجيوشه تحمل أدباش حرب الى بدر وقطع نخيلهم وأما جثث القتلى فهي متراكمة على بعضها في كل جبل وواد من تلك الجبال والاودية مع سبي النساء والاطفال حتى أبادهم ومهد تلك الاقطار وأجرى فيها أحكامه ولما جاء الخبر لمكة زينت ثلاثة أيام وكانت هذه الواقعة من أعظم الفتوحات لهذا الملك المعظم وكان دأبه لم شعث الاشراف لتكون كلمتهم واحدة حتى انه اتفق ان السيد حمود بن عبدالله والسيد أحمد بن غالب بن محمد بن مساعد بن مسعود بن حسن ابن أبي نمي الآتي ذكر ولايته شرافة مكة وقع بينهما واقعة قبل ولاية الشريف أحمد بن غالب شرافة مكة فلما انتظم موقف الحرب وآن وقت الطعن والضرب أقبل عليهما

وبقي بينهما سبعة فراسخ رأى من الغياض المانعة من سلوك الطريق مالا أحد طاقة عليه فأمر بقطعها ورأى في الطريق واديا عظيم العمق بعيد القعر فأمر ان يطم منه مقدار مايسع عشرين فارسا فطموه بالجلود المملوءة ترابا ووصل الى القلعة فحصرها ثلاثة وأربعين يوما وراسله صاحبها في الصلح فلم يجبه ثم بلغه اختلاف في خراسان فأراد الرجوع فصالح ملك الهند على خمسمائة فيل وثلاثة آلاف من فضة ولبس خلعة يمين الدولة بعدان استعفى من شد المنطقة وقطع اصبعه الخنصر وأنفذها الى يمين الدولة توثقة فيما يعتقدونه وعاد يمين الى خراسان لاصلاح مااختلف فيها وكان عازما على الدخول في بلاد الهند

❁ ذكر غزوة الى الهند ❁

في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة سار يمين الدولة نحو الهند وسبب ذلك ان بعض اولاد ملوك الهند كان قد أسلم على يده واستخلفه على بعض ماافتتحه من بلادهم فلما كان الآن بلغه انه ارتد عن الاسلام ومال لاهل الكفر والطغيان فسار اليه مجدا فحين قاربه فر الهندي من بين يديه واستعاد يمين الدولة تلك الولاية وأعادها الى حكم الاسلام واستخلف عليها بعض أصحابه وعاد الى غزنة

❁ ذكر غزوة بهيم نغر ❁

في سنة ثمان وتسعين غزا يمين الدولة وانتهى الى شاطئ نهر هند مند فلاقاه هناك ابرهمن بال بن اندبال في جيوش الهند فاقتتلوا مليا من النهار وكادت الهند تظفر بالمسلمين ثم ان الله تعالى نصر عليهم فظفر بهم المسلمون فانهزموا على أعقابهم وأخذهم المسلمون بالسيف وتبع يمين الدولة أثر ابرهمن بال حتى بلغ بهيم نغر وهي على جبل عال وكان الهند قد جعلوها خزانة لصنمهم الاعظم فينقلون اليها انواع الذخائر قرنا بعد قرن واعلاق الجواهر وهم يعتقدون ذلك دينا وعبادة فاجتمع فيها على طول الازمان مالم يسمع بمثله فنازلهم يمين الدولة وحاصرهم وقاتلهم فلما رأى الهنود كثرة جمعه وحرصهم على القتال وزحفهم اليهم مرة بعد اخرى خافوا وجبنوا وطلبوا الامان وفتحوا باب الحصن وملك المسلمون القلعة وصعد يمين الدولة اليها في خواص اصحابه وثقاته فأخذ منها من الجواهر مالا يحد ومن الدراهم تسعين الف الف درهم شاهية ومن الاواني الذهبيات والفضيات سبعمائة الف واربعمائة من وكان فيها بيت مملوء من فضة طوله ثلاثون ذراعا وعرضه خمسة عشر ذراعا الى غير ذلك من الامتعة وعاد الى غزنة بهذه الغنائم ففرش تلك الجواهر في صحن داره وكان قد اجتمع عنده رسل الملوك فأدخلهم اليه فرأوا مالم يسمعوا بمثله

❁ ذكر غزوة بالهند ❁

في سنة اربعمائة تجهز يمين الدولة الى الهند عازما على غزو نارين فسار اليها واخترقها واستباحها ونكس أصنامها فلما رأى ملك الهند انه لاقوة له به راسله في الصلح والهدنة على مال يؤديه وخمسين فيلا وان يكون في خدمته ألفا فارس لايزادون فقبض منه مابذله وعاد عنه الى غزنة

بن محمد الحارث في السنة المذكورة) وكانت وفاة السيد جود المذكور في سنة خمس وثمانين وألف بالطائف ودفن خلف قبة الحبر رضي الله عنه وجعل على قبره تابوت وعليه حوطة وفي السنة المذكورة توفي أيضا السيد أحمد بن محمد الحارث المتقدم ذكره حين ولاه حسن باشا في المدينة المنورة وكانت وفاته بمكة المشرفة ودفن في قبة السيد مسعود بن حسن ووضع عليه تابوت وأما السيد أحمد بن غالب فسيأتي ذكر وفاته عند ذكر ولايته شرافة مكة وفي سنة خمس وثمانين أيضا في سابع رجب كان خروج مولانا الشريف بركات الى الفرع وأقطاره لتمرد أهله عليه وخروجهم عن طاعته وقيل لانه بلغه ان الشريف أحمد بن زيد نزل الفرع واستمال أهله فسار اليهم مولانا الشريف بركات ومعه السادة الاشراف ولم يتخلف الا من وضح عذره وكان خروجه في التاريخ المذكور وخرج معه صاحب بندر جدة بعساكره ومدافعه فتلاقيا على عسفان وسارا جميعا وأدركهم شهر الصيام قبل وصولهم الفرع في منزل يسمى قويرة فأتم به صيامه

﴿ ذكر غزو يمين الدولة بلاد الغور وغيرها ﴾

في سنة احدى واربعمائة غزا يمين الدولة بلاد الغور وهي بلاد تجاور غزنة وكان الغور كفارا يقطعون الطريق ويخيفون السبيل وبلادهم جبال وعرة ومضايق غلقة وكانوا يحتمون بها ويعتصمون بصعوبة مسالكها فلما كثر ذلك منهم أنف يمين الدولة ان يكون مثل أولئك المفسدين جيرانه وهم على هذا الحال من الفساد والكفر فجمع العساكر وسار اليهم حتى انتهى مقدمة جيشه الى مضيق قد شحن بالمقاتلة فتناوشوا الحرب وصبر الفريقان فسمع يمين الدولة الحال فجد في السير اليهم وملك عليهم مسالكهم فتفرقوا وساروا الى عظيم الغورية فبرز من مدينته في عشرة آلاف مقاتل فقاتلهم المسلمون الى أن انتصف النهار فرأوهم أشجع الناس وأقواهم على القتال فأمر يمين الدولة عساكره ان يولوا الادبار على سبيل الخديعة والاستدراج ففعلوا فلما رأى الغورية ذلك ظنوه هزيمة فاتبعوهم حتى أبعدوا عن مدينتهم فعطف المسلمون عليهم ووضعوا السيف فيهم فأبادوهم قتلا وأسرا وكان في الاسرى كبيرهم وزعيمهم ودخل المسلمون المدينة وملكوها وغنموا مافيها وفتحوا تلك القلاع والحصون التي لهم جميعا فلما رأى كبيرهم مافعل المسلمون شرب سما كان معه فمات وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وأظهر يمين الدولة في تلك الاعمال شعار الاسلام وجعل عندهم من يعلمهم شرائعه وعاد ثم سار الى طائفة اخرى من الكفار فقطع مفازة من رمل ولحق عساكره عطش شديد كادوا يهلكون منه فلطف الله سبحانه وتعالى بهم وأرسل عليهم مطرا سقاهم وسهل عليهم السير في الرمل فوصل الى الكفار وهم جمع عظيم ومعهم ستمائة فيل فقاتلهم أشد قتال صبر فيه بعضهم لبعض ثم ان الله نصر المسلمين وهزم الكفار وأخذ غنائمهم واكثر القتل فيهم وعاد سالما مظفرا منصورا

﴿ ذكر فتح يمين الدولة ناردين ﴾

في سنة اربع واربعمائة سار يمين الدولة الى الهند في جمع عظيم وحشد كثير وقصد واسطة البلاد من الهند فسار شهرين حتى قارب مقصده ورتب اصحابه وعساكره فسمع عظيم الهند به فجمع من عنده من قواده واصحابه وبرز الى جبل هناك صعب المرتقى ضيق المسالك فاحتمى به وطاول المسلمين وكتب الى الهنود يستدعيهم من كل ناحية فاجتمع عليه منهم كل من يحمل سلاحا فلما تكاملت عدته نزل من الجبل وتصاف هو والمسلمون واشتد القتال وعظم الامر ثم ان الله تعالى منح المسلمين أكتافهم فهزموهم واكثروا القتل فيهم وغنموا مامعهم من مال وفيل وسلاح وغير ذلك فلما فرغ من غزوته ارسل الى الخليفة القادر بالله يخبره فكتب له منشورا وعهدا بخراسان ومابيده من الممالك ولقبه نظام الدين

﴿ ذكر غزوة تانيشر ﴾

في سنة خمس واربعمائة ذكر ليمين الدولة ان بناحية تانيشر فيلة من جنس فيلة الصيلمان الموصوفة في الحرب وان صاحبها غال في الكفر والطغيان والعناد للمسلمين فعزم على غزوه في عقر داره وان يذيقه شربة من كأس قتاله فسار في الجنود والعساكر والمتطوعة فلقي في طريقه أودية بعيدة القعر وعرة المسالك وقفارا فسيحة الاقطار والاطراف بعيدة الاكناف والماء بها

وعيد ثم توجه اليه ووصله ونزل بقرية منه تسمى أم العيال

وأمر السيد ناصر بن السيد أحمد الحارث بالنزول بقرية أخرى تسمى بأبي ضباع ثم استمر مقيما بتلك الدويرة الى ان ذهب جميع أموالهم ومزارعهم حتى عادوا الى طاعته راغبين من غير قتال ثم لما مشى من عندهم قبض على خمسة وعشرين شخصا من كبارهم وأتى بهم الى مكة في الحديد الى ان ماتوا بأجمعهم واحدا بعد واحد ولما قصد مولانا الشريف بركات الفرع انتقل منه الشريف سعد بن زيد والشريف أحمد ابن زيد وتحولا الى وادي النغير من ديار حرب ثم قصدا المدينة ونزلا الغابة ثم توجها قاصدين الابواب السلطانية قال في خلاصة الاثر وذهبوا خامس شوال متوجهين الى الشام لايمرون بحي من أحياء العرب الا أكرموهم ومن أعجب الاتفاق نزولهم على مراح بني سحيم من غير علم منهم بذلك وكان الشريف سعد قتل أباهم فلما علموا به حصل لهم كرب شديد فلم يشعروا الا وولده مواجه لهم بالعبودية والسلام وأهدر دم والده وأكرمهم وذبح لهم الذبائح ومنح المنائح وهذا من غير شك معجزة من جدهم ولم يزالوا على مثل ذلك مع كل من مروا عليه من العرب الى ان وصلوا الشام فتلقاهم

قليل فلقوا شدة وقاسوا مشقة الى ان قطعوها فلما قاربوا مقصدهم لقوا نهرا شديد الجرية صعب المخاضة وقد وقف صاحب تلك البلاد على طرفه يمنع من عبوره ومعه عساكره وفيلته التي كان يدل بها اي يتعزز بها فأمر يمين الدولة شجعان عسكره بعبور النهر واشتغال الكفار بالقتال ليتمكن باقي العسكر من العبور ففعلوا ذلك وقاتلوا الهنود وشغلوهم عن حفظ النهر حتى عبر سائر العسكر في المخاضات وقاتلوهم من جميع جهاتهم الى آخر النهار فانهزم الهند وظفر المسلمون وغنموا ما معهم من أموال وفيلة وعادوا الى غزنة موفرين ظافرين

﴿ ذكر غزوة الى الهند ﴾

في سنة ست واربعمائة غزا يمين الدولة الهند على عادته فضل ادلاؤه الطريق ووقع هو وعسكره في مياه فاضت من البحر فغرق كثير ممن معه وخاض الماء بنفسه أياما حتى تخلص وعاد الى خراسان

﴿ ذكر غزوة قشمير وقنوج وغيرهما ﴾

في سنة سبع وأربعمائة سار يمين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين من غزنة الى الهند عازما على غزو قشمير اذ كان قد استولى على ما بينه وبين قشمير من بلاد الهند وأتاه المتطوعة نحو عشرين الف مقاتل مما وراء النهر وغيره من البلاد وسار اليها ثلاثة اشهر سيرا دائما وعبر نهر سيحون وجيلوم وهما نهران عميقان شديدا الجرية فوطئ ارض الهند وأتاه رسل ملوكها بالطاعة وبذل الاتاوه فلما بلغ درب قشمير أتاه صاحبها وأسلم على يده وسار بين يديه الى مقصده فبلغ ماجون في العشرين من رجب وفتح ما حولها من الولايات الفسيحة والحصون المنيعة حتى بلغ حصن هودب وهو آخر ملوك الهند فنظر هودب من اعلى حصنه فرأى من العساكر ما هاله وأرعبه وعلم أنه لا ينجيه الا الاسلام فخرج في نحو عشرة آلاف ينادون بكلمة الاخلاص طلبا للخلاص فقبله يمين الدولة وسار عنه الى قلعة كلجند وهو من اعيان الهند وشياطينهم وكان على طريقه غياض ملتفة لا يقدر السالك على قطعها الا بمشقة فسير كلجند عساكره وفيوله الى أطراف تلك الغياض يمنعون من سلوكها فترك يمين الدولة عليهم من يقاتلهم وسلك طريقا مختصرة الى الحصن فلم يشعروا الا وهو معهم فقاتلهم قتالا شديدا فلم يطيقوا الصبر على حد السيوف فانهزموا واخذهم السيف من خلفهم ولقوا نهرا عميقا بين ايديهم فاقتحموه فغرق اكثرهم وكان القتلى والغرقى قريبا من خمسين الفا وعمد كلجند الى زوجته فقتلها ثم قتل نفسه بعدها وغنم المسلمون امواله وملكوا حصونه ثم سار نحو بيت متعبد لهم وهو من مهرة الهند وهو من احصن الابنية على نهر ولهم به من الاصنام كثير منها خمسة اصنام من الذهب الاحمر مرصعة بالجواهر وكان فيها من الذهب ستمائة الف وتسعون الفا وثلاثمائة مثقال وكان بها من الاصنام المصوغة من النقرة نحو مائتي صنم فأخذ يمين الدولة ذلك جميعه وأحرق الباقي وسار نحو قنوج وصاحبها راجيبال فوصل اليها في شعبان فرأى صاحبها قد فارقها وعبر الماء المسمى كنك وهو ماء شريف عندهم يرون أنه من الجنة وان من غرق نفسه فيه طهر من الآثام فأخذها يمين الدولة واخذ قلاعها واعمالها وهي سبع على الماء المذكور وفيها قريب من عشرة آلاف بيت صنم يذكرون انها عملت من مائة الف سنة الى ثلاثمائة ألف كذبا

أهلها وامراؤها وكبراؤها ونقيبها ودخلوا بموكب عظيم ثم دخلا أدرنة في ربيع الاول سنة ست وثمانين ودخلا اسلامبول في ربيع الثاني من السنة المذكورة فأنعم مولانا السلطان محمد بن ابراهيم على الشريف سعد بباشوية المعرة في حادي عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة وأقام الشريف أحمد باسلامبول الى سنة ثلاث وتسعين وألف فأعطى قصبة تسمى كايسة وكان قبل ذلك أرسل مولانا السلطان الى أخيه الشريف سعد فورد عليه من المعرة فأعطى بلدا هناك تسمى وزة قريبة من طرف كايسة واستمر هنالك الى سنة أربع وتسعين وألف ثم في أثناء ذلك عاد الى اسلامبول ثم صارت ولاية الشريف أحمد شرافة مكة وسيأتي بيان ذلك ان شاء الله تعالى وفي أواخر شهر الحجة من سنة خمس وثمانين وألف ورد كتاب من السيد محمد بن زيد لمولانا الشريف بركات بطلب الاذن في دخول مكة فامتنع الشريف بركات من الاذن له فتوجه الى اليمن ثم توفي سنة تسعين باليمن ولبس عليه السادة الاشراف السواد على جرى عادتهم وكان يوم ورود نعيه بمكة مأتما كبير وكانت ولادته سنة ألف وتسع وأربعين وفي سنة خمس وثمانين خرج جماعة

منهم وزورا ولما فتحها أباحها عسكره ثم سار الى قلعة البراهمة فقاتلوه وثبتوا فلما عضهم السلاح علموا انهم لا طاقة لهم فاستسلموا للسيف فقتلوا ولم ينج منهم الا الشريد ثم سار نحو قلعة آسى وصاحبها جندبال فلما قاربها هرب جندبال واخذ يمين الدولة حصنه ومافيه ثم سار الى قلعة شروة وصاحبها جندرآى فلما قاربه نقل ماله وفيوله نحو جبال هناك منيعة يحتمى بها وعمى خبره فلم يدر أين هو فنازل يمين الدولة حصنه فافتتحه وغنم مافيه وسار فى طلب جندرآى جريدة وقد بلغه خبره فلحق به فى آخر شعبان فقاتله فقتل أكثر جند جندرآى واسر كثيرا منهم وغنم مامعه من مال وفيول وهرب جندرآى فى نفر من اصحابه قبحا وكان السبى فى هذه الغزوة كثيرا حتى أن احدهم كان يباع بأقل من عشرة دراهم ثم عاد الى غزنة ظافرا ولما دمن هذه الغزوة أمر ببناء جامع غزنة فبنى بناء لم يسمع بمثله ووسع فيه وكان جامعها القديم صغيرا وأنفق ماغنمه فى هذه الغزوة فى بنائه وفى هذه السنة تفرقت ممالك الاندلس وصار عامل كل قطر منه متغلبا على مابيده اضعف ملوك بنى أمية وكثرت الفتن بينهم وبين العلويين بنى ادريس بن عبدالله بن الحسن المثنى

﴿ ذكر خروج الترك من الصين ﴾

فى سنة ثمان وأربعمائة خرج الترك من الصين فى عدد كثير يزيدون على ثلاثمائة الف خركاه وكانوا أجناسا منهم الخطابية الذين ملكوا ماوراء النهر وكان خروجهم للاستيلاء على ممالك الاسلام وكان اقرب بلاد الاسلام اليهم بلاساغون وكان ملكها من صالحى ملوك الاسلام يحب العلم وأهله ويميل الى أهل الدين ويصلهم ويقربهم واسمه طغان خان وكان قد ملك أيضا تركستان ومرض مرضا شديدا وطال به المرض فطمعوا فى البلاد لذلك فساروا اليه وملكوا بعض ممالكه وغنموا وسبوا وبقى بينهم وبين بلاساغون ثمانية ايام فلما بلغه الخبر وكان مريضا بها سأل الله أن يعافيه فينتقم من الكفرة ويحمى البلاد منهم ثم يفعل به بعد ذلك ماأراد فاستجاب الله له وشفاه فجمع العساكر وكتب الى سائر بلاد الاسلام يستنفر الناس فاجتمع اليه من المتطوعة مائة الف وعشرون الفا فلما بلغ الترك خبر عافيته وجمعه العساكر وكثرة من معه عادوا الى بلادهم فسار خلفهم نحو ثلاثة اشهر حتى أدركهم وهم آمنون لبعد المسافة فكبسهم وقتل منهم زيادة على مائتى الف رجل واسر نحو مائة الف وغنم من الدواب والخركاهات وغير ذلك من الاوانى الذهبية والفضية ومعمول الصين مالاعهد لاحد بمثله وعاد الى بلاساغون فلما بلغها عاوده مرضه فمات منه وماأشبه قصته بقصة سعد بن معاذ الانصارى فى غزوة الخندق فانه دعا الله لما جرح فى أكحله ان يبقيه حتى يأخذ ثاره من بنى قريظة فاستجاب الله دعاءه ثم بعد الانتقام منهم وقتلهم انفجر جرحه ومات رضى الله عنه ولما مات طغان خان ملك بعده اخوه رسالان خان ولقب شرف الدولة

﴿ ذكر غزوة يمين الدولة الى الهند والافغانية ﴾

فى سنة تسع وأربعمائة سار يمين الدولة الى الهند غازيا واحتشد وجمع واستعد واعد أكثر مما تقدم وقصد بيدا اللعين وكان اعظم ملوك الهند مملكة واكثرهم جيشا وتسمى مملكته بكوراهة وسار يمين الدولة عن غزنة وابتدأ فى طريقه بالافغانية وهم كفار يسكنون الجبال (ويفسدون)

الانعامات السلطانية منزلوا بوادى مر الظهران فبعث اليهم السيد بشير بن سليمان ابن لؤى بن بركات فما زال بهم حتى رجعوا ففرق عليهم الانعام الواصل بينهم بالسوية وذلك نحو أربعة آلاف دينار وألفى أردب حب وفى سنة خمس وثمانين أيضا ورد مرسوم من السلطنة مضمونه قسمة مدخول مكة أربعة أقسام الربع لمولانا الشريف والثلاثة الارباع للسادة الاشراف على السوية وفيها أيضا جعل مولانا الشريف بركات الخواجا عثمان بن زين العابدين جيدان وزيرا له وألبسه قفطانا ومشى معه العسكر الى أن أوصلوه الى داره بسويقة وفى هذه السنة أيضا حج ابن أخى الوزير الاعظم وتوفى فى أيام التشريق فنزل الى مكة فى جنازته مولانا الشريف بركات والشيخ محمد بن سليمان وكل امراء الدولة ودفنوه بالمعلى ثم رجعوا الى منى وفى شهر رمضان من سنة ست وثمانين جاء الخبر الى مكة بموت الوزير الاعظم أحمد باشا الكبرلى وهو مستند الشيخ محمد بن سليمان فلما جاءه خبر أعظم من ذلك وأصابه عليه من التعب مالا مزيد عليه ومن هذا اليوم ظهر الاختلال فى

ويفسدون فى الارض ويقطعون الطريق بين غزنة وبينه فقصد بلادهم وسلك مضايقها وفتح مغالقها وخرب عامرها وغنم اموالهم واكثر القتل فيهم والاسر وغنم المسلمون من اموالهم الكثير ثم استقل على المسير وبلغ الى مكان لم يبلغه فيما تقدم من غزواته وعبر نهر كنك ولم يعبره قبلها فلما جازه رأى قفلا قد بلغت عدة احماله الف عدد فغنمها وهى من العود والامتعة الفائقة وجد به السير فأتاه فى الطريق خبر ملك من ملوك الهند يقال له بروجيبال قد سار من بين يديه ملتجأ الى بيدا المحتمى به عليه فطوى المراحل فلحق بروجيبال ومن معه رابع عشر شعبان وبينه وبين الهنود نهر عميق فعبر اليهم بعض اصحابه وشغلهم بالقتال ثم عبر هو وباقى العسكر اليهم فاقتتلوا عامة نهارهم فانهزم بروجيبال ومن معه وكثر فيهم القتل والاسر وأسلموا أموالهم واهليهم فغنمها المسلمون وأخذوا منهم الكثير من الجواهر وأخذوا ما يزيد على مائتى فيل وسار المسلمون يقتصون آثارهم وانهزم ملكهم جريحا وتحير فى امره وارسل الى يمين الدولة يطلب الامان فلم يؤمنه ولم يقنع منه الا بالاسلام وقتل من عساكره ما لا يحصى وسار بروجيبال ليلحق ببيدا فانفرد به بعض الهنود فقتله فلما رأى ملوك الهند ذلك تابعوا رسلهم الى يمين الدولة يبذلون له الطاعة والاتاوة وسار يمين الدولة بعد الوقعة الى مدينة بارى وهى من أحصن القلاع والبلاد واقواها فرآها من سكانها خالية وعلى عروشها خاوية فأمر بهدمها وتخريبها وعشر قلاع معها متناهية الحصانة وقتل من أهلها خلقا كثيرا وسار يطلب بيدا الملك فلحقه وقد نزل الى جانب نهر واجرى الماء من بين يديه فصار وحلا وترك عن يمينه وشماله طريقا يبسا يقاتل منه اذا أراد القتال وكان عدة من معه ستة وخمسين ألف فارس ومائة ألف وأربعة وثمانين ألف راجل وسبعمائة وستة واربعين فيلا فأرسل يمين الدولة طائفة من عسكره للقتال فأخرج اليهم بيدا مثلهم ولم يزل كل عسكر يمد أصحابه حتى كثر الجمعان واشتد الضرب والطعان فأدركهم الليل وحجز بينهم فلما كان الغد بكر يمين الدولة اليهم فرأى الديار منهم بلاقع وركب كل فرقة منهم طريقا مخالفاً لطريق الاخرى ووجد خزائن الاموال والسلاح بحالها فغنموا الجميع واقتفى آثار المنهزمين فلحقوهم فى الغياض والآجام وأكثروا فيهم القتل والاسر ونجا بيدا فريدا وحيدا وعاد يمين الدولة الى غزنة منصورا

✻ ذكر فتح قلعة من الهند ✻

فى سنة اربع عشرة واربعمائة غزا يمين الدولة الهند واوغل فيها فغنم وقتل حتى وصل الى قلعة على رأس جبل منيع ليس له مصعد الا من موضع واحد وهى كبيرة تسع خلقاً وبها خمسمائة فيل وفى رأس الجبل من الغلات والمياه وجميع ما يحتاج الناس اليه فحصرهم يمين الدولة وأدام الحصار وضيق عليهم واستمر القتال فقتل منهم كثير فلما رأوا ما حل بهم أذعنوا له وطلبوا الامان فأمنهم وأقر ملكهم فيها على خراج يأخذه منه وأهدى له هدايا كثيرة منها طائر على هيئة القمرى من خاصيته انه اذا أحضر الطعام وفيه سم دمعت عينا هذا الطائر وجرى منها ماء وتحجر فاذا حك وجعل على الجراحات الواسعة ألحمها

فى الحرم الشريف ونزل بنفسه مع مولانا الشريف بركات وحضر وجوه الناس وقرئت الرباع ثلاثة أيام وولى الوزارة بعده مصطفى باشا وفى سنة ست وثمانين أرسل مولانا الشريف بركات ابنه الشريف سعيدا الى الابواب السلطانية والتمس ان ينعموا على ابنه المذكور بامارة مكة بعده وان يكون ولى عهد فأجابته الدولة الى ذلك وقابلت ابنه المذكور بالاجلال والاكرام ورجع الى مكة فى رابع ذى الحجة ومعه خلعة ومرسوم سلطانى يتضمن الانعام عليه بذلك فقرئ ذلك المرسوم بالحطيم وألبس الخلعة المذكورة وجاء أمر من الوزير الاعظم المتولى مضمونه ان الشيخ محمد ابن سليمان يرفع يده عن تعارض أمور الحرمين فأغلق بابه وترك مخالطة الناس وفى ثانى عشر من المحرم سنة سبع وثمانين وقيل ست وثمانين ورد من مصر أغا وظهر من خبره انه نمى الى صاحب السعادة صاحب مصر أن مولانا الشريف بركات أخذ ربع الحب الوارد للفقراء مع ما جعل له فأحضر الوارد عند قاضى الشرع وأحضر له بعض الفقهاء فسألهم القاضى هل أخذ مولانا الشريف شيأ من الحب الوارد فقالوا لم يأخذ منه شيأ

❊ ذكر فتح سومنات ❊

في سنة ست عشرة واربعمائة فتح يمين الدولة في بلاد الهند عدة حصـون ومدن وأخذ الصنم المعروف بسومنات وهذا الصنم كان أعظم أصنـام الهند وهم يحجون اليه كل ليلة خسوف فيجتمع عنده ماينيف على مائة الف انسـان وتزعم الهنود ان الارواح اذا فارقت الاجسـاد اجتمعت اليه على مذهب التناسخ فينشئها فيمن شاء وكانوا يحملون اليه كل علق نفيس ويعطون سدنته كل مال جزيل وله من الوقـوف مايزيد على عشرة آلاف قرية وقد اجتمع في البيت الذي هو فيه من نفيس الجوهر مالا يحصى قيمته ولاهل الهند نهر كبير يسمى كنك يعظمونه غاية التعظيم ويلقون فيه عظـام من يموت من كبرائهم ويعتقدون انها تساق الى جنة النعيم وبين هذا النهر وبين سومنات نحو مائتي فرسخ وكان يحمل من مائه كل يوم الى سومنات مايغسل به ويكون عنده من البرهميين كل يوم ألف رجل لعبادته وتقديم الوفود اليه وثلاثمائة رجل يحلقون رؤس زواره ولحاهم وثلاثمائة رجل وخمسمائة أمة يغنون ويرقصون على باب الصنم ولكل واحد من هؤلاء شئ معلوم كل يوم وكان يمين الدولة كلما فتح من الهند فتحا وكسر صنما يقول الهنود ان هذه الاصنام قد سخط عليها سومنات ولو أنه راض عنها لاهلك من قصدها بسوء فلما بلغ ذلك يمين الدولة عزم على غزوه واهلاكه ظنا منه ان الهنود اذا فقدوه ورأوا كذب ادعائهم دخلوا في الاسلام فاستخار الله تعالى وسار عن غزنة عاشر شعبان في هذه السنة في ثلاثين ألف فارس من عساكره سوى المتطوعة وسلك سبيل الملتان فوصلها منتصف شـهر رمضـان وفي طريقه الى الهند برية قفر لاساكن فيها ولا ماء ولا ميرة فتجهز هو وعسكره على قدرها ثم زاد بعد الحاجة عشرين ألف جمل تحمل الماء والميرة وقصد انهلوارة فلما قطع المفازة رأى في طرفها حصونا مشحونة بالرجال وعندها آبار قد غوروها ليتعذر عليه حصرها فيسر الله له فتحهـا عند قربه منها بالرعب الذي قذفه الله في قلوبهم وتسلمها وقتل سكانها وأهلك أوثانها وامتاروا منها الماء وماتحتاجون اليه وسار الى انهلوارة فوصلها مستهل ذي القعدة فرأى صاحبها المدعو بهيم قد أجفل عنها وتركها وأمعن في الهرب وقصد حصنا له يحتمي به فاستولى يمين الدولة على المدينة وسار الى سومنات فلقي في طريقه عدة حصون فيها كثير من الاوثان شبه الحجاب النقباء لسومنات على ماسول لهم الشيطـان فقاتل من بها وفتحها وخربها وكسر اصنامها وسار الى سومنات في مفازة قفرة قليـلة الماء فلـقي عشرين ألف مقاتل من سكانها لم يدينوا المـلك فأرسل اليهم السرايا فقاتلـوهم فهزموهم وغنـموا مالهـم وامتـاروا من عندهم وساروا حتى بلغوا دبولوارة وهي على مرحلتين من سـومنات وقد ثبت اهلها ظنا منهم ان سومنات يمنعهم ويدفع عنهم فاستولى عليها وقتل رجالها وغنم أموالها وسار عنها الى سومنات فوصلها يوم الخميس منتصف ذي القعدة فرأى حصنا مبنيا على ساحل البحـر بحيث تبلغـه أمواجه واهـله عـلى الاسوار يتفرجون عـلى المسلمين واثقـين أن معبودهم يقطع دابرهم ويهـلكهم فلمـا كان الغد وهو يوم الجمعة زحف وقاتـل من به فرأى الهنود من المسلمين قتالا لم يعهدوا مثله ففـارقوا السور فنصب المسلمون عليه السلالم

ورجع بها مع جر . مولانا الشريف وأطرب أمر الشيخ محمد بن سليمان فقصد الطائف قال السنجاري ومن العجب في هذا الخروج مطابقته لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم ثم نزل الشيخ من الطائف في شعبان وتوجه الى المدينة قيل ان ذلك كان بأمر من الوزير الاعظم وأن الامر كان أولا باخراجه من الحرمين ثم شفع فيه فأمر باخراجه الى المدينة فلما وصل المدينة اعتزل الناس الا من لابد منه وفي ثامن شوال من سنة ثمان وثمانين وألف أصبح الناس فاذا الكعبة الشريفة ملطخة بما يشبه العذرة من جميع جوانبها وتلوثت استار الكعبة المعظمة وكذلك الحجر الاسود والركن اليماني فاتهم الناس بهذا الفعل الشيعة فاشتدت حمية الاتراك المجاورين والحجاج فأخذوا من الحرم خمسة أنفس من العجم بعد شروق الشمس ووقعوا فيهم بالضرب والرجم بالحجارة حتى أخرجوهم الى باب السلام وبعضهم الى باب الزيادة وقتلوهم شدخا بالحجارة وضربا بالسيوف والقوهم على بعضهم ولم يطالب فيهم أحد قال العصامي في تاريخه ولقد رأيت ذلك الشئ بعيني يعني ماتلوثت الكعبة

وصعدوا اليه وأعلنوا بكلمة الاخلاص وأظهروا شعار الاسلام فحينئذ اشتد القتال وعظم الخطب وتقدم جماعة الهنود الى سومنات فعفروا له خدودهم وسألوه النصر وأدركهم الليل فكف بعضهم عن بعض فلما كان الغد بكر المسلمون اليهم وقاتلوهم فأكثروا في الهنود القتل واجلوهم عن المدينة الى بيت صنمهم سومنات فقاتلوا على بابه أشد قتال وكان الفريق منهم بعد الفريق يدخل الى سومنات فيعتنقونه ويبكون ويتضرعون اليه ويخرجون فيقاتلون الى ان يقتلوا حتى كاد الفناء يستوعبهم فبقي منهم القليل فدخلوا البحر الى مركبين لهم لينجوا فيهما فأدركهم المسلمون فقتلوا بعضا وغرق بعض وأما البيت الذي فيه سومنات فهو مبني على ست وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص وسومنات من حجر طوله خمسة اذرع ثلاثة مدورة ظاهرة وذراعان في البناء وليس بصورة مصورة فأخذه يمين الدولة فكسره وأحرق بعضه وأخذ بعضه الى غزنة فجعله عتبة الجامع وكان بيت الصنم مظلما وانما الضوء الذي عنده من قناديل الجوهر الفائق وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس وزنها مائتا من كلما مضى طائفة من الليل حركت السلسلة فيصوت الجرس فيقوم طائفة من البرهميين الى عبادتهم وعنده خزانة فيها عدة من الاصنام الذهبية والفضية وعليها الستور المعلقة المرصعة بالجوهر كل واحد منها منسوب الى عظيم من عظمائهم وقيمة ما في البيوت يزيد على عشرين ألف ألف دينار فأخذ الجميع وكانت عدة القتلى تزيد على خمسين الف قتيل ثم ان يمين الدولة ورد عليه الخبر أن بهيم صاحب انهلوارة قد قصد قلعة تسمى كندهة في البحر بينها وبين البر من جهة سومنات اربعون فرسخا فسار اليها يمين الدولة من سومنات فلما حاذى القلعة رأى رجلين من الصيادين فسألهما عن خوض البحر هناك فعرفاه انه يمكن خوضه لكن ان تحرك الهواء يسيرا غرق من فيه فاستخار الله تعالى وخاضه هو ومن معه فخرجوا سالمين فرأوا بهيم قد فارق قلعته وأخلاها فعاد عنها وقصد المنصورة وكان صاحبها قد أسلم ثم ارتد عن الاسلام فلما بلغه خبر مجيء يمين الدولة فارقها واحتمى بغياض اشبة فقصده يمين الدولة من موضعين فأحاط به وبمن معه فقتلوا أكثرهم وغرق منهم كثير ولم ينج منهم الا القليل ثم سار الى بهاطية فأطاعه أهلها ودانوا له فرحل الى غزنة فوصلها عاشر صفر من سنة سبع عشرة وأربعمائة

﴿ ذكر غرق الاسطول بجزيرة صقلية ﴾

في سنة ست عشرة وأربعمائة خرج الروم الى جزيرة صقلية في جمع كثير وملكوا ما كان للمسلمين في جزيرة قلورية وهي مجاورة لجزيرة صقلية وشرعوا في بناء المساكن ينتظرون وصول مراكبهم وجموعهم مع ابن اخت الملك فبلغ ذلك المعز بن باديس عامل افريقية للعبيديين فجهز اسطولا كبيرا أربعمائة قطعة وحشد فيها وجمع خلقا كثيرا وتطوع جمع كثير بالجهاد رغبة في الاجر فسار الاسطول في كانون الثاني فلما قرب من جزيرة قوصرة وهي قريب من برافريقية خرج عليهم ريح شديد ونوء عظيم فغرق اكثرهم ولم ينج الا اليسير

﴿ ذكر غزوة للمسلمين الى الهند ﴾

في سنة احدى وعشرين وأربعمائة غزا احمد بن ينالتكين النائب عن يمين الدولة بلاد الهند

به وتأملته فاذا هو ليس من القاذورات وانما هو من أنواع الخضراوات عجن بعدس محخ وأدهان معفنات فصار ريحه ريح النجاسات وكان هذا الفعل عند مغيب القمر من تلك الليلة ولم يعلم الفاعل لذلك وغلب على بعض الظنون ان ذلك جعل عمدا وسيلة الى قتل أولئك والله أعلم بالسرائر وهو يتولى البواطن والظواهر ولبعضهم في ذلك

مذلوث الكعبة من لم نكن نعرفه ليلا واصبحنا أسلت الاعجام أرواحها* وقالت الاعراب آمنا

وفي شهر الحج من سنة ثمان وثمانين وألف ورد مرسوم من الوزير الاعظم بأن يطلق مولانا الشريف بركات على المصونة الشريفة عمرة بنت الشريف زيد ألفا ومائتي شريفي أحمر من المال الذي جعلته السلطنة للسادة الاشراف وكذلك يطلق عليها من الحب الوارد بأسماء الاشراف ستمائة اردب فأطلق عليه مولانا الشريف الدراهم وتوقف في أمر الحب وقال يكفيها نصفه فامتنعت من أخذ النصف ثم جاء مرسوم آخر في سنة تسع وثمانين لصاحب جدة ان يدفع لعمرة المذكورة ستمائة اردب فدفعها لخادمها سليم أغا من الحب الوارد في السنة المذكورة

*(ابتداء خروج أمير

الطلبة لقاء الحج الشامي وتشييعه الى المدينة سنة ١٠٨٩)* وفي سنة ثمان وثمانين أيضا ورد أمر سلطاني لمولانا

مدينة للهنود وهي من أعظم مدنهم يقال لها نرسي ومع أحمد نحو مائة ألف فارس وراجل وشن الغارة على البلاد ونهب وسبى وخرب الاعمال وأكثر القتل والاسر فلما وصل الى المدينه دخل من أحد جوانبها ونهب المسلمون في ذلك الجانب يوما من بكرة النهار الى آخر النهار ولم يفرغوا من نهب سوق العطارين والجوهريين حسب وباقي أهل البلد لم يعلموا بذلك لان طوله منزل من منازل الهنود وعرضه مثله فلما جاء المساء لم يجسر احد على المبيت فيه لكثرة اهله فخرج منه ليأمن على نفسه وعسكره وبلغ من كثرة مانهب انهم اقتسموا الذهب والفضة كيلا ولم يصل الى هذه المدينة عسكر للمسلمين قبله فلما فارقه أراد العود اليه مرة أخرى فلم يقدر على ذلك ومنعه اهله وفي هذه السنة توفي يمين الدولة السلطان محمود ابن سبكتكين وعمره احدى وستون سنة ومدة ملكه أربع وثلاثون سنة وكان صالحا عادلا محبا للعلماء مكرما لهم ومحبا للجهاد ووقع بعده اختلاف بين ابنه محمد ومسعود وتم الملك لمسعود

﴿ ذكر خروج ملك الروم الى الشام وانهزامه ﴾

في سنة احدى وعشرين واربعمائة خرج ملك الروم من القسطنطينية في ثلاثمائة ألف مقاتل الى الشام فلم يزل بعساكره حتى بلغ قريب حلب فلحقهم عطش شديد وكان اصحابه مختلفين عليه وعبر على عسكره جمع من العرب ليسوا بالكثير فظن انها كبسة فخاف ورحل وتبعهم العرب واهل السواد حتى الارمن يقتلون وينهبون واخذوا من الملك أربعمائة بغل محملة مالا وثيابا وهلك كثير من الروم عطشا ونجا الملك وحده ولم يسلم معه من امواله وخزائنه شيء البتة وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا حتى أن الملك لبس خفا أسود وعادة ملوكهم لبس الخف الاحمر فتركه ولبس الاسود ليعمى خبره على من يريده وانهزموا وغنم المسلمون جميع ما كان معهم

﴿ ذكر غزو فضلون الكردي الخزر وما كان منه ﴾

كان فضلون الكردي هذا بيده قطعة من اذربيجان استولى عليها وملكها فاتفق انه غزا الخزر في هذه السنة فقتل منهم وسبى شيأ كثيرا فلما اراد العود الى بلاده ابطأ في سيره وظن أنه دوخهم وشغلهم بما عمله بهم فاتبعوه مجدين وكبسوه وقتلوا من اصحابه والمتطوعة الذين معه أكثر من عشرة آلاف قتيل واستردوا الغنائم التي أخذت منهم وغنموا اموال العساكر الاسلامية وعادوا

﴿ ذكر ملك الروم مدينة الرها ﴾

في سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة ملك الروم مدينة الرها وكان بالرها برجان حصينان أحدهما أكبر من الآخر الكبير بيد بن عطير والصغير بيد ابن شبل فراسل بن عطير ارمانوس ملك الروم وباعه ما بيده بعشرين الف دينار وعدة قرى فتسلموا البرج الذي له ودخلوا البلد فملكوه وهرب منه أصحاب ابن شبل وقتل الروم المسلمين وخربوا المساجد فسمع نصر الدولة بن مروان مالك بلاد الكرد الخبر فسير جيشا الى الرها فحصروها وفتحوها عنوة واعتصم من بها من الروم بالبرجين واحتمى النصارى غيرهم بالبيعة التي لهم وهي من أكبر البيع وأحسنها عمارة فحصرهم المسلمون بها وأخرجوهم وقتلوا أكثرهم ونهبوا البلد

الشريف بأن يخرج مع الحج الشامي الى ان يتعدى به على العرب القاطعين لطريقه الى ان يخرج عماه وتحت قطر الحجاز فخرج معهم يوم السابع من المحرم سنة تسع وثمانين وألف ومعه عدة من الاشراف وأقام مقامه أخاه السيد عمرو بن محمد وفي جمادى الآخرة سنة تسعين وألف اعتدى بعض العسكر على رجل من سواكن ونزل على مولانا الشريف فجاء لسواكني فقتل ذلك العسكري ودخل على مولانا السيد أحمد بن غالب فحماه على جري عادتهم وسفره الى اليمن فطلب العسكر المقيمون بمكة احضار القاتل من مولانا الشريف فأرسل خلفه جماعة فأدركوه في الطريق فقتلوه وأتوا برأسه الى مولانا الشريف فأراه العسكر فهمدت الفتنة وفي عاشر ذي القعدة سنة تسعين أيضا ورد مرسوم سلطاني مضمونه الانعام على مولانا الشريف بعشرة آلاف أحمر في مقابلة خروجه كل سنة مع الحج الشامي ومع المرسوم خلعة فلبس الخلعة وقرئ المرسوم في ثاني جمادى احدى وتسعين وألف خرج مولانا الشريف غازيا الى جهة الشرق وسار بحماة (وبقي)

وقتلوهم شدخا وضربوا بالسيوف وألقوهم على بعضهم ولم يطالب فيهم أحد قال اهـ

وبقي الروم بالبرجين وسير اليهم ابن مروان عسكرا نحو عشرة آلاف مقاتل فانهزم اصحاب ابن مروان من بين ايديهم ودخل الروم البلد وملكوها وما جاورهم من بلاد المسلمين فصالحهم ابن وثاب النميري على حران وسروج وحمل اليهم خراجا وفي هذه السنة توفي الخليفة القادر بالله وكانت خلافته احدى وأربعين سنة وثلاثة اشهر وبويع بعده ابنه القائم بأمر الله

ذكر ملك الروم قلعة افامية

في سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة ملك الروم قلعة افامية بالشام بسبب اختلاف العمال من المسلمين فدخل حسان بن المفرج الطائي بلد الروم هاربا من الدزبري عامل الشام للخليفة بمصر ولبس خلعة ملكهم وخرج من عنده وعلى رأسه علم فيه صليب ومعه عسكر كثير فسار الى افامية فكبسها وغنم مافيها وسبي أهلها وأسرهم

ذكر فتح قلعة سرستي وغيرها من بلاد الهند

في سنة خمس وعشرين وأربعمائة قصد السلطان مسعود بن محمود سبكتكين قلعة سرستي وهي من أمنع حصون الهند وأحصنها فحصرها وقد كان ابوه حصرها غير مرة فلم يتهيأ له فتحها فلما حصرها مسعود راسله صاحبها وبذل له مالا على الصلح فأجابه الى ذلك وكان فيها قوم من التجار المسلمين فعزم صاحبها على أخذ أموالهم وحملها لمسعود من جملة ما تقرر عليه فكتب التجار رقعة في نشابة ورموا بها اليه يعرفونه فيها ضعف الهنود بها وأنه ان صابرهم ملكهم فرجع عن الصلح وطم خندقها بالشجر وقصب السكر وغيره وفتح الله عليه وقتل كل من فيها وسبي ذراريهم وأخذ ما جاورها من البلاد ثم رحل عنها الى قلعة نغمي وحصرها فرآها عالية لا ترام يرتد البصر دونها وهو حسير الا أنه أقام عليها يحصرها فخرجت عجوز ساحرة فتكلمت باللسان الهندي طويلا وأخذت مكنسة فبلتها بالماء ورشته منها الى جهة عسكر المسلمين فرض واصبح لا يقدر ان يرفع رأسه وضعفت قوته ضعفا شديدا فرحل عن القلعة لشدة المرض فحين فارقها زال ما كان به وأقبلت الصحة والعافية اليه وسار نحو غزنة

ذكر ملك الروم قلعة بركوى

هذه قلعة متاخمة للارمن كانت في يد أبي الهيجاء بن ربيب الدولة ابن اخت وهسودان بن مملان فتنافر هو وخاله فأرسل خاله الى الروم فأطمعهم فيها فسير ملك الروم اليها جمعا كثيرا فملكوها سنة خمس وعشرين واربعمائة فبلغ الخبر الى الخليفة فارسل الى أبي الهيجاء وخاله من يصلح بينهما ليتفقا على استعادة القلعة فاصطلحا ولم يتمكنا من استعادتها واجتمع اليهما خلق كثير من المتطوعة فلم يقدروا على ذلك لثبات قدم الروم بها وفي سنة سبع وعشرين اجتمع ابن وثاب وابن عطير وتصاهرا وجمعا جموعا وأمدهما نصر الدولة بن مروان بعسكر كثيف فساروا جميعا الى السويدا وربض الرها وكان الروم قد احدثوا عمارتها في ذلك الوقت واجتمع اليها أهل القرى المجاورة لها فحصرها المسلمون وفتحوها عنوة وقتلوا فيها ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل وغنموا مافيها وسبوا خلقا كثيرا وقصدوا الرها فحصروها وقطعوا الميرة عنها واشتد الامر فخرج البطريق الذي فيها متخفيا ولحق بملك الروم وعرفه

الاشراف ولم يتخلف عنه الا المعذور وقصد بيشة وفي الرابع عشر من شوال جاء المبشر بأخذ مولانا الشريف قبيلة اكلب وانه قتل فيهم قتلة شنيعة ورجع الى مكة في السابع والعشرين من ذي القعدة سالما غانما وفي هذه السنة تشفع الدفتردار عند الوزير الاعظم في أن الشيخ محمد ابن سليمان يعود الى مكة فجاء الاذن له بذلك وان يكف يده عن مخالطة الدولة فدخل مكة في التاسع والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وفي الثاني والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة حصل بمكة مطر عظيم وكثر السيل ودخل المسجد وبلغ الى نصف الكعبة واستوعب جملة العواميد التي في الرواق من الجهة الغربية لانحدارها وكان ذلك اليوم خروج الحج المصري فغرق فيه كثير من المسافرين ومن غريب الاتفاق أن حمل السيل جملا محملا ودخل المسجد فلم يزل السيل يدفعه وقد انقطع حمله حتى رقي على منبر الخطيب فلم يزل الى الصبح من اليوم الثاني واستمر الماء الى الصباح ففتح باب ابراهيم وانحدر الماء فوجدوا تحته كثيرا من الموتى من الغرباء وأهل البلد وأما خارج المسجد قد أخرب غالب البيوت وذهب بأموال عظيمة وقال كبار المكيين في ذلك الوقت ان هذا السيل لم يشاهدوا مثله فكان ذلك

الحال فسير معه خمسة آلاف فارس فعاد بهم فعرف ابن وثاب ومقدم عساكر نصر الدولة الحال فكمنالهم فلما قاربوهم خرج الكمين عليهم فقتل من الروم خلق كثير واسر مثلهم وأسر البطريق وحمل الى باب الرها وقالوا لمن فيها اما ان تفتحوا لباب والاقتلنا البطريق والاسرى الذين معه ففتحوا الباب للعجز عن حفظه وتحصن أجناد الروم بالقلعة ودخل المسلمون المدينة وغنموا مافيها وامتلأت ايديهم من الغنائم والسبي وأكثروا القتل وارسل ابن وثاب الى آمد مائة وستين راحلة عليها رؤس القتلى وأقام محاصرا للقلعة ثم ان حسان ابن الجراح الطائي سار في خمسة آلاف فارس من العرب والروم نجدة لمن بالرها فسمع ابن وثاب بقربه فسار اليه مجدا ليلقاه قبل وصوله فخرج من الرها بجمع من الروم الى حران فقاتلهم أهلها وسمع ابن وثاب الخبر فعاد مسرعا فوقع على الروم فقتل منهم كثيرا وعاد المنهزمون الى الرها ثم صالح ابن وثاب الروم الذين بالرها لعجزه عنهم وسلم اليهم ربض الرها وكثر الروم بها وعمروها وحصنوها وفي سنة تسع وعشرين هادن المستنصر بالله العبيدي صاحب مصر ملك الروم وشرط عليه اطلاق خمسة آلاف أسير وشرط الروم عليه ان يعمروا بيعة قامة فأرسل الملك اليها من عمرها واخرج على عمارتها مالا جليلا ثم انتقضت الهدنة سنة ٣٢ وجهز الروم جيشا فالتقوا مع جيش المسلمين بين مدينة حماة وافامية واشتد القتال ثم ان الله نصر المسلمين واذل الكافرين فانهزموا وقتل منهم عدة كثيرة وأسر ابن عم للملك وبذلوا في فدائه مالا جزيلا وعدة وافرة من اسراء المسلمين وانكف الروم عن الاذى بعدها وفي سنة اثنتين وثلاثين أيضا قتل مسعود بن محمود سبكتكين وملك ابنه مودود والقاتل لمسعود أولاد اخيه محمد والقصة طويلة ليس هذا محل ذكرها وفي سنة خمس وثلاثين خرج ملك الروم من القسطنطينية المسلمين والغربا ونادى ان لايقيم احد ورد البلد منذ ثلاثين سنة فمن أقام بعدها كحل فخرج منها اكثر من مائة ألف انسان ولم يبق بها اكثر من اثنى عشر نفسا فضمنهم الروم فتركهم

❁ ذكر تملك مودود بن مسعود بن محمد سبكتكين عدة من حصون بلد الهند ❁

وفي سنة خمس وثلاثين واربعمائة اجتمع ثلاثة من ملوك الهند وقصدوا لهاوور وحصروها فجمع مقدم العساكر الاسلامية بتلك الديار من عنده منهم وأرسل الى صاحبه مودود ويستنجده فأرسل اليه العساكر فاتفق ان بعض أولئك الملوك فارقهم وعاد الى طاعة مودود فرحل الملكان الآخران الى بلدهما فسارت العساكر الاسلامية الى احدهما فانهزم منهم وصعد الى قلعة له منيعة هو وعساكره فاحتموا بها وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين الف راجل وحصرهم المسلمون وضيقوا عليهم وأكثروا القتل فيهم فطلب الهنود الامان على تسليم الحصن فامتنع المسلمون من اجابتهم الى ذلك الا بعد ان يضيفوا الى ذلك باقي حصون ذلك الملك الذي لهم فحملهم الخوف وعدم الاقوات على اجابتهم الى ماطلبوا وتسلم المسلمون الجميع وغنموا الاموال وأطلقوا ما في الحصون من اسرى المسلمين وكانوا نحو خمسة آلاف نفر فلما فرغوا من هذه الناحية قصدوا ولاية الملك الثاني فتقدم اليهم ولقيهم فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت

الماء) وحصل من هذا السيل خراب عظيم في العين فجاء الامر من مولانا السلطان محمد بن ابراهيم بتعميرها فعمرت سنة اثنتين وتسعين والف وفي خلاصة الاثر وفي هذه السنة أيضا حصل في قرية السلامه وما حولها من أرض الطائف برد شديد له وقع عظيم بحيث صار يضرب بالصخور والابواب كالبنادق غالبه كبيض الحمام وبعضه كبيض الدجاج قال الشلي في تاريخه وقد سمعت غير واحد يقول وزنت واحدة فكانت رطلا ووقع بعضه على قدر فخرقه وتلف ثمار البساتين وجرح كثيرا من الحيوانات وبعضها مات وفي ربيع الاول من سنة ثلاث وتسعين وألف خرج مولانا الشريف أحمد بن غالب من مكة مغاضبا لمولانا الشريف بركات وخرج بخروجه عدة من الاشراف نحو الثلاثين وسار متوجها الى الابواب السلطانية شاكيا من مولانا الشريف بركات وفي ثاني شهر جمادي الاولى وقعت فتنة بين الاتراك وعبيد الاشراف في المسعى والنهب بعض الدكاكين في المروة وقتل بعض الاتراك المجاورين تحت مدرسة القاضي

الهنود وأجلت المعركة عن قتل ملكهم وخمسة آلاف قتيل وجريح واسر ضعفاؤهم وغنم المسلمون اموالهم وسلاحهم ودوابهم فلما رأى باقي الملوك من الهند مالقي هؤلاء أذعنوا بالطاعة وطلبوا الامان وحملوا الاموال وطلبوا الاقرار على بلادهم فاجيبوا الى ذلك

ذكر أخبار الروم والروسية

وفي سنة خمس وثلاثين ورد الى القسطنطينية عدد كثير من الروسية في البحر يريدون حرب الروم فاجتمعت الروم على حربهم وكان بعضهم قد فارق المراكب الى البر فالقى الروم في مراكبهم النار فلم يهتدوا الى اطفائها فهلك كثير منهم بالحرق والغرق وأما الذين في البر فقاتلوا ثم انهزموا فلم يكن لهم ملجأ فمن استسلم اولا استرق ومن امتنع حتى اخذ قهرا قطع الروم أيمانهم وطيف بهم في البلد ولم يسلم منهم الا القليل مع ابن ملك الروسية وفي سنة تسع وثلاثين سير المعز بن باديس صاحب افريقية اسطولا الى جزائر القسطنطينية فظفر وغنم وعاد

ذكر غزو السلجوقية بلاد الروم

ولنذكر اولا ابتداء ظهور الدولة السلجوقية اصلهم من الترك الذين بما وراء النهر أسلم جدهم سلجوق ووافقه على الاسلام جماعة منهم فخرج بهم من دار الحرب الى ديار الاسلام وصار يقاتل الكفار من الترك ووقع بينه وبين ملوك خراسان المسلمين وقائع وقتال يطول الكلام بذكره وولده أولاده قاموا بالجهاد بعده وكثرت جموعهم وقويت شوكتهم وصاروا يتغلبون على ممالك خراسان والعراق شيأ فشيأ الى ان دخلوا بغداد وأذهبوا دولة بني بويه وتغلبوا على الخلفاء كما كان بنو بويه وكان دخولهم بغداد في خلافة القائم بأمر الله بن القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر سنة سبع واربعين واربعمائة وكان الداخل منهم بغداد السلطان طغرلبك بن ميكائيل ابن سلجوق وتوفي السلطان طغرلبك سنة خمس وخمسين واربعمائة وصار الملك بعده لابن اخيه الب ارسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق واستمر الملك في بنيه الى سنة تسع وثمانين وخمسمائة وكان ابتداء تملكهم طوس وقيل الري سنة اربعمائة وتسع وعشرين فتكون مدة ملكهم مائة وستين سنة وطغرلبك ضبطه ابن خلكان بقوله بضم الطاء وسكون الغين المعجمة وضم الراء وسكون اللام وفتح الباء الموحدة بعدها كاف وهو اسم تركي مركب من طغرل وهو اسم علم وبك معناه امير وسلجوق بفتح السين المهملة وسكون اللام وضم الجيم وسكون الواو وبعدها قاف وكانت هذه الغزوة التي سنذكرها قبل تملكهم بغداد وهذه الغزوة التي سنذكرها هي انه في سنة اربعين واربعمائة غزا السلجوقية بلاد الروم وقائد الجيش الامير ابراهيم اينال اخو السلطان طغرلبك السلجوقي فظفروا وغنموا ووصلوا الى ملازكرد وأرزن الروم وقاليقلا وبلغوا طرابزون وتلك النواحي كلها ولقيهم عسكر للروم يبلغون خمسين ألفا فاقتتلوا واشتد القتال بينهم وكانت بينهم عدة وقائع تارة يظفر هؤلاء وتارة هؤلاء وكان آخر الامر الظفر للمسلمين فأكثروا القتل في الروم وهزموهم واسروا جماعة كثيرة من بطارقتهم وممن اسر قاريط وكان من ملوكهم فبذل في فداء نفسه ثلاثمائة الف دينار وهدايا بمائة الف فلم يجب الى ذلك ولم يزل السلجوقية يجوسون تلك البلاد الى ان صار بينهم وبين القسطنطينية خمسة عشر يوما واستولى المسلمون على تلك النواحي فنهبوها وغنموا ما فيها وسبوا أكثر من مائة الف

الشريف الامر حتى سكنت الفتنة ثم ورد جوخدار القاضي من جدة ومعه محصول جدة فضرب بالشبيكة وأخذ ما معه وتكلم مولانا الشريف مع الاشراف فيما يقع من العبيد فلم ينجع وتزايد الامر حتى صار مولانا الشريف يعس في الليل بنفسه هو وأولاده ومعه بعض عسكر مصر ثم تزايد الامر فاجتمع جميع عبيد مولانا الشريف وعبيد الحاكم وما انضم اليهم من عبيد السادة الاشراف وتألبوا جهة الحسينية تأنفا من سوق الشريف لبعضهم بعسكر مصر فتفاقم الامر على مولانا الشريف فأرسل اليهم أخاه السيد عمرو بن محمد لردهم فامتنعوا الا ان يتضمن لهم شريف من الاشراف أنه لا يعطى أحد منهم للعسكر اذا وقع شيء في البلد فضمن لهم ذلك بعض الاشراف فدخلوا أرسالا ثم ان مولانا الشريف ظفر بعبدين ليلا فأمر بقتلهما فقتلا بالمعلى وأصبحت جثتهما ملقاة بالشارع ثم أمر بعبدين آخرين كانا في حبسه فشنقهما بالمسعى وأوهم أنهما القاتلان للعبدين الذين في المعلى ثم ان مولانا الشريف ازداد به التعب والهم

رأس وأخذوا من الدواب والبغال والغنائم والاموال مالا يقع عليه الاحصاء وحملت الغنائم على عشرة آلاف عجلة ومن جملة الغنائم عشرة آلاف درع ثم في سنة احدى واربعين واربعمائة ارسل ملك الروم الى السلطان طغرلبك هدية عظيمة وطلب منه الصلح والمعاهدة فأجابه اليها وعمر ملك الروم مسجدا بالقسطنطينية وكان بها كثير من المسلمين فأقاموا بالمسجد المذكور الصلاة والخطبة لطغرلبك بأمر ملك الروم ثم بعد ذلك دانت الناس لطغرلبك وتمكن في ملكه وتملك كثيرا من البلاد قبل دخوله بغداد

﴿ ذكر غزوة اخرى للسلجوقية ﴾

في سنة ست واربعين واربعمائة سار طغرلبك سلطان السلجوقية الى ارمينية وقصد ملازكرد وهي للروم فحصرها وضيق على اهلها ونهب ماجاورها من البلاد وأخربها وهي مدينة حصينة واثر السلطان المذكور في هذه الغزوة آثارا عظيمة ونال منهم من النهب والقتل والاسر شيأ كثيرا وبلغ في غزوته هذه الى ارزن الروم وعاد الى أذربيجان لما هجم الشتاء ومن السلجوقية قتلمش ابن عم طغرلبك كانت له ولبنيه دولة في قونية واقصرا وبلاد الروم لان السلجوقية لما انتشروا في البلاد طالبين للممالك دخل قتلمش هذا الى بلاد الروم وملك قونية واقصرا ونواحيها وافتتح بلادا واسعة وبقي الملك في بنيه الى ظهور الدولة العثمانية فمن تلك الممالك التي افتتحوها وكانت تحت ايديهم قونية واقصرا وسيواس وتوقات وانقورية وملطية وبلاد البستان وقيسارية ونكسار واماسية واعمال هذه المدن

﴿ ذكر فتح الب ارسلان مدينة * آني * وغيرها من بلاد النصرانية ﴾

في سنة ست وخمسين واربعمائة غزا السلطان الب ارسلان بلاد النصارى فسار من الري الى أذربيجان ثم سلك مضايق الى ان وصل الى نقجوان فأمر بعمل السفن لعبور نهر أرس فقيل له ان سكان خوى وسلماس من اذربيجان لم يقوموا بواجب الطاعة وانهم قد امتنعوا ببلادهم فسير اليهم عميد خراسان ودعاهم الى الطاعة وتهددهم ان امتنعوا فأطاعوا وصاروا من جملة حزبه وجنده واجتمع عليه هناك من الملوك والعساكر مالا يحصى فلما فرغ من جمع العساكر والسفن سار الى بلاد الكرج وجعل عسكرا مع ولده ملكشاه ونظام الملك وزيره فسار ملكشاه ونظام الملك الى قلعة فيها جمع كثير من الروم فنزل اهلها منها وتخطفوا من العسكر وقتلوا منهم فئة كثيرة فنزل نظام الملك وملكشاه وقاتلوا من بالقلعة وزحفوا اليهم فقتل امير القلعة وملكها المسلمون وساروا منها الى قلعة سرماري وهي قلعة فيها المياه الجارية والبساتين فقاتلوها وملكوها وأنزلوا منها اهلها وكان بالقرب منها قلعة اخرى ففتحها ملكشاه وأراد تخريبها فنهاه الوزير نظام الملك عن ذلك وقال هي ثغر للمسلمين وشحنها بالرجال والاموال والسلاح والذخائر وسلم هذه القلاع الى امير نقجوان وسار ملكشاه ونظام الملك الى مدينة مريم نشين وفيها كثير من الرهبان والقسيسين وملوك النصارى وعامتهم يتقربون الى اهل هذه البلدة وهي مدينة حصينة سورها من الاحجار الكبار الصلبة المشدودة بالرصاص والحديد عندها نهر كبير فأعد نظام الملك

(وفاة الشريف بركات سنة ١٠٩٤)

فازداد به المرض الى ان توفي ليلة الخميس التاسع والعشرين من ربيع الثاني من السنة المذكورة فصلى عليه الشيخ عبدالواحد بن أحمد الشيبي بعد الشروق تحت الكعبة ودفن بالقرب من المعلى بجوار الشيخ السقي بوصاية منه وبني عليه حائط غير مسقف وأسفت الناس عليه سامحه الله تعالى وكانت مدته عشر سنين وأربعة أشهر وعشرين يوما قال السنجاري وكان وحيد دهره وانسان عين عصره لولا ما اعترض دولته من استيلاء الشيخ محمد بن سليمان ورثاه كثير من الشعراء بقصائد ثم قال السنجاري وبالجملة فانه كان كثير الاحسان عارفا بأحوال الزمان وفي خلاصة الاثر في ترجمة الشريف بركات وحظي عند السلطنة وكان مقبول الكلمة عندهم معتقدا لما كان يكثر من مداراتهم وكان كثير الاحسان للاشراف والتعطف بهم وتقووا في زمنه وقويت شوكتهم وكثرت أموالهم وبسبب ذلك بقيت كبار الاشراف وصغارهم تحت طوعه وكان يخرج بهم لحرب العرب من أهل الفرع وغيرهم ويكون الظفر

(لقتالها)

لقتالها مايحتاج اليه من السفن وغيرها وقاتلها وواصل قتالها ليلا ونهارا وجعل العساكر عليها يقاتلون بالنوبة فضجر الكفار واخذهم الاعيا والكلال فوصل المسلمون الى سورها ونصبوا عليه السلالم وصعدوا الى اعلاه لان المعاول كانت عن نقبه لقوة جره فلما رأى اهلها المسلين على السور فت ذلك فى اعضادهم اى اضعفهم وسقط فى ايديهم ودخل ملكشاه ونظام الملك البلد واحرقوا البيع وخربوها وقتلوا كثيرا من أهلها واسلم كثير منهم فنجوا من القتل واستدعى الب ارسلان ابنه ملكشاه ونظام الملك فلحقوه فى بلاد الكرج وفرح بمايسره الله من الفتح على يد ولده وفتح ملكشاه فى طريقه عدة من القلاع والحصون واسر من النصارى مالايحصى ثم ساروا جميعا مع السلطان الب ارسلان الى تسبيذ شهر فجرى بين أهلها وبين المسلين حروب شديدة استشهد فيها من المسلمين كثير ثم أن الله تعالى يسر فتحها فملكها ألب أرسلان وسار منها الى مدينة اعال لال وهى حصينة عالية الاسوار شاهقة البنيان وهى من جهة الشرق والغرب على جبل عال وعلى الجبل عدة من الحصون ومن الجانبين الآخرين نهر كبير فلما رآها المسلمون علموا عجزهم عن فتحها والاستيلاء عليها وكان ملكها من الكرج وهكذا ما تقدم من البلاد التى ذكرنا فتحها وعقد السلطان جسرا على النهر عريضا واشتد القتال وعظم الخطب فخرج من المدينة رجلان يستغيثان ويطلبان الامان والتمسا من السلطان ان يرسل معهما طائفة من العسكر فسير جمعا صالحا فلما جازوا الفصيل احاط بهم الكرج من اهل المدينة وقاتلوهم فأكثروا القتل فيهم ولم يتمكن المسلمون من الهزيمة لضيق المسلك وخرج الكرج من البلد وقصدوا العسكر واشتد القتال وكان السلطان ذلك الوقت يصلى فأتاه الصريخ فلم يبرح حتى فرغ من صلاته وركب وتقدم الى الكفار وقاتلهم وكبر المسلمون عليهم فولوا منهزمين فدخلوا البلد والمسلمون معهم ودخلها السلطان وملكها واعتصم جماعة من اهلها فى برج من ابراج المدينة فقاتلهم المسلمون فامر السلطان بالقاء الحطب حول البرج واحراقه ففعل ذلك واحرق البرج ومن فيه وعاد السلطان الى خيامه وغنم المسلمون من المدينة مالايحد ولايحصى ولما جن الليل عصفت ريح شديدة وكان قد بقى من تلك النار التى احرق بها البرج بقية كثيرة فأطارتها الريح فاحترقت المدينة بأسرها وملك السلطان قلعة حصينة كانت الى جانب تلك المدينة ثم سار منها الى ناحية قرس ومدينة آنى وبالقرب منها ناحيتان يقال لهما دسل ورده ونوره فخرج أهلهما مذعنين بالاسلام وخربوا البيع وبنوا المساجد وسار منهما الى مدينة آنى فوصل اليها فرآها مدينة حصينة شديدة الامتناع لاترام ثلاثة ارباعها على نهر ارس والربع الآخر نهر عميق شديد الجرية لو طرحت فيه الحجارة الكبار لاخذها وحملها والطريق اليها على خندق عليه سور من الحجارة الصم وهى بلدة كبيرة عامرة كثيرة الاهل فيها مايزيد على خمسمائة بيعة فحصرها وضيق عليها الا ان المسلمين قد أيسوا من فتحها لما رأوا من حصانتها فعمل السلطان برجا من خشب وشحنه بالمقاتلة ونصب عليه المنجنيق ورماة النشاب فكشفوا الكرج عن السور وتقدم المسلمون اليه لينقبوه فأتاهم من لطف الله مالم يكن فى حسابهم فانهدمت قطعة كبيرة من السور بغير سبب فدخلوا المدينة

للحجاج وفيه يقول بعض أدباء دمشق وقد حج

(أنخ الركاب فهذه ام القرى * قد لاح نور الهدى من مشكاتها
واجعل شعارك منه تقوى الله كى * تستنتج الخيرات من بركاتها

قال ولم يزل كذلك عالى الهمة ميمون النقيبة الى ان تغلب عليه غالب الاشراف وخرج السيد أحمد بن غالب مفارقاله فى نحو ثلاثين شريفا من ذوى مسعود وغيرهم

(ولاية الشريف سعيد بن بركات بن محمد سنة ١٠٩٤

وبعد وفاة الشريف بركات تولى ابنه مولانا الشريف سعيد بن بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن أبى نمى ألبسه قاضى مكة خلعة الاستمرار بموجب أمر السلطان الذى بيده المتضمن كونه ولى عهد أبيه ولم ينازعه فى ذلك احد من السادة الاشراف ولما كان يوم الجمعة سلخ ربيع الثانى نزل مولانا الشريف سعيد الى الحطيم وحضر الفقهاء وأكابر الدولة وقرأ مرسومه الوارد فى حياة أبيه ثم جهز قاصدا الى الابواب السلطانية بخبر وفاة والده وبطلب صريح الاستمرار وكتب له على عرضه علماء مكة فوصل جوابه من صاحب مصر ثانى رجب المبارك من السنة المذكورة وفيه التعزية

وقتلوا من اهلها مالا يحصى عددهم بحيث أن كثيرا من المسلمين عجزوا عن دخول البلد بسبب كثرة القتلى واسروا وانحوا مما قتلوا وسارت البشرى بهذه الفتوحات فى البلاد فسر المسلمون وقرئ كتاب الفتح ببغداد فى دار الخليفة فبرز خط الخليفة بالثناء على الب ارسلان والدعاء له ورتب فيها اميرا فى عسكر جرار وعاد عنها وقد ارسله ملك الكرج فى الهدنة فصالحه على اداء الجزية كل سنة فقبل ذلك وفى سنة ثنتين وستين وأربعمائة أقبل ملك الروم من القسطنطينية فى عسكر كثيف الى الشام ونزل على مدينة منبج ونهبها وقتل اهلها وهزم جموعا للعرب ثم ارتحل وعاد الى بلاده ولم يمكنه المقام لشدة الجوع

﴿ ذكر خروج ملك الروم الى خلاط واسره ﴾

فى سنة ثلاث وستين وأربعمائة خرج ارمانوس ملك الروم فى مائتى ألف من الروم والفرنج والروس والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد فجاؤا فى تجمل كثير وزى عظيم وقصد بلاد الاسلام فوصل الى ملازكرد من اعمال خلاط فبلغ السلطان الب ارسلان الخبر وهو بمدينة خوى من اذربيجان وسمع مافيه ملك الروم من كثرة الجموع فلم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو فسير الاثقال مع زوجته ونظام الملك الى همدان وسار هو فيمن معه من العساكر وهم خمسة عشر ألف فارس وجد فى السير وقال لهم انى اقاتل محتسبا صابرا فان سلمت فنعمة من الله وان كانت الشهادة فان ابنى ملكشاه ولى عهدى وساروا فلما قاربوا العدو جعل له مقدمة فصادفت مقدمته عند خلاط مقدم الروسية فى نحو عشرة آلاف فاقتتلوا فانهزمت الروسية واسر مقدمهم وحمل الى السلطان فجدع أنفه وأنفذ بالسلب الى نظام الملك وأمره ان يرسله الى بغداد فلما تقارب العسكران أرسل السلطان الى ملك الروم يطلب منه المهادنة فقال ملك الروم لاهدنة الا بالرى فانزعج السلطان لذلك فقال له امامه وفقيهه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخارى الحنفى انك تقاتل عن دين الله وقد وعد الله بنصره واظهاره على سائر الاديان وارجو ان يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال فى الساعة التى تكون الخطباء على المنابر فانهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالاجابة فلما كانت تلك الساعة صلى بهم وبكى السلطان فبكى الناس لبكائه ودعا ودعوا معه وقال لهم من أراد الانصراف فلينصرف فاهاهنا سلطان يأمر وينهى وألقى القوس والنشاب وأخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط وقال ان قتلت فهذا كفنى وزحف الى الروم وزحفوا اليه فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه على التراب وبكى وأكثر الدعاء ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه فحصل المسلمون فى وسطهم وحجز الغبار بينهم فقتل المسلمون فيهم كيف شاؤا وانزل الله نصره عليهم فانهزم الروم وقتل منهم مالا يحصى حتى امتلأت الارض من جثث القتلى واسر ملك الروم اسره بعض الغلمان فأراد قتله ولم يعرفه فقال له خادم مع ملك الروم لاتقتله فانه الملك وكان هذا الغلام الذى اسره قد عرضه سيده على نظام الملك فرده استحقارا له فأثنى عليه سيده فقال نظام الملك عسى ان يأتينا

الامر السلطانى فى الرابع والعشرين من شعبان وفى الثامن والعشرين ورد من الروم أغا وأخبر أنه ورد صحبة مولانا السيد أحمد ابن غالب وانه معه أمر سلطانى مخاطب به المرحوم الشريف بركات مضمونه ارضاء السيد أحمد بن غالب وابقاؤه وجميع معاليمه والوصاية على السادة الاشراف وان لا يحوج مولانا الشريف أحدا منهم الى الوصول الى الابواب وان تكون البلد أرباعا الربع منها لمولانا الشريف والثلاثة الارباع للسادة الاشراف وأخبر الاغا ان السيد أحمد واصل وانه فارقه فى الطريق وكان قد وصل قبل ذلك أمر بذلك للشريف سعيد عقب وفاة أبيه فأظهره ثم وصل السيد أحمد بن غالب وصار تقسيم الارباع ومن ذلك حصل الاختلاف بين الاشراف فكتب السيد أحمد بن غالب مائتين من العسكر لنفقتها من مضروب العالم واخترت اليه عبيد ذوى زيد وفى خلاصة الاثر بعد ذكر وفاة الشريف بركات قال ثم عقد مجلس الاجتماع يوم الجمعة ثانى يوم الوفاة بالحطيم حضره الاشراف والعلماء والاعيان والعساكر فأظهر الشريف سعيد أمرا سلطانيا كان برز

بملك الروم اسيراً فكان كذلك فلما أسر الغلام ملك الروم أحضره عند سيده فقصد السلطان
واخبره بأسر الملك فأمر باحضاره فلما احضره ضربه السلطان الب ارسلان ثلاثة مقارع
بيده وقال له الم ارسل اليك في الهدنة فأبيت فقال دعني من التوبيخ وافعل ماتريد فقال
السلطان ماعزمت ان تفعل بي ان أسرتني فقال افعل القبيح قال له فما تظن انى افعل بك
قال اما ان تقتلني واما ان تشهرني في بلاد الاسلام والاخرى بعيدة وهي العفو وقبول
الاموال واصطناعي نائباً عنك قال ماعزمت على غير هذا ففداه بألف الف دينار وخمسمائة
الف دينار وان يرسل اليه عساكر الروم أى وقت طلبها وان يطلق كل اسير في بلاد الروم
واستقر الامر على ذلك وأنزله في خيمة وأرسل اليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها وأطلق له
جماعة من البطارقة وخلع عليه من الغد فقال ملك الروم اين جهة الخليفة فدل عليها فقام
وكشف رأسه وأومأ الى الارض بالخدمة وهادنه السلطان خمسين سنة وسيره الى بلاده
وسير معه عسكرا أوصلوه الى مأمنه وشيعه السلطان فرسخا وأما الروم فانهم لما بلغهم خبر
الوقعة واسر الملك وثب ميخائيل على المملكة فلك البلاد فلما وصل أرمانوس الملك الى قلعة
دوقية بلغه الخبر فلبس الصوف واظهر الزهد وارسل الى ميخائيل يعرفه ما تقرر مع السلطان
وقال ان شئت ان تفعل ما استقر وان شئت امسكت فأجابه ميخائيل بايثار ما استقر وطلب
وساطته وسؤال السلطان في ذلك وجمع ارمانوس ماعنده من المال وكان مائتي الف دينار
فأرسله الى السلطان وطبقا ذهبا عليه جواهر بتسعين الف دينار وحلف له انه لايقدر على
غير ذلك ثم ان ارمانوس استولى على أعمال الارمن وبلادهم ومدح الشعراء السلطان
الب ارسلان وذكروا هذا الفتح فأكثروا لانه يشبه فتوحات الصحابة رضي الله عنهم

ذكر مقتل السلطان الب ارسلان

في سنة خمس وستين وأربعمائة قصد السلطان الب ارسلان ماوراء النهر لقتال ملك من
ملوك الاسلام خرج عن طاعته اسم الملك شمس الملك فعقد على جيحون جسرا وعبر عليه في
نيف وعشرين يوما وعسكره يزيد على مائتي الف فارس فأتاه اصحابه بمستحفظ قلعة يعرف
بيوسف الخوارزمي جرى منه جناية وارتكاب وحمل الى قرب سريره مع غلامين فأراد
عقابه على ارتكابه فأمر ان تضرب له اربعة اوتاد وتشد اطرافه اليها فقال له يوسف
يامخنث مثلي يقتل هذه القتلة فغضب السلطان الب ارسلان واخذ القوس والنشاب وقال
للغلامين خلياه ورماه السلطان بسهم فأخطأه ولم يكن يخطئ سهمه فوثب يوسف يريده
والسلطان على سريره فقام عنه وعثر فوقع فبرك عليه يوسف وضربه في خاصرته
بسكين كانت معه وقتل الاتراك يوسف وقطعوه ونهض السلطان فدخل الى خيمة أخرى
ومات السلطان من جراحته تلك ومات بعد أيام وكان أهل سمرقند لما بلغهم عبور السلطان النهر
اجتمعوا وختموا ختمات وسألوا الله ان يكفيهم أمره فاستجاب الله لهم ولما جرح السلطان
قال مامن وجه قصدته وعدو أردته الا استعنت بالله تعالى عليه ولما كان أمس صعدت
على تل فارتجت الارض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت في نفسي انا ملك الدنيا

لما أرسله والده الى السلطان ان الملك له بعد أبيه فقرئ بذلك الجمع ولم تقع مخالفة من أحد
وكان قد ورد للشريف
سعيد بعد وفاة أبيه
الامر بالارباع فأخفاه وكان
الاشراف متحققين خبره
قبل وصوله فطلبوه من
الشريف سعيد فأحضره
الى مجلس الشرع وسجل
مضمونه وقسموا مدخول
البلاد أرباعا ربع لشريف
مكة وربع تشيخ فيه
السيد محمد بن أحمد بن
عبدالله بن حسن بن حسين
ابن أبي نمي والسيد ناصر
بن أحمد الحارث ومعهما
جماعة من الاشراف
والربع الثالث تشيخ فيه
السيد أحمد بن غالب
والسيد أحمد بن سعيد
ومعهما جماعة والربع الرابع
تشيخ فيه السيد عمرو بن
محمد والسيد غالب بن زامل
ومعهما جماعة فحصل
بذلك التشاجر في القسمة
والتعب والتشاحن ووقع
في البلاد السرقة والنهب
واختلفوا فيما بينهم
وصارت الرعية بالارباع
ولزم من ذلك ان كل
صاحب ربع يكون له كتبة
وخدام يجمعون ماهو له
وجمع السيد احمد بن غالب
عسكرا وانضم اليه
من العبيد كثير فتعصب
الشريف سعيد بذلك
وأمرهم بترك العسكر فامتنعوا وقالوا ان السوالف سبقت بمثل هذا لصاحب الربع وشهد بذلك كبار الاشراف وذكر الشريف

ومابقدر أحد على فعجزني الله ته لي بأضعف خلقه وأنا استغفر الله واستقيله من ذلك الخاطر وتملك بعده ابنه ملكشاه وفي سنة سبع وستين وأربعمائة توفي القائم بأمر الله وبويع حفيده المقتدي بأمر الله وفي سنة ثمان وستين اخذت مدينة منبج من الروم ورجعت الى الاسلام والذي انتزعها منهم نصر بن محمود بن مرداس

﴿ ذكر فتوح في بلاد الهند ﴾

في سنة اثنتين وسبعين واربعمائة غزا الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود سبكتكين صاحب غزنة بلاد الهند فحصر قلعة أجور وهي على مائة وعشرين فرسخا من لهاور وهي قلعة حصينة في غاية الحصانة كبيرة تحوي عشرة آلاف رجل من المقاتلة فقاتلوه وصبر وانحت الحصر وزحف اليهم غير مرة فرأوا من شدة حربه ماملأ قلوبهم خوفا ورعبا فسلموا القلعة اليه وفتح أيضا قلعة روبال وكانت على رأس جبل وليس لها طريق الا من مكان ضيق مملوء بالفيلة والمقاتلة وبها من رجال الحرب الوف كثيرة فتابع عليهم الوقائع والح عليهم بالقتال بجميع انواع الحرب الى ان ملك القلعة واستنزلهم منها وكان في موضع يقال له دره نوره أقوام من الكفار لم يتعرض اليهم أحد من الملوك فسار اليهم ابراهيم ودعاهم الى الاسلام أولا فامتنعوا من اجابته وقاتلوه فظفر بهم وأكثر القتل فيهم وتفرق من سلم منهم في البلاد وسبى واسترق من النسوان والصبيان مائة الف ثم قصد موضعا آخر يقال له وره في طريقه عقبات كثيرة وأشجار ملتفة واهله كفار فقاتلهم ثلاثة اشهر الى ان نصره الله عليهم فقتل كثيرا منهم وسبى وغنم وعاد سالما وكان ابراهيم بن مسعود بن محمود عاقلا ذا رأي متين فمن آرائه أن السلطان ملكشاه السلجوقي جمع عساكره يريد قتال ابراهيم المذكور في غزنة وينتزع الملك منه ونزل باسفرار فكتب ابراهيم بن مسعود كتبا الى جماعة من اعيان امراء ملكشاه يشكرهم ويعتذر لهم بما فعلوا من تحسين قصد ملكشاه بلاده ليتم لنا ما استقر بيننا من الظفر به وتخليصهم من يده ويعدهم الاحسان على ذلك وأمر القاصد بالكتب ان يتعرض ملكشاه في الصيد ففعل ذلك فأخذ واحضر عند السلطان فسأله عن حاله فأنكره فأمر السلطان بجلده فجلد فدفع الكتب اليه بعد جهد ومشقة فلما وقف ملكشاه عليها تخيل على امرائه وترك المسير الى ابراهيم وعاد الى بلده ولم يقل لاحد من امرائه في هذا الامر شيأ خوفا ان يستوحشوا منه ثم وقعت المكاتبة بينه وبين ابراهيم والمصافاة حتى زوج ابراهيم ابنه مسعود بابنة ملكشاه

﴿ ذكر فتح انطاكية وانتزاعها من الروم ﴾

في سنة سبع وسبعين واربعمائة سار سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب قونية الى الشام فملك مدينة انطاكية وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة حصرها بعساكره ونصب السلالم فصعدوا اهلها واخذ البلد فقاتله اهل البلد فهزمهم مرة بعد اخرى وقتل كثيرا من اهلها ثم أذعنوا له فعفا عنهم وتسلم القلعة واحسن الى الرعية ورجع سالما

﴿ ذكر استيلاء الفرنج على جزيرة صقلية ﴾

في سنة اربع وثمانين واربعمائة خرج الفرنج بجموع كثيرة وتملكوا جزيرة صقلية بعد حروب

سعيد انه متوهم من هذا الفعل وطلب من يكفل له ابن غالب فكفله عشرة من الاشراف واصطلحا على ذلك ثم ادعى الشريف سعيد أن عبيدهم أتلفوا البلاد والقصدان أهل الارباع كل منهم يرسل رجلا من جانبه بعض البلاد بالليل مع جماعته فأرسل ابن غالب أخاه السيد حسنا وأرسل السيد محمد بن أحمد ابنه السيد بركات وأرسل الشريف سعيد السيد حمزة ابن موسى بن سليمان في جماعة من الخيالة والمشاة ومعهم حاكم مكة القائد أحمد بن جوهر ولما قدم الحاج وخرج الشريف لملاقاته على المعتاد لم يخرج معه الاشراف في العرضة فبعد ان حج الناس ونزلوا عقد الشريف مجلسا فيه أحمد باشا حاكم جدة وأمير الحاج الشامي صالح باشا وأمير الحاج المصري ذو الفقار بيك وأمين الصرة وأكابر عسكر الجبين فلما حضر واجميعهم شكا من السيد أحمد بن غالب من جهة كتابة العسكر وانه منا كده له في البلاد وأفسد عليه الاشراف وأنه حصل منه ومن جماعته الفساد في البلاد وأرسلوا له السيد غالب بن زامل ليحضر فيظهر من الخلاف فامتنع من الحضور في بيت الشريف سعيد وقال ان كان القصد الاجتماع ففي المسجد وان كان لكم دعوى فاوكل وكيلا يسمع

كثيرة وكان ملوك المسلمين بصقلية لما ضعف أمر الخلفاء قد تفرقوا بممالك صقلية وصارت كل جهة منها بيد ملك متغلب عليها مستبد لا يسأل عن غيره فصار الفرنج ينتزعون تلك الممالك منهم مملكة بعد مملكة الى أن بقي بأيدي المسلمين قصريانة وجرجنت فحصرهما الفرنج في سنة اربع وثمانين واربعمائة بجيوش كثيرة فكان من ذلك ذل للمسلمين وتضييق شديد عليهم حتى أكلوا الاموات فلما اشتد الامر عليهم أذعنوا الى التسليم فتسلمها الفرنج لعنهم الله تعالى في السنة المذكورة فصارت الجزيرة كلها بأيديهم وفي سنة خمس وثمانين توفي السلطان ملكشاه السلجوقي ووقع بين أولاده اختلاف وحروب كثيرة لطلب الملك وفي سنة سبع وثمانين واربعمائة توفي المقتدي بأمر الله وبويع ابنه المستظهر بالله ثم ان الفرنج لما ملكوا صقلية بالتمام كان الملك عليهم رجار الفرنجي من ملوك ايطاليا ثم طمعوا في تملك كثير من افريقية فخرجوا في اسطول كبير وجم غفير من مشهوري فرسان الفرنج فحاصروا مدينة جربة ونزلوا بساحتها وأداروا المراكب بجهاتها فاجتمع أهلها وقاتلوا قتالا شديدا فقتل منهم بشر كثير ثم انهزموا وملك الفرنج الجزيرة وغنموا أموالها وسبوا حريمها ونساءها وهلك أكثر رجالها ومن بقي منهم أخذوا لانفسهم امانا من صاحب صقلية وافتكوا اسراهم وسبيهم وحريمهم ثم بعد مدة سارت مراكب الفرنج من صقلية الى طرابلس الغرب فحصروها وعلقوا الكلاليب في سور البلد ونقبوه ثم وصل جماعة من العرب نجدة لاهل البلد فقوى أهل البلد بهم فخرجوا الى الاسطول فحملوا عليه حملة منكرة فانهزموا هزيمة فاحشة وقتل منهم خلق كثير ولحق الباقون بالاسطول وتركوا الاسلحة والاثقال والدواب والآلات فنهبها العرب وأهل البلد ورجع الفرنج الى صقلية فجهزوا أسلحتهم وتجهزوا الى المغرب فوصلوا الى جيجل فلما رآهم اهل البلد هربوا الى البراري والجبال فدخلها الفرنج وسبوا من أدركوا فيها وهدموها وأحرقوها وأخربوا القصر الذي بناه الامير يحيى بن عبد العزيز بن حماد للنزهة ثم عادوا ثم جهزوا اسطولا كثيرا وسيروه الى طرابلس الغرب فأحاطوا بها برا وبحرا فخرج اليهم اهلها وأنشبوا القتال فدامت الحرب بينهم ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع وقع اختلاف بين اهل طرابلس مع بعضهم آل الامر فيه الى قتال بعضهم بعضا فانتهز الفرصة الفرنج ونصبوا السلالم وطلعوا على السور واشتد القتال فملكت الفرنج البلد عنوة وقهرا بالسيف فسفكوا دماء اهلها وسبوا نساءهم واخذوا اموالهم وهرب من قدر على الهرب والتجأ الى البربر والعرب ثم نودي بالامان في كافة الناس فرجع كل من فر منها واقام الفرنج ستة اشهر حتى حصنوا سورها وحفروا خنادقها ولما رجعوا اخذوا رهائن من اهلها وولوا عليها رجلا من اهلها وأخذوا رهائنه وحده وأعادوا رهائن غيره واستقامت امور المدينة والزم ملكهم اهل صقلية والروم بالسفر اليها وعمرت سريعا ثم ان اهل قابس عصى اميرهم على الحسن بن على بن يحيى بن تميم امير افريقية وكاتب صاحب صقلية وبذل له الطاعة وقال له اريد منك خلعة وعهدا بولاية قابس لاكون نائبا عنك فسير اليه صاحب صقلية الخلعة والعهد فلبسها وقرئ العهد بجمع من الناس فسمع بذلك الحسن امير افريقية فجهز عسكرا كثيرا فساروا الى قابس ونازلوها وحصروها فثار اهل البلد

ما تدعون به على فأرسلوا يسألونه من جهة كتابة العسكر وما بعده فأجاب بأن هذه قواعد بيننا قد سلفت ان لصاحب الربع ان يكتب عسكرا وأما قولكم انه حصل من جماعتي أو عسكري مفسدة فأطلقوا مناديا ينادي معاشر الناس كافة هل أحد منكم يشتكي من أحمد بن غالب أو من جماعته أو من عسكره شيأ أو أخذوا حق أحد ظلما أو ضربوا أحدا فان وجدتم مشتكيا صح ما قاله الشريف سعيد والا فلا وجه له ولكم وأما قولكم انا تركنا العرضة معه فخفنا ان يقع شيء فينسب الينا أو الى جماعتنا كل هذا وجميع الاشراف اجتمعوا على قلب واحد وخيولهم مسرجة ودروعهم على أظهرهم وملئوا اجياد الى العقد وتحركت الانفة الهاشمية التي تأبى الضيم ولما سمعوا جواب السيد احمد بن غالب علموا أنه لا وجه له عليه فسعوا في الصلح بينهما وكتب بينهما بذلك حجة وطلبوا من السيد أحمد بن غالب ان يأتي الى الشريف سعيد فأتاه ليلة ثم اتاه الشريف سعيد ليلة أخرى وتم الصلح وحصل من الشريف سعيد في ذلك الموسم انه أمر مناديا ينادي في البلاد باخراج الاعراب من مكة من جميع الطوائف فحصل للناس مزيد تعب فتكلم

بالامير الذي ملكها لصاحب صقلية وقبضوا عليه بعد قتال بينهم وبينه وسيروه الى أمير
افريقية فقتله بعد تعذيبه بأنواع العذاب من ذلك أنهم قطعوا ذكره وجعلوه في فيه وتولى
على قابس معمر بن رشيد وهرب جماعة من اقارب الامير الأول الى صقلية وشكوا الى
صاحب صقلية واستجاروا به فغضب لذلك فجهز اسطولا كثيرا بلغ نحو مائتين وخمسين
شينيا مملوءة رجالا وسلاحا وقوتا وقصدوا المهدية وكان بها أمير افريقية الحسن بن علي
وكان قد حصل بافريقية في تلك السنين قحط وغلاء شديد حتى ان أكثر الناس فارقوا البلاد
والقرى وصاروا الى صقلية فلما علم الحسن بن علي بمسير الفرنج اليه جمع الفقهاء والأعيان
وشاورهم في القتال فقالوا نقاتل عدونا فان بلدنا حصين فقال اخاف أن يحصرونا برا
وبحرا ويحولوا بيننا وبين الميرة وليس عندنا ما نقتات به شهرا فنؤخذ قهرا وانا أرى
سلامة المسلمين من الاسر والقتل خيرا من الملك فارأى ان نخرج بالأهل والولد ونسلم البلد
فمن أراد أن يفعل ذلك فليبادر ثم أمر في الحال بالرحيل وأخذ معه من حضره وما خف حمله
وخرج ناس كثير معه بأهلهم وأموالهم وأولادهم ومن الناس من اختفى عند النصارى وفي
الكنائس ثم دخل الفرنج البلد بلا مانع ولا مدافع ووجدوا قصر الأمير بحاله لم يأخذ
الحسن منه الا ما خف من ذخائر الملوك وفيه جماعة من حظاياه ورأوا الخزائن مملوءة من
الذخائر وكل شئ نفيس غريب يقل وجود مثله فختم الفرنج عليه وجمعوا سراري الحسن
من قصره ونهبت المدينة مقدار ساعتين ثم نادوا بالأمان فخرج من كان مستخفيا وبعد جمعة
رجع أهل البلد وأما الحسن أمير افريقية فانه سار الى ملك مراكش عبد المؤمن بن علي
فأكرمه وأحسن نزله وبقي عنده مكرما الى ان فتح المهدية عبد المؤمن بن علي كما سيأتي
ذكر ذلك ولما استقر الفرنج بالمهدية سيروا اسطولا الى سفاقس واسطولا الى مدينة سوسة
واسطولا الى قابس فأما اهل سوسة فانهم لما سمعوا خبر المهدية وكان اميرهم علي بن الحسن
اميرا فريقية خرج على المذكور والتحق بأبيه الحسن وخرج الناس لخروجه ودخل الفرنج
البلد بلا قتال وأما سفاقس فان اهلها أتاهم كثير من العرب فامتنعوا بهم فقاتلهم الفرنج
فخرج اليهم اهل البلد فأظهر الفرنج الهزيمة وتبعهم الناس حتى أبعدوا عن البلد ثم عطفوا
عليهم فانهزم قوم الى البلد وقوم الى البرية وقتل منهم كثير ودخل الفرنج البلد فملكوه
بعد قتال شديد وقتلى كثيرة واسر من بقي من الرجال وسبي الحريم ثم نودي بالأمان فعاد
اهلها اليها وافتكوا حريمهم وفعلوا مثل ذلك بقابس وملكوها ثم سار الفرنج الى قلعة
قليبية وهي قلعة حصينة فلما وصلوا اليها سمع بذلك العرب فاجتمع منهم خلق كثير وقاتلوا
الفرنج حتى هزموهم وقتلوا من الفرنج خلقا كثيرا فرجعوا خاسرين الى المهدية ثم رجع
الفرنج اليهم مرة اخرى وملكوها والحاصل ان الفرنج لما ملكوا صقلية تتابعت اغاراتهم
على افريقية فملكوا الجزائر ومالطة وجربة وتطاون وغير ذلك وصار للفرنج من طرابلس
الغرب الى قريب تونس ومن الغرب الى القير و ن وكانت هذه الوقائع متتابعة في سنين وكان
انتهاؤها سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وذكرناها متتابعة ليتصل بعضها ببعض وفي سنة
اربع واربعين وخمسمائة اختلف ملك الفرنج صاحب صقلية وملك القسطنطينية وجرى

العسكر معه في ذلك فرجع فلما رأى أحمد باشا حاكم جدة اختلال حاله سطا على ربع حب الجراية
التي ترد الى مكة وأراد
الاستيلاء عليه فبلغ ذلك
الاشراف فلما كان يوم الجمعة
ثاني عشر المحرم افتتاح
سنة خمس وتسعين وألف
أراد النزول الى جدة
فشكت عليه الاشراف
بعد ان كلموه في ذلك فامتنع
وتحزبوا جميعا وقالوا لا ينزل
حتى يعطينا ما هو لنا ولا يبق
لنا عنده شئ وكان ذلك
بعد أن قدم أهله وثقله الى
خارج مكة قاصدين جدة
فصار حينئذ أحير من ضب
واجتمعوا كلهم بيت السيد
محمد بن جود وأرسلوا اليه
السيد ثقبة فقال له ان
نزلت قبل أن تصلح
الاشراف يأخذوا جميع
أسبابك التي تقدمتك
وينهبوا حرمك ويقتلوك
فأذعن حينئذ بوفائهم فقالوا
لا نرضى بذلك حتى يكفل
لنا فكفله كرد أحد أغا
وجميع رؤساء العسكر
وكتب بذلك حجة وانه ان
حصل منه منع لبعض
حقوقهم يكن عاصي الشرع
والسلطان ثم خرج من
مكة بعد العصر كالهارب
وطلب منهم شريفا
يوصلهم الى جدة خوفا
من العرب أن يطمعوا فيه
ففعلوا ذلك وأرسلوا معه
السيد مبارك بن ناصر ثم
اشتد البلاء بالسرقة ليلا ونهارا وكسرت البيوت والدكاكين وترك الناس صلاة العشاء والفجر

(بينهما)

بينهما حروب كثيرة ودامت عدة سنين فاشتغل بعضهم ببعض عن المسلمين ولولا ذلك لملك صاحب صقلية جميع بلاد افريقية وكان القتال بينه وبين صاحب القسطنطينية براً وبحراً والظفر في جميع ذلك لصاحب صقلية حتى دخل فم المينا وأخذ عدة شواني لصاحب القسطنطينية واسر كثيرا من الروم ورمى الفرنج طاقات قصر الملك بالنشاب وكان الذي يفعل هذا بالروم وبالمسلمين جرجي وزير صاحب صقلية ثم هلك جرجي ولم يكن عند صاحب صقلية من يقوم مقامه فعقد صلحا مع صاحب القسطنطينية وسكنت الفتنة وفي سنة ثمان واربعين وخمسمائة هلك رجار ملك صقلية وكان عمره قريبا من ثمانين سنة وملك بعده ولده غليالم وكان فاسد التدبير وسلك طريقة ملوك الاسلام من الجنائب والحجاب وغير ذلك وأسكن في الجزيرة صقلية الفرنج مع المسلمين واكرم المسلمين ومنع من التعدي عليهم وقربهم فخرج عن حكمه عدة حصون من حصون صقلية وتعدى الامر الى افريقية فانه لما كانت سنة احدى وخمسين وخمسمائة قوى طمع الناس فيه فخرج عن طاعته جزيرة جربة وجزيرة قرقنة وأظهروا الخلاف عليه وخالف عليه أهل افريقية منهم اهل سفاقس وقد كان ابوه رجار لما فتحها استعمل عليها ابا الحسين العرياني وكان من العلماء الصالحين فأظهر العجز والضعف وقال له استعمل ولدي فاستعمل ولده عمر ابن ابي الحسين واخذ اباه رهينة الى صقلية فلما أراد المسير اليها قال لولده عمر اني كبير السن وقد قارب أجلي فتى امكنتك الفرصة في الخلاف على العدو فافعل ولا تراقبهم ولا تنظر ني اني اقتل واحسب اني قد مت فلما وجد الفرصة دعا اهل المدينة الى الخلاف وقال يطلع جماعة منكم الى السور وجماعة يقصدون مساكن الفرنج والنصارى جميعهم ويقتلونهم كلهم فقالوا له ان سيدنا الشيخ والدك نخاف عليه قال هو أمرني بهذا واذا قتل بالشيخ الوف من الاعداء فما مات فلم تطلع الشمس حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم ثم تبعه يحيى بن مطروح بطرابلس وفعل مثل فعله وبعدهما محمد بن رشيد بقابس وسار عسكر لعبد المؤمن الى بونة فلكوها وخرج جميع افريقية عن حكم الفرنج ماعدا المهدية وسوسة وأرسل عمر بن ابي الحسين الى زويلة وهي مدينة بينها وبين المهدية نحو ميدان يحرضهم على الوثوب على من معهم فيها من النصارى ففعلوا ذلك وقدم عرب البلاد الى زويلة فأعانوا اهلها على من بها من الفرنج وقطعوا الميرة عن المهدية فلما اتصل الخبر بغليالم ملك صقلية أحضر ابا الحسين والدعمر صاحب سفاقس وعرفه ما عمل ابنه وأمره ان يكتب اليه ينهاه عن ذلك ويأمره بالعود الى طاعته ويخوفه عاقبة فعله فقال له من قدم على هذا لا يرجع بكتاب فأرسل ملك صقلية اليه رسولا يتهدده ويأمره بترك ما ارتكبه فلم يمكنه عمر من دخول البلد يومه ذلك فلما كان الغد خرج اهل البلد جميعهم ومعهم جنازة والرسول يشاهدهم فدفنوها وعادوا وأرسل عمر الى الرسول يقول له هذا أبي قد دفنته وقد جلست للعزاء فاصنعوا به ما أردتم فعاد الرسول الى غليالم فأخبره بما صنع عمر ابن ابي الحسين فأخذ أباه وصلبه فلم يزل يذكر الله حتى مات واما اهل زويلة فانهم كثر جمعهم بالعرب وبأهل سفاقس وغيرهم فحصروا المهدية وضيقوا عليها وكانت الاقوات بالمهدية قليلة فسير اليهم صاحب صقلية عشرين شينيا فيها الرجال والطعام والسلاح فدخلوا البلد وأرسلوا الى العرب وبذلوا لهم مالا لينهزموا وخرجوا من الغد

وكثرت القتلى في الرعية حتى ضبطت القتلى في رمضان فبلغت تسعة أشخاص فضجت الناس من هذه الاحوال فأرسل الشريف سعيد الى الابواب السلطانية ترجمانه يذكر فساد مكة وانها خربت وأرسل يطلب عسكرا لاصلاحها وكانت الناس في هذه المدة يتوسلون الى الله تعالى أن يصلح الامور فاستجاب الله دعاءهم فاقتضى نظرا لسلطان واركان دولته أن لا يصلح هذا الخلل الا الشريف أحمد بن زيد فاعطى الشرافة اهـ وسيأتي ذكر ذلك بعد اتمام الكلام على دولة الشريف سعيد

* (ذكر ورود الامر السلطاني باخراج الشيخ محمد بن سلمان وما وقع له عند خروجه) *

ففي مدته كان اخراج الشيخ محمد بن سليمان من مكة وذلك أنه في شهر شوال سنة خمس وتسعين ورد أمر سلطاني يتضمن اخراجه من الحرمين قدم به السيد أحمد بن غالب وسجل عند قاضي الشرع فلما سجله القاضي أرسل الى الوزير عثمان حميدان وبعثه مع نائبه الى الشيخ محمد بن سليمان يأمره بالخروج من الحرمين ويخبره بوروده

فاقتتلوا هم واهل زويلة فانهزمت العرب وبقي اهل زويلة واما اهل سفاقس فانهم ركبوا في البحر فنجوا وبقي اهل زويلة فحمل عليهم الفرنج فانهزموا الى زويلة فوجدوا ابوابها مغلقة فقاتلوا تحت السور وصبروا حتى قتل اكثرهم ولم ينج الا القليل فتفرقوا ومضى بعضهم الى عبد المؤمن فلما قتلوا من قتلوا هرب من سلم من الحرم والصبيان والشيوخ في البر ولم يعرجوا على شيء من اموالهم ودخل الفرنج زويلة فقتلوا من وجدوا فيها من النساء والاطفال ونهبوا الاموال واستقر الفرنج بالمهدية الى ان أخذها عبد المؤمن وسيأتي ان شاء الله ذكر ذلك هذا حاصل ما كان من الفرنج في افريقية وأما ما كان منهم في هذه السنين في الديار الشامية فسيأتي ذكره عند ذكر الحرب المسمى بحرب الصليب لكن ينبغي قبل ذلك ان نذكر بقية ما كان بالاندلس من الفتوحات والغزوات وما يتبع ذلك ثم بعد اتمام ذلك نذكر حرب الصليب

اتمام الكلام على غزوات الاندلس وما يتبع ذلك

قد تقدم ذكر بعض غزوات الاندلس باختصار ولو بسط الكلام فيها لطال وبقي كثير من غزواتها وأخبارها لم يذكر فينبغي اتمام الكلام على ذلك تتميما للفائدة واكثر التواريخ لم يذكروا فيها كثيراً من أخبار الاندلس فصار المشهور المستفيض عند اكثر الناس اخبار غير الاندلس مع ان المسلمين كان لهم بالاندلس ملك ضخم وكانت لهم وقائع ومجامع واخبار عجيبة فينبغي ذكر كثير من ذلك وان كان في بعض تلك الاخبار زيادة على الغزوات والفتوحات التي لاجلها كان جمع هذا الكتاب لان ذكر ذلك يحصل به زيادة فائدة ولا يخل بمقصود الكتاب وقد تقدم ان الاندلس فتح في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة اثنتين وتسعين على يد طارق بن زياد مولى موسى بن نصير بضم النون مصغرا والصاد المهملة وهو مولى عبد العزيز بن مروان والد عمر بن عبد العزيز وعبد العزيز هو اخو عبد الملك بن مروان والاندلس مشتمل على فحول العلماء المبرزين في كثير من الفنون ومشتمل على كثير من العجائب والمعادن وغير ذلك قال في نفح الطيب نقلا عن لسان الدين بن الخطيب خص الله بلاد الاندلس من الريع وغدق السقيا ولذاذة الاقوات وفراهة الحيوان ودرور الفواكه وكثرة المياه وتبحر العمران وجودة اللباس وشرف الآنية وكثرة السلاح وصحة الهواء وابيضاض الوان الاسنان ونبل الاذهان وفنون الصنائع وشهامة الطباع ونفوذ الادراك واحكام التمدن بما حرمه الكثير من الاقطار مما سواها أعادها الله للاسلام ببركة النبي عليه الصلاة والسلام وقال ايضا ان الاندلس بلد كريم البقعة طيب التربة خصب الجنان منبجس الانهار الغزار والعيون العذاب قليل الهوام وذوات السموم معتدل الهواء والجو والنسيم ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال وتوسط من الحال تتصل فواكهها اكثر الازمنة وتدوم متلاحقة غير مفقودة وفي نفح الطيب ان من الاندلس مدينة شنترة من خواصها ان القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضي اربعين يوما من زراعته وان التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة اشبار واكثر قال ابن اليسع قال لي ابو عبد الله الباكوري وكان ثقة ابصرت عند المعتمد بن عباد رجلا من أهل شنترة أهدى اليه أربعا من التفاح ما يقل الحامل على رأسه غيرها دور كل واحدة خمسة أشبار وفي الاندلس

الامر السلطاني فامتنع الشيخ من الخروج وقال ليس هذا وقت خروج من البلد واذا جاء الحج خرجت مع الحج فصعب القاضي في خروجه وعدم ابقائه الى الحج وطلع بنفسه الى مولانا الشريف وألح على اخراجه فأرسل مولانا الشريف سعيد بن عمه السيد رضوان بن عمرو بن ابراهيم والقائد أحمد بن جوهر الى الشيخ يأمره بالخروج وأنهم يعطونه كل ما يريد أوانه يحضر عند القاضي ويبدي عذرا فامتنع وقال ان الامر السلطاني ورد بان اخرج وأنا خارج اذا جاء الحج وأما الآن فلا ألقي بيدي الى التهلكة وليس في الامر ان أخرج يوم وصول هذا الامر وتعجيله فزادت صعوبة القاضي وبعث ترجمانه الى الوزير ليرسل معه عشرة من صارجية الشريف وأمرهم ان يأتوا بالشيخ مكرها البتة فجاؤا الى باب دار الشيخ وهو في المدرسة التي عند مدرسة الداودية المشهورة بمدرسة ابن سليمان والباب مغلق فهموا بكسر الباب والشيخ واقف في الطاقة يستغيث بالناس وينادي بأعلى صوته يا أهل مكة يا مسلمين اطلب شريعة محمد بن عبد الله ان أمر السلطان يقتلني فامضوه وان كان باخراجي فأنا خارج اذا جاء الحج والازدحام على بابه يجمع بين الخاص

من انواع المعادن مالا يحصى وفيه المدن الحصينة والمعاقل المنيعة والقلاع الحريزة والمصانع الجليلة وطول الاندلس ثلاثون يوما وعرضه سبعة أيام ويشقها اربعون نهرا كبارا وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار وازيد من ثلاثمائة من المتوسط وفيهما من القرى والحصون مالا يحصى كثرة حتى قيل ان عدد القرى التي على نهر اشبيلية اثنا عشر الف قرية وقيل ان طول الاندلس أربعون يوما وعرضه ثمانية عشر يوما واما طيب ثمار الاندلس فلا يعادله شئ في الدنيا قال بعض العلماء ان النصارى حرموا جنة الآخرة فأعطاهم الله جنة الدنيا يعني بذلك الاندلس وقال بعضهم ان المرية مدينة من مدائن الاندلس كان بها النسج طرز الحرير ثمانمائة نول وللحلل النفيسة والديباج الفاخر الف نول وللاسقلاطون كذلك وللثياب الجرجانية كذلك وللاصفهانية كذلك وكان بها من الحمامات نحو الالف واتسع ملك المسلمين فيها وكانت دور قرطبة أربعة عشر ميلا وعرضها ميلان وعدد دور الرعايا الواجب على أهلها المبيت داخل السور مائة الف دار وثلاثة عشر الف دار غير دور الوزراء واكابر الناس وعدة دور أهل الدولة ستة آلاف دار وثلثمائة دار ومساجدها ثلاثة آلاف وثمانمائة وثلاثون مسجدا وحماماتها سبعمائة وكانت قرطبة قبة الاسلام وبها استقر سرير الخلافة المروانية وهي معدن العلماء وهي من الاندلس بمنزلة الرأس من الجسد ومسجدها ليس له نظير في الدنيا طوله ثلاثمائة وثلاثون ذراعا وعرضه مائتان وخمسون ذراعا وسواريه الف وأربعمائة وهو مزخرف بالرخام والمرمر وماء الذهب واللازورد وبخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية في كل واحدة منها منبر وفقيه مقلس تكون الفتيا في الاحكام اليه وكانوا لا يكون فيهم مقلس الا من حفظ الموطأ وقيل الا من حفظ عشرة آلاف حديث وحفظ المدونة وكان هؤلاء المقلسون المجاورون لقرطبة يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويسلمون عليه ويخبرونه بأحوال بلدهم ويجعلون في مساجدهم نوابا يصلون بالناس الجمعة نيابة عنهم وتقدم ان ملوك بني امية الذين كانوا بالاندلس أول من تملك منهم عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان ويقال له عبد الرحمن الداخل كان ابتداء ملكه بالاندلس سنة ثمان وثلاثين ومائة هرب من الشام مستخفيا حين كان ابتداء دولة بني العباس وكانوا يقتلون بني امية فلما كان بالاندلس تغلب على عمال بني العباس الذين كانوا بالاندلس وانتزع الملك منهم فكان له ملك ضخم وكان في عصر المنصور ثاني خلفاء بني العباس وكان المنصور يسميه صقر قريش قال المنصور يوما لاصحابه اخبروني عن صقر قريش من هو قالوا امير المؤمنين يعنون المنصور الذي راض الملك وسكن الزلازل وحسم الادواء وأباد الاعداء قال ما صنعتم شيئا قالوا فمعاوية قال ولا هذا قالوا فعبدالملك ابن مروان قال ولا هذا قالوا فمن يا امير المؤمنين قال عبدالرحمن بن معاوية بن هشام الذي عبر البحر وقطع القفر ودخل بلدا أعجميا مفردا فمصر الامصار وجند الاجناد ودون الدواوين واقام ملكا بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة شكيمته ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذلل له صعبه وعبد الملك كان ببيعة له عقدها وامير المؤمنين يعني نفسه بطلب غيره واجتماع شيعته وعبدالرحمن منفرد بنفسه مؤيد برأيه مستصحب لعزمه اه وقد كانت مدة ملك عبدالرحمن الداخل ثنتين وثلاثين

والعام وأهله يضجون بالبكاء والنحيب فخرج عند ذلك العلامة الشيخ أحمد بن عبد اللطيف البشبيشي المصري وكان مجاورا بمكة وكان أعطاه الشيخ المدرسة الداودية يقيم فيها ويأخذ معلومها وطلع الى القاضي فلم يقبل شفاعته فرجع من عنده فرآه الشيخ محمد ابن سليمان فصاح بأعلى صوته مستغيثا به فوقف الشيخ وقال له يا شيخ محمد أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فقال أنا مطيع لله ورسوله ولأولي الامر ولم يأمر السلطان بقتل يحيى في هذا اليوم وأنا خارج مع الحج ولست بكافر وأودع من يسمعني شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنا غير مدافع للشرع ولست بخارج من داري فليصنعوا ما يرونه والعامة عن آخرهم تصرخ بسببه بأنواع السب الشنيع وجعل هو يسب مولانا الشريف سعيد او المرحوم مولانا الشريف بركات بأنواع السب وعم الجميع القول الفاحش ثم ان بعض أصحاب الشيخ لحق بمولانا الشريف ثقبة ابن قتادة واستغاثه وأطمعه فيه فخرج من بيته ودخل من باب رباط الغوري الذي عند باب الوداع وتسبب في الوصول الى الشيخ فدخل عليه وأمنه وأمر مولانا السيد ثقبة بفتح باب الدار فلما رآه العسكر ومن معهم وقفوا ورجعوا الى

أرسلهم ثم ان السيد ثقبة قال للشيخ ان كان لابد من خروجك فاخرج أنت وأنا الى بلدي بخليص واستقر عندي الى الحج فرضي ثم ان مولانا السيد ثقبة فرق الناس وطلع الى الشريف والقاضي وكلمهما بأنه في جواره واستأذنهما في بقائه بمكة الى الحج فبقي وقد ذلت صعوبته ولانت صعدته وانقبض انبساطه وتطأطأ اشتطاطه ثم سافر مع الحج وهكذا الدنيا قرضا بوفاء لاتدوم على صفاء وعمار مخ في المسامع ان الدنيا يجمعها غير الآكل ويأكلها غير الجامع ثم توفي في حادي عشر ذي القعدة سنة أربع وتسعين بالشام ودفن بالصالحية بسفح قاسيون وكان الشيخ محمد بن سليمان المذكور من أكابر العلماء وأصله من سوس وولد بها سنة ثلاث وثلاثين وألف وأخذ العلم بالمغرب وصحب أجلاء الشيوخ من أهل المغرب ولازم أكابر العلماء ثم رحل فطاف المغرب ثم رحل الى المشرق فدخل مصر وأخذ عن أكابرها وعلمائها ثم دخل أرض الحرمين وأقام بالمدينة المنورة ملازما غالب أوقاته للذكر والخلوة عن الناس ثم وصل مكة

سنة وخمسة اشهر توفي سنة اثنتين وسبعين ومائة وعمره تسع وخمسون اوثمان وخمسون سنة ومن عقبه الخليفة عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد عبد الرحمن الاوسط ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ولي الملك سنة ثلاثمائة وتوفي سنة ثلاثمائة وخمسين واتسع الملك بالاندلس في مدته ومن اتساعه انه بنى تجاه قرطبة مدينة سماها الزهراء لسكناه هي من عجائب الدنيا دالة على عظم قدر بانيها وأنفق فيها من الاموال خمسة وسبعين مائة ألف دينار وكان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتى وسبعمائة وخمسين فتى لهم من اللحم كل يوم ثلاثة عشر ألف رطل غير انواع الطير والحوت وعدد النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار والخدم ستة آلاف وثلاثمائة وأربعة عشر وعدد الصبيان الصقالبة ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبع وثمانون وقيل ستة آلاف وثمانمائة وثمانون والمرتب من الخبز لحيتان بحيرة الزهراء اثنا عشر ألف خبزة وينقع لها من الحمص كل يوم ستة اقفز واما اوصاف مدينة الزهراء فانها طويلة ثم لما كثرت الفتن في الاندلس هدمت تلك المدينة ومن أغرب مايحكى عن الناصر أنه أراد الفصد يوما فقعد في البهو الكبير المشرف بأعلى مدينة الزهراء واستدعى الطبيب لذلك فأخذ الطبيب الآلة وجس يد الناصر فبينما هو كذلك اذ أطل زرزور فصعد على اناء من ذهب في المجلس وأنشد ذلك الزرزور

ايها الفاصد رفقا بأمير المؤمنينا * انما تفصد عرقا فيه محيى العالمينا

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة فاستظرف الناصر ذلك وسربه غاية السرور وسأل عمن اهتدى الى ذلك وعلم الزرزور فذكروا له ان ام ولده الحكم صنعت ذلك واعدته لذلك الامر فوهب لها ماينيف على ثلاثين الف دينار وتقدم ان الناصر مكث في الملك خمسين سنة وكان اذا حصل له يوم كان مسرورا فيه بدون نكد وتكدير يكتبه ووجد ذلك مكتوبا بخطه فاذا هي اربعة عشر يوما في تلك الخمسين سنة وكان جده هشام بن عبد الرحمن الداخل يقتدي في سيرته بعمر بن عبد العزيز وكان يبعث بقوم من ثقاته يسألون الناس عن سيرة عماله ويخبرونه بحقائقها فاذا انتهى اليه جور من احد من عماله أوقع به وأسقطه وأنصف منه ولم يستعمله ولما وصفه زياد بن عبد الرحمن للامام مالك رضي الله عنه قال نسأل الله ان يزين موسمنا بمثل هذا وفي رواية نسأل الله ان يزين حرمنا بملككم او كلاما هذا معناه فبلغ هشاما ماقاله مالك مع مابلغه من جلالة مالك ودينه فحمل هشام الناس على مذهب مالك وكانوا قبل ذلك يأخذون بمذهب الاوزاعي فهشام هو السبب في انتشار مذهب الامام مالك بالمغرب وغزا هشام مدينة اربونة الشهيرة وافتتحها واشترط على المعاهدين من أهل جليقية ان ينقلوا عددا من احمال التراب من سور اربونة المفتتحة يحملونها الى باب القصر بقرطبة فبنى منه المسجد الذي قدام امام باب الجنان ومناقب هشام هذا كثيرة قال في العقد الفريد في وصفه هو احسن الناس وجها واشرفهم نفسا الكامل المروءة الحاكم بالكتاب والسنة الذي أخذ الزكاة على حلها ووضعها في حقها لم يعرف منه هفوة في حداثته ولازلة في أيام صباه وكان يصر الصرر بالاموال في ليالي المطر والظلمة ويبعث بها الى المساجد فيعطى من وجد فيها يريد بذلك عمارة المساجد بالعلم والعبادة وأوصى رجل في زمنه

(بعال)

عال في فك سبية من ارض العدو فطلبت فلم توجد اسيرة احتراما منه للثغر واستنقاذا لاهل
السبي وكان في أيامه المنجم الضبي وكان مشهورا بكمال المعرفة في علم النجوم فلما ولي هشام
الملك سأله عن مدة ملكه فأخبره انه نحو ثمانية سنين فأطرق هشام ساعة ثم رفع رأسه وقال
ياضبي ما أخوفني ان يكون النذير كلمني بلسانك والله ان هذه المدة لو كانت في سجدة لله تعالى
لكانت قليلا في طاعته ثم ازداد زهدا في الدنيا وفعلا للخير توفي سنة ثمانين ومائة وولي بعده
ابنه الحكم بن هشام وكان الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل يشبه بأبي جعفر المنصور
من خلفاء بني العباس في توطيد الدولة وشدة الملك وقمع الاعداء وغضب الحكم يوما على
خادم له فأمر بقطع يده وحضر عنده زياد بن عبدالرحمن فقال له زياد أصلح الله الامير ان
مالكا حدثني في خبر رفعه ان من كظم غيظا يقدر على انفاذه ملأه الله تعالى أمنا وايمانا يوم
القيامة فأمر أن يمسك عن الخادم وأن يعفى عنه ثم قال له آلله ان مالكا حدثك بهذا فقال زياد
آلله ان مالكا حدثني بهذا ومما يحكى عن الحكم بن هشام ان عمه سعيد الخير بن عبدالرحمن الداخل
كان له خصومة مع ابن بشير وكان مع سعيد الخير وثيقة فيها شهادات شهود من جملتهم الحكم بن هشام
كان شهد بها قبل ان يصير خليفة فجاء عمه سعيد الخير يطلب منه الشهادة وهو خليفة فخشي أن
القاضي يرد شهادته فأرسل قبل ان يؤدي الشهادة ورقة بخطه للقاضي يخبره بأنه يشهد على ذلك
القاضي ان يقبل فأبى شهادته فلم يغضب من رد شهادته بل قال ان القاضي رجل صالح ولا تأخذه
في الله لومة لائم ومن أخبار عبدالرحمن بن الحكم بن هشام انه أغضب جاريته طروب فهجرته وكان
يحبها فأرسل اليها يترضاها فأبت واغلقت باب مجلسها فأمرهم بسد الباب عليها من خارجه ببدر
الدراهم ففعلوا وبنوا عليها بالبدر فأقبل حتى وقف بالباب وكلمها مسترضيا راغبا في المراجعة
على ان لها جميع ما سد به الباب من البدر فاجابت وفتحت الباب فانهالت البدر في بيتها فأكبت
على رجله تقبلها وحازت المال وكانت تبرم الامور مع محضر الخصي فلا يرد شيأ تبرمه وخلف
عبدالرحمن المذكور من الذكور مائة وخمسين ومن الاناث خمسين وكانوا يسمونه عبدالرحمن
الاوسط ومن أخبار عبدالرحمن الناصر انه لما بنى الزهراء صنع له قبة لجلوسه وزخرفها
وزينها بالذهب وصنع طعاما دعا اليه العلماء وجلس في تلك القبة فلما حضر العلماء ومعهم
القاضي منذر بن سعيد البلوطي فلما رأى تلك القبة جعلت دموعه تتحادر على لحيته ثم قال
والله ياأمير المؤمنين ماظننت ان الشيطان لعنه الله تعالى بلغ منك هذا المبلغ ولا ان تمكنه من
قيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين حتى ينزلك منازل
الكافرين فانفعل عبدالرحمن الناصر لقوله وقال له انظر ماتقول وكيف انزلتني منزلتهم
قال نعم أليس قال الله تعالى ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون الآية فوجم الخليفة وطرق مليا ودموعه تتساقط
خشوعا لله تعالى ثم أقبل على منذر فقال له جزاك الله ياقاضي عنا وعن نفسك خيرا وعن
الدين والمسلمين أجل جزائه وكثر في الناس أمثالك وأمر بنقض سقف القبة الذي طلوه
بالذهب واعادها على صفة ليس فيها ماينكر عليه فيه وكان القاضي منذر بن سعيد ذا علم متين
وذكاء رصين متفننا في العلوم عاملا بعلمه ورعا زاهدا وكان خطيبا بليغا آية في الوعظ لايسمع

المشرفة وأقام بها وصحبه الفضلاء وأخذوا عنه وكان رحمه الله عالما متفننا متسعا عديم النظير فصيح النطق
ذا هيبة وجلالة وفراسة في
اصابة الرأي وصار له بمكة
شهرة فاعتقده كثير من
الناس ثم رحل الى الديار
الرومية صحبة أخي الوزير
مصطفى باشا وبلغ بواسطة
أخيه الوزير ممن ترقى
مراتب العز ماشا حتى قلده
السلطان والوزير النظر
في أمر الحرمين فرجع
وحصل جميع ماتقدم وكان
له اليد الطولى في المعقول
وعلم الفلك وغيرهما وله
تآليف كثيرة منها حاشية
على التصريح للشيخ خالد
في علم النحو قال السنجاري
كان دخوله في هذه الدائرة
من المحن السائرة والا فهذا
امام جليل ومحقق نبيل
تقصر عن وصفه العبارة
وتحدو بذكره السيارة
وكان شريف مكة وصاحب
جدة لايقطعان أمرا دونه
وانتهت اليه رآسة مكة
وبنى بمكة رباطا للفقراء
يعرف الآن برباط ابن
سليمان عند باب ابراهيم
يسكنه أهل اليمن وبنى مقبرة
بالمعلى تعرف الآن بمقبرة
ابن سليمان فأقام بمكة تلك
المدة وأمره نافذ على غلاظة
وشدة الى ان تبدلت تلك
السعودات بالنحوس وهبط
بعد ان كان على الرؤس
فورد الامر باخراجه الى آخر ماتقدم رحمه الله وسامحه ولايعترض بذكر قضية الشيخ محمد بن سليمان وان كان القصد من هذا

أحدوعظه الاخشع وبكى وكان حاضر الجواب قوى الحجة ذا منظر جميل وخلق حميد وتواضع لاهل الطلب وانحطاط اليهم واقبال عليهم قد افردت ترجمته بالتأليف ولد رضى الله عنه سنة خمس وستين ومائتين وتوفى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وعمره تسعون سنة ولاه الناصر قضاء الجماعة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ولبث قاضيا من ذلك التاريخ للخليفة الناصر الى ان توفى الناصر فأبقاه فى قضاء الجماعة الحكم بن الناصر واستمر منذر المذكور فى القضاء الى ان توفاه الله سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فكانت مدة ولايته القضاء الجماعة ست عشرة سنة وقضاء الجماعة عند أهل المغرب هو المعبر عنه عند أهل المشرق بقاضى القضاة وله رحمه الله تآليف منها كتاب أحكام القرآن والناسخ والمنسوخ وغير ذلك من كتب الفقة وغيرها وقد تقدم ذكر غزو عبد الرحمن الناصر الجلالقة سنة ثمان وثلاثمائة وانه وطئ بلادهم ودوخ أرضهم وفتح معاقلهم وخرب حصونهم ثم غزا بنبلونة سنة ثلاثمائة وثنتى عشرة ودخل دار الحرب ودوخ البسائط وفتح المعاقل وخرب الحصون وافسد العمائر وجال فيها وتوغل فى قاصيتها والعدو يحاذيه فى الجبال والاوطار فلم يقدر العدو أن يظفر منه بشئ ورجع سالما وقسم الغنائم ثم بعد مدة ثار عليه بعض المسلمين واستعان بالنصارى فظفر بذلك الثائر وقتله وقتل من كان معه من النصارى أهل البة وسار اليهم وفتح ثلاثين من حصونهم وكان البشكنس ملكوا عليهم امرأة يقال لها طوطرة وانعقد بينه وبينهم صلح ثم نقضوا ذلك الصلح فغزا طوطرة ملكة البشكنس فى بنبلونة ودوخ ارضها واستباحها ورجع الى قرطبة ثم غزا الجلالقة سنة ٣٢٧ سبع وعشرين وثلاثمائة وسار اليهم بنفسه فنزل على دار مملكة الجلالقة وهى مدينة سمورة عليها سبعة اسوار من اعجب البنيان قد أحكمته الملوك السابقة وبين الاسوار وصلات ومياه واسعة فافتتح منها سورين وكان جيشه مائة الف او يزيدون والتقى مع ردمير ملك الجلالقة وكان معه جنود كثيرة من الفرنج وحصل القتال الشديد بين الفريقين فكان النصر فى اول الامر للمسلمين ثم رجع النصارى عليهم فحصل الانهزام للمسلمين وكتب الله الشهادة لكثير منهم وكان الذين قتلوا من المسلمين نحو خمسين الفا ثم والى عليهم الغزوات وصار يبعث الجيوش مع قواده وقتل منهم اضعاف ماقتلوا من المسلمين قبل ذلك وقد ذكر العلامة أحمد بن عبد ربه الاندلسى فى كتابه المسمى بالعقد الفريد ثنتين وعشرين غزوة من غزواته ونظم كل غزوة منها فى منظومة من الرجز وكان معاصرا له قال واوطأ عساكر المسلمين من بلاد الفرنج مالم يطؤوه قبل ذلك فى ايام سلفه حتى أذعن له امم النصرانية وأوفدوا اليه رسلهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية فى سبيل المهادنة والسلم والاعتمال فيما يعن فى مرضاته ووصل الى سدته الملوك من أهل جزيرة الاندلس المتاخمين لبلاد المسلمين بجهات قشتالة وبنبلونة ومايليها من الثغور فقبلوا يده والتمسوا رضاه واحتقبوا جوائزه وامتطوا مراكبه ثم سما ملكه فملك سبتة وفاسا وغيرهما من بلاد المغرب وطار صيته وانتشر ذكره وأطاعه بنوا دريس امراء العدوة وملوك زناتة والبربر حتى صار ملكه فى غاية الضخامة ورفعة الشان وتقدم ان مدة ملكه كانت خمسين سنة وانه توفى

مشهورة بين الناس اجمالا وكل أحد يحب أن يطلع عليها تفصيلا فلا لوم فى ذكرها ومن الحوادث فى دولة سيدنا الشريف سعيد أن والده سيدنا الشريف بركات كان أرسل هدية الى سلطان الهند فأقام الحامل للهدية هناك أربع سنين لعدم قبول السلطان عليه والتفاته اليه فدخل بما معه من الهدية الى بندر آشى وكان بها امرأة فأهدى اليها ما معه من الهدية وأفهمها انه مرسول من الشريف بركات صاحب مكة ففرحت بذلك فرحا عظيما ووقع لها موقع وأمرته بالاقامة لتهئ له هدية لمرسله فاتفق ان حرقت كنيسة هناك فانسبك مافيها من الذهب الى ان صار له صورة فأمرت بحمله فى هدية سيدنا الشريف وجعلت ايضا معها صدقة لمكة فجاء الحامل للهدية والصدقة مكة بعد ولاية سيدنا الشريف سعيد ومن جملتها هذا الذهب ومقداره على ماقيل ثلاثة قناطير من الذهب وربما يصفو خالصا على النصف وكافور ثلاثة أرطال وعود وزباد وخمسة قناديل ذهب للكعبة ومبخرتان وشمعدين وللمدينة أيضا قناديل وشمعدين فلما وصلت هذه الهدية فى شعبان سنة أربع وتسعين وقع بين السادة

سنة خمس وثلاثمائة وبويع بعده ابنه الحكم المستنصر بالله فقام باعباء الملك أتم قيام ولما توفى والده الناصر طمع الجلالقة فى الثغور فغزاهم الحكم بنفسه واقتحم بلد فردلندين فنازل شنب اشتبير وفتحها عنوة واستباحها وقفل فبادروا الى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه ثم أغزا غالبا مولاه وسار الى مدينة سالم ليتوصل منها الى دخول دار الحرب فجمع له الجلالقة ولقيهم فهزمهم واستباحهم واثخن فيهم واوطأ العساكر بلد فردلندين ودوخها وكان البشكنس قد انقض فاغزاه الحكم صاحب سرقسطة فى العساكر وجاء ملك الجلالقة لنصر البشكنس فهزمهم فامتنعوا بقورية وعاثوا فى نواحيها ثم اغزا الحكم ابن يعلى ويحيى بن محمد التجيبي الى بلاد برشلونة فعاثت العساكر فى نواحيها واغزى هذيل بن هاشم ومولاه غالبا الى بلاد القوس فعاثا فيها وقفلا وعظمت فتوحات الحكم وقواد الثغور فى كل ناحية وكان من اعظمها فتح قلهرية من بلاد البشكنس على يد غالب مولاه ثم عمرها الحكم واعتنى بها ثم فتح بعض عمالة قطونية وغنم فيها من الاموال والسلاح والاقوات والاثاث والغنم والبقر والرمك والاطعمة والسبي ما لا يحصى كان كل ذلك فى أقرب الزمن وفى سنة اربع وخمسين وثلاثمائة جهز جيشا مع مولاه غالب الى بلد البة ومعه يحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف فدوخوا بلادهم ورجعوا غانمين وفى هذه السنة ظهرت مراكب للمجوس فى البحر الكبير فأفسدوا بسائط اشبونة من الاندلس وناشبهم الناس القتال واخرج الحكم القواد لاحتراس السواحل ثم جاءت الاخبار بأن العساكر نالت منهم من كل جهة فرجعوا الى مراكبهم ثم كانت وفادة اردون ابن ادفونش ملك الجلالقة يتوقع مظاهرة الحكم مستجيرا به من ابن عم له خرج عليه فأكرمه الحكم ووعده النصر من عدوه وخلع عليه ثم بعث ابن عمه أيضا يطلب البيعة والدخول فى الطاعة فتقبل بعتهم على شروط ثم بعث ملك برشلونة وملك طركونة وغيرهما من ملوك الفرنج كلهم يطلبون المعاهدة والدخول فى طاعة الحكم وبعثوا بهدايا جزيلة فتقبلهم الحكم وعقد لهم الصلح والبيعة وشرط عليهم ان يهدموا الحصون التى تضر بثغور المسلمين وان لا يظاهروا عليه اهل ملتهم وان ينذروا بما يكون من النصارى فى الاجلاب على المسلمين ثم وصلت رسل غرسية ملك بشكنس يسألون الصلح والدخول فى الطاعة والبيعة فعقد لهم فاغتبطوا ورجعوا ثم وصلت ام لذريق وهو القومس الاكبر فاحتفل لقدومها فعقدت السلم لابنها فرجعت وصنع لقدوم هؤلاء الملوك عليه احتفالات ومواكب فيها اظهار عز الاسلام يطول الكلام بذكرها وكلها مذكورة فى التواريخ وكانوا عند دخولهم على الحكم يكشفون رؤسهم ويخلعون برانطهم اعظاما له ويقبلون يده ويقول كل واحد منهم انا عبد امير المؤمنين واذا قام كل واحد منهم للانصراف يكون مقهقرا لا يولى الخليفة ظهره تعظيما له ويعلنون له بالدعاء وكان الحكم عالما نبيلا أقام للعلماء والعلم سوقا نافقا واجتمع عنده من خزائن الكتب ما لم يجمعه احد من الملوك قبله قال ابن حزم ان عدد الفهرست التى فيها اسماء بعض الكتب اربع وأربعون فهرست وفى كل فهرست عشرون ورقة ليس فيها الا اسماء الدواوين واما غير الدواوين من سائر فنون العلوم فشئ كثير قيل ان كتبه كلها

لا يريد اعطائهم ثلاثة أرباع فأوجب أن تحمل فى بيت السيد محمد الحرث الى ان يتفقوا وينقضى رمضان فبقيت عنده ثم اتفقوا على ان يأخذ اصحاب الارباع النصف مما ورد باسم الهدية وتفرق الصدقة على الفقراء فأخذوا الهدية وفرقوا الصدقة وتقدم ذكر ما وقع من اختلاف السادة الاشراف مفصلا واستمر ذلك الى سنة خمس وتسعين فولى مولانا السلطان سيدنا الشريف أحمد بن زيد وجاء الخبر الى مكة فى عشرين من ذى القعدة وكان قدوم مولانا الشريف أحمد مع أخيه الى اسلامبول سنة سبع وثمانين وألف وقد ترجم الشيخ المحبي صاحب خلاصة الاثر سيدنا الشريف أحمد بن زيد بترجمة واسعة ووصفه بالفضل والادب وكان قد اجتمع به فى القسطنطينية فمن جملة ما قال فى الخلاصة وأقام بقسطنطينية مدة مديدة واتحدت بخدمته اتحادا تاما وتقربت اليه كثيرا وكان كثيرا ما يدنينى اليه ويقبل على بكليته وقد مدحته بقصائد منها هذه القصيدة ثم ذكرها وهى طويلة جيدة بليغة مطلعها

يجوب الارض من طلب الكمالا * ومن صحب القنا بلغ السؤالا * وكم فى الارض من سكن

كانت أربعمائة الف مجلد وقلما يوجد كتاب منها الا وله فيه قراءة ونظر ومكتوب على هوامشه خطه ولما ألف أبو الفرج الاصفهانى كتابه المسمى بالاغانى بعث للحكم نسخة فأجازه بألف دينار وتولى الحكم سنة ست وستين وثلاثمائة ومدة ملكه ست عشرة سنة وخلف ابنـه هشام المؤيد وكان صغيرا عمره تسع سنين وكان جعله ولى عهده واستوزر له محمد بن أبى عامر الملقب بالمنصور المعافرى ومعافر بطن من حمير وكان يخدم ام هشام المؤيد ثم ترقى الى أن ولاه الحكم قضاء بعض المواضع فظهرت نجابته ثم ترقى الى أن ولاه الزكاة والمواريث ثم استوزره لابنـه فحجب الخليفة هشاما المؤيد وباشر الوزير المذكور تدبير الملك بنفسه وله صفات جيدة مذكورة فى التواريخ ومفردة بالتأليف وجاءت الروم فى أول ولاية هشام فجهز عليهم الوزير المذكور جيوشا له لدفاعهم فنصره الله عليهم فتمكن حبـه من قلوب النـاس خاصتهم وعامتهم واستجلب النـاس بكرمه وحسن اخلاقه فانتشر صيته وأعلى مراتب العلماء وقمع أهل البدع وأوسع الجند فى العطـاء وكان ذا عقل ورأى وشجاعة وكرم وبصيرة بالحروب ودين متين وكان عالما متفننا وسيرة هذا الوزير وهو منصور بن ابى عامر طويلة مذكورة فى التواريخ وأباد المتغلبـين على الخلافة المارقـين عن الطاعة وكرر الغزو والجهـاد واستبد فى جميع الأمور بحيث لم يبـق ذكر لاحد من رجال الدولة ولا من أولاد الخلفاء بل الذكر والتصرف كله له وحده والخليفة محجور عليه واستمر على ذلك سبعا وعشرين سنة وكان يغزو كل سنـة غزوتين غزوة فى الصيف وغزوة فى الشتاء قال فى نفح الطيب ان المنصور بن ابى عامر تمرس ببلاد الشرك اعظم تمرس ومحا من طواغيتها كل تجبرف وتغطرس وغادرهم صرعى فى البقاع وتركهم اذل من وتد بقاع

﴿ ذكر غزوة من غزواته ﴾

سبب هذه الغزوة أن احد رسله سار فى بعض مسيراته الى غرسية ملك البشكنس ابن شانجـة فوالى فى اكرامه وتناهى فى بره واحترامه وطالت اقامته عنـده فلا متنزه الامر عليه متفرجا ولا منزل الاسار اليه معرجا فحل مرة أكبر الكنائس هنالك فبينما هو يجول فى ساحتها ويجيل العين فى ساحتها اذ عرضت له امرأة قديمة الاسر قويمة على طول الكبر فكلمته وعرفته بنفسها وقالت له أرضى المنصور ان يتنعم بلبوس العافية ولى سنين مأسورة مختبئة وناشدته الله ان يبلغ المنصور خبرها فلما رجع الى المنصور عرفه بما يجب تعريفه وهو مصغ اليه حتى تم كلامه فلما فرغ قال له المنصور هل وقفت هناك على أمر انكرته ام لم تقف على غير ما ذكـرته فتذكر أمر المرأة المأسورة فأعلمه بقصتها فلامه على ان لم يبدأ به كلامه ثم أخذ للتجهز للجهاد من فوره فلـما تم جهازه وتكاملت جنوده سار حتى وافى ابن شانجة فأخذت هيبتـه بسمعه وبصره فبادر بالكتاب اليه ليتعرف ما جلية ويحلف أنه ما جنى ذنبا ولا جفا عن مضجع الطاعة فعنف المنصور رسل ابن شانجة وقال لهم قد كان عاقدنى على أنه لا يبقى ببلاده مأسورة ولا مأسور ولو بعثه الى فى حواصل الطيور وقد بلغنى بقاء فلانة المسلمة فى تلك الكنيسة والله لا انتهى عن ارضه حتى اكتسحها فرجعوا الى ابن شانجة واخبروه فارسل المرأة ومعها امرأتان آخريان وأقسم

ثم ذكر كثيرا من تلك القصائد ثم ذكر كيفية ولايته مكة وفى تاريخ الرضى انه فى سنـة سبع وثمانين أنعمت الدولة على مولانا الشريف سعد بولاية المعرة وأمر بالتوجه اليها واستمر مولانا الشريف أحمد باسلامبول وعرضت عليه ولاية طرسوس وأخرى بجهة الروملى فلم يقبل واحدة منهما وكان جوابه ان تفضلتم بولاية بـلادنا والافنحن تحت أعتاب السلطنة فاستمر مقيما بها يتجدد له من الاكرام والترقيات ما فوق المرام وحصل بينه وبين قزلار أغاسى محبة أكيدة وطاب الاجتماع بالوالدة فاجتمع بها واغدقت له سوابغ النعم ووعدته بتمام المرام واستمر كذلك الى سنة ثلاث وتسعين وألف فوصل فيها الى الديار الرومية السيد محمد بن مساعد والسيد بشير بن مبارك مرسولين من السيد أحمد بن غالب فركبا الى مولانا الشريف أحمد وقالا عنده فألقى بعض المفسدين الى الوزير الاعظم وقال ان اقامة مولانا الشريف أحمد باسلامبول يخشى منها فالاولى على عدم اقامته بها فأحضره الوزير وألبسه قفطانا بولاية قرق كليسه

انه ماابصرهن ولاسمع بهن قبل ذلك واعلمه ان تلك الكنيسة قد بالغ فى هدمها تحقيقا لقوله وتضرع اليه فى الاخذ فيه بطوله فاستحى منه وصرف الجيش عنه واوصل المرأة ومن معها الى نفسه والحق توحشهن بانسه واوصلها الى اهلها ورجع من غزوته وكان الخليفة هشام لايراه خاص وعام ولايخاف منه بأس ولايرجى منه انعام واغنى الناس عنه وأزال أطماعهم منه وصيرهم لايعرفونه وأمرهم لايذكرونه ولايعهد فيه الا الاسم السلطانى فى السكة التى يتعامل الناس بها والدعوة على المنابر وربما أركبه فى بعض السنين وجعل عليه برنسا ويركب معه بعض جواريه ويجعل عليهن مثل ماعليه فلايعرف من بينهن ويأمر من ينحى الناس عن طريقه حتى ينتهى الى موضع تنزهه ثم يعود واخذ فى اغتيال من يخشى منه خوفا من ان يثوروابه وكانت غزواته نحو الخمسين يطول الكلام بذكرها وكلها كانت من مفاخر الاسلام حتى اشتدت هيبته فى قلوب الكفرة اللئام ومما يحكى مما كان فى بعض غزواته ان بعض الأجناد نسى رايته مركوزة على جبل بقرب احدى مدائن الروم فأقامت عدة ايام لايعرف الروم ماوراءها بعد رحيل العسكر وهذا مما يفتخر به اهل التوحيد على أهل التثليث لانهم لما اشربت قلوبهم الخوف من المنصور وعلم كل من ملوكهم انه لاطاقة له بحربه لجئوا الى الفرار وتحصنوا بالمعاقل والقلاع ولم يحصل منهم غير الاشراف من بعد والاطلاع ومن مفاخر المنصور فى بعض غزواته انه مر بين جبلين عظيمين فى طريق ضيق بوسط بلاد الفرنج فلما جاوز ذلك المحل وهو آخذ فى التحريق والتخريب والغارات والسبى يمينا وشمالا لم يجسر أحد من الافرنج على لقائه حتى اقفرت البلاد مسافة ايام ثم عاد من ذلك الطريق فوجد الافرنج قد استجاشوا من ورائهم وضبطوا ذلك المحل الضيق الذى بين الجبلين وكان الوقت شتاء فلما رأى مافعلوه رجع واختار منزلا من بلادهم لجيشه ونزل به فيمن معه من العساكر وأمرهم ببناء دور ومنازل وان يجمعوا آلات الحرث ونحوها ليعلم الفرنج انه أراد الاقامة بأرضهم وبث سراياه فسبت وغنمت فلما طال البلاء على العدو ارسلوا اليه فى طلب الصلح وان يخرج بغير أسرى ولاغنائم فامتنع من ذلك فلم تزل رسلهم تتردد اليه حتى سألوه ان يخرج بغنائمه واسراه فأجابهم ان اصحابى قد أبوا ان يخرجوا وقالوا انا لانكاد ان نصل الى بلادنا الا وقد جاء وقت الغزوة الاخرى فنقعد ههنا الى وقت الغزوة الاخرى فاذا غزونا عدنا فازال الفرنج يسألونه أن يرتحل الى ان قرر عليهم ان يحملوا على دوابهم مامعه من الغنائم والسبى وان يمدوه بالميرة حتى يصل الى بلاده وان ينحوا جيف القتلى عن طريقه بأنفسهم ففعلوا ذلك كله وانصرف عنهم ولعمرى ان هذا العزم اوراءه مطمع ونصر لايكاد الزمان يجود بمثله ويسمح خصوصا ازالتهم جيف قتلاهم عن الطريق وقد تقدم ذكر هذه الغزوة مختصرا فاعادتها لاتخلو من فائدة

﴿ خبر عجيب من اخبار المنصور ﴾

ومن أخبار المنصور بن ابى عامر انه قدم عليه رسول ملك الروم الذى هو أعظم ملوكهم فى ذلك الزمان وكان قصد ملك الروم من ارساله اياه ان يطلع على احوال المسلمين وقوتهم

اسم محل بينه وبين أدرنة ثمان ساعات فلكية وكان قبل ولايته بشهرين أرسل بأخيه الشريف سعد الى البلد المسمى وزة بكسر الواو وتخفيف الزاى وهى قريبة أيضا من كرك كليسة بنحو ثمان ساعات واستمر كل منهما بمكانه الى سنة أربع وتسعين ثم فسح لهم السلطان بالتوجه الى حيث شاؤا من الديار الرومية فتوجه مولانا الشريف سعد الى اسلامبول واستمر مولانا الشريف أحمد فى بلدته وطالت له وتأنس بها الى ان كانت سنة خمس وتسعين ثم لما بلغت الاخبار الى مولانا السلطان بما وقع فى الحجاز من الخراب والعناد والنهب وكان السلطان بأدرنة طلب مولانا الشريف أحمد ثالث شوال وولاه بعد استقرار رأى رجال دولته على ان الصلاح لايكون الا به وقد ذكر فى خلاصة الاثر كيفية توليته حيث قال ولم يزل مقيما بالروم والاحوال تتنقل به الى ان حصل بمكة ماحصل من الاختلاف بين الاشراف فبلغ ذلك السلطان فأرسل الى الشريف أحمد يطلبه فلما أتاه ودخل قام اليه وقابله بغاية الاجلال ووضع كفه بكفه وصافحه من قيام قائلا اللهم صل على محمد وآل محمد وأول خطاب من السلطان قال له ياشريف أحمد الحجاز خراب أريد لك تصلحه فامتثل

فلما علم المنصور به قبل وصوله أمر ان يغرس نيلوفر كثير عند بركة عظيمة في بستان من بساتينه ثم أمر بأربعة قناطير من الذهب واربعة من الفضة فسبكت قطعا صغارا على قدر ماتسع النيلوفر ثم ملاء بها جميع النيلوفر الذى عند البركة فلما جاء رسول ملك الروم اليه لحضر عنده قبل الفجر في مجلسه السامى في موضعه المسمى بالزاهرة المشرف على موضع البركة فلما قرب طلوع الفجر جاء الف من الصقالبة عليهم أقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب والفضة وبيد خمسمائة منهم أطباق من الذهب وبيد خمسمائة أطباق من الفضة فتعجب الرسول من حسن صورهم وجميل هيئتهم ولم يدر ما المراد فحين أشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة فبادر والأخذ الذهب والفضة من النيلوفر وصاروا يجتنونه كما يجتنى الثمر من الشجر وكانوا يجعلون الذهب في أطباق الفضة والفضة في أطباق الذهب حتى التقطوا جميع ذلك وجاؤا به فوضعوه بين يدى المنصور حتى صار كوما بين يديه فتعجب رسول ملك الروم من ذلك وأعظمه وظن ان ذلك ثمر ذلك الشجر فطلب المهادنة من المسلمين وذهب مسرعا الى مرسله وقال له لاتعاد هؤلاء القوم فانى رأيت الارض تخدمه بكنوزها وهذه القصة من الغرائب وانها حيلة عجيبة في اظهار عز الاسلام واهله وكان المنصور بن ابى عامر آية من آيات الله سبحانه وتعالى في السعد ونصرة الاسلام

❁ غزوة اخرى من غزواته ❁

سبب هذه الغزوة انه لقيته امرأة حين رجع من بعض غزواته فقالت له يامنصور استمع ندائى فانت في طيب عيشك وانا في بكائى فسألها عن مصيبتها فذكرت ان لها ابنا أسيرا في بلاد سمتها له واخبرته انها لايهنأ عيشها لفقده فرحب المنصور بها واظهر الرقة بسببها وأمر بالتجهز الى الغزو وسار بجيوشه حتى بلغ تلك البلاد التى سمتها له وفيها ابنها فجاسوا أقطار تلك الديار وتخللها قتلا وأسرا ونهبا وتخريبا حتى دوخها حتى خلص ابنها وجميع من كان هناك من الاسرى ورجع مظفرا منصورا فهكذا تكون الهمة السلطانية والنجدة الايمانية ومن مناقبه التى لم تكن لغيره من الملوك أن اكثر جنده من السبى الذى كان يأخذه من العدو ومن محاسن اخباره انه خط بيده مصحفا كان يحمله معه في اسفاره يقرأ فيه ومن قوة رجائه انه اعتنى بجمع ماعلق بوجهه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم يأخذونه منه بالمناديل في كل منزل من منازله حتى اجتمع له منه صرة ضخمة عهد اليهم ان يجعلوه في حنوطه فكان كذلك وكان يحمل تلك الصرة حيث سار ومن أوضح الدلائل على سعده أنه لم ينهزم في حرب قط ومانصرف من موطنه الا قاهرا غالبا على كثرة مازاول من الحروب قيل له مرة ان فلانا مشؤم فلاتستخدمه فقال اف لسعد لايغطى على شؤمه فاستخدمه ولم ينله من شؤمه الذى به جرت العادة شئ

❁ ذكر غزوة اخرى من غزواته ❁

من غزواته المشهورة غزوة مدينة شنت ياقب وهى قاصية غليسية وأعظم مشاهد النصارى الكائنة ببلاد الاندلس ومايتصل به من الارض الكبيرة وكانت كنيستها عندهم بمنزلة

وهو يجيبه بالامتثال والقبول فحينئذ قال السلطان اذا آن أوان الشئ أبرزه الله تعالى ثم أمر الوزير والكتاب ان يكتبوا له ملتمسه فخرج الشريف وقدم له مركوب من خيل السلطان ورحل على خيل البريد الى دمشق وقد خرج الحاج منها قال صاحب الخلاصة فدخلت عليه مهنأ له بالشرافة وأنشدته هذه الابيات

الحق عاد لى محله * والشئ مرجعه لاصله
ياطالما وعد الزمان * به واعيانا بمطله
حتى تحقق انه * في الناس مفتقر لمثله
والسيف عند الاحتياج * اليه يعرف فضل نصله
والدهر ينفر تارة * ويعود معتزا لاهله
لاريب قد سر الورى * بفعاله الحسنى وعدله
فالكل شاكر صنعه * ولسانهم وصاف فضله

وأقام بدمشق ثلاثة أيام ثم خرج قاصدا الحاج حتى لحقه بالعلا ودخل المدينة الشريفة وتلقاه عسكرها ولبس الخلعة السلطانية تجاه الحجرة الشريفة كالبسها أبوه ثم دخل مكة سابع ذى الحجة ختام سنة خمس وتسعين وألف وذكر في الخلاصة أيضا عند ذكر آخر ولاية الشريف سعيد بن بركات

الكعبة عندنا والكعبة المثل الاعلى فبها يحلفون واليها يحجون من أقصى بلاد رومة وما وراءها ويزعمون ان القبر المزور فيها قبر ياقب الحوارى أحد الاثنى عشرة الحواريين وكان أخصهم بعيسى على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام وهم يسمونه أخاه للزومه اياه وياقب بلسانهم يعقوب وكان اسقفا ببيت المقدس ثم خرج يستقرئ الارض داعيا الى الله لمن فيها حتى انتهى الى هذه القاصية ثم عاد الى الشام فمات بها وعمره مائة وعشرون سنة فاحتمل أصحابه جثته فدفنوه بهذه الكنيسة ولم يطمع أحد من ملوك الاسلام فى قصدها والوصول اليها لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها وبعد مشقتها فخرج المنصور اليها من قرطبة غازيا بالصائفة سنة سبع وثمانين وثلاثمائة لست بقين من جمادى الآخرة ودخل على مدينة قورية فلما وصل الى مدينة غليسية وافاه عدد عظيم من القوامس المتمكنين فى الطاعة فصاروا فى عسكر المسلمين وكان المنصور امر بانشاء أسطول كبير فى الموضع المعروف بقصر ابى دانس من ساحل غرب الاندلس وجهزه برجاله وحمل فى الاسطول الاقوات والعدة والسلاح استظهارا على نفوذ العزيمة الى ان خرج ذلك الاسطول بموضع برتقال على نهر دويره فدخل فى النهر الى المكان الذى عينه لهم المنصور للعبور منه فعقد هنالك جسرا بقرب الحصن وجعله يتصل بالاسطول فوجهوا ما كان فيه من الميرة الى الحصن ثم منه الى الجند فتوسعوا فى التزود منه الى أرض العدو ثم نهض منه يريد شنت ياقب فقطع ارضين متباعدة الاقطار وقطع عدة انهار كبار وخلجان يمدها البحر الاخضر ثم أفضى العسكر بعد ذلك الى بسائط جليلة من بلاد فرطارس وما يتصل بها ثم افضى الى جبل شامخ شديد الوعر لا مسلك فيه ولا طريق ولم يهتد الادلاء الى سواه فقدم المنصور الفعلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه حتى قطعه العسكر وعبروا بعده وادى بنية وانبسط المسلمون بعد ذلك فى بسائط عريضة وارضين وانتهت مغيرتهم الى دير قشان وبسيط بلنبو على البحر المحيط وفتحوا حصن شنت بلاية وغنموا وعبروا ابساحته الى جزيرة من البحر المحيط لجأ اليها خلق عظيم من أهل تلك النواحى فسبوا من فيها ممن لجأ اليها وانتهى العسكر الى جبل مراسية المتصل من اكثر جهاته بالبحر المحيط فتخللوا أقطاره واستخرجوا من كان فيه وحازوا غنائمه ثم جاز المسلمون بعد هذا خليجا فى معبرين ارشد الادلاء عليه ثم نهر ابلة ثم افضوا الى بسائط واسعة العمارة كثيرة الفائدة ثم انتهوا الى موضع من مشاهد ياقب صاحب القبر تلو مشهد قبره عند النصارى فى الفضل يقصد نساكهم اليه من اقاصى بلادهم ومن بلاد القبط والنوبة وغيرهما فغادره المسلمون قاعا صفصفا ثم كان النزول بعده على شنت ياقب وذلك لليلتين خلتا من شعبان فوجدها المسلمون خالية من أهلها فحاز المسلمون غنائمها وهدموا مصانعها وأسوارها وكنيستها وعفوا آثارها ووكل المنصور بقبر ياقب من يحفظه ويدفع الاذى عنه وكانت مصانعها بديعة محكمة فغودرت هشيما كأن لم تغن بالامس ونشفت بعد ذلك سائر البسائط وانتهت الجيوش الى مدينة شنت مانكش منقطع هذا الصقع على البحر المحيط وهى غاية لم يبلغها قبلهم مسلم ولا وطئها لغير اهلها قدم فلم يكن بعدها للخيل مجال ولا وراءها انتقال وانكفأ المنصور عن باب

هو وعمه عمرو ينتظران الجواب فلما كان سابع عشر ذى القعدة سنة خمس وتسعين ركب الشريف سعيد الى أحمد باشا صاحب جدة وكان بالابطح ببستان الوزير عثمان حميدان واستمر عنده الى جانب يسير من الليل ثم ركب وقصد ثنية الحجون ذاهبا الى السيد غالب بن زامل وكان نازلا بذى طوى فلما جاوز الحجون اذا هو برجل على ذلول فاستخبره من أى العرب فقال من بنى صخر فقال له الشريف سعيد أمعك كتاب من يحيى بن بركات وهو أخو الشريف سعيد فقال لا وكان الشريف يحيى قد ذهب لملاقاة الحج الشامى فأمر بضربه وهدده بالقتل فأقر بأنه رسول من الشريف أحمد بن زيد الى السيد أحمد بن غالب وانه قد جاء متوليا مكة ولحق الحاج الشامى فى العلا ثم ذهب ليلة الثلاثاء تاسع عشر الشهر الى بيت عمه السيد عمرو واستدعى السيد غالب بن زامل والسيد ناصر بن احمد الحرث والسيد عبد الله بن هاشم بن محمد المطلب بن حسن بن أبى نمى وتشاوروا فى اظهار هذا الامر كيف يكون فاتفق الامر على أن يرسلوا الى السيد مساعد ابن الشريف سعد بن زيد فارسلوا له السيد عبد الله بن هاشم فأتى به فلما دخل بيت السيد عمرو ورأى

شنت ياقب وقد بلغ غاية لم يبلغها قبله مسلم فجعل في طريقه وهو راجع القصد على عمل برمند بن اردون تعيش جيوشه في عمله تخربه وتفسده حتى وقع في عمل القوامس المعاهدين الذين كانوا معه في عسكره فأمر بالكف عنها ومر مجتازا حتى خرج على حصن بليقية فأجاز هنالك القوامس الذين كانوا معه وأكرمهم على أقدارهم وكساهم وصرفهم الى بلادهم وكتب بالفتح من بليقية وكان مبلغ ما كساه في غزاته هذه ملوك الروم ولمن حسن غناؤه من المسلمين ألفين ومائتين وخمسا وثمانين شقة من صنوف الخز الطرازي واحدى وعشرين كساء من صوف البحر وكسائين عنبريين واحد عشر سقلاطونا وخمسة عشر مرشيا وسبعة أنماط ديباج وثوبي ديباج رومي وفروة فنك ووافى قرطبة بجميع العساكر سالما غانما وعظمت المنة على المسلمين ولم يجد بشنت ياقب الا شيخا من الرهبان جالسا على القبر فسأله عن مقامه فقال اونس يعقوب فأمر بالكف عنه

﴿ غزوة اخرى من غزواته ﴾

سبب هذه الغزوة ان جماعة من صنهاجة وهم من البربر قدموا على المنصور بن ابي عامر من المغرب سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة فنزلوا عليه بقرطبة فأكرمهم وأجرى عليهم الوظائف وسألهم عن سبب انتقالهم من افريقية الى الاندلس فقالوا انما اخترناك على غيرك واحببنا ان نكون معك نجاهد في سبيل الله تعالى فاستحسن ذلك منهم ووعدهم ووصلهم فأقاموا اياما ثم دخلوا عليه وسألوه اتمام ما وعدهم به من الغزو فقال انظروا ما أردتم من الجند لأجل ان نعطيكم فقالوا انما يدخل معنا بلاد العدو غيرنا الا الذين معنا من بني عمنا ومن بقية صنهاجة وموالينا فأعطاهم الخيل والسلاح والاموال وبعث معهم دليلا وكان الطريق ضيقا فأتوا أرض جليقية فدخلوها ليلا وكمنوا في بستان بالقرب من المدينة وقتلوا كل من به وقطعوا أشجاره فلما أصبحوا خرج جماعة من البلد فضربوا عليهم وأخذوا جميع الخارجين وقتلوهم جميعهم ورجعوا فتسامع العدو فركبوا في أثرهم فلما أحسوا بذلك كمنوا وراء ربوة فلما جاوزهم العدو خرجوا عليهم من ورائهم وضربوا في ساقتهم وكبروا فلما سمع العدو تكبيرهم ظنوا أن العدو كثير فانهزموا وتبعهم صنهاجة فقتلوا خلقا كثيرا وغنموا دوابهم وسلاحهم وعادوا الى قرطبة فعظم ذلك عند ابن أبي عامر ورأى من شجاعتهم مالم ير من جند الاندلس فأحسن اليهم وجعلهم بطانته فلما رأى أهل الاندلس فعل صنهاجة حسدوهم ورغبوا في الجهاد فقالوا للمنصور بن أبي عامر لقد نشطنا هؤلاء للغزو فجمع الجيوش الكثيرة من سائر الاقطار وخرج الى الجهاد بنفسه وكان رأى في المنام تلك الليلة كان رجلا أعطاه الاسبراج وهو اسم لنبت فأخذه من يده وأكل منه فعبره على ابن ابي جمعة فقال له اخرج الى بلد اليون فانك ستفتحها فقال من اين أخذت هذا فقال لان الاسبراج يقال له في المشرق الهليون كبر ذون فلك الرؤيا قال لك هاليون فخرج بتلك الجيوش ونازلها وهي من اعظم مدائنهم واستمد أهلها الفرنج فأمدوهم بجنود كثيرة واقتتلوا ليلا ونهارا فكثر القتل في الفرنج وصبرت صنهاجة صبرا عظيما ثم خرج قومص

أودعك أهلي فإن عمك الشريف أحمد تولى مكة وانك تقوم مقامه حتى يصل وأرسل الشريف سعيد الى أغاوات العسكر وقال لهم ان الامر للسيد أحمد بن زيد فاخدموا سيدكم وخرج الشريف سعيد تلك الليلة الى الوادي وأقام به حتى سافر الحج المصري فذهب معه الى مصر وفي تاريخ السنجاري انه في صبح الليلة التي سافر فيها الشريف سعيد بن سعد جلس في المسجد خلف مقام الحنفي وحضره سائر الاشراف وصاحب جدة والقاضي والمفتي والعلماء ووجوه الناس وأقيم السيد مساعد بن سعد بن زيد نائبا عن عمه الشريف أحمد بن زيد ونودي له في البلد وكان ذلك يوم الثلاثاء السابع والعشرين من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ثم توجه الشريف سعيد بن بركات الى مصر وتوفي بها وأما أخوه السيد يحيى بن بركات فتوجه الى الشام وسيأتي ذكر ولايته أمارة الحاج الشامي ثم ولايته شرافة مكة وفي ثاني ذي الحجة جاءت مكاتيب من الشريف أحمد بن زيد لكبار الاشراف مضمونها التلطف بالرعية والوصية على البلد الى حضوره وخرج الناس الى لقاء مولانا الشريف أحمد بن زيد فوصل يوم

كثير من الفرنج لم يكن لهم مثله فجال بين الصفوف وطلب البراز فبرز اليه جلالة بن زيرى الصنهاجى فحمل كل منهم على صاحبه فطعنه الفرنجى فال عن الطعنة وضرب الفرنجى بالسيف على عاتقه فسقط الفرنجى الى الارض وحمل المسلمون على النصارى فانهزموا الى بلادهم وقتل منهم مالا يحصى وملك المدينة وغنم ابن أبى عامر غنيمة عظيمة لم ير مثلها واجتمع من السبى ثلاثون الفا وأمر بالقتلى فنضد بعضهم على بعض وأمر مؤذنا فأذن فوق القتلى المغرب وخرب مدينة قامونة ورجع سالما هو وعساكره قال فى نفح الطيب وانتهت هيبة المنصور ابن أبى عامر وضبطه للجند الى غاية لم يصلها ملك قبله فكانت مواقفهم فى الميدان على احتفاله مثلا فى الاطراق حتى أن الخيل لتتمثل فى الاطراق مثل فرسانها فلا تكثر الصهيل والحمحمة ولقد وقعت عينه مرة على بارقة سيف قد سله بعض الجند اقصى الميدان لهزل أوجد بحيث ظن أن لحظ المنصور لا يناله فقال على بشاهر السيف فمثل بين يديه لوقته فقال ما حملك على أن شهرت سيفك فى مكان لا يشهر فيه الا عن اذن فقال انى أشرت به الى صاحبى مغمدا فزلق من غمده فقال ان مثل هذا لا يسوغ بالدعوى وأمر به فضربت عنقه بسيفه وطيف برأسه ونودى عليه بذنبه وذكر أيضا أن المنصور كان به داء فى رجله واحتاج فيه الى الكى فأمر الذى يكويه أن يكويه وهو قاعد فى موضع مشرف على أهل مملكته فجعل يأمر وينهى ويتصرف فى اموره ورجله تكوى والناس لا يشعرون حتى شموا رائحة الجلد واللحم وهو غير مكترث بذلك فتعجب الناس من ذلك وذكر فى نفح الطيب كثيرا من أخباره فى الكرم والعفو والحلم وحسن الخلق ثم قال وأخبار المنصور تحتمل مجلدات فلنمسك العنان توفى المنصور بن أبى عامر فى غزوة للافرنج فى شهر صفر سنة ثلثمائة واثنين وتسعين بمدينة سالم لسبع وعشرين سنة من ملكه وقام بالامر بعده ابناه عبد الملك وعبد الرحمن واحدا بعد واحد فقام بالامر أولا ابنه عبد الملك فجرى على سنن ابيه فى السياسة والغزو وكانت ايامه اعيادا دامت مدة سبع سنين ثم قام بالامر بعده الابن الآخر عبد الرحمن وجرى على سنن ابيه وأخيه فى الحجر على الخليفة هشام والاستبداد عليه ثم ثاب له رأى فى الاستيثار بالمملكة فطلب ان هشاما يجعله ولى عهده فأجابه لذلك لتغلبه عليه وأحضر لذلك ارباب الشورى وأهل الحل والعقد وكتب عهده بذلك فقرئ فى ذلك المجمع وكتب القضاة والوزراء وسائر الناس شهاداتهم بخطوطهم ثم سعى كثير من الامويين وغيرهم فى نقضه وأثاروا لذلك فتنة الى ان قتلوا عبد الرحمن سنة تسع وتسعين وثلثمائة ثم خلعوا الخليفة هشاما وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار بن امير المؤمنين الناصر ثم اعيد هشام ثم فقد سنة ثلاث وأربعمائة وقيل قتل وثار من ذلك فتن كثيرة يطول الكلام بذكرها آل الامر فيها الى زوال ملكهم وافتراق كلمتهم وكل يوم يخلعون خليفة ويبايعون آخر ثم صار فى كل مملكة خليفة يدعى امير المؤمنين وتبدد شمل الجماعة بالاندلس ثم صار الملك فى طوائف متغلبين فى كل ناحية ملك مستقل متغلب ولا حاجة بنا الى ذكر اسمائهم وعند ذلك استفحل أمر النصارى وصاروا يتغلبون على ممالك الاندلس ويملكونها قطرا بعد قطر وناحية بعد ناحية وصار ملوك الطوائف لا يسأل بعضهم عن بعض ولا يحامى ولا يدافع الا عن نفسه وربما قاتلوا مع بعضهم وتغلب بعضهم على البعض

الشعراء بقصائد وفرح الناس به وحج بالناس ثم نشر لواء العدل والانصاف فحصل له فى القلوب هيبة وأمنت الطرق واستقر الناس واستمر فى ولايته الى سنة تسع وتسعين وألف

(ذكر قضية الشيخ تاج الدين القلعى ١٠٩٧)

وفى أيامه كانت قضية الشيخ تاج الدين القلعى مع أحمد باشا صاحب جدة وشيخ الحرم المكى وملخصها أنه فى يوم الاحد خامس عشر ربيع الثانى سنة سبع وتسعين وألف وافق أن كانت مباشرة صلاة الصبح فى مقام الحنفى عند الشيخ تاج الدين ابن الشيخ عبد المحسن القلعى فتأخر قليلا فصلى بالناس بعض المجاورين فلما أتم الصلاة سأل أحمد باشا شيخ الحرم عن صاحب النوبة الذى تأخر عن الحضور فأخبر به فدعاه الى مدرسة الداودية ثم أمر بضربه على رجليه فلما سمع بذلك بعض الائمة أنفت نفوسهم فاجتمع منهم جماعة مع بعض أئمة الشافعية وهو الشيخ على العصامى وكان أكبر الجماعة

وذهبوا لمولانا الشريف أحمد بن زيد وعرفوه ما وقع وقالوا له ان جرم التأخير لعذر لا يوجب هذه الاهانة وطلبوا منه

﴿ ذكر أول مدينة تملكها الطاغية ﴾

اول مدينة تملكها الطاغية بلنسية سنة ست وخمسين واربعمائة وتعرف هذه الوقعة بوقعة بطرنة اسم موضع هناك وذلك أن الافرنج خذلهم الله تعالى انتدبت منهم قطعة كثيفة ونزلت على بلنسية في السنة المذكورة وأهلها جاهلون بالحرب معرضون عن أمر الطعن والضرب مقبلون على لذات الاكل والشرب ولما نازلها الفرنج أظهروا لاهلها الندم على منازلتها والضعف عن مقاومة من فيها وخدعوهم بذلك فانخدعوا وأطمعوهم فطمعوا وكان المتغلب على تملكها من ملوك الطوائف عبدالعزيز بن ابي عامر المعافري ثم ان العدو جعل في مواضع خارج المدينة كمناء وجماعة من الفرسان فظن اهل البلد أن العدو تفرق وارتحل عنهم فخرجوا في زينتهم ومعهم أميرهم فصبر العدو لهم استدراجا ومكرا حتى خرج الناس كأنهم في عيد فخرج عليهم الكمناء وعطفوا عليهم بالقتل والاسر حتى استأصلوهم ومانجا منهم الامن بقي أجله وخلص الامير بنفسه واستولى العدو على بلنسية وكانت بلنسية في شرقي الاندلس وكان في شرقي الاندلس من المدائن العظيمة بلنسية ومرسية وتطيلة وسرقسطة ولاردة ودانية والسهلة والثغر الاعلى ولكل واحدة من هذه أعمال واسعة وكان أبوايوب سليمان ابن محمد بن هود الجذامي ملكا مستبدا بمدينة تطيلة ثم ملك سرقسطة والثغر الاعلى وبلنسية ولاردة ودانية والسهلة فكان استيلاء العدو اولا على بلنسية في السنة المذكورة وسيأتي ذكر رجوعها للمسلمين ثم استرجاع النصارى اياها مرة أخرى

﴿ ذكر تملك العدو بربشتر وسرقسطة وذلك قصبة برطانية ﴾

من الممالك التي في شرقي الاندلس بربشتر وسرقسطة والثغر الاعلى ومدينة تطيلة ومرسية وبلنسية وغير ذلك والمتغلبون عليها من ملوك الطوائف بنو سليمان بن محمد بن هود الجذامي من سنة احدى وثلاثين واربعمائة وكان قبلهم متغلبا عليها بنو منذر بن مطرق التجيبي فانتزعها منهم بنو هود في السنة المذكورة فلما كانت سنة ست وخمسين واربعمائة نازلها جيش الاردمليش وحاصرها وقصر الامير يوسف بن سليمان بن هود في حمايتها ووكل أهلها الى نفوسهم فاقام العدو عليها أربعين يوما ووقع فيما بين اهلها تنازع في القوت لقلته واتصل الخبر بالعدو فشدد القتال عليها والحصر لها وكان لها مدينتان فدخل المدينة الاولى خمسة آلاف مدرع فدهش الناس وتحصنوا بالمدينة الداخلة وجرت بينهم حروب شديدة قتل فيها خمسمائة أفرنجي ثم اتفق أن القناة التي كان الماء يجري فيها من النهر الى المدينة تحت الارض في سرب موزون فانهارت القناة وفسدت ووقع فيها صخرة عظيمة سدت السرب باسره فانقطع الماء عن المدينة ويئس من بها من الحياة فلاذوا بطلب الامان على انفسهم خاصة دون مال وعيال فأعطاهم العدو الامان فلما خرجوا نكث بهم وغدر وقتل الجميع الا القائد ابن الطويل والقاضي ابن عيسى ومعهما نفر من الوجوه وحصل للعدو من الاموال والامتعة مالا يحصى حتى ان الذي خص بعض مقدمي العدو الف وخمسمائة جارية ابكارا ومن وقار الحلي والكسوة مايحمل خمسمائة جمل وقدر القتلى والاسرى مائة الف نفس ومن نوادر ماجرى على هذه المدينة لما فسدت القناة وانقطعت المياه ان المرأة كانت

ان يعفوهم من هذه الخدمة بعد هذا القدر فانهم لاطاقة لهم بذلك ثم على فرض كون الامام أتى جرما لايوصل به الى هذه الحالة فقال مولانا الشريف انا لا نرضى بهذا من دونكم ولكن اكتبوا سؤالا وخذوا عليه خط المفتي ونأخذ لكم النصفة بعد ذلك بالوجه الشرعي فكتبوا السؤال فأجابهم المفتي الشيخ عبدالله عتاقي زاده بأنه يجب تعزير من أهان أهل العلم وطلع جماعة منهم لمولانا الشريف أحمد وأشرفوه على الجواب فأمر بالاجتماع عند القاضي واقامة الدعوى على الباشا الذي ضرب الشيخ تاج الدين فاجتمعوا وحضر الباشا عند القاضي بعد الطلب وأقيمت الدعوى فحكم القاضي على الباشا شيخ الحرم بما اوجبه جواب السؤال ثم اصطلحوا في المجلس وخرج شيخ الحرم وأخذ معه الشيخ تاج الدين القلعي وأرضاه بما طابت به نفسه وحقد شيخ الحرم في نفسه على المفتي لاجل هذه الفتوى ثم بعد مدة ألقى الى الباشا ان المفتي الافندي عبدالله عتاقي أحدث مرحاضا في سبيل السلطان مراد قصبته في جدار المسجد فأرسل جماعة يشرفون على ذلك فرجعوا اليه بعد الاشراف وأخبروه بأنه قديم من البناء الاصلي فقام بنفسه وذهب الى دار المفتي

(يتبع)

تقف على السور وتنادي من كان بالقرب منها أن يعطيها جرعة ماء لنفسها أو لولدها فيقول لها اعطني مامعك فتعطيه مامعها من كسوة وحلي وغيرها وكان السبب في قتلهم أنه خاف من وصول احد لنجدتهم وشاهد من كثرتهم ماهاله فشرع في قتلهم فلما قتل منهم نيفا على ستة آلاف نادى الملك بتأمين من بقي وأمر ان يخرج من بقي بالبلد فازدحموا على الباب الى ان مات منهم خلق كثير ونزلوا من الاسوار بالحبال خشية من الازدحام في الابواب ومبادرة الى شرب الماء وقد كان تحيز في المدينة جماعة ولم يخرجوا وكانوا مقدار سبعمائة نفس من الوجوه وخاروا في نفوسهم وانتظروا ماينزل بهم فلما خلت ممن أسر وقتل واخرج من الابواب والاسوار وهلك في الزحمة نودي في تلك البقية ان يبادر كل منهم الى داره بأهله وله الامان وأرهقوا وازعجوا فلما حصل كل منهم بمن معه من أهله في منزله اقتسمهم الافرنج لعنهم الله تعالى بأمر الملك وأخذ كل واحد منهم دارا بمن فيها نعوذ بالله تعالى وكان جماعة من أهل المدينة قد نفروا ولاذوا بروس الجبال وتحصنوا بمواضع منيعة وكادوا يهلكون من العطش فأمنهم الملك على نفوسهم وبرزوا في صورة الهلكى من العطش فأطلق سبيلهم فبينما هم في الطريق اذ لقيتهم خيل الكفر ممن لم يشهد الحادثة فقتلوهم الا القليل ممن بقي أجله وكان الفرنج لعنهم الله تعالى لما استولوا على المدينة يفتضون البكر بحضرة أبيها والثيب بحضرة زوجها وأهلها وجرى من هذه الأمور والاحوال مالم يشهد المسلمون مثله قط فيما مضى من الزمان ومن لم يرض منهم ان يطأ بعض النساء ذوات المهنة اعطاهن خدمه وغلمانه يعيثون فيهن وبلغ الكفرة منهم مالا يمكن ان يوصف على الحقيقة ولما عزم ملكهم على القفول الى بلده تخير من بنات المسلمين الجواري الابكار والثيبات ذوات الجمال ومن صبيانهم الوفا حملهم معه ليهديهم الى من فوقه من ملوكهم وترك من رابطة خيله ببربشتر الفا وخمسمائة ومن الرجالة الفين ومما كان في هذه الوقعة الشنعاء ان بعض تجار اليهود جاء بربشتر بعد الحادثة ملتمسا فدية بنات بعض الوجوه ممن نجا كن حصلن في سهم قومس منهم كان يعرفه قال فذهبت الى منزله واستأذنت عليه فوجدته جالسا مكان رب الدار مستويا على فراشه رافلا في نفيس ثيابه والمجلس والسرير كما خلفهما ربهما يوم محنته لم يغير شئ من رياشهما وزينتهما ووصائفه مضمومات الشعور قائمات على رأسه ساعيات في خدمته فرحب بي وسألني عن قصدي فعرفته وجهه وأشرت الى وفور مابذله في بعض اللواتي كن واقفات على رأسه وفيها كانت حاجتي فتبسم وقال بلسانه ما اسرع ماطمعت فيمن عرضناه لك اعرض عنهن وتعرض لمن شئت ممن صيرته لحصني من سبي واسرى من اقاربك فقلت له اما الدخول الى الحصن فلا رأى لي فيه وبقربك انست وبكنفك اطمأننت فأعطني بعض من هنا فاني اعطيك رغبتك قال وماعندك فقلت العين الكثير الطيب والبر الرفيع الغريب فقال كأنك تشهيني ماليس عندي ياباجه ينادي بعض اولئك الوصائف يريد يابهجة فغيره بعجمته قومي فأعرضي عليه مافي ذلك الصندوق فقامت اليه واقبلت ببدر الدنانير وأكياس الدراهم وأسفاط الحلي فكشف وجعل بين يدي العلج حتى كادت توارى شخصه ثم قال لها ادني الى

برجله وخرج فتلاه المفتي وقصد منزل مولانا الشريف وعليه دمه فغضب مولانا الشريف لذلك غضبا شديدا وحصل اضطراب في البلد وأخذ الناس حمية وأنفة مما حصل للمفتي وعزل السوق فجاء الخبر للباشا فدخل عند القاضي فأرسل مولانا الشريف للقاضي أن يحفظه عن الفرار وأمر شيخ الفراشين أن يدعو الفقهاء ووجوه الناس للقيام بهذا الشان فسبقت العامة الى بيت القاضي ورجموا القاضي والباشا بحصى المسجد ثم جاء الوزير عثمان حميدان وأخذ الباشا وخرج به من الباب الذي من جهة باب الزيادة وأدخله منزله بسويقة والناس تتبعه بالرجم بالحجارة ثم اجتمعوا عند القاضي وألزموه باحضار الباشا لتقام الدعوى عليه فامتنع من الحضور فقالت الفقهاء انه خان الشرع وحكموا بارتداده وكفره لمخالفته الشرع وضربه للمفتي وأخذوا بذلك حجة وطلعوا بها لمولانا الشريف فأخذها منهم ولم يؤذن في هذا اليوم لصلاة الظهر لهذه

الحادثة غير أن الائمة صلوا وقامت الجماعة ثم نادى المنادي من مولانا الشريف بالامان وبعد صلاة العشاء أخذ الوزير

من تلك التخوت فأذنت منه قطعة من قطع الوشي والخز والديباج الفاخر حتى حار لذلك ناظري وبهت واسترذلت ماعندي ثم قال لي لقد كثر هذا عندي كل شئ حتى ما التذ به ثم حلف لي أنه لو لم يكن عنده شئ من ذلك ثم بذل لي أحد مثل ذلك ماسمحت بهذه الجارية التي تطلبها نفسي فهي ابنة صاحب المنزل وله حسب في قومه واصطفيتها لنفسي لمزيد جمالها لأجل ان تلد لي وفعلنا هذا مثل ما كان قومها يصنعون بنسائنا اذا ملكونا حين كانت دولتهم وقد رد الله لنا الكرة عليهم فصرنا فيما تراه وازيدك بأن تلك الخودة الناعمة وأشار الى جارية اخرى كانت مغنية لوالدها ثم قال لها يافلانة خذي عودك فأخذت العود وقعدت تسويه واني أتأمل دمعها يقطر على خدها فتسارع العلج مسحه بيده واندفعت تغني بشعر مافهمته انا فضلا عن العلج واظهر الطرب فلما يئست مما عنده قمت منطلقا واطلعت على كثرة ما بأيديهم من السبي والمغنم فطال تعجبي قال في نفح الطيب فهذا مقنع لمن تدبره وتذكرة لمن تذكر ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فان أهل الاندلس لما توالت عليهم النعم انهمكوا في اللذات والشهوات وحل بهم داء التقاطع وقد أمروا بالتواصل والالفة فأصبحوا على شفا جرف يؤدي الى الهلكة لا محالة وأنهم كانوا يعللون أنفسهم بالباطل ويغترون بالنعيم الزائل وقد بعدوا عن طاعة خالقهم ورفضوا وصية نبيهم وغفلوا عن سد ثغورهم حتى جاس عدوهم خلال ديارهم ثم سرى الشرق اليهم جميعا فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ذكر استرجاع المسلمين بربشتر وسرقسطة

لما كانت السنة التي بعد أخذها وهي سنة سبع وخمسين واربعمائة ثار أحمد المقتدر بن هود المفرط فيها والمتهم على اهلها لانحرافهم الى اخيه صمد لها مع امداد المعتمد بن عباد صاحب قرطبة وسعى لاصمات سوء المقالة عنه وقد كتب الله تعالى عليه منها مالا يمحوه الا عفوه تعالى فتأهب لقصد بربشتر في جموع من المسلمين فجاهدوا الكفار بها جلادا ارتاب منه كل جبان واعز الله تعالى اهل الحقيقة والشجعان وحمي الوطيس بينهم الى ان نصر الله تعالى اولياءه وخذل اعداءه وولوا الادبار مقتحمين ابواب المدينة فاقتحمها المسلمون عليهم وملكوهم أجمعين الا من فر من مكان الوقعة ولم يدخل المدينة فاجيل السيف في الكافرين واستؤصلوا أجمعين الا من استرق من اصاغرهم وفدي من اعاظمهم وسبوا جميع من كان فيها من عيالهم وابنائهم وملكوا المدينة بقدرة الخالق البارى واصيب في محنة النصر المتاح طائفة من حماة المسلمين الجادين في نصرة الدين نحو الخمسين كتب الله لهم الشهادة وقتل فئة من اعداء الله الكافرين نحو الف فارس وخمسة آلاف راجل فغسلها المسلمون من رجس الشرك وجلوها من صدى الافك واسترجع بلنسية المأمون بن ذي النون وولى عليها ابابكر بن عبد العزيز المنصور فداخله بن هود في الانتقاض ففعل واستبد ببلنسية وضبطها وذلك سنة ثمان وستين واربعمائة ثم مات ابو بكر بن عبد العزيز فملكها بعده ابنه القاضي عثمان بن ابي بكر وبقي الى سنة ثمان وسبعين واربعمائة فملك الطاغية طليطلة في هذا العام كما سيأتي وتسلمها من القادر

(ابن)

عثمان جيدان الباشا وأطلعه لمولانا الشريف فلامه على فعله فلم يجد جوابا وطلب مولانا الشريف المفتي فجاء بعد الامتناع وجلس معتزلا عن الباشا ولم يجتمع به واجتمع بمولانا الشريف واعتذر له وقال له أما يكفيك ما وقع لهذا الباشا من هذه الهيضة وقد جاء معتذرا ثم بعد يومين أو ثلاثة توجه الباشا بعساكره الى جدة وكتب الافندي عتاقي زادة المفتي الى من يعتمد عليه في اسلامبول وكذلك كتب مولانا الشريف أحمد بما وقع فجاءت المراسيم من السلطنة بعزل الباشا المذكور وفي سنة سبع وتسعين أيضا غزا مولانا الشريف أحمد وقصد جهة الشرق وخرج من مكة عاشر ربيع الثاني في جيش عظيم وجملة نحو خمسمائة بعير وأطاعته القبائل وكافة العرب وانقادوا له وأذعنوا لطاعته قال السنجاري ولم يزل مولانا الشريف يتنقل في تلك الرحاب ويطفئ ما توقد من لهب الاعراب الى الى ان وصل الى المدينة المشرفة يوم الخميس سادس عشر شوال من السنة المذكورة فخرج للقائه أهل المدينة واستمر الى العصر ثم سار لزيارة السيد حمزة سيد الشهداء رضي الله تعالى عنه وبات هناك ثم دخل المدينة يوم الجمعة واتفق انه في ذلك اليوم ورد قاصد من الروم معه

ابن ذي النون شرط عليه القادر ان يمكنه من تملك بلنسية فسار معه الطاغية بجيوش شمالي ان ملكه بلنسية وذلك ان المسلمين لما أقبل عليهم القادر بن ذي النون ومعه جيوش الطاغية خافوا ان يملكها الطاغية فخلعوا القاضي عثمان بن ابي بكر وسلموها للقادر بن ذي النون وذلك سنه ثمان وسبعين وأربعمائة وبقي الى سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وكان ذلك بعد دخول يوسف بن تاشفين الاندلس وتغلبه على ملوك الطوائف كما سيأتي بيانه فجهز جيشاً لتخليص بلنسية من القادر بن ذي النون وجعل امارة بلنسية للقاضي أبي أحمد جعفر بن عبدالله بن جحاف فحصر بها القادر بن ذي النون الذي مكن الاذفونش من طليطلة ثم هجم عليه القاضي في جماعة من المرابطين فقتلوه وذلك سنة ثلاث وثمانين واربعمائة وتملك ابن جحاف بلنسية ثم رجع عنه طائفة المرابطين الذين كان استنصر بهم وأعانوه على تملكه اياها وصار خائفا من استيلاء الطاغية عليه وجعل يستصرخ الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين فيبطأ عليه النصر وفي أثناء ذلك أنهض يوسف بن أحمد بن هود صاحب سرقسطة لذريق الطاغية للاستيلاء على بلنسية فدخلها وعاهده القاضي بن جحاف واشترط عليه احضار ذخيرة كانت للقادر بن ذي النون فأقسم انها ليست عنده فاشترط عليه انه ان وجدها عنده قتله فاتفق انه وجدها عنده فأحرقه بالناروعات في بلنسية وكان الاستيلاء عليه سنة ثمان وثمانين واربعمائة وقيل في التي قبلها وهذا الطاغية الذي اخذها يقال له ايضا القنطيور وحاصرها قبل اخذها عشرين شهرا قيل انه دخلها صلحا وقيل بل عنوة وحرقها وعاث فيها وممن أحرقوا فيها الاديب ابا جعفر بن البناء الشاعر المشهور ثم وجه اليها جيشا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وجعل اميرا على الجيش ابا محمد مرزلي ففتحها الله تعالى على يديه سنة خمس وتسعين واربعمائة وبقيت بلنسية بيد المسلمين الى سنة ستمائة وثلاثين ثم اخذها العدو وسيأتي ما كان بعد ذلك ومما استولى عليه العدو مدينة المرية وهي من مدائن الاندلس العظيمة الشهيرة استولى عليها العدو سنة ثنتين واربعين وخمسمائة واحصى عدد من سبي من أبكارها فكان اربعة عشر ألفا قال ابن حبيش وهو آخر الحفاظ بالاندلس كنت في قلعة المرية لما وقع الاستيلاء عليها اعادها الله للاسلام فتقدمت الى زعيم النصارى وهو ابن بنت الاذفونش وقلت له اني احفظ نسبك منك الى هرقل فقال لي قل فذكرته له فقال لي اخرج أنت واهلك ومن معك طلقا بلاشيء ثم انها بعد ان اخذت في السنة المذكورة استرجعها المسلمون سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة وبقيت بيد المسلمين الى ان أخذها الكفار مرة اخرى سيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر تملك الطاغية طليطلة ﴾

قال في نفح الطيب ان الاندلس ينقسم الى مشرق ومغرب ومتوسطة وكل واحد من الاقسام الثلاثة مشتمل على مدائن عظيمة كل مدينة منها مملكة مستقلة مشتملة على اعمال وقرى ومزارع وبساتين وأقطار واسعة وخلائق لا يحصون في غاية التنعم والرفاهية فمن المتوسطة قرطبة وطليطلة وجيان وقسطلة وغرناطة والمرية ومالقة وغير ذلك مما يطول ذكره ومن مشرق

أيضا شيخ الحرم قفطانه واستمر سيدنا الشريف بالمدينة الى ان توجه الى مكة ثاني عشر ذي القعدة ودخل مكة هلال ذي الحجة محرما فطاف وسعى بالليل ثم عاد الى الزاهر ودخل في الصبح في الآلاي أعظم وفي شهر المحرم افتتاح سنة تسع وتسعين حصل اختلاف وتنافر بين مولانا الشريف والسيد أحمد بن غالب فخرج السيد أحمد بن غالب من مكة مغاضبا في شهر صفر وتبعه جماعة من الاشراف ثم في شهر ربيع توجه السيد أحمد بن غالب الى جهة الشام وفي أواخر ربيع الثاني مرض مولانا الشريف أحمد وجاءته حمى واستمر مرضه نحو خمسة عشر يوما ثم توفي الى رحمة الله يوم الخميس ثاني عشر جمادى الاولى وقت الضحى وكتم موته ابن أخيه الشريف سعيد الى ما بعد صلاة الظهر وكان مولانا الشريف سعيد هذا ابن مولانا الشريف سعد بن زيد مقربا عند عمه مولانا الشريف أحمد بن زيد يخصه بمزيد محبته لما يرى من نجابته وربما أمره بالجلوس في ديوان بدايته في مدة توعكه

فلما توفي مولانا الشريف

الاندلس مرسية وبلنسية وشاطبة ووانية والسهلة والثغر الأعلى وسرقسطة وتطيلة وغير ذلك مما يطول ذكره ومن غرب الاندلس اشبيلية وماردة واشبونة وشلب وشريش ولبلة والخضرا وبطليوس وغير ذلك مما يطول ذكره ولما ضعف أمر الخلافة وافترق ملوك الاندلس وكثر الاختلاف بينهم وانتشرت الفتن صارت الممالك بيد ملوك كثيرة يسمون ملوك الطوائف لكل مملكة ملك مستقل ينفذ أمره ونهيه فيما كان تحت يده من الممالك وهم مختلفون في اتساع ممالكهم وعدم اتساعها وكان ابتداء تفرق الممالك واستبداد تلك الطوائف من سنة سبع وأربعمائة وصاروا يقاتل بعضهم بعضا فيتغلب بعضهم على بعض ويستولى على ما بيد الآخر وكان عدد اولئك الملوك خمسة عشر لاحاجة لي ذكر اسمائهم وكان اعظم الممالك عندهم قرطبة وهي مقر دار الخلافة وسرير الملك والسلطنة وكان المستولي على قرطبة من ملوك الطوائف المعتضد بن عباد وكانت قبل تغلبه عليها عند أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور المعافري الكلبي استبد بها من سنة ثنتين وعشرين واربعمائة ثم صار لبنيه من بعده فأخذها منهم ابن ذي النون صاحب طليطلة سنة أحدى وستين وبقيت عنده الى سنة تسع وستين وأربعمائة فانتزعها منهم المعتضد بن عباد بعد قتال وضمها الى ما كان بيده من الممالك فصار ابن عباد أعظم ملوك الطوائف فكانوا يهابونه ويهادونه ويخضعون له ويخشون سطوته وكان ابو المعتضد وهو الذي أسس له هذا الملك قيل انه من لخم وينتهي نسبه الى النعمان بن المنذر ملك الحيرة في الجاهلية وتوفي المعتضد بن عباد سنة احدى وستين وأربعمائة وصار الملك بعده لابنه المعتمد محمد بن عباد فاتسع ملكه وشمخ سلطانه اكثر مما كان لأبيه وكان أيضا من أعظم الممالك طليطلة وكانت لبني ذي النون وكانت قبلهم ليعيش بن محمد بن يعيش من اول الفتنة والتفرق الى سنة سبع وعشرين واربعمائة فانتزعها منهم وتغلب عليها اسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذي النون اصله من البربر من قبيلة هوارة وضمها الى ما كان بيده من الممالك فاتسع ملكه وتوفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة فولي بعده ابنه المأمون أبو الحسن يحيى فاستفحل ملكه وعظم بين ملوك الطوائف سلطانه وتوفي سنة سبع وستين وأربعمائة فولي بعده حفيده القادر بالله يحيى بن اسماعيل بن المأمون يحيى فانتزعها الطاغية منه وهي من المتوسطة من الاندلس وكانوا يسمونها وجهاتها الثغر الادنى ويسمون سرقسطة وجهاتها الثغر الاعلى وتسمى طليطلة ايضا مدينة الاملاك لانها ملكها اثنان وسبعون ملكا قيل ان سليمان بن داود عليه السلام دخلها وكذا عيسى بن مريم عليهما السلام ودخلها أيضا ذو القرنين وهي مدينة حصينة قديمة من بناء العمالقة ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة ورساتيق مريعة وضياع بديعة وقلاع منيعة وبها القنطرة العجيبة البناء يعجز الواصفون عن وصفها وطول تلك القنطرة ثلاثمائة باع وعرضها ثمانون باعا على قوس واحد والماء يدخل تحته بعنف وشدة جري ومع آخر النهر ناعورة ارتفاعها في الجو تسعون ذراعا وهي تصعد الماء الى أعلى القنطرة ويجري الماء على ظهرها فيدخل المدينة وبنى المأمون فيها قصرا تأنق في بنائه وأنفق مالا كثيرا وصنع فيه بحيرة وبنى في وسطها

أحد جلس مولانا الشريف سعيد في الديوان العام وبعث الى الوزير وكبار العسكر فتكلم معهم في المكانة فأذعنوا له وطلعوا الى قاضي الشرع مع جماعة من وجوه الفقهاء واتفق رأيهم على اقامة المذكور مقام عمه وأخذوا الخلعة وطلعوا بها الى دار السعادة وألبسوه اياها واستقر الحال على أحسن ما يكون وأخرجوا الجنازة وقت العصر فصلوا عليه ودفنوه بالمعلى على والده فكانت مدة دولته أربع سنين الاثلاثة أيام ومولده سنة اثنتين وخمسين وألف فعمره سبع وأربعون سنة وأسف الناس عليه وحزنوا عليه ورثاه الشعراء بقصائد ومولد الشريف سعيد سنة خمس وثمانين وألف وسافر والده من مكة وهو عند مراضعه وهذه الولاية الاولى من ولايته شرافة مكة وفرق يوم السبت على العسكر جوامكهم وزاد من أراد زيادته وختم على جميع مخلفات عمه الشريف أحمد بحضرة السيد ثقبة بن قتادة وكتب الى ابن عمه السيد عبد المحسن والى أخيه ابن المرحوم الشريف أحمد بن زيد يخبرهم بذلك وكانا بينبع فأمرهم بالمقام هناك لمحافظة ما يليهم وعامله من مكة الاشراف بالسمع والطاعة وزينت البلد ثلاثة أيام وفي جمادى الثانية يوم السادس منه ورد قابجي

قبة وسيق الماء الى أعلى القبة على تدبير أحكمه المهندسون فكان الماء ينزل من اعلى القبة متواليا
كلها محيطاً بها متصلا بعضه ببعض فكانت القبة في غلالة من الماء يسكب ولا يفتر
والمأمون قاعد فيها لا يمسه من الماء شيء ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل فبينما هو فيها يوما اذ
سمع منشداً يقول

أتبني بناء الخالدين وانما ❋ بقاؤك فيها لو عقلت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية ❋ لمن كل يوم يعتريه رحيل

فلم يلبث بعد هذا الا يسيرا حتى قضى نحبه وذلك سنة خمس وثلاثين واربعمائة وولي بعده
ابنه يحيى القادر بالله الى ان اخذت منه ثم صارت له بلنسية بواسطة الطاغية الى ان قتل
كما تقدم وبطليطلة بساتين محدقة وانهار مخترقة ورياض وجنان وفواكه حسان مختلفة الطعوم
والالوان وفيها ايوان كبير يقال ان الخيل تلعب فيه وكان بنو ذي النون ملوك طليطلة لهم
دولة كبيرة وبلغوا في البذخ والترف الى الغاية فطمع في ملكهم الطاغية المسمى بالاذفونش
واشتغل القادر يحيى صاحبها بالخلاعة والمجون واكثر مهاداة الافرنج ومصانعتهم ليتلذذ
باللعب وامتدت يده الى اموال الرعية ولم تزل الفرنج تأخذ حصونه شيئا بعد شيء حتى اخذت
منه طليطلة وسلبته ملكه ولما أرادوا اخذها سار اليها الاذفونش بجيوشه وصار يملك
قراها وأعمالها ويضيق عليها بالحصار وكان ذلك كله في مدة سبع سنين فلما اشتد عليهم
الحصار رضي صاحبها والمسلمون ان ينزلوا عنها وقد فني بالقتل والاسر والنهب كثير منهم
في قراها وبواديها قال ابن بسام بعد ذكره وقعة بطرنة المتقدم ذكرها وذكر ما صار
للمسلمين عند اخذها وهكذا جرى لاهل طليطلة فان العدو خذله الله استظهر عليهم وقتل
جماهيرهم وكان من جملة ما غنمه الفرنج من اهلها لما اخرجوا اليهم من ثياب الترفه الف عفارة
خارجاً عما سواها وكان اخذ الطاغية طليطلة سنة ثمان وسبعين واربعمائة واعطى الامان
لصاحبها القادر بالله ولمن بقي بها من المسلمين ثم لما ملكها الطاغية صار يستميل اهلها الباقين
فيها ويظهر لهم صورة العدل حتى حبب التنصر الى كثير من الطغام منهم وقيل لملكهم الطاغية
ينبغي ان تلبس التاج كمن كان قبلك من الملوك فقال حتى نأخذ قرطبتهم وأعد لذلك ناقوساً
تأنق فيه وأخذ في الاستعداد لتملك قرطبة ومما يدل على عظم مدينة طليطلة وحصانتها
ان المسلمين لما استرجعوا ما تملكه الاعداء من المدائن والقرى عجزوا عن استرجاع طليطلة
وبقيت في يد العدو الى آخر المدة ولما فتح المسلمون الاندلس في اول الامر القى الله الرعب
في قلوب النصارى وصاروا يأخذون في الفرار ولم يثبت منهم احد بعد اول وقعة كانت
بينهم وبين المسلمين حتى انهم أخلوا طليطلة فوجدها المسلمون خالية ووجدوا فيها مائدة
سليمان عليه السلام وقيل انها ليست لسليمان وانما هي لملوكهم تأنقوا في صنعها وكانت
مصوغة من الذهب مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمرد ولم ير الراؤن مثلها وكان لها
ثلاثمائة وخمسة وستون رجلا بكسر الراء وسكون الجيم وكان عليها طوق من اللؤلؤ
وطوق من الياقوت وطوق من الزمرد وكلها مكللة بالجوهر حافاتها وارجلها وكانت ارجلها
منها فأخذها طارق بن زياد فاتح الاندلس واتحف بها الوليد بن عبد الملك

بخبر خلع السلطان محمد بن ابراهيم وتولية أخيه السلطان سليمان بن ابراهيم ومعه مرسوم باسم الشريف
أحمد بن زيد وقفطان
مضمون المرسوم الانعام
على الشريف أحمد بحماية
الحرمين الشريفين على
ما كانت عليه أوائله فحضر
الشريف سعيد بالحطيم
والقاضي والمفتي وأعيان
الناس وقرؤا المرسوم ولبس
الشريف سعيد القفطان
وخلع على الناس ثم جلس
في بيته للتهنئة وفي الرابع
عشر من الشهر ورد السيد
عبد المحسن بن الشريف
أحمد بن زيد من ينبع ومعه
السيد مساعد بن سعد بن
زيد وجلسا للعزاء وفي
الثالث والعشرين من
الشهر المذكور كتب
الشريف سعيد عرضا
لصاحب مصر يطلب
التقرير له على شرافة مكة
وبلغه ان الفقهاء يتكلمون
فيما لا يعنيهم فبعث اليهم ان
يلزموا منازلهم ويحفظوا
ألسنتهم بعد التهديد لبعضهم
من حاكمه القائد أحمد بن
جوهر وفي غرة شعبان جاء
الخبر بأن السيد احمد بن
غالب اعترض المكاتيب
والعرض الذي أرسله
الشريف سعيد وأخذه في
ينبع ممن كان معه وكان
مرسلا مع الشيخ محمد المنوفي
ثم كتب الشريف سعيد عرضا آخر عليه خطوط العلماء وعرفهم بواقعة الحال وما جرى من السيد أحمد بن غالب وبعثه من جهة الشام

وكان الشريف أحمد بن غالب مقيما بينبع وبعث الى صاحب مصر يطلب ولاية مكة وبذل لصاحب مصر

❁ ذكر ما جرى بعد استيلاء العدو على طليطلة بين العدو والمعتمد بن عباد صاحب قرطبة ❁

قد تقدم ان ابن عباد كان أعظم ملوك الطوائف وذلك لانه قاتل كثيرا من ملوك الطوائف وانتزع منهم كثيرا من ممالكهم فصار له قرطبة واشبيلية وبطليوس وشريش وقرمونة ورندة وغير ذلك فكان الباقون من ملوك الطوائف يهابونه ويلتمسون رضاه ولما رأى ابن عباد قوة الاذفونش الطاغية صار يداهنه ويهاديه ويخضع له وجعل له ضريبة على نفسه يؤديها اليه كل سنة فلما تملك الاذفونش طليطلة وارسل اليه المعتمد الضريبة المعتادة التي كان يدفعها كل سنة فلم يقبلها الاذفونش وارسل اليه يتهدده ويتوعده المسير الى قرطبة ليفتحها الا ان يسلم اليه الحصون المنيعة التي يريدها فيبقى العهد للمسلمين وكان رسول الاذفونش الى المعتمد معه جمع من النصارى اتباع الاذفونش كانوا نحو خمسمائة فارس فلما وصل الى المعتمد أنزله وحده وفرق اصحابه على قواد عسكره ثم أمر المعتمد قواد عسكره ان يقتل كل منهم من كان عنده من اولئك النصارى الذين جاؤا مع رسول الاذفونش فقتلوهم واحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من اولئك النصارى المرسلين ثلاثة نفر فرجعوا الى الاذفونش وأخبروه الخبر وكان قد تجهز الى قرطبة ليحاصرها فرجع الى طليطلة ليزيد في التجهز ويجمع ما بقى من آلات الحصار ويكثر الجيوش والعدة فلما بلغ المعتمد اهتمام الطاغية في التجهيز رحل الى اشبيلية لتدبير هذا الامر وسمع بذلك العلماء من مشائخ قرطبة وتحققوا جميع ما جرى وعلموا قوة الفرنج وضعف المسلمين وتأملوا في أمر ملوك الطوائف فوجدوهم منهمكين في اللذات والشهوات ويقاتل بعضهم بعضا ويستعين بعضهم على بعض بالفرنج فاجتمع العلماء يتشاورون في هذا الامر فقال بعضهم هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها الافرنج وملكوا كثيرا منها ولو استمرت الحال على ما نرى عادت نصرانية كما كانت ثم ساروا الى قاضي القضاة المسمى عندهم بقاضي الجماعة وكان في ذلك الوقت هو القاضي عبد الله بن محمد بن ادهم فقالوا له الا تنظر الى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية للطاغية بعد ان كانوا يأخذونها منه وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال ما هو قالوا نكتب الى عرب افريقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا أنصاف أموالنا ونخرج معهم مجاهدين في سبيل الله فقال لهم اذا وصلوا الينا يخربون بلادنا ويطمعون فينا ويبدؤن بنا قبل الافرنج ثم يذهبون بأموالنا الى بلادهم ويتركونا مع الافرنج فيزدادون قوة علينا والذي أراه ان المرابطين اتباع يوسف بن تاشفين ملك مراكش اقرب الينا من عرب افريقية وكان يوسف بن تاشفين له ملك ضخم وقوة عظيمة في مراكش وفاس واعمالهما فاستحسن العلماء ما قاله قاضي الجماعة ثم ذهب قاضي الجماعة الى المعتمد بن عباد وعرض عليه ما قالوه واستحسنوه فاستحسنه المعتمد بن عباد وقال للقاضي المذكور انت الرسول الى ملك مراكش يوسف بن تاشفين فامتنع وأراد ان يبرئ نفسه من تهمة تقع عليه فلم يقبل منه المعتمد هذا الامتناع بل ألح عليه المعتمد الى ان رضي وعزم على المسير اليه فكان ما سيأتي ذكره وينبغي قبل ذكر مسير قاضي الجماعة ان نذكر شيأ مما يتعلق بدولة يوسف بن تاشفين ملك مراكش وكيف كان ابتداء امره ليعلم بذلك كيف ترقت دولته

مالا يقال انه مائة كيس وكان بمصر مال يجمع للفقراء من أهل مكة من باقي الحب نحو خمسة وسبعين ألف قرش فقام ابراهيم بيك القاسمي أمير الحاج المصري ويوسف أغا وكيل صاحب مكة وأعطيا الباشا ذلك من قبل السيد أحمد بن غالب وقاما في توليته الكتب وردت اليهما منه وتصالحا على ذلك وأخذا بعضا من المال واستخرجوا أمرا من الباشا بولاية الشريف أحمد ابن غالب شرافة مكة فجاء الامر مع بعض أعوان الباشا وبعثوا به الى صاحب جدة ومعه أمر لصاحب جدة في تنفيذ ذلك وأرسل صاحب مصر الى أبواب السلطنة يطلب الولاية للشريف أحمد بن غالب فلما كان ليلة الرابع عشر من رمضان ورد من صاحب جدة قاصد الى قاضي الشرع وأغاة الانكشارية يعرفهم بأن صاحب السعادة صاحب مصر وصل اليه منه أمر بأن مكة قد تولاها السيد أحمد بن غالب وقد بعث الينا السيد أحمد بعض أشراف وانهم واصلون اليكم مع تسليم مولانا الشريف أحمد بن غالب وهو مولانا السيد محمد بن مساعد بن مسعود بن حسن فطلع مولانا القاضي الى مولانا الشريف سعيد وأخبره

(حتى)

حتى كانت في غاية القوة والمتانة وتعرف دولته بدولة المرابطين والملثمين لانهم كانوا يتلثمون دائما وهم عدة قبائل اشهر تلك القبائل قبيلة لمتونة وكان يوسف بن تاشفين منهم ومنهم قبيلة جدالة واطة واختلفوا في انتهاء نسبهم اختلافا كثيرا فاختار ابن الاثير انهم ينسبون الى حمير فهم على قوله من العرب وكان أول مسيرهم من اليمن في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فسيرهم الى الشام زمن فتوحات الشام ثم انتقلوا الى مصر ثم دخلوا المغرب مع موسى ابن نصير ثم توجهوا مع طارق بن زياد فاتح الاندلس ثم أحبوا الانفراد ودخلوا الصحراء واستوطنوها ثم توحشوا وتوالد منهم قبائل كثيرة واختار ابن خلدون انهم ليسوا من العرب وانما هم من البربر وان نسبهم ينتهي الى يافث بن نوح عليه السلام ولما توحشوا في البوادي صاروا لا يعرفون من الاسلام الا الشهادتين والصلاة ثم حج رجل منهم سنة ثمان واربعين واربعمائة فلما رجع صحب معه واحدا من العلماء وكان فقيها صالحا اسمه عبد الله بن يس الكزولي وقصد بمجيئه به الى قومه ان يعلمهم الاحكام والشرائع فجاء معه فأكرموه وصار يعلمهم وينقادون له ثم جعلوا عليهم أميرا من لمتونة وهو أبو بكر بن عمر وكان هو رأس لمتونة ثم صاروا يقاتلون أهل البغي والفساد ممن كان قريبا منهم فقوي أمرهم ثم خرجوا الى السوس الاقصى وصاروا يأخذون الزكاة ووقع بينهم وبين أهل السوس قتال الى ان انقادوا لهم ثم قاتلوا أهل سجلماسة الى ان انقادوا لهم أيضا ثم توفي اميرهم ابو بكر بن عمر بعد ان استخلف ابن اخيه ابا بكر بن ابراهيم بن عمر ثم توفي أبو بكر أيضا سنة ثنتين وستين وأربعمائة فاجتمعت طوائفهم على ابن عمه يوسف ابن تاشفين وملكوه عليهم ولقبوه امير المسلمين فكثرت جموعهم وقوي أمرهم وكان يوسف المذكور مشهورا بالعقل والصلاح وحسن التدبير فظهر امرهم وعلا شأنهم فقصدوا موضع مدينة مراكش وكان قاعا صفصفا لا عمارة فيه فاختط يوسف هنالك مدينة مراكش ونزلها بمن كان معه من القبائل ثم لم يزل يتملك مدائن المغرب مدينة بعد مدينة حتى صار له من القوة والمتانة ما هو مشهور مذكور في التواريخ والكلام على ذلك طويل فلما نزل بأهل الاندلس ما نزل من الكفار قصدوه فبعثوا اليه قاضي الجماعة بقرطبة القاضي عبد الله بن محمد بن أدهم فسار الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بكتابة من المعتمد بن عباد وعلماء قرطبة فأبلغه الرسالة وأعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش وكان امير المسلمين بمدينة سبتة ففي الحال أمر بعبور العساكر الى الاندلس وأرسل الى مراكش في طلب من بقي من العساكر فأقبلت اليه تلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار الى ان اجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية فكانت غزوة الذلاقة المشهورة

﴿ ذكر غزوة الذلاقة ﴾

لما اجتمع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بالمعتمد بن عباد باشبيلية وجده قد جمع عساكره وكان فيهم من أهل قرطبة عسكر كثير ومعهم من المتطوعة من سائر بلاد الاندلس خلق كثير فلما وصلت الاخبار الى الاذفونش الطاغية جمع عساكره وسار من طليطلة وكتب الى أمير

بذلك فأجاب الا بالتصميم على القتال وانه لا يسلم مكة بأمر باشوي وعلى فرض ذلك فكان وصوله اليك هو الواجب لا الى صاحب جدة وفي تاريخ الرضي ان الشريف سعيدا قال للقاضي ان كان بيد السيد أحمد بن غالب أو صاحب جدة أمر سلطاني فليأتوا به ونحن مطيعون للامر السلطاني وان كان ليس بأمر سلطاني فحكم الباشا على مصر وصعيدها يعزل فيه ويولي من شاء وما دون مكة الا السيف فقال له القاضي يا مولانا هذا وزير مصر يعزل ويولي فكذبه صريحا فقال يعزل ويولي مثلك فلما تعقل القاضي كلامه بعث الى صاحب جدة يحذره عاقبة الامر فجاء جوابه بأنا نادنا السيد أحمد بن غالب بجدة في ثالث عشر رمضان وانه طالع الى مكة مع قائم مقام المذكور والسيد مساعد فلما بلغ مولانا الشريف سعيدا ذلك تأهب للقتال وجمع عبيد ذوي زيد وكل العساكر فظهر له اجماعهم وبعث نحو عشرين خيالا من عبيده الى نحو جدة فجاءه النذير بأن صاحب جدة وصل هو وبعض الاشراف ممن كان مع الشريف أحمد بن غالب ونزلوا الركاني بلد الشريف أحمد بن غالب في طريق جدة وان جماعة الشريف سعيد واجهوه وقالوا له لا تدخل مكة فان مولانا الشريف سعيدا غير مسلم البلد بدون قتال أو أمر سلطاني فقال لهم انه لا بد

المسلمين يوسف بن شفين كتابا باللسان العربي كتبه له بعض المخذولين ممن يدعون الانتساب الى الاسلام يغلظ فيه القول ويصف ماعنده من القوة والعدد والعدة وبالغ الكاتب في الكلام وتجاوز الحد فأمر ابن تاشفين كاتبه ان يكتب الجواب لاذفونش فكتب كلاما كثيرا فلما قرأه على أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قال هذا كلام طويل أحضر كتاب الاذفونش واكتب في ظهره الذي سيكون ماستراه لاماستقرؤه فلما رجع الكتاب الى الاذفونش ارتاع لذلك وعلم انه بلي برجل له عزم وحزم فازداد استعدادا وكان في جيشه اربعون الف دارع وجملة جيشه ثلاثمائة الف بغاية الاستعداد فرأى في منامه كأنه راكب على فيل وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه فقص رؤياه على القسيسين فلم يعرفوا تأويل هذه الرؤيا فأحضر رجلا من علماء المسلمين فقص الرؤيا عليه فاستعفاه من تعبيرها فلم يعفه فطلب منه الامان على نفسه اذا عبرها له فأمنه فقال له تأويل هذه الرؤيا يؤخذ من كتاب الله عز وجل وهو قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة وقوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وهذا التأويل يقتضي هلاك هذا الجيش الذي جمعته فقال الاذفونش للذي عبر له الرؤيا بهذا الجيش ألقى اله محمد صاحب كتابكم واقاتل بهذا الجيش الجن والانس وملائكة السماء فانصرف ذلك المعبر وقال لبعض المسلمين هذا الاذفونش هالك وكل من معه وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكان الاذفونش استنفر جميع أهل بلاده وما يليها وماوراءها ورفع القسيسون والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا اناجيلهم وأيقنوا بالنصر والظفر اغترارا بكثرتهم وقوة استعدادهم وماعلموا ان النصر من عند الله وان العاقبة للمتقين ثم سار أمير المسلمين والمعتمد بن عباد بجيوشهما وجيوش ملوك الطوائف حتى أتوا أرضا يقال لها الزلاقة من بلد بطليوس وأتى الاذفونش بجيوشه فنزل موضعا بينه وبينهم ثمانية عشر ميلا ولم يبق احد من ملوك الطوائف بالاندلس الا بادر وأعان بالمال والرجال وخرج بنفسه وأخرج عساكره لكن لم يبلغ عدد مقدار جيش العدو وقيل لأمير المسلمين ان ابن عباد ربما انه لاينصح ولايبذل نفسه دونك فأرسل أمير المسلمين يأمره ان يكون في المقدمة ففعل ذلك وسار وقد ضرب الاذفونش خيامه في سفح جبل والمعتمد في سفح جبل يتراأون ونزل امير المسلمين وراء الجبل الذي عنده المعتمد وظن الاذفونش ان عساكر المسلمين ليس الا الذين يراهم مع ابن عباد فتيقنوا الغلب وأرسل الاذفونش الى المعتمد في ميقات القتال فقال يكون يوم الاثنين فقد وصلنا على حال تعب واستقر الامر على هذا فركب الاذفونش ليلة الجمعة سحرا وصبح بجيشه جيش المعتمد بكرة الجمعة غدرا وظنا منه ان ذلك الخيم هو جميع عسكر المسلمين فوقع القتال بينهم فصبر المسلمون وأحاط عليهم الاذفونش بجموعه من كل جهة وحمي الوطيس واستحر القتل في اصحاب ابن عباد وقاتل ابن عباد بنفسه قتالا لم يعهد مثله لاحد وجرح جراحات وضرب على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت الى صدغه وجرحت يمنى يديه وطعن في احد جانبيه وعقرت تحته ثلاثة افراس كلما هلك واحد قدم له آخر وهو يقاسي

من دخول مكة ثم جاؤا للشريف سعيد بكتاب ظفر وابه من قاضى مكة لصاحب جدة يأمر بالدخول ويخبره بأنه استمال له أغاوات العساكر فخفظ الكتاب وزاد في التحرز وحفظ الطرقات وأقام عسكرا ببابه محافظين وأقام آخرين في بعض البيوت التي على الطريق ثم ظهر للشريف سعيد ان شيخ عسكره موافق للشريف أحمد بن غالب وانه بعث الى صاحب جدة يأمره بالطلوع وانه عازم على تثبيط العسكر فأمر بقتله فقتل وفي أواخر رمضان ورد الخبر بقدوم الشريف أحمد بن غالب الى مكة فاشتد الخوف وفي التاسع والعشرين من رمضان وصل المذكور الى الزاهر وهل هلال العيد ليلة الخميس والناس في أعلى درجات الشدة وجلس مولانا الشريف سعيد لرؤية العيد في الليل وهو في غاية التحفظ من كل الجهات ولم يحضر في الصبح صلاة العيد وعيد الشريف أحمد بن غالب في الزاهر وبه جماعته محافظا عليهم وترددت الرسل بينه وبين الشريف سعيد وكل يذل صاحبه عن القتال ثم جاء الخبر بوصول الشريف أحمد العمرة وجاء جماعة من الاشراف للشريف سعيد وأخبروه بأن الامر قد خرج عنه وأظهروا له التخلي عنه بالكلية حتى أخوه

(حياض)

حياض الموت ويضرب يمينا وشمالا وكان ابن عباد قد بعث الى أمير المسلمين يستحث نصرته فبينماهم فى القتال اذ وصل أمير المسلمين بجيوشه بعد ان كاد المسلمون ينهزمون وقصد خيام الفرنج ومحلة الاذفونش فاقتحموها وأحرقوها وفتكوا فيها وضربت الطبول وزعقت البوقات فاهتزت الارض وتجاوبت الجبال والآفاق وتراجعت الروم الى محلاتهم بعد ان علموا أن أمير المسلمين فيها فصدموا امير المسلمين فخرج لهم عنها ثم كر عليهم فأخرجهم منها ثم كروا عليه فخرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى ان أمر امير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاء اربعة آلاف ودخلوا المعترك بالدرق والسيوف والمزاريق فطعنوا الرجال والخيل فرمحت الخيل بفرسانها وأحجمت عن أقرانها وكان اهل الاندلس لايعرفون الجمال وليست فى بلادهم فجاء أمير المسلمين معه بجمال كثيرة فكانت من جملة اسباب النصر لان خيل العدو كانت تجمح من رؤية الجمال ومن رغائها وارتفع رغاؤها الى عنان السماء ومن منفعة تلك الجمال انه كان يحدق بها العسكر وقت نزولهم وكان يحضرها الحرب فيكثر رغاؤها ثم تحول اناس من جيش أمير المسلمين جاؤا الى موضع القتال فلقيتهم من بين ايديهم ووضع السيف فيهم فلم يتمالكوا الثبات وأنزل الله النصر وانزل السكينة على المسلمين فانهزم العدو واخذهم السيف من كل جانب وصدق المسلمون جميعا الحملة فتزلزلت الارض بحوافر خيولهم واظلم النهار بالعجاج والغبار وخاضت الخيل فى الدماء فانكشف الطاغية وفر هاربا منهزما وقد طعن فى احدى ركبتيه طعنة بقى يخمع بها وافلت فارا مع نفر يسير من قومه وهلك الباقون وكان موضع القتال متسعا جدا فما كان فيه موضع قدم الاوفيه من تلك الوقعة ميت أو دم وجمع المسلمون من رؤس القتلى كوما فكانوا يؤذنون عليها الى ان جيفت فأحرقوها وقيل لم يرجع من الفرنج الى بلادهم غير ثلاثمائة فارس وغنم المسلمون كل مالهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك وجمع أمير المسلمين الغنائم وعف عنها واعطاها ملوك الاندلس وعرفهم ان مقصده الجهاد ونيل الثواب العظيم واقام اربعة ايام لجمع الغنائم وعاد ابن عباد الى اشبيلية ورجع أمير المسلمين الى الجزيرة الخضراء وعبر الى سبتة وسار الى مراكش ولما بلغ الاذفونش الى بلاده وسأل عن ابطاله وشجعانه واصحابه ففقدهم ولم يسمع الانوح الثكلى فاهتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك هما وغما وهوى الى امه الهاوية وكانت هذه الوقعة فى يوم الجمعة فى العشر الأول من رمضان سنة تسع وسبعين واربعمائة فكانت هذه الغزوة من اعظم غزوات المسلمين وفتوحاتهم

ذكر ما كان بعد غزوة الزلاقة

ولما فرغ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من غزوة الزلاقة أقام بالاندلس اياما ثم لما أراد التوجه الى مراكش ترك جيشا عظيما بالاندلس لقصد غزو الافرنج وشكا اليه كثير من علماء الاندلس جور ملوك الاندلس الذين اقتسموها وانهماكهم فى اللذات والشهوات والمعاصى فوعظ الملوك وزجرهم ونهاهم عن المكوس وعن الظلم والجور والانهماك فى اللذات والشهوات ثم رجع الى مراكش فجاءته الاخبار بأنهم تقاعدوا عن جهاد الكفار واستغرقوا الاوقات فى اللذات والشهوات وزادوا فى الظلم عما كانوا فاستفتى علماء العراق فيهم فأفتوه بجواز

وابن عمه فلما رأى انحلال الامر وكل الامر الى الله تعالى وأودع طوارفه السيد أحمد بن سعيد بن شنبر وسار متوجها الى الطائف فدخل مكة الشريف أحمد بن غالب ابن محمد بن مسعود بن حسن ابن أبى نمى ضحى يوم الجمعة ثانى شوال سنة تسع وتسعين وألف فى آلاى أعظم من الجون لابسا خلعته الباشوية ومعه جميع الاشراف ونزل داره بيت الشريف محسن بن حسين بن الحسن بن أبى نمى وكان قد اشتراها من السيد محمد بن زيد وجلس للتهنئة وحقن الله الدماء وامتدحه الشعراء بقصائد وعزل كثيرا من أهل المناصب وولى غيرهم (ولاية الشريف أحمد بن غالب سنة ١٠٩٩) وفى شهر القعدة جاءه المرسوم السلطانى مضمونه ان صاحب السعادة صاحب مصر حسن باشا رفع الى الابواب السلطانية انه بعد وفاة الشريف أحمد بن زيد استحق الشرافة الشريف أحمد بن غالب وأن الاشراف راضون به فحصل من السلطنة الانعام عليه بذلك فقرئ المرسوم بالحطيم ولبس الشريف أحمد القفطان الوارد وجلس للتهنئة وزينت البلد ثلاثة أيام ولما جاء الحج خرج للقائه على العادة وحج بالناس وبعد سفر الحج جاء الخبر أن الشريف سعيدا توجه مع

انتزاع الملك منهم فعبر اليهم فى سنة اربع وثمانين واربعمائة وانتزع الملك منهم واستولى على الاندلس بعد قتاله لبعض المتملكين لها وقتل بعضهم واسر بعضهم وحملهم الى مراكش وحبسهم الى ان ماتوا وصار ملك الاندلس كله بيده ويدعماله مضافا ذلك الى ما بيده من المغرب الاقصى واكثر من الغزو والجهاد بالاندلس هو وجنوده وتوفى سنة خمسمائة وكان الامام الغزالى لما بلغه حسن سيرته أراد زيارته فرحل من العراق الى الشام ثم بلغه موته قبل ان يصل اليه فرجع وكان يوسف بن تاشفين يخطب لبنى العباس وكان قد طلب منهم تقليدا لانه قيل له لاتجب طاعتك وتنفذ احكامك الا اذا كانت ولايتك من الخليفة فأرسل رسلا الى الخليفة ومعهم هدية وطلب التقليد فكتب له المستظهر بالله العباسى بن المقتدى بامر الله بن القائم بامر الله بن القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر بالله بن المعتضد وعقد له على الاندلس وبقية الممالك التى كانت تحت يده ولقبه امير المسلمين وناصر الدين وبايعوا بعد وفاته ولده على بن يوسف بن تاشفين وكان حليما عاقلا صالحا عادلا

﴿ ذكر خروج الفرنج بالاندلس بعد وفاة يوسف بن تاشفين ﴾

لما توفى يوسف بن تاشفين قوى طمع النصارى فى الاستيلاء على الاندلس فخرج الاذفونش الافرنجى صاحب طليطلة سنة خمس وخمسمائة يطلب ما بأيدى المسلمين من ممالك الاندلس فجمع وحشد فأكثر فسار اليه أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين من مراكش فى عساكره وجموعه فلقيه فاقتتلوا أشد القتال فكان الظفر للمسلمين وانهزم الافرنج وقتلوا قتلا ذريعا واسر منهم شئ كثير وسبى منهم وغنم من أموالهم ما يخرج عن الاحصاء فخافه الافرنج بعد ذلك وفى سنة أربع عشرة وخمسمائة خرج ابن ردمير من ملوك الافرنج بجموع كثيرة فالتقى مع أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين بجموعه فكانت الهزيمة على المسلمين ثم رجع ابن ردمير الى بلاده ثم اشتغل أمير المسلمين بأمر محمد بن تومرت الذى ادعى أنه المهدى فاتسع الخرق فى الاندلس فأرسل أمير المسلمين ابنه تاشفين أميرا على الاندلس لجهاد الكفار ووقع بينه وبين ابن ردمير وقائع وانتصر فى بعضها على ردمير فمات مغموما من الهزيمة بعد عشرين يوما وكان من أشد ملوك الفرنج على المسلمين فكفى الله المسلمين شره وبقى من ملوك الفرنج الاذفونش الذى كان قد ملك طليطلة فوقع بينه وبين المسلمين وقائع ثم عقدوا معه صلحا عشرين سنة

﴿ ذكر قيام محمد بن تومرت المدعى أنه المهدى المنتظر ﴾

أعلم ان هذه القضية الكلام عليها طويل مذكور فى التواريخ وتلخيص ذلك باختصار ان محمد ابن تومرت رجل من جبل السوس يدعى أنه شريف علوى حسنى قرأ علوما بالمغرب ثم ارتحل الى المشرق والعراق واجتمع بكثير من العلماء وأخذ عنهم قيل منهم الامام الغزالى وقيل لم يجتمع بالغزالى وكان يرى منامات يؤولها بالقيام بأمر الامة منها أنه شرب البحر مرتين وقيل كان له معرفة بالرمل والنجوم فقام فى نفسه أنه المهدى المنتظر وكتم ذلك فى أول أمره وأظهره فى آخره وكان كثير الصلاة والصوم والعبادة والتقشف فابتدأ أولا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتبعه جماعة يأخذون عنه العلم ويجتمعون معه على الذكر

بهدية سنية وجاء الجواب بالقبول فى شوال مع مرسوم وخلعة فقرئ المرسوم بالحطيم وفتحت الكعبة للدعاء على المعتاد ولبس الخلعة وفى سنة احدى ومائة وألف فى أوائل المحرم تنافر الشريف أحمد بن غالب مع جماعة من الاشراف ذوى زيد فخرجوا من مكة مغاضبين له ولم يبق بمكة منهم الا السيد عبد المحسن ابن الشريف احمد بن زيد ووصلوا الى ينبع واستمالوا العرب واتفقوا على تولية الشريف محسن بن الحسين بن زيد ودعوا له بشرافة مكة فى ينبع وأخذوا اسمائة أردب حب كانت هنالك للشريف أحمد ابن غالب وكتبوا الى صاحب مصر يعرفونه باخراج الشريف أحمد لهم من مكة وخرج جماعة من الاشراف من ذوى عبد الله واخذوا القنفدة ومنعوا الزاد وانقطع طريق اليمن وكثر القطاع فى طريق جدة وكثرت السرقة بمكة ووقع القتل بها ليلا ونهارا وكثرت أقاويل بين العامة فى ذلك وتنافر السيد أحمد بن سعيد ابن مبارك ابن شنبر مع الشريف أحمد بن غالب وقبل ذلك نافره أيضا ذوو الحرث فتتابع الاشراف المتنافرون فى الخروج من مكة واجتمعوا على السيد

(وكان)

وكان اعظمهم عبد المؤمن بن علي الكومي القيسي وابو حفص عمر بن يحيي الهنتاني وعبد الله الونشريسي وكان الونشريسي عالما متضلعا بالعلوم فأمره أن يكتم ماعنده من العلوم ويجعل نفسه أبكم ويقوم بخدمة الشيخ وقال له أبق العلوم عندك مكتومة الى ان نحتاج الى اخراجها في وقت يكون اخراجها فيه كالمعجزة والبرهان لاقامة ماتريد فامتثل امره وبقي أبكم بين الناس ابله ولعابه يجري على صدره ولا يتكلم الامع الشيخ في وقت الخلوة ثم انهم دخلوا مراكش فرأوا نساء راكبات على بغال وهن سافرات الوجوه وكانت تلك عادة لهن في تلك البلاد فأنكروا عليهن وضربوا بعض البغال فسقطت من فوقها امرأة فاذا هي اخت أمير المسلمين فرفع الامر الى أمير المسلمين واخبروه بأن هذا الرجل يتحدث في تغيير الدولة فأحضروه ومن معه وحضر عند أمير المسلمين جماعة من العلماء ووقع بينهم وبين ابن تومرت مجادلات فأقام الحجة عليهم بوجود كثير من المنكرات بين أظهرهم ولم ينكروها ووعظ أمير المسلمين حتى أبكاه فقال مالك بن وهيب وكان عالما صالحا يكثر مجالسة امير المسلمين بل كان أحد وزرائه ان عندي لنصيحة ان قبلتها حمدت عاقبتها فقال امير المسلمين ماهي فقال اني خائف عليك من هذا الرجل واري انه لايريد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يريد فتنة والغلبة على بعض النواحي فاقتله وقلدني دمه وان لم تقتله فخلده في الحبس فقال بعض الحاضرين من جلساء امير المسلمين يقبح على امير المسلمين ان يبكي من موعظة هذا الرجل ثم يسيء اليه في مجلس واحد وان يظهر منك الخوف منه على عظم ملكك وهو رجل فقير لايملك سد جوعه فلما سمع الملك كلامه اخذته عزة النفس واستهون امره وصرفه وسأله الدعاء فلما خرج من عند الملك قال لاصحابه لامقام لكم بمراكش مع وجود مالك بن وهيب فساروا الى اغمات ثم ذهبوا الى جبل تينمل وكان جبلا عظيما فيه كثير من القبائل وكثير من الزروع والفواكه واتصلوا بالسوس وذلك سنة اربع عشرة وخمسمائة واجتمع عليه خلق كثير وتسامع به اهل تلك النواحي وجعل يعظهم ويذكرهم بأيام الله ويذكر لهم شرائع الاسلام وماغير منها وماحدث من الظلم والفساد وأنه لايجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عما هم فيه فتابعه قبائل كثيرة وسمى أتباعه الموحدين واعلمهم ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدي الذي يملأ الارض عدلا وان مكانه الذي يخرج منه المغرب الاقصى فقام اليه عشرة رجال احدهم عبد المؤمن فقالوا لايوجد هذا الا فيك فأنت المهدي فبايعوه على ذلك فانتهى خبره الى أمير المسلمين فجهز جيشا وسيره اليه مع بعض أصحابه ووعد المهدي أصحابه بالنصر فلقوا جيش امير المسلمين فهزموهم واخذوا أسلابهم وقوي ظنهم في صدق المهدي واقبلت اليه افواج القبائل من الحلل التي حوله شرقا وغربا وبايعوه والف لهم كتابا في التوحيد سماه المرشد وكتابا في العقيدة ونهج لهم طريق الادب بعضهم مع بعض والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن ويزهدهم في الدنيا وكان قوته كل يوم رغيف وقليل من زيت أوسمن وكان يحرضهم على قتال عدوهم واخراج الاشرار من بينهم وكان يستميل الاحداث وذوي الغرة بالراء بعد الغين المعجمة وكان ذوو الحلم والعقل من اهاليهم ينهونهم عنه ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم من سطوة الملك فلما علم بذلك خشي أن يفسدوا عليه من اتبعه ويسلموه للملك فصار يسأل ويتجسس عن

فلم يتيسر له ذلك ثم جاءه الخبر انه نودي في جدة للشريف محسن بن الحسين بن زيد فاضطرب حال الشريف وفرق العسكر في المدارس والطرقات وشعاب مكة واضطرب الناس لذلك ثم اجتمع العلماء وكتبوا محضرا لصاحب جدة يسألونه عن هذا الامر وتزلزله مولانا السيد عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن ابن أبي نمي ومعه السيد عبد المحسن بن هاشم ابن محمد بن عبد المطلب ابن حسن بن أبي نمي ومعهم جماعة من القاضي ومن أصحاب البلكات فرجعوا وأخبروا بعدم الوفاق ولم يزل الامر يتقلقل وسبب انقلاب صاحب جدة على الشريف احمد بن غالب توليته وزارة جدة لابن حميد القرشي فانه ورد جدة وجعل يناقض الباشا في كل أمر الى أن تكدر خاطره بعد صفائه فرجع لغدره بعد وفائه ثم جاء خبر من الطائف بأن السيد حسن بن أحمد الحرث الذي في الطائف للشريف محسن ابن الحسين بن زيد وتداخلت الاشراف الذين مع السيد

ناقة من السعدية ولم يزل مولانا الشريف في التحرز وأمر عسكر اليمن بملازمته في الاروقة التي خارج

المسجد ليلا ونهارا وفي
عشرين من جمادى الثانية
خرج من مكة السيد محمد
ابن حمود مغاضبا ايضا ونزل
العابدية ثم كتب أهل مكة
عرضا الى صاحب مصر
والى أبواب السلطنة
ويشكون فيه ما وقع من
صاحب جدة وأكثروا
فيه من التشنيع عليه وفي
سادس رجب عقدوا مجلسا
في الحطيم حضره جماعة
من الاشراف والعلماء
والقاضي فجعل مولانا
الشريف يشكو للقاضي ما
وقع من صاحب جدة في
حقه وانه كان سبب تفرق
الكلمة وتحامل الاشراف
عليه وقد انقضت السنون
وقد نادى في جدة الشريف
محسن بن حسين بن زيد من
غير أمر السلطنة وأن
مطلوبي أن تكتبوا الى
جدة في حوز مقالته لئلا
تقدم على السلطنة فقال له
كبير أغا سردار العسكر
بالشريف نحن محافظون
لمكة تذود عنها العدو
ونقاتل حتى نقتل وأما
الاشراف فهم متروكون
لاندخل بينكم وأما الباشا
فنسأله عما فعل فانه
لا يفعل شيأ من ذاته في بلد
السلطان فاتفق الامر على ان يرسلوا الى صاحب جدة رسولا من القاضي وانقضى المجلس عن
شناعة ظاهرة فأرسل القاضي رسولا الى صاحب جدة فعاد بلا مراد وفي هذا اليوم أخرج الشريف بعض المدافع

هؤلاء الذين يزعمون أولادهم وعشائرهم من اتباعه ويكتب أسمائهم في جريدة عنده ولم يطلع
على ذلك أحدا الا عبدالله الونشريسي الابكم الذي تخذه ليرتب الامر معه وقد تقدم أنه امر
أن يكتم ماعنده من العلم ويظهر البله والبكم فقال له في هذا الوقت هذا وقت اظهار ماعندك
وأمره ان يفعل ماسنذكره فخرج المهدي يوما لصلاة الصبح فرأى في جانب محرابه انسانا
حسن الثياب طيب الرائحة فأظهر أنه لا يعرفه وقال من هذا فقال انا الونشريسي فقال المهدي
ماقصتك فقد كنت أبكم لا تتكلم فقال أتاني الليلة ملك من السماء فغسل قلبي وعلمني الله القرآن
والموطأ وغيره من العلوم والاحاديث فبكى المهدي بحضرة الناس ثم قال نحن نمتحنك فقال
افعل وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من أي موضع سئل وكذلك الموطأ وغيره من كتب الفقه
والاصول وبقية العلوم فعجب الناس من ذلك واستعظموه ثم قال لهم ان الله أعطاني نورا أعرف
به أهل الجنة من اهل النار وآمركم ان تقتلوا أهل النار وتتركوا اهل الجنة وقد أنزل الله ملائكة الى
البئر التي في موضع كذا يشهدون بصدقي وكان قد وضع في البئر رجالا ثلاثة يشهدون بصدقه فسار
المهدي والناس معه وهم يبكون الى البئر وصلى المهدي عند رأسها ركعتين وقال ياملائكة الله
ان عبدالله الونشريسي قد زعم كيت وكيت فقال من في البئر صدق فلما قيل ذلك من البئر قال المهدي
ان هذه البئر مطهرة مقدسة قد نزل اليها الملائكة فالمصلحة ان تطم لئلا يقع فيها نجاسة أو مالا
يجوز وقال ذلك لئلا يظهر الرجال منها فيفشون السر فيفسد الامر الذي دبره فألقوا فيها
من الحجارة والتراب ماطمها وأهلك من فيها من الرجال ثم نادى أهل الجبل بالحضور الى ذلك
الموضع لحضروا للتمييز أهل الجنة من اهل النار فكان الونشريسي يعمد الى الرجل
الذي عرفه المهدي بانه يخاف عاقبته وكتبه في الجريدة التي أطلعه عليها فيقول هذا من
أهل النار فيقتل والى الشاب الغر ومن لا يخاف منه فيقول من أهل الجنة فيترك على
يمينه ولم يزل يجمعهم في أيام مرة بعد اخرى ويفعل ذلك حتى تتبع كل من يخشى منه
فقتله قال ابن الاثير في الكامل فكان عدة من قتلهم سبعين الفا وصار الباقون معه
على نيات صادقة وقلوب متفقة على طاعته فجهز منهم جيشا وجعل الامير عليهم عبدالمؤمن
بن على وسيرهم لقتال المرابطين قوم امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين وتابع
القتال بينهم مرارا وشرح ذلك يطول واستمر أمره يعلو الى سنة أربع وعشرين فمرض
مرضا شديدا وكان عبدالمؤمن غائبا مع الجيوش التي تقاتل اهل مراكش فأوصى المهدي
بأن خليفته عبدالمؤمن وأمرهم باتباعه وتسليم الامر اليه والانقياد له ثم توفى فلما رجع
عبدالمؤمن بايعه الناس وانقادوا له وتسمى دولته دولة الموحدين لان المهدي سماهم
بذلك كما تقدم فجهز الجيوش وأزال ملك بني تاشفين وفتح البلدان وملك كثيرا من مدائن
المغرب وكل ذلك مبسوط في التواريخ وصار لعبد المؤمن ملك عظيم في المغرب والاندلس
توارثه بنوه بعده الى سنة ثمان وستين وستمائة فانتزع الملك منهم بنو مرين فكانت مدة
دولة بني عبدالمؤمن مع مهديهم مائة وثنتين وخمسين سنة قال في نفح الطيب كانت دولة
بني عبدالمؤمن من أعظم الدول الاسلامية وكان كل واحد يلقب أمير المؤمنين ومسلكهم
مسلك الخلفاء وكانوا يدعون على المنابر لمهديهم محمد بن تومرت ويضربون اسمه على السكة

(وتوفي)

وتوفي عبد المؤمن سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وعمره ثمان وستون سنة ومدة ملكه ثلاث وثلاثون سنة وكان عاقلا حازما سديد الرأي حسن السياسة كثير البذل للاموال الا انه كان سفاكا للدماء على الذنب الصغير وكان يعظم امر الدين ويلزم الناس في سائر بلاده بالصلاة ومن ترك الصلاة قتله وكان الغالب على مجلسه اهل العلم والدين ومما نقل من كرمه أن شاعرا مدحه بقصيدة مطلعها

* ماهز عطفيه بين البيض والاسل * مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي *

فأشار اليه ان يقتصر على هذا البيت ولا يتم قراءة القصيدة وأمر له بألف دينار فقيل له لم لم تسمع تمام القصيدة فقال عبد المؤمن وما عسى ان يقول بعد قوله ماهز عطفيه البيت يعني انه لا يمكنه ان يأتي بمدح أعظم مما في هذا البيت وفي المونس في اخبار تونس للعلامة ابي القاسم الرعيني القيرواني ان هذا الشاعر بعد ان قبض الالف الدينار عاد اليه من الغد وأنشده البيت المذكور فأسكته وامر له بألف دينار اخرى ثم لم يزل ينشده كلما دخل عليه ويأمر له بألف دينار الى ان وصله بأربعين الفا فحسده بعض الشعراء وقال له الى متى تفعل هكذا وما يؤمنك من تغير اخلاق امير المؤمنين وقد وصلت بما فيه غناؤك فارتحل من فوره الى بلده ثم سأل عنه عبد المؤمن فاخبر برحيله فقال لا حول ولا قوة الا بالله لقد ظن بنا غير ما أردناه ولو طال مقامه لزدناه على ذلك وكان لعبد المؤمن معرفة بالشعر والادب يحكى عنه انه مر ببعض طرق مراكش ومعه وزيره ابو جعفر بن عطية فأطلت من شباك جارية بارعة الجمال فقال عبد المؤمن * قدت فؤادي من الشباك اذ نظرت * فقال ابن عطية * حوراء ترنو الى العشاق بالمقل * فقال عبد المؤمن * كأنما لحظها في قلب عاشقها * فقال ابن عطية * سيف المؤيد عبد المؤمن بن علي * ويقال لعبد المؤمن القيسي نسبة الى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ويقال له الكومي نسبة الى كومية قرية بتلمسان وكان المهدي محمد بن تومرت يقول له ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ينصر هذا الدين في آخر الزمان برجل من قيس وارجو ان تكون انت وكان ابوه صانعا في عمل الطين يعمل منه الآنية ويبيعها قال ابن خلكان في ترجمة عبد المؤمن كان في صباه يوما نائما تجاه ابيه وكان أبوه مشتغلا بعمل الآنية من الطين فسمع ابوه دويا في السماء فرفع رأسه فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت مطبقة على الدار فنزلت كلها مجتمعة على ابنه عبد المؤمن وهو نائم فغطته ولم يظهر من تحتها ولا استيقظ لها فرأته امه على تلك الحالة فصاحت خوفا على ولدها فسكتها أبوه فقالت اخاف عليه فقال لا بأس عليه بل اني متعجب مما يدل عليه ثم انه غسل يديه من الطين ولبس ثيابه ووقف ينتظر ماذا يكون من أمر النحل فطار عنه بأجمعه فاستيقظ الصبي وما به ألم فتفقدت أمه جسمه فلم تر به أثرا ولم يشك لها ألما وكان بالقرب منهم رجل معروف بالزجر فمضى اليه أبوه واخبره بما رآه من النحل مع ولده فقال ذلك الرجل يوشك أن يكون لولدك هذا شأن يجتمع على طاعته أهل المغرب فكان من أمره ما كان وتقدم ان من اصحاب المهدي عمر بن يحيى الهنتاني قيل انه ينتهي نسبه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه صار بعد المهدي من وزراء عبد المؤمن وأعطى بنو عبد المؤمن اولاد عمر المذكور ولاية تونس فكانوا يسمون الحفصيين استمر ملك تونس فيهم

الى جهة الشبيكة وبعضها الى جهة المعلى وبعضها الى بركة ماجن من جهة اليمن في كل جهة مدفعان وفي ثامن عشر رجب جاء الخبر ان الشريف محسن بن حسين بن زيد ومن معه نزلوا الزاهر وان السيد أحمد بن سعيد بن مبارك بن شنبر في أول القوم وأطلق الصنجق سبع مدافع لما نزل الزاهر فركب من بقي مع الشريف أحمد من الاشراف وغيرهم وخرجوا الى جرول ومعهم بيرق عسكر اليمن وأخرج الى جهة المعلى جماعة من العسكر وجماعة الى جهة البركة والشريف أحمد بن غالب في بيته وفي يوم السبت تاسع عشر رجب أرسل الشريف محسن بن حسين بن زيد جماعة من الاشراف فدخلوا مكة وقصدوا قاضي الشرع واستدعوا رؤس البلكات وأظهروا صورة بيوردي باشوي وطلبوا من القاضي تسجيله فامتنع ومضمونه تولية الشريف محسن وطلب القاضي نفس البيوردي الباشوي وثارت الانكشارية لعدم تنفيذ البيوردي الوارد صورته من الباشا وهجموا على القاضي واعانتهم العامة لما لحقهم من التعب فهرب القاضي من سطح المدرسة فلم يجدوه فنهبوا ما وجدوه وأطلقوا البنادق على المدرسة وجاءت طائفة من جماعة مولانا الشريف ودخلوا المسجد ورموا في وسط

الى سنة تسعمائة واحدى وثمانين فانتزع الملك منهم الدولة العثمانية وكانوا يلقبون بالحفصيين وكانت مدة ملكهم تونس ثلاثمائة وثمانية وسبعين سنة وهم من فروع دولة المهدى محمد بن تومرت واختلف الناس فى امر ابن تومرت فقال بعض العلماء انه اراد اظهار الحق فاجتهد واخطأ وقال بعضهم انه كان على الامة شرا من الحجاج ويزيد والله اعلم بحقيقة الحال ولنذكر ما كان من الفتوحات فى مدة عبدالمؤمن وبنيه وفى مدة الحفصيين ملوك تونس

﴿ ذكر اول تجهيز لعبدالمؤمن على الاندلس ﴾

قال ابن الاثير فى الكامل فى حوادث سنة احدى واربعين وخمسمائة فى هذه السنة سير عبدالمؤمن بن على جيشا الى جزيرة الاندلس فملكوا ما فيها من بلاد الاسلام وسبب ذلك ان عبدالمؤمن لما كان يحاصر مراكش جاء اليه جماعة من اعيان الاندلس ومعهم مكتوب يتضمن بيعة اهل البلاد التى هم فيها لعبدالمؤمن ودخولهم فى زمرة اصحابه الموحدين واقامتهم لامره فقبل عبدالمؤمن منهم ذلك وشكرهم عليه وطيب قلوبهم وطلب منهم النصرة وطلبوا امنه النصرة على الفرنج فجهز جيشا كثيفا وسيره معهم وعمر اسطولا وسيره فى البحر فسار الاسطول الى الاندلس وقصدوا مدينة اشبيلية وصعدوا فى نهرها وبها جيش من الملثمين وهم أتباع يوسف بن تاشفين ويقال لهم المرابطون فحصروها برا وبحرا وملكوها عنوة وقتل فيها جماعة وأمن الناس فسكنوا واستولت العساكر على البلاد كان لعبدالمؤمن من كان بها وانتزعت عساكر عبدالمؤمن كثيرا من مدائن الاندلس التى كانت فى طاعة المرابطين مدينة بعد مدينة بعد حروب يطول ذكرها وفى سنة ثنتين واربعين حصر الفرنج مدينة المرية من الاندلس وضيقوا عليها برا وبحرا فملكوها عنوة واكثروا القتل بها والنهب وملكوا ايضا مدينة شاطبة وولاية جيان وكلها بالاندلس وفى سنة ثلاث واربعين ملك الفرنج بالاندلس مدينة طرطوشة وملكوا معها جميع قلاعها وحصونها لاردة وافراغة ولم يبق للمسلمين شئ فى تلك الجهات الا واستولى الفرنج عليه وفى سنة خمس واربعين سار السليطين وهو الاذفونش وهو ملك طليطلة واعمالها وهو من ملوك الجلالقة نوع من الفرنج فى اربعين الف فارس الى مدينة قرطبة فحصرها وهى فى ضعف وغلاء فبلغ الخبر الى عبد المؤمن وهو بمراكش فجهز عسكرا كثيرا وجعل مقدمهم ابا زكريا يحيى بن يرموز ونفذهم الى قرطبة فلما قربوا منها لم يقدروا ان يلقوا عسكر السليطين فى الوطاء وأرادوا الاجتماع بالمسلمين المحصورين بقرطبة فسلكوا الجبال الوعرة والمضائق المتشعبة فساروا نحو خمسة وعشرين يوما فى الوعرة فى مسافة أربعة ايام فى السهل فوصلوا الى الجبل المطل على قرطبة فلما رآهم السليطين وتحقق أمرهم رحل عن قرطبة ليذهب اليهم وكان فيها القائد ابو الغمر السائب من ولد القائد ابن غلبون وهو من ابطال اهل الاندلس وامرائها فلما رحل الفرنج خرج من قرطبة لوقته وصعد الى ابن يرموز وقال له انزلوا عاجلا وقال له ادخلوا البلد ففعلوا وباتوا فيها فلما أصبحوا من الغد رأوا عسكر السليطين على رأس الجبل الذى كان فيه عسكر عبدالمؤمن فقال لهم ابو الغمر هذا الذى خفته عليكم لأنى علمت ان السليطين ما ارتحل الا طالبا لكم فان من

وأرادوا قتله ففر منهم واستتر عنهم ثم أخرجوهم من الحرم بعد قتل بعض العبيد وقتل رجل فى المسجد من الهنود وعزل السوق ثم جاء من جهة الشريف محسن بن حسين السيد عبدالله ابن سعيد واجتمع بالشريف أحمد بن غالب ثم خرج من عنده وأرسل الشريف أحمد لجماعة الشريف محسن ابن حسين يطلب منهم ان يعينوا له رجلا يودعه أطرافه فعينوا له السيد احمد بن سعيد وطلب مهلة عشرين يوم يتجهز فيها ولما كان ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من رجب خرج الشريف أحمد بن غالب الى الحسينية قاصدا جهة اليمن ومدة دولته سنة كاملة وتسعة أشهر وعشرون يوما

(ولاية الشريف محسن بن الحسين سنة ١١٠١)

فلما كان ضحى يوم الثلاثا دخل مكة مولانا الشريف محسن ومعه محمد باشا صاحب جدة فى آلاى أعظم ولبس قفطانا كان قد ورد للشريف أحمد بن غالب فاحتبسه الشريف محسن عنده من سنة احدى ومائة وألف وجلس فى دار السعادة

الموضع الذى كان فيه الى الجبل طريقا سهلا ولو لحقكم هناك نال مراده منكم
ومن قرطبة فلما رأى السليطين انهم قد فاتوه علم أنهم دخلوا قرطبة ولم يبق له طمع فى
قرطبة فرحل عائدا الى بلاده وكان حصره لقرطبة ثلاثة اشهر وفى سنة ست وأربعين
سير عبد المؤمن جيشا كثيفا نحو عشرين الف فارس الى الاندلس مع أبى حفص عمر
الهنتانى وسير معهم نساءهم فكن يسرن مفردات عليهن البرانس السود ليس معهن غير
الخدم ومتى قرب منهن رجل ضربه الخدم بالسياط فلما قطعوا الخليج ساروا الى غرناطة
وبها جمع من المرابطين جماعة ابن تاشفين فحصرها عمر وعسكره وضيقوا عليها فجاء اليه
أحمد بن ملحان صاحب مدينة وادى آش واعمالها بجماعته ووحدوا وصاروا معه واتاه
ابراهيم ابن همشك صهر ابن مردنيش صاحب جيان واصحابه ووحدوا وصاروا ايضا
معه فكثر جيشه وحرضوه على المسارعة الى ابن مردنيش ملك بلاد شرق الاندلس
ليبغته بالحصار قبل ان يتجهز فلما سمع ابن مردنيش ذلك خاف على نفسه فأرسل الى ملك
برشلونة من بلاد الفرنج يخبره ويستنجده ويستحثه على الوصول اليه فسار اليه الفرنجى
فى عشرة آلاف فارس وسار عسكر عبد المؤمن فوصلوا الى بلقوارة وبينها وبين
مرسية التى هى مقر ابن مردنيش مرحلة فسمعوا بوصول الفرنجى مع ملك برشلونة فرجع
جيش عبد المؤمن وحصروا مدينة المرية وهى للفرنج عدة شهور فاشتد الغلاء فى العسكر
وعدمت الاقوات فرحلوا عنها وعادوا الى اشبيلية فأقاموا بها وفى سنة احدى وخمسين
استعمل عبد المؤمن ابنه اباسعيد عثمان على سبتة والجزيرة الخضراء ومالقة فعبر ابو سعيد البحر
الى مالقة وهى من الاندلس واتخذها دارا وكاتبه ميمون بن بدر اللمتونى صاحب غرناطة
ورضى انه يوحد ويسلم اليه غرناطة فقبل ذلك منه ابو سعيد وتسلم غرناطة فسار ميمون الى
مالقة باهله وولده فتلقاه ابو سعيد واكرمه ووجهه الى ابيه عبد المؤمن بمراكش فأقبل عليه
عبد المؤمن وأكرمه وانقرض بذلك دولة المرابطين ويقال لهم ايضا الملثمون كما تقدم ولم يبق
لهم الا جزيرة ميروقة مع احمد بن غانية فلما ملك ابو سعيد غرناطة جمع الجيوش وسار الى مدينة
المرية وهى بأيدى الفرنج أخذوها من المسلمين سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة فلما نازلها
وافاه الاسطول من سبتة وفيه خلق كثير من المسلمين فحصروا المرية برا وبحرا فلجأ الفرنج
الى حصنها فحصرهم ونزل عسكره على الجبل المشرف عليها وبنى ابو سعيد سورا على الجبل
المذكور الى البحر وعمل عليه خندقا فصارت المدينة والحصن الذى فيه الفرنج محصورا
بهذا السور والخندق ولايمكن من ينجدهما من ان يصل اليهما فجمع الاذفونش ملك الفرنج
بالاندلس المعروف بالسليطين جموعا من الفرنج بلغت اثنى عشر الف فارس ومعه محمد بن سعد
ابن مردنيش فى ستة آلاف فارس من المسلمين وراموا الوصول الى المدينة ليدفعوا المسلمين عنها
فلم يطيقوا ذلك فرجع السليطين وابن مردنيش خائبين فمات السليطين فى عوده قبل ان يصل الى
طليطلة وتمادى الحصار على المرية ثلاثة اشهر فضاقت الميرة وقلت الاقوات على الفرنج فطلبوا
الامان ليسلموا الحصن فأجابهم ابو سعيد اليه وتسلم الحصن ورحل الفرنج فى الغد عائدين الى بلادهم
فكان ملكهم المرية مدة عشر سنين وفى سنة سبع وخمسين وخمسمائة ارسل اهل غرناطة من بلاد

زيد بعد انتقال والده بعد السنين ولم يزل الى ان سافر الى الابواب مع عمه ثم انتقل قبلهم الى مصر وأقام بها
الى أن رجع الى مكة مع عمه الشريف أحمد ثم خرج هذا المخرج فرجع وقد كل بدره وبذخ فخره وعاقب بعد دخوله مكة جماعة كانت أيديهم مع الشريف أحمد بن غالب فنزع مفتاح الكعبة من الشيخ عبد الواحد بن محمد الشيبى وأعطاه لاخيه الشيخ عبد الله بن محمد الشيبى وكان أصغر من أخيه الشيخ عبد الواحد ومنع مولانا الشريف محسن الشيخ عبد الواحد من الخروج والاجتماع بأكابر الحج زمن الحج وما أخذ منه المفتاح الا بعد أن عقد عليه مجلسا أحضر فيه القاضى والعلماء وادعى عليه بأنه أعطى بعض قناديل الكعبة للشريف أحمد بن غالب جعلها سكة وأحضر الصواغ الذين سكوها فسألهم مولانا الشريف فقالوا سككناها بأمر مولانا الشريف أحمد فسألهم ما الذى سككتموه فقالوا أسورة وحجول فقامت العامة فقالت انه من ذهب قناديل الكعبة التى مكنه منها الشيخ عبد الواحد وتكاثر الكلام من بعض الفقهاء الحاضرين
لذلك المجلس الى أن أخذت العامة الشيخ عبد الواحد بالايدى فقام الصنجق وأخذه من أيدى العامة ودخل به محلا مختصا من

الاندلس وهى لعبدالمؤمن الى الامير ابراهيم بن همشك صهر ابن مردنيش فاستدعوه اليهم ليسلموا اليه البلد وكان قدوحدكما تقدم وصار من اتباع عبدالمؤمن وفى طاعته وممن يحرض على قصد ابن مردنيش فلما وصل اليه رسل اهل غرناطة طمع فى الملك فسار معهم اليها فدخلها وبها جمع من اصحاب عبدالمؤمن فامتنعوا بحصنها فبلغ الخبر أباسعيد عثمان بن عبد المؤمن وهو بمدينة مالقة فجمع الجيش الذى كان عنده وتوجه الى غرناطة لنصرة اصحابهم المسلمين الذين بغرناطة فعلم بذلك ابراهيم بن همشك فاستنجد ابن مردنيش ملك البلاد بشرق الاندلس فأرسل اليه الفى فارس من انجاد اصحابه ومن الفرنج الذين جندهم معه فاجتمعوا بنواحى غرناطة فالتقواهم ومن بغرناطة من عسكر عبدالمؤمن من قبل وصول ابى سعيد اليهم فاشتد القتال بينهم فانهزم عسكر عبدالمؤمن وقدم ابوسعيد بمن معه فاقتتلوا ايضا فانهزم كثير من اصحابه وثبت معه طائفة من الاعيان والفرسان المشهورين والرجالة والاجلاد حتى قتلوا عن آخرهم وانهزم حينئذ ابوسعيد ولحق بمالقة وسمع عبدالمؤمن الخبر فسير فى الحال ابنه أبايعقوب يوسف فى عشرين ألف مقاتل فيهم جماعة من شيوخ الموحدين فجدوا السير فبلغ ذلك ابن مردنيش فسار بنفسه وجيشه الى غرناطة ليعين ابن همشك فاجتمع منهم بغرناطة جمع كثير فنزل ابن مردنيش فى الشريعة بظاهرها ونزل العسكر الذى أمر به لابن همشك أولاوهم الفافارس بظاهر القلعة الحمراء ونزل ابن همشك بباطن القلعة الحمراء فيمن معه ووصل عسكر عبدالمؤمن الى جبل قريب من غرناطة فأقاموا فى سفحه اياماً ثم سيروا سرية اربعة آلاف فارس فبيتوا العسكر الذى بظاهر القلعة الحمراء وقاتلوهم من جميع جهاتهم فالحقوا ان يركبوا فقتلوهم عن آخرهم وأقبل عسكر عبدالمؤمن بجملته فنزلوا بضواحى غرناطة فعلم ابن مردنيش وابن همشك انهم لاطاقة لهم بهم ففروا فى الليلة الثانية ولحقوا ببلادهم واستولى الموحدون على غرناطة وفى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة توفى عبدالمؤمن فبايع الموحدون ابنه محمدا ثم خلعوه بعد خمسة واربعين يوما وبايعوا أخاه يوسف بن عبد المؤمن وتلقب بأمير المؤمنين كأبيه قال ابن خلكان كان يوسف فقيهاً حافظا متقناً نشأ فى ظهور الخيل بين أبطال الفرسان وفى قراءة العلم بين افاضل العلماء كان اعرف الناس كيف تكلمت العرب واحفظهم لأيامها فى الجاهلية والاسلام ويقال انه كان يحفظ صحيح البخارى وكان يحفظ القرآن مع جملة من الفقه وسيأتى الكلام على فتوحاته ولنتمم الكلام على جميع فتوحات أبيه عبدالمؤمن فى غير الاندلس

﴿ ذكر فتوح المهدية ﴾

المهدية مدينة من مدائن افريقية كانت المهدية فى يد الحسن بن على بن محمد بن تميم الصنهاجى وكان من عمال العبيديين ملوك مصر ثم تغلب عليها فلكها الفرنج وانتزعوها من يده سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وفر الأمير المذكور منها وقصد عبدالمؤمن فأكرمه وأحسن نزله وكان اهل سفاقس وزويلة يقاتلون الفرنج لتخليص المهدية فلم يقدروا وانهزموا مرة بعد اخرى وقتل كثير منهم وذلك سنة احدى وخمسين وخمسمائة ثم دخل الفرنج زويلة وقتلوا

دار مولانا الشريف وفزع أهل الشيخ عبدالواحد الى السيد ناصر

الحرث فركب وأتى الى دار مولانا الشريف وخرج به الى داره ثم ان الصنجق بعث الى جدة يطلب الشيخ عبدالله بن محمد الشيبى وكان بجدة فلما حضر أمر مولانا الشريف بعض الفقهاء ان يدعى عند القاضى بطريق الوكالة عن مولانا الشريف على الشيخ عبد الواحد بالخيانة وانه أعطى الشريف أحمد بن غالب أربعة قناديل من الكعبة فادعى عليه وأثبت ذلك بشهود والله أعلم بهم فحكم القاضى بعزله عن هذه المكانة التى هى حجابة البيت الشريف وألبس مولانا الشريف محسن الشيخ عبد الله وأسلمه المفتاح وخرج الى بيته ثم بعد يومين حضر هو وأخوه عند مولانا الشريف فأمر كلا منهما بالعمل بحق الاخوة وان يكونا شيأ واحدا فتصالحا بحضرته وتعاهدا على ذلك واستمر عنده المفتاح الى أوائل محرم سنة ثلاث ومائة وألف وذلك سنة وخمسة أشهر الاثمانية أيام وهى مدة ولاية الشريف محسن فلما ولى الشريف سعيد أعاد المفتاح للشيخ عبد الواحد ثم طلب الشيخ عبد الواحد ان يكون المفتاح لابنه عبدالمعطى وأفرغ ذلك له فاجيب ثم توفى ابنه

(من)

من وجدوا فيها من النساء والأطفال ونهبوا الأموال فقصد جماعة من أهل زويلة عبد المؤمن وهو بمراكش يستجيرون به فأكرمهم وأخبروه بما جرى على المسلمين وأنه ليس في ملوك الاسلام من يقصد سواه فدمعت عيناه وقال أبشروا لأنصرنكم ولو بعد حين وأمر بانزالهم وان يعطوا ألفي دينار ثم جهز الجيوش واستعد لذلك ثلاث سنين فاجتمع معه مائة ألف مقاتل ومن الاتباع والسوقة امثالهم وسار بجيوشه في شهر صفر سنة اربع وخمسين وخمسمائة وكان يقع من حفظه لعسكره أنهم كانوا يمشون بين الزرع فلا يتأذى منهم أهل الزرع ولا يصيبون شيئا منه واذا نزلوا صلوا جميعهم مع امام واحد بتكبيرة واحدة ولا يتخلف منهم أحد كائنا من كان خوفا من عقابه لأنه كان يقتل من يتأخر منهم وقدم بين يديه أمير افريقية الذي فر منها حين أخذها الفرنج وهو الحسن بن علي بن محمد بن تميم الصنهاجي فلم يزل يسير الى ان وصل الى مدينة تونس في شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكان ملك تونس يومئذ احمد بن خراسان واقبلت اساطيل عبد المؤمن في البحر سبعين شينيا وطريدة وشلندى فلما نازل تونس أرسل الى أهلها يدعوهم الى طاعته فامتنعوا فقاتلهم من الغد أشد قتال فلم يبق الا أخذها ودخول الاسطول اليها فجاءت ريح عاصف منعت الموحدين من دخول البلد فرجعوا ليباكروا القتال ويملكوا فلما جن الليل نزل سبعة عشر رجلا من اعيان أهل تونس الى عبد المؤمن يسألونه الأمان لأهل بلدهم فأجابهم الى الأمان لهم في أنفسهم وأهليهم وأموالهم لمبادرتهم الى الطاعة وأمان عداهم من أهل البلد فيؤمنهم على أنفسهم وأهليهم ويقاسمهم أموالهم وأملاكهم نصفين وان يخرج صاحب البلد هو وأهله منها فاستقر الامر على ذلك وتسلم البلد وارسل اليه من يمنع العسكر من الدخول وارسل امناء ليقاسموا الناس اموالهم وأقام عليها ثلاثة ايام وعرض الاسلام على من بها من اليهود والنصارى فمن أسلم سلم ومن امتنع قتل واقام اهل تونس بها بأجرة تؤخذ عن نصف مساكنهم ثم سار عبد المؤمن منها الى المهدية والاسطول يحاذيه في البحر فوصل اليها ثامن عشر رجب وكان بالمهدية أولاد ملوك الفرنج وابطال الفرسان وقد أخلوا زويلة وبينها وبين المهدية غاية رمية سهم فدخل عبد المؤمن زويلة وامتلأت بالعساكر والسوقة فصارت مدينة معمورة في ساعة واحدة ومن لم يجد له موضعا من العسكر نزل بظاهرها وانضاف اليه من صنهاجة والعرب واهل البلاد مايخرج عن الاحصاء واقبلوا يقاتلون المهدية مدة ايام فلا يؤثر فيها لحصانتها وقوة سورها وضيق موضع القتال عليها لأن البحر دائر بأكثرها فكأنها كف في البحر وزندها متصل بالبر وكان أول من بناها واتخذها مدينة عبيد الله المهدي أول ملوك العبيديين بناها سنة ثلاث وثلاثمائة وكان الفرنج يخرج شجعانهم الى اطراف العسكر فينالون منهم ويعودون سريعا فأمر عبد المؤمن ان يبنى سور من جهة غرب المدينة يمنعهم من الخروج وأحاط الاسطول بها في البحر وركب عبد المؤمن في شيني ومعه الحسن بن علي الذي كان صاحبها وطاف بها في البحر فهاله مارأى من حصانتها وعلم انها لا تفتح بقتال لا برا ولا بحرا وليس لها الا المطاولة بالحصار وقال للحسن كيف نزلت عن مثل هذا الحصن فقال لقلة من يوثق به وعدم القوت وحكم القدر فقال صدقت وعاد من البحر وامر بجمع

عبد المعطى فأجيب لذلك وارتفع صيت محمد هذا وعظم بمكة مقامه حتى صار أوحد زمانه وفريد اقرانه واستمرت سداته وشكرت بين أهالي مكة وواردها أمانة وديانة الى ان توفي وفي سابع عشر شوال ورد الاغا بقفطان الاستمرار للشريف ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف محسن للقاء الامراء على المعتاد ولبس الخلعة وحج بالناس وفي يوم النحر ظهرت بمنى كتب بأيدي السادة الأشراف وانها وردت من اليمن من الشريف أحمد بن غالب من جملتها كتاب لمولانا الشريف محسن ومضمونه الانذار وطلب المواجهة وان القصد اليكم عن قريب فاضطرب الحال بمنى وحصل للعالم قلق عظيم ثم أن مولانا الشريف جمع أكابر الدولة وأمراء الحج والفقهاء بعد النزول من منى وتجاولوا في هذا الامر فاقتضى رأيهم تعريف صاحب مصر بذلك وأمر صاحب جدة بتحيين أموال التجار وضبطها بجدة واشتد الامر وكثر القيل والقال ثم ظهر ان ذلك كله مختلق من مكة من بعض الاشراف واما الشريف أحمد بن غالب فانه توجه الى صنعاء فأكرمه امام صنعاء وأراد ان يرسل معه

الغلات والاقوات وترك القتال فلم يمض غير قليل حتى صارت الغلات والاقوات فى العسكر كالجبلين من الحنطة والشعير فكان من يصل الى العسكر من بعيد يقول متى حدثت هذه الجبال فيقال لهم هى حنطة وشعير فيتعجبون من ذلك وتمادى الحصار وفى مدته أطاع عبد المؤمن أهل سفاقس وطرابلس وجبال نفوسة وقصور افريقية وما والاها وفتح مدينة قابس بالسيف فلما رأى أهل قفصة ذلك اطاعوه وكان الفرنج قد تملكوا صقلية فى سنة اربع وثمانين واربعمائة جاؤها بجموع كثيرة وانتزعوها من عامل العبيديين وبقيت فى أيديهم وصار لهم فيها قوة عظيمة فكانوا يمدون هؤلاء المحصورين فى المهدية ففى شهر شعبان من السنة المذكورة أعنى سنة اربع وخمسين وخمسمائة جاء اسطول صاحب صقلية من ملوك الفرنج فى مائة وخمسين شينيا غير الطرائد وكان قد وفد من جزيرة يابسة من بلاد الاندلس وقد سبى أهلها وأسرهم وحملهم معه فأرسل اليه ملك الفرنج يأمره بالمجئ الى المهدية فقدموا فى التاريخ المذكور فلما قاربوا المهدية حطوا شرعهم ليدخلوا المينا فخرج اليهم اسطول عبد المؤمن وركب فيه العسكر جميعه ووقفوا على جانب البحر فاستعظم الفرنج ما رأوه من كثرة العساكر ودخل الرعب فى قلوبهم وبقى عبد المؤمن يمرغ وجهه على الارض ويبكى ويتضرع الى الله تعالى ويدعو للمسلمين بالنصر ثم اقتتلوا فى البحر فانهزمت شوانى الفرنج وأعادوا القلوع راجعين الى بلادهم فتبعهم الموحدون فأخذوا منهم سبع شوانى ولو كان معهم شوانى لأخذوا أكثرهم وكان أمرا عجيبا وفتحا قريبا وعاد اسطول المسلمين مظفرا منصورا وفرق فيهم عبد المؤمن الأموال ويئس أهل المهدية من النجدة وصبروا على الحصار ستة اشهر الى آخر الحجة من السنة المذكورة فنزل حينئذ من فرسان الفرنج الى عبد المؤمن عشرة وسألوه الامان لمن فيها من الفرنج على أنفسهم وأموالهم ليخرجوا منها ويعودوا الى بلادهم وكان قوتهم قد فنى حتى أكلوا الخيل فعرض عليهم الاسلام ودعاهم اليه فلم يجيبوا ولم يزالوا يترددون اليه اياما بالكلام اللين فأجابهم الى ذلك وأمنهم وأعطاهم سفنا فركبوا فيها وساروا وكان الزمان شتاء فغرق اكثرهم فى البحر ولم يصل الى صقلية الا النفر اليسير وكان صاحب صقلية يقول ان قتل عبد المؤمن اصحابنا بالمهدية قتلنا المسلمين الذين بجزيرة صقلية واخذنا حرمهم واموالهم فأهلك الله اكثرهم بالغرق فى البحر وكانت مدة ملكهم المهدية ثنتى عشرة سنة ودخل عبد المؤمن المهدية بكرة عاشوراء سنة خمس وخمسين وخمسمائة وأقام بها عشرين يوما فرتب احوالها وأصلح ما تثلم من سورها ونقل اليها الذخائر من الاقوات والرجال والعدد واستعمل عليها بعض اصحابه وجعل معه الحسن بن على الذى كان صاحبها وأمره ان يقتدى برأيه فى افعاله واقطع الحسن بها اقطاعا واعطاه دورا نفيسة يسكنها ورحل من المهدية اول صفر من السنة المذكورة وتوجه الى بلاد المغرب وجهز جيوشا الى اندلس

✽ ذكر فتوحات يوسف بن عبد المؤمن ✽

لما استقرت البيعة له بعد موت ابيه وخلع أخيه اخذ منهج ابيه وسار سيرته واستكثر من الجيوش

جيشا لتخليص مكة له ثم مات الامام وعاقه عوائق فمكث فى اليمن وتولى امارة صبيا ولاقى حروبا وأمورا يطول ذكرها ثم رجع الى الركانى كما سيأتى فكانت غيبته فى اليمن ثلاث سنين وعشرة أشهر وفى يوم النفر الاول من هذه السنة ظفر بعض عبيد السيد أحمد بن ناصر الحرث برجلين من حرب وردا حاجين فقبضوا عليهما فى المسعى وذهبوا بهما الى سيدهم فأمر بقتلهما فقتلا على جبل أبى قبيس ولزم من ذلك ان فسخ عمله مع مولانا الشريف وخرج الى الحسينية وبعد أيام خرج السيد أحمد بن سعيد بن شنبر مغاضبا وخرج معه جماعة من الاشراف وفى أواخر ذى الحجة وقع بيد مولانا الشريف عرضحال الى صاحب مصر وعليه خطوط السادة الاشراف مضمونه عدم الرضا بالشريف المذكور فعتبهم على ذلك ولام ثم ان السيد عبد الله بن هاشم خرج مغاضبا مع السيد أحمد بن سعد بن شنبر وأخذوا الطريق على المارة وارتفعت الاسعار بسبب ذلك واشتد الامر ونهبت أموال من طريق جدة ثم وقع الصلح بين مولانا الشريف والمذكورين فى شهر صفر سنة اثنتين ومائة وألف ودخل مكة السيد أحمد بن سعيد واتفقوا على ان المنكسر للسادة الاشراف

(ومهد)

ومهد البلاد فصار له ملك ضخم اكثر من ابيه فكان ملكه من قاصية افريقية الى بلاد القبلة وبلاد الاندلس يجيء اليه خراجها دون مكس ولا جور فكثرت الاموال وأمنت الطرق ثم رحل الى الاندلس لكشف مصالح دولته وتفقد احوالها وفى صحبته مائة الف فارس ونزل اشبيلية وشرع فى استرجاع بلاد المسلمين من ايدى الفرنج وكانوا قد استولوا على كثير منها فاتسع ملكه وحاصر الاذفونش فى طليطلة وضيق عليه شهورا فارسله الاذفونش فى انه يسلم المدينة ويعطيهم الامان على نفوسهم فامتنع يوسف من ذلك فلما اشتد بهم العطش سمع لهم فى بعض الليالى لغط عظيم وأصوات هائلة وذلك أنهم اجتمعوا بأسرهم ودعوا الله تعالى فجاءهم مطر عظيم ملأ ما كان عندهم من الصهاريج فارتووا وتقووا على المسلمين فهادنهم سبع سنين وانصرف عنهم الى اشبيلية وكان يرتفع اليه فى كل سنة من خراج اشبيلية واعمالها حمل مائة وخمسين بغلا خارجا عما يرتفع اليه من بقية البلاد وفى سنة خمس وستين وخمسمائة اتفق ابن مردنيش ملك شرق الاندلس هو والفرنج على يوسف بن عبد المؤمن فاستفحل امرهم فجهز يوسف العساكر فجاسوا بلاد ابن مردنيش وخربوها وأخذوا مدينتين من بلاده وأخافوا عساكره وجنوده وأقاموا ببلاده مدة يتنقلون فيها ويجبون اموالها وفى سنة سبع وستين توفى الامير محمد بن سعد بن مردنيش صاحب البلاد بشرقى الاندلس وهى مرسية وبلنسية وغيرهما واوصى اولاده أنهم بعد موته يقصدون يوسف بن عبد المؤمن وكان قد اجتاز الى الاندلس فى هذا العام فى مائة الف مقاتل قبل موت ابن مردنيش فقدموا عليه بعد موت أبيهم فحين رآهم يوسف فرح بهم وسره قدومهم عليه وتسلم بلادهم وتزوج اختهم واكرمهم وعظم امرهم ووصلهم بالاموال الجزيلة واقاموا معه وفى سنة ثمان وستين توجه يوسف الى الاندلس بعساكره ونزل اشبيلية ثم سار منها وقصد بلاد الفرنج ونزل على مدينة رندى فحصرها واجتمعت الفرنج على ابن الفنش فى جمع كثير فلم يقدروا على لقاء المسلمين فاتفق ان الغلاء اشتد على المسلمين وعدمت الاقوات عندهم وهم فى جمع كثير فاضطروا الى مفارقة بلاد الفرنج فعادوا الى اشبيلية وهو مع ذلك يجهز العسكر ويسيرها الى غزو الفرنج فى كل وقت فكان له بها عدة وقائع وغزوات ظهر منها للعرب من الشجاعة ما لا يوصف وصار الفارس من العرب يبرز بين الصفين ويطلب مبارزة الفارس المشهور من الفرنج فلا يبرز اليه أحد ثم عاد يوسف بن عبد المؤمن الى مراكش واما وقائعه مع من خرج عن طاعته من المسلمين فى افريقية فكثيرة لا حاجة بنا الى ذكرها وهى مذكورة فى التواريخ وفى سنة ست وسبعين أتاه رسول ملك الفرنج صاحب صقلية يلتمس الصلح معه فهادنه عشر سنين وفى سنة ثمانين وخمسمائة سار يوسف الى الاندلس فى جمع عظيم من عساكر المغرب وقصد غربى بلاد الاندلس فحصر مدينة تشتير شهرا وهى للفرنج فأصابه بها مرض فمات به فى ربيع الاول من السنة المذكورة وحمل فى تابوت الى اشبيلية وقيل انه اصابته طعنة فمات منها وبعد أن وصلوا به اشبيلية حملوه فى التابوت الى جبل تينمل ودفنوه هنالك عند ابيه عبد المؤمن بجانب قبر المهدى محمد بن تومرت واتفق شيوخ الموحدين على مبايعة ابنه يعقوب فبايعوه ولقبوه المنصور ﴿ لطيفة ﴾ يحكى ان الاديب أحمد بن عبد السلام الكورانى كان من ظرفاء الندماء وكوران قبيلة من البربر وكان يجالس عبد المؤمن

الثلث الباقى الى ان ترد المراكب وكتبوا بذلك وثيقة وما طلبهم فى تسليم الثلث الى ان ورد مكة قاصد معه قفطان بالاستقرار لمولانا الشريف ودخل مكة فى ألاى أعظم عاشر صفر وقد نزل مولانا الشريف المسجد وحضر القاضى والمفتى والفقهاء والاشراف وقرئ المرسوم بالحطيم وألبس مولانا الشريف الخلعة وقرأ بعده ثمانية أوامر منها ان تعطى السادة الاشراف ما كان لهم من غير زيادة تضر بمولانا الشريف والتحرز من المخالفة وأمران من الوزير يخاطب بهما أصحاب البلكات بالامر بالطاعة لمولانا الشريف وأمران من صاحب مصر أحدهما بالتعريف بمضمون الاوامر السابقة والثانى يخاطب به أصحاب البلكات بالسمع والطاعة ولم تعتن السلطنة بغيره مثل ما اعتنت به من هذه المخاطبات وفى أوائل جمادى الثانية تفرقت كلمة الاشراف وخرجوا الى الطرقات وأكثروا النهب فى طريق جدة وغيرها وأخذوا ذخيرة للصنجق من جدة واشتد الحال على

الناس حتى ان الصنجق صار ما يقدر على ايصال الذخيرة من جدة الى مكة

ثم ابنه يوسف ثم ابنه يعقوب فاتفق انه حضر يوما عند يوسف بن عبد المؤمن وهناك الطبيب سعيد الغماري وغمارة أيضا قبيلة من البربر فقال يوسف من عجائب الدنيا شاعر من كوران وطبيب من غمارة فقال الكوراني وضرب لنا مثلا ونسي خلقه أعجب منهما والله خلقية من كومية فقال يوسف في نفسه أعاقبه بالحلم والعفو ففيه تكذيبه فعفى عنه ولم يعاقبه

❋ ذكر فتوحات يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ❋

كان يعقوب المذكور دينا مقيما للحدود فاستقامت له الدولة وانقادت اليه بأسرها فأقام راية الجهاد وأحسن السيرة في الناس ورتب ثغور الاندلس وشحنها بالرجال ورتب المقاتلة في سائر بلادها وكان يحب العلماء ويقربهم ويشاورهم وكان مشاركا في علوم كثيرة ومن لطائفه انه بعث لبعض عماله أن ينظر له رجلا لتأديب أولاده فبعث له العامل رجلين وكتب معهما كتابا يقول فيه بعثت اليك برجلين أحدهما بحر في علمه والآخر بر في دينه فلما امتحنهما لم يرض بهما فوقع على ظهر كتاب العامل ظهر الفساد في البر والبحر وفي سنة ست وثمانين بلغه أن الفرنج ملكوا مدينة شلب وهي في غرب الاندلس فتجهز اليها بنفسه وحاصرها وأخذها وأنفذ في الوقت جيشا من الموحدين ومعهم جماعة من العرب ففتحوا اربع مدن كانت بيد الفرنج كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل ذلك باربعين سنة وخافه صاحب طليطلة وسأله الصلح فصالحه خمس سنين وعاد الى مراكش فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها سوى القليل خرجت طائفة من الفرنج في جيش كثيف الى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الامر الى يعقوب وهو بمراكش فتجهز لقصدهم في جيش كبير وذلك في سنة احدى وتسعين فسمع الفرنج بذلك فجمعوا خلقا كثيرا من أقاصي بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه وبعد ان عزم يعقوب على المسير بعد جمع جيوشه أصابه مرض شديد حتى أيس منه أطباؤه فتأخر عن المسير فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم في البلاد وعاثوا فيها وأغاروا على النواحي والاطراف وكذلك فعل الاذفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالاندلس فاقتضى الحال تفرقة جيوش الامير يعقوب لاصلاح ما فسد في الاطراف واشتغلوا بالمدافعة والممانعة فكثر طمع الاذفونش في البلاد وبعث رسولا الى الامير يعقوب يتهدده ويتوعده ويطلب منه بعض الحصون من بلاد الاندلس وكتب له رسالة من انشاء بعض من خذله الله ممن يدعى انه من المسلمين وهي باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح اما بعد أيها الامير فلا يخفى على كل ذى عقل لازب ولا ذى لب ثاقب أنك أمير الملة الحنيفية كما انه هو امير الملة النصرانية وانك لا يخفى عليك ما هو عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعايا واخلادهم الى الراحات وانا أسومهم بحكم القهر الخسف وأخلي الديار وأسبي الذراري وامثل بالكهول وأقتل الشبان ولا عذر لكم عن التخلف عن نصرتهم وقد امكنتك يد القدرة وانتم تعتقدون ان الله فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم والآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فقد فرض عليكم قتال اثنين منا بواحد منكم ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا ولا تقدرون دفاعا ولا تستطيعون

انهم قالوا له ان كنت عاجزا عن اصلاح البلد فعين لهذا المنصب من يقوم به فكان عذره ان قال لهم ان الاشراف لا تقاتل بني عمها واذا أردتم الخروج بالعسكر المصري فانا أخرج بهم فأمرهم القاضي بالخروج ومقاتلة من قاتلهم فقال كبار العسكر نحن حفظة لمكة ليس هذا الامر مما بعثنا اليه ولم يزل الامر يتفاقم ولا يطلع أحد من جدة الا مع عسكر وأشراف تصحبهم من جدة الى مكة ثم يرجعون بهم ولا يرد من جدة الا صحب العسكر وارتفع السعر ثم لما كان أواخر ذي القعدة ورد الخبر بوصول الشريف سعيد بن سعد بن زيد المدينة متوجها الى مكة فاختبط العالم وكثر القيل والقال ثم ورد الخبر انه وصل وادي مر وأرسل رجلا الى مكة يطلب الدخول فقال الشريف محسن لا يدخل مكة الا بأمر سلطاني ان كان متوليا ثم وصل الشريف سعيد الى فخ ثم انتقل الى ربع اذاخر واستمر هناك ودخل شهر الحجة وكان أمير الشامي السيد يحيى بن بركات جاء في زي الاتراك وخرج له مولانا
الشريف فألبسه القفطان الوارد معه على جرى العادة وحج مولانا الشريف محسن بالناس ولم يحج

امتناعا ثم حكى لى انك اخذت فى الاحتفال واشرفت على ربوة القتال وتمطل نفسك عامابعد عام تقدم رجلا وتؤخر اخرى ولا ادرى الجبن ابطأبك ام التكذيب بما انزل عليك ثم حكى لى عنك انك لاتجد سبيلا الى الحرب لعلك مايسوغ لك التقحم بها فهـا انا اقول لك ما فى ذلك واعتذر عنك ولك ان تتوجه بجملة من عندك بالمراكب والشوانى واجوز اليك بجملتى وابارزك فى أعز الاماكن عندك فان كانت لك الغلبة فغنيمة عظيمة جاءت اليك وهدنة مثلت بين يديك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك واستحققت أمارة الملتين والتقدم على الفئتين والحكم على البرين والله يوفق الارادة ويوضح السعادة لارب غيره ولاخير الاخيره فلما وصل كتابه وقرأه يعقوب كتب فى اعلاه ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون والجواب ماتراه لاماتسمعه اوتقراه وكتب ايضا بيتا مشهورا للمتنبي

* ولا كتب الا المشرفية والقنا ※ ولارسل الا الخميس العرمرم *

واعاد الكتاب اليه وجمع العساكر الكثيرة من المسلمين وعبر الى الاندلس فى جيش يضيق عنه الفضاء فسمعت الفرنج بذلك فجمعت قاصيها ودانيها واقبلوا اليه مجدين مصممين على القتال واثقين بالظفر لكثرتهم فالتقوا تاسع شعبان شمالى قرطبة فاقتتلوا قتالا شديدا اشتشهد فيه كثير من المسلمين وكانت الدائرة فى أول الامر على المسلمين ثم تراجعوا وعادوا على الفرنج فانهزم الفرنج أقبح هزيمة وانتصر المسلمون عليهم وجعل الله كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم وكان عدد من قتل من الفرنج مائة ألف وستة واربعين الفا وأسر منهم ثلاثة عشر الفا وقيل ثلاثون الفا وغنم المسلمون منهم شيئا كثيرا فمن الخيام مائة الف وثلاث واربعون الفا ومن الخيل ستة واربعون الفا وقيل ثمانون ألفا ومن البغال مائة الف ومن الحمير مائة الف وقيل اربعمائة الف جاء بها الكفار لحمل اثقالهم لانهم لا ابل عندهم بالاندلس ومن الدروع التى صارت لبيت المال ستون الفا غير ما أخذه المسلمون منها واما الذهب والفضة والجواهر والاموال فلا تحصى وبيع الاسير بدرهم والحمار بدرهم وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع ونجا الفنش بروحه وهو ملك النصارى اذ ذاك الى طليطلة فى اسوء حال وحلق رأسه ونكس الصليب وحلف ان لاينام على فراش ولايقرب النساء ولايركب فرسا ولادابة حتى يأخذ بالثار وصار يجمع الرجال من البلاد البعيدة ويستعد للقاء ثم لقيه يعقوب بالجيوش مرة ثانية فهزمه وساق خلفه الى طليطلة وحصره فيها ورمى عليه بالمجانيق ولم يبق الافتحها فخرجت اليه والدة الاذفونش وبناته ونساؤه يبكين بين يديه ويسألنه ابقاء البلد عليهن فرق لهن ومن عليهن بها ووهب لهم اموالا كثيرة وعفا بعد القدرة ورجع الى قرطبة فأقام بها شهرا يقسم الغنائم فجاءته رسل الفنش يطلب الصلح فصالحه وهادنه خمس سنين وامن الناس وكان يعقوب قدنادى فى عسكره من غنم شيأ فهوله واحصى ماحمل اليه من السلب فكان زيادة على سبعين الفا وهذه الوقعة تسمى وقعة الارك وهو اسم للموضع الذى كانت فيه الوقعة ولم يسمع بعد وقعة الذلاقة التى كانت على يد امير المسلمين يوسف بن تاشفين بمثل وقعة الارك هذه بل صرح بعض المؤرخين بأنها

الشريف محسن وعاد الامر الى انقطاع الطرق ونهب الاموال وفى سلخ ذى الحجة جمع مولانا الشريف الفقهاء وأعيان الناس وأجمع رأيهم على كتابة عرض الى السلطنة بشكوى حالهم وماوقع من الاشراف وهل شهر المحرم افتتاح سنة ثلاث بعد الالف ومائة فتفرقت العساكر من يد مولانا الشريف ولم يبق معه من يعول عليه وغمى اليمان الشريف سعيدا والسيد عبدالله بن هاشم كل منهما يطلب هذه المنزلة فطلب من صاحب جدة ان يبعث له عسكرا يبيتون بالباب فباتوا ليلة ثالث المحرم ثم طلع صاحب جدة والقاضى لمولانا الشريف وتذاكروا فى هذا الامر فاقتضى الحال ان يركب الصنجق وستمائة من العسكر ليبعدوا الشريف سعيدا فلما وصل سوق المعلى خرج فى ساقته السيد مساعد بن سعد والسيد عبدالمحسن بن أحمد بن زيد وجماعة آخرون واعترضوه عند النسفى فردوه مكرها وأخبروه انه ان جاوز هذا الحد قتل فرجع وبات بذى طوى ثم سار الى جدة ولما كان يوم السبت سادس محرم نزل مولانا الشريف سعيد الى المعلى بالدفتر دارية ولاذ به بعض عسكر الشريف الذين نفروا عنه واجتمعت

اعظم من وقعة الزلاقة وكان جملة من استشهد من المسلمين فى هذه الوقعة نحو عشرين الفا
وعظم امر الاسلام بالاندلس بعد هذه الوقعة ومدح الشعراء يعقوب بعد هذا الفتح بقصائد
كثيرة وأجازهم بعطيات وافرة فمنهم ابن منقذ وكان شاعرا بليغا مدحه بقصيدة منها قوله

سأشكر بحرا ذا عباب قطعته ❊ الى بحر جود مالأخراه ساحل
الى معدن التقوى الى معدن الندى ❊ الى من سمت بالذكر منه الاوائل
اليك امير المؤمنين ولم تزل ❊ الى بابك المأمول تزجى الرواحل
قطعت اليك البر والبحر موقنا ❊ بأن نداك الغمر بالنجح كافل
وحزت بقصديك الغنى فبلغتها ❊ وادنى عطاياك العلا والفواضل
فلا زلت للعلياء والجود باقيا ❊ تبلغك الآمال ما انت آمل

وعدد ابيات القصيدة اربعون بيتا فأعطاه اربعين الفا وانما صالح يعقوب الفرنج وهادنهم
لانه بلغه قيام ثائر من المرابطين بأفريقية فأراد يعقوب الرجوع الى مراكش لقمع هذا الثائر
واخماده فرجع وقمعه واخمده (لطيفة) قال الشيخ محى الدين بن العربى رضى الله عنه
فى الفتوحات المكية كنت بمدينة فاس سنة احدى وتسعين وخمسمائة وعساكر الموحدين قد جازت
الى الاندلس لقتال العدو فلقيت رجلا من رجال الله فسألنى ما تقول فى هذا الجيش هل
يفتح له وينتصر فى هذه السنة ام لا فقلت له ما عندك أنت فى ذلك فقال ان الله تعالى قد
ذكره فى كتابه وبشر به نبيه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا
وموضع البشرى فتحا مبينا من غير تكرار الالف فى مبينا فانها لاطلاق الوقوف فى تمام الآية
فنظرت وحسبت الحروف فوجدت الفتح يكون فى سنة احدى وتسعين وخمسمائة ثم جزت الى
الاندلس فى السنة المذكورة وقد نصر الله جيش المسلمين فهذا من الفتح الالهى لهذا الشخص اه
فتحا مبينا وتوفى الامير يعقوب بمدينة سلا وقيل بمراكش سنة خمس وتسعين وخمسمائة
وعمره احدى واربعين سنة قال ابن خلكان فى ترجمة يعقوب المذكور ثم ٤٨٩ ١٠٢
٥٩١ حكى لى جمع كثير بدمشق سنة ثمانين وستمائة ان بالقرب من المجدل البليدة التى
من اعمال البقاع العزيزية بالشام قرية يقال لها حارة والى جانبها مشهد يعرف بقبر الامير
يعقوب ملك المغرب وكل اهل تلك النواحى متفقون على ذلك وليس عندهم فيه خلاف اه
قال فى نفح الطيب توفى السلطان يعقوب سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمدينة سلا وكانت
ولايته خمس عشرة سنة ومايقال انه ساح فى الارض وتخلى عن الملك ووصل الى الشام
ودفن بالبقاع لا اصل له وان حكى ابن خلكان بعضه وممن صرح ببطلان هذا القول
الشريف الغرناطى فى شرح مقصورة حازم وقال ان ذلك من هذيان العامة اولوعهم
بالسلطان المذكور انتهى قال ابن خلكان وسمعت عن الامير يعقوب حكاية يليق ان تذكر
ههنا وهى ان الامير ابا محمد عبد الواحد بن ابى حفص عمر الهنتاتى كان قد تزوج اخت الامير
يعقوب المذكور وأقامت عنده ثم جرت بينهما منافرة فجاءت الى بيت اخيها يعقوب المذكور
واقامت عنده فسير الامير عبد الواحد فى طلبها فامتنعت فشكا الامير عبد الواحد الى قاضى الجماعة
بمراكش وهو ابو عبد الله محمد بن على بن مروان فاجتمع القاضى المذكور بالامير يعقوب وقال

عليه العامة فلما بلغ ذلك عسكر مصر طلع والى القاضى فاستدعى القاضى بعض الاشراف وبعض
وجوه الناس وبعثوا الى
الشريف سعيد يسألونه
عن هذا الفعل فقال مرادى
انزل دارأبى فى تمنعنى وجاء
الخبر الى مولانا الشريف
محسن فنزل عن شرافة مكة
لمولانا السيد مساعد بن
سعد وجاء السيد مساعد
الى القاضى لتسجيل هذا
النزول فجائهم الخبر ان
مولانا الشريف سعيدا
وصل المسعى فخرج مولانا
الشريف محسن من دار
السعادة الى منزل السيد
ثقبة بن قتادة ولم يزل مولانا
الشريف سائرا الى ان دخل
منزل أبيه والمنادى ينادى
بين يديه بان البلد له وليس
معه أحد غير العامة
(الولاية الثانية للشريف
سعيد بن سعد بن زيد
سنة ١١٠٣)
فلما بلغ ذلك أخاه السيد
مساعدا نزل عما نزل له به
الشريف محسن من المكانة
بحضرة القاضى والمفتى
وكبار العسكر فسجل ذلك
وبعث له القاضى بقفطان
نيابة عن مولانا السلطان
فلبسه فى منزله وجلس
للتهنئة ومدحته الشعراء
ونودى فى البلد بالزينة سبعة
أيام ولم يخالف أحد من
الاشراف فولى مكة مولانا
الشريف سعيد بن سعد بن زيد بن محسن وجلس للتهنئة يوم الاحد سابع المحرم سنة ثلاث ومائة بعد الالف

له ان ابامحمد عبدالواحد يطلب اهله فسكت الامير يعقوب ومضى على ذلك ايام ثم ان الامير عبدالواحد اجتمع بالقاضي المذكور في قصر الامير يعقوب وقال له انت قاضي المسلمين وقد طلبت اهلي فاجاؤني فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له ياامير المؤمنين ان الشيخ عبدالواحد قدطلب اهله وهذه الثانية فسكت الامير يعقوب ثم بعد ذلك بمدة لقي الامير عبدالواحد القاضي بالقصر المذكور فقال له ياقاضي المسلمين قد قلت لك مرتين وهذه الثالثة انا اطلب اهلي وقدمنعوني عنها فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له يامولانا ان الشيخ عبدالواحد قدتكرر طلبه لأهله فاما ان تسير اليه اهله والا فاعزلني من القضاء فقال له يا ابا عبدالله ماهذا الاجد كبير ثم استدعى خادما وقال له في السر تحمل اهل الشيخ عبدالواحد فحملت اليه في ذلك النهار ولم يتغير على القاضي ولاقال له شيأ يكرهه وتبع في ذلك حكم الشرع المطهر وانقاد لاوامره قال ابن خلكان وهذه حسنة تعدله وللقاضي ايضا فانه بالغ في اقامة منار الشرع بالعدل انتهى

ذكر محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن

وماجرى في مدته من الغزو لماتوفي الامير يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن بايع شيوخ الموحدين ابنه محمدو القبوه الناصر وكان النصارى بالاندلس لماسمعوا بموت يعقوب اخذوا يتغلبون على كثير من الحصون بالاندلس وكان محمد المذكور حديث السن عمره نحو تسع عشرة سنة فاستخف بكثير من وزراء ابيه ورجال دولته وبكثير من رجال الاندلس العارفين بالقتال حتى انه قتل بعض رجال دولته وشنق بعضهم فكان ذلك سببا لفساد النيات ولقوة الشكيمة للافرنج فلما بلغه قوة شكيمتهم وطمعهم في التغلب على بعض الحصون بل اخذوا بعضها بالفعل شرع في التجهز للمسير لقتالهم فتجهز في ستمائة الف مقاتل ودخله الاعجاب بكثرة من معه من الجيوش واستعدله العدو بجموع كثيرة فلما التقوا وتقاتلوا في شهر صفر سنة تسع وستمائة انهزم المسلمون وكثر القتل فيهم ولم ينج من الستمائة الف الذين مع محمد بن يعقوب غير عدد يسير لم يبلغوا الالف فكانت هذه الوقعة هي الطامة الكبرى على الاندلس بل على المغرب كله وماذاك الالسوء التدبير والاعتماد على القوة وكثرة الجند والله غالب على أمره واستولى العدو بعدها على كثير من الاندلس وتسمى هذه الوقعة بوقعة العقاب ثم كثر الثائرون والخارجون ايضا في المغرب وتوفي محمد بن يعقوب المذكور سنة ست عشرة وستمائة ثم تفرقت كلمة بني عبدالمؤمن وكثر الاختلاف والقتال بينهم مع بعضهم وانتشرت فتن كثيرة بينهم فكانوا كلما بويع لواحد منهم خلعوه وخرجوا عليه الى ان انقضت دولتهم وكانوا كلهم يدعون لمهديهم محمد بن تومرت على المنابر في الخطبة ويسترحمون عليه ويكتبون اسمه على سكة الدراهم والدنانير الاالعاشر من خلفائهم وهو أبو العلا ادريس الملقب بالمأمون ابن يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن فانه امر باسقاط اسم مهديهم محمد بن تومرت من السكة والخطبة والف في ذلك رسالة طويلة افصح فيها بتكذيب مهديهم المذكور وضلاله وصار يلعنه وكان ادريس المأمون عالما فصيحا متمكنا في علم الاصول والفروع ناظما

وكانت مدة ولاية الشريف محسن بن الحسين بن زيد سنة وخمسة أشهر الاثمانية أيام وهذه الولاية الثانية للشريف سعيد وتقدمت الاولى عند موت عمه الشريف أحمد وكلاهما بغير أمر سلطاني وكتبوا الى الباشا صاحب جدة فامتنع من النداء له ثم روجع في ذلك فوافق ونادى له بجدة سلخ محرم ثم خرج جماعة من الاشراف مغاضبين للشريف سعيد واما الشريف محسن فانه توجه الى المدينة وأخبرهم انه خرج من مكة قهرا وانه آثر عدم القتال وان الشريف سعيدا تولاها من غير رضا الاشراف فتوقف شيخ الحرم من النداء للشريف سعيد بالمدينة وأجرى على الشريف محسن مايقوم به ثم جاءهم كتاب من مولانا الشريف سعيد ومعه خطوط القاضي والمفتي والعلماء بصورة الواقعة فنادى له بالمدينة ودعاله على المنبر يوم الجمعة رابع عشر صفر وأمر القاضي الشريف محسنا بالخروج من المدينة خوف الفتنة فخرج منها وأرسل الشريف سعيد أخاه السيد دخيل الله بن سعد ومعه ثلاثمائة من العسكر الى القنفذة لاخراج الاشراف الذين فيها وجاء الخبر سابع ربيع الثاني بانه التقى معهم وانتصر عليهم وقتل من الاشراف خمسة ومن العسكر كثيرا وأنه دخل القنفذة بعد هروب من فيها واختبطت الاشراف

ثائرا و كان سفاكا للدماء و كانوا يسمونه حجاج المغرب قتل مائة من شيوخ الموحدين وسفك دماء كثيرة من دماء الخارجين الثائرين عليهم وقتل فى يوم واحد اربعة آلاف ونصب رؤسهم على أسوار مدينة مراكش مات سنة ثلاثين وستمائة وكان تمام انقضاء دولتهم سنة ثمان وستين وستمائة فكانت مدة دولتهم مع مهديهم مائة واثنتين وخمسين سنة وجملة من تولى منهم مع مهديهم ستة عشر شخصا فسبحان الملك الباقى الذى لا يعترى ملكه الزوال والنقصان وتفصيل ملوكهم مع الفتن التى وقعت بينهم ذكرته فى تاريخ جمعته فى اخبار الاندلس وكان المنتزع للملك بنى عبد المؤمن جماعة من بنى مرين وسنذكرهم ان شاء الله تعالى ونذكر ما كان منهم من الغزو لكفار الاندلس لكن ينبغى قبل ذكرهم ان نذكر الحفصيين ملوك تونس لانهم من فروع دولة الموحدين والجميع من فروع دولة محمد بن تومرت المهدى على زعمهم والحفصيون ملوك تونس هم اولاد أبى حفص عمر الهنتانى وهو الوزير الثانى لمحمد بن تومرت لانه أول قيامه بدعواه كان الملازمون القائمون بأمره ثلاثة عبد المؤمن بن على وعبد الله الونشريسى وابو حفص عمر الهنتانى اما عبد المؤمن فقد تقدم الكلام عليه وعلى اولاده الذين ورثوا الملك منه الى ان ذهب ملكهم واما عبد الله الونشريسى فقتل فى بعض الحروب التى كانت أول ظهور محمد بن تومرت واما أبو حفص عمر الهنتانى فكان وزيرا لعبد المؤمن وكان ولى العهد بعده ثم احتال عليه عبد المؤمن وخلعه وجعل ولاية العهد لابنه محمد ثم يوسف بن عبد المؤمن وكان عبد المؤمن فى مدة ملكه اتخذ اباحفص عمر الهنتانى وزيرا وخليلا يقربه ويدنيه ويستشيره فى اموره كلها ثم صار ابناء عبد المؤمن يقربون ابناء ابى حفص ويدنونهم ويتخذون منهم وزراء وامراء وفى سنة ستمائة وثلاث فى مدة ملك محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن جعلت ولاية تونس لعبد الواحد بن ابى بكر بن ابى حفص عمر الهنتانى وتوارثها بنو عبد الواحد المذكور وبقى ملك تونس فيهم الى سنة تسعمائة واحدى وثمانين فانتزع ملك تونس منهم سلاطين آل عثمان فكانت مدة تملك تونس لبنى حفص ثلاثمائة وثمانية وسبعين سنة وعدة ملوكهم ثمانية وعشرون ملكا فدولتهم ايضا من فروع دولة المهدى محمد بن تومرت وكان لهم ملك ضخم وجرى منهم غزوات وفتوحات سيأتى كثير منها بعد اتمام الكلام على دولة بنى مرين المنتزعين ملك بنى عبد المؤمن وبعد ذكر ما كان منهم من الغزوات والفتوحات بالاندلس

﴿ ذكر دولة بنى مرين وغزواتهم بالاندلس ﴾

اعلم ان بنى مرين قبيلة من قبائل البربر كانوا متوحشين يسكنون الصحراء والقفار وكانت لهم مواش ثم صارت لهم خيل وقوة فلما ضعف ملك بنى عبد المؤمن ورأى بنو مرين ضعفهم واختلال ملكهم تخلصوا من الصحراء والقفار وتفرقوا فى جهات المدن والامصار واوجفوا بخيلهم وركابهم وظهرت لهم رياسة وقوة وشوكة فخلعوا طاعة بنى عبد المؤمن من بعد ان كانوا تحت طاعتهم فصار كثير من رعايا بنى عبد المؤمن يحتمون ببنى مرين ويلتجئون اليهم لاسيما اذا وقعت عليهم مظلمة من بنى عبد المؤمن فتمسك كثير من الناس بعصمات بنى مرين واظلم الجو بينهم وبين بنى عبد المؤمن وثار من ذلك فتن كثيرة بين الفريقين ووقع بينهم

مولانا الشريف سعيد عسكرا يترصدونهم فى الطريق وفى ليلة الاثنين الثانى من جمادى الاولى ورد قفطان ومرسوم من صاحب مصر فأدخلوه فى ألاى الى ان وصل لباب السلام ودخل الحطيم ونزل مولانا الشريف سعيد وبعض الاشراف ووجوه أهل مكة فقرئ المرسوم ومضمونه انه وصل الينا واتصل بمسامعنا ان مولانا الشريف محسن بن الحسين بن زيد نزل عن الشرافة للشريف سعيد وما أحسن هذا بدفرغت فى أخرى وان الواصل اليكم قفطان من جانبنا وأمر آخر نخاطب به لعسكر الحافظون مضمونه أن يكونوا تحت أمر مولانا الشريف والحذر من المخالفة الى ان يأتى الامر السلطانى من الابواب فلبس مولانا الشريف سعيد القفطان الوارد وخلع على من يستوجب ذلك فى مثل ذلك اليوم وطلع داره وجلس للتهنئة ولما كان يوم الاثنين رابع عشر جمادى الثانية ورد سلحدار مولانا الشريف سعد بن زيد ومعه صورة أمر مولانا السلطان بتفويض أمر الاقطار الحجازية لمولانا الشريف سعد بن زيد وخلعة سلطانية للشريف سعيد ليكون نائبا عن أبيه

محاربات يطول الكلام بذكرها فصار بنو مرين يقوى امرهم كلما ضعف ملك بني عبد المؤمن الى ان استلبوهم الملك وانتزعوه منهم واستولوا عليه واول ماظهرت الرياسة في بني مرين بعد الخمسين والخمسمائة من الهجرة واول من ظهرت عليه الرياسة منهم محيو بن ابي بكر بن حمامة فقدموه رئيسا عليهم الى ان توفي سنة احدى وتسعين وخمسمائة فقام بالرياسة بعده ابنه عبد الحق بن محيو الى ان توفي سنة أربع عشرة وستمائة فقام بالرياسة بعده ابنه عثمان بن عبد الحق الى ان توفي سنة سبع وثلاثين وستمائة ثم بعده اخوه محمد بن عبد الحق الى ان توفي سنة اثنتين وأربعين وستمائة ثم اخوه ابو يحيي بن عبد الحق الى ان توفي سنة ست وخمسين وستمائة فقام بالرياسة بعده اخوه يعقوب بن عبد الحق وفي هذه المدة السابقة كانت محاربات كثيرة بينهم وبين بني عبد المؤمن فقوي امرهم وانتشر صيتهم واستولوا على مدائن وقرى منها مكناسة وفاس وتلمسان وطنجة وسبتة وغير ذلك الا تونس واعمالها فان ملكها كان بيد الحفصيين ابناء أبي حفص عمر الهنتاني احد اصحاب المهدي محمد بن تومرت وقد تقدم ذكر ذلك وكان تملك بني مرين فاس سنة ست وأربعين وستمائة وآخر الامر ملكوا مراكش سنة ثمان وستين وستمائة وقتلوا ابا دبوس الملقب بالواثق وهو آخر ملوك بني عبد المؤمن واستقر الملك لبني مرين على يد يعقوب بن عبد الحق فهو الذي ينبغي ان يكون اولهم ولما استقرت دولته بمدينة مراكش جاءته البيعة من اهل الاندلس وجاء جماعة منهم يستنصرون به على النصارى المتغلبين على أكثر الاندلس وسيأتي ذكر تجهيزه لغزو العدو بالاندلس انشاء الله تعالى

✻ ذكر ما كان من استيلاء العدو على كثير من مدائن الاندلس مدة ضعف دولة بني عبد المؤمن ✻

كان بالاندلس عمال لبني عبد المؤمن متفرقون في أقطارها ومدائنها فلما حصل الضعف لدولتهم وانتشرت الفتنة بينهم مع بعضهم وبين بني مرين واشتغلوا بقتالهم اغتنم العدو الفرصة وصار يقتطع كثيرا من المدائن والمعاقل والحصون ويستولي عليها ولم يوجد بالاندلس من الجيوش والرجال من يدافع العدو ويقاتله وقد كثر ما استولى عليه الطاغية في هذه المدة التي ضعف فيها ملك بني عبد المؤمن وبعض المدائن استولى عليها العدو قبل ظهور الضعف في دولتهم فمن ذلك مدينة تطيلة واختها طرشونة استولى عليها الطاغية سنة اربع وعشرين وخمسمائة وكان ذلك في أول دولة بني عبد المؤمن وآخر دولة المرابطين بل كان قد استولى قبل ذلك على طليطلة سنة ثمان وسبعين واربعمائة كما تقدم حتى ان يوسف بن تاشفين لما عبر الاندلس وكانت وقعة الزلاقة عجز عن تخليص طليطلة من يد الطاغية واستولى الطاغية على مدينة سرقسطة سنة سبع وخمسين واربعمائة ثم استرجعت ثم استولى عليها ثانيا سنة خمسمائة واثنتي عشرة واستولى على بلنسية سنة اربعمائة وسبع وخمسين ثم ارتجعها المسلمون ثم تكرر استيلاؤهم عليها واسترجاعها كما تقدم ثم تغلب العدو عليها وأخذها مرة أخرى سنة ست وثلاثين وستمائة واستولى على حصن روطة سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكان من امنع الحصون سلمه ابن هود لصاحب طليطلة لما عجز عن مقاومته واستولى العدو على مدينة المرية سنة اثنتين واربعين وخمسمائة

الشريف سعد فنزل مولانا الشريف سعيد الى الحطيم في جمع من الاشراف وحضر القاضي والمفتي وأكابر العساكر ووجوه الناس وقرئ الامر الوارد ومضمونه انه لما بلغنا عجز الشريف محسن عن حفظ الديار المكية أنعمنا على الشريف سعد بولاية مكة والمدينة وضبط العربان والاشراف وحفظ الحجاج وقلدناه جميع الاقطار الحجازية من غير مراجعة في ذلك الى غير ذلك من الوصاية على الفقراء وأصحاب الوظائف وأمر آخر من صاحب مصر مخاطبا فيه مولانا الشريف سعيدا وقاضي الشرع وبلكات العساكر مضمونه حكاية الواقع وان مولانا السلطان أنعم بشرافة مكة لمولانا الشريف سعد قبل وصول عرضنا اليه وانه أقام نائبا عنه بمكة مولانا الشريف سعيدا الى وقت وصوله فالله الله بالطاعة وعدم المخالفة وكتاب ثالث من مولانا الشريف سعد الى نجله ذي الشرف المنيف مضمونه التعريف بالواقع وأنه قائم مقامه في الوصاية الى غير ذلك وفي أوائل جمادى الثانية رجع مولانا السيد دخيل الله من القنفذة وأقام نائبا في مقامه ثم جاء الخبر بعده ان الاشراف تغلبوا على القنفذة ولم تزل الاخبار تتوارد بمجيء مولانا الشريف سعد الى أن

وكان قبل ذلك استولى على مدينة لوشة سنة اثنتين وعشرين وستمائة ثم ارتجع الموحدون
المرية سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وبقيت بيد المسلمين سنين ثم ارتجعها العدو خذله الله مرة
اخرى واستولى على كورة ماردة سنة ست وعشرين وستمائة وعلى بيروقة سنة سبع وثلاثين
وستمائة وعلى جزيرة شقرة سنة تسع وثلاثين وستمائة وعلى قرطبة دار الخلافة سنة ست
وثلاثين وستمائة وعلى شرق الاندلس شاطبة وغيرها سنة خمس وأربعين وستمائة واستولوا
سنة أربع وأربعين وخمسمائة على مدينة طرطوشة وملكوا معها جميع قلاعها وحصون
لاردة وافراغة وعلى مرسية صلحا فى العام المذكور وحصروا اشبيلية سنة خمس وأربعين
وستمائة وملكوها فى العام القابل وبيان وقائع اخذ الطاغية لهذه المدائن يطول الكلام بذكره
وذلك مشتمل على ما تتفرح له الاكباد وتنسجم له العيون ولما اخذت قواعد المدائن وامهاتها
بالاندلس مثل قرطبة واشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها انحاز اهل الاسلام الى قطعة من
شرق الاندلس كانت بيد المسلمين منهم محمد بن يوسف بن هود الجذامى كان آباؤه لهم ملك بالاندلس
من جملة ملوك الطوائف فكان محمد بن يوسف المذكور بمرسية من شرق الاندلس وكان هنالك
عمال لبنى عبد المؤمن فتغلب عليهم واخرجهم واستعان على ذلك ببعض اهل الاندلس
وعلمائهم واعيانهم وصار الملك له وخطب لبنى العباس وأقام الدعوة لهم ثم كثر المنازعون له
والثائرون عليه من المسلمين ومن الفرنج وطمعوا فيه فاضطربت عليه الامور وكان ممن نازعه
من المسلمين بنو الاحمر وهم قوم ينسبون الى سعد بن عبادة رضى الله عنه الانصارى سيد الخزرج
فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم كان تحت ايديهم بعض مدائن بغرب الاندلس فانتزعوا ما كان
تحت يد محمد بن يوسف بن هود وضموه الى ما كان تحت ايديهم وكان أول من قام من بنى الاحمر
محمد بن نصر وكان ابوه نصر فى دولة بنى عبد المؤمن من امراء الاجناد وكان محمد بن نصر يقال
له محمد الشيخ وبويع سنة تسع وعشرين وستمائة وخطب لابى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن
ابى حفص عمر الهنتاتى وكان ابو زكريا المذكور اذ ذاك صاحب تونس وكان قد استقل بملكه بتونس
وافريقية فخلع طاعة بنى عبد المؤمن ودعا لنفسه وتسمى بأمير المؤمنين فبايع ابن الاحمر الناس
له ليفسد على ابن هود بيعته لبنى العباس ودخل مع ابن الاحمر فى تلك البيعة أهل جيان
وشريش وكان الطاغية فى ذلك الوقت محاصرا بلنسية وذلك سنة ست وثلاثين وستمائة ثم
ارسل ابن الاحمر جماعة من اعيان أهل الاندلس لابى زكريا الحفصى بتونس فقدموا عليه
وعقدوا له بيعة أهل الاندلس واستصرخوا به يريدون منه النجدة فى قتال النصارى فأجابهم
الى مطلبهم وعقد ابو زكريا لتلك البيعة يوما مشهودا بتونس وانشد شاعر أهل الاندلس
القصيدة المشهورة التى أولها

أنجد بخيلك خيل الله اندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست * فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

وهى قصيدة طويلة بليغة مذكورة فى نفح الطيب فأجاب ابو زكريا بيعتهم ولبى دعوتهم
وجهز لهم اساطيل فيها المال والرجال فلما وصلوا الاندلس وجدوا الطاغية المحاصرة
بلنسية قد ملكها ثم ملك مرسية أيضا صلحا وكان ممن قام بالاندلس أيضا ابو محمد اشقيلولة

وصل الحج فجاء بعده فدخل مكة ليلا وطاف وسعى ورجع الى الزاهر ودخل وقت الضحى فى ألاى أكبر
من الشبيكة ولم يزل الى أن
دخل المسجد وحضر
القاضى والمفتى والعلماء
والاشراف بالحطيم
ودخل قابجى بالامر
السلطانى فقرئ بالحطيم
ولبس مولانا الشريف
سعد الخلعة السلطانية
وصعد الى داره للتهنئة
ومدحته الشعراء وجاء
فى زى الاروام بعمامة على
قاووق الا أن لسانه بألفاظ
أهل الشام بحيث ان
غالب ألفاظه شامية واستمر
بهذا الزى ثم انه لبس عمامة
العرب فجعل بعد ذلك
يلبس هذه مرة وهذه مرة
وحج بالناس هذه السنة
مولانا الشريف سعد قال
السنجارى وما أحسن قول
بعضهم وهو قديم

يا سعد دارت رحى الافلاك وانتصرت * لك الليالى أمدتها المقادير

(الولاية الثانية للشريف سعد سنة ١١٠٣)

وهذه الولاية الثانية لمولانا
الشريف سعد وبين انفصاله
من الولاية الاولى وهذه
الولاية أحدى وعشرون
سنة وهى مدة غيبته وعند
سفر الحج أمر ابنه مولانا
الشريف سعيدا ان يخرج
مع الحج ومعه جماعة من
الاشراف وفى تاسع صفر جاء الخبر بان جماعة من عنزة عدوا على الحج الشامى واعترضوه على الماء فقتل مولانا الشريف

(واستولى)

واستولى على قارش ووادي آش وكان بينه وبين ابن الاحمر مصاهرة وقرابة مع منافسة باطنية فاستعان به ابن الاحمر على ابن هود وكان ابن هود قبل ان يتغلبوا عليه قد جاءه خطاب وتقليد من الخليفة العباسي المستنصر بالله بن الظاهر بن الناصر فقوي ابن هود ولما جاءه التقليد فبايعه ابن الاحمر وترك الخطبة لابي زكريا الحفصي صاحب تونس وافريقية ثم قام باشبيلية أبو مروان الباجي فداخله ابن الاحمر على ان يزوجه ابنته فأطاعه ابو مروان فدخل ابن الاحمر اشبيلية ثم فتك بابن مروان فقتله ثم أن أهل اشبيلية بعد شهر كاتبوا ابن هود ودخلوا في طاعته وأخرجوا ابن الاحمر ثم تغلب ابن الاحمر على غرناطة سنة خمس وثلاثين وستمائة بمواطاة من اهلها فجاءته بيعتهم وهو بجيان فجاء الى غرناطة فدخلها وجعلها كرسي مملكته ثم تغلب على مالقة وفي هذه المدة التي وقعت فيها هذه الفتن بين المسلمين بالاندلس قوي امر النصارى وطمعوا فيما بأيدي المسلمين وتلقفوا كثيرا من مدائن الاندلس وحصونها وداخلهم ابن هود وهادنهم بالصلح ليدفعوا عنه ابن الاحمر وأعطاهم كثيرا من المعاقل والحصون قيل انه اعطاهم ثلاثين حصنا وجعل على نفسه ضريبة لهم كل سنة اربعمائة الف دينار ثم ثار على ابن هود وزيره ابن الرميمي فقتله واستولى على ما بيده ثم استولى ابن الاحمر على ما بيد الرميمي سنة ثلاث واربعين وستمائة ثم بايع ابن الاحمر اهل ميروقة سنة ثلاث وستين وستمائة وحصل لاعقاب ابن هود في هذه الفتن خطوب كثيرة وحروب بينهم وبين ابن الاحمر ثم دخلوا في طاعته فبعث ابن الاحمر ابن اشقيلولة فتسلم منهم مرسية وخطب لابن الاحمر وعوضهم عن مرسية حصنا من عملها سنة ثمان وستين وستمائة ثم انقرضت دولة بني هود بالكلية وكان ابن الاحمر في اول امره يداخل النصارى ويستعين بهم على ابن هود فلما داخل النصارى ابن هود وأعطاهم الحصون المتقدم ذكرها وجعل لهم الضريبة على نفسه فزع اليهم ابن الاحمر لانهم كفوا عن معاضدته التي كانت منهم له قبل ذلك وصاروا معاضدين لابن هود ثم لما رأى ابن الاحمر أمر النصارى يقوى ورآهم تغلبوا على قرطبة وغيرها خاف ان يستولوا على ما بيده فسخطهم ونبذ عهدهم وصار محترسا منهم وحاز في مملكته مدائن بغرب الاندلس وبالمتوسطة من الاندلس من ذلك غرناطة والمرية ومالقة ونحوها وتوفي ابن الاحمر محمد الشيخ بن يوسف بن نصر سنة ستمائة واحدى وسبعين فبويع بعده ابنه محمد الفقيه بن محمد الشيخ وكان ممن بقي من ملوك الاندلس بنو اشقيلولة وكانوا نظراء لابن الاحمر في الرياسة وبينهم وبينه مصاهرة ومنافسة وكان الرئيس فيهم ابا محمد صاحب مالقة واخاه ابا اسحاق صاحب وادي آش وقارش ثم ان ابن الاحمر محمد الفقيه في سنة ثلاث وسبعين وستمائة بعث جماعة من المسلمين الى بني مرين يستصرخون بهم ويسألونهم النصرة والاعانة على قتال النصارى وكان في ذلك الوقت قد تمكن الملك في مراكش والمغرب الاقصى لبني مرين وكان الملك في ذلك الوقت من بني مرين يعقوب بن عبدالحق

﴿ ذكر اول تجهيز من بني مرين لغزو النصارى بالاندلس ﴾

جاء الصريخ من اهل الاندلس مع الجماعة الذين بعثهم ابن الاحمر محمد الفقيه بن محمد الشيخ بن يوسف بن نصر جهز السلطان يعقوب بن عبدالحق جيوشا كثيرة من مدينة فاس ومراكش جازت الى الاندلس مع بعض اولاد السلطان يعقوب والتقوا مع النصارى وقاتلوهم أشد

جرى العادة لخبر النصرة وفرح الناس وفي شهر جمادى الاولى سنة أربع ومائة وألف خرج مولانا الشريف غازيا قبيلة حرب وسبب ذلك انهم قتلوا السيد عبدالله بن أحمد الحرث فألزم الشريف بقتالهم أخاه السيد ناصر ابن أحمد بن الحرث يأخذ الثار ولم يزل سائرا الى أن وصل بدرا وجمعت حرب جموعا وأرسلوا يطلبون الصلح والقيام بما يجب فامتنع الشريف بعدو من معه وفي سادس عشر رجب جاء خبر بأنه التقى بحرب ثالث عشر رجب واقتتل معهم فتثبط الاشراف وأحجموا عن اللقاء فحصل بموجب ذلك الكسر وتقوت حرب ودخلوا بدرا ورجعت الاشراف الى رابغ ثم جاء الخبر بتحول مولانا الشريف ومن معه الى خليص ووصل الى مكة في رمضان ثامن عشر واستمر الى عاشر شوال ثم توجه الى المبعوث ودخل الطائف فأقام به يوما وليلة وأقام بالمبعوث الى العشرين من ذي القعدة ثم جاء الى مكة ولم يزل بها الى أن حج بالناس وفي سنة خمس ومائة

القتال وهزموهم شر هزيمة وملؤا ايديهم من غنائمهم واسلابهم وتحصن النصارى فى حصونهم ومعاقلهم وفى المدائن التى ملكوها ورجع بنو مرين سالمين منصورين ولم يخلصوا فى هذه الغزوة شيأ من المدائن التى ملكها العدو

﴿ غزوة أخرى لبنى مرين الى الاندلس ﴾

فى سنة اربع وسبعين وستمائة جمع أمير المسلمين السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى جموعا كثيفة واستنفر المسلمين من كل ناحية وغزا الاندلس بنفسه فلما وصل طريف لقيه ابن الاحمر محمد الفقيه صاحب غرناطة والرئيس ابو محمد ابن اشقيلولة صاحب مالقة فأكرمهما وفاوضهما فى أمر الجهاد ثم امرهما بالرجوع الى بلديهما فانصرف ابن الاحمر مغاضبا لكلمات صدرت من ابن اشقيلولة أغضبته وجاء الخبر للسلطان يعقوب ان زعيم النصارى جمع جموعا كثيرة يضيق منها الفضاء فرتب السلطان جيوشه للقائه ثم التقوا وتقاتلوا قتالا شديدا وهزم الله النصارى هزيمة قبيحة حتى قال بعض المؤرخين ان المسلمين بعد ان هزموا يوم العقاب الذى كان فى دولة الموحدين فى مدة محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ما انتصروا حتى دخل السلطان يعقوب ابن عبد الحق المرينى الاندلس وفتك بهم وقتل الله زعيم النصارى فى هذه الوقعة وكان اسمه ذننة وقتل من جيشه اكثر من اربعين الفا وهزم الباقون شر هزيمة وملك السلطان من الاندلس رندة والجزيرة الخضراء وطريف وجبل طارق وغير ذلك واعز الله به الدين بعد تمرد النصارى ولما قتل ذننة زعيم النصارى فى القتال المذكور بعث السلطان يعقوب رأس ذننة الى ابن الاحمر فقيل ان ابن الاحمر طيبه واكرمه ورده الى النصارى وجعل ذلك صنيعا عندهم وكرامة لهم وولاية أخلصها لهم وكان ذلك منه انحرافا عن السلطان يعقوب قال ابن خلدون وظهرت شواهده عليه بعد حين ورجع امير المسلمين من غزوته الى الجزيرة منتصف ربيع الاول من سنته فقسم الغنائم فى المجاهدين وما أخذوه من اموال عدوهم وسباياهم واسراهم بعد اخراج الخمس لبيت المال على موجب الكتاب والسنة ليصرف فى مصارفه وكان مبلغ الغنائم فى هذه الغزوة مائة الف من البقر واربعة وعشرين الفا ومن الاسارى سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثين اسيرا ومن الكراع اربعة عشر الفا وأما الغنم فشىء كثير خارج عن الحصر وكذا السلاح وأقام امير المسلمين بالجزيرة اياما

﴿ غزوة اخرى ﴾

بعد فراغ الغزوة السابقة ورجوع السلطان الى الجزيرة واقامته اياما خرج غازيا من الجزيرة الى اشبيلية فجاس خلال ديارها وتتبع نواحيها واقطارها واثخن بالقتل والنهب فى جهاتها وعمرانها ثم ارتحل الى شريش فأذاقها وبال العيث والاكتساح ثم رجع الى الجزيرة بعد شهرين ثم رجع الى المغرب من السنة المذكورة بعد ان رتب فى الاندلس جيشا يقيم هنالك ليدوم الغزو والجهاد للكفار

﴿ غزوة اخرى لبنى مرين للاندلس ﴾

فى سنة ست وسبعين وستمائة تجهز السلطان يعقوب بن عبد الحق وسار بجموعه ونزل بطريف آخر المحرم ثم ارتحل الى رندة ووافاه الرئيسان أبو محمد بن اشقيلولة صاحب مالقة واخوه ابو اسحاق صاحب قمارش يريدان الغزو معه ولم يأته ابن الاحمر محمد الفقيه صاحب غرناطة

الشريف سعد الى جهة اليمن واعترضوا القوافل الواردة من تلك الجهة وتفاقم الامر وشرع أهل الفساد فى التلصص والسرقات بمكة الى أن أمر مولانا الشريف بعض الاشراف أن يعس مع العسكر ثم أدى الامر الى ان يخرج بنفسه فى الليل مختفيا ليصادف أحدا من المفسدين وفى تاسع عشر شعبان جاءت كتب من الشريف أحمد بن غالب لبعض الاشراف يطلبون له الاذن بدخول مكة فامتنع أكابر العساكر وفى هذه السنة خرج مولانا الشريف أيضا لقتال قبيلة حرب فى شهر جمادى الاولى ووردت البشائر رابع عشر رمضان بأنهم التقوا مع حرب بالصفراء وحصلت ملحمة عظيمة قتل فيها من الفريقين نحو المائة واعتقل مولانا الشريف أربعة من مشايخ حرب ودخل الباقون فى الطاعة وكان قائم مقام مولانا الشريف بمكة السيد عبد الله بن محمد بن زيد فأمر بتزيين البلد ثلاثة أيام ورجع مولانا الشريف فى شوال وجاءت الاخبار بأن الشريف أحمد بن غالب هجم على القنفذة فدخلها قهرا ثم جاء الخبر انه سار متوجها الى مكة فوصل العيث ونادى باسمه وأخذ الزالة من أصحاب الجلاب ولم يزل يتنقل فى المنازل الى أن طرقه وصول اسمعيل باشا

(فارتحل)

فارتحل السلطان ومن معه الى منازلة اشبيلية وكان باشبيلية اذذاك ملك الجلالقة ابن اذفونش فخار وجبن عن اللقاء وبرز الى ساحة البلد محاميا عن أهله فرتب أمير المسلمين جيوشه وجعل ابنه يوسف في المقدمة وزحف في التعبية فانحجز العدو الى البلد واقتصوا أثرهم في الوادي وأثخنوا فيهم الى ان جاء الليل وبات العسكر ليلتهم على ظهور خيولهم وقد أضرموا النيران بساحة العدو وضربوا الحصار عليهم وبثوا السرايا والغزوات في سائر النواحي حتى أبادوا عمرانها وملكوا حصن قطيانة عنوة وكذا حصن جليانة وحصن القليعة وأثخنوا في القتل والسبي ثم ارتحل السلطان الى الجزيرة الخضراء بالغنائم فارتحل وقسم الغنائم في المجاهدين

﴿ غزوة اخرى ﴾

في منتصف ربيع الثاني من السنة المذكورة ارتحل السلطان من الجزيرة الخضراء غازيا الى شريش فأذاقها نكال الحرب وأقفر نواحيها وقطع أشجارها وحرق كثيرا من ديارها واعمالها ونواحيها وأثخن فيها بالقتل والاسر وتحصن العدو بمدينة شريش وجبن عن اللقاء فأراد السلطان أخذ الاطراف ليسهل حصار البلد وبعث ابنه يوسف في سرية للاغارة على اشبيلية وحصون الوادي فبالغ في النكاية واكتسح حصن روطة وشلوقة وغليانة والقناطر ثم صبح اشبيلية وانكفأ الى امير المسلمين فقفلوا جميعا الى الجزيرة الخضراء فأراحوا وقسموا الغنائم في المجاهدين

﴿ غزوة اخرى ﴾

ثم لما كان السلطان بالجزيرة الخضراء حث المسلمين على غزو قرطبة ورغبهم في عمرانها وثروة مساكنها وخصب بلادها فانعطفوا الى جانبه وارسل لابن الاحمر يستنفره ودارت بينهما مكاتبات فيها عتاب زال به ما كان في نفس ابن الاحمر فعزم على لقاء السلطان وخرج امير المسلمين من الجزيرة الخضراء لاول جمادى ووافاهم بن الاحمر بناحية ارشدونة فأكرم وصوله فنازلوا جميعا حصن بني بشر وملكوه عنوة وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء ونقلوا الاموال وخربوا الحصن ثم بث السرايا والغارات في البسائط فاكتسحها وامتلأت الايدي وأثرى العسكر وتقروا المنازل والعمران في طريقهم حتى احتلوا بساحة قرطبة وانحجزت حامية العدو من وراء الاسوار وانبثت بعوث المسلمين وسراياهم في نواحيها فنسفوا آثارها وخربوا عمرانها واكتسحوا قراها وضياعها وترددوا على جهاتها وملكوا حصن بركونة عنوة ثم ارجونة كذلك وجبن العدو عن اللقاء وأيقن بخراب العمران فجنح الى السلم وارسل لامير المسلمين يطلب السلم فدفعه الى ابن الاحمر وجعل الامر في ذلك اليه تكرمة لمشهده ووفاء بحقه فأجابهم ابن الاحمر الى الصلح بعد عرضه على امير المسلمين واذنه فيه لما فيه من المصلحة وجنوح اهل الاندلس اليه منذ المدد الطويلة فانعقد السلم وقفل امير المسلمين من غزاته وجعل طريقه على غرناطة كرسي ملك ابن الاحمر احتفالا به وخرج له امير المسلمين عن الغنائم كلها فاحتوى عليها ابن الاحمر وقال له السلطان يعقوب يكون حظ بني مرين من هذه الغزوة الاجر والثواب مثل ما فعل يوسف بن تاشفين مع أهل الاندلس يوم الزلاقة ودخل امير المسلمين الى الجزيرة الخضراء في اول رجب من العام المذكور فأراحهم ونظر في ترتيب المصالح على الثغور وكان بنو اشقيلولة مع امير المسلمين في هذا الغزو وفارقوه بعد فراغ

من جهة الروم ومعه محمد باشا صاحب جدة فاضطرب حاله ثم كاتب مولانا الشريف سعدا وذكر له أنه ليس لي بمكة حاجة وانما أنا عابر سبيل فأذن له بدخول مكة فجاء وحج ثم نزل ببلاده الركاني وما زال الشريف سعد نافذ الكلمة حسن الذكر عند الدولة العلية الى ان حصل الكدر بينه وبين صاحب جدة فسعى في عزله وحاصله انه كان ببندر جدة شخص يسمى محمد باشا واليا من قبل السلطنة فعزل عنها وفي أثناء ولايته وعزله وقعت بينه وبين حضرة الشريف أمور أوجبت المشاحنة والمباغضة بينهما وصدرت منه سعايات في الشريف المذكور عند الدولة العلية ثم توجه الى الابواب العثمانية واجتهد فيما هو بصدده حتى غير خاطر الدولة عليه وصممت على عزله فبعثت محمد باشا المذكور وجردت من العسكر ليسير بهم الى مكة صحبة الحاج الشامي وعلى الحاج اسمعيل باشا أيضا أميرا بعساكره وخيله واوصتهما بأن تكون كلمتهما واحدة ويتعاضدا على عزل الشريف سعد وتولية السيد عبد الله بن هاشم أمارة أقطار الحجاز فوصلا جميعا الى مكة المشرفة فخرج مولانا الشريف سعد لبس الخلعة على المعتاد وكان مع اسمعيل باشا عسكر كثير وضم اليهم العسكر المصري فلما قرب من موضع الخلعة المعتاد تقدم جماعة من عسكر

الغزو ولما قفلوا اعتل ابو محمد صاحب مالقة ثم مات غرة جمادى من السنة المذكورة فلحق ابنه محمد السلطان آخر شهر رمضان وهو بالجزيرة فنزل للسلطان عن مالقة ودعاه الى احتيازها لانه رأى ابن الاحمر يطمع في انتزاعها منه ولا قدرة له على دفاعه وقال للسلطان ان لم تحزها اعطيتها للفرنج ولا يتملكها ابن الاحمر فقبلها السلطان منه وعقد عليها امير المسلمين لابنه ابى زيان منديل ثم سار امير المسلمين اليها بعد انقضاء شهر الصيام فوافاها سادس شوال وبرز اليه اهلها في يوم مشهود واحتفوا له احتفال ايام الزينة سرورا بقدومه ودخولهم في ايالته وأقام فيها الى خاتم سنته ثم عقد عليها لعمر بن يحيي وكان من صنائع دولتهم وانزل معه المسالح وزيان ابنه ابى عباد بن عبد الحق في طائفة من ابطال بنى مرين واستوصاه بمحمد ابن اشقيلولة ولما علم ابن الاحمر ان امير المسلمين تملكها شق عليه ثم ارتحل السلطان الى الجزيرة ثم الى المغرب سنة سبع وسبعين وستمائة وقد اهتزت الدنيا لقدومه وامتلأت القلوب بما أعطاه الله من نصر المسلمين لكن نشأ من تملكه مالقة غيظ لابن الاحمر وعظم عليه الامر فتظاهر بطاغية النصارى واتفق معه على منع دخول السلطان الاندلس بعد هذه المرة ان أراد ذلك فاغتنم الطاغية مظاهرة ابن الاحمر له فنكث عهد امير المؤمنين واغزى اساطيله الجزيرة الخضراء حيث مسالح السلطان وعساكره واحتال ابن الاحمر على عامل مالقة فأخذها منه وراسلوا بعض الثائرين على السلطان بالمغرب وحثوهم على افساد الثغور واتصل الخبر بأمير المسلمين وهو بمراكش وبلغه ان المسلمين في الجزيرة الخضراء في شدة من ضيق الحصار فعقد لابنه على الغزو واغزى الاساطيل في البحر الى جهاد العدو

﴿ غزوة اخرى لبنى مرين بالاندلس ﴾

لما بلغ أمير المسلمين ماتقدم من نكث الطاغية العهد ومظاهرة ابن الاحمر فعقد السلطان لابنه فوصل الى طنجة في شهر صفر من سنة ثمان وسبعين وستمائة وأوعز الى البلاد البحرية لاعداد الاساطيل بسبتة وطنجة وسلا وقسم الاعطيات واستنفر الناس فتوفرت همم المسلمين على الجهاد وصدقت عزائمهم على الموت ولما رأى ابن الاحمر مانزل بالمسلمين في الجزيرة الخضراء من حصار الطاغية لها واشرافه على أخذها أخذته الحمية الاسلامية وأعد أساطيله وكانت اثنى عشر وبعثها مددا للمسلمين واغاثة لهم وكانت اساطيل أمير المسلمين تناهز السبعين وقيل اثنين وسبعين وبعث الامير صاحب سبتة خمسة واربعين اسطولا واساطيل الطاغية تناهز أربعمائة وتلاقوا مع العدو واخلصوا لله عزائمهم وصدقوا فى نياتهم ووعظهم خطباؤهم والتحم القتال ونزل الصبر فلم يكن الا كلا ولا حتى نضحوا العدو بالنبل فانكشفوا وتساقطوا فى البحر فاستلحمهم السيف وغشيهم اليم وملك المسلمون اساطيلهم ودخلوا مرفا الجزيرة وفرضتها عنوة فاختل عسكر الطاغية ودخلهم الرعب وخرج الناس المحصورون من البلد وانتشرت النساء والصبيان بساحته فغنموا كثيرا من الحنطة والادام والفواكه حتى ملؤا أسواق البلد من ذلك أياما وأجاز الامير يوسف من حينه الى الاندلس وارهب العدو فى كل ناحية ثم صده عن التوسع شأن الفتنة مع ابن الاحمر فرأى ان يعقد مع الطاغية صلحا ويصل به يدا لينازل غرناطة كرسى ملك ابن الاحمر فأجابه الطاغية الى ذلك رهبة من بأسه وموجدة (على)

اسمعيل باشا يريدون أن يحيطوا بالشريف فاتسع الى جهة يساره فظنت الاشراف حدوث واقعة فانهزموا راجعين وثبت مولانا الشريف وتواقع أطراف العسكر مع عسكر مولانا الشريف فلما شعر اسمعيل باشا بهذا بعث بالقفطان فلبسه مولانا الشريف سعد ورجع ووقع بمكة اضطراب وتشويش لاهل البلد وعزل السوق ثم بعث اليهم مولانا الشريف بما محصله ان كان معكم امر بعزلى فأنا طائع للسلطان فنزلوا فاقرؤه بالحرم الشريف وان لم يكن الامر كذلك فأخبرونى عن سبب هذه العساكر وابعثوا الى بالامر السلطانى الذى يقرأ يوم النحر لانظر فيه فلم يعيدوا له جوابا شافيا فبات ليلة سبع سنة ألف ومائة وخمس ولما كان يوم السبت سابع ذى الحجة طلع أمير الحج ويوسف أغا شيخ الحرم المدنى وسرادير العسكر وقاضى الشرع والمفتى الى بستان حيدان وكان اسمعيل باشا نازلا به فلما ان وصلوا بعثوا الى مولانا السيد عبد الله بن هاشم ابن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبى نمى وأظهر محمد باشا أمرا سلطانيا فيه عزل مولانا الشريف سعد وتولية السيد عبد الله بن هاشم شرافة مكة فألبسه اسمعيل باشا قفطانا فى المجلس وأمره بالنزول الى البلد فركب ومعه محمد باشا والامر

على ابن الاحمر في اعداده المدد لاهل الجزيرة وتظاهر الطاغية بالعداوة لابن الاحمر وبعث الطاغية اساقفته لعقد الصلح فأجازهم الامير يوسف الى ابيه امير المسلمين فغضب لذلك وأنكر على ابنه ولم يرض بما اراده ابنه وزوى عنه وجه رضاه وأرجعهم الى طاغيتهم مخفق السعي وجاء اهل الجزيرة الخضراء الى أمير المسلمين فلقوه بأرض السوس فولى عليهم ابنه أبازيان منديل فنزل بالجزيرة وأتم الصلح مع الطاغية ونازل المرية برا وبحرا وكانت لابن الاحمر فامتنع أخذها عليه وانضوى اليه أهل الحصون القريبة بطاعتهم حذرا من الطاغية فتقبلهم ونازل الطاغية ابن الاحمر بغرناطة وحاصره فرجع ابن الاحمر مسالمة بني مرين وبعث لابي زيان ابن السلطان في طلب الصلح فأنهى الامر الى ابيه فأشفق السلطان على المسلمين وعلى مانال ابن الاحمر من منازلة الطاغية فراسله السلطان الى ان تم الصلح بينه وبين ابن الاحمر وارتحل الطاغية من غرناطة واشترط السلطان على ابن الاحمر ارجاع مالقة للسلطان

غزوة اخرى

من لطف الله بالمسلمين وعنايته ببني مرين ان أوقع الخلف بين الطاغية ابن اذفونش وابنه شانجة حتى سلب أباه ملكه وتغلب عليه فوفد على السلطان بطارقة الطاغية وزعماء دولته مستصرخين على ابنه شانجة مخبرين بأنه خرج على ابيه في طائفة من النصارى فغلبوه على أمره فجاؤا يطلبون النصرة من أمير المسلمين ليرجع للطاغية ملكه وينتزعه من ابنه ففرح أمير المسلمين بافتراقهم وأحب الدخول الى الاندلس ليقضي مأربه من جهاد الكفار فأجاب أمير المسلمين رسل الطاغية ووعدهم بالقيام مع الطاغية ليرجع ملكه اليه وينتزعه من ابنه الغاصب له فأوغر الى الناس بالجهاد وأمرهم بالنفير وجهز الجيوش وأجاز الى الجزيرة الخضراء فاحتل بها في ربيع الثاني سنة احدى وثمانين وستمائة واجتمعت عليه مسالح الثغور بالاندلس وسار حتى نزل صخرة عباد فوافاه الطاغية بنفسه ذليلا لعز الاسلام مؤملا صريخ السلطان فأكبر وفادته وأكرم موصله وعظم قدره وذكر ابن خلدون وابن الخطيب ان هذا الطاغية لما اجتمع بالسلطان يعقوب قبل يده اعظاما لقدره وخضوعا لعزه فدعا السلطان بماء فغسل يده من تلك القبلة بمحضر من كان هنالك من جموع المسلمين والفرنج والتمس الطاغية من السلطان ان يمده بشيء من المال يستعين به فأمده لنفقاته مائة الف من مال المسلمين استرهن فيها الطاغية تاجه فبقي بيد المسلمين فخر اللاعقاب ودخل السلطان معه دار الحرب حتى نازل قرطبة وبها شانجة ابن الطاغية الخارج على ابيه السالب لملكه فقاتلها اياما ثم تنقل في جهاتها ونواحيها وارتحل الى طليطلة فعاث في جهاتها وخرب عمرانها حتى انتهى الى حصن مجريط من اقصى الثغر فامتلأت ايدي المسلمين من الغنائم وضاق معسكره منها ورجع السلطان الى الجزيرة فاحتل بها شعبان من السنة ولما اتصلت يد السلطان بيد الطاغية خشي ابن الاحمر غائلته فجنح الى موالاة شانجة الخارج على ابيه ووصل يده بيده واكد له العقد واضرمت له الاندلس نارا وفتنة ولم يغن ذلك شانجة شيأ فلم يزل السلطان مع الطاغية حتى ظهر على ابنه وذلك ان السلطان كان اشترط على ابن الاحمر ارجاع مالقة فلم يفعل فنهض السلطان الى مالقة ونازلها فاتح ثنتين وثمانين فتغلب على الحصون القريبة ثم حاصر مالقة فضاق النطاق على ابن الاحمر فالجأ الى

السلطاني بين أيديهم والمنادى ينادي بالبلد للشريف عبدالله بن هاشم فلما وصلوا الحناطة جاءهم الخبر ان بعض جماعة مولانا الشريف سعد حطوا في المنادي وحصل عليهم الرمي وتحصن مولانا الشريف سعد في داره وحصر عن الوصول واستمروا الى صلاة الظهر ونزل مولانا الشريف عبدالله بن هاشم بدار الشفاء وبقيت العساكر وانضمت اليهم العرب والانكشارية ووقف العسكر الى قايتباي وملكت جماعة مولانا الشريف جبل أبي قبيس فانحازوا الى المسعى ونهب جماعة الشريف سعيد بعض دور الاتراك وقتل جماعة في المسعى ونهب رباط الهندية بسوق الليل وبعض دور مكة ولما طال الامر على محمد باشا نزل بنفسه وأخذ مدفعا وجاء به الى باب السدرة المسمى بباب العتيق وأراد رميه على بيت الشريف سعد فأصيب طبجيه برصاصة مات بها فنقل المدفع عن ذلك المحل ورجع به الى المسعى وقتل من جماعته خلق كثير بالمسعى واستمر الحال الى الليل فلما رأى مولانا الشريف سعد ان الامر يطول رحل ليلا هو وابنه الشريف سعيد الى الجهة الحسينية ثم الى اليمن وأصبحت الناس وقد رحل مولانا الشريف سعد فجمع محمد باشا القاضي المتولي والمعزول والمفتي وبعض العلماء بالحطيم

الامير يوسف ابن السلطان وخاطبه مستصرخا لرقع هذا الخرق وجمع كلمة الاسلام فأجابه وأجاز لشهر صفر فوافى السلطان أمير المسلمين بعسكره على مالقة ورغب منه السلم لابن الاحمر والتجافي عن مالقة فاسعف رغبة ابنه لما يؤمل في ذلك من رضاء الله في جهاد عدوه واعلاء كلمته وانعقد السلم وانبسط أمل ابن الاحمر وتجددت عزائم المسلمين وقفل السلطان الى الجزيرة وبث السرايا في دار الحرب فأوغلوا وأثخنوا ثم استأنف الغزو بنفسه الى طليطلة فخرج من الجزيرة غازيا غرة ربيع الثاني من سنة ثنتين وثمانين وستمائة حتى انتهى الى قرطبة فأثخن وغنم وخرب العمران وافتتح حصونا ثم رجع الى الجزيرة في شهر رجب وقسم الغنائم ثم رجع الى المغرب وفي فاتح سنة ثلاث وثمانين بلغه مهلك الطاغية ابن اذفونش واجتماع النصرانية على ابنه شانجة الخارج على أبيه فتحركت الى الجهاد عزائم السلطان

﴿ غزوة اخرى ﴾

في سنة ثلاث وثمانين عزم السلطان على جهاد العدو بالاندلس فجمع الجيوش ونهض من مراكش في شهر جمادى الآخرة واحتل برباط الفتح منتصف شعبان فقضى صومه ثم شرع في ارسال الجنود الى الجزيرة الخضراء الى خاتمة سنته ثم أجاز البحر بنفسه غرة صفر من سنة أربع وثمانين ولما انتهى الى الجزيرة سرح في بلاد العدو وبث السرايا والغارات في جميع النواحي فأثخنوا القتل والتخريب والسبي للنساء والذرية وركب غازيا بنفسه كثيرا من تلك الجهات وجرى في هذه الغزوات ما يطول الكلام بذكره وتعداد الجهات والحصون التي أخربوها وسلبوا ما فيها وبقي النصارى متحصنين في حصونهم المنيعة لا يقدرون على المبارزة للقتال ولا على الخروج من حصونهم فاستيقن الطاغية شانجة وأهل ملته أن بلادهم قد فنيت وأرضهم قد خربت وتبينوا العجز عن المدافعة والحماية فجنحوا الى السلم وضرعوا الى أمير المسلمين في كف عاديته عنهم واجتمع النصارى الى طاغيتهم شانجة خاشعة ابصارهم وسألوه ان يبعث الى أمير المسلمين الملأ من كبار النصارى يسألونه الصلح فأجابهم شانجة الى ما دعوه اليه فأوفد الى أمير المسلمين وفدا من بطارقتهم وكبار دولتهم فردهم أمير المسلمين اعتزازا عليهم فأعادهم الطاغية بترديد الرغبة على ان يشترط أمير المسلمين ما شاء من عز دينه وقومه فأسعفهم أمير المسلمين لما تيقن ذلهم لعز الاسلام ولانه أراد الرجوع الى المغرب لاصلاح ما فسد من الرعايا بقيام بعض الثوار الخارجين عن طاعته فعقد الصلح مع طاغية النصارى واشترط عليهم ما أراد من ذلك أنهم يقفون عند مرضاته في ولاية جيرانه من الملوك أو عداوتهم ورفع الضريبة عن تجار المسلمين المقيمين بدار الحرب من ممالكهم وترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم في فتنة

﴿ ذكر وفادة الطاغية على السلطان ﴾

لما رجعت رسل الطاغية اليه بعد عقد الصلح وفد على الطاغية رسل ابن الاحمر ليعقد السلم معه دون أمير المسلمين وان تكون يده ويدهم واحدة على السلطان فأخبرهم بما عقده مع أمير المسلمين ثم قال هذا أمير المسلمين ولست أطيق مقاومته ولا دفاعه عنكم فانصرفوا ثم اشار عليه بعض رجال دولته بالوفادة على أمير المسلمين لتتمكن الالفة فقبل اشارتهم واتقى قبل ذلك بولي عهد أمير

الشريف سعدا عن شرافة مكة لامور بلغته وأنه أنعم بها على مولانا الشريف عبدالله بن هاشم ابن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي وألبسه القفطان وركب من باب السلام وطاف شوارع مكة والمنادي ينادي بالبلد له ونهبت العسكر منزل مولانا الشريف سعد ونحو عشر بيوت من بيوت ذوي زيد ثم ان مولانا الشريف عبدالله بن هاشم لما بلغه ذلك ركب بنفسه وجاء لمحمد باشا وقال له ان هذا النهب لا نرضاه واسترد بعض أشياء لا تذكر وسلم ذلك لبعض خدم مولانا الشريف سعد وعدم من قتل ذلك اليوم وكان زهاء مائة رجل ثم ان الباشا ظفر برجل من عسكر الشريف وشهد عليه بأنه قتل بعض الرعايا فأمر بشنقه فشنق بالجميزة في باب المعلى تحت سبيل السلطان وطلع الامير المصري بالمحمل يوم الثامن وطلع الباشا اسمعيل بالمحمل الشامي يوم التاسع ولم يحج أحد من أهل مكة الا القليل وأخذ بعض الحجاج في طريق منى ونهبت عتيبة بعرفة من الحاج قبل وصول الامراء وقتلوا بعرفة نحو أربعة من أهل اليمن ثم بعد الحج خرج جماعة الى جدة أخذوا فاحتاج الامراء

المسلمين وهو ابنه يوسف وكان نازلا على فراسخ من شريش فلقيه وبات فى معسكر المسلمين ثم ارتحل من الغد للقاء امير المسلمين فأمر المسلمين بالاحتفال للقاء الطاغية وقومه واظهار شعار الاسلام وابهته فاحتفلوا واظهروا عز الملة وشدة الشوكة ووفور الحامية فلقيه امير المسلمين بأحسن مبرة وأتم كرامة يليق بها مثله من عظماء الملل وقدم هدية سنية لامير المسلمين وابنه فقبلاها منه وقابلاه بكفائها ومضاعفتها وكمل عقد الصلح وتقبل الطاغية سائر الشروط ورضى بعز الاسلام وانقلب الى قومه وسأله السلطان ان يبعث له من كتب المسلمين التى استولى عليها النصارى فلما رجع بعث اليه منه ثلاثة عشر حملا وقفل امير المسلمين الى الجزيرة فى آخر شعبان وصام بها رمضان ثم أعمل نظره فى الثغور وترتيب المسالح ثم اعتل وهو بالجزيرة واستمر به المرض الى ان توفى لآخر المحرم من سنة خمس وثمانين وستمائة فكانت مدة ملكه تسعا وعشرين سنة وكان ابنه ولى عهده فى أقصى المغرب بعثه ابوه لتفقد الاحوال وهو ابو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق فأخذ البيعة له وزراء ابيه وعظماء قومه وحضر بنفسه فى شهر صفر فأخذوا البيعة على الخاصة والعامة وكان اول شئ احدث من امره ان بعث الى ابن الاحمر وضرب موعد اللقاء فبدر اليه ولقيه بظاهر مربالة لاول ربيع فلقيه هو بمبرة وتكريم وتجاوز له عن جميع الثغور الاندلسية التى كانت لمملكة والده السلطان يعقوب ماعدا الجزيرة وطريف وتفرقا على أكمل حالات المصافات والوصلة ورجع السلطان يوسف الى الجزيرة فوافاه بها الطاغية شانجة فجددوا عقد السلم الذى عقد له امير المسلمين يعقوب رحمه الله فأجابه

غزوة اخرى

فى سنة سبع وثمانين نما الخبر للسلطان يوسف بن يعقوب بأن الطاغية انتقض العهد وتجاوز التخوم وأغار على الثغور فأرسل السلطان الى قائد المسالح بالاندلس ان يدخل الى دار الحرب وينازل شريش ويشن الغارات على بلاد الطاغية فنهض لذلك وجاس خلالها وتوغل فى اقطارها وأبلغ فى النكاية وفصل السلطان فى ربيع الآخر سنة تسعين من تازى غازيا واستنفر اهل المغرب وقبائله فنفروا وشرع فى اجازتهم البحر وبعث الطاغية اساطيله فالتقوا مع اساطيل السلطان فى شعبان فاقتتلوا وانكشف المسلمون ووقعت عليهم هزيمة قدرها الله عليهم واستشهد كثير منهم محصهم الله تعالى ثم أغزاه ثانيا فجبنت اساطيل الطاغية عن اللقاء ثم ملكتها اساطيل السلطان

غزوة أخرى

ثم أجاز السلطان بنفسه فى أواخر رمضان سنة احدى وتسعين واحتل بطريف ثم دخل دار الحرب غازيا فنازل حصنا منيعا ثلاثة اشهر وضيق عليهم وبث السرايا فى ارض العدو وردد الغارات على شريش واشبيلية ونواحيها الى ان بلغ الغاية فى النكاية للعدو والاثخان وقضى من الجهاد وطرا وزاحمه فصل الشتاء وانقطاع الميرة عن العسكر فأفرج عن الحصن ورجع الى الجزيرة ثم أجاز الى المغرب فاتح سنة ثنتين وتسعين

غزوة اخرى

فى سنة اثنتين وتسعين تظاهر ابن الاحمر والطاغية واتفقا على منع السلطان ان أراد المجئ

واضطربت الناس ولم يزل الامر فى شدة وصار الناس ينزلون الى جدة بيرق عسكر من عسكر الباشا ومعهم شريف وأخذت قافلة فانتدب الشريف أحمد بن غالب وهو ببلاده الركانى فأرجع البعض الى أهله

(ذكر قبض محمد باشا على الوزير حيدان وكيف كان خلاصه)

وفى هذا الشهر بعد النزول قبض محمد باشا على الوزير عثمان حيدان وزير الشريف سعد وسبب ذلك انه كان بينه وبين الوزير مشاحنات فى أيام ولايته على بندر جدة فأسرها فى نفسه ولم يبدله شيأ من ذلك وكان يتعاطى خدمته وخدمة اسمعيل باشا ويتردد عليهما لقضاء حوائجهما وعند قرب سفرهما توافقا على قتله فأرسلا اليه وطلباه واعتقلاه فى خيمة من خيام العسكر ووكلا به شخصا من كبار العسكر وأمره أن يأتى به اليهما بعد مضى ساعات من الليل ليقتلاه فلما جزم بالهلاك واشتد به الحال وأيس من الحياة استند الى صندوق فى الخيمة وهو يفكر فى حاله فمضى جانب من الليل وهو على الحالة فبينما هو كذلك واذا الرجل الموكل به منكب على وجهه يصيح مدد مدد فحركه بيده وناداه باسمه مرارا فلم يجبه

بعد المرة السابقة وسبب ذلك انه لما أجاز السلطان الى الاندلس سنة احدى وتسعين وأبلغ
من نكاية العدو أهم الطاغية أمره وثقلت عليه وطأته وحذر ابن الاحمر ايضا غائلة
السلطان ورأى ان غبة حاله الاستيلاء على الاندلس وان يغلبه على امره ويستلبه ملكه
ففاوض الطاغية وتحدثوا ان استمكانه من الاجازة اليهم انما هو لقرب مسافة بحر الزقاق
وانتظام ثغور المسلمين حواليه فان ذلك يسهل عبور شوانيهم وسفنهم وان ام تلك الثغور
طريف وانهم اذا استمكنوا منها وملكوها من المسلمين تكون اساطيلهم بمرفاها بمرصد أساطيل
المسلمين فتمنع عبورها فاعتزم الطاغية على منازلة طريف ليتملكها وزعم له ابن الاحمر
مظاهرته على ذلك ووعده بالمدد وارسال الميرة لاقوات العسكر أيام منازلتها ووعده
الطاغية انها تكون لابن الاحمر ان خلصت من ايديهم فأناخ الطاغية بعساكر النصرانية
على طريف والح عليها بالقتال ونصب الآلات واحتلت اساطيله ببحر الزقاق فحالوا بين
صريخ المسلمين ووصوله الى السلطان وجمع ابن الاحمر عساكره على طريف وهيأها قريبا منه
وسرب اليه المدد من السلاح والرجال والميرة من الاقوات واتصلت هذه الحال أربعة اشهر حتى
أصاب أهل طريف الجهد ونال منهم الحصار غاية المشقة فراسلوا الطاغية في الصلح والنزول عن
البلد فصالحهم واستنزلهم ووفى لهم بعده واستشرف ابن الاحمر ان الطاغية يسلمه طريف حسبما
كان الوعد بينهما فأعرض الطاغية عن ذلك واستأثر بها بعد ان كان ابن الاحمر نزل للطاغية عن
ستة من الحصون عوضا عنها ففسد ذات بينهما ورجع ابن الاحمر يطلب التمسك بالسلطان ليستعين
به على الطاغية فأوفد ابن عمه أبا سعيد ووزيره ابا سلطان الداني في وفد من رجال دولته على
السلطان لتجديد العهد وتقرير المعذرة فوافوا السلطان فقبلهم وقبل ما اعتذروا به وأحكموا
الصلح ورجعوا لابن الاحمر باسعاف غرضه من المواخاة وقد ذكرنا فيما تقدم انه كان جيش لبني
مرين مقيما بالاندلس دائما للغزو فقدر الله ان في خلال ذلك توفي قائد الجيش الذي بالاندلس
لبني مرين فعقد السلطان لابنه ولي عهده ابي عامر على ثغور الاندلس التي في طاعته مع النظر
في امر الجيش الذي بالاندلس وانفذه الى قصر المجاز بعساكر فوافاه ابن الاحمر هنالك وقدم له
هدية وللسلطان هدية ايضا فتلقاه الامير أبو عامر واحتفل في مبرته ثم قدم ابن الاحمر على السلطان
فوافاه بطنجة فبالغ في تكرمته وبسط له ابن الاحمر العذر في شأن طريف فقبل عذره ونزل له
ابن الاحمر عن الجزيرة ورندة والغربية وعشرين حصنا من ثغور الاندلس كانت قبل ذلك
لسلطان المغرب وعاد ابن الاحمر الى الاندلس خاتمة سنة ثنتين وتسعين محبوا مجبورا وأجازت
عساكر السلطان معه لحصار طريف وعقد السلطان على حربها لوزيره عمر الحرباش فنازلها
مدة فامتنع عليه أخذها فأفرج عنها وهلك الطاغية شانجة سنة ثلاث وتسعين وستمائة واجتمع
النصارى على ابنه اذفونش هراندة وحصل قيام ثائرين من المسلمين بتلمسان خرجوا عن طاعة
السلطان فاعتزم السلطان على التجهيز والمسير اليهم بنفسه وانتشر بذلك فتنة يطول الكلام
بذكرها فسار السلطان بجيوشه اليهم وطالت تلك الفتنة الى سنة احدى وسبعمائة ومات
ابن الاحمر في هذه السنة بالاندلس وقام بالامر بعده ابنه محمد المعروف بالمخلوع بن محمد الفقيه بن محمد
الشيخ بن يوسف بن نصر وبعث ولده للسلطان بتلمسان فأحكموا الامر والعهد بينهما وكتب

فعظم روعه ثم عمد الى ابريق وأخذه بيده ليبول ثم يعود فلما خرج من الحجبة خيل له أنهم الآن يتنبهون
له ويعيدونه بغلظة واهانة
فعزم على العود فأحس
عند ذلك بدافع يدفعه الى
قدام مع زوال ما كان به
من الارتياع ورقد جميع
الحراس المحيطين بالحجبة
فتقدم ومشى ولحقه غلام
له كان معه الى أن اتصل
بجدار المعلاة ثم قفز من
الجدار الى داخل المقبرة
واختفى ببعض المحال
المقاربة لعتبة السيدة خديجة
رضي الله عنها فانتبهت
الحراس وأوقدوا المشاعل
وفزعت الخيل والعساكر
خلفه وهو يشاهدها فلما
غابت عنه وزال وهمه قام
ومشى في المقابر وخرج
من تربة الشيخ محمد بن
سليمان ثم أخذ طريق الشلق
حتى وصل الى المسجد ثم
قصد بيت مولانا الشريف
عبد الله بن هاشم شريف
مكة حالا فأخفاه فأصبح
الاميران يفتشان عليه فلم
يجداه وانحلت القضية
بدفع مال عظيم وأنجاه بسببه
وما زال الشريف أحمد بن
غالب بالركاني معتزلا عن
شريف مكة ومولانا
الشريف عبد الله بن هاشم
كان يحب أن يواليه ليكون
معينا له وليأمن من شره
فلم يزل يتلطف به الى ان
وافقه على المعاملة فلزم مولانا الشريف وطلب من الباشا أن يكتب له حجة بأن دخوله برضا

السلطان الى رجاله المقيمين بثغور الاندلس في اعانتهم وامدهم بالرجال سنة ثنتين وسبعمائة فكانت لهم نكاية في العدو ثم بدا لابن الاحمر محمد المعروف بالمخلوع ان يصل يده بالطاغية هراندة بن شانجة فكاتبه وأحكم عقد السلم بينه وبينه واتصل الخبر بالسلطان وهو محاصر لتلمسان فسخطه واستنفره الصريخ فبعث ابنه أبا سالم لسد تلك الفرجة وجمع اليه العساكر واستعد ابن الاحمر لمدافعة ابن السلطان فداخل اهل سبتة في خلع السلطان والقبض على عامله فتم له ذلك فسار ابو سالم ابن السلطان بعساكره الى سبتة وحاصرها مرة ثم بيتوه ليلة فاختل معسكره فأفرج عنها منهزما فسخطه السلطان واعتزم على النهوض لذلك بنفسه الا أنه قد أشرف على فتح تلمسان فلم يمكنه النهوض بنفسه وكانت هذه الفتنة متصلا بعضها ببعض وانجر الامر فيها الى سنة ست وسبعمائة فقدر الله بهلاك السلطان يوسف وهو محاصر تلمسان طعنه خصي من عبيده وهو على غفلة بمواطاة وزير من وزراء السلطان ثم صار الاختلاف الكثير بين أولاده واختلف بنو مرين فيمن يختارونه للملك منهم وبايعوا بعضهم ثم خلعوه وبايعوا آخر ثم خلعوه وبايعوا آخر من اخوته والكلام على ذلك طويل لا حاجة بنا الى ذكره ووقعت بينهم مع بعضهم فتنة هائلة واستمر الامر بينهم الى سنة عشر وسبعمائة فاستقر الملك لاخي السلطان يوسف المطعون واخوه الذي استقر الامر له هو أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق وفي خلال هذه الفتن قتل بالاندلس أبو الجيوش نصر بن محمد الفقيه أخاه محمدا المخلوع بن محمد الفقيه بن الاحمر وذلك سنة ثمان فثار عليه ابن عمه ابو الوليد اسماعيل بن فرج الملقب بالرئيس ابن سعيد بن اسماعيل بن يوسف بن نصر وانقطع الملك عن اولاد محمد الشيخ بن يوسف بن نصر وصار في أولاد ابن سعيد فرج الرئيس ابن اسماعيل بن يوسف بن نصر لانه لما ثار ابو الوليد على ابي الجيوش صالحه ابو الجيوش سنة سبع عشرة وسبعمائة على الخروج الى وادي آش فلحق بها وجدد له بها ملكا الى ان مات سنة ثنتين وعشرين وسبعمائة ودخل ابو الوليد غرناطة فأصل لنفسه وبنيه ملكا وفي هذه المدة التي كانت فيها هذه الفتن اغتنم الطاغية الفرصة ونازل الجزيرة الخضراء ثم أقلع عنها على صلح بعد ان أذاقها من الحصار شدة وبعده نازل جبل الفتح المسمى جبل طارق وتقدم ان طارقا هو اول من فتح الاندلس وتسميه العامة الآن جبل الطار فتغلب عليه الطاغية وتملكه وذلك سنة تسع وسبعمائة وتراسل هراندة ابن اذفونش مع صاحب برشلونة وأمره ان يشغل اهل الاندلس من ورائهم فنازل المرية وحاصرها ونصب عليها الآلات وحفر العدو تحت الارض سربا بقدار مايسير فيه عشرون راكبا وتفطن المسلمون لذلك فاحتفروا قبالتهم مثله الى ان نفذ بعضهم الى بعض فاقتتلوا من تحت الارض وبعث ابن الاحمر عسكر امدادا لاهل المرية ونبذ عهد الطاغية فلقيهم جمع للنصارى كان الطاغية بعثهم لحصار مرشانة فهزمهم عسكر ابن الاحمر واستلحمهم ونزل قريبا من معسكر الطاغية وأقامت عسكر الطاغية على سماتة واسطبونة وزحفت عسكر بني مرين المقيمون بالاندلس للجهاد على عسكر اسطبونة وقتلوا قائده الفنش وثلاثة آلاف من قومه ودخل بعض عسكر المسلمين برجين فحاصرهم جموع النصارى فجاء مدد للمسلمين فانفض النصارى المحاصرون له وكان الطاغية بظاهر الجزيرة فارتحل يريد لقاء مدد للمسلمين فخالف اهل البلد الى معسكره وانتهبوا محلاته وفساطيطه وصار للمسلمين الكرة وامتلأت ايديهم من غنائمهم وأسراهم ثم هلك

(دخول الشريف أحمد ابن غالب مكة)

فدخل مكة مولانا الشريف أحمد بن غالب سابع صفر واجتمع بمولانا الشريف عبد الله بن هاشم ثم اجتمعا معا بالباشا وأرسل الباشا له هدية وفي أواسط ربيع الاول جاء خبر بقوة مولانا الشريف سعد في بندر القنفذة وأنه أخذ عشورها وانعقد مجلس بمكة عند مولانا الشريف حضره الباشا والقاضي والمفتي واتفقوا على ارسال عسكر للقنفذة وطلبوا دراهم من التجار فامتنعوا ثم حبسوا فأخذوا من بعضهم ثم أطلقوا ثم وردت كتب من الشريف سعد لمولانا الشريف والباشا والشريف أحمد ابن غالب مضمونها ان ما وقع من السلطنة انما كان لما وصلهم من الاعداء اني قتلت شيخ الحرم المدني وبعض الاروام بمكة ونهبت الجرة وكل ذلك لم يكن وأنا داخل البلد أطلب شرع الله وحجة من القاضي أتوجه بها الى أبواب السلطنة فاياكم والمنع فاني مقاتل على الدخول من قاتلني فاستدعى الشريف أحمد أغوات العسكر وأخبرهم ان

وجاء الخبر بأن الشريف سعدا وصل الليث مقبلا فرق العساكر على جبال مكة وعمر المدارس وفرق

المدافع فى الطرق وفى غرة
ربيع الثانى نادى منادى
مولانا الشريف عبدالله بن
هاشم فى البلد بالنفير العام
فاغتم الناس لذلك وفى
ثالث ربيع الثانى وصل
مولانا السيد أحمد بن حازم
ابن عبدالله والسيد عنان بن
جازان من عند الشريف
سعد وأخبرا بأن الشريف
سعدا فى أقوام عظيمة لاتكاد
توصف فاجتمع مولانا
الشريف عبدالله بن هاشم
ومولانا الشريف أحمد بن
غالب عند الباشا من الضحى
الى الظهر واستدعوا كبار
العسكر المصرى من السبع
بلكات ثم خرجا من عند
الباشا ثم ان الباشا كتب
صورة فتوى كتب عليها
المفتى عبدالله عتاقى وأمر
العلماء بالكتابة عليها
ومضمون ذلك جواز
قتال الداخل على صاحب
مكة وأن القائم بأمرها
مخاطب بذلك وجميع من
بها من أرباب الدولة وذوى
القدرة على الدفاع فكتبوا
عليه وفى ليلة رابع ربيع
الثانى تفرقت عساكر مصر
عند كل رئيس منهم جماعة
وباتوا ساهرين الى الصبح
مخافة ان يدهموا ليلا
ولم يزالوا كذلك الى ليلة
السابع من ربيع الثانى ففى صبح ذلك اليوم جاء الخبر بوصول مولانا الشريف سعد من أعلى مكة فكان

الطاغية أثناء هذه الهزائم سنة ثنتى عشرة وسبعمائة وهو هراندة بن شانجة وولى بعده ابنه الهنشة وكان طفلا صغيرا جعلوه تحت نظر عمه دون بطرة ابن شانجة مع زعيم النصارى اسمه جوان فكفلاه واستقام أمرهم على ذلك وشغل السلطان ابو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ملك المغرب بشأن ابنه على فانه خرج على ابيه وكان بينهما مايطول ذكره فاغتنم النصارى الفرصة وقوى امرهم بالاندلس فزحفوا على غرناطة كرسى سلطنة ابن الاحمر سنة ثمان عشرة وسبعمائة وأناخوا عليها بعسكرهم وأممهم فبعث اهل الاندلس صريخهم الى السلطان ابى سعيد وهو فى شغله فيما كان بينه وبين ابنه وكان بالاندلس كما تقدم جيش لبنى مرين جعلوه مقيما دائما بالاندلس لقصد الجهاد ودفع العدو وكان الرئيس على أولئك المجاهدين عثمان ابن ابى العلا ادريس ابن عبدالله بن عبد الحق المرينى فلما جاء صريخ اهل الاندلس للسلطان ابى سعيد اعتذر اليهم السلطان بسبب ماهو مشغول به من امر ابنه واعتذر اليهم ايضا بوجود عثمان بن ابى العلا رئيس الجيوش بالاندلس وكان له قوة ورياسة وكان السلطان يخشى منه التغلب على السلطنة فتفترق كلمة بنى مرين فشرط عليهم ان يقبضوا على عثمان ابن ابى العلا ويدفعوه اليه برمته فيبقى عنده ويبعث اليهم من يقوم بتدبير جيوش بنى مرين بالاندلس مع مايمكنه من ارسال العساكر ثم اذا تم الجهاد يعيد ابن ابى العلا اليهم احتياطا على المسلمين لئلا تفترق الكلمة فلم يمكنهم ذلك لقوة رياسة عثمان بن ابى العلا بعصابته من قومه فأخفق سعى هؤلاء المستصرخين بالسلطان ولم تحصل لهم نجدة منه وأطالت امم النصرانية الحصار على غرناطة واكثروا الجيوش وطمعوا فى تملكها ثم ان الله تعالى نفس مخنقهم ودافع بيد قدرته كما سنراه مذكورا حالا فى هذه الغزوة العظمى

غزوة عظمى

لما اراد الله حصول النصر والفرج للمسلمين الذين حاصرهم العدو بغرناطة سنة ثمان عشرة وسبعمائة وفق الله شيخ الغزاة من بنى مرين المقيمين بالاندلس للجهاد وهو عثمان بن ابى العلا المتقدم ذكره حتى كان النصر بسببه واعانته فكانت هذه من الغرائب والعجائب بل هى من أعظم معجزات النبى صلى الله عليه وسلم فى نصرة الله لامته والقصة طويلة وملخصها ان النصارى عزموا فى ذلك العام على استئصال المسلمين واخراجهم من الاندلس بحيث لايبقى شئ من الاندلس تحت يد المسلمين فتجهزوا لغزو غرناطة التى فيها ابو الوليد اسماعيل بن الاحمر وأتاها الطاغية دون بطرة فى جيش لايحصى ومعه خمسة وعشرون ملكا من ملوك الفرنج وكان النصارى وملوكهم قبل ذلك رحلوا الى من يرجعون اليه فى دينهم وهو البابا صاحب رومة فدخل ملكهم دون بطرة صاحب طليطلة على البابا وسجد له وتضرع وطلب منه استئصال من بقى من المسلمين بالاندلس وأكد عزمه فقلق المسلمون بغرناطة وغيرها وعزموا على الاستنجاد بالسلطان ابى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى صاحب فاس ومراكش وأنفذوا اليه رسلا فاعتذر اليهم كما تقدم بيانه فرجعوا الى اعظم الادوية وهو الالتجاء الى الله تعالى وأخلصوا النيات مع حصول غاية الاضطرار وأقبل الافرنج فى جموع لاتحصى فقضى ناصر من لاناصر له سواه بهزيمة جيش النصرانية وقتل طاغيتهم دون بطرة ومن معه وكان نصرا عزيزا ويوما مشهورا مشهودا وكان سلطان الاندلس اذ ذاك الغالب بالله

ابو الوليد اسماعيل ابن الرئيس ابى سعيد فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر وشيخ الغزاة المقيم بالاندلس من بنى مرين الشيخ العالم ابو سعيد عثمان بن ابى العلا ادريس بن عبد الله بن عبد الحق المرينى فاجتهد ابن الاحمر فى تحصين البلاد والثغور فلما بلغ النصارى ذلك التحصين عزموا على منازلة الجزيرة الخضراء فانتدب ابن الاحمر لردهم وجهز الاساطيل والرجال فلما رأوا ذلك عزموا على استئصال المسلمين وتوجهوا الى طليطلة ليكملوا التأهب بذلك فأعدوا غاية الاهبة ووصلت الاثقال والمجانيق وآلات الحصار والاقوات والمراكب ووصل العدو الى غرناطة كرسى ملك ابن الاحمر وامتلأت الارض بهم فتقدم ابن الاحمر الى شيخ الغزاة ابى سعيد عثمان ابن ابى العلا وسأله الخروج للجهاد وانجاد المسلمين بمن معه من الغزاة والشجعان فخرج اليهم يوم الخميس الموفى عشرين من ربيع الاول سنة تسع عشرة وسبعمائة ولما كانت ليلة الاحد أغارت سرية من العدو على سرية من المسلمين فخرج اليهم جماعة من فرسان الاندلس الرماة فقطعوهم عن الجيش وفرت تلك السرية أمامهم الى جهة سلطانهم فتبعهم المسلمون الى الصبح فاستأصلوهم فكان هذا اول النصر ولما كان يوم الاحد ركب شيخ الغزاة لقتال العدو فى خمسة آلاف من أبطال المسلمين المشهورين فلما شاهدهم الفرنج عجبوا من اقدامهم مع قلتهم فى تلك الجيوش العظيمة فركب النصارى بحملتهم وحملوا عليهم فقاتلهم المسلمون أشد القتال وهزم الله الفرنج أقبح هزيمة وأخذتهم السيوف وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام وقتل الله دون بطرة ملك النصارى وقتل الملوك الخمسة والعشرين الذين كانوا معه جميعهم وخرج اهل غرناطة لجمع الاموال واخذ الاسرى فاستولوا على أموال عظيمة منها من الذهب ثلاثة وأربعون قنطارا ومن الفضة مائة وأربعون قنطارا ومن السبى سبعة آلاف وكان من جملة السبى امرأة الطاغية واولاده فبذلت فى نفسها مدينة طريف وجبل الفتح وثمانية عشر حصنا فلم يقبل المسلمون ذلك وزادت عدة القتلى من النصارى فى هذه الغزوة على خمسين الفا ويقال انه هلك منهم بالوادى مثل هذا العدد لعدم معرفتهم بالطرق واما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون واستمر البيع فى الاسرى والاسلاب والدواب ستة اشهر ووردت البشائر بهذا النصر الى سائر البلاد ومن العجب انه لم يقتل من المسلمين والاجناد سوى ثلاثة عشر فارسا وقيل عشرة انفس وكان عسكر المسلمين خمسة آلاف وخمسمائة منهم الف وخمسمائة فارس واربعة آلاف رجالة وكانت الغنيمة تفوق الوصف وسلخ الطاغية دون بطرة وحشى جلده قطنا وعلق على باب غرناطة وبقى معلقا سنوات وطلب النصارى الهدنة فعقدت لهم وكانت هذه الغزوة سنة تسع عشرة وسبعمائة وكانت وفاة شيخ الغزاة عثمان بن ابى العلا سنة ثلاثين وسبعمائة وعمره ثمان وثمانون سنة واستوفى فى المشهور سبعمائة واثنين وثلاثين غزوة رحمه الله تعالى ورضى عنه وكتبوا على قبره ترجمة طويلة تدل على علو شانه فى العلم والعمل والاخلاص فى الجهاد وكانت وفاة ابن الاحمر سنة سبع وعشرين وسبعمائة وولى بعده ابنه ابو الحجاج يوسف وتوفى السلطان عثمان المرينى سنة احدى وثلاثين وسبعمائة وولى بعده ابنه ابو الحسن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى

أول من قام فى هذا الامر والقتال الشريف أحمد بن غالب فركب فى خيله وسلاحه وجماعته ومن يلوذ به وأظهر الهمة وكذا من معه من الاشراف الى مولانا الشريف عبد الله بن هاشم وطلع بهم المعلى هو ومولانا الشريف عبد الله ثم أن مولانا الشريف سعدا لما وصل الى المعابدة عند بستان الوزير عثمان حميدان رجع مولانا الشريف ومن معه الى مكة وانطلقت العربان على جبال مكة والمتارس فذبحوا من بها وفر من فر واستولوا على المعلى ثم انطلقوا الى ما حول البلد من المتارس وشرع القتل فى المعلى فى جماعة الشريف أحمد بن غالب والشريف عبد الله بن هاشم الى أن قتل أغلبهم وأسعف الله بمطر ابرد ما كان هنالك بالمتارس من النار وفرق بين الفريقين ونزل الشريف عبد الله والشريف أحمد ابن غالب من المدعى الى باب السلام ودخل الليل فلما أصبحوا ارجع الامر الى ما كان من الحرب والقتل والسيف يعمل والعسكر تقتل وكان ذلك يوم الجمعة فاجاء وقت الصلاة الا وقد ملكت العرب جبل أبى قبيس وعطف جماعة منهم على جياد فلما ظهر للسادة الاشراف ما ظهر من تلك الامور والاهوال العظيمة خرج الشريف عبد الله بن هاشم والشريف أحمد بن غالب ومن معهم من الاشراف متوجهين

الرومية الى أن توفيا بها (وفاة الشريف أحمد بن غالب سنة ١١١٣ وكذلك الشريف عبد الله بن هاشم فى السنة المذكورة) فتوفى الشريف أحمد بن غالب سنة ثلاث عشرة ومائة وألف وتوفى الشريف عبد الله بن هاشم فى السنة المذكورة أيضا ومدة دولة الشريف عبد الله بن هاشم أربعة أشهر من غير زيادة ولا نقصان وبعد ارتحال الشريف عبد الله بن هاشم والشريف أحمد بن غالب الى الركانى اجتمع ناس من العلماء عند القاضى وقالوا له ان كان لهذا الباشا قدرة على دفع هذا الرجل فليخرج لدفاعه فان جلوسه فى بيته وقد استمر القتال بعسكره مضر به وبالناس وان لم يكن لكم قدرة على دفعه فالواجب عليكم درء هذه الفتنة بالنداء للشريف سعد فاقتضى رأى الجماعة حضور شريف من كبار الاشراف فطلب القاضى حضور السيد أحمد بن سعيد فامتنع فبينما هم فى المجلس جاء رسول من الباشا يقول ان الباشا يقول لا غرض لى فى أحد فاذا جاءكم ناس يريدون عدم القتال وذكروا من يوالون من الاشراف فأنا تبع لهم فقالوا له أين الاشراف الذين يريدون ان

٭ ذكر استخلاص جبل الفتح من النصارى ٭

قد تقدم ان الطاغية تملك جبل الفتح سنة تسع وسبعمائة وكان هذا الجبل للمسلمين من احسن الثغور وكان شجا فى حلق العدو وهو فاصل بين افريقية والاندلس فأهم المسلمين شأنه وكان ابن الاحمر قدم على السلطان فى سنة اثنتين وثلاثين فأكبر مقدمه وأركب المسلمين للقائه وبالغ فى اكرامه فتذاكر معه فى شأن استخلاص الجبل المذكور فاتفقا على التجهيز لاستخلاصه فأمر السلطان ابو الحسن بالتجهيز لاستخلاصه وعقد لابنه الامير ابى مالك على جيش من بنى مرين وأنفذه مع ابن الاحمر لمنازلة الجبل فاحتل بالجزيرة وتتابع اليه الاسطول بالمدد وأرسل ابن الاحمر حاشرين فى الاندلس يجمعون الناس ويستنفرونهم لذلك فتسايلوا اليه واجتمع معسكرهم جميعا بساحة جبل الفتح وأبلوا فى حربه ومنازلته بلاء حسنا الى ان تغلبوا عليه وملكوه سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة واقتحمه المسلمون عنوة وقتلوا من كان به من النصرانية وغنموا ما كان معهم ووافاهم الطاغية ومعه امم كثيرة مددا لقومه بعد مضى ثلاثة أيام من الفتح وقد شحنه المسلمون بالاقوات ونقلوها من الجزيرة على خيولهم ولما وصل الطاغية اناخ بجيوشه عليه وبرز أبو مالك بعساكره فنزل بحذائه ونزل ايضا عسكر الاندلس بحذاء الطاغية وتحصن العدو فى محلتهم فبادر ابن الاحمر الى لقاء الطاغية وسبق الناس الى فسطاطه وتلقاه الطاغية راجلا حاسرا اعظاما له فسأله ابن الاحمر الافراج عن هذا المعقل فرأى الطاغية ان تملكه الجبل وانتزاعه من المسلمين شديد عسر عليه فأجاب ابن الاحمر الى ما سأل وأتحفه بذخائر مما لديه وارتحل لفوره وأخذ الامير ابو مالك فى تثقيف أطراف الثغور وسد فرجه وأنزل الحامية به ونقل الاقوات وكان هذا الفتح فتحا طوق دولة السلطان أبى الحسن قلادة الفخر طول الدهر وكانت مدة منازلة المسلمين الى ان ملكوه ستة اشهر ثم أراد السلطان ابو الحسن ان يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع العدو فى منازلته ولا يجد طريقا للتضييق عليه عند محاصرته ورأى الناس ذلك من المحال فأنفق السلطان كثيرا من الاموال وارضى العمال حتى بنى سورا أحاط بمجموعه احاطة الهالة بالهلال ثم زاد فى التحصين بعده ابنه أبو عنان

٭ ذكر غزوة السلطان أبى الحسن الى الاندلس ٭

كان السلطان أبو الحسن بعد استيلائه على جبل الفتح اشتغل بقتال جماعة ثائرين عليه بتلمسان واستمر ذلك الى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة فرجعوا الى طاعته فتوجهت همته بعد ذلك لغزو النصارى بالاندلس فقصد أولا ولاية ابنه ابى مالك على ثغور عمله بالاندلس وصرفه اليها وكان الطاغية مدة اشتغال السلطان بقتال أهل تلمسان قد اعتز على المسلمين ونازل السلطان أبا الوليد ابن الاحمر بغرناطة مرارا ووضع عليه جزية فتقبلها لعدم قدرته على دفاعه وأقبل الطاغية على التهام المسلمين بالاندلس فلما فرغ السلطان ابو الحسن من شأن أهل تلمسان دعته نفسه الى الجهاد فأوعز الى ابنه الامير ابى مالك أمير الثغور سنة اربعين بالدخول الى دار الحرب وجهز اليه عساكر كثيرة ثم شخص بنفسه غازيا فتوغل فى بلاد النصرانية واكتسحها وأكثر القتل والسبي وغنم عساكره غنائم كثيرة فلما شرع

في الرجوع عن أرضهم اتصل به الخبر بأن النصارى جمعوا له وأجدوا السير في اتباعه فأشار عليه وزراؤه بالخروج من ارضهم وان يصير الى مدن المسلمين ويتحصن بها فامتنع من الرجوع وكان قرما ثابتا الا انه غير بصير بالحروب لصغر سنه فصبحهم عساكر النصرانية في مضاجعهم قبل ان يركبوا وأدركوا الامير اباما لك قبل ان يركب على فرسه فقتلوه وكتب الله له الشهادة وقتلوا كثيرا من قومه واحتووا على عسكره بما فيه من الاموال ورجعوا على أعقابهم واتصل الخبر بالسلطان أبي الحسن ففجع لهلاك ابنه واسترجع واسترحم له واحتسب عند الله أجره وشرع في اجازة العساكر للجهاد وتجهيز الاساطيل وفتح ديوان العطاء وعرض الجند وأزاح عللهم واستنفر اهل المغرب وارتحل الى سبتة ليباشر أحوال الجهاد فتسامعت امم النصرانية بذلك فاستعدوا للدفاع وأخرج الطاغية اسطوله الى الموضع المعروف عندهم بالزقاق ليمنع السلطان من الاجازة واستحث السلطان أساطيل المسلمين من مراسي العدوة وبعث الى ملوك بني حفص بافريقية بتجهيز اسطولهم اليه فبعثوا اليه عشرين اسطولا مشحونة بالعساكر وتوافت اساطيل المسلمين بسبتة تناهز المائة فناجزوا اسطول النصارى التي بالزقاق وزحفوا عليهم وتواقفوا مليا ثم قربوا الاساطيل بعضها الى بعض وقرنوها للمصاف فلم يمض الا قليل حتى هبت ريح النصر وأظفر الله المسلمين بعدوهم وخالطوهم في أساطيلهم واستلحموهم ضربا بالسيوف وطعنا بالرماح والقوا أشلاءهم باليم وقتلوا قائدهم واستاقوا أساطيلهم الى مرسى سبتة استولى المسلمون عليها فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤس العدو في جوانب البلد ونظمت اصفاد الاسرى بدار الانشاء وعظم الفتح وجلس السلطان ابو الحسن للتهنئة وأنشدت الشعراء القصائد بين يديه وكان يوما من أعز الايام ولله الحمد والمنة ثم شرع السلطان في اجازة من عنده من العساكر الغزاة والمتطوعة والمرتزقة ولما استكمل اجازة العساكر اجاز هو في اسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة أربعين ونزل بساحة طريف وأناخ بعساكره عليها وهي بيد النصارى وأحاط عسكره بفنائها ووافاه سلطان الاندلس ابن الاحمر بعسكر الاندلس واحاط الجميع بطريف نطاقا واحدا ونصبوا عليها الآلات وجهز الطاغية اسطولا آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن العسكر وطال حصارهم للبلد ففنيت ازودتهم وافتقدوا العلوفات واختلت احوال العسكر واحتشد الطاغية امم النصرانية وأعانه البرتقال صاحب اشبونة وغرب الاندلس فجاء معه في قومه وزحف على المسلمين لستة اشهر من منازلتهم ولما قرب معسكرهم ارسلوا قطعة من جيش النصارى الى طريف فدخلوها ليلا على غفلة من العس وأحسوا بهم آخر الليل فثاروا بهم من مراصدهم وأدركوا اعقابهم قبل دخول البلد فقتلوا منهم عددا ولبسوا على السلطان وقالوا له لم يدخل البلد سواهم حذرا من سطوته وزحف الطاغية من الغد في جموعه وعبى السلطان مواكب المسلمين صفوفا وتزاحفوا ولما نشب القتال كان للعدو جيش كمين فبرزوا وخالفوهم الى معسكر السلطان وعمدوا الى فسطاط السلطان ودفعه عنهم من كان عند الفسطاط للحراسة فاستلحموهم وقتلوهم وكان مع السلطان في هذه الغزوة بعض نسائه فوصل هؤلاء الهاجمون الى النساء فدافع النساء عن أنفسهن فقتلوهن وخلصوا الى حظايا السلطان عائشة بنت عمه أبي يحيى بن يعقوب وفاطمة بنت سلطان افريقية ابي يحيى الحفصي وغيرهن من حظاياه فقتلوهن عن آخرهن واستلبوهن وانتهبوا سائر الفسطاط وأضرموا

يولى واحد منهم فانك لا تجد الآن أحدا يقدم على هذه المكانة فالرأى ان تسجلوا الشريف سعد وتنادوا له وتخمدوا هذه الفتنة فرجعوا الى الباشا فأخبروه فطلب الجماعة الذين عند القاضي فاوصل اليه منهم الأربعة فلما أدخلوا عليه حصل لهم خوف كثير فجعل يعذلهم ويقول نحن قاتلنا على حفظكم بعد أن كتبتم لنا على الفتوى بجواز قتاله فكيف هذا الاختيار منكم له اليوم فقالوا له أتينا ذنبا وهلكت الناس فكأنه عرف الحق فأمرنا بالخروج وخاف على أبناء جنسه فأمر بالتعجيل والنداء فعجل ذلك ووصل مولانا الشريف سعد بمنزله بسوق الليل ونودى له وحصل الأمن فما جاء المغرب الا والبلد لصاحبها ونودى بالزينة ثلاثة أيام وخرج مولانا الشريف وجميع العساكر الى بستان الوزير عثمان حميدان بالعابدة ونزل في ألاي ضحى يوم السبت تاسع ربيع الثاني وقدم العساكر المصرية وجاء العرب من خلفه وهم كالسيل حتى ملؤا ذلك الوادي الى أن وصلوا سوق المعلى فعطف بالعسكر على سوق الليل ولم يزل سائرا الى أن وصل الى باب علي فبعث للعسكر ان يعطفوا من السوق الكبير الى بيوتهم فلما انتهى آخرهم تقدم هو ومن معهم من العرب حتى دخل منزله وامتلأ بهم ذلك الوادي ثم أمر بهم

الى أجياد فدخلوها وجعلوا يدخلون شيأ فشيأ الى ثانى يوم

المعسكر نارا وأحس المسلمون الذين يقاتلون الكفار بما ورائهم فى معسكرهم فاختل مصافهم وارتدوا على أعقابهم بعد ان كان ابن السلطان هجم فى طائفة من قومه حتى خالط الكفار فى صفوفهم فأحاطوا به وقبضوا عليه وولى السلطان متحيزا الى فئة المسلمين واستشهد كثير من الغزاة ووصل الطاغية بنفسه الى فسطاط السلطان ابى الحسن وأنكر على قومه قتل النساء والولدان ووقف منه لمنتهى اثره ثم انكفأ راجعا الى بلاده ولحق ابن الاحمر بغرناطة كرسى ملكه وخلص السلطان الى الجزيرة ثم الى الجبل ثم ركب الى سبتة ومحص الله المسلمين وأجزل ثوابهم ولما رجع الطاغية من طريف استأسد اى صار كالأسد على المسلمين بالاندلس وطمع فى التهامهم وجمع عساكر النصرانية ونازل قلعة بنى سعيد ثغر غرناطة على مرحلة منها وجمع الآلات والايدى على حصارها واشتد مخنقها واصابهم الجهد من العطش فنزلوا على حكمه وذلك سنة اثنتين واربعين وسبعمائة وانصرف الى بلده واما السلطان ابو الحسن فانه لما اجاز الى سبتة ألزم نفسه بالعود الى الجهاد وذهب الى فاس وبعث فى الأمصار للاستنفار وأخرج قواده الى سواحل البحر لتجهيز الاساطيل حتى اكتمل منها عدة وافرة ثم ارتحل الى سبتة لمشارفتها وقدم عساكره الى العدوة مع وزيره وبعث الى الجزيرة بعض اقارب الوزير وبعث اليهم مددا وبلغ الطاغية الخبر فجهز اسطوله واجراه الى بحر الزقاق للمدافعة وتلاقت الاساطيل ومحص الله المسلمين واستشهد منهم اعداد وتغلب اسطول الطاغية على بحر الزقاق وملكوا دور المسلمين وأقبل الطاغية من اشبيلية فى عساكر النصرانية حتى أناخ بها على الجزيرة الخضراء مرفأ اساطيل المسلمين وأمل ان ينظمها فى مملكته مع جارتها طريف وحشر الفعلة والصناع بالآلات وجمع الايدى عليها وطاولها الحصار واتخذ اهل العسكر بيوتا من الخشب للمطاولة وجاء السلطان أبو الحجاج ابن الاحمر بعساكر الاندلس فنزل قبالة الطاغية بظاهر جبل الفتح على سبيل الممانعة وأقام السلطان أبو الحسن بمكانه من سبتة ليبعث المدد من الفرسان والمال والميرة فلم يغنهم ذلك شيأ واشتد الحصار عليهم وأصابهم الجهد وأجاز اليه السلطان ابن الاحمر ليفاوضه فى شأن السلم مع الطاغية بعد اذن الطاغية له فى الجواز مكرا به وترصد له بعض الاساطيل فى طريقه فصدقهم المسلمون القتال وخلصوا الى الساحل بعد غص الريق وضاقت احوال الجزيرة ومن كان بها من عساكر السلطان وسألوا من الطاغية الامان على ان ينزلوا عن البلد فبذل الامان لهم وخرجوا فوفى لهم واجازوا الى المغرب وذلك سنة ثلاث وأربعين فأنزلهم السلطان أبو الحسن ببلاده على خير نزل ولقاهم من المبرة والكرامة ماأعاضهم عما فاتهم وخلع عليهم وأجازهم بجوائز سنية لايزال الناس يتحدثون بها وانكفأ السلطان الى حضرته موقنا بظهور امر الله وانجاز وعده فى رجوع الكرة وعلو الدين والله متم نوره ولو كره الكافرون ثم ثار على أبى الحسن ثائرون بالمغرب وتوالت فتن كثيرة الى ان توفى سنة ثنتين وخمسين وسبعمائة وولى بعده ابنه ابو عنان وثار بينه وبين اخوته فتن كثيرة واما سلطان الاندلس أبو الحجاج ابن الاحمر فقتل فى الصلاة يوم عيد الفطر طعنه اسود مدسوس عليه وولى بعده ابنه محمد الغنى بالله وذلك سنة خمس وخمسين وسبعمائة ثم خلع سنة ستين ثم اعيد سنة ثلاث وستين والكلام على ذلك طويل لاحاجة لنا بذكره واستمر فى ملكه الى ان توفى سنة ثلاث

(وتسعين)

وجلس للتهنئة يوم السبت وطلع له الناس ومدحته الشعراء واستقرت البلد ولله الحمد وبعث اليه الباشا بفرو سمور ألبسه اياه الا ان بعض العرب خرج بما نهب من الاموال يبيعها فى السوق على رؤس الاشهاد وماأمكن رد شئ مما نهبوه وفى يوم الاحد ألبس الوزير عثمان حيدان الفرو الذى ألبسه الباشا وجعله وزيرا كما كان وطلع له أصحاب الادراك فخلع عليهم ولما كان يوم الخميس الرابع عشر من ربيع اجتمع بالباشا فى مدرسة ابن عتيق عند صلاة الظهر فجلس عنده ساعة ورجع الى بيته ثم بعث له مولانا الشريف مركوبا من اصطبله بكمال العدة ولما كان يوم السبت نزل الباشا الى جدة وركب مولانا الشريف معه الى الشيخ محمود ومعه ولده مولانا الشريف سعيد فودعه فنزل الباشا عن حصانه وقدمه له لما أراد الرجوع وقدم لابنه أيضا مركوبا من مراكيبه وسار الى جدة ورجع مولانا الشريف الى بيته واستمر مولانا الشريف وكتب للابواب السلطانية يعتذر لهم عما وقع فقبلوا عذره وجاءه التأييد والتشريفات

(الولاية الثالثة للشريف سعد)

وهذه الولاية الثالثة لمولانا

وتسعين وسبعمائة وكان قد قوي ملكه وسلطانه بعد رجوعه الى ملكه سنة ثلاث وستين حتى
صار ملك المغرب وسلطان بني مرين تحت أمره ووقع في هذه السنين فتن بالاندلس بين
النصارى مع بعضهم وذلك أن الهنش ملك النصارى هلك سنة احدى وخمسين وسبعمائة
وولي بعده ابنه بطرة وثارت فتن وحروب بينه وبين اخوته وانتهز الفرصة ابن الاحمر وجمع
جيوش المسلمين للجهاد ودخل بعساكر المسلمين فأثخن في ارض النصرانية وخرب معاقلهم
ومدنهم ثم رجع الى غرناطة وذلك سنة سبع وستين وسبعمائة ثم تشوف المسلمون الى ارتجاع
الجزيرة الخضراء الى المسلمين فتراسل ابن الاحمر مع ملك مراكش وفاس وكان السلطان حينئذ
السلطان عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن واتفقا على ان ابن الاحمر يزحف بعساكره وملك
المغرب يمده بالمال والاساطيل لعزة جمع العسكر عليه لما كان فيه من الفتن فأوعز صاحب المغرب
الى اساطيله فعمرت وسارت وبعث بمال كثير وذخائر وزحف ابن الاحمر بعساكره واستعدت
الآلات للحصار فنازلها اياما قلائل فأيقن النصارى بالهلكة لبعدهم عن الصريخ ويأسهم من
مدد ملوكهم فألقوا باليد وسألوا النزول على حكم السلم فأجابهم السلطان ابن الاحمر اليه ونزلوا
عن البلد واقيمت فيه شعائر الاسلام ومراسمه ومحيت منه كلمة الكفر ومعالمه وكان ذلك في سنة
سبعين وولي عليها ابن الاحمر من قبله ولم تزل تحت نظره الى أن تمحض له النظر في هدمها خشية
استيلاء النصرانية عليها فهدمت سنة ثمان وسبعمائة واصبحت خاوية كأن لم تغن بالامس والبقاء
لله وحده وتوفي الغني بالله محمد بن ابي الحجاج يوسف بن الاحمر سلطان الاندلس سنة ثلاث وتسعين
وسبعمائة وولي ابنه يوسف وتوالت فتن كثيرة فقصد الافرنج لبرتغال مدينة سبتة سنة اربع
عشرة وثمانمائة في مراكب كثيرة فقاتلهم أهلها ثم تغلب عليهم الفرنج فملكوها وبقيت
معهم نحو مائتين وخمسين سنة ثم انتزعها الاسبانيول منهم ثم توالت فتن بين بني الاحمر مع
بعضهم في الاندلس وجرت امور يطول الكلام بشرحها وآل الامر فيها الى خروج ملك الاندلس
عن أيدي المسلمين فأخذ العدو مالقة سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة وأخذوا غرناطة سنة سبع
وتسعين وثمانمائة وانقرض ملك بني مرين سنة تسعين وثمانمائة وانتقل الملك لوزرائهم بني
وطاس ثم منهم الاشراف السعديين والكلام على ذلك طويل ولما حاصر العدو غرناطة
أصاب المسلمون وقت حصار العدو لهم بها شدة الجوع وتفاقمت عليهم الخطوب فكاتبوا العدو
في الصلح واشترطوا شروطا وعقدوا وثائق ومكنوا العدو من غرناطة وكانت الشروط سبعا
وستين شرطا منها تأمين الصغير والكبير في النفس والاهل والمال ومنها ابقاء الناس وأماكنهم
ودورهم ورباعهم وعقارهم ومنها اقامة شريعتهم على ماكانت ولا يحكم على احد منهم
الا بشريعتهم ومنها ان تبقى المساجد كما كانت والاوقاف كذلك وان لا يدخل النصارى
دار مسلم وان لا يغصبوا احدا وان لا يتولى على المسلمين في الاحكام نصراني ولا يهودي
وان يفك من كان أسيرا منهم ومنها أن من أراد الجواز الى المغرب لا يمنع ولا يؤاخذ من قتل احدا
من النصارى ايام الحرب الى غير ذلك من بقية الشروط ثم ان النصارى نقضوا تلك الشروط
شيأ فشيأ ونكثوها عروة عروة الى أن آل الامر الى حملهم المسلمين على التنصر حتى صاروا
يقولون لبعض المسلمين ان جدك كان نصرانيا فأسلم في زمن كذا فلابد ان ترجع نصرانيا كما

الشريف سعد ثم ان مولانا الشريف أمر وزيره الخواجا عثمان حميدان أن يصنع ضيافة للعرب
في بستانه في المعابدة فجعل
لهم هناك سماطا حضره
مولانا الشريف وابنه
واستمروا هناك الى العصر
ثم أقام العرب بعد هذا مدة
يسيرة وأذن لهم في الرجوع
فرجعوا شاكرين وأبقى
اناسا منهم بمكة ثم جاء الخبر
من المدينة بامتناعهم من
الندا لمولانا الشريف ثم
عند ورود الخلعة له نادوا
له ثم جاءت الاخبار بأن
الشريف أحمد بن غالب
والشريف عبد الله بن هاشم
توجها الى ينبع وأخذا منه
ألفي أردب حب لاهل مكة
ومائتين لقاضي مكة وربع
صاحب مكة وجاء الخبر
أيضا بأنهم كتبوا اعرضا
لصاحب مصر وبعثوه ثم
ان الشريف جهز جماعة
من العسكر المقيمين بمكة
وبعثهم الى جدة ليعزموا
الى ينبع على البحر ومارأى
الباشا في ارسالهم فائدة
فرجعوا وفي شهر رمضان
ورد من الابواب السلطانية
خلعة لمولانا الشريف
ومرسوم بالتأييد له وفيه
الاخبار بوفاة السلطان أحمد
ابن ابراهيم وتولية السلطان
مصطفى بن أحمد بن ابراهيم
فقرئ المرسوم بالحطيم
ولبس الخلعة وأمر بالزينة
ثلاثة أيام والذي في تاريخ السنجاري ان الخبر بورود الاغاة الذي معه المرسوم جاء في رمضان فكان الامر بالزينة وأما وروده الى مكة

كان اجدادك السابقون فلما فحش هذا الامر قام جماعة من المسلمين كانوا بموضع يقال له البيازين فقتلوا النصارى الذين كانوا عندهم فخرج الامر من سلطانهم بقتل المسلمين الا من تنصر فانه ينجو من القتل فتنصر خلق كثير في البادية والحاضرة وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى واجتمعوا في بعض القرى متحصنين بها فجمع لهم العدو الجموع واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسبيا وبقي جماعة من المسلمين صعدوا جبلا واحتموا فيه وقاتلهم العدو فقتلوا من العدو خلقا كثيرا فأخرجوا على الامان الى فاس بعيالهم وما خف من أموالهم ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين ولم يكن متنصرا في الباطن يعبد الله في خفية ويصلي فشدد عليهم النصارى في البحث حتى أنهم أحرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ومنعوهم من حمل السكينة الضعيفة فضلا من غيرها من الحديد وقام المسلمون الذين تحصنوا في بعض الجبال على النصارى مرارا ثم تغلب النصارى عليهم ولم يقيض الله لهم ناصرا الى ان كان آخر وقت أخرجهم النصارى فيه سنة الف وعشر فخرج ألوف من المسلمين الى فاس وألوف الى تلمسان ووهران وجمهورهم خرج الى تونس وتسلط على كثير منهم الاعراب ومن لا يخشى الله ونهبوا أموالهم في البوادي والطرقات وأكثر النهب والاخذ وقع على الذين ذهبوا الى تلمسان وفاس وأما الذين ذهبوا الى تونس فأكثرهم سلم من ذلك وقد عمر هؤلاء الخارجون من الاندلس كثيرا من القرى الخالية في تلك المواضع التي ذهبوا اليها ومنهم جماعة بسلا وتطاون والجزائر واستخدم سلطان المغرب منهم عسكرا جرارا ووصل جماعة منهم الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها لانهم كانوا عددا كثيرا لا يحصيهم الا الله تعالى والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين قال في نفح الطيب والسلطان الذي اخذت منه غرناطة آخر سلاطين بني الاحمر الذي انقرضت بانقراض دولته مملكة الاسلام بالاندلس ومحيت رسومها هو السلطان أبو عبدالله محمد بن السلطان ابي الحسن ابن السلطان سعد ابن الامير علي ابن السلطان يوسف بن السلطان الغني بالله محمد واسطة عقدهم والمشيد مبانيهم الانيقة وسلطان دولتهم على الحقيقة ابن السلطان ابي الحجاج يوسف بن السلطان اسماعيل بن الرئيس ابي سعيد فرج بن اسماعيل بن نصر بن قيس الانصاري الخزرجي رحمهم الله جميعا وانتهى السلطان المذكور الى مدينة فاس باهله واولاده معتذرا عما أسلفه متلهفا على ما خلفه وبنى بفاس قصورا قال في نفح الطيب وعهدي بذريته بفاس الى الآن سنة سبع وثلاثين والف يأخذون من اموال الفقراء والمساكين ويعدون من جملة الشحاذين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هذا خلاصة ما كان بالاندلس بغاية الاختصار ولنرجع الى اتمام الكلام على ما كان بالديار الشامية وغيرها وليكن الابتداء بذكر حرب الصليب

❁ ذكر ابتداء الحروب الصليبية ❁

اعلم ان المسلمين منذ افتتحوا الشام في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انما كان قتالهم في تلك الاراضي مع الروم ملوك القسطنطينية ثم صار من الخلفاء والامراء الاسلامية غزوات وفتوحات كثيرة افتتحوا فيها كثيرا من ممالك الروم وتقدم بيان ذلك ثم لما كان آخر

وقراءة المرسوم انما كان في رابع عشر شوال ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف لملاقاته على العادة ولبس الخلعة الواردة اليه وحج بالناس وكانت الجمعة بالجمعة ثم لما دخلت سنة سبع ومائة وألف أرسل مولانا الشريف ابن أخيه الشريف محسن بن حسين متوليا على المدينة واستمر هناك الى أن توفي وفي شهر جمادى الاولى توجه مولانا الشريف غازيا جهة الشرق ولم يرجع الا ثاني ذي الحجة وورد له القفطان السلطاني والمراسيم على المعتاد وحج بالناس وفي سنة ثمان توفي ثاني عشر ذي الحجة مفتي مكة عبدالله افندي عتاقي وولادته سنة تسع وأربعين وألف وأقيم بعده في الفتوى الشيخ عبد القادر بن أبي بكر الصديق ولم يزل مولانا الشريف سعد متفقا مع السادة الاشراف متألفا لهم الى سنة اثنتي عشرة ومائة وألف فحصل بينه وبين الاشراف ذوي عبدالله منافرة لعدم الوفاء بمعاليمهم فثار عليه ذوو عبدالله عن آخرهم وكان من جملتهم السيد احمد بن حازم بن عبد الله وعزموا على الخروج ثم خرجوا من مكة وهم نحو أربعين شريفا فتلافى أمرهم ووعدهم ونزل الى جدة ونزل منهم معه جماعة وأخذلهم من التجار دراهم وأعطاهم ثم ثاروا عليه مرة أخرى سنة ألف ومائة وأربع

القرن الخامس وظهر الضعف في الخلفاء العباسيين واستولى على مصر وبعض الشام الخلفاء العبيديون وتغلب على كثير من الممالك الاسلامية العمال الذين فيها طمع في ممالك الشام الافرنج الذين نشأت لهم دول في اوروبا بعد ضعف الملوك الرومانية فتجمعت جموع من الافرنج ملوك اوروبا وساروا لتلك الممالك الاسلامية التي في الشام واعمالها وكان ذلك سنة ار بعمائة وتسعين هجرية وكان من أسباب قيامهم وهيجانهم لتلك الحروب ان رجلا منهم اسمه بطرس الناسك ترهب وانفرد عن أهله سائحا متنسكا فزار بيت المقدس وأخذته الحمية في استخلاص تلك الاماكن من أيادي المسلمين فلما رجع الى بلاد ايطاليا اجتمع مع البابا وخاطبه في ذلك فوافقه البابا على استحسان افكاره وماقام بنفسه وعزم في الحال على اتخاذ الاسباب والوسائط المقتضية لاتمام هذا المشروع وأمر بطرسا ان يجول في أقطار البلاد مناديا ومبشرا للشعوب بانقاذ النصارى و استخلاص تلك الاراضي من أيادي المسلمين فأخذ بطرس يجول من مكان الى آخر منذرا ومحركا قلوب الناس للاشتراك في هذا العمل فاجتاز من ايطاليا الى فرانسا ثم سار الى اكثر ممالك اوروبا زارعا بين الجميع هذه الافكار مهيجا اياهم للنهوض والقيام وفي أثناء ذلك عقد البابا عدة مجامع في ايطاليا وفرانسا وطرح فيها هذه المسئلة امام الجمهور الحاضرين منتهضا هممهم للمبادرة والاستعداد في هذا المشروع وجعل للرعايا القائمين بذلك انعامات ورفع عنهم كثيرا من الضرائب والخراجات فنهض أحد الاساقفة وطلب من البابا ان يكون اول من يجاهد في هذا السبيل فسلمه البابا راية الصليب فتبعه جملة من رؤساء الدين ومن عامة الناس ورسموا جميعا على صدورهم صورة الصليب بلون احمر وجعلوا هذه العلامة على الاسلحة والالوية والرايات والبنود ومن ذلك الوقت سموا الصليبين ودعيت حروبهم بالحروب الصليبية واذا أراد الله ظهورا هيأ أسبابه فظهر لهم أمور وأسباب قوي بها عزمهم على ما أرادوا فمن ذلك ما ذكره بعض مؤرخيهم أنه في أثناء المناداة بهذه الحروب وتجهيز الناس للدخول فيها ظهر لهم جملة من العجائب في السماء والارض منها تساقط بعض النجوم من السماء على الارض وظهر بانتقالها علامة حمراء دموية في جانب الافق وظهر لهم عمود ناري على شكل حربة ذات حديد بقرب الشمس وشوهد في الجو صورة مدن وعساكر وخيول وأسلحة وفرسان موسومة بالصلبان ومنها انه كان يرى في مدة ستة أيام متوالية على أثواب المسيحية صلبان من نور مطبوعة على ملابسهم بطريقة عجيبة بحيث لا يمكن لاحد ان يمحوها بالماء ولا بالنار فهذه المرائي التي كانت تترأى لهم شددت عزائمهم وجعلتهم لا يتوقفون عن السفر وكانوا يستعدون من يوم الى يوم حتى بلغ عددهم ثلاثمائة الف مقاتل وكان الملك الكبير منهم المتقدم في قيادة جيوشهم يسمى بردويل وكان بينه وبين صاحب صقلية مصاهرة وصداقة فأراد ان يكون مرور جيوشهم على افريقة فيتملكوها ثم يسيرون منها الى الشام فأرسل الى صاحب صقلية يقول له قد جمعت جموعا كثيرة وانا واصل اليك وسائر من عندك الى افريقة أفتحها واكون مجاورا لك فجمع صاحب صقلية اصحابه واستشارهم في ذلك فقالوا وحق الانجيل هذا جيد لنا ولهم وتصبح البلاد كلها بلاد النصرانية فرفع رجله لهم وضرط ضرطة عظيمة وقال وحق ديني هذه خير من كلامكم قالوا وكيف ذلك قال اذا وصلوا الى احتاج الى كلفة كثيرة

على الشريف وتوجهوا الى جهة الطائف وتعرض بعضهم لقافلة عند خروجهم وبعض الحمارة فأخذوا الجميع فأرسل الشريف المشايخ ذوى عبد الله وعرفهم ماوقع من رفقائهم ثم استدنى السيد عبد الكريم بن محمد ابن يعلى بن حمزة بن موسى ابن بركات بن أبي نمى وكان في ذلك الوقت شيخ ذوى بركات ودركه بدرب جدة وجعله في وجهه فقبل ذلك فأرسل السيد عبد الكريم لذوى بركات الذين في الوادى وأكد عليهم في حفظ الدرب وقال لهم متى آنستم أحدا من السادة الاشراف الجلوية حولكم قريبا منكم فأسرعوا في تعريفنا بذلك ودبرهم على شئ يعرفه فلما كان خامس عشر ربيع الثاني أرسل بعض الاشراف الذين بالوادى قاصدا الى مكة للشريف سعد وللسيد عبد الكريم يعرفهما ان السادة الاشراف الجلوية مروا على اليفاع ومعهم غزو قاصدين درب جدة ففزع الشريف سعد عصر يومه وفزعت

ومراكب تحملهم الى افريقية وعساكر من عندي أيضا فان فتحوا البلاد كانت لهم وصارت المؤنة لهم من صقلية وينقطع عني ما يصل من المال من ثمن الغلات كل سنة وان لم يفتحوا رجعوا الى بلادي وتأذيت بهم ويقول تميم أمير افريقية غدرت بي ونقضت ما بيني وبينك من العهود وتنقطع الوصلة والاسفار بيننا مع أن بلاد افريقية باقية لنا متى وجدنا قوة أخذناها وأحضر رسول بردويل وقال له اذا عزمتم على جهاد المسلمين فأفضل ذلك فتح بيت المقدس تخلصونه من أيديهم ويكون لكم الفخر وأما افريقية فبيني وبين أهلها عهد واعيان لا يمكنني نقضها فلما لم يمكنهم صاحب صقلية من المرور عليه عزموا على التوجه الى الشام من طريق القسطنطينية فنعهم ملك الروم من الاجتياز ببلاده الا بشرط انهم يحلفون له أنهم يسلمون له انطاكية اذا ملكوها وكان يظن انهم لا يقدرون على تملك البلاد الشامية لما فيها من جنود الاسلام وهو يريد هلاك الافرنج خوفا من أنهم يتغلبون عليه لانه يرى قوتهم تزيد كلما مضى زمن الازمان فلما اشترط عليهم ان يعطوه انطاكية اذا ملكوها أجابوه الى ذلك وقبلوا شرطه وعبروا الخليج عند القسطنطينية طالبين القسطنطينية ليجتمعوا فيها وكانوا أجناسا عديدة وفرقا كثيرة من الايطاليين والفرنساويين وغيرهم من سكان اوروبا وكان بطرس الناسك المتقدم ذكره متوشحا بثوبه الرهباني قائدا للفرقة الاولى منهم فسار بهم على طريق المانيا وهنكاريا وبلغاريا فكانوا ينهبون ويخطفون من سكان المدن والسواحل وهم سائرون فوثب عليهم الاهالي وقاتلوهم وقتلوا منهم عددا كثيرا وبعد ان قاسوا أهوالا شديدة انتهوا الى القسطنطينية فأذن لهم ملكها ان يقيموا في المدينة الى ان يحضر رفقاؤهم ثم نقلهم ملك القسطنطينية في مراكبه الى سواحل آسيا فلما انتهوا اليها التقتهم عساكر الاسلام في نواحي قونية وكانت تلك العساكر للملوك السلجوقية الذين كانت ممالكهم في الروم وأحاطوا بهم وقاتلوهم قتالا شديدا فاستظهر المسلمون عليهم وتمكنوا منهم واستولوا على مضاربهم وذخائرهم فلم ينج منهم الا القليل فهكذا كانت نهاية الوقعة الاولى وأما بطرس الناسك فكان قد رجع الى القسطنطينية قبل حدوث هذه الوقعة متشكيا من عدم انتظام الصليبيين وعدم طاعتهم وانقيادهم لرؤسائهم ولكن لما بلغته هذه الاخبار المحزنة أقسم بانه لا يرجع قط عن عزمه حتى يشاهد حربا صليبيا ثانيا

❁ ذكر تملك الفرنج قونية وانطاكية ❁

قد تقدم ان الروم كانوا قد استولوا على انطاكية سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وبقيت بأيديهم الى سنة اربعمائة وسبع وسبعين فانتزعها منهم سليمان بن قتلمش السلجوقي فلما كانت هذه السنة أعني سنة اربعمائة وتسعين كان الامير العامل على انطاكية باغيسيان التركماني وبلغ أهل اوروبا ما حل بأصحابهم من النكال حزنوا جدا وتحركت عزائمهم على أخذ الثار والاستيلاء على تلك الديار فتجهز منهم جيش جرار وساروا كالاولين الى ان وصلوا الى قونية فالتقتهم جيوش الاسلام ووقع بينهم عدة معارك شديدة وكانت الغلبة فيها لطوائف الافرنج فاستولوا على مدينة قونية وكان ملكها يدقلج ارسلان السلجوقي وهو الذي قابلهم بجموعه فهزموه وملكوا منه قونية ثم تقدموا الى انطاكية فحصروها تسعة اشهر ثم ملكوها في جماد الاولى سنة ٤٩٠ من صاحبها باغيسيان التركماني بعد ان ظهر منه الشجاعة وجودة الرأي والحزم مالم

فواجهوا السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله ابن حسن بن أبي نمي متقدما عن رفقائه فلما اختلطوا به سألوه فقال تصدى مواجهة الشريف فأرسلوا الى الشريف سعد وعرفوه بذلك فلما رآه قال للاشراف لأحد منكم يدخل محسن ابن عبد الله ثم لما وصل السيد محسن وأقبل على الشريف ترجل وترجل أيضا الشريف سعد وتراد هو والسيد محسن ثم قال له من أين جئت فقال من عند الربع وقصدي الصحبة فقال له الشريف سعد لنا عليك يمين فقال أحلف قال له الغزو الذين معكم قد خرجنا لقصدهم أخبرني عنهم أين يقصدون قال لا علم لي بهم فحلفه على ذلك ثم اراد ان يحلفه ثانيا فدخل على السيد عبد الكريم بن محمد ابن يعلى فأدخله وتكلم مع الشريف سعد في شأنه فقال له احفظه حتى ننفض من غزونا فأرسله السيد عبد الكريم الى بيته بالوادي ومشى الشريف سعد والاشراف في طلب القوم الى أن وصل الى الجمام فسأل عن الاشراف الجلاوية والغزو الذين معهم فأخبروهم انهم أخذوا على اليفاع وقصدوا ادرب جدة فرجع الشريف سعد ومن معه على الوادي ثم

يشاهد من غيره لانهم لما قدموا على انطاكية قابلهم بجيوشه وقاتلهم قتالا شديدا وجرت وقايع متعددة وهجمات هائلة ثم لما عجز هرب ثم قتل ولما دخل الافرنج انطاكية قتلوا من فيها من المسلمين ونهبوا أموالهم ولما سمع صاحب الموصل بتملكهم انطاكية جمع عساكره وسار الى الشام وهو الامير قوام الدولة ابو سعيد كربوقا ثم أقام بعساكره بمرج دابق واجتمع معه عساكر الشام تركها وعربها سوى من كان بحلب وحمص وسنجار واجتمع كثير من الامراء وعظمت المصيبة على الافرنج وأرسلوا الى كربوقا يطلبون منه الأمان لما أقبل بالجيوش على انطاكية فامتنع وقال لا تخرجون الا بالسيف وحاصرهم ثم ان كربوقا المذكور أساء السيرة فيمن اجتمع معه من الملوك والامراء وتكبر عليهم فخبثت نياتهم عليه ولما ضاق الامر على الافرنج وقلت الاقوات عندهم خرجوا من انطاكية واقتتلوا مع المسلمين وكان معهم راهب مطاع فيهم وكان داهية من الرجال فقال لهم قبل خروجهم ان المسيح عليه السلام كان له حربة مدفونة بالقيسان الذي بانطاكية وهو بناء عظيم ان وجدتموها فانكم تظفرون وان لم تجدوها فالهلاك متحقق وكان قد دفن قبل ذلك حربة في مكان فيه وعفا أثرها وأمرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع أدخلهم الموضع جميعهم ومعهم عامتهم والصناع منهم وحفروا في جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر فقال لهم أبشروا بالظفر فخرجوا في اليوم الخامس من الباب متفرقين خمسة وستة ونحو ذلك فقال المسلمون لكربوقا ينبغي ان تقف على الباب فتقتل كل من يخرج فان أمرهم الآن وهم متفرقون سهل فقال لا تفعلوا أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم ولم يمكنهم من معاجلتهم فقتل قوم من المسلمين جماعة من الخارجين فجاء اليهم هو بنفسه ومنعهم ونهاهم فلما تكامل خروج الفرنج ولم يبق بانطاكية منهم احد ضربوا مصافا عظيما فولى المسلمون منهزمين لما عاملهم به كربوقا اولا من الاستهانة لهم والاعراض عنهم وثانيا من منعهم عن قتل الفرنج وتمت الهزيمة على المسلمين ولم يضرب احد منهم بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بسهم وانهزم كربوقا معهم فلما رأى الفرنج ذلك ظنوه مكيدة اذ لم يجر قتال ينهزم من مثله وخافوا ان يتبعوهم وثبت جماعة من المسلمين وقاتلوا حسبة وطلبا للشهادة فقتل الفرنج منهم ألوفا وغنموا ما في العسكر من الاقوات والاموال والاثاث والدواب والاسلحة فصلحت حالهم وعادت عليهم قوتهم

ذكر تملك الفرنج معرة النعمان

ثم سار الفرنج بجيوشهم الى معرة النعمان وحاصروها وقاتلهم اهلها قتالا شديدا ورأى الفرنج منهم شدة ونكاية ولقوا منهم الجد في حربهم والاجتهاد في قتالهم فعملوا عند ذلك برجا من خشب يوازي سور المدينة ووقع القتال عليه فلم يضر المسلمين ذلك فلما كان الليل خاف قوم من المسلمين وتداخلهم الفشل والهلع وظنوا أنهم اذا تحصنوا ببعض الدور الكبار امتنعوا بها فنزلوا من السور وأخلوا الموضع الذي كانوا يحفظونه فرآهم طائفة أخرى من المسلمين منهم ففعلوا كفعلهم فخلا مكانهم أيضا من السور ولم تزل تتبع طائفة منهم التي تليها في النزول حتى خلا السور فصعد الفرنج اليه على السلالم فلما علوه تحير المسلمون ودخلوا دورهم فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة أيام فقتلوا ما يزيد على مائة ألف وسبوا السبي الكثير وملكوا المعرة وأقاموا اربعين يوما

وصلوا جدة وباتوا فيها فجاءتهم هنيمي وأخبر الشريف بأن الاشراف الجلوية غزونا ونهبوا ابلنا ونجعنا فقال له الشريف سعد أتعرف محلهم قال نعم قال أنت الدال عليهم فساروا بجيشهم وحثوا في سيرهم فأدركوهم عند الظهر مقبلين وجميع ما أخذوه من هنيم عندهم فأقبل عليهم الشريف بمن معه من الاشراف والعسكر وكان معه كتخدا الوزير سليمان باشا وبعض أشخاص من اتباع الوزير واقتتلوا معهم فقتلوا من القوم زهاء ثلاثين غير المصابين وكان مع الاشراف الجلوية من شيوخ العرب هنيدس شيخ الروقة وربعه وحسين بن سويدان شيخ مطير وربعه فنهب الشريف ومن معه من الاشراف جميع ما كان معهم من الابل والبندق وغير ذلك وردوا على هنيم جميع ما أخذ منهم وردوا ايضا على الجلوية بعض خيل وركاب بواسطة بعض الاشراف وكانت هذه الواقعة يوم الاحد سابع عشر ربيع الثاني ووصل خبرها الى مكة يوم الاثنين فدق الزير وألبس البشير على معتادهم وركزت علامة النصر في بيت الشريف على جري عادتهم وفي هذا اليوم نزل الشريف على السيد مبارك بن يعلى فأضافه وأصبح يوم الاربعاء بمكة فجلس للناس وأما السادة الاشراف

﴿ ذكر مصالحة أهل عرقة وحمص للفرنج ﴾

ثم ساروا الى عرقة فحصروها اربعة اشهر ونقبوا سورها عدة نقوب فلم يقدروا عليها وراسلهم منقذ صاحب شيزر فصالحهم عليها ثم ساروا الى حمص وحصروها فصالحهم صاحبها جناح الدولة ثم ساروا الى عكا فلم يقدروا عليها

﴿ ذكر تملك الفرنج بيت المقدس ﴾

ثم ساروا الى البيت المقدس وكانوا الف الف وكان فيها رجل يعرف بافتخار الدولة عاملا للعبيديين ملوك مصر لان بيت المقدس كان بأيديهم انتزعوه من خلفاء بنى العباس فلما وصل الفرنج اليه حصروه نيفا واربعين يوما ثم ملكوا المدينة المذكورة لسبع بقين من شعبان سنة ٤٩٢ هجرية وركبوا الناس بالسيف ولبث الفرنج بالبلدة اسبوعا يقتلون فيه المسلمين وقتل الفرنج بالمسجد الاقصى مازيد على سبعين الفا منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم وأخذوا من عند الصخرة نيفا واربعين قنديلا من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم وأخذوا تنورا من فضة وزنه أربعون رطلا بالشامى وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا فضة نقرة ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلا وغنموا منه مالا يقع عليه الاحصاء وورد المستنفرون من الشام الى بغداد صحبة القاضى ابى سعيد الهروى فأوردوا فى الديوان كلاما أبكى العيون وأوجع القلوب وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وأبكوا وذكروا مادهم المسلمين من قتل الرجال وسبى الحريم والاولاد ونهب الاموال وكانوا صياما فى رمضان فلشدة ما أصابهم أفطروا وأنشأ الشعراء فى ذلك قصائد تبكى لها العيون وتنفطر بها القلوب وكان ذلك فى خلافة المستظهر بالله ابن المقتدى بأمر الله العباسى وكان فى ذلك الوقت اختلاف كثير بين السلاطين السلجوقية وفتن قائمة بينهم بالعراق فلم تحصل منهم نتيجة ولا من الخليفة وبعث المصريون جيشا لقتال الفرنج لما بلغهم ماوقع بالقدس واقتتلوا مع الفرنج ثم انهزموا وحصرهم الفرنج بعسقلان وضيقوا عليهم فبذلوا لهم اثنى عشر الف دينار وقيل عشرين الفا فارتحلوا عنهم ورجعوا الى القدس وجعلوها دار ملكهم ثم استولى الفرنج على أكثر سواحل الشام فملكوا يافا وغيرها من القلاع والحصون وكانت محنة فاحشة على المسلمين ثم فى سنة أربع وتسعين وأربعمائة ساروا الى مدينة عكا فلم يقدروا على فتحها وكانوا قد عمروا مدينة يافا وسلموها الى قس من الفرنج واقيم بملك القدس افرنجى آخر وقيل بل اقام بها بردويل بنفسه ومكث بيت المقدس بأيدى الفرنج احدى وتسعين سنة وكذا ماجاوره من سواحل الشام وعجز ملوك الاسلام عن استرجاعه الى ان استرجع ذلك السلطان صلاح الدين الايوبى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة كما سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر تملك الفرنج مدينة سروج وحيفا وقيسارية ﴾

فى هذه السنة ملك الفرنج مدينة سروج من الجزيرة وقتلوا كثيرا من أهلها وسبوا حريمهم ونهبوا أموالهم وملكوا أيضا مدينة حيفا بالقرب من عكا على ساحل البحر وملكوا مدينة قيسارية وقتلوا أهلها ونهبوا ما فيها وفى سنة ٤٩٥ ساروا الى طرابلس الشام فقاتلهم أهلها

بينهم بالصلح السيد أحمد ابن سعيد بن شنبر والسيد حسين بن زين العابدين ابن عبد الله وتوجهوا لملاقاة مولانا الشريف واتفقوا معه على ان يعطيهم معلوم شهر ويكونوا اسوة رفقائهم وان مامضى لايعاد واستمر معهم على الاتفاق والمحبة وفى سنة ألف ومائة وثلاث عشرة استحسن ان يعرض للدولة العلية اقامة ولده الشريف سعيد مقامه فى شرافة مكة وينزل عنها له فكتب عرضا وأرسله الى الابواب العلية فاجيب الى ذلك وجاء الجواب فى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة وجاءت المراسيم بولاية الشريف سعيد مع مخصوص وأدخلوه مكة بآلاى أعظم وجلس فى الحطيم مولانا الشريف وصاحب جدة والقاضى والمفتى وأعيان الناس فورد الاغاة الى الحطيم بالامر السلطانى والتشريف فلبس مولانا الشريف سعيد وألبس أرباب المناصب على جرى العادة وباب الكعبة مفتوح الى أن انقضت قراءة الاوامر وكانت ثلاثة وفيها الوصية على الحجاج والرعايا والمجاورين كما هو العادة ودعا الشيخ محمد ابن الشيخ عبد المعطى الشيبى وانقضى

وقتلوا من الفرنج نحو ثلاثمائة ثم هادنهم الفرنج على مال وخيل ثم رحلوا عنهم الى انطرسوس
وهى من اعمال طرابلس فحصروها وملكوها وقتلوا من بها من المسلمين ثم ساروا الى حصن الطوبان
فقاتلهم ابن العريض وأسر فارسا من اكابر الفرنج فبذلوا فى فدائه عشرة آلاف دينار والف
أسير فلم يجبهم ابن العريض الى ذلك وفى هذه السنة أيضا سار الفرنج الى حمص وقائدهم ملك من
ملوكهم يسمى صنجيل فحاصروها وملكوا أعمالها ونزل القمص على عكا وضيق عليها وكاد
يأخذها ونصب عليها المنجنيقات والابراج وكان له فى البحر ست عشرة قطعة فاجتمع المسلمون
من سائر السواحل وأتوا الى منجنيقاتهم فأحرقوها وأحرقوا سفنهم وكان ذلك نصرا عجيبا
للمسلمين أذل الله به الكفار وفيها سار القمص الفرنجى الى بيروت وحاصرها وضايقها وأطال
المقام عليها فلم يرفيها طمعا فرحل عنها وفيها فى رجب خرجت عساكر من مصر الى عسقلان
ليمنعوا الفرنج عما بقى فى أيديهم من بلاد الشام فسمع بهم بردويل صاحب القدس فسار اليهم
وقاتلهم فنصر الله المسلمين وانهزم الفرنج وكثر القتل فيهم وانهزم بردويل فاختفى فى أجمة
قصب فأحرقت تلك الاجمة ولحقت النار بعض جسده ونجا منها الى الرملة فتبعه المسلمون
وأحاطوا به فتنكر وخرج منها الى يافا وكثر القتل والاسر فى اصحابه وفى سنة ٤٩٦ جاءتهم
جيوش المسلمين من مصر ووقعت بينهم وقائع يطول ذكرها كانت الغلبة فى بعضها للمسلمين
وفى بعضها للفرنج وخرجت هذه السنة وبيد الفرنج لعنهم الله البيت المقدس وفلسطين ماعدا
عسقلان وبيدهم أيضا يافا وارسوف وقيسارية وحيفا وطبرية ولاذقية ولهم بالجزيرة الرها
وسروج وكان صنجيل يحاصر طرابلس الشام والمواد تأتيه وبها فخر الملك بن عمار وكان يرسل
اصحابه فى المراكب يغزون على البلاد التى بيد الفرنج ويقتلون من وجدوا وفى سنة ٤٩٧ أغار
الفرنج من الرها على مرج الرقة وقلعة جعبر واستاقوا المواشى وأسروا من وقع بأيديهم من
المسلمين وفى هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج الى مدينة لاذقية فيها الاجناد والتجار
فاستعانوا بهم على حصار طرابلس برا وبحرا وضايقوها وقاتلوها أياما فلم يروا فيها مطمعا
فرحلوا الى مدينة جبيل فحاصروها وقاتلوا اهلها قتالا شديدا فلما رأى أهلها عجزهم
عن الفرنج أخذوا أمانا وسلموا البلد اليهم فلم تف الفرنج لهم بالامان وأخذوا اموالهم وعاقبوهم
بالعقوبات وأنواع العذاب فلما فرغوا من جبيل ساروا الى مدينة عكا واستعانوا بملكهم صاحب
القدس على حصارها فنازلوها وحاصروها فى البر والبحر ثم ملكوها وفعلوا بأهلها الافعال
الشنيعة ثم ساروا الى حران ووقع بينهم وبين المسلمين وقائع يطول ذكرها كان النصر فيها
للمسلمين وقتلوا من الفرنج اثنى عشر الفا وأسروا القمص فافتداه الفرنج بخمسة وثلاثين
ألف دينار وستين أسيرا من المسلمين وفى سنة ٤٩٨ سار الفرنج الى حصن أرتاح ووقع بينهم
وبين المسلمين قتال شديد وانهزم المسلمون وقتل وأسر كثير منهم وملك الافرنج الحصن وفى
سنة ٤٩٩ وقع بينهم وبين المسلمين قتال على حصن كان بيد الفرنج بينه وبين دمشق يومان
فملكه المسلمون وقتلوا من كان بالحصن من الفرنج واستبقوا الفرسان أسرى وكانوا مائتى فارس
وملكوا أيضا منهم حصن رفنية وهو من حصون الشام وقتلوا به خمسمائة من الفرنج وفى هذه
السنة ملك الفرنج حصن افامية وكان من امنع الحصون الشامية وقتلوا من فيه من المسلمين

رأى مولانا الشريف سعيد الجلوس للتهنئة فى المدرسة القرب من المسجد فدخل مولانا
الشريف سعيد فقبل يديه وركبتيه وهو يدعو له وعينا كل منهما تذرفان بالبكاء من شدة الفرح ثم خرج من عند والده وركب الى داره التى بسوق الليل للمبارك فتوجه ونحوه الشعراء بقصائد

(الولاية الثالثة للشريف سعيد بن سعد سنة ١١١٣)

ولما كان يوم السبت طلع الاغاة الوارد بالقفطان بخلعة سمور وكتاب آخر خاص لمولانا الشريف سعيد وألبسه الفرو الوارد عليه من الابواب زيادة فى الاكرام والعناية وخوطب فى كتابه بغاية اللطافة وهذه الولاية الثالثة للشريف سعيد لكن ماقبلها كان بغير أمر سلطانى ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف سعيد لبس الخلعة وخرج معه والده فلبس الشريف سعيد الخلعة ورجع وحج بالناس ومن الوقائع فى هذه السنة ان أمير الحاج الشامى ذهب لبلك باشا عسكره غلام وذهب لابن أخت الباشا صاحب جدة غلام فصار كل واحد يسأل عن غلامه فجاء الخبر لابن أخت الباشا ان غلامه عند بلك باشا
العسكر الشامى معزوزا فركب ليأخذه فلما وصل الى الباشا أمير الحاج الشامى أمر بأخذه فى الحديد فأخذ وجعل فى الحديد

وفي سنة ٥٠٠ وقعت وحشة بين ملك القسطنطينية والافرنج الذين بالشام ثم وقع بينهم قتال شديد انهزم فيها الفرنج ولم يزل الفرنج يتابعون الحصار على طرابلس الشام وبيروت والكلام على ذلك طويل الى أن ملكوهما سنة ٥٠٣ وقتلوا وأسروا كثيرا من الرجال وسبوا النساء والاطفال ونهبوا من الاموال مالا يحصى ثم ملكوا بانياس وصيدا وصور وحصن أرتاب وهو قريب من حلب وغير ذلك وفي سنة أحدى عشرة وقيل أربع عشرة قصد بردويل بجيوشه الديار المصرية ليأخذها فانتهى الى غزة ودخلها وخربها وأحرق مساجدها ورحل عنها وهو مريض فهلك في الطريق والحاصل أن الفرنج لم يزالوا يتملكون كثيرا من الممالك الشامية ويقع بينهم وبين المسلمين الوقايع الهائلة التي يطول الكلام بذكرها حتى لم يبق بيد المسلمين سوى حمص وحماه والشام وحلب وبعض القرى الحقيرة واستمر الحال الى سنة ١١٢٨ مسيحية الموافق سنة ٥٢٢ هجرية فصار ملك حلب والموصل للسلاطين السلجوقية وانتزعوهما من بعض امراء المسلمين المتغلبين عليهما فأقاموا فيهما عماد الدين زنكي والد السلطان محمود نور الدين الآتي ذكره وكان لعماد الدين شجاعة وشهامة وعزم شديد على جهاد الكفار فشن على الافرنج الغارات ووالى عليهم الغزوات واسترجع كثيرا مما ملكوه وتوفي مقتولا قتله بعض مماليكه سنة ٥٤١ وكان أبوه آق سنقر مملوكا للسلطان ملك شاه السلجوقي ولما قتل عماد الدين وصار ملك حلب لابنه السلطان نور الدين محمود كان على الفرنج أشد من أبيه فزاد في قتالهم ونكايتهم وكان من أهل العلم والصلاح والتقوى والاستقامة وله ترجمة طويلة سيأتي ذكرها فأول ما ابتدأ في ولايته انه جهز جيشا لقتال الافرنج وفتح مدينة ارتاح وأورفا وأماكن أخر وفي سنة ١١٤٧ مسيحية الموافق سنة ٥٤٣ هجرية اشتدت حروب السلطان محمود وتوالت غزواته وفتوحاته فاستمد الفرنج الذين كانوا في مدائن الاسلام بالفرنج اهل أوروبا فأمدوهم بنجدة عظيمة تحت قيادة ملك جرمانيا والمانيا وملك فرانسا لويز السابع وقبل قدوم ملك فرانسا بأيام يسيرة وصل ملك جرمانيا الى فلسطين في حالة يرثى لها اذ كان قد تلف اكثر من نصف جيشه في الطريق بعضهم بالجوع والمرض وبعضهم بالسيف في المعارك التي أثارها عليهم الاعداء في أثناء الطريق فلما بلغ سواحل سوريا وافته مواكب السلطان نور الدين بجيوش الاسلام وفتكت بعساكره فانهزم مع باقي جيشه وبلغها وهو راجع التقى بملك فرنسا مع جنوده وقد وصلوا الى حالة أحسن من حالته فالتقتهم جيوش الاسلام في نواحي انطاكية واشتبت بينهم نيران القتال واستمر القتال بينهم مدة ايام وكانت الدائرة على ملك الفرنسيس وجنوده فانقلب راجعا ببقية قواده وجيوشه ونزلوا في السفن وساروا الى القدس وانضموا الى ما فيه من العساكر مع بقايا لعساكر الجرمانية وفي سنة احدى وأربعين وخمسمائة ملك الفرنج طرابلس الغرب وفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة غزا نور الدين الفرنج من نواحي انطاكية وقتل البرنس صاحب أنطاكية وهزم الفرنج هزيمة قبيحة وقتل منهم جمعا كثيرا وأسر مثلهم وأكثر الشعراء من القصائد بمدحه وتهنئته وفتح نور الدين في هذه السنة والتي تليها حصونا كثيرة وكان الفرنج نازلوا دمشق مرارا وحاصروها فلم يقدروا على تملكها واستمر القتال والغزوات بينهم وبين السلطان نور الدين الى سنة ١١٧٣ مسيحية الموافق سنة ٥٦٩ وكان السلطان صلاح الدين

وخرج الباشا بالمحمل يوم عشرين وهو معه في الحديد وكان الباشا صاحب جدة قد نزل الى جدة لاستلام المراكب الهندية فأرسل مولانا الشريف سعد الى الباشا يشفع في اطلاقه فلم يقبل شفاعته ثم أرسل قاضي مكة فلم يقبل وساربه معه ولم يلتفت الى أحد فلما وصلوا الى عسفان وجدوا اعلام بلك باشا العسكر الشامي فأخذ الغلام ولم يطلق المعتقل وساربه الى المدينة فتكلم فيه شيخ حرم المدينة وفكه بنحو عشرين كيسا ورجع من المدينة الى جدة ولم يزل مولانا الشريف سعيد ووالده متفقين مع الاشراف الى سنة خمس عشرة ومائة وألف فتنافر مولانا السيد عبد الكريم ابن محمد بن يعلى بن حمزة بن موسى بن بركات مع مولانا الشريف سعيد لامر اقتضاه فخرج مغاضبا وخرج لخروجه جماعة من بني عمه آل بركات ثم اتسع الخرق فخرج جماعة من كبار الاشراف ومشايخ من آل حسن وآل قتادة وأعظم الاسباب لجميع المطالبة في المعاليم وأخذ كل لنفسه أجله وتوافق الخارجون وتحالفوا وتعاهدوا على اتحاد الكلمة فقام مولانا الشريف سعد ساعيا في الصلح بينهم وبين ولده وقام معه في الصلح جماعة من الاشراف واجتهدوا غاية الاجتهاد فما أمكن

(ابن)

ابن أيوب من أتباع السلطان نور الدين فجهزه الى مصر سنة ٥٦٤ وتملك مصر وانتزعها من العبيديين وقصة ذلك طويلة مذكورة في التواريخ وكان السلطان صلاح الدين في العلم والتقوى والصلاح مثل السلطان نور الدين فلما توفي السلطان نور الدين سنة ٥٦٩ جمع السلطان صلاح الدين بين ملك مصر والشام فصار الملك فيهما له وتابع الغزوات في قتال الفرنج لاستخلاص ما بأيديهم من ممالك المسلمين وأول قتال وقع بينه وبين الافرنج كان في حيات نور الدين سنة ٥٦٥ وذلك انه جاءت جموع كثيرة منهم وحاصروا مدينة دمياط وضيقوا على من بها فجهز السلطان صلاح الدين من مصر بجيوش حافلة وقاتلهم وأمده السلطان نور الدين بجيوش كثيرة وشن عليهم السلطان نور الدين الغارات بالشام ووالى على المدائن التي بأيديهم الغزوات فارتحلوا من دمياط ورجعوا خائبين وفي سنة ٥٦٦ سار السلطان صلاح الدين من مصر وأغار على الفرنج بعسقلان والرملة وهجم على ربض غزة فنهبه فأتاه ملك الفرنج بعساكر ليرده فقاتلهم وهزمهم وأفلت ملك الفرنج بعد ان أشرف ان يوخذ أسيرا وعاد صلاح الدين الى مصر ثم غزا ايلة برا وبحرا وانتزعها من الفرنج وفي سنة ٥٦٩ كتب بعض اهل مصر أتباع العبيديين الذين انقرضت دولتهم الى الفرنج الذين بالشام والذين بصقلية ان يرسلوا اليهم جيوشا يستعينون بهم على اخراج السلطان صلاح الدين من الديار المصرية فبعث اليهم الفرنج مائتي اسطول تحمل الرجالة وثلاثين طريدة تحمل الخيل وست مراكب كبار تحمل آلة الحرب وأربعين مركبا تحمل الازواد وفيها من الرجالة خمسون ألفا ومن الفرسان ألف وخمسمائة ونازلوا الاسكندرية في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ٥٦٩ على حين غفلة من اهلها وطمأنينة فخرج أهل الاسكندرية بسلاحهم وعدتهم ليمنعوهم من النزول فمنعهم الوالي عليهم من ذلك وامرهم بملازمة السور ونزل الفرنج في البر مما يلي البحر وتقدموا الى المدينة ونصبوا عليها الدبابات والمنجنيقات وقاتلوا أشد القتال وصبر لهم اهل البلد ولم يكن عندهم من العسكر الا القليل ورأى الفرنج من شجاعة اهل الاسكندرية وحسن سلاحهم ما راعهم وسيرت الكتب بالحال الى مصر الى السلطان صلاح الدين يستدعونه لدفع العدو عنهم ودام القتال اول يوم الى آخر النهار ثم عاود الفرنج القتال اليوم الثاني وجدوا ولازموا الزحف حتى وصلت الدبابات الى قريب السور ووصل ذلك اليوم من العساكر الاسلامية من كان قريبا من الاسكندرية فقويت بهم نفوس اهلها وأحسنوا القتال والصبر فلما كان اليوم الثالث فتح المسلمون باب البلد وخرجوا منه على الفرنج من كل جانب وهم غارون وكثر الصياح من كل جهة فارتاع الفرنج واشتد القتال فوصل المسلمون الى الدبابات فأحرقوها وصبروا للقتال فأنزل الله نصره عليهم وظهرت أماراته ولم يزل القتال الى آخر النهار ودخل اهل البلد اليه وهم فرحون مستبشرون بما رأوا من تباشير الظفر وفشل الفرنج وكثر القتل فيهم والجراح واما صلاح الدين فانه لما وصله خبر منازلة الفرنج لاسكندرية سار من مصر بعساكره وسير طائفة من العسكر الى دمياط خوفا عليها واحتياطا وسير مملوكا له مبشرا لاهل الاسكندرية بقدوم صلاح الدين والعساكر فوصل المملوك للاسكندرية وقت العصر والناس قد رجعوا من القتال فنادى في البلد

وتقطعت بسبب ذلك السبل ونهبت الاموال من طريق جدة وسائر الجهات فكم من مال أخذوه وقتيل نبذوه ثم أن الشريف سعدا ذهب اليهم بنفسه بوادمر وضمن لهم وفاء جميع ما اجتمع لهم من المعلوم وقال لهم ان ألزمت ولدي بتسليمه الآن يعتذر بالعجز وحسن لهم أخذ البعض وعينه لهم وما بقي فأنا الكفيل لخلاصه فرضوا بذلك وشرطوا عليه شروطا منها الدفان عما وقع في الطريق من النهب والقتل ومنها انهم يكونون على ما تعاهد واعليه من غير نقض ابرام منه ومنها انه اذا لم يتم ما التزمته لنا تكون يدك مع يدنا ونكون نحن وأنت عليه فضمن لهم كل ذلك وقبله واختار أن يدخل مكة معه جماعة منهم للاقاة ابنه الشريف سعيد فدخل مكة ومعه جماعة من الاشراف منهم ابن أخيه السيد عبد المحسن بن أحمد ابن زيد والسيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى وحسن بن غالب وسرور بن يعلى فدخلوا وقابلوا الشريف سعيدا وبدؤا عليه في دار السعادة وخرجوا من عنده ولم يفاتحهم بشيء وعرض الشريف سعد على ولده ما صار بينه وبين بني عمه فامتنع وأبى وقال بل أحاسبهم على جميع ما أخذوه من الناس من الاموال وأحسبه من معاليمهم ولابد أن ينفكوا عن هذا الحلف الذي بينهم ويعاملني كل واحد وحده

يبشرهم بمجيء صلاح الدين والعساكر مسرعين ثم وصل صلاح الدين بعساكره في أثر الملوك فلما سمع الناس ذلك فرحوا وعادوا الى القتال وقد زال ما بهم من تعب القتال وألم الجراح وكل منهم يظن ان صلاح الدين معه فهو يقاتل قتال من يريد ان يشاهد قتاله وسمع الفرنج بوصول صلاح الدين في عساكر فسقط في ايديهم وازدادوا تعبا وفتورا فهاجمهم المسلمون عند اختلاط الظلام ووصلوا الى خيامهم فغنموها بما فيها من الاسلحة الكثيرة والتجملات العظيمة وكثر القتل في الفرنج فهرب كثير منهم الى البحر وقربوا شوانيهم الى الساحل ليركبوا فيها فسلم بعضهم وركب وغرق بعضهم وغاص بعض المسلمين في الماء وخرق بعض شواني الفرنج فغرقت فخاف الباقون من ذلك فولوا بشوانيهم هاربين واحتمى ثلاثمائة من فرسان الفرنج على رأس تل فقاتلهم المسلمون الى بكرة ودام القتال الى ان أضحى النهار فغلبهم اهل البلد وقهروهم فصاروا بين قتيل واسير وكفى الله المسلمين شرهم وفي سنة ٥٧١ عظم ملك صلاح الدين فكاتبه الفرنج وطلبوا منه صلحا وهدنة فهادنهم على شروط معلومة وفي سنة ٥٧٣ انتقض الصلح لامور جرت فسار السلطان صلاح الدين من مصر بجيوشه قاصدا قتال الفرنج وكان ذلك في جماد الاولى من السنة المذكورة فوصل الى عسقلان في الرابع والعشرين من الشهر هو وجنوده فنهبوا وأسروا وقتلوا وأحرقوا وتفرقوا في تلك الاعمال مغيرين فلما رأوا أن الفرنج لم يظهر لهم عسكر ولا اجتمع لهم من يحمي البلاد طمعوا وساحوا في الارض آمنين ووصل صلاح الدين الرملة عازما على ان يقصد بعض حصونهم ليحصره فوصل الى نهر فازدحم الناس للعبور فلم يرعهم الا والافرنج قد أشرفت عليهم بجنودها وابطالها وكان مع صلاح الدين بعض العسكر لان اكثرهم تفرقوا في طلب الغنيمة فلما رأى الفرنج وقف لهم قبالته وقاتلهم فقتل جماعة من الفريقين وقتل بن تقي الدين بن اخي صلاح الدين ثم صارت الهزيمة على المسلمين وحمل بعض الفرنج على صلاح الدين فقاربه حتى كاد يصل اليه فقتل الفرنجي بين يديه وتكاثر الفرنج عليه فمضى منهزما يسير قليلا ويقف قليلا ليلحقه العسكر الى ان دخل الليل فسلك البرية الى ان مضى في نفر يسير الى مصر ولقوا في طريقهم مشقة شديدة وقل عليهم القوت والماء وهلك كثير من الدواب جوعا وعطشا وسرعة سير وأما العسكر الذي دخلوا بلاد الفرنج في الغارة فان أكثرهم ذهب ما بين قتيل واسير وكان من جملة من أسر الفقيه عيسى الهكاري وكان من اشد الناس قتالا وكان جامعا بين العلم والدين والشجاعة واسر ايضا اخوه الظهير وكان قد سارا منهزمين فضلا الطريق فأخذا ومعهما جماعة من اصحابهما وبقوا سنين في الاسر فافتدى صلاح الدين الفقيه عيسى بستين ألف دينار وفدى ايضا جماعة كثيرة من الاسرى ولما حصلت هذه الهزيمة سار الفرنج الى مدينة حماه وحاصروها وكان الامير عليها شهاب الدين الحارمي فقاتلهم هو واهل البلد وكاد الفرنج يملكون البلد واشتد القتال وعظم الخطب وهجم الفرنج على بعض البلد ودام القتال ليلا ونهارا واستقتل المسلمون وحاموا عن الانفس والاهل والمال ثم أنزل الله عليهم النصر فأكثروا القتل في الفرنج واخرجوهم من البلد فارتحلوا خائبين وكفى الله المسلمين شرهم ثم ساروا وحاصروا حارم فلم يتمكن لهم اخذها فساروا عنها

فلما بلغهم ذلك رجعوا الى مر الظهران ونفوسهم غير طيبة بعد أن ألزموا الشريف سعدا أن يعطيهم اليد وفاء بالشرط ولما قرب شهر الحج واحتاج الناس الى قضاء شعار الحج وضاق الوقت تصدى الوزير سليمان باشا صاحب جدة لتسكين هذه الحركة والفتنة الطامة وبذل في ذلك الهمة فكاتب السادة الاشراف ووعدهم وضمن لهم خلاص ما هو لهم في الذمة من المال وبذل لهم ما وسعته قدرته في الحال وشرط عليهم حفظ طريق جدة رعاية لمن بها من الغرباء الواصلين كي لا يفوتهم الحج ففعلوا ما شرط عليهم وأمنوا الطريق وصارت القوافل بل صاروا يمشون مع القوافل بأنفسهم الى ان تدخل مكة ذهابا وايابا ثم ان سليمان باشا أخبر مولانا الشريف سعيدا بما وقع وقال له اني التزمت لهم في ذمتي بخلاصهم فأجابه بأن ما فعلته هو الصواب ثم ان الشريف سعيدا بعث لي الاشراف وكانوا نحوا من ثلاثمائة شريف يسألهم أن يعرضوا معه في خروجه الى أمراء الحج على جرى العادة فمنعوا ولم يعرض منهم أحد الا بعض أشراف كانوا في عملته لم يجاوزوا الثلاثين فلما أقبل الحج والأمر انتقلت الاشراف الى الحسينية بوادي مر لخوف الناس وهم في غاية الخوف ولم يحج من أهل مكة الا

(وفى)

وفي سنة ٥٧٤ في ربيع الاول سار جمع كثير من الفرنج الى مدينة حماه وكثر جمعهم من الفرسان والرجالة طمع في النهب والغارة فشنوا الغارة ونهبوا وخربوا القرى في طريقهم وأسروا وقتلوا فلما سمع العسكر المقيمون بحماه ساروا اليهم وهم قليل متوكلون على الله تعالى فالتقوا واقتتلوا وصدق المسلمون القتال فنصرهم الله تعالى وانهزم الفرنج وكثر القتل والاسر فيهم واستردوا ما غنموا من السواد وكان صلاح الدين بحمص فحملت الرؤس والاسرى والاسلاب اليه فأمر بقتل الاسرى فقتلوا لان الامام مخير في الاسرى بين القتل والفداء والمن بلا فداء وفي ذي القعدة من هذه السنة اجتمع الفرنج وساروا الى دمشق مع ملكهم فأغاروا على أعمالها فنهبوها واسروا وقتلوا وسبوا فأرسل صلاح الدين فرخشاه ولد اخيه ومعه كثير من العسكر فقاتلهم ونصره الله عليهم وقتل كثيرا منهم وقتل جماعة من مقدميهم منهم هنفرى كان يضرب به المثل في الشجاعة والرأى في الحرب فأراح الله من شره وفي سنة ٥٧٥ بنى الفرنج حصنا منيعا بالقرب من بانياس عند بيت يعقوب عليه السلام فكان يعرف بمخاضة الاحزان فلما سمع بذلك صلاح الدين بذل للفرنج ستين الف دينار ليهدموه بغير قتال فامتنعوا فسار من دمشق الى بانياس واقام بها وبث الغارات على الفرنج ثم سار الى الحصن بعساكره فحاصروا الحصن وقاتلوا من به وعاد هو الى بانياس وخيله تغير على بلاد العدو وارسل جماعة من عسكره مع جالبي الميرة فلم تشعر الا والفرنج مع ملكهم قد خرجوا عليهم فأرسلوا الى صلاح الدين يعرفونه الخبر فسار في العساكر مجدا فوافاهم وهم في القتال فقاتل الفرنج قتالا شديدا وحملوا على المسلمين حملات كادوا يزيلونهم عن مواقفهم ثم أنزل الله نصره على المسلمين وهزم المشركين وقتلت منهم مقتلة كثيرة ونجا ملكهم فريدا وأسر كثير منهم ابن بيرزان صاحب الرملة ونابلس وهو أعظم الفرنج محلا بعد الملك واسروا ايضا اخاه صاحب جبيل وصاحب طبرية وغيرهم من مشاهير فرسانهم فأما ابن بيرزان فانه فدى نفسه بمائة ألف وخمسين الف دينار واطلاق الف اسير من المسلمين ثم عاد صلاح الدين الى بانياس من موضع المعركة وتجهز لدخول الى ذلك الحصن ومحاصرته فأحاط به وبث العساكر للاغارة على الفرنج في تلك الاطراف ثم زحف المسلمون على الحصن واشتد القتال وعظم الأمر ونقبوا الحصن وأشعلوا النيران فيه وانتظروا سقوط السور وكان عرضه تسعة اذرع بالنجارى فلم يسقط الا بعد أيام فدخل المسلمون الحصن عنوة وقتلوا كل من فيه وأطلقوا من كان فيه من أسرى المسلمين وقتل صلاح الدين كثيرا من اسرى الفرنج وادخل الباقين الى دمشق فسجنوا واقام صلاح الدين بمكانه حتى هدم الحصن وعفى اثره وألحقه بالارض وكان جملة من الفرنج قد اجتمعوا بطبرية ليحموا الحصن فلما اتاهم الخبر بأخذه تفرقوا وفي سنة ٥٧٨ فتح المسلمون شقيفا واخذوه من الفرنج وهو من اعمال طبرية مطل على السواد وكان على المسلمين منه أذى شديد ولما بلغ الفرنج مسير صلاح الدين من مصر الى الشام جمعوا له وحشدوا الفارس والراجل واجتمعوا بالكرك بالقرب من الطريق لعلهم ينتهزون فرصة وربما عاقوا المسلمين عن السير بأن يقفوا على بعض المضايق فلما فعلوا ذلك خلت بلادهم من ناحية الشام فسمع فرخشاه ابن اخي صلاح الدين الخبر فجمع من عنده من عساكر الشام وقصد ما بأيديهم

عليهم الوزير سليمان باشا صاحب جدة فلما أن سافر الحج وأقفر الفج أخذ الاشراف في الارتحال من الحميماء ونزلوا ابا الزاهر في السابع والعشرين من ذى الحجة فشعر بهم الشريف سعيد وأرسل يطلبهم الى الشرع الشريف فوكلوا من جانبهم السيد عبدالله بن سعيد بن شنبر فجاء الى المحكمة ومعه السيد عبيدالله بن حسن بن جود الله وزين العابدين ابن ابراهيم بن محمد شهودا على الوكالة وكان الشريف سعيد قد نزل قبلهم الى المحكمة وكان قاضى مكة ذلك العام القاضى أحمد البكرى أحد السادة البكرية المقيمين بالشام لا المصريين فادعى السيد عبدالله بموجب وكالته عن جماعته على مولانا الشريف سعيد بأنه منعهم من حقوقهم من مداخيل البلد وخلايفها لم يعطهم ما يستحقونه واختص بكل ذلك دونهم وهم شركاؤه فيه وقد مضت قواعدهم من زمن الشريف قتادة بذلك وانهم لا يعاملونه الا على ذلك فان بذلك قوام معاشهم فأنكر ذلك مولانا الشريف سعيد وقال ليس لكم حق وانما تأخذون

 من صاحب مكة مايعطيكم من قبيل صلة الرحم ومدخول مكة خاص به

من البلاد وأغار عليها ونهب وبورية ومايجاورها من البلاد وأسر الرجال وقتل وسبى النساء وغنم الاموال وفتح منهم الشقيف ففرح المسلمون بفتحه فرحا عظيما لما كان يحصل لهم من الاذى منه ولما وصل صلاح الدين الى دمشق سار الى طبرية وكان الفرنج بجموعها نازلة بطبرية فنزل بالقرب منها واغار ابن اخى صلاح الدين على بيسان فدخلها قهرا وغنم مافيها وقتل وسبى وأغارت العساكر والعربان فى تلك الولاية حتى قاربوا مرج عكا وسار جماعة من الفرنج من طبرية فنزلوا تحت جبل كوكب فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا وأثخنوا القتل فيهم فرجعوا ورجع صلاح الدين الى دمشق ثم سار منها الى بيروت يريد حصارها وفتحها فأتاه الخبر ان البحر ألقى مركبا للفرنج فيه جمع عظيم منهم الى دمياط كانوا قد خرجوا لزيارة بيت المقدس فأسر المسلمون من بها بعد ان غرق كثير منهم وكان عدة الاسرى ألفا وستمائة وستا وسبعين أسيرا فضربت بذلك البشائر وسار اسطول للمسلمين من مصر فى البحر فلقوا اسطولا للفرنج فيه ثلاثمائة منهم معهم الاموال والسلاح مرسلين الى فرنج لساحل فقاتلهم المسلمون فظفروا بهم واخذوا الفرنج اسرى فقتلوا بعضهم وابقوا بعضهم وغنموا مامعهم ثم اغار صلاح الدين على بيسان فأحرقها وخربها وقتل من فيها ثم أغار على الكرك وأطرافها ثم وصل الى نابلس فأحرقها وخربها وقتل واسر وسبى ولم يزل يشن على الفرنج الغارات فى كل الاطراف ويطول الكلام بذكر وقايعه مع الفرنج الى ان فتح طبرية بعد قتال شديد ووقايع هائلة واكثر القتل والاسر فى الفرنج وكان جيش صلاح الدين لما حاصر طبرية ثمانين الفا فلما أشرف عليها وحاصرها وافاه ملك الفرنج الذى ببيت المقدس بجيوش هائلة للمدافعة والمحامات عن اهل طبرية لانها كانت عندهم من اهم مراكز البلاد وهناك التقى العسكران وماجت الارض بالعساكر واستمر القتال بين الفريقين وكانت الدائرة على أهل الصليب فانقلبوا منهزمين على الاعقاب طالبين النجاة بعد ان فقد منهم نحو ثلاثين الفا ووقع الملك اسيرا مع خواصه واكابر رؤسائه فى أيدى الاسلام وعند نهاية الحرب قتل صلاح الدين مائتين وثلاثين رجلا من أعيان الافرنج المأسورين واما الملك فانه ارسله الى دمشق ثم سار صلاح الدين الى عكا وحاصرها وضيق عليها فطلب اهلها الامان فأمنهم على أنفسهم وأموالهم وخيرهم بين الاقامة والظعن فاختاروا الرحيل خوفا من المسلمين وساروا متفرقين وحملوا ما امكنهم حمله وتركوا الباقى على حاله ودخل المسلمون عكا يوم الجمعة مستهل جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ثم تتابعت الفتوحات بعد فتح طبرية وعكا وهما فتحان عظيمان وفى الحقيقة هما اول الفتوحات والذى كان قبلهما انما كان اغارة فى الاطراف وغزوات وسريات وسبب تأخر الفتوحات الى سنة ٥٨٣ مع ان السلطان نور الدين توفى سنة ٥٦٩ وصار الملك بعده لصلاح الدين ان كثيرا من عمال السلطان نور الدين الذى تحت حكمهم كثير من ممالكه امتنعوا من الدخول تحت طاعة السلطان صلاح الدين ووقع بينه وبينهم محاربات فى هذه السنين يطول الكلام بذكرها حتى ادخلهم تحت طاعته وصفى له الامر وقبل ذلك ما كان متمكنا من التفرغ لقتال الفرنج كل التفرغ واما فى هذه السنة سنة ٥٨٣ فقد تفرغ لهم كل التفرغ وتوجه غاية التوجه ولما ارتحل الفرنج

على غير خاتمة ورجع الاشراف الى جماعتهم بالزاهر بعد ان اجتمعوا بالشريف سعد وعاتبوه على دعواهم الى القاضى فاعتذر وحلف أنه لا علم له بهذا القدر فقبلوا عذره ثم ان الشريف سعدا ركب بنفسه وخرج اليهم فى الزاهر وخطأ ابنه فى فعله واستسمحهم وقال هبوها لاجلى وسترون فى حقكم معه وأنا المطالب بجميع ماهو لكم فقبلوا ذلك وطلب جماعة منهم يدخلون معه مكة فدخل معه السيد أحمد بن زين العابدين لاستلام ما قام به لهم فلما دخل بهم البلد رأوا زنده قد صلد وكان ذلك آخر يوم من شهر ذى الحجة سنة خمس عشرة ومائة وألف ودخل عقب ذلك المحرم من سنة ست عشرة فرفعت الفتنة رأسها ووطأت أساسها يوم الثالث فانتشر عبيد الاشراف بأعالى تلك الجبال وشنوا الغارة وملكوا تلك الجبال الى الجبل الطال على تربة العيدروس بالشبيكة وانتهوا الى أسفل جبل عمر من المسفلة ومن جبل قعيقعان الى الجبل الطال على

سويقة وأخذ باطنة الشبيكة جماعة من الاشراف حتى انتهوا الى مقبرة الشبيكة ووصل جماعة من العبيد (من)

الى جهة المعلى فملكوا الجبل المطل على الوادي بحيث لا يفوتهم الصاعد من هناك وبات الاشراف في

عكة ودخلها المسلمون غنموا ما بقي مما لم يطق الفرنج حمله وكان من كثرته يعجز الاحصاء [illegible] أوا فيها من الذهب والجوهر والبندق والسلاح وغير ذلك من انواع الامتعة كثيرا [illegible]ت مقصد التجار الفرنج والروم وغيرهم من اقصى البلاد وادناها وكان كثير منها [illegible] التجار وسافروا عنه لكساده فلم يكن له من ينقله فغنمه المسلمون واقام صلاح الدين بعكا اياما لاصلاح حالها وتقرير قواعدها ثم ارتحل وفرق العساكر الى الناصرية وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكا فملكوها ونهبوها وأسروا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها وقدموا بما سد الفضا وبعث اخاه سيف الدين [illegible] مدينة يافا فحصرها وملكها وغنم ما فيها واسر الرجال وسبي الحريم وجرى على أهلها [illegible] من اهل تلك البلاد وسار صلاح الدين وابن اخيه تقي الدين وكثير من العسا[illegible]نين وضايقوها وهي من القلاع المنيعة على جبل فلما ضاق عليهم الامر [illegible]حصر أطلقوا من كان عندهم من اسرى المسلمين وهم يزيدون على مائة ثم أرسلوا يطلبون الامان فأمنهم وسيرهم الى مأمنهم ثم رحل الى صيدا فاجتاز في طريقه بصرفند فأخذها صفوا عفوا بغير قتال ثم سار الى صيدا وهي من مدن الساحل المعروفة فلما سمع صاحبها بمسيره نحوه سار عنها وتركها فارغة من مانع ومدافع فلما وصلها صلاح الدين تسلمها ساعة وصوله ثم سار عنها الى بيروت وهي من احصن مدن الساحل فلما وصل اليها رأى أهلها قد صعدوا على سورها وأظهروا القوة والجلد والعدد وقاتلوا على سورها قتالا شديدا واغتروا بحصانة البلد وظنوا أنهم قادرون على حفظه وزحف المسلمون اليهم مرة بعد اخرى فبينما الفرنج يقاتلون اذ سمعوا من البلد جلبة عظيمة وغلبة زائدة وأتاهم من أخبرهم ان البلد قد دخله المسلمون من الناحية الاخرى غلبة وقهرا فأرسلوا ينظرون ما الخبر واذا ليس له صحة فأرادوا تسكين من به فلم يمكنهم ذلك لكثرة ما اجتمع فيه من السواد فلما خافوا على انفسهم من الاختلاف الواقع ارسلوا يطلبون الامان فأمنهم على انفسهم واموالهم وتسلمها في التاسع والعشرين من جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان مدة حصرها ثمانية ايام ثم اراد صلاح الدين السير الى جبيل وكان صاحبها من جملة الاسرى الذي سيروا الى دمشق فتحدث مع نائب صلاح الدين بدمشق في تسليم جبيل على شرط اطلاقه فعرف صلاح الدين بذلك فأمر بارساله اليه فأحضره مقيدا وكان العسكر حينئذ على بيروت فسلم حصنه وأطلق اسرى المسلمين الذين به وأطلقه صلاح الدين كما شرط له وكان هذا صاحب جبيل من اعيان الفرنج واصحاب الرأي والمكر والشر يضرب به المثل بينهم وكان للمسلمين عدوا أزرق فكان اطلاقه من الاسباب الموهنة للمسلمين على ما سيأتي بيانه ولما ملك صلاح الدين بيروت وجبيل وغيرهما كان أمر عسقلان والقدس عنده أهم لاسباب منها انهما على طريق مصر يقطع بينهما وبين الشام وكان يختار ان تتصل الولايات فيسهل خروج العسكر منها ودخولهم اليها ولما في فتح القدس من الذكر الجميل والصيت العظيم الى غير ذلك من الاغراض فسار عن بيروت نحو عسقلان واجتمع بأخيه سيف الدين العادل ومن معه من عساكر مصر ونازلوها يوم الاحد سادس عشر جمادى الآخرة وكان صلاح الدين قد احضر من دمشق

مضاربهم فلما رأوا شدة الحركة انتقلوا من الزاهر الى ذي طوى ووقفوا هناك وتقدم بعض العبيد فدخلوا بيت عتاقي أفندي في الشبيكة وكان يعرف ببيت عبد الباقي الشامي نحو السبعة فانحازوا فيه وجعلوا يضربون من أقبل عليهم فتهيأ الشريف سعيد للخروج عليهم وجمع الجند وترس المنافذ وجمع جماعة في دار السنجاري وجماعة في دار الشيخ عبد الله البصري في الشبيكة وجماعة في منائر المسجد من عسكر المصري ومن عسكر اليمنية ثم أحضر بقية عسكر مصر من متفرقة وأسباهية وعرب وانكشارية فركب وركب معه خاصته من الغلمان والوصفان وصارجية وسقمان وأراد الخروج فلم يتمكن من ذلك ووقف بسوق الصغير ووصل الرمي من جبل عمر الى محل وقوفه بل أصاب بعض الخيل بعض ذلك الرمي واستمر الى ضحوة عالية وكان من التقدير انه حضر عند القاضي المفتي وبعض العلماء وأخذوا من القاضي حكما حكم به أنه لا يجوز

عزل من ولاه السلطان ويجب على العامة أن يقاتلوا معه هؤلاء الجماعة وأمروا مناديا ينادي في شوارع مكة فاضطربت الناس وهو

ملك الفرنج الذى اسر فى وقعة طبرية ومعه مقدم الداوية وقال لهما ان سلمتما البلاد الى فلكما الامان فأرسلا الى من بعسقلان من الفرنج يأمرانهم بتسليم البلد فلم يسمعوا امرهما وردوا عليهما اقبح رد وجبهوهما بما يسوءهما فلما رأى السلطان ذلك جد فى قتال المدينة ونصب المجنيقات عليها وزحف بجيوشه اليها مرة بعد اخرى وتقدم النقابون فنقبوا منه شيأ وملكهم يكرر اليهم المراسلات بالتسليم ويشير عليهم ويعدهم انه اذا اطلق من الاسر اضرم البلاد على المسلمين نارا واستنجد بالفرنج من البحر واجلب الخيل والرجل من اقاصى بلاد الفرنج وأدانيها وهم لا يجيبون الى مايقول ولا يسمعون مايشير به ولما رأوا انهم كل يوم يزدادون ضعفا ووهنا واذا قتل منهم الرجل لايجدون له عوضا ولا لهم نجدة ينتظرونها راسلوا صلاح الدين فى تسليم البلد على شروط اشترطوها فأجابهم صلاح الدين اليها وتسلموا المدينة سلخ جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكان مدة الحصار أربعة عشر يوما وسيرهم صلاح الدين ونساءهم وأموالهم واولادهم الى بيت المقدس ووفى لهم بالامان ثم قام صلاح الدين بظاهر عسقلان وبث السرايا من اطراف البلاد المجاورة لها ففتحوا الرملة والداروم وغزة والخليل وبيت لحم وبيت جبريل والنطرون وكل ماكان للداوية ثم لما فرغ من أمر عسقلان وما يجاورها من البلاد سار الى فتح بيت المقدس وكان قد أرسل اسطولا فى البحر يقطعون الطريق على الفرنج كلما رأوا لهم مركبا غنموه وشانيا أخذوه وكان فى بيت المقدس البطرك المعظم عندهم وهو أعظم شانا من ملكهم وبه ايضا باليان ابن بيرزان صاحب الرملة وكانت مرتبته عندهم تقارب مرتبة الملك وبه ايضا من خلص فرسانهم كثيرون وقد جمعوا وحشدوا واجتمع اهل تلك النواحى عسقلان وغيرها فاجتمع به كثير من الخلق يبلغون ستين الفا مابين فارس وراجل سوى من يتبعهم من النساء والولدان كلهم يرى الموت أيسر عليه من ان يملك المسلمون البيت المقدس ويأخذوه منهم ويرى ان يبذل نفسه وماله واولاده بعض مايجب عليه من حفظه وحصنوه تلك الايام بما وجدوا اليه سبيلا وصعدوا على سوره بحدهم وحديدهم مجتمعين على حفظه والذب عنه بجهدهم وطاقتهم مظهرين العزم على المناضلة وانه بحسب استطاعتهم ونصبوا المجنيقات فيمنعون من يريد الدنو منه والنزول اليه فلما قرب صلاح الدين منه رأى على سوره من الرجال ماهاله وسمعوا لاهله من الغلبة والضجيج من وسط المدينة ما استدلوا به على كثرة الجمع وبقى صلاح الدين خمسة ايام يطوف حول المدينة لينظر من اين يقاتله لانه فى غاية الحصانة والامتناع فلم يجد عليه موضع قتال الا من جهة الشمال نحو باب عمودا وكنيسة صهيون فانتقل الى هذه الناحية فى العشرين من رجب ونصب تلك الليلة المجنيقات فأصبح من الغد وقد فرغ من نصبها ورمى بها ونصب الفرنج على سور البلد مجنيقات ورموا بها وقاتل كل من الفريقين أشد قتال كل يرى ذلك دينا وحتما واجبا فلا يحتاج فيه الى باعث سلطانى بل كانوا يمنعون فلا يمتنعون ويزجرون فلا ينزجرون وكان خيالة الفرنج كل يوم يخرجون الى ظاهر البلد يقاتلون ويبارزون فيقتل من الفريقين وممن استشهد من المسلمين الامير عز الدين بن مالك وهو من اكابر الامراء وكان محبوبا الى الخاصة والعامة فلما رأى

ينادى بالنفير العام حسبما رسم شيخ الاسلام فلما بلغ ذلك سليمان باشا صاحب جدة وهو اذ ذاك بمكة وجه الحكم وتأمله امتثل الامر وأطاع وخادع خداعا وبعث نحو ثلاثين مدرعا من الترك مع كخيته فلحقوا بالشريف سعيد وأخذ محمد بن جهور العدوانى الحكم وطلع به الى أمير العرق فأعانه بنحو مائتى عسكرى فخرج بهم من ربع الاذخر وعطف على الاشراف بالزاهر وفرغ بارود الاشراف لطول رميهم فهمدت الفتنة ساعة فانهزم الشريف سعيد من سوق الصغير وسار بمن معه من عسكر الباشا الى ان وصل بيت عتاقى افندى الذى فيه العبيد المعروف بيت عبد الباقى الشامى فلما وصل الى البيوت المسامتة لذلك البيت صعد من كان فيه من العبيد السابق [illegible] فتوقف وقتل [illegible] دار الانكشارية [illegible] من عبيد الشريف وجرح آخرون من جماعته [illegible] ثم عطف [illegible] بيت الباشا [illegible] مدفع وانتهى به الى قريب من بيت عبد الباقى الشامى ورمى به على البيت [illegible] من كان فيه من الاسلحة وهربوا [illegible] عند ذلك وحصل من [illegible] اختلاط من كان هنالك من الاشراف حول بيوت الشبيكة وقتل عبد العبد المحسن بن أحمد بن

المسلمون مصرعه عظم عليهم ذلك وأخذ من قلوبهم فحملوا حملة رجل واحد فأزالوا الفرنج
من مواقفهم فأدخلوهم بلدهم ووصل المسلمون الى الخندق فجاوزوه والتصقوا الى السور
فنقبوه وزحفوا الرماة يحمونهم والمنجنيقات توالي الرمي لتكشف الفرنج عن الاسوار ليتمكن
المسلمون من النقب فلما رأى الفرنج شدة قتال المسلمين وتحكم المنجنيقات بالرمي المتدارك وتمكن
النقابين من النقب وانهم قد اشرفوا على الهلاك اجتمع مقدموهم يتشاورون فيما يأتون
ويذرون فاتفق رأيهم على طلب الامان وتسليم البيت المقدس لصلاح الدين فأرسلوا جماعة
من كبرائهم واعيانهم في طلب الامان فامتنع السلطان صلاح الدين من اجابتهم وقال لا افعل بكم
الا كما فعلتم بأهله حين ملكتموه سنة ٤٩٢ من القتل والسبي وجزاء السيئة بمثلها فلما رجع
خائبين محرومين أرسل باليان بن بيرزان وطلب الامان لنفسه ليحضر عند صلاح
في هذا الامر وتحريره فاجيب الى ذلك وحضر عنده ورغبه في الامان وسأله فيه فلم
الى ذلك واستعطفه فلم يعطف عليه واسترحمه فلم يرحمه فلما أيس من ذلك قال ايها السلطان
نا في هذه المدينة في خلق كثير لا يعلمهم الا الله تعالى وانما يفترون عن القتال رجاء الامان
هم انك تجيبهم كما أجبت غيرهم وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة فاذا رأينا الموت
نه فوالله لنقتلن ابنائنا ونسائنا ونحرق اموالنا وأمتعتنا ولا نترككم تغنمون منها دينارا
دا ولا درهما ولا تسبون وتأسرون رجلا ولا امرأة واذا فرغنا من ذلك أخربنا
خرة والمسجد الاقصى وغيرهما من المواضع ثم نقتل من عندنا من اسرى المسلمين وهم خمسة
ف ولا نترك لنا دابة ولا حيوانا الا قتلناه ثم خرجنا اليكم كلنا وقاتلناكم قتال من يريدان
مي دمه ونفسه وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل امثاله ونموت اعزاء أو نظفر كراما فاستشار
صلاح الدين اصحابه فأجمعوا على اجابتهم الى الامان وان لا يخرجوا ويحملوا على ركوب مالا
رى عاقبة الامر فيه عن اي شيء تنجلي ونحسب انهم اسرى بأيدينا فنبيعهم نفوسهم بما يستقر
وبينهم فأجاب صلاح الدين حينئذ الى بذل الامان للفرنج فاستقر ان يؤخذ من الرجل عشرة
نانير يستوي فيه الغني والفقير ويؤخذ من الطفل من الذكور والاناث ديناران وتزن المرأة خمسة
نير فمن أدى ذلك الى اربعين يوما فقد نجا ومن انقضت الاربعون يوما عنه ولم يؤد ما عليه فقد
ر مملوكا فبذل باليان بن بيرزان عن الفقراء ثلاثين الف دينار فأجيب الى ذلك وسلمت المدينة
الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكان يوما مشهودا ورفعت
لام الاسلامية على أسواره ورتب صلاح الدين على أبواب البلد في كل باب أمينا من الامراء
من اهله ما استقر عليهم فاستعملوا الخيانة ولم يؤدوا فيه امانة واقتسم الامناء الاموال
ت أيدي سبا ولو اديت فيه الامانة لملأ الخزائن وعم الناس وبقي بعد هذا جميعه من لم يكن
يعطى وأخذ أسيرا ستة عشر الف انسان ما بين رجل وامرأة وصبي وأظهر صلاح الدين
والهمة والشفقة والرحمة ما لا مزيد عليه فكان يرضى من الفقراء والمحتاجين بما تيسر
عليهم حتى أنه اطلق ثلاثة آلاف رجل بدون فدية وكان في المدينة الملكة زوجة الملك
المأسور وعند مقابلة صلاح الدين اياها أظهر لها من الرقة واللطف وكرم الاخلاق ما لا يوصف
وكان يكلمها ودموعه تجري واطلق لها مالها وحشمها واستأذنته في المسير الى زوجها وكان
محبوسا بقلعة نابلس فأذن لها فأتته واقامت عنده وخرج البطرك الكبير الذي للفرنج

زيد وصوب فرس السيد مبارك بن زامل فحول عنها وتركها وأصيب السيد محسن بن حسين بن عبدالله بن حسن برصاصة في رجله فمنعوا بعد ذلك من الاختلاط وافترقوا من البلد هذا كله والشريف سعد واقف تحت دار السعادة يرتجز كالغلام ثم أحضر له طعام ومعه ثلاثة أو أربعة من الاشراف ثم لحق بولده وساروا حتى وصلوا جبال أبي لهب فكانوا من الاشراف بعيان وهم وقوف حول مضاربهم فأمتنع الفتيان من القدوم فاقام الاشراف ثمة ثلاثة أيام ثم انتقلوا الى الحميماء فلحق بهم الشريف سعد ونزل عليهم وشيع المشايخ منهم فاستعطى منهم ذلك القدر الذي يطلبونه بعد التنزل لهم فسمحوا به كرامة لمجيئه اليهم والتزم لهم العوض وأصلح الامر على ان يأخذوا الآن من الشريف سعيد مشاهرة شهرا واحدا وطلب منهم الدخول معه الى مكة وملاقاة الشريف سعيد فدخل معه كبارهم ضحوة النهار بعد أخذهم مهلة وكفالتهم من تركوه من جماعتهم فأضافهم الشريف سعد ذلك اليوم وجعل لهم أنواع الاطعمة فأقاموا بمكة أياما فلم يقعوا على طائل فعند ذلك رجعوا الى الحميماء الآن السيد أحمد بن زين العابدين ومن في عملته والسيد أحمد بن حازم

ومعه أموال البيع منها الصخرة والاقصى وقمامة وغيرها مالا يعلمه الا الله تعالى وكان له من المال مثل ذلك فلم يعرض له صلاح الدين فقيل له ليأخذ ما معه يقوى به المسلمين فقال لا اغدر به ولم يأخذ منه غير عشرة دنانير وسير الجميع ومعهم من يحميهم الى مدينة صور وأمر صلاح الدين بتطهير المسجد والصخرة من الاقذار ولما كانت الجمعة الاخرى رابع شعبان صلى المسلمون فيه الجمعة ومعهم صلاح الدين ثم رتب فيه صلاح الدين خطيبا واماما برسم الصلوات الخمس وأمر أن يعمل له منبر فقيل له ان نور الدين محمود كان قد عمل منبر البيت المقدس رجاء ان يفتحه الله على يديه وأمر الصناع بتحسينه واتقانه لم يعمل في الاسلام مثله فأمر بأحضاره فحمل من حلب ونصب ببيت المقدس وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنة وكان هذا من كرامات نور الدين وحسن مقاصده رحمه الله ثم أمر صلاح الدين بعمارة المسجد الاقصى واستنفاد الوسع في تحسينه وازالة ما احدثوه من التصويرات وكان الفرنج فرشوا الرخام فوق الصخرة وغيبوها فأمر بكشفها وكان سبب تغطيتها بالرخام أن القسيسين باعوا كثيرا منها للفرنج الواردين اليهم من داخل البحر للزيارة فكانوا يشترونه بوزنه ذهبا رجاء بركتها وكان احدهم اذا دخل الى بلاده باليسير منها بنى له الكنيسة ويجعله في مذبحها فخاف بعض ملوكهم ان تفنى فأمر بها ففرش فوقها الرخام حفظا لها فلما كشفت نقل اليها صلاح الدين المصاحف الحسنة والربعات الجيدة ورتب القراء وأدر عليهم الوظائف الكثيرة فعاد الاسلام هناك غضا طريا وهذه المكرمة من فتح بيت المقدس لم يفعلها بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه غير صلاح الدين رحمه الله وكفاه ذلك فخرا وشرفا واما الافرنج من أهله فانهم أقاموا وشرعوا في بيع ما لا يمكنهم حمله من امتعتهم وذخائرهم واموالهم وباعوا ذلك بأرخص الثمن فاشتراه التجار من اهل العسكر واشتراه النصارى من أهل القدس الذين ليسوا من الافرنج فانهم طلبوا من صلاح الدين ان يمكنهم من المقام في مساكنهم ويأخذ منهم الجزية فأجابهم الى ذلك فاستقروا فاشتروا حينئذ من اموال الفرنج التي تركوها اشياء كثيرة لم يمكنهم بيعها من الاسرة والصناديق وغير ذلك وتركوها ايضا من الرخام الذى لا يوجد مثله من الاساطين والالواح وغير ذلك شيأ كثيرا وساروا وفرق صلاح الدين على ارامل وايتام القتلى من الفرنج مالا كثيرا وسمح للمتوجهين على القشلات والمستشفيات ان يبقوا في المدينة سنة اخرى لملاحظة المرضى والعاجزين والاعتناء بهم ثم أقام صلاح الدين بظاهر القدس الى الخامس والعشرين من شعبان يرتب امور البلد واحوالها وتقدم بعمل الربط والمدارس فجعل دار الاسبتار مدرسة للشافعية وهى في غاية ما يكون من الحسن وكانت مدة استيلاء الفرنج على بيت المقدس احدى وتسعين سنة لانهم ملكوه سنة اثنتين وأربعمائة واخذ منهم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فلما فرغ من أمر البلد سار الى مدينة صور وكان قد اجتمع فيها من الفرنج عالم كثير وقد صار المركيش صاحبها والحاكم فيها وكان تاجرا من تجارهم وقد ساسهم احسن سياسة وبالغ في تحصين البلد ووصل صلاح الدين الى عكا واقام فيها اياما فلما سمع المركيش بوصوله اليها جد في عمل سور صور وخنادقها وتعميقها ووصلها من البحر من الجانب الآخر فصارت المدينة كالجزيرة في وسط الماء لا يمكن

ومن في عملته والسيد محمد بن أحمد بن حسين ومن في عملته نقضوا ما أبرموه مع القوم وعزموا على الجلاء بعد أن ودعوا اطوار فهم على عادتهم وأما السيد عبد المحسن بن أحمد بن زيد والسيد عبد الكريم بن يعلى فأرادا المقام بمكة رجاء أن يكون الصلح فبينما هم في المشاورة اذ جاء الخبر ان الاشراف أخذت قافلة عظيمة خرجت من جدة وقتلوا الرجال ونهبوا الاموال فاشتد غضب الشريف سعيد ووالده الشريف سعد وقالا لمن كفلهم من بنى عمهم أعطوا الحق من أنفسكم فانكم كفلتم هؤلاء الجماعة أياما معدودة واستردوا منهم ما كانوا أعطوهم مما هو لهم فعسر استيفاؤه ثم ان السيد عبد المحسن بن أحمد ابن زيد خرج اليهم حيث لم يتم ما أراده منه من الصلح مع حدوث أخذهم لهذه القافلة مع أن معها السيد مبارك بن حمود خرج معها من جدة وأودعه اياها الشريف سعيد في كتاب كتبه اليه ومعه من العسكر الصارجية والسقمان نحو الاربعين فارسا وكان سليمان باشا صاحب جدة قد نزل الى جدة قبل خروج تلك القافلة وكان خروج الشريف عبد المحسن بن أحمد الى الاشراف في التاسع والعشرين من محرم فوجدهم قد احتالوا الى الحميماء وكانوا عند بئر شميس

الوصول اليها ولا الدنو منها ثم رحل صلاح الدين من عكا فوصل الى صور تاسع شهر رمضان فنزل على نهر قريب من البلد بحيث يراه حتى اجتمع الناس وتلاحقوا وسار فى الثانى والعشرين من رمضان فنزل على تل يقارب سور البلد بحيث يرى القتال وقسم القتال على العسكر كل جمع منهم له وقت معلوم يقاتلون فيه بحيث أن يتصل القتال على أهل البلد على ان الموضع الذى يقاتلون منه قريب المسافة يكفيه الجماعة اليسيرة من أهل البلد لحفظه وعليه الخنادق التى وصلت من البحر الى البحر فلا يكاد الطير يطير عليهما فان المدينة كالكف فى البحر والساعد متصل بالبر والبحر من جانبي الساعد والقتال انما هو فى الساعد فزحف المسلمون مرة بالمنجنيقات والعرادات والشروخ والدبابات والعرادات شئ اصغر من المنجنيق والشرخ نصل لم يركب والدبابة آلة تتخذ للحرب فتدفع فى اصل الحصن فينقبون وهم فى جوفها وكان عشيرة صلاح الدين يتناوبون القتال مثل ولده الافضل وولده الظاهر غازى واخيه العادل بن ايوب وابن اخيه تقى الدين وكذلك سائر الامراء وكان للفرنج شوانى وحراقات يركبون فيها فى البحر ويقفون من جانب الموضع الذى يقاتل المسلمون منه أهل البلد فيرمون المسلمين من جانبهم بالشروخ ويقاتلونهم وكان ذلك يعظم على المسلمين لان اهل البلد يقاتلونهم بين ايديهم واصحاب الشوانى يقاتلونهم من جانبهم فكانت سهامهم تنفذ من أحد الجانبين الى الجانب الآخر لضيق الموضع فكثر الجراحات فى المسلمين والقتل ولم يتمكنوا من الدنو الى البلد فأرسل صلاح الدين الى الشوانى التى جاءته من مصر وهى عشر قطع وكانت بعكا فاحضرها برجالها ومقاتلتها وعدتها فكانت فى البحر تمنع شوانى اهل صور من الخروج الى قتال المسلمين فتمكن المسلمون حينئذ من القرب من البلد ومن قتاله فقاتلوه برا وبحرا وضايقوهم حتى كادوا يظفرون فجاءت الاقدار بما لم يكن فى الحساب وذلك ان خمس قطع من شوانى المسلمين باتت فى بعض تلك الليالى مقابل ميناء صور ليمنعوا من الخروج والدخول اليهم فباتوا ليلتهم يحرسون فلما كان وقت السحر أمنوا فناموا فما شعروا الا بشوانى الفرنج قد نازلتهم فازالتهم وضايقتهم فأوقعت بهم فقتلوا من ارادوا قتله وأخذوا الباقين بمراكبهم وادخلوهم ميناء صور والمسلمون فى البر ينظرون اليهم ورمى جماعة من المسلمين انفسهم من الشوانى فى البحر فمنهم من سبح فنجا ومنهم من غرق وتقدم السلطان الى الشوانى الباقية وأمرهم بالمسير الى بيروت لعدم انتفاعه بها لقلتها فسارت فتبعها شوانى الفرنج فحين رأى من فى شوانى المسلمين الفرنج مجدين فى طلبهم ألقوا أنفسهم من شوانيهم الى البر فنجوا وتركوها فأخذها صلاح الدين ونقضها وعاد الى مقاتلة صور فى البر وكان ذلك قليل الجدوى لضيق المجال وفى بعض الايام خرج الفرنج فقاتلوا المسلمين من وراء خنادقهم فاشتد القتال بين الفريقين ودام الى آخر النهار وكان خروجهم قبل العصر وأسر منهم فارس كبير مشهور بعد ان كثر القتال والقتل عليه من الفريقين لما سقط ثم أسر فقتل وبقوا كذلك عدة ايام فلما رأى صلاح الدين ان امر صور يطول رحل عنها وندم على مافرط منه قبل ذلك فانه كان كلما فتح مدينة وأمن أهلها الفرنج يجهزهم بأموالهم ورجالهم الى صور من أهل عكا وعسقلان والقدس وغير ذلك فصار فيها بالساحل فرسان الفرنج بأموالهم وأموال التجار وغيرهم فحفظوا المدينة وارسلوا الفرنج داخل البحر يستمدونهم فأجابوهم

فاحتالوا على السيد مبارك بن جود ونحوه عمن كان مع القافلة وقبضوا عليهم واستاقوا القافلة جميعها فلما رأى السيد مبارك منهم ما رأى وكان مباركا كاسمه نزل عن فرسه ودخل مكة راجلا ونزل على السيد مساعد بن سعد وكانت قافلة عظيمة موفورة وفيها من كل الانواع وقتل من الصارجية نحو خمسة عشر وأخذت خيولهم وبلغت القتلى من أصحاب القافلة وغيرهم نيفا وثلاثين ولم يسلم الا من هرب واستجار بعضهم بالاشراف فسلم من كتبت له السلامة بروحه دون ماله فأخذوا القافلة بالرماح ونادوا بحى على الفلاح وأغلبهم كانوا اشبانا فلما ان وصل اليهم الشريف عبد المحسن جعلوا كلمتهم اليه واعتمدوا فى تصريف الامر عليه وبايعوه على شرافة مكة وعزل ابن عمه الشريف سعيد فرضى بعد تأب شديد ثم ارتحلوا من الحسينية ونزلوا ماء قريبا من جدة يقال له غليل مصغرا وأرسلوا الى الوزير سليمان باشا يعرفونه بما اتفقوا عليه فأمرهم بدخول جدة فدخلها مولانا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد والسيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى والسيد أحمد بن هزاع والسيد عبد الله بن سعيد بن شنبر وآخرون من الاشراف وأقام الباقى بغليل فأرسل الباشا كتابا

بالتلبية لدعوتهم ووعدوهم بالنصر وأمروهم بحفظ صور لتكون دار هجرتهم يحتمون بها ويلتجؤن اليها فزادهم ذلك حرصا على حفظها والذب عنها فلا ينبغي للملك ان يترك الحزم وان ساعدته الاقدار فلان يعجز حازما خير له من ان يظفر مفرطا مضيعا للعزم ويكون الحزم أعذر له عند الناس فرحل عنها آخر شوال الى عكا واذن للعسكر بالعود الى أوطانهم والاستراحة في الشتاء والعود في الربيع فعادت عساكر الشرق والموصل وغيرها وعساكر الشام ومصر وبقي في حلقته الخاصة مقيما بعكا وكان قد أرسل قبل ذلك جماعة لحصار هونين فلما كان محاصرا مدينة صور أرسل أهل هونين يطلبون الامان فأمنهم فسلموا ونزلوا منها فوفى لهم بامانه ولما دخل المحرم سنة ٥٨٤ سار صلاح الدين من عكا فيمن تخلف عنده من العسكر الى قلعة كوكب وهي مطلة على الاردن ونازلها ظانا منه أن ملكها سهل وهو في قلة من العسكر فلما رآها عالية منيعة والوصول اليها متعذر وكان عنده منها ومن صفد والكرك المقيم المقعد لان البلاد الساحلية من عكا الى جهة الجنوب كانت قد ملك جميعها ما عدا هذه الحصون وكان أهل هذه القلاع يقطعون الطريق على المجتازين فكان احب شئ ان يملكها ليأمن الطريق للمجتازين فلما حصرها ورآها منيعة يبطئ ملكها رحل عنها وجعل عليها جماعة يحاصرونها وسار الى دمشق وكتب الى البلاد جميعا باجتماع العساكر وسار من دمشق منتصف ربيع الأول ووصل الى حمص ثم اغار على مواضع للفرنج ووصل الى قريب طرابلس وابصر البلاد وعرف من أين يأتيها ثم عاد الى معسكره سالما وقد غنم العسكر من الدواب على اختلاف انواعها ما لا يحصى ونزل على حصن الاكراد من الجانب الشرقي من حمص وقام الى آخر ربيع الآخر وكانت جبلة من اعمال انطاكية بيد الفرنج وفيها كثير من المسلمين ولها قاض مسموع الكلمة عند الفرنج والمسلمين وجعله الفرنج يحكم على المسلمين واسمه منصور بن شبيل فاخذته الغيرة للدين فجاء الى السلطان صلاح الدين وتكفل له بفتح جبلة واللاذقية والبلاد الشمالية فسار صلاح الدين معه رابع جمادى الاولى فنزل بانطرسوس سادسه فرأى الفرنج قد أخلوا المدينة واحتموا في برجين حصينين كل واحد منهما قلعة حصينة ومعقل منيع فخرب المسلمون دورهم ومساكنهم وسور البلد ونهبوا ما وجدوه من ذخائرهم وحاصر احد البرجين فنزل اليه من في احدهما بأمان وسلموه فأمنهم وخرب البرج والقى حجارته في البحر وترك من في البرج الآخر فخرب صلاح الدين ولاية انطرسوس ورحل عنها وأتى مرقية وقد رحل عنها اهلها وساروا الى المرقب وهي من حصونهم التي لا ترام ولا تحدث احدا نفسه بملكه لعلوه وامتناعه والطريق تحته والحصن على يمين المجتاز الى جبلة والبحر عن يساره والطريق مضيق لا يسلكه الا الواحد بعد الواحد واتفق ان صاحب صقلية أرسل نجدة الى فرنج الساحل ستين قطعة من الشواني وكانوا بطرابلس فلما سمعوا بمسير صلاح الدين جاؤا ووقفوا في البحر تحت المرقب في شوانيهم ليمنعوا من يجتاز بالسهام فلما رأى صلاح الدين ذلك أمر بوضع ستر واخشاب فصفت على الطريق مما يلي البحر من أول المضيق الى آخره وجعل وراءها الرماة فمنعوا الفرنج من الدنو اليهم فاجتاز المسلمون عن آخرهم حتى عبروا المضيق ووصلوا الى جبلة ثاني عشر جمادى الاولى وتسلمها وقت وصوله وكان قاضيها قد سبق اليها ودخل فلما وصل صلاح الدين رفع اعلامه على سورها

جدة ومنعهم أهلها من الماء وربما يحصل منهم خلاف على البندر وليس لنا قدرة على دفعهم فالقصد ان تخرجوا اليهم ونحن ومن عندنا معكم أو تدفعوا اليهم ما هو لهم ليرجعوا عما هم فيه من الضرر عليكم وعلينا ويدخلون تحت الطاعة وان كنتم تعجزون من ذلك فاخرجوا من البلاد فقد تعين لها من يقوم بحفظها فردوا له الجواب ليس لهم عندنا الا السيف أو يرضون بالحيف فلما جاء هذا الجواب استدعى الباشا مولانا الشريف عبد المحسن ابن أحمد بن زيد هو وجماعة من الاشراف وحضر قاضي جدة وجماعة من أعيان الناس فألبسه الوزير فروا عظيما وولاه شرافة مكة ودومت له الاشراف بالعز على قواعدهم السالفة فخرج من عنده في آلاي عظيم والخلق بين يديه من عساكر وغيرها ومعه الاشراف الى ان وصل سبيل محمد جاوش خارج جدة ثم نادى المنادي في شوارع جدة وغيرها له بالامان والاطمئنان ووضع الشريف عبد المحسن يده على البندر ورفع يد وزير

وسلمها اليه وتحصن الفرنج الذين كانوا بها واحتموا بقلعتها فازال قاضي جبلة يخوفهم ويرغبهم حتى استنزلهم بشرط الامان وان يأخذ رهائنهم يكونون عنده الى ان يطلق الفرنج رهائنهم من المسلمين من أهل جبلة وكانوا بانطاكية وقرر صلاح الدين أحوال جبلة وجعل فيها أميرا

❊ ذكر فتح اللاذقية ❊

وسار الى اللاذقية فترك الفرنج المدينة لعجزهم عن حفظها وصعدوا الى حصنين لهما على الجبل فامتنعوا بهما فدخل المسلمون المدينة وحصروا الحصنين وزحفوا اليهما ونقبوا الاسوار وعظم القتال واشتد الأمر عند الوصول الى السور فلما أيقن الفرنج العطب دخل اليهم قاضي جبلة فخوفهم من المسلمين فطلبوا الامان فأمنهم صلاح الدين ورفعوا الاعلام الاسلامية الى الحصنين وسلم صلاح الدين اللاذقية لابن اخيه تقي الدين عمر وجعله أميرا عليها ولما نازل صلاح الدين اللاذقية وصل اسطول صقلية الذي تقدم ذكره فوقف بازاء ميناء اللاذقية فلما سلمها الفرنج الذين بها الى صلاح الدين عزم أهل هذا الاسطول على أخذ من يخرج منها من أهلها الفرنج غيظا عليهم حيث سلموها سريعا فسمع بذلك أهل لاذقية فأقاموا وبذلوا الجزية فكان ذلك سبب مقامهم فيها ثم ان مقدم هذا الاسطول طلب من السلطان الامان ليحضر عنده فأمنه وحضر وقبل الارض بين يديه وقال ما معناه أنك سلطان رحيم كريم وقد فعلت بالفرنج مافعلت فذلوا فاتركهم يكونوا مماليكك وجندك تفتح بهم البلاد والممالك وترد عليهم بلادهم والا جاءك من البحر مالا طاقة لك به فيعظم عليك الامر ويشتد الحال فأجابه صلاح الدين بنحو من كلامه مع اظهار القوة والاستهانة بكل من يجئ من البحر وانهم ان خرجوا اذاقهم ما أذاق أصحابهم من القتل والاسر فانقلب على وجهه ورجع الى أصحابه

❊ ذكر فتح صهيون ❊

ثم رحل صلاح الدين في السابع والعشرين من جمادى الاولى وقصد قلعة صهيون وهي قلعة منيعة شاهقة في الهواء صعبة المرتقى على قنة جبل يطيف بها واد عميق فيه ضيق في بعض المواضع بحيث ان حجر المنجنيق يصل منه الى الحصن الا ان الجبل متصل بها من جهة الشمال وقد عملوا لها خندقا عميقا لايرى قعره وخمسة اسوار منيعة فنزل صلاح الدين على هذا الجبل الملتصق بها ونصبت عليه المنجنيقات ورماها وتقدم الى ولده الظاهر صاحب حلب فنزل على المكان الضيق من الوادي ونصب عليه المنجنيقات أيضا فرأى الحصن منه وكان معه من الرجالة الحلبيين كثير وهم في الشجاعة بالمنزلة المشهورة ودام رشق السهام من قسي اليد والشرخ وغير ذلك فخرج اكثر من بالحصن وهم يظهرون التجلد والامتناع وزحف المسلمون اليهم فتعلقوا بقرنة من ذلك الجبل فتسلقوا بين الصخور حتى التحقوا بالسور فملكوا منها ثلاثة وغنموا مافيها من ابقار ودواب وذخائر وغير ذلك واحتمى الفرنج بالقصة التي للقلعة فقاتلهم المسلمون عليها فنادوا وطلبوا الامان فلم يجبهم صلاح الدين اليه فقرروا على انفسهم مثل قطيعة البيت المقدس وتسلم الحصن وسلمه الى أمير يقال له ناصر الدين

سليمان باشا هيأ لمولانا الشريف عبدالمحسن كل مايحتاج اليه الملك من نوبة وصنجق وسعاة وعساكر دبابة وخيالة وقام بما يكفيهم من الملبس والمطعم وغيره وأخرج لهم الذخيرة الوافرة من كل شئ وأرسل كيخيته حفيظا على العساكر فصرف مولانا الشريف على الاشراف معلوم شهر وأرسل الى المدينة لينادى له فيها فنودى له بها وخطب باسمه على المنبر النبوى وكتب الى قبائل حرب وغيرهم فأجابوا بالطاعة فأطاعه حرب وجميع الجهات الشامية وأرسل الى الحجاز واليمن وسائر النواحي فأجابوا بالطاعة ثم ان الشريف عبدالمحسن أرسل أخاه عبدالمطلب بن أحمد بن زيد ومعه السيد عبد الله بن حسن بن جود الله والسيد عبدالله بن أحمد بن أبي القاسم مع آخرين فنادوا له بالطائف وأقام السيد عبد المطلب بالطائف ثلاثة أيام فوصل اليه السيد عبدالله بن سعيد ابن سعد بن زيد ومعه من الجبالية ويافع نحو الخمسين ومن الاشراف محمد جازان وجماعة من ثقيف فتهيأ السيد عبدالمطلب بن أحمد لقتالهم وجمع الجموع فأتاه أحمد بن زين العابدين فثبطه لكتب جاءته من الشريف سعد وسعيد وحسن له الخروج فتأبى ثم خرج من الطائف ليلا فدخلها السيد

فحصنه وجعله من أحصن الحصون

ذكر فتح عدة حصون

ولما ملك المسلمون صهيون تفرقوا فى تلك النوحى فملكوا حصن بلاطنوس وحصن العيد وحصن الجماهرين فاتسعت المملكة الاسلامية بتلك الناحية ثم سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جمادى الآخرة فوصل الى قلعة بكاس فرأى الفرنج قد أخلوها وتحصنوا بقلعة الشغر فملك قلعة بكاس بغير قتال وتقدم الى قلعة الشغر وهى وبكاس على الطريق السهل المسلوك الى لاذقية وجبلة والبلاد التى افتتحها صلاح الدين من بلاد الشام الاسلامية فلما نازلها رآها منيعة حصينة لا ترام ولا يوصل اليها بطريق من الطرق الا أنه أمرهم بمزاحفتهم ونصب المنجنيق اليها ففعلوا ذلك ورموا بالمنجنيق فلم يصل من احجاره الى القلعة شئ الا القليل الذى لا يؤذى فبقى المسلمون اياما لا يرون فيها طمعا واهله غير مهتمين بالقتال لامتناعهم من ضرر يتطرق اليهم وبلاء ينزل عليهم فبينما صلاح الدين جالس وعنده اصحابه وهم فى ذكر القلعة واعمال الحيلة فى الوصول اليها فقال بعضهم هذا الحصن كما قال الله تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا فقال صلاح الدين او يأتى الله بنصر من عنده وفتح فبينماهم فى الحديث اذ أشرف عليهم أفرنجى ونادى يطلب الامان لرسول يحضر عند صلاح الدين فأجيب الى ذلك ونزل رسول وسأل انتظارهم ثلاثة ايام فان جاءهم من يمنعهم والا سلموا القلعة بما فيها من ذخائر ودواب وغير ذلك فأجابهم اليه واخذ رهائنهم على الوفاء به فلما كان اليوم الثالث سلموها اليه وسبب استمهالهم انهم ارسلوا الى صاحب أنطاكية وكان هذا الحصن له يعرفونه أنهم محصورون ويطلبون منه ان يرحل عنهم المسلمين والا سلموها وانما فعلوا ذلك لرعب قذفه الله فى قلوبهم والا فلو أقاموا الدهر الطويل لم يصل اليهم احد ولا بلغ المسلمون منه غرضا فلما تسلم صلاح الدين الحصن سلمه الى أمير يقال له قلج وأمره بعمارته ورحل عنه وكان قد سير ولده الظاهر غازى صاحب حلب الى سرمينية فحصرها وضيق على أهلها واستنزلهم على قطعة قدرها عليهم ثم هدم الحصن وعفى اثره وكان فى هذه الحصون من اسارى المسلمين الجم الغفير فأطلقوا واعطوا كسوة ونفقة واتفق ان فتح هذه الحصون كلها فى ست جمع مع انها كانت فى ايدى أشجع الناس وأشدهم عداوة للمسلمين فسبحان من اذا اراد ان يسهل الصعب فعل وهى جميعها من اعمال أنطاكية ولم يبق لها سوى القصير وبغراس ودرب ساك وسيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى

ذكر فتح قلعة برزية

ولما رحل صلاح الدين من قلعة الشغر سار الى قلعة برزية وكان قد وصفت له وهى تقابل حصن افامية وتناصفها فى اعمالها وبينهما بحيرة تجتمع من ماء العاصى وعيون تنفجر من جبل برزية وغيره وكان أهلها أضر شئ على المسلمين يقطعون الطريق ويبالغون فى الاذى فلما وصل اليها نزل شرقيها فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ثم ركب من الغد وطاف عليها لينظر موضعا يقاتلها منه فلم يجده الا من جهة الغرب فنصب له هناك خيمة صغيرة ونزل

(فيها)

عبدالله بن سعيد ومن معه ونادى فيه لابيه وأما السيد عبدالمطلب فانه نزل الاخيضر بجمع بعض البادية وكربهم على الطائف فتأهب السيد عبدالله ابن سعيد لقتاله فأتاه السيد زين العابدين وقال له ان الشريف عبدالمحسن ولى مكة وعزلوا أباك وهذا أخوه عبدالمطلب يريد الديرة لاخيه فأبى وقال هذا كلام لا أسمعه ثم اتفق رأيهم على دخول عبدالمطلب مع بقاء عبدالله بن سعيد من غير قتال ثم يكشفون الخبر ويرسلون الى مكة فان كان الامر غير صحيح فلك منا ان نخرج عبدالمطلب ونحن الكفلاء بهذا فوافقهم على ذلك ثم انه خرج ليلا بمن معه من العسكر والعبيد ووصل الى أبيه وتخلف عنه محمد ابن جازان بالطائف فدخل السيد عبدالمطلب الطائف ونادى لاخيه ثانيا واستمر هناك الى ان دخل أخوه مكة هذا كله والشريف عبدالمحسن بجدة فجمع الشريف سعد والشريف سعيد جماعة من العلماء معهم القاضى والمفتى وقوم آخرون وتفرق المجلس على أنهم يكتبون الى الوزير سليمان باشا صاحب جدة كتابا فكتبوه وأغلظوا فيه الى ان قالوا ان بيدنا فتوى المفتى وحكم بموجبها قاضى الشرع بكفر من تجرأ على عزل من ولاه مولانا

فيها ومعه بعض العسكر جريدة لضيق المواضع وهذه القلعة لا يمكن ان تقاتل من جهة
الشمال والجنوب البتة فانها لا يقدر احد ان يصعد جبلها من هاتين الجهتين واما الجانب
الشرقي فيمكن الصعود منه لكن لغير مقاتل لعلوه وصعوبته واما جهة الغرب فان الوادي
المطيف بجبلها قد ارتفع هناك ارتفاعا كثيرا حتى قارب القلعة بحيث يصل منه حجر المنجنيق
والسهام فنزله المسلمون ونصبوا عليه المنجنيقات ونصب اهل القلعة عليها منجنيقا أبطلها
وكان ابن الاثير صاحب التاريخ مع صلاح الدين في هذه الغزوة طلبا للجهاد قال ورأيت انا من
رأس جبل عال يشرف على القلعة لكنه لا يصل منه شئ اليها امرأة ترمي من القلعة عن
المنجنيق وهي التي أبطلت منجنيق المسلمين فلما رأى صلاح الدين ان المنجنيق لا ينتفعون به عزم
على الزحف ومكاثرة اهلها بجموعه فقسم عسكره ثلاثة أقسام يزحف قسم فاذا تعبوا
وكلوا عادوا ويزحف القسم الثاني فاذا تعبوا وضجروا عادوا وزحف القسم الثالث ثم
يدور الدور مرة بعد اخرى حتى يتعب الفرنج وينصبوا فانه لم يكن عندهم من الكثرة
ما ينقسمون كذلك فاذا تعبوا واعيوا اسلموا القلعة فلما كان الغد وهو السابع والعشرون
من جمادى الآخرة تقدم احد الاقسام وزحفوا وخرج الفرنج من حصنهم فقاتلهم ورماهم
المسلمون بالسهام من وراء الجفتيات والجنويات والطارقيات ومشوا اليهم حتى قربوا
الى الجبل فلما قربوا من الفرنج عجزوا عن الدنو منهم لخشونة المرتقى وتسلط الفرنج عليهم لعلو
مكانهم بالنشاب والحجارة فانهم كانوا يلقون الحجارة الكبار فتتدحرج الى اسفل الجبل فلا
يقوم لها شئ فلما تعب هذا القسم انحدروا وصعد القسم الثاني وكانوا جلوسا ينتظرونهم
وهم حلقة صلاح الدين الخاصة فقاتلوا قتالا شديدا وكان الزمان حرا شديدا فاشتد الكرب
على الناس وصلاح الدين في سلاحه يطوف عليهم ويحرضهم وكان تقي الدين ابن اخيه
كذلك فقاتلوهم الى قريب الظهر ثم تعبوا ورجعوا فلما رآهم صلاح الدين قد عادوا تقدم
اليهم وبيده جماق يردهم وصاح في القسم الثالث وهم جلوس ينتظرون نوبتهم فوثبوا
ملبين وساعدوا اخوانهم وزحفوا معهم فجاء الفرنج ما لا قبل لهم به وكان القسم الاول قد
استراحوا فقاموا ايضا معهم فحينئذ اشتد الامر على الفرنج وبلغت القلوب الحناجر وكانوا
قد اشتد تعبهم ونصبهم فظهر عجزهم عن القتال وضعفهم عن حمل السلاح لشدة الحرب
والقتال فخالطهم المسلمون فعاد الفرنج يدخلون الحصن فدخل المسلمون معهم وكان طائفة
قليلة في الخيام شرقي الحصن فرأوا الفرنج قد أهملوا ذلك الجانب لانهم لم يروا فيه مقاتلا
وليكثروا في الجهة التي فيها صلاح الدين فصعدت تلك الطائفة من العسكر فلم يمنعهم مانع
فصعدوا ايضا الحصن من الجهة الاخرى فالتقوا مع المسلمين الداخلين مع الفرنج فملكوا
الحصن عنوة وقهرا ودخل الفرنج القلعة التي للحصن وأحاط بها المسلمون وأرادوا نقبها
وكان الفرنج قد رفعوا من عندهم من اسرى المسلمين الى سطح القلعة وأرجلهم في القيود
والخشب المثقوب فلما سمعوا تكبير المسلمين في نواحي القلعة كبروا في سطح القلعة وظن الفرنج أن
المسلمين قد صعدوا على السطح فاستسلموا وألقوا بأيديهم الى الاسر فملكها المسلمون عنوة ونهبوا
ما فيها وأسروا وسبوا من فيها وأخذوا صاحبها وأهله وامست خالية لا ديار بها والقى المسلمون

السلطان على بلد اذا كان بيده أوامر سلطانية وأنه لا يعزل الا بعزل السلطان وأنه قد جاءنا الخبر بعزلك ومحاسبتك فكيف تقول بالعزل والتولية مع انك معزول عن منصبك ثم أرسلوا هذا الكتاب مع السيد دخيل الله بن جود ومعه جوخدار القاضي فلما أن وقف الباشا المذكور على ذلك قال أنا بيدي من السلطان مصطفى بن السلطان أحمد ومن أخيه المتولي بعده أوامر سلطانية ان أعزل وأولي من أرى فيه الصلاح لمكة المشرفة فلما علم السيد دخيل الله حقيقة الحال لم يطلع من جدة وعامل الشريف عبد المحسن من جملة من عامله وجاء بالجواب جوخدار القاضي بما قاله الوزير المذكور فاغتاظ الشريف سعد وابنه الشريف سعيد وأرسلا يطلبان من الباشا الاشراف على ما بيده من الاوامر السلطانية فأرسل اليهم ان كنتما تريدان ذلك فأرسلا رجلا من جهة القاضي ومن كل بلك من العساكر رجلا يشرفون على ما بيدي من الاوامر ثم انقطعت بينهم الوسائط الى ان رحل مولانا الشريف عبد المحسن من جدة متوجها الى مكة وذلك يوم السبت ثاني عشر ربيع الاول ومعه الجموع لاشراف الى أن وصل وادي الجموم فخرج اليهم الشريف سعيد بن سعد بمن معه من العساكر المكية والمصرية ونزل بذي طوى وأخذ

النار فى بعض بيوتهم فاحترقت قال ابن الاثير وأعجب مايحكى من السلامة انى رأيت رجلا من المسلمين فى هذه الوقعة قد جاء من طائفة من المؤمنين شمالى القلعة الى طائفة اخرى من المسلمين جنوبى القلعة وهو يعدو فى الجبل عرضا فألقيت عليه الحجارة وجاءه حجر كبير لو ناله لبعجه فنزل عليه فناداه الناس يحذرونه فالتفت ينظر ما الخبر فسقط على وجهه من عثرة فاسترجع الناس وجاء الحجر اليه فلما قاربه وهو منبطح على وجهه لقيه حجر آخر ثابت فى الارض فوق موضع الرجل فضربه المنحدر فارتفع الحجر المنحدر عن الارض وجاز الرجل ثم عاد الى الارض من جانبه الآخر لم ينله منه أذى ولا ضرر وقام الرجل حتى لحق بأصحابه فكان سقوطه سبب نجاته فتعست ام الجبان وأما صاحب برزية فانه أسر هو واصحابه وامرأته وأولاده ومنهم بنت له ومعها زوجها فتفرقهم العسكر فأرسل صلاح الدين فى الوقت وبحث عنهم واشتراهم وجمع شمل بعضهم ببعض فلما قارب أنطاكية أطلقهم وسيرهم اليها وكانت امرأة صاحب برزية اخت امرأة صاحب انطاكية وكانت تراسل صلاح الدين وتهاديه وتعلمه كثيرا من الاحوال التى تؤثر فأطلق هؤلاء لأجلها ثم بعد فتح برزية رحل صلاح الدين من الغد فأتى جسر الحديد وهو على العاصى بالقرب من أنطاكية فأقام عليه حتى وافاه من تخلف من عسكره

❋ ذكر فتح دربساك ❋

ثم سار عنه الى دربساك فنزل عليها ثامن رجب وهى من القلاع الحصينة التى يدخرونها لحمايتهم عند نزول الشدائد فلما نزل عليها نصب المنجنيقات وتابع الرمى بالحجارة فهدمت من سورها شيئا يسيرا فلم يبال من فيه بذلك فأمر بالزحف عليها ومهاجمتها فبادرها العسكر بالزحف وقاتلوها وكشفوا الرجال عن سورها وتقدم النقابون فنقبوا منها برجا وعلقوه فسقط واتسع المكان الذى يريد ان المقاتلة يدخلون منه وعادوا يومهم ذلك ثم باكروا الزحف من الغد وكان من فيه قد ارسلوا الى صاحب انطاكية يستنجدونه فصبروا وأظهروا الجلد وهم ينظرون جوابه اما بانجادهم وازاحة المسلمين عنهم واما بالتخلى عنهم ليقوم عذرهم فى التسليم فلما علموا عجزه عن نصرتهم وخافوا هجوم المسلمين عليهم واخذهم بالسيف وقتلهم واسرهم ونهب اموالهم طلبوا الامان فأمنهم على شرط ان لا يخرج احد الا بثيابه التى عليه بغير مال ولا سلاح ولا اثاث بيت ولا دابة ولا شئ مما بها ثم أخرجهم منه وسيرهم الى انطاكية وكان فتحه تاسع عشر رجب سنة اربع وثمانين وخمسمائة

❋ ذكر فتح بغراس ❋

ثم سار صلاح الدين عن دربساك الى قلعة بغراس فحصرها بعد أن اختلف اصحابه فى حصرها فمنهم من أشار به ومنهم من نهى عنه وقال هو حصن حصين وقلعة منيعة وهو بالقرب من انطاكية ولا فرق بين حصره وحصرها ويحتاج ان يكون اكثر العسكر فى اليزك مقابل انطاكية فاذا كان الامر كذلك قل المقاتلون عليها ويتعذر الوصول اليها فاستخار الله تعالى وسار اليها وجعل اكثر عسكره يزكا مقابلا لانطاكية يغيرون على اعمالها وكانوا حذرين من الخوف

الشريف سعيد مايلى الجون ومعه عبده وجماعة من النفعة ومعهم محمد بن جهور العدوانى شيخا عليهم وفرق على الجبال المطلة على المحصب بعض العبيد وجماعة من يافع والجبالية ولما كان يوم الاربعاء سادس عشر ربيع الاول سار الشريف عبد المحسن من الجموم ونزل صبيحة يوم الخميس بالزاهر وأمر بحفر آباره وكان قد طمها الشريف سعيد فلما تلاقى الجمعان حمل بعض جماعة الشريف عبد المحسن على جبل كان به بعض جماعة من عسكر الشريف سعيد فأزالوهم عنه وملكوه وقتل فيه بيرقدار العسكر وعسكرى آخر أراد أن يأخذ البيرق عند قتل الاول وحصل ضرب لآخرين وأما النفعة ممـا يلى جانب الشريف سعيد فجاءتهم بادية من جماعة الشريف عبد المحسن فأثخنوهم قتلا وجرحا وضربا وطرحا ولم يزالوا على ذلك الى الليل وربما رمت بعض عسكر الشريف عبد المحسن بمدافع معهم على جماعة الشريف سعيد فأرسل الشريف الى مشايخ الحارات وأخذ منهم الزرابطين التى يطلقونها ليلة العيد فرمى بها على الجبال فأصاب بعضها فيه عسكر من عسكر سليمان باشا ثم أمر باستخراج مدفع كبير كان مدفونا بدار السعادة فأخرجوه وساروا به الى

(من)

من أهلها ان غفلوا القربهم منها وصلاح الدين فى بعض اصحابه على القلعة يقاتلها ونصب المنجنيقات فلم تؤثر فيها شيأ لعلوها وارتفاعها فغلب على الظنون تعذر فتحها وشق على المسلمين قلة الماء عندهم الا أن صلاح الدين نصب الحياض وأمر بحمل الماء اليها فخفف الأمر عليهم فبينما هو على هذه الحال اذ قد فتح باب القلعة وخرج منه انسان يطلب الامان فأجيب الى ذلك فأذن له فى الحضور فحضر وطلب الامان لمن فى الحصن حتى يسلموه اليه بما فيه على قاعدة درب ساك فأجابهم الى ماطلبوا فعاد الرسول ومعه الاعلام الاسلامية فرفعت على رأس القلعة ونزل من فيها وتسلم المسلمون القلعة بما فيها من ذخائر وأموال وسلاح وأمر صلاح الدين المسلمين بتخريبه فخرب ثم ندم على ذلك بعد لانه حصل منه بعد ذلك مضرة على المسلمين لان ابن اليون صاحب الارمن خرج اليه من ولايته وهو مجاوره فجدد عمارته وأتقنه وجعل فيه جماعة من عسكره يغيرون منه على البلاد فتأذى منهم السواد الذى لحلب

ذكر الهدنة بين المسلمين وصاحب انطاكية

لما فتح صلاح الدين بغراس عزم على التوجه الى انطاكية وحصرها فخاف صاحب انطاكية من ذلك وأشفق منه فأرسل الى صلاح الدين يطلب الهدنة وبذل اطلاق كل أسير عنده من المسلمين فاستشار صلاح الدين من عنده من اصحاب الاطراف وغيرهم فأشار أكثرهم باجابته الى ذلك ليعود الناس ليستريحوا ويجددوا مايحتاجون اليه فأجاب الى ذلك واصطلحوا ثمانية اشهر وسير رسوله الى صاحب انطاكية يستحلفه ويطلق من عنده من الاسرى وكان صاحب انطاكية فى ذلك الوقت أعظم الفرنج شأنا وأكثرهم ملكا فانه كان الفرنج قد سلموا اليه طرابلس بعد موت صاحبها وجميع اعمالها مضافا الى ما كان له فلما سلمت اليه طرابلس جعل ولده الاكبر فيها نائبا عنه وأما صلاح الدين فانه عاد الى حلب ثالث شعبان فدخلها وسار منها الى دمشق وفرق اكثر العساكر وكان مع صلاح الدين الامير عز الدين ابو فليتة قاسم بن المهنا العلوى الحسينى وهو أمير مدينة النبى صلى الله عليه وسلم كان قد حضر عنده وشهد معه مشاهده وفتوحه وكان صلاح الدين قد تبرك برؤيته وتيمن بصحبته وكان يكرمه كثيرا وينبسط معه ويرجع الى قوله فى أعماله كلها ودخل دمشق أول شهر رمضان فاشير عليه بتفريق من بقى من العسكر فقال ان العمر قصير والاجل غير مأمون وقد بقى بيد الفرنج من الحصون الكرك وصفد وكوكب وغيرها ولا بد من الفراغ منها فانها فى وسط بلاد الاسلام ولا يؤمن شر أهلها وان أغفلناهم ندمنا فيما بعد والله أعلم

ذكر فتح الكرك ومايجاوره

كان صلاح الدين قد جعل على الكرك عسكرا يحصره فلازموا الحصار هذه المدة الطويلة حتى فنيت أزواد الفرنج وذخائرهم وأكلوا دوابهم وصبروا حتى لم يبق للصبر مجال فراسلوا الملك العادل اخا صلاح الدين وكان صلاح الدين قد جعله على قلعة الكرك فى جمع من العسكر يحصرها ويكون مطلعا على هذه الناحية من البلاد لما أبعد هو الى درب ساك وبغراس فوصلته رسل الفرنج من الكرك يبذلون تسليم القلعة اليه ويطلبون الامان

الشريف عبد المحسن الى بطن الوادى تطلب البراز من الشريف سعيد فصوب منهم السيد عبد المعين بن محمد بن حود برصاصة فى كفه ولم يقدم عليهم أحد ولم يكن مع الشريف سعيد من الاشراف الا السيد عبد الله بن حسين ابن عبد الله ومبارك بن حود وعلى بن أحمد بن باز وبشير بن مبارك بن فضل وقد حضروا معه بالجون ولما كان ليلة الاحد وهو اليوم الرابع ظهرت الغلبة للشريف عبد المحسن وضاق الامر على الشريف سعيد فنزل ضحوة يوم الاحد المذكور الشيخ سعيد المنوفى والسيد على ميرماه وأنهوا الى القاضى مالحق الشريف سعيدا وأمره بكتابة حجة بالنفير العام فكتب لهم حجة بذلك وأمر منادياينادى فى الشوارع كل من لم يأت الى محكمة القاضى الآن فهو منهوب الدار مصلوب بلا اعتبار فاجتمع العالم تحت المدرسة السليمانية بالمسجد الحرام فقرأ عليهم المنوفى الحجة وهو مطل من طاقة المحكمة ومضمونها ان الشريف سعيدا قد ولاه السلطان مصطفى شرافة

مكة وأيده السلطان أحمد وقد رأيتم ماصار عليه من هذا الباشا فيجب عليكم بذل الطاعة والخروج معه للقتال ودفع هؤلاء البغاة قطاع

فأجابهم الى ذلك وأرسل الى مقدم العسكر الذي يحصرها فتسلم القلعة منهم وأمنهم وتسلم أيضا ما يقاربه من الحصون كالشوبك وهرمز والوعيرة والسلع وفرغ القلب من تلك الناحية والقى الاسلام هناك جرانه وأمنت قلوب من في ذلك الصقع من البلاد كالقدس وغيره فانهم كانوا ممن بتلك الحصون وجلين ومن شرهم مشفقين

﴿ ذكر فتح قلعة صفد ﴾

لما وصل صلاح الدين الى دمشق واشير عليه بتفريق من بقي من العسكر قال لا عدمن الافرنج من صفد وكوكب وغيرها فأقام بدمشق الى منتصف رمضان وسار عن دمشق الى قلعة صفد فحصرها وقاتلها ونصب عليها المنجنيقات وأدام الرمي اليها ليلا ونهارا بالحجارة والسهام وكان أهلها قد قارب ذخائرهم وازوادهم ان تفنى في المدة التي كانوا فيها محاصرين فان عسكر صلاح الدين كان يحاصرهم فلما رأى أهله جد صلاح الدين في قتالهم خافوا ان يقيم الى ان يفنى ما بقي معهم من أقواتهم وكانت قليلة ويأخذهم عنوة ويهلكهم او أنهم يضعفون عن مقاومته قبل فناء ما عندهم من القوت فيأخذهم فأرسلوا يطلبون الامان فأمنهم وتسلمها منهم فخرجوا عنه وساروا الى مدينة صور وكفى الله المؤمنين شرهم فانهم كانوا في وسط البلاد الاسلامية

﴿ ذكر فتح كوكب ﴾

لما كان صلاح الدين يحاصر صفد اجتمع من بصور من الافرنج وقالوا ان فتح المسلمون قلعة صفد لم يبق كوكب ولو أنها معلقة بالكوكب وحينئذ ينقطع طمعنا من هذا الطرف من البلاد فاتفق رأيهم على انفاذ نجدة لهما سرا من رجال وسلاح وغير ذلك فاخرجوا مائتي رجل من شجعان الفرنج واجلادهم فساروا الليل مستخفين واقاموا النهار مكمنين فاتفق من قدر الله تعالى ان رجلا من المحاصرين كوكب خرج متصيدا فلقي رجلا من تلك النجدة فاستغربه بتلك الارض فضربه ليعلمه بحاله وما الذي اقدمه الى هناك فاقر بالحال ودله على أصحابه فعاد الجندي المسلم الى مقدم العسكر فأعلمه الخبر والفرنجي معه فركب في طائفة من العسكر الى الموضع الذي اختفى فيه الفرنج فكبسهم فأخذهم وتتبعهم في الشعاب والكهوف فلم يفلت منهم أحد فكان معهم مقدمان من فرسان الفرنج فحملوا الى صلاح الدين وهو على صفد فأحضرهما ليقتلهما فلما أمر بقتلهما قال له احدهما ما أظن أن ينالنا سوء وقد نظرنا الى طلعتك المباركة ووجهك الصبيح وكان يفعل فيه الاعتذار والاستعطاف فلما سمع كلامهما لم يقتلهما وامر بهما فسجنا ولما فتح صفد سار عنها الى كوكب ونازلها وحاصرها وارسل الى من بها من الفرنج يبذل لهم الامان ان سلموا ويتهددهم بالقتل والسبي والنهب ان امتنعوا فلم يسمعوا قوله وأصروا على الامتناع فجد في قتالهم ونصب عليهم المنجنيقات وتابع رمي الاحجار اليهم وزحف مرة بعد اخرى وكانت الامطار كثيرة لا تنقطع ليلا ولا نهارا فلم يتمكن المسلمون من القتال على الوجه الذي يريدونه وطال مقامهم عليها وفي آخر الامر زحف اليها دفعات متناوبة في يوم واحد ووصلوا الى باشورة القلعة ومعهم النقابون ورماة يحمونهم بالنشاب

الطريق فبينما هو كذلك اذ صاح بعض الناس الحاضرين هذا باطل باطل وانطلقت العالم بلسان واحد وكاد أن يرجم المنوفي والقاضي ومن معه وفر العالم من المسجد فلما رأى القاضي قيام العامة أمر بالخروج الى الزاهر للشريف سعيد واخباره بما وقع فخرج ومعه المنوفي والسيد علي ميرماه وجماعة من العلماء والمفتي وأعيان الناس فلما وصلوا اليه وأخبروه أنكر الامر بذلك وزجر من سعى في هذا الامر وقال من أمركم أن تنادوا في العامة واتفق الرأي هناك ان يكتبوا كتابا للكيخية الوزير سليمان باشا خطابا من الشريف سعيد وأبيه بأن لهم عليهم دعوى الى القاضي فان لم تجب وتمتثل كفرت وأرسلوه مع درويش كان حاضر المجلس قال لهم أنا أوصل هذا الكتاب اليه بعد ان لم يوافق أحد على ايصاله فأوصله ذلك الدرويش الى الكيخيا المشار اليه فلما قرأه أشرف عليه الشريف عبد المحسن وكتب الجواب الشريف عبد المحسن الى الشريف سعيد نحن ان شاء الله غدا لابد لنا من دخول مكة والكيخيا معنا وتكون الدعوى عليه بحضورنا والنصيحة لله ولرسوله ولك ان تأخذ الحذر لنفسك والخروج من البلاد وتترك ما لا طائل تحته فان أصبح

(عن)

عن قوس اليد والجروخ فلم يقدر أحد منهم ان يخرج رأسه من اعلى السور فنقبوا الباشورة فسقطت وتقدموا الى السور الاعلى فلما رأى الفرنج ذلك أذعنوا بالتسليم وطلبوا الامان فأمنهم وتسلم الحصن منهم منتصف القعدة وسيرهم الى صور فوصلوا اليها واجتمع بها من شياطين الفرنج وشجعانهم كل صنديد فاشتدت شوكتهم وحميت جموعهم وتابعوا الرسل الى الفرنج الذين فى اوروبا والاندلس وصقلية وغيرها من جزائر البحر يستغيثون ويطلبون الامداد والنجدة وفى كل قليل تأتيهم وكان ذلك كله بتفريط صلاح الدين فى اطلاق كل من حصره حتى عض بنانه ندما وأسفا حيث لم ينفعه ذلك واجتمع للمسلمين بفتح كوكب وصفد من حد أيلة الى اقصى اعمال بيروت لا يفصل بينه غير مدينة صور وجميع اعمال أنطاكية سوى القصير ولما ملك صلاح الدين صفد وكوكب سار الى البيت المقدس فعيد فيه عيد الاضحى ثم سار منه الى عكة فاقام بها حتى انسلخت سنة ٥٨٤ ودخلت سنة ٥٨٥ وهى مسيحية سنة ١١٨٩ ففى ربيع الاول من هذه السنة سار الى شقيف ارنوم وهى من أمنع الحصون ليحصره فنزل بمرج عيون فنزل صاحب الشقيف وهو أرناط صاحب صيدا وكان هذا ارناط من أعظم الناس دهاء ومكرا فدخل اليه واجتمع به وأظهر له الطاعة والمودة وقال له انا محب لك ومعترف باحسانك وأخاف ان يعرف المركيس صاحب صور مابينى وبينك فينال اولادى وأهلى منه اذى فانهم عنده فأحب ان تمهلنى حتى اتوصل فى تخليصهم من عنده وحينئذ احضر أنا وهم عندك ونسلم الحصن اليك واكون انا وهم فى خدمتك نقنع بما تعطينا من اقطاع فظن صلاح الدين صدقه فأجابه الى ماسأل فاستقر الامر بينهما على ان يسلم الشقيف فى جمادى الآخرة وأقام صلاح الدين بمرج عيون ينتظر الميعاد وهو قلق مفكر لقرب انقضاء مدة الهدنة بينه وبين صاحب أنطاكية فأمر تقى الدين ابن اخيه شاهنشاه ان يسير فيمن معه من عساكره ومن يأتيه غيرهم ويكون مقابل انطاكية لئلا يغير صاحبها على بلاد الاسلام عند انقضاء الهدنة وكان ايضا منزعج الخاطر كثير الهم لما بلغه من اجتماع الفرنج بمدينة صور ومايتصل بهم من الامداد فى البحر وان ملك الفرنج الذى كان أسره صلاح الدين وأطلقه بعد فتح القدس قد اصطلح هو وصاحب صور بعد اختلاف كان بينهما وانهما قد اجتمعوا فى جمع لا يحصى وخرجوا من مدينة صور الى ظاهرها فكان هذا واشباهه مما يزعجه ويخاف من ترك الشقيف وراء ظهره والتقدم الى صور وفيها الجموع المتوافرة فتنقطع الميرة عنه الا انه مع هذه الاشياء مقيم على العهد مع صاحب الشقيف فى مدة الهدنة يشترى الاقوات من سوق العسكر والسلاح وغير ذلك مما يحصن به شقيفه وكان صلاح الدين يحسن الظن به واذا قيل له عنه ماهو فيه من المكر وان قصده المطاولة الى ان يظهر الفرنج من صور وحينئذ يبدى فضيحته ويظهر مخالفته لا يصدق فيه فلما قارب انقضاء الهدنة تقدم صلاح الدين من معسكره الى القرب من شقيف ارنوم واحضر عنده ارناط صاحب الشقيف وقد بقى من الاجل ثلاثة ايام فقال له فى معنى تسليم الشقيف فاعتذر بأولاده واهله وان صاحب صور لم يمكنه من المجئ اليه وطلب التأخير مدة أخرى فحينئذ علم السلطان مكره وخداعه فأخذه وحبسه وامره بتسليم الشقيف فطلب قسيسا ذكره ليحمل رسالته

الكتاب رجعوا الى الصواب فأودعوا طوارفهم للسيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى

(خروج الشريف سعيد من مكة الى الهجة بعد عزل سليمان باشا له عن امارة مكة)

وخرج الشريف سعيد بعد المغرب من أعلى مكة ليلة الحادى والعشرين من ربيع الاول ونزل الهجة من جهة جعرانة ومعه السيد عبد الله بن حسين ومبارك بن جود وشنبر ابن مبارك بن فضل وأما أبوه الشريف سعد فدخل مكة وبات فى دار السعادة قال الشيخ أبو السعود السنجارى ابن عم صاحب التاريخ بعث الينا الشريف عبد المحسن أن نفرش له دار السعادة فطلعت للشريف سعد وأخبرته بذلك فقال لا بأس قال وكان واقفا معنا الى ان فرشناه وهو يأمرنا بمحاسن المجانسة فى الفرش ولما أن فرش المحل خرج فى الساعة الثانية من يوم الاثنين الحادى والعشرين من ربيع الاول وطلع الى بستان الوزير عثمان حميدان بالمعابدة بعد أن أودع طارفته للسيد عبد الكريم بن محمد ابن يعلى

(دخول الشريف عبد المحسن مكة متوليا أمارتها) ثم لما كانت الساعة الرابعة من النهار من ذلك اليوم دخل مولانا الشريف

الى من بالشقيف ليسلموه فأحضروه عنده فساره بما لم يعلموا فمضى ذلك القسيس الى الشقيف فأظهر اهله العصيان فأرسل صلاح الدين ارناط صاحب الشقيف الى دمشق وسجنه وتقدم الى الشقيف فحصره وضيق عليه وجعل عليه من يحفظه ويمنعه من الذخيرة والرجالة وجاءته كتب من اصحابه الذين جعلهم يزكا مقابل الفرنج على صور يخبرونه فيها ان الفرنج قد أجمعوا على عبور الجسر الذي لصور وعزموا على حصار صيدا فسار صلاح الدين جريدة في شجعان أصحابه سوى من جعله على الشقيف فوصل اليهم وقد فات الامر وذلك ان الفرنج قد فارقوا صور وساروا عنه لمقصدهم فلقيهم اليزك على مضيق هناك وقاتلوهم ومنعوهم وجرى لهم معهم حرب شديد يشيب لها الوليد واسروا من الفرنج جماعة وقتلوا جماعة وقتل من المسلمين ايضا جماعة منهم مملوك لصلاح الدين كان من أشجع الناس فحمل وحده على صف الفرنج فاختلط بهم وضربهم بسيفه يمينا وشمالا فتكاثروا عليه فقتلوه رحمه الله تعالى ثم ان الفرنج عجزوا عن الوصول الى صيدا فعادوا الى مكانهم ولما وصل صلاح الدين الى اليزك وقد فاتته الوقعة أقام عندهم في خيمة صغيرة ينتظر عودة الفرنج لينتقم منهم ويأخذ بثار من قتلوه من المسلمين فركب في بعض الايام في عدة يسيرة على ان ينظر الى مخيم الفرنج من الجبل ليعمل بمقتضى ما يشاهده وظن من هناك من غزاة العجم والعرب المتطوعة انه على قصد المصاف في الحرب فساروا مجدين وأوغلوا في أرض العدو مبعدين وفارقوا الحزم وخلفوا السلطان وراء ظهورهم وقاربوا الفرنج فأرسل صلاح الدين عدة من الامراء يردونهم ويحمونهم الى ان يخرجوا فلم يسمعوا ولم يقبلوا وكان الفرنج قد اعتقدوا ان وراءهم كمينا فلم يقدموا عليهم فأرسلوا من ينظر حقيقة الامر فأتاهم الخبر انهم منقطعون عن المسلمين وليس وراءهم ما يخاف فحملت الفرنج عليهم حملة رجل واحد فقاتلوهم فلم يلبثوا ان افنوهم وقتل معهم جماعة من المعروفين وشق على صلاح الدين والمسلمين ما جرى عليهم وكان ذلك بتفريطهم في حق انفسهم رحمهم الله تعالى ورضي عنهم وكانت هذه الوقعة تاسع جمادى الاولى فلما رأى صلاح الدين ذلك انحدر من الجبل اليهم في عسكره فحملوا على الفرنج الى الجسر وقد أخذوا طريقهم فألقوا أنفسهم في الماء فغرق منهم نحو مائة دارع سوى من قتل وعزم السلطان على مصابرتهم ومحاصرتهم فتسامع الناس فقصدوه واجتمع معه خلق كثير فلما رأى الفرنج ذلك عادوا الى مدينة صور فلما عادوا اليها عاد صلاح الدين الى تبنين ثم الى عكا ينظر حالها ثم الى المعسكر والمخيم ولما عاد صلاح الى العسكر أتاه الخبر ان الفرنج يخرجون من صور للاحتطاب والاحتشاش متعددين فكتب الى من بعكا من العسكر وواعدهم يوم الاثنين ثامن جمادى الآخرة ليلاقوهم من الجانبين ورتب كمينا في موضع من تلك الاودية والشعاب واختار جماعة من شجعان عسكره وأمرهم انهم اذا حمل عليهم الفرنج قاتلوهم شيئا من قتال ثم تطاردوا لهم وأروهم العجز عن مقاتلتهم فاذا تبعهم الفرنج استجروهم الى ان يجوزوا موضع الكمين ثم يعطفوا عليهم ويخرج الكمين من خلفهم فخرجوا على هذه العزيمة فلما تراءى الجمعان والتقت الفئتان انف فرسان المسلمين ان يظهر عنهم اسم الهزيمة وثبتوا فقاتلهم وصبر بعضهم لبعض واشتد القتال وعظم الامر ودامت الحرب وطال على الكمين الانتظار فخافوا على

عبدالمحسن بن أحمد بن زيد من أعالي مكة ومعه بنو عمه وهم في الدروع الضافية واللامات اللامعة الصافية في ألاي أعظم من سائر العساكر المصرية وجميع العساكر الذين كانوا مع الشريف سعيد وما انضم اليهم من عسكر الباشا وأنواع العرب الذين أجابوا داعيه ولم يزل سائرا الى أن دخل المسجد الحرام وقد بسط له بساط في الحطيم وفتح باب الكعبة المشرفة وحضر القاضي والمفتي والعلماء والخلق كافة ومن دخل معه من الاشراف وقرئ عليهم الاوامر السلطانية وهما أمران أحدهما من السلطان مصطفى والآخر من السلطان أحمد مضمونهما أن سليمان باشا مفوض من قبلنا على الحرمين الشريفين قائم مقامنا قد نصبناه بصدد من رأى فيه صلاحا للعباد والبلاد فمن رأى فيه غير ذلك عزله ونفاه وأقام من يرى فيه الصلاح وهذا خطاب شامل لمن كان تحت طاعتنا محميا بحمايتنا ثم بعد تمام القراءة للامرين دعا على باب الكعبة المعظمة الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالمعطي الشيبي والرئيس دعا من أعلى زمزم على العادة المعروفة ثم دخل مولانا الشريف عبدالمحسن الكعبة وخرج منها الى دار السعادة وقد هيئت له وجلس للتهنئة وقابل الناس ببشر وطلاقة وامتدحته الشعراء بقصائد وأجازهم

(أصحابهم)

اصحابهم فخرجوا من مكانهم نحوهم مسرعين اليهم قاصدين فأتوهم وهم فى شدة الحرب فازداد الامر شدة على شدته وكان منهم أربعة أمراء من ربيعة طى وكانوا يجهلون تلك الارض فلم يسلكوا مسلك اصحابهم فسلكوا الوادى ظنا منهم انه يخرج بهم الى اصحابهم وتبعهم بعض مماليك صلاح الدين فلما رآهم الفرنج بالوادى علموا أنهم جاهلون فأتوهم وقاتلوهم وأما المملوك فانه نزل عن فرسه وجلس على صخرة وأخذ قوسه بيده وحمى نفسه وجعلوا يرمونه بسهام الزنبورك وهو يرميهم فجرح منهم جماعة وجرحوه جراحات كثيرة فسقط فأتوه وهو بآخر رمق فتركوه وانصرفوا وهم يحسبونه ميتا ثم ان المسلمين جاؤا من الغد الى مواضعهم فرأوا القتلى ورأوا المملوك حيا فحملوه فى كساء وهو لا يكاد يعرف من الجراحات فأيسوا من حياته وعرضوا عليه الشهادة وبشروه بالشهادة فتركوه ثم عادوا اليه فرأوه وقد قويت نفسه فأقبلوا عليه بمشروب فعوفى ثم كان بعد ذلك لا يحضر مشهدا الا كان له فيه الاثر العظيم

﴿ ذكر مسير الفرنج الى عكا ومحاصرتها ﴾

لما كثر جمع الفرنج بصور على ماذكرناه مع ان صلاح الدين كان كلما فتح مدينة أو قلعة أعطى أهلها الامان وسيرهم اليها بأموالهم ونساءهم واولادهم فاجتمع بها منهم عالم كثير لا يعد ولا يحصى ومن الاموال مالا يفنى على كثرة الانفاق فى السنين الكثيرة ثم ان الرهبان والقسيسين وخلقا كثيرا من مشهوريهم وفرسانهم لبسوا السواد وأظهروا الحزن على خروج بيت المقدس من أيديهم وأخذهم البطرك الذى كان بالقدس ودخل بهم بلاد الفرنج يطوفها بهم جميعا ويستنجدون أهلها ويحثونهم على الاخذ بثار البيت المقدس وصوروا المسيح عليه السلام وجعلوا صورة رجل عربى والعربى يضربه وقد جعلوا الدماء فى صورة المسيح عليه السلام وقالوا لهم هذا المسيح يضربه محمد نبى المسلمين وقد جرحه وقتله فعظم ذلك على الفرنج فحشروا وحشدوا حتى النساء فانهم كان معهم على عكا عدة من النساء يبارزن الاقران ومن لم يستطع منهم الخروج بنفسه استأجر من يخرج عوضا عنه يعطيهم مالا على قدر حالهم فاجتمع لهم من الرجال والاموال مالا يتطرق اليه الاحصاء حتى ان بعض الاسرى منهم حدث ان له والدة ليس لها ولد سواه وما كانت تملك من الدنيا غير بيت فباعته وجهزته بثمنه وسيرته لاستنقاذ بيت المقدس فأخذ اسيرا فكان عند الفرنج من الباعث الدينى والنفسانى ماهذا حده فخرجوا على الصعب والذلول برا وبحرا من كل فج عميق وحاصروا عكا ثلاث سنين حتى ملكوها وكان ابتداء تجمعهم وسيرهم هذا المسير سنه ٥٨٥ وهى مسيحية سنة ١١٨٩ فنازلوا عكا منتصف رجب من السنة المذكورة والامداد تأتيهم فى كل وقت بالمال والرجال والمسلمون يقاتلونهم وفى سنة ١١٩٠ مسيحية وهى سنة ٥٨٦ هجرية قامت لهم التجريدة الثالثة ونفروا نفرا عاما من بلاد اوروبا تحت راية فليب ملك فرانسا وفريدرك جرمانيا وريكاردوس الأول ملك انكلترا الملقب بقلب الاسد وغيرهم من الامرا فنهضوا جميعا وقصدوا بلاد فلسطين بمائتى سفينة مشحونة بالعساكر والمهمات وعند وصولهم الى مدينة صور وهى الباقية بأيديهم تقدموا منها الى مدينة عكا وحاصروها مع من كان قبلهم محاصرها حتى تم عدد المحاصرين ستمائة ألف ولاقى المسلمين من حربهم أشد البلاء وكان ابتداء مسيرهم

وألبس الاغاوات وأرباب المناصب على العادة ونادى المنادى فى شوارع مكة بالزينة فزينت له مكة ثلاثة أيام واستمر واليا اليوم الاربعاء فكانت مدة ولايته تسعة أيام عدد حروف اسمه فنزل عن الولاية وقلدها ابن عمه مولانا الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة بن موسى بن بركات بن ابى نمى فنزل الى المسجد الحرام بالحطيم وحضر لحضوره وجوه السادة الاشراف والوزير المعظم سليمان باشا والقاضى والمفتى والعلماء والخطباء وكبار العساكر وأهل الادراك وعامة الناس

(ذكر نزول مولانا الشريف عبد المحسن للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى عن شرافة مكة)

ولما انعقد المجلس قال مولانا الشريف عبد المحسن أيها الناس اشهدوا أنى نزلت عن شرافة مكة الى سيدنا الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بطيب نفس وسماحة فانه أهل لذلك فأمر حينئذ القاضى عيد زاده المكى أن يخاطب السادة الاشراف هل رضيتم بما رضى به مولانا الشريف عبد المحسن من ولاية مولانا الشريف عبد الكريم فقال الجميع نعم رضينا بما رضيه لنا وفيه الكفاية والكفاءة وكل من حضر ذلك المجلس سمع قولهم رضينا به واليا

من صور ثامن رجب سنة ٥٨٥ يموج بعضهم في بعض ومعهم الاموال العظيمة والبحر يمدهم بالاقوات والذخائر والعدد والرجال من بلادهم ولزموا ساحل البحر في سيرهم لا يفارقونه في السهل والوعر والضيق والسعة ومراكبهم تسير مقابلهم في البحر فيها سلاحهم وذخائرهم ولتكون عدة لهم ان جاءهم مالا قبل لهم به ركبوا فيها وعادوا ولما كانوا سائرين كان يزك المسلمين يتخطفونهم ويأخذون المنفرد منهم ولما رحلوا وجاء الخبر الى صلاح الدين برحيلهم فسار حتى قاربهم ثم جمع امراءه استشارهم هل يكون المسير محاذاة الفرنج ومقاتلتهم وهم سائرون او يكون في غير الطريق التي سلكوها فقالوا لا حاجة بنا الى احتمال المشقة في مسايرتهم فان الطريق وعر وضيق ولا يتهيأ لنا ماتريده منهم والرأى اننا نسير في الطريق الواسع ونجتمع عليهم عند عكا فنفرقهم ونمزقهم فعلم ميلهم الى الراحة المعجلة فوافقهم وكان رأيه مسايرتهم ومقاتلتهم وهم سائرون وقال ان الفرنج اذا نزلوا لصقوا بالارض فلا يتهيأ لنا ازعاجهم ولا نيل الغرض منهم والرأى قتالهم قبل الوصول الى عكا فخالفوه فتبعهم وساروا على طريق واسع فسبقهم الفرنج وكان صلاح الدين قد جعل في مقابل الفرنج جماعة من الامراء يسايرونهم ويناوشونهم القتال ويتخطفونهم فلم يقدم الفرنج عليه مع قلتهم فلو ان العساكر اتبعت رأى صلاح الدين في مسايرتهم ومقاتلتهم قبل نزولهم على عكا كان بلغ منهم غرضه وصدهم عنها ولكن اذا اراد الله امرا هيأ اسبابه ولما وصل صلاح الدين الى عكا رأى الفرنج قد نزلوا عليها من البحر الى البحر من الجانب الآخر ولم يبق للمسلمين طريق الى عكا فنزل صلاح الدين عليهم وضرب خيمته على تل كيسان وامتدت ميمنته الى تل العياضية وميسرته الى النهر الجاري ونزلت الاثقال بصفورية وسير الكتب الى الاطراف باستدعاء العساكر فأتاه الناس من كل البلاد وكانت الامداد تأتى المسلمين في البر وتأتى الفرنج في البحر وكان بين الفريقين مدة مقامهم على عكا حروب كثيرة مابين صغيرة وكبيرة ولما نزل السلطان عليهم لم يقدر على الوصول اليهم ولا الى عكا حتى انسلخ رجب ثم قاتلهم مستهل شعبان فلم ينل منهم مايريد وبات الناس على تعبية فلما كان الغد باكرهم بالقتال بحده وحديده واستدار عليهم من سائر جهاتهم من بكرة الى الظهر وصبر الفريقان صبرا حار له من رآه فلما كان وقت الظهر حمل عليهم تقي الدين ابن اخي صلاح الدين حملة منكرة من الميمنة على من يليه منهم فأزاحهم عن مواقفهم فركب بعضهم بعضا لا يلوي اخ على اخ والتجؤا الى من يليهم من اصحابه واجتمعوا بهم واخلوا نصف البلد وملك تقي الدين مكانهم والتصق بالبلد وصار ما أخلوه بيده ودخل المسلمون البلد وخرجوا منه واتصلت الطرق وزال الحصر عمن فيه وأدخل صلاح الدين اليه من أراد من الرجال وما أراد من الذخائر والأموال والسلاح وغير ذلك ولو ان المسلمين لزموا قتالهم الى الليل لبلغوا ما أرادوه فان للصدمة الاولى روعة لكنهم لما نالوا منهم هذا القدر أخلدوا الى الراحة وتركوا القتال وقالوا نباكرهم غدا ونقطع دابرهم وقتل من الفرنج هذا اليوم جماعة كثيرة

يستطيع فقالوا نعم لا نكلفه مالا يستطيع وليس مرادنا الا الصلاح لبلدنا ونحن معه في اصلاح البلد وما وقع فيه من فساد فعلينا ازالته فسجل عليهم القاضي ذلك في المجلس المذكور فعند ذلك أشار الوزير المعظم سليمان باشا لبعض أتباعه فأتى بفرو فألبسه مولانا الشريف عبد الكريم ثم أمر الوزير بقراءة الامرين السابق ذكرهما من السلطان مصطفى والسلطان أحمد ثم لما فرغ من قراءتهما دعا الشيخ محمد ابن الشيخ عبد المعطى الشيبي على باب الكعبة لمولانا السلطان وكذلك الرئيس بأعلى زمزم على جرى العادة ثم دخل الكعبة مولانا الشريف عبد المحسن ومولانا الشريف عبد الكريم ومعهم الوزير سليمان باشا ومكثوا بها ساعة وتعاهدوا ثمة على الصدق فيما بينهم وخرجوا جميعا فسار الشريف عبد الكريم الى بيت الشريف بركات ابن محمد وجلس للتهنئة وخلع على ارباب المناصب والعساكر والحشم ونادى المنادى أيضا بالزينة ثلاثة أيام وبعث الى الطائف فنودى له فيه وخطب له على منبره وأطاعته جميع العرب وبعث الى المدينة ومدحته الشعراء بقصائد

(ذكر)

﴿ ذكر وقعة اخرى ﴾

ثم ان المسلمين نهضوا الى الفرنج من الغد وهو سادس شعبان عازمين على بذل جهدهم واستنفاد وسعهم فى استيصالهم فتقدموا على تعبيتهم فرأوا الفرنج حذرين محتاطين قد ندموا على ما فرطوا فيه بالامس وهم قد حفظوا أطرافهم ونواحيهم وشرعوا فى حفر خندق يمنع عن الوصول اليهم فألح المسلمون عليهم فى القتال فلم يتقدم الفرنج اليهم ولا فارقوا مرابضهم فلما رأى المسلمون ذلك عادوا عنهم ثم ان جماعة من العرب بلغهم ان جماعة من الفرنج تخرج من الناحية الاخرى الى الاحتطاب وغيره من أشغالهم فكمنوا لهم فى معاطف النهر ونواحيه سادس عشر شعبان فلما خرج جمع الفرنج على عادتهم حمل عليهم العرب فقتلوهم عن آخرهم وغنموا ما كان معهم وحملوا الرؤس الى صلاح الدين فأحسن اليهم بالجوائز والخلع

﴿ ذكر الوقعة الكبرى على عكا ﴾

لما كان بعد هذه الوقعة المذكورة بقى المسلمون الى عشرين من شعبان كل يوم يغادون القتال مع الفرنج ويراوحونه والفرنج لا يظهرون من معسكرهم ولا يفارقونه ثم أن الفرنج اجتمعوا للمشورة فقالوا ان عسكر مصر لم يحضر وا والحال مع صلاح الدين هكذا فكيف يكون اذا حضروا فاارأى انا نلقى المسلمين غدا لعلنا نظفر بهم قبل اجتماع العسكر والامداد اليهم وكان كثير من عسكر صلاح الدين غائبا عن بعضهم مقابل انطاكية ليرد صاحبها عن اعمال حلب وبعضهم فى حمص مقابل طرابس ليحفظ ذلك الثغر ايضا وعسكر فى مقابل صور لحماية ذلك البلد وعسكر بمصر يكون بثغر دمياط والاسكندرية وغيرهما والذى بقى من عسكر مصر لم يصلوا لطول بكارهم فكان هذا مما أطمع الفرنج فى الظهور الى قتال المسلمين واصبح المسلمون على عادتهم منهم من يتقدم الى القتال ومنهم من هو فى خيمته ومنهم من قد توجه فى حاجة من زيارة صديق وتحصيل ما يحتاج اليه هو وأصحابه ودوابه الى غير ذلك فخرج الفرنج من معسكرهم كأنهم الجراد المنتشر يدبون على وجه الارض قد ملؤها طولا وعرضا وطلبوا ميمنة المسلمين وعليها تقى الدين عمر بن اخى صلاح الدين فلما رأى الفرنج نحوه قاصدين حذر هو وأصحابه فتقدموا اليه فلما قربوا منه تأخر فلما رأى صلاح الدين الحال وهو فى القلب أمد تقى الدين برجال من عنده ليتقوى تقى الدين فلما رأى الفرنج قلة الرجال فى القلب وان كثيرا منهم قد سار نحو الميمنة مددا لهم عطفوا على القلب فحملوا حملة رجل واحد فاندفعت العساكر بين يديهم منهزمين وثبت بعضهم فاستشهد جماعة منهم ولم يبق بين ايديهم فى القلب من يردهم فقصدوا التل الذى عليه خيمة صلاح الدين فقتلوا من مروا به ونهبوا وقتلوا عند خيمة صلاح الدين جماعة وانحدروا الى الجانب الآخر من التل فوضعوا السيف فيمن لقوه ثم أن الفرنج نظروا الى ورائهم فرأوا امدادهم قد انقطعت عنهم فرجعوا خوفا ان ينقطعوا عن أصحابهم فحملت الميسرة على الفرنج الواصلين الى خيمة صلاح الدين صادفوهم وهم راجعون وكان صلاح الدين لما انهزم القلب قد تبعهم ينادى بهم ويأمرهم بالكرة ومعاودة القتال فاجتمع منهم معه جماعة فحمل بهم على الفرنج من وراء ظهورهم وهم مشغولون بقتال

وشكا اليه ما فعله به بنو عمه واستنجد به فأبى وقال أنا خادم السلطنة ولا أعصى أمر السلطان فارتحل عنهم ونزل ببنى ابراهيم واستمر بديارهم أياما حتى اجتمع اليه بعض عرب منهم ومن جهينة وآخرون من لفق هناك فأخذ بندر ينبع وأنزل فيه ابنه السيد عبد الله بن سعيد وأقام هو بالجارية وصار يعطى كل بدوى عشرين أحمر وأردبين حبا من حب لاهالى مكة وجدة كان هناك من بقية الجراية وأخذ بعض أموال أهل مصر المرسلة للوكلاء بجدة واستمر ابنه بينبع الى أن جهز عليه مولانا الشريف عبد الكريم السيد عبد الله ابن محمد بن بركات بن محمد ومعه بعض الاشراف وعسكر فنزل بالصفراء على مبارك بن رجة فكساه وكسى بقية المشايخ وأقام هنالك يستجلب العرب ثم لحقه السيد زين العابدين بن ابراهيم بن محمد ومعه بعض أشراف من ذوى بركات وذوى شنبر وآخرون من بنى حسن وعساكر من سليمان باشا ركبوا فى الزعائم من بندر جدة ثم ان السيد عبد الله بن محمد بن بركات

ومن معه أرسلوا للشريف سعيد وقالوا له اخرج من بلاد الشريف فرد لهم جوابا غير لائق فأيقنوا منه الخلاف فساروا

الميسرة فأخذتهم سيوف الله من كل جانب فلم يفلت منهم احد وقتل أكثرهم واخذ الباقون اسرى وكان عدة القتلى عشرة آلاف قتيل سوى من كان الى جانب البحر ثم أمر بالقتلى فالقوا فى النهر الذى يشرب منه الفرنج وكان فى جملة الاسرى ثلاثة نسوة فرنجيات كن يقاتلن على الخيل ولولا أن العساكر تفرقت فى الهزيمة لكانوا بلغوا من الفرنج الاستئصال والاهلاك على ان الباقين بذلوا جهدهم وجدوا فى القتال وصمموا على الدخول مع الفرنج فى معسكرهم لعلهم يفرغون منهم فجاء المسلمين الصريخ بأن رجالهم وأموالهم نهبت وكان سبب هذا ان الناس لما رأوا الهزيمة حملوا اثقالهم على الدواب فثار بهم اوباش العسكر وغلمانه فنهبوه واتوا عليه وكان فى عزم صلاح الدين ان يباكرهم القتال والزحف فرأى اشتغال الناس بما ذهب من اموالهم وهم يسعون فى جمعها وتحصيلها فأمر بالنداء باحضار ما اخذ فاحضر منه ما ملأ الارض من المقارش والعيب المملوءة والثياب والسلاح وغير ذلك فرد الجميع على اصحابه ففاته ذلك اليوم ما أراد فسكن روع الفرنج وأصلحوا شأن الباقين منهم

❊ ذكر رحيل صلاح الدين عن الفرنج وتمكنهم من حصر عكا ❊

لما قتل من الفرنج ذلك العدد الكثير جافت الارض من نتن ريحهم وفسد الهوى والجو ووجدت الامزجة فسادا وانحرف مزاج صلاح الدين وحدث له قولنج مبرح كان يعتاده فحضر عنده الامراء وأشاروا عليه بالانتقال من ذلك الموضع وترك مضايقة الفرنج وحسنوه له وقالوا قد ضيقنا على الفرنج ولو ارادوا الانفصال عن مكانهم لم يقدروا والرأى ان نبعد عنهم بحيث يتمكنون من الرحيل والعود فان رحلوا فقد كفينا شرهم وكفوا شرنا وان أقاموا عاودنا القتال ورجعنا معهم الى ما نحن فيه ثم ان مزاجك منحرف والالم شديد ولو وقع ارجاف لهلك الناس والرأى على كل تقدير البعد عنهم ووافقهم الاطباء على ذلك فأجابهم اليه لما يريد الله ان يفعله واذا اراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال فرحلوا الى الخروبة رابع شهر رمضان وارسل لمن فى عكا من المسلمين يأمرهم بحفظها واغلاق أبوابها والاحتياط وأعلمهم بسبب رحيله فلما رحل هو وعساكره امن الفرنج وانبسطوا فى تلك الارض وعادوا وحصروا عكا وأحاطوا بها من البحر الى البحر ومراكبهم ايضا فى البحر تحصرها وشرعوا فى حفر الخندق وعمل السور من التراب الذى يخرجونه من الخندق وجاؤا بما لم يكن فى الحساب وكان اليزك كل يوم يواقعهم وهم لا يقاتلون ولا يتحركون انما هم معتمدون بحفر الخندق والسور عليهم ليتحصنوا به من صلاح الدين ان عاد الى قتالهم فحينئذ ظهر رأى المشيرين بالرحيل انه غير صواب وكان اليزك كل يوم يخبرون صلاح الدين بما يصنع الفرنج ويعظمون الامر عليه وهو مشغول بالمرض لا يقدر على النهوض للحرب وأشار عليه بعضهم بان يرسل العساكر جميعها اليهم ليمنعهم من الخندق والسور ويقاتلوهم ويتخلف هو عنهم فقال اذا لم احضر معهم لا يفعلون شيأ وربما كان من الشر اضعاف ما نرجوه من الخير فتأخر الامر الى ان عوفى فتمكن الفرنج وعملوا ما ارادوا وأحكموا امورهم وحصنوا أنفسهم بما وجدوا اليه السبيل وكان من بعكا يخرجون اليهم كل يوم ويقاتلونهم وينالون منهم بظاهر البلد ولما برئ صلاح الدين من مرضه كان الشتاء قد دخل

من قومه الى أن وصلوا الى ينبع البحر فاتبعهم السيد عبد الله بن سعيد فحاصروه أياما ثم عجز وطلب الامان فأمنوه وخرج ليلا الى أن لحق بأبيه وأقام معه بالجارية وتفرقت عنهم العرب ولم يبق معهم الا عبيدهم ومن يلوذ بهم وكانت هذه الواقعة رابع عشر جمادى الاولى وورد الخبر بنصرة جماعة مولانا الشريف عبد الكريم الى مكة فألبس المبشر ودار على دور الاشراف كما هو العادة فى خبر النصرة فألبسوه الملابس الحسنة وركزت الاعلام على بيوت السادة الاشراف هذا ما كان من أمر الشريف سعيد وأما أبو الشريف سعد فبعد ان خرج الى المعابدة أرسل الى ابن أخيه الشريف عبد المحسن وطلب الاقامة بنجد مكتفو لا مكتفو فا معاملا له ثم بعد خلع الشرافة على الشريف عبد الكريم بعث اليه فيما طلبه من ابن أخيه الشريف عبد المحسن فأجابه الى ذلك وذلك بعد خروجه من مكة الى نواحى الشرق ثم بعد برهة جمع جماعة من الروقة وخلد والنفعة وقبائل من الاعراب وأطمعهم بالمال وأراد أن يدخل بهم الطائف فصده وكيل الديرة السيد عبد الله بن حسين بن جود الله

فأقام بمكانه الى أن ذهب الشتاء وكان يزك وطلائعه لاتنقطع عن الفرنج وفي منتصف شوال وصلت اليه العساكر المصرية ومقدمها الملك العادل سيف الدين أخو صلاح الدين فقويت نفوس الناس به وأحضر معه من آلات الحصار من الدرق والطارقيات والنشاب والاقواس شيأ كثيرا ومعه من الرجالة الجم الغفير ووصل بعده الاسطول المصري ومقدمه الامير لؤلؤة وكان شهما شجاعا مقداما خبيرا بالبحر والقتال فيه ميمون النقيبة ووقع في طريقه على بطسة كبيرة للفرنج فغنمها واخذ منها أموالا كثيرة وميرة عظيمة ودخلت سنة ست وثمانين فلما دخل صفر سمع الفرنج ان صلاح الدين قد سار للصيد ورأى العسكر الذي في المعسكر عندهم قليلا وان الوحل الذي في مرج عكا كثير يمنع من سلوكه من أراد ان ينحدر الى اليزك فاغتنموا ذلك وخرجوا من خندقهم على اليزك وقت العصر فقاتلهم المسلمون وحموا نفوسهم بالنشاب وأحجم الفرنج عنهم حتى فني نشاب المسلمين فحملوا عليهم حينئذ حملة رجل واحد فاشتد القتال وعظم الامر وعلم المسلمون انه لاينجيهم الا الصبر وصدق القتال فقاتلوا قتال مستقتل الى ان جاء الليل وقتل من الفريقين جماعة كثيرة وعاد الفرنج الى خندقهم ولما عاد صلاح الدين الى المعسكر سمع خبر الوقعة فندب الناس الى نصر اخوانهم فأتاه الخبر ان الفرنج عادوا الى خندقهم فاقام ثم انه رأى الشتاء قد ذهب وجاءته العساكر من البلاد القريبة منه دمشق وحمص وحماه وغيرها فتقدم من الخروبة نحو عكا فنزل تل كيسان وقاتل الفرنج كل يوم ليشغلهم عن قتال من بعكا من المسلمين فكانوا يقاتلون الطائفتين ولايسأمون

ذكر احراق الابراج ووقعة الاسطول

كان الافرنج في مدة مقامهم على عكا قد عملوا ثلاثة أبراج من الخشب عالية جدا طول كل برج منها في السماء ستون ذراعا وعملوا كل برج منها خمس طبقات كل طبقة مملوءة من المقاتلة وغشوها بالجلود والخل والطين والادوية التي تمنع النار من احراقها واصلحوا الطرق لها وقدموها نحو مدينة عكا من ثلاث جهات وزحفوا بها من العشرين في ربيع الاول فأشرفت على السور وقاتل بها من عليه فانكشفوا وشرعوا في طم خندق البلد فاشرف البلد على ان يملك عنوة وقهرا فأرسل اهل البلد الى صلاح الدين انسانا سبح في البحر وأعلمه ماهم فيه من الضيق وماقد أشرفوا عليه من اخذهم وقتلهم فركب هو وعساكره وتقدم الى الفرنج وقاتلهم من جميع جهاتهم قتالا عظيما دائما شغلهم عن مكاثرة البلد فافترق الفرنج فرقتين فرقة تقاتل صلاح الدين وفرقة تقاتل أهل عكا الا ان الامر قد خف عمن بالبلد ودام القتال ثمانية ايام متتابعة آخرها الثامن والعشرون من الشهر وسئم الفريقان القتال وملوا منه لملازمته ليلا ونهارا والمسلمون قد تيقنوا استيلاء الفرنج على البلد لما رأوا من عجز من فيه عن دفع الابراج فانهم لم يتركوا حيلة الا عملوها فلم يفد ذلك ولم يغن عنهم شيأ وتابعوا رمي النفط الطيار عليها فلم يؤثر فيها فأيقنوا بالبوار والهلاك فأتاهم الله بنصر من عنده واذن من احراق الابراج وكان سبب ذلك ان انسانا من اهل دمشق كان مولعا بجمع آلات النفاطين وتحصيل عقاقير تقوي عمل النار فكان من يعرفه يلومه على ذلك وينكره عليه وهو يقول هذه حالة لم اباشرها بنفسي انما اشتهي معرفتها وكان بعكا لامر يريده الله فلما رأى الابراج قد نصبت على عكا شرع في عمل مايعرفه

وكان معه من الاشراف السيد * ٣١٧ * مبارك بن أحمد بن زيد وعبدالله بن أحمد بن أبي القاسم وجماعة آخرون كانوا بالطائف في عملة الشريف عبد الكريم وكانوا ينيفون على السبعمائة مع جملة عبيدهم وحواشيهم من ثقيف وبني سعد وغيرهم وتجهزوا للقائه فهم بملاقاتهم فثبطه السيد أحمد بن زين العابدين بكتاب منه عرفه فيه ماأوجب اعراضه عن الطائف وتوجه الى مكة فتبعه السيد مبارك بن أحمد بجماعة من نحو كرى وغيره من الطرق فدخل مكة فعرض بهم على مولانا الشريف عبد الكريم سادس جمادى الاولى بالمعابدة وكان الشريف عبدالكريم لما سمع بقدوم الشريف سعد خرج الى المعابدة واستقر هناك متهيأ للقائه فلما كان ليلة الثلاثاء سادس جمادى الاولى وصل الشريف سعد الى الهميجاء ونزل بها وهي محل على ميل من مكة ممايلي الجعرانة وسار في آخر الليل بمن معه فما شعروا به الا وهو قد وصل بيوت المعابدة ممايلي اذاخر فنهب من معه من البدو أهل المعابدة فركب الشريف عبدالكريم بمن عنده وطلع له عسكر الباشا من ترك ومغاربة ومعهم كيخية سليمان باشا وبعض اشراف من آل أبي نمي فكر الشريف سعد راجعا الى أن نزل الخرمانية محل قريب من الهميجاء ووقعت العسكر في البدو وعمل السيف

من الادوية المقوية للنار بحيث لايمنعها شئ من الطين والخل وغيرهما فلما فرغ منها حضر عند الامير قراقوش وهو متولى الامور بعكا والحاكم فيها وقال له يأمر المنجنيق أن يرمى فى المنجنيق المحاذى لبرج من هذه الابراج ما اعطيه حتى احرقه وكان عند قراقوش من الغيظ والخوف على البلد ومن فيه مايكاد يقتله فازداد غيظا لقوله وحرد عليه فقال له قد بالغ أهل هذه الصناعة فى الرمى بالنفط وغيره فلم يفلحوا فقال له من حضر لعل الله تعالى قد جعل الفرج على يد هذا ولا يضرنا ان نوافقه على قوله فأجابه الى ذلك وأمر المنجنيق بامتثال أمره فرمى عدة قدور نفطا وأدوية ليس فيها نار فكان الفرنج اذا رأوا القدر لايحرق شيأ يصيحون ويرقصون ويلعبون على سطح البرج حتى علم ان الذى ألقاه قد تمكن من البرج والتصق به حتى اذا جاءته النار اشتعل مريها التى قدرا مملوءة وجعل فيها النار فاشتعل البرج وألقى قدرا ثانية وثالثة فاضطرمت النار فى نواحى البرج وأعجلت من فى طبقاته الخمس عن الهرب والخلاص فأحترق هو ومن فيه وكان فيه من الزرديات والسلاح شئ كثير وكان طمع الفرنج بما رأوا أن القدور الاولى لاتعمل يحملهم على الطمأنينة وترك السعى فى الخلاص حتى عجل الله لهم النار فى الدنيا قبل الآخرة فلما احترق البرج الأول انتقل الى الثانى وقد هرب من فيه لخوفهم فاحرقه وكذلك الثالث وكان يوما مشهودا لم ير الناس مثله والمسلمون الذين مع صلاح الدين خارج البلد ينظرون ويفرحون وقد أسفرت وجوههم بعد الكآبة فرحا بالنصر وخلاص المسلمين من القتل لانهم ليس فيهم أحد الا وله فى البلد اما نسيب واما صديق وحمل ذلك الرجل الى صلاح الدين فبذل له الاموال الجزيلة والاقطاع الكثيرة فلم يقبل منه الحبة الفردة وقال انما عملته لله تعالى ولا أريد الجزاء الا منه وسيرت الكتب الى البلاد بالبشائر وأرسل صلاح الدين يطلب العساكر الشرقية فاول من أتاه صاحب سنجار بعساكره وديار الجزيرة ثم صاحب الموصل بعساكره ثم صاحب اربل بعساكره وكان كل منهم اذا وصل يتقدم الى الفرنج بعساكره وينضم اليهم غيرهم ويقاتلونهم ثم ينزلون ووصل الاسطول من مصر فلما سمع الفرنج بقربه جهزوا الى طريقه اسطولا يلقاه ويقاتله فركب صلاح الدين فى العساكر جميعها وقاتلهم من جهاتهم ليشتغلوا بقتاله عن قتال الاسطول ليتمكن من دخول عكا فلم يشتغلوا عن قصده بشئ فكان القتال بين الفريقين برا وبحرا وكان يوما مشهودا لم يؤرخ مثله واخذ المسلمون من الفرنج مركبا فيه من الرجال والسلاح وأخذ الفرنج من المسلمين مثل ذلك الا أن القتل فى الفرنج كان اكثر منه فى المسلمين ووصل الاسطول الاسلامى سالما

ذكر وصول ملك الألمانى الشام وموته

فى هذه السنة كان خروج ملك الألمان من بلاده والالمان نوع من الفرنج من اكثرهم عددا واشدهم بأسا وكان قد ازعجه تملك المسلمين بيت المقدس فجمع عساكره وازاح علتهم وسار عن بلاده وكان طريقه على القسطنطينية وكان ملك القسطنطينية عقد صلحا مع صلاح الدين وصار يكاتبه ويظهر له المودة فأرسل ملك الروم لصلاح الدين يخبره بقدوم ملك الالمان ويعده انه لايمكنه من العبور فى بلاده فلما وصل ملك الالمان الى القسطنطينية عجز ملكها عن منعه من العبور لكثرة جموعه لكنه منع عنهم الميرة ولم يمكن احدا من رعيته من حمل مايريدونه

فيهم ولحق بالشريف عبد الكريم السيد بشير بن جازان ومعه نحو سبعين مقاتلا من هذيل يقال لهم الصلمان ولحق به أيضا سليمان بن أحمد بن سعيد ابن شبر وكان قد ورد هذا اليوم من جدة وكان قد تفرق عن الشريف عبد الكريم كثير من الاشراف مغاضبين له ولم يحضر هذه الواقعة منهم أحد واستمر فى المقاتلة الى الساعة الثالثة من النهار فصوبت فرس الشريف سعد برصاصة وصوب السيد ابونمى بن بازبن هاشم بن عبد الله برصاصة فسقط من على فرسه وقتل نحو خمسة عشر فرسا من خيل الاشراف وقتل من قوم الشريف سعد ماينيف على الثلاثين وعقر من ابلهم ماينيف على العشرين وقتل من جماعة الشريف عبد الكريم نحو سبعة أو ثمانية وامتزجت الدماء من الخرمانية الى رأس الشعبة من ريح أذاخر دماء الناس والخيل والابل وفى الساعة الرابعة ظهر عجز جماعة الشريف سعد فولوا هاربين فحمل عليهم الشريف عبد الكريم بمن معه حملة واحدة وصاروا يقتلون فيهم وصاروا هاربين وخرج من عامة الرعية اكثر من عامة الهاربين وهم يصيحون برفع الاصوات ويكبرون عليهم وكانت مقتلة عظيمة ومصيبة مهولة ولم يزالوا يقتلون فيهم الى

اليهم فضاقت بهم الازواد والاقوات وساروا حتى عبروا خليج القسطنطينية وساروا على بلاد الاسلام وهي مملكة الملك قلج ارسلان السلجوقي وكان من ملوك الاسلام فلما وصلوا الى اوائلها ثار بهم المسلمون فنازلوا يسايرونهم ويقتلون من انفرد ويأخذون ماقدروا عليه من أموالهم وكان الزمان شتاء والبرد في تلك البلاد شديد والثلج متراكم فأهلكهم البرد والجوع والقتل والاخذ فلما قاربوا مدينة قونية خرج اليهم الملك قطب الدين بن قلج ارسلان السلجوقي ليمنعهم فلم يكن له بهم قوة فعاد الى قونية فساروا حتى بلغوا انطاكية وكانوا نيفا واربعين ألفا ووقع فيهم مرض ووباء فمات كثير منهم ودخل ملكهم في نهر ليغتسل فغرق فجعلوا ابنه ملكا عليهم بدله ثم ساروا حتى وصلوا الى عكا فلما رأوا ما نالهم من المشقات أراد كثير منهم العود الى بلادهم فركبوا في مراكب فغرقت بهم ولم يبق منهم الا القليل ولما بلغ صلاح الدين اقبالهم استشار اصحابه فأشار كثير منهم عليه بالمسير الى طريقهم ومحاربتهم قبل ان يتصلوا بمن على عكا فقال بل نقيم الى ان يقربوا منا وحينئذ نفعل ذلك لئلا يستسلم من بعكا من عساكرنا لكنه سير بعض عساكره الى اعمال حلب ليكونوا من اطراف البلاد يحفظونها من عاديتهم وكان حال المسلمين كما قال الله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا * لكن كفى الله شرهم وأقل عددهم بما اصابهم من العوارض والبلايا في طريقهم

﴿ ذكر وقعة للمسلمين والفرنج على عكا ﴾

وفي هذه السنة اعني سنة ٥٨٦ في العشرين من جادى الآخرة خرجت الفرنج فارسها وراجلها من وراء خنادقهم وتقدموا الى المسلمين وقصدوا نحو عسكر مصر ومقدمهم الملك العادل أخو صلاح الدين فركب المصريون واصطفوا للقاء الفرنج فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانحاز المصريون عنهم ودخل الفرنج خيامهم ونهبوا أموالهم فكر المصريون ورجعوا عاطفين عليهم فقاتلوهم من وسط خيامهم فأخرجوهم عنها وتوجهت طائفة من المصريين نحو خنادق الفرنج فقطعوا المدد عن اصحابهم الذين خرجوا وكانوا متصلين كالنمل فلما انقطعت أمدادهم القوا بايديهم وأخذتهم السيوف من كل ناحية فلم ينج منهم الا الشريد وقتل منهم مقتلة عظيمة يزيد عدد القتلى على عشرة آلاف قتيل ولما جرت عليهم هذه الحادثة خمدت جمرتهم ولانت عريكتهم فلما كان بعد يومين اتتهم أمداد في البحر مع كند من الكنود البحرية يقال له الكند هنري ابن اخي ملك فرانسا لابيه وابن اخي ملك انكلتار لأمه ووصل معه من الاموال شئ كثير يفوته الاحصاء فلما وصل جند الاجناد وبذل الاموال فعادت نفوسهم قوية واطمأنت واخبرهم ان الامداد واصلة اليهم يتلو بعضها بعضا فتماسكوا وحفظوا مكانهم ثم أظهروا انهم يريدون الخروج الى لقاء المسلمين وقتالهم وكانت منزلة المسلمين قد أنتنت بريح القتلى فاختاروا الانتقال الى موضع يتسع فيه المجال فانتقلوا من مكانهم الى الخروبة في السابع والعشرين من جادى الآخرة ثم ان الكند هنري نصب منجنيقا ودبابات وعرادات للتوصل الى دخول عكا فخرج من بعكا من المسلمين فأخذوها وقتلوا عندها كثيرا

بن زيد فوقف اليه السيد عبد الكريم من جانب والسيد عبد المحسن من جانب ووقف اوقوفهما من الاشراف والعرب الأنهم رموا الرصاص على نفس البستان وكادوا يصيبون الشريف سعدا فخرج من الجانب الآخر وتبعه من سلم من القتل ورجع الشريف عبد المحسن من الهيجاء وأما الشريف عبد الكريم فلحق بالشريف سعد ومن معه من الاتراك والعسكر وجدوا الى أن وصلوا بستان سليمى وهم يثخنون القتل وينهبون ماقدروا على نهبه من الابل والخيل وقتل بين سليمى والهيجاء أكثر مما بين الهيجاء وأذاخر فصاح الشريف سعد وطلب الامان ودخل على السيد محمد بن عبدالله بن حسين ابن عبدالله فأدخله وطلبه أن يأخذ له مهلة عشرة أيام ويقيم ببستان سليمى فكلم فيه الشريف عبد الكريم في ذلك فامتنع وأبى الا أن يسير من وقته من حيث جاء والا فلا أدعه ابدا فرجع السيد محمد بن عبدالله وأخبره بما قاله الشريف عبد الكريم

من الفرنج ثم ان الكندهنرى بعد اخذ منجنيقاته اراد ان ينصب منجنيقا آخر فلم يتمكن من ذلك لأن المسلمين الذين بعكا كانوا يمنعون من عمل ستائر يستتر بها من يرمى من المنجنيق فعمل تلا من تراب بالبعد من البلد فكان الفرنج ينقلون التل الى القرب من البعد بالتدريج ويستترون به فلما قرب الى البلد وصار بحيث تصل من عنده حجر المنجنيق نصبوا من ورائه منجنيقين وصار التل سترة لهما وكانت الميرة قد قلت بعكا فأرسل صلاح الدين الى الاسكندرية يأمرهم بانفاذ الاقوات واللحوم وغير ذلك فى المراكب الى عكا فتأخر انفاذها فسير الى نائبه بمدينة بيروت فى ذلك فسير بطسة عظيمة مملوءة من كل ما يريدونه وامر من بها فلبسوا ملبس الفرنج وتشبهوا بهم فرفعوا عليها الصلبان فلما وصلوا الى عكا لم يشك الفرنج انها لهم فلم يتعرضوا لها فلما حاذت مينا عكا أدخلها من بها ففرح بها المسلمون وانتعشوا وقويت نفوسهم الى ان اتتهم الميرة من الاسكندرية وخرجت ملكة من الفرنج من داخل البحر فى نحو الف مقاتل فأخذت بنواحى الاسكندرية واخذ من معها ثم ان الفرنج وصلهم كتاب من البابا وهو كبيرهم الذى يصدرون عن امره وكان قوله عندهم كقول النبيين لا يخالف والمحروم عندهم من حرمه والمقرب من قربه وهو صاحب رومة الكبرى يأمرهم فى كتابه بملازمة ما هم بصدده ويعلمهم انه قد أرسل الى جميع الفرنج يأمرهم بالمسير الى نجدتهم براً وبحراً ويعلمهم بوصول الامداد اليهم فازدادوا قوة وطمعا

❊ ذكر خروج الفرنج من خنادقهم ❊

لما تتابعت الامداد الى الفرنج وجندلهم الكندهنرى جمعا كثيرا بالاموال التى وصلت معه عزموا على الخروج من خنادقهم ومناجزة المسلمين فتركوا على عكا من يحصرها ويقاتل اهلها وخرجوا حادى عشر شوال من السنة المذكورة فى عدد كالرمل كثرة وكالنار جمرة فلما رأى صلاح الدين ذلك نقل أثقال المسلمين الى ميمون وهو على ثلاثة فراسخ عن عكا ولقى الفرنج على تعبية حسنة وكان أولاده الافضل على والظاهر غازى والظافر بما يلى القلب واخوه العادل ابو بكر فى الميمنة ومعه عساكر مصر ومن انضم اليه وكان فى الميسرة عماد الدين صاحب سنجار وتقى الدين صاحب حماه ومعز الدين صاحب جزيرة ابن عمر مع جماعة من أمرائه واتفق ان صلاح الدين اخذه مغص كان يعتاده فنصب له خيمة صغيرة على تل مشرف على العسكر ونزل فيها ينظر اليهم فسار الفرنج شرقى نهر هناك حتى وصلوا الى رأس النهر فشاهدوا عساكر الاسلام وكثرتها فارتاعوا لذلك ولقيهم الجالشية وأمطروا عليهم من السهام ما كاد يستر الشمس فلما رأوا ذلك تحولوا الى غربى النهر ولزمهم الجالشية يقاتلونهم والفرنج قد تجمعوا ولزم بعضهم بعضا وكان غرض الجالشية ان تحمل الفرنج عليهم فيلقاهم المسلمون ويلتحم القتال فيكون الفصل ويستريح الناس وكان الفرنج قد ندموا على مفارقة خنادقهم فلزموا مكانهم وباتوا ليلتهم تلك فلما كان الغد عادوا نحو عكا ليعتصموا بخندقهم والجالشية فى أكتافهم يقاتلونهم تارة بالسيوف وتارة بالرماح وتارة بالسهام وكلما قتل من الفرنج قتيل اخذوه معهم لئلا يعلم المسلمون ما أصابهم ولولا ذلك الالم الذى حدث بصلاح الدين لكانت هى الفصل وانما لله فى كل شئ حكمة وله امر هو بالغه ولا راد لما أراد فلما بلغ الفرنج خندقهم

سعد اسار مارا ببستان سلمى وبات بالزيماء وتفرق من بقى معه من العربان فرجع الشريف عبد الكريم عند ذلك الى مضاربه بالمحصب وبات هنالك ودخل صبيحة يوم الاربعاء ثامن الشهر فى ألاى أعظم بجميع عساكر مصر وعساكر الباشا الى أن وصل منزله ومعه السادة الاشراف وقبائل العرب وكان يوما مشهودا وجلس للتهنئة وامتدحه الادباء ثم ان الشريف سعد الما وصل الى كلاخ تيامن عن طريق عفار الى الليث ثم الى القوس ونادى فى بنى على وبنى عمر وبقية قبائل زهران وغامد وأطمعهم فى أخذ القنفذة ومافيها من الاموال فأجابوه فأخذوا القنفذة فلما بلغ الخبر الشريف عبد الكريم أرسل اليهم عسكرا من عسكر وزير سليمان باشا من طريق البحر وأمر عليهم مملوكا للشريف أحمد بن زيد فوصلوا القنفذة وحاصروا أولائك القوم فخرجوا منها ونزلوا بمداسة على دوقة واجتمع اليهم كثير من العربان حتى بلغوا ثلاثة آلاف ومعه نحو خمسة أشراف فخرج الشريف

عبد الكريم من مكة لملاقاتهم وحربهم ومعه الشريف عبد المحسن وكثير من الاشراف والعساكر (ولم)

ولم يكن لهم بعدها ظهور منه عاد المسلمون الى خيامهم وقد قتلوا من الفرنج خلقا كثيرا وفى الثالث والعشرين من شوال ايضا كمن جماعة من المسلمين وتعرض جماعة أخرى من المسلمين للفرنج فخرج اليهم أربعمائة فارس فقاتلهم المسلمون شيأ من قتال وتطاردوا لهم وتبعهم الفرنج حتى جاوزوا الكمين فخرج من كان فى الكمين من المسلمين عليهم فقتلوهم فلم يفلت منهم احد واشتد الغلاء على الفرنج حتى بلغت غرارة الحنطة اكثر من مائة دينار صورى فصبروا على هذا ولما هجم الشتاء وعصفت الرياح خاف الفرنج على مراكبهم التى عندهم لانها لم تمكن من الميناء فسيروها الى صور لانها كانت بأيديهم فانفتح الطريق الى عكا فى البحر للمسلمين فأرسل أهلها الى صلاح الدين يشكون الضجر والملالة والسآمة وكان بها الامير حسام الدين ابو الهيجاء السمين فأمر صلاح الدين باقامة البدل وانفاذه اليها واخراج من فيها وأمر أخاه الملك العادل بمباشرة ذلك فانتقل الى جانب البحر ونزل تحت جبل حيفا وجمع المراكب والشوانى وكلما جاءته جماعة من العسكر سيرهم اليها وأخرج عوضهم فدخل اليها عشرون اميرا وكان الذين دخلوا قليلا بالنسبة الى الذين خرجوا وأهمل نواب صلاح الدين تجنيد الرجال وانفاذهم فتفرق خلق كثير فانحسر الشتاء والامر كذلك وعادت مراكب الفرنج الى عكا وانقطع الطريق الا من سابح يأتى بكتاب ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة

❊ ذكر وصول فليب ملك الفرنسيس ثم ملك انكلترى ❊

فى هذه السنة اعنى سنة ٥٨٧ ثانى عشر ربيع الاول وصلت امداد الافرنج فى البحر الى الفرنج الذين على عكا وكان اول من وصل منهم الملك فليب ملك الفرنسيس ومعه ست بطس كبار عظيمة فقويت به نفوسهم وكان صلاح الدين يركب كل يوم ويقصد الفرنج يشغلهم بالقتال عن مزاحفة البلد وأرسل الى مستحفظ بيروت يأمره بتجهيز ماعنده من الشوانى والمراكب وتشحينها بالمقاتلة وتسييرها فى البحر ليمنع الفرنج من وصول شئ من شوانيهم الى عكا ففعل ذلك صاحب بيروت وسير الشوانى فى البحر فصادفت خمسة مراكب للفرنج مملوءة رجالا من اصحاب ملك انكلترا الملقب بقلب الاسد المسمى ريكلدوس الاول وكان قد سيرهم بين يديه وتأخر هو بجزيرة قبرس ليملكها من ملك الروم لانها كانت بأيديهم فاقتتلت شوانى المسلمين مع مراكب انكلترا فغلبهم المسلمون واستظهروا عليهم وغنموا مامعهم من قوت ومتاع ومال وأسروا الرجال وأما الفرنج الذين على عكا فانهم لازموا قتال من بها ونصبوا عليها سبع منجنيقات رابع جمادى الاولى فلما رأى صلاح الدين ذلك تحول من موضعه الذى كان فيه ونزل قريبا من خنادق الفرنج مقابلة لئلا يتعب العسكر كل يوم فى المجئ اليهم والعود عنهم فقرب منهم وكانوا كلما تحركوا للقتال ركب وقاتلهم من وراء خنادقهم فكانوا يشتغلون بقتاله فيخف القتال عمن بالبلد ثم وصل ملك انكلترا ثالث عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة سنة ٥٨٧ بعد ان استولى فى طريقه على جزيرة قبرس واخذها بالمكر والخديعة من الروم فانه لما وصل اليها غدر بصاحبها وملكها فكان ذلك زيادة فى ملكه وقوة للفرنج فلما فرغ منها سار عنها الى من بعكا من الفرنج فوصل اليهم فى خمس وعشرين قطعة كبار مملوءة رجالا وأموالا فعظم به شر الفرنج واشتدت نكايتهم فى المسلمين

وكان قد أرسل قبله جماعة من الاشراف وغيرهم مددا لمن كان هناك وأمرهم بالتؤدة الى أن يصلهم فكان من قدر الله ان وقعت الملاقاة بين الفريقين قبل وصوله واشتد القتال وكادوا أن يهربوا لكثرة من مع الشريف سعد من العرب ثم هبت عليهم ريح النصر فانكسرت قبائل الشريف سعد وطلب سعد منهم الذمة ثلاثة أيام فسمحوا له بذلك بشرط ان يرحل ويدخل الحجاز فلم يرد لهم جوابا وكان ذلك بدسيسة فلما كان اليوم الثالث من أيام الذمة لم يشعروا الا وقد دهمهم بعد ان أفسدت قبائله قبائلهم فلما ظهر للاشراف ذلك انحاز بعضهم الى قوم الشريف سعد وأما جماعة الشريف عبد الكريم فتزعزعوا وعادوا الى دوقة فلما بلغوا دوقة وجدوا بها الشريف عبد الكريم فتقووا به ورجعوا الى قتال الشريف سعد فلما علم بذلك القبائل الذين معه تفرقوا عنه ولم يبق معه أحد فقصد الشريف سعد أرض غامد وليس معه الا ثلاثة أو أربعة من الخيل ومثلها من الركاب فأقام الشريف عبد الكريم بالقنفذة وجهز أخاه الشريف حامدا الى الطائف ومعه مائتان خوفا من أن الشريف سعدا يقصد طائف فلما دنا من الطائف

وكان رجل زمانه شجاعة ومكرا وجلدا وصبرا وبلي المسلمون منه بالداهية التي لامثل لها ولما وردت الاخبار بقدوم امر صلاح الدين بتجهيز بطسة كبيرة مملوءة من الرجال والعدد والاقوات فتجهزت وسيرت من بيروت وفيها سبعمائة مقاتل فلقيها ملك انكلترا مصادفة فقاتلها وصبر من فيها على قتاله فلما أيسوا من الخلاص نزل مقدم من بها فخرقها خرقا واسعا لئلا يظفر الفرنج بمن فيها وما معهم من الذخائر فغرق جميع مافيها وكانت عكا محتاجة الى رجال ثم ان الفرنج عملوا دبابات وزحفوا بها فخرج المسلمون وقاتلوهم بظاهر البلد وأخذوا تلك الكباش فلما رأى الفرنج ان ذلك جميعه لاينفعهم عملوا تلا كبيرا من التراب مستطيلا وما زالوا يقربونه الى البلد ويقاتلون من ورائه لاينالهم من البلد أذى حتى صار على نصف غلوة فكانوا يستظلون به ويقاتلون من خلفه فلم يكن للمسلمين فيه حيلة لابالنار ولا بغيرها فحينئذ عظمت المصيبة على من بعكا من المسلمين فأرسلوا الى صلاح الدين يعرفونه حالهم فلم يقدر لهم على نفع ولا منع

ذكر ملك الفرنج عكا

في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٨٧ سبع وثمانين وخمسمائة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة عكا وكان اول وهن دخل على من في عكا ان الامير سيف الدين علي بن احمد الهكاري المعروف بالمشطوب كان فيها ومعه عدة من الامراء كان هو أمثلهم وأكبرهم فخرج الى ملك الفرنسيس وبذل له تسليم البلد بما فيه على أن يطلق المسلمين الذين فيه ويمكنهم من اللحوق بسلطانهم فلم يجبه الى ذلك فعاد علي بن احمد الى البلد فوهن من فيه وضعفت نفوسهم وتخاذلوا وأهمتهم أنفسهم ثم ان اميرين ممن كان بعكا لما رأوا مافعلوا بالمشطوب وان الفرنج لم يجيبوا الى الامان اتخذوا الليل جملا وركبا في شيء صغير وخرجا سرا من اصحابهم ولحقا بعسكر المسلمين وخرج معهما جماعة فلما أصبح الناس وعلموا ذلك ازدادوا وهنا الى وهنهم وضعفا الى ضعفهم وأيقنوا بالعطب ثم ان الفرنج ارسلوا الى صلاح الدين في معنى تسليم البلد فأجابهم الى ذلك واشترط ان يطلق من أسراهم بعدد من في البلد ليطلقوا هم من بعكا وان يسلم اليهم صليب الصلبوت فلم يقنعوا بما بذل فأرسل الى من بعكا من المسلمين ان يخرجوا من عكا يدا واحدة ويتركوا البلد بما فيه ووعدهم انه يتقدم الى تلك الجهة التي يخرجون منها بعساكره فشرعوا في ذلك واشتغلوا باستصحاب مايملكونه فما فرغوا من أشغالهم حتى أسفر الصبح فبطل ماعزموا عليه من استصحاب مايملكونه لظهوره فلما عجز الناس عن حفظ البلد وزحف اليهم الفرنج بحدهم وحديدهم فظهر من بالبلد على السور يحركون اعلامهم ليراها المسلمون الذين في خارج البلد وكانت هي العلامة اذا اخترمهم امر فلما رأى المسلمون ذلك ضجوا بالبكاء والعويل وحملوا على الفرنج من جميع جهاتهم طلبا منهم ان الفرنج يشتغلون عن الذين بعكا وصلاح الدين يحرضهم وهو في اولهم وكان الفرنج زحفوا عن خنادقهم ومالوا الى جهة البلد فقرب المسلمون من خنادقهم حتى كادوا يدخلونها عليهم ويضعون السيف فيهم فوقع الصوت فعاد الفرنج ومنعوا المسلمين وتركوا في مقابلة من بالبلد من يقاتلهم فلما رأى المشطوب ان صلاح الدين

بلغه أن الشريف سعدا سبقه اليه ودخل الطائف ومعه نحو ألف وثلاثمائة من غامد وزهران وذلك لست وعشرين خلت من رمضان ونادى فيه لنفسه وخرج متوجها الى مكة والتف على من معه كثير من العربان وغيرهم حتى صاروا أمما كثيرة وأما السيد حامد فدخل الطائف ونادى فيه لاخيه الشريف عبد الكريم ولما بلغ ذلك الوزير سليمان باشا جمع محضرا حضره القاضي والمفتي والعلماء والسادة الاشراف وأكابر العساكر وكان ذلك المحضر بالمسجد عند مقام الحنفي في الثامن والعشرين من رمضان وقال لهم الباشا ان الشريف سعدا جمع جموعا وقصده مكة وأخذها بالغلبة والحال أنه نزل عنها لولده الشريف سعيد سابقا لادعائه العجز عن القيام بها وأنا عزلنا ابنه الشريف سعيدا لعدم رضا بني عمه به حيث قطع معاشهم ووقع بذلك فساد الطرق وقتل العالم ونهب الاموال وتولد من ذلك ما شاهده العالم من القحط والغلاء ووضعنا محل الشريف سعيد ابن عمه الشريف عبد المحسن ثم انه نزل عن طيب نفس وانشراح صدر للشريف عبد الكريم لما رأى فيه من الصلاح وقد صلحت معه العباد والبلاد وأمنت الطرق وعاش الناس فقال كل من في المجلس نعم

لايقدر على نفع ولايدفع عنهم ضرا خرج الى الفرنج وقرر معهم تسليم البلد وخروج من فيه بأموالهم وأنفسهم وبذل لهم عن ذلك مائتى الف دينار وخمسمائة اسير من المعروفين واعادة صليب الصلبوت واربعة عشر الف دينار للمركيس صاحب صور فأجابوه الى ذلك وحلفوا له عليه وان يكون مدة تحصيله المال والاسرا الى شهرين فلما حلفوا له سلم البلد اليهم ودخلوه سلما فلما ملكوه غدروا واحتاطوا على من فيه من المسلمين وعلى اموالهم وحبسوهم وأظهروا أنهم يفعلون ذلك ليصل اليهم مابذل لهم وراسلوا صلاح الدين فى ارسال المال والاسرى والصليب حتى يطلقوا من عندهم فشرع فى جمع المال فلما اجتمع عنده مائة الف دينار جمع الامراء واستشارهم فأشاروا عليه بأن لا يرسل شيأ حتى يعاود يستحلفهم على اطلاق اصحابه وان يضمن الداوية ذلك والداوية طائفة من الفرنج كان لهم وفاء فراسلهم صلاح الدين فى ذلك فقال الداوية لانحلف ولانضمن لانا نخاف غدر من عندنا وقال ملوك الفرنج اذا سلمتم الينا المال والاسرى والصليب فلنا الخيار فيمن عندنا فحينئذ علم صلاح الدين عزمهم على الغدر فلم يرسل اليهم شيأ واعاد الرسالة اليهم وقال نحن نسلم اليكم هذا المال والاسرى والصليب ونعطيكم رهنا على الباقى وتطلقون اصحابنا وتضمن الداوية الرهن ويحلفون على الوفاء له فقالوا لانحلف انما ترسل الينا المائة ألف دينار التى حصلت والاسرى والصليب ونحن نطلق من اصحابكم من نريد ونترك من نريد عندنا حتى يجئ باقى المال فعلم الناس حينئذ غدرهم وانما يطلقون غلمان العسكر والفقراء والاكراد ومن لايعبأ به ويمسكون عندهم الامراء وارباب الاموال ويطلبون منهم الفداء فلم يجبهم السلطان الى ذلك فلما كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين من رجب ركب الفرنج وخرجوا الى ظاهر البلد بالفارس والراجل وركب المسلمون اليهم وقصدوهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن مواقفهم واذا أكثر من كان عندهم من المسلمين قتلى قد وضعوا فيهم السيف وهم خلق كثير واستبقوا الامراء والمقدمين ومن كان له مال وقتلوا من سواهم من سوادهم واصحابهم ومن لامال له فلما رأى صلاح الدين ذلك تصرف فى المال الذى كان جمعه وسير الاسرى والصليب الى الشام وكان ملك الفرنسيس قد توجه قبل ذلك الى صور لترتيب اموره وبقى فى عكا ملك انكلترا الى ان تم استيلاؤه عليها وغدر بالمسلمين وفعل بهم ما تقدم وارتحل الى عسقلان فى عشر شعبان واستمرت عكا بايديهم بعد استيلائهم عليها وبقيت عندهم مائة سنة وثلاثين الى سنة ستمائة وتسعين فافتتحها وانتزعها منهم السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور قلاوون وسيأتى انه سار اليها بجيوشه وعساكره ونصب عليها المجانيق العظيمة وقاتله عليها اشد القتال الى ان ملكها وقتل من فيها من الفرنج وغنم منها اموالا لاتحصى وكان نزوله عليها فى اوائل جمادى الاولى من السنة المذكورة اعنى سنة ٦٩٠ وفتحها يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ومن عجائب الاتفاق ان الفرنج استولوا على عكا واخذوها من صلاح الدين ظهر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة واستولوا على من بها ثم قتلوهم فقدر الله عز وجل فى سابق علمه انها تفتح فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى

لايصلحها الا هو ثم قال أعرضنا على الابواب بعد رضا أهل الحل والعقد ثم نسئل الحاضرين عن الحكم فى هذا المتغلب فقالوا على عسكر السلطان وعونة الاسلام دفعه وقتاله فحكم القاضى بذلك وكتب بموجب ذلك حجة فأجاب جميع العساكر بالسمع والخروج لدفع هذا المتغلب فلما كان يوم التاسع والعشرين من رمضان حملوا اسلاحهم وباتوا الليلة الثلاثين مظهرين الاستعداد للمقاتلة ونزلوا فى المتارس فلما قبل الشريف سعد بقومه نزلوا عن متارسهم من غير قتال والله أعلم بحقيقة الحال وبلغنا أن الشريف سعدا لما رجع الى غامد وزهران راجع نفسه وقطع أمله وعاد الى الله وبسط عذره لمن معه فبينما هو كذلك اذ جاءه بعض الرمالين فقال له انى أرى لك أنك تلى أمر مكة ولابد لك من دخولها ولكن ان مضيت مجدا فى السير هذا فانك تملكها ما دام الشريف عبد الكريم بأرض اليمن فعند ذلك جدد العزم وسار مجدا فى ليله ونهاره قاطعا الجبال والرمال برجله لعدم سلوك الخيل مركوبة فى تلك الاماكن فاراع الناس صبح الثلاثين من رمضان الا وهو بالابطح وكان مولانا الشريف عبد الكريم بأرض اليمن ولم يكن بمكة من الاشراف الاشرذمة قليلة وكان قائم مقام الشريف عبد الكريم بمكة

الآخرة سنة تسعين وستمائة على يد صلاح الدين بن قلاوون فكان فتوحها في مثل الشهر الذي ملكها فيه الفرنج وفي مثل اليوم الذي ملكوها فيه من الشهر ولقب السلطان الذي فتحها مثل لقب السلطان الذي اخذت منه اذ كل منهما يلقب صلاح الدين ولله في كل شيء حكمة وكل شيء عنده بمقدار لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص لا راد لما قضاه وقدره ثم فتح السلطان صلاح الدين قلاوون بقية البلدان التي كانت بيد الفرنج من ارض الشام وقطع دابرهم وطهرت ارض الشام وسواحلها منهم فلله الحمد على ذلك

❁ ذكر رحيل الفرنج الى ناحية عسقلان ❁

لما فرغ الفرنج لعنهم الله من اصلاح امر عكا رحلوا مستهل شعبان قاصدين عسقلان وكان توجههم من جهة حيفا مع شاطئ البر لا يفارقونه ومراكبهم تسايرهم في البحر محاذية لهم فلما سمع صلاح الدين برحيلهم نادى في عسكره بالرحيل فساروا فضايقوا الفرنج في مسيرهم وأرسلوا اليهم من السهام ما كاد يحجب الشمس ووقعوا على ساقة الفرنج فقتلوا منها جماعة وأسروا جماعة فلما وصل الفرنج حيفا نزلوا بها ونزل المسلمون قريبا منهم ثم ساروا الى قيسارية والمسلمون يسايرونهم ويقتلون من قدروا عليه منهم فلما قاربوا قيسارية لاصقهم المسلمون وقاتلوهم اشد قتال فنالوا منهم نيلا كثيرا ونزل الفرنج بها ونزل المسلمون قريبا منهم ولما نزلوا قيسارية خرج من الفرنج جماعة وأبعدوا عن جماعتهم فأوقع بهم المسلمون فقتلوا منهم واسروا ثم ساروا من قيسارية الى ارسوف وكان المسلمون قد سبقوهم اليها ولم يمكنهم مسايرتهم لضيق الطريق فلما وصل الفرنج اليهم حمل المسلمون عليهم حملة منكرة فألحقوهم بالبحر ودخله بعضهم فقتلوا كثيرا منهم فلما رأى الفرنج ذلك اجتمعوا وحملت الخيالة منهم على المسلمين حملة رجل واحد فولوا منهزمين لا يلوي احد على احد والتجأ المنهزمون الى القلب وفيه صلاح الدين فلو علم الفرنج انها هزيمة تبعتهم واشتهرت الهزيمة وهلك المسلمون لكن كان بالقرب من المسلمين قطعة كثيرة الشجر فدخلها المسلمون فظن الفرنج انها مكيدة فعادوا وزال عنهم ما كانوا فيه من الضيق ثم سار الفرنج الى يافا ولم يكن بها احد من المسلمين فملكوها ثم سار صلاح الدين الى الرملة وجمع الامراء واستشارهم فيما يفعل فأشاروا عليه بتخريب عسقلان وقالوا قد رأيت ما كان منا بالامس واذا جاء الفرنج عسقلان ووقفنا في وجوههم نصدهم عنها فهم لاشك يقاتلوننا فنزاح عنها وينزلون عليها فاذا كان ذلك عدنا لى مثل ما كنا عليه على عكا ويعظم الامر علينا لان العدو قد قوي بأخذ عكا وما فيها من الاسلحة وغيرها ونحن قد ضعفنا بما خرج عن ايدينا ولم تطل المدة حتى نستجد غيرها فلم تسمح نفسه بتخريبها وندب الناس الى دخولها وحفظها فلم يجب احد الى ذلك وقالوا ان اردت حفظها فادخل انت معنا او بعض اولادك الكبار والا فلا يدخلها منا احد لئلا يصيبنا ما اصاب أهل عكا فلما رأى الامر كذلك سار الى عسقلان وامر بتخريبها فخربت تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة سنة ٥٨٧ والقيت حجارتها في البحر وهلك فيها من الاموال والذخائر التي للسلطان والرعية ما لا يمكن حصره وعفى اثرها حتى لا يبقى للفرنج في قصدها مطمع ولما سمع الفرنج بتخريبها اقاموا مكانهم ولم يسيروا اليها وكان المركيس

السيد محمد بن عمرو بن محمد بن بركات فتهيأ بمن معه من الاشراف واستعان بعسكر الوزير سليمان باشا ومن تلفق معهم فأطلعوهم على جبال المعلى المتصلة بالمعابدة وجعلوا عسكر مصر الانقشارية على جبل أبي قبيس وركب هو ومن معه من الاشراف وتبطنوا وادي ابراهيم المعروف بالحريق ومعه بعض العسكر ورموا بالرصاص الى أن تكاثر عليهم العربان وانتشروا في الجبال كالجراد ونزلت العساكر من مراكبهم فملكها حينئذ جماعة الشريف سعد وصار رميهم بالرصاص يصل الى محل وقوف الاشراف بالحريق فلما وصل الشريف سعد بستان الازمرلي علمت الاشراف أن لا قدرة لهم عليه فخرجوا من مكة ودخلها الشريف سعد ضحوة النهار من أعلى مكة من غير مقاومة ولا مقاتلة غير أن السيد عبد المطلب بن أحمد بن زيد كان واقفا على باب داره موادعا لاهله فجاءته رصاصة فسقط من على فرسه وذلك بعد دخول عمه الشريف سعد ثم توفي ثالث عيد الفطر ونزل في جنازته عمه الشريف سعد وصلى عليه ورجع الى داره وحزن عليه أخوه الشريف عبد المحسن حزنا كثيرا كان سببا لشدة قيامه في دفع الشريف سعد كما ستراه وتغلبت البادية التي مع الشريف سعد على النهب

(صاحب)

صاحب صور لعنه الله تعالى لما كان بعكا أحس من ملك انكلترا لغدر به ليتملك منه
صور فهرب من عنده الى صور فحصنها و كان رجل الفرنج شجاعة ورأيا و كل هذه
الحروب هو الذى أثارها فلما خربت عسقلان ارسل ملك انكلترا يقول له مثلك لا ينبغى ان يكون
ملكا و يتقدم على الجيوش تسمع ان صلاح الدين قد خرب عسقلان وتقيم مكانك ياجاهل
لما بلغك انه قد شرع فى تخريبها كنت سرت اليه مجدا فرحلته و ملكتها صفوا عفوا بغير
قتال ولا حصار فانه ماخربها الا وهو عاجز عن حفظها وحق المسيح لو أننى معك كانت
عسقلان بأيدينا اليوم لم يخرب منها غير برج واحد وقد عمر الفرنج عسقلان فى المحرم
سنة ٥٨٨ وملكوها ثم ان صلاح الدين لما خرب عسقلان مضى الى الرملة فخرب حصنها
وخرب كنيسة لد ثم سار صلاح الدين الى القدس وحصنها واعتبر مافيه من ذخائر وسلاح
وقرر قواعده واسبابه ومايحتاج اليه وعاد الى المخيم ثامن رمضان وفى مدة اقامة الفرنج
بيافا خرج ملك انكلترا من عسكره ومعه نفر من عسكره فوقع به نفر من المسلمين فقاتلوهم
قتالا شديدا وكاد ملك انكلترا يؤسر ففداه بعض اصحابه بنفسه فتخلص الملك واسر ذلك
الرجل وفيها ايضا وقعت وقعة بين طائفة من المسلمين و طائفة من الفرنج كان النصر فيها للمسلمين

﴿ ذكر رحيل الفرنج الى نطرون ﴾

لما رأى صلاح الدين ان الفرنج قد لزموا يافا ولم يفارقوها وشرعوا فى عمارتها رحل من
منزلته الى نطرون ثالث عشر رمضان وخيم بها فراسله ملك انكلترا يطلب المهادنة فكانت
الرسل تتردد الى الملك العادل أخى صلاح الدين فاستقرت القاعدة ان ملك انكلترا يزوج
اخته من الملك العادل ويكون القدس ومابأيدى المسلمين من بلاد الساحل للعادل وتكون
عكا ومابأيدى الفرنج من البلاد لاخت ملك انكلترا مضافا الى مملكة كانت لها داخل البحر
قد ورثتها من زوجها الاول فعرض العادل ذلك على اخيه صلاح الدين فأجاب الى ذلك فلما
ظهر الخبر اجتمع القسيسون والاساقفة والرهبان الى اخت ملك انكلترا وأنكروا عليها
ذلك فامتنعت من الاجابة وكان الملك العادل فى مدة الخوض فى الصلح يجتمع فى بعض الاوقات
مع ملك انكلترا ويتذاكران حديث الصلح وطلب من الملك العادل مرة أن يسمعه غناء المسلمين
فاحضر له مغنية تضرب بالجنك فغنت له فاستحسن ذلك ثم ان الصلح لم يتم بينهما لما امتنعت
اخت ملك انكلترا ثم تبين أن ملك انكلترا كان يفعل ذلك خديعة ومكرا ثم ان الفرنج اظهروا
العزم على قصد بيت المقدس فسار صلاح الدين الى الرملة ومعه العسكر وترك الاثقال فى
نطرون وقرب من الفرنج وبقى عشرين يوما ينتظرهم فلم يبرحوا فكان بين الطائفتين مدة
المقام عدة وقعات كلها ينتصر فيها المسلمون على الفرنج وعاد صلاح الدين الى نطرون
ورحل الفرنج من يافا الى الرملة ثالث ذى القعدة على عزم قصد بيت المقدس فقرب بعضهم
من بعض وعظم الخطب واشتد الحذر فكان كل ساعة يقع الصوت فى العسكرين فلقوا
من ذلك شدة شديدة واقبل الشتاء وحالت الاحوال والامطار بينهما

﴿ ذكر مسير صلاح الدين الى القدس ﴾

لما رأى صلاح الدين ان الشتاء قد هجم والامطار متتابعة والناس منها فى ضنك وحرج ومن

من كل جهة فنهبت البيوت وأخذوا ماوجدوا من نقود وقوت وما عز وهان من متاع وأثاث وأراعوا
الذكور والاناث فكم من رجل نزعت من فوقه ثيابه وكم من حرة وشريفة هتكت وكاسية سلبت وحامل أسقطت فما زالوا ينهبون الرفيع والوضيع ويسومونهم الضرب والتقطيع حتى دخل الليل فمن الناس من مات فجاءة ومنهم من مرض ومنهم من اختبل فلما حل الشريف سعد دار السعادة أرسل الى سليمان باشا بالامان ليسكن الشان غير انه لم يأمنه فجمع الباشا جميع جنده عند بابه وملأ المدافع وفرق بعض العسكر فى البيوت حوله أياما عديدة والشريف سعد يأمره بترك ذلك ويقول له أنت آمن على نفسك ومالك فقال ليس الى ترك هذا سبيل والله حسبنا ونعم الوكيل ثم أرسل اليه يقول له انت من الوزراء وأرباب الدولة فلا بأس ان تلبسنى خلعة التشريف لتأمن العباد والبلاد ويطيع الحاضر والباد فلم يجبه الى مطلوبه معتمدا على استعداده فلما أيس من ذلك أمر الشريف سعد بمجلس فى الحرم الشريف حضره القاضى
والمفتى وجماعة من العلماء وبنى عمه فلما تكامل المجلس نزل لهم بنفسه وقال اعلموا أيها الناس انى كنت نزلت عن شرافة مكة لولدى

شدة البرد ولبس السلاح والسهر في تعب دائم وكان كثير من العسكر قد طال عليهم البيكار فأذن
لهم في العبور الى بلادهم للاستراحة وسار هو الى بيت المقدس فيمن بقي معه فنزلوا جميعا داخل
البلد وقدم اليه عسكر من مصر فقويت نفوس المسلمين بالقدس وسار الفرنج من نطرون ثالث
ذي الحجة على قصد بيت المقدس فكانت بينهم وبين يزك المسلمين وقعات أسر المسلمون في وقعة منها
نيفا وخمسين فارسا من مشهوري الفرنج وشجعانهم وكان صلاح الدين لما دخل القدس أمر بعمارة
سوره وتجديد ما رث منه فأحكم الموضع الذي ملك البلد منه وأتقنه وأمر بحفر خندق خارج
الفصيل وسلم كل برج لأمير يتولى عمله ثم ان الحجارة قلت عند العمالين فكان صلاح الدين رحمه
الله يركب وينقل الحجارة بنفسه على دابته من الامكنة البعيدة فيقتدى به الأمراء والعسكر
فكان يجتمع من العمالين في اليوم الواحد من يعملون قدر عدة ايام ثم ان الفرنج رجعوا الى
الرملة في العشرين من ذي الحجة وكان سبب عودهم أنهم كانوا ينقلون ما يريدونه من الساحل فلما
بعدوا عنه كان المسلمون يخرجون على من يجلب لهم الميرة فيقطعون الطريق ويغنمون ما معهم
ثم ان ملك انكلترا قال لمن معه من الفرنج الشاميين صوروا لي مدينة القدس فاني ما رأيتها
فصوروها له فرأى الوادي يحيط بها ما عدا موضعا يسيرا من جهة الشمال فسأل عن الوادي
وعن عمقه فأخبروه أنه عميق وعن المسالك فقال هذه مدينة لا يمكن حصرها مهما كان
صلاح الدين حيا وكلمة المسلمين مجتمعة لأننا ان نزلنا في الجانب الذي يلي المدينة بقيت سائر
الجوانب غير محصورة فيدخل اليهم منها الرجال والذخائر وما يحتاجون اليه وان نحن افترقنا
فنزل بعضنا من جانب الوادي وبعضنا من الجانب الآخر جمع صلاح الدين اصحابه وواقع
احدى الطائفتين ولم يمكن للطائفة الاخرى انجاد اصحابهم لانهم ان فارقوا مكانهم خرج
من بالبلد من المسلمين فغنموا ما فيه وان تركوا فيه من يحفظه وساروا نحو اصحابهم فالى ان
يتخلصوا من الوادي ويلحقوا بهم قد فرغ صلاح الدين منهم هذا سوى ما يتعذر علينا من ايصال
ما نحتاج اليه من العلوفات والاقوات فلما قال لهم ذلك علموا صدقه ورأوا قلة الميرة عندهم
وما يجري للجالبين لها من المسلمين فأشاروا عليه بالعود الى الرملة فعادوا خائبين خاسرين ثم
دخلت سنة ٥٨٨ ثمان وثمانين وخمسمائة فعمر الفرنج عسقلان كما تقدم وجرى بينهم وبين
المسلمين حين عمارتها قتال شديد وعدة وقائع فكان المسلمون تارة تواقع طائفة منهم وتارة
تقطع عليهم الميرة وأخذوا منهم قوافل كبيرة وفي شهر ربيع من هذه السنة جعل صلاح
الدين لباطنيين من الاسماعيلية عشرة آلاف دينار ان قتلوا ملك انكلترا أو المركيس
صاحب صور فتمكنا من قتل المركيس صاحب صور فقتلاه ثم قتلا فملك صور الكندي
هنري وتقدم أنه ابن اخت ملك افرنسيس من ابيه وابن اخت ملك انكلترا لامه وفي
تاسع جمادى من هذه السنة استولى الفرنج على حصن الداروم فخربوه ثم ساروا الى بيت
المقدس وصلاح الدين فيه وكان سبب طمعهم أن صلاح الدين فرق كثيرا من عساكره لاجل
الشتاء ليستريحوا فظنوا أنهم ينالون غرضهم فلما سمع صلاح الدين بقربهم منه فرق أبراج البلد
على الامراء وسار الى الفرنج وكانوا على فرسخين من القدس فصب عليهم البلاء وتابع ارسال السرايا
فعلموا أنهم اذا نازلوا القدس كان الشر اليهم أسرع والتسلط عليهم أمكن فرجعوا القهقرى وركب

سعيد فلم يصلح لها عزله بنو عمه وولوا ابن عمه عبد المحسن ثم انه نزل عنها للشريف عبد الكريم
فالتمست منه اقامة أودى
فأبى بعد الرضا بذلك
فوثبت عليها الآن فهل
ترون اني أحق بها وأهل
لها فقال الجميع نعم فقال
اذهبوا الى سليمان باشا
والزموه ان يلبسني خلعة
التشريف لتقر العباد
والبلاد فذهبوا اليه فقال
أمر سهل لكن على شرط
ان يكتب حجة شرعية
تتضمن ان الشريف سعيدا
قد أفسد البلاد وأضر
بالعباد وان ذلك سبب
قيام بني عمه عليه وعزلهم له
وأنهم ولوا عبد المحسن
برضاهم وأنه نزل عنها
بطيب نفسه للشريف
عبد الكريم برضاه ورضا
بني عمه الاشراف لكونه
أحق بهذه الشرافة
وأصلح لها وانه خرج
لاصلاح بعض الطرقات
فتغلب عليها الشريف
سعد بسبب غيبته ودخل
مكة فأنهى ذلك الى الشريف
سعد فعجل باذنه بكتابة ذلك
وكتب بذلك حجة وأرسل له
الباشا قفطانا ألبسه اياه بعد
أخذ الحجة فنادى مناديه
في شوارع مكة سادس شوال
بالامان والاطمئنان وان
البلاد بلاد السلطان وبلاد
الشريف سعد بن زيد

*(الولاية الرابعة للشريف سعد) * وهذه الولاية الرابعة ومدتها عدة (حي) ثمانية

المسلمون اكتافهم بالرماح والسهام ولما بعد الفرنج عن يافا سير صلاح الدين سرية من عسكره اليها فقاربوها وكمنوا عندها فاجتاز بهم جماعة من فرسان الفرنج مع قافلة فخرجوا عليهم وقتلوا منهم وأسروا وغنموا وكان ذلك آخر جمادى الاولى وفى تاسع جمادى الآخرة بلغ الفرنج خروج قفل كبير من مصر فأسرى الفرنج اليهم وأخذوا بعض القفل بنواحى الخليل وسلم البعض ثم ان الفرنج أيقنوا أنهم لا طاقة لهم بالمسلمين اذا فارقوا البحر وبعدوا عنه فرجعوا الى عكا وأقاموا بها فلما علم صلاح الدين بذلك جمع العساكر وسار الى مدينة يافا وكانت بيد الفرنج فنازلها وقاتل من بها الى أن ملكها بالسيف عنوة فى عشرين من رجب وغنم ما فيها وقتل كثيرا وأسر كثيرا وكان بها أكثر الاموال التى غنموها من قفل مصر وتحصن من بقى من الفرنج بالقلعة فحاصرهم فجاءتهم نجدة من عكا ومعها ملك انكلترا فأخرج من بيافا من المسلمين وتتابع اليه المدد من عكا وبرز الى ظاهر المدينة واعترض المسلمين وحده وحمل عليهم فلم يتقدم اليه أحد فوقف بين الصفين واستدعى طعاما من المسلمين ونزل وأكل ثم رجع الى يافا

﴿ ذكر الهدنة مع الفرنج ﴾

فى العشرين من شعبان من هذه السنة عقدت هدنة بين المسلمين والفرنج لمدة ثلاث سنين وثمانية أشهر وسببها أن ملك انكلترا لما رأى اجتماع العساكر وانه لا يمكنه مفارقة ساحل البحر وليس بالساحل بلد للمسلمين يطمع فيه وقد طالت غيبته عن بلاده فأرسل الى صلاح الدين فى الصلح فلم يجبه صلاح الدين بل طلب منه المصاف والحرب فأعاد الفرنجى رسله مرة بعد اخرى وارسل الى الملك العادل اخى صلاح الدين فى تقرير الهدنة فأشار هو وجماعة من الامراء بالاجابة الى الصلح وعرفوا صلاح الدين ما عند العساكر من الضجر والملل وما قد هلك من اسلحتهم ودوابهم ونفد من نفقاتهم وقالوا ان هذا الفرنجى انما طلب الصلح ليركب البحر ويعود الى بلاده فان تأخرت اجابته الى ان يجئ الشتاء وينقطع الركوب فى البحر نحتاج الى البقاء هنا سنة اخرى فيعظم الضرر على المسلمين وأكثروا القول فى هذا المعنى فأجاب صلاح الدين حينئذ الى الصلح فحضر رسل الفرنج وعقدوا الهدنة وتحالفوا على هذه القاعدة وكان فى جملة من حضر عند صلاح الدين من الفرنج باليان بن بارزان الذى كان صاحب الرملة ونابلس ومن جملة ما قال لصلاح الدين ما عمل احد فى الاسلام مثل ما عملت ولا هلك من الفرنج مثل ما هلك منهم هذه المدة فانا أحصينا من خرج الينا فى البحر من المقاتلة فكانوا ستمائة الف مقاتل ما عاد منهم الى بلادهم من كل عشرة واحد بعضهم قتلته انت وبعضهم مات وبعضهم غرق ولما انفصل أمر الهدنة اذن صلاح الدين للفرنج فى زيارة بيت المقدس فزاروه وعادت كل طائفة الى بلادها ورجع ملك انكلترا الى بلاده وأقام بالساحل الشامى ملكا على الفرنج وعلى البلاد التى بأيديهم الكندهرى وسار صلاح الدين الى القدس وصام به رمضان ثم سار الى دمشق فى شوال وفرح الناس به لطول غيبته وذهاب العدو عن بلاد الاسلام وكانت هذه الهدنة من لطف الله بالمسلمين لان الله لما علم قرب وفاة صلاح الدين قدر وقوع هذه الهدنة لانه لو توفى صلاح الدين

قافلا من اليمن ومعه بنو عمه وقبائل من عتيبة وحرب واستمر هناك الى الظهر وانتقل منها الى المبعوث فقاومته هذيل وقووا شرار الحرب وكانوا مع الشريف سعد جمعهم له السيد أحمد بن جازان معونة له فحمل عليهم جماعة من عتيبة وحرب الذين كانوا مع الشريف عبد الكريم فأثخنوا فيهم الجراح وطردوهم عن مواقفهم وأما الشريف سعد فانه لما بلغه انتقال الشريف عبد الكريم ومسيره بمن معه الى المبعوث خرج ظهر الاثنين السابع عشر من شوال بمن معه من الاشراف مكملون اللبسة بالدروع وهم خمسة وأربعون ومعه من بقى ممن كان معه من العرب وصعد بمن معه الى أعلى مكة ونزل المنحنى وأما الشريف عبد الكريم ومن معه من الاشراف والعرب فانهم بعد هزيمة هذيل شمروا عن ساعد الجد ودخلوا جميعا سائرين الى ان وصلوا المحصب فانصب عليهم الرصاص من الجبال المحدقة بالمحصب فلم يبالوا بذلك الى ان شارفوا الشريف سعدا ومن معه فوقع القتال ووقعت مطاعنة من الاشراف فى بعضهم لبعض فضربت فرس الشريف سعد برصاصة فوقعت

في مدة الحرب لزاد طمع الفرنج في بلاد الاسلام وانتشر شرهم ولربما انه لا يوجد بعده من يقوم مقامه وكانت وفاة صلاح الدين بدمشق في السابع والعشرين من شهر صفر سنة ٥٨٩ تسع وثمانين وخمسمائة بعد ان مرض اياما وكان رحمه الله عالما صالحا حليما حسن الاخلاق متواضعا صبورا كثير المحاسن والافعال الجميلة عظيم الجهاد في الكفار وفتوحاته تدل على ذلك وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا وبنتا واحدة ولم يخلف دارا ولا عقارا ولم يوجد في خزانته غير سبعة واربعين درهما ودينار واحد صوري وكانت ولادته سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة فكان عمره قريبا من سبع وخمسين سنة وكانت مدة ملكه للديار المصرية نحو أربع وعشرين سنة وملكه الشام قريبا من تسع عشرة سنة وكان رحمه الله مشغوفا بالانفاق في سبيل الله تعالى فكان اذا عقر او جرح لاحد من العسكر فرس في سبيل الله يعوضه مثله ويزيده في عطائه وحسبوا ما وهبه من الخيل للحاضرين معه في الجهاد في مدة ثلاث سنين فكان اثني عشر الف رأس وكان كريما شديد الكرم كثير البذل للاموال لاسيما المجاهدين ولم يكن له فرس يركبه الا وهو موهوب لانسان من المجاهدين أو موعود بهبته وصاحبه ملازم في طلبه وما حضر للقتال الا واستعار فرسا يقاتل عليه فاذا نزل عنه جاء صاحبه وأخذه وكانت مجالسه حافلة بأهل العلم والدين والفضل يحب مناظرة العلماء بين يديه ويشاركهم في المناظرة احسن مشاركة في المسائل الغامضة حتى صار لمداومة مجالسته للعلماء أعرف منهم بالاحكام الفرعية والادلة الشرعية وكان كثير الاكرام للعلماء متواضعا لهم مواظبا على الفرائض الخمس لم يؤخر صلاة عن وقتها ولا صلى الا في جماعة وكان متوكلا على الله لا يفضل في عزمه يوما على يوم وكان كثير التغافل عن سيآت خدمه واتباعه وزلاتهم يسمع ما يكره ولا يتأثر به ولا يخبر بخطيئة من اخطأ منهم حتى ان بعض مماليكه رمى بعضا آخر بسرموزة فاخطأته ووقعت قريبا من السلطان وكانت تصيبه فالتفت الى الجهة الاخرى تغافلا عنها وصار يكلم من بجانبه وكان طاهر المجلس طاهر اللسان قال العماد الكاتب مات بموته الرجال وفات بفواته الافضال وغاضت الايادي وفاضت الاعادي وانقطعت الارزاق وادلهمت الآفاق وفجع الزمان ورزئ الاسلام وكانت مجالسه كلها مجالس الآخرة لانها اما في اقامة عدل ينشره او جهاد يجهزله او سماع الاحاديث النبوية او بر يوليه او احسان يوصله الى ذوي الحاجات وارباب الضرورات الى غير ذلك من انواع البر وابواب القربات مع ما انطوى عليه من السجايا الجليلة والاخلاق الطاهرة الجميلة والحياء الذي لا مزيد عليه والسخاء الذي لا يلحق فيه وكان يهب الجزيل ولا يراه بل يرى الفضل لآخذه وكان دائم البشر والبشاشة لا يرد سائلا ولا يصد نائلا ولا يخجل قائلا ولا يخيب آملا سأل مرة بعض الامراء عن تخلفه عن غزوة تخلف عنها فذكر دينا عليه فأحضر الغرماء وتحمل الدين عن ذلك الامير وكان ذلك الدين اثني عشر الف دينار وكان كل مماليكه وخواصه وجميع امرائه واجناده يقتدون به في اخلاقه وكرمه وحسن سجاياه فكانوا اعف من الزهاد وا كثر عبادة من العباد قال العماد الكاتب ورأى لي يوما دواة محلاة بشيء يسير من الفضة فأنكرها فقلت له ان الامام أبا محمد الجويني ذكروجها في جواز مثل ذلك فقال لي لا تتبع الرخص فلم أكتب بها بعد ذلك

ويقال انه طعن ثلاث طعنات فأركبه على فرسه وحضنه ومضى به الى العابدية ووقع انكسار شنيع لقبائله وذلك عند غروب الشمس من ذلك اليوم وحصل قتل في جماعته وهرب من هرب منهم ابن جهور العدواني ودخل الشريف عبد الكريم والشريف عبد المحسن مكة بين المغرب والعشاء ونزل على سليمان باشا وتلاهم من معهم من الاشراف وسيوفهم شاهرة في أيديهم ورماحهم مشرعة على أكتافهم الى ان دخلوا بيوتهم ثم نودي في تلك الليلة بالامان وان البلاد بلاد الشريف عبد الكريم

(الولاية الثانية للشريف عبد الكريم)

وهذه الولاية الثانية للشريف عبد الكريم وان كان الشريف سعد أخذها بالغلبة وحال نزوله بيت الباشا أرسل للرئيس وأمره بأذان العشاء واقامة الصلاة فامتثل الرئيس ذلك فأقيمت الصلاة وأمن الناس بعد ان كادت أرواحهم تزهق ثم بعد صلاة العشاء رجع الى المحصب ومعه جميع تلك البادية وبات تلك الليلة هناك ودخل في الصبح ثامن عشر شوال في ألاي عظيم وكان جماعة ممن كانوا مع الشريف سعد لما فروا هابين

(وكان)

وكان كثير الاوراد والاذكار وتلاوة القرآن أوقاته كلها مستغرقة بالعبادة علما وعملا قلبا وقالبا قد هجر لذة الدنيا وزينتها وأخرج من قلبه محبتها وبهجتها فكان كالاسير فى هذه الدار لايؤمل بفك الاسر عنه الا فى دار القرار وكان لشدة حبه لسماع الحديث النبوى على قائله أفضل الصلاة والسلام يسمعها بين الصفين وسبب ذلك انه قيل له انك يامولانا سمعت الحديث فى جميع المواطن الشريفة الا بين الصفين حين القتال فأحضر جزأ من أجزاء الحديث وقرئ عليه هو وجنوده على ظهور الخيل بين الصفين يمشون تارة ويقفون أخرى والرؤس تندر والرؤس تقصر وواظب على ملازمة ذلك وتكراره فى كثير من مواقفه وكان ذلك من أسباب النصر العظيم والفتح المبين وكان رحمه الله شجاعا من أعظم الشجعان قوى النفس والقلب شديد البأس عظيم الثبات لايهوله أمر حتى كان يقابل بالجمع لقليل من جنده الجيوش الكثيرة من الفرنج مع ان نجدتهم كانت ايضا متواصلة وعساكرهم متواترة وهو مع ذلك لايزداد الا قوة نفس وصبر ولقد وصل فى ليلة واحد من الفرنج مايزيد على سبعين مركبا عند محاربة عكا وصار بعض أتباعه يعدون تلك المراكب من بعد العصر الى غروب الشمس وكلها كانت مشحونة بعساكر الفرنج ويخبرونه بها وهو مع ذلك لايزداد الا قوة نفس وشجاعة وشهامة قال القاضى ابن شداد ولما انعقد الصلح سألت بعض ملوك الفرنج وهو جالس بين يدى السلطان يوم انقطاع الصلح عن عدتهم فقال خمسمائة الف قلت فكم هلك منكم فقال أما بالقتل فقريب من مائة ألف وأما بالموت والغرق فكثير لانعلم عددهم وما رجع الى بلادهم الا القليل وكان رحمه الله اذا اشتد الحرب يطوف بين الصفين ويخرق صفوف العساكر من الميمنة والميسرة ويأمرهم بالتقدم تارة والوقوف تارة فى مواضع يراها وكان يشارف العدو ويجاورهم ليدبر الأمر على مايقتضيه الحال وكان رحمه الله له كمال المعرفة بتدبير الحرب ومكايده وما استعظم عدوه قط ولا استكثره لشدة توكله على الله تعالى وقوة وثوقه به وكان رحمه الله تعتريه أمراض فى ايام منازلته للعدو وكان شديد الصبر ولايخل المرض بشئ مما يلزمه واعتراه أيام محاربة عكا دماميل كثيرة من وسطه الى ركبتيه بحيث أنه لايستطيع الجلوس فكان لم يزل متكأ على جنبه وهو فى الخيمة وامتنع من الجلوس على الطعام مع من كان يجلس معهم لعجزه عن الجلوس فكان يأمر بالطعام ان يفرق بين الناس وهو مع ذلك كله يركب من بكرة النهار الى الظهر يطوف على الاطراف ويدبر أمر جيوشه صابراً على شدة الالم وقوة ضربان الدماميل فكانوا يتعجبون من شدة صبره فكان يقول لهم اذا ركبت يزول عنى ألمها حتى انزل وهذه كرامة عظيمة اكرمه الله تعالى بها وكان رحمه الله اذا جاء الشتاء يعطى الجيش دستورا فيتفرقون ويبقى هو فى طائفة يسيرة من جنده فى مقابلة العدو والعدو اكثر ممن معه بأضعاف مضاعفة وكان رحمه الله كثير التعظيم لشعائر الله شديد القيام على المبتدعة والفلاسفة لاتأخذه فى الله لومة لائم وكان حسن العشرة نظيف الاخلاق جميل المحاضرة طيب الفاكهة حافظا لانساب العرب ووقائعهم عارفا بسيرهم وأحوالهم عالما بعجائب الدنيا ونوادرها بحيث ان محاضره يستفيد منه مالا يسمعه من غيره ومن محاسن اخلاقه مع خدمه انه طلب الماء مرة فلم يحضر وعاود الطلب فى مجلس

دخلوا دار السعادة جماعة ودخلوا دار جوهر أغا وغيره من البيوت وجماعة فى جبل أبى قبيس بزاوية الشيخ بابقى والبيوت التى حوله وأقاموا يومهم وليلتهم محاصرين الى الضحوة الكبرى ثم أرسل الباشا مدافع وعسكرا ورموا بالمدافع الى الاماكن التى فيها أولئك المحاصرون فكسرت الابواب فدخل العسكر وقتلوا كل من هناك وربطوا جماعة وذهبوا بهم الى بيت الباشا فقتلوا هناك واستمر القتل بقية ذلك النهار حتى لم يبق الا من توارى ثم تتبعوا من كانوا فى جبل أبى قبيس فقتلوهم حتى وصلوا بالقتلى الى الصفا وكانوا نحو الستمائة وكان يوم سخط نعوذ بالله من مكره وكل محل من مكة تجد فيه القتلى قيل ان عدة القتلى فى ذلك اليوم ألف ومائتا رجل حتى عجز الناس عن مواراتهم وصاروا يحملونهم على العجلات ويرمونهم من رواشن دار السعادة وأسطحتها الى الارض فيجرونهم جر الرمم ويلقونهم فى العجلات ويحفرون لهم حفرا ويلقونهم فيها وجمعت الرؤس فى حوش الشريف وحملت فى الخيش وبنى منها رضم على خارجة سبيل السلطان مراد فى المعلى ليعتبر المار بهم

واحد خمس مرات فلم يحضر فقال يا أصحابنا قد قتلني العطش فأحضر الماء فشربه ولم ينكر التواني في احضاره وكان مرة قد مرض مرضا شديدا ارجف عليه بالموت فلما برئ منه ادخل الحمام فكان الماء حارا فطلب ماء باردا فأحضره الذي يخدمه فسقط من الماء شئ على الارض فناله منه شئ فتألم له لضعفه ثم طلب البارد ايضا فأحضر فلما قاربه سقطت الطاسة على الارض فوقع الماء جميعه عليه فكاد يهلك فلم يزد على ان قال للغلام ان كنت تريد قتلي فعرفني فاعتذر اليه فسكت عنه ومن كرمه أنه أخرج في مدة مقامه على عكا قبالة الفرنج ثمانية عشر الف دابة من فرس وبغل سوى الجمال وأما العين والثياب والسلاح فانه لا يدخل تحت الحصر ويكفي دليلا على كرمه انه لما مات لم يخلف في خزانته غير دينار واحد صوري وأربعين درهما ناصرية مع ان اولاده الذين خلفهم كانوا سبعة عشر ولدا وبنتا فلم يبال بكونه لم يترك لهم مالا يرثونه بعده ولا خلف دارا ولا عقارا ولا ضيعة ولا بستانا وذلك لشدة زهده في الدنيا وقوة وثوقه بالله تعالى وتوكله عليه ولما انقضت دولة العبيديين بمصر واستولى هو على مصر أخذ من ذخائرهم من سائر الانواع ما يفوت الاحصاء ففرقه جميعه ولم يأخذ لنفسه شيأ ومن تواضعه رحمه الله انه لم يتكبر على أحد من أصحابه وكان يعيب الملوك المتكبرين وكان يحضر عنده الفقراء الصوفية ويعمل لهم السماع المعروف عند الصوفية فاذا قام أحد منهم لتواجد يقوم له فلا يقعد حتى يفرغ ذلك الفقير ولم يلبس قط شيأ مما ينكره الشرع ولما مرض مرض الموت حضر عنده ليلة من تلك الليالي القاضي الفاضل وكان القاضي الفاضل اعظم وزرائه وحضر أيضا بعض أولاده والعماد الكاتب قال العماد فأجلسناه وأسندنا ظهره الى مخدة وأحضر ماء فاتر ليشربه عقيب شراب يلين الطبع فشربه فوجده شديد الحرارة فشكا من شدة حره فغير وعرض عليه ثانيا فشكا من برده ولم يغضب ولم يصخب ولم يقل سوى هذه الكلمات سبحان الله لا يمكن احدا تعديل الماء قال العماد فخرجت أنا والقاضي الفاضل من عنده وقد اشتد منا البكاء لما شاهدناه من مرضه والقاضي الفاضل يقول انظر الى هذه الاخلاق التي قد أشرف المسلمون على مفارقتها والله لو أن هذا بعض الناس كان قد ضرب بالقدح رأس من أحضره وكان رحمه الله له امام راتب ملازم مواظب فان غاب يوما صلى به من حضره من أهل العلم اذا عرفه متقيا متجنبا للآثام وكان يأخذ بالشرع ويعطي به ولم يكن الى المنجم مصغيا ولم يزل لقوله ملغيا لا يتعيف ولا يتطير ولا يتعين ولا يتخير بل اذا عزم توكل على الله فلا يفضل يوما على يوم ولا زمانا على زمان الا بتفضيل الشرع ومازال ناصرا للتوحيد وقامعا جميع اهل البدع بالتبديد شافعي المذهب أصولا وفروعا معتقلا له معقولا ومسموعا يدني أهل التنزيه ويقصي أهل التشبيه ويديم استفادة فقه الفقيه واستفادة نباهة النبيه ووجاهة الوجيه فالعالمون في عدله والعالمون في نصره والبلاد في أمنه والعباد في منه وكان رحمه الله حسن العقيدة وكان قد جمع له الشيخ الامام قطب الدين النيسابوري عقيدة تجمع جميع معتقد أهل السنة والجماعة فحفظها وكان يحفظها الصغار من أولاده وكان من القائمين بالليل للتهجد وكان يحب سماع القرآن العظيم ويشترط على من يتخذه اماما ان يكون عالما بعلوم القرآن العظيم متقنا لحفظه وكان رحمه الله

فلا حول ولا قوة الا بالله واستمر الشريف سعد بالعابدية مريضا حتى انتقل الى رحمة الله تعالى يوم الاحد خامس ذي القعدة سنة ست عشرة ومائة وألف وغسل وصلى عليه الشيخ عبد القادر المفتي الصديقي بوصاية وعهد منه اليه وطلع في جنازته الشريف عبد الكريم وجميع الاشراف والناس ودفن في قبة أبي طالب عند والده الشريف زيد وقد تبين لك ان ولايات الشريف سعد على مكة أربع مرات فالمرة الاولى مدته فيها ست سنوات الا احدى وعشرين يوما والثانية سنتان والثالثة سبع سنين وسبعة أشهر واثنا عشر يوما والرابعة ثمانية عشر يوما فمدة الولايات الاربع خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وتسعة أيام متفرقة وولادته سنة ثنتين وخمسين وألف فيكون عمره أربعا وستين سنة رحمه الله تعالى وفي هذه الفتنة قبل وصول الشريف عبد الكريم من اليمن تعطلت جميع الطرقات والجهات وصارت الناس تؤخذ من المعلاة والشبيكة والمسفلة وقل أن تجد أحدا يمشي منفردا وحده فيها لكثرة العربان وانتشارهم وكثر القتل والنهب سيما جهة المعابدة ومما اتفق ان عتيبة ليلة التاسع من شوال قتلت أربعة من هذيل واثنين من قريش قريبا من السد

خاشع القلب سريع الدمعة اذا سمع القرآن العزيز يخشع قلبه وتدمع عينه وكان شديد المواظبة على الجهاد عظيم الاهتمام به ولو حلف حالف انه ما انفق بعد خروجه الى الجهاد دينارا ولا درهما الا في الجهاد اصدق وبر في يمينه ولقد هجر في محبة الجهاد الاهل والاولاد والوطن والمسكن وسائر الملاذ وقنع من الدنيا في ظل خيمة تهب بها الرياح يمنة ويسرة ولقد وقعت عليه الخيمة في ليلة ذات ريح وكادت تقتله لما وقعت عليه ولا يزيده ذلك الا رغبة ومسارة واهتماما ومناقبه رحمه الله كثيرة قد افردت بالتأليف اللهم اجعل مقره جنات النعيم واقر عينه بالنظر الى وجهك الكريم يا ارحم الراحمين واجمع بيننا وبينه في دار كرامتك مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو مع ما جمع الله فيه من الصفات حسنة من حسنات السلطان محمود نور الدين بن زنكي فان السلطان محمود نور الدين هو الذي أقامه حتى صار من الكاملين ومن عباد الله المقربين وقد تقدم الوعد بذكر ترجمة للسلطان نور الدين المذكور عند ذكر وفاته سنة خمسمائة وتسع وستين وترجمته واسعة افردت بالتأليف ولنذكر نبذة منها لعلنا ننال ببركة السلطانين أنواع التشريف وقد تقدم ان السلطان نور الدين هو ابن عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة آق سنقر كان جده آق سنقر من مماليك السلطان ملك شاه السلجوقي ولاه الولايات الجليلة ثم بعده ابنه عماد الدين زنكي ولي كثيرا من الولايات وفتح اعظم الفتوحات ثم صار الامر بعده لولده السلطان محمود نور الدين فكان له ولاية حلب والموصل وغيرهما من الممالك وفتح كثيرا من البلاد التي استولى عليها النصارى وبعث السلطان صلاح الدين الى مصر فانتزعها من أيدي العبيديين فما ذكروه في ترجمة السلطان نور الدين انه كان عالما فقيها على مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله عنه عابدا ورعا زاهدا فمن زهده وورعه أنه كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف الا في الذي يخصه من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين ولقد شكت اليه زوجته الضيق فأعطاها ثلاثة دكاكين في حمص كانت له يحصل له منها في السنة نحو عشرين دينارا فاستقلتها فقال ليس لي الا هذا وجميع ما بيدي أنا فيه خازن للمسلمين لا أخونهم فيه ولا أخوض نار جهنم لاجلك وكان يصلي كثيرا بالليل وله فيه أوراد حسنة وكان كما قيل

جمع الشجاعة والخشوع لربه ۞ ما أحسن المحراب في المحراب

وكان عارفا بالفقه على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه وسمع الحديث وأسمعه طلبا للأجر من الله تعالى واما عدله فانه لم يترك في ممالكه على سعتها مكسا ولا عشورا بل أبطلها جميعها في مصر والشام والجزيرة والموصل وكان الولاة قبله قد جاروا في ذلك غاية الجور حتى وصلوا الى أنهم يأخذون من المائة خمسة وأربعين فأبطل ذلك كله فبارك الله له في الغنائم وفتح له الفتوحات حتى انتزع هو والسلطان صلاح الدين كثيرا من الممالك الشامية وغيرها من أيدي النصارى وكانوا قد استولوا عليها قريبا من مائة سنة وقد تقدم بيان ذلك بالاختصار وكان رحمه الله يعظم الشريعة ويقف عند احكامها وله في ذلك اخبار عجيبة فمن ذلك أن بعض رعيته ادعى عليه بدعوى غير صحيحة ولا ثابتة وشكاه على القاضي الذي أقامه هو لتنفيذ الاحكام الشرعية فاستدعاه القاضي فحضر مجلس الحكم وقال للقاضي

فخرجت هذيل في صبيحتها في نحو مائة مقاتل الى ان وصلت العابدة فوجدوا هناك حيا من عتيبة وفيهم هندس شيخ الروقة فقتلوه وقتلوا معه نحو سبعة أنفار من عرب عتيبة وطرحوهم في الطريق ورقوا جبل الخندمة وصرخ صارخهم فارتجت لهم الارض فركب السيد أحمد بن جازان في جماعة من الاشراف فأعطوهم الامان فلم يأمنوا الا ان عتيبة اجتمعت فرقة منهم بالعابدة فلم تزل بهم الاشراف حتى رضوا عند العصر فأخذوا هدنة عشرة أيام ونادى السيد أحمد بن جازان لهذيل انهم في ضمانه وأمانه ووجهه ثم ان عتيبة رحلوا غضابا ونزلوا بالحبت على غير رضى واستمر الحال والخوف الى أن دخل الشريف عبد الكريم وكان ما كان ثم ان الشريف عبد المحسن نادى بأن هذيلا وعتيبة الكل منهم في وجهه لا يمد أحد منهم يده على رفيقه فسكن الاضطراب وأمنت الناس وفي اليوم الحادي والعشرين من شوال ورد الى الشريف عبد المحسن مكاتيب من ينبع من قبل السيد عبد الله ابن بركات يخبر ان الشريف سعيدا قدم من الجارية الى ينبع ومعه من لفائف العرب جماعة يريد أخذ البندر لما بلغه ان اباه دخل مكة فخرجنا له ورددناه فرجع الى الجارية وأقام

انى قد جئت محاكما فاسلك معى مثل ما تسلكه مع غيرو ساوى خصمه فى المجلس وحاكه فلم يثبت عليه حق وثبت الملك لنور الدين فقال اشهدوا أنى قد وهبت لخصمى هذا كل الذى حاكمنى فيه وقد كنت اعلم انه لا حق له عندى وانما حضرت معه لئلا يظن أنى ظلمته فحيث ظهر ان الحق لى وهبته له وهذا غاية العدل والانصاف بل غاية الاحسان وهى درجة وراء العدل فرحم الله هذه النفس الزكية الطاهرة المنقادة للحق وهذا مستكثر من ملك متأخر بعد فساد الازمنة وتفرق الكلمة والا فقد انقاد الى مجلس الحكم جماعة من المتقدمين مثل عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم ومن عدله انه لم يكن يعاقب العقوبة التى يعاقب بها الملوك فى هذه الاعصار على الظنة والتهمة بل يطلب الشهود على المتهم فان قامت البينة الشرعية عاقبه العقوبة الشرعية من غير تعد فدفع الله بهذا الفعل عن الناس من الشر ما كان يوجد فى غير ولايته وكان للسلطان نور الدين شيخ يحبه ويعتقده يقال له الشيخ عمر الملا ولقب بأمره بالملا لان الشيخ عمر المذكور كان يلى تانير الجص بأجرة يتقوت منها فكان لا يأكل الا من كسب يده وذلك حلال وكان نازلا بالموصل وكان السلطان نور الدين يرسل اليه من حلب من يأتيه منه بشئ يفطر عليه فى رمضان يكون حلالا فكان الشيخ عمر الملا يرسل للسلطان نور الدين أكياسا فيها الفتيت والرقاق فكان نور الدين يفطر عليه وكان اذا قدم السلطان نور الدين الموصل لا يأكل الا من طعام الشيخ عمر الملا ويقبل قوله ويعمل باشارته ويأمر عماله بالموصل والجزيرة ان يعملوا بقول الشيخ عمر الملا ويقبلوا اشارته لعلمه وصلاحه وديانته وورعه فاتفق أنه كثر الدعار وارباب الفساد بالموصل والجزيرة فحضر العمال والنواب عند الشيخ عمر الملا وقالوا له انه قد كثر الدعار وارباب الفساد ولا يستقيم الامر الا بشئ من السياسة كالقتل والصلب واذا أخذ مال انسان فى البرية من يجئ يشهد له فلو كتبت الى السلطان نور الدين ان يأذن لنا فى شئ من السياسة فوافقهم الشيخ عمر الملا وكتب للسلطان نور الدين يسأله فى أن يأذن لهم فى شئ من السياسة التى يمتنع بها الدعار وأهل الفساد وقال اذا اخذ مال انسان فى البرية من يجئ يشهد له فقلب السلطان نور الدين كتابه وكتب له على ظهره ان الله تعالى خلق الخلق وهو أعلم بمصلحتهم وشرع لهم شريعة وهو أعلم بما يصلحهم وان مصلحتهم تحصل فيما شرعه على وجه كامل فيها ولو علم ان الشريعة تحتاج الى زيادة لاتمام المصلحة لشرعه فالنا حاجة الى زيادة على ما شرعه الله تعالى فلما وصل الكتاب الى الشيخ عمر الملا جمع اهل الموصل وأقرأهم الكتاب وقال انظروا فى كتاب الزاهد الى الملك وكتاب الملك الى الزاهد فعرفوا أن ما قاله السلطان نور الدين هو الصواب وان الصلاح انما يكون بالعمل بالشريعة وكان السبب فى اسقاطه المكوسات ان وزيره موفق الدين خالد بن القيسرانى رأى فى منامه انه يغسل ثيابه فقص ذلك عليه ففكر ساعة ثم أمر بكتابة اسقاط المكوسات وقال هذا تفسير منامك وكان فى تهجده يقول ارحم العشار المكاس وبعد أن أبطل ذلك طلب من الناس الذين اخذت منهم قبل ذلك ان يجعلوه فى حل وقال والله ما أخرجناها الا فى جهاد عدو الاسلام يعتذر بذلك اليهم عن اخذها منهم وكان رحمه الله لا يفعل شيأ من الاعمال الا بنية صالحة من ذلك انه كان يخرج بالعساكر ويجرون الخيل فى صورة اللعب ويريد بذلك تمرين الخيل والعسكر

بها وبعد استقرار الشريف عبد الكريم بمكة كتبت عروض منه ومن سليمان باشا عليها خطوط العلماء والاشراف بشرح ما قد صار فلما وصلت الى مصر اخروها بمصر لتواطئ بين أيوب بك أمير الحج المصرى وبين الشريف سعيد لما كان فى نفس أيوب بك من صاحب جدة وكتبوا من مصر عروضا غيرها وأرسلوها الى الابواب السلطانية مضمونها أن صاحب جدة عزل الشريف سعيدا وولى الشريف عبد الكريم من غير جناية فلما وصلت الى الابواب السلطانية أمر الوزير الاعظم صاحب مصر ان يجهز عسكرا تجريدة ليرجعوا الشريف سعيدا الى مكانه ويكون باشا التجريدة أيوب بك فلما جاءتهم الاوامر السلطانية توافق صاحب مصر مع أيوب بك أمير الحج المصرى وايواز بك على ارسال التجريدة الى مكة اعانة للشريف سعيد فكان الامر كذلك ثم بعد ذلك أطلقوا الوارد بعروض الشريف عبد الكريم وعروض سليمان باشا صاحب جدة فوصل بها الى الابواب فأراد الوزير كتمها فاخبرها الى السلطان أحمد فأمر باحضارها فقرئت بين يديه فاستدرك الامر وكتب الى سليمان باشا صاحب جدة بأن ينظر فيما هو الاصلح للحرمين

على الكر والفر فكتب اليه الشيخ عمر ما كنت اظنك تلهو وتلعب وتعذب الخيل لغير فائدة
بينة فكتب اليه نور الدين والله ما يحملنى على ذلك اللهو واللعب وانما نحن فى ثغر والعدو
قريب منا وبينما نحن جلوس اذ يقع صوت فنركب فى الطلب ولا يمكننا ايضا ملازمة الجهاد
ليلا ونهارا شتاء وصيفا اذ لابد من الراحة للجند ومتى تركنا الخيل على مرابطها صارت جماما
لا قدرة لها على ادمان السير فى الطلب ولا معرفة لها ايضا بسرعة الانعطاف والطاعة
لراكبها فى الحرب فهذا والله الذى بعثنى على ذلك قال ابن الاثير فانظر الى هذا الملك
العظيم العديم النظير الذى يقل فى اصحاب الزوايا المنقطعين الى العبادة مثله فان من يجئ
الى اللعب بنية صالحة حتى يصير من أعظم العبادات وأكبر القربات يقل فى العالم مثله وفيه
دليل على انه كان لا يفعل شيأ الا بنية صالحة وهذه أفعال العلماء الصالحين العاملين بعلمهم وكان
رحمه الله كثير المطالعة للكتب الدينية متبعا للآثار النبوية مواظبا على الصلوات
فى الجماعات عاكفا على قراءة القرآن حريصا على فعل الخير عفيف البطن والفرج مقتصدا
فى الانفاق متحريا فى المطاعم والملابس لم تسمع منه كلمة فحش فى رضاه ولا فى ضجره وأشهى
ما اليه كلمة حق يسمعها وارشاد الى سنة يتبعها قال ابن الاثير قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين
قبل الاسلام وفيه الى زمننا هذا فلم أر بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز احسن سيرة من
الملك العادل نور الدين ولا أكثر تحريا للعدل والانصاف منه قد قصر ليله ونهاره على
عدل ينشره وجهاد يتجهز له ومظلمة يزيلها وعبادة يقوم بها واحسان يوليه وانعام يسديه
فلو كان فى امة لافتخرت به أما زهده وعبادته وعلمه فانه كان مع سعة ملكه وكثرة ذخائر
بلاده وأموالها لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف الا من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة
ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين واذا اراد أخذ شئ من الاموال المرصدة لمصالح
المسلمين احضر الفقهاء واستفتاهم فى أخذ ما يحل له من ذلك فيأخذ ما افتوه بحله ولم يتعده
الى غيره البتة ولم يلبس قط ما حرمه الشرع من حرير اوذهب اوفضة ومنع من شرب الخمر
وبيعها فى جميع بلاده ومن ادخالها الى بلد ما وكان يحد شاربها الحد الشرعى وكل الناس
عنده فيه سواء وكان يصلى فيطيل الصلاة وله أوراد فى النهار فاذا جاء الليل وصلى العشاء
ينام ويستيقظ نصف الليل ويقوم الى الوضوء والصلاة الى بكرة فيظهر ويشتغل بمهمات
الدولة ومصالح المسلمين وارسلت له زوجته تخبره بأن النفقة قلت عليها ولم يكفها
ما كان قرره لها وطلبت منه الزيادة فتنكر واحمر وجهه وقال للرسول من اين اعطيها
ما يكفيها والله لا اخوض النار فى هواها ان كانت تظن ان الذى بيدى من الاموال لى فبئس
الظن انما هى أموال المسلمين مرصدة لمصالحهم ومعدة لفتق ان كان من عدو الاسلام وأنا
خازنهم عليها فلا اخونهم فيها ثم قال للرسول لى بمدينة حمص ثلاثة دكاكين ملكا وقد
وهبتها اياها فلتأخذها وكان يحصل منها قدر قليل وذلك نحو عشرين دينارا وحكى انه
حمل اليه من مصر عمامة من القصب الرفيع مذهبة فلم يحضرها عنده فوصفت له فلم يلتفت
اليها وبينما هم معه فى حديثها اذ قد جاءه رجل صوفى فأمر بها له فقيل انها لا تصلح لهذا الرجل
ولو اعطى غيرها كان أنفع له فقال اعطوها له ليبيعها وينتفع بثمنها فانى ارجو ان اعوض

باشا التجريدة وأيوب بيك أمير الحج المصرى وعجلوا بخروجهم وباعوا صاحب السلطان المعين لاهالى مكة واستعانوا بهمته على ما أرادوه فورد أبو ازبيك بالتجريدة الى ينبع فى ذى القعدة وسألوا عن الشريف سعيد فأخبروهم أنه بالجابرية فبعثوا اليه واستدعوه وقد تخلى عن كل أحد الا السيف وأيس حتى من طروق الطيف فأعاد عليهم الجواب بالاعتذار لعدم وجود لوازم الهمة العلية مما يحتاج اليه فى هذه القضية فبعثوا اليه بما يليق بمقامه من جهازه وخدمه وطعامه فأقبل الى أبواز بيك فى أردية الاقبال محفوفا بالعز والرجال فخلع عليه قفطان الشرافة الوارد صحبته مع محمود أغا أحد أغاوات السلطان أحمد ونادى له بينبع ولما كان يوم الثالث والعشرين من ذى القعدة ورد مكة سبعة أنفار من غز مصر من كل بلك رجل ودخلوا الى قاضى مكة وبيدهم كتب من أبواز بيك أمير التجريدة ومن الشريف سعيد وفيها خطاب لقاضى
مكة وللسردار ومضمونها أن السلطنة أنعمت على الشريف سعيد بشرافة مكة فانتم أطيعوا الله والرسول والسلطان واياكم والمخالفة

عنها فى الآخرة فسلمت الى ذلك الصوفى فسار بها الى بغداد فباعها بستمائة دينار اوسبع
مائة وقيل باعها فى همدان بألف دينار وكان الملوك قبله كالجاهلية همة احدهم بطنه
وفرجه لايعرف معروفا ولاينكر منكرا حتى جاء الله بدولته فوقف مع اوامر الشرع ونواهيه
والزم بذلك اتباعه وذويه فاقتدى به عماله ومن سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها
الى يوم القيامة فان قال قائل كيف يوصف بالزهد من له الممالك الفسيحة وتجبى اليه
الاموال الكثيرة فليذكر نبى الله سليمان عليه السلام فانه مع ملكه كان سيد الزاهدين
فى زمانه ونبينا صلى الله عليه وسلم قد حكم على حضرموت واليمن والحجاز وجميع جزيرة
العرب من حدود الشام الى العراق وهو على الحقيقة سيد الزاهدين من جميع العالمين وانما
الزهد خلو القلب من محبة الدنيا وأما عدله فانه كان أحسن الملوك سيرة وأعدلهم حكما
فمن عدله انه لم يترك فى بلد من بلاده ضريبة ولامكسا ولاعشرا بل اطلقها رحمه الله جميعها
فى بلاد الشام والجزيرة جميعها والموصل واعمالها وديار مصر وغيرها مما حكم عليه وكان
المكس فى مصر يؤخذ من كل مائة دينار خمسة واربعون دينارا وهذا لم تتسع له نفس غيره
وكان يتحرى العدل وينصف المظلوم من الظالم كائنا من كان القوى والضعيف عنده فى الحق
سواء وكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولايكل ذلك الى حاجب
ولا أمير فلاجرم سار ذكره فى شرق الارض وغربها ومن عدله أنه كان يعظم الشريعة
المطهرة ويقف عند احكامها ويقول نحن مسخرون لهاتمضى أوامرها حكى أنه دخل يوما
الى خزانة المال فرأى فيها مالا أنكره فسأل عنه فقيل له ان القاضى كمال الدين أرسله وهو
من جهة كذا فقال ان هذا المال ليس لنا ولالبيت المال فى هذه الجهة شئ وأمر برده واعادته
الى كمال الدين ليرده على صاحبه فأرسله متولى الخزانة الى كمال الدين فرده كمال الدين الى
الخزانة وقال اذا سأل الملك العادل عنه فقولوا له عنى انه له فدخل نور الدين الخزانة مرة
اخرى فرآه فانكر على النواب وقال الم اقل لكم يعاد هذا المال الى اصحابه فذكروا له
قول كمال الدين فرده اليه وقال للرسول قل لكمال الدين انت تقدر على حمل هذا المال
وأما أنا فرقبتى دقيقة لااطيق حمله والمخاصمة عليه بين يدى الله تعالى يعادقولا واحدا ومن
عدله ايضا بعد موته وهو من أعجب مايحكى ان انسانا كان بدمشق غريبا استوطنها وأقام بها
لما رأى من عدل نور الدين رحمه الله تعالى فلما توفى تعدى بعض الاجناد على هذا الرجل
فشكا فلم ينصف فنزل من القلعة وهو يستغيث ويبكى وقد شق ثوبه وهو يقول يانور الدين
لو رأيتنا ومانحن فيه من الظلم لرحمتنا أين عدلك وقصد تربة نور الدين ومعه من الخلق مالا
يحصى وكلهم يبكى ويصيح فوصل الخبر الى صلاح الدين فقيل له احفظ البلد والرعية
والاخرج عن يدك فارسل الى ذلك الرجل وهو عند تربة نور الدين والناس معه وطيب قلبه
وأزاح ظلامته ووهبه شيأ انصفه فبكى أشد من بكائه الاول فقال له صلاح الدين
لم تبكى قال ابكى على سلطان عدل فينا بعد موته فقال صلاح الدين هذا هو الحق وكلما
ترى فينا من عدل فمنه تعلمناه ومن عدل نور الدين رحمه الله انه بنى دار الكشف سماها دار
العدل فكان يجلس فيها لفصل الخصومات فى الاسبوع يومين وعنده القاضى والفقهاء

وقد ألبسناه قفطان الشرافة الذي ورد به محمود أغا صحبتنا وهو أحد أغاوات السلطان أحمد
وهو وارد صحبتنا ووقع هذا حال ورودنا ينبع ثالث شهر ذى القعدة فوقع بمكة لموجب هذا الشان رجة عظيمة فلما بلغ ذلك الشريف عبد الكريم أرسل اليهم وسامهم القتل وحبسهم الى الظهر ثم أطلقهم ثم شاع ماينافى ذلك وأن القفاطين انما أرسلت باسم الشريف عبد الكريم وان هذا الامر مزيف وسببه قيام أيوب بيك أمير الحج المصرى مع الشريف سعيد لغرض فى نفسه ثم جعل الشريف عبد الكريم محضرا فى المسجد جمع فيه القاضى والمفتى والعلماء والاشراف وكبار العسكر واجتمع معهم كثير من الناس فقال الشريف عبد الكريم اعلموا انى دخلت مكة وقد حل بها ماحل من الغلاء وانقطاع الطريق وهذا كله سببه الشريف سعيد وحكامه فقال الناس صدقت ثم قال هل تشهدون أنى ظلمت البلاد وأرحت العباد وأمنت الناس بعدان وليت قالوا نعم ثم قال هل حدث منى من المظالم مايوجب رفعى عنها قالوا حاشا لله قال هل ترضون بولايتى
عليكم أو ترضون بولاية الشريف سعيد قالوا لا نرضى الا بك قال هؤلاء الاتراك يريدون

(واما)

واما شجاعته وحسن رأيه فقد كانت النهاية اليه فيهما فانه اصبر الناس فى الحرب
واحسنهم مكيدة ورأيا واجودهم معرفة بأمور الاجناد وأحوالهم وبه كان يضرب المثل
فى ذلك وكان الناس يقولون انهم لم يروا على ظهر الفرس احسن منه كأنما خلق عليه لايتحرك
ولا يتزلزل وكان اذا حضر الحرب أخذ قوسين وتركشين وباشر القتال بنفسه وكان يقول طالما
تعرضت للشهادة فلم ادركها سمعه يوما الامام قطب الدين النيسابورى الفقيه الشافعى
وهو يقول ذلك فقال له بالله لاتخاطر بنفسك وبالاسلام والمسلمين فانك عمادهم ولئن
أصبت والعياذ بالله تعالى فى معركة لايبقى من المسلمين احد الا أخذه السيف واخذت
البلاد فقال ياقطب الدين ومن محمود حتى يقال له هذا قبلى من حفظ البلاد والاسلام ذلك
الله الذى لااله الا هو وكان رحمه الله يكثر أعمال الحيل والمكر والخداع مع الفرنج
خذلهم الله تعالى وأكثر ماملكه من بلادهم بحسن تدبيره فى اعمال الحيل عليهم ومن جيد
الرأى ماسلكه مع مليح بن ليون ملك الارمن فانه مازال يخدعه ويستميله حتى جعله فى خدمته
سفرا وحضرا وكان يقاتل به الافرنج وكان يقول انما حملنى على استمالته ان بلاده حصينة
وعرة المسالك وقلاعه منيعة وليس لنا طريق اليها وهو يخرج منها اذ أراد فينال من بلاد
الاسلام فاذا طلب انحجز فيها فلا يقدر عليه فلما رأيت الحال هكذا بذلت له شيأ من الاقطاع
على سبيل التألف حتى أجاب الى طاعتنا وخدمتنا وساعدنا على الفرنج ولما توفى نور الدين
وملك غيره وغير هذا الطريق ملك متولى الارمن بعد مليح كثيرا من بلاد الاسلام وحصونهم
وصار منه ضرر عظيم وخرق واسع لايمكن رقعه وكان رحمه الله يكرم العلماء ويكثر الاحسان
اليهم ويبالغ فى تعظيمهم حتى انه اذا دخل عليه الفقيه او الصوفى او الفقير يقوم له ويمشى
بين يديه ويجلسه الى جانبه كأنه اقرب الناس اليه مع انه كان له هيبة عظيمة فى قلوب
الملوك والامراء وما كان احد من الامراء يقدر ان يجلس فى مجلسه الا بعد الاذن له فى ذلك
وكان يكاتب العلماء بخط يده وينبسط معهم ولا يرد لهم قولا واذا اعطى احدا من العلماء
او الفقراء شيأ يقول ان هؤلاء لهم فى بيت المال حق فاذا قنعوا منا ببعضه فلهم المنة علينا
وكان مجلسه كما روى فى صفة مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس حكم وحياء
لاتنتهك فيه الحرم ولايذكر فيه الا العلم والدين واحوال الصالحين والمشاورة فى امر الجهاد
وقصد بلاد العدو لايتعدى هذا وقد حضر الحافظ ابن عساكر مجلس صلاح الدين لما ملك
دمشق فرأى فيه من اللغط وسوء الادب من الجالسين فيه ما لاحد له فشرع يحدث صلاح الدين
كما كان يحدث نور الدين فلم يتمكن من القول لكثرة الاختلاف من المتحدثين وقلة استماعه فقام
وبقى مدة لايحضر المجلس الصلاحى وتكرر من صلاح الدين الطلب له فحضر فعاتبه صلاح
الدين على انقطاعه فقال نزهت نفسى عن مجلسك فانى رأيته كبعض مجالس السوقة لايستمع
فيه الى قائل ولا يرد فيه جواب متكلم وقد كنا بالامس نحضر مجلس نور الدين فكنا كما قيل
كأنما على رؤسنا الطير تعلونا الهيبة والوقار فاذا تكلم انصتنا واذا تكلمنا استمع لنا فأمر صلاح
الدين أصحابه أنه لايكون منهم ماجرت به عادتهم اذا حضر الحافظ ابن عساكر قال ابن الاثير
فهكذا كانت أحواله جميعها رحمه الله تعالى مضبوطة محفوظة واما حفظ اصول الديانات
فانه كان مراعيا لها لايهملها ولايمكن أحدا من الناس من اظهار مايخالف الحق ومتى اقدم

للقاضى ولمن حضر من العساكر المصرية وقالوا لانسلم لما جاء به ايوازبيك ولو كان معه أمر سلطانى بولاية الشريف سعيد فنحن لا نعصى أمر السلطان غير ان السلطان لايرضى علينا الخلاف ولا يولى علينا الا من نرضاه فسجل القاضى صورة ما وقع فى هذا المجلس وكتب به حجة ووضعت خطوط الاشراف والعلماء والمراد ير عليها وبعثوا بها الى أيوازبيك فأجاب ان صحبتنا أغاة من أغاوات السلطان معه أمر سلطانى ناص بأن شريف مكة لايكون الا سعيدا وليس لنا قصد الا الاصلاح ولم نؤمر الا به فاذا وصلنا نحن والشريف سعيد اليكم أشرفناكم على ما أمرنا به ويحصل هنالك الاتفاق ان شاء الله تعالى فأعاد اليه الشريف عبد الكريم والسادة الاشراف ان دخول الشريف سعيد غير صلاح وانما يجلس فى موضعه الى ان ينزل الناس من الحج ثم ندعوه الى مكة وننظر فى الامر فقال ايوازبيك لابد من دخوله صحبتنا فأرسل اليه الشريف عبد الكريم والاشراف يقولون ان دخلتم به فما عندنا الا السيف فاجهدوا ونجهد فعند ذلك تخلف ايوازبيك بمن معه من

العسكر التجريدة وجلسوا ينتظرون قدوم الحاج المصري بالجموم من وادي مر وصمم الشريف

مقدم على ذلك أدبه بما يناسب بدعته وكان يبالغ في ذلك ويقول نحن نحفظ الطرق من لص وقاطع طريق والاذى الحاصل منهما قريب أفلا نحفظ الدين ونمنع عنه ما يناقضه وهو الاصل وحكي ان انسانا بدمشق يعرف بيوسف بن آدم كان يظهر النسك والزهد وقد كثر أتباعه وأظهر شيأ من التشبيه فبلغ خبره نور الدين فأحضره وأركبه حمارا وأمر بصفعه فطيف به في البلد جميعه ونودي عليه هذا جزاء من أظهر في الدين البدع ثم نفاه الى حران فأقام بها الى ان مات وكان لنور الدين رحمه الله مجالس يقرأ فيها كتب الحديث مع جماعة من العلماء قرئ يوما ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج متقلدا سيفه وكان من عادة الجند انهم يربطون سيوفهم بأوساطهم فلما سمع هذا الحديث أبطل ما كان عليه الجند وخرج من غد ذلك اليوم متقلدا سيفه فاقتدى به الجند وفعلوا مثل فعله فهذا يدل على انه لم يفرط في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل سنة تبلغه عنه وأمر رحمه الله باسقاط ألقابه في الدعاء له على المنبر وطلب من ابن القيسراني ان يكتب له سورة ما ينبغي ان يدعى له به فكتب له اذا أراد الخطيب ان يدعو له يقول اللهم أصلح عبدك الفقير الى رحمتك الخاضع لهيبتك المعتصم بقوتك المجاهد في سبيلك المرابط لاعداء دينك أبا القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر ناصر امير المؤمنين فكتب نور الدين على رأس الرقعة بخطه مقصودي ان لا يكذب على المنبر انا نحل بكل ما يقال لا افرح بما لا اعمل وكتب في آخر الرقعة ثم تبدأ بالدعاء اللهم اره الحق اللهم أسعده اللهم انصره اللهم وفقه من هذا الجنس ودخل في ايام نور الدين الى حلب تاجر موسر فمات بها وخلف ولدا صغيرا ومالا كثيرا فكتب بعض من كان بحلب الى نور الدين يذكر له أنه قد مات تاجر موسر وخلف ولدا صغيرا وخلف عشرين الف دينار وحسن له ان يرفع المال الى الخزانة وينفق على الصغير شيء يسير ويمسك الباقي الى الخزانة فكتب على رقعته اما الميت فرحمه الله وأما الولد فأنشأه الله واما المال فثمره الله واما الساعي فلعنه الله وكفى السلطان نور الدين منقبة ما ذكره العلامة السيد السمهودي في تاريخ المدينة المسمى خلاصة الوفا في اخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم ان السلطان المذكور رأى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في ليلة واحدة وهو يقول له في كل مرة يا محمود أنقذني من هذين الشخصين وهما شخصان أشقران تجاهه فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر ذلك له فقال هذا أمر حدث بالمدينة النبوية ليس له غيرك فتجهز بمقدار الف راحلة وما يتبعها وسار حتى دخل المدينة على حين غفلة من أهلها ثم أمر بكتابة أسماء الناس ليتصدق عليهم وتصدق بأموال كثيرة ولا يعطي كل انسان الا بيده لينظر اليه رجاء ان يرى الشخصين الاشقرين الذين أراه اياهما النبي صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق احد ولم يشاهد فيمن حضر عنده الشخصين الاشقرين فسأل هل بقي احد فقالوا لم يبق الا رجلان مجاوران من اهل الاندلس نازلان في الرباط الذي في قبلة حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فجدوا في طلبهما حتى احضروهما فلما رآهما قال للوزير هما هذان فسألهما عن حالهما فقالا جئنا للمجاورة فقال لهما اصدقاني وعاقبهما حتى أقرا أنهما من النصارى وانهما وصلا لكي ينقلا من بالحجرة الشريفة باتفاق من ملوكهما ووجدهما قد حفرا الارض من تحت حائط المسجد القبلي لجهة الحجرة الشريفة ويجعلان التراب في بئر عندهما في الرباط وقيل كانا يجعلان

عبد الكريم على منعهم من الدخول بالشريف سعيد أو يقاتلهم فخرج رابع ذي الحجة الى بئر طوى في عبيده وتلاحقته بنو عمه الاشراف فما غربت الشمس الا وقد اجتمع عنده ألف مقاتل من حرب وعتيبة وغيرهم وأصبح ذلك الوادي وهو بحر غاص بالبوادي واستمر الى سادس ذي الحجة ومن الغريب انه ورد ثاني ذي الحجة على سليمان باشا وهو بجدة أمر سلطاني من البحر مضمونه ابقاؤه على جدة وزيادة سواكن وانا أبقيناك على ما في يدك من تفويض أمر الحرب والأمر اليك في ولاية من ترى فيه الصلاح للبلاد والرعية ولمن يرضاه أهل الحل والعقد ويرون فيه الصلاح وعزل من ثبت فساده فبعث سليمان باشا للشريف عبد الكريم يخبره بذلك فارتاضت نفسه عند ذلك وعلم ان الله ناظر اليه فألبس القاصد ودق الزير وأظهر السرور واستفاض الخبر عند القاصي والداني ففرح الناس بهذا الامر ثم أن سليمان باشا خرج من جدة ونزل طوى مع مولانا الشريف عبد الكريم ثالث ذي الحجة ثم لما كان خامس الشهر دعا سليمان باشا بالقاضي والمفتي وبعض العلماء وأكابر العساكر

(التراب)

التراب في محفظتيهما ويخرجان بلقيانه في الخارج فضرب أعناقهما عند الشباك الذي هو
شرقي الحجرة خارج المسجد ثم أحرقهما بالنار وحفر خندقا حوالى الحجرة الشريفة وسكب فيه
الرصاص والنحاس المذاب واستحفظه غاية الاستحفاظ ثم ركب السلطان نور الدين راجعا
الى الشام وكان السلطان محمود المذكور موصوفا بكثير من الصفات الحميدة وقد اتسع ملكه
وخطب له بالشام ومصر والحرمين واليمن ويذكرون اسمه بعد ذكر الخليفة العباسي والسلطان
السلجوقي وترجمته واسعة قد افردت بالتأليف وفي هذا القدر كفاية وانما ذكرنا ترجمته
وترجمة السلطان صلاح الدين لغرابة وجودهما في الزمن الذي كثر فيه جور الملوك والسلاطين
ليعلم انهما انما فتحا البلاد وانتزعاها من النصارى بالعدل لاسيما في بيت المال وليعلم ايضا أن الخلفاء
الراشدين انما فتحوا البلاد بالعدل في بيت المال وقد ذكر كثير من العلماء ان الدعاء مستجاب عند
قبر السلطان نور الدين والسلطان صلاح الدين اللهم اجعل مقرهما جنات النعيم وأقر
أعينهما بالنظر الى وجهك الكريم يا أرحم الراحمين واجمع بيننا وبينهما في دار كرامتك مع
الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين اه ولنرجع الى تمام الكلام
على ما كنا بصدده من ذكر الفتوحات فنقول بعد وفات السلطان صلاح الدين وقع اختلاف
كثير بين أولاده ليس هذا محل ذكره وصار ملكه مقسما بين اولاده واخيه الملك العادل ثم
تغلب أخوه عليهم فمنهم من انتزع الملك منه ومنهم من مات في ملكه ثم صفا الامر لاخيه
فقسم الممالك بين أولاده كما سيأتي ذكره ولما مات صلاح الدين كان ملك مصر لولده الملك
العزيز عثمان فجدد الهدنة من الفرنج وزاد في مدة الهدنة واستمر الامر الى سنة ثلاث وتسعين
وخمسمائة وكان الملك الافضل علي بن صلاح الدين ملك دمشق بعد وفاة ابيه فانتزعها منه
اخوه الملك العزيز عثمان صاحب مصر وجعل فيها عمه الملك العادل وأعطى الافضل صرخد
وكان بمدينة بيروت امير يعرف بأسامة فكان يرسل الشواني تقطع الطريق على الفرنج فاشتكى
الفرنج من ذلك الى الملك العادل اخي صلاح الدين وكان بدمشق والى الملك العزيز بمصر
فلم يمنعا اسامة من ذلك فأرسل الفرنج الى ملوكهم الذين داخل البحر يشتكون اليهم ما يفعل
بهم المسلمون ويقولون ان لم تنجدونا والا اخذ المسلمون البلاد فأمدهم الفرنج بالعساكر الكثيرة
سنة ٥٩٣ وكان اكثرهم من ملك ألمان فلما سمع الملك العادل بذلك أرسل الى الملك العزيز
بمصر يطلب العساكر وكذا من بقية الاطراف واجتمعوا على عين جالوت فأقاموا شهر
رمضان وبعض شوال سنة ٥٩٣ ورحلوا الى يافا وملكوا المدينة وامتنع من بها بالقلعة
التي بها فخرب المسلمون المدينة وحصروا القلعة فملكوها عنوة وقهرا بالسيف وأخذوا كل
من بها أسرا وسبيا ووصل الفرنج من عكا الى قيسارية ليمنعوا المسلمين عن يافا فوصلهم الخبر
بما وقع فعادوا وعاد المسلمون الى عين جالوت فوصلهم الخبر بأن الفرنج على عزم قصد بيروت
فعزم المسلمون على تخريب بيروت فسار اليها الملك العادل بجمع من العسكر فهدموا سور المدينة
سابع ذي الحجة سنة ٥٩٣ وشرعوا في تخريب دورها وتخريب القلعة فمنعهم اسامة من
ذلك وتكفل بحفظها ورحل الفرنج من عكا الى صيدا وعاد عسكر المسلمين من بيروت فالتقوا هم
والفرنج بنواحي صيدا وجرى بينهم مناوشة فقتل من الفريقين جماعة وحجز بينهم الليل وسار

المصرية الذين بمكة ماعدا عسكر الانقشارية فانهم لم يحضروا واجتمع الجميع بطوى عند الشريف
عبد الكريم والوزير سليمان
باشا وتشاوروا في هذا
الامر واتفقوا على انهم
يرسلون لايواز بيك ومن
معهم ويعذلونهم عواقب
نفوسهم ويحذرونهم
فتكة بني حسن الاشراف
ويعرفونهم بما جمعوا من
العرب وان هذا أمر يترتب
عليه ابطال الوقوف
بعرفة وأداء المناسك
والسلطان لا يرضى بذلك
فان كان معكم أمر فابعثوا
به الينا ونحن مطيعون
لامر السلطان فكتبوا
ذلك كله وبعث القاضي
بالكتاب مع جوخداره
وبعض البلكات فلما قرؤه
اضطربوا وشاروا الانقياد
اليه الا أنه كان من قضاء الله
وقدره ان سليمان باشا نزل
الى القاضي بالمحكمة
سادس ذي الحجة قبل
ورود الجواب اليه من ايواز
بيك وأراد ان يجمع وجوه
الناس عند القاضي ويظهر
أمره الذي بيده ليشهد
عليه الناس وليشهد الناس
باستحقاق الشريف
عبد الكريم وان عزله
للشريف سعيد وقع في محله
فلما اجتمع الناس بالمحكمة
ثارت الانقشارية على
الباشا والقاضي والعلماء
وربما شهرت السيوف في المسجد فهرب الناس ولم يبق الا الباشا وحده عند

الفرنج سابع ذي الحجة سنة ٥٩٣ فوصلوا الى بيروت فلما قاربوها هرب منها اسامة وجميع من معه من المسلمين فملكوها صفوا عفوا بغير حرب ولا قتال وكانت غنيمة باردة فأرسل العادل الى صيدا من خرب ما كان بقي منها فان صلاح الدين كان قد خرب اكثرها وسافرت العساكر الاسلامية الى صور فقطعوا اشجارها وخربوا مالها من قرى وأبراج فلما سمع الفرنج بذلك رحلوا من بيروت الى صور وأقاموا عليها ونزل المسلمون عند قلعة هونين ثم أتاهم الخبر ان الفرنج يريدون ان يحصروا حصن تبنين فسير العادل اليه عسكرا يحمونه ورحل الفرنج من صور ونازلوا تبنين أول صفر سنة ٥٩٤ أربع وتسعين وخمسمائة وقاتلوا من به وجدوا في القتال ونقبوه من جهاتهم فلما علم العادل بذلك أرسل الى الملك العزيز بمصر يطلب منه الحضور بنفسه فسار العزيز مجدا بمن معه من العساكر فلما سمع الفرنج بوصوله رحلوا الى عكا وعاد العزيز الى مصر وبقي العادل وترددت الرسل بينه وبين الفرنج وانعقد بينهم صلح وعاد العادل الى دمشق

﴿ ذكر ملك الفرنج القسطنطينية ﴾

في سنة ستمائة ملك الفرنج مدينة القسطنطينية في شعبان وانتزعوها من الروم وأزالوا ملك الروم عنها وكان سبب ذلك ان ملك الروم تزوج أخت ملك افرنسيس وهو من اكبر ملوك الفرنج فرزق منها ولدا ذكرا وكان لملك الروم اخ فوثب الاخ على الملك فقبض عليه وملك البلد منه وسمل عينيه وسجنه فهرب ولد الملك الى خاله ملك افرنسيس مستنصرا به على عمه فاتفق ذلك وقد اجتمع كثير من الفرنج ليخرجوا الى بلاد الشام لاستنقاذ بيت المقدس فأخذوا ولد الملك معهم وجعلوا طريقهم على القسطنطينية قصد الاصلاح الحال بينه وبين عمه ولم يكن له طمع في سوى ذلك فلما وصلوا خرج عمه في عساكر الروم محاربا لهم فوقع القتال بينهم في ذي القعدة سنة ٥٩٩ تسع وتسعين وخمسمائة فانهزمت الروم ودخلوا البلد فدخل الفرنج معهم فهرب ملك الروم الى اطراف البلاد وقيل ان ملك الروم لم يقاتل الفرنج بظاهر البلد وانما حصروه فيها وكان في الروم من يريد الصبي فألقوا النار في البلد فاشتغل الناس بذلك ففتحوا بابا من أبواب المدينة فدخلها الفرنج وخرج ملكها هاربا وجعل الفرنج الملك في ذلك الصبي وليس له من الحكم شئ وأخرجوا أباه من السجن انما الفرنج هم الحكام في البلد فثقلوا الوطأة على أهله وطلبوا منهم أموالا عجزوا عنها وأخذوا أموال البيع ومافيها من ذهب وفضة وغير ذلك حتى ما على الصلبان وماهو على صورة المسيح عليه السلام والحواريين وما على الاناجيل من ذلك أيضا فعظم ذلك على الروم وتحملوا منه خطبا عظيما فعمدوا الى ذلك الصبي الذي تملك فقتلوه وأخرجوا الفرنج من البلد واغلقوا الابواب واستحضروا الملك وكان ذلك في جمادى الاولى سنة ٦٠٠ ستمائة فأقام الفرنج بظاهره محاصرين للروم وقاتلوهم ولازموا قتالهم ليلا ونهارا وكان الروم قد ضعفوا ضعفا كثيرا فأرسلوا الى السلطان ركن الدين السلجوقي صاحب قونية وغيرها من البلاد يستنجدونه فلم يجد الى ذلك سبيلا وكان بالمدينة كثير من الفرنج مقيمين يقاربون ثلاثين الفا ولعظم البلد لايظهر أمرهم فتواطؤا هم والفرنج الذي

(بظاهر)

القاضي فأخرج القاضي صورة أمر قرئ بحضرة الباشا والعسكر الانكشارية مضمونه انا قد وليتنا الشريف سعيدا مكة ورددناه اليها بعد عزلكم فأنتم أطيعوا الله والرسول وأولي الامر منكم فبرد سليمان باشا عما أراده قال له الاترك اذهب أنت والقاضي وجماعة من العلماء الى الشريف عبد الكريم بطوى وأمره بالخروج من بلد السلطان والا فأنتم الخصماء فذهب سليمان باشا والقاضي وجماعة من العلماء الى الشريف عبد الكريم بطوى فسألوه أن يحقن الدماء ويقيم شعار الحج بخروجه من البلد لله ورسوله فجمع البوادي والاشراف وأخبرهم بما جاء فيه القاضي والوزير والعلماء فأطاعوه بعد تأب من الاشراف فرحل بمن معه يوم السادس من ذي الحجة الى الركاني وبعث الى الشريف سعيد والى ابوازيك والى أيوب بك أمير الحج المصري ان ادخلوا فاني أخرت اللقاء الى بعد الحج فنودي للشريف سعيد بالوادي وتعاطى وكالته على مكة السيد ناصر بن أحمد الحرث وبمجرد خروج الشريف عبد الكريم تقطعت الطرق وحصل النهب في طريق جدة وذهبت جملة أموال للناس وكذلك طريق اليمن وحصر عن الحج خلق

بظاهر البلد ووثبوا فيه وألقوا النار مرة ثانية فاحترق نحو ربع البلد وفتحوا الابواب فدخلوها ووضعوا السيف ثلاثة ايام وفتكوا بالروم قتلا ونهبا فأصبح الروم كلهم مابين قتيل أو فقير لايملك شيأ ودخل جماعة من أعيان الروم الكنيسة العظمى التي تدعى أياصوفيا فجاء الفرنج اليها فخرج اليهم جماعة من القسيسين والاساقفة والرهبان بأيديهم الانجيل والصليب يتوسلون بها الى الفرنج ليبقوا عليهم فلم يلتفتوا اليهم وقتلوهم اجمعين ونهبوا الكنيسة وكان رؤساء الفرنج الذين ملكوا القسطنطينية ثلاثة ملوك دوقس البنادقة وهو صاحب المراكب البحرية وفي مراكبه ركبوا الى القسطنطينية وكان شيخا أعمى اذا ركب تقاد فرسه والآخر يقال له المركيس وهو مقدم الافرنسيس والثالث يقال له كندافلند وهو أكثرهم عددا فلما استولوا على القسطنطينية اقترعوا على الملك فخرجت القرعة على كندافلند فاعادوا القرعة ثانية وثالثة فخرجت عليه فملكوه والله يؤتي ملكه من يشاء وينزعه ممن يشاء فلما خرجت القرعة ملكوه عليها وعلى مايجاورها وجعلوا الدوقس البنادقة الجزائر البحرية مثل جزيرة اقريطش وجزيرة رودس وغيرهما ويكون لمركيس الافرنسيس البلاد التي هي في الخليج مثل ازنيق ولازيق ولكن لم يحصل لاحد منهم شيء غير الذي اخذ القسطنطينية واما الباقي فلم يسلم له من به من الروم بل دافعوا عما بايديهم وبقي لهم واما البلاد التي كانت لملك القسطنطينية شرقي الخليج المجاورة لبلاد ركن الدين السلجوقي ومن جملتها زنيق فانه تغلب عليها بطريق كبير من بطارقة الروم اسمه كسكرى وبقيت بيده ولم تزل القسطنطينية بأيدي الفرنج من هذا التاريخ الى سنة ستين وستمائة فتجمع الروم وقصدوها وقاتلوا الفرنج وانتزعوها منهم وعادت لملكهم ولما ملك الفرنج القسطنطينية في السنة المذكورة اعني سنة ٦٠٠ تقوى ملكهم بالشام فخرج كثير منهم من القسطنطينية في البحر الى الشام وأرسوا بعكا وعزموا على قصد بيت المقدس حرسه الله فلما استراحوا بعكا ساروا فنهبوا كثيرا من بلاد الاسلام بنواحي الاردن وسبوا وفتكوا في المسلمين وجاء اسطول منهم الى فوة من الديار المصرية فاستولوا عليها ونهبوها خمسة ايام وعساكر مصر في مقابلتهم وبينهم النيل ليس لهم وصول اليهم لانهم لم تكن لهم سفن وكان الملك العادل بدمشق فأرسل في جمع العساكر من بلاد الشام ومصر فساروا ونزل من القرب من عكا لمنع الفرنج من قصد بلاد الاسلام ونزل الفرنج بمرج عكا وأغاروا على بعض الاطراف منها فأخذوا كل من بها ودام الامر في اغارات بينهم وبين المسلمين الى ان انقضت السنة ودخلت سنة احدى وستمائة فانعقد صلح بينهم وبين الملك العادل على ان دمشق واعمالها ومابيد العادل من الشام يبقى له ونزل لهم عن كثير من المناصفات في الرملة وغيرها وأعطاهم ناصرة وغيرها وسار نحو الديار المصرية فقصد الفرنج مدينة حماه فلقيهم صاحبها ناصر الدين محمد بن تقي الدين ابن اخي صلاح الدين شاهنشاه بن ايوب فقاتلهم وكان في قلة فهزموه الى البلد فخرج العامة الى قتال الفرنج فقتلوا منهم جماعة ثم عاد الفرنج الى عكا بعد ان انعقد صلح بينهم وبين صاحب حماه وفي سنة ٦٠٣ ثلاث وستمائة ملك غياث الدين السلجوقي أنطاليه بالام مدينة للروم على ساحل البحر وهي غير انطاكية بالكاف وكان تملكها بعد قتال

كثير ممن أن الشريف عبدالكريم ركب من الركاني وواجه بيرام باشا أمير الحج الشامي ومعه جماعة من الاشراف فاجتمع به في وادي الجموم ثامن شهر ذي الحجة وصار منهم من التدابير ما تولد منه النفع الكثير كما ستراه ان شاء الله وأما الشريف سعيد فانه دخل مكة يوم السابع من ذي الحجة ودخل معه أمير الحاج المصري أيوب بيك وأمير التجريدة ايواز بيك مع التجريدة وسائر عساكر الحج المصري ومعه نحو أربعين من الاشراف لم يكونوا مع الشريف عبد الكريم في عملته وكان دخوله من الشبيكة الى المسجد هو ومن معه وقد فرش له بساط في الحطيم وفتحت الكعبة الشريفة وقرئت له الاوامر على من حضر من الاعيان ثم خرج الى منزله الذي بسويقة

(الولاية الرابعة للشريف سعيد ٦ ذي الحجة سنة ١١١٦) *

وهذه الولاية الرابعة للشريف سعيد وفي ليلة التاسع من ذي الحجة دخل أمير الحج الشامي بيرام باشا وأراد أن يؤخر القفطان الى منى فامتنع الشريف سعيد من تأخيره فبعث به اليه وألبسه في منزله ثم خرج الى عرفات من أعمال نصف الليل بعد بيرام باشا ومر بمنى ولم يبت بها ووقف الناس وكانت الجحة بالجمعة وحصل

وحصار لأهلها ثم قتل من كان فيها من الفرنج

ذكر غارات الفرنج بالشام وحصن الاكراد

في سنة ٦٠٤ اربع وستمائة كثر الفرنج الذين بطرابلس الشام وأكثروا الاغارة على بلد حمص وولايتها ونازلوا مدينة حمص وكان جمعهم كثيرا فلم يكن لصاحبها أسد الدين شيركو قوة ولا قدرة على دفعهم ومنعهم فاستنجد بالملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب وغيره من ملوك الشام فلم ينجده أحد الا الظاهر غازي فانه سير له عسكرا أقاموا عنده ومنعوا الفرنج عن ولايته ثم ان الملك العادل خرج من مصر بالعساكر الكثيرة وقصد مدينة عكا فحاصرها وغار على أطرافها فصالحه صاحبها الفرنجي على قاعدة استقرت من اطلاق أسرى من المسلمين وغير ذلك ثم سار الى حمص ثم منها الى طرابلس وحاصر موضعا منها يسمى القليعات ثم ملكه صلحا واطلق صاحبه وغنم ما فيه من دواب وسلاح وخربه وتقدم الى طرابلس فنهب واحرق وسبي وغنم وترددت الرسل بينه وبين الفرنج في الصلح فلم يتم ودخل الشتاء فجعل طائفة من العسكر بحمص عند صاحبها وعاد الى دمشق فشتى بها وكان سبب خروج الملك العادل من مصر بالعساكر أن اهل قبرس الفرنج اخذوا عدة قطع من أسطول مصر وأسروا من فيها فأرسل العادل الى صاحب عكا في ردما أخذوه ويقول له نحن في صلح فلم غدرتم بأصحابنا فاعتذر بأن اهل قبرس ليس لي عليهم حكم وان مرجعهم الى الفرنج الذين بالقسطنطينية ثم ان اهل قبرس ساروا الى القسطنطينية بسبب غلاء كان عندهم وتعذرت عليهم الاقوات وعاد حكم قبرس الى صاحب عكا فأعاد العادل مراسلته فلم ينفصل بينهما حال فسار بالعساكر وفعل بعكا ما ذكرنا فأجابه حينئذ صاحب عكا الى ما طلب وارسل الاسرى ثم لم تزل الوقائع تتوالى وتتتابع والصلح يتم تارة وينقطع اخرى الى ان دخلت سنة اربع عشرة وستمائة فحصلت وقائع شتى

ذكر ظهور الفرنج الى الشام ومسيرهم الى مصر وملكهم دمياط

كان من أول هذه الحادثة الى آخرها اربع سنين غير شهر وحاصلها أنه في سنة اربع عشرة وستمائة وصلت امداد الفرنج في البحر من رومية الكبرى وغيرها من بلاد الفرنج في الغرب والشمال الا أن المتولي لها كان صاحب رومية البابا لأنه ينزل عند الفرنج بمنزلة عظيمة لا يرون مخالفة أمره ولا لعدول عن حكمه فيما سرهم وسائهم فجهز العساكر من عنده مع جماعة من مقدمي الفرنج وأمر كل ملوك الفرنج ان يسير بنفسه أو يرسل جيشا ففعلوا ما أمرهم فاجتمعوا بعكا من ساحل الشام وكان الملك العادل بن ايوب بمصر فسار منها الى الشام فوصل الى الرملة ومنها الى الدوبرز وسار الفرنج من عكا ليقصدوه فسار العادل نحوهم فوصل الى نابلس عازما على ان يسبقهم الى اطراف البلاد مما يلي عكا ليحميها منهم فساروا هم فسبقوه فنزل على بيسان من الاردن فتقدم الفرنج اليه في شعبان عازمين على محاربته لعلمهم أنه في قلة بالنسبة اليهم لان عساكره كانت متفرقة في البلاد فلما رأى الملك العادل قربهم منه لم يرأن يلقاهم في الطائفة التي معه خوفا من هزيمة تكون عليه وكان حازما

للناس الامان ولم يحج أحد من أهل مكة الا القليل ولم يرد في هذه السنة من

العراق الا أربعون من العجم ولم يحج أحد من النواحي غير الاتراك ومن ورد مع الحج المصري والشامي غير جماعة من أهل الجامع العجم السابق ذكرهم وارتفعت الاسعار بعرفة حتى ان بعضهم اشترى كبشا بعشرة أحمر وبعث الشريف سعيد الى ناظر السوق الذي كان في زمن الشريف عبد الكريم وهو مصطفى الخاشجي وألبسه في زمن الحج قفطان النظر في السوق والعادة الجارية ان يبطل حكم الناظر في زمن الحج وفي الخامس عشر من ذي الحجة نزل الشريف عبد الكريم ومن معه من الاشراف بوادي التنعيم وبعثوا الى الامير بيرم باشا امير الحج الشامي فبعث اليهم الخيام والصواوين وجعلوا بينهم سيدنا السيد عبد الله ابن عمرو بن بركات فقام عليه مولانا الشريف سعيد فبعث اليه ينهاه عن الدخول الى مكة فسمع بذلك بيرم باشا فقال للسيد عبد الله البلاد للسلطان وأنا باشا السلطان فلا عليك منهم وتبعه بيرم باشا عسكرا يمشون معه أينما أراد فكان يمشي بهم في شوارع مكة بكرها واستمر الشريف عبد الكريم بالتنعيم أياما حتى ركب اليه بيرم باشا في بعض ليالي الحج فاستمر

(كثير)

كثير الحذر ففارق بيسان نحو دمشق ليقيم بالقرب منها ويرسل الى البلاد فى تجمع العساكر فوصل الى مرج الصفر فنزل فيه وكان أهل بيسان وتلك الاعمال لما رأوا الملك العادل عندهم اطمأنوا فلم يفارقوا بلادهم ظنا منهم ان الفرنج لا يقدمون عليه فلما أقدموا كان اقدامهم على غفلة من الناس فلم يقدر على النجاة الا القليل فأخذ الفرنج كل ما فى بيسان من ذخائر قد جمعت وكانت كثيرة وغنموا شيأ كثيرا ونهبوا البلاد من بيسان الى بانياس وبثوا السرايا فى القرى فوصلت الى خسفين ونوى واطراف السواد ونازلوا بانياس واقاموا عليها ثلاثة أيام ثم عادوا عنها الى مرج عكا ومعهم من الغنائم والسبي والاسرى ما لا يحصى كثرة سوى ما قتلوا وأحرقوا وأهلكوا فأقاموا اياما استراحوا فيها ثم جاؤا الى صور وقصدوا بلد الشقيف ونزلوا بينهم وبين بانياس مقدار فرسخين فنهبوا البلاد صيدا والشقيف وعادوا الى عكا وكان هذا من نصف رمضان الى العيد والذى سلم من تلك البلاد وكان مختفيا قدر على النجاة ولما سار العادل الى مرج الصفر رأى رجلا فى طريقه يحمل شيأ وهو يمشى تارة ويقعد تارة يستريح فعدل العادل اليه وحده فقال له ياشيخ لا تعجل وارفق بنفسك فعرفه الرجل فقال ياسلطان المسلمين انت لا تعجل فانا اذا رأيناك قد سرت الى بلادك وتركتنا مع الاعداء كيف لا نعجل قال ابن الاثير وبالجملة فالذى فعله العادل هو الحزم والمصلحة لئلا يخاطر باللقاء على حال تفرق من العساكر ولما نزل العادل على مرج الصفر سير ولده الملك المعظم عيسى وهو صاحب دمشق فى قطعة صالحة من الجيش الى نابلس يمنع الفرنج عن بيت المقدس ولما نزل الفرنج بمرج عكا تجهزوا واخذوا معهم آلة الحصار من مجانيق وغيرها وقصدوا قلعة الطور وهى قلعة منيعة على رأس جبل بالقرب من عكا كان العادل بناها عن قريب فتقدموا اليها وحصروها وزحفوا اليها وصعدوا فى جبلها حتى وصلوا الى سورها وكادوا يملكونه فاتفق ان بعض المسلمين ممن فيها قتل بعض ملوك الفرنج فعادوا عن القلعة وتركوها وقصدوا عكا وكان مدة مقامهم على الطور سبعة عشر يوما ولما فارقوا الطور أقاموا قريبا ثم ساروا فى البحر الى ديار مصر فتوجه الملك المعظم الى قلعة الطور فخربها الى ان ألحقها بالارض لانها قريبة من عكا يتعذر حفظها

﴿ ذكر حصر الفرنج دمياط الى ان ملكوها ﴾

لما عاد الفرنج من حصار الطور أقاموا بعكا الى أن دخلت سنة خمس عشرة وستمائة فساروا فى البحر الى دمياط فوصلوا فى صفر فأرسوا على بر الجيزة بينهم وبين دمياط النيل فان بعض النيل يصب فى البحر المالح عند دمياط وقد بنى المسلمون فى النيل برجا كبير منيعا وجعل فيه سلاسل من حديد غلاظ ومدوها فى النيل الى سور دمياط لتمنع المراكب الواصلة من البحر المالح ان تصعد فى النيل الى ديار مصر ولولا هذا البرج وهذه السلاسل لكانت مراكب العدو لا يقدر احد على منعها من اقاصى ديار مصر وادانيها فلما نزل الفرنج على بر الجيزة وبينهم وبين دمياط النيل بنوا عليهم سورا وجعلوا خندقا يمنعهم ممن يريدهم وشرعوا فى قتال من بدمياط وعملوا آلات وأبراجا يزحفون بها فى المراكب الى هذا البرج الذى للمسلمين فى النيل ليقاتلوا من فيه ويملكوه وكان البرج مشحونا بالرجال وقد نزل الملك الكامل بن

ومن معه لم يحصل منهم أذى لاناس يطرقهم الطارق أمنا ويسير الى مكة آمنا ولم تزل الرسل بينه وبين ايواز بيك وبيرم باشا أمير الحج الشامى ثم ارتحلت الاشراف الى اليفاع من أعلى الجموم وشاع فى العامة أنهم يريدون أخذ الحج المصرى وقتل أيوب بيك فدخله من الخوف ما أخره عن السفر فى معتاده عقب النزول من منى بيومين أو ثلاثة فقامت عليه الحجاج لشدة مالحقهم من الغلاء وعدم الواجدان لما يريدونه فخرج تاسع عشر ذى الحجة وكان سبب اقدامه على السفر بعد ما حصل له من الخوف ان السيد ناصر الحرث وجماعة من كبار الاشراف خرجوا الى الشريف عبد الكريم ومن معه من الاشراف وسايسوهم وضمنوا لهم الصلح وتواطؤا معهم على حالة وتكافلوا على ما يصلح الفريقين وأخذوا منهم عهدا على عدم تعرضهم للحج فخرج الامير مسافرا وخرج سالما الا أنه وقع نهب فى أطراف الحج المصرى وهل محرم الحرام

افتتاح سنة ألف ومائة وسبع عشرة وفى سادسه دخل مولانا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد مكة ومعه جماعة من

الملك العادل وهو صاحب دمياط وجميع ديار مصر بمنزلة تعرف بالعادلية بالقرب من دمياط والعساكر متصلة من عنده الى دمياط ليمنع العدو من العبور الى ارضها وأدام الفرنج قتال البرج وتابعوه فلم يظفروا منه بشيء وكسرت آلاتهم ومع هذا فهم ملازمون لقتاله فبقوا كذلك اربعة اشهر ولم يقدروا على أخذه ثم بعد ذلك ملكوا البرج فلما ملكوه قطعوا السلاسل لتدخل مراكبهم من البحر المالح في النيل ويتحكموا في البر فنصب الملك الكامل عوض السلاسل جسرا عظيما ليمنعوا به من سلوك النيل ثم انهم قاتلوا عليه أيضا قتالا شديدا كثيرا متتابعا حتى قطعوه فلما قطع اخذ الملك الكامل عدة مراكب كبار وملأها وخرقها وغرقها في النيل فمنعت المراكب من سلوكه فلما رأى الفرنج ذلك قصدوا خليجا هناك يعرف بالازرق كان النيل يجري عليه قديما فحفروا ذلك الخليج وعمقوه وأجروا الماء فيه الى البحر المالح وأصعدوا مراكبهم فيه الى موضع يقال له بورة على أرض الجيزة أيضا مقابل المنزلة التي كان فيها الملك الكامل ليقاتلوه من هنالك فانهم لم يكن لهم اليه طريق يقاتلونه فيها وكانت دمياط تحجز بينهم وبينه فلما صاروا في بورة حاذوه فقاتلوه في الماء وزحفوا عليه غير مرة فلم يظفروا بطائل ولم يتغير على اهل دمياط شيء لان الميرة والامداد متصلة بهم والنيل يحجز بينهم وبين الفرنج فهم ممتنعون لايصل اليهم اذى وابوابها مفتحة وليس عليها من الحصر ضيق ولا ضرر فاتفق لما يريد الله عز وجل ان الملك العادل والد الملك الكامل توفي بالشام في جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستمائة فلما جاء خبر وفاته لابنه الملك الكامل ضعفت نفوس الناس لان الملك العادل هو السلطان في الحقيقة واولاده وان كانوا ملوكا الا انهم تحت حكمه والامر اليه وهو الذي ملكهم البلاد فاتفق موته والحال هكذا من مقاتلة العدو وكان من جملة الامراء بمصر امير يقال له عماد الدين أحمد بن علي ويعرف بابن المشطوب وهو من الاكراد الهكارية وهو اكبر امير بمصر وله لفيف كثير وجميع الامراء ينقادون له ويطيعونه لاسيما الاكراد فاتفق هذا الامير مع غيره من الامراء ان يخلعوا الملك الكامل من الملك ويملكوا اخاه الملك الفائز بن العادل ليصير الحكم اليهم عليه وعلى البلاد فبلغ الخبر الملك الكامل ففارق المنزلة ليلا مع بعض أصحابه وسار الى قرية يقال لها اشمون طناح فنزل عندها فأصبح العسكر وقد فقدوا سلطانهم فركب كل انسان منهم هواه ولم يقف الاخ على اخيه ولم يقدروا على اخذ شيء من خيامهم وذخائرهم واموالهم وأسلحتهم الا اليسير الذي يخف حمله وتركوا الباقي بحاله من ميرة وسلاح ودواب وخيام وغير ذلك ولحقوا بالكامل واما الفرنج فانهم اصبحوا من الغد فلم يروا أحدا من المسلمين على شاطئ النيل كجاري عادتهم فبقوا لايدرون ما الخبر واذا قد أتاهم من أخبرهم الخبر على حقيقته فعبروا حينئذ النيل الى بر دمياط آمنين بغير منازع ولا ممانع وكان عبورهم في العشرين من ذي القعدة سنة خمس عشرة وستمائة فغنموا ما في عسكر المسلمين فكان عظيما يعجز العادين وكان الملك الكامل قد فارق الديار المصرية لانه لم يثق بأحد من عسكره وكان الفرنج قد ملكوا الجميع بغير تعب ولا مشقة فاتفق من لطف الله بالمسلمين ان الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وبيت المقدس ابن الملك العادل بعد هذه الحركة بيومين وصل الى اخيه الكامل والناس في

الاشراف طمعا فيما جرى بينهم وبين السيد ناصر الحرث من العهد المتقدم فنزلوا على مولانا الشريف سعيد بداره التي بسوق الليل ولم يتخلف الا ذوو بركات فان الشريف عبد الكريم أفهمه أنه يريد التوجه الى الشام بمن معه من ذوي بركات ثم عن له أن ينزل الحسيما ثم ارتحل عنها الى محل يقال له دغيم ومعه من البدو مالا يحصى ولم يزل الى أن نزلت عليه قبائل حرب بجملتهم وقالوا لا نفارقك حتى تموت أو نموت فبلغ ذلك الشريف سعيدا واشتد عليه الامر فجمع كبار الاشراف وأطلعهم على ما بلغه من قوة الشريف عبد الكريم ووصول حرب اليه وطلب منهم أن يسعفوه بالمسير معه اليهم فأجابه منهم أحد الى ذلك هذا فعل من معه في عملته وأما بقية الاشراف الذين يريدون مكة من جماعة الشريف عبد الكريم فطلبوا منه ماهو لهم فأخذ في جمع دراهم لهم وأعطاهم مما لهم شيئا يساوي الثلث ثم تجهز وخرج الى طوى فأقام بها أياما الى أن لحقه الاشراف الذين في عملته ثم سار مريدا الشريف عبد الكريم وأودع البلاد السيد احمد ابن حازم وبعث الى هذيل فاقبلوا عليه فلما وصلوا منى نهبوا ما وجدوه من أموال الناس فلما دخلوا

أمر مريح فقوى به قلبه واستظهره وثبت جنانه وأقام بمنزلته وأخرجوا ابن المشطوب الى الشام فاتصل بالملك الاشرف موسى صاحب الجزيرة وديار بكر ابن الملك العادل ولم يمهل الله تعالى ابن المشطوب بل اخذه اخذة رابية فانه بعد اتصاله بالملك الاشرف والتحاقه بجنده وقعت منه خيانة فقبض عليه وحبسه الى أن مات ولما عبر الفرنج الى ارض دمياط اجتمعت العرب على اختلاف قبائلها ونهبوا البلاد المجاورة لدمياط وقطعوا الطريق وأفسدوا وبالغوا في الافساد فكانوا أشد على المسلمين من الفرنج وكان اضر شيء على اهل دمياط انها لم يكن بها من العسكر احد لان السلطان ومن معه من العساكر كانوا عندها يمنعون العدو عنها فأتتهم هذه الحركة بغتة فلم يدخلها احد من العسكر واحاط الفرنج بدمياط وقاتلوها برا وبحرا وعملوا عليها خندقا يمنعهم ممن يريد من المسلمين وكانت هذه عادتهم وأداموا القتال واشتد الامر على أهلها وتعذرت عليهم الاقوات وغيرها وسئموا القتال وملازمته لان الفرنج كانوا يتناوبون القتال عليهم لكثرتهم وليس بدمياط من الكثرة ما يجعلون القتال بينهم مناوبة ومع هذا اصبروا صبرا لم يسمع بمثله وكثر القتل فيهم والجراح والموت والامراض ودام الحصار عليهم نحو ثمانية اشهر من أواخر ذي القعدة الى السابع والعشرين من شعبان سنة ست عشرة وستمائة فعجز من بقي من أهلها عن الحفظ لقلتهم وتعذر القوت عندهم فسلموا البلد من هذا التاريخ بالامان فخرج منهم قوم وأقام آخرون لعجزهم عن الحركة فتفرقوا ايدي سبا

❊ ذكر ملك المسلمين دمياط من الفرنج ❊

لما ملك الفرنج دمياط أقاموا بها وبثوا السرايا في كل ما جاورهم من البلاد ينهبون ويقتلون فجلى أهلها عنها وشرع الفرنج في عمارتها وتحصينها وبالغوا في ذلك حتى انها بقيت لا تكاد ترام وأما الملك الكامل فانه أقام بالقرب منهم في اطراف بلاده يحميها ولما سمع الفرنج في بلادهم بفتح دمياط على اصحابهم أقبلوا يهرعون من كل فج عميق وأصبحت دار هجرتهم وعاد الملك المعظم صاحب دمشق الى الشام فخرب بيت المقدس في ذي القعدة سنة خمس عشرة وستمائة وانما فعل ذلك لان الناس كافة خافوا الفرنج وأشرف الاسلام وكافة اهله وبلاده على خطة الخسف في شرق الارض وغربها لان التتر أقبلوا من المشرق حتى وصلوا الى نواحي العراق واذربيجان واران وغيرها وأقبل الفرنج من الغرب فملكوا مثل دمياط في الديار المصرية مع عدم الحصون المانعة بها من الاعداء وأشرف سائر البلاد بمصر والشام على ان تملك وخافهم الناس كافة وصاروا يتوقعون البلاء صباحا ومساء واراد أهل مصر الجلاء عن بلادهم خوفا من العدو ولات حين مناص والعدو قد أحاط بهم من كل جانب ولو مكنهم الملك الكامل من الجلاء لتركوا البلاد خاوية على عروشها وانما منعوا منه فثبتوا وتابع الملك الكامل كتبه الى اخويه الملك المعظم صاحب دمشق والملك الاشرف موسى صاحب الجزيرة وديار بكر يستنجدهما ويحثهما على الحضور بأنفسهما فان لم يمكن فيرسلان العساكر اليه فسار الملك المعظم بنفسه الى الملك الاشرف فرآه مشغولا بما هو فيه من اختلاف الكلمة عليه وزوال الطاعة عن كثير ممن يطيعه فعذره وعاد عنه وبقي الامر كذلك مع الفرنج الى سنة ثماني عشرة وستمائة ثم ان الملك الاشرف زال عنه الخلاف ورجع الملوك الخارجون عن طاعته اليه واستقامت له

مكة عاثوا فيها بالسرقة والنهب فلما شارف الشريف سعيد جدة زحف اليه الشريف عبد الكريم بمن معه فركب اليه جماعة من الاشراف يصدونهم عن الملاقاة وطلبوا منه مهلة ثلاثة أيام حتى ننظر في أمرنا معه ومعك فأجابهم الى ذلك فرجعوا للشريف سعيد وأخبروه بان الشريف عبد الكريم مقاتلك بعد ان خرجت اليه فان لم تصلحه والا فلا بعد هذا الا الملاقاة وقد أخذنا لك مهلة ثلاثة أيام فجلسوا معه مجلسا وتشاوروا بينهم فرأوا أن يجعلوا له كل شهر ألف شريفي أحمر وأن يقيم حيث شاء غير مكة الى أن تأتيه أجوبة كتبه من الابواب فرضي الشريف سعيد بذلك فرجعوا الى الشريف عبد الكريم وأخبروه فقال انه ينقض هذا القول ولا شك فأعطوه العهود انه ان نقض هذا نقضوا عليه وعاملوا الشريف عبد الكريم ويكونون واياه يدا واحدة فأخذ عليهم العهود ثم رجعوا الى الشريف سعيد وأخبروه بذلك فقال له ذلك ثم قال مروه فليرتحل من محله لتعلم الناس من البادية والاتراك انا اصطلحنا فضمنوا له ذلك وكفل جماعة هذا وجماعة هذا وبعثوا الى الشريف عبد الكريم بذلك فارتحل من محله الى محل يقال له

الامور والملك الكامل مقابل الفرنج فلما دخلت سنة ثماني عشرة وستمائة علم الملك الكامل بزوال المانع للاشرف عن انجاده فأرسل يستنجده وأخاه صاحب دمشق فسار الملك الاشرف بعساكره الى دمشق ثم سار الى مصر وكان الفرنج قد ساروا عن دمياط الفارس والراجل وقصدوا الملك الكامل ونزلوا مقابله بينهما خليج من النيل يسمونه بحر اشمون وهم يرمون بالمجنيق والجرخ الى عسكر المسلمين وقد تيقنوا هم وكل الناس انهم يملكون الديار المصرية فلما سمع الملك الكامل بقرب اخيه الملك الاشرف فرح بذلك فلما وصل الى مصر توجه اليه فقيه واستبشر هو وكافة المسلمين باجتماعهما لعل الله يحدث بذلك نصرا وظفروا وأما الملك المعظم صاحب دمشق فانه سار الى دمياط ظنا منه ان اخويه وعسكريهما قد نازلوا دمياط وقيل بل أخبر في الطريق أن الفرنج قد توجهوا الى دمياط فسابقهم اليها ليلقاهم من بين أيديهم وأخواه من خلفهم ولما جتمع الاشرف بالكامل استقر الامر بينهما على التقدم لى خليج من النيل يعرف ببحر المحلة فتقدموا اليه ونقاتلوا الفرنج وازدادوا قربا وتقدمت شواني المسلمين من النيل وقاتلوا شواني الفرنج فأخذوا منها ثلاث قطع بمن فيها من الرجال ومافيها من الاموال والسلاح ففرح المسلمون بذلك واستبشروا وتفاءلوا وقويت نفوسهم واستطالوا على عدوهم والرسل مترددة بينهم وبين الفرنج في تقرير قاعدة الصلح وبذل المسلمون لهم تسليم بيت المقدس وعسقلان وطبرية وصيدا وجبلة واللاذقية وجميع مافتحه صلاح الدين ماعدا الكرك ليسلموا دمياط فلم يرضوا وطلبوا ثلاثمائة الف دينار عوضا عن تخريب بيت المقدس ليعمروه بها فلم يتم بينهم امر وقالوا لابد من الكرك فبينما الامر في هذا وهم يمتنعون فاضطر المسلمون الى قتالهم وكان الفرنج لاقدارهم في نفوسهم لم يستصحبوا معهم مايقوتهم عدة ايام ظنا منهم ان العساكر الاسلامية لاتقوم لهم ولاتقدر على مقابلتهم وان القرى والسواد جميعه يبقى بأيديهم يأخذون منه ماارادوا من الميرة لامر يريده الله تعالى بهم فعبر طائفة من المسلمين الى الارض التي عليها الفرنج ففجروا النيل وخرقوا مواضع منه حتى خرج منه ماء كثير وسال كالبحر فركب الماء أكثر تلك الارض ولم يبق للفرنج جهة يسلكون منها غير جهة واحدة فيها ضيق فنصب الملك الكامل حينئذ الجسور على النيل عند اشمون وعبر العساكر عليها فملك الطريق الذى يسلكه الفرنج ان ارادوا العود الى دمياط فلم يبق لهم خلاص واتفق في تلك الحال انه وصل اليهم مركب كبير للفرنج من اعظم المراكب وحوله عدة حراقات تحميه والجميع مملوء من الميرة والسلاح ومايحتاجون اليه فوقع عليه شواني المسلمين وقاتلوهم فظفروا بالمركب المذكور ومامعه من الحراقات وأخذوها فلما رأى الفرنج ذلك سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا الصواب بمفارقتهم دمياط في ارض يجهلونها هذا وعساكر المسلمين محيطة بهم يرمونهم بالنشاب ويحملون على اطرافهم فلما اشتد الامر على الفرنج أحرقوا خيامهم ومجانيقهم وأثقالهم وأرادوا الزحف على المسلمين ومقاتلتهم لعلهم يقدرون على العود الى دمياط فرأوا ماأملوه بعيدا وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكثرة الوحل والمياه حولهم والوجه الذى يقدرون على سلوكه قد ملكه المسلمون فلما تيقنوا انهم قد أحيط بهم من سائر جهاتهم وان ميرتهم قد تعذر عليهم وصولها وان المنايا قد كشرت لهم عن أنيابها ذلت نفوسهم وتنكست

(صلبانهم)

وتارة تخاف واستمر الحال نحو أربعين يوما ثم ان الشريف سعيد احدثته نفسه بالنزول الى جدة ومقابلة سليمان باشا فمنعه من دخولها ومنع جماعة من الاشراف بعثهم الشريف سعيد الى جدة فدخل منهم السيد محمد بن عبد الكريم بمد جهد جهيد وحاول الباشا أن يأخذ له من التجار شيأ للشريف سعيد يستعين به فاوافقه لاقرضا ولا على الزالة وأمرهم بالرجوع وأن لايدخلوا جدة لخوف ان يؤذوا أهلها فاستقر عند الشريف سعيد أن سليمان باشا يده مع يد الشريف عبد الكريم وجماعته فأرسل الى ابن عمه الشريف عبد المحسن وكان بالحسينية وأخبره وطلب منه أن يأتيه بجدة فأتاه فتوسل به ان ينزل الى الباشا ويأخذ له شيأ من المال يستعين به أو يحيله على الزالة فأبى ثم التمس منه ان يركب معهم لملاقاة سليمان باشا فقال له وكيف نقاتل أحد وزراء السلطان ولم يوافقه ثم انه بعث الى ابوازيك صارى العسكر المصرى والى الانقشارية وسائر البلكات يشكو من سليمان باشا ويستدعيهم الى قتاله فلم يوافقوه وبقي في حيرة عظيمة مقلا من المال

صلبانهم وضل عنهم شيطانهم فراسلوا الملك الكامل يطلبون الامان ليسلموا دمياط بغير عوض فبينما المراسلات مترددة اذ أقبل جيش كبير له وهج شديد وجلبة عظيمة من جهة دمياط فظنه المسلمون نجدة أتت للفرنج فاستشعروا واذا هو الملك المعظم صاحب دمشق قد وصل اليهم وكان قد جعل طريقه على دمياط كما تقدم فاشتدت ظهور المسلمين وازداد الفرنج خذلانا ووهنا وتمموا الصلح على تسليم دمياط واستقرت القاعدة والايمان سابع رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة وانتقل ملوك الفرنج وكنودهم وقامصتهم الى الملك الكامل والاشرف رهائن على تسليم دمياط وكان اولئك الملوك الذين صاروا رهاين كثيرين منهم فليب ملك الفرنسيس ونائب بابا صاحب رومية وملك عكا وكندريش وغيرهم وراسلوا قسوسهم ورهبانهم الى دمياط في تسليمها فلم يمتنع من بها وسلموها الى المسلمين تاسع رجب المذكور وكان يوما مشهودا ومن العجب أن المسلمين لما تسلموها وصلت للفرنج نجدة في البحر فلو سبقوا المسلمين اليها لامتنعوا من تسليمها ولكن سبقهم المسلمون ليقضي الله أمرا كان مفعولا ومما اتفق انه لما انعقد الصلح وحضر ملك الفرنسيس وملوك الفرنج عند الملك الكامل محمد وكان في مجلس الكامل أخواه الملك المعظم عيسى والملك الاشرف موسى وكثير من ملوك الاسلام قام راجح الحلي وأنشد قصيدة بليغة تهنئة للملك الكامل محمد وفيها بيت ظريف وهو قوله

أعباد عيسى ان عيسى وحزبه ✵ وموسى جميعا يخدمون محمدا

وأشار الى الملك المعظم عيسى والملك الاشرف موسى والملك الكامل محمد ولما أراد ملوك الفرنج الحضور عند الملك الكامل طلبوا منه رهينة تكون عندهم فأرسل لهم ولده الملك الصالح أيوب وعمره خمس عشرة سنة ثم لما تم الصلح وتسلم المسلمون دمياط ارتحل ملك الفرنسيس فليب ومن معه من الملوك الى بلادهم وكانت مدة ملك فليب على الفرنسيس ثلاثا واربعين سنة وهلك سنة ستمائة وعشرين هجرية ولما دخل المسلمون دمياط رأوها حصينة قد حصنها الفرنج تحصينا عظيما بحيث بقيت لاترام ولايوصل اليها وأعاد الله سبحانه وتعالى الحق الى نصابه ورده الى أربابه واعطى المسلمين ظفرا لم يكن في حسابهم فانهم كانت غاية أمانيهم ان يسلموا البلاد التي بالشام ليعيدوا لهم دمياط فرزقهم الله اعادة دمياط وبقيت البلاد التي بالشام بأيديهم على حالها فالله تعالى هو المحمود المشكور على ما أنعم به على الاسلام والمسلمين من كف عادية هذا العدو وكفاهم أيضا شر التتر كما سيأتي

✵ ذكر وفاة الملك العادل التي تقدمت الاشارة اليها ✵

قد تقدم أن الفرنج لما دخلت سنة خمس عشرة وستمائة ساروا في البحر الى دمياط ووصلوها في صفر وكان الملك العادل بالشام في مرج الصفر ثم انتقل الى عالقين ومرض وتوفي سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة ونقل الى دمشق ودفن بها وكان ابنه الملك الكامل أقامه هو ملكا في مصر نيابة عنه وكان وقت وفاة ابيه مشتغلا بقتال الفرنج النازلين على دمياط كما تقدم وكان عمر الملك العادل لما توفي خمسا وسبعين سنة لان ولادته كانت سنة اربعين وخمسمائة وقيل ثمانية وثلاثين وخمسمائة وكان ملكا عظيما ذا رأي ومعرفة تامة

والمفارقة له ذهبوا الى الشريف عبد الكريم فلما تكاملت الاشراف عند الشريف عبد الكريم انتقل من شعثاء ناويا ان يصبح الشريف سعيدا ويأخذه فلما استحس بذلك أشار على الشريف سعيد ابن عمه الشريف عبد المحسن ان يرجع الى مكة فأوده عزبته وسرى من ليلته فأصبح مكة وذلك تاسع شهر ربيع الثاني ولما وصل الى مكة أطلق المنادي في شوارعها وطرقاتها على أرحام كل من كان من الاشراف مع الشريف عبد الكريم مثل ذوي شنبر وذوي جازان وذوي بركات وذوي ثقبة وغيرهم ورجالهم ان لايبيت أحد منهم بمكة هذه الليلة ومن بات منهم فهو مصلوب وبيته منهوب فحصل عند طوارف السادة الاشراف من الخوف ما أوجب انهم يأوون بيوتا سادا تهم داخلين عليهم مما يخاف فركب اليه السيد حسن بن غالب والسيد أحمد بن حازم ولاموه على هذا النداء وقالوا له هذا لايكون فانه يتأتى منه سالفة بيننا ان كل من خرج من البلد تنهب طوارفه وتقتل وهذا أمر لايمكن الوفاق عليه لكونه مضرا بالعالم فرجع

قدحنكته التجارب حسن السيرة جميل الطوية وافر العقل حازما للامور صالحاً محافظا على الصلوات فى أوقاتها متبعا لارباب السنة مائلا الى العلماء حتى صنف له فخر الدين الرازى كتاب تأسيس التقويس وذكر اسمه فى خطبته وسيره اليه من بلاد خراسان و كان الملك العادل فى حياة اخيه صلاح الدين تابعا له تحت طاعته ينقله فى الولايات وبعد وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩ وقع بينه و بين اولاد أخيه صلاح الدين امور يطول الكلام بذكرها الى ان استقل بمملكة الديار المصرية والشامية وكان استقلاله بمملكة الديار المصرية سنة ست وتسعين وخمسمائة واستقلاله بمملكة الديار الشامية سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وملك بلاد اليمن سنة اثنتى عشرة وستمائة وسير اليها ولد ولده الملك المسعود ابن الملك الكامل ثم ان الملك العادل لما انتزع الملك من أولاد اخيه صلاح الدين واستقل به قسم ممالكه بين أولاده وكان رجلا مسعودا وكذا أولاده لم يخلف احد من الملوك امثالهم فى نجابتهم وبسالتهم ومعرفتهم وعلو همتهم ودانت لهم العباد وملكوا خيار البلاد وكان يتردد بينهم وينتقل اليهم من مملكة الى اخرى وكان بالغالب يصيف بالشام لاجل الفواكه والثلج والمياه الباردة ويشتى فى الديار المصرية لاعتدال الوقت فيها وقلة البرد وعاش فى أرغد عيش وكان يأكل كثيرا خارجا عن المعتاد حتى يقال كما فى تاريخ ابن خلكان انه كان يأكل وحده خروفا لطيفا مشويا وخلف ستة عشر ولدا ذكرا غير البنات رحمه الله تعالى

❋ ذكر خروج الفرنج الى الشام وعمارة صيدا وتملكهم بيت المقدس ❋

لما توفى الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وبيت المقدس ابن الملك العادل طمع الفرنج فى الشام وكانت وفاة الملك المعظم سنة اربع وعشرين وستمائة فى ذى القعدة وصار ملك دمشق لولده الناصر داود ثم انتزعها منه عمه الملك الكامل واعطاه الكرك بدلا عن دمشق وبعد وفاة الملك المعظم خرج كثير من الفرنج من بلادهم القاصية الى بلادهم التى ملكوها فى الشام عكا وصور وغيرهما فكثر جمعهم وكان معهم امبراطور الالمان واسمه فردريك وقيل بل هو صاحب جزيرة صقلية ومعنى الامبراطور بلغة الفرنج ملك الامراء فاستولوا على صيدا وكانت مناصفة بينهم وبين المسلمين فملكوها وعمروا سورها وكان خرابا وأزالوا عنها حكم المسلمين فعظمت شوكتهم وقوى طمعهم واستولى فى طريقه على جزيرة قبرس وكانت عند ملك انكلترا ولما بلغ الملك الكامل انهم يقصدون دمشق وبيت المقدس خرج بعساكره من مصر وترددت الرسل بينه وبين الامبراطور واستقرت القاعدة بينهما على الصلح ان المسلمين يسلمون للفرنج بيت المقدس ومعه مواضع يسيرة من اعماله ويكون باقى البلاد للمسلمين مثل الخليل ونابلس والغور وطبرية وكان سور بيت المقدس قد خربه الملك المعظم كما تقدم فلما تسلم الفرنج بيت المقدس شرط عليهم عدم عمارة السور واستعظم المسلمون تملك الفرنج بيت المقدس وأكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه وكان تسلمهم اياه سنة ست وعشرين وستمائة وفى سنة ٦٢٨ ثمان وعشرين وستمائة انتهى تاريخ ابن الاثير المسمى بالكامل وتوفى مؤلفه سنة ثلاثين ببلاده الموصل وفى سنة ثمان وعشرين ايضا قصد الفرنج الذين بالشام مدينة جبلة وهى من المدن المضافة الى حلب ودخلوا اليها

المنادي عند العصر ينادي بخلاف النداء الاول وان النداء الأول مرجوع عنه وعليهم الامان ثم انه ثاني عشر الشهر بعث الشريف سعيد المفتى وجماعة من السبع بلكات الى الشريف عبد الكريم ومن معه يطلبهم الى الشرع فركب الجماعة المذكورون الى الشريف عبد الكريم والتمس منه ذلك فقال سمعا وطاعة وبعث جماعة من كبار الاشراف منهم الشريف عبد المحسن ابن أحمد بن زيد وسليمان بن أحمد بن سعيد بن شنبر وأحمد بن نزاع وزين العابدين ابن ابراهيم بن محمد بن بركات وعبد الله بن حسن وغيرهم فدخلوا مكة ونزلوا على ايواز بيك فأخذوا أيواز بيك معهم ووصلوا الى القاضى واستدعوا الشريف سعيدا فنزل ومعه السيد أحمد ابن حازم فصارت بينهم وبين الشريف سعيد مقاولة أنتجت زيادة الشقاق وأبعدت الاتفاق ثم انصرفوا والقلوب مشحونة والنفوس مغبونة غير مأمونة ثم ان السيد أحمد بن حازم والسيد سليمان بن أحمد حضرا فى اليوم الثانى مع جماعة من الاشراف فى بيت ايواز بيك لفصل الخصومة فتزايد الكلام حتى قرب وقوع الكلام وحصلت المباينة فانصرفوا على غير صفاء والاشراف يطالبونه بالوفاء ثم ان الشريف

(وكانت)

وكانت حلب بيد شهاب الدين اتابك تابع الملك العزيز بن الظاهر غازى بن صلاح الدين وكان شهاب الدين الاتابك مملوكا للسلطان الظاهر غازى فلما بلغه دخول الفرنج مدينة جبلة سير اليهم العساكر فقاتلوا الفرنج وقتل كثيرا منهم وأخرجهم واسترد الاسرى والغنيمة وفى سنة اربع وثلاثين وستمائة أغار الفرنج على ربض دربساك وهى لصاحب حلب فوقع بهم عسكر حلب وولى الفرنج منهزمين وكثر فيهم القتل والاسر وعاد عسكر حلب بالاسرى ورؤس الفرنج وكانت هذه الوقعة من أعظم الوقائع وفى سنة خمس وثلاثين توفى الملك الكامل وأخوه الملك الاشرف موسى وكثر الاختلاف بين اولاد الملك الكامل وليس هذا محل ذكره وكان الملك الكامل من أعظم الملوك وله مشاركة فى العلوم وملك مصر أربعين سنة عشرين نيابة عن أبيه وعشرين استقلالا وتوفى وعمره ستون سنة

﴿ ذكر استرجاع بيت المقدس للمسلمين ﴾

فى سنة سبع وثلاثين وستمائة قصد الناصر داود بن الملك المعظم القدس وحاصرها وفتحها وكان الناصر داود ابن الملك المعظم له ملك الكرك أعطاه اياه عمه الملك الكامل بعد ان انتزع منه دمشق كما تقدم فصار بيت المقدس له أيضا لما فتحه وتقدم ان تسليم بيت المقدس للافرنج كان سنة ست وعشرين فتكون مدة بقائه تحت أيديهم الى ان استرجعه الناصر داود احدى عشرة سنة ومن غريب الاتفاق ان الناصر صلاح الدين استخلص بيت المقدس أولا والناصر داود استخلصه ثانيا ولذلك قال جمال الدين بن مطروح

المسجد الاقصى له عادة ❊ سارت فصارت مثلا سائرا
اذا غدا للكفر مستوطنا ❊ أن يبعث الله له ناصرا
فناصر طهره اولا ❊ وناصر طهره آخرا

وفى سنة اثنتين واربعين وقع اختلاف بين صاحب دمشق وهو الملك الصالح اسمعيل ابن الملك العادل وبين ابن اخيه صاحب مصر وهو الملك الصالح ايوب بن الملك الكامل وأدى ذلك الاختلاف الى القتال فلما كان القتال بينهما استعان صاحب دمشق بالفرنج الذين فى عكا ووعدهم بجزء من بلاد مصر فخرجت الفرنج بالفارس والراجل واجتمعوا بعسكر دمشق ووصل لقتالهم عسكر مصر مع ركن الدين بيبرس مملوك الملك الصالح ايوب والتقى الفريقان بظاهر غزة فانهزم الفرنج وعسكر دمشق واستولى الملك الصالح ايوب على غزة والسواحل وبيت المقدس انتزعه من الناصر داود ووصلت الاسرى والرؤس الى مصر ودقت بها البشائر عدة ايام ثم استولى الملك الصالح ايوب على دمشق سنة ثلاث واربعين وستمائة وانتزعها من عمه الصالح اسمعيل ابن الملك العادل وفى سنة خمس واربعين وستمائة فتح الملك الصالح عسقلان وطبرية بعسكر جهزه مع فخر الدين بن الشيخ وقد كان تسليمها للفرنج سنة احدى واربعين وستمائة فاستمرتا الى الآن ففتحتا

﴿ ذكر ملك الفرنج دمياط مرة اخرى غير المرة السابقة ﴾

فى سنة سبع وأربعين وستمائة سار لويز ملك الفرنسيس فى خمسين ألفا وقصد دمياط وحاصرها

سعيد اجتمع بالشريف عبد المحسن واتفق معه على أنه يعطيهم ثلث المنكسر وعلى ان يسمحوا له فى الثلث ويصبروا عليه فى الثلث الباقى فوافقت الاشراف على ذلك ورأوا أن هذا عين الصلاح فعقدوا مجلسا لذلك الامر فى منزل السيد على بن أحمد بن باز بأجياد ليلة التاسع عشر من ربيع الثانى فبينما هم كذلك عند السحر جاءهم الخبر أن الشريف عبد الكريم وصل طوى هو ومن معه من الاشراف فلما بلغ ذلك الشريف سعيدا أرسل اليهم رسولا لبيت السيد على بن أحمد يقول لهم ما هذا بينى وبينكم وهذا عين الغدر فاعتذروا له بعدم علمهم بذلك ونحن نخرج اليه ونرده فانصرف الكل وخرجوا من طريق المسفلة وعرجوا على الطنبداوى مما يلى الشبيكة وأرادوا ان ينفذوا على طوى وأما الشريف عبد الكريم فانه لما وصل طوى وجد على جبالها جماعة من هذيل ووجد بعض مضارب وبها عسكر وعبيد للشريف سعيد فلما أقبل عليهم هربوا وتركوا امتازلهم فيها العبيد وما فيها فبينما هم بطوى اذ خرج عليهم الشريف سعيد من الشيخ محمود فتلاقيا فانهزم الشريف عبد الكريم وامتنع الى جبال أبى لهب ثم كر بمن معه من الاشراف

ثم ملكها فى شهر صفر وكان ذلك فى مدة سلطنة الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل فركب فى عصايب المسلمين لقتالهم فحاصرهم واستمر محاصراً لهم الى ان توفى فى شعبان وكان ولده توران شاه غائباً بحصن كيفا فقام بالامر شجرة الدر زوجة أبيه الملك الصالح الى أن حضر ابنه توران شاه فقام مقام أبيه وتقدم الفرنج عن دمياط الى المنصورة وجرى بينهم وبين المسلمين فى مستهل رمضان وقعة عظيمة ثم نزل الفرنج شرمساح ثم قربوا من المسلمين ثم كبسوا المسلمين على المنصورة ثم اشتد القتال بينهم وبين المسلمين براً وبحراً فكان النصر أخيراً للمسلمين بعد ان كان اولاً للفرنج وكانت لهم مراكب كثيرة بالبحر وفى حسن المحاضرة للجلال السيوطى ان الشيخ عز الدين بن عبد السلام كان مع عسكر المسلمين فقال بأعلى صوته مشيراً الى الريح ياريح خذيهم فجاءت ريح قوية على مراكب الفرنج فكسرتها وحصل الفتح والنصر للمسلمين وغرق أكثر الفرنج وصرخ صارخ فى المسلمين قائلاً الحمد لله الذى أرانا فى امة محمد صلى الله عليه وسلم رجلاً سخر الله له الريح وحمل المسلمون على الفرنج فردوهم على أعقابهم واخذ المسلمون من مراكبهم اثنين وثلاثين مركباً منها تسع شوانى فضعف الفرنج لذلك وأرسلوا يطلبون القدس وبعض السواحل الشامية ويتركون دمياط فلم تقع الاجابة الى ذلك وكانوا قد فنيت أزوادهم وانقطع عنهم المدد من دمياط فان المسلمين قطعوا الطريق الواصل من دمياط اليهم فلم يبق لهم صبر على المقام فرحلوا متوجهين الى دمياط فركب المسلمون أكتافهم وبذلوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الا القليل وبلغت عدة القتلى ثلاثين ألفاً وانحاز ملكهم ومن معه من الملوك الى بلد هناك وطلبوا الامان فأمنهم الطواشى محسن الصالحى ثم أحيط عليهم وأحضروا الى المنصورة وقيد ملكهم وأركب على جمل وطيف به ثم حبس فى دار ابن لقمان ووكل به الطواشى صبيح ثم انعقد الصلح معه على تسليم دمياط وان يطلق ويدفع ثمانمائة الف دينار وقيل انه افتدى نفسه بقناطير من الذهب تبلغ سبعة ملايين فرنك فأطلق ورجع الى بلاده فلما وصلها أخذ فى الاستعداد ونوى الرجوع لحرب المسلمين فندم المسلمون على اطلاقه فأنشأ جمال الدين ابن مطروح قصيدة كتبت وارسلت اليه وأنشدها القاصد بين يديه وهو قائم منها قوله

قل للفرنسيس اذا جئته ☼ مقال صدق عن قؤول نصيح
أتيت مصراً تبتغى ملكها ☼ تحسب ان الزمر ياطبل ريح
وكل اصحابك أوردتهم ☼ بحسن تدبيرك بطن الضريح
خمسون ألفاً لا ترى منهم ☼ غير قتيل اواسير جريح
وقل لهم ان أضمروا عودة ☼ لأخذ ثار او لفعل قبيح
دار ابن لقمان على حالها ☼ والقيد باق والطواشى صبيح

فلما سمع المقالة ذلت نفسه ونأى عن العودة الى مصر ثم أراد ان يأخذ ثاره من تونس لامر جرى بينه وبين ملكها وهو ابو عبد الله محمد بن ابى زكريا الحفصى الملقب بالمستنصر بالله وحاصل ما كان بينه وبين ملك الفرنسيس المذكور انه جرى ذكره يوماً عند المستنصر فهضم من جانبه وقال هو الذى أسره هؤلاء وأطلقوه وأشار الى بعض الاتراك الذين كانوا يخدمون بين يديه وكان قد

الشريف عبد الكريم الطبنداوى وجد الشريف عبد المحسن بن أحمد ومعه الاشراف السابق ذكرهم فلم يعرج عليهم وسار خلف الشريف سعيد بمن معه من الاشراف حتى أوصله الى دار السعادة من السوق الصغير وكان معه نحو أربعين شريفاً فأشاروا على الشريف سعيد بالخروج من المعلى وترك البلد فانها أخذت فلم يلتفت اليهم وعطف على سويقة وجاء بيت سرردار الانكشارية واستغاث بهم فأجابوه وخرجوا معه ودخلوا معه من المسجد على بيت ابوازبيك وعنده عسكر العرب وبقية البلكات فطلب منهم الخروج معه فامتنعوا فصاحوا على ابو ازبيك وقالوا له انك مو الس ثم خرجوا من باب ابراهيم على سوق الصغير فرموا الشريف عبد الكريم بالرصاص فظن ان جميع الاتراك خرجوا فارتفع عنهم حتى خرج من الشبيكة وقد فرق قومه على الجبال فأشار اليهم بالنزول فنزلوا هاربين من طريق الزاهر ولحق به الشريف

استخدم منهم جماعة فبلغت مقالة المستنصر ملك الفرنسيس فحقد عليه وتجهز بجنوده يريد اخذ تونس وذلك سنة ثمان وستين وستمائة فسار ومعه ثلاثون الفا واساطيله ثلاثمائة بين كبار وصغار وحاصر تونس ستة أشهر فقال بعض ادباء تونس

يافرنسيس هذه اخت مصر * فتهيأ لما اليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر * وطواشيك منكر ونكير

فقدر الله هلاك ملك الفرنسيس وهو محاصر تونس قيل أصابه سهم فقتله وقيل أصابه مرض الوباء فقتله وذلك سنة تسع وستين وستمائة وهلك كثير من جنده بالوباء وتملك بعده ابنه فعقد صلحا مع أهل تونس وارتحل عنهم وكفى الله شرهم وذكرنا قصة تونس قبل مجيء الموضع الذي ينبغي ان نذكر فيه أعني سنة تسع وستين لتتصل هذه القصة بالقصة السابقة لما بينهما من التناسب

ذكر خروج التتر وتملكهم بغداد وانقراض الدولة العباسية من بغداد

قال ابن خلدون ان التتر من شعوب الترك وان الترك كلهم من ولد كومر بن يافث بن نوح عليه السلام ومساكنهم بلاد الصين مما وراء نهر سيحون وهم أمم كثيرة وسيحون نهر مما وراء النهر قريب خجند بعد سمرقند وهو في حدود بلاد الترك ويطلق أيضا على نهر الهند وأما جيحون فهو نهر خوارزم وجيحان نهر بالشام وفي سنة ست وخمسين وستمائة كان استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية وينبغي قبل ذلك ان نذكر ابتداء أمر التتر وكيف كان خروجهم على أهل الاسلام ذكر كثير من المؤرخين ان حادثة التتر حادثة عظمى ومصيبة كبرى عمت الخلائق وخصت المسلمين بشدة بلائها فلو قال قائل ان العالم منذ خلق الله آدم عليه السلام الى وقت خروج التتر لم يبتل بمثلها لصدق فان التواريخ لم تتضمن مايقاربها ولا مايدانيها ومن أعظم مايذكرون من الحوادث مافعله بختنصر ببني اسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس ومابيت المقدس بالنسبة الى ماخرب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها اضعاف بيت المقدس ومابنو اسرائيل بالنسبة الى من قتلوا فان اهل مدينة واحدة ممن قتلوا اكثر من بني اسرائيل ولعل الخلق لايرون مثل هذه الحادثة الى ان ينقرض العالم وتفنى الدنيا الا يأجوج ومأجوج واما الدجال فانه يبقي من اتبعه ويهلك من خالفه وهؤلاء لم يبقوا احدا بل قتلوا العلماء والصلحاء والزهاد والعباد والخواص والعوام والنساء والرجال والاطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الاجنة فانا لله وانا اليه راجعون ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة التي استطار شررها وعم ضررها وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح فان قوما خرجوا من اطراف الصين وعبروا نهر سيحون فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاسغون ثم منها الى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند وبخارى وغيرهما فيملكونها ويفعلون بأهلها مما نذكره ثم تعبر منهم طائفة الى خراسان فيفرغون منها ملكا وقتلا وتخريبا ونهبا ثم يتجاوزونها الى الري وهمذان وبلد الجبل ومافيه من البلاد الى حد العراق ثم يقصدون بلاد اذربيجان وارمينية وغيرهما ويخربونها ويقتلون اكثر اهلها ولم ينج الا الشريد

الى داره وصوب بمن معه من الاشراف جماعة منهم السيد أحمد بن علي بن أبي القاسم برصاصة ثم مات منها وأصيب السيد أحمد بن حازم برصاصة مات منها بعد أيام وأصيب من الاشراف الذين مع الشريف عبدالكريم أخوه السيد حامد بن محمد بن يعلى وأخوه بركات بن محمد بن يعلى والسيد شنبر بن جازان وشريف آخر من ذوي حراز الا ان اصابتهم غير مضرة بهم ورجع الشريف عبدالكريم لي دغيم وأقام هناك الى ان وردت الى سليمان باشا الاخبار السارة بجدة ضمن كتب من صاحب مصر ومن بعض الصناجق ومضمونها أنه ورد الى مصر المحروسة في السابع والعشرين من جمادى الاولى محمد باش جاوش ومعه أربعة أوامر سلطانية أحدها بعزل ايوب بيك عن امارة الحج لما تحققنا ماحصل منه من الفساد وتولية غيطاس بيك امارة الحج والثاني بعزل الشريف سعيد وأنعمنا على الشريف عبدالكريم بشرافة مكة وان أمره بزمنة ألف ومائة وسبع عشرة والثالث انا ولينا ايواز باشا جدة ومرادنا وصول سليمان باشا الى حضرتنا والرابع انا أنعمنا على الشريف سعيد بسكنى مصر وأقطعناه بعض قرادين ورتبنا له كفايته

النادر في أقل من سنة هذا مالم يسمع بمثله ثم لما فرغوا من اذربيجان وارمينية ساروا الى دربند شروان فملكوا مدنه ولم يسلم غير القاعة التي بها ملكهم وعبروا عندها الى بلد اللان واللزك ومن كان هنالك من الامم المختلفة فأوسعوهم قتلا ونهبا وتخريبا ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم من اكثر الترك عددا فقتلوا كل من وقف لهم فهرب الباقون الى الغياض ورؤس الجبال وفارقوا بلادهم واستولى هؤلاء التتر عليها فعلوا هذا في أسرع زمان لم يلبثوا الابقدر مسيرهم لاغير ومضى طائفة أخرى غير هذه الطائفة الى غزنة واعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل ما فعل هؤلاء وأشد هذا مالم يطرق الاسماع مثله فان الاسكندر الذي اتفق المؤرخون على انه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة انما ملكها في نحو عشر سنين ولم يقتل أحدا انما رضي من الناس بالطاعة وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الارض وأحسنه وأكثره عمارة وأهلا وأعدل أهل الارض اخلاقا وسيرة في نحو سنة ولم يبت أحد من أهل البلاد التي يطرقونها الا وهو خائف يتوقعهم ويترقب وصولهم اليه ثم انهم لا يحتاجون الى ميرة ومدد يأتيهم بل كان معهم الاغنام والبقر والخيل وغير ذلك من الدواب يأكلون لحومها لاغير وأما دوابهم التي يركبونها فانها تحفر الارض بحوافرها وتأكل عروق النبات لاتعرف الشعير فهم اذا نزلوا منزلا لا يحتاجون الى شئ من خارج وأما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيأ فانهم يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير والحشرات وبني آدم ولا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال فاذا جاء الولد لا يعرف أباه ولقد بلي الاسلام والمسلمون في مدتهم بمصائب لم يبتل بها أحد من الامم فهؤلاء التتر قبحهم الله أقبلوا من المشرق ففعلوا الافعال التي يستعظمها كل من سمع بها وكانوا كلما ملكوا مدينة قتلوا العلماء والصلحاء والزهاد والعباد والخواص والعوام وخربوا الجوامع وأحرقوا المصاحف وفعلوا اشياء لم يسمع بمثلها وفي مدتهم أيضا كان خروج الفرنج لعنهم الله من المغرب الى الشام ثم قصدوا ديار مصر وانتشرت الفتن في ممالك الاسلام فانا لله وانا اليه راجعون قال ابن الاثير نسأل الله ان ييسر للاسلام والمسلمين نصرا من عنده فان الناصر والمعين والذاب عن الاسلام معدوم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له ومالهم من دونه من وال وهؤلاء التتر نوع من الترك ومساكنهم كانت جبال طمغاج من بلاد الصين وبينها وبين بلاد الاسلام مايزيد على ستة اشهر ومملكة الصين متسعة دورها ستة اشهر وهي منقسمة ستة اجزاء كل جزء مسيرة شهر وعلى كل جزء ملك ويقال له عندهم خان وواحد منهم رئيس على الجميع ولما انتهت الرياسة الى واحد منهم يقال جنكز خان كان ابتداء خروجهم على بلاد الاسلام وذلك سنة ست عشرة وستمائة في خلافة الناصر لدين الله العباسي بن المستضئ بأمر الله ابن المستنجد بالله بن المقتفي لأمر الله بن المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله بن القائم بأمر الله بن القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر بن المعتضد وكانت مدة خلافة الناصر ستا واربعين سنة وعشرة اشهر لانه كانت ولايته الخلافة سنة خمس وسبعين وخمسمائة ووفاته سنة ثنتين وعشرين وستمائة فكان اكثر فتنة التتر في مدته وكان سبب خروجهم ان ملكا

من المصرف كل يوم ولم تزل الاخبار تقوى مع الواردين في المراكب المصرية وتنتشر في الناس وعند الاتراك والشريف سعيد غير معترف بذلك وكثر القيل والقال واستمر الشريف عبد الكريم ومن معه بالوادي الى ان بلغهم أن الشريف سعيدا أغرى أغاوات الانكشارية على ايواز بيك لاتهامه له أن له يدا مع الشريف عبد الكريم فصالوا عليه غفلة وحصروه في بيته وأفهموا الشريف سعيدا ان ايواز بيك ورد اليه غرة جمادى الثانية ركائب من بدو عنزة بعثهم اليه بيرم باشا من طريق الشام يخبره ان السلطنة وصلت اليه منهم أخبار بأنهم أنعموا على الشريف عبد الكريم بشرافة مكة فلما وردت هذه الاخبار وعلم بها الشريف عبد الكريم حمى الطرق وأمر بكف الاشراف الذين معه عن النهب ولما تحقق سليمان باشا أمسك على مابيده من من مال البندر حتى يتعين صاحب الشرافة فكان هذا سبب تغير الشريف سعيد على أيواز بيك مع كونه في الاصل هو السبب في تأييد شرافته ودخوله مكة لحصره في منزله ونهب أثاثا كان له في دار السعادة واضطرب الامر بمكة وأبطلت خمس

من ملوك الاسلام كان مالكا لخراسان وما وراء النهر يقال له خوارزم شاه كان بينه وبينهم فتنة فاقتتلوا معه واتسع امرهم حتى كان منهم ما كان وكان خوارزم شاه منتسبا الى شخص يقال له انوش تكين وهو مملوك لبعض امراء السلجوقية وكان حسن الطريقة مترقى الى ان صار مقدما مرجوعا اليه فولد له ابن يقال له محمد خوارزم شاه وانتشأ عارفا اديبا واشتهر عنه العقل وحسن التدبير فقدر الله ان وقعت فتنة في خوارزم سنة اربعمائة وتسعين وقتل امير خوارزم وكانت تحت حكم السلاطين السلجوقية والخلفاء العباسية فولوا ملك خوارزم لمحمد خوارزم شاه ابن أنوشتكين ثم توارث الملك بنوه واتسع ملكهم وعظم أمرهم وصار كل ملك منهم يقال له خوارزم شاه ولم يزل ملكهم يقوى ويتسع حتى تغلبوا على الممالك وصار ملكهم من حد العراق الى تركستان وملكوا خراسان جميعه وغزنة وكابل وبعض الهند وسجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبل وبعض فارس فلم يزالوا يتوارثون الملك الى سنة خمسمائة وست وتسعين فكان الملك منهم في التاريخ المذكور لمحمد خوارزم شاه بن تكش بن ارسلان بن اطسن بن محمد خوارزم شاه ابن أنوش تكين فاتسع ملكه غاية الاتساع حتى صار يتطلب تملك بغداد قال الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء في وصف خوارزم شاه المذكور أنه أباد الملوك وأخذ الممالك وعزم على قصد الخليفة فلم يتهيأ له مدة وكان خوارزم شاه قسم ممالكه بين أولاده وكانوا اربعة وضرب لكل منهم نوبة مثل نوبته وكان تحته سبعة وعشرون ملكا تضرب نوبة لكل واحد منهم في أوقات الصلوات وانفرد هو بنوبة ذي القرنين تضرب وقت طلوع الشمس وغروبها وكانت سبعا وعشرين دبداية والدبداب هو الطبل الكبير وكانت هذه السبع والعشرون من الذهب مرصعة بأنواع الجواهر فلما انتهى أمر ملكه الى هذا الحد احتقر أمر التتر سكان الصين وصار يغازيهم ويغير على بلادهم وهم أيضا يغازونه ويغيرون على بلاده ثم نعقد صلح بينهم وبينه ومهادنة وصار تجارهم يأتون الى بلاده ثم ان عامل خوارزم شاه على آخر مملكته مما يليهم كانت له قوة ومعه عشرون الف فارس وكان خال خوارزم شاه فشرهت نفسه الى اموال التجار واتفق انه دخل في محل ملكه كثير من التجار والاتراك معهم اموال التجارة من التتر واموال الملك التتر فكتب ذلك العامل الى خوارزم شاه يقول له ان هؤلاء القوم قد جاؤا بزي التجارة وما قصدهم الا التجسس وان أذنت لي فيهم قبضت عليهم فأذن له فقبض عليهم واخذ اموالهم ثم وقعت مكاتبات بين ملك التتر وخوارزم شاه في اطلاقهم وكتب ملك التتر لخوارزم شاه يتهدده ان لم يطلقهم فغضب وأمر بقتلهم فقتلهم ذلك العامل وسير اليه ما كان معهم من الاموال وكان شيأ كثيرا ففرقه خوارزم شاه على تجار سمرقند وبخارى واخذ منهم قيمة تملكهم فلما بلغ الخبر جنكزخان ارسل جماعة الى خوارزم شاه يتهدده ويقول أنت قتلت جماعتي فاستعد للحرب فاني واصل اليكم بجمع لاقبل لكم به فقتل خوارزم شاه كبير هؤلاء الجماعة وامر بحلق لحى الجماعة الذين كانوا معه وأعادهم الى جنكزخان فقالوا له ان خوارزم شاه يقول لك انا سائر اليك ولو انك في آخر الدنيا حتى انتقم منك وافعل

يخرج عن طاعته الا الانقشارية ثم أجمع الانقشارية على الهجوم عليه في بيته وقتله ونهبه فحملوا أسلحتهم ونزلوا المسجد وأرسلوا الى الشريف سعيد وأخبروه فنزل بنفسه الى القاضي بجميع عسكره وعبيده وأرسل الى العرب من هذيل وغيرهم وأمرهم أن يقفوا على أبواب الحرم فلما خرج القاضي قالوا له ان لنا دعوى على ايواز بيك فأحضره لنا تداعى على يدك فبعث اليه القاضي فأعاد الرسول وهو يقول أنا بعيني أشاهد الفتنة من منزلي وأعاين اجتماع العسكر وأمر الشرع مطاع غاية الامر أمهلونا هذا اليوم لئلا تكبر الفتنة اذا جئت في ذلك المكان فاذا انفرقت العساكر حضرت أنا وخصمي عند القاضي ويحكم بما أراده الله تعالى فعرض القاضي مقاله على الشريف سعيد والحاضرين من العسكر الانقشارية فلم يقبلوا ذلك الا أن الشريف سعيدا صرف جنده وبقيت الانقشارية على حالهم فأرسلوا مرسولا آخر الى أيواز بيك فقال لهم

انا من الانقشارية موجودة عندكم فالعذر واضح وليس لي قصد الا حقن الدماء بيننا وبينهم ولي قدرة على مكافأتهم

بك كما فعلت باصحابك وتجهز خوارزم شاه وسار بعد الرسول مبادرا ليسبق خبره ويكبسهم وأدمن السير فضى وقطع مسيرة اربعة أشهر فوصل الى بيوتهم فلم ير منها الا النساء والصبيان والاطفال فأوقع بهم وغنم الجميع وسبى النساء والذرية وكان سبب غيبة الكفار أنهم ساروا لمقاتلة ملك من ملوك الترك فقاتلوه وهزموه وغنموا امواالهم وعادوا فلقيهم في الطريق الخبر بفعل خوارزم شاه بمخلفيهم فجدوا السير وأدركوه قبل ان يخرج من ارضهم وتصافوا للحرب واقتتلوا قتالا لم يسمع بمثله ثلاثة ايام بلياليها وجرى الدم في الارض حتى صارت الخيل تزلق من كثرته واحصى من قتل من المسلمين فكانوا عشرين الفا وأما الكفار فلا يحصى من قتل منهم ثم رجع الكفار الى بلادهم ورجع المسلمون الى بخارى واستعدوا لمجئ جنكزخان اليهم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ تم الجزء الأول من الفتوحات الاسلامية ويليه الجزء الثاني أوله ﴾
﴿ ذكر تملك جنكزخان بخارى ﴾

لعدم نفاذ مراده فأظهر للقاضي غلاظة وقامت الغوغاء من الانقشارية في المحكمة وارتفعت الاصوات وقالوا هذا عاصي الشرع فاكتب لناحجة بعصيانه فامتنع القاضي فهجموا عليه يريدون قتله فهرب من كان هناك من العلماء ولحقوا القاضي ولزوه بالايادي ورمى بعض الناس في جوف المحكمة بالبندق ارهابا له فلما رأى ذلك كتب لهم حجة بما في نفوسهم فعند ذلك خرج الشريف سعيد من المحكمة وأمر الانقشارية بالهجوم على ابوازيك في بيته فسار بيرقهم من عشي باب السلام على يسار المنبر قاصدين بيت ابوازيك فلما وصلوا الى مقام المالكية بادرغلمانه الى البنادق وكمنوا خلف هواميد المسجد مما يلي بيت مولاهم فلما أقبلوا اطلع في وجوههم الرصاص فولوا هاربين الى أن دخلوا باب الزيادة واجتمعوا في زيادته وما حولها من البيوت والمدارس ولم يزل الحصار بينهم وأما الشريف سعيد فسلط على ابوازيك عسكره وعبيده وبدوه من جهة عقد بشير فلما شعر بذلك أرسل جماعة من البلكات الى تلك الدور فترسوها ثم منعوا

الجزؤ الثاني من الفتوحات الاسلامية * بعد مضي الفتوحات النبوية *

لمؤلفها فريد العصر والأوان * علي الهمة عظيم الشان * شيخ الاسلام

بالاقطار الحجازية * ومفتي السادة الشافعية بمكة المحمية *

الاستاذ السيد أحمد ابن السيد زيني دحلان *

أسكنه الله بحبوحة الجنان *

آمين آمين

آمين

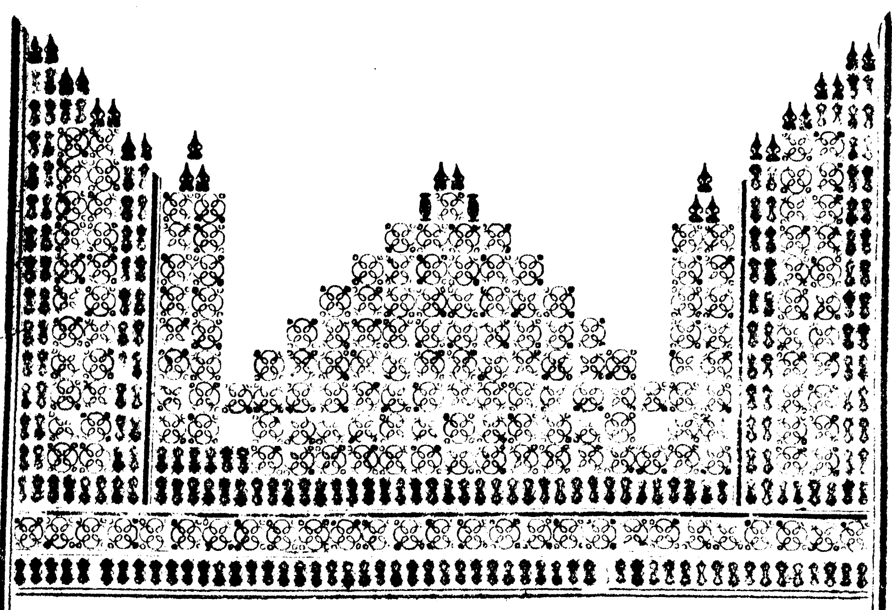
وبهامشه خلاصة الكلام * في بيان امرآء البلد الحرام *

للمؤلف المذكور أيضا

(الطبعة الثانية)

(طبع في المطبعة الميرية الكائنة بمكة المحمية)

(سنة ١٣١١ هجرية)



بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر تملك جنكز خان بخارى

ثم جاءهم جنكزخان بعد خمسة أشهر بجيوشه وحاصر مدينة بخارى وفيها خوارزم شاه واقتتلوا ثلاثة أيام متتابعة ولم يكن لعسكر خوارزم شاه قوة لمقاومة جنكزخان ففارق خوارزم شاه بعساكره بخارى وسار الى خراسان فأرسل أهل بخارى الشيخ بدر الدين قاضي خان الى التتر ليطلب الامان للناس فأعطوهم الامان وكان قد بقي من عسكر خوارزم شاه طائفة لم يمكنهم الهرب مع أصحابهم فاعتصموا بالقلعة فلما أجابهم جنكزخان الى الامان فتحت ابواب المدينة وكان ذلك رابع ذي الحجة سنة ست عشرة وستمائة فدخل الكفار بخارى ولم يتعرضوا الى أحد بل قالوا لهم كل ماهو للسلطان عندكم من ذخيرة وغيرها أخرجوه الينا وساعدونا على قتال من بالقلعة وأظهروا عندهم العدل وحسن السيرة ودخل جنكز خان بنفسه وأحاط بالقلعة ونادى في البلد ان لا يتخلف احد ومن تخلف قتل فحضروا جميعهم فأمرهم بطم الخندق فطموه بالاخشاب والتراب حتى ان الكفار كانوا يأخذون المنار وربعات القرآن ويلقونها في الخندق فانا لله وانا اليه راجعون ثم تابعوا الزحف الى القلعة وبها نحو أربعمائة من المسلمين فبذلوا جهدهم ومنعوا القلعة اثنى عشر يوما يقاتلون جمع الكفار وأهل البلد ولم يزالوا كذلك حتى زحفوا اليهم ووصل النقابون الى سور القلعة فنقبوه واشتد حينئذ القتال ومن بها من المسلمين يرمون بكل ما يجدون من حجارة ونار وسهام فغضب اللعين جنكزخان ورد أصحابه ذلك اليوم وباكرهم من الغد فجدوا في القتال وقد تعب من في القلعة وجاءهم مالا قبل لهم به فقهرهم الكفار ودخلوا القلعة وقاتلهم المسلمون الذين فيها حتى قتلوا

ما حولهم من العبيد والعرب بالرصاص واستمر الرمي من البيوت والمدارس في جوف المسجد من الفريقين وايواز بيك ومن معه من البلكات محصورون في البيت والمنزل الامر يتزايد حتى كثرت القتلى والجرحى في البيوت وخارجها وفي المسجد وسطح المسجد ومابين الاروقة وعزل السوق وأظلم الجو من دخان البارود وبقي الامر على هذا الى اليوم الثاني فالتمس الشريف سعيد من أيواز بيك الصلح وبعث الى القاضي بأمره بارسال جماعة من العلماء لي ايواز بيك يلتمس منه الكف فبعث اليه ان ذلك لا يكون الا ان كف هو وجماعته واتفق الامر على ارسال جماعة من رؤس البلكات حضروا عند القاضي فأمرهم القاضي بالسعي في الصلح فسعوا في ذلك بعد التأبي الاعظم وهمدت الفتنة بعد ان نهب لايواز بيك ما يساوي مائة كيس من القروش من الامتعة وغير ذلك وفي اليوم الذي جمع القاضي بين أيواز بيك والشريف سعيد عنده رأبان ايواز بيك جنده وذكر ما أخذ عليه فقال الشريف سعيد أردكل ماقدرت عليه مما هولك

عن آخرهم فلما فرغ من القلعة أمر ان يكتب له رؤساء البلد ففعلوا ذلك فلما عرضت أسماؤهم عليه امر باحضارهم فحضروا فقال اريد منكم الاموال التي باعكم خوارزم شاه التي كانت مع التجار الذين قتلهم خوارزم شاه في اول ابتداء الامر كما تقدم ذكرهم وقال لهم نهالى ومن أصحابي اخذت وهي عندكم فأحضر كل من كان عنده شئ منها بين يديه ثم أمرهم بالخروج من البلد فخرجوا من البلد مجردين من أموالهم ليس مع احد منهم غير ثيابه التي عليه ودخل الكفار البلد فنهبوه وقتلوا من وجدوا فيه وأحاط بالمسلمين الذين أخرجهم من البلد فأمر أصحابه أن يقتسموهم فاقتسموهم وكان يوما عظيما من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان وتفرقوا أيدى سبا وتمزقوا كل ممزق واقتسموا النساء ايضا وأصبحت بخارى خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس وارتكبوا من النساء الامر العظيم والناس ينظرون ويبكون ولا يستطيعون أن يدفعوا عن انفسهم شيأ مما نزل بهم فمنهم من لم يرض بذلك واختار الموت على ذلك فقاتل حتى قتل وممن فعل ذلك واختار ان يقتل ولا يرى ما نزل بالمسلمين الفقيه الامام ركن الدين امام زاده وولده فانهما لما رأيا ما يفعل بالحرم قاتلا حتى قتلا وكذلك فعل القاضي صدر الدين خان ومن استسلم اخذ اسيرا وألقوا النار في البلد والمدارس والمساجد وعذبوا الناس بأنواع العذاب لطلب المال

﴿ ذكر مسير جنكزخان الى سمرقند ﴾

لما انقضى أمر بخارى ارتحل جنكزخان وجنوده نحو سمرقند وقد تحققوا عجز خوارزم شاه عن مقابلتهم وكان هو بمكان بين ترمذ وبلخ واستصحبوا معهم من سلم من أهل بخارى اسارى فساروا بهم مشاة على أقبح صورة فكل من أعيا وعجز عن المشي قتل فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة وتركوا الرجالة والاثقال ومع كل عشرة من الاسارى علم فظن أهل البلد أن الجميع عساكر مقاتلة وأحاطوا بسمرقند وفيه خمسون الف مقاتل من الخوارزمية وأما عامة أهل البلد فلا يحصون كثرة فخرج اليهم شجعان أهله وأهل القوة والجلد رجالة ولم يخرج معهم من العسكر الخوارزمي احد لما في قلوبهم من خوف هؤلاء الملاعين فقاتلهم الرجالة بظاهر البلد فلم يزل التتر يتأخرون وأهل البلد يتبعونهم ويطمعون فيهم وكان الكفار قد كمنوا لهم كمينا فلما جاوزوا الكمين خرجوا عليهم وحالوا بينهم وبين البلد ورجع الباقون الذين أنشبوا القتال أولا فبقوا في الوسط وأخذهم السيف من كل جانب فلم يسلم منهم أحد وقتلوا عن آخرهم شهداء رضي الله عنهم وكانوا سبعين ألفا فلما رأى الباقون من الجند والعامة ذلك ضعفت نفوسهم وايقنوا بالهلاك فقال الجند وكانوا أتراكا نحن من جنس هؤلاء ولا يقتلوننا فطلبوا الامان فأجابوهم الى ذلك ففتحوا أبواب البلد ولم تقدر العامة على منعهم وخرجوا الى الكفار بأهلهم واموالهم فقال لهم الكفار ادفعوا الينا سلاحكم وأموالكم ودوابكم ونحن نسيركم الى مأمنكم ففعلوا ذلك فلما أخذوا أسلحتهم ودوابهم وضعوا السيف فيهم وقتلوهم عن آخرهم واخذوا اموالهم ودوابهم ونساءهم فلما كان اليوم الرابع نادوا في البلد أن يخرج أهله جميعهم ومن تأخر قتلوه فخرج جميع الرجال والنساء والصبيان ففعلوا مع اهل سمرقند مثل فعلهم مع أهل بخارى من النهب والقتل والسبي والفساد ودخلوا البلد فنهبوا ما فيه وأحرقوا الجامع وتركوا باقي البلد على حاله وافتضوا الابكار وعذبوا الناس بأنواع العذاب في طلب المال وقتلوا من لم يصلح

ومالم أجده أعطيك عنه وقاما من عند القاضي وذهب كل الى بيته والله أعلم بما في نفوسهم

(ورود أغاة القفطان بولاية الشريف عبد الكريم شرافة مكة)

ثم لما كان يوم الاثنين ثامن عشر رجب ورد مكة خبر أغاة القفطان وصحبته الامر السلطاني شرافة مكة للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى وأنه وصل الى جدة وأن الوزير سليمان باشا أرسل القفطان للشريف عبد الكريم وألبسه اياه ونادى له بجدة يوم السابع عشر من الشهر فلما وصل هذا الخبر للشريف سعيد أجاب بأن البلاد للسلطان ونحن خدم له فان كان الامر صحيحا فأنا مطيع لامره وان كان بالزور والبهتان فما عندي غير السيف وكتب كتابا لسليمان باشا عليه خطوط من معه من الاشراف وخطوط العلماء وأعيان الناس مضمونه أن الشريف سعيد امتثل بأمر سلطاني ولا يعزل الا بمثله وأرسلوا الكتاب مع السيد مبارك ابن حمود بن عبد الله بن حسن فتوجه الى الباشا ورجع بالجواب الى الشريف سعيد يوم الجمعة ثاني شعبان وذكر له ان الشريف عبد الكريم هو وجميع من معه من السادة الاشراف وأغاة القفطان وجماعة الباشا وصلوا جدة ثم أعقبه الخبر أنهم نزلوا وادي مر فأرسل

للسبي وكان ذلك في المحرم سنة سبع عشرة وستمائة وكان خوارزم شاه بمنزلته كلما اجتمع اليه عسكر سيره الى سمرقند فيرجعون ولا يقدرون على الوصول اليها نعوذ بالله من الخذلان سير مرة عشرة آلاف فارس فعادوا وسير مرة عشرين الفا فعادوا أيضا

﴿ ذكر سير التتر الى خوارزم شاه وانهزامه وموته ﴾

لما ملك الكفار سمرقند عمد جنكزخان لعنه الله وسير عشرين الف فارس وقال لهم اطلبوا خوارزم شاه اين كان ولو تعلق بالسماء حتى تدركوه وتأخذوه وهذه الطائفة تسميها التتر المغربة بتشديد الراء المكسورة لانها سارت نحو غرب خراسان ليقع الفرق بينهم وبين غيرهم منهم لانهم هم الذين أوغلوا في البلاد فلما أمرهم جنكزخان بالمسير ساروا وقصدوا موضعا يسمى بنجاب ومعناه خمس مياه منها نهر جيحون فوصلوا اليه فلم يجدوا هناك سفينة فعملوا من الخشب مثل الاحواض الكبار وألبسوها جلود البقر لئلا يدخلها الماء ووضعوا فيها سلاحهم وامتعتهم وألقوا الخيل في الماء وأمسكوا أذنابها وتلك الحياض التي من الخشب مشدودة اليهم فكان الفرس يجذب الرجل والرجل يجذب الحوض المملوء من السلاح وغيره فعبروا كلهم دفعة واحدة فلم يشعر خوارزم شاه الا وقد صاروا معه على ارض واحدة وكان المسلمون قد ملئوا رعبا وخوفا منهم وقد اختلفوا فيما بينهم فانهم كانوا قبل ذلك ثابتين متماسكين بسبب أن نهر جيحون بينهم فلما عبروه اليهم لم يقدروا على الثبات ولا على المسير مجتمعين بل تفرقوا أيدي سبا وطلب كل طائفة منهم جهة ورحل خوارزم شاه لا يلوي على شئ في نفر من خاصته وقصدوا نيسابور فلما دخلها اجتمع اليه بعض العسكر فلم يستقر حتى وصل اولئك التتر اليها وكانوا لم يتعرضوا في مسيرهم لشئ لا بنهب ولا قتل بل يجدون السير في طلبه لا يمهلونه حتى يجمع لهم جموعا فلما سمع بقربهم منه رحل الى مازندران وهي له أيضا فرحل التتر المغربون في أثره ولم يعرجوا على نيسابور بل تبعوه فكان كلما رحل من منزلة نزلوها فوصل الى مرسى من بحر طبرستان تعرف باب سكون وله هناك قلعة في البحر فلما نزل هو واصحابه في السفن وصلت التتر فلما رأوا خوارزم شاه وقد دخل البحر وقفوا على ساحل البحر فلما أيسوا من لحاق خوارزم شاه رجعوا فهم الذين قصدوا الري وما بعده كما سنذكره وقيل ان خوارزم شاه سار من مازندران حتى وصل الى الري ثم منها الى همذان والتتر في أثره ففارق همذان في نفر يسير جريدة ليستر نفسه ويكتم خبره وعاد الى مازندران وركب في البحر الى هذه القلعة ثم لما وصل الى القلعة المذكورة قدر الله تعالى انقضاء أجله فتوفي بها وكان رحمه الله عالما فاضلا بالفقه والاصول وغيرهما مكرما للعلماء محبا لهم محسنا اليهم يكثر مجالستهم ويحب مناظرتهم بين يديه وكان صبورا على التعب وادمان السير غير متنعم ولا مقبل على اللذات انما همه في الملك وتدبيره وحفظه وحفظ رعاياه وكان معظما لاهل الدين مقبلا عليهم متبركا بهم ومناقبه رحمه الله كثيرة وكان قد اتسعت ممالكه من جهة العراق الى تركستان وملك بلاد غزنة وبعض الهند

﴿ ذكر استيلاء التتر المغربة على مازندران ﴾

لما أيس التتر المغربة من ادراك خوارزم شاه عادوا وقصدوا بلاد مازندران فملكوها

اليهم الشريف سعيد ليلة الاحد رابع شعبان سليمان جاووش ﴿ ٤ ﴾ الانقشارية ومعه جاووش المتفرقة وجاووش الجاووشية ومعهم السيد جار الله بن صامل الى الوادي بخطاب الى الشريف عبد الكريم وأغاة القفطان مضمونه أن يشرفوهم على الامر السلطاني ليحيطوا به علما فحين وصلوا وسمع أغاة القفطان أحمد أغا كلام سليمان جاووش زجره بالسب واللعن ومن جملة ما قال له لولا أنك رسول لقطعت رأسك فرجعوا الى الشريف سعيد وكانوا وهم ذاهبون الى الوادي واجههم خمسة من الاشراف متوجهون الى مكة ومعهم واحد من خدم أحمد أغا حامل القفطان ومعهم صورة الامر السلطاني وهم لا يعرفون حقيقة حالهم فأتى الجميع ونزلوا على أيواز بيك فأخذهم وتوجه بهم الى قاضي الشرع وسجلوا صورة الامر في المحكمة فلما بلغ الشريف سعيد ذلك ارسل الى ايواز بيك يلومه على هذا الفعل ويخطئه في نزول هؤلاء الاشراف عنده فأجابه ايواز بيك ان الامر السلطاني قد تحققناه وان البلاد صارت للشريف عبد الكريم وأما هؤلاء الاشراف فانهم يعرفون قواعدهم وهم يردون عن أنفسهم الجواب فأرسل اليهم الشريف

في أسرع وقت مع حصانتها وصعوبة الدخول اليها وامتناع قلاعها فانها لم تزل ممتنعة في قديم الزمان وحديثه حتى أن المسلمين لما ملكوا بلاد الاكاسرة جميعها من العراق الى أقاصي خراسان بقيت اعمال مازندران يؤخذ منهم الخراج ولا يقدرون على دخول البلاد الى ان ملكت ايام سليمان بن عبد الملك سنة تسعين وهؤلاء الملاعين ملكوها صفوا عفوا والامر يريده الله تعالى ولما ملكوا بلد مازندران قتلوا وسبوا ونهبوا وأحرقوا البلاد ولما فرغوا من مازندران سلكوا نحو الري فرأوا في الطريق والدة خوارزم شاه ونساءه واموالهم وذخائرهم التي لم يسمع بمثلها من الاعلاق النفيسة وكان سبب ذلك ان والدة خوارزم شاه لما سمعت بما جرى على ولدها خافت ففارقت خوارزم وقصدت نحو الري لتصل الى اصفهان وهمذان وبلاد الجبل تمتنع فيها فصادفوها في الطريق فأخذوها وما معها قبل وصولها الري فكان فيما معها ما ملأ عيونهم وقلوبهم وما لم يشاهد الناس مثله من كل غريب من المتاع والنفيس من الجوهر وغير ذلك وسيروا الجميع الى جنكز خان بسمرقند

❁ ذكر وصول التتر الى الري وهمذان ❁

في سنة سبع عشرة وستمائة وصل التتر لعنهم الله الى الري في طلب خوارزم شاه محمد لانهم بلغهم انه مضى نحو الري منهزما منهم فجدوا السير في اثره وقد انضاف اليهم كثير من عساكر المسلمين والكفار وكذلك ايضا من المفسدين الذين يريدون النهب والشر فوصلوا الى الري على حين غفلة من اهلها فلم يشعروا الا وقد وصلوا اليها وملكوها ونهبوها وسبوا الحريم واسترقوا الاطفال وفعلوا الافعال التي لم يسمع بمثلها ولم يقيموا بل مضوا مسرعين في طلب خوارزم شاه فنهبوا في طريقهم كل مدينة وقرية مروا عليها وفعلوا في الجميع أضعاف ما فعلوا في الري واحرقوا وخربوا ووضعوا السيف في الرجال والنساء والاطفال فلم يبقوا على شيء وتموا على حالهم الى همذان فلما قاربوا همذان خرج رئيسها ومعه الحمل من الاموال والثياب والدواب وغير ذلك جعله هدية لهم ليطلب الامان لاهل البلد فأمنوهم ثم فارقوها وساروا الى زنجان ففعلوا اضعاف ما فعلوا من قبل ثم وصلوا الى قزوين فاعتصم اهلها منهم بمدينتهم فقاتلوهم وجدوا في قتالهم ودخلوها عنوة بالسيف فاقتتلوا هم واهل البلد في باطنه حتى صاروا يقتتلون بالسكاكين فقتل من الفريقين ما لا يحصى ثم فارقوا قزوين فعد القتلى من اهل قزوين فزادوا على اربعين الف قتيل رحمهم الله تعالى

❁ ذكر وصول التتر الى اذربيجان ❁

لما هجم الشتاء على التتر في همذان وبلد الجبل رأوا بردا شديدا وثلجا متراكما فساروا الى اذربيجان ففعلوا في طريقهم بالقرى والمدن الصغار من القتل والنهب مثل ما تقدم منهم وخربوا واحرقوا ووصلوا الى تبريز وبها صاحب اذربيجان اوزبك بن البهلوان فلم يخرج اليهم ولا حدث نفسه بقتالهم لاشتغاله بما هو بصدده من ادمان الشرب ليلا ونهارا لا يفيق وانما ارسل اليهم وصالحهم على مال وثياب ودواب وحمل الجميع اليهم فساروا من عنده

سعيد بأمرهم بالخروج من البلد وكرر عليهم الرسل بذلك فجلسوا عند الصنجق أيواز بيك ذلك اليوم وجعل لهم الغداء ثم بعد ذلك توجه منهم اثنان الى الشريف عبد الكريم يعرفانه بالواقع والثلاثة ذهبوا الى بيت السيد عبد المعين بن محمد بن حمود وقالوا له يقول لك الشريف عبد الكريم تكون أنت القائم مقامه في البلد الى ان يصل فلما تحقق الشريف سعيد حقيقة الحال جمع عساكره وعربه وأفهمهم ان نيته الحرب وأرسل عربان هذيل وعتيبة الى جهة أبي لهب وبساتين العمرة وأمر صاحب الزيران بدق وأظهر حركة المقاومة فلما كان قرب المغرب وصل المراسيل الذين أرسلهم ومن جملتهم سليمان أغا جاويش الانقشارية وكان يعتمد عليه في الصدق والخدمة فأخبره بجميع ما صار عليهم في الوادي وما وقع من أغاة القفطان وأن الامر السلطاني صحيح ليس فيه شك ولا يختلف فيه أحد ففي ذلك الوقت أخرج نساءه ودبشهم من البيت وأرسل الجميع عند كريمته الشريفة سعدية فلما كان قرب التذكير ركب هو ومن معه من السادات الاشراف [illegible]

يريدون ساحل البحر لانه يكون قليل البرد ليشتوا عليه والمراعي به كثيرة لاجل دوابهم فوصلوا الى موقان وتطرقوا في طريقهم الى بلاد الكرج فجاء اليهم من الكرج جمع كثير من العسكر نحو عشرة آلاف مقاتل فقاتلوا هم والكرج فانهزمت الكرج وقتل اكثرهم وارسل الكرج الى اوزبك صاحب اذربيجان يطلبون منه الصلح وازالة ما كان بينهم وبينه وان يتوقف معهم على دفع التتر فاصطلحوا على أنهم يجتمعون اذا انحسر الشتاء وكذلك ارسلوا الى الملك الاشرف ابن الملك العادل صاحب خلاط وديار الجزيرة يطلبون منه الموافقة عليهم وظنوا جميعهم ان التتر يصبرون في الشتاء الى الربيع فلم يفعلوا كذلك بل تحركوا وساروا نحو بلاد الكرج وانضاف اليهم مملوك تركي من مماليك اوزبك صاحب اذربيجان اسمه اقوش وجمع اهل تلك الجبال والصحراء من التركمان والاكراد وغيرهم فاجتمع معه خلق كثير وارسل التتر في الانضمام اليهم فأجابوه الى ذلك ومالوا اليه للجنسية فاجتمعوا وساروا في مقدمة التتر الى الكرج فملكوا حصنا من حصونهم وخربوه ونهبوا البلاد وخربوها وقتلوا أهلها ونهبوا اموالهم حتى وصلوا الى قريب تفليس فاجتمعت الكرج وخرجت بحدها وحديدها اليهم فلقيهم اقوش اولا فيمن اجتمع اليه فاقتتلوا قتالا شديدا صبروا فيه كلهم فقتل من أصحاب اقوش خلق كثير وادركهم التتر وقد تعب الكرج من القتال وقتل منهم ايضا كثير فلم يثبتوا للتتر وانهزموا اقبح هزيمة وركبهم السيف من كل جانب فقتل منهم مالا يحصى كثرة وكانت الوقعة في ذي القعدة من هذه السنة اعني سنة سبع عشرة وستمائة ونهبوا من البلاد ما كان سلم منهم ولقد جرى لهؤلاء التتر مالم يسمع بمثله في قديم الزمان وحديثه طائفة تخرج من حدود الصين لا تنقضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم الى بلاد ارمينية من هذه الناحية ويجاوزون العراق من ناحية همذان قال ابن الاثير في الكامل وكان هو موجودا في ذلك العصر مطلعا على تلك الاحوال قال وتالله لا اشك ان من يجئ بعدنا اذا بعد العهد ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدها والحق بيده فمتى استبعد ذلك فلينظر اننا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ في زماننا هذا في وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها يسر الله للمسلمين والاسلام من يحفظهم ويحوطهم فلقد دفعوا من العدو الى أمر عظيم ومن الملوك المسلمين الى من لا تتعدى همته بطنه وفرجه ولم ينل المسلمين اذى وشدة منذ جاء النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا الوقت مثل ما دفعوا اليه الآن هذا العدو الكافر التتر قد وطئوا بلاد ماوراء النهر وخربوها وناهيك به سعة بلاد وتعدت طائفة منهم النهر الى خراسان فملكوها وفعلوا مثل ذلك ثم الى الري وبلاد الجبل واذربيجان وقد اتصلوا بالكرج فغلبوهم على بلادهم والعدو الآخر الفرنج قد ظهروا من بلادهم في اقصى بلاد الروم بين الغرب والشمال ووصلوا الى مصر فملكوا مثل دمياط وأقاموا فيها ولم يقدر المسلمون على ازعاجهم عنها ولا اخراجهم منها وباقي ديار مصر على خطر فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومن أعظم الامور على المسلمين ان سلطانهم خوارزم شاه محمد قد عدم ولم يعرفوا حقيقة خبره فتارة يقال مات عند همذان واخفي موته وتارة يقال انه دخل اطراف بلاد فارس ومات هناك واخفي موته وهذا أمر عظيم

البلاد بلاد الله وبلاد مولانا السلطان أحمد خان وبلاد مولانا الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى وعسوا البلد بقية تلك الليلة وأصبح الناس يوم الاثنين والبلاد خالية

(دخول الشريف عبد الكريم مكة متوليا أمارتها وهي الولاية الثالثة له سنة ١١١٧)

ولما كان يوم الثلاثاء سادس شهر شعبان المكرم دخل مولانا الشريف عبد الكريم متوليا مكة المشرفة بكرة النهار بالالاي الاعظم ومعه السادة الاشراف وسائر عساكر مصر وعسكر الوزير سليمان باشا وعسكر الامير أبو از بيك وأغاة القفطان أحمد أغا باش جاووش الى ان وصلوا الى باب السلام ودخلوا المسجد الحرام وفتحت الكعبة فجيء الى الحطيم فوجدوا القاضي والمفتي والعلماء وأعيان الناس وسائر أرباب المناصب والوظائف كلا في محله على جاري عادته فألبس مولانا الشريف عبد الكريم القفطان السلطاني بالفرو السمور وألبس هو أغاة القفطان فروا سمورا وألبس كيخية سليمان باشا فروا سمورا وهكذا بقية أهل المناصب ألبس كلا ما هو المعتاد وقرئ الامر السلطاني

حيث أصبح مثل خراسان وعراق العجم وغيرهما سائبا لا مانع له ولا سلطان يدفع عنه والعدو يجوس البلاد يأخذ ما اراد ويترك ما اراد على انهم لم يبقوا على مدينة الا خربوها كلما مروا عليه نهبوه وما لا يصلح لهم احرقوه فكانوا يجمعون الابريسم تلالا ويلقونه فى النار وكذلك غيره من الامتعة

❁ ذكر تملك التتر مراغة ❁

فى صفر سنة ثمان عشرة وستمائة تملك التتر مدينة مراغة من اذربيجان وسبب ذلك انا ذكرنا سنة سبع عشرة وستمائة ما فعله التتر بالكرج وانقضت تلك السنة وهم فى بلاد الكرج فلما دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة ساروا من ناحية الكرج لانهم رأوا ان بين ايديهم شوكة قوية ومضايق تحتاج الى قتال وصداع فعدلوا عنهم وهذه كانت عادتهم اذا قصدوا مدينة ورأوا عندها امتناعا عدلوا عنها فوصلوا الى تبريز وصانعهم صاحبها بمال وثياب ودواب فساروا عنه الى مدينة مراغة فحصروها وليس بها صاحب يمنعها لان صاحبها كانت امرأة وهى مقيمة بقلعة رويندز وقال قال النبى صلى الله عليه وسلم لن يفلح قوم ولوا امرهم امرأة * فلما حصروها قاتلهم اهلها فنصبوا عليها المجانيق وزحفوا اليها وكانت عادتهم اذا قاتلوا مدينة قدموا من معهم من اسارى المسلمين بين ايديهم يزحفون ويقاتلون فان عادوا قتلوهم فكانوا يقاتلون من امامهم كرها وكانوا كما قيل كالاشقر ان تقدم ينحر وان تأخر يعقر وكان التتر يقاتلون وراء المسلمين فيكون القتل اولا فى المسلمين الاسارى وهم بنجوة منه فأقاموا على المدينة عدة ايام ثم ملكوها عنوة وقهرا رابع صفر ووضعوا السيف فى اهلها فقتل منها ما يخرج عن الحد والاحصاء ونهبوا كل ما صلح لهم وما لا يصلح لهم احرقوه واختفى بعض الناس عنهم وكانوا يأخذون الاسارى ويقولون لهم نادوا فى الدروب ان التتر قد رحلوا فاذا نادى اولئك خرج من اختفى فيؤخذ ويقتل قال ابن الاثير وبلغنى ان امرأة من التتر دخلت دارا وقتلت جماعة من اهلها وهم يظنونها رجلا فوضعت السلاح واذا هى امرأة فقتلها رجل اخذته اسيرا قال وسمعت من بعض اهل مراغة ان رجلا من التتر دخل دربا فيه مائة رجل فما زال يقتلهم واحدا واحدا حتى افناهم ولم يمد احد منهم يده اليه بسوء ووضعت الذلة على الناس فلا يدفعون عن نفوسهم قليلا ولا كثيرا نعوذ بالله من الخذلان ثم رحلوا من مراغة قاصدين نحو مدينة اربل قال ووصل الخبر الينا بذلك فى الموصل فخفنا حتى ان بعض الناس هم بالجلاء خوفا من السيف وجاءت كتب مظفر الدين صاحب اربل الى بدر الدين صاحب الموصل يطلب منه نجدة من العساكر فسير جمعا صالحا من عسكره وأراد ان يمضى الى طرف بلاده من جهة التتر ويحفظ المضايق لئلا يجوزها احد فانها جميعها جبال وعرة ومضايق لا يقدر ان يجوزها الا الفارس بعد الفارس ويمنعهم من الجواز اليه ووصلت كتب الخليفة الناصر ورسله الى الموصل والى مظفر الدين يأمر الجميع بالاجتماع مع عساكره بمدينة دقوقا ليمنعوا التتر فانهم ربما عدلوا عن جبال اربل لصعوبتها الى هذه الناحية ويطرقون العراق فسار مظفر الدين من اربل فى صفر وسار اليهم جمع من عسكر الموصل وتبعهم من المتطوعة كثير وارسل الخليفة أيضا للملك الاشرف

وكان القارئ له الشيخ عباس المنوفى ومضمونه بعد المدح والثناء الوصية على السادة الاشراف وبقية الرعايا والحجاج والتجار والمجاورين والوافدين وأنا قد عزلنا الشريف سعيدا عن شرافة مكة لموجب ما رفع الينا من عبد اعتابنا سليمان باشا بجميع ما صار فى الحرمين الشريفين من الشريف سعيد من الشقاق وعدم الوفاق بينه وبين بنى عمه السادة الاشراف وانا قد ولينا وأنعمنا على الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بشرافة مكة المشرفة على ما هو مسطور فى مرسومنا العالى لموجب ما تحققنا ان الرعايا والسادة الاشراف راضون عنه والحذر من مخالفته والخروج عن طاعته وان يعمل كل بما هو مذكور فى مرسومنا البادشاه المطاع فى سائر البقاع على الوجه الشرعى من غير مخالفة ولا نزاع ثم طلع مصطفى أفندى ديوان كاتب وقرأ نفس الامر الوارد ثم بعد ذلك قرئت أوامر الصنجق ايواز بيك المتضمنة انا قد أنعمنا على أيواز بيك بولاية بندر جدة ومشيخة الحرم الشريف وألبس الصنجق القفطان السلطانى الوارد صحبة الاغاة وألبس هو أغاة القفطان فروا سمورا ثم ان مولانا الشريف توجه الى داره السعيدة وجلس للتهنئة فطلع اليه الناس وهنؤه وباركوا له بالشرافة

يأمره بالحضور بنفسه فى عساكره ليجتمع الجميع على قصد التتر وقتالهم فاتفق ان الملك المعظم ابن الملك العادل وصل من دمشق الى اخيه الاشرف يستنجده على الفرنج الذين بمصر وطلب منه ان يحضر بنفسه ليسيروا كلهم الى مصر يستنقذوا دمياط من الفرنج فاعتذر الملك الاشرف الى الخليفة بأخيه وقوة الفرنج وان لم يتداركها خرجت هى وغيرها وشرع يتجهز للمسير الى الشام ليدخل مصر ففعل ذلك واستنقذوا دمياط كما ذكرناه فيما سبق فلما اجتمع مظفر الدين والعساكر بدقوقا سير الخليفة اليهم مملوكه قشتمر وهو أكبر امير بالعراق ومعه غيره من الامراء فى نحو ثمانمائة فارس فاجتمعوا هناك ليتصل بهم باقى عسكر الخليفة وكان المقدم على الجميع مظفر الدين فلما رأى قلة العسكر لم يقدم على قصد التتر وحكى مظفر الدين قال لما ارسل الى الخليفة فى معنى قصد التتر قلت له ان العدو قوى وليس لى من العسكر ما ألقاه به فان اجتمع معى عشرة آلاف فارس استنقذت ما اخذ من البلاد فأمرنى بالمسير ووعدنى بوصول العسكر فلما سرت لم يحضر عندى غير عدد لم يبلغوا ثمانمائة طواشى فأقمت وما رأيت المخاطرة بنفسى وبالمسلمين ولما سمع التتر باجتماع العساكر لهم رجعوا القهقرى ظنا منهم ان العسكر يتبعهم فلما لم يروا احدا يطلبهم أقاموا وأقام العسكر الاسلامى عند دقوقا فلما لم يروا ان العدو يقصدهم ولا المدد يأتيهم تفرقوا وعادوا الى بلادهم

ذكر ملك التتر همذان وقتل أهلها

وهمذان بفتح الميم وبالذال المعجمة بعدها الف ونون اسم مدينة بناها همذان بن الفلوج ابن سام بن نوح واما همدان بسكون الميم وبالدال المهملة بعدها الف ونون فاسم قبيلة باليمن لما تفرق العسكر الاسلامى عاد التتر الى همذان فنزلوا بالقرب منها وكان لهم بها شحنة اى حاكم يحكم فيها فأرسلوا اليه يأمرونه ليطلب من اهلها مالا وثيابا وكانوا قد استنقذوا اموالهم فى طول المدة وكان رئيس همذان شريفا علويا وهو من بيت رياسة قديمة لهذه المدينة وهو الذى يسعى فى امور اهل البلد من التتر ويوصل اليهم ما يجمعه من الاموال فلما طلبوا الآن منهم المال لم يجد اهل همذان ما يحملونه اليهم فحضروا عند الرئيس ومعه انسان فقيه قد قام فى اجتماع الكلمة على الكفار قياما مرضيا فقالوا لهما هؤلاء الكفار قد أفنوا اموالنا ولم يبق لنا ما نعطيهم وقد هلكنا من اخذهم اموالنا وما يفعله النائب عنهم بنا من الهوان وكانوا قد جعلوا بهمذان شحنة لهم يحكم فى أهلها باختياره فقال الشريف اذا كنا نعجز عنهم فكيف الحيلة فليس لنا الا مصانعتهم بالأموال فقالوا له انت أشد علينا من الكفار وأغلظوا له فى القول فقال أنا واحد منكم فاصنعوا ما شئتم فأشار الفقيه باخراج شحنة التتر من البلد والامتناع فيه ومقاتلة التتر فوثب العامة على الشحنة فقتلوه وامتنعوا فى البلد فتقدم التتر اليهم وحصروهم وكانت الاقوات متعذرة فى تلك البلاد جميعها لخرابها وقتل أهلها وجلاء من سلم منهم فلا يقدر احد على الطعام الا قليلا وأما التتر فلا يبالون بعدم الاقوات لانهم لا يأكلون الا اللحم من اى حيوان كان ولو من الحشرات والوحوش وبنى آدم ولا تأكل دوابهم الا نبات الارض حتى أنها تحفر بحوافرها الارض عن عروق النبات فتأكلها فلما حصروا همذان قاتلهم أهلها والرئيس والفقيه فى اوائلهم

و مدحه الادباء وهنؤه بالقصائد الفائقة ونودى له فى البلد وبالزينة سبعة أيام وحصل بذلك السرور التام للخاص والعام وهذه الولاية الثالثة للشريف عبد الكريم وفى يوم الخميس ثامن شعبان أرسلوا الامر الوارد للشريف سعيد صحبة السيد دخيل الله بن جود وأبى نمى ابن باز ومعهم كتخدا أغاة القفطان واثنان من صر امجة صر فقصدوا الشريف سعيدا جهة الشرفية وقرؤه عليه ومضمونه انا قد عزلناك وولينا الشريف عبد الكريم وهيأنا لك ما يكفيك بمصر كل يوم ألف ديوانى وجميع ما تنفقه من مكة الى مصر المحروسة وما تحتاج اليه تعطاه من خزينتنا فلما فهم مضمون الامر ما استحسن ذلك وتوجه الى جهة اليمن هو ومن معه ورجع المراسيل من عنده وعرفوا الشريف عبد الكريم والصنجق وأغاة القفطان بالواقع ثم نزل الى جدة كتخدا ابو ازبيك وتسلم البندر وطلع الى مكة سليمان باشا بحريمه وفى ثانى عشر شعبان عقد مجلسا مولانا الشريف عبد الكريم جمع فيه السادة الاشراف وسليمان باشا وشيخ الحرم ابو ازبيك وقاضى الشرع والمفتيين والعلماء وأغاة القفطان وأغاوات العسكر وكثيرا من الناس فلما اجتمعوا تكلم مولانا الشريف مع السادة الاشراف وشرط عليهم

(يتبع)

فقتل من التتر خلق كثير وجرح الفقيه عدة جراحات وافترقوا ثم خرجوا من الغد فاقتتلوا أشد من القتال الأول وقتل أيضا من التتر أكثر من اليوم الأول وجرح الفقيه أيضا عدة جراحات وهو صابر وأرادوا أيضا الخروج في اليوم الثالث فلم يطق الفقيه الركوب وطلب الناس الرئيس العلوى فلم يجدوه وكان قد هرب في سرب صنعه الى ظاهر البلد هو وأهله الى قلعة هناك على جبل عال فامتنع فيها فلما فقده الناس بقوا حيارى لايدرون مايصنعون الا أنهم اجتمعت كلمتهم على القتال الى ان يموتوا فأقاموا في البلد ولم يخرجوا منه وكان التتر قد عزموا على الرحيل لكثرة من قتل منهم فلما لم يروا أحدا خرج اليهم من البلد طمعوا واستدلوا بذلك على ضعف أهله فقصدوهم وقاتلوهم وذلك في رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة ودخلوا المدينة بالسيف وقاتلهم الناس في الدروب فبطل السلاح للزحمة واقتتلوا بالسكاكين فقتل من الفريقين مالايحصيه الا الله تعالى وقوى التتر على المسلمين فأفنوهم قتلا ولم يسلم الا من كان عمل نفقا يختفي فيه وبقى القتل في المسلمين عدة ايام ثم القوا النار في البلد فأحرقوه ورحلوا عنها الى مدينة اردويل وكان السبب في ملكها اعني همذان ان أهل البلد لما شكوا الى الرئيس الشريف مايفعل بهم الكفار عليهم بمكاتبة الخليفة لينفذ اليهم عسكرا مع أمير يجمع كلمتهم فاتفقوا على ذلك فكتب الى الخليفة ينهى اليه ماهم عليه من الخوف والذل وما يركبهم به العدو من الصغار والخزى ويطلب نجدة ولو الف فارس مع امير يقاتلون معه ويجتمعون عليه فلما سار القصاد بالكتب أرسل بعض من علم بالحال الى التتر يعلمهم ذلك فأرسلوا الى الطريق فأخذوهم واخذوا الكتب منهم وارسلوها الى الرئيس ينكرون عليه الحال فجحد فأرسلوا اليه كتبه وكتب الجماعة فسقط في ايديهم وتقدم اليهم التتر حينئذ وقاتلوهم وجرى القتال كما ذكرنا الى ان ملكوهم

ذكر مسير التتر الى اذربيجان وملكهم اردويل وغيرها

لما فرغ التتر من همذان ساروا الى اذربيجان فوصلوا الى اردويل فملكوها وقتلوا فيها واكثروا القتل وخربوا اكثرها وساروا منها الى تبريز وكان قد قام بأمرها شمس الدين الطغرائى وجمع كلمة اهلها وقد فارقها صاحبها اوزبك بن البهلوان وكان اميرا متخلفا لايزال منهمكا في الخمر ليلا ونهارا يبقى الشهر والشهرين لايظهر واذا سمع هيعة طار بجفلالها وله جميع اذربيجان واران وهو اعجز خلق الله عن البلاد من عدو يريدها ويقصدها فلما سمع بمسير التتر من همذان فارق هو تبريز وقصد نقجوان وسير اهله ونساءه الى خوى ليبعد عنهم فقام هذا الطغرائى بأمر البلد وجمع الكلمة وقوى نفوس الناس على الامتناع وحذرهم عاقبة التخاذل والتوانى وحصن البلد بجهده وطاقته فلما قاربه التتر وسمعوا بما اهل البلد عليه من اجتماع الكلمة على قتالهم وانهم قد حصنوا المدينة وأصلحوا السور والخندق أرسلوا يطلبون منهم مالا وثيابا فاستقر الامر بينهم على قدر معلوم من ذلك فسيروه اليهم فأخذوه ورحلوا الى مدينة سراو فنهبوها وقتلوا كل من فيها ورحلوا منها الى بيلقان من بلاد اران فنهبوا كل مامروا به من البلاد والقرى وخربوا وقتلوا من ظفروا به من أهلها فلما وصلوا الى بيلقان حصروها فاستدعى أهلها منهم رسولا يقررون معه الصلح فأرسلوا اليهم رسولا من اكابرهم ومقدميهم فقتله أهل البلد فزحف التتر اليهم وقاتلوهم ثم انهم ملكوا البلد عنوة في شهر رمضان سنة ثمان عشرة ووضعوا

شروطا فقال يارفاق قد شاهدتم ماوقع من التعب والشقاق وعدم الوفاق حتى آل الامر الى الحرب والقتال وتعبنا نحن والرعايا وعمت الفتن وأصيب فيها الغنى والفقير وذهب بسببها الاموال والرجال ومضى على هذا الحال زمن والكل منكم تحقق ماصار وشاهده بالعيان والموجب لهذا الشقاق كله زيادة المعاليم الخارجة عن المعتاد التى يعجز عن تحصيلها العباد والبلاد فكل ماثبت ولى يحصل بينكم وبينه التعب والمشقة بسبب المعلوم فالقصد منكم ان تنظروا في مدخول البلاد وتوزعوه أرباعا فثلاثة أرباعه تكون بينكم والربع لى ولجماعتى وعسكرى ومهمات البلد وان كان فيكم من يقدر على القيام والوفاء بالمعلوم الذى كان في زمن الشريف سعيد والقيام به فليتقدم وأنا أنزل له عن الشرافة وأكون كواحد منكم وطلب منهم الجواب فانتدب السيد محمد بن أحمد شيخ ذوى عبد الله وقال قد سمعتم ماقاله الشريف لكم فأجيبوه بما في نفوسكم فأجابوا جميعا بقولهم رضينا بذلك فسجل القاضى ماسمعه من رضاهم في المجلس وكتب عليهم بموجبه حجة شرعية ثم التفت اليهم الوزير سليمان باشا وقال لهم أنا متوجه الى الاعتاب العلية فاذا وصلت ان شاء الله بالسلامة اجتهدت

السيف فلم يبقوا على صغير ولا كبير ولا امرأة حتى انهم يشقون بطون الحبالى ويقتلون
الاجنة وكانوا يفجرون بالمرأة ثم يقتلونها وكان الانسان منهم يدخل الدرب فيه الجماعة
فيقتلهم واحدا بعد واحد حتى يفرغ من الجميع لا يمد احد منهم اليه يدا فلما فرغوا منها
استقصوا ما حولها من النهب والتخريب وساروا الى مدينة كنجة وهي ام بلاد اران فعلموا
بكثرة اهلها وشجاعتهم لكثرة دربتهم بقتال الكرج وحصانتها فلم يقدموا عليها فأرسلوا
الى اهلها يطلبون منهم المال والثياب فحملوا اليهم ما طلبوا فساروا عنهم

❊ ذكر وصول التتر الى بلاد الكرج ❊

لما فرغ التتر من بلاد المسلمين بأذربيجان واران بعضه بالتملك وبعضه بالصلح ساروا الى بلاد
الكرج من هذه الاعمال أيضا وكان الكرج قد أعدوا لهم واستعدوا وسيروا جيشا كبيرا الى طرف
بلادهم ليمنعوا التتر عنها فوصل اليهم التتر فالتقوا فلم يثبت الكرج بل ولوا منهزمين فأخذهم
السيف فلم يسلم منهم الا الشريد قال ابن الاثير ولقد بلغني انهم قتل منهم نحو ثلاثين ألفا
ونهبوا ما وصلوا اليه من بلادهم وخربوها وفعلوا بها ما هو عادتهم فلما وصل المنهزمون
الى تفليس وبها ملكهم جمع جموعا أخرى وسيرهم الى التتر أيضا ليمنعوهم من توسط بلادهم
فرأوا التتر وقد دخلوا البلاد لم يمنعهم جبل ولا مضيق ولا غير ذلك فلما رأوا فعلهم عادوا الى
تفليس فأخذوا البلاد ففعل التتر فيها ما أرادوا من النهب والقتل والتخريب ورأوا بلادا
كثيرة المضايق والدربندات فلم يتجاسروا على الوغول فيها فعادوا منها وداخل الكرج
منهم خوف عظيم قال ابن الاثير حتى سمعت عن بعض اكابر الكرج وكان قدم رسولا انه
قال من حدثكم ان التتر انهزموا أو أسروا فلا تصدقوه واذا حدثتم انهم قتلوا فصدقوا
فان القوم لا يفرون أبدا ولقد اخذنا اسيرا منهم فألقى نفسه من الدابة وضرب رأسه بالحجر
الى ان مات ولم يسلم نفسه للاسر

❊ ذكر وصولهم الى دربند شروان وما فعلوه ❊

لما عاد التتر من بلاد الكرج قصدوا دربند شروان فحصروا مدينة شماخي وقاتلوا اهلها فصبروا
على الحصر ثم ان التتر صعدوا سورها بالسلاليم وقيل بل جمعوا كثيرا من الجمال والبقر
والغنم وغير ذلك ومن قتلى الناس منهم وممن قتل من غيرهم وألقوا بعضه فوق بعض فصار
مثل التل وصعدوا عليه فأشرفوا على المدينة وقاتلوا اهلها فصبروا تلك الليلة فأنتنت تلك
الجيف وانهضمت فلم يبق للتتر على السور استعلاء ولا تسلط على الحرب فعاودوا الزحف
وملازمة القتال فضجر أهلها ومسهم التعب والكلال والاعياء فضعفوا فملك التتر البلد وقتلوا
فيه كثيرا ونهبوا الاموال واستباحوها فلما فرغوا منه ارادوا عبور الدربند فلم يقدروا على
ذلك فأرسلوا رسولا الى شروان شاه ملك دربند شروان يقولون له ليرسل اليهم رسولا
ليسعى بينهم في الصلح فأرسل عشرة رجال من اعيان اصحابه فأخذوا أحدهم فقتلوه ثم قالوا
للباقين ان انتم عرفتمونا طريقا نعبر فيه فلكم الامن وان لم تفعلوا قتلناكم كما قتلنا هذا فقالوا
لهم ان هذا الدربند ليس فيه طريق البتة ولكن فيه موضع هو اسهل ما فيه من الطرق فساروا
معهم الى ذلك الطريق فعبروا فيه وخلفوا الدربند وراء ظهورهم

(ذكر)

لكم فيما يعود به النفع عليكم وانفض المجلس وفي غرة شهر رجب توجه الامير ايواز بيك الى حضرة
الشريف وطلب انعقاد
مجلس فأحضر له الشريف
معظم من تقدم ذكرهم
ثم ادعى أيواز بيك على
الانكشارية بجميع ما وقع
عليه من الحصار والنهب
في زمن الشريف سعيد
وأثبت ذلك عليهم وكتب
حجة بعصيانهم ثم أنهم خافوا
العقاب من السلطنة
فدخلوا على حضرة
الشريف والقاضي وطلبوا
العفو من الصنجق فعفا
عنهم وفي رابع عشر
رمضان أمر الشريف بشنق
أحد عشر رجلا من هذيل
من بني مسعود فعلقوا
خمسة في سوق الصغير
واثنين في المسعى عند البزابيز
واثنين في المدعى واثنين
في سوق المعلى والسبب في
شنقهم أنهم تعرضوا المورق
لمولانا الشريف في طريق
جدة بالمحل المعروف بأبي
الدود فأخذوه وضربوه
فرجع المورق وأخبر بما صار
عليه فأرسل الشريف خيلا
وأرسل معهم السيد عبد الله
ابن بركات فأخذوا أثرهم
وقصوا جرتهم الى أن
وصلوا الى مراح هؤلاء
المشنوقين فأدركوهم
هنالك وتراموا معهم بالبندق
ثم ظفروا بهم وأمسكوا منهم
هؤلاء الاحد عشر ومن بقي منهم فر الى الجبال وفي ثامن شوال نزل ايواز بيك الى جدة وفي النصف من شوال

﴿ ذكر مافعلوه باللان وقفجاق ﴾

لما عبر التتر دربند شروان ساروا في تلك الاعمال وفيها امم كثيرة منهم اللان واللكز وطوائف من الترك فنهبوا وقتلوا من اللكز كثيرا وهم مسلمون وكفار واوقعوا بمن عداهم من أهل تلك البلاد ووصلوا الى اللان وهم امم كثيرة وقد بلغهم خبرهم فجدوا وجمعوا عندهم جمعا من قفجاق فقاتلوهم فلم تظفر احدى الطائفتين بالاخرى فأرسل التتر الى قفجاق يقولون نحن وانتم جنس واحد وهؤلاء اللان ليسوا منكم حتى تنصروهم ولا دينكم مثل دينهم ونحن نعاهدكم اننا لا نتعرض اليكم ونحمل اليكم من الاموال والثياب ماشئتم وتتركوا بيننا وبينهم فاستقر الامر بينهم على مال حملوه وثياب وغير ذلك فحملوا اليهم ما استقر وفارقهم قفجاق فأوقع التتر باللان فقتلوا منهم واكثروا ونهبوا وسبوا وساروا الى قفجاق وهم آمنون متفرقون لما استقر بينهم من الصلح فلم يسمعوا بهم الا وقد طرقوهم ودخلوا بلادهم فأوقعوا بهم الأول فالأول واخذوا منهم اضعاف ما حملوا اليهم وسمع من كان بعيد الدار من قفجاق الخبر ففروا من غير قتال وابعدوا فمنهم من اعتصم بالغياض ومنهم من اعتصم بالجبال ومنهم من لحق ببلاد الروس وأقام التتر في بلاد قفجاق وهي ارض كثيرة المراعي في الشتاء والصيف وفيها أماكن باردة في الصيف كثيرة المرعى واماكن حارة في الشتاء كثيرة المرعى وهي غياض على ساحل البحر ووصلوا الى مدينة سوداق وهي مدينة قفجاق التي منها مادتهم فانها على بحر خزرية والمراكب تصل اليها وفيها الثياب فتشترى منهم وتبيع عليهم الجواري والمماليك والبرطاس والقندر والسنجاب وغير ذلك مما هو في بلادهم وبحر خزرية هذا متصل بخليج القسطنطينية ولما وصل التتر الى سوداق ملكوها وقتلوا أهلها وتفرق أهلها الذين سلموا من القتل فمنهم من صعد الجبال بأهله وماله ومنهم من ركب البحر وسار الى بلاد الروم التي بيد المسلمين من أولاد قلج ارسلان السلجوقي

﴿ ذكر مافعله التتر بقفجاق والروس ﴾

لما استولى التتر على ارض قفجاق وتفرق أهل قفجاق كما ذكرنا سار طائفة كثيرة منهم الى بلاد الروس وهي بلاد كثيرة طويلة عريضة تجاورهم وأهلها يدينون بالنصرانية فلما وصلوا اليهم اجتمعوا كلهم واتفقت كلمتهم على قتال التتر ان قصدوهم واقام التتر بمدينة قفجاق مدة ثم انهم ساروا سنة عشرين وستمائة الى بلاد الروس فسمع الروس بقفجاق وخبرهم وكانوا مستعدين لقتالهم فساروا الى طريق التتر ليلقوهم قبل ان يصلوا الى بلادهم ليمنعوهم عنها فبلغ مسيرهم التتر فعادوا على أعقابهم راجعين فطمع الروس وقفجاق فيهم وظنوا انهم عادوا خوفا منهم وعجزا عن قتالهم فجدوا في اتباعهم ولم يزل التتر راجعين وأولئك يقفون أثرهم اثني عشر يوما ثم ان التتر عطفوا على الروس وقفجاق فلم يشعروا بهم الا وقد لقوهم على غرة منهم لانهم كانوا قد أمنوا التتر واستشعروا القدرة عليهم فلم يجتمعوا للقتال الا وقد بلغ التتر منهم مبلغا عظيما فصبر الطائفتان صبرا لم يسمع بمثله ودام القتال بينهم عدة ايام ثم ان التتر ظفروا واستظهروا فانهزم قفجاق والروس هزيمة عظيمة بعد ان اثخن فيهم التتر وكثر القتل في المنهزمين فلم يسلم منهم الا القليل ونهب جميع ما معهم ومن سلم وصل الى البلاد

وردت أخبار من اليمن بأن الشريف سعيدا وصل القنفذة وتعرض لبعض الجلاب الواصلة من اليمن وأخذ ما فيها وأنه اجتمع معه من العربان نحو خمسة آلاف مقاتل وقصده يدخل بهم مكة فلما بلغ الشريف عبد الكريم ذلك شرع في جمع القبائل وأرسل اليهم بعض الاشراف يأتيهم فاجتمع عنده من كل قبيلة خلق كثير ثم ذهب بنفسه عند القاضي وجمع المفتين وبعض العلماء وأغاوات العسكر وقال لهم تحيطون علما أن الشريف سعيدا جمع أشقياء العرب المفسدين البغاة وقصده أن يدخل بهم مكة بلاد السلطان ويحاربنا فما تقولون فأجابوا جميعهم نحن تحت الطاعة للسلطان وتحت أمرك وقد كنا عند الوزير سليمان باشا وأخبرنا بمثل هذا فأجبنا بالسمع والطاعة وليس فينا من يخرج عن الامر فقال لهم الشريف ان قصدي اقامة أحد اخواني بمكة فتكونوا جميعا تحت طاعته فتحفظوا أنفسكم ومن يلوذ بكم من الفساد وتجتهدوا في محافظة العباد والبلاد وأنا خارج لمقابلته خارج البلد فأجابوا جميعا نحن في خدمتك وتحت أمرك وامر السلطان ثم طلب منهم جماعة يمشون معه من العسكر فأعطوه مطلوبه وقرؤا الفاتحة وتفرقوا وفي عاشر ذي القعدة برز

على أقبح صورة لبعد الطريق والهزيمة وتبعهم كثير يقتلون وينهبون ويخربون البلاد حتى خلا كثير ها فاجتمع كثير من اعيان تجار الروس واغنيائهم وحملوا مايعز عليهم وساروا يقطعون البحر الى بلاد الاسلام فى عدة مراكب فلما قاربوا المرسى الذى يريدونه انكسر مركب من مراكبهم فغرق الا ان الناس نجوا وكانت العادة جارية ان السلطان له المركب الذى ينكسر فأخذ من ذلك شيأ كثيرا وسلم باقى المراكب واخبر من بها بهذا الحال

﴿ ذكر عود التتر من بلاد قفجاق والروس الى ملكهم ﴾

لما فعل التتر بالروس ماذكرناه ونهبوا بلادهم عادوا عنها وقصدوا بلغار أواخر سنة عشرين وستمائة فلما سمع اهل بلغار بقربهم منهم كمنوا لهم فى عدة مواضع وخرجوا اليهم فلقوهم واستجروهم الى ان جاوزوا موضع الكمناء فخرجوا عليهم من وراء ظهورهم وأخذهم السيف من كل ناحية فقتل اكثرهم ولم ينج منهم الى القليل فساروا الى سقسين عائدين الى ملكهم جنكزخان وخلت ارض قفجاق منهم فعاد من سلم من قفجاق الى بلادهم وكان الطريق منقطعا منذ دخلها التتر فلم يصل منهم شئ من البرطاس والسنجاب والقندر وغيرها مما يحمل الى تلك البلاد فلما فارقها التتر وعاد القفجاق اليها اتصل الطريق وحملت الامتعة كما كانت هذه أخبار التتر المغربة ذكرناها سياقة واحدة لئلا تتقطع

﴿ ذكر ما فعله التتر بما وراء النهر بعد بخارى وسمرقند ﴾

قد ذكرنا ما فعله التتر المغربة التى سيرها ملكهم جنكزخان لعنه الله الى خوارزم شاه وأما جنكزخان فانه بعد أن سير هذه الطائفة الى خوارزم شاه وبعد انهزام خوارزم شاه من خراسان قسم اصحابه عدة أقسام سير قسما منها الى بلاد فرغانة ليملكوها وسير قسما آخر الى ترمذ وسير قسما آخر منها الى كلانة وهى قلعة حصينة على جانب جيحون من أحصن القلاع وأمنع الحصون فسارت كل طائفة الى الجهة التى أمرت بقصدها ونازلتها واستولت عليها وفعلت من القتل والاسر والسبى والنهب والتخريب وأنواع العذاب مثل ما فعل اصحابهم فلما فرغوا من ذلك عادوا الى ملكهم جنكزخان وهو بسمرقند فجهز جيشا آخر فعبروا جيحون الى خراسان

﴿ ذكر ملك التتر خراسان ﴾

لما سار الجيش المنفذ الى خراسان عبروا جيحون وقصدوا مدينة بلخ فطلب اهلها الامان فأمنوهم فسلم البلد وكان ذلك سنة سبع عشرة وستمائة ولم يتعرضوا اليه بنهب ولاقتل بل جعلوا فيه شحنة وساروا وقصدوا الزوزان وميمند واندخوى وقاريات فملكوا الجميع وجعلوا فيه ولاة ولم يتعرضوا الى أهلها بسوء ولااذى سوى انهم كانوا يأخذون الرجال ليقاتلوا بهم من يمتنع عليهم حتى وصلوا الى الطالقان وهى ولاية تشتمل على عدة بلاد وفيها قلعة حصينة يقال لها منصور كوه لاترام علوا وارتفاعا وبها رجال يقاتلون شجعان فحصروها مدة ستة شهر يقاتلون أهلها ليلا ونهارا ولايظفرون منها بشئ فأرسلوا الى جنكزخان يعرفونه عجزهم عن ملك هذه القلعة لكثرة مافيها من المقاتلة ولامتناعها بحصانتها فسار بنفسه وبمن عنده من جموعه اليهم وحصرها ومعه خلق كثير من المسلمين

الشريف بعسكره عند بركة ماجن وخرج اليه جميع العربان الذين تجمعوا وخرج أيضا الوزير سليمان باشا بعسكره ثم توجهوا الى الحسينية وجاءهم الخبر أن الشريف سعيدا ومن معه نزلوا الشرفية ثم انتقل الى أن وصل العابدية فأرسل اليه الشريف عبد الكريم السيد دخيل الله بن جود وعرفه أن هذا الفعل ليس بصواب وان مجيئك بهؤلاء القوم كلاب الحجاز ماترضى به السلطنة والاولى أن تحقن دماء المسلمين وترجع بهم من حيث جئت فما التفت لهذا الكلام لان قومه كانوا فى غاية الكثرة فاغتر بهم فرجع السيد دخيل الله وأخبر الشريف عبد الكريم بما سمعه من الشريف سعيد فالتقى الجمعان ووقع الرمى بينهم ساعة ثم رميت المدافع التى مع الشريف عبد الكريم فارتجت العربان الذين كانوا مع الشريف سعيد من صوتها ورجعوا القهقرى وتحصنوا رؤس الجبال وركضت عليهم خيل الشريف عبد الكريم والباشا فانهزموا وركب خلفهم الشريف عبد الكريم بعسكره الى ان نزل جهة مسجد نمرة ونزل الباشا بعسكره بعرفة وباتوا تلك الليلة ولما اصبحوا شرعوا فى الحرب ووقع بينهم الرمى بالبندق من بعد وفى هذا اليوم وصل الامير ايواز بيك بعسكره من جدة وحضر الحرب فوقعت مقتلة عظيمة

اسرى فأمرهم بمباشرة القتال والا قتلهم فقاتلوا معه وأقام عليها اربعة أشهر اخرى فقتل
من التتر عليها خلق كثير فلما رأى ملكهم ذلك أمر أن يجمع له من الحطب والاخشاب ما أمكن
جمعه ففعلوا ذلك وصاروا يعملون صفا من خشب وفوقه صفا من تراب فلم يزالوا كذلك
حتى صار تلا عاليا يوازى القلعة فاجتمع من بها وفتحوا بابها وخرجوا منها وحملوا حملة
رجل واحد فسلم الخيالة منهم ونجوا وسلكوا تلك الجبال والشعاب ونجوا واما الرجالة
فقتلوا ودخل التتر القلعة وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الاموال والامتعة ثم ان جنكزخان
جمع اهل البلاد الذين اعطاهم الامان ببلخ وغيرها وسيرهم مع بعض اولاده الى مدينة مرو
فدخلوا اليها وقد اجتمع بها من الاعراب والاتراك وغيرهم ممن نجا من المسلمين ما يزيد على
مائتى ألف رجل وهم معسكرون بظاهر مرو وهم عازمون على لقاء التتر ويحدثون نفوسهم
بالغلبة لهم والاستيلاء عليهم فلما وصل التتر اليهم التقوا واقتتلوا وصبر المسلمون واما التتر
فلا يعرفون الهزيمة حتى ان بعضهم اسر فقال وهو عند المسلمين ان قيل ان التتر يقتلون
فصدقوا وان قيل انهم ينهزمون فلا تصدقوا فلما رأى المسلمون صبر التتر واقدامهم ولوا
منهزمين فقتل التتر منهم واسروا الكثير ولم يسلم الا القليل ونهبت اموالهم وسلاحهم
ودوابهم وأرسل التتر الى ما حولهم من البلاد يجمعون الرجال لحصار مرو فلما اجتمع لهم ما
أرادوا تقدموا الى مرو وحصروها وجدوا فى حصرها ولازموا القتال وكان أهل البلد
قد ضعفوا بانهزام ذلك العسكر وكثرة القتل والاسر فيهم فلما كان اليوم الخامس من نزولهم
أرسل التتر الى الامير الذى بها متقدما على من فيها يقولون له لا تهلك نفسك وأهل البلد
واخرج الينا فنحن نجعلك امير هذه البلد ونرحل عنك فأرسل يطلب الامان لنفسه ولاهل
البلد فأمنهم فخرج اليهم فخلع عليه ابن جنكزخان واحترمه وقال له اريد ان تعرض على
اصحابك حتى ننظر من يصلح لخدمتنا استخدمناه وأعطيناه اقطاعا ويكون معنا فلما حضروا
عنده وتمكن منهم قبض عليهم وعلى اميرهم وكتفوهم فلما فرغ منهم قال اكتبوا لى تجار
البلد ورؤساءه وارباب الاموال فى جريدة واكتبوا لى ارباب الصناعات والحرف فى
نسخة اخرى واعرضوا ذلك علينا ففعلوا ما أمرهم فلما وقف على النسخ أمر ان يخرج
أهل البلد منه بأهلهم فخرجوا كلهم ولم يبق فيه احد فجلس على كرسى من ذهب وأمر
ان يحضر اولئك الاجناد الذين قبض عليهم فأحضروا وضربت اعناقهم صبرا والناس
ينظرون اليهم ويبكون واما العامة فانهم قسموا الرجال والنساء والاطفال والاموال فكان
يوما مشهودا من كثرة الصراخ والبكاء والعويل وأخذوا ارباب الاموال فضربوهم
وعذبوهم بأنواع العقوبات فى طلب الاموال فربما مات أحدهم من شدة الضرب ولم يكن
بقى له ما يفتدى به نفسه ثم أنهم احرقوا البلد واحرقوا تربة السلطان سنجر السلجوقى ونبشوا
القبور طلبا للمال فبقوا كذلك ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع أمر بقتل أهل البلد كافة وقال
هؤلاء عصوا علينا فقتلوهم أجمعين وأمر باحصاء القتلى فكانوا نحو سبعمائة الف قتيل
فيهم العلماء والصلحاء والزهاد والعباد كما كان مثل ذلك من التتر المرة فيما أخذوه من البلاد
كما تقدم فانا لله وانا اليه راجعون مما جرى على المسلمين وسبحان من يدبر ملكه كيف يشاء

فانهزم الشريف سعيد ومن معه وتركوا ما وصلوا به من مال وجمال وبقر وحمير وغير ذلك من الذخائر
فغنم من كان مع الشريف عبد الكريم وصار الناس يأتون بالكسب الى مكة فوجا بعد فوج ووصل البشير الى مكة فحصل به السرور وألبسه قائم مقام الشريف عبد الكريم ودار المبشر على بيوت الاشراف فألبسوه وركزت علامة النصر فى بيت الشريف والاشراف ودق الزير وفى ثانى يوم وصل الشريف عبد الكريم الى مكة ومعه الباشا وابوازبيك والعساكر وكل من كان معهم ودخلوا فى ألاى أعظم وجلس فى داره للتهنئة ومدحه الشعراء بقصائد وحمد الناس فعله حيث خرج لهم خارج مكة فوقع الحرب بعيدا عن البلد والناس آمنة مطمئنة والاسواق عامرة وجماعة المسجد قائمة فجزاه الله خيرا ثم بلغ الشريف عبد الكريم أن الشريف سعيدا دخل الطائف فأرسل خلفه بعض اخوانه مع عرب ثقيف فخرج من الطائف ودخل موسم هذه السنة والناس فى أمن وأمان وخرج مولانا الشريف عبد الكريم لقاء الحج على المعتاد ولبس الخلعة
وحج بالناس على المعتاد فى أمن وأمان وبعد توجه الحج المصرى والشامى سافر سليمان باشا ودخلت سنة ألف ومائة وثمان عشرة

ولا يسئل عما يفعل ثم ساروا الى نيسابور فحصروها خمسة ايام وبها جمع صالح من العسكر الاسلامي فلم يكن لهم بالتتر قوة فملكوا المدينة واخرجوا أهلها الى الصحراء فقتلوهم وسبوا حريمهم وعاقبوا من اتهموه بمال كما فعلوا بمرو وأقاموا خمسة عشر يوما يخربون ويفتشون المنازل عن الأموال وكانوا لما قتلوا أهل مرو قيل لهم ان قتلاهم سلم منهم كثير لكونهم لم يتموا قتلهم حتى تزهق أرواحهم وان كثيرا منهم نجوا الى بلاد الاسلام فأمروا بأهل نيسابور ان تقطع رؤسهم لئلا يسلم من القتل احد ففعلوا ذلك فلما فرغوا من ذلك سيروا طائفة منهم الى طوس ففعلوا بها كذلك ايضا وخربوها وخربوا المشهد الذي فيه علي الرضا بن موسى الكاظم والذي فيه هارون الرشيد وجعلوا الجميع خرابا ثم ساروا الى هراة وهي من أحصن البلاد فحصروها عشرة ايام ثم ملكوها وأمنوا اهلها وقتلوا منهم البعض وجعلوا عند من سلم منهم شحنة وساروا الى غزنة فلقيهم جلال الدين بن خوارزم شاه لانه كان متملكا ذلك القطر فقاتلهم وهزمهم كما سنذكره فلما سمع بذلك اهل هراة وثبوا على الشحنة فقتلوه فلما عاد المنهزمون الى هراة وجدوا عسكرا جاءهم مددا من جنكز خان فانضموا اليهم ودخلوا هراة قهرا وعنوة وقتلوا كل من فيها ونهبوا الاموال وسبوا الحريم ونهبوا السواد وخربوا المدينة جميعها واحرقوها وعادوا الى ملكهم جنكز خان وهو بالطالقان يرسل السرايا الى بلاد خراسان ففعلوا بخراسان مثل ما فعلوا في غيرها ولم يسلم من شرهم وفسادهم شئ من البلاد وكان جميع ما فعلوا بخراسان سنة سبع عشرة وستمائة

ذكر ملكهم خوارزم وتخريبها

واما الطائفة من الجيش التي سيرها جنكز خان الى خوارزم فانها كانت اكثر السرايا جميعها لعظم البلد فساروا حتى وصلوا الى خوارزم وفيها عسكر كبير من المسلمين واهل البلد معروفون بالشجاعة والكثرة فقاتلهم اشد قتال سمع به الناس ودام الحصر لهم خمسة اشهر فقتل من الفريقين خلق كثير الا ان القتلى من التتر كانوا أكثر لان المسلمين كان يحميهم السور فأرسل التتر الى ملكهم جنكز خان يطلبون المدد فأمدهم بخلق كثير فلما وصلوا الى البلد زحفوا زحفا متتابعا فملكوا طرفا منه فاجتمع أهل البلد وقاتلوهم في طرف الموضع الذي ملكوه فلم يقدروا على اخراجهم ولم يزالوا يقاتلونهم والتتر يملكون منهم محلة بعد محلة وكلما ملكوا محلة قاتلهم المسلمون في المحلة التي تليهم فكان الرجال والنساء والصبيان يقاتلون فلم يزالوا كذلك حتى ملكوا البلد جميعه وقتلوا كل من فيه ثم أنهم فتحوا السد الذي كان يمنع ماء جيحون عن البلد فدخل الماء فغرق البلد جميعه وتهدمت الابنية وبقي موضعه ماء كالبحر ولم يسلم من أهله احد البتة فان غيره من البلاد قد كان يسلم بعض أهله منهم من يختفي ومنهم من يهرب ومنهم من يخرج ثم يسلم ومنهم من يلقي نفسه بين القتلى فيظنون أنه مقتول فينجو واما أهل خوارزم فمن اختفى منهم من التتر غرقه الماء أو قتله الهدم فأصبحت خرابا يبابا

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فانا لله وانا اليه راجعون قال ابن الاثير وهذا لم يسمع بمثله في قديم الزمان وحديثه نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الخذلان بعد النصر فلقد عمت هذه المصيبة الاسلام وأهله فكم من قتيل

وفي أواخر صفر وردت الاخبار بأن الشريف سعيدا جمع جموعا من العرب يريد بهم مكة فشرع الشريف عبد الكريم يتهيأ للقائه وجمع جموعا وبرز عسكره بالابطح أوائل ربيع الاول وبعد عيد المولد توجه بمن معه لملاقاة الشريف سعيد ونزل الشرفية فجاءه الخبر أن الشريف سعيدا دخل الطائف ثامن عشر ربيع وأن قومه أربعمائة فتوجه اليه الشريف عبد الكريم فبرز اليه الشريف سعيد جهة المليسا

*(عزل المفتي عبد القادر الصديق وتولية الشيخ تاج الدين القلعي سنة ١١١٨) *

وفي هذه السنة أعني ثماني عشرة وقع شئ بين المفتي الشيخ عبد القادر الصديق والشيخ تاج الدين القلعي فسافر الشيخ تاج الدين للابواب السلطانية ثم رجع من أبواب السلطنة ومعه أمر سلطاني بعزل المفتي عبد القادر الصديق وتوليته وكان وصوله في السادس عشر من رمضان استأجر هجينا من ينبع فقطع من ينبع الى مكة في ثلاثة أيام لاجل حضوره المجلس السلطاني بالمسجد الحرام ليلة سبع عشرة من رمضان التي يحصل بها ختم السلطان ثم أرسل مولانا الشريف عرضا للدولة العلية يطلب فيه ارجاع المفتي عبد القادر

(من)

من أهل خراسان وغيرها لان القاصدين من التجار وغيرهم كانوا كثيرين ومضى الجميع تحت السيف ولما فرغوا من خراسان وخوارزم عادوا الى ملكهم بالطالقان

ذكر تجهيز جنكزخان الجيوش الى غزنة لقتال جلال الدين بن خوارزم شاه

لما فرغ التتر من خراسان وعادوا الى ملكهم جهز جيشا كثيفا وسيره الى غزنة وبها جلال الدين بن خوارزم شاه مالكالها وقد اجتمع اليه من عسكر أبيه نحو ستين ألفا وذلك غير ما كانوا عنده من عسكر مملكته فلما وصل التتر الى أعمال غزنة خرج اليهم المسلمون مع جلال الدين بن خوارزم شاه فالتقوا في موضع يقال له بلق فاقتتلوا هنالك قتالا شديدا وبقوا كذلك ثلاثة أيام ثم أنزل الله نصره على المسلمين فانهزم التتر وقتلهم المسلمون كيف شاؤا ومن سلم منهم عاد الى ملكهم بالطالقان فلما سمع أهل هراة بذلك ثاروا بالوالي الذي عندهم للتتر فقتلوه فسير اليهم جنكز خان عسكرا فاجتمعوا مع المنهزمين من غزنة ودخلوا هراة وملكوا البلد وقتلوا أهله وخربوه وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم ثم ان جلال الدين بن خوارزم شاه بعد ان هزم جيش جنكزخان أرسل رسولا الى جنكزخان يقول له أي موضع تريد يكون فيه الحرب حتى نأتي اليه فجهز جنكزخان عسكرا كثيرا أكثر من الاول مع بعض أولاده وسيره اليه فوصل الى كابل فتوجه العسكر الاسلامي اليهم وتصافوا هنالك وجرى بينهم قتال عظيم فانهزم التتر ثانيا وقتل منهم كثير وغنم المسلمون ما معهم وكان عظيما وكان معهم من اسارى المسلمين خلق كثير فاستنقذوهم وخلصوهم ثم ان المسلمين جرى بينهم فتنة مع بعضهم لاجل الغنيمة وسبب ذلك ان أميرا منهم يقال له سيف الدين بغراق أصله من الاتراك كان شجاعا مقداما ذا رأي في الحرب ومكيدة واصطلى الحرب مع التتر بنفسه وقال لعسكر جلال الدين تأخروا انتم فقد ملئتم منهم رعبا وهو الذي كسر التتر على الحقيقة وكان من المسلمين أيضا أمير كبير يقال له ملك خان بينه وبين خوارزم شاه نسب وهو صاحب هراة فاختلف هذان الاميران في الغنيمة فاقتتلوا فقتل بينهم اخ لبغراق فقال بغراق أنا أهزم الكفار ويقتل اخي لاجل هذا السحت فغضب وفارق العسكر وسار الى الهند فتبعه من العسكر ثلاثون الفا كلهم يريدون ان يكونوا اتباعا له فاستعطفه جلال الدين بكل طريق وسار بنفسه اليه وذكره الجهاد وخوفه من الله تعالى وبكى بين يديه فلم يرجع وسار مفارقا فانكسر لذلك المسلمون وضعفوا فبينما هم كذلك اذ ورد الخبر ان جنكز خان قد وصل في جموعه وجيوشه فلما رأى جلال الدين ضعف المسلمين لاجل من فارقهم من العسكر عزم على مفارقة غزنة ولم يقدر على المقام فسار نحو بلاد الهند فوصل الى ماء السند وهو نهر كبير فلم يجد من السفن ما يعبر فيه وكان جنكز خان يقص اثره مسرعا فلم يتمكن جلال الدين من العبور حتى ادركه جنكز خان بجيوشه فاضطر المسلمون حينئذ الى القتال والصبر لتعذر العبور عليهم وكانوا في ذلك كالاشقر ان تأخر ينحر وان تقدم يعقر فتصافوا واقتتلوا أشد قتال اعترفوا كلهم أن ما مضى من الحروب كان لعبا بالنسبة الى هذا القتال وبقوا كذلك ثلاثة ايام فقتل الامير ملك خان المقدم ذكره وخلق كثير وكان القتل في الكفار اكثر والجراح اعظم فرجع الكفار عنهم فأبعدوا ونزلوا فلما رأى

الى الفتوى فأجيب الى ذلك وجاءه الامر بذلك في رجب سنة تسع عشرة فاعيد المفتي عبد القادر الى الفتوى واستمر بها الى أن توفي سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف رحمه الله تعالى وأقيم في الافتاء بعده ابنه الشيخ يحيي وتوفي سنة احدى وأربعين ومائة وألف ووقع القتال بينهم فانهزم الشريف سعيد وتوجه الى جهة ليدفشي خلفه الى الجبال ثم رجع الى الطائف وجاء البشير الى مكة ثامن عشر ربيع واستمر الشريف عبد الكريم بالطائف ومعه ايواز بيك نازلا في المثنى في بستان السيد أحمد بن سعيد بمماليكه وعساكره الى شهر رجب ثم رجع الى مكة وفي شعبان رجع ايواز بيك الى جدة ورجع الشريف من الطائف في شوال ودخل مكة في الآي أعظم واستمر الى الحج وفي غرة ذي الحجة من سنة ثماني عشرة وصل ايواز بيك من جدة وجاء لمولانا الشريف أغاة من السلطنة ومعه القفطان وسيف مرصع ومعه مرسوم سلطاني فقرئ بالحطيم على المعتاد ومضمونه ان الحجة والمحضر المرسلين من أهالي مكة المكرمة وصل كل منهما ووصل بعدهما من طرفكم مكتوب بالصداقة وعروضات الى باب دولتنا فعرض على سرير سعادتنا خلاصتها فامتد لنا بذلك على حسن سيرتكم وصفاء طويتكم

المسلمون انهم لامدد لهم وقد ازدادوا ضعفا عن قتل منهم وجرح ولم يعلموا ما أصاب الكفار من ذلك فأرسلوا يطلبون السفن فوصلت وعبر المسلمون الى الهند ومعهم جلال الدين وقيل انهم عبروا بغير سفن وان جلال الدين اقتحم النهر العظيم هو وعساكره ومانجا منهم الاأربعة آلاف حفاة عراة ورمى الموج جلال الدين مع ثلاثة من خواصه الى موضع بعيد وفقده أصحابه ثلاثة أيام ثم وجدوه واعتدوا بمقدمه عيدا ثم جرى بين جلال الدين وبين أهل تلك البلاد وقائع انتصر فيها جلال الدين وملك اليها ورمى الهند وأما جنكزخان وعساكره فانهم عادوا الى غزنة وقد قويت نفوسهم بعبور المسلمين الى الهند وبعدهم عنهم فلما وصلوا غزنة ملكوها لخلوها من العساكر والحامى فقتلوا اهلها ونهبوا الاموال وسبوا الحريم ولم يبقوا أحدا من العلماء والصلحاء وغيرهم وخربوها وأحرقوها وفعلوا بسوادها وماحولها من المدائن والقرى كذلك فأصبحت تلك الاعمال جميعها خالية من الأنيس خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس ثم رجع جنكزخان بجيوشه الى بلاده وأما الممالك التى ملكها وخربها فترك الكثير منها ولم يجعل له عمالا فيها فرجع اليها أهلها وتملكها ملوكها الذين كانوا فيها (غريبة عجيبة) لما وصل جلال الدين الى حافة نهر السند ولم يجد من السفن مايعبر فيه وجنكزخان خلفه يقص أثره ضاقت الارض بمارحبت على جلال الدين ومن معه ورأى والدته وأم ولده وجماعة من حرمه يبكين ويصحن يقلن له بالله عليك اقتلنا أوخلصنا من الاسر فأمر بهن فغرقن فى النهر وهذه من عجائب البلايا ونوادر المصائب والرزايا

﴿ ذكر عود التتر الى الرى وهمذان وغيرهما ﴾

فى سنة أحدى وعشرين وصل طائفة من التتر من عند ملكهم جنكزخان وهؤلاء غير الطائفة الغربية التى ذكرنا اخبارها قبل وصول هؤلاء الرى وكان من سلم من أهل الرى قد عادوا اليها وعمروها فلم يشعروا بالتتر الا وقد وصلوا اليهم فلم يتنعوا عنهم فوضعوا فى أهلها السيف وقتلوهم كيف شاؤا ونهبوا البلد وخربوه وساروا الى ساوة ففعلوا بها كذلك ثم الى قم وقاشان وكانتا قد سلمتا من التتر الاولين فانهم لم يقربوهما ولاأصيب أهلهما الذى فأتاهما هؤلاء وملكوهما وقتلوا أهلهما وخربوهما وألحقوهما بغيرهما من البلاد الخراب ثم ساروا فى البلاد يخربون ويقتلون وينهبون ثم قصدوا همذان وكان قد اجتمع بها كثير ممن سلم من أهلها فأبادوهم قتلا واسرا ونهبا وخربوا البلد وكانوا لماوصلوا الى الرى رأوا بها عسكرا كثيرا من الخوارزمية فكبسوهم وقتلوا منهم وانهزم الباقون الى اذربيجان فنزلوا بأطرافها فلم يشعروا الا والتتر أيضا قد كبسوهم ووضعوا السيف فيهم فولوا منهزمين فوصل طائفة منهم الى تبريز وارسلوا الى صاحبها اوزبك ابن البهلوان يقولون له ان كنت موافقنا وعلى طاعتنا فسلم الينا من عندك من الخوارزمية والافعرفنا انك غير موافق لنا ولا فى طاعتنا فعمد ابن البهلوان الى من عنده من الخوارزمية فقبض عليهم ثم قتل بعضهم وجعل بعضا منهم اسرى وأرسل رؤس من قتلهم الى التتر وارسل معها الاسرى وأنفذ مع الجميع من الاموال والثياب والدواب شيأ كثيرا فعادوا

معينا من متصرفى بندر جدة للشريف سعيد وهى أربعون كيسا وما كان معينا لجوهرأغا تابع المذكور وهى خمسة أكياس من سفائن الهند المجموع خمسة وأربعون كيسا زيادة على ماهو مقرر لكم تستعينون به على مصالحكم وتقوية أموركم عناية منا بكم واحسانا اليكم ولما كان يوم الخامس من ذى الحجة دخل الحج المصرى مكة فخرج مولانا الشريف يوم السادس لملاقاته ولبس الخلعة على المعتاد ثم وصل الحاج الشامى وأميره سليمان باشا الذى كان متوليا جدة فخرج مولانا الشريف للقائه على المعتاد ولبس الخلعة وحج بالناس ولما كان يوم عرفة حصل بين المصلين مشاجرة فى التقدم عند النفر أوجبت المراماة بالرصاص مع أن القانون القديم ان التقدم لمحمل الحاج المصرى ثم لما رأى حضرة الشريف ماوقع أرسل بعض الاشراف الى الامراء لتسكين الفتنة لحفظ الحجاج وتخلف هو عن وقت نفره المعتاد الى العشاء الى أن سكنت الفتنة وشد الحاج كله ولم يبق أحد من أهل مكة وغيرهم

من بلاده وساروا نحو خراسان وفعل التتر هذا كله في هذه العودة وليسوا في كثرة بل كانوا نحو ثلاثة آلاف وكان الخوارزمية الذين انهزموا منهم نحو ست آلاف فارس ولكن وقع الرعب في قلوبهم من التتر وان كانوا قليلا وكان عسكر ابن البهلوان أكثر من ذلك كله ومع هذا فلم يحدث نفسه ولا الخوارزمية بالامتناع منهم قال ابن الاثير فنسأل الله ان ييسر للاسلام والمسلمين من يقوم بنصرتهم فقد دفعوا الى امر عظيم من قتل النفوس ونهب الاموال واسترقاق الاولاد وسبي الحريم وقتلهن وتخريب البلاد

ذكر وصول جلال الدين بن خوارزم شاه الى خوزستان والعراق

فى اول سنة اثنتين وعشرين وصل جلال الدين بن خوارزم شاه الى بلاد خوزستان والعراق واستناب نوابا فى ممالك الهند واستولى على كرمان وأصفهان وباقى عراق العجم وفارس وقاربت جيوشه بغداد فخاف أهل بغداد منه ثم سار الى تبريز واذربيجان وكثرت عساكره واستفحل أمره وصار ينتزع الممالك من يد الملوك الذين كانت الممالك بأيديهم والكلام على ذلك طويل وصار يفعل فى كثير من البلاد التى يملكها من القتل والاسر والنهب مثل ما يفعل التتر وفى هذه السنة توفى الخليفة الناصر لدين الله وكانت مدة خلافته قريبا من سبع وأربعين سنة قيل ان أصل قيام التتر كان بمكاتبته لهم يأمرهم بقتال خوارزم شاه ليشغلوه عن تطلبه ملك العراق والله أعلم بحقيقة الحال وولى الخلافة بعد الناصر ولده الظاهر بأمر الله ومكث تسعة أشهر وتوفى وولى ابنه المستنصر بالله ابو جعفر المنصور ثم المستعصم ختام خلفائهم كما سيأتى ولما قوى أمر جلال الدين بن خوارزم شاه واستفحل ملكه بلغه سنة اربع وعشرين وستمائة ان طائفة من التتر عظيمة قد بلغوا الى دامقان بالقرب من الرى عازمين على بلاد الاسلام فسار اليهم وحاربهم واشتد القتال بينه وبينهم فانهزموا منه وأوسعهم قتلا وتبع المنهزمين مدة ايام يقتل ويأسر فبينما هو كذلك قد أقام بنواحى الرى خوفا من جمع آخر للتتر اذ أتاه الخبر بأن كثيرا منهم واصلون اليه فأقام ينتظرهم فوصلوا اليه فى سنة خمس وعشرين وجرى بينه وبينهم حروب كثيرة كان فى أكثرها الظفر لهم عليه وفى الاخير كان الظفر له عليهم فهزمهم وهؤلاء التتر الذين جاؤا فى هذه المرة كانوا قد سخط جنكزخان على مقدمهم وأبعده وأخرجه من بلاده فقصد خراسان هو وجيوشه فرآها خرابا فقصد الرى ليتغلب على تلك النواحى والبلاد فلقيه بها جلال الدين واقتتلوا أشد القتال الى ان كانت آخر هزيمة على التتر كما ذكرنا وجاءت مكاتبة من طولى بن جنكزخان لجلال الدين يقول له ان هؤلاء ليسوا من اصحابنا انما نحن أبعدناهم فلما آمن جانب ابن جنكزخان أمن وعاد الى اذربيجان وانما كانت المكاتبة مع ابن جنكزخان لان جنكزخان كان قد هلك سنة اربع وعشرين وستمائة وكانت مدة ملكه نحو ثلاث وعشرين سنة ولما أيس من الحياة جمع أولاده وقسم بينهم الممالك وجعل التخت للرئيس عليهم وهو ولده الصغير طولى خان ثم هلك عن قرب وتولى مكانه ولده هلاكو الذى كان على يده أخذ بغداد

ذكر خروج التتر الى اذربيجان وما كان منهم

فى أول سنة ثمان وعشرين وصل التتر من بلاد ما وراء النهر الى اذربيجان وكان جلال الدين قد ضعف ملكه لانه كان سيء السيرة قبيح التدبير لم يترك احدا من الملوك المجاورين له الا عاداه

جمادى الآخرة دخل الشريف سعيد الطائف ضحوة النهار وطلب الضيافة من أهلها فجمعوا له شيا وقدموه له وقبض على جماعة من أهل الطائف وأهل مكة وأخذ منهم جانبا من المال فبلغ الشريف عبد الكريم ذلك فتجهز الشريف عبد الكريم للتوجه اليه واخراجه من الطائف وتأخر خروجه من مكة الى شعبان لامور عرضت له أوجبت التأخير فلما وصل فى شعبان الى الطائف وجد الشريف سعيدا قد خرج منها وفى هذه السنة عرض مولانا الشريف عبد الكريم للسلطنة العلية فى شأن السيد يحيى بن بركات واستأذنهم فى أنه يسكن مكة بدلا عن الشام فاجيب الى ذلك فوصل الشريف يحيى بن بركات مكة فى رمضان ومعه يوسف أغا الذى توجه بالهدية من مولانا لشريف عبد الكريم ومعهم أغاة القفطان الوارد هذه السنة أيضا بخلعة ومرسوم سلطانى وسيف مرصع فدخل مكة مع الشريف يحيى فى آلاى أعظم ودخل السيد يحيى بن بركات فى زى الاروام بالتاووق على رأسه فذهب

ونازعه الملك ووقع بينه وبينهم حروب وهزموه فى آخر الامر فى كثير منها فضعف شوكته وكتب الى التتر بعض الملوك الذين كان يحاربهم يحثونهم على المجئ لاستيصال جلال الدين ويعرفونهم ضعفه عن لقائهم فهذا كان ايضا من اسباب مجيئهم فلما أقبل التتر فى هذه المرة ولم يقدم جلال الدين على لقائهم وقتالهم فدخلوا بلاده واستولوا على الرى وهمذان وما بينهما من البلاد ثم قصدوا اذربيجان فخربوا ونهبوا وقتلوا من ظفروا به وجلال الدين لا يقدر على منعهم من البلاد قد ملئ رعبا وخوفا وانضاف الى ذلك ان عسكره اختلفوا عليه وخرج وزيره عن طاعته فى طائفة كثيرة من العسكر وكان السبب فى ذلك ان أمرا غريبا فعله جلال الدين أظهر من قلة عقله مالم يسمع بمثله وذلك أنه كان له خادم خصى وكان جلال الدين يهواه واسمه قلج فاتفق أن ذلك الخادم مات فأظهر من الهلع والجزع عليه مالم يسمع بمثله ولا المجنون ليلى وأمر الجند والامراء ان يمشوا فى جنازته رجالة وكان موته بموضع بينه وبين تبريز عدة فراسخ فمشى الناس رجالة ومشى جلال الدين بعض الطريق راجلا فألزمه أمراؤه ووزيره بالركوب فلما وصل الى تبريز أرسل الى أهل البلد فأمرهم بالخروج عن البلد لتلقى تابوت الخادم ففعلوا فأنكر عليهم حيث لم يظهروا من الحزن والبكاء أكثر مما فعلوا وأراد معاقبتهم فشفع فيهم امراؤه فتركهم ثم لم يدفن ذلك الخصى وثما كان يستصحبه معه أين سار وهو يلطم ويبكى وامتنع من الاكل والشرب وكان اذا قدم له طعام يقول احملوا من هذا الى قلج ولا يتجاسر أحد ان يقول انه مات فانه قيل له مرة انه مات فقتل القائل له ذلك انما كانوا يحملون اليه الطعام ويعودون يقولون انه يقبل الارض ويقول انى الآن أصلح مما كنت فلحق أمراءه من الغيظ والانفة من هذه الحالة ما حملهم على مفارقة طاعته والانحياز مع وزيره فبقى حيران لا يدرى ما يصنع لاسيما لما خرج التتر هذه المرة فحينئذ دفن الغلام الخصى وأرسل الى الوزير واستماله الى أن حضر عنده فلما وصل اليه بقى أياما ثم قتله جلال الدين وهذه نوادر غريبة لم يسمع بمثلها تدل على الخذلان

❁ ذكر وصول جلال الدين الى آمد وانهزامه عندها وما كان منه ❁

فى سنة ثمان وعشرين أيضا حصر التتر مراغة من اذربيجان ثم ملكوها بالامان وقتلوا فى البلد الا أنهم لم يكثروا القتل واشتد خوف الناس منهم بأذربيجان فلما رأى جلال الدين ما يفعله التتر بأذربيجان ورأى ما هو عليه من الضعف والوهن فارق اذربيجان يريد الخليفة وملوك الاطراف ليعضدوه على التتر ويخوفهم عاقبة أمرهم فلم يشعر وهو بالقرب من آمد الا وقد كبس التتر ليلا وخالطوا مخيمه فهرب جلال الدين ثم لم يزل يتنقل فى الهرب من موضع الى موضع وهو بغاية الذل بعد ذلك العز الى ان دخل قرية من قرى ميافارقين فلحقته التتر فى تلك القرية فهرب الى جبل هناك فيه أكراد يتخطفون الناس فأخذوه وشلحوه وأرادوا قتله فقال جلال الدين لاحدهم انى انا السلطان فاستبقنى أجعلك ملكا فجعله الكردى عند امرأته ومضى الى الجبل فحضر كردى آخر معه حربة فقال للمرأة لم لا تقتلون هذا الخوارزمى فقالت المرأة قد أمنه زوجى فقال الكردى انه السلطان وكان قد قتل لى أخا بخلاط خيرا منه وضربه بالحربة فقتله وكان ذلك منتصف شوال سنة ثمان (وعشرين)

السلام عليه الخاص والعام وقابلهم بالمقابلة الحسنة اللائقة بمثله وأنزل

كلا منزله فشكروه على ذلك و... اكان مولانا الشريف عبد الكريم حين وصولهم بالطائف وصل فى شوال وبعد وصوله قرأ المرسوم الذى جاء به الاغاة ولبس القفطان وتقلد السيف المرصع وفى يوم السبت رابع ذى القعدة اجتمع السيد يحيى بن كات وشيخ الحرم ايواز بيك وقاضى الشرع وأصحاب الادراك من السبع بلكات برزوا الى الاسواق والازقة وشرعوا فى هدم الدكك التى قدام الدكاكين والبيوت وأزالوا الزوائد من الاشرعة والظلل والمباسط التى فى الطرق والاسواق واستمروا على ذلك ثلاثة أيام فحصل بذلك غاية السعة فى جميع الاماكن ولما وردت الحجوج خرج الشريف لملاقاتها على المعتاد ولبس الخلعة وحج بالناس فى أمن وأمان ثم سافرت الحجوج على المعتاد وفى هذه السنة أيضا أرسل مولانا الشريف هدية سنية للسلطنة العلية ودخلت سنة الف ومائة وعشرين وفى شهر صفر جاء خبر لمولانا الشريف أن الشريف سعيدا وصل الى الحسينية ونزل على الشريف مبارك ابن أحمد بن زيد فأراد الشريف عبد الكريم ان يركب عليه بعساكره فأرسل الشريف سعيد يطلب مهلة خمسة عشر يوما فأعطاه المهلة

وعشرين وستمائة فسبحان من لا يزول ملكه وفى ذلك عبرة لأولى الابصار ومما ينبغى ان
يذكر فى هذه الأخبار العجيبة الدالة على كمال قدرة الله تعالى وانه يتصرف فى عباده كيف
يشاء قصة الصناديق التى كانت لأبيه محمد خوارزمشاه وذلك ان خوارزم شاه لما هرب
من التتر كما تقدم تفصيل ذلك والتتر تتبعه نزل لما وصل عراق العجم عند بسطام وأحضر
خوارزمشاه كاتبا كان معه عشرة صناديق ثم قال انها كلها جواهر لا تعلم قيمتها ثم أشار الى
صندوقين منها وقال ان فيهما من الجواهر ما يساوى خراج الارض بجملتها ثم أمر بحمل
العشرة الصناديق الى قلعة ازدهن وهى من احصن قلاع الارض واخذ خط النائب بها
بوصول الصناديق المذكورة مختومة فلما استولى جنكزخان على تلك البلاد جاءت اليه
الصناديق بختومها فأخذ جميع ما فيها ولم ينتفع خوارزم شاه الذى جمعها بشئ منها وقد
تقدم انه مات فى مهربه ذلك قال ابن الاثير فسبحان من بدل أمنهم خوفا وعزهم ذلا وكثرتهم
قلة فتبارك الله رب العالمين الفعال لما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولما دخل التتر
ديار بكر والجزيرة يطلبون جلال الدين وقع منهم من الفساد والنهب والقتل والتخريب
شئ كثير ونهبوا سواد آمد وارزن وميا فارقين وقصدوا مدينة اسعرد فقاتلهم اهلها
فبذل لهم التتر الأمان فوثقوا منهم واستسلموا فلما تمكن التتر منهم بذلوا فيهم السيف وقتلوهم
حتى كادوا يأتون عليهم فلم يسلم منهم الا من اختفى وقليل ما هم قال ابن الاثير وحكى لى بعض
التجار وكان قد وصل من آمد أنهم حزروا القتلى فكانوا يزيدون على خمسة عشر الف
قتيل وكان مع هذا التاجر جارية من اسعرد فذكرت ان سيدها خرج ليقاتل وكان له ام
فمنعته ولم يكن لها ولد سواه فلم يصغ الى قولها فمشت معه فقتلا جميعا وورثها ابن
اخ للأم فباعها من هذا التاجر وذكرت من كثرة القتلى امرا عظيما وان مدة الحصار كانت
خمسة ايام ثم ساروا منها الى مدينة طنزة ففعلوا فيها كذلك وساروا من طنزة الى وادى
القريشية وكان فيه طائفة من الأكراد وفيه مياه جارية وبساتين والطريق اليه ضيق
فقاتلهم الأكراد فمنعوهم عنه وقتل منهم كثير فعاد التتر ولم يبلغوا منهم غرضا وساروا
فى البلاد لا مانع يمنعهم ولا احد يقف بين ايديهم فوصلوا الى ماردين فنهبوا ما وجدوا
من بلدها واحتمى صاحب ماردين بقلعة ماردين ثم وصلوا الى نصيبين والجزيرة ونهبوا
سوادها وقتلوا من ظفروا به وغلقت ابوابها فعادوا عنها ومضوا الى سنجار ووصلوا
الى الجبال من اعمال سنجار فنهبوها ودخلوا الى الخابور فوصلوا الى عرابان فنهبوا وقتلوا
ومضى طائفة منهم الى الموصل فوصلوا الى قرية تسمى المونسة قريبة من الموصل فنهبوها
واحتمى اهلها بخان فيها فقتلوا كل من فيه قال ابن الأثير وحكى لى عن رجل منهم انه
قال اختفيت منهم ببيت فيه تبن فلم يظفروا بى وكنت أراهم فى نافذة فى البيت فكانوا اذا أرادوا
قتل انسان فيقول لا بالله فيقتلونه فلما فرغوا من القرية ونهبوا ما فيها وسبوا الحريم
رأيتهم وهم يلعبون على الخيل ويضحكون ويغنون بلغتهم ويقولون لا بالله ومضى نصف طائفة
منهم الى نصيبين الروم فنهبوها وقتلوا فيها ثم عادوا الى آمد ثم الى بلد بدليس فتحصن
اهلها بالقلعة وبالجبال فقتلوا فيها يسيرا وأحرقوا المدينة قال ابن الاثير وحكى لى انسان من

شيخنا مما توجه الى اليمن وكان جماعة من الاشراف تنافروا مع الشريف عبدالكريم فخرجوا مغاضبين
وانضموا الى الشريف سعيد
وصادفوا حمولا من البن
واصلة من اليمن فأخذوها
فأرسل خلفهم جماعة من
الاشراف والعسكر ثم
لحقهم بنفسه فلما قربوا منهم
دفنوا بعض البن وأطلقوا
فى بعضه النار وأخذوا
البعض وأودعوا البعض
وتركوا البعض الذى عجزوا
عنه وفر بعضهم الى المخواة
وبعضهم الى ديرة بنى سليم
فلما جاء جماعة الشريف
أخرجوا ما دفنوه وأخذوا
ما وجدوه ورجعوا وفى
أواخر شهر جمادى الآخرة
جائت الاخبار بأن الشريف
سعيدا اجمع جموعا وقصده
مكة ثم فى رجب جاء الخبر
بأنه دخل بجموعه الدوقة
فأخذ الشريف عبد الكريم
يتجهز لقتاله وأرسل فى طلب
القبائل فجاء كثير منهم
فتوجه بهم الشريف
عبدالكريم مع العساكر الى
الحسينية فى شعبان فلما بلغ
قوم الشريف سعيد أن
الشريف عبدالكريم خرج
لهم فى قوة عظيمة تفرقوا
عنه بعد أن وصلوا العابدية
ثم سعت الاشراف بينهم
وأخذوا له مهلة وجعلوا
له فى كل شهر ثلاثمائة أحمر
وشرطوا عليه أن يسكن
بيشة فوافق على ذلك وبعد أيام أرسل له الشريف عبد الكريم يقول له ارحل على الشرط الواقع فاعتذر وتوقف فانتقض

ذلك المعين ولم يتم واستمر الشريف سعيد فى العابدية الى دخول رمضان فصام هناك وأرسل [illegible] الى م

أهلها قال لو كان عندنا خمسمائة فارس لم يسلم من التتر أحد لان الطريق ضيق بين الجبال والقليل يقدر على منع الكثير ثم ساروا من بدليس الى خلاط فحصروا مدينة من اعمال خلاط يقال لها باكرى وهى من احصن البلاد فملكوها عنوة وقتلوا كل من بها وقصدوا مدينة ارجيش من اعمال خلاط وهى مدينة كبيرة عظيمة ففعلوا كذلك وكان هذا فى ذى الحجة من سنة ثمان وعشرين وستمائة قال ابن الاثير ولقد حكى لى عنهم حكايات يكاد سامعها يكذب بها من الخوف الذى ألقاه الله سبحانه وتعالى فى قلوب الناس منهم حتى قيل ان الرجل لواحد منهم كان يدخل القرية او الدرب وبه جمع كثير من الناس فلا يزال يقتلهم واحدا بعد واحد لا يتجاسر احد يمد يده الى ذلك الفارس ولقد بلغنى ان انسانا منهم اخذ رجلا ولم يكن مع التترى مايقتله به فقال له ضع رأسك على الارض ولا تبرح فوضع رأسه على الارض ومضى التترى أحضر سيفا فقتله به وحكى لى رجل قال كنت انا ومعى سبعة عشر رجلا فى طريق فجاءنا فارس من التتر وقال لنا مقالا يأمرنا فيه ان يكتف بعضنا بعضا فشرع أصحابى يفعلون ما أمرهم فقلت لهم هذا واحد فلم لا نقتله ونهرب فقالوا نخاف فقلت هذا يريد قتلكم الساعة فنحن نقتله فلعل الله يخلصنا فوالله ما جسر أحد يفعل ذلك فأخذت سكينا وقتلته وهربنا فنجونا وأمثال هذا كثيرة فهذه مصائب وحوادث لم ير الناس من قديم الزمان وحديثه مايقارب بها فالله سبحانه وتعالى يلطف بالمسلمين ويرحمهم ويرد العدو عنهم والعجب ان هذا العدو فعلوا هذه الافعال فى هذه المرة وعادوا سالمين لم يذعرهم احد ولا وقف فى وجوههم فارس فسبحان من بيده ملكوت كل شئ يعز من يشاء ويذل من يشاء ولا يسئل عما يفعل وهم يسألون ولما وصل التتر بلاد اذربيجان أطاعهم اهلها جميعا وحملوا اليهم الاموال والثياب الخطائى والخوبى والعتابى وغير ذلك وسبب طاعتهم ان جلال الدين لما انهزم الى آمد من التتر تفرقت عساكره وتمزقوا كل ممزق وتخطفهم الناس وفعل التتر بديار بكر والجزيرة وأربل وخلاط ما فعلوا ولم يمنعهم احد ولا وقف فى وجوههم فارس وملوك الاسلام منحجزون فى الاثقاب وانضاف الى هذا انقطاع أخبار جلال الدين فانه لم يظهر له فى ذلك الوقت خبر ولا علموا له حالا سقط فى أيديهم وأذعنوا للتتر بالطاعة وحملوا اليهم ما طلبوا من الاموال والثياب من ذلك مدينة تبريز التى هى اصل بلاد اذربيجان ومرجع الجميع اليها والى من بها فان ملك التتر نزل فى عساكره بالقرب منها وأرسل الى اهلها يدعوهم الى طاعته ويتهددهم ان امتنعوا عليه فأرسلوا اليه المال الكثير والتحف من أنواع الثياب الابريسم وغيرها وكل شئ حتى الخمر وبذلوا له الطاعة فأعاد الجواب يشكرهم ويطلب منهم ان يحضر مقدمهم عنده فقصده قاضى البلد ورئيسه وجماعة من أعيان اهله وتخلف عنهم شمس الدين الطغرائى وهو الذى يرجع الجميع اليه الا انه لا يظهر شيأ من ذلك فلما حضروا عنده سألهم عن امتناع الطغرائى فقالوا انه رجل منقطع ماله بالملوك تعلق ونحن الاصل فسكت ثم طلب ان يحضروا عنده من صناع الثياب الخطائى وغيرها يستعمل لملكهم الاعظم فان هذا هو من أتباع ذلك الملك فأحضروا الصناع فاستعملهم فى الذى أرادوا ووزن اهل تبريز الثمن وطلب منهم خركاه اى خيمة لملكهم أيضا فعملوا له خركاه لم يعمل مثلها وعملوا اغشاها من الاطلس الجيد المزركش وعملوا من داخلها السمور والقندر

وطلب بعض أهله فصاموا عنده وعيد فى العابدية وجاء فى هذه السنة أيضا أغاة القفطان سلخ رمضان ومعه مرسوم وسيف مرصع فقرئ وفعل كل ما جرت به العادة وفى المرسوم كلام كثير مع غاية التلطف فى الخطاب للشريف عبد الكريم والاجلال والتعظيم ومما ذكر فى المرسوم الحث على ابعاد الشريف سعيد عن سائر أطراف الحجاز الى أن قيل فيه خطابا للشريف عبد الكريم ولنكن كراكب الكميت المتمكن من صرعه بديره حيث شاء وتستجلبوا لتأخير الدعاء فأرسل للشريف سعيد بأنك ترحل من العابدية ومن هذه الجهات وأطراف الحجاز فان حضرة السلطان ألزمنا بذلك فرحل الشريف سعيد هو وأتباعه وتوجه الى اليمن ثانى شهر ذى القعدة وتعرض لقافلة جهة الليث فأخذها وفى هذه السنة عزل ايواز بك من جدة وتولى محمد باشا وتولى امارة الحج الشامى نصوح باشا ولما جاء الحج خرج الشريف لملاقاته على العادة ولبس الخلعة وحج بالناس وتوجهت الحجوج بالسلامة

ودخلت سنة الف ومائة واحدى وعشرين وفى شهر ربيع الاول توجه الشريف عبدالكريم الى المبعوث ومكث فيه الى أن دخل شهر جمادى الآخرة وفى خامسه دخل الطائف بالنوبة والعساكر ثم بعد أيام رجع الى المبعوث واستمر الى شعبان ثم رحل الى صلبة وغزا قبيلة مطير وأخذهم أخذة عظيمة ورجع الى مكة تاسع عشر رمضان وفى الخامس والعشرين من رمضان توفى محمد باشا صاحب جدة الذى جاء بدلا عن ابو ازبك وأقام مولانا الشريف مقامه خزندار الباشا وصهره الى أن يجيء بدله ثم جاء فى شهر جمادى الآخرة من السنة الآتية ابراهيم باشا متوليا على جدة وفى شوال من سنة احدى وعشرين جاء الى الشريف مكتوب من الصدر الاعظم مضمونه أن نصوحا باشا أرسل الينا مكتوبا يشكو منكم نوع تقصير وعدم ملاطفة فاستغربنا ذلك منه لعلمنا بحسن سيرتكم وصفاء طويتكم فالمأمول أن تزيلوا ما هنالك على فرض وقوعه وتبداوه بحسن الملاطفة والمؤانسة كما هو المعروف فى صدق محبتكم وخلوص مودتكم

وشاع بين الناس أن نصوحا باشا عرض فى الشريف عبدالكريم يشكو منه وانه برز اليه أمر بالتفويض فحزم الشريف أمره وجمع

فجائت عليهم بجملة كثيرة وقرر عليهم من المال كل سنة شيأ كثيرا ومن الثياب كذلك وترددت رسلهم الى ديوان الخلافة والى جماعة من الملوك يطلبون منهم أنهم لا ينصرون جلال الدين بن خوارزمشاه قال ابن الاثير واقد وقفت على كتاب وصل من تاجر من اهل الرى كان قد انتقل الى الموصل وأقام بها هو ورفقاءله ثم سافر الى الرى فى العام الماضى قبل خروج التتر فلما وصل التتر الى الرى أطاعهم أهلها وساروا الى أذربيجان سار هو معهم الى تبريز فكتب الى اصحابه بالموصل يقول ان الكافر لعنه الله مانقدر نصفه ولا كثرة جموعه حتى لاتنقطع قلوب المسلمين فان الامر عظيم ولاتظنون ان هذه الطائفة التى وصلت الى نصيبين والخابور والطائفة الاخرى التى وصلت الى اربل ودقوقا كان قصدهم النهب انما ارادوا ان يعلموا أهل فى البلاد من يردهم ام لا فلما عادوا أخبروا ملكهم بخلوا البلاد من مانع ومدافع وان البلاد خالية من ذلك ومن العساكر فقوى طمعهم وهم فى الربيع يقصدونكم ومايبقى عندكم مقام الا ان كان فى بلد الغرب فان عزمهم على قصد البلاد جميعها فانظروا الانفسكم هذا مضمون الكتاب فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولاقوة الا بالله العلى العظيم وفى هذه السنة اعنى سنة ثمان وعشرين وستمائة كان انتهاء مافى الكامل تاريخ ابن الاثير وكانت وفاته سنة ثلاثين وستمائة وهو الامام عزالدين على بن محمد الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى ولد بجزيرة ابن عمر سنة خمس وخمسين وخمسمائة ثم صار الى الموصل وسمع من كثير من الاشياخ المقيمين بالموصل ثم رحل الى بغداد ثم الى الشام والقدس وسمع هنالك من جماعة ثم عاد الى الموصل وانقطع فى بيته عاكفا على العلم تعليما وتصنيفا وكان اماما فى علم الحديث حافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة خبيرا بأنساب العرب واخبارهم وله تصانيف كثيرة منها اسد الغابة فى اخبار الصحابة وهو كتاب جليل ومنها التاريخ الكبير المسمى بالكامل وله غير ذلك ومن تلامذته الذين اخذوا عنه ابن خلكان صاحب التاريخ المشهور ونسبت الجزيرة الى ابن عمر قيل هو رجل من اهل برقعيد من اعمال الموصل اسمه عبد العزيز بن عمر بنى هذه المدينة فاضيفت اليه ثم ان العساكر الخوارزمية الذين كانوا عند جلال الدين تفرقوا فى ديار بكر والموصل وحلب واكثروا العيث والفساد وفعلوا مثل أفعال التتر من الزنا والفواحش والقتل وكذلك التتر أكثروا العيث والفساد فيما استولوا عليه من البلاد ولم يزل يشتد بالمسلمين وشرح ماجرى فى تلك السنين من الخوارزمية والتتر يطول والقصد الاختصار وفى سنة احدى واربعين وستمائة قصدت التتر بلاد غياث الدين كيخسرو السلجوقى صاحب بلاد الروم فأرسل واستنجد بالحلبيين فأرسلوا اليه نجدة مع ناصح الدين الفارسى وجمع العساكر من كل جهة والتقى مع التتر فانهزمت عساكر الروم هزيمة قبيحة وقتل التتر منهم خلقا كثيرا وأسروا كثيرا وتحكمت التتر فى البلاد واستولوا ايضا على خلاط وآمد وهرب غياث الدين كيخسرو الى بعض المعاقل ثم ارسل الى التتر وطلب الامان ودخل فى طاعتهم وفى سنة ثلاث واربعين وستمائة قصدت التتر بغداد وخرجت عساكر بغداد للقائهم ولم يكن للتتر بهم طاقة فولى التتر منهزمين على أعقابهم تحت الليل ثم لما قدر الله وأراد من الازل انه لابد من استيلاء التتر على بغداد

وانقراض الدولة العباسية قدر سبحانه وتعالى لذلك أسبابا وجعل لذلك علامات ومقدمات أما الاسباب فأعظمها خروج المسلمين عن كمال الاستقامة وانهما كهم في المعاصي والشهوات واما العلامات والمقدمات فقد أوجد الله في تلك السنين علامات ومقدمات كان الناس يظنون عند مشاهدتها ان القيامة تقوم في تلك السنين ثم تبين بعد ذلك انها مقدمات وعلامات لانقراض الدولة العباسية وضعف اهل الاسلام قال الجلال السيوطي في حسن المحاضرة كان لانقراض الخلافة ببغداد وماجرى على المسلمين بتلك البلاد مقدمات نبه عليها العلماء منها انه في يوم الثلاثاء ثامن عشر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وستمائة هبت ريح عاصفة شديدة بمكة فألقت ستارة الكعبة المشرفة فاسكنت الريح لاو الكعبة عريانة قد زال عنها شعار السواد ومكثت احدى وعشرين يوما ليس عليها كسوة وقال الحافظ عماد الدين بن كثير وكان هذا فالا على زوال دولة بني العباس ومنذرا بما يقع بعد هذا من كائنة التتار لعنهم الله تعالى ومنها قال ابن كثير في سنة سبع وأربعين طغى الماء ببغداد حتى أتلف شيأ كثيرا من المحال والدور الشهيرة وتعذرت اقامة الجمعة بسبب ذلك وفي هذه السنة هجمت الفرنج على دمياط فاستحوذوا عليها وقتلوا خلقا من المسلمين وفي سنة خمسين وقع حريق بحلب احترق بسببه ستمائة دار فيقال ان الفرنج لعنهم الله ألقوه فيها قصدوا في سنة اثنتين وخمسين ظهرت نار في أرض عدن في بعض جبالها بحيث انه يطير شررها الى البحر في الليل ويصعد منها دخان عظيم في أثناء النهار فتاب الناس وأقلعوا عما كانوا عليه من المظالم والفساد وشرعوا في أفعال الخير والصدقات وفي سنة اربع وخمسين زادت دجلة زيادة مهولة فغرق خلق كثير من أهل بغداد ومات خلق تحت الهدم وركب الناس المراكب واستغاثوا بالله وعاينوا التلف ودخل الماء من أسوار البلد وانهدمت دار الوزير وثلثمائة وثمانون دارا وانهدم مخزن الخليفة يعني موضع خزانة أموال المسلمين وهلك شئ كثير من خزانة السلاح قال السبكي في الطبقات وكان ذلك من جملة الأمور التي هي مقدمة لوقعة التتار وفي هذه السنة في يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة وقع بالمدينة الشريفة صوت يشبه صوت الرعد البعيد تارة وتارة وأقام على هذه الحالة يومين فلما كان ليلة الاربعاء تعقب الصوت زلزلة عظيمة رجفت منها الارض والحيطان واضطرب المنبر الشريف واستمرت تزلزل ساعة بعد ساعة الى يوم الجمعة خامس الشهر فظهر من الحرة نار عظيمة وسالت أودية منها سيل الماء وسالت الجبال نارا وسارت نحو طريق الحاج العراقي فوقفت وأخذت تأكل الارض أكلا ولها كل يوم صوت عظيم من آخر الليل الى ضحوة واستغاث الناس بنبيهم صلى الله عليه وسلم وأقلعوا عن المعاصي واستمرت النار فوق الشهر وخسف القمر ليلة الاثنين منتصف الشهر وكسفت الشمس في غدوة وبقيت أياما متغيرة اللون ضعيفة النور واشتد فزع الناس وصعد علماء البلد الى الأمير يعظونه فطرح المكس ورد على الناس ما كان تحت يده من أموالهم ولما جاء النجاب الى بغداد بخبر هذه النار قال له الوزير الى اي الجهات ترمي شررها قال الى جهة الشرق وفي ليلة الجمعة مستهل رمضان من هذه السنة احترق المسجد الشريف النبوي ابتداء حريقه من زاويته الغربية من الشمال وكان

على المعتاد ولم يحصل شئ لله الحمد ورجعت الحجوج (دخول سنة ١١٢٢) ودخلت سنة الف ومائة واثنين وعشرين وفي آخر شعبان تفرق جماعة من السادة الاشراف من ذوي مسعود وذوي عمرو وذوي عبد الله وذوي جازان والتواعلى الشريف سعيد وتعرضوا ثلاثة من الجلاب الواصلة من اليمن ثم جمعوا جموعا وقصدوا امكة مع الشريف سعيد فتجهز الشريف عبد الكريم لملاقاتهم والتقوا في شهر ذي القعدة عند المعجر ووقع بينهم قتال عظيم ثم انهزموا ورجع الشريف عبد الكريم الى مكة وتوسط بعض الاشراف فأصلح بعض الغاضبين وأدخلهم في الطاعة ووصل الحج فخرج لملاقاته ولبس الخلعة على المعتاد وحج بالناس في أمن وأمان الا أنه حصل بين الشريف عبد الكريم ونصوح باشا منافرة سببها ان حمزة أمير حج الشام عليه لبعض السادة الاشراف دراهم بحسب العوائد القديمة فنوى في هذه السنة عدم اعطائها فوصل الى نصوح باشا ودخل عليه

قد دخل احد خدمة المسجد الى خزانة هناك ومعه نار فعلقت فى لآلات وتعلقت بالسقف
سرعة ثم دبت فى السقوف فأعجلت النار عن قطعها فما كان الا ساعة حتى احترق
سقوف المسجد أجمع ووقعت بعض اساطينه وذاب رصاصها واحترق
سقف الحجرة النبوية الشريفة واحترق المنبر الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم
يخطب عليه وعد ما وقع من تلك النار الخارجة وحريق المسجد من الآيات وكانت كلها منذرة
بما يعقبها فى السنة الآتية من الكائنات انتهى ما ذكره الجلال السيوطى فى حسن المحاضرة
وذكر السيد السمهودى فى خلاصة الوفا زيادة ايضاح لسبب ذلك الحريق فقال احترق
المسجد النبوى ليلة الجمعة اول شهر رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة اول الليل لدخول
أبى بكر بن أوحد الفراش الحاصل الذى فى الزاوية الغربية الشمالية لاستخراج قناديل لمنائر
المسجد وترك الضوء الذى كان فى يده على قفص من أقفاص القناديل فيه مشاق فاشتعلت
النار فيه وأعجزه طفؤها وعلقت ببسط وغيرها مما فى الحاصل وعلا الالتهاب حتى علقت
بالسقف مسرعة أخذت قبلة وأعجلت الناس عن اطفائها بعد ان نزل امير المدينة واجتمع
معه غالب أهلها فلم يقدروا على طفئها وما كان الا أقل من القليل حتى استولى الحريق على
جميع سقف المسجد وما احتوى عليه من المنبر النبوى والابواب والخزائن والمقاصير
والصناديق ولم يبق خشبة واحدة اى كاملة وكذا الكتب والمصاحف ووقع السقف
الذى كان على اعلى الحجرة على سقف بيت النبى صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا فى الحجرة
الشريفة وعلى القبور المقدسة ولم يكن فى ذلك الزمن قبة على القبور المقدسة وانما كان
سقف فقط وأول من جعل ذلك السقف قبة السلطان المنصور قلاوون الصالحى سنة
ثمان وسبعين وستمائة فجعلت قبة صغيرة مربعة من أسفلها مثمنة من اعلاها بأخشاب
اقيمت على رؤس السوارى المحيطة بالحجرة الشريفة ولما كانت عمارة السلطان قايتباى
للمسجد النبوى سنة سبع وثمانين وثمانمائة جعلت القبة المشرفة متناهية فى العلو وجعلت
من الآجر واسس لها دعائم عظام بارض المسجد وقد بسط العلامة السمهودى فى خلاصة
الوفا الكلام على النار التى ظهرت بالحرم لانها من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم
من حيث انه أخبر عنها قبل وقوعها فقد روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال لاتقوم الساعة حتى تظهر نار الحجاز وفى رواية للبخارى تخرج نار فى ارض الحجاز
تضيء اعناق الابل ببصرى وفى مسند الفردوس وكامل ابن عدى عن عمر بن الخطاب رضى
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتقوم الساعة حتى يسيل واد من أودية الحجاز
بالنار تضيء له أعناق الابل ببصرى ثم أطال الكلام فى بيان ذلك ثم قال قال النووى تواتر العلم
بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام وكانت فى زمنه اى النووى وكان ابتداء ذلك زلزلة
بالمدينة مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة لكنها كانت خفيفة فلم يدركها بعضهم
مع تكررها واشتدت فى يوم الثلاثاء وظهرت ظهورا عظيما ثم ليلة الاربعاء ثالث الشهر فى الثلث
الاخير من الليل حدثت زلزلة عظيمة جدا أشفق الناس منها واستمرت تزلزل بقية الليل ثم الى
يوم الجمعة ولها دوى أعظم من الرعد فتموج الارض وتتحرك الجدران حتى وقع فى يوم واحد

فبلغ الاشراف ذلك فتوجهوا الى الشريف وأخبروه بالواقع فاستغرب من الباشا هذا الفعل وأرسل اليه
يعرفه بالعوائد والقوانين
وأن هذا الرجل جاء صحبة
حج الحسا ماهو من حجاجك
الذين جاؤا صحبتك وعليه
دراهم عوائد لبعض
الاشراف فالتفت الباشا
الى هذا الكلام وأعاد
الجواب الى الشريف
بكلام أنفت نفسه منه
وأوقف الشريف القاضى
والباشا صاحب جدة
وأميرا الحاج المصرى
وأغاوات السبع بلكات
على كلام نصوح باشا فكلهم
صار يلوم نصوح باشا
وقالوا له لاسبيل لك الى
هذا فمنع الشريف من نفاذ
أحكامه فى بلده واعتد
الشريف لمدافعته فلما
رأى عزم الشريف وشدة
بأسه بادر بالارتحال
فتركه الشريف وأعرض
عنه واستحسن كتابة محضر
فى نصوح باشا على لسان
السادة الاشراف ومحضر
من أهالى مكة ومحضر
من صاحب جدة فكتبت
المحاضر ومضمون الجميع
شكوى نصوح باشا ورفع
أفعاله الى الدولة بجميع
ما ملكه فى الحرمين
وأرسل المحاضر مع هدية
سنية صحبة رجل من
الاروام وجاءت أخبار بأن
عربان حرب جمعوا جموعا كثيرة وقصدوا النصوح باشا فى جبال الخيف فأرسل جماعة من عسكره يكشفون له خبرهم

دون ليلته ثمان عشرة حركة ونقل عن ابى شامة عن القاشانى قال تزلزلت الارض يوم الجمعة
زلزلة عظيمة الى ان اضطربت منائر المسجد وسمع لسقفه صرير عظيم فلما كان يوم الجمعة
نصف النهار ظهرت تلك النار فثار من محل ظهورها فى الجو دخان متراكم غشى الافق سواده
فلما تراكمت الظلمات وأقبل الليل سطع شعاع النار فظهرت مثل المدينة العظيمة فى جهة المشرق
وقال القرطبى وكانت ترى على صفة البلد العظيمة عليها سور محيط عليه شراريف وابراج
ومنائر ويرى رجال يقودونها لاتمر على جبل الادكته وأذابته ويخرج من مجموع ذلك مثل
النهر احمر وازرق له دوى كدوى الرعد يأخذ الصخور بين يديه واجتمع من ذلك ردم صار
كالجبل العظيم فانتهت النار الى قرب المدينة ومع ذلك فكان يأتى المدينة نسيم بارد وشوهد
لهذه النار غليان كغليان البحر قال وقال لى بعض اصحابنا رأيتها صاعدة فى الهواء من نحو
خمسة ايام وسمعت انها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى وقال القطب القسطلانى وكان
موجودا فى ذلك العصر وهو جد القسطلانى شارح البخارى ان ضوءها استولى على مابطن
وظهر حتى كأن الحرم والمدينة قد أشرقت بهما الشمس وتأثر من لهيبها النيران وصار
نور الشمس على الارض يعتريه صفرة ولونها هى يعتريه حمرة والقمر كأنه كسف وقال
أبو شامة انها رؤيت من مكة ومن الفلاة جميعها ومن ينبع قال واخبرنى من أثق به ممن
شاهدها بالمدينة انه بلغه انه كتب بتيما على ضوئها الكتب وتيما اسم موضع والشمس والقمر فى
مدتها مايطلعان الا كاسفين قال ابوشامة وظهر عندنا بدمشق اثر ذلك الكسوف من ضعف
النور على الحيطان وكنا حيارى من ذلك الى ان بلغنا خبرها وقال القطب القسطلانى وقد
أخبرنى جماعة انهم شاهدوها من جبال ساية وجاء من اخبر انه ابصرها بتيما وبصرى
هى منهما مثل ماهى من المدينة فى البعد وقال العماد بن كثير اخبرنى قاضى القضاة
صدر الدين الحنفى قال اخبرنى والدى الشيخ صفى الدين مدرس مدرسة بصرى انه اخبره
غير واحد من الاعراب صبيحة الليلة التى ظهرت فيها هذه النار انهم رأوا صفحات أعناق
الابل فى ضوء تلك النار فظهر أنها الموعود بها وتمت بذلك المعجزة لحصول ماأخبر به صلى
الله عليه وسلم وانارتها بتلك الاماكن البعيدة ليتم الانذار واختصاص ظهورها بيوم
الجمعة لايخفى وكانت نعمة فى صورة نقمة اى لانه نعمة من حيث كونها معجزة للنبى
صلى الله عليه وسلم دالة على كمال صدقه صلى الله عليه وسلم وكانت ايضا سببا لتوبة
الناس والتجائهم الى الله تعالى ونقمة من حيث الانذار والتخويف فوجلت القلوب منها
وأشفقت وأعتق امير المدينة وهو عز الدين منيف بن شيحة جميع مماليكه ورد على الناس
مظالمهم وابطل المكس وهبط للنبى صلى الله عليه وسلم وبات فى المسجد ليلة الجمعة والسبت
ومعه جميع اهل المدينة حتى النساء والصغار وأهل النخل يتضرعون ويبكون كاشفين
رؤسهم مقرين بذنوبهم مستجيرين بنبيهم صلى الله عليه وسلم فصرف الله تعالى عنهم تلك
النار العظيمة ذات الشمال فالت من وادى احيليين الى جهة الشمال واستمرت مدة ثلاثة اشهر
فطالت مدتها ليشتهر أمرها ويزدجر عامة الخلق بها وعظم امرها ليشاهد منها عنوان
نار الآخرة وأرسل أمير المدينة عدة من الفرسان اليها فلم تجسر الخيل على القرب منها فترجل

فالتقوا بالقوم ووقع بينهم قتال وقتل غالب العسكر الذين أرسلهم ﴿ ٢٤ ﴾ فاشتد عليه الكرب ثم دفع لمبارك
ابن مضيان شيخ حرب
خمسة وعشرين كيسا
فأرسل مبارك بن مضيان
الى العرب وفرق عليهم
الدراهم وتعاهد معهم على
الكف عن القتال وأرسل
للباشا حال يصل اليك
مرسولى ارحل بالحج
لان العرب جمعتهم عندى
وفرقت عليهم الدراهم فعند
ذلك رحل الباشا بخزنته
وصحبته أكابر الحج وأتباع
الدولة وتأخر كثير من
الحجاج وكان بعض العرب
وهم عوف استقلوا ما
أعطاهم الشيخ مبارك
من الدراهم لكثرتهم
فحصل بينه وبينهم موافقة
ثم نكثوا عليه ولحقوا
الحجاج الذين تخلفوا
وأخذوهم عن آخرهم
وحصل بذلك غاية المصيبة
على المسلمين فانا لله وانا اليه
راجعون وحصل للشريف
عبد الكريم والمسلمين غاية
الغم لما بلغهم الخبر وأرسل
لمبارك بن مضيان يقبح
فعله ويتهدده ويعرفه ان
سيف السلطان طويل
وأما نصوح باشا فانه
لما وصل المدينة طلب من
من أهل المدينة محضرا
مضمونه ان جميع ماصار
على الحجاج من نهب
وتعب فكان بأمر من الشريف عبد الكريم فما وافقوه على ذلك وقالوا ماعندنا علم بذلك فلم يف

أصحاب الخيل وقربوا منها فذكروا أنها ترمى بشرر كالقصر ولم يظفروا بجلية أمرها فجرد الامير عزمه لذلك فوصل منها الى قدر غلوتين بالحجر ولم يستطع ان يجاوز موقفه من حرارة الارض وأحجار كالمسامير تحتها نار سارية ومقابله ما يتصاعد من اللهب فعاين نارا كالجبال الراسيات والتلال المجتمعة السائرات تقذف بزبد الاحجار كالبحار المتلاطمة الامواج وعقد لهيبها فى الافق قتاما حتى ظن الظان ان الشمس والقمر كسفا اذ سلبا بهجة الاشراق فى الآفاق وقال القطب القسطلانى انها لم تزل مارة على سبيلها وهى تسحق ما والاها وتذيب مالاقاها من الشجر الاخضر والحصى وان طرفها الشرقى آخذ بين الجبال فحالت دونه ثم وقفت وان طرفها الشامى وهو الذى يلى الحرم تصل بجبل يقال له عير على قرب من شرقى جبل احد ومضت فى الشظاه التى فى طرفها وادى حمزة رضى الله عنه حتى استقرت تجاه حرم النبى صلى الله عليه وسلم فطفئت قال وأخبرنى شخص أعتمد عليه أنه عاين حجرا ضخما من حجارة الحرم كان بعضه خارجا عن حد الحرم فعلقت بما خرج منه فلما وصلت الى ما دخل منه فى الحرم طفئت وخمدت وقال ابو شامة ان سيل هذه النار انحدر مع وادى الشظاه حتى حاذى جبل احد وكادت النار تقارب حرة العريض ثم سكن قتيرها الذى يلى المدينة وطفئت مما يلى العريض ورجعت تسير فى المشرق وقال كثير من المؤرخين انها سالت سيلا ذريعا فى واد يكون طوله مقدار أربعة فراسخ وعرضه اربعة أميال وعمقه قامة ونصف وهى تجرى على وجه الارض والصخر يذوب كما يذوب الرصاص ولم يزل يجتمع منه فى آخر الوادى عند منتهى الحرم اى فى المشرق حتى قطعت فى وسط وادى الشظاه الى جهة جبل عير فسدت الوادى المذكور بسد عظيم من الحجر المسبوك بالنار قال السيد السمهودى وآثار ذلك السد موجودة اليوم هناك ويسمى المحبس وانقطع وادى الشظاه بسبب ذلك وصار السيل يحتبس خلف السد المذكور حتى يصير بحرا مد البصر عرضا وطولا وأما ماذكره بعضهم من ان تلك النار ليس لها حر فلعل ذلك كان آخر أمرها فهذه الآيات كلها مقدمات لاخذ التتار بغداد وانقراض الدولة العباسية وظهور الضعف والخلل لاهل الاسلام وذكر الامام القرطبى فى تذكرته ان هؤلاء التتر هم الذين ذكرهم النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله يقاتلو نكم قوم صغار الاعين كأن وجوههم المجان المطرقة بفتح الراء المشددة وفى رواية عراض الوجوه ذلق الانوف غلاظها وأطال فى بيان روايات الحديث وقال ان هذا الامر الذى أخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم قد وقع كما أخبر ونقل مثل ذلك عن الحافظ ابن دحية وغيره وأطال فى بيان ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر أخذ التتر بغداد وقتلهم الخليفة ﴾

قد تقدم ما تملكه التتر من ممالك الاسلام فى السنين المتقدمة وصاروا بعد ذلك يدبرون الامر فى اخذ بغداد ويتخوفون من كثرة العساكر الموجودة عند الخليفة وعزموا على أخذها فى سنة ثلاث واربعين وستمائة فانهزمت عساكرهم وضعف عزمهم ولما كان اخذهم اياها مقدرا فى علم الله تعالى محدودا بأيام مخصوصة سهل لهم الاسباب التى توصلهم الى ذلك عند

عبد الكريم وحرب وجمع أكابر الحجاج وقاضى المدينة المتوجه صحبته وأمين الصرة وكتب حجة مضمونها ان الشريف عبد الكريم أرسل اخوانه لى عرب حرب وأمرهم بقتل الباشا ونهب الحجاج وانا رأينا اخوان الشريف بأعيننا يقاتلون مع عرب حرب وكتب فيها جميع ما أراد ومن توقف عن الشهادة أرضاه وكتب من عنده ما أراد وأرسل الجميع صحبة الجغة الى الدولة من اثناء الطريق وأرسل صحبتهم كخيته

(دخول سنة ١١٢٣)

وكان ذلك كله فى شهر محرم الحرام فتتاح سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف وفى يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة جاءت أخبار من المدينة المنورة بأن السلطنة العلية أمرت بتوجيه شرافة مكة للشريف سعيد وورد اليهم صورة الامر الصادر من الدولة العلية ومعه كتب من نصوح باشا شيخ الحرم وللقاضى ولاغاوات الاسباهية وأغاة القلعة

يجيء وقته في ذلك ان وزير الخليفة كان رافضيا ويحب نقل الخلافة من بني العباس الى
العلويين وسولت له نفسه ان ذلك يسهل اذا قويت شوكة التتار وأنه يعقد معهم صلحا وينقل
الخلافة للعلويين على زعمه فصار يكاتب التتار ويظهر لهم أنه يحب استيلاءهم وان أمر المسلمين
يكون تابعا لأمرهم وكان الخليفة المستعصم بالله مفوضا أمور الخلافة الى الوزير المذكور
فيتقاله ويقبل اشارته ويصغي لما يقول مع ان الخليفة المذكور كان صحيح العقيدة يعتقد
مذهب أهل السنة ويميل الى الخير والصلاح ويحب أهل الخير والصلاح لكنه كان قليل
المعرفة بتدبير الملك مهملا للامور المهمة محبا لجمع المال فأهمل أمر التتار وانقاد الى وزيره
محمد بن محمد بن العلقمي حتى كان في ذلك هلاكه وهلاك الرعية فان ابن العلقمي كتب كتابا
الى هلاكو ملك التتر وهو ابن طولي بن جنكزخان أنك تحضر الى بغداد وأنا أسلمها لك
وكان من جملة الاسباب التي حملته على ذلك وقوع فتنة في تلك الايام بين الرافضة وأهل السنة
في بغداد أدت تلك الفتنة الى نهب عظيم وخراب وقتل عدة من الرافضة فغضب لذلك
ابن العلقمي وجسر التتار على العراق ليشفي من أهل السنة فلما كتب لملك التتر يحثه على
الحضور كتب له ملك التتار ان عساكر بغداد كثيرة فان كنت صادقا فيما قلته وداخلا
في طاعتنا فرق عساكر بغداد ونحن نحضر فلما وصل كتابه الى الوزير دخل على الخليفة
المستعصم وقال له ان جندك كثيرة وكانوا أكثر من مائة الف وعليك كلفة كثيرة والعدو
قد رجع والصواب أنك تعطي دستورا لخمسة عشر الفا من العساكر ليتوفر معلومهم
فأجابه المستعصم لذلك فخرج الوزير لوقته ومحا اسم من ذكر من الديوان ثم نفاهم من بغداد
ومنعهم من الاقامة بها ثم بعد شهر فعل مثل فعلته الاولى ومحا اسم عشرين ألفا من الديوان
ثم كتب الى ملك التتر بما فعل وكان تدبير الوزير ان التتر اذا قدموا بغداد يقتلون الخليفة
ويضعفون شوكة بني العباس ثم يعودون الى سبيلهم فيبقى هو على ماهو عليه من العظمة
والعساكر وتدبير المملكة فيقوم عند ذلك بدعوة العلويين الرافضة من غير مانع ثم يضع
السيف في اهل السنة هذا كان قصده ولما بلغ ملك التتر مافعل الوزير ابن العلقمي من
محو العساكر واضعاف امر الخلافة سار بجيوشه في اول سنة ست وخمسين وستمائة ومعه
أيضا الكرج وعسكر الموصل وخلائق لا يحصون وقصد بغداد ونزل عليها وصار
الخليفة المستعصم يستدعي العساكر ويتجهز لحرب التتر وقد اجتمع اهل بغداد وتحالفوا
على قتال التتر وخرجوا الى ظاهر بغداد وقاتلوا التتر قتالا عظيما وكثرت الجراحات والقتلى
في الفريقين الى ان نصر الله عساكر بغداد وانكسر التتر أقبح كسرة وساق المسلمون
خلفهم وأسروا منهم جماعة وعادوا بالاسرى ورؤوس القتلى الى ظاهر بغداد ونزلوا بخيامهم
مطمئنين بهروب العدو وانهزامه فأرسل الوزير ابن العلقمي في تلك الليلة جماعة من أصحابه
فقطعوا شط الدجلة فخرج ماؤها على عساكر بغداد وهم نائمون فغرقت مواشيهم وخيامهم
وأموالهم وصار السعيد منهم من لقي فرسا يركبها وارسل الوزير الى ملك التتر يعرفه بما فعل
ويأمره بالرجوع الى بغداد فرجع بعساكره الى ظاهر بغداد فلم يجدوا هناك من يردهم فلما
أصبحوا خرج لهم طائفة من عسكر المسلمين وعليهم الدويدار فالتقوا مع طلائع التتر فانهزم

سعيد يوم الاثنين تاسع عشر شوال وزينوا المدينة وأرسلوا صورة الامر لاسمعيل باشا متولي جدة وطلبوا منه أن ينادي في جدة فامتنع من النداء خوفا على البلد والطريق لئلا يقع خلل يوجب ذلك وفي تاسع شهر ذي القعدة وصل جماعة من الطائف وأخبروا أن الشريف سعيدا وصل قرب الطائف وبعد قوم فأمر الشريف عبد الكريم عسكره الجبالية والسقمانية ان يبرزوا الى المعابدة ثم بعدهم بيومين برز هو الى الابطح ببقية عسكره وعسكر مصر والسادة الاشراف ونزل في مخيمه وأرسل من يأتيه بخبر الشريف سعيد وقومه الذين معه ثم جاءه الخبر انه وصل الى شداد فأمر بدق الزير واجتمع الاشراف والعساكر وتوجه بهم الى عرفة في الثاني والعشرين من ذي القعدة فوجد الشريف سعيدا نازلا بها فبات كل منهما وعند الصباح وقع الرمي بين الفريقين بالبندق واستمر الحرب الى آخر النهار ووقع الصواب في الجيشين وقتل البعض من العسكرين ثم ان الاشراف دخلوا بينهم بالكف عن الحرب يومين فانتقل الشريف سعيد الى الشريعة بلاد ذوي حازان والشريف عبد الكريم

(المسلمون)

المسلمون لقتلهم وأحاطت عساكر التتر ببغداد فقال الوزير ابن العلقمي للخليفة المستعصم بالله انى أخرج الى تلافى هذا الامر واعقد الصلح واقرره فأذن له فى ذلك فخرج وتوثق لنفسه ورجع وأخبر الخليفة ان ملك التتر رغب ان يزوج بنته بابنك وان تكون الطاعة له كما كانت للملوك السلجوقية ويرحل عنك فخرج المستعصم فى اعيان دولته وأعيان العلماء واكابر أهل الوقت ليحضروا العقد فلما حضروا عند ملك التتر أمر بالقبض عليهم وضربت أعناقهم وقتلوا الخليفة بوضعه وولده فى عدلين وامر التتار برفسهما الى ان ماتا وقيل أغرقهما ودخلت التتر بغداد واقتسموها وكل أخذ ناحية وبقى السيف يعمل أربعة وثلاثين يوما وقل من سلم ولم يرحموا شيخا كبيرا لكبره ولا صغيرا لصغره ولا عالما لعلمه ونهبت دار الخلافة ومدينة بغداد حتى لم يبق فيها لا ماقل ولا ماجل ثم احرقت بغداد بعد ان قتل اكثر أهلها قيل ان عدة من قتل يزيد على الفى الف وثلاثين الف انسان ثم نادوا بالامان وانقرضت الخلافة من بغداد بقتل المستعصم هذا وبقيت الدنيا بلا خليفة ثلاثة سنين ونصف سنة وكانت مدة خلافة المستعصم خمس عشرة سنة وثمانية اشهر واياما وعمره نحو سبع واربعين سنة وأما الوزير ابن العلقمى فلم يتم له ما أراد فلم يلبث أن أمسكه ملك التتر بعد قتل المستعصم بأيام ووبخه بألفاظ شنيعة معناها انه لم يكن له خير فى مخدومه ولا فى دينه فكيف يكون له خير فى ملك التتر ثم انه قتله شر قتلة قيل ان ابن العلقمى بعد قتل المستعصم وقبل قتله هو بقى يركب اكديشا فنادته عجوز يا ابن العلقمى أهكذا كنت تركب فى أيام المستعصم فلم يجبها وكان بعد ان قتل الخليفة يظن ان رياسته تبقى له فأبقوها له اياما الى ان قتلوه قيل انه فى تلك الايام التى أبقوا له الرياسة فيها بعد قتل الخليفة دخل عليه بعض التتر ممن ليس له وجاهة راكبا فرسه فسار الى ان وقف بفرسه على بساط الوزير وخاطبه بما اراد وبال الفرس على بساط الوزير وأصاب الرشاش ثياب الوزير وهو صابر لهذا الهوان يظهر قوة النفس وأنه بلغ مراده ولما انعكست عليه الامور ندم حيث لا ينفعه الندم وكان يقول بعد ذلك وجرى القضاء بعكس ما أملته لانه عومل بأنواع الهوان من اراذل التتار والمرتدة وقال له بعض اهل بغداد يامولانا انت فعلت هذا جميعه حمية حيث الشيعة وقد قتل من الاشراف الفاطميين مالا يحصى وكان دخول التتر بغداد وقتلهم الخليفة المستعصم فى العشرين من المحرم سنة ست وخمسين وستمائة وبقى الوزير ابن العلقمى الى اوائل المحرم سنة سبع وخمسين فتكون المدة التى بقى فيها بعد قتل الخليفة سنة واحدة وقيل انما مكث بعد قتل الخليفة اياما قلائل وان التتر لم يقتلوه وانما مات غما وكمدا لما انعكست عليه الامور وعض يده ندما وفى تاريخ ابن كثير عن الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال احد الزهاد وقال كنت بمصر فبلغنى ماوقع ببغداد من القتل الذريع فأنكرته بقلبي وقلت يارب كيف هذا وفيهم أطفال ومن لا ذنب له فرأيت فى المنام رجلا وفى يده كتاب فأخذته فاذا فيه

دع الاعتراض فالامر لك ❊ ولا الحكم فى حركات الفلك
ولا تسأل الله عن فعله ❊ فمن خاض لجة بحر هلك

جلس مقابلا له بينهما مسافة ساعة فركب الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد الى الشريف سعيد وقال له ياسيدى طلبنا الكف عن الحرب بينكما مدة يومين وقد مضت والآن قصدى أن تكون الاجلة الى ثالث عشر ذى الحجة فان كان الامر السلطانى جاءك فتكون هذه المدة لك ويخرج الشريف عبد الكريم من مكة فتم الامر بينهم على هذا فركب الشريف عبد الكريم بمن معه ورجع الى مكة ونزل فى بستان الوزير عثمان حيدان واستمر فى البستان من ظهر يوم الثلاثاء ليوم الخميس وفيه طلع اليه جميع العساكر الا الانكشارية والمتفرقة فانهم تأخروا عن الطلوع وطلع أيضا السادة الاشراف لقصد نزوله بالالاى على مجرى العادة وكان بعض الاشراف فى مدة الاجلة نزل الى البلد بصورة الفرمان الوارد للشريف سعيد وبيت الامر ليلا مع الانكشارية والمتفرقة والقاضى فعند خروج العسكر للالاى اجتمعوا عند القاضى وسجلوا صورة الامر الوارد واجتمع خلق فى المحكمة ووقع القيل والقال فحصل من ذلك ضجة عظيمة وأرسلوا المنادى ينادى فى البلد للشريف سعيد ومع المنادى شريف من الاشراف وأما الشريف عبد الكريم فما عنده علم بجميع ذلك واجتمع عنده السادة الاشراف والعساكر الذين

قال الجلال السيوطي في حسن المحاضرة بعد ذكره ذلك قلت أجرى الله عادته ان العامة اذ زاد فسادها وانتهكوا حرمات الله ولم تقم عليهم الحدود أرسل الله عليهم آية في أثر آية فان لم ينجع ذلك فيهم أتاهم بعذاب من عنده وسلط عليهم من لا يستطيعون له دفعا ثم قال الجلال وقد وقع في هذه السنين ما يشبه الآيات الواقعة في مقدمات واقعة التتار وأنا خائف من عقبى ذلك فاللهم سلم سلم انتهى واذا كان هذا في زمانه وهو القرن التاسع فما بالك بزماننا وهو القرن الرابع عشر فنسأل الله السلامة وحسن الاستقامة فقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في بعض خطبه والله لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها

﴿ فائدتان ﴾

الاولى استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية من بغداد قد جاء الاخبار به قبل وقوعه مأثورا عن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فانه كان يقول ان الخلافة تصير الى ولده حتى يأتيهم العلج من خراسان فينتزعها منهم فكان كما قال والظاهر ان مثل هذا الخبر لا يقال بالرأي ولا بالحدس والتخمين وانما يكون بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم فيكون الاخبار بذلك قبل وقوعه من معجزاته صلى الله عليه وسلم وهذا الذي ذكرنا انه مأثور عن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ذكره كثير من المؤرخين منهم الملك المؤيد صاحب حماه في تاريخه وكذلك ابن الوردي وغيرهما وعبارة ابن الوردي بلغ بعض خلفاء بني امية عن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه يقول ان الخلافة تصير الى ولده فأمر الاموي بعلي بن عبد الله فحمل على جمل وطيف به وضرب وكان يقال عند ضربه هذا جزاء من يفتري ويقول ان الخلافة تكون في ولده فكان علي بن عبد الله يقول اي والله لتكونن الخلافة في ولدي ولا تزال فيهم حتى يأتيهم العلج من خراسان فينتزعها منهم فكان كما قال والعلج المذكور هلاكو وفي تاريخ ابن خلكان ان الاموي الذي أمر بضربه وحمله على جمل هو الوليد بن عبد الملك ثم قال ابن الوردي قلت قال ابن خلكان في تاريخه ان عليا رضي الله عنه افتقد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يوما وقت صلاة الظهر فقال لاصحابه ما بال أبي العباس لم يحضر الظهر فقالوا ولد له مولود فلما صلى علي رضي الله عنه قال امضوا بنا اليه فأتاه فهنأه فقال شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ما سميته فقال أو يجوز ان اسميه حتى تسميه فأمر به فأخرج اليه فأخذه فحنكه ودعا له ثم رده اليه وقال خذ اليك أبا الاملاك قد سميته عليا وكنيته ابا الحسن ودخل علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يوما على هشام بن عبد الملك ومعه ابنا ابنه محمد وهما السفاح والمنصور ابنا محمد ابن علي المذكور فأوسع له هشام على سريره وسأله عن حاجته فقال ثلاثون الف درهم علي دين فأمر بقضائها ثم قال علي لهشام وتستوصي بابني هذين خيرا ففعل فشكره وقال وصلتك الرحم فلما ولى علي ابن عبد الله بن عباس قال هشام لاصحابه ان هذا الشيخ قد اختل وأسن وخلط فصار يقول ان هذا الامر سينتقل الى ولده فبلغ ذلك علي بن عبد الله ابن عباس فقال والله ليكونن ذلك وليملكن هذين يعني السفاح والمنصور وكان الامر

خرجوا لملاقاته فركب وركبوا معه وساروا من بستان الوزير عثمان حميدان الى أن وصلوا الى الدرويشية فلقيه السيد ظافر بن محمد هناك وأخبره بالواقع وأن المنادي وصل الى سوق المعلاة وان بعض الاماكن مترسة فأخذ الشريف يفكر في عاقبة هذا الامر فتناخت عنده السادة الاشراف وقالوا لا بد من الدخول الى البلاد فمنعهم الشريف عبد الكريم من ذلك وقال نخشى على الرعية تذهب بسبب ذلك ويهلك القوي والضعيف وعذري منكم يا رفاقي ما سمعتم وأما مكة فقد أعطيتها حقها وذببت عنها ودفعت من أراد دخولها وجميع ما وقع فيها من وال ومحاوزة انما كانت في وجه جماعة من آل بني نمي ورأى ان ترجعوا شفقة على البلاد والعباد ثم مشى الى الحجون الى أن وصل طوى فوقف هناك الشريف ثم تناخت الاشراف أيضا وعزموا على دخول البلد من الشبيكة فمنعهم أيضا ثم استدعى السيد عبد المعين بن محمد ابن حمود وأودعه طارفته ورجاله وجميع ما يتعلق به لاهو وما تم وتوجه الى الوادي ثم معه من الاشراف والاتباع ما عدا العسكر الجبالية فانهم بخدمة كل متول وأما الشريف سعيد فانه لما نودي له بالبلاد وجاءه الخبر بأن الامر قد تم له وسجل عند

(كذلك)

كذلك وكان على بن عبدالله هذا عظيم المحل عند أهل الحجاز وكان يلقب بالسجاد كان يصلي كل يوم ألف ركعة لانه كان له خمسمائة اصل زيتون يصلي في كل يوم الى كل اصل ركعتين وكان أجل قرشي على وجه الارض وأوسمهم وكان اذا قدم مكة حاجا او معتمرا عطلت قريش مجالسها في المسجد الحرام وهجرت مواضع حلقها ولزمت مجلسه اعظاما واجلالا وتبجيلا له فان قعد قعدوا وان نهض نهضوا وان مشى مشوا خلفه وحوله ولايزالون كذلك حتى يخرج من الحرم وكان اذا طاف كأنما الناس حوله مشاة وهو راكب من طوله وكان مع هذا الطول يكون الى منكب أبيه عبدالله وكان عبدالله الى منكب ابيه العباس وكان العباس الى منكب ابيه عبدالمطلب نظرت عجوز الى على بن عبدالله بن عباس وهو يطوف فقالت من هذا الذى فرع الناس (فرع) بالعين المهملة اى على عليهم فقيل لها على بن عبدالله بن عباس فقالت (لااله الاالله) ان الناس ليرذلون عهدى بالعباس يطوف بهذ البيت كأنه فسطاط ابيض وذكر هذا كله المبرد في الكامل وذكر ان العباس كان عظيم الصوت وجاءتهم مرة غارة وقت الصباح فصاح واصباحاه فلم تسمعه حامل في الحى الا وضعت والله سبحانه وتعالى اعلم اه وتوفى على بن عبد الله المذكور سنة سبع عشرة ومائة وعمره ثمانون سنة وكانت مدة خلافة بنى العباس خمسمائة سنة واربع وعشرون سنة لان ابتداء دولتهم سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانتهاؤها سنة ست وخمسين وستمائة وعدد خلفائهم سبعة وثلاثون خليفة فسبحان الملك الحق الذى لايزول ملكه وهو الباقي بعد فناء خلقه

﴿ الفائدة الثانية ﴾

أول خلفاء بنى حرب بن امية معاوية رضى الله عنه وآخرهم معاوية وأول خلفاء بنى الحكم مروان ابن الحكم وآخرهم مروان بن محمد وأول خلفاء بنى العباس عبدالله السفاح وآخرهم عبدالله المستعصم واول ملوك بنى الاحمر الذين تداولوا ملك الاندلس في آخر المدة محمد بن يوسف بن نصر وآخرهم محمد بن سعد واول ملوك بنى مرين ملوك المغرب الاقصى عبدالحق وآخرهم عبدالحق فانظر كيف توافقت أسماء ملوك اول هذه الدول وأسماء ملوك آخرها وذلك بتقدير الله وتدبيره فانه سبحانه وتعالى له في كل شئ حكمة بل ما من ذرة في العالم الا وهى مشتملة على حكمة بل على حكم كثيرة وكل ذلك بتقدير العزيز العليم وسيأتي ذكر ماتملكه التتر بعد بغداد وهلك هلاكو بن طولى بن جنكزخان سنة ثلاث وستين وستمائة وترك خمسة عشر ابنا وملك بعده ابنه ابغا البلاد التى كانت بيد ابيه وهى اقليم خراسان وكرسيه نيسابور واقليم عراق العجم وتعرف ببلاد الجبل وكرسيه اصفهان واقليم عراق العرب وكرسيه بغداد واقليم اذربيجان وكرسيه تبريز واقليم خوزستان وكرسيه تستر وتسميها العامة ششتر واقليم فارس وكرسيه شيراز واقليم ديار بكر وكرسيه الموصل واقليم الروم وكرسيه قونية وغيرها مماليس في الشهرة مثل هذه الاقاليم العظيمة ومدة ملك هلاكو عشر سنين قال ابن الوردى قلت مات هلاكو على دينه بعلة الصرع وبنوا على قبره قبة بقلعة تلا وفي تاريخ الذهبي انه هلك سنة اربع وستين وستمائة اه كلام ابن الوردى وفي تاريخ القرماني مانصه ذكر

والاشراف ونزل الى دار السعادة عند غروب الشمس وأصبح يوم الجمعة فطلع اليه الناس وسلموا عليه وهنؤه ونودى له وبالامان في شوارع مكة وبالزينة سبعة أيام وفي غرة ذى الحجة وصل جماعة من الاشراف الذين كانوا عند الشريف عبدالكريم وسلموا على الشريف سعيد وفي ثالث الشهر وصل الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد وسلم عليه أيضا وفي رابع الشهر وصل الباشا من جدة وفي خامس ذى الحجة وصل كيخية نصوح باشا ومعه الامر السلطاني فانعقد مجلس بالحطيم حسب المعتاد وقرئ المرسوم على جرى العادة ولبس الشريف سعيد القفطان الوارد وألبس أهل المناصب على العادة الجارية ثم أرسل الشريف صيوانا وأمر ان ينصب في العمرة وهيأ سماطا عظيما لنصوح باشا وخرج لاستقباله فاستقبله وألبس مولانا الشريف القفطان الوارد صحبة الحج على حسب المعتاد ورجع بالالاى الى بيته يوم السبت سابع ذى الحجة

ثم عرض لامير المصرى على القانون المعتاد ولبس القفطان الوارد صحبته ثم حج بالناس على جارى العادة ولم يحصل شئ من

المخالفات ولله الحمد والمنة وهذه الولاية الخامسة للشريف سعيد واستمر في هذه الولاية الى ان توفى سنة تسع وعشرين ومائة وألف وان حصل من الشريف عبد الكريم بعد هذا حركات فهي غير منتجة بشئ فانه في شهر ربيع الاول من سنة أربع وعشرين ومائة وألف جاءت الاخبار للشريف سعيد بأن الشريف عبد الكريم وصل الى خليص وتيقن الوصول الى مكة ومعه جماعة من الاشراف والعرب فبرز الشريف سعيد للاقاته وأخرج العساكر والمدافع الى طوى وطلب قبائل هذيل وثقيف وبني سعد وناصرة ثم رحل من طوى الى النوارية ثم منها الى الوادي ثم تلاقى هو والشريف عبد الكريم بثنية عسفان ولم يحصل بينهما شئ بل تبين أن الشريف عبد الكريم لم يصل بقصد المقاومة وانما قصده النزول في احياء بلاده فظن مولانا الشريف سعيد أنه جاء بقصد القتال فاعتد لمقاومته ومدافعته ولم يحصل شئ غير ان السيد يحيى بن بركات واخوان الشريف عبد الكريم طلبوا الدخول في البلد فوافق الشريف على ذلك ونزل الشريف عبد الكريم بالحسينية ثم سافر الى جهة حرب ومكث مدة

الذهبي في تاريخه ان هلاكو سفك دم الف الف او يزيدون فهل يقدر المؤرخون ان يجمعوا ويصفوا سوء أعماله ومع هذا فان الله تعالى قد وفقهم للاسلام الآن الكفار المغولية ميلوه الى دين المجوسية فانقاد اليهم وقصد الممالك الاسلامية بالسوء ثم نقل القرماني ذكر البيضاوي في تاريخه ان الله تبارك وتعالى ألهم الى بعض اوليائه بفرض فضله ان يظهر شيأ من الكرامات المحمدية عند هلاكو منهم أبو يعقوب ومحمد خواجا دربندي قدس الله سرهما فحضرا عند هلاكو ودخلوا النار وشربوا السموم والنحاس المذاب فلما عاين هلاكو ذلك رجع عن الكفر والزندقة وخاف من الاولياء وعظم الملة الاسلامية واهلها وأسلم ومات بعلة الصرع في بلد مراغة ونقل الى قلعة تلا ودفن بها وبنى عليه قبة اه ولم يذكر اسلامه ابن خلدون ولا الملك المؤيد ولا ابن الشحنة فليحرر ذلك وانما الذي ذكروه اسلام احمد بن ابغا بن هلاكو والله سبحانه وتعالى اعلم قال الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء ولما فرغ هلاكو من قتل الخليفة وأهل بغداد أقام على العراق نوابه وحسن لهم ابن العلقمي ان يقيموا خليفة علويا فلم يوافقوه واطرحوه وصار معهم في صورة بعض الخدم والغلمان ومات كمدا الارحمه الله ولا عفى عنه ثم بعد تملكهم بغداد كتب هلاكو للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز الظاهر غازي بن صلاح الدين بن ايوب وكان ملك دمشق بيد الملك الناصر المذكور فكتب له هلاكو ثلاث مرات يأمره بالدخول في طاعته ويتهدده ويذكر له تملكه لاكثر البلاد وما فعله بأهل الاسلام فكاتبه الملك الناصر وصانعه وأرسل له هدايا لعلمه بعجزه عن ملتقى التتر

۞ ذكر مسير التتر الى ميافارقين في البلاد الشامية ۞

وفي سنة ست وخمسين ايضا قصدت التتر ميا فارقين بعد استيلائهم على بغداد وكان صاحب ميا فارقين حينئذ الملك الكامل محمد بن الملك المظفر غازي بن الملك العادل أبي بكر ابن ايوب فحاصره التتر وضايقوا ميافارقين مضايقة شديدة وصبر أهل ميافارقين مع الملك الكامل على الجوع الشديد ودام ذلك سنتين حتى عجزوا وسلموا فملك ميافارقين والبلاد والجزيرة وسير هلاكو جيوشه الى حلب والديار الشامية وارتجت الارض منهم وتزلزلت الناس في جميع الارض وسار في سنة سبع وخمسين الى خدمة هلاكو عز الدين كيكاوس وركن الدين قلج أرسلان ابنا كيخسرو السلجوقي صاحب الروم وأقاما معه مدة ثم عادا الى بلادهما وكذلك صانع هلاكو بدر الدين لولو صاحب الموصل وحمل اليه الاموال ووصل الى خدمة هلاكو بعد اخذ بغداد وفي سنة سبع وخمسين ايضا نازل هلاكو شرقي الفرات وحران وملكهما وارسل ولده سموط بن هلاكو الى الشام فوصل الى ظاهر حلب في أواخر ذي الحجة من سنة سبع وخمسين وكان الحاكم في حلب الملك المعظم توران شاه ابن السلطان صلاح الدين نائبا عن ابن اخيه الملك الناصر يوسف فخرج عسكر حلب لقتالهم وخرج الملك المعظم ولم يكن من رأيه الخروج وأكمن لهم التتر عند الباب المعروف بباب الله وتقاتلوا فاندفع التتر قدامهم حتى خرجوا عن البلد ثم عادوا عليهم وهرب

المسلمون وخرج كين التتر فطلب المسلمون دخول حلب هاربين و لتتر يقتلون فيهم حتى دخلوا البلد واختنق في ابواب البلد جماعة من المنهزمين ثم رحل التتر الى اعزاز فتسلموها بالامان وفي تاسع صفر من سنة ثمان وخمسين استولت التتر على حلب وذلك ان هلاكو حصرها بجيوشه الى ان ملكوها وقتل من المسلمين خلق كثير وصعد الى القلعة خلق ودام القتل والنهب نحوا سبوع ثم نادى هلاكو بالامان ولم يسلم من القتال الاجماعة كانت بأيديهم فرمانات بالامان من التتر ولما فتحت حلب وصل كبراء حماه الى حلب بمفاتيح حماه وحملوها الى هلاكو فأمنهم وأرسل اليهم بشحنة والشحنة بالكسر ضابط البلد وفي القاموس بالفتح ولما بلغ الناصر وهو بدمشق اخذ حلب رحل بعساكره الى الديار المصرية ومعه المنصور صاحب حماه ثم وصل التتر الى نابلس واستولوا عليها ثم استولوا على دمشق وسائر الشام الى غزة وشحنوا البلاد وقدم على هلاكو صاحب حمص فقبله واعادها اليه ثم رحل هلاكو الى حارم فامتنعوا ان يسلموها لغير فخر الدين والى قلعة حلب فاحضر وسلمت اليه فغضب هلاكو وأمر بهم فقتلوا عن آخرهم وسبى النساء ثم عاد هلاكو الى الشرق وتقدم ان ميافارقين ملكوها بعد محاصرتها سنتين وصاحبها الكامل محمد بن المظفر غازى مصابر ثابت حتى ضعف من عنده عن القتال فاستولوا عليها في هذا الوقت وقتلوه وطافوا برأسه في البلاد بالمغانى والطبول وعلق رأسه باب الفراديس من أبواب دمشق فلما عادت دمشق للمسلمين دفن بمشهد الحسين داخل باب الفراديس واما دمشق فملكوا المدينة بالامان فما نهبوا ولاقتلوا وعصت قلعتها فنصبوا عليها المجانيق ثم تسلموها بالامان ونهبوا مافيها وخربوا سور القلعة وأحرقوا آلاتها وزرد خاناتها ثم نازلوا قلعة بعلبك ثم ملكوها وخربوا قلعتها وكانوا اعتقلوا نقيب قلعة دمشق وواليها ثم بعد شهرين ضربوا اعناقهما ثم ان العساكر الاسلامية اجتمعت بمصر وسار بهم الملك المظفر قطز مالك مصر يريدون الشام لقتال لتتر وبلغ ذلك كتبغا نائب هلاكو على الشام فجمع من الشام من التتر وسار الى قتال المسلمين فالتقوا عند عين جالوت واقتتلوا فانهزمت التتر هزيمة قبيحة وأخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم كتبغا وقدر الله كال النصر للمسلمين بهذه الهزيمة واسترجع المسلمون دمشق وغيرها مما ملكوه من الديار الشامية بعد حصول اليأس من النصرة على التتر لاستيلائهم على معظم بلاد الاسلام ولانهم ماقصدوا اقليما الافتحوه ولاعسكرا الاهزموه وكان النصر والفتح لعظيم يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة ولما أراد الملك قطز ان يتجهز من مصر للخروج لقتال التتر بالشام أراد ان يأخذ من الناس شيأ من المال يستعين به على قتالهم فجمع العلماء فحضر الشيخ عز الدين ابن عبد السلام فقال لايجوز ان يؤخذ من الرعية شئ حتى لايبقى في بيت المال شئ وتبيعوا مالكم من الحوائص والآلات ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه ويتساووا في ذلك هم والعامة واما أخذ أموال العامة مع بقاء مافي أيدي الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا ذكره في حسن المحاضرة للجلال السيوطي وذكر أيضا عن الامام النووي أنه أفتى السلطان بيبرس المتولى بعد قطز بمثل ما أفتى به العز بن عبد السلام وأرسل له الفتوى من الشام ونص

وولايته كانت على مكة ثلاث مرات

(عدد ولايات الشريف عبد الكريم ومدتها ست سنين وعشرة أشهر)

المرة الاولى حين نزل له عن الولاية الشريف عبد المحسن سنة ألف ومائة وست عشرة سلخ ربيع الاول واستمر فيها الى سلخ رمضان من السنة المذكورة فدخل مكة الشريف سعد حين كان الشريف عبد الكريم باليمن كما تقدم فكانت مدة هذه الولاية ستة أشهر والولاية الثانية بعد اخراج الشريف سعد من مكة في التاسع عشر من شوال من السنة المذكورة واستمر فيها الى سادس ذى الحجة ختام سنة ست عشرة المذكورة والولاية الثالثة كانت بأمر سلطانى وصل الى مكة المشرفة رابع شهر شعبان من سنة ألف ومائة وسبع عشرة واستمر فيها الى عشرين من شهر ذى القعدة الحرام سنة ثلاث وعشرين ومائة والف فأخرجه منها الشريف سعيد بالامر السلطانى كما تقدم وبعدها لم يعد الشريف عبد الكريم الى شرافة مكة المعظمة

فجملة مدة الولايات الثلاث ست سنوات وعشرة أشهر الا انه في الولاية الاخيرة انسجمت احواله وكثرت امواله وتوفرت

المقصود من ذلك ولا يحل ان يؤخذ من الرعية شئ مادام فى بيت المال شئ من نقد او متاع أو ارض أو ضياع او غير ذلك قال وهؤلاء علماء المسلمين فى بلاد السلطان أعز الله انصاره متفقون على هذا قال الجلال السيوطى فلما أراد السلطان الظاهر بيبرس الخروج الى الشام لقتال التتر أخذ فتاوى العلماء بأنه يجوز له اخذ مال من الرعية ليستنصر به على قتال العدو فكتب له فقهاء الشام بذلك فقال هل بقى احد فقيل نعم بقى الشيخ محى الدين النووى فطلبه فحضر فقال اكتب خطك مع الفقهاء فامتنع فقال ما سبب امتناعك فقال انا أعرف انك كنت فى الرق للامير بندقدار وليس لك مال ثم من الله عليك وجعلك ملكا وسمعت ان عندك ألف مملوك كل مملوك له حياصة من ذهب وعندك مائة جارية لكل جارية حق من الحلى فاذا أنفقت ذلك كله وبقيت مماليكك بالبنود الصوف بدلا عن الحوائص وبقيت الجوارى بثيابهن دون الحلى أفتيتك بأخذ المال من الرعية فغضب السلطان الظاهر بيبرس من كلامه وقال اخرج من بلدى يعنى دمشق فقال السمع والطاعة وخرج الى نوى فقال الفقهاء ان هذا من كبار علمائنا وصلحائنا وممن يقتدى به فأعده الى دمشق فرسم برجوعه فامتنع الشيخ وقال لا أدخلها والظاهر بها فمات الظاهر بعد شهر قال الحافظ الذهبى كان الظاهر بيبرس خليقا للملك لولا ما كان فيه من الظلم قال والله يرحمه ويغفر له فان له ايامابيضا فى الاسلام ومواقف مشهودة وفتوحات معدودة وقال أيضا فى حسن المحاضرة فى موضع آخر وكان فى الظاهر بيبرس محاسن وغيرها وظلم أهل الشام غير مرة وافتاه جماعة بموافقة هواه فقام الشيخ محيى الدين النووى فى وجهه وأنكر عليه وقال أفتوك بالباطل وكان بمصر منقمعا تحت كلمة الشيخ عز الدين بن عبد السلام لا يستطيع ان يخرج عن أمره حتى أنه قال لما مات الشيخ عز الدين ما استقر ملكى الا الآن ومن محاسنه ماحكاه ابن كثير فى تاريخه انه حضر الى دار العدل فى محاكمة فى بئر بين يدى القاضى تاج الدين ابن بنت الأعز فقام الناس له لما جاء سوى القاضى فانه أشار اليه ان لا يقوم فقام هو وغريمه بين يدى القاضى وتداعيا وكان الحق بيد السلطان وله بينة عادلة به فانتزعت البئر من يد الغريم وهو احد الامراء ومن محاسن الظاهر بيبرس انه أكمل عمارة المسجد النبوى من الحريق المتقدم ذكره وصنع منبر المسجد النبوى وحج فى سنة سبع وستين فغسل الكعبة بيده بماء الورد وزار المدينة الشريفة فرأى الناس يلتصقون بالقبر فقاس ما حوله بيده وارسل فى العام الذى يليه درابزينا من خشب فأدير حول القبر الشريف

﴿ ذكر عود التتر الى الشام ﴾

لما وصل الخبر الى التتر بانهزام عساكرهم من الشام وخروجهم من تحت أيديهم جهزوا جيشا من سنتهم تلك ووصلوا الى حلب فى آخر السنة اعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة وملكوها وبذلوا السيف فى اهلها فأفنوا غالبهم وسلم القليل منهم واجتمع كثير من عساكر الاسلام بحمص وسار اليهم التتر فالتقوا بظاهر حمص خامس المحرم من سنة تسع وخمسين وستمائة وكان التتر اكثر من المسلمين بكثير ففتح الله على المسلمين بالنصر وولى التتر منهزمين وتبعهم المسلمون

دولته الاخيرة ورد من الهند صدقة لاهالى الحرمين قدرها خمسة لكوك روبية فحصل بذلك للشريف وللناس سرور كثير وعم بتلك الصدقة الخاص والعام وانتفع منها خلق كثير وكان ورودها فى شهر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف

(وفاة الوزير عثمان حيدار سنة ١١٢٣)

وفى هذا الشهر انتقل الى رحمة الله الخواجا الوزير عثمان حيدان رحمه الله وكان قد استوزره عدة من ملوك مكة المشرفة وارتفع صيته وعلا ذكره واجتمع عنده من الاموال مالا يحصى ومشى فى جنازته مخدومه مولانا الشريف عبد الكريم لان موته كان فى مدة شرافته وأما مولانا الشريف سعيد فولايته شرافة مكة كانت خمس مرات عدد ولايات الشريف سعيد ومدتها عشر سنين وسبعة أشهر) الاولى سنة تسع وتسعين وألف بعد وفاة عمه الشريف احمد بن زيد فاستقر خمسة أشهر وانتزعها منه الشريف أحمد بن غالب وولى مكة ودخلها ثانى شوال سنة تسع وتسعين وألف ومكث فيها سنة وتسعة أشهر

(يقتلون)

يقتلون ويأسرون كيف شاؤا وسار من سلم من التتر الى أفامية فقاتلهم المسلمون عندها فرحلوا وتوجهوا الى الشرق

﴿ مبايعة شخص بالخلافة واثبات نسبه ﴾

فى شهر رجب من هذه السنة أعنى سنة تسع وخمسين وستمائة قدم شخص الى مصر من بنى العباس الذين سلموا فى بغداد من قتل التتر واسمه أحمد بن الظاهر بن الناصر فعقدوا له مجلسا بمصر حضره العز بن عبد السلام وغيره من العلماء والسلطان الظاهر بيبرس وأثبتوا نسبه وعلى هذا يكون عم المستعصم وجاء جماعة من العرب العارفين به فشهدوا بنسبه فبايعه الملك السلطان بيبرس والعلماء والناس بالخلافة واهتم الملك الظاهر بأمره واحتفل به وجهز معه عساكر كثيرة ووجههم لقتال التتر طمعا انه يستولى على بغداد ثم جاءت الكتب منه انه استولى وعساكره على عانة والحديثة وان كتب اهل العراق وصلت اليه يستحثونه على الوصول اليهم ثم قبل أن يصل الى بغداد وصلت اليه التتر وقاتلوا الخليفة المذكور وقتلوه وقتلوا غالب أصحابه ونهبوا ما كان معهم وجاءت الاخبار الى مصر بذلك فى آخر السنة المذكورة وفى آخر سنة ستين من ذى الحجة حضر أيضا شخص آخر من بنى العباس الذين سلموا من قتل التتر اسمه أيضا أحمد بن حسن بن ابى بكر بن على بن حسن بن الراشد بن المسترشد بن المستظهر فأثبتوا نسبه وبايعه السلطان بيبرس والعلماء ولقبوه الحاكم بأمر الله وأشركه السلطان فى الدعاء لا غير وبقى عقبه بمصر يبايعهم السلاطين وليس بيده من الملك والتصرف شئ بل الامر بيد السلاطين المتملكين مصر واستمر ذلك الى دخول السلطان سليم مصر سنة تسعمائة واثنين وعشرين وفى سنة احدى وستين وستمائة جهز الملك الظاهر عساكره من مصر وأغاروا على عكا واعمالها وهى بيد الفرنج فغنموا وعادوا ثم ركب الملك الظاهر بنفسه ومعه جماعة اختارهم وأغار ثانيا على عكا وبلادها وهدم برجا كان خارج البلد وهدم الكنيسة المسماة بالناصرة وكانت من أكبر مواطن عبادات النصارى لان منها خرج دين النصرانية وتوجه عسكر كثير الى أنطاكية وبلادها وهى ايضا بيد الفرنج فساروا اليها وأغاروا على اطرافها وضايقوها وعادوا ومعهم ما ينوف على ثلاثمائة أسير وفى سنة ثلاث وستين سار الملك الظاهر بيبرس من الديار المصرية بعساكره المتوافرة الى جهاد الفرنج بساحل الشام ونازل قيسارية وضايقها وفتحها بعد ستة ايام وأمر بها فهدمت ثم سار الى ارسوف وفتحها وفى سنة أربع وستين سار من مصر بعساكره المتوافرة الى الشام وجهز عسكره الى ساحل طرابلس الشام وكانت بيد الفرنج ففتحوا القليعات وعرقا ونزل هو على صفد وضايقها بالزحف وآلات الحصار ولاصق الجند القلعة وكثر القتل والجراح فى المسلمين ثم فتحها وقتل أهلها عن آخرهم ثم بعث كثيرا من العساكر الى بلاد سيس يقتلون ويأسرون كيف شاؤا وفى سنة ثلاث وستين هلك هلاكو بن طولى بن جنكز خان واستقر ولده أبغا على ما كان بيده من الممالك واستمر الى سنة احدى وثمانين وهلك واستقر بعده أخوه تكدار بن هلاكو ثم أسلم وتسمى احمد

نزل عنها الشريف مساعد ابن سعد بن زيد بعد سنة وخمسة أشهر الا ثمانية أيام فهى مدة ولاية الشريف محسن وكان الشريف سعيد محاصرا مكة بجنوده فنزل الشريف مساعد عن الولاية للشريف سعيد فى ذلك اليوم فدخل مكة الشريف سعيد فى سابع محرم سنة ثلاث ومائة والف فهذه الولاية الثانية للشريف سعيد واستمر فيها الى سابع ذى الحجة من ذلك العام فجاء والده الشريف سعد من الروم متوليا من الدولة العلية فكانت الولاية الثانية للشريف سعيد سنة كاملة الأيام الى وصول والده وان نظرنا الى وقت ولاية والده تكون مدتها نحو ثمانية أشهر الولاية الثالثة للشريف سعيد سنة ألف ومائة وثلاث عشرة حين نزل له والده عن ولاية مكة وجاءه التأييد من الدولة العلية فى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة واستمر فيها الى ان حصل الاختلاف بينه وبين الاشراف فانتزعها منه الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد فى الحادى والعشرين من ربيع الاول سنة ست عشرة ومائة وألف وبعد تسعة أيام نزل عنها الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى فكانت مدة الولاية الثالثة للشريف سعيد سنتين وأربعة أشهر

السلطانية مع التجريدة التى كان عليها يوازيك واستمر فيها من سابع ذى الحجة الى أن انتزعها منه الشريف عبد الكريم بالمراسيم التى جاءته بواسطة بيرم باشا فى سادس شعبان سنة ألف ومائة وسبع عشرة فكانت مدة هذه الولاية الرابعة للشريف سعيد تسعة أشهر الولاية الخامسة للشريف سعيد حين جاءته المراسيم السلطانية صحبة نصوح باشا فولى مكة سابع عشر ذى القعدة سنة ألف ومائة وثلاث وعشرين واستمر فيها الى وفاته فى المحرم سنة ألف ومائة وتسع وعشرين وعمره أربع وأربعون سنة لان ولادته كما تقدم كانت سنة خمس وثمانين وألف وكانت مدة هذه الولاية الخامسة للشريف سعيد ست سنين وشهرا واحدا فمدة ولاياته كلها عشر سنين وسبعة أشهر

(وفاة الشريف سعيد سنة ١١٢٩)

ولما توفى الشريف سعيد فى الحادى والعشرين من شهر الله المحرم سنة تسع وعشرين ومائة وألف كان له كثير من الاولاد وكان أكبرهم الشريف عبد الله بن سعيد وكان غائبا فى نواحى الحبت فطلبه والدهلما اشتد مرضه فجاءوحضر وفاة والده ثم جمع (بالسيف)

وخاطب بذلك الملوك الكثيرة فى عصره وأرسل الى مصر يخبرهم و يطلب المساعدة وصار يأمر التتر بالاسلام فثار لذلك فتنة بين التتر بعضهم الى ان قتلوا أحمد المذكور سنة ثنتين وثمانين وستمائة وتملك ارغو بن ابغا وعدل عن دين الاسلام وأحب دين البراهمة من عبادة الاصنام وانتحال السحر والرياضة وأصابه داء الصرع وهلك سنة تسعين وتملك كنختاتو بن ابغا الى سنة ثلاث وتسعين فقتل وتملك بيدو بن طرغاى بن هلاكو وقتل سنة خمس وتسعين وتملك قازان بن ارغو بن ابغا بن هلاكو سنة ثلاث وسبعمائة فولى بعده أخوه خربند بن ارغو وابتدأ أمره بالدخول فى الاسلام وتسمى بمحمد وتلقب غياث الدين ثم صحب الروافض وساء اعتقاده وحذف ذكر الشيخين من الخطبة ونقش اسماء الائمة الاثنى عشر على سكته ثم انشأ مدينة بين قزوين وهمذان وسماها السلطانية ونزلها واتخذ بها بيتا لطيفا بلبن من الذهب والفضة وأنشا بازائها بستانا جعل فيه اشجار الذهب بثمر اللؤلؤ والفصوص وأجرى اللبن والعسل أنهارا وأسكن به الغلمان والجوارى تشبيها له بالجنة وأفحش فى التعرض لحرمات قومه وهلك مسموما سنة ست عشرة وسبعمائة وخلف ابنه أباسعيد طفلا ابن ثلاث عشرة سنة فبويع له وأظهر الاسلام واستقامت الامور بواسطة وزير لابيه يسمى جوبان واستمر ابو سعيد الى ان مات سنة ست وثلاثين وسبعمائة وكان قد انعقد صلح بينه و بين ملك مصر الملك الناصر قلاوون سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وحج الاكابر من قرابة أبى سعيد ملك التتر بالعراقين واتصلت المهادات بينه وبين الملك الناصر ولما مات أبو سعيد لم يعقب واختلف اهل دولته وانقرض الملك من بنى هلاكو وافترقت الاعمال التى كانت فى ملكهم وأصبحت طوائف فى خراسان وفى عراق العجم وفارس واذربيجان وكذلك فى بلاد الروم ولما هلك ابوسعيد سنة ست وثلاثين نصب امراء قومه الوزير غياث الدين والملك موسى خان من أسباطهم وقام بدولته الشيخ حسن بن حسين بن بيبقا ابن املكان وهو ابن عمة السلطان ابى سعيد فتغلب وتمكن الشيخ حسن وصار الملك والحل والعقد بيده الى ان توفى سنة سبع وخمسين وسبعمائة فولى مكانه ولده اويس وتوفى سنة ست وسبعين وسبعمائة وتملك ابنه حسين بن أويس ثم تغلب عليه اخوه احمد بن اويس وقبض عليه وقتله سنة احدى وثمانين وسبعمائة واستمر احمد بن اويس الى سنة خمس وتسعين وسبعمائة فجاء تيمور لنك بجموعه وملك العراق وبغداد فقدم احمد بن أويس على سلطان مصر السلطان برقوق مستجيرا به مستصرخا به على طلب ملكه وكان ذلك فى ربيع سنة ست وتسعين وسبعمائة فأجاب صريخه ونادى فى عسكره بالتجهيز وسيأتى اتمام الكلام على ذلك عند ذكر تيمور لنك وذكرنا ملوك التتر متتابعين الى آخرهم ليتصل الكلام بعضه ببعض ولنرجع الى ذكر بقية فتوحات الملك الظاهر مع بقية محاربات التتر وملوك مصر بالشام

﴿ ذكر فتح يافا وانطاكية وعكا ﴾

فى سنة ست وستين وستمائة توجه الملك الظاهر بيبرس بعساكره المتوافرة الى الشام وفتح يافا وأخذها من الفرنج ثم توجه الى انطاكية ونازلها وشدد الحصار عليها الى أن ملكها

بالسيف وقتل أهلها وسبي الذراري والنساء وغنم أموالا جليلة ثم توجه الى بغراس فملكها
وفي سنة تسع وستين نازل حصن الاكراد الى ان ملكه ثم رحل الى حصن عكا ونازله وجد
في قتاله الى ان ملكه ثم توجه الى حصن القرين ونازله وملكه وفي سنة سبعين وستمائة أغارت
التتر على عينتاب وعلى سروج وقيطون وانتهوا الى قرب افامية ثم رجعوا ثم نازلوا البيرة
ونصبوا عليها المجانيق وضايقوها فسار اليهم الملك الظاهر بيبرس وأراد عبور
الفرات الى بر البيرة فقاتله التتر على المخاضة فاقتحم الفرات وهزم التتر فرحلوا عن
البيرة وتركوا آلات الحصار بحالها فصارت للمسلمين وفي سنة ثلاث وسبعين
توجه الملك الظاهر بيبرس الى بلاد سيس فدخلها بعساكره المتوافرة فغنموا ثم رجعوا الى
دمشق وفي سنة أربع وسبعين وستمائة قصد التتر البيرة ونازلوها فتوجه اليهم الملك الظاهر
بعساكره فلما سمعوا به ارتحلوا وفي سنة خمس وسبعين غزا الملك الظاهر بلاد الروم بعساكره
المتوافرة والتقى في طريقه بجيش من التتر فقاتلهم وهزمهم وقتل كثيرا منهم وقتل مقدمهم
وأسر كثيرا منهم ثم سار الى قيسارية فملكها ثم سار الى عمق حارم يقتل ويأسر ثم عاد الى
دمشق وفي سنة خمس وسبعين ايضا كان ابتداء عمل المحمل في مدة الملك الظاهر بيبرس
يطوفون به في مصر قبل خروجه لترغيب الناس في الحج وتهييجهم ثم يسافرون به مع
كثير من الحجاج من طريق البر وعند رجوعهم يزورون النبي صلى الله عليه وسلم وفي سنة
ست وسبعين حج الملك الظاهر بنفسه وزار النبي صلى الله عليه وسلم وتصدق بصدقات
كثيرة على أهل الحرمين وغسل الكعبة بيده بماء الورد ثم رجع ثم توفي في الثامن والعشرين
من المحرم سنة سبع وستين وستمائة ومدة ملكه نحو سبع عشرة سنة وولي بعده ولده الملك
السعيد بركة وخلع سنة ثمان وسبعين وولي ولده الآخر سلامش وخلع بعد شهرين وولي
الملك المنصور قلاوون الصالحي وكل هؤلاء يقال لهم المماليك البحرية ويقال لدولتهم
الدولة التركية والذين بعدهم يقال لهم الجراكسة الى ان تملك مصر السلطان سليم
والحاصل ان ملوك مصر بعد الفاطميين الملوك الايوبية وأولهم السلطان صلاح الدين
وآخرهم الملك الاشرف موسى بن يوسف بن الملك المسعود اقسيس بن الملك الكامل محمد
ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب والملك العادل اخو السلطان صلاح الدين توارث الملك
بنوه بعده الى سنة ثمان واربعين وستمائة وكانوا استكثروا من المماليك البحرية فتغلبوا
على الملك وصار فيهم بعد ساداتهم وبقي الملك في المماليك البحرية مائة وستة وثلاثين
سنة من سنة ثمان واربعين وستمائة الى سنة اربع وثمانين وسبعمائة وعدد ملوكهم اربع
وعشرون وكان لهم مماليك من الجراكسة فتغلبوا على الملك واول ملوك المماليك
البحرية عزالدين ايبك وآخرهم الملك الصالح شعبان بن الحسين بن الناصر قلاوون
وملوك الجراكسة هم مماليك المماليك البحرية واولهم الملك الظاهر برقوق وآخرهم
قانصوه الغوري ومدة ملك الجراكسة مائة وثمان وثلاثون سنة من سنة اربع
وثمانين وسبعمائة الى سنة اثنين وعشرين وتسعمائة وعدد ملوكهم ثلاث وعشرون
والسبب الجاري بتقدير الله تعالى لتملك المماليك البحرية انه في آخر الدولة الايوبية كان

الاجناد والعساكر وفرق جانبا منها في البيوت وجانبا في المنائر حفظا للبلاد ودرأ للفساد فأراد الاشراف كافة أن تكون شرافة مكة للشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد لانه في ذلك الوقت كان كبير الاشراف ورئيسهم فامتنع الشريف عبد المحسن من قبول الولاية واستحسن أن تكون للشريف عبدالله بن سعيد المتوفي ولم تخرج بقية الاشراف عن رأيه فنزل بنفسه الى المسجد الحرام لملاطفة الباشا والعساكر والاروام وقبض الخلعة من أيديهم وربما وضعوا الخلعة على مناكبه يريدون توليته فطرحها عن أكتافه فأخذها وزفها الى الشريف عبدالله بن سعيد وألبسه اياها في داره ونودي له في البلاد

(تولية الشريف عبدالله بن سعيد سنة ١١٢٩)

وكانت ولاية الشريف عبدالله بن سعيد يوم الحادي والعشرين من المحرم سنة ألف ومائة وتسع وعشرين وسلك في أول ولايته سبيل العدل والاستقامة واتفق مع الاشراف ثم تغير حاله وحصل بينه وبين الاشراف اختلاف كثير حتى خرج كثير منهم من مكة مغاضبا له وانجلوا الى اليمن وعجز الشريف عبدالمحسن عن الاصلاح بينهم وبين الشريف عبدالله بن سعيد وضاق ذرعه وخرج الشريف عبدالله بن سعيد عن طوعه ولم يزل أمر

هجوم الفرنسيس على دمياط وتملكهم اياها وكان ملك مصر بيد الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل محمد فمرض ومات وأوصى بالملك لولده توران شاه وكان غائبا فى قلعة حصن كيفا وكانت زوجة الملك الصالح شجرة الدر أم ولد خليل مدبرة للامور فأخفت موت الملك الصالح وأقامت على ذلك مدة وهى قائمة بالامر والنهى الى ان حضر ولده توران شاه وقاتل الفرنسيس وهزمهم وقتل منهم أكثر من مائة الف واسر ملكهم كما تقدم ذلك كله ثم شرع فى ابعاد مماليك ابيه واهانتهم وكانوا هم الامراء فاتفقوا على قتله وقتلوه ثم اتفقوا على اعطاء السلطنة لشجرة الدر فكانت تعلم على المناشير ويدعى لها على المنابر فكان الخطيب يقول بعد الدعاء للخليفة واحفظ اللهم الجهة الصالحة ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين ام خليل المتعصم صاحبة السلطان الملك الصالح ويكتب اسمها على السكة ثمانين يوما وجعلت النائب عنها فى الاحكام عز الدين ايبك وهو من مماليك الملك الصالح نجم الدين بن ايوب ثم أطلقت ملك الفرنسيس بشروط كما تقدم ثم تزوجت بنائبها فجاءهم مكتوب من بغداد من الخليفة العباسى يوبخهم فيه على تمليك امرأة ويقول لهم ان لم يكن عندكم رجل نرسل اليكم رجلا يتولى عليكم فاتفقوا على ان يملكوا رجلا من بنى ايوب فملكوا الملك الاشرف موسى المتقدم ذكره وكان صغيرا واشركوا معه شجرة الدر ونائبها عز الدين ايبك ثم خلعوا الملك الاشرف وجعلوا السلطنة لعز الدين ايبك استقلالا ثم انه أراد أن يتزوج بنت ملك الموصل فشق ذلك على زوجته شجرة الدر فاتفقت مع الطواشى محسن الجوهرى على قتل عز الدين ايبك فهجموا عليه فى الحمام فقتلوه فلما سمع مماليكه بقتله عزموا على قتل شجر الدر فسبقتهم زوجة عز الدين ام ولده فدخلت هى وجواريها على شجرة الدر فقتلوها بالقباقب وأقاموا فى السلطنة نور الدين ولد عز الدين ايبك وعمره عشر سنين وجعلوا النائب عنه احد مماليك ابيه وهو الامير قطز ثم لما هجم التتر على الاقطار الشامية استحسن اهل الحل والعقد ان يخلع الملك الصغير نور الدين وان تكون السلطنة استقلالا للامير قطز يستقل بتدبير الملك والقيام بقتال التتر فأقاموا قطز فى السلطنة ولقبوه الملك المظفر وخلعوا نور الدين بن عز الدين ايبك ثم خرج الملك المظفر قطز بالعسكر الى الشام لقتال التتر فالتقى معهم عند عين جالوت من ارض كنعان فقاتلهم قتالا شديدا الى ان هزمهم وأسر منهم خلقا كثيرا وتعلق المنهزم منهم برؤس الجبال وأخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم واسر ابنه وارسل قطز خلفهم بيبرس ومعه عسكر فتبعهم الى اطراف البلاد وأتم المظفر قطز السير بالعساكر الى دمشق وتضاعف شكر العالم لله تعالى على هذا النصر العظيم من بعد اليأس من النصرة على التتر لاستيلائهم على معظم بلاد الاسلام لانهم ماقصدوا اقليما الافتحوه ولا عسكرا الاهزموه وكان القتال مع التتر وهزيمتهم يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة وفى يوم دخول قطز دمشق شنق جماعة من المسلمين المنتسبين للتتر ولما قرر قطز امر الشام وحلب وغيرها سار من دمشق بالعساكر راجعا الى مصر وكان الامير بيبرس سأله ان يوليه حلب فامتنع فاتفق مع بعض الامراء الذين كانوا مع قطز على قتله وساروا معه من دمشق يترقبون

فى هذا التاريخ فكانت مدة ولايته سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام وهذه ولايته الاولى وستأتى الثانية ان شاء الله تعالى ولما تحقق الشريف عبد الله عزله باتفاق الاشراف سار الى جهة اليمن ثم ان الاشراف أجمعوا على ان الولاية لا تكون الا للشريف عبد المحسن ابن أحمد بن زيد وهو يمتنع من قبولها فطلبوا منه أن يولى أخاه الشريف مبارك ابن أحمد بن زيد فامتنع الشريف عبد المحسن أيضا من توليته أخيه فأراد جماعة من الاشراف ولاية الشريف يحيى بن بركات وامتنع من ذلك جماعة آخرون ثم جمع الاشراف عند الشريف عبد المحسن ابن أحمد بن زيد وقال والله رضينا من توليه علينا وتختار فاستحسن حسم المادة وايضاح الجادة بولاية الشريف على بن سعيد أخى الشريف عبد الله بن سعيد وقد كان الشريف على المذكور يريد الارتحال واللحوق بأخيه الشريف عبد الله لما رأى كثيرا من الاشراف يريدون ولاية الشريف يحيى بن بركات ولم يخطر بباله ان الولاية تكون له ولا تحدث بذلك وانما استحسن ذلك الشريف عبد المحسن بن أحمد قطعا للنزاع لانه رأى ان ولاية الشريف

(الفرصة)

الفرصة فلما وصل الى موضع بينه وبين الصالحية مرحلة وقد خرج النائب بمصر مع
العساكر الذين بمصر لاستقبالهم من الصالحية فبينما الملك قطز سائر اذ ثارت أرنب بين
يديه فساق جواده خلفها وساق معه بيبرس والذين تواطؤا معه على قتل قطز وأبعدوا
عن العساكر السائرة معهم ثم وقفوا فتقدم واحد منهم وشفع عند قطز فى انسان فأجابه
الى ذلك فأهوى ليقبل يديه وقبض عليها فحمل عليه بيبرس وضربه بالسيف واجتمعوا
عليه ورموه عن فرسه ثم قتلوه وكان ذلك سابع ذى القعدة من السنة المذكورة ثم سار
بيبرس ومن معه حتى وصلوا الصالحية فوجدوا العساكر التى خرجت من مصر لاستقبالهم
ومعهم نائب السلطنة فارس الدين أقطاي ينتظرون قدوم الملك قطز فلما علم نائب السلطنة الخبر
منهم سألهم من قتله منكم فقال له بيبرس انا فقال نائب السلطنة ياخوند اجلس فى مرتبة
السلطنة ومعنى خوند الكبير الشان فجلس واستدعى العساكر للتحليف فحلفوا له واستقر الملك
لبيبرس ثم ساق وسبق العساكر الى قلعة الجبل ففتحت له ودخلها وكانت مصر قد زينت
لقدوم قطز فاستمرت الزينة للملك الظاهر بيبرس فسبحان من يدبر ملكه كيف يشاء ولا يسئل
عما يفعل فاله فى كل شئ حكمة وكان بيبرس فى الاصل مملوكا لايدكين البندقدار
الصالحى ثم اشتراه الملك الصالح نجم الدين بن ايوب قال ابن الوردى فى تاريخه ان الملك
الظاهر بيبرس كان على قدم من الديانة وكان ملازما للخمس فى أوقاتها وألزم حاشيته
بها وحكى عنه انه ماشرب خمرا قط ومنع كل مسكر وكان يحصل من مكس المسكر بمصر
كل يوم ألف دينار فأبطله ولما حج رؤى بباب الكعبة محرما يأخذ بأيدى ضعفاء الرعية
ليصعدوا وعمل الستور الديباج للكعبة والحجرة النبوية وخطب مرة المجد اسماعيل
الواسطى والسلطان بيبرس حاضر فقال فى الخطبة أيها السلطان انك لن تدعى يوم القيامة
يا أيها السلطان لكن تدعى باسمك وكل منهم يسئل عن نفسه الا انت فانك تسئل عن رعاياك
فاجعل كبيرهم أبا وأوسطهم أخا وصغيرهم ولدا فاستعذب وعظه وأجزل عطاءه
وكان له فى السنة عشرة آلاف أردب تفرق فى الفقراء والمساكين ووقف أوقافا على جهات
عديدة واستسنن العمرين ونصب للناس خليفة وفتح انطاكية وبغراس والقصير وحصن
الاكراد وحصن عكا والقرين وصافيتا ومرقبة وأمنت لهيبته السبل ويكفيك فعله بالتتر
بعين جالوت وخوضته اليهم غمرات الموت مرات فشكر الله سعيه وانما ذكرت مبدأ دولة
المماليك البحرية والجراكسة الى آخر ماتقدم استطرادا وان كان خارجا عما التأليف بصدده
تكثيرا للفوائد ولما فى ذلك من الاعتبار لذوى الابصار والله ولى التوفيق ولنرجع الى
ما نحن بصدده فى سنة ثمانين وستمائة جاءت جيوش من التتر الى البلاد الشامية وكان ذلك
فى مدة سلطنة الملك المنصور قلاوون بمصر فخرج لقتالهم فكان المصاف العظيم بين
المسلمين والتتر بظاهر حمص فنصر الله المسلمين بعدما كانوا أيقنوا بالبوار وانهزم التتر هزيمة
قبيحة وكثر القتل والاسر فيهم وكان عدة جيش التتر ثمانين الفا وعاد السلطان الى دمشق
والاسرى والرؤس بين يديه وفى سنة اربع وثمانين وستمائة سار الملك المنصور قلاوون
بعساكره ونازل حصن المرقب وهو حصن فى غاية العلو والمتانة والحصانة لم يطمع احد

خلعة الولاية وقال الحسين بن مطير فى ذلك

وكم طامع فى حاجة لا ينالها * ومن آيس منها أتاه بشيرها

* ولاية الشريف على بن سعيد سنة ١١٣٠) *

وكانت ولاية الشريف على بن سعيد لثلاث بقين من جمادى الاولى سنة ألف ومائة وثلاثين وكتب الاشراف والعلماء وأعيان الناس محضرا للدولة العلية باستحسان ولاية الشريف على بن سعيد وجاءته المراسيم السلطانية بالتأييد فى شوال من السنة المذكورة من طريق البحر وفى هذه المدة حصل بينه وبين الاشراف اختلاف كثير واضطربت البلاد وكثر الفساد وصار النهب فى أطراف مكة وبالليل فى مكة أيضا وعظمت صولة العربان بنواحى مكة واستمر ذلك الى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة وفى هذا الشهر خرج السادة الاشراف برمتهم الى الوادى ونواحيه لقطع معاليمهم وعوائدهم المقررة زمن أبيه وجده ولم يبق بمكة أحد منهم واستمروا بالوادى الى قدوم الحج الشامى ولم يقع منهم خلاف فى تلك الاطراف فلما وصل الحاج الشامى رفعوا أمرهم الى أميره الوزير رجب باشا وأخبروه بأنهم

من الملوك الماضين في فتحه فلما زحف العسكر عليه أخذ الجارون فيه النقب ونصبت عليه عدة مجانيق فلما تمكنت النقوب من أسوار القلعة طلب اهله الامان فأجابهم السلطان رغبة في ابقاء عمارته لو أخذه بالسيف لهدمه فيحصل التعب في اعادة عمارته فأعطى اهله الامان على ان يتوجهوا بما يقدرون على حمله غير السلاح وتسلم الحصن وقرر أمره ورتبه وارتحل الى الوطاة بالساحل وأقام بمروج ثم سار ونزل تحت حصن الاكراد ثم سار ونزل على بحيرة حمص وفي سنة ست وثمانين سار الى قلعة صهيون ونصب عليها المجانيق وضايقها بالحصار فأجابه صاحبها الى تسليمها بالامان فتسلمها ثم سار الى اللاذقية وكان بها برج للفرنج يحيط به البحر من جميع جهاته فركب طريقا اليه في البحر بالحجارة وحاصر البرج المذكور ثم تسلمه بالامان وهدمه ثم رجع الى مصر وأرسل جيشا الى النوبة فغنموا وعادوا وفي سنة ثمان وثمانين سار السلطان بعساكره ونازل طرابلس الشام وكانت بيد الفرنج ونصب عليها المجانيق الكبار والصغار ولازمها بالحصار وشدد عليها القتال حتى فتحها بالسيف ودخلها العسكر عنوة فهرب بعض أهلها الى المراكب وقتل غالب رجالها وسبيت ذراريهم ونساؤهم وغنم منهم المسلمون غنيمة عظيمة وكان في البحر قريبا من طرابلس جزيرة وفيها كنيسة فهرب اليها كثير من الفرنج رجالا ونساء فاقتحم العسكر الاسلامي البحر وعبروا بخيولهم سباحة الى الجزيرة فقتلوا جميع من فيها من الرجال وسبوا من فيها من النساء والصغار وغنموا مافيها من الاموال وكان الفرنج قد استولوا على طرابلس الشام سنة ثلاث وخمسمائة فبقيت في ايديهم الى هذه السنة أعني سنة ثمان وثمانين وستمائة فتكون مدة لبثها بيد الفرنج مائة سنة وخمسا وثمانين سنة وشهورا وتوفي الملك المنصور قلاوون سنة تسع وثمانين وأقيم في السلطنة بعده ولده الملك الاشرف صلاح الدين خليل

﴿ ذكر فتح عكا ﴾

في سنة تسعين وستمائة جهز السلطان صلاح الدين خليل بن قلاوون عساكره الوافرة لفتح عكا وصحب معه المجانيق وآلات الحصار فنازلها وشدد عليها القتال ولم يغلق الفرنج غالب أبوابها بل كانت مفتحة وهم يقاتلون فيها واشتدت مضايقة العسكر لعكا حتى فتحها الله تعالى ظهر يوم الجمعة لسابع عشر من شهر جمادى الآخرة بالسيف ولما هجمها المسلمون هرب جماعة ممن كانوا فيها من الفرنج الى المراكب وقتل المسلمون من بقي منهم بعكا وكانوا كثيرين وغنموا اشياء تفوت الحصر ومن عجائب الاتفاق ان الفرنج استولوا على عكا وأخذوها من السلطان صلاح الدين الايوبي ظهر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة واستولوا على من بها من المسلمين ثم قتلوهم فبقيت تحت ايديهم مائة سنة وثلاث سنين فقدر الله في سابق علمه أنها تفتح في هذه السنة في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة على يد السلطان صلاح الدين فكان فتوحها في مثل اليوم الذي ملكها الفرنج فيه وكذلك لقب السلطانين اذ كل منهما يلقب صلاح الدين وتقدم التنبيه على ذلك عند ذكر أخذ الفرنج لها

أحمد بن زيد فسألهم الوزير رجب باشا عن كبير الاشراف الذي يرجع اليه أمرهم فأخبروه بأنه الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد الا أنه لم يحضر معهم لتوعك مزاجه وهو مقيم بالحسينية والشريف يحيى بن بركات كان مقيما بمكة لم يحضر مع الاشراف بالوادي فكتب الوزير رجب باشا كتابا للشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد يستشيره فيمن يختاره لولاية مكة وأرسل الكتاب مع جماعة من الاشراف معهم أخوه الشريف مبارك بن أحمد بن زيد ولامر لم يكن بجزوما لاعليه فحين حلوا رحاب الشريف عبد المحسن وأسلموه كتاب الوزير صارت بينهم مراجعات طويلة لخصها انه ذكر عن تولية أخيه واعتذر بامور عظام منها انه سيؤل تعب هذا الامر اليه

(خطاب الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد لاخيه الشريف مبارك وعزله عن ولاية مكة وما يترتب على ذلك من العزل والطرد من مكة)

ثم خاطب أخاه مشافهة وقال له هل بعد الولاية الا انتظار العزل واذا صار العزل غدوت مطرودا في جميع الطرق والمسالك (ذكر)

ذكر فتوح عدة حصون

لما فتحت عكا ألقى الله الرعب فى قلوب الفرنج الذين بساحل الشام فأخلوا صيدا وبيروت وتسلمها المسلمون وهرب أهل مدينة صور فأرسل السلطان من تسلمها ثم تسلم عثليث ثم نطرطوس واتفق لهذا السلطان من السعادة مالم يتفق لغيره من فتح هذه البلاد العظيمة الحصينة بغير قتال ولا تعب وتكاملت بهذه الفتوحات جميع البلاد الساحلية للاسلام وكان أمرا لا يطمع فيه ولا يرام وتطهر الشام والسواحل من الفرنج بعد ان كانوا أشرفوا على أخذ الديار المصرية وعلى ملك دمشق وغيرها من الشام فلله الحمد والمنة على ذلك وقد تقدم فتح حلب سنة اربع وستين وكان التتر قد خربوا قلعتها فأمر السلطان بعمارتها فتمت فى سنة وتسعين وكان تخريبها فى سنة ثمان وخمسين فكان لبثها على التخريب نحو ثلاث وثلاثين سنة

ذكر فتح قلعة الروم

هى قلعة على جانب الفرات فى غاية الحصانة سار الى فتحها السلطان صلاح الدين قلاوون فى سنة احدى وتسعين بكثير من الجيوش ونصب عليها المجانيق واشتدت مضايقتها ودام حصارها وفتحت بالسيف وقتل أهلها وسبيت ذراريهم واعتصم جماعة من أهلها بالقلعة فحوصروا ورمى عليهم بالمنجنيق فطلبوا الامان فلم يؤمنهم الا على أرواحهم خاصة وان يكونوا أسرى فأجابوا الى ذلك ثم امر السلطان بعمارة القلعة ورجع الى دمشق وفى سنة ثلاث وتسعين قتل السلطان صلاح الدين قتله بعض مماليك ابيه وتسلطن بعده اخوه الملك الناصر وفى سنة سبع وتسعين وستمائة تجهزت العساكر من مصر ثم ساروا الى الشام ثم ساروا الى بلاد سيس وشنوا عليهم الغارات وكبسوهم وغنموا وعادوا ثم ساروا مرة أخرى ونزلوا على حمص وحاصروها وضيقوا على أهلها وكان بها من الارمن جمع كثير فقل عليهم الماء واشتدبهم العطش وهلك النساء والاطفال فأخرج أهل حمص منها نحو الف ومائتين من النساء والصبيان فتقاسمهم العساكر وغنموهم واستمر الحصار فضاقت على الارمن الارض بما رحبت وهلكوا من كثرة من قتل منهم وغنم منهم المسلمون غنائم كثيرة فطلبوا الامان وسلموا حمص وحوص وجميع البلاد التى فى جنوبى نهر جيحان ثم سلمت تل حدون بعدها ثم باقى الحصون فى شوال سنة سبع وتسعين وستمائة فرتب المسلمون فيها من يقوم بها ويحميها وفى سنة تسع وتسعين وستمائة أقبلت التتر بجموع كثيرة وعبروا الفرات الى حلب ثم الى حماه فخرجت لهم جموع المسلمين والتقوا بمجمع الروم من شرقى حمص واقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت جيوش المسلمين وساق التتر خلفهم الى غزة والقدس وبلاد الكرك وغنموا من المنهزمين شيأ كثيرا واخذ اهل دمشق الامان وملكه التتر وعصت عليه القلعة فحاصروها فصبر المسلمون على الحصار ولم يسلموها وأحرقت الدور التى حول القلعة والمدارس ثم أن عساكر مصر لما وصلوا الى مصر رسم لهم بالنفقة فانفق السلطان عليهم اموالا جليلة وأصلحوا احوالهم وجددوا اعدتهم وخيولهم وخرجوا من مصر فى العشر الاول من رجب من سنة تسع وتسعين وكاتبوا المسلمين الذين بالشام فى السر وصاروا معهم فلما خرجت العساكر من مصر

أجمع السادة الاشراف على ابعادك عن عشيرتك وبلادك فهل أحرزت من شرافتك غير عداوتك لرفاقك وأخيب فيما أؤمله فيك وأرجوه وفيما أحكمته من جميع الوجوه من انك ستكون الجامع لاهلى وعيالى اذا كسفت شمسى وغاب هلالى وهل بعد اجتهادى فى حلب الدر بفيك تضيع أملى فيك فل عن ذلك واقتدبى وسر على نهجى وتهذبى ثم شرع يحول مع السادة الاشراف فيمن يصلح لهم ويبلغهم من السعادة أملهم فاتفقوا على الشريف يحيى بن بركات فكتب الشريف عبد المحسن كتابا للوزير رجب باشا يعرفه بذلك وكتب كتابا للشريف يحيى بن بركات بمكة يعرفه بأن الاتفاق قد صار عليك وأمره بالمسير الى الوادى لمقابلة الوزير رجب باشا والشريف يحيى بن بركات كان أبوه الشريف بركات تولى شرافة مكة ثم أخوه الشريف سعيد بن بركات ثم عزل وأعيد الشريف احمد بن زيد كما تقدم فرحل الشريف سعيد الى مصر وأخوه الشريف يحيى الى الشام فأنعمت عليه الدولة بحكومة بعض القرى بالشام ثم بامارة الحج الشامى وصيرته باشا فجاء صحبة الحج الشامى سنة ألف ومائة واثنتين كما تقدم ثم رجع الى الشام وتقلب به الاحوال الى سنة ألف ومائة وثمانى عشرة

بلغ ذلك التتر فخافوا وساروا من وقتهم الى الديار الشرقية وخلا الشام منهم فوصلت العساكر الاسلامية الى الشام ورتبوا أمراءها وغيرهم وفعلوا مثل ذلك بحلب وحماه وغيرهما ولما استولى التتر على الشام طمع الارمن فى البلاد التى افتتحها المسلمون منهم وعجز المسلمون عن حفظها فتركها الذين كانوا بها وأخلوها من العسكر والرجال فاستولى الارمن عليها وارتجعوا حموص وتل حدون وكوبر وسرفندكار والنقير وغيرها ولم يبق مع المسلمين من جميع تلك القلاع غير قلعة حجر شغلان واستولى الارمن أيضا على غيرها من الحصون والبلاد التى كانت جنوبى نهر جيحان وفى سنة سبعمائة عادت التتر وقصدت الشام وعبروا الفرات فى ربيع الآخر وجفلت المسلمون منهم وخلت بلاد حلب وأقامت التتر ببلاد سرمين والمعرة وتبرلين والعمق وغيرها ينهبون ويقتلون وكان ذلك فى مدة السلطان الناصر قلاوون فسار السلطان والعساكر الاسلامية لقتالهم من مصر ووصلوا الى العوجاء واتفق فى تلك المرة تتابع الامطار الى الغاية واشتدت الوحول حتى تقطعت الطرقات وتعذرت الاقوات وعجزت العساكر عن المقام على تلك الحال فرحل السلطان والعساكر وعادوا الى الديار المصرية فوصلوا مصر فى عاشر جمادى الاولى من هذه السنة وأما التتر فانهم أقاموا يتنقلون فى بلاد حلب وأعمالها نحو ثلاثة أشهر ثم ان الله تعالى تدارك المسلمين بلطفه ورد التتر على أعقابهم بقدرته فعادوا الى بلادهم وعبروا الفرات فى أواخر جمادى الآخرة من هذه السنة ورجع عساكر حلب الى حلب وتراجعت الجفال الى أماكنهم ولما كان اوائل هذه القصة وجاءت الاخبار الى مصر بعود التتر الى الشام أخرج غالب الاغنياء من اهل الشام ومصر ثلث أموالهم لاستخدام المقاتلة واعانتهم وفى سنة احدى وسبعمائة خرجت العساكر الاسلامية لقتال الارمن وانتشروا فى بلاد سيس وحرقوا الزروع وقتلوا من وجدوه وغنموا شيأ كثيرا وفى سنة اثنتين وسبعمائة غزا المسلمون جزيرة ارواد وهى جزيرة فى بحر الروم قبالة انطرطوس قريبا من الساحل اجتمع فيها كثير من الفرنج وبنوا فيها حصونا وسورا وتحصنوا فى هذه الجزيرة وكانوا يطلعون منها ويقطعون الطريق على المسلمين المترددين فى ذلك الساحل فاتخذ المسلمون اسطولا وساروا اليها من الديار المصرية فى بحر الروم ووصلوا اليها فى المحرم من هذه السنة وجرى بينهم وبين الفرنج قتال شديد ونصر الله المسلمين وملكوا الجزيرة المذكورة وقتلوا وأسروا جميع اهلها وخربوا أسوارها وعادوا الى الديار المصرية بالاسرى والغنائم

❁ ذكر دخول التتر الى الشام وكسرتهم مرة بعد اخرى ❁

فى سنة اثنتين وسبعمائة عاودت التتر قصد الشام وساروا الى الفرات وأقاموا عليها مدة فى أزوارها وسارت منهم طائفة قدر عشرة آلاف وأغاروا على القريتين وتلك النواحى وكانت العساكر الاسلامية قد اجتمعت بحماه وأرسلوا جماعة من العسكر لقتال الذين أغاروا على القريتين فالتقوا بالتتر سابع شعبان فى موضع يقال له الكوم واقتتلوا وصبر الفريقان ثم نصر الله المسلمين وولى التتر منهزمين وترجل منهم جماعة كثيرة

تقدم لجاء الاذن له فرجع الى مكة ولم يزل معاضدا للشريف عبد الكريم الى أن عزل بالشريف سعيد فلزم الشريف يحيى داره واشتغل بالعبادة وحضور صلاة الجماعة ولم يزل على ذلك الى وقوع هذه الحادثة فاتفق الاشراف على ولايته شرافة مكة

(ولاية الشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٠)

فلما جاء كتاب الشريف عبد المحسن بن أحمد للشريف يحيى بن بركات يأمره بالمسير الى الوادى لمقابلة الوزير رجب باشا لبوليه شرافة مكة امتثل الامر وكان مجئ الرسول له بعد صلاة الصبح وهو يطوف بالبيت فسار ووصل الوادى قبل ارتفاع الشمس فى رابعة النهار فوجد الاشراف فى انتظاره فأفاض عليه الوزير رجب باشا خلعة الشرافة وكان ذلك فى اليوم السادس من ذى الحجة سنة ألف ومائة وثلاثين ودخل مكة بعد العشاء ليلة السابع وخرج الشريف على بن سعيد من البلاد وسار من غير حرب ولا حصار وكانت مدة دولته سبعة أشهر وأربعة أيام ولم تعده ولاية مكة الى أن توفى سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف

عن خيلهم وأحاط بهم المسلمون بعد فراغهم من الوقعة وبذلوا لهم الامان فلم يقبلوا وقاتلوا بالنشاب وعملوا سروج الخيل ستائر وناوشهم العساكر القتال من الضحى الى انفراك الظهر ثم حملوا عليهم فقتلوهم عن آخرهم فكان هذا النصر عنوان النصر الثاني على ماسنذكره ثم عاد المسلمون الى حماه منصورين ثامن عشر شعبان

﴿ ذكر المصاف الثاني والنصرة العظيمة ﴾

ثم بعد وقعة الكوم سار التتر بجموعهم العظيمة ووصلوا الى حماه في الثالث والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وجاء كثير من العساكر الاسلامية من دمشق ومصر وجاء السلطان الناصر بباقي العساكر الاسلامية والتقى الفريقان في ثاني رمضان واشتد القتال بينهم واستشهد من المسلمين خلق كثير ثم أنزل الله نصره على المسلمين فهزموا التتر وأكثروا القتل فيهم فولوا منهزمين لايلوي بعضهم على بعض وحال الليل بين الفريقين فنزل التتر على جبل هناك بطرف مرج الصفر وأشعلوا النيران فأحاط المسلمون بهم فلما أصبح الصباح وشاهد التتر كثرة المسلمين انحدروا من الجبل يبتدرون الهرب فتبعهم المسلمون وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وكان في طريقهم ارض متوحلة فتوحل فيها عالم كثير من التتر فأخذ بعضهم أسرى وقتل بعضهم وساق كثير من العساكر الاسلامية في أثر التتر المنهزمين الى القريتين ووصل التتر الى الفرات وهي في قوة زيادتها فلم يقدروا على العبور والذي عبر فيها هلك فساروا على جانبها الى جهة بغداد فانقطع أكثرهم على شاطئ الفرات وهلك من الجوع وأخذ منهم العرب جماعة كثيرة وأخلف الله تعالى بهذه الوقعة ماجرى على المسلمين في المصاف الذي كان ببلدة حمص سنة تسع وتسعين وستمائة وفي سنة ثلاث وسبعمائة خرجت العساكر من مصر ودخلوا بلاد سيس وحاصروا تل حمدون وفتحوها بالامان وارتجعوها من الارمن وهدموها الى الارض

﴿ ذكر اغارة عسكر حلب على بلاد سيس ﴾

عند الدروب المجاورة لحلب وكانت كرسي ملك الارمن والارمن قوم دخلوا في الملة النصرانية وكانت مواطنهم ارمينية ثم ملك المسلمون بلادهم وضربوا عليهم الجزية وأخذوا منهم خلاط وكانت كرسي ملكهم فانتقل ملكهم الى سيس وكانوا يؤدون الضريبة للمسلمين ولما ظهر التتر دخلوا في طاعتهم وأجلبوا معهم في غزواتهم الى الشام ثم صار ملوك مصر يغزون بلادهم ويغيرون عليهم ففي أوائل المحرم من سنة خمس وسبعمائة خرجت عساكر من حلب للاغارة على بلاد سيس فدخلوها وكان أمير العسكر ضعيف العقل قليل التدبير مشتغلا بشرب الخمر ففرط في حفظ العسكر ولم يكشف خبر العدو واستهان بهم فجمع صاحب سيس جموعا كثيرة من التتر وانضم اليهم الارمن والفرنج ووصلوا على غرة الى عسكر حلب فالتقوا بالقرب من اياس فلم يكن للحلبيين قدرة بمن جاءهم فتولوا يبتدرون الطريق وتمكنت منهم التتر والارمن فقتلوا وأسروا غالبهم واختفى من سلم في تلك الجبال ولم يصل الى حلب منهم الا القليل عرايا بغير خيل وفي هذه السنة سار عسكر من دمشق الى جبال الظنيين وكانوا عصاة مارقين من الدين فأحاطت بهم العساكر الاسلامية بتلك الجبال المنيعة

واستمر الشريف يحيى بن بركات في ولايته الى يوم الاربعاء لسبع خلون من شهر رجب المعظم سنة ألف ومائة واثنتين وثلاثين

(عزل الشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٢)

فعزل عنها بالشريف مبارك بن أحمد بن زيد فكانت مدة ولاية الشريف يحيى بن بركات سنة وسبعة أشهر ويوما واحدا وهذه ولايته الاولى وستأتي الثانية ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة الشريف عبد المحسن سنة ١١٣١)

وسبب عزله ان الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد توفي في المحرم سنة احدى وثلاثين ومائة وألف فحصل بعد وفاته اختلال كثير واختلاف بين الاشراف لان الشريف عبد المحسن بعد نزوله عن الشرافة للشريف عبد الكريم ابن محمد بن يعلى الى حين وفاته كان مرجعا لجميع الاشراف لا يتولى ملك ولا يعزل آخر الا برأيه ولا يستمر الا اذا كان تحت أمره ونهيه وناهيك بهذه السيادة التي لم تصر لاحد من عهد قتادة وكان تاريخ وفاته شطر بيت من قصيدة قبله شطر موطئ فيه ذكر لفظ التاريخ وهو هذا

نوحوا على قبر الشريف وأرخوا * طود الشرافة والرياسة قدهفا

فلما توفي الشريف عبد المحسن

وترجلوا عن خيولهم وصعدوا في تلك الجبال من كل الجهات وقتلوا وأسروا جميع من بها من النصيرية والظنيين وغيرهم من المارقين وطهرت تلك الجبال منهم وهي جبال شاهقة بين دمشق وطرابلس وأمنت الطرق بعد ذلك فانهم كانوا يقطعون الطريق ويختطفون المسلمين ويبيعونهم للكفار وفي سنة ثمان وسبعمائة ملك الفرنج مدينة رودس وأخذتها من الروم قال الحافظ ابن حجر في تاريخ مصر فتحت رودس في خلافة معاوية رضي الله عنه وأمر جماعة من المسلمين بالاقامة بها فلما ولي يزيد أمرهم بالتحول خشية عليهم ففعلوا وتركوها ووضع الجزية والخراج على أهلها ثم ملكها الروم واستولوا عليها وتغلبوا ثم أخذتها الفرنج منهم وفي سنة ثنتي عشرة وسبعمائة أقبلت التتر بجموعها وجفل أهل حلب وبلادها عند سماعهم الاخبار باقبال التتر ثم وصلت التتر الى بلاد سيس وكذلك وصلوا الى الفرات ثم نازلوا الرحبة وحاصروها ونصبوا عليها المجانيق وأخذوا فيها النقوب فقام اهل الرحبة بحفظ القلعة أحسن قيام وصبروا على الحصار وقاتلوا أشد القتال فتجهزت العساكر الاسلامية من كل ناحية لانجادهم وأصاب التتر شدة جوع وغلاء وفناء وتعذرت عليهم الاقوات وسمعوا باقبال جيوش الاسلام فارتحلوا خائبين بعد حصار نحو شهر وتركوا المجانيق وآلات الحصار على حالها فنزل أهل الرحبة واستولوا عليها ونقلوها الى الرحبة ورجعت عساكر الاسلام وكفى الله المؤمنين القتال

﴿ ذكر فتح ملطية وكانت بيد الارمن ﴾

في سنة خمس عشرة وسبعمائة فتحت ملطية وهي مدينة مشهورة بأرض الروم ذات أشجار وأنهار وهي قاعدة الثغور ويحف بها جبال قيل انه كان بها اثنا عشر ألف نول يعمل الصوف وسبب تجهز الجيوش لفتحها انه كان بها جماعة من المسلمين اختلطوا بالنصارى حتى انهم زوجوا الرجل النصراني بالمسلمة وكانت الاجناد من المسلمين لا ينقطعون عن الاغارة على العدو ببلاد الروم وغيرها وكانت طريقهم في غالب الاوقات تكون قريب ملطية فاتفق أن أهل ملطية ظفروا ببعض الغيار المذكورين فأسروهم وقتلوا جماعة من المسلمين فلما جرى ذلك أرسل السلطان ناصر الدين قلاوون عسكرا ضخما من الديار المصرية فساروا الى دمشق ورسم السلطان لجميع عساكر الشام بالمسير معه وكذا عسكر حماه وحلب وسار الجميع حتى وصلوا ملطية ونازلوها في الثاني والعشرين من المحرم من السنة المذكورة فأحدقوا بها وحاصروها وخرج جماعة منها وطلبوا الامان لانفسهم فأمنوا واتفق أن الباب الذى فتح لخروجهم قبالة عسكر حماه فهجموا على المدينة من الباب المذكور وخرج الامر عن الضبط لكثرة العساكر الطماعة فنهبوا جميع ما فيها من اموال المسلمين والنصارى حتى لم يدعوا فيها الا ما كان مطمورا ولم يعلموا به وكذلك استرقوا جميع أهلها من المسلمين والنصارى ثم بعد ذلك وقع الانكار التام على من استرق مسلما أو مسلمة وعرضوا الجميع فأطلق جميع المسلمين من الرجال والنساء وأما أموالهم فانها ذهبت واستمر النصارى في الرق عن آخرهم ثم لما كان من نهب ملطية ما ذكرناه ألقى العسكر فيها النار فاحترق غالبها وخرب العسكر

الشريف يحيى بن بركات في أول الامر بالالفة والمحبة واتحاد الكلمة الى أن رمى بينهما بسهم التفريق وصار كل واحد منهما عن صاحبه في فريق ولذلك أسباب يطول الكلام بذكرها فخرج الشريف مبارك مغاضبا الى داره بالحسينية فتوسط بينهما بعض الاشراف فلم يلتئم الحال ثم أرسل له الشريف يحيى يأمره بالتنحى عن بلاده جريا على قاعدة آبائه وأجداده فأخذ منه مهلة سبعة أيام ثم سار الى الطائف ونواحي الحجاز فلحق به ابن أخيه وهو السيد أحمد بن عبد المحسن بن أحمد بن زيد في جملة من الاموال والخيل والرجال ومعه جماعة من أعاظم السادة الاشراف بعد المعاهدة بينهم على ايقاع الخلاف وجمع السيد أحمد ابن عبد المحسن وعمه الشريف مبارك بن أحمد جموعا من القبائل وعزموا على مقاومة من بالطائف من الاشراف والاجناد وأتباع الشريف يحيى بن بركات فوقعت بينهم حروب ثم دخلوا الطائف وكثرت اتباعهم من عتيبة وثقيف وقصدوا امكة فخرج لهم

ماأمكن من أسوارها وأقام جيش المسلمين بها يوم واحدا وليلة ثم ارتحلوا عائدين الى بلادهم وبعثوا ارسلا الى صاحب بلادسيس في اعادة البلاد التي في جنوبي جيحان وزيادة القطيعة فزاد القطيعة حتى جعلها نحو ألف درهم

﴿ ذكر الاغارة على سيس وبلادها ﴾

في سنة عشرين وسبعمائة برزت المراسيم السلطانية من السلطان الناصر قلاوون بتجهيز العساكر والاغارة على بلاد سيس فخرجت عساكر من مصر والشام وحماه وحلب ودخلوا بلاد سيس في منتصف ربيع الآخر ونازلوا قلعة سيس وزحفت العساكر عليها حتى بلغوا السور وغنموا غنائم كثيرة وأتلفوا البلاد والزراعات وساقوا المواشي وكان شيأ كثيرا وأقاموا ينهبون ويخربون ورجعوا سالمين منصورين

﴿ ذكر فتوح اياس من بلاد سيس ﴾

في سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة توجهت العساكر حتى نازلوا اياس من بلاد سيس وحاصروها وملكوها بالسيف وعصت عليهم القلعة التي في البحر فأقام المسلمون عليها منجنيقا عظيما وركب المسلمون اليها طريقين في البحر الى ان قاربوا القلعة فهربت الارمن منها وأخلوها وألقوا في القلعة نارا فملك المسلمون القلعة وهدموا ماقدروا على هدمه وعاد كل عسكر الى بلاده وفي سنة سبع وعشرين وسبعمائة في رمضان ورد الى دمشق مائة وأربعون أسيرا من بلاد الفرنج وذلك أن قاضي القضاة جلال الدين أشهد أنه جعل لكل من يحضر أسيرا مبلغا عينه وكتب بذلك مكتوبا وعرف الفرنج ذلك فحملوا الاسرى من تجاراتهم وأحضروهم فأعطوا من وقف الاسرى ستين الف درهم وأطلقوا الاسرى بحمد الله تعالى

﴿ غزوة عساكر حلب بلاد سيس ﴾

في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة غزا عسكر حلب بلاد سيس وخربوا في اذنة وطرسوس وأحرقوا الزرع واستاقوا المواشي وأتوا باثنين وأربعين أسيرا وماعدم من المسلمين سوى شخص واحد غرق في النهر وكان العسكر عشرة آلاف سوى من تبعهم فلما علم أهل اياس بذلك أحاطوا بمن عندهم من المسلمين التجار وغيرهم وحبسوهم في خان ثم أحرقوه فقل من نجا فعلوا ذلك لنحو ألفي رجل من التجار البغاددة وغيرهم في يوم عيد الفطر فلله الامر من قبل ومن بعد وفي سنة سبع وثلاثين وسبعمائة توجهت العساكر المصرية والشامية لغزو بلاد الأرمن فنزلوا في ثاني شوال على مينا أياس وحاصروها ثلاثة ايام ثم قدم رسول الأرمن من دمشق ومعه كتاب من نائب الشام بالكف عنهم على ان يسلموا القلاع والبلاد التي في شرقي نهر جيحان فتسلموا منهم ذلك وهو شيء كثير وملك كبير كالمصيصة وكوبرا والهارونية وسرفندكار وأياس وباناس ونجيمة والنقير فخرب المسلمون برج أياس الذي في البحر واستنابوا في البلاد نوابا وعادوا سالمين ولله الحمد وهذا فتح اشتمل على فتوح وترك الارمن جسدا بلا روح وفي سنة احدى واربعين وسبعمائة توفي السلطان الملك الناصر محمد قلاوون واقيم بعده ولده الملك المنصور ابوبكر وفي سنة أربع وأربعين أغارت التركمان مرات على بلاد سيس فقتلوا ونهبوا وشفوا الغليل من الأرمن وفي سنة أربعين ملكت التركمان

الشريف يحيى بن بركات وتوجه الى الوادي ثم منه الى الروم قاصدا لاعتاب السلطانية

(دخول الشريف مبارك بن أحمد بن زيد مكة أميرا عليها سنة ١١٣٢)

ودخل الشريف مبارك البلد الحرام ونادى في الناس بالامان وبسط العدل والامان ومما اتفق له مما لم يصر لاحد من ولاة هذه الممالك الحرمية أنه دخل تحت طاعته ملكان شريفا المقدار قد وليا شرافة مكة قبله وهما الشريف عبدالله ابن سعيد وأخوه الشريف علي بن سعيد فسبحان المبدئ المعيد وكانا في اليمن في أيام دولة الشريف يحيى ابن بركات وكان قد أرسل لهما من يبعدهما عن تلك الاقطار فصار بينهم حرب حديد وقتال شديد فلما صار بين الشريف يحيى والشريف مبارك ابن أحمد ذلك الفراق بعث الشريف مبارك يستدعيهما لديه لكونهما ابني عمه فلم يرتحلا من الموضع الذي كانا فيه الا بعد تمكن الشريف مبارك وخروج الشريف يحيى عن مملكته فلما وصلا الى الشريف مبارك تلقاهما بالقبول والاكرام وطلب منهما المعاهدة ففعلا له ذلك وسلكا معه أحسن المسالك واستمرا على ذلك الى المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف فحدثت بينه

قلعة كابان بالحيلة وهي من أمنع قلاع سيس وقتلوا رجالها وسبوا النساء والاطفال فبادر صاحب سيس لاستنقاذها فصادفه ابن لقاذر فأوقع بالأرمن وقتل منهم خلقا وانهزم الباقون

واقعة الاسكندرية سنة ٧٦٧ سبع وستين وسبعمائة

قال ابن خلدون كان أهل قبرس من امم النصرانية من بقايا الروم وانما ينسبون هذا العهد الى الافرنج لظهور الافرنج على سائر امم النصرانية وكان على أهل قبرس جزية معلومة يؤدونها لصاحب مصر ومازالت من لدن فتحها على يد معاوية وكانوا اذا منعوا الجزية يسلط صاحب الشام عليهم أساطيل المسلمين فيفسدون مراسيها ويعيثون في سواحلها حتى يستقيموا لاداء الجزية وكان الظاهر بيبرس بعث اليها سنة تسع وستين وستمائة اسطولا من الشواني فطرقت مرساها ليلا فتكسرت لكثرة الحجارة المحيطة بها في كل ناحية ثم غلب لهذه العصور أهل جفوة من الافرنج على جزيرة رودس حازتها من يد لشكرى صاحب القسطنطينية سنة ثمان وسبعمائة وأخذوا مخنقها واقام أهل قبرس معهم بين فتنة وصلح وحرب آخر أيامهم وجزيرة قبرس هذه على مسافة يوم وليلة في البحر قبالة طرابلس منصبة على سواحل الشام ومصر فاطلعوا في بعض الايام على غرة في الاسكندرية فأخبروا حاجبهم فعزم على انتهاز الفرصة فيها فنهض في اساطيله واستنفر من سائر الافرنج ووافام مرساها سابع عشر من المحرم سنة سبع وستين وسبعمائة في اسطول عظيم يقال انه بلغ سبعين مركبا مشحونة بالعدة والعدد ومعه الفرسان المقاتلة بخيولهم فلما أرسى بها قدمهم الى السواحل وعبى صفوفه وزحف وقد غص الساحل بالنظارة برزوا من البلد على سبيل النزهة لايلقون بالا لما هم فيه ولا ينظرون مغبة أمره لبعد عهدهم بالحرب وحاميتهم يومئذ قليلة وأسوارهم من الرماة المناضلين دون الحصون خالية ونائبها القائم بمصالحها في الحرب والسلم خليل بن عوام غائب يومئذ في قضاء فرضه فاهو الا أن رجعت تلك الصفوف على التعبية ونضحوا القوم بالنبل فأجفلوا متسابقين الى المدينة وأغلقوا أبوابها وصعدوا الى الاسوار ينظرون ووصل القوم الى الباب فأحرقوه واقتحموا المدينة واضطرب أهلها وماج بعضهم في بعض ثم اجفلوا الى جهة البر بما أمكنهم من عيالهم وولدهم وما قدروا عليه من أموالهم وسالت بهم الطرق والاباطح ذاهبين في عروجه حيرة ودهشا وشعر بهم الاعراب أهل الضاحية فتخطفوا الكثير منهم وتوسط الافرنج المدينة ونهبوا مامروا عليه من الدور وأسواق البز ودكاكين الصيارفة ومقاعد التجار وملؤا سفنهم من المتاع والبضائع والذخيرة والصامت واحتملوا ما استولوا عليه من السبي والاسرى وأكثر مافيهم الصبيان والنساء ثم تسايل اليهم الصريخ من العرب وغيرهم فانكفأ الافرنج الى اساطيلهم ومكثوا فيها بقية يومهم وأقلعوا من الغد وثار الخبر الى كافل الدولة بمصر الأمير يبقا لأن السلطان الاشرف شعبان كان صغيرا وكان يبقا كافل دولته وقائما بتدبير أمر دولته فقام في ركائبه وخرج لوقته بسلطانه وعساكره ومعه ابن عوام نائب الاسكندرية منصرفا من الحج ومعهم كثير من الأمراء والعساكر ونياتهم في الجهاد صادقة حتى بلغهم الخبر في طريقهم باقلاع العدو

وبين الشريف عبد الله مقتضيات الفساد ولمعت بينهما بروق النوى والبعاد وتواترت النقول لدى الشريف مبارك بفساده وثبت عنده انه يحوم حول منصبه وبلاده فعزم على ارجاعه الى اليمن وأمضى عزمه وأخرجه الى الليث واستعمل عقبه من يسيره السير الحثيث وما فعل ذلك الا لأنه تحقق ان الشريف عبد الله يريد اقامة مطالبه بملاقاة أمراء الحجوج وأعيان الدولة العثمانية فصار الشريف عبد الله يتنقل تارة عند ذوي جازان بالجيدي وتارة بوادي مر وتارة بنواحي الطائف وأما أخوه الشريف علي فبقي على حاله بمكة لم يقع منه خلاف ثم ثارت فتنة بمكة بين الاشراف وبين شريف مكة الشريف مبارك بن أحمد بسبب قطع مشاهراتهم ورفع غالب مقرراتهم فخرج من خوشهم لذلك جمع تفرقوا في الشرق والمسالك وكان ابتداء ذلك في رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف ثم اجتمعوا بأسرهم في الوادي واستقر رأيهم على أن يكون الشرافة للسيد أحمد بن عبد المحسن ابن أحمد بن زيد وأن يعزلوا عمه الشريف مبارك وجاءهم الشريف عبد الله بن سعيد المتقدم ذكره وانضم اليهم وكذلك لحقهم أخوه الشريف علي بن سعيد الا انهما لم يتعرضا لامر الشرافة بل كانا الذي الخلافة

فلم يتم له ذلك واستمر الى الاسكندرية وشاهد ماوقع بها من معرة الحرب وآثار الفساد فأمر بهدم ذلك واصلاحه ورجع الى دار الملك وقد امتلأت جوانحه غيظا وحنقا على اهل قبرس فأمر بانشاء مائة اسطول معتزما على غزو قبرس بجميع من معه من عساكر المسلمين بالديار المصرية واحتفل فى الاستعداد لذلك واستكثر من آلات الحصار ومن السلاح وكل غرضه من ذلك كله ثم لم يقدر على انجاز غرضه الا فى سنة ثمانمائة وتسع وعشرين كما سيأتى ان شاء الله وسبب هذا التأخير كثرة الفتن الواقعة بين امراء مصر مع بعضهم

انقراض دولة الأرمن والاستيلاء على سيس

فى سنة ست وسبعين وسبعمائة فى دولة الملك الاشرف شعبان بن حسن بن الناصر قلاوون تجهز جيش للمسلمين لغزو بلاد سيس وكان قائد الجيش المارديني نائب حلب فحاصرهم شهرين ونصب عليها المجانيق واستدعى أصناف التركمان للقتال فلما طال الحصار عليهم واشتد الضيق بهم نزل رئيسهم تكفور بالامان فأرسله الى مصر ودقت البشائر بذلك قال ابن خلدون سافر نائب حلب سنة ست وسبعين بالعساكر الى بلاد الارمن ففتح سائر أعمالها واستولى على ملكها تكفور بالأمان فوصل بأهله وولده الى الابواب السلطانية ورتبت لهم الارزاق واستولى السلطان على سيس وانقرض منها ملك الأرمن وجعل السلطان نيابة سيس ليعقوب شاه ثم أضيف اليها طرسوس واذنة وأياس وغيرها وفى سنة ثمانين وسبعمائة نازل الافرنج طرابلس الشام فجهز السلطان عدة مراكب صحبة يلبغا الناصرى فالتقى بهم فهزمهم ثم امر العساكر أن يتأخروا فطمع فيهم الفرنج الى ان بعدوا عن البحر فرجع عليهم بالعساكر فهزمهم وقتل كثيرا منهم وفر من بقى وطلعوا الى المراكب وفى سنة خمس وثمانين وسبعمائة نازل الفرنج بيروت فى عشرين مركبا فراسل المسلمون نائب الشام فتقاعد عنهم واعتل باحتياجه الى مرسوم من السلطان فنادى اينال اليوسفى بالغزو والجهاد فنفر معه جماعة فحال بين الافرنج والبحر وقتل كثيرا منهم ونزل اليه بقية الافرنج من المراكب يقاتلونه فهزمهم وقتل كثيرا منهم وغنم من مراكبهم ستة عشر مركبا قبضها واستولى عليها فكان للمسلمين بذلك سرور عظيم وفى سنة سبع وثمانين وسبعمائة أنشأ المسلمون شوانى كثيرة لغزو الافرنج فى البحر الرومى واجتهدوا فى عملها وسيروا الشوانى الى دمياط فوجدوا بساحل دمياط غرابا للافرنج فكبسوا عليه واستولوا عليه وأسروا من فيه وفى سنة تسعين وسبعمائة كانت وقعة عظيمة بناحية سيواس بين المسلمين والتركمان النصر فيها للمسلمين وفى هذه السنين كان ظهور تيمورلنك بالديار الهندية وخراسان والعراق وكان ظهوره من أشد المحن والبلايا على هذه الأمة فأفسد فى الارض وأهلك الحرث والنسل ولنذكر تلخيص وقائعه ثم نعود الى اتمام الكلام على فتوحات ملوك مصر والروم والله المستعان وسيأتى ان مسير تيمور الى الشام كان سنة ثلاث وثمانمائة وحل انذار من الله بذلك المسير الذى كان فيه البلاء قبل وقوعه وذلك ان أول انذار هو الحريق الذى وقع فى المسجد الحرام سنة اثنتين وثمانمائة قال النجم ابن فهد وتحدث أهل المعرفة بأن هذا ينذر بحدث جليل يقع فى الناس

وأقاموا مدة من الايام وآراؤهم تنقضى وتارة تكون بغاية الابرام ولم يزل هذا حالهم الى ان نفدت أموالهم وقلت لديهم الاقوات وانحصرت عليهم جميع الطرقات وهم ينتظرون خروج الشريف مبارك اليهم وصولته عليهم فيأخذونه فى طرفة عين ويرمونه بالبعد والبين وهو مقيم فى مكة بلاده متحصن بعساكره وأجناده وأصاب الناس فى مكة شدة وبلاء يفطر الاكباد وكذا الشريف مبارك اصابته شدة حتى آل الامر الى بيع آلات ملكه ثم عزم الاشراف الذين فى الوادى على حربه وقتاله واجتمع معهم كثير من القبائل فجاؤا وضربوا قبابهم بالزاهر فخرج لهم الشريف مبارك بمن معه ووقع القتال بينهم فى اليوم الرابع والعشرين من شوال وصارت بينهم معركة خطبها عظيم وهولها جسيم أصيب فيها أشخاص من الاشراف وغيرهم وكانت الغلبة للشريف مبارك عليهم فطلبوا منه الامان على أن يمكثوا ثلاثة أيام فى ذلك المكان ثم يرحلون ويبعدون فأبى وقال لابد من الرحيل والابعاد فرجعوا من يومهم الى واديهم ثم توسط بينهم بعض كبار الاشراف بالصلح فكان أول من وفى للمسالمة والاصلاح الشريف عبدالله بن سعيد ثم اجتهد هو وبقية الاشراف ورفع ما كان بينهم من الخلاف

وكان كذلك وقد وقعت المحن العظيمة بقدوم تيمورلنك الى بلاد الشام وبلاد الروم وسفك دماء المسلمين وسبي ذراريهم ونهب أموالهم وأحراق مساكنهم ودورهم وكان ذلك الحريق الواقع في المسجد الحرام المنذر بذلك في أواخر شوال سنة ثمانمائة واثنتين في مدة سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق وكان الحريق من جهة الجانب الغربي واتصل منه بالسقف وعم الحريق الجانب الغربي وبعض الرواقين المقدمين من الجانب الشامي الى محاذاة باب البساطية بما كان من السقوف والاساطين وكانت السقوف كلها من الخشب الساج وصار التعمير لهذا كله بعد ذلك وأعيد السقف خشبا كما كان وفرغوا من التعمير سنة ثمانمائة وأربع وكان أمير مكة الشريف حسن بن عجلان

﴿ ذكر ظهور التيمور ﴾

انما ذكرنا التيمور وقتاله وان كان يدعي الاسلام لان قتاله مثل قتال الكفار لانه فعل أعمالا مع المسلمين أكثر مما تفعله الكفار من القتل والاسر والتخريب وكان رافضيا شديد الرفض وسبب خروجه ان ملوك التتر اقتسموا الممالك وانتشرت الفتن بينهم مع بعضهم وكثر عليهم الثوار والخارجون وكان ذلك كله سببا لضعف دولة التتر وموجبا لقيام تيمور وغيره واختلفوا في نسب تيمور فقيل ان نسبه ينتهي الى جنكزخان ملك التتر وفي تاريخ ابن خلدون ان تيمور ينتسب هو وقومه الى جغطاى بن جنكزخان وجزم بعضهم بأن نسبه الى جغطاى بن جنكز خان انما هو من جهة امه لا من جهة ابيه وكان أول ظهوره سنة سبعمائة وثلاث وسبعين وأرخه بعضهم بقوله عذاب ٧٧٣ وهو أحد الدجالين الموعود بهم في في الاخبار النبوية فانه تغلب على الممالك الاسلامية وأكثر القتل وأفسد الارض وأهلك الحرث والنسل وكان مبدأ أمره وأمر أبيه انهما كانا فقيرين وكان أبوه اسكافيا من قرية من أعمال كش وهي مدينة من مدائن ماوراء النهر ونشأ ولده تيمور جلدا قويا ذا جسم غليظ فكان لشدة فقره يسرق كثيرا فسرق في بعض الليالي شاة واحتملها فشعر به الراعي فرماه بسهمين أصاب بأحدهما فخذه وبالآخر كتفه فأعابهما فكان أعرج اليناوين ولذلك كان يقال له نصف انسان ومع هذا لم يترك السرقة فمازال كذلك حتى اشتهر أمره وافساده فظفر به السلطان حسين ملك هراة فأمر بضربه ثم بصلبه فضرب ثم تشفع في ترك صلبه الأمير غياث الدين ابن السلطان حسين المذكور فقال له أبوه السلطان حسين هذا أصل مادة الفساد لئن بقي ليهلكن العباد والبلاد فقال له ابنه غياث الدين وما عسى ان يصدر من نصف آدمي وقد أصيب بالدواهي فمازال يراجع أباه حتى قبل شفاعته ووهبه له وعفي عنه ثم ان غياث الدين اصطحبه معه وقربه وأدناه وجعله من خواصه وزوجه اخته ورقاه حتى صار من وزرائه فلما صار الملك لغياث الدين بعد موت ابيه حسين ازدادت منزلة تيمور وصار مقدما على كثير من الجند فطغى وبغى على مولاه غياث الدين ومبدأ ذلك ان زوجة تيمور وهي اخت السلطان غياث الدين وقع بينها وبين تيمور شئ أغضبه فقتلها ولم يراع حرمة مولاه ثم لم يسعه الامر الا بالخروج على السلطان غياث الدين

عبد المحسن صحبة الشريف عبدالله المذكور ورتبوا الاحوال لجماعتهم وجاؤا متتابعين وهذه المرة الثانية لدخول الشريف عبدالله ابن سعيد وأخيه تحت أوامر الشريف مبارك بن أحمد

(ذكر الفتنة التي وقعت بالمدينة بين الاغاوات وأهل المدينة سنة ١١٣٤)

وفي مدة ولاية الشريف مبارك بن أحمد بن زيد سنة أربع وثلاثين ومائة وألف وقع بالمدينة فتنة عظيمة شهيرة بين الاغاوات وأهل المدينة ونشأ عنها قتل السيد عبدالكريم البرزنجي المدفون بجدة المشهور بالمظلوم وتلك الفتنة الكلام على تفصيلها طويل وملخصها ان رجلا من توابع الاغاوات يسمى على قنا أراد ان يستفرغ وظيفة من وظائف العسكر ويدخل في العسكرية فامتنع من ادخاله كبار العسكر حيث انه كان في العسكرية ووقعت منه خيانة وأخرج منها فلا يعاد وقال أغاوات الحرم لابد من ادخاله وطال النزاع بينهم ووافق أهل المدينة كبار العسكر في عدم ادخاله ووقع في المدينة ضجة واتسع الامر حتى آل الى القتال وابتدأ ذلك على قنا ومن كان معتضداله من الاغاوات وكان معهم بعض من قبائل حرب فصعدوا منائر

وخلع الطاعة والتمرد والطغيان فتملك بما كان تحت يده من الجند كثيرا من الممالك حتى استصفى ممالك ماوراء النهر وذلت لأوامره ملوك الدهر وشرع فى استخلاص بقية البلاد واسترقاق العباد فكان يجرى فى جسد العالم مجرى الشيطان من بنى آدم ويدب فى البلاد دبيب السم فى الاجساد ثم أرسل الى مخدومه سلطان هراة الملك غياث الدين يطلب منه الدخول فى طاعته ليجازيه على احسانه باساءته فيتحقق بذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم كتب الله على كل نفس خبيثة ان لاتخرج من الدنيا حتى تسيء الى من أحسن اليها فأرسل غياث الدين يقول له أما كنت خادمالى وأحسنت اليك وأسبلت ذيل نعمتى عليك وذلك بعد ان نجيتك من الضرب والصلب فان لم تكن انسانا يعرف الاحسان فكن كالكلب فلم يصغ لذلك بل عبر جيحون بمن معه من الجند وتوجه الى محاصرة مولاه غياث الدين بهراة ولم يكن لغياث الدين قوة الى قتاله والوقوف بين يديه فحصن نفسه فى القلعة فحاصره وضيق عليه ثم أمنه وقبض عليه وحبسه ومنع عنه الطعام والشراب حتى مات جوعا وعطشا ثم عاد الى خراسان فانتقم أولا من أهل سجستان فوضع السيف فيهم وأفناهم عن آخرهم ثم خرب المدينة ورحل عنها ولم يزل هذا دأبه حتى تخلص له جميع ممالك العجم ودانت له ملوكهم والامم ووصفه بعضهم بقوله وكان رجلا ذا قامة شاهقة كأنه من بقايا العمالقة عظيم الجبهة والرأس شديد القوة والبأس ابيض اللون مشربا بحمرة عظيم الاطراف عريض الاكتاف مستكمل البنية مسترسل اللحية أعرج اليمناوين وعيناه كشمعتين جهير الصوت لايهاب الموت وكان من ابهته وعظمته ان ملوك الاطراف وسلاطين الاكناف مع استقلالهم كانوا اذا قدموا عليه وتوجهوا بالهدايا والتقاديم اليه يجلسون على اعتاب العبودية والخدمة نحوا من مد البصر من سرادقاته واذا أراد هو منهم واحدا أرسل من الخدمة نحوه قاصدا فينادى ذلك الواحد باسمه فينهض فى الحال يعدو نحوه ممتثلا امره ودخل تحت طاعته ملوك السلجوقية اصحاب قونية كما كانوا داخلين تحت طاعة التتر ولما ملك اصبهان وعراق العجم والرى وفارس وكرمان بعد حروب هلك فيها ملوكهم وبادت جموعهم وخربت ديارهم وسبيت نساؤهم خافه السلطان احمد بن اويس المتملك بغداد بعد التتر كما تقدم فجمع عساكره وأخذ فى الاستعداد له ثم عدل الى مصانعته ومهاداته فلم يغن ذلك عنه ومازال تيمور يخادعه بالملاطفة والمراسلة الى ان فتر عزمه وفرق عساكره فنهض اليه يسرع السير فى غفلة عنه حتى انتهى الى دجلة وسبق النذير الى السلطان احمد فأسرى بغلس ليله وحمل ماأقلته رواحله من امواله وذخائره وترك سفن دجلة ومر بنهر الحلة وصبح مشهد على رضى الله عنه ووافى تيمور وعساكره دجلة فى حادى عشر شهر شوال سنة خمس وتسعين وسبعمائة ولم يجد السفن فاقتحم بعساكره النهر ونازل بغداد وبعث عساكر فى اتباع السلطان احمد فساروا الى الحلة وقد قطع جسرها فخاضوا النهر عندها وأدركوا السلطان احمد بمشهد على واستولوا على أثقاله ورواحله فكر عليهم فى جموعه وقتل الامير الذى كان عليهم فرجع بقية عسكرهم ونجا السلطان احمد الى الرحبة من تخوم الشام فأراح بها وأرسل النائب بالرحبة بخبره الى سلطان مصر السلطان الظاهر برقوق فسرح بعض خواصه

الحرم الشريف وترسوها وأغلقوا أبواب المسجد وترسوا بعض البيوت التى بجانب الحرم النبوى وعزموا على محاربة العسكر ومن يعضدهم من أهل المدينة فرفع كبار العسكر وأهل المدينة أمرهم الى قاضى الشرع خوفا من وقوع الفتنة عند القبر المعظم وذهاب مافى الحجرة من الاموال وما يحدث من القتل وغضب الدولة العلية عليهم فأرسل قاضى الشرع للاغاوات يمنعهم من الفتنة ويطلبهم للحضور الى مجلس الشرع فامتنعوا من الكف ومن الحضور عند القاضى فسجل عليهم القاضى أنهم عصاة بغاة يجب قتالهم فشرعت العساكر وأهل المدينة فى قتالهم وضيقوا عليهم من كل جانب وقتل فى تلك الفتنة أشخاص من الفريقين وعطلت صلاة الجماعة فى المسجد النبوى فجنحوا للسلم فامتنع العساكر وأهل المدينة الابعد احضار الاغاوات القائمين مع على قنا وحبسهم فى قلعة السلطان بالوجه الشرعى ثم يرفع أمرهم الى نائب السلطان بالحرمين الشريفين وهو الشريف مبارك بن أحمد بن زيد شريف مكة اذ ذاك فحضر خمسة أو ستة من كبار الاغاوات كانوا رأس تلك الفتنة فحبسوا فى القلعة ورفع الامر الى شريف مكة المذكور فطلبهم الى مكة لاقامة الدعوى فوصلوا

فتلقوه بالنفقات والأزواد ثم قدم السلطان أحمد الى مصر وخرج السلطان الظاهر برقوق الى ملاقاته وأمر الامراء بالمشي في خدمته وأكرمه وأخبره السلطان احمد ان تيمور أخذ بلاد العجم والعراق وانه أرسل قصاده الى السلطان برقوق فكتب السلطان برقوق الى نائب الرحبة ان يقتل قصاد تيمور ففعل ذلك وأخبر السلطان احمد الملك الظاهر برقوق بأنه جاء مستنصرا مستصرخا به على من أراد انتزاع الملك منه فأجاب الملك الناصر صريخه ووعده بالنصر وتجهيز الجيوش وكان قدوم السلطان احمد على الملك الظاهر في شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين وسبعمائة لانه كان أصابه مرض في طريقه تأخر بسببه عن سرعة الوصول وكان السلطان احمد ترك نائبا له على بغداد ثم جاءتهم الاخبار بأن تيمور لنك حاصر بغداد ثم تملكها وعاث فيها وكان دخوله بغداد يوم عيد الاضحى فتقرب على زعمه بأن جعل المسلمين قرابين وقتل خلقا كثيرا ثم أمر عسكره بأن يأتيه كل واحد برأسين من أهل بغداد فأتوا بالرؤس فجمعها وأمر ان يبنى منها مآذن على صور المنائر وعجز بعض الجند عن المجيء برؤس الرجال فقطع رؤس النساء والاطفال واستصفى ذخائر السلطان أحمد واستوعب موجود أهل بغداد بالمصادرات لاغنيائهم وفقرائهم حتى مسهم الحاجة وأقفرت جوانب بغداد من العيش ثم ان تيمور بعد ان استولى على بغداد زحف في عساكره الى تكريت وأناخ عليها بجموعه اربعين يوما فحاصرها حتى نزلوا على حكمه فقتل من قتل منهم ثم خربوها وأقفروها وانتشرت عساكره في ديار بكر الى الرها ووقفوا عليها ساعة من النهار فملكوها وانتسفوا نعمها وافترق أهلها فبلغ الخبر الى الملك الظاهر برقوق فنادى في عسكره بالتجهز الى الشام وأفاض العطاء واستوعب الحشد من سائر اصناف الجند وارتحل الى الشام ومعه السلطان أحمد بن أويس وكان العدو تيمور قد شغل بحصار ماردين وأقام عليها أشهرا وملكها وعاثت عساكره فيها واكتسحت نواحيها وامتنعت عليه قلعتها فارتحل عنها الى بلاد الروم ومر بقلاع الاكراد وأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها وفي هذه المدة جهز السلطان برقوق عساكر كثيرة وبعثها مع السلطان احمد الى بغداد فملكها وضرب السكة باسم السلطان برقوق كما ذكر ذلك العلامة ابن الشحنة في تاريخه وبقي السلطان برقوق بالشام مستجمعا لعساكره مترقبا لقتال تيمور والوثبة به متى استقبل جهته فبلغ ذلك تيمور فلم يتجرأ على الاقدام بل رجع الى بلاد خراسان ولم يقدر على الرجوع ودخول الديار الشامية الا بعد وفاة السلطان برقوق كما سيأتي ان شاء الله تعالى

ذكر كتاب تيمور الى السلطان برقوق

كتب تيمور الى الملك الظاهر السلطان برقوق كتابا يقول فيه بعد البسملة اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اعلموا أننا جند الله في أرضه مخلوقون من سخطه مسلطون على من يحل عليه غضبه لا نرق لشاك ولا نرحم عبرة باك قد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا قد خربنا البلاد وأيتمنا الاولاد خيولنا سوابق وسيوفنا صواعق وسهامنا خوارق وقلوبنا كالجبال وعددنا

الى مكة وحضر معهم مفتي المدينة السيد محمد أسعد وجماعة من أعيان أهل المدينة فعقد الشريف مبارك لهم مجلسا حضره من جاء من المدينة المنورة وقاضي مكة وابراهيم باشا والي جدة ومفاتي مكة وجماعة من علمائهم وأعيانهم وأقيمت الدعوى وثبت الخطأ على الاغاوات فأمر الشريف مبارك بحبسهم في داره الى ان يرفع الامر الى الدولة العلية ويأتي الجواب فجاء الجواب من الدولة العلية بتنفيذ الحكم الذي حكم به قاضي المدينة على الاغاوات وأجروا عليهم العقوبات المحكوم بها من العزل لبعضهم والنفي لبعضهم ثم مازال الاغاوات يسعون في الانتقام من أهل المدينة بسبب هذه الحادثة ووسطوا لذلك الوسائط ورحل بعضهم الى أبواب السلطنة بنفسه حتى اتهموا من كثير منهم وكان من جملة من اتهم بدخوله مع أهل المدينة في هذه القضية العالم الفاضل السيد عبد الكريم بن محمد البرزنجي وابنه الفاضل السيد حسن وكان الاغاوات عرضوا الى الدولة جميع أسماء أولئك الجماعة الذين اتهموهم في الدخول في تلك الفتنة فجاء الامر من الدولة بقتل بعض أشخاص ونفي آخرين فكان السيد عبد الكريم وابنه السيد حسن من جملة المأمور بقتلهم ففر ولده قبل مجيء الامر الى مصر

كالرمال ملكنا لا يرام وجارنا لا يضام من سالمنا سلم ومن رام حربنا ندم فان أنتم قبلتم شرطنا وأطعتم أمرنا فلكم مالنا وعليكم ماعلينا وان خالفتم وعلى بغيكم تماديتم فلا تلوموا الا أنفسكم وذلك بما كسبت أيديكم فالحصون لا تمنع والعساكر لا ترد ولا تدفع ودعاؤكم لا يسمع لانكم أكلتم الحرام وأضعتم الجمعة وارتكبتم الآثام فأبشروا بالمذلة والهوان فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون وتقولون انه قد صح عندكم أننا كفرة فقد ثبت عندنا أنكم فجرة وقد سلطنا عليكم من بيده أمور مدبرة وأحكام مقدرة فعزيزكم عندنا ذليل وكثيركم لدينا قليل وقد أوضحنا لكم الخطاب فأسرعوا برد الجواب قبل ان ينكشف الغطا ويدخل علينا منكم الخطا وترمي الحرب نارها وتلقي اوزارها وتدهون منا بأعظم داهية ولا يبقى لكم باقية وينادي عليكم منادي الفناء هل تحس منهم من أحد اوتسمع لهم ركزا الآن قد أنصفناكم اذ راسلناكم فردوا راسلنا بجواب هذا الكلام والسلام فلما سمع السلطان برقوق هذا الكتاب اغتاظ غيظا عظيما وأمر بكتابة الجواب فكتب الجواب بانشاء ابن فضل الله العمري وصورته بعد البعدية والاصدار قد حصل الوقوف على كتاب ورد فقولكم انكم مخلوقون من سخطه مسلطون على من يحل عليه غضبه وانكم لا ترقون لشاك ولا ترحمون عبرة باك وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم فذلك من أكبر عيوبكم وهذه صفات الشياطين لا صفات السلاطين قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ففي كل كتاب لعنتم وعلى لسان كل رسول بالسوء ذكرتم وبكل قبيح وصفتم وعندنا العلم بكم من حين خلقتم وأنتم الكفرة كما زعمتم ألا لعنة الله على على الكافرين نحن المؤمنون حقا لا يدخلنا عيب ولا يخامرنا ريب القرآن على نبينا نزل والرب بنا رحيم لم يزل انما النار لكم خلقت وجلودكم اضرمت اذا السماء انفطرت ومن أعجب العجاب تهديد الرتوت بالتوت والسباع بالضباع والكمات بالكراع ونحن خيولنا برقية وسهامنا يمانية وسيوفنا شديدة المضارب وذكرنا في المشارق والمغارب ان قتلناكم فنعم البضاعة وان قتلنا فبيننا وبين الجنة ساعة ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون وقولكم قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال فالقصاب لا يبالي بكثرة الغنم وكثير الحطب يكفيه قليل من الضرم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين الفرار الفرار من الرزايا لا من المنايا ونحن من الطمأنينة على عادة الامنية ان قتلنا فشهداء وان عشنا كنا سعداء ألا ان حزب الله هم الغالبون أبعد امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين يعني الخليفة العباسي الذي كان اذذاك بمصر تطلبون منا طاعة لا سمعا لكم ولا طاعة وطلبتم أن نوضح لكم امرنا قبل أن ينكشف الغطا ويدخل علينا منكم الخطا هذا لكلام في نظمه تركيك وفي سلكه تفكيك او كشف لبان بعد التبيان أكفر بعد ايمان واتخاذ رب ثان لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا قل لكاتبك الذي وضع رسالته ووصف مقالته وصل كتاب كصرير الباب أو كطنين الذباب فسنكتب مايقول ونمد له من العذاب فلما وصل الكتاب الى تيمور غضب غضبا شديدا وقدر الله بوفاة السلطان برقوق بعد ذلك بقليل وكان تيمور ألقى الله الرعب في قلبه من السلطان برقوق

وبقي والده السيد عبدالكريم بالمدينة فصعب عليهم قبضه بالمدينة فحسن له بعض أعدائه الخروج من المدينة الى مكة المشرفة والاقامة بها فلما وصل الى مكة قبض عليه وزير جدة أبوبكر باشا وأنفذه الى جدة وحبس بالقلعة

(ذكر قتل المظلوم بجدة وهو السيد عبد الكريم البرزنجي سنة ١١٣٦)

ثم أمر بقتله فقتل خنقا ورمي في سوق جدة يوما كاملا ثم رفعه بعض أهل الخير بشفاعة والتماس وغسل وكفن ودفن بجدة وهرعت الناس الى جنازته للتبرك به رحمه الله رحمة واسعة وقبره مشهور يزار ويعرف عند أهل جدة بالمظلوم وكان قتله في ثامن ربيع سنة ست وثلاثين ومائة وألف وفي مدة الشريف مبارك المذكور كانت وفاة خاتمة المحدثين العلامة الشيخ عبدالله بن سالم البصري وتوفي سنة أربع وثلاثين ومائة وألف رابع رجب وكان تاريخ وفاته قد حل عبد الله دار قرار ولم يزل الشريف مبارك في شرافة مكة الى ست من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين ومائة وألف فانتزعها منه الشريف يحيي ابن بركات بولاية من السلطنة السنية فكانت مدة ولاية الشريف مبارك نحو سنتين ونصف وهذه الولاية الاولى وستأتي الثانية ان

فلما بلغه خبر وفاته استبشر ونم على مخبره بجملة مستكثرة وكانت وفاته في سنة احدى وثمانمائة وأقيم بعده في السلطنة ولده الملك الناصر فرج فأخذ تيمور في التجهيز بالجيوش لقصد بلاد الشام والروم وكان في نفسه من قتل السلطان برقوق قصاده ومن اعانته السلطان احمد بن اويس على تملك بغداد، كان في نفسه ايضا على السلطان بايزيد العثماني لانه تملك بلادا كثيرة كانت للسلطان السلجوقي وقرابته تملكها السلطان بايزيد بعد وفاته وكان السلطان السلجوقي قد كاتب تيمور وأعطاه الطاعة خوفا من السلطان بايزيد وكانت تلك البلاد لبني قلج أرسلان من ملوك السلجوقية وهم الذين افتتحوها وأقاموا فيها دعوة الاسلام وانتزعوها من يد ملوك الروم اهل قسطنطينية واضافوا اليها كثيرا من اعمال الأرمن ومن ديار بكر فانفسحت اعمالهم وعظمت ممالكهم وكان كرسيهم بقونية ومن اعمالها اقصر وانطاكية والعلايا وطغرل ودمر لو وقرا حصار ومن ممالكهم اذربيجان ومن أعمالهم آقشهر وكانخ وقلعة كعونية ومن ممالكهم قيسارية ومن أعمالها نكرا وقلبة ومنال ومن ممالكهم أيضا سيواس وأعمالها ومن أعمالها نيكسار واماسية وتوقات وكنكرة كوريه وسامول وصفوي وكمخونية وطرخوا وبرلوا ومما استضافوه من بلاد الأرمن خلاط وأرمينية الكبرى ووان وسلطان وأرجيس وأعمالها ومن ديار بكر خربوت وملطية وسميساط ومسارة فكانت لهم هذه الاعمال وما يتصل بها من الشمال الى مدينة بروسة ثم الى خليج القسطنطينية واستفحل ملكهم فيها وعظمت دولتهم وكان ملوك مصر ينازعونهم في بعضها ثم طرق دولة السلجوقية الهرم والفشل كما يطرق الدول ولما استولى التتر على ممالك الاسلام استولوا أيضا على كثير من هذه الممالك ولحق غياث الدين السلجوقي مع عياله بقونية ثم استقر في طاعة التتر هو واخوانه واقتسموا ممالكهم عمالا للتتر ثم بقيت بيد بنيهم بعدهم يتوارثونها الى ظهور تيمور لنك وكان في ذلك الوقت ظهور قوة للسلطان بايزيد العثماني فاستولى على كثير من تلك الممالك فأرسل الباقون من ملوك السلجوقية الى تيمور يعطونه الطاعة ليحتموا به من السلطان بايزيد فقدر الله في تلك الايام موت بعض ملوكهم وظهور الضعف فيهم فاستولى السلطان بايزيد أيضا على بعض ممالكهم هذا هو السبب في ان تيمور كان له قصد قوي في التوجه الى قتال السلطان بايزيد وسيأتي ذكر ذلك ان شاء الله تعالى

✵ ذكر تجهيز تيمور الجيوش لقصد الشام ✵

وقد ذكرنا ان تيمور فرح واستبشر بوفاة السلطان برقوق ثم أنه في سنة ثلاث وثمانمائة أخذ في التجهز الى المسير الى الديار الشامية فجمع عساكر كثيرة تبلغ ثمانمائة الف فاجتاز اولا على سيواس فحاصرها وأخذها وكان فيها عامل للسلطان بايزيد قيل انه أمن اهلها وحلف لهم ان لايضع السيف فيهم فلما تمكن منهم حفر لهم حفائر ودفنهم فيها أحياء وكانوا ثلاثة آلاف مسلم ثم حرقها وخربها وتوجه نحو البتين فوجد أهلها قد رحلوا عنها فخربها وأحرقها ثم توجه الى ملطية فهرب منها من كان بها قبل ان يصل اليه فخربها ثم اجتاز على بهسني فحاصرها

ثنتين وثلاثين ومائة وألف توجه كما تقدم للديار الرومية ولم يزل يجتهد حتى اجتمع بالسلطان أحمد بن محمد بن ابراهيم يوما كاملا الاقليلا وصار بينهما حديث طويل فأنعم عليه بشرافة مكة سنة أربع وثلاثين وصدر الامر بتوجهه مع الحج الشامي ومعه الوزير علي باشا كتاهيلي متوليا بندر جدة وأمرته الدولة بأن يكون تحت أمر الشريف يحيى ومعهم أيضا أمير الحاج الشامي علي باشا المشهور بابن المقتول فجاء الجميع في عسكر جرار ودخلوا مكة استخلون من ذي الحجة وخرج منها الشريف مبارك وجماعته وأقاموا بأطراف الطائف بموضع يسمى جرجة بعد وادي لية قريبا من بلاد ثمالة

(الولاية الثانية للشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٤)

ولما اورد الشريف يحيى في هذه الولاية الثانية لم يكن في رقته ورأفته بالاشراف كما كان في الولاية الاولى بل تولى الامور بشدة وغلاظة وقابل السادة الاشراف بزعامة وفظاعة رجوعا عن سيرته الاولى واستحسانا بأن الكيفية أصوب وأولى مع اعتماده على من جاء معه من الاروام والوزراء العظام فلم يزل حال الاشراف معه في نهاية

ونصب عليها المنجنيق وهدم بعض قلعتها ثم أخذها صلحا ثم نازل حلب تاسع ربيع الاول من السنة المذكورة وكان فيها من العساكر الاسلامية جمع كثير من دمشق وطرابلس وحماه وصفد وغزة وغيرها فاختلفت آراؤهم بين قائل ادخلوا المدينة وقاتلوا من الاسوار وقائل اخرجوا ظاهر البلد بالخيام وكان الامير على حلب نائب السلطان هو الامير دمرداش الخاصكى لما رأى اختلافهم أذن للناس فى اخلاء البلد والتوجه حيث شاؤا وكان نعم الرأى لو فعلوا به فلما لم يفعلوا برأيه ضربوا خيامهم بظاهر البلد لتلقاء العدو وحضر قاصد مرسل من تيمور فقتله الامير القائم على عسكر دمشق قبل ان يسمع كلامه وبئس ما فعل وفى اليوم العاشر من ربيع وقع قتال يسير وفى الحادى عشر زحف تيمور بجيوشه وفيلته فدهم المسلمين خلق كأمواج البحر فولوا على أدبارهم منهزمين نحو البلد وازدحموا فى الابواب ومات منهم خلق كثير والعدو وراءهم يقتل ويأسر وتعلقت امراء عساكر المسلمين بالقلعة ومعهم خلق كثير فاقتحمت عساكر تيمور المدينة وامتدت أيديهم فى اقطارها وجالت خيولهم بأرجائها سفكا ونهبا وأسرا واحتمى بالمساجد خلق كثير من النساء المخدرات والكواعب وغيرهم فمالوا عليهم وقبضوهم أسرى فى الحبال وأسرفوا فى قتل كثير من الرجال والأطفال ونهب الاموال وتخريب المنازل وافتضاض الابكار وانتهاك الستور واستمر الحال على هذا المنوال ثلاثة أيام وهم مع ذلك مشتغلون بنقب القلعة وهدم الخندق وكان المسلمون قد جعلوا أكثر اموالهم بالقلعة ثم اعتصم بها الأمراء خلق كثير فلما رأى دمرداش أمير حلب اشتداد الامر نزل مع طائفة من الأمراء من القلعة يطلبون الأمان فأجابهم تيمور وخلع عليهم فاطمأن خاطرهم فنزل بقية اصحابهم من القلعة كل أمير مع طائفته فنظم تيمور كل رجلين فى قيد وفرقهم فى قومه ثم أذن لهم فى النهب قال ابن الشحنة أخذ القلعة بالأمان والايمان التى ليس معها ايمان وفى ثانى يوم صعد بنفسه الى القلعة وأقام بحلب نحوا من شهر وأصحابه تعدوا فى نهب المدينة والقرى وتعيث بقطع اشجارها وهدم أحجارها وامر أن يبنى من رؤس الرجال شبه المآذن فبنيت مرتفعة فى الهوا نحو عشرة أذرع ودورها نيف وعشرون ذراعا والوجوه بارزة تسفى عليها الرياح وعدة تلك المنائر المتخذه من الرؤس عشر وسلم من قتله كثير من العلماء وغيرهم اختفوا ثم اعطاهم الأمان قال ابن الشحنة ولما طلع القلعة فى ثانى يوم كان طلوعه فى آخر النهار فطلب علماء حلب فحضرنا اليه فأوقفنا ساعة ثم أمرنا بالجلوس وطلب من معه من أهل العلم فقال لأمير من أمراء دولته وهو المولى عبد الجبار بن العلامة نعمان الدين الحنفى كان نعمان الدين المذكور من العلماء المشهورين بسمرقند قل لهم انى سائلكم عن مسئلة سألت عنها علماء سمرقند وبخارى وهراة وسائر البلاد التى افتتحتها ولم يوضحوا الى الجواب فلا تكونوا مثلهم ولا يجيبنى الا أعلمكم وأفضلكم وليعرف ما يتكلم به فانى خالطت العلماء ولى بهم اختصاص وألفة ولى فى طلب العلم طلب قديم قال ابن الشحنة وكان قد بلغنا عنه انه يعنت العلماء فى الأسئلة ويجعل ذلك سببا لقتلهم أو تعذيبهم فقال الشيخ القاضى شرف الدين موسى الانصارى الشافعى هذا شيخنا يعنى الشيخ محمد بن الشحنة وهو مدرس هذه البلاد ومفتيها واليه المرجع سلوه والله المستعان فقال

الاضطراب منع ثغور الاعراب ﴿٥١﴾ والحال أن الشريف مباركا وذويه آل زيد بن محسن مقيمون بأطراف الطائف ونواحيه فقضى الشريف يحيى الحج وكذا صاحبه الوزير قاضى جدة على باشا كتاهيلى ثم وجها همتهما للتمهيد الامور واخلاء بعض الدور وكان معهما أوامر كثيرة متضمنة لاشياء عديدة منها ابعاد السادة آل زيد بن محسن ومنها هدم دارهم المعروفة بهم المسماة بدار السعادة وغير ذلك ولم يتم لهم شئ من ذلك أما السادة آل زيد فذكرنا أنهم نزلوا بأطراف الطائف فوق قرية تسمى لية فى موضع عزيز يسمى جرجة قرب بلاد ثمالة وكان فى جرجة حصن شاهق لبعض قبائل ثقيف فنزلوا به والذين نزلوا به من آل زيد هم الشريف مبارك بن أحمد بن زيد والشريف عبد الله بن سعيد بن سعد ابن زيد ومعه اخوه الشريف على ومعهم اخوتهم ومن يلوذ بهم من الاتباع فلما كان أواخر محرم من سنة خمس وثلاثين ومائة وألف توجه الشريف يحيى بن بركات وعلى باشا كتاهيلى الى الطائف على طريق نخلة بالخيول والعساكر وسارا سيرا عنيفا حتى وصلا الطائف وأقاما به يوما واحدا ثم توجها اليه ليلا بدلالة لبعض شيوخ ثقيف وصبحاهم تحت الحصن المذكور ورامته ولت العساكر على أدبارهم

ولم يسلم منهم الا أشخاص وكادوا يذهبون قتلا ولا حفظ الله تعالى وعنادهم وهذه الغارة انما كانت على

عبد الجبار مخاطبا ابن الشحنة مترجما مقالة تيمور سلطاننا يقول انه بالأمس قتل منا ومنكم فمن الشهيد قتيلنا أم قتيلكم فوجم الجميع وقالوا في أنفسهم هذا الذي بلغنا عنه من التعنت وسكت القوم وفتح الله بالجواب على ابن الشحنة فاستحضر سريعا جوابا بديعا فقال هذا السؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاب عنه وأنا مجيب بما أجاب به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له صاحبه القاضي شرف الدين موسى الأنصاري بعد ان انقضت الحادثة والله العظيم انك لما قلت هذا السؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أجاب عنه اختل عقلي مع أن القاضي شرف الدين كان محدث زمانه وهو معذور بما شاهد من الأهوال في تلك الايام ومثل هذا السؤال لا يمكن عنه الجواب في هذا المقام لشدة سطوة تيمور بمن خالف مرامه ووقع في نفس الأمير عبد الجبار مثل ذلك فقال لابن الشحنة يسخر من كلامه كيف سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف أجاب وألقى تيمور سمعه وبصره الى ابن الشحنة فقال ابن الشحنة جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ان الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليعرف مكانه فأينا في سبيل الله فقال عليه السلام من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله فمن قاتل منا ومنكم لاعلاء كلمة الله فهو الشهيد فقال تيمور خوب يعني طيب واستحسن ذلك الجواب وقال عبد الجبار ما أحسن ماقلت وانفتح باب المؤانسة فقال تيمور اني رجل نصف آدمي وقد أخذت بلاد كذا وكذا وعدد سائر ممالك العجم والعراق والهند وسائر بلاد التتر فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك عن هذه الامة ولا تقتل أحدا فقال والله اني لم اقتل أحدا قصدا وانما أنتم قتلتم أنفسكم في الابواب يعني الازدحام ووالله لا أقتل منكم أحدا يعني الآن وانتم آمنون على أنفسكم وأموالكم وتكررت الاسئلة منه والاجوبة من العلماء وطمع كل واحد من الفقهاء الحاضرين في التقدم وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه في المدرسة بين طلبته والقاضي شرف الدين ينهاهم ويقول اسكتوا ليجاوب هذا الرجل يعني ابن الشحنة فانه يعرف مايقول وآخر سؤال سأل عنه ماتقولون في علي ومعاوية ويزيد فأسر القاضي شرف الدين الى ابن الشحنة وكان الى جانبه وقال اعرف كيف تجيبه فانه شيعي فلم يفرغ من كلامه الا وقد قال القاضي علم الدين القفصي الصيفي المالكي كلاما معناه ان الكل مجتهد فغضب تيمور غضبا شديدا وقال علي على الحق ومعاوية ظالم ويزيد فاسق وانتم حلبيون تبع لاهل دمشق وهم يزيديون قتلوا الحسين فأخذ ابن الشحنة في ملاطفته بالاعتذار عن المالكي بأنه أجاب بشيء وجده مكتوبا في كتاب لا يعرف معناه فعاد الى دون ما كان عليه من البسط وأخذ عبد الجبار يباسط ابن الشحنة والقاضي شرف الدين فقال عن ابن الشحنة هذا عالم مليح وقال عن القاضي شرف الدين هذا رجل فصيح فسأل تيمور ابن الشحنة عن عمره فقال مولدي سنة تسع وأربعين وسبعمائة وقد بلغت الآن أربعا وخمسين سنة وقال للقاضي شرف الدين كم عمرك فقال أنا أكبر من هذا يعني ابن الشحنة بسنة فقال تيمور أنتم في عمر أولادي فان عمري اليوم بلغ خمسا وسبعين سنة وحضرت صلاة المغرب فأمنا عبد الجبار وصلى تيمور الى جانب ابن الشحنة قائما يركع ويسجد ثم تفرقوا وفي اليوم الثاني غدر بكل

الشريف مبارك وأتباعه وأما الشريف عبد الله وأخوه الشريف علي فقد رحلا قبل وصولهم اليهم بقليل وقتل من جماعة الشريف مبارك أشخاص وذهب جميع مامعهم ورجع الشريف يحيى وعلي باشا الى الطائف وأقاما أياما يهددان أقطار الطائف ثم ثم سارا الى مكة ودخلاها وفي رجوعهم الى مكة وقع اضطراب لاهل مكة وسبب ذلك أنهم وجدوا فيما أخذوه من الادباش كتب بخط بعض أهالي مكة ممن ينسب اليهم بأشياء كوجيه الدين عبد الرحمن بن علي ابن سليم قائم علي باشا وقع له على مكاتبات بينه وبين الشريف مبارك ووجد أيضا مكاتبات لآخرين غيره فنهب بيت عبد الرحمن المذكور وأراد القبض عليه وقتله فهرب بمساعدة بعض الخدم ثم ذهب الى اليمن وأراد الآخرين أيضا لكنهم هربوا ثم بعد مدة جمع الشريف مبارك المذكور جموعا من بادية بجيلة وناصرة وبني سعد وثقيف فاجتمع معه نحو الالف وأقبل بهم على الشريف يحيى وصاحبه فخرجا لملاقاته الى عرفة ووقع بينهم قتال شديد ففي أول الامر حملت الخيل على الشريف مبارك ومن معه فكسرته

من فى القلعة وأخذ جميع ما كان فيها من الاموال والاقمشة والامتعة مما لا يحصى حتى قيل انه لم يكن أخذ من مدينة قط مثل ماأخذ من هذه القلعة ولا مايقاربه وعوقب غالب المسلمين بأنواع العقوبات وحبسوا بالقلعة مابين مقيد ومنجر ومسجون ومرسم عليه ونزل تيمور من القلعة بدار النيابة وصنع وليمة على زى المغل ووقف سائر الملوك والنوابين فى خدمته وأدار عليهم كؤوس الخمر والمسلمون فى عقاب وعذاب وسبي وقتل وأسر وجوامعهم ومدارسهم وبيوتهم فى هدم وحرق وتخريب ولما كان آخر شهر ربيع الاول طلب ابن الشحنة والقاضى شرف الدين وأعاد عليهما السؤال فى حق على ومعاوية ويزيد فقال ابن الشحنة الحق كان مع على وليس معاوية من الخلفاء فانه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخلافة بعدى ثلاثون سنة وقدتمت بعلى والحسن فقال تيمور قل على على الحق ومعاوية ظالم فقال ابن الشحنة قال صاحب الهداية يجوز تقلد القضاء من ولاة الجور فان كثيرا من الصحابة والتابعين تقلدوا القضاء من معاوية وكان الحق مع على فى نوبته فانسر لذلك وطلب الامراء الذين عينهم للاقامة بحلب وقال لهم موصيا على ابن الشحنة والقاضى شرف الدين ان هذين الرجلين نزل عندكم فأحسنوا اليهما والى أصحابهما ومن ينضم اليهما ولا تمكنوا أحدا من أذيتهما ورتبوا لهما علوفة ولا تدعوهما فى القلعة بل اجعلوا اقامتهما فى المدرسة يعنى السلطانية التى تجاه القلعة وفعلوا ماأوصاهما به الا أنهم لم ينزلونا من القلعة وقال لهما الذى ولى الحكم بحلب انى أخاف عليكما قال ابن الشحنة والذى فهمته من نسق تيمور فى ملكه انه اذا أمر بسوء فعلوه بسرعة ولا محيد عنه واذا امر بخير فالامر لمن وليه وفى اول ربيع الآخر برز الى ظاهر البلد متوجها نحو دمشق وفى ثانى يوم أرسل يطلب علماء حلب فحملوا اليه والمسلمون فى امر مريج وفى قطع رؤس فقال العلماء لما طلبوا ما الخبر فقيل لهم ان تيمور طلب من عسكره ان يأتوه برؤس من المسلمين على عادته التى كان يفعلها فى البلاد التى يأخذها فخاف العلماء ان تقطع رؤسهم وتحمل اليه مع ماوقع لهم من الامان منه فلما وصلوا اليه أرسلوا اليه رسولا يقول له انهم قد حضروا وهو قد حلف ان لا يقتل احدا منهم صبر الجاء الرسول وهم ينظرون اليه من بعد وهو يأكل من لحم سليق بين يديه فى طبق فتكلم معه يسيرا ثم أرسل اليهم بشئ من ذلك اللحم ليأكلوه فلم يفرغوا من أكله الا وضجة قائمة وتيمور صوته عال وساق شخص هكذا وآخر هكذا وجاء أمير يعتذر الى العلماء وقال لهم ان سلطاننا لم يأمر باحضار رؤس المسلمين انما أمر بقطع رؤس القتلى وان يجعل لناقبة اقامة لحرمته على جارى عادته ففهموا عنه غير ماأراده وانه أطلقكم فامضوا حيث شئتم وركب تيمور من ساعته وتوجه نحو دمشق فعاد علماء حلب الى القلعة ورأوا أن المصلحة فى الاقامة بها وأخذ الامير موسى فى الاحسان اليهم وقبول شفاعتهم وتفقد أحوالهم مدة اقامته بحلب وأما تيمور فانه توجه قاصدا دمشق وكان الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق قد جاء من مصر بعساكره لتحصين حمايتها من تيمور وجاء معه الخليفة العباسى الذى كان بمصر وهو المتوكل على الله فلما دخل الملك الناصر فرج دمشق أقام بها يومين ثم خرج فى اليوم الثالث وخيم بقبة يلبغا

والبادية الذين معه انحصروا فى الجبل المسمى بالخطمة ووقع منه قتال أهال الاتراك وكان الشريف يحيى لما خرج أخرج معه البلكات السبعة بعساكرهم بل ومن ينتمى اليهم من سكان مكة من أبناء الروم ومصر والمغاربة وعساكر بندر جدة فقاومت هؤلاء البادية جميع تلك الطوائف بحرب طار شرره وقتل جم غفير من الاتراك وغيرهم ولم يمكنهم الاستيلاء عليهم أبدا فأعطوهم الامان وبذلك سلم بقية الاتراك من القتل ونزل البادية من الجبل وتوجهوا الى الطائف آمنين مطمئنين ويقال ان عليا باشا أصابه صواب فى فخذه فى تلك الواقعة فكانت الهزيمة فى هذه الواقعة على الشريف مبارك ورجع الى الطائف ثم خرج من الطائف بسبب عسكر وجهه اليه الشريف يحيى وبقى فى أطراف الطائف الى شهر رمضان من السنة المذكورة ثم دخل الطائف وأخرج منه وكيل لشريف يحيى وهو السيد محمد بن الشريف عبد الكريم بن يعلى واستمر الشريف مبارك بالطائف ومعه جمع من البادية وكان بالطائف حين دخول الشريف عبد الكريم زعيم الاشراف ورئيسهم وهو السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله ابن حسن بن أبى نمى وهو جد سيدنا الشريف عبد المعين بن محسن فتولى الامر وذب عن الرعية وأرسل

﴿ ذكر دخول تيمور دمشق ﴾

في اليوم العاشر من جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانمائة حلت عساكر تيمور بأطراف دمشق وظهر بعض عسكر تيمور على جبل مما يلي عقبة دمر وهم مقدار الف فارس فخرج اليهم من عسكر الملك الناصر فرج دون المائة فاقتتلوا معهم فانهزم أصحاب تيمور هزيمة قوية ثم رجعوا على عسكر الملك الناصر وقبضوا على ثلاثة فوارس وجاؤابهم الى تيمور فأمر عساكره تلك الليلة أن يضرموا نارا عظيمة في مواضع متعددة فتخيل للسلطان الملك الناصر فرج بن برقوق ان عسكر تيمور ملأ الارض بقدر اماكن النار وأخذ تيمور اثنين من الاسارى وأدخلهما في أسياخ وشواهما على النار كالغنم وأطلق الثالث فرجع وأخبر السلطان فرج بذلك وسمعت العسكر بذلك فانقطع قلوب العسكر ففي تلك الليلة ارتحل السلطان فرج ورجع الى الديار المصرية هاربا وصحبه الخليفة والامراء مع كل أمير مملوكان أو ثلاثة ليس معهم خيل ولا قماش وتشتت بقية العسكر حفاة عراة وأما أهل دمشق فلم يعلموا برجوع السلطان فأصبحوا ورأيهم جميعا لما صبة للحرب فركبوا الاسوار وأعلنوا بالنداء يستحث بعضهم بعضا على الجهاد فتراموا مع التتر عسكر تيمور وقتلوا منهم وغنموا من خيلهم وكانت بينهم مقاتلة هائلة حتى قتلوا من التتر نحوا من الف وفي آخر النهار حضر اثنان من أصحاب تيمور ينادي احدهم بطلب الصلح وان يحضر واحد ممن يعقل حتى يكلمه الملك فوقع الاختيار على ارسال القاضي ابن مفلح الحنبلي فغاب ثم رجع وأخبر انه اجتمع بتيمور وتلطف معه حتى قال له تيمور بلد الانبياء وقد أعتقتها صدقة عن اولادي وأخذ ابن مفلح يحل عزائم أهل البلد حتى صاروا فرقتين فرقة ترى مايراه ابن مفلح من بذل الطاعة وهم الفقهاء ونحوهم وفرقة باقية على المحاربة وهم سواد الناس فباتوا تلك الليلة على ذلك ثم أصبحوا وقد غلب رأى ابن مفلح ومن عادة تيمور اذا أخذ بلدا صلحا ان يخرج اليه اهل البلد من كل نوع تسعة اشياء ويسمون ذلك الطقزات فطلب منهم تجهيز ذلك وهموا باخراجه من باب النصر فمنعهم نائب القلعة وهددهم باحراق البلد فأعرضوا عن ذلك وتدلوا من أعلى السور فباتوا في خيم تيمور ورجعوا وقد تقرر منهم قضاة ووزير ومستخرج للاموال ومعهم فرمان ومرسوم فيه تسعة أسطر يتضمن الامان لاهل دمشق خاصة فقرئ ذلك على المنبر وفتحوا الباب الصغير وقعد أمير من أمراء تيمور ثم شرعوا في جباية الاموال التي قررها عليهم وهي الف الف دينار وحملت اليه فلما وضعت بين يديه غضب وأمر ان يحمل اليه الف ألف تومان والتومان عشرة آلاف دينار فرجعوا يأخذون في جباية الاموال فتزايد البلاء وفي اثناء الجباية حرقوا مابين الجامع والقلعة بالنار وذلك نحو من ثلث البلد ثم سلم الناس الذين كانوا محاصرين في القلعة بعد تسعة وعشرين يوما من الاستيلاء على البلد وجمعت الاموال التي قرروها ثانيا وحضرت بين يديه فقال لابن مفلح وأصحابه هذه ثلاثة آلاف دينار ببلادنا وقد بقي عليكم سبعة آلاف الف الف أراكم عجزتم عن الاستخلاص ثم طلب منهم ماتركه العسكر من كل شئ ثم طلب جميع مافي البلد من الاموال

كتابا مع ولده السيد عون للشريف يحيى بن بركات ولعلي باشا يعرفهما بذلك فأرسلا بطلبانه فوصل الى مكة واجتمع بهما معا ثم بعلي باشا بمفرده وتواطئا على أن يكتبا للشريف مبارك كتابا بالملاطفة ويعدانه بشرافة مكة بعد الحج وأن يرسلا له مبلغا من الدراهم يستعين به ويفرق من كان عنده من البوادي ويستقر بالطائف آمنا لايتعرض لشئ من الاحكام وتعهد السيد محسن للباشا بأنه مايخالف ماتأمره به وأنا أمشي اليه بنفسي لاجل ذلك وفي ضمن ذلك تنطفئ الفتنة ان شاء الله تعالى وتنطفئ نائرة الاشراف القائمين على الشريف يحيى لكن لابد من تسليم شئ لهم فخاضوا في ذلك واستقر الامر على تسليم علوفة شهر للاشراف نقدا ثم سلم ذلك اليهم علي باشا من خزائنه ثم توجه السيد محسن الى الطائف ووفد على الشريف مبارك ومن معه من السادة الاشراف وأعطى الشريف مباركا كتابة من الباشا والمبلغ الذي له وأنزله عما كان عليه وأعطى الاشراف الذين معه علوفة شهر نقدا وتفرقت البوادي واستقرت الاحوال وأمنت البلاد ومشت فيها احكام الشريف يحيى بن بركات ثم عاد السيد محسن الى مكة ومعه جماعة الاشراف وجماعة من عيون خدم الشريف مبارك

(والدواب)

والدواب فكان عدتها نحو اثني عشر الف ثم طلب جميع ما فيها من السلاح فلما انقضى ذلك كله أمر باستكتاب خطط دمشق وكتب بها أوراقا وفرقها على أمرائه فحينئذ طمت الامواج فنزل كل أمير في خط وطلب سكان ذلك الخط فكان الرجل يطالب بالمال الثقيل الذي لا يقدر عليه فاذا امتنع عوقب بأنواع العذاب ثم تخرج نساؤه وبناته فيوطئن بين يديه فأقاموا على ذلك تسعة عشر يوما فلما علموا أنهم قد أتوا على ما في البلد خرجوا منها وهجم عليهم بعد خروج الامراء بقية عساكرهم كالجراد المنتشر فانتهبوا ما بقي وسبوا النساء والشباب والرجال وتركوا الاطفال وأطلقوا النار في الجامع والبلد فاحترقت حتى صارت ترمي بشرر واستمر ذلك ثلاثة ايام حتى اندرست رسومها وفي ثالث شعبان ركب تيمور وسار نحو حلب راجعا بلاده وكانت مدة اقامته بدمشق أربعة وسبعين يوما ثم بعد رحيله كل من بقي يعدو عليهم ويعريهم البادية والفلاحون وجرى عليهم منهم ما لا يجري من تيمور وفي السابع عشر من شعبان وصل تيمور الى الجبول شرقي حلب ولم يدخل حلب بل أمر المقيمين بها من جهته بتخريب القلعة واحراق المدينة وقتل كثير من الناس ففعلوا ونزلوا من القلعة قال ابن الشحنة فبقيت النار تضرم في أرجائها وبعد ثلاثة ايام ارتحل عنا من كان بحلب من اصحاب تيمور ولم يبق من التتر أحد ولم يقدر منا أحد على الاقامة بيته من النتن والوحشة ولا يمكن السلوك في الازقة من ذلك ثم عمرت حلب وتراجع الناس وجاءها أمير من السلطان وفي سنة اربع وثمانمائة كان مسير تيمور لقتال السلطان بايزيد بن مراد

﴿ ذكر القتال الواقع بين تيمور والسلطان بايزيد بن السلطان مراد ﴾

سبب مسير تيمور لقتال السلطان بايزيد ان جماعة من ملوك الطوائف ببلاد الروم الذين اقتلع ممالكهم السلطان بايزيد ساروا الى تيمور يشكون اليه من السلطان بايزيد ويرغبونه في الروم ويستنجدون به عليه في رد ممالكهم فأجابهم تيمور الى سؤالهم فسار في سنة أربع وثمانمائة الى بلاد الروم وأرسل للسلطان بايزيد في الصلح على عادته من المكر والدهاء وكتب للسلطان بايزيد انك رجل مجاهد في سبيل الله وانا لا احب قتالك ولكن انظر اي البلاد التي كانت مع ابيك وجدك فاقنع بها وسلم الى البلاد فلما وقف السلطان بايزيد على كتابه قال لرسله أيخوفني بهذه الترهات ويستفزني بهذه الخزعبلات أو يحسب أني مثل ملوك الاعاجم او التتر الدشت الاغنام او ما يعلم ان اخباره عندي ان اول امره حرامي سفاك الدماء نقاض العهود الى غير ذلك من أمثال هذا الكلام وكتب له الجواب على هذا المنوال وكان السلطان بايزيد في تلك السنة محاصرا مدينة القسطنطينية وقد قارب ان يفتحها فتركها وتوجه لقتال تيمور وأجرى عساكره كالسيول الهامرة وكان قد استخدم عنده كثيرا من عسكر التتر حتى صاروا أكثر جنده فأرسل تيمور الى زعمائهم ورؤسائهم يستميلهم ويذكرهم الجنسية ويعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا فوعدوه بالمعاونة وكان تيمور قد نزل انقورية فجاء السلطان بايزيد بجيوشه ووقع القتال الشديد بينهما ثم اندفع التتر من عسكر السلطان بايزيد واتصلوا بعسكر تيمور وكانوا وعدوه واستمر القتال من الضحى الى العصر فانهزمت بقية عساكر السلطان بايزيد وصار

معه عالم بعهد مثله وأعطاه السيد محسن جواب الشريف مبارك بامتثال الامر في كل ما أمر به فسر بذلك وتشكر من السيد محسن فيما فعله فرجع السيد محسن الى مكة وحدث لعلي باشا مرض طال به الى ذي القعدة ثم توفي بجدة ودفن بقرب امنا حواء وبنوا عليه قبة واستقر في منصبه بعده كيخيته اسمعيل باشا وأقام علائف العسكر على عادتهم مع علي باشا وكانت هذه التولية برأي الشريف يحيى وقاضي الشرع وأعيان الدولة فاستمر متوليا الى شهر ذي الحجة الا أنه صار في العسكر تعديات كثيرة على الرعية لعدم ضبطه لهم كاستاذه والاشراف في نهاية الاضطراب أيضا مع شيخهم الشريف يحيى لقطعه مقرراتهم المعروفة والشريف مبارك بن أحمد قد تحرك بالطائف لجمع البادية والمسير الى مكة بعد وفاة علي باشا المذكور ولم تزل الحال كذلك الى أن وصل الوزير عثمان باشا المكنى بأبي طوق أمير الحاج الشامي

(ذكر نزول الشريف يحيى بن بركات عن شرافة مكة لولده بركات سنة ١١٣٥)

وكان في مكة أعيان الدولة

القبض عليه أسيرا بيد تيمور وأكثروا القتل والفساد وكان ذلك يوم الاربعاء سابع عشر ذي الحجة سنة اربع وثمانمائة ورجع به تيمور معه الى تبريز فرض هناك وتوفي هناك رابع شعبان سنة خمس وثمانمائة وقسم تيمور بلاد الروم على الملوك الذين استنصروا به وزعموا ان السلطان بايزيد انتزعها منهم ثم ان السلطان محمد بن السلطان بايزيد استرجع ذلك الى ملكه لما استقرت السلطنة له كما سيأتي وفي سنة خمس وثمانمائة انعقد صلح بين تيمور وسلطان مصر وحصل بينهما مودة ومهاداة وأرسل تيمور الى سلطان مصر هدية وفيلا وفي سنة ست وثمانمائة عدا قرا يوسف حاكم أذربيجان على السلطان احمد بن أويس وانتزع بغداد منه ورحل السلطان احمد الى حلب ودخلها في زي فقير ثم مشى عسكر تيمور على بغداد وكبسوا بها قرا يوسف ونهبوه وأخذوا بغداد وتوجه قرا يوسف هاربا الى الشام فأمسك وحبس حسب مرسوم سلطان مصر ثم ورد مرسوم بطلب السلطان احمد من حلب وارساله الى دمشق ثم ورد مرسوم آخر بامساكه واعتقاله بها فأمسك وفي سنة سبع وثمانمائة كان هلاك تيمور بمدينة نزار وحملوه الى سمرقند ودفنوه بها وعمره قد جاوز ثمانين سنة ومدة ملكه نحو ست وثلاثين سنة وتملك بعده حفيده خليل بن أميرشاه بن تيمور ومكث قليلا وهلك وتفرق ملكهم بأيدي المتغلبين وتغلب على بغداد ملوك من التركمان الى ان انتزعها منهم اسماعيل شاه سلطان العجم ثم انتزعها منه الدولة العثمانية والبقاء لله وحده وبقي لتيمور عقب كان منهم سلاطين في الهند ولنرجع الى اتمام الكلام على فتوحات سلاطين مصر ثم نذكر ابتداء الدولة العثمانية وفتوحاتها اعلم ان سلاطين مصر بعد السلطان برقوق كثرت بينهم الفتن لأجل طلب السلطنة واستمر الحال الى سنة خمس وعشرين وثمانمائة فتسلطن الملك الاشرف سيف الدين أبو النصر برسباي فجهز جيوشا لقتال أهل قبرس

﴿ ذكر تجهيز الجيوش لقتال أهل قبرس ﴾

قال العلامة القطبي قبرس بالسين لا بالصاد كما يغلط فيه العوام وهي جزيرة في البحر الشامي مقدارها مسيرة ستة عشر يوما وبها قرى ومزارع وأشجار ومواشي وبها معدن الزاج القبرسي ومنها يجلب الى سائر الاقطار وبها ثلاث مدن ومن قبرس الى طرابلس الشام مجريان في البحر وقد تكرر استيلاء المسلمين عليها وانتزاع الكفار اياها وقد تقدم ان اول من غزاها معاوية رضي الله عنه وصالح أهلها على جزية سبعة آلاف دينار فنقضوا ثم غزاهم ثانية فقتل وسبى سبيا كثيرا روي انه لما فتحت مدائن قبرس واشتغل المسلمون بتقسيم السبي فيها بينهم بكى أبو الدرداء رضي الله عنه وتنحى عنهم ثم احتبى بحمائل سيفه ودموعه على خديه فقيل له أتبكي في يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله وأذل الكفر وأهله فضرب على منكبيه وقال ويحك ما أهون الخلق على الله تعالى اذا تركوا أمره فبينما هي قوة ظاهرة وقوة قاهرة لهم على الناس اذ تركوا أمره فصار حالهم على ما ترى من السبي والاهانة ويريد بذلك ان رغبتهم في السبي وحب المال دليل على تهاونهم بالقيام بأمر الله فيرجع أمرهم الى الذل والهوان وبين جزيرة قبرس وساحل مصر خمسة ايام وبينها

ينزل عن الامارة لولده الشريف بركات ويصير هو شيخ الحرم المكي فاذا فعل ذلك ذهبت حقوق الاشراف القديمة ويقوم لهم الشريف بركات بما ينفعهم حالا وفي هذه السنة قبل وفاة علي باشا صارت قضية بين عبيد السادة الاشراف وبين عساكر علي باشا أفضت الى قتال صار بين الفريقين وكان الشريف يحيى ومن يتبعه من العبيد والعساكر في طرف علي باشا على الآخرين فتحصل من ذلك انه هرب جميع عبيد السادة الاشراف وتفرقوا في جبال مكة فأوقعت في خواطر الاشراف على صاحبهم الشريف يحيى ولم يحمل هذا الامر وقتل في هذه الوقائع بعض شيوخ العبيد وصار على العبيد ذل لم يعهد مثله غير انهم تقاضوا من العساكر في الحرب الواقع بين الشريف مبارك وبين الشريف بركات كما يأتي ذكره والحاصل أن هذه السنة صار فيها حوادث جمة ومخاصمات ونمارات بين الشريف يحيى والسادة الاشراف وبين عبيدهم وعساكر الوزير المذكور وعساكر الشريف يحيى وكانت سنة مرتجة ولم يزل الحال كذلك الى شهر

وبين جزيرة رودس مسيرة يوم واحد وانما سميت جزيرة قبرس بوثن هنالك كان يسمى قابرس يعظمه الكفار ويعظمون لاجله جزيرة قبرس وهي جزيرة رخاها شامل والخير بها كامل وأهلها موصوفون بالغنا واليسار وبها معادن الصفر ويجمع منها اللاذن الحسن الرائحة وبعض منه يغلب رائحة العود في طيبه وهو الذي يجمع من على الشجر خاصة وكان يحمل الى ملك القسطنطينية لانه أفضله ومايتساقط على وجه الارض يبيعونه للناس وكان الاوزاعي يقول انا ارى هؤلاء يعني أهل قبرس أهل عهد وان صلحهم وقع على شئ فيه شرط لهم وشرط عليهم وانه لايسعهم نقضه الابأمر عنيف عندهم ورأى عبد الملك بن صالح في حدث أحدثوه ان ذلك نقض لعقدهم فكتب الى عدة من الفقهاء يشاورهم في امرهم منهم الليث ابن سعد وسفيان بن عيينة وابو اسحاق الفزاري ومحمد بن الحسن فاختلفوا عليه وأجاب كل واحد بما ظهر له وانتهى خراج قبرس الذي يؤدونه الى المسلمين بعد المائتين من الهجرة الى أربعة آلاف ألف وسبعمائة ألف وأربعين الفا وقد كان الملك الاشرف سيف الدين ابو النصر برسباي سلطان مصر كثير الغزو الى طرف الفرنج وتسلطن سنة ٨٢٦ ففي سنة ست وعشرين وثمانمائة كثرت الاخبار بأن الفرنج تحركوا على المسلمين فجهز عدة أجناد الى السواحل فندب عدة الى دمياط وعدة الى أسكندرية وعدة الى غيرها وجهز مركبين أحدهما من بيروت والآخر من صيدا فنازلوا جزيرة الماغوص سنة ٨٢٧ فانتهبوها وأحرقوا ما بها من القرى وما بساحلها من المراكب وقتلوا وأسروا وقدموا سالمين غانمين وكان عدد الاسرى الفا وستمائة نفس وفي سنة ثمان وعشرين جهز جندا كثيرا وتوجه صحبتهم عدد كثير من المتطوعة وسافروا الى دمياط وكان ملك قبرس بعث تسعة أغربة يقفون على فم دمياط لمنع الاغربة من الدخول في البحر المالح فلما أبصروا مراكب المسلمين وجيوشهم انهزموا بغير قتال ثم توجه المسلمون من جهة طرابلس فوصلوا الى الماغوصة فطلع الخيالة وأكثر المشاة الى البر وضربوا خيامهم وأرسل صاحب الماغوصة يطلب الامان فأعطوه ثم ركبوا في الحال وداسوا من قدروا عليه وأوسعوهم تحريقا وتخريبا وأوقع الله الرعب في قلوب الكافرين حتى كان الثلاثة من المسلمين ينتصرون على أكثر من مائة كافر وجاء اخو صاحب قبرس في الف فارس وثلاثة آلاف راجل فلم يقدر أن يقدم فرجع من غير قتال فلما تمت للمسلمين هذه الحالة في الماغوصة قصدوا الملحة واحرقوا مامروا عليه الى مكان يقال له رأس العجوز فخيموا هنالك وجهزوا من الغنائم شيأ كثيرا ثم ساروا في المراكب وحاصروا الحصن الذي هنالك الى ان اخذوه عنوة وملؤا أيديهم من الغنائم والاسرى واحرقوا الحصن وكان عدة من قتل من الفرنج في شهرين خمسة آلاف ولم يقتل من المسلمين في هذه الغزوة الا ثلاثة عشر نفرا ثم رجعوا ثم بلغ الاشرف أن صاحب قبرس ارسل الى ملوك الفرنج يستنصر بهم على المصريين يشكو عليهم ماجرى على بلاده فأرسل كل منهم له نجدة من المراكب والفرسان فأمر الملك الاشرف بزيادة تجديد مراكب وبذل الاموال حتى كان عدة تلك المراكب مائة قطعة وأزيد وندب الناس لجهاد الكفار فأجابه الى ذلك كثير من الامراء والعساكر والمتطوعة وساروا متوجهين في شعبان سنة تسع وعشرين وثمانمائة فلما وصلوا الى اللمسون وجدوا

ذي الحجة وفيها كان نزوله عن الشرافة لولده الشريف بركات بسبب الاختلاف والاضطراب الحاصل آخر السنة المذكورة أعني سنة خمس وثلاثين بعد المائة والالف حتى ظهر الخلاف في جميع الاطراف لاسباب اقتضت ذلك أحدها موت عضيده الوزير علي باشا وثانيها تحرك الشريف مبارك بالطائف وأطرافه لموت الوزير المذكور وانخرام ما كان بينه وبينه من الوعد وثالثها عجز الشريف يحيى عن ايفاء السادة الاشراف حقوقهم فلما وصلت الحجوج الشامية والمصرية وغيرهما صعد بهم الشريف يحيى الى عرفات فكانت الاشراف برمتهم في ناحية عنه لم يخالطوه وأوصلوا شكاياتهم الى أعيان الدولة الواصلين في ذلك العام ومن جملتهم أمير الحاج الشامي الوزير عثمان باشا أبو طوق لكنه ما التفت اليهم ولا أخذ بأيديهم وانما مال مع الشريف يحيى فاستقر الرأي بينه وبين الشريف يحيى وأعيان الدولة أن ينزل الشريف يحيى عن الشرافة لولده الشريف بركات فبهذا النزول تنهدم حقوق الاشراف المنكسرة عنده وتصلح الاحوال ويداخلهم الشريف بركات بحسب جهده ففعل ذلك الشريف يحيى ونزل لابنه الشريف بركات في مجلس

الحصن الذى كانوا اخربوه قد عمر وشحن بالمقاتلة فأحاطوا به وصعدوا الى سلالم فملكوا البرج الاول وهزموا الفرنج ثم أحاطوا بقرية من قرى قبرس فطلب اهلها الامان فأمنوهم ثم أرسلوا الرسل الى ملك قبرس يدعونه الى الطاعة فأبى وقتل الرسول فهاج المسلمون لقتاله والتقوا بجنوده فقاتلوهم واشتد الامر فاتفق ان ملك قبرس أراد الهرب فركب ثم وقع عن فرسه فأركبوه فوقع ثانيا فأركبوه فكبا به الفرس فاندهش قومه من ذلك وانهزموا وولوا الادبار فرآه بعض الاتراك فأراد قتله فصاح أنا الملك فأسروه واستمر المسلمون خلف الافرنج ورشقوهم نبلا فلم يزالوا كذلك الى أن غربت الشمس وكان جملة من قتل من الافرنج فى ذلك اليوم ستة آلاف وقيد ملك قبرس وقتل اخوه ولم يسلم من الافرنج الامن بادر الى البحر وركب وهرب وملك المسلمون كثيرا من مراكبهم ثم حمل ملك قبرس الى مصر وطيف به ثم قرروا عليه مائتى ألف دينار يحمل منها وهو بمصر النصف ويرسل النصف اذا رجع وألزم بحمل عشرين ألف دينار كل سنة والف ثوب صوف وكان الافرنج قد طمعوا فى تملك السواحل فلما وقع هذا الفتح عظم فرح المسلمين وتقطعت أطماع الفرنج من تملكهم بلاد المسلمين قال بعض المؤرخين ومن مناقب السلطان برسباى انه أخذ بلاد قبرس وأسر ملكها وهو فى تخت مملكته بمصر لم يتحرك

﴿ ذكر الغزو الى رودس ﴾

فى سنة أربع وأربعين وثمانمائة جهز الملك الظاهر جقمق سلطان مصر ستة عشر غرابا مشحونة بالمقاتلة للغزو الى بلاد رودس وفى سنة خمس وار بعين اهتم لذلك اهتماما كثيرا وفى سنة سبع وار بعين وثمانمائة سارت المراكب المجهزة لغزو رودس فى جمع كثير ونزلوا على قشتيل ووقع بينهم وبين من فيه من الكفار قتال وقتل جمع من الطائفتين واشتغل بعض المسلمين بما لا يليق من الفساد كالزنا ونحوه ولم يحصلوا على طائل وقتل من المسلمين اكثر من مائة وجرح اكثر من خمسمائة قال البدر العينى كانت سفرتهم هذه ملعبة وارتد منهم عدة مماليك ولما وصل المسلمون الى رودس وجدوا أهلها مستعدين استعدادا هائلا وهى محصنة بآلات الحصار والقتال بكل ما امكنت قدرتهم ثم حصل القتال بينهم فعادوا من غير ان ينالوا طائلا وفى تاريخ القرمانى غير هذا فانه ذكر أن فى سنة خمس وأربعين انتصر الجيش المجهز الى رودس ورجعوا ومعهم بنت الملك وكثير من الأسرى ومن السبي من النساء والصبيان وصحبتهم من الذهب العين ثمانية عشر صندوقا يبلغ ما فيها نحو ثلاث قناطير من الذهب ومعهم ايضا اثنتا عشرة جرة من النحاس مختومة الفم بالرصاص فى كل جرة قنطار ونصف من الذهب وغير ذلك من الجواهر واليواقيت والتحف أخذها ذلك كله من قلعة قشتيل من أعمال رودس وهدمت القلعة فى هذه الغزوة وفى سنة ست وستين وثمانمائة بعث الملك الظاهر خوش قدم سلطان مصر تجريدة من العسكر الى قبرس لتقرير الملك لصاحبها القائم بها ودفع المتغلبين عليه ففعلوا ذلك وعادوا سالمين وفى هذه السنين انتشرت فتن كثيرة بمصر زيادة عما كان قبل ذلك وكلها كانت بين الامراء بمصر لطلب السلطنة

يلبس خلعة مشيخة الحرم استقلالا عن صاحب جدة وكان النزول المذكور فى اليوم الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ومائة وألف فكانت مدة ولاية الشريف يحيى الثانية سنة كاملة الا ثلاثة أيام والاولى سنة وسبعة أشهر ويوما الجميع سنتان وسبعة أشهر الا يومين فزاد الاضطراب لما عرف السادة الاشراف أنها حيلة على اذهاب حقوقهم واستولى على الشريف بركات المذكور أبوه وعمه السيد عبد الله بن بركات فلا يردو لا يصدر الا عن رأيهما وحصل بينهم وبين السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن حسن بن أبى نمى منابذات ومخاصمات عند بعض الامور فأراد الشريف بركات ابن الشريف يحيى ازالتها فلم يمكنه ذلك لاطاعته لهما فبنى السيد محسن بن عبد الله على الفراق وكذا جملة من السادة الاشراف وأجمعوا على الارسال للشريف مبارك بن أحمد ليصل بمن معه من الاشراف والبادية وعزموا على مقاتلة الشريف بركات واخراجه من البلاد فلما أزمع رأيهم على ذلك فارقوه على مقتضى قواعدهم وبرزوا الى خارج البلاد ورحلوا يوم السادس من

فضعف أمر الغزو والجهاد منهم وظهرت قوة للدولة العثمانية بأرض الروم وأكثروا الغزو والجهاد وفتحوا كثيرا من البلاد فلنذكر ماحصل الوقوف عليه من ذلك على سبيل الاختصار

❁ ذكر الدولة العثمانية وفتوحاتها ثبت الله ملكهم ووفقهم لما يحبه ويرضاه ❁

اتفق العلماء على ان من وقف على سير الدول الاسلامية يعلم علما قطعيا ان الدولة العثمانية سيرتهم من أحسن سير الدول الاسلامية بعد الخلفاء الراشدين لانهم متمذهبون بمذهب أهل السنة صحيحوا العقيدة ناصرون لاهل السنة قائمون بتعظيم الصحابة وأهل البيت والعلماء والصالحين ليس عندهم شئ من الزيغ والابتداع ولهم الفتوحات الشهيرة والجهاد والغزوات الكثيرة قائمون بشعائر الاسلام لاسيما في الحرمين الشريفين فان لهم فيهما الصدقات والخيرات الكثيرة وقائمون أيضا بشعار الحج وتأمين الطرق للحجاج والزوار فيجب على كل مسلم أن يدعو لهم بالتثبيت والتأييد والاعانة والنصر والتوفيق لما يحبه الله ويرضاه واشتهر أنهم من التركمان وأن نسبهم ينتهي الى يافث بن نوح عليه السلام وقيل ان أصلهم من العرب فقد ذكر العلامة السنجاري في تاريخه نقلا عن صاحب درر الاثمان في أصل منبع آل عثمان أن أصلهم من عرب الحجاز وأنهم من المدينة المنورة وان جدهم الاعلى هاجر من بلاد الحجاز قال مؤرخ الدولة العثمانية الشهير بخير الله افندي لانريد ان ندخل في هذا البحث لكن غاية مانقول ان هذه العائلة الشريفة هي أشرف العشائر الاسلامية ثم ذكر أن جدهم عثمان هو أول من تسلطن منهم بالروم وهو ابن ارطغرل بن سليمان شاه وسليمان شاه كان سلطانا في بلاد ماهان بالقرب من بلخ فلما ظهر التتر أفسدوا في الارض وخربوا البلاد وكان من جملة ماخربوه بلخ وأعمالها فترك سليمان شاه البلاد مع من تركها من الملوك وغيرهم وقصد بلاد الروم وكان قد سمع بدولة السلجوقية التي في الروم وعظم شوكتهم وكثرة غزوهم الى الكفار فخرج وتبعه في ذلك خلق كثير فلما وصلوا الى أذربيجان تقاتلوا مع الكفار وغنموا منهم شيأ كثيرا ثم قصدوا ناحية حلب فوصلوا الى نهر الفرات أمام قلعة جعبر ولم يعلوا المعبر فعبروا النهر فغلب عليهم الماء فغرق سليمان شاه ومات غريقا شهيدا فأخرجوه ودفنوه عند قلعة جعبر وقبره هنالك مشهور يزار ويتبرك به وكان مع سليمان شاه أولاده الثلاثة وهم سنقور وكون طوغدى وأرطغرل فلما وصلوا الى موضع يقال له ياسين أومسى رجع سنقور وكون طوغدى أبناء سليمان شاه الى بلاد العجم وتخلف أرطغرل جد الملوك العثمانية مع ابنائه الثلاثة وهم كوندز ألب وصاروبني وعثمان ومكث أرطغرل في ذلك الموضع يجاهد الكفار ثم أرسل ابنه صاروبني الى صاحب قونية وسيواس السلطان علاء الدين السلجوقي يستأذنه في الدخول الى بلاده ويطلب منه موضعا ينزل فيه فعين له جبال طومالج وجبال أرمنك ومابينهما موضعا للسكنى فأقبل أرطغرل مع اربعمائة بيت من قومه فتوطنوا في قره جه طاغ وفي سنة خمس وثمانين وستمائة نازل السلطان علاء الدين السلجوقي بعساكر كثيرة ومعه الامير ارطغرل قلعة كوناهية وهي يومئذ بيد الكفار ففوض أمر القلعة الى الامير أرطغرل وسار هو الى قتال التتر بسبب تعرضهم لبعض بلاده ولم يزل الامير أرطغرل يجتهد حتى فتحها عنوة وغنم

محرم سنة ست وثلاثين ومائة وألف وتلاقوا هم والشريف مبارك في عرفات يوم عاشر الشهر المذكور وفي أثناء هذه المدة لم تزل المكاتبة بين السيد محسن المذكور وبين الشريف عبدالله بن سعيد المتقدم ذكره وكان في أطراف اليمن ولم يزل يتقرب الى أطراف مكة الى أن اجتمع بالسادة الاشراف والشريف مبارك ثم وصلوا جميعا الى أعالي مكة

(ذكر الحرب بين الشريف بركات وبين الشريف مبارك بن أحمد بن زيد سنة ١١٣٦)

وخرج لمقاتلتهم الشريف بركات ابن الشريف يحيي ومعه والده بعساكرهم واسمعيل باشا صاحب جدة بعساكره بحيث انهم بلغوا ثلاثة أمثال الشريف مبارك ومن معه وثارت الحرب بينهم بأعلى مكة عند المنحنى يوم الاربعاء الثاني عشر من محرم سنة ست وثلاثين ومائة وألف وحمي الوطيس واشتد الحال في القتال الى خامس ساعة من النهار فحملت السادة الاشراف حملة واحدة على الشريف بركات ومن معه وهزموهم هزيمة شنيعة وقتلوا فيهم قتلا عظيما لم يسمع مثله حتى امتلأت أعالي مكة من القتلى وولوا مدبرين ثم جاء السيد محسن بن عبدالله وأمن العساكر اليمنية ونزل بهم الى مكة لاحقا بهم الشريف مبارك حتى أوصلهم اليه في داره

من الاموال شيأ كثيرا فازداد عند السلطان علاء الدين قربا ومنزلة ولم يزل الامير أرطغرل يجاهد فى سبيل الله حتى توفى فى سبيل الله سنة سبع وثمانين وستمائة فتأسف عليه وعين مكانه والده الامير عثمان فلما رأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده فى الجهاد وعلم نجابته فى فتح البلاد أكرمه وأمده بأنواع الاضافة والامداد وجعله سلطانا مشاركا للسلطان علاء الدين فى السلطنة وأرسل اليه الراية السلطانية والخلع السنية والطبل والزمر فلما ضرب الطبل بين يدى (السلطان عثمان) نهض قائما على قدميه اعظاما للسلطان علاء الدين ومازال قائما حتى فرغوا فمن ذلك اليوم كان بين العساكر العثمانية القيام على أرجلهم عند ضرب طبل السلطنة فى الاسفار والاعياد وكانت سلطنة السلطان عثمان سنة تسع وتسعين وستمائة وكانت سلطنته على البلاد التى افتتحها أبوه والتى افتتحها هو وقبل أن يتسلطن منها مدينة قراحصار وحصن قراوقصبة وينى كوى وقلعة بلاجك ومدينة ينى شهر وغير ذلك ولما تسلطن جعل كرسى سلطنته قراحصار ثم نقله الى ينى شهر وكان كثير من التتر تغلبوا على بعض ممالك السلجوقية فقاتلهم أبوه ثم قاتلهم هو وأبادهم وانتزعها منهم قبل أن يتسلطن وكان ذلك من جملة أسباب محبة السلطان علاء الدين له قال بعض المؤرخين ان الوقوف على ترجمة هؤلاء السلاطين وفتوحاتهم العجيبة يستوجب ان يعتقد أنهم أعظم ملوك الاسلام فان كل واحد منهم فعل أفعالا باهرة وغزا غزوات قاهرة تستحق ان تخلد فى بطون الاسفار لكى يقتدى بهم الملوك الذين يأتون بعدهم ويعلموا ان أفعال هؤلاء السلاطين تستحق ان تقدم على أعمال الاكاسرة والقياصرة وبقية الملوك والسلاطين الذين تدونت أسماؤهم فى كتب التواريخ ومن طالع تواريخ هؤلاء السلاطين تظهر له عظمة أفعالهم وبطشهم وشجاعتهم التى قاوموا بها جميع الدول المحيطة بهم وكانوا يفتحون المدن العظيمة والحصون المشيدة ويقهرون الجبابرة العظام ويتسلطون على الممالك براوبحرا الى أبعد مكان فكانت ترتعد من سطوتهم قلوب جميع الدول الافرنجية ويعطونهم الطاعة والخضوع وكان السلطان عثمان جدهم وواسطة عقدهم ومؤسس دولتهم وكان السلطان علاء الدين قد كبر وشاخ وطعن فى السن حين ان أشرك معه السلطان عثمان لانه تولى السلطنة سنة أربع وخمسين وستمائة واستمر الى ان توفى سنة سبعمائة وبقى بعض ممالكهم تحت يد بنيه وابناء عمه مع ضعفهم عن حفظها وآخر من بقى فى السلطنة منهم السلطان مسعود بن كيكاوس وتوفى مسعود سنة ثمانى عشرة وسبعمائة فاضمحلت دولتهم وكان لهم من التتر عساكر كثيرة كانوا متغلبين عليهم فاستولى عليهم السلطان عثمان وبنوه من بعده وصارت الممالك كلها بأيديهم ومن الممالك التى افتتحها السلطان عثمان بعد سلطنته حصن الصفصاف المعروف بقلعة بيلجك وكان الخليفة هارون الرشيد غزا بنفسه الروم ففتح هذا الحصن ثم استولى عليه الكفار واستمر بأيديهم الى أن افتتحه الغازى السلطان عثمان المذكور وسيأتى ذكر بقية فتوحاته وكان السلطان عثمان المذكور ملكا عادلا زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة شجاعا مرابطا فى سبيل الله مجاهدا يراعى الأطفال ويحسن للأيتام والأرامل ومن زهده فى الدنيا انه لما توفى لم يترك من المال شيأ وانما ترك بعضا من الخيل وشيأ من الغنم التى ترعى فى نواحى بروسا باسم

العامرة وتوجه الشريف بركات ووالده الى وادى مر بأجلة وكفلاء على قانونهم المعتاد ثم توجه الشريف يحيى الى الشام وتوفى بها وكذا ابنه بركات

(الولاية الثانية للشريف مبارك سنة ١١٣٦)

فكانت ولاية الشريف بركات ابن الشريف يحيى مدة ثمانية عشر يوما ونادى المنادى بمكة للشريف مبارك وبالامن والامان وهذه الولاية الثانية للشريف مبارك وأمنت العباد ودخل صحبته السيد الشريف عبد الله بن سعيد واستمر الحال على أحسن مايكون ثم بعد شهرين أو ثلاثة اضطرب الحال بين الشريف مبارك والسيد محسن بن عبد الله ولذلك أسباب الاول ان السيد محسنا كان قد تعهد للشريف مبارك باخراج الشريف عبد الله بن سعيد بعد الدخول فلم يفعل بل حصل بينهما مزيد المصادقة وثانيهما أن السيد محسنا أراد عزل وزير الشريف مبارك وهو عبد القادر بن سليم ويجئ له وزيرا آخر فلم يفعل وعضد الوزير المذكور جماعة من كبار الاشراف فتوقف عنه السيد محسن المذكور وشرع يتألف خواطر السادة الاشراف مع انقطاع الطرق ووقوع غلاء أضر بالناس وكثر السراق بمكة المشرفة بالليل ولم يلتفت الشريف مبارك لشئ من ذلك ثم

السلاطين العثمانية هى من نسل تلك الأغنام وترك أيضا بعد وفاته قفطانا وعمامة وبعض مناطق من القطن وملعقة ومملحة فهو سلطان مبارك خرج من صلبه السلاطين العظام الذين شيدوا أركان الاسلام وكان صحيح العقيدة على عقيدة أهل السنة يحب الصحابة وأهل البيت والعلماء والصالحين ويحسن اليهم ويعظمهم ويقوم بحقوقهم وكان شديد التعظيم لشعائر الدين وللقرآن العظيم يحكى أنه قبل ان يتسلطن سافر الى موضع ونزل فى طريقه ضيفا عند انسان فلما أراد النوم هيأله صاحب المنزل موضعا لينام فيه فلما دخل ذلك الموضع رأى مصحفا معلقا فى جدار ذلك الموضع فكبر عليه ان ينام وذلك المصحف معلق بذلك الموضع ورأى ان ذلك يخل بتعظيم القرآن فوقف على قدميه قائما الى الصباح مستقبلا للمصحف ويداه على صدره وذلك دليل على قوة ايمانه وصحة اعتقاده رحمه الله تعالى وكان كثير التردد على الشيخ العارف بالله تعالى أده بالى القرمانى فرأى السلطان عثمان ليلة فى منامه أن قمرا خرج من حضن الشيخ المذكور فدخل فى حضنه ثم نبتت من سرته شجرة عظيمة ملأت أغصانها الآفاق ورأى تحتها جبالا راسيات وتجرى عندها عيون وأنهار والناس يشربون من تلك المياه ويملؤن منها وينتفعون من تلك المياه فلما استيقظ السلطان عثمان قصد الشيخ المذكور وقص رؤياه عليه فقال له الشيخ وكان من المكاشفين لك البشرى بمنصب السلطنة وسيعلو أمرك وينتفع الناس بك وبأولادك وانى زوجتك ابنتى هذه فقبلها السلطان عثمان وتزوج بها فولدت له أولادا منهم السلطان أورخان وهو جد السلاطين آل عثمان أبد الله دولتهم على ممر الزمان وبسط الكلام على فتوحات السلطان عثمان الغازى وغزواته مذكورة فى التواريخ المبسوطة لاسيما التواريخ التى باللسان التركى وكذلك مناقبه وبقية سيرته كل ذلك شئ طويل مذكور فى التواريخ المذكورة وانما الذى يمكن ذكره هنا من ذلك شئ يسير من مناقبه وغزواته وفتوحاته فمن غزواته وفتوحاته قراحصار وجعلها كرسى ملكه كما تقدم الى أن فتح ينى شهر فنقل كرسى ملكه اليها ثم فتح حصن يار حصار وقصبة اينه كول وينى شهر وأظهر فيها شعار الاسلام وفى سنة سبعمائة اشتغل بقتال الكفار فى طرف أزنيق حتى عجزهم أمره مقدار خمس سنين فأرسل صاحب أزنيق الى ملك الروم صاحب القسطنطينية يستنجد به فأمده بجيوش كثيرة فى سفائن عديدة فلما وصلوا الى الساحل من طرف يلاق أوه كمن لهم المسلمون وكبسوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة فلم ينج منهم الا الشاذ النادر وفى غضون ذلك توفى السلطان علاء الدين السلجوقى فى سنة سبعمائة وكثر الهرج والمرج فى بلاده فالتحق أكثر عساكره بالغازى السلطان عثمان كذلك وفى سنة سبع وسبعمائة فتح السلطان عثمان ناحية مرمره وفى هذه السنة اتفق كثير من ملوك الروم على قتال السلطان عثمان المذكور فاجتمعوا فى جحافل كثيرة نحو ثلاثين ألفا فقاتلوا المسلمين أمام قيسون حصارى فكان يوما شديدا على الكفار قتل فيه كثير من الكفار ومن رؤسائهم وهرب الباقون وتحصنوا بحصن من أعمال بروسا وفاز المسلمون بالغنائم واستولوا على حصن كستل ثم ساروا الى اولوبار فغلبوا عليها واصطلح معهم صاحبها على خراج يؤديه وفى هذه السنة أيضا استولى على حصن كتة والبلاد الملحقة بها وقسم البلاد على أولاده وأقطعهم اياها

خرج فى أثناء ذلك الشريف مبارك الى طريق جدة لتأمين الطريق فلم يحصل أمن بل أخذ القطاع ناسا قريبا من الموضع الذى كان نازلا به ولم يفزع ثم رجع الى مكة صائلا على الشريف عبدالله بن سعيد والسيد محسن فلم يجدهما فى مكة وقد كان الشريف عبدالله بن سعيد حين دخوله مكة مع الشريف مبارك عند انهزام الشريف بركات بعث عرضا الى الدولة العلية بمساعدة بعض أغاوات العساكر المقيمين بمكة مضمون العرض شكايات من الشريف مبارك بن أحمد وانه قتل جميع الاتراك وأرهب عساكر الدولة حين دخوله مكة لقتال الشريف بركات بن يحيى بن بركات ولاذب عنهم وسلمهم من القتل الا الشريف عبدالله بن سعيد فوصل هذا العرض الى الدولة فكان جوابه الاعزل الشريف مبارك وتوجيه امارة مكة للشريف عبدالله بن سعيد فلما كان اليوم الثانى عشر من جمادى الاولى سنة ست وثلاثين ومائة وألف وصلت البشائر من المدينة المنورة بتوجيه الامر للشريف عبدالله بن سعيد وصادف ذلك ما هم فيه من الاختلال فلما جاءت الاخبار الى مكة بذلك رجع الشريف عبدالله بن سعيد والسيد محسن الى مكة وصارا يخادعان الشريف مبارك فلما كان يوم السبت خامس

واستقر هو في يني شهر وتمكن بها وجعلها دار الامان وبنى فيها البقاع وأشاد القلاع وأسكن فيها الجند وفي سنة ثمان وسبعمائة فتح حصن لفكة وحصن آق حصار وحصن توق حصار وأسكن فيها المسلمين وأظهر شعائر الدين وفي هذه السنة أعني سنة ثمان وسبعمائة كان أول حدوث البارود وأما حدوث المدفع فكان سنة اثنتين وستين وسبعمائة وفي سنة ثنتي عشرة وسبعمائة افتتح حصن كبوة وحصن طرقلو ينيجه سي وحصن تكور بيكاري وغيرها وفي سنة ثلاث عشرة وسبعمائة افتتح حصن أونوس وبلادها وعينه كلي وراوبناس حصار وغير ذلك وفي سنة اثنتين وعشرين نازل الغازي السلطان عثمان المذكور مدينة بروسا وحاصرها مدة ثم لما اشتد الحصار أمر ببناء قلعتين في طرف المدينة وأسكن فيها الجند وأمرهم بالتضييق على أهل البلد وقطع الميرة عنهم وجعل في أحد القلعتين أحد بني عمه وفي القلعة الاخرى احد الشجعان من عبيده ثم رجع السلطان الى يني شهر وفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فتحت قلعة قدكرية وبلادها وبلاد ملارني وبلاد أقبازي وفي سنة عشرين فتحت بلاق آبادو حصن قاندري وهذه البلاد تعرف الآن بقوجه نسبة الى فاتحها لان الامير الذي فتحها يقال قوجه ومعناه باللغة التركية الشيبة وفي هذه السنة فتحت حصون كثيرة منها حصن بولي وحصن صحانو. وما ينضم اليها وفيها فتحت بلاد قره مرسل على يد الامير قره مرسل فسميت تلك البلاد باسم فاتحها وهي بلاد كثيرة يخرج منها الفواكه الكثيرة تجلب فواكهها الى القسطنطينية وفي هذه السنة ايضا أرسل السلطان عثمان ابنه أورخان الى فتح بروسا وصحبته عساكر كثيرة وكان السلطان عثمان اذذاك مريضا بعلة النقرس فتخلف عن ذلك الغزو وقعد في يني شهر وفي مدة حصار ابنه مدينة بروسا توفي السلطان عثمان المذكور وقيل بل عاش بعد فتح المدينة اياما فكانت وفاته سنة ست وعشرين وسبعمائة ومولده سنة ست وخمسين وستمائة وعمره تسع وستون سنة ومدة ملكه ست وعشرون سنة ولما توفي كان بيده الممالك التي افتتحها هو وابوه ارطغرل والممالك التي افتتحها السلجوقية فكانت بأيديهم وكان ملكهم لها على التدريج في سنين متعددة وهي قونية ووان واقصرا وقيسارية وسيواس وبلاد آيدين ومنيسا وصاروخان وحيد وكرسان وبرقسطموني وانكورية وملطية ومرعش والبستان وتوقات واماسية ونيكسار وارزنجان وسامسون وجانيك وعنتاب وتسلطن بعده ولده (اورخان) في ابتداء سنة سبع وعشرين ولما توفي السلطان عثمان جاء الخبر لابنه السلطان اورخان وهو محاصر مدينة بروسة كما تقدم

﴿ ذكر فتح بروسا ﴾

ثم انه بالغ وبذل جهده في حصار أهلها وقتالهم حتى افتتحها واستولى على القلعة وأسكنها المسلمين وجعلها دار للاسلام بعد ان كانت معقلا لاهل الاوثان والازلام ونقل كرسي ملكه اليها وجعلها دار السلطنة وبنى بها جامعا ومدرسة وتكية يطبخ فيها الطعام للفقراء والايتام والغرباء وهذه المدينة من أعظم المدن الاسلامية وأعمرها وهي مدينة كثيرة الثمار والعيون

﴿ ذكر فتوحاته في بلاد اليونان ﴾

ولما نقل السلطان اورخان كرسي الملك الى مدينة بروسة أخذ في الاهتمام والاستعداد لافتتاح

عشر جمادى الثانية نزل الشريف عبد الله بن سعيد الى محكمة الشرع عند قاضي مكة المشرفة وحضر أيضا السيد محسن ابن عبد الله بن حسين وجميع أغاوات العساكر المصرية وأشرفوا القاضي على الكتب التي جاءت من المدينة وطلبوا من القاضي عزل الشريف مبارك وتولية الشريف عبد الله بن سعيد فتوقف القاضي في عزل الشريف مبارك اذ ليس له مسوغ شرعي يستند اليه فتغلب عليه الاتراك مع الزام السيد محسن للقاضي بأن البلاد قد خربت والطرقات تقطعت والناس قد هلكوا وقالوا له أنت وكيل حضرة مولانا السلطان مع تحقق توجيه الامر للشريف عبد الله بن سعيد بهذه المكاتيب الواردة من المدينة من شيخ الاسلام بالمدينة وغيره فهذه الاشياء توجب العزل فحث السيد محسن حضرة القاضي على العزل فقال القاضي نخشى وقوع فتنة وقتال بمكة المشرفة فتعهد السيد محسن بعدم وقوع ذلك وانه لم يقع ان شاء الله ما يكدر على المسلمين غير أنكم أحضروا الملبوس ولا تقبضوه على الشريف عبد الله بن سعيد لا اذا دخلت بيت الشريف مبارك ففعلوا حسب ما أمرهم فذهب السيد محسن وحذر العساكر الينية

مدن جديدة فجهز الجيوش وجند الجنود وهاجم بلاد اليونان فافتتح أكثر بلدانها وعامل اهلها بالشفقة والرحمة حتى ان كثيرا من النساء الروميات اللاتي فقدن اولادهن ورجالهن في تلك الحروب كن يستغثن به ويقعن على قدميه ويطلبن منه المساعدة والرعاية فكان يلاطفهن بالكلام وينعم عليهن بما يسر خواطرهن فمالت اليه قلوب الناس ومازال يتقدم في فتوحاته حتى أشرف على خليج القسطنطينية وبوغاز كليبولى واجتاز ابنه سليمان بوغاز شنق قلعه وفتح مدينة كليبولى وهي مفتاح القسطنطينية وفي سنة احدى وثلاثين وسبعمائة سار السلطان أورخان بعساكر فتح حصون قيسون حصارى وفتح ازميد وفتح مدينة ازنوب وكانت من معظم مدائن الكفار ومجمع عظمائهم فغنم المسلمون منها غنائم كثيرة وفتح حصونا كثيرة وفي سنة ثمان وخمسين وسبعمائة أمر السلطان اورخان ولده الامير سليمان ان يجتاز البحر الابيض الى طرف روم ايلى للجهاد ولم يكونوا يملكون السفن فعملوا ألواحا شبه السفن فركبوا عليها في الليل من موضع يقال له كر فوصلوا الى ذلك البر فصادفوا حصنا يسمى جنا فاستولوا عليه بما فيه ثم هجموا على قلاع أخر فاستولوا عليها قهرا

﴿ ذكر القتال مع أهل كليبولى ﴾

وكان الامير سليمان بن اورخان المذكور على جانب عظيم من الشهامة والعدالة فلما رأى الكفار حسن سيرته ونشر عدله وضبط جنده أطاعوه ورضوا به فصار أمر المسلمين ينمو وصيتهم يسمو فخرج لقتالهم صاحب كليبولى في عسكر كثير وكان المسلمون في عسكر قليل فتوكلوا على الله وتوسلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوهم قتالا شديدا فانتصر المسلمون واستولوا على عدة حصون منها مدينة كليبولى وهي مدينة جليلة على شاطئ البحر وبينها وبين القسطنطينية ستة وثمانون ميلا ونصف ميل ومنها قلعة قره جك وقلعة خيره بول وهي بلاد متسعة ومنها قلعة دركور ومنها تكفور طاغي وغير ذلك وأخرب الكنائس والبيع وبنى مكانها مساجد ومعابد وفي سنة ستين وسبعمائة خرج الامير سليمان المذكور للصيد فكبا به الفرس فمات لوقته فجزع عليه أبوه جزعا شديدا وفي هذه السنة عبر الامير مراد الغازي بن السلطان اورخان الى طرف روم ايلى من خليج كليبولى ففتح مدينة جورلى وهي من القسطنطينية مسيرة ثلاث مراحل ولم يزل مراد الغازي يحاصر البلاد ويقاتل الكفار حتى فتح مدينة ديمتوقة وهي من كبار البلاد الاسلامية وفي سنة احدى وستين وسبعمائة توفي السلطان اورخان وعمره ثلاث وثمانون سنة ودفن بمدينة بروسه ومدة ملكه خمس وثلاثون سنة وكان ملكا جليلا ذا سيرة مرضية وكرم وافر وعدل متكاثر طاهر الاعتقاد سليم الفؤاد عدوا لاهل الكفر والالحاد وكان كثير الغزو والجهاد وبنى كثيرا من الجوامع والمدارس وأجرى فيها الخيرات الكثيرة رحمه الله تعالى وتسلطن بعده ولده (السلطان مراد الاول) فلما جلس على سرير الملك سار وحاصر مدينة انكورية وكانت عصت عليه ففتحها عنوة وكانت من أمنع الحصون فلما سمع بخبره ابن قرمان صاحب مدينة لارندة خشي على بلاده فجمع جموعا من التتر وورشق وطورغود والتركمان وغيرهم وسار بجموع لاتحصى لقتال السلطان مراد المذكور فجرى بينهما قتال شديد وحرب أكيد ثم انجلى الامر عن هزيمة ابن قرمان وانتصار السلطان مراد

بيت الشريف مبارك

(الولاية الثانية للشريف عبدالله بن سعيد سنة ١١٣٦ وخروج الشريف مبارك من مكة)

فعلى مقدار ذلك ألبس القاضي الشريف عبدالله وخرج من المحكمة على جهة سويقة ولما صعد السيد محسن للشريف مبارك وجده قد أحس بالخبر وتحرك للقتال فثبطه وأرخى كفه عن ذلك وأخبره أن الامر قد تم وأن الحركة ليست بنافعة فلما تحقق ذلك دخل عليه على عادتهم الجارية وخرج من بيته وتوجه الى بركة ماجن يريد الحسينية وأقام بها مدة ثم توجه الى اليمن ومدة ولايته هذه خمسة اشهر والاولى سنتان ونصف الجميع ثلاث سنين الا شهرا واحدا تقريبا ولم يقدر الله له عوده الى شرافة مكة واستمر باليمن الى أن توفي سنة ألف ومائة وأربعين رحمه الله فتولى الشريف عبدالله بن سعيد وتم الامر له وهذه الولاية الثانية للشريف عبدالله ابن سعيد وكان جلوسه هذا خامس عشر جمادى الثانية سنة ألف ومائة وست وثلاثين ثم جاءت المراسيم السلطانية بعد أيام قليلة واستمر ضابطا لمكة المشرفة وما حولها من الاطراف متفقا مع السادة الاشراف الى ان

﴿ ذكر فتح أدرنه ﴾

وفي هذه السنة أيضا جهز السلطان مراد جيشا وأرسله لفتح أدرنة وجعل عليه شاهين لالا الاتابك فاقتتلوا اقتتالا شديدا وعجز عن اخذها وسألوا السلطان مراد ان يقدم عليهم بنفسه فسار السلطان مع جيوش الموحدين وغزاة المجاهدين فاجتاز البحر فلما سمع الكفار بقدومه تزلزلت أركانهم وهرب سلطانهم فلما سمع المسلمون بذلك هجموا على المدينة فأخذوها وأرسلوا اعلموا السلطان فحمد الله وأثنى عليه وجاء فدخل المدينة وهي من أعظم مدن الدنيا تجري من تحتها أنهار ثلاثة بينها وبين القسطنطينية سبعون ميلا ثم أرسل لالا شاهين الاتابك ففتح مدينة فلبة ثم فتح زغرة بنواحيها وعادوا الى مدينة بروسة ومن غزواته أنه سار الى اقليمي الصرب والبلغار وفتح فيها فتوحات وأثخنهم قتلا وأسرا وكان ببر الاناطول جملة من امراء الاتراك لم يزالوا باقين على الاستقلال فجار بهم وأخضعهم واستولى على مقاطعة كرميان وغيرها من الولايات ثم على مدينة كوتاهية وخضع لسلطنته معظم مقاطعة مكدونيا وبلاد الارناوط وفتح كثيرا من بلاد اليونان وعبر بحر مرمرا وفتح مدنا وقلاعا جهة تاساليا

﴿ ذكر ابتداء اختراع عسكر الانكشارية ﴾

وفي سنة ثلاث وستين وسبعمائة أشار خليل باشا على السلطان بأن يأخذ خمس الاسارى من الغانمين على زقاق كابيولي وكان الغزو والجهاد في بلاد الروم ايلي متتابعا فكانت تسبي الاسارى وتأتيه كالسيل الهامي والبحر الطامي فاجتمع منهم عند السلطان طائفة كثيرة فأمرهم السلطان بتعليم علم الرمي بالبندق فتعلموا ثم ميزهم وأرسلهم الى خدمة الشيخ العارف بالله تعالى الحاج بكتاش ليعلمهم بعلامة ويسميهم باسم ويدعو لهم بالخير والظفر فلما اجتمعوا عند الشيخ قطع كم قبائه وكان من لبد فألبسه رأس رئيسهم ودعا لهم بالبركة وسماهم ينكجري والجاري على الألسن انكشاري ومعناه العسكر الجديد لان السلطان عثمان كان أكثر عساكره من فرسان التركمان ولم يكن لهم معرفة بالضبط والربط العسكري ولا انتظام لهم حال القتال فاستصوب السلطان أورخان ترتيب عساكره على هذا الوجه فأحدث وجاق الانكشارية ورتبه ولم يتمه وصار تمام انتظامه على يد ابنه السلطان مراد واستمر وجاق الانكشارية الى زمن السلطان محمود الثاني فأبطله وأبادهم كما سيأتي في سنة احدى واربعين ومائتين والف وأحدث النظام الجديد الموجود الآن وفي سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة اشترى السلطان مراد خان من صاحب بلاد حميد خمس قلاع وهي يلواج وبني شهر وآق شهر وقره أغاج وسيدي شهر وفي سنة احدى وتسعين وسبعمائة خرج السلطان مراد المذكور الى قتال رئيس الكفار ابن لازقا وكان قد تجمع لقتاله أهل اليونان والصرب والافلاق والبغدان وأهل الماعن والمجر والبلغار وتحزبوا جميعا عليه فاتفق موافاته بعسكر الكفار بموضع يقال له قوصوا ببلاد الروم ايلي فالتحم بين الفريقين القتال الى ان هبت رياح النصر للمسلمين وقتل رئيس القوم الكافرين وانقلب الكفار على أدبارهم صاغرين

﴿ ذكر استشهاد السلطان مراد الاول ﴾

ثم انه لما انهزم الكفار أقبل من امرائهم امير يقال له يلواش في خيله ورجله مظهرا للطاعة

انكسر لهم عنده في ذلك العام مبلغ عظيم من معاليمهم ولم يكن عنده ما بقي لهم بذلك فثاروا عليه ولم تزل الدعاوى بينهم وبينه عند القاضي ترفع وعظم القيل والقال ثم آل الامر الى القتال في شهر ذي القعدة فاقتتلوا بمكة صبح الخامس والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة واستمر الى مضي خمس ساعات وتحصن الشريف عبد الله المذكور في بيته دار السعادة بعد ان فرق عساكره فيما حوله من البيوت والمنائر وكرر على المقاتلين له الرمي بالمدافع والسادة الاشراف متحصنون بدار الرحمة المعروفة ببناء الشريف يحيى بن بركات وبعض محلات أخر من تلك الجهات وأما طرد الخيل وعراك الفوارس فهو عاطل بسبب الرمي من المتارس وأما الاتراك فهم في بيوتهم حافظون أيديهم عن الفريقين الا أنهم في آخر الامر جنحوا الى اعانة الشريف عبد الله بن سعيد بعد أن كان بينهم وبين السادة الاشراف عهود ومواثيق بعدم المعاونة فرفضوا تلك العهود السابقة فلما أعانوه حصل له النصر فأخرج الذين قاوموه من القصور مكسورين بعد أن قتل من الفريقين بعض أشخاص فتوجهوا جميعا الى طوى فأقاموا ثلاثة أيام لقضاء مآربهم ونجاح أغراضهم

فلما هم بتقبيل يد السلطان ضربه بخنجر كان في كمه فمن ذلك سن العثمانية عند قدوم الوافد
وتقبيل يد السلطان أن يمسك واحد من طرف كمه وآخر من كمه الآخر احترازا من ذلك
فمات السلطان سنة سبعمائة واثنتين وتسعين من ضربة ذلك الخنجر وخرجت أمعاؤه فدفنوا
أمعاءه هنالك وحملوا جسده ودفنوه بمدينة بروسة وقتلوا ذلك الكافر الذي ضربه وقطعوه
بالخناجر وكان السلطان مراد المذكور رحمه الله ملكا جليلا عادلا عارفا وكان أفنى عمره
في الجهاد وكان شجاعا مقداما عالي الهمة توفي وعمره خمس وستون سنة ومدة سلطنته احدى
وثلاثون سنة وتسلطن بعده ولده (السلطان السعيد يلدرم بايزيد خان) وبعد جلوسه أخذ في
محاربة الصرب الذين كان ابوه محاربهم وتقوت عساكره الى أن وصلت الى ودين وتملكوا
مدينة اسكوب والتزم ملك الصرب ان يزوج اخته للسلطان المذكور وان يدفع خراجا
سنويا ومن فتوحاته أنه استولى على جزيرة رودس وكانت للمسلمين فتملكها النصارى وتكرر
انتزاعها منهم مرة بعد أخرى وآخر الامر انتزعها هذا السلطان منهم وفي سنة اثنتين وتسعين
وسبعمائة فتح السلطان المذكور قرطوه وهي معدن الفضة الخالصة التي لا نظير لها وفتح
بلاد أسكوب وهي من أجل البلاد الاسلامية وفتح قلعة ودين فخاف ابن آيدين من
السلطان المذكور وسلم مفاتيح قلاعه اليه وفيها أطاع السلطان أهل بلاد قرسي
وصار وخان وفيها هرب صاحب قسطموني وهو ابن منتشا فأرسل السلطان من يضبط
تلك القلاع ولما نقض العهد علاء الدين صاحب بلاد قرمان وبلغ السلطان أنه أغار على
بعض بلاد أناطولي هجم عليه السلطان فانهزم فلحقه بموضع يقال له آق جاي فأسره هو
وابناه فنازل السلطان مدينة قونية وهي كرسي مملكته وحاصرها وكان وقت ادراك
الغلال فرسم السلطان بأن لا يتعرض أحد لشئ من الغلال وان لا يظلموا أحدا وأذن لاهل
القلعة بأن يخرجوا ويشتغلوا ويبيعوا على مقدار ماشاؤا فخرج اهل القلعة وأصلحوا
شأن غلالهم وحصادهم وباعوها من العسكر على أبلغ وجه أرادوا فلما شاهدوا ذلك
رجعوا الى انفسهم فقالوا ان ملكا بلغ منا هذا المبلغ لا ينبغي ان نعصيه ونخرج عن
طاعته فحضروا برمتهم طايعين وسلموه مفاتيح القلعة وقالوا أنت أحق بها وأهلها فلما رأى
أهل سائر القلاع مافعل أهل قونية وهي عمدة بلاد قرمان رغبوا في المتابعة بمفاتيح قلاعهم وهي
بلدة آق سراي ونيكده وقيصرية ودولي قره حصار وسلموها الى السلطان المذكور ثم رجع
الى مقر مملكته بروسة بعدما قتل علاء الدين بن قرمان وحبس ولديه بمدينة بروسة وبقيا
الى أن أطلقهما الخارجي التيمور وفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة استولى السلطان
المذكور على سيواس واماسية ومدينة توقات ونيكسار وجانيك وصامسون وكلها كانت
بيد السلجوقية وعمالهم وفي آخر هذه السنة بلغه ان صاحب قسطموني أغار على بعض البلاد
التي بيد السلطان بايزيد وعاث فيها نهبا وتخريبا فلما بلغه ذلك وكان قد جاز البحر لغزو
الكفار الى طرف روم ايلي فترك الغزو ورجع لقتال صاحب قسطموني فمات قبل ان يصل
اليه السلطان بايزيد وتملك ابنه وأرسل الى السلطان يستعطفه ويسترضيه ويقول ان أبي
تعدجني وقد مات وأنا مطيع لأوامر مولانا السلطان ومن جملة مماليكه فالمناسب لعدله

ووصل اليهم الشريف عبدالله بن سعيد في أثناء ذلك لاصلاحهم وأخذ خواطرهم جريا على سنن آبائهم فلم ينقادوا له وما أجدى ذلك نفعا وساروا الى وادي مر قاصدين ملاقاة الوزير عثمان باشا أبي طوق أمير الحاج الشامي ليعرضوا عليه حقائق أحوالهم لانه كان أميرا على الحج سنتين هذه والتي قبلها فلما جاء الحج اجتمعوا به وشكوا ماحل بهم اليه فقابلهم بالاجلال والاكرام ووعدهم بقضاء مطالبهم فلما وصل الى مكة واجتمع بالشريف عبدالله أخبره باجتماع السادة الاشراف به وشكايتهم اليه وأفهمه ما وعدهم به فأخبره الشريف عبدالله بمقدار مايطالبون به من الدراهم ومقدار مايصل اليه من المحصولات التي لا تفي بما يطالبون به واستمال الوزير المذكور حتى صار في جانبه ثم اتفق الشريف مع الوزير المذكور على تنقيص معاليمهم وعلى توزيعها على قدر المحصولات وكتبوا بذلك دفترا ينطوي على العشر من مشاهراتهم المعروفة ومقرراتهم المألوفة وأمرهم الباشا بالختم عليه ليرجع عند الاختلاف اليه وتلطف بهم ودفع لهم شيأ من مقرراتهم حتى تفرق أولئك السادة الاشراف في سائر الاطراف وعاقب الشريف عبد الله بعض أهالي مكة ممن كانت له يد

مع أولئك السادة الأشراف فمن جملة ذلك أنه اعتقل فاتح بيت الله الحرام الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطى الشيبي وطوقه الادهم وأثبت عليه الذنب المقتضى ذلك وألزمه بدفع مبلغ خطير من المال فسلمه ودفعه اليه وحقن بذلك دمه وفي أثناء الاعتقال عزله عن المنصب ونقله الى ابن عمه وبعد الفكاك من الاعتقال أمره بملازمة بيته ومن جملة ذلك أيضا انه أغار على شيخ الحديث في عصره العلامة الشيخ سالم بن الشيخ عبد الله البصرى وألزمه بمبلغ جسيم من المال بمسوغ سقيم وأفهمه بأن الأمر به حضرة الوزير ومنعه من الوصول اليه وبث الشكوى اليه ولم يزل يكرر عليه الرسل في دفع المبلغ الذى طلبه منه حتى باع عزيز دبشه وكتبه وسلم جميع ذلك وعدا على رجل من علماء الاروام يدعى بصالح أفندى كان له عند الوزراء مكانة وصيت فتلطف به الى أن اقتنصه ووجهه الى ناحية القنفذة خشية من افساده عليه عند دخوله على هؤلاء العظماء لانه كان له لسان يفحم به المصاقع ويعيى البلغاء البوقع تارة بلغة أبناء جنسه الصريحة وتارة بالعربية الفصيحة وصرح له بأنه ورد أمر بنفيه من الدولة

أن لا يؤاخذ أحدا بذنب غيره وأرجوا من مكارمه أن يتركني لى مدينة ينوب وهى مدينة أبى ومسقط رأسى ويجعلنى فيها نائبا عنه فأجابه السلطان الى سؤاله وعاد الى مدينة بروسة ثم أرسل السلطان بايزيد الى صاحب القسطنطينية يقول له امان تخرج من البلاد وتسلمها والا فاسرت اليك فأتيتك في أعز ما كنك فخاف منه ملك القسطنطينية وتراسل معه الى ان قر الامر بينهما بأنه يدفع خراجا في كل سنة عشرة الآف ذهب وان يبنى للمسلمين فى داخل المدينة محلة يسكنون فيها ويكون لهم فيها مسجد وجامع وقاض يقضى لهم الخصومات فرضى بذلك وفعله واستمر ذلك الى وقعة تيمور فنقض العهد وأخرب الجامع وأخرج المسلمين من البلد وساقهم الى الروم قال الحافظ ابن حجر في كتابه انباء الغمر في أبناء العمر واشتهر يلدرم بايزيد بالجهاد في الكفار حتى بعد صيته وكاتبه الظاهر برقوق صاحب مصر وهاداه وأوفد اليه أميرا بعد أمير بالهدايا ولم يبق احد من ملوك الأرض حتى كاتبه وهاداه قال الحافظ وسمعت شيخنا ابن خلدون يقول انما يخاف ان تملك مصر من ابن عثمان وكذا كان يقول الظاهر برقوق انا لا اخاف من الكفار فان كل احد يساعدنى عليهم وانما أخاف من ابن عثمان والحاصل ان هذا السلطان افتتح ايالات كثيرة في الأناطول وروم ايلى واستولى على مدينة سلانيك ثم شن الغارة على بلاد المجر وانتصر على جيوش الافرنج ثم وجه عزمه وهمته لفتح القسطنطينية وأخذ في تدبير ذلك وشرع في محاصرتها ثم قدر الله بمسير التيمور الى قتاله وفي سنة اثنتين وثمانمائة اجتمع كثير من ملوك الروم الذين اقتلع ملكهم السلطان يلدرم بايزيد وساروا الى تيمور مستغيثين به يشكون اليه من السلطان بايزيد ويرغبونه الى المسير الى الروم ويستنجدون به عليه في ردما لكهم فأجاب تيمور سؤالهم وسار بجيوش كثيرة ووقع بينه وبين السلطان بايزيد مكاتبات كثيرة لم يرجع عن قصده والكلام على ذلك قد تقدم عند ذكر تيمور مبسوطا وكان السلطان بايزيد محاصر القسطنطينية وقارب فتحها وأشرف عليه فتركها وتوجه بعساكره لقتال تيمور وكان غالب عسكر السلطان من التتار فأرسل تيمور الى زعمائهم والكبار من رؤسائهم وأمرائهم يستميلهم ويذكرهم الجنسية ويعدهم ويمنيهم ومايعدهم الشيطان الاغرورا فوعدوه بالمعاونة وكان تيمور قد نازل انقورية فقصده السلطان والتقت الجيوش بقرب انقورية واشتد القتال فانهزم التتار الذين مع السلطان بايزيد فتبعهم كثير من العسكر في الانهزام فانهزموا وبقى السلطان بايزيد يقاتل بنفسه الى ان وصل الى تيمور وقد عجزوا عنه فرموا عليه بساطا وأمسكوه أسيرا وكان رحمه الله من خيار الملوك وكان مجاهدا مرابطا قد فتح من بلاد الكفار ومدنهم الكبار ماانتفع بها من المسلمين خف ولا حافر وكان قوى النفس شديد البطش على الهمة ولما أخذ السلطان بايزيد أسيرا صحبه تيمور معه الى بلاد العراق قاصدا خراسان ومكث في أسره الى أن توفى في تبريز سنة خمس وثمانمائة ثم وقعت فتن كثيرة في أراضى الروم بين أولاد بايزيد مع بعضهم واستمرت الى سنة عشرة وثمانمائة فتم الملك والسلطنة (للسلطان محمد الاول بن بايزيد) وكان أصغر اخوانه فالله سبحانه وتعالى يؤتى الملك من يشاء ولا يسئل عما يفعل وكان دأبه الاشتغال بالحروب وكان من جملة من خرج عليه وحارب (قره دولقشاه

(ماولك)

من التتار في نواحي اماسية فسار عليه وهزمه وبدد شمله ثم قصد قتال صاحب سينوب وجرى بين الفريقين قتال شديد انتصر فيه السلطان محمد وانهزم صاحب سينوب أقبح هزيمة واستولى السلطان محمد على جميع ممالكه ثم بعد ذلك صفاله الدهر وانتظم له الامر ولم يبق من ينازعه في ملكه وفتح مدينة ازمير ونقل كرسي السلطنة الى ادرنة وأتته رسل ملوك الافرنج بالهدايا والتهاني وعقدوا معه صلحا خوفا منه وأعاد رونق السلطنة ووسع نطاقها ثم لما بلغه ان ابن قرمان نقض العهد وتعرض لأخذ بعض البلاد سار اليه بجيش عظيم فقاتله فهزمه وتبعه حتى أسره وولديه فاحضر بين يدي السلطان فعاتبه على سوء صنعه ثم عفا عنه وعن ولديه وأطلقهما وعين لهما بعض بلادهما وأخذ عليهما العهد والميثاق ان لا يخونا بعد ذلك واستولى على عدة قلاع لابن قرمان فيها قلعة صوري حصار وقلعة قيرشهر وقلعة نيكده وقلعة آق شهر وقلعة سيدي شهر وقلعة اوغازي وقلعة يني شهر وقلعة سعيد ايلي ثم سار واستولى على صامسون وغالب هذه البلاد وكانت قد افتتحها السلطان بايزيد ثم لما قدم تيمور الى بلاد الروم ردها الى أصحابها فارتجعها منهم السلطان محمد المذكور وكان السلطان محمد المذكور ملكا جليلا مهابا محبا للعلماء والصلحاء وهو أول من عين الصرة لاهل الحرمين واستمر في ملكه ثمانية أعوام وعشرة أشهر وتوفي سنة أربع وعشرين وثمانمائة وعمره ثمان وأربعون سنة وعهد بالسلطنة لولده مراد الثاني وكان ولده المذكور اذ ذاك غازيا في أقصى بلاد روم ايلي فأخفى الوزراء موت السلطان محمد مدة احدى وأربعين يوما حتى وصل ولده (السلطان مراد) الى مدينة بروسة واستقر على التخت ثم بعد ذلك أظهروا موت السلطان وفي سنة خمس وعشرين وثمانمائة ظهر رجل ادعى أنه مصطفى ابن السلطان يلدرم بايزيد وكان مصطفى المذكور فقد في محاربة التيمور فادعى أنه هو وقام في نواحي سلانيك فاجتمع عليه خلق كثير واستولى على جميع بلاد الروم ايلي وعلى مدينة ادرنة ثم اجتاز البحر الى طرف اناطول ليقاتل السلطان مراد وكان السلطان مراد بعث قبل ذلك وزيره بايزيد باشا وصحبته عساكر كثيرة لقتال الخارجي المذكور فقاتلوه بقرب ادرنة فانتصر الخارجي وانهزم عسكر مراد وأسروا الوزير بايزيد باشا وقتله الخارجي فسار السلطان مراد بنفسه لقتاله بعساكر وافرة فقدر الله ان الخارجي المذكور أصابه الرعاف واستمر به ثلاثة أيام حتى ضعف جدا وجعل يخلط في الكلام واختل عقله فلما تحقق ذلك أركان دولته ووجوه عسكره تيقنوا اخذلانه فداخلهم الخوف فتفرقوا شذر مذر وهرب الخارجي مع ضعفه الى طرف روم ايلي فلما شاهد ذلك عسكر السلطان مراد اجتازوا خلف المنهزمين فأسروا منهم خلقا كثيرا وقتلوا غالبهم وغنموا منهم أموالا ودواب كثيرة ثم أمر السلطان بعض امرائه حتى لحق الخارجي بقرب ادرنة فظفر به فقتله وانتظم الامر للسلطان مراد وارتجع جميع ممالكه وكان حريصا على فتح القسطنطينية فقام بمائتي الف مقاتل وحاصرها حصارا شديدا فقاومه اهلها أشد مقاومة ثم رفع الحصار عنها ورجع الى دار ملكه لتسكين الفتن التي أضرمها الروم بتلك النواحي فقاتلهم حتى أخمد تلك الفتن واستخلص تلك المدن ومازال يتقدم حتى دخل بلاد المورة فلما ذاع عند الفرنج خبره نهض البابا وعقد عهودا بين

معه فرجع عليهم في جميع أفعاله وأذاقهم مرارة نكاله ومن جملة ذلك انه أبرز دفترا ينطوي على أسماء التجار سكان مكة وجدة والواردين من جميع الاقطار بتوزيع مال خطير وجعل المتولي لجمعه حضرة الوزير فكانت هذه السنة من أقسى الاعوام على سكان بلد الله الحرام ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة وألف والحال مستمر في الشدة الى دخول شهر ذي القعدة فوصل والباء الى جدة الوزير أبو بكر باشا ثم وصل الى مكة ومنع الشريف عبد الله من بعض تلك الاشياء وقد كان في شهر رمضان من العام المذكور خرج السيد محسن بن عبد الله بن حسين الى ناحية الشرق ومعه جماعة من أبناء عمه مغاضبين للشريف عبد الله المذكور لما حصل بينهم من التنافر مع ان السيد محسنا بهمته تسنم ذروة الملك وسريره وما كان تمام الامر له الا بتدبيره ولما خرج السيد محسن الى نواحي الشرق استقبلته بالاكرام البوادي وأولته الايادي

ثم أرسل اليه الشريف عبد الله بن سعيد سرية فوقع بينهم وبينه نوع من القتال ثم صار منهم له مسالمة وافترق الحال فكث

ملوك الافرنج على محاربته فأجاب الى ذلك الفرنسيس وجرمانيا والمجر وبولونيا فكان بينه وبينهم حروب كانت الغلبة في بعضها لهم وفي بعضها له ثم عقد معهم صلحا سنة سبع وأربعين وثمانمائة وفي سنة تسع وأربعين نزل السلطان مراد عن السلطنة لولده السلطان محمد وخلع نفسه عن السلطنة واختار لنفسه مدينة مغنيسا فانتقل اليها واعتزل عن الملك وشاع هذا الخبر في الآفاق وقال ملوك الكفار بعضهم لبعض ان ملك المسلمين قد صار شيخا كبيرا فاعتزل عن الملك وجعل منصبه لولده وهو صبي صغير لا يخشى منه فاتفق قرال أنكروس وقرال الالمان وقرال چه وقرال له وأمير لاطين وأمير بوسنة وصاحب افلاق وبغدان وطوائف الافرنج على قتال المسلمين وان لا يدعوا من بلاد الاسلام حجرا على حجر فلما بلغ ذلك اركان الملك خافوا واستصوبوا أن يدعوا السلطان مرادا من مغنيسا ليكون معهم لانه سلطان شاع بذكره الاخبار وطالما أنكى الكفار فأرسلوا يطلبونه فامتنع وقال سلطانكم دونكم فخذوه وخلوني فلم يزالوا يدخلون عليه حتى رضي

ذكر غزوة عظمى

وسار مع ولده السلطان محمد الى طرف العدو فلما تصاف الطائفتان والتقى الجمعان تكاثر كل من الفريقين على الآخر وانهزم المسلمون وجعل الكفار يطردونهم ويقتلونهم ولم يبق الا السلطان مراد خان في القلب فلما شاهد ذلك الحال رفع يده الى الله تعالى وسأله النصر والعون وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم تمض ساعة حتى اغتر قرال انكروس وهو كبيرهم فبرز من بين عسكره فانفرد وجعل يدعو السلطان مرادا للمبارزة ثم هجم على المسلمين فنقنطر به فرسه فسار اليه المسلمون فقتلوه وحزوا رأسه ورفعوه على رمح وجعلوا يصيحون هذا رأس قرال الملعون فلما رأى الكفار ذلك انهزموا عن آخرهم وساق المسلمون خلفهم وقتلوهم قتلا ذريعا وكان يوم غم ثم سرور والعاقبة للمتقين وأما الغنائم والاسر فلا تحصى ولا تحصر ثم أن السلطان مراد لما رجع من الغزو أمضى سلطنة ولده السلطان محمد خان على ما كان عليه وسار هو الى طرف مغنيسا واستمر الحال الى ان تحرك طائفة الينكجرية وعادوا وكبسوا بيوت الأمراء والوزراء ونهبوها وكان ذلك في سنة خمسين وثمانمائة

ذكر غزوة اخرى

فعند ذلك رأى الوزراء وسائر اركان الملك أن يعيدوا السلطان مرادا الى الملك ليسترهبوهم فطلبوه وأجلسوه على سرير الملك وعاد ابنه السلطان محمد الى مكان ابيه مغنيسا وبقي بها الى أن توفي ابوه فجلس بعده على تخت السلطنة واستمر السلطان مراد يغزو حتى استولى على معظم بلاد الكفار وسار الى بلاد المورة وباقي الاقاليم المجاورة لها فأخضعهم ورتب عليهم الخراج وجرت على آثار ذلك حروب كثيرة بينه وبين الارناووط والمجر الى ان توفي سنة خمس وخمسين وثمانمائة وعمره تسع وأربعين سنة ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وكان ملكا جليلا صالحا يعتني بشأن العلم والعلماء والمشايخ والصلحاء مهد الممالك وأمن المسالك وأقام الشرع والدين وأذل الكفار والملحدين وكان مقداما فاتكا شجاعا كريما واسع العطا عين للحرمين الشريفين من خاصة صدقاته في كل عام ثلاثة آلاف وخمسمائة دينار ذهبا

في تلك النواحي الى أن بلغه وصول أبي بكر باشا فكاتبه ثم كتب السادة الأشراف محضرا لأبي بكر باشا فيه خطوطهم وأختامهم وشرحوا له شكايتهم وجميع أحوالهم وأرسلوا ذلك صحبة السيد عون بن محسن والسيد زين العابدين بن ابراهيم فلم ينتج ذلك الا حفظ خاطر أبي بكر باشا وان يمنع عساكره عن معاونة الشريف عبد الله ابن سعيد ان حصل بينهم وبينه قتال ورجع السيد عون والسيد زين العابدين الى الطائف في اليوم السابع والعشرين من محرم الحرام افتتاح سنة ثمان وثلاثين ومائة والف ثم ترددت الرسل بينهم وبين الشريف عبد الله بن سعيد وعرض عليهم الصلح وأن يبذل لهم مقدارا عظيما من المال لينصرم ذلك الانفصال فأجمع رأيهم على قبول المدفوع فقدم عليهم الطائف وكانوا قد خرجوا من الطائف فقدموا عليه وتم صلحهم معه وفرح بذلك المسلمون ثم ساروا معه الى أن دخلوا مكة كلهم أجمعون وكان ذلك في ثمانية عشر من شهر ربيع الاول من العام المذكور وكانت هذه الواقعة من أكبر الوقائع على الشريف عبد الله بن سعيد وأعظمها مشقة وتعبا وما ظن أحد من أرباب العقول أن تكون

وللشرفاء من خزينته فى كل عام مثل ذلك رحمه الله تعالى وأوصى ابنه محمدا ان يهتم بفتح القسطنطينية ويوجه اليها جنوده فتسلطن بعده ولده (السلطان محمد الثانى) فاتح القسطنطينية وهو السلطان الجليل الفاضل النبيل أعظم الملوك جهادا وأقواهم اقداما واجتهادا وأكثرهم توكلا على الله واعتمادا وهو الذى أسس ملك بنى عثمان وقنن لهم قوانين وصارت كالطوق فى أجياد الزمان وله مناقب جميلة ومزايا فاضلة جليلة وآثار باقية فى صفحات الليالى والايام ومآثر لايمحوها تعاقب السنين والاعوام ولما تسلطن كان عمره تسع عشرة سنة فخرج الى قتال صاحب قرمان فخاف منه صاحب قرمان وصالحه فعاد الى مقر ملكه

﴿ ذكر فتح القسطنطينية ﴾

ثم لم يكن له هم الا فتح القسطنطينية فشرع فى مهماتها ومقدماتها وهى من أعظم البلدان وأكبرها اهلا وأمنعها حصنا لانها أحاط بها البحر من كل صوب الا الطرف الغربى وهو طرف يسير وقد حصنوه بثلاثة أسوار وعدة خنادق يجرى فيها ماء البحر مع مافيها من المكاحل والمدافع فأظهر السلطان مسالمة صاحب القسطنطينية وذلك فى سنة ست وخمسين وثمانمائة ثم طلب من طرف بلاده ارضا مقدار جلد ثور يهبها له فاستقل ذلك صاحب القسطنطينية وقال سبحان الله مايفعل به فهوله فأرسل السلطان المزبور جماعة من البنائين والصناع فاجتازوا الخليج الداخل من بحر نيطش وهو البحر الاسود الى بحر الروم فقدوا جلد الثور قدا رقيقا فبسطوه على وجه الارض على أضيق محل من فم الخليج فبنوا على القدر الذى احاطه ذلك الجلد سورا منيعا شامخا وحصنا رفيعا باذخا وركب فيه المدافع الرعدية والمكاحل الشهابية ثم بنى السلطان فى مقابلة ذلك الحصن فى برا ناطولى حصنا آخر وهو فى طرف بلاده فشحنه بالآلات النارية والمرامى الرعدية حتى ضبط فم الخليج فلم يقدر يسلكه بعده شئ من مراكب البحر الاسود الى القسطنطينية والى بحر الروم ثم وجه عزمه الى مدينة ادرنة فأمر بانشاء دار السعادة الجديدة فشرعوا فى بنائها ثم أمر بسبك المدافع الكبار وعمل المكاحل لأجل فتح القسطنطينية فأكثروا منها ثم لما تكاثرت الآلات وتكاملت الاسباب المتعلقة بالقتال قدر الله ان انقضت المسالمة التى كانت بينه وبين ملك القسطنطينية لأسباب جرت فأرسل ملك القسطنطينية يتهدده بكلام غليظ فكان ذلك سببا للاستعداد لقتاله وقوة عزمه على ذلك ولما علم ملك القسطنطينية بعزمه على قتاله أرسل الى ملوك الافرنج يستنجدهم ووعدهم بضم الكنيسة الرومية الشرقية الى الكنيسة الرومانية الغربية ففرح البابا بهذا الخبر وكان يتمناه وأرسل له نجدة من عساكر ملوك الافرنج فلم يجد ذلك نفعا اذ لم يكن للروم اهتمام بهذا الحرب لكراهيتهم ضم الكنيستين معا ومن ذلك الوقت جرت البغضاء فى قلوبهم لملك القسطنطينية وتخلوا عنه فى المدافعة والحماية حتى قال بعض اكابرهم أحب ان ارى فى القسطنطينية تاج السلطان ولا أرى اكليل البابا فنهض فى اوائل شهر جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة بعسكر كثير وجيش كبير يبلغ مائتين وستين ألفا بعزم صارم ورأى حازم فى أسعد أوقات الحركات متوكلا على فائض الخيرات والبركات فخيم على القسطنطينية

خاتمتها على هذا المنوال الا أنه استبدل شكر هذه النعمة بالعقاب العنيف لبعض سكان هذا البلد المنيف واستمر الحال بين الشريف عبد الله بن سعيد والسادة الاشراف على مثل الحال المتقدم تارة يصالحونه وتارة يقاطعونه الى انقضاء سنة تسع وثلاثين ومائة وألف وفى أوائل سنة أربعين ومائة وألف خرج الى الشرق بخيله وعساكره وبنى عمه المطيعين له فى مصادره وموارده الى ان وصل الى محل يقال له القوسية فاستمر هناك الى جمادى الاولى من السنة المذكورة ثم رجع الى مكة بعد ان مهد تلك المهامه والوهاد

(ذكر الرخاء الواقع سنة ١١٤٠ وتعريفة الشخص والاحمر والريال)

وكانت هذه السنة من أرخى السنين لكثرة الامطار قال العلامة الرضى فى تاريخه اشترينا البر الهميس بالطائف الكيلة بأربعة دوانية ونصف وخمسة دوانية والذرة الصافية بخمسة دوانية والشعير بديوانين ونصف والعسل الرطل بأربعة دوانية والتمر بديوانين ونصف والزبيب النعمانى بأربعة دوانية والفواكه كثيرة جدا رخيصة الى الغاية وصرف القرش بأربعين ديوانيا والاحمر بقرشين والشخص بأربعة قروش والريال بقرشين وثمن

ونازلها من طرف الشمال وكان له أربعمائة غراب قد أنشأها هو وأبوه قبل ذلك التاريخ فأرساها عند الحصن الذى أنشاه على مقدار جلد الثور المرسوم ببغاز كسن فأمر بتلك الاغربة فسحبت الى البر بعدان جعلت تحتها دواليب تجرى عليها كالعجلة وشحنها بالرجال والابطال ثم أمر بنشر قلاعهـا فنشرت في ريح شديدة موافقة فساروا في البر على هذه الهيئة حتى انصبوا الى الخليج الواقع شمالى البلد من طرف مدينة غلطة فامتلأ الخليج من تلك الاغربة ثم قربوا بعضها من بعض وربطوها بالسلاسل فسارت جسرا ممدودا ومعبرا لطيفا وكان اهل البلد آمنين من هذه الجهة ولم يحصنوها وانما كان خوفهم من جهة البر فكانوا حصنوها وغفلوا عن هذه الجهة لأمر يريده الله تعالى فشرع المسلمون في الحصار والقتال من جهة البر والبحر مدة احدى وخمسين يوما حتى أعيى المسلمين امرها وما زالوا مصابرين الحصار والقتال فجمع ملك القسطنطينية اعيان الامراء والقواد لما اشتد عليهم الامر واخذ يحرضهم على القتال وبعد خطاب طويل اخذوا بالبكاء والعويل وعانق بعضهم بعضا بقصد الوداع ثم قصدوا الاسوار وتحصنوا فيها

﴿ ذكر دخول المسلمين القسطنطينية بعد فتحها ﴾

فلما كان اليوم التى فتحت فيه وهجم العساكر العثمانية ودخلوها قاتل ملكهم قتالا شديدا الى أن قتل في المعركة وقتل معه خلق كثير فدخلها المسلمون وأسروا أهلها وأحرقوا مكاتبها يقال ان عدد مافقد منها مائة وعشرون الف مجلد وكان السلطان محمد قد أرسل وزيره احمد باشا ابن ولى الدين باشا قبل هذا التاريخ الى خدمة العارف بالله الشيخ آق شمس الدين والى خدمة الشيخ آق بيق يدعوهما للجهاد والحضور معه في فتح القسطنطينية فحضرا وبشر الشيخ شمس الدين الوزير المذكور بالنصر وقال ستفتح ان شاء الله تعالى قسطنطينية على يد المسلمين في هذا العام وأنهم سيدخلونها من الموضع الفلانى في اليوم الفلانى من هذا العام وقت الضحوة الكبرى وأنت تكون حينئذ واقفا عند السلطان محمد فبشر الوزير السلطان بما بشره به الشيخ من خبر الفتح فلما كان ذلك الوقت الموعود به ولم تفتح القلعة حصل للوزير خوف شديد من جهة السلطان فذهب الى الشيخ فمنعوه من الدخول اليه لانه أوصى جماعته أن لايدخلوا عليه أحدا فرفع الوزير أطناب الخيمة فنظر فاذا الشيخ ساجد على التراب ورأسه مكشوف وهو يتضرع ويبكى فارفع الوزير رأسه من أطناب الخيمة الا وقد قام الشيخ على رجليه وكبر وقال الحمد لله الذى منحنا فتح هذه المدينة قال الوزير فنظرت الى جانب المدينة فاذا العسكر قد دخلوا بأجمعهم ففتح الله ببركة دعائه فى ذلك الوقت الذى كان أشار به وكانت دعوته تخرق السبع الطباق فلما دخل السلطان محمد خان المدينة نظر الى جانبه فاذا وزيره ابن ولى الدين واقف عنده فقال هذا ما أخبر به الشيخ وقال مافرحى بهذا الفتح وانما فرحى بوجود مثل هذا الشيخ فى زمانى ومن مناقب هذا الشيخ أنه كان طبيبا يداوى الابدان كما هو طبيب لداء الارواح يحكى ان الاعشاب كانت تناديه وتقول له أنا أنفع للمرض الفلانى وكان فتح مدينة القسطنطينية

وكان السيد محسن بن عبد الله بن حسين في هذه السنة خرج الى نجد ووصلت البشائر في أواخر جادى الثانية بأنه اقتتل مع قبيلة يقال لها ظفير على وزن أمير وجمعوا القتاله جموعا كثيرة فنصره الله عليهم واستمرت ولاية الشريف عبد الله الى خامس عشر ذى القعدة الحرام ختام سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين فكانت مدة هذه الولاية الثانية سبع سنوات وخمسة أشهر وعشرة أيام والاولى كانت مدتها سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام فمجموع مدة الولايتين ثمان سنين وثمانية أشهر وعشرون يوما (وفاة الشريف عبد الله بن سعيد سنة ١١٤٣) فانتقل الى رحمة الله بعدان مرض أياما وكان انتقاله في التاريخ المذكور ودفن بأسفل مكة بوصية منه في موضع مقابل لقبر الشيخ محمود بن ابراهيم بن أدهم وبنى عليه بناء وتابوت وكان ابنه محمد غائبا في أطراف اليمن أرسله والده لحفظ تلك الاطراف مع جمع من العساكر والاشراف فاستمر هنالك الى أن دعى بعد وفاة والده لشرافة مكة وكانت وفاة والده في آخر النهار بمنزل كان له بعلوى خارج البلاد واخفى موته الى آخر الليل وتولى الامر والتدبير اخوة المتوفى وهم السيد مسعود بن سعيد والسيد مضر بن سعيد

نهار الاربعاء لعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وكانت ايام محاصرتها احدى وخمسين يوما فغنم المسلمون من الاموال والاسباب والدواب مالم يسمع بمثله فى عصر من الاعصار لان السلطان لما شاهد العى والفتور من العسكر فى الحصار أمر بأن ينادى ان الغنائم كلها لهم ويكفينى فتح المدينة فلما بلغهم ذلك بذلوا اجهدهم واجتهدوا حتى يسر الله فتح المدينة فلما شاع خبر هذا الفتح فى الآفاق هابه ملوك العالم فأرسل اليه صاحب مصر وصاحب العجم وصاحب الغرب بالمكاتبات والمراسلات يهنونه بالفتح ولاشك ان هذا الفتح من أعظم الفتوحات الجليلة وكم من رام من الخلفاء والملوك فتح هذه المدينة وصرفوا هممهم وبذلوا جهدهم وأموالهم وأفنوا أعمارهم وعساكرهم فلم ينالوه انما حباه الله تعالى لهذا السلطان الجليل والملك الجميل لكونه أخلصهم نية وطوية وأحسنهم سيرة وضمن بعضهم هذا المعنى فى تاريخ الفتح فقال

رام أمر الفتح قوم أولون ✵ حزه بالنصر قوم آخرون

وقع لفظ آخرون تاريخا بفتح المدينة المذكورة بعدد حساب الحروف ٨٥٧ وقيل فى تاريخها أيضا بلدة طيبة ٨٥٧ بحساب كل تاء مربوطة بأربعمائة وذلك جائز عن بعضهم وهى كذلك فى طيب الهوا ولما دخل السلطان مدينة القسطنطينية سارع بالتوجه الى كنيستها العظمى اياصوفيا فدخلها وطهرها من خبائث الكفر وصلى فيها ودعا الله تعالى وحده وأثنى عليه وجعلها مسجدا جامعا للمسلمين وعين له أوقافا ومرتبات ثم ان السلطان محمد التمس من الشيخ شمس الدين ان يريه موضع قبر ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه فقال الشيخ انى شاهدت فى موضع نورا لعل قبره هناك فجاء اليه وتوجه زمانا ثم قال اجتمعت مع روحه فهنأنى بهذا الفتح وقال شكر الله سعيكم الذى خلصتمونى به من ظلمة الكفر فأخبر السلطان بذلك فحضر بنفسه الى هناك وقال ألتمس منك يامولانا الشيخ ان تربنى علامة أراها بعينى ويطمئن بذلك قلبى فتوجه الشيخ ساعة ثم قال احفروا فى هذا الموضع وهو من جانب الرأس من القبر مقدار ذراعين يظهر لكم رخام عليه خط عبرانى فلما حفروا ظهر رخام عليه خط عبرانى فقرأه من يعرفه وفسره فاذا هو قبر ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه فغلب على السلطان محمد حال حتى كاد يسقط لولا أن أمسكوه ثم امر ببناء قبة عليه وقد روى الامام احمد باسناد حسن فى مسنده والحاكم عن بشر الغنوى لتفتحن بالبناء للمفعول القسطنطينية ولنعم الامير اميرها ولنعم الجيش جيشها وهذا الحديث معجزة من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وعلم من أعلام نبوته لان فيه الاخبار بالغيب ووقع كما خبر صلى الله عليه وسلم وهو صادق على السلطان محمد خان هذا وعلى جيشه وان كان الغزو الى القسطنطينية وقع فى زمن الصحابة ومن بعدهم وافتتحوا اطرافا منها فى خلافة معاوية رضى الله عنه فى الغزوة التى استشهد فيها ابو ايوب الانصارى رضى الله عنه ثم استرجع الروم الطرف الذى افتتح فى ذلك الزمن فالفتح التام انما هو هذا الذى كان فى زمن السلطان محمد الفاتح ففى الحديث منقبة عظيمة له وروى الامام احمد والبخارى ومسلم عن ام حرام بنت ملحان رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول جيش من أمتى

لانه كان أكبرهم فضبطوا البلاد وتداخلوا مع القاضى والعساكر المصرية وبعض السادة الاشراف بدفع جانب من المال على ان يكون المتولى بعد وفاة الشريف عبد الله بن سعيد ابنه الشريف محمد لكونه أكبر من أخيه السيد ثقبة

(ولاية الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد سنة ١١٤٣)

فاجتمعوا عند القاضى ليلا وسجلوا ذلك ونادوا باسم الشريف محمد استقلالا وباسم أخيه السيد ثقبة وكالة وحفظا فما أصبح الصبح الاوقد استتبت أحوالهم واستقرت البلاد وأمنت العباد وذهب الرسول لاستدعاء الشريف محمد من اليمن فوصل فى التاسع والعشرين من شهر ذى القعدة من السنة المذكورة ولبس الملبوس بحضرة الاعيان والعساكر ودعى له على المنابر وكان عمره نحو العشرين سنة ثم أقبلت الجوخ السلطانية ولبس الشريف محمد الخلع العثمانية

(ذكر قيام العامة على العجم سنة ١١٤٣)

وفى سنة أربع وأربعين ومائة وألف ثارت لعوام بالمسجد الحرام على طائفة من العجم كانوا مجاورين بمكة لان الحج فاتهم سنة ثلاث وأربعين فأقاموا

يغزون مدينة قيصر مغفور لهم فهذا يحمل على أول غزوة وجهت للقسطنطينية وهي التي كانت في زمن معاوية رضي الله عنه سنة اثنتين وخمسين من الهجرة وكان فيها كثير من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الانصاري وغيرهم رضي الله عنهم وكان في ذلك الجيش يزيد بن معاوية قيل كان هو امير الجيش وقيل كان الأمير سفيان بن عوف وقوله مغفور لهم مشروط بكون المغفور له منهم من أهل المغفرة بأن يموت مؤمنا فلو ارتد واحد والعياذ بالله من ذلك الجيش ومات كافرا كان خارجا من عموم تلك المغفرة وهكذا يقال في كل حديث يذكر فيه أن من فعل كذا غفر له أو دخل الجنة فان ذلك مشروط بالوفاة على الايمان ومثل ذلك قد يرد في كلام بعض الاولياء بأن يقول أحدهم مثلا من رآني دخل الجنة أو من أكل طعامي دخل الجنة فان ذلك مشروط بالوفاة على الايمان فلا يشكل عليك شئ من ذلك وبنى السلطان محمد عند قبر أبي ايوب جامعا عظيما وبعد تمام بنائه ذهب اليه بموكب عظيم وأقام الصلاة فيه وقلده الشيخ شمس الدين سيفا بيده ومن ذلك الوقت جرت العادة أن السلطان الذي يجلس على تخت الملك يذهب الى هذا الجامع ويتقلد بالسيف وهو بمنزلة التتويج عند ملوك النصارى

✵ ذكر الغزو الى بوسنة ✵

وفي سنة ثمان وخمسين وثمانمائة غزا السلطان محمد بلاد بوسنة بعسكر كثير وقاتلهم أشد قتال واستولى على عامة بلادهم ولم يقم للكفار قائم بعد ذلك هنالك وفي سنة احدى وستين وثمانمائة وجه همته الى افتتاح جزيرة رودس فتهدد اهلها وطلب منهم الخراج فامتنعوا وأرسلوا الى البابا صاحب رومية يستنجدون به فأخذ يحث ملوك الافرنج على محاربة الدولة العثمانية فلما بلغ السلطان محمدا هذا الخبر نهض بمائة وخمسين الف مقاتل وحاصر مدينة بلغراد وضيق عليها برا وبحرا حتى كاد يفتحها فأخذ احد الرهبان غيرة شديدة وصار يحث المسيحيين على المدافعة عن تلك المدينة فاستمال نحوا اربعين الفا من العساكر النمساوية وقادهم قائد من المجر فأضر بالسفن العثمانية بواسطة هذه النجدة واستمر السلطان محمد أربعين يوما وهو يكرر الهجمات على المدينة المذكورة ثم ارتحل عنها واما قائد جيشهم الذي هو من المجر فجرح جرحا بليغا هلك به وبعد هذه الغزوة زحف السلطان محمد على ولاية أثينا من بلاد اليونان ففتح دوكة أثينا وهي المدينة الشهيرة فيها

✵ ذكر الغزو الى بلاد الصرب والبوسنا والارناووط ✵

وفي سنة ثلاث وستين وثمانمائة توجه الى بلاد الصرب وفتح فيها فتوحات وفي سنة ست وستين فتح أيالة طرابزون وولاية سينوب واتى بصاحبها أسيرا الى القسطنطينية فقتله السلطان محمد وكان له اولاد ثمانية فقتلهم معه وكان صاحب سينوب يكاتب ملك العجم ويعينه على السلطان محمد وفي سنة سبع وستين وثمانمائة توجه الى اتمام تملك اقليم بوسنة وشن الغارات على ولايات الافلاق والبغدان والصقالبة ثم صوب عزيمته الى فتح بلاد الارناووط وهم صنف من النصارى يصبرون على المحن ويتكلفون الاعمال الشاقة قيل اصلهم من عرب الشام من بني غسان ارتحلوا من الشام بعد ما أتى الله بالاسلام فقدموا من الشام وتوطنوا هذه البلاد وقيل اصلهم من البربر عبروا

بمكة ليجعلوا سنة أربع وأربعين وكانوا اجماعا غفيرا وصاروا يترددون على المسجد الحرام للعبادة والطواف فزعم بعض العامة انهم وضعوا النجاسة بالكعبة المعظمة فثارت فتنة بسبب ذلك لمساعدة العساكر المصرية للعامة ومشت العامة الى قاضي الشرع فهرب من المحكمة والتجأ بحسين أغا كبير العساكر الانكشارية وسار معه الى أبي بكر باشا صاحب جدة وكان قد جاء الى مكة في تلك الايام ثم ذهبت العامة الى مفتي بلد الله الحرام وأخرجوه من بيته وأخرجوا أيضا غيره من العلماء ذوي الهيآت واجتمعوا عند الوزير أبي بكر باشا لقصد نصب الدعوى والحال ان الخصم غير موجود بل غير معلوم فراجعهم حضرة المفتي في ذلك فأجابوه بكلام غليظ وافعال غير مستحسنة وتغلبوا على الوزير حتى أخذوا منه أمرا باخراج العجم من مكة ونهب بيوتهم وأخذوا من القاضي مثله ومشوا في أزقة مكة بالمنادي بأن من جلس بمكة المعظمة من العجم فهو منهوب مقتول ونهبوا شيأ من بيوتهم ومنعهم عنه وعن غيره بعض السادة الاشراف هذا كله والشريف محمد جالس في بيته لم يعترضهم وفي اليوم الثاني اجتمعوا عند حضرة القاضي وطلبوا منه أن

البحر من المغرب الى هذا الصوب ثم غلب عليهم الجهل فتنصروا فدخل السلطان بلاد الارنووط فنهبها واستولى على عدة قلاع هناك وأمر ببناء قلعة حصينة في ثغر عظيم هناك كالسد بيننا وبين الكفار وشحنها بالرجال وسماها آق حصار وأودع فيها من المدافع والمكاحل ما يليق بها وفي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة غضب السلطان محمد على صاحب قونية ولارندة فانتزع منه ولاية قرمان وجعل فيها ابنه السلطان مصطفى ثم استولى على قلاع عاصية هناك مثل قلعة اركلي وقلعة آق سراي وقلعة كولك وقلعة كولي وجعل الجميع لابنه المذكور وفي سنة خمس وسبعين فتح جزيرة ارغبوز من أعمال البندقية بعد أن أوقع بأهلها وقتل أكثرهم ثم استولى على بقية بلاد الارنووط بأسرها

❁ ذكر اغراء العجم والتتر على الاغارة والنهب ❁

وفي سنة ست وسبعين وثمانمائة بعث صاحب العجم حسن بك الطويل يوسفجه بك مع عسكر التتر الى نهب بلاد العثمانيين فجاؤا ونهبوا مدينة توقات وأضرموا فيها النار وأغاروا عليها ثم اغتر يوسفجه بك فهجم على بلاد قرمان وأغار عليها وكان واليها يومئذ السلطان مصطفى ابن السلطان محمد وكان في غاية من الشجاعة فقاتل العدو فهزمه وأسر رئيسهم يوسفجه بك وكبله في الحديد وأرسله مع عدة من الاسارى الى أبيه السلطان محمد فكان ذلك عنوان الفتح ومقدمة النصر وفي سنة سبع وسبعين وثمانمائة وقع قتال بين السلطان مصطفى ابن السلطان محمد وبين زينل شاه ولد حسن الطويل فانتصر عليه السلطان مصطفى وانهزم جيشه وصارت الجيوش العثمانية يطردونهم ويقتلونهم ويأسرونهم وظفر بزينل شاه فقتله ثم سار مصطفى الى قره حصار الشرقي وهو من بلاد حسن الطويل فاستولى عليها وأدرجها في جملة ممالكه وفي هذه السنة بعث السلطان محمد وزيره كدك احمد باشا لفتح بلاد كفة فحاصرها حتى غلب عليها وفتحها ثم افتتح هناك عدة حصون وقلاع

❁ ذكر الغزو الى البغدان ❁

وفي سنة تسع وسبعين سار السلطان محمد الى قتال كفار البغدان فخاف منه كبيرهم استفان فهرب الى اقصى بلاده فدخل السلطان بلاد بغدان وتوغل فيها وقتل من قدر عليه فكانوا خلقا لا يحصى وأسر وسبى ونهب حتى أذعن رئيسهم استفان المذكور بالطاعة وأعطى الجزية وفي سنة خمس وثمانين وثمانمائة صمم السلطان محمد على افتتاح جزيرة رودس فأرسل اليها أساطيل بحرية مشحونة بمائة ألف مقاتل فحاصر الجزيرة المذكورة ثلاثة أشهر فلم يتيسر فتحها لانها كانت حصينة ثم ارتحلوا عنها وفي سنة ست وثمانين جهز جيشين عظيمين احدهما لمحاربة جزيرة قبرس والآخر لقتال العجم ثم أدركته الوفاة قبل تمام الامر فتوفي ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الاول من سنة ست وثمانين وثمانمائة وعمره احدى وخمسون سنة ومدة ملكه استقلالا بعد وفاة أبيه احدى وثلاثون سنة وشهران وكان ملكا جليلا يعجز الواصفون عن مقدار فضائله ومحاسنه وكانت همته لا تكل ولا تعجز ولا تفتر عن الفتوحات رحمه الله تعالى قال العلامة القطبي عن بعض أوصاف السلطان محمد المذكور وللمرحوم المقدس قلادات منن

فأخافوه بأشياء اقتضاها الحال والوقت فوافقهم على ذلك فأطلقوا مناديا آخر بخروج العجم فخرجوا الى الطائف وجدة وغيرهما ومكثوا أياما قلائل حتى خمدت القضية ثم ساس الامر مولانا الشريف محمد وتنبه لمن كان السبب لهذه الفتنة وأخافه ثم أرسل الى من كان منهم بالطائف وغيره وأمرهم بالرجوع الى مكة فرجعوا واضمحلت الفتنة قال الرضي وانما كان هذا لتعصب من أراذل الناس والاتراك والا فأهل مكة الحقيقيون لم يكونوا راضين بذلك ثم لم يزل الاتفاق جاريا بين الشريف محمد وعمه الشريف مسعود على أحسن المسالك الى ان رمى الله بينه وبين عمه بسهم التفريق وتوحش قلب كل منهما من الآخر ثم جرت بينهما منافرات ومنابذات نشأ منها دعاو ومرافعات وصدر في اثناء المدة حادثتان عظيمتان لم يؤلف مثلهما في قديم الزمان احداهما أن أحد السادة الاشراف آل بركات كان مغاضبا الشريف محمد فأمره الشريف محمد بالخروج من البلاد فلم

لاتحصى فى أعناق المسلمين لاسيا العلماء الاكرمين قلدها فى أجيادهم فهى باقية الى يوم الدين ولوذكرت مناقبه لشحنت بها مجلدا أسكنه الله تعالى فسيح الجنان وأنزل على قبره سحائب الرحمة والرضوان وتسلطن بعده ولده (السلطان بايزيد الثانى) ونازعه اخوه السلطان جم ووقع بينهما حروب يطول الكلام بذكرها وكان الانتصار للسلطان بايزيد واستقر الملك له وكان رحمه الله ملازما للغزو فى سبيل الله مظفرا على أعداء الله محبا لفعل الخيرات مكرما للعلماء والصلحاء وفى سنة ثمان وثمانين وثمانمائة سار بعساكره الى بلاد قره بغدان فافتتح قلعة كلى وقلعة آق كرمان وفيها أيضا فتحت قلعة ملوان وقلعة متون وقلعة طرسوس وقلعة نقشه وقلعة كوكلك والحاصل انه استولى على كثير من بلدان البغدان وغيرها مما فى تلك الاطراف وفى سنة سبع وتسعين وثمانمائة توجه الوزير يعقوب باشا لغزو بلاد البوسنة فظفر بملكها درنجيل وقيده فى وثاق وأرسله الى السلطان بايزيد وفى سنة تسعمائة وثلاث بعث جيوشا الى بلاد الارنووط براوبحرا وخرج فى أثرها بنفسه ومعه أيضا جيوش كثيرة قاصدا بلاد الحرب وبلاد الارنووط وحارب فى تلك الغزوة بولونيا وأوقع بها واستولى على جانب عظيم منها وأخذ منها عشرة آلاف أسير ثم عاد اليها مرة ثانية فنكبها نكبة عظيمة وفى سنة خمس وتسعمائة سار السلطان بايزيد بعساكره فاستولى على قلعة اينه بختى وعلى قلعة قرون وكان السلطان بايزيد ابن السلطان محمد من المجاهدين فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا فما زال غازيا فى سبيل الله مظفرا على أعداء الله فكانت به كلمة الاسلام مجموعة وكلمة أهل الضلال خاسئة مقموعة وكان محبا لنيل الخيرات مثابرا على بذل الانعام والصدقات محبا للعلماء والمشايخ والاولياء من أهل الكرامات ودخل فى طريق السادة الصوفية ودخل الخلوة وجلس الاربعين وارتاض مثل الصلحاء السالكين ولما دخل الخلوة كان معه والد مولانا أبى السعود المفسر وهو مولانا الشيخ محيى الدين افندى وبنى السلطان بايزيد المذكور الجوامع والمدارس والعمارات ودار الضيافات والتكيات والزوايا والخانقات ودار الشفاء للمرضى والحمامات والجسور ورتب للمفتى الاعظم ومن فى رتبته من العلماء العظام فى زمنه فى كل عام عشرة آلاف عثمانى ولكل واحد من مدرس الثمانية من مدارس والده المرحوم السلطان محمد فى كل عام سبعة آلاف عثمانى ولمدرس شرح المفتاح لكل واحد أربعة آلاف عثمانى ولكل واحد من مدرس شرح التجريد ألفى عثمانى وكذلك رتب لمشايخ الطريق الى الله تعالى من اهل الله ومريديهم واهل الزوايا لكل واحد على قدر مرتبته واستحقاقه وهذا غير كسوة الصيف من الاصواف ونحوها وغير كسوة الشتاء من الفرا والجوخ لكل واحد على قدر مرتبته وصار ذلك قانونا جاريا مستمرا وكان يحسب أهل الحرمين الشريفين ويحسن اليهم احسانا كثيرا ورتب لهم صرا فى كل عام غير ما كان مرتبا من آبائه الكرام وكان يجهز الى فقراء الحرمين الشريفين فى كل سنة أربعة عشر ألف دينار ذهبا يصرف نصفها على فقهاء مكة ونصفها الآخر على فقهاء المدينة ولم يكن حكم الحرمين فى ذلك الوقت عنده وكانوا يتسمون بها ويتفقون بها ويدعون له فكان ذلك من أسباب تسهيل دخول أهل الحرمين تحت طاعة ولده السلطان سليم كما سيأتى

بركات فكرر عليه الامر بالخروج من البلاد فطلبوا له مهلة الى الليل فأبى أن يعطيه المهلة الى الليل مع كونه ثمادخل مكة باجلة ووجه على القانون الجارى بينهم فلم يكن من مولانا الشريف محمد الا أنه ركب بخيله ورجله وأجناده وأحاط بالبيت الذى كان فيه السيد المذكور وكان بالبيت أيضا طائفة من السادة الاشراف وحين وصل اليهم أمر برمى الرصاص الى مجلسهم المعتاد فوثبوا مقاتلين عن أنفسهم ودورهم فاصيب منهم بعض أشخاص ثم انجلت القضية بوصول كبار السادة الاشراف فلاطفوا الشريف محمدا الى ان رجع الى داره مدان أفهموه ان فعله هذا خطأ ثم اجتمعوا فى بيت زعيم منهم للمفاوضة فى ذلك وتعيين من ينبغى ان يصدر منهم ثم أجمع الاكثرون على الفراق واقامة الحرب على ساق وجنح البعض الآخر منهم الى قبول ما يرد عليهم من حضرة الشريف محمد من الاعتذار الناهضة وسوق ما يكون به تطييب نفوسهم بحيث يحصل به تخويف لكل ملك عنيف ومنعه من الاقدام على مثل ذلك ويكون ذلك بعد المفاوضة منهم فى تعيينه وتجسيمه الى الغاية ثم يذهب جماعة منهم اليه ويعرضونه عليه فان فعل ذلك وانقاد له

ان شاء الله تعالى وكان اذا ورد عليه احد من أهل الحرمين يكرمه ويحسن اليه ويرجع من عنده بصلات عظيمة ومواهب جزيلة

❁ ذكر ظهور اسماعيل شاه سلطان العجم ❁

مما كان من العجائب فى زمن السلطان بايزيد بن السلطان محمد ظهور اسماعيل شاه فى بلاد العجم وكان ظهوره واشتهار أمره سنة تسعمائة وخمس وكان له ظهور عجيب واستيلاء على ملوك العجم يعد من الاعاجيب فانتشر أمره وملك فى البلاد وسفك دماء العباد وأظهر مذهب الرفض والالحاد وغير اعتقاد كثير من الخلق وصار يدعوا الناس الى الانحلال والفساد بعد الصلاح والسداد وأزال من قلوبهم حسن الاعتقاد والله تعالى يفعل فى ملكه ما أراد وظهر من أتباع اسماعيل شاه شيطان تولى بالروم أهلك الحرث والنسل وعم الفساد والقتل وقويت شوكته وعظم على المسلمين فتنته فأرسل السلطان بايزيد وزيره الاعظم على باشا بعسكر كثير لقتال هذا الباغى فاستشهد على باشا فى ذلك القتال ولكن قتل الله ذلك الباغى وانهزم من كان معه من الجنود وقتل كثير منهم وكفى الله شر أولئك الاشرار وذلك سنة تسعمائة وخمس عشرة واسماعيل شاه المذكور هو اسماعيل بن حيدر ابن جنيد بن ابراهيم بن سلطان خواجه بن على بن صدر الدين موسى بن صفى الدين اسحاق الاردبيلى وكان أهل هذا البيت يقال لهم الصفويون نسبة الى الشيخ صفى الدين الاردبيلى المذكور آنفا وكانوا من أهل السنة والجماعة ومن أهل الولاية والصلاح والمشايخ أرباب الطريق والسلوك والزوايا وسلسلة طريقهم تنتهى الى الامام احمد الغزالى اخى الامام محمد حجة الاسلام الغزالى وقيل ان لهم نسبا ينتهى الى موسى الكاظم وكان جدهم الشيخ صفى الدين له شهرة كبيرة فى مشيخة الطريق وتوفى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ثم صارت المشيخة فى ولده صدر الدين ثم فى ولده على ثم فى ولده سلطان خواجه ثم فى ولده ابراهيم ثم فى ولده جنيد ثم فى ولده حيدر ولما كانت المشيخة فى جنيد كثر اتباعه ومريدوه واشتهر أمره وانتشر صيته وصار يجاهد الكفار بمن معه من المريدين والاتباع وكان جهان شاه التركمانى صاحب شروان واذربيجان متغلبا على ملك العراق وبغداد فتوهم من جنيد وكثرة اتباعه وخشى أنه يتغلب عليه وينتزع الملك منه فأخرج جنيدا ومن معه من اردبيل فتوجهوا الى ديار بكر ثم قوى امرهم فقاتلوا سلطان شروان فانهزم الشيخ جنيد ثم قتل وتفرق مريدوه ثم اجتمعوا بعد مدة على ابنه حيدر فقاتلوا أيضا سلطان شروان فقتل الشيخ حيدر وأسر بنوه ومنهم ابنه اسماعيل شاه وكان صغيرا واستمر محبوسا هو واخوانه وهرب بعض اخوانه من الحبس سنة ثمانمائة وست وتسعين ثم هرب اسماعيل شاه سنة تسعمائة وست وعمره ثلاث عشرة سنة واجتمع عليه خلق كثير بعد خروجه من الحبس كانوا يعتقدون الخير فى أبيه حيدر فغير اعتقادهم الى مذهب الرافضة فقصد بجموعه الاخذ بثار ابيه وجده وكان قد رفض مذهب آبائه وأهل بيته وتمذهب بمذهب الرافضة تعلم ذلك وسرى اليه وهو صغير حين كان فى الحبس قيل فى تاريخ ظهوره مذهبنا حق ٩٠٦ سمع ذلك بعض أهل السنة فقال مذهبنا حق على

بعده من ولاة هذه الممالك وان توقف عنه وأباه فهمنا من ذلك مطمحه ومرماه وقابلناه بالمباينة والفراق واحكام تدابير الحرب بعد الاتفاق وكان هذا الرأى نتيجة فكر السيد محسن بن عبد الله بن حسين ثم لما أجمع رأيهم على ذلك خاضوا فى بيان ما ينبغى ان يساق ففرضوا خمسة وعشرين من الخيل الجياد وخمسة وعشرين من العبيد وستين من الابل مع ركوب مولانا الشريف الى دارهم لاخذ خواطرهم والاعتراف بالخطأ عليهم مع ارسال هذه المعدودات اليهم ففعلوا ذلك وعرضوه عليه فقبله ورضى به وفعل جميع ما قالوه فقرت الحال وزال الاشكال * والامر الثانى انه بعد ذلك بمدة قليلة فعل مثل ذلك أو ما يقارب به فى بيت السيد عبد المعين ابن محمد بن جود وكان فيه جملة من الاشراف وسبب ذلك أن عبد السيد عبد المعين قتل أحد أولاد الشيخ أبى بكر الحنبلى واختفى العبد فى بيت سيده السيد عبد المعين فر

مولانا الشريف محمد ليلة على بيت السيد عبد المعين فرأى جملة من العبيد مجتمعين على الباب والعبد القاتل معهم فأمر

النفي فان نافى الفارسي اداة نفي فقاتل بمن اجتمع معه شروان شاه وكان كلما سار منزلا كثرت جنوده فنازلوا شروان شاه وقاتلوه وهزموه ثم أسروه فأتوا به الى اسماعيل شاه فأمرهم أن يضعوه في قدر كبير ويطبخوه ويأكلوه ففعلوا كما أمرهم وأكلوه ثم قاتل بمن معه من الجند ملوك العراق وخراسان الذين كانوا متغلبين على الممالك في تلك الازمان من التركمان وغيرهم فما كان يهزم له جيش ولا يتوجه الى بلاد الا ويفتحها ويقتل جميع من فيها وينهب أموالهم الى أن ملك تبريز واذربيجان وبغداد وعراق العجم وعراق العرب وخراسان وتعاظم أمره حتى كاد يدعي الربوبية وكان ظالما غشوما أفنى وأباد من الامم بالقتل مالا يحصى من العدد وكان عسكره يسجدون له اذا خرج اليهم ويأتمرون بأمره قال العلامة القطبي في تاريخه قتل خلقا لا يحصون ينوفون على ألف ألف نفس بحيث لا يعهد في الاسلام ولا في الجاهلية من القتلى ولا في الامم السابقة مثل ماقتله اسماعيل شاه وقتل من أعاظم العلماء خلقا كثيرا ولم يبق احدا من علماء أهل السنة الذين كانوا في بلاد العجم وأحرق كتبهم ومصاحفهم لانها مصاحف أهل السنة وكان كلما مر بقبر من قبور العلماء والمشايخ يأمر بنبشه واخراج عظامه ثم يحرقها واذا قتل أميرا من الامراء أباح زوجته وأمواله لشخص آخر ومن جملة خرافاته المضحكة الدالة على سخافة عقله الناشئة عن تكبره وتجبره انه جعل كلبا من كلاب الصيد أميرا ورتب له ترتيب الامراء من الخدم والكواخي والسماط والاوطاق والفراش الحرير وجعل له سلاسل من ذهب ومرتبة ومستندة يستند اليها كالامراء وأقام لخدمة ذلك الكلب جملة من خواص خدمه ومن تكبره وطغيانه أنه أسقط مرة من يده منديلا الى البحر وفعل ذلك قصدا وكان في جبل شاهق مشرف على البحر المذكور فصار عسكره واتباعه وخدمه يلقون أنفسهم في البحر خلف المنديل ليأتوا به تقربا اليه او ليلتمسوا بركة المنديل الذي مسته يده حتى أحصى من رمى نفسه منهم فكانوا نحو ألف صاروا يتخبطون في البحر حتى غرقوا قيل انهم كانوا يعتقدون فيه الالوهية وأنه لا ينهزم له جيش الى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة التي كانوا يعتقدونها فيه ومما يحكى عن اسماعيل شاه سلطان العجم انه كان في ابتداء امره تنهزم جيوشه ولا يثبت هو ايضا للقتال بل ينهزم معهم فاتفق انه اجتاز مرة بامرأة وهو متنكر فأضافته هو ومن معه وقدمت لهم طعاما حارا في صحفة فشرع الشاه اسماعيل يأكل من وسط القصعة وهي حارة والمرأة تنظر اليه فقالت له ما أشبهك ايها الرجل الا باسماعيل شاه الذي ظهر في هذا الزمان فانه يريد أن يقصد وسط الدولة محل الشوكة والقوة فيأخذه وذلك خطأ فينبغي له ان يأخذ أطراف البلاد ليبرد الوسط فأنت كل من الاطراف حتى يبرد الوسط ثم كل منه فتنبه من قولها وعمل باشارتها فصار يقاتل أطراف الممالك حتى صار له ما صار وملك جميع اقليم العجم وبواسطته انتشر التشيع وظهر في العجم وسلاطين العجم الموجودون الى وقتنا هذا من ذريته وسيأتي ذكر ماوقع بينه وبين السلاطين العثمانيين من القتال وكذا ماوقع بينهم وبين ذريته وانما أطلت الكلام في بيان احوال اسماعيل شاه واصوله ليعلم من ذلك ان كثرة بغيه وطغيانه من جملة الاسباب التي دعت السلطان سليم الى قتاله الذي سنذكره مع ماانضم الى ذلك مما كان بينه وبين السلطان سليم

بالقبض عليه فهرب هو وجماعته الذين كانوا معه ولاذوا بالبيت المذكور فلما أحس ساداتهم بذلك نزلوا منجدين عبيدهم فوقع القتال بينهم وبين عبيد مولانا الشريف وأوقعوا السلاح في عبيده فرجع الى داره وطلب العساكر ووصل بهم الى قريب من البيت المذكور واجتمع جماعة من الاشراف عند بيت السيد عبد المعين لانجاد فاتهم وكادان يقع بينهم وبين مولانا الشريف القتال لكن لما أراد الله اطفاء هذه الفتنة حضر مولانا السيد محسن ابن عبد الله بن حسين وجمع جماعة من كبار الاشراف وحلوا الامر بسهولة وتلطفوا بمولانا الشريف الى ان رجع بعسكره وعبيده الى بيته وسكنت الفتنة في أسرع وقت لكن نفرت قلوب السادة الاشراف منه وانصرفت وجوههم عنه وأقبلوا بكليتهم على عمه السيد مسعود اقبال الوالد الودود على الولد المفقود وشرعوا يبرمون حبال العزل وينقضون ما أبرمه من الغزل ويتسللون من مكة الى الطائف حتى استتم به عددهم وحصل مقصدهم ثم خرج عمه السيد مسعود لاحقا بهم مدركا لمأموله بسببهم وأخرجوا من كان بالطائف من عساكر مولانا الشريف محمد بمجرد

من العداوة التي سنذكر أسبابها

ذكر الحرب والقتال الذي كان بين السلطان بايزيد وولده سليم

لا بد قبل ذلك من ذكر الاسباب الالهية الخفية التي كانت بتقدير الربوبية ليعلم بذلك أن الاسباب الظاهرية لا بد معها من أسباب خفية قدرها الله تعالى من الازل قال العلامة القطبي في تاريخه ان منجما حاذقا كان في عصر السلطان بايزيد الثاني قد أطلعه الله على أمر يتعلق بالسلطان بايزيد وأخبره به وهو ان هلاكه وذهاب ملكه يكون على يد مولود يولد له وكان السلطان بايزيد قد ولد له أولاد قبل اخبار المنجم وكان اخباره له بذلك قبل ان يولد السلطان سليم فطلب السلطان بايزيد امرأة كانت معتمدة عنده بيدها أمر جواريه الموطوءات وهي قابلة لمن تضع حملها منهن وكانت من الصالحات فقال لها اذا وضعت احدى الجواري بعد الآن صبيا فاقتليه ولا تبقيه حيا واذا ولدت أنثى اتركيها لتعيش مع بناتي وأكد عليها في ذلك غاية التأكيد فاستمرت على ذلك الى ان ولدت واحدة منهن صبيا فلما رأته امه التي ولدته حزنت عليه لكونه تخنقه القابلة فلما تناولته القابلة تخنقه رأته صورة جميلة ووقع حبه في قلبها فرقت له وقالت في نفسها بأي وجه ألقى الله تعالى اذا قتلت هذا الطفل والله لا أقدم على قتله فأظهرت أنه بنت وقالت للسلطان بايزيد أنه حصل له من فلانة بنت جميلة حسنة الصورة فلما أخبرته بذلك سماها سليمة واستمر الأمر على ذلك والحال مكتوم لا يعلمه الا الله تعالى والقابلة وام الولد وصار كلما كبر وانتشا تظهر عليه أوصاف الذكور من الاستيلاء والغلبة والقهر واذا اجتمع البنات وجلس بينهن لطم من كان منهن الى جانبه ونهب ما وجد بأيديهن من مأكولات الاطفال وغير ذلك وكن يحذرن منه فدخل السلطان بايزيد يوما الى داخل السرايا وكان يوم عيد واستدعى ببناته وأجلسهن بين يديه وأمر ان يوضع بين يدي كل واحدة منهن انواع الحلوى والفواكه وحضر معهن ذلك الغلام المسمى سليمة فشرع في فعل ما كان يفعله مع البنات من الخطف والنهب والضرب وكلهن خائفات منه هائبات له فعجب السلطان بايزيد وصار يتأمله جدا ويفكر في أمره وفي أثناء ذلك دار بينهن يعسوب كبير وأردن أن يمسكنه فعجزن وهو يلسع من يريد امساكه فهربوا منه فهابوه فمد الغلام المسمى سليمة يده اليه وهو طائر فأمسكه ومرسه وعفصه ورماه من يده فازداد تعجب السلطان بايزيد منه وقال للنساء الواقفات هذا لا يكون انثى اكشفوا الى عنه فبادرت القابلة وقالت نعم هذا صبي وليس بنت فقال لها كيف خالفت أمري وما قتلته فقالت خفت من الله رب العالمين وخلصت ذمتك وذمتي من قتل معصوم ولا ذنب له فتفكر طويلا ثم قال ما قدره الله فهو كائن لا مفر عنه وأمر بتربيته وان يلبسوه لباس الذكور وسماه سليما الى ان كان من أمره ما كان والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون والله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا ولما أراد الله ابراز ما أراده وقدره من الازل من ذهاب ملك السلطان بايزيد على يد ولده سليم انشأ سبحانه وتعالى اسباب الحرب والقتال بينهما بايجاد اسباب لا يحكم العقل فيها بانها ينشأ عنها الحرب والقتال وذلك ان السلطان بايزيد شاخ وكبر سنه وتعطلت رجله عن الحركة

الترهيب والتخويف واستقلوا بالطائف ونواحيه وطلبوا من حوله من عربانه وبواديه وصرح منادي عمه الشريف مسعود باسمه ودخلت العربان تحت حكمه وكان ذلك في شهر ربيع الثاني سنة خمس وأربعين ومائة وألف وقد تقدم أن عمه الشريف مسعودا هو الذي أجلسه في منصب الشرافة بعد موت أبيه ثم أكد أساسها ورتب أحكامها وحراسها وصار هو المدبر لجميع الامور فحسده بعض ذويه وشرع يرمي الفتن بينه وبين ابن أخيه فصارت بينهما مهاجرة ومباينة ومباعدة فمن حين وقوع تلك المهاجرة والمباعدة صار عمه يستميل كبار السادة الاشراف فمال اليه من كل فخذ جانب ثم حدثت القضيتان السابقتان فمال اليه أكثر السادة الاشراف وصاروا معه بغاية الائتلاف الى ان أجتمعوا بالطائف كما تقدم واستمالوا قبائل ثقيف وغيرهم واستقروا بالطائف الى رابع شهر جمادى الاولى ثم نزلوا الى مكة المشرفة على طريق الثنية وأرسلوا قومهم من عقبة كرا وسبب ذلك انهم لما أطالوا الاقامة بالطائف وكان الشريف محمد يسمع باجتماعهم استبطأ قدومهم عليه بمن معهم وكان مستعدا لهم بعساكره فنهض اليهم بعساكره وخيوله وصعد

بعلة النقرس فأراد ان ينزل عن الملك لولده احمد وكان أكبر أولاده وأحبهم اليه قد جعله قبل ذلك أميرا ماسية ثم جمع الوزراء واعيان الدولة وعهد اليهم بأن ولده أحمد ولي عهده فاغتاظ سليم من ذلك وعزم على الخروج على أبيه وعلى خلع طاعته وقتاله وكان قد ولاه أبوه أدرنة فجمع العساكر وتوجه بهم الى القسطنطينية مظهرا أنه يريد زيارة أبيه وتقبيل يده وأنه راض بما يصنعه أبوه من جعل اخيه أحمد ولي العهد وأنه ليس له غرض في الملك واطلع ابوه بقرائن الاحوال على مراد ولده سليم وأنه انما يريد السلطنة والملك فنهض السلطان بايزيد من القسطنطينية بعساكره وخرج مستقبلا ولده المذكور فلاقاه بين القسطنطينية وادرنة والتقى الجيشان ووقع القتال بينهما بقرب أدرنة وجرى بينهما حرب شديد ثم انجلى الأمر عن هزيمة سليم وانتصار ابيه عليه وأراد العسكر ان يطردوا خلف سليم ليقبضوا عليه فمنعهم ابوه السلطان بايزيد وقال أتركوه لعله ينصلح وتوجه سليم هاربا وركب البحر وقصد بلاد كفه فبينما هو فيه اذ بعث السلطان بايزيد الى ولده احمد يدعوه الى ان يقلده الملك وينزل له عن السلطنة حالا فامتنع وقال لا يمكن ان يقبل ذلك في حياة والده تعظيما لوالده وقال أيضا انه يخاف من عسكر الانكشارية لان هواهم ورغبتهم في سليم فلما علم أبوه انه ليس لابنه احمد نصيب في الملك وان الملك لله يؤتيه من يشاء وخاف على الملك ان يتغلب عليه أجنبي أرسل الى ولده سليم يدعوه لينزل عن الملك ويسلمه فقدم سليم بالرأي الحازم والسيف الصارم حتى قرب من القسطنطينية فأمر السلطان بايزيد العساكر ووجوه الامراء والوزراء فاستقبلوه وهنوه بالملك ولما دخل على ابيه قبل يده فدعا له بخير وسلمه الملك وأوصاه بأشياء تليق بالسلطنة ثم أمر من يومه بتجهيز أسباب السفر لابيه للاقامة بمدينة ديمتوقه وقال السيفان لا يجتمعان في قراب واحد فلما كان السلطان بايزيد ببعض الطريق رام ان يتوضأ لصلاة الظهر فوضعوا له السم في الماء فلما توضأ تساقط شعر لحيته فأحس بذلك فقال ردوني فردوه فتوفي قبل ان يصل الى القسطنطينية ثم حمل اليها ودفن بها امام مدرسته التي أنشأها بالمدينة المذكورة وكان مدة ملكه احدى وثلاثين سنة الا اياما لان وفاته سنة ثمان عشرة وتسعمائة وولايته كانت سنة سبع وثمانين وثمانمائة وعمره اثنتان وستون سنة لان مولده سنة ست وخمسين وثمانمائة وله رحمه الله مناقب كثيرة تقدم بعض منها ومن مناقبه انه كان يجمع في كل منزل حل فيه من غزواته ما على ثيابه من الغبار ويحفظه فلما دنا أجله أمر بذلك الغبار فضرب منه لبنة صغيرة وأمر بأن توضع معه في القبر تحت خده الايمن ففعلوا ذلك فكأنه أراد بذلك فحوى قوله صلى الله عليه وسلم من اغبرت قدماه في سبيل الله حرم الله عليه النار ولما توفي السلطان بايزيد المذكور واستقر ابنه (سليم على تخت الملك) نازعه في ذلك أخوه احمد وقصد كل منهما الآخر سنة تسع عشرة وتسعمائة بجيش عظيم فتقاتلا امام مدينة بني شهر فانتصر السلطان سليم وأمر باخيه أحمد فخنق وكان اسماعيل شاه سلطان العجم المتقدم ذكر ترجمته يتعصب للسلطان احمد ويحامي له فلما خنق احمد هرب بعض اولاده والتجؤا الى السلطان الغوري وبعضهم الى اسماعيل شاه فأرسل له السلطان سليم يطلب منه ان يبعثهم اليه فامتنع وكان ذلك من اسباب قيام الحرب والقتال بين السلطان سليم واسماعيل شاه

منه فبلغهم وصوله الى قرن فتأهبوا لملاقاته يومهم ذلك فلما جاس وتأخر في قرن ولم يصلهم استحسنوا ان يعقبوه ويتوجهوا الى مكة وجعلوا له أشياء تفهمه انهم ما زالوا ماكثين في الطائف مستعدين له وذلك انهم أبقوا اشعال النيران وضرب الطبول بالطائف وحواليه وسروا ليلتهم على طريق الثنية فاجاءه الخبر بانحدارهم الاضحى اليوم الثاني وهم في اليوم الثاني قد وصلوا تهامة وسبقوه الى عرفة فرجع القهقرى بنهاية التعب ومزيد النصب الا انه حال بينهم وبين قومهم النازلين على عقبة كرا ثم لما وصل قصدهم الى موضعهم الذي وقفوا فيه للمقاتلة وهو جبل الخطم الكائن على يسار الصاعد الى عرفات وعند ذلك صارت الوقعة بين الفريقين ثم انجلت في مدة طرفة عين وكانت تلك الوقعة من أشد الوقعات وأعظمها فشكا لانه لم يباشر القتال فيها الا الاشراف بأنفسهم وأما القبائل فقد حال بينهم وبينهم وجه الاشراف وجوه الخيل الى العساكر ولم يعملوا الا بالرماح والسيوف البواتر والرصاص عليهم من اجناد الشريف محمد كالمطر المتواتر

مع ماتقدم من انتشار ظلم اسماعيل شاه وسفكه الدماء واهلاكه الحرث والنسل وكان السلطان بايزيد ايضا ولا غيرأحد نازعوا اهليها وقاتلوه فانتصر عليهم ولاحاجة بنا الى ذكر ذلك

﴿ ذكر الحرب بين السلطان سليم واسماعيل شاه سلطان العجم ﴾

ذكر كثير من المؤرخين ان السلطان سليم كان سلطانا قاهرا قوى البطش عظيم القتل كثير الفحص عن اخبار الناس شديد التوجه الى اهل النجدة والبأس عظيم التجسس عن اخبار الممالك عارفا بمسالك الطرق والمهالك وكان يغير زيه ولباسه ويتجسس فى الليل والنهار ويطلع على الاخبار ويستكشف الاسرار وله عدة مصاحبين يدورون تحت القلعة وفى الاسواق والجمعيات والمحافل ومهما سمعوا به ذكروه له فى مجلس المصاحبة فيعمل بمقتضى مايسمعه بعد الوثوق منهم ولما استقر له الملك بعد قتال اخوته وانتصاره عليهم شرع فى قهر الملوك والاستيلاء على الاقاليم والممالك وبدأ بقتال شاه اسماعيل بن حيدر الصفوى وكان ذلك سنة عشرين وتسعمائة وكان السبب فى قتاله ان بعض اولاد اخى السلطان سليم التجأ الى اسماعيل شاه فأرسل يطلبه منه فامتنع مع ماانضم الى ذلك من بغى اسماعيل شاه وطغيانه وافساده فى الارض حتى أهلك الحرث والنسل كما تقدم بيان ذلك فى ترجمة اسماعيل شاه فتوجه السلطان سليم من مقر سلطنته بعسكر كثيف وسار نحو الشرق لقتال اسماعيل المذكور فالتقيا فى مكان يقال له جالدران وكان جيش السلطان مائة واربعين الفا فى اول خروجه من مقر سلطنته ثم أردفها بأربعين الفا ولما التقى الجيشان اشتد القتال بينهما ثم انهزم عسكر العجم هزيمة قبيحة واستولى عسكر السلطان سليم على خزائنهم واموالهم وأكثروا القتل فيهم ولم ينج منهم الا القليل وفر اسماعيل شاه وتحصن بشوامخ الجبال واستولى السلطان سليم على خزائنه وأمواله وخيمه ونسائه ومنع العسكر من المسير خلف المهزومين ودخل السلطان سليم مدينة تبريز وهى كرسى مملكة العجم وصلى فيها الجمعة وخطب باسمه وكان مراده ان يطيل الاقامة ببلاد العجم ليفتح جميع بلادهم ويدخلها فى ملكه ويرتبها لكن اشتد عليه الغلاء لان السلطان الغورى قطع الميرة عن السلطان سليم ومنع السائرين بها اليه لانه كان بينه وبين اسماعيل شاه صداقة ومحبة ومكاتبة حتى ان بعضهم اتهم السلطان الغورى بأنه يعتقد مذهب الرافضة وكان من أسباب الغلاء على جيش السلطان سليم ان اسماعيل شاه كان تحت يده كثير من الغلال والذخائر فلما تحقق الهزيمة عليه امر بحرقها فاحرقت قال القطبي وكان من امر اشتداد الغلاء ان العليقة بيعت بمائتى درهم وبيع الرغيف بمائة درهم قال العلامة القطبي وقد أدركت جماعة ممن كانوا مصاحبين لمولانا السلطان سليم وكانوا يكثرون مجالسته وسمعت منهم حسن مصاحبة السلطان سليم معهم ولطف معاشرته لهم وشدة تيقظه وذوقه وفهمه وتحفظه مع كثرة مطالعته للتواريخ وتفرسه فى اللغة الفارسية وحسن نظمه بالفارسية والرومية بحيث فاق فيه فصحاء الطائفتين ثم قال العلامة القطبي ورأيت بيتين بالعربى بخطه الشريف كتبهما فى علو المقياس فى الكشك الذى أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة والبيتان هما هذان

ومن معه ودفعهم عن تلك الممالك توجه مهزوما الى ناحية الحسينية ونحازت عساكره وطبوله الى الشريف مسعود وكانت هذه الوقعة سابع جمادى الاولى سنة خمس وأربعين ومائة وألف

(ولاية الشريف مسعود ابن سعيد سنة ١١٤٥ وهى الولاية) الاولى فى ٧ جمادى الاولى)

فكانت مدة ولاية الشريف محمد سنة وخمسة اشهر واثنى عشر يوما وقتل فى هذه الوقعة أشراف كرام واصيب آخرون منهم بجروح عظام فممن قتل من الاشراف السيد سليم ابن عبد الله بن حسين ابن عبدالله بن حسن بن ابى نمى أخو السيد محسن بن عبدالله بن حسين وكان السيد سليم هذا قد فعل فى هذا اليوم ماأزهل به عقول القوم لانه حمل على العساكر والجنود حملات تنفطر لهن الكبود حتى قال بعض الاشراف كنا نسمع بشجاعة على بن أبى طالب حتى رأيناها بالعيان من السيد سليم بن عبدالله ولما أحضروه للغسل وجدوا فيه ثمانية عشر ضربة وقتل تحته فرسه المسماة بالجوهرة وهى من الصافنات الجياد المشتهرة وبسبب وقوعها استولوا عليه والافلا قدرة

للوصول اليه وحزن عليه أخوه السيد محسن حزنا كثيرا ورثاه الشعراء بقصائد جعلوها تعزية للسيد محسن

* الملك لله من يظفر بنيل منى ❁ يردده قسرا ويضمن بعده الدركا *
* لو كان لي او لغيري قدر أنملة ❁ فوق التراب لكان الأمر مشتركا *

ونحن هما اصورته وكتبه سليم قال العلامة القطبي ولعمري ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما غاية في البراعة ونهاية في التمكن من الصناعة فيدل على تمكنه رحمه الله في اللسان العربي ايضا لانهما من اعلى طبقات الشعر العربي الفصيح البليغ المنسجم وان كان قد تمثل بهما وهما لغيره فهذه رتبة عالية في حسن التمثل ولطف الاستحضار وفهم الاشعار العربية وذوقه بها وهذا القدر يستعظم ويستكثر على عظماء العجم المكبين على العلوم العربية فضلا عن سلاطينهم المشغولين بضبط الممالك وفتحها ولما فرغ السلطان من قتال اسماعيل شاه واشتد عليهم الغلاء رجع الى الروم وشتى في مدينة اماسية ولما دخل الربيع رجع الى بلاد الشرق وافتتح قلعة كماخ وهي من أمنع الحصون ثم افتتح مدينة بيبورد وارسل وزيره فرهاد باشا بعسكر كثير الى قتال ملك مرعش البستان فانتصر فرهاد باشا واستولى على تلك البلاد وفي هذه السنة أحب اهل آمد أن يدخلوا في طاعة السلطان سليم فأخرجوا واليهم الذي كان من قبل سلطان العجم وأغلقوا أبواب المدينة وأرسلوا يطلبون أميرا من السلطان سليم فعين لهم بقلو محمد بك الآمدي فوصل الى تلك البلاد ثم حاصر مدينة ماردين مدة اربعين يوما وافتتحها ثم افتتح بلاد الموصل وجانة وحديثة وهيت وسنجار وحصن كيفا وجشمزك وحصن سوران وسائر بلاد الاكراد وعامة جزيرة الاكراد فدخلت هذه البلاد كلها في طاعة السلطان سليم ولم تكن قبل من الممالك العثمانية بل كان بعضها عند العجم وبعضها عند ملوك من غير العجم تغلبوا عليها

❁ ذكر محاربة السلطان سليم للسلطان الغوري ❁

وفي سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة قصد السلطان سليم محاربة السلطان الغوري صاحب مصر والشام وحلب لانه كان متواطئا مع سلطان العجم على محاربة السلطان سليم وقد تقدم انه قطع الميرة عنه فخرج من القسطنطينية بجيش مقداره مائة وخمسون الفا وخرج الغوري من مصر بجيش كثيف لمحاربته والتقى الجيشان في مرج دابق بقرب حلب واقتتل العسكران فانهزم جيش مصر وقتل الغوري في المعركة ودخل السلطان سليم مدينة حلب واستقبله اهلها بعلمائهم وصلحائهم حاملين المصاحف على رؤسهم يستقبلون السلطان سليما ويهنونه بالفتح ويسألونه الرفق والصفح فقابلهم بالجميل ودخل مدينة حلب وخطب له فيها وكان الخطباء يقولون في أوصاف سلاطين مصر خادم الحرمين الشريفين فلما خطب الخطيب بحلب قال في وصف السلطان سليم خادم الحرمين الشريفين ففرح بذلك واستبشر مولانا السلطان سليم وعلم أن الله تعالى ينصره على الغوري حتى تكون خدمة الحرمين الشريفين له وخلع على الخطيب حلته التي كانت عليه وكانت تساوي خمسين الف غرش ثم سار الى الشام فاستقبله اهلها بالاكرام والاحترام وسألوا منه الالطاف والانعام فعاملهم بالجميل وصلى عندهم الجمعة وخطب باسمه ومكث بالشام ثلاثة اشهر ونصف ثم سار يريد البلاد المصرية وافتتح في مسيره مدينة

منها قصيدة للفاضل الاديب الشيخ زين العابدين ابن الشيخ محمد سعيد المنوفي يقول في مطلعها مخاطبا السيد محسن

صبراً أباعون تفز بثوابه ❁ من فقد من نزل النعيم ثوى به
صبرا على فقد الكريم أخي الكرم ❁ ابن الكريم الى على أنسابه

وهي طويلة بليغة ذكرها الرضي في تاريخه وممن قتل في هذه الواقعة السيد سعيد بن سليمان بن أحمد ابن سعيد بن شنبر والسيد بشير بن مبارك بن شنبر وغير هؤلاء الثلاثة والذين أصيبوا بالجراحات الهائلة كثيرون ثم ان الشريف محمدا أقام بالحسينية أياما اخلا على بعض الاشراف على قوانينهم المعتادة ثم توجه تلقاء اليمن ولم يزل في مسيره الى أن اتصل بالخواة ثم تنكب ذروة سراة بجيلة ثم رجع الى الطائف فتلقته قبائل ثقيف وقابلوه بالتعظيم والتشريف وعرضوا أنفسهم عليه فاستخدم بهم ونال مقصده الاسنى بسببهم فبلغ حضرة الشريف مسعود اصحاب مكة وصول الشريف محمد الى الطائف وان قبائل ثقيف قائمون لنصرته فنهض وأقبل عليه بمن معه من الجنود وتلاقيا (بيت)

بيت المقدس ثم سار وفتح مدينة غزة وطبرية وصفد واللجون والرملة ووصل الى مصر في الثالث عشر من المحرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وكان قد تسلطن بمصر بعد مقتل الغوري السلطان الاشرف طومان باى قيل ان الغوري خاله وكان معه اربعون الفا من الجراكسة فخرج لقتال السلطان سليم ليمنعه من دخول مصر فوقع القتال بين العسكرين فانهزم طومان باى وعسكره وقتل منهم خلق عظيم ثم قبض عليه وبعد عشرة أيام صلبه السلطان سليم في باب زويلة وأقام السلطان بمصر نائبا عنه خير الدين بيك الجركسي وخرج السلطان سليم من مصر في شعبان من السنة المذكورة وقدم الى دمشق وعين لامارتها مع اعمالها الامير جان بردي فاستولى على مدينة ملطية وديوركي ودارنوه وبهسني وكركر وكاختة والبيرة وعنتاب وانطاكية وقلعة الروم واطاعته قبائل العرب المجاورين للشام ومصر ولما رجع السلطان سليم الى القسطنطينية أخذ في تكثير المهمات والاستعداد لحروب وغزوات جديدة فطلع له دمل في جنبه ولم يزل يتعاظم هذا الدمل حتى اتسع وصار جرحا عظيما واتسع الخرق على الراقع وتعطل السلطان عن الحركة وعجزت حذاق الاطباء في علاجه وكانت توضع الدجاجة في جرحه فتذوب واستطال به ذلك المرض الى ان توفي سنة ست وعشرين وتسعمائة تاسع شوال وعمره أربع وخمسون سنة ومدة ملكه تسعة أعوام وثمانية أشهر

﴿ فائدتان استطراديتان لهما تعلق بالفتوحات المذكورة هنا ﴾

الاولى ذكر كثير من المؤرخين أن العلامة ابن كمال باشا استخرج من القرآن العزيز الاشارة الى الدولة العثمانية وانتصار السلطان سليم وظهور أمره من بعد سنة تسعمائة وعشرين وأن الدولة العثمانية من عباد الله الصالحين وان السلطان سليم منهم فقال ابن كمال باشا ان ذلك كله يستخرج بطريق الرمز والايماء والاشارة من قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون وبيان ذلك ان قوله ولقد اذا حسب على قاعدة الحساب بحروف أبجد يخرج عدده مائة وأربعين ويقابله لفظ سليم فان حساب عدد حروفه يبلغ مائة واربعين وقوله من بعد الذكر اشارة الى ان ذلك بعد تسعمائة وعشرين لانه عدد حروف ذكر بعد اسقاط أداة التعريف على قاعدتهم في ذلك فتكون الاشارة في ذلك سليم بعد تسعمائة وعشرين مكتوب في الزبور أنه يرث الارض وانه من عباد الله الصالحين قيل ان السلطان سليم لما أخبر بهذا الاستخراج فرح واستبشر وكان ذلك من أقوى الاسباب لخروجه لقتال الغوري وقد حقق الله له النصر فظهر بذلك صحة هذا الاستخراج ولله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أسرار كثيرة وله في كل شئ حكمة والله سبحانه وتعالى أعلم باسرار كتابه وبغيرها

﴿ الفائدة الثانية ﴾

ان مولانا السلطان سليما لما استقر بمصر وتم له تملك الديار المصرية كما تم له تملك الديار الشامية اشتاقت نفسه الى تملك الاقطار الحجازية ليقوم بخدمة الحرمين الشريفين فأراد ان يجهز جيشا ويسيره الى الحجاز وينتزعه من عمال السلطان الغوري وكان أمير مكة في ذلك

فانحاز الشريف محمد وثقيف الى جبال هناك شاهقة بحيث لم يكن للخيل بها مجال لوعارة تلك الجبال فتواتر على الشريف مسعود ومن معه الرصاص حتى لم يكن لهم غير التسليم مناص فانهزم

(الولاية الثانية للشريف محمد بن عبد الله بن سعيد سنة ١١٤٥)

واستقل الشريف محمد بالشرافة وتوجه الشريف مسعود بعد أن أخذ الاجلة على المعتاد وتوجه الى مكة فكانت مدة غيبته ثلاثة أشهر وأياما وهي مدة شرافة الشريف مسعود في هذه الولاية ثم استمر الشريف محمد على ولايته الى ان وقعت حادثة غريبة تولد منها فساد وأمور عجيبة وكانت سببا لرجوع الشرافة للشريف مسعود وذلك انه في عشرين من ربيع الاول سنة ست وأربعين ومائة وألف طلع سردار الانكشارية المقيمين بمكة حسين أغا الى بستان بأعلى مكة متنزها بأهله وأولاده وخدمه وبعض أجناده فحصل من بعض جماعته

فتنة في بعض العساكر اليمنية خدام مولانا الشريف محمد فلما سمعت العساكر اليمنية بما أصاب صاحبهم جاؤا وأحاطوا بالموضع الذي فيه حسين أغا المذكور وبادروه برمي

الوقت الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان وقد كان في سنة ثمان عشرة وتسعمائة أرسل ولده الشريف أبانمى الى مصر لمقابلة السلطان الغورى فأكرمه وأشركه مع أبيه في امارة مكة وكان عمر أبي نمى في ذلك الوقت ثمان سنين وكان السلطان الغورى حبس بمصر جماعة من أعيان اهل مكة منهم العلامة القاضي صلاح الدين بن ابي السعود ابن ظهيرة وكان سبب حبسه مع من معه ان الغورى طلب منهم مالا مصادرة وظلما مبلغه عشرة آلاف دينار فعجزوا عن تحصيله فأمر بحملهم الى مصر واعتقلهم في الحبس فلما قتل الغورى وتسلطن طومان بيك أطلقهم وقيل انما أطلقهم السلطان سليم فلما عزم السلطان سليم على تجهيز جيش الى الحجاز اجتمع القاضي صلاح الدين بن ظهيرة بوزير مولانا السلطان سليم وقال له لا حاجة الى تجهيز جيش فان الشريف بركات يكفيكم هذا الامر ويحصل لمولانا السلطان المطلوب وعرفه عظمة الشريف بركات ومنزلته من الشرف والعلم وأنه أول من من يطيع مولانا السلطان ويأخذ البيعة له من أهل الحرمين والاقطار الحجازية ويكفي بدلا عن الجيش ان تبعثوا اليه توقيعا شريفا من مولانا السلطان فعرض الوزير ذلك على مولانا السلطان سليم فاستحسنه وأمر بكتابة التوقيع الشريف للشريف بركات وان يكون ولده أبونمى مشاركا له كما كان في مدة السلطان الغورى وكتب القاضي صلاح الدين للشريف بركات الاخبار بذلك ووجه مولانا السلطان ذلك التوقيع الشريف ومعه خلعتان عظيمتان واحدة للشريف بركات والاخرى لولده الشريف ابي نمى وجعل ذلك صحبة الامير مصلح بيك وبعث معه محملا وكان ذلك على اقبال شهر الحج فلما قدم الامير مصلح مع المحمل ومعه الخلعتان والتوقيع الشريف وخلعة الكعبة المعظمة خرج لمقابلته الى الزاهر الشريف بركات وولده أبونمى وكثير من الاشراف وغيرهم في موكب عظيم ولبس الشريف وولده الخلعتين ودخلوا مكة وأخذوا البيعة لمولانا السلطان سليم ودعوا له في الخطبة وحصلت طاعة الناس وانقيادهم بالرضا والقبول ثم أرسل الشريف ولده الشريف أبانمى سنة ثلاث وعشرين الى مصر لمقابلة مولانا السلطان سليم فقابله وأكرمه وأبقاه على مشاركة أبيه بركات ثم توفي بركات سنة احدى وثلاثين وتسعمائة واستقل ولده أبونمى بالامارة وجاءه التأييد من مولانا السلطان سليم واستمر الشريف أبونمى مستقلا بامارة مكة الى أن توفي سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة وعمره ثمانون سنة لان ولادته كانت سنة احدى عشرة وتسعمائة وكانت مدة ولايته امارة مكة مشاركة لابيه واستقلالا ثلاثا وسبعين سنة ولم يعهد ذلك لغيره من امراء مكة الذين قبله والذين جاؤا بعده وهو جد سادتنا أشراف مكة ولما ورد الامير مصلح بيك الى مكة صحبة المحمل والتوقيع والخلعتين وكسوة الكعبة أقام بعد الحج بمكة بأمر من مولانا السلطان سليم وأجرى له خيرات كثيرة يرجع ثوابها اليه منها انه قرر لمولانا الشريف صاحب مكة خمسمائة دينار زيادة على ما كان له من سلاطين مصر قبل ذلك وكتب دفترا قرر فيه اسماء جماعة من المجاورين ورتب لكل شخص منهم مائة دينار تؤخذ من خزينة مصر وقرر ثلاثين نفرا يقرؤن كل يوم ختمة وعين لكل واحد اثنى عشر دينارا وقسم الامير مصلح ايضا الذخيرة وهي صدقة كانت تخرج من خزينة مصر تخرجها سلاطين

(مصر)

الرصاص وأذاقوا جماعته حر السلاح وأغاروا على جميع ما في أسفل الدار من النحاس والفراش وغير ذلك وقتلوا له عبدا وخادما وحصانين جيدين فبلغ مولانا الشريف محمدا ماصار فركب فورا ليمنع العساكر ويحوز مابقي من الاثاث فلما وصل الى الموضع قام السردار من محله فرحا بمجيء مولانا الشريف وفتح الطاقة ليخاطبه منها فلما وقف بها أصابته رصاصة من بعض العساكر فعاش بعدها ساعة ثم مات ودفن هو وخادما في يوم واحد فتولد من قتله فتن عظيمة ومتاعب على الخلق جسيمة وذلك ان العساكر المصرية تعصبت وتحزبت واستدعوا من كان منهم ببندر جدة فصاروا جمعا عظيما وتفرقوا في بيوت سويقة وغيرها مما قاربها وسدوا منافذ الازقة واخترعوا متارس في تلك الدور فأرسل اليهم مولانا الشريف محمد من يكفهم عن ذلك فأجابوا بأجوبة سقيمة وأصدروا أرقاما الى مصر فيها الاخبار بقضيتهم وان ذلك انما كان عن أمر من الشريف محمد قاصدا به اذهابهم وتدميرهم واستمروا أكثر من شهر على الحال المذكور وليس لهم قدرة على الاقدام على الشريف وقتاله وهو مستقر في داره لم يزل يعاملهم باللطف وأرسلوا في أثناء

مصر للعربان أصحاب الادراك وفقراء أهل مكة فأبقاها السلطان سليم ورتب مولانا
السلطان سليم سبعة آلاف اردب حب لاهل الحرمين الشريفين منها خمسة آلاف لاهل مكة
وألفان لاهل المدينة وجاء الامر للامير مصلح بيك أن يوزع ذلك فجلس في الحرم الشريف
وطلب حضور المفاتي وبقية العلماء والاعيان وقرأ عليهم المرسوم السلطاني واستشارهم
في توزيع ذلك فقالوا له لابد من عرض ذلك على شريف مكة مولانا الشريف بركات فكتبوا
صورة الامر السلطاني وأرسلوه الى مولانا الشريف واستدعوا رأيه العالي في ذلك
فكتب اليهم الجواب يأمرهم بالمبادرة الى امتثال الامر الشريف السلطاني وان يوزع
ذلك على المستحقين بحسب الآراء من اعيان المجلس فاجتمعوا ثانيا بعد وصول الجواب من
مولانا الشريف واتفق رأيهم على بيع شيء من ذلك القمح ليصرف في نقله من جدة لمكة
وبأن يكتب اسماء الناس على العموم ويصرف لكل واحد ما يخصه فكتبوا بيوت كل محلة
وما في كل بيت من عدد الانفار رجالا ونساء وأطفالا وخدما ماعدا التجار والسوقة
والعسكر فبلغ عدد الانفار الذين كتبوهم اثني عشر الفا فخص كل نفر ست رباعي بكيل الربع
الكبير الذي هو اربع كيل عن اربع وعشرين قدحا بالكيل المصري ودفعوا لكل نفر دينارا
من قيمة القمح الذي باعوه لاجل نقله من جدة الى مكة وجعلوا لكل واحد من المفاتي لاربعة
ثلاثة ارادب وزيد في اسماء بعض البيوت بحسب الاعتناء بشأن كبير البيت قال العلامة
القطبي وهذه الصدقة أول صدقات الحب الشريف السلطاني ثم قال فيجب على كافة
المسلمين عموما وعلى أهل الحرمين الشريفين خصوصا الدعاء بدوام سلطنة آل عثمان خلد الله
سلطنتهم مدى الزمان فان دولتهم الشريفة عماد الاسلام واحسانهم مازال متوصلا الى
كافة الانام سيما جيران بيت الله الحرام وجيران نبيه الاطهر عليه افضل الصلاة والسلام
فانهم فازوا بالانعامات الوافرة في ايام هذه الدولة الزاهرة وحازوا من الصدقات المتكاثرة
في نوبة هذه السلطنة القاهرة مالم يتصوروه من الدول الماضية الغابرة فالله تعالى يديم
سلطانهم كما أدام علينا احسانهم اه كلام القطبي وقال العلامة ابن علان ان السلطان سليما
كان كثير المحبة لاهل الحرمين من قبل ان يأخذ مصر وهو اول من بعث اليهم صدقة الحب
انتهى ثم ان السبعة الآلاف الاردب المذكورة لم يزل أبناؤه من السلاطين يزيدون فيها
حتى صار لاهل مكة اثنا عشر ألف اردب ولاهل المدينة سبعة آلاف اردب فالله تعالى
يديم العز والبقاء لهذه السلطنة العثمانية السنية ويوفق كل قائم منهم بها لكل خصلة جيدة
مرضية ومما فعله الامير مصلح بيك من الخيرات لمولانا السلطان سليم أنه جدد بناء مقام الحنفي
بمكة فانه هدمه وجعله قبة بعد أن كان مسقفا على اربعة أعمدة في صدره محراب وكانت صنعة
التسقيف المذكور سنة ثمانمائة وثنتين في مدة سلطنة السلطان فرج بن برقوق واستمر كذلك
الى ان جعله الامير مصلح قبة سنة تسعمائة وثلاث وعشرين واستمر على ذلك خمسا وعشرين
سنة ثم هدمت القبة وبني المقام مربعا وجعلت الطبقة العليا للمكبرين وموضع هذا المقام
كان في الجاهلية موضع دار يجتمع فيها قريش للمشورة ويسمونها دار الندوة ثم اشتراها
معاوية رضي الله عنه في زمن خلافته وصارت ينزلها الخلفاء اذا قدموا للحج ويخرجون

تحزبهم الى الشريف مسعود وكان مقيما بخليص وأرسلوا له شيأ من المال ليستعين به على جمع الرجال
فقبض المال ثم رحل الى
وادي مر وشرع يتألف
الاشراف ويجمع البادية
من الاطراف فوصل الى
مكة الوزير أبو بكر باشا
صاحب جدة بعد مكاتبات
كثيرة صدرت منهم اليه
وكان يماطلهم باللطف
مراعاة لخاطر الشريف
لعلمه أن ماصدر من عسكره
ليس هو مراده ولا هواه
ومع هذا لما وصل قويت
شوكة الاتراك وأرادوا
القتال فأخذ منهم مهلة
ثلاثة أيام ففهموا منه أنه
يريد الاصلاح فهبطت
نفوسهم فهيأ مجلسا فيه
القاضي ومشائخ الاسلام
وأهل الحل والابرام من
أكابر الاروام بعد أن حصل
الاتفاق بينه وبين الشريف
على اصلاح الامر ثم حضر
مع الحاضرين في تلك
القضية واتفقوا على ان
كلا من العساكر يكف
يده الى ان يصل الجواب
من السلطنة العلية وانه
هو يكفل عليهم عدم
الاعتراض ويكفل على
مولانا الشريف وعساكر
بعض كبار السادة الاشراف
وكتب بذلك صكا حافظا
للطرفين وأمر حضرة
الوزير بالنداء بذلك في
المسجد والبلد الحرام ثم في اليوم الثاني أمر العساكر المصرية بالنزول الى جدة ونزل هو بعدهم فلما وصلت العساكر الى جدة أرسلوا

منها الى المسجد للصلاة والطواف ثم خربت وتهدمت وعمرت في خلافة المعتضد سنة مائتين
وثمانين وأدخلت في المسجد وفتحت جوانبها الى المسجد وجعلت سقوفها على أساطين ثم
غير هذا البناء وأعيد على وضع أحسن منه سنة ثلاثمائة وست ثم سنة ثمانمائة وثنتين
الى ان كانت عمارة الامير مصلح ثم غيرت عمارته بعد خمس وعشرين سنة وسيأتي
ذكر ما يكون بعد ذلك وقد كانت مذاهب الائمة الاربعة عليها العمل والاعتماد في الحرمين
وغيرهما من أول ظهور الائمة الاربعة الى ما بعدهم وقد كان الائمة المجتهدون كثيرين
ولكن لم يقدر الله بقاء مذاهبهم وانما بقيت مذاهب الائمة الاربعة وتحررت وتوارد عليها
أنظار العلماء حتى ان اهل السنة والجماعة أوجبوا تقليد مذهب منها لمن لم يكن فيه أهلية الاجتهاد
وحرموا الخروج عنها نقل العلامة السنجاري عن التقي الفاسي ان صلاة هذه الائمة على هذه
الصفة قديمة لكن قال لا أعلم في اى وقت كانت ثم نقل ما يدل على ان الحنفي والمالكي كانا موجودين
مع الشافعي سنة اربعمائة وسبع وتسعين وان الحنبلي لم يكن موجودا وانما كان امام الزيدية
ثم قال ووجدت ما يدل على ان الحنبلي كان موجودا في عشر الاربعين وخمسمائة وفي البحر
العميق وكان عمل هذه المقامات على هذه الصفة سنة سبع وثمانمائة واما كيفية الصلاة في هذه
المقامات فانهم يصلون مرتبين الشافعي ثم الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي وكلام ابن جبير يقتضي
ان المالكي كان يصلي قبل الحنفي ثم تقدم عليه الحنفي من بعد سنة تسعين وسبعمائة واضطرب
كلام ابن جبير في الحنفي والحنبلي لانه ذكر ما يقتضي ان كلا منهما يصلي قبل الآخر وهذا كله
في غير صلاة المغرب أما فيها فانهم يصلون جميعا في وقت واحد ثم بطل ذلك كله في موسم سنة
احدى عشرة وثمانمائة بأمر الملك الناصر بن برقوق وصار الشافعي يصلي بالناس المغرب
وحده واستمر ذلك الى ان ورد أمر من الملك المؤيد صاحب مصر بأن يصلي المغرب الائمة
الثلاثة في وقت واحد كما كانوا يصلون قبل ذلك ففعلوا ذلك وأول وقت فعل فيه ذلك ليلة
السادس من ذي الحجة سنة عشر وثمانمائة اه والحاصل ان الامر كان مختلفا في تقدم بعضهم
وتأخر بعضهم واستقر الامر في عصرنا هذا بعد خروج الوهابي من مكة وجريان أحكام
الدولة العلية بالحجاز من سنة الف ومائتين وثمان وعشرين ان الشافعي يصلي في الصبح أولا
ثم المالكي ثم الحنبلي ثم الحنفي وأما بقية الاوقات فيصلي أولا الحنفي ثم الشافعي ثم المالكي
لكن لا يصلي في المغرب الا الحنفي ثم الشافعي فقط وكان الحنبلي لا يصلي في مقامه الا الصبح فقط
وفي سنة احدى وثلاثمائة والف صدر الامر من سيدنا الشريف عون الرفيق بن المرحوم سيدنا
الشريف محمد بن عون ومن والي ولاية الحجاز السيد عثمان نوري باشا بأن الحنبلي يصلي ايضا
بقية الصلوات غير المغرب وتكون صلاته بعد ان يصلي المالكي واستحسن الناس ذلك لان مكة
قد كثر فيها الخلق المجاورون بها فصار كثير من الناس لا يدركون صلاة الائمة الثلاثة
فيصلون جماعات متفرقة فلما صار الحنبلي يصلي ايضا صاروا يصلون معه ومما يدل على ان الناس
قد كثروا بمكة وزادوا عما كانوا عليه قبل ذلك ما ذكره العلامة القطبي في تاريخه حيث
ذكر أن عمارة مكة زادت وكثر الناس فيها بوجود دولة الدولة العثمانية خلد الله ملكهم الى
ان قال وكنت أشاهد في سن الصبا خلو الحرم الشريف وخلو المطاف من الطائفين حتى اني

شيأ من الذخيرة والدراهم للشريف مسعود بوادي مر وأظهروا التغلب على حكام مولانا الشريف
الذين بجدة بالترهيب
والتخويف واستقلوا
بالبندر وأحكامه وشرعوا
يشدون الذخائر الى الشريف
مسعود المرة بعد المرة
ويرسلون اليه الدراهم
الصرة بعد الصرة الى أن
استقامت أحواله وقويت
آماله فرحل من موضعه
ونزل على الحديبية وبرز
شريف مكة الى طوى
وجعل فيها حصونا ومتارس
وأكثر السادة الاشراف
مال الى الشريف مسعود
لكثرة ما عنده من النقود
وعزم العساكر المصرية
على الرجوع الى مكة بناء
على انهم عساكر السلطان
لحفظ البلد الحرام وأخبروا
انهم اذا ثارت الحرب بين
الشريف محمد والشريف
مسعود يشبون ايضا نار
الحرب من داخل البلاد
اذا أقبل الشريف مسعود
بمن معه من الاجناد ففطن
الشريف محمد لما أضمروه
فبعث من البادية والعساكر
من يحفظ لهم السبل
والمسالك فلما بلغهم ذلك وهم
في أثناء الطريق نزلوا على
الشريف مسعود بالحديبية
ثم رحلوا ونزلوا قريبا من
مكة ولما كان اليوم الرابع
من جمادى الآخرة ثارت
الحرب بين الفريقين واستمرت الى الزوال من ذلك النهار ثم انهزم الشريف مسعود ومن معه من

(أدركت)

أدركت الطواف وحدى من غير ان يكون معى احد مرارا كثيرة كنت أترصده خليا لكثرة ثوابه بان يكون الشخص الواحد يقوم بتلك العبادة وحده فى جميع الدنيا وهذا لا يكون الا بالنسبة الى الانسان فقط وأما الملائكة فلا يخلوا عنهم المطاف الشريف بل يمكن ان لا يخلو عن اولياء الله تعالى ممن لا يظهر صورته ويطوف خافيا عن أعين الناس ولكن لما كان ذلك خلاف الظاهر صار يشار على هذه العبارة كثير من الصلحاء لانه ليس معنا عبادة يمكن ان ينفرد بها رجل واحد فى جميع الدنيا ولا يشاركه غيره فى تلك العبادة بعينها الا الطواف فانه يمكن أن ينفرد به شخص واحد بحسب الظاهر والله أعلم بالسرائر حتى حكى لى والدى رحمه الله ان وليا من أولياء الله تعالى رصد الطواف الشريف اربعين عاما ليلا ونهارا ليفوز بالطواف وحده فرأى بعد هذه المدة خلو المطاف الشريف فتقدم يشرع واذا بحية تشاركه فى ذلك الطواف فقال لها من انت من خلق الله تعالى وقالت له انى من الجن وانى أرصد مار صدته قبلك بمائة عام فقال لها حيث كنت انت من غير البشر فانى فزت بالانفراد بهذه العبادة من بين البشر وأتم طوافه قال وحكى لى شيخ معمر من أهل مكة انه شاهد الظباء تنزل من جبل أبى قبيس الى الصفا وتدخل من باب الصفا الى المسجد ثم تعود لخلو المسجد من الناس وهو صدوق عدى وكنا نرى سوق المسعى وقت الضحى خاليا عن الباعة وكنا نرى القوافل تأتى بالحنطة من بجيلة فلا يجد اهلها من يشترى منهم جميع ما جاؤا به فكانوا يبيعون ما جاؤا به بالاجل اضطرارا ليعودوا بعد ذلك ويأخذوا أثمان ما باعوه وكانت الاسعار رخيصة جدا لقلة الناس وعزة الدراهم وأما الآن فالناس كثير من والرزق واسع والخير كثير والخلق مطمئنون آمنون فى ظلال السلطنة الشريفة خائضون فى بحر انعامها واحسانها ونعمتها الوريفة أدام الله هذه السلطنة الزاهرة وخلد دولتها القاهرة وخلافتها الباهرة وأما بناء المقامات فى المسجد الحرام فأما مقام الحنفى فقد علمت بناءه مما سبق وأما الشافعى فيصلى فى مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام وأما مقام المالكى والحنبلى ففى البحر العميق كان عمل هذه المقامات على هذه الصفة سنة سبع وثمانمائة وفى تاريخ لقطبى بعد ان ذكر عمارة الحريق الواقع فى زمن سلطنة السلطان فرج بن برقوق ذكر ان فراغ العمارة كان سنة سبع وثمانمائة فى مدة امارة مكة للشريف حسن ابن عجلان وأنهم فى تلك العمارة عمروا ما فى صحن المسجد من المقامات الاربعة التى وضعت للمذاهب الاربعة على الهيئة القديمة اه ومقتضى قوله على الهيئة القديمة أنها كانت موجودة قبل هذا التعمير ولم أقف على كتاب فيه ذكر هذا البناء السابق ولا على فعله ولا على تاريخ فعله وعبارة البحر العميق تقتضى ان التعمير الواقع سنة سبع وثمانمائة هو أول احداث مقام المالكى والحنبلى حيث قال كان عمل هذه المقامات على هذه الصفة سنة سبع وثمانمائة ومقام المالكى بين الركن اليمانى والركن الغربى ومقام الحنبلى على حذاء الركن الذى فيه الحجر الاسود وفى سنة ألف وثلاثمائة قال كثير من الناس ان المقام المذكور منحرف وبسبب انحرافه يحصل انحراف لصفوفه يكون سببا لعدم تحقق استقبال القبلة لبعض الصفوف وسببا لانحراف صف الشافعى الاول الذى خلف مقام ابراهيم عليه السلام فان الصف الاول المذكور عند محاذاته مقام الحنبلى

ثم شرعوا فى تدبير أمر آخر وطلبوا من الوزير أبى بكر باشا أن يلبس الشريف مسعودا ويوليه أمارة مكة فامتنع وقال كيف أفعل ذلك وأنتم ذهبتم لقتال الشريف محمد فظفر بكم بعد انقطاع السبل هذه المدة بسببكم وانما يكون هذا فى المستقبل ان شاء الله تعالى لانى قد أرسلت الى الدولة العلية ما حصل فى هذه القضية فأرجوا ان يصل الامر السلطانى ناطقا باسم الشريف مسعود فامتنع الشريف مسعود من قبول هذا الكلام وخرج مضمرا تجديد القتال وأما الشريف محمد فانه لما بلغه نزولهم الى جدة أرسل بعض الاشراف الذين كانوا عنده بمكاتبات لصاحب جدة ومكاتبات لبعض الاشراف الذين كانوا مع الشريف مسعود ويعرض عليهم مقرراتهم وعلائفهم على المعتاد ثم نزل الشريف محمد بنفسه الى جدة بعد خروج الشريف مسعود منها فقابله الباشا بالاكرام والاجلال وسلم للاشراف جميع ما قرر عليه الحال ووسط بعض الاشراف أن يصلح الحال مع الشريف مسعود

وتسليم ألف أحمر علوفة شهر فقبل ذلك منهم فى الظاهر وهو مصر على ما عزم عليه وكان نازلا بقرب جدة ثم سرى بليل على

يحصل فيه انحراف وعدم استقامة فلو جعل مقام الحنبلي متوسطا بين الركن اليماني والركن الذي فيه الحجر الاسود بوضع ليس فيه انحراف لكان اولى ورفع الامر الى امير مكة سيدنا الشريف عون باشا ووالي ولايت الحجاز دولتلو السيد عثمان نوري باشا ثم وقع الاشراف على ذلك بحضورهما وحضور جمع من العلماء والمهندسين فاتفق الجميع على استحسان جعله متوسطا فأنهى الامر الى باب السلطنة السنية وجاء الاذن بذلك من مولانا السلطان عبد الحميد الثاني فهدم المقام المذكور سنة ثلاثمائة وجعل متوسطا كما هو موجود الآن فجاء في غاية الحسن هذا وقد طال الكلام الاستطرادي لارتباط تناسب الكلام مع بعضه تكثير اللفوائد فلنرجع الى تمام الكلام الاول فنقول ان الامير مصلح بيك لما أتم ما كان مأمورا باجرائه بمكة من الخيرات توجه الى المدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام وقسم الصدقات التي لاهل المدينة المنورة وأجرى كثيرا من الخيرات ثم توجه الى دار السلطنة السنية

﴿ ذكر ولاية مولانا السلطان سليمان ﴾

ولما توفي السلطان سليم كان ولده السلطان سليمان ولي عهده وكان غائبا في سروخان واليا عليها فأخفى الوزراء موت السلطان سليم الى ان حضر ولده السلطان سليمان فأجلسوه على تخت السلطنة ثم أظهروا موت السلطان سليم وكان جلوسه على تخت السلطنة من غير مخالف ولا منازع وكان محبا للجهاد ونصرة دين الله ومرغما أنوف أعدائه بلسان سيفه وسنان قناه وكان مؤيدا في حروبه ومغازيه مشهودا في وقائعه ومراميه أيان سلك ملك واني توجه فتح وفتك وأين سافر وسمك وصلت سراياه وجيوشه أقصى الشرق والغرب وافتتح البلدان الشاسعة الواسعة بالقهر والحرب وأخذ الكفار والملاحدة بقوة الطعان والضرب وأيد الدين الحنيفي بحدود سيفه البتار وأقام الملة الحنيفية وأحيا ما لها من مآثر ونصر مذهب السنة السنية وأظهر شعائر الشرائع ودمغ اهل الالحاد وقمعهم فما لهم من ناصر وكان رحمه الله سلطانا رفيع القدر حسن الطالع في الحرب والسلم موصوفا بالعلم والحلم والحزم قال العلامة القطبي في وصفه وكان مجدد دين هذه الامة المحمدية في هذا القرن العاشر فقد ورد ان لكل قرن مجددا شأنه ظاهر هذا مع الفضل الباهر والعلم الزاهر والأدب الغض الذي يقصر عن شأنه كل أديب وشاعر وكان يعرف الألسنة الثلاثة العربية والتركية والفارسية وينظم نظما بارعا حسنا وكان دائم الفكر في أحوال الرعية والمملكة وله ديوان فائق بالتركي وآخر عديم النظير بالفارسي يتداولهما بلغاء الزمان وكان رؤفا شفوقا صادقا صدوقا اذا قال صدق واذا قيل صدق لا يعرف الغل والخداع ويتحاشى عن سوء الطباع ولا يعرف المكر والنفاق ولا يألف مساوي الاخلاق بل هو صافي الفؤاد صادق الاعتقاد منور الباطن كامل الايمان سليم القلب خالص الجنان لا يرتاب احد في كمال ديانته ولا يشك في صلاحه وولايته قال القطبي بعد ما ذكر

※ وما تناهيت في بثي محاسنه ※ الا وأكثر مما قلت ما أدع ※

ولد رحمه الله سنة تسعمائة وجلس على تخت السلطنة سنة ست وعشرين وتسعمائة (في)

الشريف محمد ونهب بيت اغاة العسكر فلما بلغ الشريف محمدا دخوله الطائف توجه من جدة الى مكة ثم عين من عساكره جماعة وجعل عليهم أميرا من السادة الاشراف وأرسلهم الى الطائف فلما صعدوا عقبة يعرج بلغهم أن الشريف مسعودا في غاية القوة فتحصنوا في حصن العبدة رأس عقبة يعرج واستمروا هنالك مدة طويلة لا يقدرون عليه لانحياز ثقيف وغيرهم من العرب اليه ولم يزل هو وهم على هذا الحال لم يقع بينهم قتال والشريف محمد مقيم بمكة ثم أقبل الشريف مسعود بشرذمة من الخيل وقبائل ثقيف ونزل بأعالي مكة المشرفة فخرج اليه الشريف محمد بعساكره اليمنية وتقاتلا صبح اليوم السابع من رمضان من السنة المذكورة واستمر القتال بينهم ساعة من النهار ثم حمل الشريف مسعود ومن معه حملة واحدة على الشريف محمد وأجناده فهزموهم ودخل الشريف مسعود مكة وتوجه الشريف محمد الى الحسينية

(الولاية الثانية للشريف مسعود سنة ١١٤٦)

فكانت مدة ولايته الثانية سنة وثمانية عشر يوما وهذه الولاية الثانية للشريف

في شوال وأطال الله عمره وطول دولته حتى بلغت ثمانية اربعين سنة وشهورا وعاش أربعا وسبعين
سنة وكان رحمه الله عالما كريما حسن الخلق والخلقة فانه كان ذا صورة جميلة ظاهرا وباطنا
وهو الذي أسس قواعد الدولة العثمانية ومهد الملك لهم وسهل الامور وفتح البلاد ووضع
كثيرا من القوانين الموافقة للشرع الموافقة للعباد رحمه الله رحمة واسعة وكان شديد المحبة للغزو
والجهاد للكفار فأكثر الغزوات وفتح الفتوحات

❁ ذكر أول فتح له وانتصار ❁

أول فتح لمولانا السلطان سليمان وانتصار انتصاره على والي دمشق لما خلع طاعته عند
سماعه بموت ابيه وأراد ان يكون سلطانا وهو الأمير جان بردي بك الغزالي وأصل ذلك
ان المرحوم السلطان سليم استخدم من أصحاب الغوري أميرين وهما خير الدين بك وجان
بردي بك الغزالي وكلاهما من الجراكسة وكان بينهما وبين الغوري عداوة وكان
يكرههما وهما يكرهانه فلما كان القتال بين الغوري والسلطان سليم بمرج دابق أمرهما
الغوري أن يتقدما لقتال السلطان سليم وجعلهما مع عسكرهما حجابا امامه ووقف الغوري
مع خواص عسكره الذين يعتمد عليهم متأخرين عنهما وأراد بذلك ان يقتلا بالبنادق في
أول القتال فيسلم هو ومن معه فتفطن خير الدين بك والغزالي لذلك فأرسلا الى السلطان
سليم وطلبا منه الأمان فأرسل السلطان سليم لهما بالأمان وتعهد لهما بما يطيب خاطرهما
وان يوليهما مملكة مصر والشام فقبلا ذلك منه ووافقاه على ذلك قبل القتال فلما تلاقى
العسكران فر خير الدين بك بمن معه من الميمنة وفر الغزالي بمن معه من الميسرة وبقي السلطان
الغوري ومن معه في القلب فهلك من هلك وهرب من هرب وقتل الغوري تحت سنابك
الخيل فلما تم الامر للسلطان سليم واستقر له ملك الشام ومصر قرب خير الدين بك والامير جان بردي
وأدناهما ثم ولى الامير جان بردي دمشق والامير خير الدين مصر فعلا شأنهما
وتمشى ذكرهما فلما بلغ الامير جان بردي والي دمشق وفاة السلطان سليم خلع الطاعة
وأراد أن يتسلطن بدمشق ونواحيها فجمع جموعا وسار الى مدينة حلب ليستولي عليها
فحاصرها مدة فلم يقدر عليها وكان نائب حلب اذذاك قرجه احمد باشا فجد في دفعه واجتهد
فرجع جان بردي الى دمشق وزاد في تحصين القلعة وترميمها فأرسل اليه السلطان سليمان
وزيره فرهاد باشا في عسكر كثير فالتقوا مع عسكر جان بردي في موضع يقال له المصطبة
بأرض القابون وذلك في صفر سنة سبع وعشرين وتسعمائة فانهزم جان بردي وعسكره
وذهبوا تحت أرجل الخيل ولم يبق له ولا لجنوده اثر وقال القطبي انهم قبضوا عليه وقتلوه
وقطعوا رأسه وأرسلوه الى الباب العالي فدخل فرهاد باشا الشام ورتب أمورها ورجع الى
دار السلطنة فخلع عليه السلطان وزاد في قدره ورتبته

❁ ذكر غزوات مولانا السلطان سليمان ❁

الغزوة الاولى قتال قرال انكروس لارش ويقال لهم المجركان من سعودات السلطان سليمان
أنه في اول ولايته كان بين دول الافرنج اختلاف واضطراب وفتن كانت بين الفرنسيس
واسبانيا وايطاليا فاغتنم السلطان سليمان هذه الفرصة وزحف بعسكر جرار سنة سبع

مسعود وكان دخوله مكة يوم الخميس السابع من شهر رمضان سنة ألف ومائة وست وأربعين فأمن البلاد
والعباد وانتظمت دولته
وبعد دخوله بيومين قتل
بعض اخوانه رجلا مغربيا
ينسب للعلم الا أنه كان مسلوب
الاختيار يجانس النساء
في اللبس والمشية وكان له
بالشريف محمد محبة واتصال
بما توهم فيه من العلوم الغريبة
كالسحريات والطلسمات
وما أشبه ذلك مما يستعين
به على دفع الشريف مسعود
واتفق في الواقعة التي
صارت بأسفل مكة وانهزم
فيها الشريف مسعود أنه
حضر هذا الرجل وكان
يقابل الشريف مسعودا
وقومه ويقرأ بعض الاشياء
ويرمي نحوهم بالحجارة
والرمل الى ان نهزموا
فصار له محلة عند الشريف
محمد ثم لم يزل يتظاهر بذلك
ويتمدح به حتى قتل بسببه
ولما دخل الشريف مسعود
الطائف واستمر تلك المدة
الطويلة من غير سبب مع
توافر الجنود من البادية
عنده نسبوا ذلك التعطيل
الى هذا المغربي وكل هذه
الامور كانت ترفع للشريف
مسعود في مراسلات
خواصه ثم لما كان قضاء الله
لا مفر عنه مشى ذلك المغربي
بنفسه الى الطائف ليكون
عمله برأي من الشريف
مسعود فلما وصل الى الطائف ذهب الى الشريف مسعود بنفسه ولم يكن الشريف مسعود يعرفه فعرفوه به فقبض عليه

وعشرين وتسعمائة وكان رحمه الله محبا للجهاد فى سبيل الله باذلا نفسه وخزائنه لاعلاء كلمة الله لم ترتفع راية الاسلام على رأس أحد من السلاطين العظام أكثر منه جهادا ونصرة للدين فبرز بجيوشه بنفسه من القسطنطينية يوم الاحدى عشرة ليلة مضت من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وتسعمائة بعسكر جرار وجيش كثير وأمر بتجهيز اساطيل كثيرة بحرا لجعل منها خمسين للمجاهدين وأربعمائة للدواب والاثقال وسيرهم حتى دخلوا فى نهر الطونة فأرسوا بقرب بلغراد وهو مدينة حصينة لها سور منيع وقد أحاط بها نهران عظيمان وهما نهر الطونة ونهر منارة قيل ان السبب فى هذه الغزوة ان الجر قتلوا المباشر الذى كان عندهم من طرف السلطان لجمع الخراج فكان ذلك سببا لغضب السلطان وجعل السلطان خروجه على طريق وارنه ومعه عساكر كثيرة وبعث جيشا حاصروا قلعة بوكردلوه وهى قلعة حصينة على شاطئ نهر صاوه فحاصروها حتى ملكوها ثم توجهوا الى بلغراد ثم لحق بهم السلطان وصاروا جميعا محاصرين بلغراد ولم يزل يشتد الأمر ويعظم القتال حتى فتح الله على المسلمين وقتلوا كثيرا من الكفار وفازوا بغنائم لا تحصى واستولى السلطان على بلادهم بعد أن أخرب كثيرا منها فلما شاهد الكفار هذا الفتح العظيم جاؤه بمفاتيح ثلاث قلاع منيعة هناك ثم أمر السلطان بتعمير ما تهدم من قلعة بلغراد وعين لها أميرا وقاضيا ورجع الى كرسى سلطنته سالما غانما فى شهر ذى القعدة الحرام من سنته

﴿ الغزوة الثانية غزوة رودس ﴾

هى جزيرة فى وسط البحر ما بين القسطنطينية ومصر وبنى الكفار بها حصنا حصينا مكان فى غاية الاستحكام مكينا جعلوه لاخذ المسلمين وأتقنوه فى غاية الاتقان والتمكين بحيث رسخ اساسه الى تخوم الارضين وارتفع رأسه الى نجوم الشرطين والبطين ينظرون من أعلى القلعة الى السفائن التى تمر فى البحر من مسافة بعيدة فيتهيؤن للتحصن ان كان ذلك عسكرا من المسلمين ويأخذونهم ان كانوا من سفار البحر وتخذته النصارى معبدا يجهزون أموالهم اليه لتصرف فى استحكام بنائه واتقانه وجعلوا من أعلاه الى أسفله من جميع جوانبه ثقوبا وضعوا فيها المدافع الكبيرة ترمى على من يقصدها من الخارج فتصيب كل من قصدها من جميع الجهات ولها باب من حديد وسلسلة عظيمة فى وسط البحر تمنع المراكب من الوصول الى الباب ويهيؤن أغربة مشحونة بالسلاح والمدافع والمقاتلة اذا أحسوا بسفينة فى البحر من الحجاج أو التجار أخرجوا اليها تلك الاغربة وأخذوها وغنموا ما فيها من الاموال وأسروا المسلمين فيقطعون الطريق على هذا الأسلوب ويجمعون الاموال ويصرفونها على مقاتلتهم وكان هذا دأبهم وعجزت ملوك المسلمين عن دفع ضررهم وعم أذاهم المسلمين وقد تكرر غزو المسلمين بلاد رودس وتكرر انتقاضهم وقد تقدم بعض ذلك فلما تحقق السلطان سليمان كثرة الاذى الحاصل للمسلمين من أهل رودس تجهز بنفسه لغزوهم وقتالهم وكان سفره الميمون اليها ونزوله وخيمه الشريف فى اسكدار متوجها الى هذا الغزو لعشر بقين من شهر رجب سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وكان وصوله الى رودس ونزوله عليها فى شهر رمضان من السنة المذكورة وكان عدة

وحبسه وأهانه وأمر جميع الخدم ان يبولوا عليه ليبطل سحره الذى معه ثم بعد ذلك مع قضاء الله توفرت دواعى المسير معه على صاحبه بمكة المشرفة وكلما نشط من عقال ولما توجه الى مكة كان ذلك المغربى معه فى السلاسل والاغلال وأفهمه بأنه ان صار لنا انتصار عفونا عنك وان لم يصر لنا انتصار أهلكناك فقال هكذا يكون فحصل له النصر بحمد الله فلما وصل الى مكة وضعه بعض الخدم فى الحبس الى أن يطلبه مولانا الشريف مسعود وينعم عليه ويطلقه كما وعده فحدثت منه حادثة أوجبت الفتك به بدون اطلاع مولانا الشريف مسعود وهو أنه هرب من الحبس والتجأ الى بعض بيوت نساء الاشراف آل زيد فلحقه أخ لمولانا الشريف مسعود ففتك به وكانت هى القاضية ودفن بالمعلى فى مقبرة الشيخ محمد بن سليمان ثم بعد استقرار الامر للشريف مسعود حصل تنافر بينه وبين السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن ابن أبى نمى زعيم الاشراف فى ذلك الوقت ورئيسهم فتوجه السيد محسن الى الابواب السلطانية صحبة الوزير سليمان باشا بن العظم أمير الحاج الشامى ووعده بان يتم له أمر شرافة مكة فلما حط رحاله بالشام عرض لمزاجه بعض الآلام ولم يزل يتزايد به ذلك الالم

(جيش)

الجيش الذى جهزه مؤلفا من مائتى ألف مقاتل وسفائن بحرية تبلغ أربعمائة سفينة فأحاطت الجيوش براوبحرا بجزيرة رودس وحاصروها فأرسل ملكها يستنجد بملك الفرنسيس وملك أسبانيا فلم يجيباه لما كان بين ملوكهم من الفتن فأرسل البابا صاحب رومة اليهما يحثهما على المدافعة والمحاماة عن تلك الجزيرة لانها من الحصون المانعة للمسيحيين من مصادمة العثمانيين فلم يلتفتا الى كلام البابا وفى رابع رمضان طلع السلطان سليمان على محل رفيع مشرف على حصن رودس فرآها قلعة حصينة كان بانيها ماهرا فى الهندسة بحيث انه بنى سور القلعة تحت الارض وعمل لها خندقا عريضا عميقا وجعل للبلد سورين فى عرض سبعة أذرع وملأ ما بينهما وهو مقدار عشرة أذرع بالتراب والحجارة ولها من جانب البحر مينا عظيمة مدورة كالحوض ولها باب مخصوص جعلوا عليه سلسلة من حديد ولها بعض بروج تناغى فى الرفعة والاحكام سمك السماء وحضر خير الدين بك صاحب مصر فى أربعة وعشرين غرابا أمدادا للمسلمين واستمروا فى أمر الحصار يقاتلونهم بالبنادق والمدافع مدة تزيد على ثلاثين يوما وقيل بل ستة أشهر فلم يغنوا شيأ قال العلامة القطبي وما أمكن من فى البحر ان يقرب من حصار رودس للخندق العظيم الذى حولها مع صونه بالمدافع العظيمة ولا أمكن ايضا القرب منها للسلسلة الممدودة من الحديد فى البحر والرمى على من يقربها بالمدافع الكبار فصاروا يصيبون المسلمين بالمدافع ولا يصيبهم مدافع المسلمين لمتانة عرض الحصن وعدم تأثير المدافع فيه فتأخرت عساكر البر قليلا وأمروا بسوق الرمال والتراب أمثال الجبال وتترسوا بها وصاروا يقدمونها قليلا قليلا الى ان وصل التراب فى الخندق وامتلأ به وقرب من الجدار وارتفع عليه فصار الكفار تحت المسلمين يصابون ولا يصيبون فطبق الخنادق ونقب الاسوار من تحت الارض ثم انهم ملؤا النقوب بالبارود وأضرموها بالنار فانفتح بسبب ذلك عدة من مواضع يمكن العبور منها الى القلعة فلما شاهد الكفار ذلك طلبوا الامان فأمنهم السلطان ثم رجعوا عن ذلك لانه أتاهم مدد من الكفار فى عدة مراكب فى الليل فشرع المسلمون فى الحرب ثانيا قيل انهم ضربوا على رودس اكثر من مائتين وعشرين الف مدفع فصارت خرابا حتى اضطر الكفار وطلبوا الامان وأرسل أمير القلعة خمسين نفرا من كبارهم بالرسالة فقبل السلطان سؤاله فأمنهم وأذن لهم فى المسير مع جماعة وأمرهم ان يطلقوا أسارى المسلمين الذين كانوا عندهم وكانوا عددا كثيرا مأسورين عندهم من الاشراف والاعيان والعباد من مدة متطاولة فى سلاسل واغلال فأطلقوهم وخرج صاحب رودس وتبعه أربعة آلاف من اهل رودس فأعطاهم البابا مدينة ويتمر به من بلاد ايطاليا فأقاموا فيها الى ان نقلهم الملك شركان امبرطور اسبانيا الى جزيرة مالطة فنسبوا اليها فكانوا يقال لهم شقالربه مالطة وصارت من ذلك العهد دار اقامتهم الى ان استخلصها منهم بونابارت وهو آت الى مصر سنة الف ومائتين وثلاث عشرة ثم دخل المسلمون عسكر السلطان سليمان مدينة رودس وأخربوا الكنائس وجعلوها جوامع ثم رتب السلطان امور رودس وجعل الجزية على من بقى بها وكان فتح رودس لست مضين من شهر صفر الخير سنة تسعمائة وتسع وعشرين وحصل لاهل الاسلام غاية الفرح والسرور

والعشرين من صفر من السنة المذكورة ودفن بجانب قبر الشريف يحيى ابن بركات رحمهما الله تعالى

(عدد أولاد السيد محسن ابن عبد الله جد ساداتنا آل عون ووفاته بالشام سنة ١١٤٧)

وأعقب من الاولاد السيد عونا والسيد أحمد والسيد حسنا والسيد عبد الله ورثاه بعض الشعراء بقصائد منهم الشيخ تاج الدين المنوفى ومطلع قصيدته

رحمة الله لم تزل تتوالى * وبلها دائما وفى الزياده

فوق رمس به لقد حل مولى * أشرف كان عقد جيد السياده *

محسن الاسم وهو فى الوصف بر * حسن صير المكارم عاده *

الى ان قال فى البيت الاخير وفيه التاريخ

واروا تاريخه بفوز ندى * نال بالشام محسن للشهاده *

وأما الشريف محمد بعد انهزامه فانه صار ينتقل فى أماكن كثيرة الى أن صار مستقره بخليص سنة ألف ومائة واحدى وخمسين وحصل له تعب شديد ووعده قبائل حرب بالقيام

معه والنصرة له ولم يقع منهم شئ من ذلك ثم اجتمع بامير الحج الشامي الوزير

بهذا الفتح العظيم وعمل الناس لذلك تواريخ ألطفها — يفرح المؤمنون بنصر الله
وفتحت عدة قلاع في ذلك العام ورجع السلطان الى القسطنطينية — ٩٢٩
كرسي ملكه سالما غانما

ذكر عصيان أحمد باشا والي مصر وخلعه السلطان وأخذه البيعة من الناس لنفسه

كان السلطان سليمان له وزير مقرب تربى معه ونشأ في خدمته وملازمته اسمه ابراهيم باشا وكان لوالده السلطان سليم وزير آخر يسمى احمد باشا فظن ان وزارة الصدارة لا تتعداه الى غيره لكونه من خواص مماليك السلطان سليم ووزرائه فأعطى السلطان سليمان الصدارة لابراهيم باشا فزاحمه أحمد باشا وصار يخدم السلطنة في كثير مما يتعلق بالصدارة فشكاه ابراهيم باشا الى السلطان ودبر في ازالته من ذلك المكان فطلبه السلطان سليمان وجعل له ولاية مصر وأعطاه أقطاعا كثيرة يستجلب بها خاطره فمضى الى مصر واليا وصار يتعقبه ابراهيم باشا في أشياء كثيرة للعداوة السابقة ويرميه عند السلطان بما يوجب قتله فبرز الامر لجماعة من الامراء المستحفظين بمصر أن يجتمعوا عنده ويقتلوه في محله بالامر الشريف السلطاني ويتولى أحدهم مكانه الى ان يرد الامر الشريف باقامة من يختاره السلطان وأرسلت هذه الاحكام الى الامراء المذكورين فوقعت تلك الاحكام بيد أحمد باشا قبل ان تصل الى الامراء المذكورين فجمعهم في ديوانه وذكر لهم ان الامر الشريف السلطاني ورد اليه بقتلهم فأذعنوا للامر الشريف فقتلهم ثم سولت له نفسه العصيان وظن انه يأوي الى جبل يعصمه من السلطان وانه يقابل ويقاتل بجيش يلفقه من مصر فأبدى الطغيان وادعى السلطنة لنفسه وأمر الناس ان يبايعوه وأمر ان يخطب باسمه على المنابر في أيام الجمع ورتب عسكرا بمصر من العوانية وضرب السكة باسمه على الدراهم والدنانير وصادر الناس وجمع المال الكثير وعصى عليه أهل قلعة الجبل وجمع عليهم الشطار فأخذوها بالحيل وقتلوا من فيها من عسكر السلطان وأوقد نيران الفتنة والعصيان وكان ممن حبسه للمصادرة جانم الحمزاوي ومحمود بيك وأراد قتلهما وقد أخر الله أجلهما فسمعا أنه دخل الحمام فكسرا الحبس وبرزا ونصبا صنجقا سلطانيا ونادى يا من أطاع السلطان فليقف تحت لوائه فاجتمع تحت الصنجق السلطاني خلق كثير وجم غفير وصار سردارهم محمود بيك وجانم الحمزاوي بمثابة الوزير وتوجها بالعسكر الى الحمام فكبسا أحمد باشا وقد حلق نصف رأسه واعجل النصف الثاني هجوم العسكر السلطاني عليه فهرب الى السطح وتخلص من مكان الى مكان وخلص الى البر والتجا الى شيخ من مشايخ العرب بناحية الشرقية يسمى عبد الدائم وقوي العسكر السلطاني ونهبوا ما جمعه من الاموال بالظلم والمصادرة وخرجوا اليه يطلبونه وخوفوا عبد الدائم وحذروه من عصيان السلطنة فأتاهم به فقطعوا رأسه وطافوا بها مصر وعلقوها في باب زويلة ثم جهزوها الى الاعتاب السلطانية وذلك في سنة تسع وعشرين وتسعمائة وضبط مصر محمود بيك وجانم الحمزاوي الى ان جاء قاسم باشا من دار السلطنة متوليا مصر واستمر ابراهيم باشا في وزارته العظمى ثم أرسله السلطان وهو وزير أعظم الى مصر لاصلاحها فجاء اليها

الى مكة توسط بينه وبين عمه الشريف مسعود بالصلح حتى أصلح بينهما على شروط وأخذ من كل منهما واثائق وعهود ولما جاء الشريف محمد الى مكة فقابله عمه مسعود بالاعزاز والاكرام وتقرر كل ماله ولجميع الخدم واستمرا على الاخوة والصفاء وفي سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف حصل بمكة سيل عظيم ملأ المسجد الحرام الى باب الكعبة واتفق انه كان حصوله يوم الجمعة فلم يحصل للخطيب طريق الى المنبر فخطب في دكة شيخ الحرم التي في باب الزيادة وصلى الجمعة ومعه خمسة أنفار وفي سنة خمس وخمسين ومائة وألف بعث مولانا الشريف مسعود عساكر وفرسانا من السادة الاشراف لقتال الاشراف ذوي حسن المقيمين بالشاقتين بطريق اليمن وهم ينسبون الى الحسن بن عجلان بن رميثة يجتمع نسبهم مع الاشراف آل أبي نمي في الحسن بن عجلان المذكور فهؤلاء الاشراف ذوو حسن سكنوا في أطراف اليمن بالشاقتين وأقاموا هنالك حتى صاروا عددا كثيرا وملكوا أملاكا وزرعوا مزارع وتصرفوا في الاعراب المجاورين لهم ونفذ أمرهم فيهم وانقادوا لهم وصار لهم هناك شأن

بغاية العظمة والاقبال ونظر في أحوالها وأموالها وولى على مصر قاسم باشا ورجع ابراهيم باشا الى دار السلطنة فكان مقبولا معظما عند السلطان نافذ الامر وانتهى الى أن أفرط في الدلال وزاد في الادلال فاستبد بالامور واستقل بمصالح الجمهور فأنفت الغيرة السلطانية من ازدياد دلاله وما تحملت زيادة عجبه وادلاله وكثر حاسدوه فوشوا به الى السلطان سليمان وقالوا له انه يريد قتل السلطان والجلوس على تخت السلطنة فلما بلغ السلطان سليمان ذلك أراد أن يختبر حقيقة الامر فقال يوما لابراهيم باشا وهما في مجلس انس اني اريد أن أجعل السلطنة لك فقال العفو يا مولانا السلطان فان العبد لا يبلغ مرتبة السيد فقال له السلطان لابد من ذلك فقال ابراهيم باشا يكفي ان يتفضل مولانا السلطان علي بأن يأمر في دار الضرب ان يجعلوا على وجه السكة اسم مولانا السلطان وعلى الوجه الآخر اسمي فاني أكتفي بالمشاركة في السكة فلما اطلع السلطان على صحة ذلك الامر بالقرائن التي ظهرت له أمر بقتله فطلبه السلطان في ليلة من ليالي أواخر رمضان الى عنده وأنعم عليه على جاري عادته بنفائس انعامات وافره ووهب له جميع ما كان في مجلسه من أواني الذهب المرصعة بالجواهر الغالية وطيب خاطره وطيبه بالعنبر والمسك والغالية وأمره ان يبيت عنده في مجلس خاص به كان عادته أن يبيت فيه وصبر عليه الى ان غلب السلطان النوم على مقلته وأماقيه فأمر بذبحه فذبح وأخطأ الذابح نحره فصاح مستجيرا وكان السلطان قريبا من موضعه وقد صمم في أمر قتله فأمر ان يكمل ذبحه فقطع رأسه واطفئ نبراسه وأخمدت أنفاسه ولعل كثرة احسانه الى الناس ونشر مكارمه التي زادت على الحد والقياس نفعته عند الله تعالى في الدار الآخرى ولعله صدقت نيته في بعضها فصادفت قبولا وصارت له عند الله ذخرا فكم من عمل صالح يكون سببا للنجاة من النار ويدخل به صاحبه الجنة مع الشهداء الأبرار وما ربك بظلام للعبيد وكان قتله في الليلة السادسة والعشرين من رمضان سنة تسعمائة واحدى واربعين وفي قصته وقصة احمد باشا خصمه عبرة للناظرين وأولي الابصار والمستبصرين ورحم الله القائل

و مصاحب السلطان مثل سفينة ✻ في البحر ترعد دائما من خوفه
ان أدخلت من مائه في جوفها ✻ أدخلها وماءها في جوفه

وفي سنة ثلاثين وتسعمائة هلك سلطان العجم اسماعيل شاه وقام بالملك بعده ولده طهماسب شاه

✻ ذكر استغاثة ملك الفرنسيس بالسلطان سليمان ✻

في سنة اثنتين وثلاثين حضر الى دار السلطنة رسل من ملك الفرنسيس ومعهم مكاتبة لمولانا السلطان سليمان مضمونها الشكاية اليه من تغلب بعض الملوك اعدائه على مملكته فهو يستغيث بمولانا السلطان سليمان ويطلب منه ان ينجده بمدده وذكر في تلك المكاتبة تفخيما وتبجيلا وتعظيما كثيرا لمولانا السلطان يستعطفه به فأجابه الى مطلبه وأنجده وجهز له جيوشا كثيرة برا وبحرا فكانت تلك الجنود مع الفرنسيس الى ان انقضى مرامه ودفع المتغلب عليه بل غلبه وقهره فمن ذلك الوقت صار الفرنسيس يعدون أنفسهم خدما وأتباعا للدولة العثمانية

✻ الغزوة الثالثة الى الانكروس ✻

في سنة اثنتين وثلاثين وقيل اربع وثلاثين بلغ مولانا السلطان أن طائفة الانكروس وهم

عظيم وهم بطون كثيرة فحدثت منهم أمور هائلة من القتل والنهب وقطع الطريق فشمر مولانا الشريف مسعود ذيل الهمة وجهز عليهم جيشا من العسكر والاشراف وقبائل آخرين وجعل أمير هذا الجيش ومدبر أمرهم ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله ابن سعيد المتقدم ذكر صلحه مع عمه الشريف مسعود بعد ما كان بينه وبينه من الحرب الشديد فسار عليهم بذلك الجيش الى منازلهم على مسافة خمسة أيام عن مكة فلما قرب منهم ارتحلوا من منازلهم وقصدوا مواضع حصينة تحصرهم في تلك المواضع التي تحصنوا فيها وأخذ ما ند من نعمهم وأتباعهم وظفر بمن دله على دفائنهم من الحبوب والادباش والذخائر والاموال فأمر العساكر بأخذها والانتفاع بها ولم يزل محاصرا لهم فلما اشتد عليهم الحال فروا في ليلة من الليال الى جبال بني سليم فلحقهم الشريف محمد ومن معه بتلك الجبال وحصرهم ثم كان نتيجة هذا الحصار ان قبض على شيخهم عساف وابنه وجماعة من كبارهم وبعث بهم الى الشريف مسعود وأقامهم بالسجن حتى ماتوا بالجدري ودخل بقية جماعتهم تحت الطاعة فأمنهم فرجعوا الى منازلهم واستقامت أحوالهم وفي سنة سبع وخمسين

الدولة العلية في العراق واستولى عليها وأرسل كتابا لمولانا الشريف مسعود صاحب مكة يقول فيه انه حصل الوفاق والاتفاق بيننا وبين الدولة العثمانية على اظهار المذهب الجعفري وان يصلي امام خامس في جميع الاوقات في كل الجهات يصلي الصلوات الخمس بلا معارضة وأن يدعى لنا على المنابر والمقام كما يدعى للدولة العلية في جميع ممالك الاسلام ؤواصلكم امام مذهبنا السيد نصر الله فدعوه يصلي بالناس صلاة خامسة بالمسجد الحرام وجعل في كتابه شيأ من التهديد والترهيب فحصل لمولانا الشريف كرب عظيم من هذا الامر وكذا أهالي مكة حتى أزعج سكان أم القرى ماطلبه من اظهار مذهب الرافضة مع ان جميع ماذكره من الاتفاق زور وبهتان على دولة آل عثمان أدامها الله تعالى فاستحسن مولانا الشريف أن يرسل صورة الكتاب للدولة العلية ويستمهل الرسول مدة الذهاب والاياب وأن يعامل الرسول بالملاطفة والاكرام ولم يرض الوزير أبو بكر باشا صاحب جدة بهذا (السلطانية)

المجر كثر بغيهم وفسادهم وطغيانهم وتكرر ذلك منهم المرة بعد المرة ولم ينجع فيهم التخويف والموعظة فتجهز مولانا السلطان لقتالهم وجهز لهم جيشا يبلغ مائتي ألف مقاتل وقيل ثلاثمائة ألف وخرج بنفسه فلما وصل الى بلغراد لم يزل متغلبا لفتح الحصون والقلاع وجاء أكثر أهلها يطلبون الامان وسلموا مفاتيح القلاع ثم سار مولانا السلطان حتى انتهى الى نهر صاوة وهو من أعظم أنهار الدنيا بأمر مولانا السلطان فاتخذوا عليه جسرا عند أمام قلعة هرسك فاجتاز العسكر منه الى بلاد الكفار ثم أمر السلطان برفع الجسر فرفع وبقي المسلمون في بلاد الكفار وذلك يدل على شهامته وقوة عزمه وقطع أطماع العسكر من الفرار الى بلادهم ولما سمع القرال لارش ويقال له ايضا لارس وهو رئيس كفار انكروس أعني المجر جمع جنوده وسار بهم من كرسي مملكته الى طرف عسكر المسلمين نحو خمس منازل يريد مهاجمة المسلمين وان يبادرهم في القتال اغترارا بمن معه من الجنود وخيم في مفازة هناك تسمى صهارح وأشرف المسلمون على محل الكفار وربوة لقتال فرتبوا الميمنة والميسرة والقلب وأخذوا اهبة الحرب وتضرع السلطان الى الله تعالى وسأله النصر وتوجه اليه بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل امام العسكر في هيئة الحاجز بين العسكرين مائة وخمسين عجلة كانت تجر المدافع الكبار وركبوا عليها المدافع وقيدوا بعضها ببعض بالسلاسل ووقف عساكر السلطان الانكشارية تسعة صفوف كما هي عادتهم في الحرب وهجم الكفار بأجمعهم على القلب فرأوا انه لاسبيل الى العبور بسبب العجلات فانحازوا الى طرف اليمين فوقع بينهم وبين عسكر المسلمين أهل روملي مقتلة عظيمة فلما علم الكفار أنهم لاطاقة لهم بهم انحازوا الى طرف عسكر اناطولي فاقتتلوا ايضا معهم قتالا شديدا وكان قد أصاب رئيس الكفرة القرال لارش مدفع من جهة المسلمين كان به هلاكه وتلفه فتضعضعت جنوده عن المقاومة وامتد القتال الى غروب الشمس ثم انتصر المسلمون وانهزم الكافرون وصاروا كحمر مستنفرة فرت من قسورة فتبعهم المسلمون وقتلوا منهم مقتلة عظيمة حتى صارت أجساد الكفار كالتلال وجرت الدماء كالسيل وغنم المسلمون من الاموال والدواب شيأ لايحصى وقيل ان القتلى من الكفار عشرون ألفا ثم أغار الجند على بلاد انكروس وتوغلوا فيها مسيرة عشرة ايام وجاؤا بالاسرى والغنائم واستولى مولانا السلطان على الحصون والقلاع الواقعة في الجهة الجنوبية من تلك المملكة ثم رجع قافلا الى القسطنطينية في أواخر شهر ذي القعدة الحرام من السنة المذكورة

✲ الغزوة الرابعة الى بلاد النيمسا وقرانز ✲

كانت هذه الغزوة سنة خمس وثلاثين وتسعمائة وسببها انه اجتمع كفار النيمسا والمان وقرانز وأغاروا على قلعة تسمى بدون اخذوها من المسلمين بحيلة وعلى غرة وغفلة فلما بلغ الحضرة السلطانية مافعلوه استشاط غيظا وأمر بالتجهز للغزو لحصل قمعهم فبرز من دار السلطنة الى حلقة لو بكار البلتين مضتا من رمضان سنة خمس وثلاثين وتسعمائة واستمر رحلا بجيوش كثيرة الى ان وصل الى المخيم العالي فجاءته امرأة من ملوك انكروس تطلب الامان لجماعة من قومها والتزمت بخراج انكروس كل عام فقوبلت من الحضرة الشريفة

السلطانية بالقبول وخلع عليها الخلع الفاخرة وكتب لها بالامان وعادت الى بلادها واستمر الوطاق السلطاني وتوجه كثير من العساكر الى محاصرة قلعة بدون التي كانوا أخذوها فحاصروها وضيقوا على من فيها الى ان فتحها الله كما فتح سائر البلاد وخذل اهل الكفر والعناد وكان فتحها بعد حرب شديد ثم واواها هاربين ومأسورين ومقتولين لاربع مضين من محرم سنة ست وثلاثين ثم فتحت قلعة تياق حصاري ثم توجه العساكر الى محاصرة قلعة أخرى قريب تخت النمسا كانت من أعظم قلاع الكفار فأحاط الجند بها وحاصروها فطلب أهل القلعة الامان وأتوا بمفاتيحها الى حضرة مولانا السلطان ولما كانت القلعة المذكورة بعيدة عن حدود الاسلام غير مأمونة من هجوم الكفار أمر حضرة مولانا السلطان بهدمها فهدمت وأخربت ونهبوا من كانوا نازلين بأطرافها وحواليها وسبيت أولادهم ونساؤهم وعاد السلطان الى تخت ملكه بالنصر والتأييد أوائل شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وتسعمائة

﴿ الغزوة الخامسة الى بلاد النمسا أيضا ﴾

في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة غزا مولانا السلطان سليمان بنفسه من قسطنطينية بمائة وعشرين ألف مقاتل وأربعمائة مدفع لحرب النمسا ونازل مدينة فينا عاصمة مملكة النمسا وأقام عليها الحصار فقاتلوا أشد القتال وحصلت أمطار شديدة تأذى المسلمون منها وفاض النهر وأخذ الخيام وجملة من العسكر وصعد بعضهم على الاشجار هربا من الماء ومكثوا يومين وليلتين وهم في مشقة شديدة حتى انكشفت المياه ولما رأى السلطان ذلك تحول وارتحل عن المدينة وقتلت عسكر الانكشارية الاسرى الذين كانوا تحت أيديهم ولما وصل مولانا السلطان الى مدينة موهكز من بلاد المجر أتاه حاكمها وبذل الطاعة فقبله وأكرمه وأجلسه عن يمين كرسيه ولما أراد الانصراف خلع عليه خلعة ثمينة وأعطاه ثلاثة أفراس من جياد الخيل عليها سروج مرصعة ورجع السلطان الى مقر سلطنته سالما

﴿ الغزوة السادسة الى بلاد ألمان ﴾

لما كانت سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة وصلت الاخبار الى الابواب السلطانية ان قرال النمسا جمع طائفة من كفار الالمان وأراد الافساد والطغيان فتوجهت همة مولانا السلطان سليمان الى المبادرة الى قتال هذا اللعين فجهز الجيوش برا وبحرا وأرسل في شعبان من طريق البحر احمد باشا القبودان لحفظ وجه البحر العثماني ومعه عشرون غرابا مشحونة بالعساكر الابطال فافتتح عدة قلاع من بلاد الفرنج وأرعبهم غاية الرعب وقتل وسبى كثيرا منهم وتوجه مولانا السلطان برا من دار السلطنة في رمضان من السنة المذكورة فوصل بجيوشه الى مملكة الالمان وأحاط بما فيها من الحصون والقلاع بعساكره وضيقوا عليها ونهبوا قراها وضياعها المعمورة وسبوا كثيرا من ذراري الكفار وغنموا مالا يحصى من الاموال وقتلوا من الرجال مالا يخطر بالبال وهرب ملوكهم وتركوا صولوكهم وبذلوا ما بقي معهم من الاموال والذخائر على بذل الامان لهم ثلاثة أعوام فأجيبوا من جانب السلطنة السنية الى سؤالهم وكتب لهم توقيع الامان وعاد مولانا السلطان الى دار ملكه المسعود مظفر الجند وسعيد

انهاء الامر الى الباب العالي فأغلظ عليه بكير باشا وتعصب واتهم الشريف انه اعتقد هذا المذهب فخشي الشريف أن يرميه عند الدولة بهذا الاعتقاد

(سبب لعن الرافضة في المنبر والمقام سنة ١١٥٥)

فأمر لدفع التهمة ان يجهروا على المنبر والمقام بلعن الرافضة وأهل البدع اللئام فزال من خواطرهم ذلك الاتهام فجاء الامر من الدولة العلية بتكذيب ما افتراه شاه العجم وطلبوا ذلك الرسول وهو السيد نصر الله ليحضر الى الباب العالي فتوجه صحبة أمير الحاج الشامي أسعد باشا في ذلك العام فهذه القضية هي أصل التصريح باللعن في المنبر والمقام ثم جهزت الدولة العلية جيوشا لقتال شاه العجم وهزموه هزيمة شنيعة واسترجعوا ما استولى عليه من الممالك والقصة مشهورة مذكورة بالبسط في التواريخ ومما كان في دولة مولانا الشريف مسعود أنه منع الناس من التظاهر بشرب الدخان فرفع من القاوي والاسواق وصار حاكمه يقبض على من يراه عنده الاطواق

فقيل انه كان يعتقد فيه التحريم وقيل ان فعله هذا لا ينشأ عن تحريم ولا تحليل وانما لمنع تظاهر الناس بشربه في الشوارع وتعاطيه

الجدود في أواخر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وتسعمائة

﴿ الغزوة السابعة الى بلاد السرب ﴾

في سنة تسع وثلاثين خرج مولانا السلطان سليمان بمائتي الف مقاتل لمحاربة السرب فافتتح في طريقه أربع عشرة قلعة واستولى على أكثر حدود بلاد النمسا ثم رجع الى القسطنطينية سالما غانما وفي سنة أربعين عقد صلحا مع ملوك الفرنج اهل اوروبا ليتفرغ لمحاربة العجم لكثرة الخلاف الحاصل منهم

﴿ الغزوة الثامنة الى بلاد العجم ﴾

في سنة اربعين وتسعمائة توجهت همة مولانا السلطان سليمان الى محاربة العجم فجهز جيوشا كثيرة وأرسلها مع الصدر الاعظم في أوائل شهر ربيع الاول فافتتح كثيرا من القلاع والحصون والمدائن ثم خرج مولانا السلطان سليمان بنفسه في ثامن ذي القعدة حتى انتهى الى تبريز فاستقبل الصدر الاعظم قبل وصوله الى تبريز بمن معه من العساكر وتوجها بجميع العساكر لاستئصال مملكة العجم وهرب سلطان العجم وصار ينتقل في الجهات والاطراف حتى انتهى في هربه الى خراسان ولما وصل مولانا السلطان الى تبريز استقبله أهلها وهنوه بالقدوم فلما جاء الشتاء توجه الى مدينة بغداد وكانت بيد سلطان العجم وكان له نائب بها وهو بكاو محمد خان فلما سمع بقدوم مولانا السلطان بعث اليه بالطاعة ثم هرب الى بلاد العجم فدخل مولانا السلطان بعساكره مدينة بغداد وقصد زيارة الامام الاعظم أبي حنيفة رضي الله عنه وكان اسماعيل شاه نقض تربته وهدمها فجددها مولانا السلطان وجعل عليه مشهدا عظيما وبنى فيه تكية يطبخ فيها الطعام وبنى في بغداد قلعة حصينة وشحنها بالمدافع والعساكر وكان دخول مولانا السلطان بغداد في ثامن عشر جمادى الاولى سنة احدى واربعين وتسعمائة ولما أقبل الربيع نزل منزلا يقال له صاروجه قمش ثم نهض بعساكره يريد سلطان العجم فتوغل في بلاده حتى وصل الى مدينة دركزين فجاءته رسل سلطان العجم وتكرر مجيئهم يطلبون الصلح وكتب اليه سلطان العجم انه لا يقاتل أبدا ويرجو من كرم السلطان ان يرحم الرعايا فقد خربت ديارهم وهلكت دوابهم ويسأل العفو وأن يعود مولانا السلطان الى بلاد الروم وأعطى العهود انه لا يخون وتكون البلاد التي أخذها السلطان تحت حكمه لا ينازع السلطان فيها أبدا وانه يكون تحت خدمته يلبيه كلما دعاه فلما تحقق السلطان منه ذلك عقد معه صلحا وأمر العساكر بالرجوع فرحل بهم ورجع الى مقر سلطنته فدخل دار السلطنة رابع عشر رجب سنة احدى واربعين وتسعمائة وزينت المدينة واستبشروا بقدومه وألطف تاريخ قيل في ذلك فتحنا العراق

﴿ الغزوة التاسعة الى مملكة اسبانيا وجزائر الغرب ﴾

كانت هذه الغزوة في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة كما في تاريخ القطبي وذكر بعض المؤرخين انها كانت في سنة خمس واربعين وحاصلها ان مولانا السلطان توجه بنفسه الشريفة من طريق البر ومعه عساكر كثيرة وأرسل من طريق البحر خمسمائة غراب مشحونة بالعساكر والذخائر

الارازل والاسافل ولا يرفعونه اذا مر عليهم شريف أو عالم أو فاضل فأمر بعدم التظاهر بشربه لذلك وللعلماء في الدخان أقاويل بين تحريم واباحة وتحليل ويلزم القائلين بالتحريم تفسيق المسلمين بالتعميم حيث كانوا اما شاربا أو في بيته من يشرب أو مشاهدا فاخرج أحد من الثلاث عن واحد فحينئذ لا يوجد في المسلمين عدل خصوصا والعدل له شرط في شهود النكاح ويترتب على هذا أن الانكحة على بعض المذاهب سفاح وهذا حرج عظيم وخطب جسيم مع أن القائلين بالتحريم لا مستند لهم صريح من الكتاب والسنة وغاية ذلك بعض الاقيسة المحتملة مع أن البلوى به عامة بين الاشراف والعلماء والعامة وبعض العلماء توقف عن الافتاء فيه بتحريم أو تحليل وكتب في جواب سؤال سئل فيه عنه بقول الله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون وكان أول ظهور شجرة الدخان سنة تسعمائة وتسع وتسعين وقد أرخ ذلك بعض الفضلاء بقوله

يا خليلي عن الدخان أجبني * هل له في كتابنا ايماء
قلت ما فرط الكتاب بشيء * ثم أرخت يوم تأتي السماء
٥٦ ٨١١ ١٣٢ ٩٩٩

(و لسلاح)

والسلاح وعليها خير الدين باشا فافتتح عساكر البر والبحر قلاعا وحصونا كثيرة بعد
حروب كثيرة وتملكوا أربعة وثلاثين حصنا وخمسا وعشرين جزيرة من جزائر البندقية
وهم طائفة من النصارى خليفتهم البابا وضربوا مراكب البندقية وكانت مائة وسبعا
وستين فشتتوها وسلمت البندقية لمولانا السلطان قلاع نابولي ورومانيا وغيرهما ودفعت
لمولانا السلطان ثلاثمائة الف ريال ورجع سالما منصورا مظفرا وكانت غنيمة المسلمين من
أموال الكفار وسباياهم مما لا يحصى

❊ الغزوة العاشرة الى البغدان ❊

وكانت هذه الغزوة في سنة أربع واربعين وتسعمائة توجه مولانا السلطان بنفسه الشريفة
ومعه كثير من عساكره المنصورة الى بلاد البغدان وقتل فيها وفتك وأسال الدماء وسفك
وافتتح القلاع وغنم اموالا كثيرة وأسر نفوسا عديدة غير محصورة وعاد الى تخت ملكه
الشريف مؤيدا من عند الله تعالى بالنصر والتأييد والفتح الجديد فوصل الى دار السلطنة
لست بقين من ربيع الاول سنة أربع واربعين وتسعمائة

❊ الغزوة الحادية عشر الى اسطبور من بلاد انكروس ❊

سبب هذه الغزوة ان مولانا السلطان كان قد أنعم على امرأة من أبناء ملوكهم يقال لها
اردل باتو بتلك البلاد ثم توفيت فأراد قرال النمسا أن يملك تلك البلاد فتوجه مولانا السلطان
بعساكره المنصورة سنة ثمان واربعين وتسعمائة الى قتال قرال النمسا فلما أحس بوصول
العسكر المنصور السلطاني فر هاربا الى الجبال وتقهقر عن القتال فتبعته الابطال ففر منهم
فجالت العساكر المنصورة في تلك البلدان وقتلوا أهل البغي والعدوان وسبوا الاولاد والاطفال
والنسوان وتركوا ديار الكفر قاعا صفصفا وغنموا مغانم كثيرة وفتحوا قلعة اسطبور وفتحت
ايضا قلعة رشوة وقتلوا من الكفار ما لا يحصى وعاد مولانا السلطان بعساكره الى تخت سلطنته
منصورا مؤيدا

❊ الغزوة الثانية عشر غزوة استرعون ❊

كانت هذه الغزوة سنة خمسين وتسعمائة وذلك ان مولانا السلطان توجهت همته لتنظيف بلاد
الروملي من طوائف الكفار بالغزو والجهاد فتوجه من دار سلطنته بالجيوش المتواترة وسار
الى أن أحاط بقلعة واليوه وقلعة شقلا ولاشورو وهما من أحكم القلاع وأعظم الحصون
فحاصرهما الى أن فتحهما في غرة ربيع الاول من العام المذكور ثم افتتح قلعة استرعون وهي
قلعة في غاية الاستحكام مشحونة بالذخائر والاموال مملوءة بالعدد والعدد الوافر فحاصرها
وألقى الله الرعب في قلوب أهلها ثم افتتحها وأخذ من فيها أخذا وبيلا وأسروا وقتلوا
تقتيلا ونهبت الأموال وسبيت النساء والأولاد والأطفال واخذوا ما حولها من البلاد
والبقاع والقلاع وكذلك فتحت قلعة استولين بلغراد وهي قلعة سامية العماد وعين لها
ولغيرها من القلاع الأمراء الحفاظ النبلاء الايقاظ ونصب لكل منها قاضيا يجري الاحكام
الشرعية وسنجقا للاستحفاظ وصارت من الممالك المحروسة السلطانية وصارت البيع
والكنائس مساجد للصلاة والعبادات ورجع مولانا السلطان الى كرسي ملكه مظفرا منصورا

ومما كان من الحوادث أيضا في دولة الشريف مسعود انه نادى على جميع الغرباء من جميع الاجناس بالتوجه
الى بلدانهم وأمر بتكرير
ذلك النداء وأغلظ في العقوبة
على من أهمل ذلك وسبب
ذلك كثرة الغرباء بمكة حتى
اتخذوها دار سكنى فقطعوا
بذلك عن أهلها الحسنى
وساروا يتعاطون بيع
الاقوات واستولوا على
غلب ما في الدفاتر السلطانية
من المرتبات فتوجه بعد
ندائه هذا خلق كثير وكان
الامر بذلك سنة تسع
وأربعين ومائة وألف
وكذلك المنع من شرب
التنباك وفي سنة سبع وخمسين
ومائة وألف أرسل مولانا
الشريف ابن أخيه الشريف
محمد بن عبد الله بن سعيد
بجيش يغزوا به بني مخلد
فصبحهم وأخذ ما وجده
عندهم من المواشي والنعم
وقتل جماعة منهم وما سلم
الا من تحصن برؤس الجبال
ثم دخلوا في الطاعة ورجع
الشريف محمد ومن معه
سالمين وفي سنة ثمان وخمسين
ومائة وألف غزا مولانا
الشريف مسعود بنفسه
قبائل عضل حول الليث
لقطعهم الطريق وكثرة
فسادهم وأغار عليهم
وأخذهم أخذا وبيلا وكان
ذلك في شهر صفر وفي شهر
رمضان من السنة المذكورة
جهز جيشا عظيما على قبائل البقوم وجعل الامير على ذلك الجيش أخاه الشريف مساعد بن سعيد فغزاهم في سفح جبل حضن وأنزل

﴿ الغزوة الثالثة عشر سنة أربع وخمسين وتسعمائة ﴾

هذه الغزوة كانت الى الهند لكن لم يخرج فيها مولانا السلطان بنفسه وانما جهز الجيوش وأرسلها وسببها ان طائفة من الفرنج يقال لهم البرتوقال كانوا يغيرون بمراكبهم وعساكرهم في بحر الهند فأرسل سلطان الهند الى مولانا السلطان سليمان يستغيث به ويشكو اليه بأن الطائفة المذكورة تغلبوا على ممالكه ويطلب نجدة من مولانا السلطان فجهز اليه عساكر في مراكب بحرية وبعثهم مع الوزير سليمان باشا فوصل بها الى الهند ودفع البرتوقال فصار سلطان الهند من جملة المنتسبين الى السلطنة السليمانية الداعين لها القائمين بخدمتها ورجع سليمان باشا الى اليمن ثم الى دار السلطنة سالما غانما

﴿ الغزوة الرابعة عشر الى بلاد العجم ﴾

كانت هذه الغزوة أيضا سنة أربع وخمسين وتسعمائة الى بلاد العجم وسببها ان سلطان العجم طهماسب كان له اخ يسمى القاسب ميرزا كان قد ولاه مدينة شروان ثم وقع بينهما اختلاف آل الامر منه الى القتال ولم يكن للقاسب طاقة لمقاومة اخيه وجيوشه ففر هاربا مع جماعة من خواصه الى الروم ملتجئا الى مولانا السلطان سليمان فلما وصل دار السلطنة السنية أكرمه مولانا السلطان سليمان ووهب له من الذهب الاحمر شيأ كثيرا ووهب له عدة أحمال من الاقمشة وعدة خيول وأعطاه الطبل والعلم ووعده بالنصر ثم تجهز مولانا السلطان بنفسه الى المسير لقتال طهماسب وأمر أخاه القاسب ميرزا بالتقدم وقواه بطائفة من العسكر وفي ثاني شهر صفر سنة خمس وخمسين وتسعمائة توجه السلطان سليمان بنفسه قاصدا بلاد العجم فلما قرب من حدود اذربيجان نزل ببرهان واستخلص شروان من يد جماعة طهماسب وفي عشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة وصل الى تبريز وفوض أمرها الى القاسب ميرزا أخي سلطان العجم وأعطاه من العسكر والمدافع الكبار ما يكفيه فلما تولى القاسب أمارة تبريز جعل يصادر الرعايا والبرايا ويظلمهم على عادة ملوك العجم فلما تحقق السلطان سليمان منه ذلك استنحى به وكان قصد السلطان ان يسير على مدينة وان ويخلصها من طهماسب لانه ملكها من نواب السلطان بعدان ملكرها فوصل اليها في عاشر رجب وكان طهماسب شحنها بالرجال والابطال وأحصنها غاية الاحصان ولم تزل العساكر يعالجون الحصار بضرب المدافع وعمل النار حتى أخربوا أكثرها فلما تيقن من بالقلعة انهم مأخوذون تدلى بعضهم من القلعة بحبل واجتمع بالقاسب ميرزا وتضرع اليه واستشفع به فشفع القاسب عند السلطان سليمان في اعطائهم الأمان والعفو عنهم فقبل شفاعته فخرجوا من القلعة وسلموها لصاحبها فدخلها أهل السنة والجماعة ونصبوا عليها الاعلام الاسلامية وولى السلطان أسكندر باشا الدفتري أمير الأمراء بها ولما قرب الشتاء قصد السلطان ان يسير الى طرف ديار بكر فسار يشتي حتى وصل الى مدينة آمد فبينما هو مخيم فيها اذ ورد ان العجم لما بلغهم عود السلطان دخلوا مدينة اذربيجان واحرقوها وشردوا أهلها وقتلوا من قدروا عليه وأحرقوا الزروع فلما بلغ ذلك السلطان أمر الوزير أحمد باشا بالمسير اليهم وعضده بجماعة من العسكر واستخبروا بأن جماعة سلطان العجم مخيمون بقرب مدينة تبريز فساروا وكبسوهم

و خمسين ومائة وألف حصل مطر عظيم يوم في أيام منى والناس بها وحصل من ذلك المطر سيل عظيم ذهب بجانب من الحجاج وأموال كثيرة وكان ذلك آخر الليل وأظلمت الدنيا حتى لم ير الانسان من بجانبه فأصبح الناس نافرين الى مكة وهم في غاية التعب والمشقة يمرون بأشخاص ذكور واناث وأطفال قد طمهم السيل وفي سنة ستين ومائة وألف حصل اشتباه في هلال عيد رمضان ثم اثبت بالطريق الشرعي صبح ذلك اليوم فأذن الخطيب للصلاة وصلى بالناس العيد وانقطع بذلك ما كان معتادا من جلوس مولانا الشريف للناس ليلة العيد ومن الالبسة والحلاوات والاطعمة النفيسة بعد الرجوع من صلاة العيد فحصلت المفاوضة في ذلك في مجلس مولانا الشريف مسعود بينه وبين بعض الاشخاص من أهل المقام العالي باظهار الاسف على انخرام مجلسه المعتاد وذهاب رونق العيد وما يصير ليلته من طلوع أهل الحارات على الجبال ومن البيع والشراء فصدر الامر منه باقتناء الدقات وأن يعمل في الليلة الآتية ما كان يعمل في الليلة الماضية

بالليل وقاتلوهم وشردوهم ثم أن القاسب أخا سلطان العجم تضرع الى السلطان سليمان ان يعطيه جماعة من العسكر ليسير بهم الى بلاد اصفهان وقم وقاشان لان بها معظم أموال اخيه سلطان العجم وخزائنه فأجابه السلطان الى سؤله وعضده بطائفة من عسكر الاكراد والاعجام واجتاز السلطان سليمان بنهر الفرات ووصل الى حلب ووصل القاسب بمن معه الى حدود عراق العجم فتوغل بها وبدأ بالنهب والتحريق والتخريب حتى وصل الى حدود فارس وأخرب ضياعهم وأحرق بيوتهم وأسر أولادهم وأزواجهم ثم عاد الى بغداد وشتى بها ووقع بينه وبين الوزير محمد باشا المتولى ببغداد من طرف مولانا السلطان سليمان وحشة اقتضت الى ان عرض محمد باشا الى السلطان سليمان بأن القاسب ترفض ورفض طاعة السلطان ولم يكن الأمر على حقيقته وانما هو مكيدة فعلها في حقه بغضا وعداوة فلما اطلع القاسب على ذلك خاف على نفسه من صولة السلطان فهرب الى بلاد الاكراد ولم يزل بها حتى قدر عليه أخوه طهماسب سلطان العجم فقتله قتلة شنيعة

﴿ الغزوة الخامسة عشر الى بلاد العجم أيضا ﴾

وفي سنة ستين وتسعمائة كثرت مخالفات سلطان العجم لطاعة مولانا السلطان وكثر ظلمه وكثرت الشكايات فيه من جماعته وغيرهم فقصد مولانا السلطان سليمان التوجه لمحاربة العجم فسار بعساكر كثيرة ودخل حلب في غرة ذي الحجة ولما وصل الى اذربيجان كتب الى سلطان العجم يدعوه للمبارزة ويعيره على ترك الحرب والاختفاء في الكمون ثم توجه مولانا السلطان سليمان حتى وصل الى مدينة وان وهي من أحسن مدن الدنيا وأنزهها فأخربها العسكر جميعا وكان دأبهم كذلك من حين دخلوا بلاد العجم ثم لم يزالوا كذلك حتى وصلوا في سادس عشرين شعبان من سنة احدى وستين وتسعمائة الى مدينة نخجوان مقر سلطان العجم وفيها دور وقصور شامخة الاركان رفيعة البنيان ودور أولاده وأحفاده ووزرائه وسائر أعيان دولته فلما دخلها العسكر وجدوها خالية فقطعوا أشجارها وخربوا قصورها فصارت البلد كأنها أرض قفراء ماعمرت قط وأغار بعض العسكر على مدينة تبريز فنهبوها وقتلوا من قدروا على قتله ثم أغاروا على مراغة فنهبوا وأحرقوا واقتتلوا مع الوف من جماعة سلطان العجم فانتصروا عليهم وأخذوا تيجانهم المرصعة وأعلامهم وطبولهم وفي أثناء ذلك وصل وافد من جانب سلطان العجم ومعه مكتوب محصله انه ندم على ما أظهر من العداوة وأظهر التذلل والاستغفار والتجأ الى عتبة السلطان يطلب منه الصلح فأجابه السلطان الى سؤله وخلع على الوافد ثم توجه السلطان وشتى بمدينة اماسية ثم رجع الى كرسي ملكه القسطنطينية

﴿ الغزوة السادسة عشر الى سلطان المغرب ﴾

لهذه الغزوة خبر عجيب غريب لم يذكره تواريخ أهل المشرق وهو يدل على ضخامة ملك مولانا السلطان سليمان وقوة سلطنته وعلو همته فيستحق ان يلحق بالغزوات وان لم يخرج فيها السلطان بنفسه فينبغي ذكره لغرابته تتميما للفوائد وهو ماذكر في تواريخ اهل المغرب منها التاريخ المسمى نزهة الحادي في أخبار اهل القرن الحادي وهو تاريخ مخصوص

في الليلة الآتية طبق ماأمر فبسطت الاسواق وطلع أهل الحارات على جبالهم وصنع ماهو معتاد ليلة العيد ويومه من الحلواء والملابس والاسمطة وهذا أمر لم يعهد قط وفي سنة احدى وستين ومائة وألف وقعت فتنة بين مولانا الشريف مسعود والوزير علي باشا صاحب جدة وسببه انه نازع مولانا الشريف في كثير مما هو مقرر له من المحصولات ببندر جدة فأبرز له مولانا الشريف ما بيده من الاوامر السلطانية وما كان بيد آبائه وأجداده فلم يمتثل الوزير المذكور لشئ من ذلك فتوسط بينهما كثير من التجار وغيرهم فلم ينتج ذلك بنتيجه بل ازداد الباشا تجبر اوترس البلد وحمى السور وتعدى على كثير من خدم مولانا الشريف وأتباعه فعند ذلك جهز عليه مولانا الشريف جيشا وجعل الامير على ذلك الجيش اخاه السيد جعفر بن سعيد فتوجه بذلك الجيش وأحاط بمن معه على دائرة السور وحاصر الباشا المذكور ووقع

 بينهم القتال ثم أرسل بعض أهل البلد للسيد جعفر ان يحمل من جهة

بذكر ملوك المغرب للعلامة الشيخ محمد بن عبد الله الافراني المراكشي وذلك أنه ذكر هذا الخبر في ترجمة السلطان الملقب بالشيخ ابي عبد الله محمد المهدي ابن ابي عبد الله القائم ثالث الخلفاء السعديين الذين ملكوا مراكش وفاس وحاصل ذلك الخبر ان السلطان المذكور لما تم له ملك المغرب ودانت له حواضره وبواديه تلقب بالمهدي وتاقت همته الى بلاد المشرق فكان يقول لابد لي أن أذهب الى مصر وأخرج الاتراك من أحجارهم وأنازلهم في ديارهم فبلغت مقالته مولانا السلطان سليمان العثماني وكان ابو عبد الله لايسمي سلطان العثمانيين الا سلطان الحواتة لكون الغالب على الاتراك سفرهم في السفاين فأنهى ذلك للسلطان سليمان العثماني فبعث له أناسا برسالة فلم يحتفل بهم ابو عبد الله بل قال أخبروا صاحبكم اني مقتحم عليه بلاده ومتوجه للقائه فلما رجعت الرسل للسلطان سليمان وأخبروه بمقالة ابي عبد الله الشيخ وماقاله لهم بعث السلطان سليمان لبعض وزرائه الذين بالجزائر ان يأتوا برأس ابي عبد الله فبعثوا رجلا من أبطال جندهم في شرذمة من الاجناد مظهرين أنهم هربوا من السلطان العثماني ورغبوا في خدمة أبي عبد الله ونيتهم المكيدة به والاغتيال له حيث أمكنهم ذلك فلما قدموا على السلطان ابي عبد الله فرح بهم غاية الفرح وأظهر السرور لقدومهم عليه وكان عنده جماعة من الاتراك استخدمهم قبل ذلك وكان يركب معهم ويدنيهم ويأنس بهم فلما حضر هولاء الاتراك فرح بهم الاولون اذ كل غريب للغريب نسيب وان الغريب يحب الغريب فلم يزل الاتراك القادمون قائمين بخدمته مختصين به يتربصون الفرصة ويترقبون المكيدة للفتك بأبي عبد الله فسافر لقتال بعض العصاة عليه فلما كان بجبال درنة بموضع يقال له اثلاثة دخلوا عليه خباءه ليلا على حين غفلة من العسكر وبقية الخدم فضربوا رأسه بشاقور ضربة واحدة أبانوه بها واحتملوه في مخلاة وذهبوا به في الظلماء عامدين الى جهة سجلماسة كأنهم رسل الى تلمسان لئلا يفطن بهم أحد ثم ادركوا في بعض المواضع فقاتل منهم طائفة حتى هلكوا وهرب بعضهم بالرأس الى ان ابلغوه للسلطان سليمان بالقسطنطينية فلم يزل الرأس معلقا بها الى ان تلاشى وكان قتله في التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة اربع وستين وتسعمائة وحمل جسده الى مراكش ودفن في قبور الاشراف انتهى

﴿ الغزوة السابعة عشر لم يخرج فيها السلطان بنفسه ﴾

في سنة اربع وستين أيضا سارت جيوش للسلطان سليمان الى اليمن لاصلاح اليمن وتملكه ودفع المتغلبين فيه فكان لهم غاية النصر والاستيلاء والتمكن وتمام الاصلاح دفعوا البرتقال التي كانت تقطع البحر وتغير على بلاد الاسلام بعد امتداد الفتن الى سنة ثمان وستين وتسعمائة

﴿ الغزوة الثامنة عشر ﴾

وفي سنة تسع وستين وتسعمائة توجه القبطان سنان باشا بعمارة عظيمة الى جزيرة جربا في افريقا وتملكها بعد حصار ثلاثة اشهر وأخذ حاكمها أسيرا وأتى به الى القسطنطينية فلما بلغ ذلك ملك اسبانيا ركب على بلاد الجزائر وأخذ بعض قلاع ومراكب تخص الدولة فغضب السلطان من ذلك وعزم على فتح مالطة ففي سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة خرج القبطان سنان باشا من مينا القسطنطينية بعمارة تحتوي على مائة واحدى وثمانين مركبا

اليمن بمن معه من الجنود فهجم الجند على سور البلد من تلك الجهة ودخل الجيش جميعه فركب الباشا البحر بخواصه وتمكن الشريف جعفر من البندر ولم يحصل على أهل البلد خلاف من البادية وغيرهم فلم يمكن الباشا الرجوع الى البلد فسافر وأرسلت الدولة على جدة غيره وجاء الامر من الدولة باجراء ماهو مقرر لمولانا الشريف على حسب ما ادعاه وأراده واستمر مولانا الشريف في ولايته والناس آمنون مطمئنون الى سنة خمس وستين ومائة وألف

(ذكر وفاة الشريف مسعود سنة ١١٦٥ وولاية أخيه الشريف مساعد بن سعيد)

مرض في أواخر ربيع الاول من السنة المذكورة أياما قلائل ثم توفي يوم الجمعة ثاني ربيع الثاني من العام المذكور فولي شرافة مكة بعده أخوه مولانا الشريف مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد وألبسه والي جدة وقاضي الشرع الشريف ونودي باسمه في البلاد وأقبلت لمبايعته السادة الاشراف والعرب من سائر الاطراف ولم يتأخر عن بيعته الا السادة الاشراف من آل بركات فانهم عاملوا خفية ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد وتجمعوا بوادي مر ولم يكن معهم الشريف محمد المذكور

(ومع)

ومعه السرعسكر مصطفى باشا فلما وصلوا الى الجزيرة المذكورة خرجت العساكر وأخذوا في عمل خنادق امام القلعة وأقاموا عليها الحصار الشديد الى أن أخذوها وأخذوا أسرى كثيرين وسمروا على أخشاب وطرحوا في البحر امام المدينة وهي محاصرة وكان قد وقع في يد حاكم المدينة أسرى من الانقشارية فلما رأى ذلك امر بقطع رؤسهم ووضعها في المدافع وضرب بها المحاصرين ووقع عشر هجمات على المدينة وفقد عساكر كثير فلم يمكن أخذ المدينة فرفعوا الحصار عنها وارتحلوا

❊ الغزوة التاسعة عشر ❊

وفي اثناء هذه المدة كان قد وقع الحرب بين الدولة والمجر وأخذت عساكر الدولة جملة بلدان من ممالك المجر فأرسلوا يطلبون الصلح ولم يرسلوا الخراج المنكسر عندهم فغضب السلطان وأمر بحبس رسولهم وعزم على السفر اليهم بنفسه فبلغهم الخبر فخضعوا وأعطوا الطاعة وبذلوا المنكسر وضاعفوه بأضعاف كثيرة فعفا عنهم وأمنهم

❊ الغزوة المكملة عشرين ❊

وفي سنة اربع وسبعين وتسعمائة نهض مولانا السلطان سليمان خان لفتح مدينة لنصارى المجر تسمى سكدوار والحال انه قد شاخ وكبر وهرم وازدادت عليه علة النقرس وهو ورم ووجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين فمنعه الاطباء عن السفر فلم يقبل منهم لمحبته الجهاد وقال اريد أن أموت غازيا فخرج لتسع مضين من شوال سنة اربع وسبعين وتسعمائة فسار بعسكر كثير متزاحم الافواج متلاطم الامواج وبعث وزيره برتو باشا الى فتح قلعة كولة فلم يلبث الا قليلا حتى فتحها واما السلطان فانه وصل الى بلغراد بعد مشقة عظيمة بسبب المرض الذي به وكثرة الامطار وسار منها الى سملين فتسلمها فتح جملة قلاع وبلدان واما قلعة سكدوار فهي قلعة في غاية الحصانة واسعة شاسعة مكينة راسخة البناء في حضيض الماء شامخة الارتفاع في الهواء الى عنان السماء مشحونة بآلات الحرب والمدافع مملوءة بجيوش النصارى وأبطالهم فكانت في المتانة الى حد الغاية وقد أحاطت بها المياه والاوحال من كل جانب فلم يزدد امر القلعة الا استصعابا واشتد مرض السلطان وهو محاصر لها حتى أحس بالموت فدعا الله ان يعجل بالفتح ونصر المؤمنين وقال قد تحقق عندي ان الفتح يتيسر ان شاء الله ويكتب في التواريخ ان سليمان افتتح هذه القلعة العظيمة وهو ميت فاستجاب الله دعاءه وحقق أمله وأوصى بالسلطنة لولده السلطان سليم الثاني ثم انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى وأخفى الوزير الاعظم محمد باشا وفاته شفقة بجيوش المسلمين أن يصيبهم فشل ودعا رئيس الاطباء فشق بطنه وملأه بالاجزاء الحارة ودفن أمعاءه هنالك ثم لم يزالوا يجدون في امر الفتح حتى فتحوها بعد وفاة السلطان بثلاثة ايام وقتلوا اصحابها وقتلوا ثلاثة آلاف ممن معه وكان من جملة أسباب فتحها ان النار اشتعلت في خزينة بارود الكفار وهي مخزونة في القلعة المذكورة فأخذت جانبا كبيرا من القلعة رفعته الى عنان السماء وزلزلت الارض زلزلة هائلة وتطايرت جلاميد الصخار الى الهواء ورمت شررا ولهبا ودخانا الى ان امتلاء الفضاء وقتلت كثيرا من الكفار الذين كانوا بالقلعة فضعفت قلوب من بقي منهم فتزاحم المسلمون

ولم يظن مولانا الشريف مساعد ان لهم يدا مع الشريف محمد لانه أول من حضر المبايعة ولم تكن منه منازعة فازال يوسط لهم الوسائط ويعاملهم بالرفق ويعدهم بكثرة المعاش وهم لا يجيبونه الى سؤاله ثم بعد ذلك أرسل اليهم جماعة من الاشراف بطلب الصلح ومعهم ابن أخيه الشريف محمد المذكور فلما وصلوا الى الوادي أظهروا أمرهم في معاملتهم الشريف محمدا وأظهر هو نفسه أيضا في ذلك فرجع بقية المراسيل وأخبروا مولانا الشريف بما شاهدوه فحصل بمكة اضطراب كثير وأرسل الشريف مساعد أخاه السيد عبدالله بن سعيد الى الطائف يجمع له القبائل فتوجه فوجد الشريف محمد قد نزل بالسيل ومعه قبائل عتيبة فتوجه بها الى الطائف فملكه بعد حرب يسير وكان ذلك يوم الثامن عشر من جمادى الآخرة من العام المذكور فلما ملك الشريف محمد الطائف نادى باسمه في البلاد وأقبل عليه كثير من العربان وبعد عشرة ايام توجه بمن معه الى مكة وترس بهم في موضع يقال له دقم الوبر فخرج له عمه مولانا الشريف مساعد واقتتلا قتالا شديدا ثم انهزم الشريف محمد ونهبت خزائنه ورجع الى الطائف وذلك خامس رجب سنة خمس وستين ومائة وألف ثم جمع كثيرا من العربان وجاء بهم الى

على دخولها والهجوم على من فيها فاقتلعوها من أيدي الكفار ووضعوا السيف في جميع الكفار وقتلوهم عن آخرهم وساقوهم الى جهنم وبئس القرار وماذكرنا من ان الفتح انما كان بعد وفاة السلطان بثلاثة ايام هو ما في بعض التواريخ وفي تاريخ القطبي ان الفتح كان قبل وفاة السلطان وانه لما جاءه خبر الفتح وهو في غاية المرض فرح وحمد الله تعالى على هذه النعمة واستسلم لربه وقال طاب الموت الآن ثم انتقل الى رحمة الله تعالى وكان فتحها يوم السبت سابع شهر صفر الخير سنة اربع وسبعين وتسعمائة ولم يزل العسكر هناك في ترميم القلعة واصلاحها حتى بعث الوزير محمد باشا الى السلطان سليم يدعوه الى سكدوار وكان يومئذ على امارة كوتاهية فلما جاءه الخبر دخل القسطنطينية على حين غفلة من أهلها وجلس على سرير الملك في تاسع من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة وتمت له البيعة واطمأن الناس ثم خرج في اليوم الثالث وتوجه الى سكدوار فلحق العسكر ولم يختل عليهم شيء فحملوا السلطان سليمان رحمه الله تعالى في العجلة ونقلوه الى القسطنطينية ودفن بها وعمره اربع وسبعون سنة ومدة سلطنته ثمان واربعون سنة وكان قدوم ولده السلطان سليم الى القسطنطينية من سكدوار في شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكان الحرب لم يزل قائما بين العساكر العثمانية وملك النيمسا ومن العجائب التدبير الذي حصل من الوزير الاعظم محمد باشا عند وفاة مولانا السلطان سليمان فانه بعد وفاته كتم وفاته وخرج من عنده وفرق الجوائز السنية والانعامات وأعطى الامراء الترقيات وأمر بارسال البشائر الى سائر الاطراف والجهات بحصول النصر والظفر وأرسل سرا يستدعي ولي العهد السلطان سليما الثاني ويستعجله في سرعة الوصول وكتم ذلك عن جميع العسكر والامراء والوزراء والانام وأحسن التدبير في هذا الكتم واستمرت امور المملكة في نهاية الانتظام وهو في ديار الكفار وذلك من كمال العقل التام والرأي الصائب الى أن وصل حضرة السلطان سليم والحرب قائم ثم وقع الصلح على الهدنة ثمان سنين ودفع ملك النيمسا لخزينة السلطان ثلاثمائة الف ريال ورجع مولانا السلطان سليم الى مقر تخت سلطنته وأذن للعساكر المنصورة بالرجوع الى أوطانها ورثت الشعراء مولانا السلطان سليمان بقصائد كثيرة

﴿ ذكر خبر عجيب ﴾

يدل على قوة ديانة مولانا السلطان سليمان وشدة ورعه وخوفه من الله تعالى وذلك انه قبل وفاته احضر بقشة وأوصى ان تجعل معه في القبر فلما أخبر بذلك شيخ الاسلام المولى ابو السعود العمادي رحمه الله قال لابد من الاطلاع على ما في هذه البقشة قبل ان نجعلها معه في القبر فلما فتحوها وجدوا فيها الاسئلة التي كان مولانا السلطان يسأل عنها شيخ الاسلام المذكور وعلى كل سؤال الجواب منه فبكى شيخ الاسلام المذكور وقال ان مولانا السلطان أراد ليبرئ ذمته عند السؤال عن هذه الاحكام وجعل السؤال متوجها الى من كتب ما فيها فنسأل الله النجاة والخلاص

﴿ الغزوة الحادية والعشرون من غزوات مولانا السلطان سليمان التي لم يحضرها بنفسه ﴾

هذه الغزوة وكانت في الحجاز وهي مما ينبغي ان تلحق بغزوات مولانا السلطان سليمان

الشريف محمد بحيث انه يرى كل منهما نار الآخر ونار الشريف محمد تشتعل على رؤس الجبال فبات الشريف مساعد ينتظر الصباح فرحل الشريف محمد بمن معه في نصف الليل وقصد مكة والشريف مساعد ليس له بذلك اطلاع فلما أصبح بلغه ان ابن أخيه قد انثنى وتحصن بجبال المحصب والمنحنى فوجه خلفه طلائع خيله السوابق وارتحل ومازال ينقل ويخب حتى التقى الجمعان بوادي المنحنى فوقع الحرب بينهما واستمر ساعتين ثم انهزم الشريف محمد ومن معه وتفرقت عنه تلك البوادي وتوسط السيد عبد الله الفعر بينهما بالصلح وأصلح بينهما على شروط وترتيب معاش له ولمن كان معه من الاشراف وحصل الوفاق بذلك فدخل مكة في النصف من شعبان وهمدت تلك الفتنة وفي موسم هذه السنة توجه السيد عبد الله الفعر بعروض من مولانا الشريف للدولة ورجع في سنة ست وستين بقضاء كل مطلوب لمولانا الشريف مساعد ثم ان الشريف محمد ابن عبد الله بن سعيد في سنة

سبع وستين خرج الى المبعوث فأقام به برهة يسيرة وعينه بغير الملك لم تكن قريرة ثم توجه لزيارة النبي

وان كان المباشر لها مولانا الشريف أبانمى و حاصلها أن طائفة البرتوقال من طوائف الفرنج قد تقدم أنهم كانوا يقطعون البحر و يغيرون على كثير من ممالك الاسلام فن ذلك أن نفوسهم الخبيثة سولت لهم الاستيلاء على الحرمين وجزيرة العرب وكان ذلك فى أواخر سنة ثمان وأربعين وتسعمائة فدخلت طائفة عظيمة من الفرنج المذكورين كثيرا من بنادر الاسلام وخربت وأفسدت فيها ثم قصدت بندرجدة المعمورة ونزلت بالمرسى المعروف بأبى الدوائر فى خمسة وثمانين برشة مشحونة بالرجال والسلاح والذخائر فقاتلهم مولانا الشريف أبونمى أمير مكة بنفسه وترك الحج ونزل الى جدة فى جيش عظيم بعدان أمر بالنداء بالجهاد فى نواحى مكة وقال من صحبنا فله أجر الجهاد وعلينا السلاح والنفقة فبلغ المبادرون للجهاد مبلغا عظيما لايحدولايعد ونفقة مولانا الشريف شاملة للجميع وعيون الكفار تدور عليهم كل حين فتشاهدهم يزيدون عددا وعددا وعيشا رغدا وخدم مولانا الشريف أبى نمى يتوجهون الى أطراف البلاد ويحضرون بأنواع الطعام ويشترونه بأغلى الاثمان حتى فرغت الحبوب والاقوات وكادت تعدم فأقبلوا على نحر الابل فكان مولانا الشريف يأمر بأن ينحر لكل مائة نفس بعير اوناقة واستمر الامر على ذلك مدة فقال له بعض الناس ان هذا لفعل يستأصل ماعندك من الابل فأجابه بأنى نويت أن أنحر ماعندى من الابل فاذا فنيت أمرت بنحر الخيل ثم كل حيوان يجوز أكله فلما قرب وقت الحج برز أمره الشريف لابنه الشريف احمد ان يقابل بمكة امراء الحج ويلبس الخلعة الواردة ويحج بالناس على عادة أجداده الكرام فلما وصل امراء الحج قابلهم وفعل مثل ماأمره والده وحج بالناس فلما قضوا الحج توجهوا الى جدة لمقابلة مولانا الشريف أبى نمى والباسه الخلع الواردة فلاقاهم وهو شاكى السلاح لابسادرعه فى هيئة المقاتل ولما قدموا عليه أمر باطلاق المدافع فاطلقت لمقابلتهم نحو ثلاثمائة مدفع فكان مشهدا عظيما وألبسوه الخلع الواردة معهم وأضافهم وأكرمهم بغاية الاكرام وانصرفوا راجعين ولما رأى الكفار صبره وحصاره لهم انقلبوا خاسئين ولما بلغ حضرة مولانا السلطان سليمان ذلك زاد فى اكرام مولانا الشريف أبى نمى وسمح له بنصف معلوم جدة وأوصل اليه غير ذلك من الانعامات التى لاتحصى وهذه القصة فيها منقبة عظيمة لسيدنا الشريف أبى نمى تدخله فى عداد الغزاة المجاهدين فى سبيل الله ولم تكن لاحد غيره من أسلافه وأحفاده امراء بمكة فرحم الله الجميع رحمة واسعة

❊ تنبيه ❊

ذكر العلامة الفاسى فى الاعلام بأخبار بلدالله الحرام أن الحبشة جاءت الى جدة فى خلافة الرشيد سنة ثلاث وثمانين ومائة فأوقعوا بمن فيها فخرج الناس هاربين الى مكة فخرج معهم أهل مكة مجاهدين وأميرهم حينئذ عبدالله بن محمد بن ابراهيم المخزومى فلما رأت الحبشة ذلك هربوا الى المراكب فجهز وراءهم صاحب مكة غزاة فى البحر وقيل ان هذه القصة كانت سنة ثلاث وسبعين ومائة وقدورد فى فضل ثغر جدة احاديث كثيرة منها ماذكره شيخ الاسلام الحافظ

(ذكر وفاة الشريف محمد ابن عبدالله بن سعيد سنة ١١٦٩)

فتوفى وهو راجع عند ثنية عسفان فنقلوه الى مكة وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه على ضريح والده قبالة الشيخ محمود وعمره اثنان وأربعون سنة رحمه الله تعالى ثم بعد وفاته صفا الوقت لمولانا الشريف مساعد وانقادت له الامور الى سنة احدى وسبعين ومائة والألف فحصل تنافر بينه وبين السيد عبدالله الفعر فلما جاء الحج الشامى وكان الامير عليه عبدالله باشا شتجى وأمير الحج المصرى كشكش حسين بيك فدخل عليه السيد عبدالله الفعر وحسن له ان يلبس السيد مبارك ابن محمد بن عبدالله بن سعيد وبذل له شيأ جزيلا من عروض ومال فوافقه على ذلك ولم يفكر فى العواقب ووافق على ذلك جماعة من السادة الاشراف والمرادرة المصرية فأتموا الامر بالخفية و لشريف مساعد لاعلم له بشئ من ذلك الى أن حج الناس فلما كان الحادى والعشرون من ذى الحجة البسوا الشريف مباركا المذكور عند القاضى بغير فرمان سلطانى ولا أمر باشوى وفرق العساكر لى أسطحة

ابن حجر العسقلاني في كتابه المسمى لسان الميزان عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان على رأس السبعين والمائة فالرباط بجدة من أفضل الرباط وفي رواية عن ابن عمر ايضا يأتي على الناس زمان يكون افضل الرباط بجدة وروى ايضا عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة من أبواب الجنة في الدنيا الاسكندرية وعسقلان وقزوين وعبادان وفضل جدة على هؤلاء كفضل بيت الله على سائر البيوت وفي شفاء الغرام للعلامة الفاسي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة رباط وجدة جهاد وكان عطاء يقول انما جدة خزانة مكة وكل ما يؤتى به الى مكة لا يخرج الا منها وروى ابن جريج ان افضل مرابطي جدة على سائر المرابطين كفضل مكة على سائر البلدان وعن فرقد السنجي انه يكون في آخر الزمان بجدة شهداء ليس على وجه الارض مثلهم شهداء وقال الامام حجة الاسلام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين ان بعض الاولياء كوشف فرأى ان جميع الثغور تسجد لعبادان وعبادان تسجد لجدة اه قال صاحب السلاح والعدة ينبغي لمن دخل هذا الثغر المبارك ان ينوي الرباط والجهاد والذب عن بيت الله العتيق ويصحب معه شيأ لدفع أهل الكفر والعناد فبالنية يحصل له ثواب ما ينويه من الجهاد اذ العبادات متوقفة على النية لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات

﴿ ذكر فتوحات معنوية لمولانا السلطان سليمان ﴾

اعلم ان الخيرات والمبرات والمساجد والعمارات والمدارس والخانقات واجراء العيون وبناء القلاع والخانات وغير ذلك من أنواع الخيرات الجارية للمسلمين في كل الجهات كل ذلك معدود من الفتوحات وفتوحات مولانا السلطان سليمان في ذلك كلها كثيرة وأعظمها ما كان بالحرمين الشريفين فمن ذلك انه جدد عمارة مولد النبي صلى الله عليه وسلم سنة خمس وثلاثين وتسعمائة وفي سنة ست وخمسين وتسعمائة أرسل منبرا من الرخام لمكة وهو الموجود الآن وهو من تحف الدنيا ومكتوب عليه انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم وبعث مثله للمدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام وفي سنة ستين جدد ميزاب الكعبة وجدد للمسجد الحرام منارتين واحدة عند باب علي والاخرى بين باب الدريبة وباب الزيادة وكل من المنارتين تسمى بالسليمانية وهما احسن منائر المسجد الحرام وبنى اربع مدارس للمذاهب الاربعة بين باب الدريبة وباب الزيادة وعمر تعميرا كثيرا في الكعبة المعظمة وجدد سقفها وأمر بتصفيح باب الكعبة بالذهب وباصلاح رخام المطاف ثم في سنة أربع وستين امر بتجديد باب الكعبة فجدد وفي سنة سبع وستين وتسعمائة أمر بعمارة عين زبيدة فعمرت حتى دخلت مكة وعم الانتفاع بها وكان الناس قبل ذلك يقاسون غاية المشقة في تحصيل الماء وكان تمام هذا التعمير في مدة سلطنة ابنه مولانا السلطان سليم والكلام على هذه التعميرات كلها طويل مبسوط في التواريخ وبالجملة فمفاخر الدولة العثمانية وفتوحاتها وخيراتها لا تعد ولا تحصى لا سيما ما كان من ذلك لمولانا السلطان سليمان فهو واسطة عقدهم الفريد أدام الله سلطنتهم على الانام ووفقهم لما يحبه ويرضاه على الدوام ومن فتوحات مولانا السلطان سليمان

الحرم والمنائر واتخذوا جميع المنائر حصونا ومتارس، وترسوا البيوت المطلة على دار السعادة منزل مولانا الشريف مساعد فبينما هو نائم في داره لم يشعر الا ورمي الرصاص كالمطر فسأل أرباب دولته عن ذلك فأخبروه بالحصار فعند ذلك استدعى العساكر والرجال وبذل لهم الكثير من المال فقامت الحرب بينهم على ساق واستمر الحرب ذلك اليوم بطاله ووافى الموت لقصيري الآجال ومازال الحرب بين الفريقين في الليل الى الصبح فأخذ الشريف أحمد بن سعيد أخو مولانا الشريف مساعد جانبا من العسكر ونزل بهم من أسفل مكة وطلع الحاكم عبد النبي بأهل الحارات من كل ناحية وسكة حتى ظهرت الصولة والغلبة لمولانا الشريف مساعد عليهم فعند ذلك طلب السيد مبارك الذمة وأخذ الامان له وللصنجق كتكش وكان قد أخذت ذخيرته ونفائس أمواله ثم بعد اعطائهم الامان توجه السيد مبارك الى وادي مر الظهران والتمس الصنجق من مولانا الشريف مساعد ان يرجع له ما ذهب ليرتحل بالحج فأمر ان يرجع له ما يلقونه بأيدي الناس فجمع ما وجدوه شاهرا ظاهرا كالخيام والقرب والخف والحافر فأخذ ما تحصل له وارتحل

فى الحرمين الشريفين تضعيف الصدقات والصرور لاهل الحرمين وهى مادة الحياة لهم وبها معايشهم وقيام أودهم وسبب بقائهم ومددهم فهى وان كانت قديمة متواصلة من زمن آبائه السلاطين العظام الا انه هو الذى ضاعفها وزادها وأنماها وأضاف اليها من خزينته الخاصة مبلغا كبيرا وقد تقدم ان صدقة الحب اول من أرسلها والده السلطان سليم فاعتنى بها مولانا السلطان سليمان وزادها وأفرز لها قرى بمصر اشتراها من بيت مال المسلمين ووقفها وجعل ربعها لاهل الحرمين وجعل من ربعها لاهل مكة المشرفة ثلاثة آلاف اردب ولاهل المدينة المنورة ألفى اردب وكتب عند شرائه تلك القرى كتاب وقف حكم بصحته قضاة العسكر بالديوان الشريف العالى ومن فتوحاته وخيراته صدقات الجوالى وهى جمع جالية ومعناها مايؤخذ من اهل الذمة فى مقابلة استقرارهم فى بلاد الاسلام تحت الذمة وعدم جلائهم منها وهى من أجل الاموال اذا أخذت على وجهها المشروع ولاجل حلها جعلت للعلماء والصلحاء والمتقاعدين من الكبراء فلما كانت ايام سلطنة مولانا السلطان سليمان نور الله مرقده وحفه بالرحمة والرضوان بحث عنها وتحرى فيها ووجد سلاطين الجراكسة كانوا يخرجون القليل منها فاجتهد فى تحريرها وظبطها واستوعب صرف جميعها المذكورين وزاد على ذلك قدرا كثيرا أخرجه من خزائنه الخاصة به واستوعب بالظبط جوالى مصر والشام وحلب وبرذلك من الممالك الاسلامية واستوعب العلماء والصلحاء والفقراء الموجودين فى الممالك الاسلامية وجعل لكل واحد مايليق به وجعل عمارات وتكيات تطبخ فيها الاطعمة للفقراء وناهيك بكثرة هذه المصارف فى وجوه الخيرات فالله تعالى يبقى هذه الدولة الشريفة القاهرة والسلطنة الزاهرة الفاخرة الى ان تنقضى الدنيا وتقوم الآخرة ومن خيرات مولانا السلطان سليمان وفتوحاته انه وقف أوقافا كثيرة متفرقة فى ممالك الاسلام وجعل وظائف للمدرسين والطلبة فى جميع ممالك الاسلام ورتب لهم معلومات جليلة تصرف من ريع تلك الاوقاف والكلام على ذلك طويل مبسوط فى التواريخ وجعل تلك المرتبات متفاوتة على حسب مراتب من جعلت لهم وعلى قدر ترقيهم فى العلوم ولو استوفينا مافعله من الحسنات لاحتجنا الى عدة مجلدات فالله تعالى يجعل سعيه مشكورا وعمله مبرورا

✵ ذكر فتوحات مولانا السلطان سليم الثانى بن مولانا السلطان سليمان ✵

كان جلوسه على تخت السلطنة بعد وفاة والده سنة أربع وسبعين وتسعمائة وكان دخوله القسطنطينية لتسع مضين من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة يوم الاثنين ورجوعه من سكدوار موضع وفاة والده فى شهر جمادى الآخرة كما تقدم وكان مولانا السلطان سليم المذكور شهما شجاعا ذكيا مائلا الى التقوى ووجوه الخير مهاب الشكل جميل الصورة جليل القدر صحيح العقيدة حنفى المذهب كبقية أسلافه مكرما للعلماء والصالحين محبا لهم مواظبا على الصلوات الخمس فى الجماعات وكان احسانه يصل الى أهل الحرمين الشريفين قبل ان يتسلطن فلما جلس على كرسى السلطنة ضاعف لهم الخيرات والعطيات

السيد عبد الله بن سعيد والسيد سليمان بن يحيى وتمم اله كل ماطلب من مولانا الشريف فى غرة المحرم سنة ثنتين وسبعين ومائة وألف وفى ليلة النصف طلع عند حضرة الشريف السيد مبارك فقبض عليه وسجنه الى تمام السنة وتوفى ثامن ذى الحجة من السنة المذكورة ولما تحقق مولانا الشريف ان الذى كان من تولية الصنجق للسيد مبارك انما هو بواسطة السيد عبد الله الفعر اشتد غضبه عليه فأمره بالتوجه من أقطاره فارتحل وتوجه الى اليمن ولم يزل سائرا حتى قدم صنعاء فأكرمه الامام وعرض عليه أن يمده بالرجال والاموال فامتنع السيد عبد الله الفعر من ذلك وقال الاولى ان تطلب لى الاستسماح من مولانا الشريف لاعود الى الوطن فأرسل الامام لمولانا الشريف يستسمحه ويستأذن له فى الرجوع فأذن له فعاد الى الوطن فى جمادى الاولى ولما أقبل الحج الشامى فى العام المذكور وكان الامير عليه الوزير عبد الله باشا الآتى

فى العام الذى قبله عزم على عزل مولانا الشريف بحيلة دبرها وذلك انه بعد تمام الحج نزل بالمحصب وعقد مجلسا للنظر فى أحوال

﴿ ذكر أول غزوة من غزواته ﴾

شاع فى اول مدة جلوس مولانا السلطان سليم الثانى على تخت السلطنة عصيان بنى عليان من سكان الجزيرة وخروجهم عن الطاعة فجهز عليهم عساكر كثيرة وجرت حروب وخطوب يطول ذكرها حتى استولوا على معظم قلاعهم وأخربوا أماكنهم وعادوا سالمين فى أواخر سنة خمس وسبعين وتسعمائة وفى سنة ست وسبعين سارت جيوش للسلطان سليم الى اليمن لاتمام الاصلاح ودفع المتغلبين صحبة عثمان باشا ثم أردف بسنان باشا وغيره فانتصروا وأزالوا المتغلبين والمتمردين من لبرتقال وملكوا صنعاء وغيرها

﴿ الغزوة الثانية الى قبرس ﴾

وهى تتضمن غزوات لايزال اهل قبرس يتمردون ويخرجون عن الطاعة مرة بعد اخرى فتوجهت همة مولانا السلطان سليم المذكور الى التجهيز على جزيرة قبرس فجهز عساكر كثيرة فى البحر ثلاثمائة وستين مركبا وجعل عليها الوزير مصطفى باشا سنة ثمان وسبعين وتسعمائة فلما وصلت العساكر الى الجزيرة المذكورة استقرت الآراء على حصار قلعة لفقوسة أولا اذ هى مدينتهم الكبرى وقاعدة مملكتهم فحاصروها مدة شهر ثم افتتحوها وقتلوا كثيرا من عظماء اهل لفقوسة وبعثوا برؤسهم فى طباق من فضة الى اهل قلعة كرينة فلما شاهدوها خافوا وذلوا فطلبوا الأمان وبعثوا بمفتاح القلعة فتسلمها ثم مهد الوزير المذكور قواعد مدينة لفقوسة وبنى ماخرب منها وتوجه الى حصار قلعة ماغوسة وهى من أمنع الحصون وأصعب المعاقل وقد حصنوها بكثير من المدافع والمكاحل وشحنوها بالرجال وقد أحاط بها خندق واسع عميق بسور عرضه مائة ذراع وعشرة أذرع وعمقه تسعة وعشرون ذراعا وقد ركبت فى هذه القلعة من المدافع سبعمائة وأربعة وستون مدفعا كبيرا ومن البنادق مالايعلم عددها الا الله تعالى فحاصرها العسكر حصارا شديدا وقاتلوا أهلها بالآلات النارية والاحجار المنجنيقية وشقوا بطون الارض شقا ونقبوا قعورها نقبا وبعث أهل قبرس الى ملوك الفرنج يستنجدون بهم فلم ينجدوهم فلما أيسوا من الخلاص طلبوا الامان فأمنهم الوزير المذكور وطلب كثير منهم المسير الى بلادهم فمكنهم من ذلك وتسلم المسلمون ماغوسة ونصبوا فيها أعلام الاسلام وعمروا ماتخرب منها وغنم المسلمون غنائم كثيرة ثم سارت الجيوش الاسلامية الى جزيرة كفالية فنهبوها وهدموا بنيانها ثم الى جزيرة كورفس وهى مفتاح بلاد البنادقة فحاصروها بعض أيام وعاثوا فيها نهبا وتحريقا ثم فعلوا مثل ذلك بعدة جزائر هناك فلما طال مكثهم على وجه البحر ورأوا ان العدو ما قابلهم اغترا فأذن الوزير برتو باشا بالتفرق فتفرق غالب العسكر وقد ملؤا المراكب بأسباب الغنائم وشحنوها فسابقته العساكر مرسين فى المينا فوصل اليهم الخبر بأن الكفار استخبروا عن تفرقكم فهاهم سائرون عليكم وواصلون اليكم فى جموع كثيرة من ملل شتى وقبائل متفرقة واتحد البابا وملك اسبانيا مع البندقية على حرب العثمانية فتشاور المسلمون بعضهم مع بعض فكان رأى الوزير الاعظم برتو باشا فى ذلك ان لايقابلهم ولايقاتلهم

(وكان)

الحديث بينهم فى أمر العين أغلظ الباشا المذكور فى المقال على مولانا الشريف قائلا أنت أعطشت أهل هذه البلدة المحمية وأجريت العين لسقيا العابدية مع ان هذه المقالة افكة أفاك وعين زبيدة لاتركب هناك وقد كذب عليه من قال له ذلك فأجابه مولانا الشريف بأن ذلك غير صحيح فلم يقبل منه ذلك

(ذكر القبض على الشريف مساعد وتولية أخيه الشريف جعفر بن سعيد سنة ١١٧٢) فأمر بالقبض على مولانا الشريف وألبس أخاه السيد جعفر بن سعيد ولاية شرافة مكة فلما جاء الخبر للناس حصل اضطراب فى مكة ووقع الجرى فى الاسواق فبلغ الباشا ذلك الاضطراب فركب من فوره هو وجميع أمراء الحج والقاضى ووالى جدة ونزل المسجد وأبرز فرمانا مضمونه ان الدولة فوضت له الامر والنظر فى شأن الحرمين وتولية من يرى فيه الصلاح ثم نادى باسم الشريف جعفر فى شوارع البلاد وأمر بالدعاء له فى المنبر والمقام وأطلق الشريف مساعدا

بوجاهة أخيه الشريف جعفر فتوجه الشريف مساعد الى العابدية (ذكر نزول الشريف

وكان ذلك مقتضى طبعه لانه كان جبانا الى الغاية و كان مارآه هو الانسب بمقتضى الحال وخالفه كاشف البحر علي باشا في ذلك وكان رجلا شجاعا بطلا مغوارا فقال لابد من لقاء الكفار فان وهج العار أشد من وهج النار وقد أيدنا الله بالاسلام وزاد فينا قوة وبسطا فلو سارت اغربتنا وهى خالية من عسكر الاسلام لكفت قبائل الكفار وفينا من العسكر ما يفي بالمقابلة ولم يزل يناظرهم حتى غلب على رأيهم فاتفق الجميع على لقاء العدو فالتقى الجمعان في السابع عشر من جمادى الاولى سنة تسع وسبعين وتسعمائة وتقابل الفريقان في طرف من بلاد المسلمين فهبت الرياح على المسلمين وألجأتهم الى البر فانهزموا بعد قتال شديد دام من طلوع الشمس الى الغروب وقتل المرحوم علي باشا المذكور وجماعة كثيرة لاتحصى وغنم الكفار مامعهم من الاموال والاسباب والاغربة والشواني ومافيها وقل من سلم من هذه الوقعة وكانت عند الافرنج أفراح عظيمة وجعلوا زمان تلك الغلبة عيدا يعيدونه كل سنة فسبحان الحكيم الصمد القادر الذى يفعل مايشاء

❁ الغزوة الثالثة الى قبرس أيضا ❁

لما كان ماتقدم اهتم السلطان في انشاء مراكب وسفائن اخرى مع مايناسبها من المدافع فجدوا حتى تم لهم ماراموا في مدة سبعة أشهر وماكان ذلك الاعناية من الله تعالى كأن لم يمسهم ضرولاشرو في سنة ثمانين وتسعمائة خرجت عمارة السلطان من فم الخليج القسطنطيني صحبة كاشف البحر قلج علي باشا القبودان في مائة وخمسين غرابا غير ماانضم اليهم من المراكب فسار يحمى البلاد عن هجوم العدو فلما كان ببعض أطراف البلاد صادف عمارة الافرنج فوقع بين الفريقين بعض مقاتلة ومناوشة فأصاب عدة مدافع بعض سفن العدو فأغرقها ثم انجلى كل من الفريقين نحو بلاده لمصادفة الشتاء وفي هذه السنة أرسلت مشايخ البندقية تطلب الصلح على شروط تعود الى شرف الدولة فصدر الامر بالقبول وتوقف الحرب

❁ الغزوة الرابعة الى البغدان ❁

في تلك الايام كان حاكم البغدان قد أظهر العصيان وامتنع عن دفع الخراج فأرسلت اليه الجيوش والعساكر وأخذوه أسيرا ولما حضر ضربوا عنقه

❁ الغزوة الخامسة الى تونس ❁

كانت هذه الغزوة في سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة خرجت عمارة عظيمة في سفن وأغربة وغلايين وشواني مشحونة بالرجال وآلات الحرب صحبة الوزير الشهير سنان باشا وصحبته كاشف البحر علي باشا قاصدين فتح حلق الواد وتخليص مدينة تونس فساروا وحاصروا حلق الواد وهو من أمنع الحصون فافتتحوها بعد قتال قتل فيه من الطرفين ناس كثير فقتلوا من بها من الكفار واستولوا عليها وأسروا صاحبها الافرنجي وأسروا صاحبها الاصلي محمدا الحفصي وكان قد تحصن فيها خوفا من العثمانية واستعان بالافرنج الاسبانيين فلم يغنوا عنه شيأ فأسره عساكر السلطنة السنية وجاؤا به الى القسطنطينية وصارت تونس من الممالك العثمانية وهذه الغزوة كانت عظيمة الشان اختصرها بعض المؤرخين وبسط الكلام عليها العلامة القطبي فقال ان سلاطين تونس كانوا آل حفص وقد تقدم أنهم

فلما توجهت الجوخ حصل الاتفاق بينه وبين أخيه الشريف جعفر ان يتقلد الشرافة الشريف مساعد ويعود كما كان ويبذل لاخيه الشريف جعفر شيأ من الدراهم والنقود فرضى بذلك وكان ذلك في الرابع عشر من محرم سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف فرجع الى شرافته وتوجه الشريف جعفر الى الطائف فاشترى بساتين

(وفاة الشريف جعفر ابن سعيد سنة ١١٧٨)

ولم يزل يتنزه فيها مع الاتفاق بينه وبين اخيه الى ان توفي الشريف جعفر سنة ثمان وسبعين وفي سنة أربع وسبعين وقع اختلاف وتنافر بين مولانا الشريف مساعد وأخيه السيد أحمد ابن سعيد وسببه أن وزير مولانا الشريف وهو محمد الشامي أذنب عبد من عبيده فذهب لمولانا السيد أحمد ابن سعيد متوجها عليه ان يستسمح له سيده فأخذه مولانا السيد أحمد بن سعيد وقاده لبيت سيده وطلب منه السماح لذلك العبد فقبل توجهه في ظاهر الامر وسمح وبعد خروج مولانا السيد أحمد ابن سعيد فتك بالعبد

وضربه بالسياط وقيده فهرب العبد مقيدا الى بيت مولانا السيد أحمد بن سعيد

من فروع دولة ابن تومرت المهدي وان سلطنتهم كانت بتولية بني عبد المؤمن لهم من سنة ستمائة وثلاثة واستمرت الى ظهور الدولة العثمانية قال القطبي لما ضعف الحفصيون ووهنوا وقع بينهم الاختلاف وصار بعضهم يستعين على بعض بنصارى الافرنج فيأتون بجنود من الكفرة ويقاتلون أهل تونس ويسبون اولادهم ونساءهم ويبنون القلاع في تلك البلاد ويواصلون جنود النصارى الى بلاد المسلمين ويولي النصارى سلطانا من الحفصيين يكون تحت حكمهم الى ان صار المسلمون تحت حكم النصارى وعم أذاهم للمسلمين وبنوا قلعة عظيمة محكمة الاتقان مشيدة البنيان بقرب تونس في موضع يقال له حلق الواد كأنه بناء شداد وشحنوها بالابطال وملؤها بآلات الحرب والقتال وصارت الفرنج تكمن للمسلمين ويرسلون منها الاغربة والمراكب في البحر على بلدان المؤمنين ويقطعون الطريق على المسافرين ويأخذون كل سفينة غصبا وكبير ملوكهم صاحب اشبيلية جزيرة الاندلس بعد ان أخذوها من المسلمين أعادها الله دار اسلام ببركة النبي عليه افضل الصلاة والسلام وقد كان خير الدين باشا لما تملك الجزائر استغاث به الرشيد احد ملوك تونس فأجابه وسار معه بجنود الى ان تملك تونس في قصة طويلة ففزع الحسن بن محمد الحفصي الى اسبانيا فبعثوا معه جنودا وأخرجوا خير الدين باشا وعساكره وقصة ذلك طويلة فلما كانت سلطنة مولانا السلطان سليم الثاني بن السلطان سليمان جهز الجيوش الكثيرة وبعثها مع سنان باشا في مائتي سفينة بالمدافع والآلات الكثيرة والذخائر الوفيرة سنة احدى وثمانين وتسعمائة فأحاطوا بتونس وحاصروها وضيقوا عليها ورموا عليها المدافع الكثيرة وقاتلوها قتالا شديدا وطموا خندقها بالتراب بعد تعب شديد وكان عمق الخندق ستين ذراعا وقعره متصل بالبحر ثم حمل الوزير ومن معه من الابطال حملة واحدة تزلزلت منها الجبال ودخلوا القلعة وفتحوها عنوة بالسيف والقتال وقتلوا من فيها وكان هذا الفتح العظيم لست عشرة مضين من شهر جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة ومن أعجب الاتفاق ان هذه القلعة بنتها النصارى في سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة وأحكموا بنيانها واستكملوه في ثلاث وأربعين سنة وافتتحها الوزير المذكور في ثلاث وأربعين يوما من أيام محاصرتها فكانت الايام بعدد السنين التي أحكم فيها بناؤها كل يوم بسنة ولما تم هذا الفتح رأى الوزير المذكور ان ترميمها وعمارتها وحفظها بالعساكر والآلات الحربية تحتاج الى مؤنة كثيرة وخزائن من الاموال فأمر بهدمها وتخريبها حتى لا تصير ملجأ للنصارى المخذولين ولما فرغ الوزير من أمر حلق الواد توجه الى تونس وبها قلعة أخرى حاصرها العساكر أيضا الى ان فتحوها وأسروا صاحبها الافرنجي وصاحبها الاصلي الحفصي وبعثوا بهما الى دار السلطنة وصارت تونس من الممالك العثمانية وانقضت دولة الحفصيين بعد ان انقضى لهم فيها ثلاثمائة وثمان وسبعون سنة هذا حاصل هذا الفتح بغاية الاختصار ومن فتوحات مولانا السلطان سليم الثاني المعنوية اضعافه المبرات والخيرات لاهل الحرمين الشريفين وعمارته المسجد الحرام فانه كان مسقفا بالخشب وتوالى عليه الحريق والتعمير وصار في غاية من الخراب والوهن فبرز أمره السلطاني بتعميره وان يتركوا تسقيفه بالخشب بل يجعلوه قبابا وطواجن كما هو مشاهد الآن وبرز الامر بالتعمير

وأخبر بما جرى بعد خروجه فانهى الامر لاخيه مولانا الشريف مساعد فلم يلتفت لمقاله ولم يتكلم مع وزيره بشيء لانه كان مقر بالدية * وقد قيل في المثل ان عدم النصفة بين الخدم تفضي الى الندم والمنافسة بين الخدم سم في دسم وتعدي الخادم عن طوره دليل على ظلم المخدوم وجوره فغضب السيد أحمد بن سعيد من عدم التفات أخيه الى شكايته من وزيره فتوجه الى وادي نعمان وجمع شيأ من العربان فجاء الخبر لمولانا الشريف مساعد فجمع هو أيضا وخرج بهم مع عساكره لمقاتلة أخيه وكان السيد أحمد بن سعيد جامعين معه ونزل في التنعيم فالتقى الجمعان واقتتلوا عند الجبال التي حول أبي لهب ووقعت بينهما ملحمة مات فيها من دنا أجله من الفريقين وأسفر الامر عن انكسار السيد أحمد بن سعيد فانهزم ونهبت خزائنه ثم طلب ذمة من أخيه وارتحل لوادي مر ومكث هناك أياما حتى دخل جماعة من كبار الاشراف بينهما بالصلح فرجع واصطلح مع أخيه وأنزله المنزل الذي يرضيه وأمر الوزير أن ينقاد لاخيه ويستسمحه فيما جناه فذهب اليه واستسمحه بما هفا فسمح له عن الذنب وعفا وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف حصل بين مولانا

سنة تسع وسبعين وتسعمائة وكان الشروع فيه فى منتصف المحرم سنة ثمانين وتسعمائة وتوفى مولانا السلطان سليم المذكور قبل اكمال التعمير فأتمه ولده مولانا السلطان مراد فكان التمام سنة أربع وثمانين وتسعمائة فجاء نزهة للناظرين والكلام على ذلك طويل مبسوط فى التواريخ وتوفى مولانا السلطان سليم سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وعمره اثنتان وخمسون سنة ومدة سلطنته ثمان سنين وخمسة اشهر وكان سبب وفاته أنه أنشأ حماما بدار السعادة وأحكمه غاية الاحكام بحيث أنه لم يبصر احد مثله فلما تم الحمام دخله السلطان المذكور فبينما هو يمشى فيه اذ زلق قدمه فسقط سقطة عظيمة اسود منها جنبه الذى سقط عليه فمرض منها أياما ثم توفى رحمه الله واقيم فى السلطنة بعده ابنه (السلطان مراد الثالث) وكان وقت وفاة ابيه غائبا فى مغنيسا فأخفوا موت ابيه احد عشر يوما الى ان حضر السلطان مراد وجلس على تخت السلطنة فأظهروا موت ابيه وكان مولانا السلطان مراد المذكور ملكا جليلا تربى فى حجر السعادة واشتغل بالعلوم حتى حصلها وفاق كثيرا من اسلافه واشتغل بعلم التصوف ولم ينقل عنه انه صدر منه شئ من الكبائر وكان مكرما للعلماء والصالحين والفقراء محبا لهم كثير الاحسان اليهم وكان واقفا عند مراد ربه لا يتعداه عاملا فى أمره بتقوى الله مراعيا للعدل والاحسان فيما استرعاه لم يزل قائما بنصرة الدين وحماية بيضة الاسلام وتقوية جناح المسلمين ولو لم يكن من مناقبه الا تكميل بناء المسجد الحرام لكان ذلك دليلا على كرامة الله له بين الانام وكان له نظم فائق باللسان العربى والتركى والفارسى

ذكر اول غزوة من غزواته الى بلاد العجم

كان أهم شئ عنده بعد جلوسه فى السلطنة قتال سلطان العجم لكثرة ما وقع منه من الغدر ونقض العهود وهلك سلطان العجم طهماسب شاه سنة اربع وثمانين وتسعمائة وقام بعده ولده محمد خدا بنده فعين السلطان مراد الوزير مصطفى باشا فاتح بلاد قبرس فتوجه فى سنة ست وثمانين وتسعمائة بعسكر كثير الى بلاد الشرق فبنى قلعة قارس وشحنها بالمدافع والمكاحل ثم سار الى تخوم بلاد العجم والكرج وحاصر قلعة الكرج الى ان استولى عليها ثم التقى مع عسكر العجم وقاتلهم قتالا شديدا فهزمهم وحصدهم بالسيوف واستولى على أموالهم وخيولهم واستولى على عدة قلاع وشحنها بالرجال ثم سار وحاصر قلعة تفليس الى ان افتتحها وكان المسلمون افتتحوها قديما وغلب عليها الكرج ولما فتحت مدينة تفليس ارسلت ام منوجهر الكرجى ملكة تلك البلاد ابنها الى الوزير بالطاعة ومعه مفاتيح ثمانى قلاع فرحب به الوزير وآنسه وعين له امراة تلك البلاد بعد ان أسلم بين يدى الوزير ثم سار الى طرف شروان بعد ان نصب أميرا على تفليس وبث سراياه الى الاطراف وتمكن منها وترك فيها عثمان باشا ابن ازدامر واليا بها فلما اقبل الشتاء توجه الوزير مصطفى باشا الى طرف بلاد السلطان وشتى هناك للاغارة فى الربيع على بلاد العجم ثم بلغه ان صاحب شروان القديم قصد بنحو اثنى عشر الفا لقتال عثمان باشا فوقع بينهما قتال شديد وانتصر عثمان باشا وقتل صاحب شروان وأكثر عسكره ثم وقع

الشريف مساعد وبين السيد أحمد بن الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى منافرة تولد منها خراب كبير فرحل السيد أحمد بن عبد الكريم الى الوادى واجتمع عليه آل بركات وأجمع رأيهم على تولية السيد عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات شرافة مكة فوافقهم على ذلك وجمع ما أمكنه من الرجال وبذل ما قدر عليه من المال وبنوا أمرهم على أنهم يأخذون قبل ذلك بندر جدة ويستولون على ما فيها من الاموال فتوجهوا ومن معهم من الجموع وأحاطوا بسور جدة من كل جهة فتحصن أهلها ورموهم بالمدافع والقلل فلم يجدوا اليها خلاصا فقيلوا فى العشش التى هى خارج البلد بعد ان تفرق كثير من جمعهم فرموهم من جدة بنشاشيب جعلوا الكبريت الموقد فى رؤسها كالرياش فاحترقت تلك العشش فلم يقر لهم قرار وقيل ان مولانا الشريف مساعدا أرسل من أحرقها فرجع الشريف عبد الله ابن حسين الى الوادى ثم توجه الى مصر وطلب من صاحب مصر الاعانة له على بلوغ المأمول وكان صاحب مصر اذ ذاك على بيك كبير صنماجق الغز قد تغلب على الدولة العلية وخرج عن طاعتها وأخرج الوزير المتولى أمرها من الدولة وصار الحل والعقد بيده حتى انه

بينه وبين عسكر الشاه هنالك ماينوف عن عشرين وقعة وكان النصر فيها دائما لعثمان باشا ثم جاء عسكر من العجم نحو ثلاثين ألفا وقصدوه في شروان فقاتلهم اربعة أيام ثم انتصر عليهم وقتل أكثرهم ثم ترك في شروان جعفر باشا وتوجه الى القسطنطينية يطلب ليكون صدرا أعظم وقاتل في مسيره عدة امم اعترضوه بالحرب وغلب عليهم ولما وصل الى بلاد كفة بلغه أن خاقان التتار أظهر العصيان على سلاطين آل عثمان فقاتله وانتصر عليه وقطع رأسه

❁ الغزوة الثانية الى بلاد العجم ايضا ❁

وفي سنة ثمان وثمانين وتسعمائة بعث مولانا السلطان مراد وزيره سنان باشا الى قتال العجم فسار مع عسكر جرار ووصل الى حدود العجم فأرسل اليه الشاه في الصلح وبعث للسلطان احد وزرائه يدعى ابراهيم خان بتحف سنية وهدايا جليلة وظن سنان باشا ان هذه الحالة مما تعجب السلطان فلم يكن الامر كذلك بل عزله السلطان وأقام مقامه فرهاد باشا وفي سنة احدى وتسعين وتسعمائة توجه الوزير فرهاد باشا بالعساكر الى بلاد العجم فسار وتوغل في بلاد اذربيجان واستولى على مدينة وان وبنى بها حصنا حصينا نصب فيها يوسف باشا واليا وفي سنة اثنتين وتسعين سار فرهاد باشا بعساكر وافرة الى بلاد الكرج فبنى هناك عدة قلاع وفي هذه السنة ايضا سار الوزير الاعظم عثمان باشا بعساكر كثيرة الى قتال العجم فتتبع بلاد قسطموني وسار الى بلاد العجم في سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ومعه من العساكر ما لا يعلم عدده الا الله فعارضه الاعجام في الطريق فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم دخل تبريز في أواخر رمضان من السنة المذكورة واستقبله اهل تبريز بمصاحفهم ووجوه الناس فقابلهم الوزير باللطف ثم شرع في بناء قلعة حصينة ثم في بناء سور المدينة فأتم الجميع في مدة خمسة وثلاثين يوما ثم ظهر من بعض اهل تبريز بعض الغدر في أمر العساكر فهجم عليهم العساكر وقتلوهم ونهبوا أموالهم ولم ينج منهم الا النساء والاطفال ثم مرض الوزير وخرج متوجها الى بلاد الروم بعد أن أبقى في مدينة تبريز نحو ثلاثين ألفا صحبة جعفر باشا فلما كان اليوم الرابع من مسيرهم اعترض للوزير حمزه مرزا ابن شاه محمد خدابنده سلطان العجم مع عسكر كثير فتهيأ الوزير وهو مريض لقتالهم وركب بغلته الشهباء وهو آخر ركوبه على الدابة فاستمر الحرب من غلس الصبح الى الظهر فلما رأى الوزير امتداد الامر أمر برمي المدافع الكبار وكانت ثمانمائة مدفع فأصابت خلقا كثيرا من عساكر الاعجام وانجلى الامر عن هزيمتهم ثم نزل الوزير في ذلك المحل وفتح أبواب الوطاق لاجل اعطاء الترقي والعطية للعساكر فلما صار نصف الليل غلق أبواب الوطاق وانتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى واقام مقامه سنان باشا بمدينة وان فلما رحلوا اعترضهم العدو يمينا وشمالا ووقع بينهما مناوشات فلما وصلوا الى حدود المملكة العثمانية امام قلعة سلماس هجم حمزه ميرزا المذكور في نحو ثلاثين الفا فوقع بين العسكرين قتال كثير وانجلى الحرب عن هزيمة الاعجام بعد أن حصد غالبهم بالسيف

❁ الغزوة الثالثة الى بلاد العجم ايضا ❁

في سنة اربع وتسعين وتسعمائة جهز السلطان مراد فرهاد باشا مع عساكر عظيمة الى بلاد العجم فوصلوا الى مدينة تبريز وحصنوا قلعتها ورمموا اسوارها وكانت الشاهية حاصروها مرارا عديدة

بعد هذه المدة أرسل جيوشا ملك بها الشام كما هو مذكور في تاريخ مصر للعلامة الجبرتي فلما جاء السيد عبد الله بن حسين لعلي بيك مستنجدا به أجابه لمرامه وأوصى أمير الحاج المصري وكان الامير المذكور مملوكا لعلي بيك يسمى محمد أبا الذهب وأكد عليه ان يسعفه بمراده ويجتهد في تمكينه بغاية اجتهاده حتى يجلسه على كرسي الشرافة فجاءت الاخبار لمولانا الشريف مساعد فأخذ في أسباب الاحتراس غايتها فلما وصل الحج المصري الى الوادي توجه الى مكة وترك الشريف عبد الله ابن حسين يجمع له كثيرا من البوادي فوصل الحج الى مكة وخرج الشريف مساعد للبس الخلعة الواردة مع الحج المصري فألبسه اياها على العادة الجارية ولم يظهر أمير الحج المصري شيأ مما في نفسه فلما أتم الناس حجهم بالامن والاطمئنان اتفق مولانا الشريف مع أمير الحاج الشامي وهو عثمان باشا الصادق وكان محبا لمولانا الشريف على تقديم سفر الحج المصري واخراجه من مكة قبل أوانه لما علموا مقصده مع الشريف عبد الله بن حسين فأمروه بالخروج والسفر يوم الثامن عشر من ذي الحجة قبل ان يتم مراده وحيث لم يعهد ذلك حصل اضطراب وضجة فامتثل

وقربوا من أخذها ثم بنى هناك بين وان وتبريز قلعتين وشحنهما رجالا وسلاحا ولم يزل
الوزير المذكور يشتي ببلاد الروم ويرجع في الصيف الى بلاد العجم حتى مهد البلاد التي أخذت من
الكرج وبنى قلاعا وحصونا كثيرة وقاتل قره باغ محمد خان فكسره وغنم أمواله وعاد الى بلاد
الروم والحاصل ان الحرب بين الدولة العثمانية والعجم كانت سجالا ثم انعقد بينهما صلح وجعل
لكل منهما حدلا يتعداه احدهما وكان ذلك في مدة الشاه محمد خدابنده بن طهماسب بن اسماعيل
وخلع محمد خدابنده سنة خمس وتسعين وتسعمائة لانه كان اعمى وأقيم بعده ولده عباس شاه

❊ الغزوة الرابعة الى بلاد المجر ❊

في سنة احدى بعد الالف عين السلطان الوزير سنان باشا لمحاربة كفار المجر وأرسل معه العساكر
ففتح تلك السنة قلعة بستريم وقلعة طاجة وشتى بمدينة بلغراد وفي السنة الثانية فتح قلعة
قرآن بضم القاف وقلعة يانق وهي من أحصن القلاع وأصعبها قد أحاط بها الماء وهي مدينة
ماتت الملوك بحسرتها لحصانتها ومنعتها ومتانتها وكان فتحها عند النصارى بمنزلة المحال
لصعوبة مراقيها واستعلاء مراميها وذلك بعد ان نال المسلمين شدة عظيمة قيل ان النصارى
رموهم بمدافع فجاء مدفع بصنجق النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاه رجل قبل السقوط فلم يسقط
ثم بعد ايام لما اشتد بهم الحصار سلط الله عليهم موتان فجعلوا يموتون في فرشهم من غير قتال
فسلموا المدينة للمسلمين فدخلوها فوجدوها قد جافت من الموتى وسر المسلمون بذلك سرورا
عظيما وتوفي السلطان مراد خان الثالث سنة ثلاث بعد الالف وعمره خمسون سنة ومدة ملكه
عشرون سنة وثمانية أشهر وتسلطن بعده ولده (السلطان محمد الثالث) قال في خلاصة
الاثر عند ذكره الملك الاعظم الباهر الشان كان سلطانا عظيم القدر مهابا جوادا عالي الهمة
مظفرا في وقائعه صالحا عابدا ساعيا في اقامة الشعائر الدينية مراعيا لاحكام الشريعة مطيعا
لاوامر الله منقادا لما يقرب اليه مداوما للجماعة والاوقات الخمس قائما بالسنن والرواتب
ومن عاداته المرضية أنه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم نهض قائما وبالجملة فأوصافه كلها
حسنة فائقة وقال القرماني في تاريخه كان كامل الاوصاف محبا للعدل والانصاف محبا للعلماء
والصلحاء مكرما لهم بأنواع الاكرام شديد المحبة للجهاد ونصرة الاسلام

❊ الغزوة الأولى من غزواته ❊

كانت هذه الغزوة الى المجر في أول مدة سلطنته خرج عن الطاعة ميخايل ملك الافلاق
واجتمع معه ملك النمسا وبلاد الاردل وعاثوا في بلاد روم ايلي فبعث السلطان محمد جيشا
تحت قيادة فرهاد باشا الصدر الاعظم فكسره الافرنج كسرة هائلة وقتل من جيشه خلق
كثير فقتل السلطان فرهاد باشا وولى مكانه سنان باشا وكان شيخا مسنا فلم ينجح بل كسر أيضا
فعزله السلطان وأعاده الى الصدارة فأشار على السلطان ان يخرج بنفسه للحرب فخرج بنفسه
في شوال سنة أربع بعد الالف بجيش غفير قاصدا بلاد المجر فوصل بلغراد وحاصر مدينة
اكراي ففتحها وكان فيها قلعة في غاية المنعة والتحصين فنازلها بجنوده وأطلق أمره في
ضربها بالمكاحل فاشتد البلاء بمن فيها فخرجوا منها طائعين وسلموها في أواخر صفر سنة
خمس بعد الالف ووصل خبر أخذها الى ملك الانكروس فقام وقعد وأرغى وأزبد

الامر وارتحل قبل ان يتم مراده وارتحل بعده بثمانية أيام الحج الشامي فلما بلغ الشريف عبدالله
ابن حسين خروج الحج
المصري حصل له غيظ
وحنق فبذل المال واجتهد
في جمع الرجال ودق زير
الحرب واجتمع عليه
كثير من القبائل
والاشراف ماعدا آل حسن
وكذلك الشريف مساعد
جمع من الرجال أضعاف
ماجمعه الشريف عبدالله
ابن حسين مع ما عنده من
العساكر والرجال فأقبل
الشريف عبدالله بن حسين
بمن معه من البوادي وخيم
بالجبال التي حول الزاهر
فخرج الشريف مساعد
بمن معه لقتاله وكمن كثيرا
من جنوده بجبال المعابدة
والمعلى ووقع القتال
بين الفريقين في اليوم
السابع والعشرين من
ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين
ومائة وألف واشتد
الامر وسالت الدماء
وكانت ملحمة عظيمة
ظهر فيها من الشجاعة
الفائقة ثقال سلحدار
مولانا الشريف مساعد
مالا يخطر بالبال حتى انه
رفع السيد رضا من ظهر
فرسه وهو مدرع ورفعه
على قائم زنده ورماه بين يديه
ثم طعنه بالقنا فخرجت
روحه ثم أسفرت هذه المعركة
والواقعة المرتبكة عن انهزام السيد عبدالله بن حسين فتوجه الى الوادي وطلب ذمة فاعطيها على المعتاد ثم توجه الى

لانها كانت عندهم من القلاع المعتبرة فكاتب ملوك النصارى فطلب الامداد منهم بالعساكر والذخائر فاجتمع اليه ملك النمساوحاكم الأردل وحاكم البغدان وحاكم الأفلاق وسواكن الجزائر من حكام البحر وكثير من ملوك الفرنج فجاؤا الى امداده بسبعة جيوش يضيق عنها الفضاء وكان السلطان محمد سار بعسكره بعد الفتح السابق الى القلعة التى بها المعدن فبينما هو فى أثناء المرحلة الثالثة اذ دهمته النصارى من كل جانب وأحاطوا به وكان عسكر الاسلام حينئذ غير مستعد والنصارى فى غلبة الكثرة جدا بحيث ان جمعهم المخذول لايحصى فوقع حرب عظيم فى ذلك اليوم كله الى ان دخل الليل فتفرقوا وكان ذلك يوم الخميس ثانى شهر ربيع الاول وأصبحوا يوم الجمعة متحاربين أيضا واستمدت النصارى أزيد من اليوم الاول فكانوا غرقى فى الفولاد ثم هجموا دفعة واحدة على المسلمين وفرقوهم بددا ووصلوا الى مخيم السلطان فطلب السلطان اليه معلمه الخوجه سعد الدين وكان فى صحبته فحضر بين يديه وجعل يثبته والسلطان يستنهض عساكره الخاصة به ويستغيث بالله تعالى فلم يكن بأسرع من أن قوى المسلمون وأدركهم بعض المنهزمين ففرقوا شمل النصارى وأبادوهم ودخلوا بينهم والتحم القتال وتراجع جميع العسكر مسعفين فكسروا النصارى وردوهم على أعقابهم ووقع السيف فيهم وهم فارون حتى قتل بعضهم بعضا من الزحام وغيره ووهب الله تعالى له النصر والتأييد ولم يسلم احد من الكفار الا من هرب وغنم السلطان ومن معه غنيمة عظيمة وأحصيت قتلى المسلمين فكان الذى استشهد من القواد مايقرب من اربعمائة ومن الصناجق أصحاب الالوية بضعة عشر رجلا ومن الامراء الكبار اربعة أنفار ومن العساكر كثير ومن الكفار مالايحصى والحاصل ان ماوقع له من النصر لم يقع لاحد من ملوك آل عثمان وذلك انما هو بمحض لطف الهى وامداد ربانى غير متناه واقد حكى ان ملوك الفرنج تطلق على هذا السلطان صاحب القران وهذا الوصف انما هو لمن بلغ فى الشجاعة المرتبة التى لاتسامى وانهم على عادتهم يصورون ملوك آل عثمان فيقدمون هذا فى التصوير على كل الملوك وذلك كله بسبب هذه النصرة التى رزقها وفى خلاصة الاثر أن بعض العلماء رأى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه يتذاكرون أمر هذه الغزوة فقال الصديق الاكبر رضى الله عنه ان انهزام المسلمين كان مقدرا لكن لما كان السلطان محمد سعيدا أكرمه الله تعالى فأمده بملائكة النصر حتى حصل له الظفر والتأييد ودخل السلطان الى مقر ملكه ثالث جمادى الآخرة سنة خمس وألف بموكب حافل

﴿ الغزوة الثانية الى بلاد الانكروس ﴾

فى هذه السنة عين محمد باشا الساطورجى سردارا على بلاد الانكروس فتقابل مع الكفار بجيش جرار ووقع بينهما قتال ووقع من محافظ بوسنة حسن باشا الترياقى اهمال فى مساعفته ولولا ذلك ماخلص احد من الكفار

﴿ الغزوة الثالثة جهز مولانا السلطان محمد جيشا مع محمد باشا ﴾

فى سنة سبع فتح محمد باشا المذكور قلعة وار دار وفى هذه السنة استولى الكفار على قلعة يافق وبعض قلاع وفيها ايضا كبس ميخاييل اللعين على غفلة قرب نيكبولى ففر محافظ الطونة

مملوكه محمد بيك أبا الذهب ومعه جردة عظيمة فيها صنجقان وثلاثة آلاف من العسكر وثلاثون مدفعا وجعل الذخائر والاثقال تاريهم فى ثلاثة مراكب فى البحر وأكد عليهم ان يمكنوا الشريف عبدالله ابن حسين من سيادته ويخرجوا الشريف مساعدا من دار سعادته فقدر الله انه حصل للشريف مساعد توعك ومرض من يوم خروجهم من مصر قبل أن يصل اليه الخبر وتوفاه الله تعالى قبل وصوله

(ذكر وفاة الشريف مساعد سنة ١١٨٤)

وكانت وفاته يوم الاربعاء لثلاث بقين من شهر المحرم سنة أربع وثمانين ومائة وألف وكانت مدة ولايته تسع عشرة سنة الاثلاثة أشهر وأعقب أولادا كراما منهم مولانا الشريف سرور والسيد مسعود والسيد عبد العزيز والسيد عبد المعين والشريف غالب والسيد محمد والسيد لؤى وكان قبل وفاته عقد البيعة من بعده لاخيه مولانا الشريف عبدالله بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسن بن أبى نمى

احمد باشا منهزما فحاصر العين قلعة نيكبولى مدة ثم رحل عنها وفيها غضب السلطان على محمد باشا الساطورجى لاهماله فى أمر المحاربة واتعابه العسكر واسرافه فى المصارف وانتزاع يافق فى زمانه واقتلاع بعض قلاع فأرسل اليه السلطان من قتله

✻ الغزوة الرابعة جهزمولانا السلطان محمد جيشا ✻

فى سنة ثمان بعد الالف ففتحوا قلعة قانيسره وكان فتحها على يد الوزير الاعظم ابراهيم باشا وكان فتحا عظيما يعادل فتح اكراى وسربها المسلمون وزينت البلاد لهذا الفتح ثلاثة ايام وكان فى أيام محاصرتها وقع اضطراب عظيم فرأى بعض الصلحاء فى منامه شيخ الاسلام صنع الدين جعفر وهو يأمر بقراءة هذا الدعاء وهو اللهم قو قلوب المؤمنين بقوة الكرام البررة وألق الرعب فى قلوب الكفرة الفجرة فشاع هذا الدعاء وداوم على قراءته الناس فظهر أثره ولله الحمد وفى هذه السنة استولت النصارى على استون بلغراد ثم استرجعت منهم

✻ الغزوة الخامسة الى بلاد المجر ✻

فى سنة عشر بعث مولانا السلطان سنان باشا ابن جغال لمحاربة المجر ففتح تلك السنة قلعة فتحجة

✻ الغزوة السادسة الى بلاد العجم ✻

فى سنة احدى عشرة جاء الخبر بأن شاه العجم نقض الصلح واستأسر محافظ تبريز واضطرب أمر المسلمين فضمت تبريز الى وان ووجهتا لكافل حلب نصوح باشا وعين السلطان عسكرا جرارا وأردف بهم نصوح باشا ثم توفى السلطان محمد قبل تمام الامر وكان تمامه فى مدة سلطنة ابنه (السلطان أحمد الاول) وكانت وفاة السلطان محمد سنة اثنتى عشرة بعد الألف وعمره تسع وثلاثون سنة ومدة سلطنته تسع سنين وشهران وتسلطن بعده ابنه السلطان احمد الأول وهو الرابع عشر من سلاطين آل عثمان والقمر ليلة الرابع عشر يسمى بدرا فلذلك قال بعضهم ان السلطان احمد يستحق ان يسمى بدرا لأنه أضاء به الملك فانه لما تسلطن كان البغاة والخارجون قد كثروا فى كل ناحية من أواخر سلطنة والده فسعى السلطان احمد فى اخمادهم وجد فى قطع دابرهم حتى أبادهم وكان سلطانا عظيم القدر جليل الذكر محبا للعلماء وآل البيت والصحابة متمسكا بالسنة النبوية حسن الاعتقاد معاشرا لأرباب الفضائل سمح الكف جوادا لا تزال احساناته للفقراء واصلة وعطاياه لأرباب الاستحقاق مترادفة وجاء تاريخ جلوسه فى السلطنة هو خير السلاطين ومن خيراته ومآثره انه فى سنة أربع وعشرين وألف أرسل للحجرة الشريفة النبوية فصين من الألماس قيمتهما ثمانون ألف دينار فوضعهما فوق الكوكب الدرى وهذا الكوكب هو الذى تجاه الوجه الشريف فى الجدار وهو فى مسمار من الفضة مموه بالذهب فى رخامة حمراء ومن استقبله كان مستقبل الوجه الشريف وله صدقات كثيرة فى أهل الحرمين

✻ ذكر غزوة من غزواته ✻

جهز جيشا فى ابتداء دولته وأرسله مع وزيره الاعظم على باشا الى بلاد المجر فمات على باشا وهو متوجه فأقام بدله محمد باشا الذى كان سردارا فى الروم ايلى ثم سعى مراد باشا بالصلح بين مولانا السلطان احمد والمجر والهدنة عشرين سنة ودخل الى دار السلطنة

مساعد ولى شرافة مكة أخوه الشريف عبدالله المذكور وألبسه قاضى الشرع الشريف ونودى له فى البلاد فنازعه فى الامر أخوه مولانا الشريف أحمد بن سعيد وقال انا لها أنا لها فنزل له عن الشرافة وقلده اياها وعاش بعد ذلك ست سنوات وتوفى وأعقب أولادا كراما منهم السيد فهيد والد السيد عبدالله بن فهيد المشهور ومنهم السيد مساعد والسيد عامر والسيد على والسيد عبد العزيز والسيد دخيل الله المشهور بالعواجى

(ذكر نزول الشريف عبدالله بن سعيد عن شرافة مكة لاخيه الشريف أحمد بن سعيد سنة ١١٨٤)

فولى شرافة مكة الشريف أحمد بن سعيد بعد نزول أخيه له عنها وظهر عقب ولايته فى شهر صفر نجم فى السماء ذو شعاع وله ذنب ما رأته العرب قبل ذلك وطوله يزيد على رمح يطلع بعد المغرب ولا يغرب الا عند الصبح فتشاءم الناس من طلوع ذلك النجم وكثرت فيه الاقاويل والقيل والقال ثم اطلع كثير من الناس على قصيدة للعلامة الفاسى تؤذن ان بعد ظهوره تبدو أمور غير جيدة والقصيدة بائية وهى تدل على ظهور طائفة الوهابية وانذكرها تتميما للفائدة ثم نتم الكلام على الجريدة التى جاءت مع الشريف عبدالله بن حسين قال

اذا لاح نجم من المشرقين ✻

ومعه رسل المجر ومعهم الهدايا والتحف فقبل مولانا السلطان احمد ذلك

❁ ذكر غزوة اخرى ❁

فى سنة ثلاث عشرة بعد الالف جهز جيشا وبعثه مع محمد باشا البوسنوى احد الوزراء العظام لفتح قلعة استرغون فسار اليها ولم يتمكن من فتحها تلك السنة ثم فتحها فى سنة اربع عشرة

❁ ذكر غزوة الى بلاد العجم ❁

فى سنة ألف وأربع عشرة جهز جيوشا الى بلاد العجم وكان عليها سنان باشا بن جغال فوصل اليهم وقتلهم وانتصر فى أول الأمر ثم خالف أمره بعض الوزراء الذين كانوا معه وكان ذلك سببا لانهزام الجيوش فانهزموا وقتل منهم خلق كثير

❁ ذكر غزوة اخرى الى بلاد العجم أيضا ❁

فى سنة ست عشرة وألف جهز جيشا عظيما يقوده مرادباشا وكان قد كبر وشاخ فجعل الأمر لنصوح باشا وتأخر فى ديار بكر ومرض ومات فتقدم نصوح باشا لمحاربة العجم فقاتلهم وقهرهم واستولى على تبريز فهرب سلطانهم عباس شاه والتجأ الى بعض الجبال وأرسل يطلب الصلح فأجابه نصوح باشا الى ذلك بعد ان اشترط عليه ان يذكروا اسم السلطان فى بلاد العجم ويدعوا له فى الخطبة وان الشاه عباس يدفع مصاريف الحرب ويقوم بالخسارة التى أحدثها فى بلاد السلطنة العثمانية فقبل الشاه عباس ذلك وانعقد الصلح ورجعت العساكر العثمانية الى بلادها

❁ ذكر غزوة اخرى الى بلاد العجم أيضا ❁

فى سنة خمس وعشرين وألف نقض الشاه عباس تلك العهود ولم يف بالشروط ففتحت الحرب ثانيا بين الدولتين وأرسلت الجيوش العثمانية مع نصوح باشا فغلب وانتصروا استولت الجيوش على بعض القلاع بعد حرب شديد ثم وقفت الحرب بسبب كثرة الثلج والبرد ومات من العسكر جانب عظيم وأشيع ان الشاه انما نقض الصلح بمكاتبة جاءته من نصوح باشا وعده بالاعانة فأمر مولانا السلطان أحمد بقتل نصوح باشا فقتل سنة خمس وعشرين والف وفى سنة ست وعشرين توفى السلطان احمد وعمره خمس وعشرون سنة ومدة سلطنته اربع عشرة سنة واوصى بالسلطنة لاخيه مصطفى بن محمد لان أولاد السلطان احمد كانوا صغارا وأخوه اكبر منهم وكان ابوه السلطان محمد أوصاه به فكان يرعاه فبويع أخوه (السلطان مصطفى) وخلع بعد ثلاثة أشهر لانه كان صالحا زاهدا متقشفا فلم تظهر كفايته للسلطنة لشدة بذله الاموال وكثرة ركوبه الى المحلات البعيدة من غير تقيد بأمر مركوب ولا غيره لانه تارك للدنيا وليس براغب فيها بحيث انه كان فى مدة سلطنته لبسه جوخة خضراء بأكمام عربية وأما أكله فانه لم يأكل الدسم مطلقا وانما كان يأكل الكعك الناشف واللوز والبندق وانواع الفواكه واما أمره فى النساء فان والدته احضرت له جوارى عديدة فلم يقبل منهن واحدة وكان لايدرى من أحوال الملك الامايلقى اليه فلما رأى أركان الدولة ان الامر به لاينتظم ذهب المفتى المولى اسعد بن سعدالدين الى اسكدار للشيخ محمود المعتقد الصالح العالم العامل يستشيره فى خلعه فأشار بخلعه وان يولى مكانه السلطان عثمان

تدوس البلاد بكثر العطب
يكون لقوم حروب كثير *
وتلقى العشائر أقصى التعب
وتبدو شرور تعم البلاد *
الى أن تولى الثلاث الحقب
ويقمع صنعا وأربابها *
ومن حل فى حولها واقترب
برابعة بعد تلك الثلاث *
بأكل زبيب وتمر وحب
وفى الخمس يبعث المشرقى *
يبيد البلاد بكثر العطب
اذا ماتقاربت الزهرتان *
لاول شوال رأيت العجب
وزاد عطارد فى سيره *
على المشترى طالعا والتهب
فذلك دليل يكون الكسوف *
لآخر جادى وأول رجب
اذا انكسف الشمس عند الغروب *
صحيح رواية أهل الادب
بمصر وخوف وعيش قليل
يقول لمجرب فيها حسب
يقيمون فى الذل دهرا قليلا *
وتفنى الذخائر والمكتسب
وفى الست يظهر سبط الرسول *
كريم المناقب عز العرب
يبيد الفساد وأربابه *
ويذهب فى الخير مع من ذهب
وتنقلب الناس نحو السراه *
بجيشوا اليها جميع العرب
ويأتيك عام به عوصة *
لمن عاش من بعد ماقد ذهب
وفى السبع يظهر داعى الهدى * أعز البرية أما واب * فتصفو البلاد ويحيى العباد * ويحكم فيها بما قد وجب

ابن السلطان احمد ثم جاء من عنده وأخبر قائم مقام الوزير مصطفى أغا ضابط الحرم قريب العشاء من ليلة الاربعاء ثالث شهر ربيع الاول فأرسل القائم مقام الى الصوباش اذا جاءتك فى غد ورقة مختومة فافعل بما فيها واحترس على الابواب فقال سمعا وطاعة وكان الصدر الاعظم محمد باشا قد توجه بجيش لمحاربة العجم فى مدة السلطان مصطفى واما مصطفى اغا فانه أول ما مضى من ليلة الاربعاء ست ساعات ذهب الى ابواب السرايا وقفلها جميعا وكذا أبواب الامكنة التى فيها أكابر الخدم وأخذ المفاتيح وهيأ المحل الذى فيه تخت السلطنة وأوقد فيه الشموع وفرشه بأحسن الفرش وذهب من حينه الى السلطان عثمان فى مجلسه الذى هو فيه وهو محل عمه مصطفى الذى كان فيه فى حياة السلطان أحمد وفتح عليه الابواب فحصل له رعب وتخوف من ان يكون عمه أرسله اليه ليقتله فقال له لا تخف انت صرت سلطاننا فلم يصدق ذلك فصار يحلف له ان القول صحيح ولازال يتلطف به الى ان أدخله الى محل التخت فألبسه ثياب الملك وأجلسه على التخت وقبل يده وصار يفتح ابواب السرايا بابا بابا ويدخل من كان داخل الابواب للمبايعة حتى لم يبق أحد فى السرايا بغير مبايعة هذا كله والسلطان مصطفى نائم عند والدته ثم أرسل مصطفى أغا للمفتى وقائم مقام الوزير فحضرا وبايعا ثم ذهبوا الى السلطان مصطفى قبل الفجر فطلبوه من الداخل فخرج اليهم وقال لهم ماجاء بكم فى هذا الوقت فكان أول من تكلم شيخ الاسلام أسعد فقال له ان أمر المملكة اختل وان الاعداء تسلطت علينا ونحن نخشى ضياع الملك وأنت لست بلايق للسلطنة فأجابه بقوله أنا ماطلبت منكم الملك ولا أردته وليس لى به مصلحة فقالوا جميعا لا نكتفى بقولك هذا ولابد ان تذهب معنا وتبايع ولد أخيك (السلطان عثمان) فانا قد أجلسناه على التخت فقال جعله الله مباركا وليس عندى مخالفة وذهب وبايع السلطان عثمان فقالوا الآن نحضر جميع الوزراء وأركان الدولة وأشهد على نفسك بالخلع فقال لهم أفعل ذلك فأرسلوا وأحضروا الوزراء وقاضى العسكر وكتبوا عليه حجة بخلع نفسه وأرسل القائم مقام الورقة الموعود بها الى الصوباش وفيها الامر بالمناداة وتولية السلطان عثمان فنودى بذلك وتم الامر وما انتطح فى ذلك عنزان وكان ذلك يوم الاربعاء ثامن شهر ربيع الاول سنة سبع وعشرين وألف وكان السلطان عثمان المذكور من احسن السلاطين خلقا وخلقا وأجلهم شيأ وطبعا له ادب وحياء وعرفان وفيه شجاعة وفروسية وكان ينظم الشعر التركى

﴿ ذكر اول غزوة من غزواته ﴾

كان الصدر الاعظم محمد باشا قد توجه بجيش لمحاربة العجم فى مدة السلطان مصطفى فلما بلغه خلعه رجع يطلب الانتقام ممن خلع السلطان مصطفى فلما وصل الى دار السلطنة وعلم حقيقة الامر قاد الوزير المذكور الجيش ثانية لمحاربة العجم فى مدة السلطان عثمان سنة ثمان وعشرين والف ونجح فى هذه التجريدة كل النجاح وارتجع من العجم الممالك التى اختلسوها وارسل عباس شاه سلطان العجم يطلب الصلح على شروط موافقة للسلطان فأجابوه الى ذلك

﴿ غزوة ثانية الى البغدان ﴾

كان صاحب البغدان قد ألقى فتنة بين اهل بولونيا والدولة وحرضهم على العصيان

فان قيل ماقاله كاذب * الالعنة الله على من كذب

قال الشيخ عبد الله عبد الشكور فى تاريخه وأراد بذلك ان الطائفة الوهابية تدخل مكة بعد ثلاثين عاما بهذه العصبية قال وذكر هذا النجم العلامة البغدادى فى لاميته وانه متحقق انه عنوان ظهور أهل الشرق حيث قال

ويبدو فى السما نجم طويل * له ذنب وذو شعر طوال
فتلك دلائل التترى يبدو * بانواع الغواية والضلال

قال واللامية طويلة ذكر فيها أغلب ماسيقع فى البلدان وعدد التترى والشرقى يتفقان فى الحساب بغير شك ولا ارتياب

(ذكر وصول الجردة)

ومن الحوادث فى أيام مولانا الشريف أحمد بن سعيد انه وصل الى ينبع الجردة بالعسكر المصرية لقتال المرحوم الشريف مساعد وكان أميرها أبو الذهب محمد بيك ليجلس الشريف عبد الله بن حسين على كرسى الشرافة فلما وصل ينبع قاتله وزير الشريف الذى كان بها وهو درويش أغا ثم عجز فأخذوها وقتلوا الوزير

المذكور ونهبوا البلد وكان الشريف عبد الله بن حسين قد تقدم قبل الجردة الى

فأرسل السلطان عثمان اليهم أسكندر باشا فانتظهر عليهم وقتل منهم عشرين الفا وأسر عشرة آلاف ثم قتلهم وقطع رأس رئيسهم الذى حملهم على العصيان وأرسله الى دار السلطنة وألزم أهل بولونيا ان تدفع مائة ألف ريال وألزمهم أيضا بمصارف الحرب

﴿ غزوة ثالثة الى بولونيا ﴾

فى سنة ثلاثين خرج السلطان عثمان بنفسه لقتال أهل بولونيا وهم القزاق وكان الذى خرج معه من الجيش ستمائة ألف مقاتل فأرسل أهل بولونيا يستنجدون بملوك الافرنج فأنجدتهم دولة الروسيا وفرانسا والباپا والمجر والنيمسا وبعد محاربة شديدة طويلة فقد فيها من الطرفين نحو مائتى ألف انتصر عليهم وأخذ عدة قلاع وغنم غنائم كثيرة ثم عقد صلحا معهم ورجع الى مقر ملكه بعد أن أخذ منهم الجزية فهابته ملوك الآفاق وقويت شوكته واتسعت دائرة الملك فى أيامه وكان فيه صلاح وتعطف وخشوع وأمر فى أيامه بتعطيل خانات الخمر ودار عليها بنفسه وقفل أبوابها وطرد أصحابها

﴿ ذكر ارادته الخروج للحج المؤدى الى قتله ﴾

فى شهر رجب من سنة احدى وثلاثين وألف عزم السلطان عثمان على الحج من طريق البر وأراد التوجه الى الشام وأخرج خيامه ومرادقه الى اسكدار سابع رجب وصمم على هذا الامر فحصل اللغط من العسكر فى ذلك اليوم وقامت الفتنة واجتمعت العساكر واتفقوا على عدم السفر معه وأخرجوا فتوى ان السلاطين لايكلفون بالحج فلما بلغ السلطان ذلك غضب غضبا شديدا ولم يلتفت الى كلام المفتى فأخذ المفتى وأصحابه يهيجون العساكر ثم تجمعوا فى المكان المعروف آت ميدانى واتفقوا على قتل الوزير الاعظم دلاور باشا وضابط الحرم السلطانى والدفتردار ومعلم السلطان المولى عمر بدعوى أنهم كانوا السبب لتحرك السلطان الى السفر للحج ثم هجموا فى ذلك اليوم بعد الظهر على بيت معلم السلطان ونهبوا أمواله وأرادوا قتله فما وجدوه ثم فى وقت العصر اجتمع كبار العلماء بالسلطان وسألوه ان يسلم الوزير الاعظم وضابط الحرم اويقتلهما هو حتى تسكن الفتنة وأبرموا عليه بالسؤال فامتنع ثم تفرق العسكر وفى ثانى يوم وهو يوم الخميس اجتمعوا ايضا والعسكر كلهم بالاسلحة وآلة الحرب وذهبوا الى الموالى وجمعوهم بالجامع الجديد الذى عمره السلطان احمد وأرسلوا قاضى عسكر وقاضى دار السلطنة وبعض الموالى الى السلطان بطلب الجماعة الذين اتفقوا على قتلهم المذكورين اولا فامتنع من تسليمهم واستمروا فى مراجعته الى وقت الظهر ومل العسكر من الانتظار فهجموا على دار الخلافة فوجدوا السلطان مصطفى فى الموضع المحبوس فيه نائما على فراش بال وعنده خادمان أخرسان جالسين امامه ومملوك يدعى درويش اغا فاستيقظ السلطان مصطفى فلما رآهم ظن انهم يريدون قتله فدلهم عنقه بكل خضوع فأكبوا على أقدامه يقبلونها قائلين له ياسلطاننا عساكرك ينتظرونك خارجا قم فانهض بنا ورفعوا السلطان مصطفى وأنزلوه الى فسحة الجنينة واركبوه على حصان المفتى وساروا به الى جامعهم ولما علم السلطان عثمان ذلك تحير فى امره فأخذ معه الوزير الاعظم السابق حسين باشا

أحمد بن سعيد حريم آل زيد الى الطائف وأقام بمكة بمن عنده من العسكر والناس بين مصدق ومكذب ومهون ومصعب ولما ظهر الامر وتحقق أرسل الشريف أحمد للعربان يطلبهم وهو خلى من الدرهم والدينار فاجتمع عنده نزر يسير ثم تفرق أكثرهم وفى اليوم الرابع عشر من ربيع الاول وصلت الجردة الى الوادى فأرسل الشريف أحمد المفتى على بن عبد القادر الصديقى والسيد عبد الله الفعر الى الوادى لكشف هذا الامر فأناخوا على أبى الذهب بوادى مر وخاطبوه فى هذا الامر فرأوه لا يرضى الا بجلوس الشريف عبد الله بن حسين على كرسى الشرافة فأرسلوا خادما يخبر الشريف بما شاهدوه ثم رجعوا وفى اليوم السادس عشر من ربيع الاول ارتحل أبو الذهب بالجردة وأناخ بالزاهر وصف المدافع تجاه بئر طوى فخرج الشريف أحمد بمن معه من العسكر والرجال ولم يتجاوز المصانع التى فى الريع وهو للقضاء والقدر مسلم ومطيع وظهر له انه لا فائدة فى اللقاء والحرب فأودع السيد حامد بن حسين أخا الشريف عبد الله بن حسين احرامه واطرافه

وذهب به الى بيت ضابط الجند ليدبر امره وقال له السلطان تذهب وتأخذ خاطر العسكر وتجعل لكل انسان منهم خمسين شريفيا وخمسة أذرع من الجوخ والزمه بذلك فذهب الى العسكر وكلمهم في ذلك فما كان جوابهم الا أن قتلوه وذهبوا من وقتهم الى بيته وقتلوا حسين باشا وقبضوا على السلطان وأحضروه بين يدى السلطان مصطفى فأرسله الى يدى قله وأحضروا دلاور باشا وضابط الحرم وقطعوا رأسهما وعلقوا رؤس الجميع على جامع السلطان بايزيد ووقعت البيعة العامة (للسلطان مصطفى) فجعل زوج اخته داود باشا وزيرا أعظم وبعد العصر من هذا اليوم ذهب داود باشا الى يدى قله من غير علم السلطان مصطفى وخنق السلطان عثمان وغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه عند أبيه السلطان أحمد وذلك في اليوم الثامن من رجب وجرت أمور هائلة ونهبت دور كثيرة من دور أركان الدولة وقيل في تاريخ قتله

۞ مات سلطان البرايا ۞ فهو في الأخرى سعيد ۞

۞ قال لي الهاتف أرخ ۞ ان عثمان شهيد ۞

٥١ ٦٦١ ٣١٩

١٠٣١

وكانت ولادته سنة ثلاث عشرة والف ووفاته سنة احدى وثلاثين ومدة خلافته اربع سنوات وشهر وعمره سبع عشرة سنة بعد تمام البيعة للسلطان مصطفى بيومين جهرت العساكر الصباحية امام سراى داود باشا وزير الصدارة يسألونه لماذا قتلت السلطان عثمان ونشأ من ذلك فتنة أخرى آل الامر فيها الى قتل داود باشا فقتل بعد عشرين يوما وصار البحث عن الاشخاص الذين تداخلوا في قتل السلطان عثمان فقتلوهم واضطربت امور السلطنة والوزارة وقام أهل الاناطول وامراؤها ونوابها على ساق لطلب دم السلطان عثمان وأظهروا الاستقلال التام في ولاياتهم وامتنعوا من الدخول في بيعة السلطان مصطفى ولم يزل الامر يزداد شدة الى ان خلعوا السلطان مصطفى رابع ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين والف فمدة سلطنته سنة واحدة وأربعة اشهر وما عاش بعد ذلك كثيرا وكانت ولادته سنة الف رحمه الله ولما خلعوه أقاموا في السلطنة (السلطان مراد الرابع) اخو السلطان عثمان ابن احمد قال في خلاصة الاثر وكان عمره احدى عشرة سنة وسبعة اشهر وجاء تاريخ ولايته *مراد خان العادل* ومع صغر سنه كان له عقل ثاقب ورأى سديد وكانت تظهر عليه أمارات
١٠٣٢ الشجاعة وقوة القلب فكان من أعظم ابطال ذلك الزمان وكان اسكندر الثاني في تلك الايام بل كان من أعلى السلاطين مقدارا وأوسطهم همة واقتدارا خضعت لعظمته رؤساء الاكاسرة وذلت لحرمته وقهر متصلب في قمع المفسدين سديد الرأى في أمره كان من أمره أنه ابتدأ اولا باستيصال الطغاة من العسكر الذين قتلوا أخاه فاهتم بأمر تحصيلهم من البلاد وتتبع قتلهم وأجاد وبلغ من قوته أنه رمى بقوس الى درقة مطبقة احدى عشرة طبقة فثبت العود فيها فلم يقدر احد على انتزاع العود منها فأرسلها الى مصر وبرز أمره الى العساكر المصرية باخراج العود منها وأن من أخرجه يزاد في علوفته فحاولوا اخراجه فعجزوا عن ذلك

تابعا في ذلك اسلافه وطلب منه الامان وأخلى لهم الديار وبان فدخل مكة ثم توجه الى المعابدة ثم الى الطائف

(ذكر ولاية الشريف عبدالله بن حسين البركاتي سنة ١١٨٤)

وفي يوم الجمعة ثمانية عشر من ربيع الاول دخل أبو الذهب الى مكة وملأت جنوده كل ناحية وسكة ونزل بدار الملك والسيادة المسماة بدار السعادة وكانت مدة الشريف أحمد بن سعيد خمسين يوما وجلس في هذا اليوم على كرسي الشرافة مولانا الشريف عبدالله بن حسين بن يحيى بن بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات ابن أبي نمي وحسين والد عبدالله بن حسين ينسب اليه السادة الاشراف من ذوى بركات المشهورون الآن بذوى حسين وقد بارك الله في أولاده حتى صار منهم العدد الكثير فانهم يفوقون على بقية افخاذ ذوى بركات مع أن المدة الآن بيننا وبين جدهم حسين المذكور نحو مائة سنة ولما تولى سيدنا الشريف عبدالله بن حسين سكن بدار آبائه الكرام المسماة بدار الهناء ونودى في البلاد باسمه والبس أرباب المناصب وأجرى كل ما كان معتادا وامتدحه الشعراء ومات في أيامه السيد أحمد بن السيد علي طبيلة أحد أعيان تجار جدة وكان صاحب أموال وعقار ومراكب

فزجره عن أخذ شيء من أمواله وقال كيف تأخذها مع وجود أهله وأطفاله أما سمعت قول رب العزة ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ثم أمره أن يعيد المال او أهله بعد أن وبخه ولامه على فعله ومما اتفق له انه كان راكباً ذات يوم فقطعه رجل من الدراويش المساكين في فخذه الايمن بسكين وكان هذا الدرويش مجذوباً غائباً عن الوجود يعتقد الناس فيه خيراً فأراد قتله جميع الخدم فلم تحقق الشريف حاله سمح عنه عفة وكرما وعلى كل حال فقد كان لولا الشريف عبد الله بن حسين حسن الخلق عربي الطباع وله فضل في البرية شاع لكن بو الذهب الذي جاء بالجردة صدر منه ومن أتباعه أنواع الجور والاجحاف

(ذكر سجن مفتي مكة وتغريمه عشرين ألف ريال)

فمن ذلك انه سجن مفتي مكة الشيخ على ابن المفتي عبد القادر الصديقي ولم يطلقه حتى أخذ منه عشرين ألف ريال وأخذ من التجار أموالا كثيرة

﴿ ذكر استيلاء العجم على مدينة بغداد ﴾

لما بلغ العجم قتل السلطان عثمان واعادة السلطان مصطفى وعلموا اضطراب الدولة العثمانية وضعوا ايديهم على كثير من البلاد التي افتتحها العثمانيون وملكوها فمن ذلك مدينة بغداد وكانت بغداد في كفالة الوزير يوسف باشا فوقع بينه وبين واحد من كبار عسكره اختلاف يقال له بكر الصوباش فحاصر بكر الوزير في قلعة بواسطة العسكر فأصاب الوزير رصاصة مات منها فتغلب بكر على بغداد فلما رأى اضطراب امر الدولة أظهر العصيان والاستبداد فبعث اليه الدولة جانباً من العسكر لتأديب هذا العاصي وجعلوا امر هذا العسكر تحت رياسة حافظ باشا فلما بلغه ذلك كتب الى شاه العجم ان يحضر لكي يسلم له بغداد فأرسل من يستلم منه مفاتيح المدينة مع جانب من العسكر نحو ثلاثمائة وأنعم على بكر الصوباش بعمامة قزل باش وقبل وصول العجم الى بغداد وصلت عساكر الدولة وأقامت الحصار على بغداد فأرسل بكر الصوباش لحافظ باشا يطلب منه أن يلقبه بكلس بك لكي يطرد الاعجام فلم يقبل منه حافظ باشا ذلك وفي أثناء ذلك وصل رسول العجم الى بغداد وارسل يقول لحافظ باشا ان بكر الصوباش صار يخص شاه العجم فاذا كنت تريد حفظ الصداقة بيننا فارحل عن بغداد فغضب حافظ باشا من كلامه هذا وأجابه كلاما غليظا واشتبك القتال فلما رأى حافظ باشا انه لا يمكنه فتح بغداد لانها كانت حصينة وتكاثرت عليه عساكر العجم قام عنها وذهب على طريق الموصل بعد ان كتب الى بكر الصوباش انه والى بغداد يريد بذلك ترغيبه ليتمنع من تسليمها للعجم ففرح بذلك بكر الصوباش ورأى انه بلغ غاية مرامه فقتل جماعة شاه العجم وعلق رؤسهم على شرافات السور وأخذ العمامة التي بعثها اليه الشاه عباس ووطئها برجليه وأرسل رسولا الى حافظ باشا يشكر فضله على ذلك وأما الشاه عباس فانه لما بلغه ما فعله بكر من الانتقاض والخيانة حضر بنفسه ومعه جيش جرار وأرسل لبكر يطلب منه تسليم المدينة فامتنع وأجابه بأنه لا يسلمها ولا يقدر الشاه عباس على فتحها ولو أحضر لحصارها عشرة شاهات نظير الشاه عباس فجاءت جيوش الشاه عباس وأحاطت بأسوار مدينة بغداد فأمر بكر الصوباش باطلاق المدافع من الابراج على الاعجام واشتبك القتال بين الفريقين وأرسل بكر الى حافظ باشا يخبره بقدوم جيش الاعجام ويستنجده فأنجده بفرقة من العساكر تحت رياسة كور حسين باشا فلما وصل الى قرب بغداد نزل بعساكره في موضع يقال له قروان سراي فلما علم قائد عسكر العجم بقدوم عساكر الدولة صنع خديعة وأرسل يطلب كور حسين باشا ليتحادث معه في أمر الصلح فذهب ومعه بعض كبار العسكر فبينما هم في أثناء الطريق وثب عليهم جماعة من الاعجام كانوا كامنين لهم في الطريق فقتلوهم وقدموا رؤسهم للشاه عباس عوضا عما فعله بكر بقتله الاعجام الذين علق رؤسهم على شرافات السور ومكث الحصار على بغداد ثلاثة أشهر فكانت الاهالي تشكوا من الجوع واشتد الحصار حتى أكل الآدميون بعضهم وخرج كثير منهم الى معسكر الاعجام وكان لبكر ولد يقال له محمد وكان مثل ابيه في الخيانة وكان هو المتسلم محافظة قلعة بغداد فأرسل له الشاه عباس يغره ويعده ويمنيه بأن يجعله حاكم بغداد عوض ابيه فاغتر وقبل وعد الشاه وفي الليلة الثانية

بالقتل والاعتقال ونهب دار المرحوم الشريف مساعد التي كانت في سفح جياد ثم أخرج من بقي من

فتح ابواب القلعة ليلا للاعجام فهجموا ودخلوا المدينة بضجة عظيمة وكان ذلك سنة اثنتين وثلاثين وألف وكان بكر نائما فانتبه مذعورا من ذلك الضجيج وصراخ الاعجام وكانوا أصعدوا ناسا منهم الى المنائر يصرخون بقولهم قد انتصر الشاه عباس وملك بغداد فلتطمئن الاهالى وتفتح الاسواق وترجع الناس الى اشغالها وذهب منهم جماعة الى بكر فى منزله فقبضوا عليه وأتوا به الى الشاه فلما وصل امامه رأى ولده جالسا الى جانب الشاه وأخذ الولد يوبخ أباه على الخيانة الاولى التى حصلت منه فى حق الشاه ثم أمر الشاه ان تسلب جميع اموال بكر وتعطى لولده ثم انهم أخذوه ووضعوه فى قفص من حديد ووكلوا اولاده بحراسته وفى اليوم السابع طرحوا ذلك القفص الذى فيه بكر فى موقد نار لكى يقرروه عن المكان الذى اخفى فيه الاموال ثم اخذوا ذلك القفص ووضعوه فى قارب مشحون بالزفت والكبريت وأضرموا فيه النار ليلتهب فى الدجلة امام الناس وحصل فى بغداد قتال بين أهل السنة والاعجام بسبب هذه الفتنة ولما كان بينهم سابقا من العداوة حتى جرى الدم فى أزقة المدينة وأخذ الاعجام خطيبين مشهورين من أهل السنة احدهما يدعى نورى افندى والآخر عمر افندى وأمراهما ان يسبا ابابكر وعمر رضى الله عنهما فامتنعا فعلقوهما فى نخلة وأطلقوا عليهما الرصاص فماتا من ذلك واما الشاه عباس الذى كان قد وعد محمد بن بكر بالولاية فى مكان ابيه فانه أخذه وأرسله الى خراسان وأمر بقتله هناك فقتل وبعد ذلك أقام الشاه عباس فى بغداد مدة ثم سار بالعسكر لمقاتلة حافظ باشا ونزل على الموصل وأقام عليها الحصار مدة فلم ينجح فرجع الى بغداد وذهب حافظ باشا الى القسطنطينية ثم عاد بعساكر نحو عشرين الفا وسار لمحاصرة بغداد وتخليصها من العجم وانتشب فيهم القتال وطال الحصار فسأمت العساكر وقاموا على حافظ باشا فعزلوه وحبسوه فى قلعة خارج بغداد وأقاموا عليهم مراد باشا ثم عزلوه وأرجعوا حافظ باشا ثم قاموا عليه أيضا ليقتلوه فهرب منهم واختفى فى موضع يقال له قلعة الامام ثم اصطلح مع العساكر ونهض بهم راجعا عن حصار بغداد فسير الشاه عباس خلفه جانبا من عسكره ليضربوه فى الطريق فقاتلهم حافظ باشا وهزمهم هزيمة هائلة وقليل منهم رجع الى بغداد ثم قام على مراد باشا فقتله لانه السبب فى اختلال الامور ثم سار حافظ باشا بعسكره الى الموصل فأقام مدة ثم جاءت الاوامر من الدولة أن يتقدم الى حلب الى ان تأتيه نجدة من العساكر وبعد مدة عزل حافظ باشا واقيم مكانه خليل باشا ثم مات وولى بدله خسرو باشا وكان الجيش الذى مع خسرو باشا مائة وخمسين ألف مقاتل فجاء وحاصر بغداد وحصل قتال شديد ولم تحصل نتيجة فرجع الى الموصل وصنع وليمة لكثير من العسكر فلما حضروا قتلهم زاعما انهم السبب فى اختلال الامور وأرسل يطلب اربعين الفا وجرت أمور يطول الكلام بذكرها ومات الشاه عباس سنة ست وثلاثين والف وبقيت بغداد بيد العجم الى سنة ثمان واربعين وألف ففتحها مولانا السلطان مراد بنفسه

﴿ ذكر فتح بغداد ﴾

فى سنة ثمان واربعين والف تجهز مولانا السلطان مراد وتوجه لفتح بغداد ومعه مائة ألف

كذلك لانه كان ساكنا فى تلك الدار واحترق فى النار بعض مماليكه وذهب كثير من ماله حتى صاروا يخرجون أدباشه بأعظم مشقة ومن الظلم الذى حصل من اتباعه أنهم فى مدة اقامتهم بمكة لم يسلم من اذيتهم أحد ولم يزالوا يجورون على الناس فى الاسواق هذا ما كان من أمر الجردة وأما الشريف أحمد بن سعيد فانه لما طلع الطائف قصد وادى لية وجمع بعض العربان وقصد الطائف فهرب منه وكيل الشريف عبدالله بن حسين وهو اخوه السيد عبد الكريم ابن حسين فدخل الشريف أحمد الطائف بلا حرب ولا قتال لست بقين من شهر ربيع الاول ونودى باسمه فى البلاد فارسل الشريف عبد الله بن حسين الى الطائف السيد أحمد بن عبد الكريم بن يعلى فافسد على الشريف أحمد كثيرا من الرجال وأرسل الشريف عبد الله بن حسين يطلب منه جانبا من عساكر الاتراك فاتفق مع ابى الذهب على ارساله حسن بيك شبكة ومعه جملة من لغز على الخيل السوابق

ومعهم نحو الثمانين من السادة الاشراف ونحو المائتين من العسكر وامر عليهم اخاه السيد حامد بن حسين فلما بلغ الشريف

مقاتل ثم تتابعت الجنود حتى بلغت ثلاثمائة الف ولما خرج من دار السلطنة كان لابسا لبس العرب القدماء وعلى رأسه خودة من البولاد اللامع محاطة بشال احمر مسدولة اطرافه على اكتافه ولما وصلوا الى بغداد احاط العساكر بأطرافها ولما بلغ الشاه ذلك جاء من تبريز ومعه عساكر كثيرة ليتجد بهم عساكره الذين في بغداد والتقى بعساكر الدولة على شاطئ الدجلة فقاتلوه قتالا شديدا وهزموه هزيمة قبيحة وكان يوما ميمونا ولا مشؤما على الأعجام ثم شددوا الحصار على بغداد وضربت مدافع السلطان على الابراج وكانت مائتي برج فخرقتها وهدمت كثيرا منها وأمر السلطان بحفر لغم عظيم ووضع فيه البارود واطلقت فيه النار فهدم جانبا عظيما من جدار السور فلما رأى اهل بغداد ما دهمهم بعثوا الى الشاه انهم يريدون التسليم فبعث الشاه الى السلطان في طلب الصلح فلم يقبل ثم شدد السلطان الحصار ووالى القتال الى ان يسر الله فتحها يوم الجمعة ثامن شعبان وكان مدة حصارها أربعين يوما ودخلها العسكر ومولانا السلطان مراد في أثرهم وقتلوا من العجم أكثر من عشرين الفا وأسروا كثيرا من رؤسائهم وقيل ان الذين قتلوا من العجم في هذا القتال خمسون الفا وبقي منهم ثلاثون الفا طرح البعض منهم نفسه في نهر بغداد والبعض تشتتوا في القفار وأمر السلطان بقتل كل من يخفي عنده رجلا عجميا فجمعوا منهم بعد ذلك الف رجل وأتوا بهم الى السلطان فأمر بقتلهم فقتلوا عن آخرهم وكان الذي فقد من عسكر السلطان عشرة آلاف ثم أمر مولانا السلطان بتجديد عمارة مشهد الامام الاعظم ابي حنيفة ومشهد الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنهما وأزال ما كان أحدثه الاعاجم في المشهدين وأمر ببناء ما تهدم من السور والقلعة وشحنها بالعساكر وترك في بغداد عشرة آلاف من العسكر وعين لكفالة بغداد وولايتها وزيرا ورجع الى دار سلطنته ومقر ملكه سالما غانما منصورا وكان لدخوله القسطنطينية احتفال عظيم فدخل وكان معه خمسون من خانات العجم مقيدين بالسلاسل وكان حاملا بيده حزمة من السلاح وأكتافه مغطاة بجلد نمر كما فعل أسكندر لما فتح مدينة بابل وبالجملة فقد كان هذا السلطان من اعظم ملوك آل عثمان ومما كان في مدة سلطنته انه أمر بتبطيل القهاوي في جميع ممالكه ومنع من شرب الدخان بالتأكيدات البليغة ومما دل على سعادته العظمى توجه خاطره الى أهل الحرمين الشريفين وأمره لمتولي الجهات خصوصا مصر باجراء حبوبهم وارسال متحصلات أوقافهم فما من أمر يرد منه الا وفيه الحث على ذلك ومن ذلك أيضا التفاته الى اخبار الرعية مطلقا والبحث عن احوال ولاة البلدان التفاتا وبحثا تامين بحيث ان ولاة الجهات لا يتجاوزون حدا ومن سعادته العظمى عمارته الكعبة المشرفة وتجديدها كلها وذلك ان في سنة تسع وثلاثين وألف جاء سيل عظيم بمكة ودخل المسجد الحرام وهدم بعض جوانب الكعبة واتفق العلماء والمهندسون انه لابد من تجديد الجميع فعرضوا الامر الى مسامع مولانا السلطان مراد المذكور فبرز أمره العالي بالتعمير فهدموا الباقي وعمروا الجميع فهذا البناء الموجود الآن من مفاخر مولانا السلطان مراد وتم التعمير في شعبان سنة أربعين وكان أمير مكة في ابتداء العمارة مولانا الشريف مسعود بن ادريس بن حسن بن ابي نمي وتوفي في اثناء التعمير وولي

أحمد هذا الخبر ولى مسرعا وفر وفي اليوم الثاني والعشرين من ربيع الثاني قصد الشريف أحمد مكة من طريق كرى وقد جمع جماعة من بني سعد وثقيف وأناخ بعرفة فخرج لقتاله الشريف عبد الله بن حسين وأبو الذهب ومن معهم من العسكر واقتتلوا معه يوما كاملا وكانت جنوده تزيد على جنوده بأضعاف مضاعفة ومع ذلك فقد ظهر عزمهم مرارا ثم صنعوا له دسيسة ومكيدة وذلك انه جاء جماعة من عسكر ينبع ونكسوا أعلامهم وقالوا نحن معك ومنك واليك فأطمعهم معه على الجبل الذي كان فيه فلما ان تمكنوا قاتلوه وأقبلت عليه جنود أبي الذهب من كل محل فطلب الامان وقد اجهده ومن معه الجوع وتحقق عند أبي الذهب ذلك فأرسل اليهم شيأ جزيلا من الطعام فقبله منه الشريف أحمد وأهدى اليه كحيلة من خيله الجياد فقبلها أبو الذهب ثم توجه الشريف أحمد الى الليث ورجع الشريف عبد الله بن حسين وأبو الذهب ومن معهم من الجنود والعساكر الى مكة ثم ارتحل الى مصر في عشرين من جمادى الاولى وأبقى حسن أغاه شبكة وجعله واليا على جده وأبقى عنده شيأ من العسكر فلما سمع الشريف أحمد بن سعيد بخروج أبي الذهب من مكة شمر عن ساعد الجد

(امارة)

امارة مكة مولانا الشريف عبد الله بن حسن بن ابي نمي وهو جد مولانا الشريف محمد ابن عون فكان تمام التعمير في مدته وجاء تاريخ ذلك * رفع الله قواعد البيت * ولبعضهم

✻ ١٠٤٠ ✻

* مراد بني بيت الاله وزاده ✻ سناء بهاء يزدهي زيد مجده *

٨٠٩ ٢٣٠ ١٠٣٩

ولما حصل هذا التعمير أبقوا باب الكعبة القديم على حاله ثم في سنة خمس واربعين برز الامر السلطاني بتجديد الباب فجدد ووضع عليه حلية الباب الاول ووزنت قبل وضعها فجاءت مائة واربعين رطلا خارجا عن الزرافين فوزنها وماشابهها مما كان على الباب ثمانية عشر رطلا وكتب على الباب الجديد اسم مولانا السلطان مراد وذلك موجود الى الآن وارسل الباب القديم الى دار السلطنة وجعل في الخزائن السلطانية وكانت ولادة مولانا السلطان مراد سنة احدى وعشرين والف وتوفي تاسع شوال سنة تسع واربعين والف وعمره تسع وعشرون سنة ومدة سلطنته ست عشرة سنة واحد عشر شهرا وخمسة ايام رحمه الله تعالى

✻ ذكر ولاية مولانا السلطان ابراهيم بن احمد مع ذكر اول غزواته ✻

لم يخلف المرحوم السلطان مراد ولدا وبقي من اخوته السلطان ابراهيم فبويع بعد وفاة اخيه قال في خلاصة الاثر كان ملكا معظما حسن النظر سمح الكف وكان زمانه أنضر الازمان وعصره أحسن العصور وأطاعته جميع الممالك وسكنت بين دولته الفتن واعتدل به الزمن وبعد مضي سنتين من ولايته جهز جيشا لمحاربة القزاق فلم ينجعوا ثم أرسل عساكر وحاصروا أزوفة فلما تضايق أهلها احرقوا المدينة وانهزموا فدخلتها العساكر السلطانية وعمرتها وأقامت فيها جانبا من العساكر للمحافظة

✻ غزوة اخرى لمحاربة جزيرة كريد ✻

سنة خمس وخمسين والف جهز السلطان ابراهيم جيشا في مراكب بحرية نحو اربعمائة مركب لمحاربة جزيرة كريد بمائة الف مقاتل وسبب ذلك أن مراكب مالطة كانت قد تعدت على بعض مراكب الدولة ثم ذهبت فاحتمت عند مشيخة البندقية في كريد فلما وصلت عساكر الدولة العلية أقامت الحصار على مدينة قنديه وهي من اعظم مدن هذه الجزيرة وفي أقرب زمن استولوا عليها وجعلوا كنايسها جوامع ورجعوا الى القسطنطينية بعد أن تركوا فيها جانبا من العسكر فأرسلت لهم مشيخة البندقية عساكر فاستولوا على ما كان بايدي العساكر السلطانية واستأسروا جانبا منهم فغضب السلطان من هذا الامر وجهز عليهم تجهيزا آخر فأخرجوهم واستولوا على المدينة المذكورة وحاصروا قلعة رتموا وكانت قلعة حصينة الى أن ملكوها واستعانوا باللغم حتى أهلك خلقا كثيرا ثم ملكوا بقية جزيرة كريد الا قلعة قندية وطال امرها مدة طويلة فتركوها وسيأتي ذكر فتحها في مدة سلطنة السلطان محمد بن ابراهيم وجزيرة كريد من أعظم الجزائر واكبرها تشتمل على بلاد واسعة ورساتيق كثيرة وذكر بعض من دخلها انها من القرى أربعة وعشرين الف قرية وأن دورها

لاخذ الثار وجمع العربان من كل مكان وجمع له السيد ثقبة بن عبد المحسن الشنبري عربانا من ثقيف وأقبلوا على مكة ونزلوا بعرفة في الحادي عشر من جمادى الثانية وأجمع رأيهم ان يجعلوا القوم شطرين شطرا من طريق المسفلة وشطرا من أعلى مكة فخرج لقتالهم الشريف عبد الله ابن حسين ومعه حسن شبكة فالتقوا مع القوم عند المنحنا فاقتتلوا أربع ساعات واقبل العربان الذين من أسفل مكة وشنوا الغارات فاسفرت هذه الملحمة عن انهزام الشريف عبد الله بن حسين وقتل من جماعته جم غفير وقتل من البادية الذين مع الشريف أحمد جانب خفيف ومنهم رابع شيخ بني ثقيف وبسبب قتل رابع المذكور انتصر الشريف أحمد لانه لما قتل رابع شق قتله على قومه فحملوا حملة رجل واحد حتى هزموا جماعة الشريف عبد الله بن حسين ثم انه طلب ذمة وتوجه الى الوادي ومعه الصنجق حسن شبكة

(ذكر رجوع الشريف أحمد بن سعيد لولاية مكة وخروج الشريف عبد الله بن حسين البركاتي سنة ١١٨٤)

ودخل مكة الشريف أحمد بن سعيد وكانت مدة الشريف عبد الله بن حسين شهرين وثلاثة وعشرين يوما ومذ دخل الشريف أحمد أمر بحرق دار آل بركات

مسيرة خمسة عشر يوما وهى ذات رياض نضرة وبها أنواع الفواكه والثمار وخيراتها وافرة ثم ان رجال الدولة خلعوا السلطان ابراهيم سنة ثمان وخمسين والف بسبب انه كان منهمكا فى اللذات والشهوات مسرفا فى انفاق الاموال وسلاطين آل عثمان انما عظم شأنهم بزهدهم فى الدنيا وعدلهم فى بيت المال وقد حكى ان بعض سلاطينهم تواعد مع شيخ الاسلام الذى كان فى وقته ان يجتمعا فى جامع من جوامع دار السلطنة فى وقت مخصوص بالخفية للتشاور فى بعض القضايا فحضر السلطان فى الوقت الذى تواعدوا فيه وابطأ شيخ الاسلام فى الحضور وماجاء الابعد مضى مدة فلما حضر سأله السلطان عن سبب تأخره فقال لما أردت الخروج رأيت عمامتى وسخة فكرهت أن أقابل بها مولانا السلطان فأمرت أهلى أن يغسلوها وانتظرتها حتى جفت فلبستها وجئت فهذا يدل على انه ليس عند شيخ الاسلام غيرها فقال له السلطان لوكان عندى غير هذه التى على رأسى لاعطيتك اياها فانظر الى زهد هذا السلطان وزهد شيخ الاسلام فالاصل كله الزهد فى الدنيا والعدل فى بيت المال فالخلفاء الراشدون انما فتحوا البلاد ومصروا الامصار بالزهد فى الدنيا والعدل فى بيت المال لابكثرة الصلاة والصيام فالسلطان ابراهيم لما رأوه مسرفا فى الانفاق رأوه مخالفا لما عليه اسلافه فكانت أفعاله عندهم غير مرضية فخلعوه وأجلسوا فى السلطنة ولده محمدا فكانت مدة سلطنة السلطان ابراهيم ثمان سنين وتسعة اشهر وفى ثالث يوم من خلعه قتلوه وعمره ثلاث وثلاثون سنة وكان ميمون النقيبة منصور الكتيبة طالعه سعيد ماجهز جيشا الى ناحية الا انتصر ولاقصد فتح ناحية الا فتحها اولا انهموا عليه به من الاسراف فى بيت المال وجميع السلاطين الذين جاؤا من بعده كلهم من ذريته

﴿ فائدة ﴾

فى خلاصة الاثر انه اتفق للسلطان ابراهيم المذكور مالم يتفق لغيره من السلاطين فيما أعلم وذلك أنه رأى سلطنة ابيه وعمه واخويه وولده ثم ذكر انه استقرى من ولى السلطنة وكان اسمه ابراهيم فوجدوا لم يتم لاحدهم أمرها وقال الراغب فى محاضراته قال أبو على النظام كان المهدى يحب ابنه ابراهيم فقالت له ام ابراهيم الاتراه بلى الخلافة فقال لاولا يليها من اسمه ابراهيم ان ابراهيم الخليل أول نبى عذب بالنار وان ابراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعش وبويع ابراهيم بن المهدى فلم يتم له الامر وأحكم ابراهيم الامام أمر الملك ليكون أول خلفاء بنى العباس فقتل قتله مروان بن محمد بن مروان وطلب الخلافة ابراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى فقتل وبايع المتوكل لابنه ابراهيم المؤيد فلم يتم له وقتل فسبحان من دبر الامور على طبق علمه وأجراها بحكمته وفى مروج الذهب للمسعودى قال ابراهيم ابن المهدى كنت أنا والرشيد على ظهر حراقة وهو يريد نحو الموصل والمدادون يمدون والشطرنج بين أيدينا فلما فرغنا قال الرشيد يا ابراهيم ما أحسن الاسماء قلت اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما الثانى بعده قلت اسم هارون اسم امير المؤمنين قال فما أسمجها قلت ابراهيم فزبرنى

(وقال)

لاعتقاده انهم الآمرون بحرق دار السعادة فنهب الناس جميع مافى دار آل بركات ونهبوا الدور التى للرجال المقربين عندهم من أرحام وأتباع ونادى المنادى فى شوارع مكة باسم الشريف أحمد بن سعيد ولما توجه حسن شبكة الى الوادى توجه منه الى جدة ودخلها فأرسل له الشريف أحمد يأمره بالخروج فأبى وامتنع فوجه اليه من الاشراف والبوادى والعساكر ما ينوف على أربعة آلاف ثم وصل الى مكة السيد عبد الله بن مسعود ومعه من قبائل اليمن جرود لم يلحق بهم الحرب السابق فتوجه بهم الى جدة ولحق الاولين وتحقق عندهم ان الصنجق مصمم على القتال فأغلق أبواب البلاد وترسها وأخرج المدافع الكبار على الكدوة وصارت خيله تخرج كل ليلة من البلد وتعس الى الغامة ثم تعود صبحا الى جدة بالسلامة فوصلت السرية الى جدة بليل واقاموا على موضع يقال له غليل وارسلوا كتابا من الشريف احمد الى كتخدا العسكر ليفسد من معه من العسكر فى البندر وجعلوا له شيأ من المال فسعى فى نقض تلك المبانى وتواطأ معهم ان يهجموا من الباب اليمانى فهجم جيش الشريف ومعهم وكيل السرية وملكوا جدة فى غاية جمادى الآخرة

وقال ويلك ابراهيم خليل الرحمن عز وجل قلت بشؤم هذا الاسم لقي مالقي من نمرود وألقي في النار قال وابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لا جرم لما سمي بهذا الاسم لم يعش قال فابراهيم الامام قلت بحرفة اسمه قتله مروان الجعدي في جراب النورة وأزيدك يا أمير المؤمنين ابراهيم بن الوليد خلع وابراهيم بن عبد الله بن الحسن قتل ولم أجد أحدا سمي بهذا الاسم الا رأيته مقتولا او مضروبا او مطرودا فما انقضى كلامي حتى سمعت ملاحا على بعض الحراقات يهتف بأعلى صوته يا ابراهيم يا عاض كذا وكذا من امه اى بظرها قال فالتفت الى الرشيد فضحك حتى فحص برجله اه

﴿ ولاية السلطان محمد الرابع ابن ابراهيم ﴾

كانت ولايته سنة ثمان وخمسين وألف بعد خلع ابيه وكان عمره اذ ذاك سبع سنين وكانت أمور الدولة في ذلك الوقت مرتبكة عديمة الانتظام متزعزعة الاركان قد كثر حسادها واعداؤها وكانت من جهة المالية في ضيق وعسر والعساكر غير منقادة لاولياء امورها وأصبح وكلاء الدولة في الولايات غير مبالين في تنفيذ اوامرها فمن هذه الاحوال نبعت الفتن وكثر الفساد وتقوى الضعفاء على الوزراء والاكابر فكان الوزير يتولى اياما ثم يعزل او ينفى واستمر الحال هكذا نحو عشر سنين والدولة في تعكير والسلطان مع صغر سنه لا يزال يبحث هو وأمه عن رجل فيه اللياقة لان يتبوأ مسند الصدارة الى ان عثروا على محمد باشا كوبرلي وكان مسنا حاذقا ذا دراية وخبرة وسياسة كاملة لان طول الايام علمه مالم يعلمه غيره فولي الصدارة سنة سبع وستين والف وشرع في سد الخلل الذي أوقع الدولة في الانحطاط وبرهة قصيرة انتظمت امور الدولة على أحسن نظام

﴿ ذكر غزوة في أيام السلطان محمد لقتال المجر والقزق ﴾

كانت هذه الغزوة بتدبير الوزير محمد باشا كوبرلي جهز جيوشا لقتال المجر والقزق وجميع العصاة الخارجين على الدولة حتى أهلكهم وأبادهم وفي سنة ثمان وستين والف استولى على مراكب للبندقية واخذ جزيرة تنفداس وجزيرة ليمنوس

﴿ ذكر غزوة اخرى يتبعها اخرى ﴾

وجهز جيشا لقتال الصرب فانتصر عليهم وقتل منهم مائة وخمسين ألفا وخرج جماعة من الاروام في بلاد الافلاق وأظهروا العصيان فأرسل اليهم عسكرا فقاتلوهم وانتصروا عليهم وجهز جيشا لقتال البندقية فاخترمته الوفاة سنة اثنتين وسبعين والف قبل اتمام الامر فاسندت الصدارة لابنه أحمد باشا الفاضل وكان أكثر من أبيه في الحذق وحسن السياسة وكان أبوه اقرأه العلوم حتى مهر فيها وكان صائب الرأى كامل الفراسة (فراسة عجيبة) مما نسب اليه من الفطنة انه جاءه يوما شخص بتوقيع فتفرس فيه أنه مصنوع فأعطاه لبعض أتباعه وأمره بحفظه حتى مضى على ذلك ست سنوات فجاءه يوما شخص آخر برقعة فلما رآها طلب ذلك التوقيع فجيء به فقابله على الرقعة فاذا الخط واحد ثم سأل صاحبها عن كاتبها فأخبره به فلما مثل بين يديه أراه التوقيع وقال أليس هذا بخطك فأقر فأمر بقطع يمينه وعين له من بيت المال مايكفيه

أنهم انتصروا فاجتمعت عساكر الشريف حولها وتحقق الصنجق أن القلعة لا تصونه ولا تنفعه فخرج من الباب الصغير الذى في مؤخر القلعة وخاض بخيله في الماء وتوجه بمن معه الى رابغ وتبعه الشريف عبد الله ابن حسين وشاع عند الناس أنهم يريدون تملك المدينة وبلغ الخبر أهل المدينة فتحصنوا واستعدوا مصممين على القتال ثم تبين أنهم لم يريدوا المدينة بل توجهوا الى مصر ولم يزل الشريف عبد الله بن حسين مقيما بمصر القاهرة متعجبا في حكمة الله الباهرة وكيف مضى عليه هذا كله في أول أيام تولي الملك ثم زال عنه كأنه أضغاث أحلام ثم توجه الى أرض الروم ومكث فيها الى أن توفي رحمه الله تعالى لكن عسكر الشريف وجنوده لما دخلوا الى جدة وملكوها في هذه الواقعة نهبوا غالب دورا عيانها الكبار والحواصل التى فيها أموال التجار وتركوا البندر خرابا بعد العمار وكان في جدة من الافوات شيء كثير فأنتج هذا

آخر السنة ثم انحلت العقدة فى سنة خمس وثمانين ولما وردت الحبوب ازدحم الناس على شرائها لما نالهم من الجوع فى مدة الغلاء حتى انه اتفق انه أخرج الى السوق خمسمائة اردب فى يوم واحد فلم يأت عليها الضحى الاولم يبق منها شئ حتى قال بعض الملا ان الجن عندهم مثل ماعندنا من الغلاء وفى هذا العام كثر قطاع الطريق وتمرد كل جبار وزنديق وفى سنة خمس وثمانين منع امام اليمن جميع التجار من ارسال شئ من البن لهذه الاقطار لسبب ماأحدث من زيادة العشور فقل على الشريف المدخول فأرسل السيد عبدالله بن أحمد القمر الى اليمن لاستعطاف الامام لست بقين من شهر الصيام ورجع فى شهر الحجة مخبرا ومبشرا بان الامام أطلق للتجار ارسال البن ولما وصل وجد الشريف سرورا قد جلس على كرسى الشرافة فبارك له وهناه وكان السبب فى تملك الشريف سرور كرسى الشرافة وانتزاعها من عمه الشريف أحمد بن سعيد

﴿ غزوة ايوار ﴾

ومن الغزوات التى وقعت فى ايام وزارته غزوة ايوار عينه السلطان محمد لفتحها فسار بجميع العساكر وحاصرها ووقع بينه وبين كفار المجر وقعة عظيمة ومكروا بعسكره مرات وخلصهم الله تعالى بيمن تدبيره ثم افتتحها سنة اربع وسبعين والف وهدم ماحولها قلعة تسمى القلعة الجديدة كانت الكفار بنوها ليتحصنوا بها

﴿ ذكر غزوة عظمى الى كريد ﴾

وفى سنة سبع وسبعين توجه بجيش الى جزيرة كريد لفتح بلدة قندية التى كانت بقيت فى هذه الجزيرة من بين بلادها لم تفتح كما تقدم شرح ذلك فلما وصلها بنى بالقرب منها مكانا كان متهدما لتهيئة مهمات الحصار ثم نزلها بمن معه من العساكر وكان اهل قندية حصنوها بأشياء لايمكن حصرها وأضافوا لسورها سورا آخر عمروه من داخل السور القديم وطال الحرب بين الفريقين مدة وأرسل أهل قندية الى فرانسا يستنجدونهم فأنجدوهم بعمارة بحرية فيها خمسة عشر ألف مقاتل وجاءهم ايضا نجدة من مالطة ومن البابا فاجتمعت مع عسكر فرانسا ونزلوا الى البحر وهجموا على العساكر العثمانية واقتتلوا قتالا شديدا كان النصر فيه لعساكر الاسلام فقتلوا أكثرهم ولم ينج منهم الا القليل فرجعت مراكب الفرنج بالخيبة ثم ان أهل قندية أرسلوا للوزير يطلبون منه الصلح فأجابهم الى ذلك وأخرجهم منها ووضع فيها العساكر الاسلامية ورجع الوزير الى مقر الملك ومعه جملة من مراكب مالطة وغيرهم غنيمة وكثير من الاسرى وفى غرة جمادى الاولى سنة ثمانين وألف وردت البشائر الى الاطراف بالزينة وكثرت تباشير الناس بفتحها وأكثرت الشعراء من التواريخ لهذا الفتح ومن نوادرها التاريخ اللفظى المعنوى للفاضل الشيخ احمد الصفدى وهو قوله (فى عام الف وثمانين عام)

﴿ غزوة الى بلاد القرم يتبعها اخرى الى بولونيا ﴾

وفى سنة اربع وثمانين توجه الوزير بجيش لمحاربة القرم المعروفين بالابة من النصارى فافتتح قلعة قنجة وفى سنة خمس وثمانين والف توجه بالعساكر الى بولونيا وفتح مدينة كنيا كرة الشهيرة فى متانة قلعتها وفتح بعدها جملة بلاد وحصون ثم عقد صلحا مع أهل بولونيا ووضع عليهم خراجا سنويا ولما رجعت العساكر الاسلامية بلغهم ان أهل بولونيا بدسائس النيمسا والبابا تحركوا وأظهروا العصيان وانضم اليهم عصاة من الافلاق والبغدان والقزق واتسع الامر وتوفى الصدر احمد باشا الفاضل سنة سبع وثمانين والف وحزن السلطان وجميع الناس عليه وولى الصدارة مصطفى باشا وكان قدخدم الوزير محمد باشا وابنه أحمد باشا الفاضل وترقى فى الخدم والمناصب وتعلم كثيرا من سياساتهما وان لم يكن مثلهما

﴿ ذكر غزوة عظمى الى جهرين ﴾

وكان اول سفرة باشرها بعد ولايته سفرة جهرين فتوجه بجيوش عظيمة وافتتحها واحتوى على المملحة التى بالقرب منها وهذه المملحة من أعظم مجالب النفع لبيت المال حتى انهم يبالغون فيما يدخل منها حد المبالغة وسبب ذلك ان بلاد النصارى المعروفين بالموسكوف والقزق محتاجون

اليهاوليس فى بلادهم مملحة غيرها ولما فتحت هذه القلعة سر الناس سرورا عظيما لان فتحها كان فى غاية الصعوبة وكان كثير من نصارى الروم يزعمون استحالة فتحها ويهزؤن بالوزير المذكور فى قصدها وأشاعوا أخبارا فى انكسار عسكر المسلمين وهزيمتهم وكانوا يظهرون الشماتة وسبب ذلك مايعرفونه من أنها تابعة لملك الموسكوف وهو أكثر ملوك النصارى جيوشا وأكبرهم ملكا وبالجملة فان فتح هذه القلعة كان من أعظم الفتوحات وبعد فتحها زينت دار الخلافة ثلاثة ايام وكان السلطان محمد اذذاك ببلدة سلسترة بروم ايلى فكتب الى قائم مقام القسطنطينية أنه يريد القدوم الى دار المملكة وانه لم يتفق له رؤية زينة بهامدة عمره وأمره بالنداء لتهيئة زينة أخرى ثم قدم السلطان فشرعوا فى الزينة وبذلوا جهدهم فى التأنق فيها واتفق أهل ذلك العصر على انه لم يقع مثل هذه الزينة فى دور من الادوار ثم وقع بعدها حريق فى القسطنطينية حرق فيه نحو اثنى عشر الف بيت ثم تراسل الحريق فى كثير من المحلات حتى حسب ماوقع منه فكان تسعين حريقا كل ذلك فى سنة واحدة فكان ذلك الفرح سببا لهذا الترح فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿ ذكر غزوة الى بلاد النيمسا ﴾

ثم طلب الوزير مصطفى باشا من السلطان محمد الاذن بالسفر على بلاد الانكروس وافتتاح مدينة فينا قصبة بلاد النيمسا فأذن له السلطان وشرع فى تهيئة الاسباب من الذخائر ومكاتبة نواب البلاد والعساكر وجمع من الجيوش والجنود مالا يدخل تحت حصر حاصر ولم يتفق جمع مثله من الزمان الغابر ثم طلع الوزير المذكور من القسطنطينية بأبهة عظيمة مصمما على أخذ النصارى بالقوة الجسيمة ولم يزل بمن معه من العساكر سائرين الى ان وصلوا قلعة ياق يوم الخميس ثانى عشر رجب سنة اربع وتسعين والف ثم توجه يوم السبت قاصدا قلعة يج وأطلق أمره فى نهب القلاع والقرى التى على الطريق فما كان للعسكر مشغلة الا نهبها واحراقها واتلاف زروعها فأحرقوا من القلاع المعلومة نحو مائة قلعة ومايتبعها من القرى اشياء كثيرة جدا وكل قرية من هذه القرى بمثابة بلدة تحتوى على ألف بيت أو اكثر وجميع هذه القلاع والقرى فى نهاية الاحكام وحسن البناء والبيوت فى غاية من اتقان الصنعة مسوات بالرخام وفيها من السماقى مالا يوصف واكثر بيوت هذه البلاد ثلاثة طبقات الثالثة منها مصنوعة بالدق والخشب وعاثت العسكر فى بلاد الكفار الى قريب قزل الما التى هى محل الانكروس المعروف بالبابا ونهبوا ماقدروا عليه وحرقوه ومن أغرب ماوقع فى هذا الاثناء ان سوقة العسكر كانوا كلما يدخلون قلعة من القلاع المذكورة فيرون فيها اناسا قلائل من النساء والرجال العاجزين عن الحركة فيقتلونهم ويستولون على القلعة ثم يطلقون فيها النار ففعلوا هذا فى أكثر من اربعين قلعة وغنم المسلمون غنائم لاتحصر وأسروا نحو مائة ألف أسير بحيث بيعت الجارية مع ولدها بثلاثة قروش وهرب عسكر النصارى من يج ونواحيها واخذوا معهم كثيرا من الاموال فلحقهم جماعة من العسكر فاستأصلوهم قتلا ولما وصل

بن يحيى وجانبا من العسكر وأمرهم بالقبض على الوزير يوسف قابل ووضعه فى الاغلال والسلاسل وكان الشريف سرور حين صدور هذا الامر من عمه حاضرا فى مجلسه ولم يجعل الشريف أحمد هذا الامر مكتوما فتولد من عدم كتمان هذه الامور كثير من الشرور فخرج الشريف سرور من المجلس وركب ناقته وتوجه الى جدة فوصل اليها قبل ان يصلوا اليها ونزل عند الوزير يوسف قابل وأخبره بالامور التى قصدوها وعولوا عليها فلما جاء المرسلون من الشريف أحمد لقبض الوزير يوسف قابل منعهم الشريف سرور وقال أناله مجير وطال بينهم وبينه النزاع ثم حصل الاتفاق ان يتوجهوا جميعا الى مكة لملاقاة الشريف أحمد ويكون النظر اليه فى أنه يهين يوسف قابل أو يكرمه فخرجوا جميعا من البلد فلما كانوا فى أثناء الطريق مال الشريف سرور والوزير يوسف قابل عنهم شمالا وصمم على قتال عمه وانتزاع الامارة منه مستعينا على

ذلك بأموال يوسف قابل كما وعده بذلك والليالى من الزمان حبالى * مثقلات تلدن كل عجيب * فما أصبح الصباح عليهما

وأرسل لعمه كتاب النب فأرسل اليه عمه ❁ ١٢٤ ❁ الا وهما على وادى مر فطلب الشريف سرور به خيامه وقتب

الوزير المذكور الى بج وهى مدينة فيناوكانت النمسا قد حصنتها تحصينا عظيما وضرب مخيمه بها وهى قلعة عظيمة يحيط بها من جوانبها الثلاث الدور والابنية والعمارات والحدائق ومن جملة ذلك سبعة عشر مكانا باسم الملك تحتوى هذه الامكنة على عجائب الزخارف والفواكه والفساقى ومن السماقى والرخام وقد تقدم ان عسكر بج كانوا قد هربوا وكذلك هرب أهل الخارج من الرعية ولم يبق الانحو عشرين ألف رجل وعشرة آلاف من العسكر وعشرة آلاف من الرعية فى داخل القلعة فأمر الوزير بمحاهدة القلعة فنصب عليها المكاحل وشرع العسكر فى رميها بآلات الحرب من المدافع والقلل حتى هدموا الدور والكنائس فضاق بمن فيها الخناق فى أقل من قليل والتجؤا الى ان يسلموها طوعا فأبى الوزير خوفا من ان ينهب العسكر مافيها من المال فراجعه الوزراء والعسكر فى المبادرة الى دخولها صلحا خوفا من أن يأتى أمر فقال ان ضمنتم لى العسكر فى أن لا يأخذوا شيأ فعلت فأبوا فتمادى الامر يومين أو ثلاثة وهو وبقية الوزراء فى اعمال الفكر على ان يفتحوها عنوة ومالهم علم بما سيحدث وكان ملوك النصارى قد تكاتبوا لتجتمع جيوشهم ويستعين بعضهم ببعض على قتال المسلمين وكان ملك النمسا لما سمع بقدوم المسلمين بالجيوش فر من مقر ملكه واحتمى ببعض القلاع من بلاده وأرسل يخاطب ملك بولونيا فى الاتحاد وقتال من يعاديهما فاتفقت النمسا والمانيا وكثير من الفرنج على قتال المسلمين وكان البابا يحرضهم على ذلك ويرغبهم فيه وكانت مدة الحصار خمسا وأربعين يوما فبينما الوزراء يدبرون فى الفتح عنوة اذا بطلايع الكفار أقبلت وفى أثرها عسكر سد الفضاء وشبت نيران القتال لا يبالون بقتل ولا ضرب بل يقدمون على الموت بجنان من الصخر وهجموا دفعة واحدة والعسكر فى غفلة عما يرادبهم واختلطوا بهم طامعين فى قتلهم وسلبهم وأطلقوا السيوف وجردوا أسنة الحتوف ولم يكن أسرع مما انقلب العيان وجمدت فى الوجوه العينان وكان المقدم من المسلمين من عمد الى الفرار ولم يقر له فى تلك الحركة قرار فقتل من قتل ونجا من نجى واحتوت الكفار على السرادقات والخيول وفازوا بأمر كان يتعسر اليه الوصول وكر الوزير بمن معه هاربا وتفرق العسكر فى تلك البرارى والوهاد ونفد ما كان معهم من الزاد ونفذ أمر العلى الكبير وهو على جمعهم اذا يشاء قدير ثم اجتمع كثير من العسكر مع الوزير ببلغراد وأظهرت نصارى الافلاق والبغدان والاردل العصيان وزحفت الكفار على بلاد الاسلام قال بعض المؤرخين فى وصف اليوم الذى هجم فيه النصارى على المسلمين وهجموا دفعة واحدة على صفوف العسكر العثمانية واشتبك بينهم قتال مهول دائر من الصباح الى المساء حتى تخضبت الارض بالدماء وتغطى من العجاج ودخان البارود كبد السماء وصمت الآذان من صوت المدافع والقنابر وكان يوما مهولا لم يسمع بمثله فى زمان غابر وبقى الوزير مصطفى باشا فى بلغراد فى قلق واضطراب مترقبا لما يظهر فى حقه من طرف السلطنة من الجزاء والعقاب فبرز الامر السلطانى بقتله وتدبيره جزاءله على ماجناه من سوء تدبيره فقتل فى المحرم من سنة الف وخمس وتسعين عليه رحمة المولى المعين وعين للصدارة بعده ابراهيم باشا وبعد تلك الوقائع الشديدة والحروب المهولة اخذ البابا يحرض اهل أوربا على طرد المسلمين من قرة بلادهم فاجتمعت العساكر من كل

يراوده على الصلح فلم يرض الا بالقتال فلما علم عمه عدم الرضا استهونوا امره ولم يدر مايجرى به القضاء وانما استهونوا أمره لان الشريف سرورا كان صغير السن فى ذلك الوقت كان عمره ثمانى عشرة سنة ورحم الله القائل
لاتحقرن صغيرا فى تقلبه ان الذبابة تدمى مقلة الاسد
ثم أن الشريف سرورا أرسل لقبيلة عتيبة وواعدها على موضع يقال له السيل وسار من الوادى جنح ليل واجتمع عليه بعض الاشراف وجماعة من عبيد أبيه وغيرهم من الرجال فتوجه بهم الى العابدية وجاءه بعض عتيبة الذين وعدهم بالسيل فلم يزد جميع ما اجتمع عنده على الثمانية فتوجه بهم الى المحل الذى خرج له عمه مع من عنده من العسكر ومعه الخيل الجياد وسمر القنا فوقعت الملحمة بين الفريقين وأسفر الامر عن انهزام عمه الشريف أحمد بن سعيد بعد قتال ساعتين ثم نهبت البادية خزانة الشريف أحمد وانفرط عقد ملكه وتبدلت حالات عنه الدنيا وولت وهذا حالها أينما حلت فنعوذ بالله من اقبالها وادبارها فطلب الشريف أحمد من ابن اخيه ذمة على حسب القواعد بين

(الجهات)

الجهات وصمموا على اخراج الاسلام من اوربا فتكفلت النمسا وتكفلت مكدونيا بلاد بولونيا والبندقية وغيرهم من ساكنى شطوط البحر الابيض فى دلمانيا بكثير من البلاد وزحفوا على بلاد الدولة العثمانية من جميع الاطراف فكانت عساكر الدولة تحارب الافرنج من جملة اماكن والبابا يحرض الافرنج على التجلد والقتال وأنجدهم بجيوش كثيرة فلم ينجح تدبير ابراهيم باشا الصدر فعزل وأقيم مكانه سليمان باشا سنة سبع وتسعين وألف وسار بالعساكر الى بلاد المجر وكان هذا الصدر يريدان يتمثل بمحمد باشا كوبرلى لكنه كان قاصرا فى التدبير فأراد العساكر قتله فتركهم وهرب الى القسطنطينية فقتله السلطان سنة ثمان وتسعين والف وأقيم فى الصدارة سياوس باشا وكان السلطان مشغولا بالصيد واللهو وقد حفت المصائب بالدولة من كل جانب وكثر الجوع والغلاء والحرايق فتوامر أهل الحل والعقد من رجال الدولة وخلعوا السلطان محمدا سنة تسع وتسعين وتوفى سنة اربع ومائة وألف وكانت مدة سلطنته أربعين سنة وخمسة اشهر

❊ لطيفة ❊

فى مدة السلطان محمد المذكور ظهر يهودى يدعى انه المسيح ومسلم يدعى انه المهدى فى عام واحد وهو عام ألف واثنين وسبعين اما اليهودى فظهر فى ازمير زاعما أنه المسيح وكان اليهود ينتظرون النبى الذى وعدهم به موسى عليه السلام وهو آخر الانبياء عليهم السلام فلما بعث عيسى عليه السلام كذبوه ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه أيضا ولم يزالوا ينتظرون النبى الذى وعدهم به موسى عليه السلام فاذا ظهر المسيح الدجال يتبعونه ويقولون انه هو النبى المبعوث فى آخر الزمان الذى وعدهم به موسى عليه السلام فلما ظهر هذا اليهودى بازمير ادعى انه المسيح عيسى ليغتر به كل من المسلمين واليهود ويتبعوه واظهر لليهود انه هو النبى الذى وعدهم به موسى عليه السلام وكان فصيح اللسان جميل المنظر وزعم أنه يوحى اليه وانه انما يتكلم بالوحى فصار يعظ الناس ويجتمعون عليه ثم انتقل الى بيت المقدس وكاتب اليهود الذين هم فى الممالك العثمانية فأجابوه وآمنوا به وصاروا يأتونه أفواجا يتبركون به ويبالغون فيما يحكونه عنه من اظهار عجائب وخوارق عادات كان يوهم عليهم بها ويصنعها بالحيل كالحواة فيزعمون انها معجزات فانتشر اسمه وكثر أتباعه وكان ذلك كله فى مدة سلطنة السلطان محمد بن ابراهيم بن احمد بن محمد بن مراد بن سليم بن سليمان بن سليم فاتح مصر فأراد الوزير المتولى دمشق أن يقبض على ذلك اليهودى المدعى لهذه الدعوى لما رأى من كثرة أتباعه وكان اليهود الذين بالقسطنطينية قد كاتبوه وطلبوا منه أن يأتى اليهم فتوجه اليهم واستعدوا لملاقاته ليأخذوا بيده ويتبعوه فأرسل الصدر الاعظم وقبض على ذلك اليهودى وهو فى المركب الذى جاء فيه ووضعه فى السجن فكان اليهود يطلبون الاذن من الصدر الاعظم ليأذن لهم فى زيارته فى السجن وتقبيل أقدامه فكانوا يأتون لذلك من جميع الجهات فوضع الوزير على كل من جاء لزيارته مالا جزيلا يأخذه منهم وجمع من ذلك مالا كثيرا فكان السجن يضيق عن هؤلاء الذين يأتون لزيارة مسيحهم ثم ان السلطان محمدا

ثارت نار فى شئ من بارود الجبخانة فهلك من ذلك نحو خمسين من العرب

(ذكر ولاية الشريف سرور بن مساعد بن سعيد ابن سعد بن زيد سنة ١١٨٦)

فدخل مكة مولانا الشريف سرور بن مساعد بن سعيد ابن سعد بن زيد بن محسن ابن حسين بن حسن بن أبى نمى وكان دخوله يوم السبت ثالث عشر ذى القعدة سنة ست وثمانين ومائة وألف ونودى باسمه فى شوارع مكة وامنت البلاد والعباد

(الواقعة الثانية بين الشريف سرور وعمه الشريف أحمد بن سعيد)

ولما تم له عشرون يوما من ولايته أقبل عليه عمه فى غاية من القوة فخرج لقتاله بما لديه من خيل وعسكر وخدم ووقع القتال بينهما عند بركة السلم فانهزم الشريف أحمد وتفرق جيشه وتبدد فأخذ ذمة عشرة أيام ورجع الى موضعه الاول وأقام وهذه الواقعة الثانية من الوقائع التى كانت بينهما وكانت فى رابع ذى الحجة سنة ست وثمانين ومائة وألف ولما كان اليوم الثامن

من ذى الحجة أراد الشريف سرور الصعود الى عرفة فامتنع جميع العسكر من الصعود معه يزعمون ان لهم عند عمه سبع جوامك

أحضر ذلك اليهودي بين يديه فأخذ يتكلم باللسان التركي كلاما ضعيفا غير فصيح فقال له السلطان محمد ان مسيحا مثلك يجب ان يكون فصيح اللسان بكل اللغات ثم قال له السلطان هل تصنع شيأ من العجائب فقال نعم في بعض الاوقات فقال له السلطان محمد اني اريد ان أجرب فيك هذه العجيبة وأمر ان يجرد من ثيابه ويوقف في فسحة الميدان ويرمى عليه بالرصاص فان نجا ولم يهلك علم صدقه فيما يدعيه فلما سمع هذا الكلام خر راكعا على الارض وقال ان قوتي لا تقدر على هذه العجيبة فأمر السلطان بقتله فرمى نفسه على قدم السلطان يقبلها ويعترف بالتوبة وتكذيب نفسه والدخول في الاسلام فقبل السلطان محمد منه ذلك فأسلم وحسن اسلامه وصار يعظ اليهود فأسلم منهم خلق كثير واما الرجل المسلم الذي ادعى انه المهدي فانه رجل من الاكراد وظهر ايضا في هذا العام في ناحية الموصل وتبعه خلق كثير فقبض عليه وأتي به الى السلطان محمد ايضا فاحضره وعرض عليه مثل ما عرض على اليهودي فأبت نفسه الشقية ان يعترف بالتوبة ويكذب نفسه بل رضي ان العساكر ترمي عليه بالرصاص فرموا عليه فمات من ذلك وبعده خلع السلطان محمد واقيم في السلطنة اخوه السلطان سليمان الثاني ابن ابراهيم

✽ ولاية السلطان سليمان الثاني ✽

فولي السلطنة وامور الدولة في غاية الارتباك وزيادة على ذلك هاج العساكر الانكشارية وقتلوا اكابرهم وقصدوا كثيرا من الوزراء ليقتلوهم وقتلوا الصدر الاعظم سياوس باشا وأقيم بعده اسماعيل باشا واستولى النيمسا على كثير من ممالك الدولة وكذا البندقية وبعد ثلاثة اشهر عزل اسماعيل باشا عن الصدارة واقيم مكانه تكفور طاغلي مصطفى باشا سنة الف ومائة وواحدة وفي تلك السنة توجهت العساكر العثمانية الى ناحية ادرنه وفي ذلك الوقت كانت عساكر النيمسا محاصرة بلغراد ثم ملكوها تلك السنة بعد حصار طويل

✽ ذكر غزوة السلطان سليمان الثاني ✽

ولما بلغ الدولة أخذ بلغراد امر السلطان بتجهيز العساكر لكي يخرج بنفسه وكانت الخزينة خالية من المال ففرضوا على اهل القسطنطينية ان كل عائلة تجهز خيالين وفي اثناء ذلك توجه من طرف الدولة الى فينا بلاد النيمسا ذو الفقار افندي لاجل المخاطبة في عقد الصلح ففرض عليه امبراطور النيمسا انه عند دخوله يسجد اولا عند باب القلعة وثانيا في وسطها وثالثا امام كرسيه ثم يقبل ذيله ويضع كتاب السلطان بين يديه ويرجع ساجدا كذلك فأبى وأقام عشرة اشهر في هذه المنازعة ولما رأى السلطان أنه قد طال أمر هذه المخاطبة أمر بالذهاب الى الحرب فتقدمت العساكر الى بلاد المجر وحاربتهم وأخربت قلاعهم واستولت على اكثر البلاد وكان الجرنال درسكوفيس قد خرج على عساكر الدولة في نواحي بلاد اليونان وكسرهم وكان عددهم خمسين الفا واما عساكر النيمسا الذين كانوا في نواحي الطونة فقتلتهم العساكر العثمانية وشتت شملهم فتركوا البلاد والقلاع وفر من بقي منهم

✽ ذكر غزوة الى بلاد النيمسا ✽

ولما وصل ذو الفقار من بلاد النيمسا الى بلاد القسطنطينية وأعلم السلطان بما جرى له في بلاد

(النيمسا)

و يقولون له ان أسلمتنا اياها توجهنا معك فالتزم لهم بها على أن يعطيهم نصفها والنصف الآخر عند ما ترجع الحجوج وتعود وأعطاهم رهونا مثمنة فامتنعوا من ذلك تعصبا وعنادا فتركهم وصعد بعبيده وعبيد أبيه ونزر من عشيرته وذويه ومعه ركب أهل المدينة وحج بالناس وكانت حجة أمن وسرور ولما نزل الناس من الحج اجتمع كثير من السادة الاشراف وقصدوا مصطفى باشا أمير الحاج الشامي وطلبوا منه ان يعزل الشريف سرورا ويعيد عمه كما كان فامتنع وقال لا يمكن هذا الا بفرمان من السلطان ثم بعد سفر الحج أرسلت العساكر التي امتنعت من الصعود الى الحج مع الشريف سرور الى الشريف أحمد وطلبت منه ان يصل اليهم ويقومون بحمايته وارجاعه الى كرسي الشرافة فدخل البلد متخفيا وتوارى في بيته ولم يشعر به أحد فلما كان يوم الجمعة الخامس والعشرون من ذي الحجة قبل الصلاة والشريف سرور غافل لم يعلم بشيء مما صنعوه ولم يفطن الا والرصاص من بيوت العسكر ومن جبل أبي قبيس ينصب كالمطر فسأل عن ذلك فأخبروه بأن عمه قد وصل الى داره والعسكر قائمون معه لاخذ ثاره فاستلحق من بقي عنده من

النيمسا لم يستحسن مصطفى باشا الصدران يتغاضى عن ذلك فعزم على حرب النيمسا فأمر بتجهيز العساكر واخذ فى استجلاب قلوب الناس الذين كانوا تحت حماية النيمسا حتى احتموا بالدولة واخذ جميع الآنية الفضية والذهبية التى كانت عنده وعند السلطان وارسلها الى دار الضرب فسبكها معاملة ثم توجه لمحاربة النيمسا ومعه نحو مائة الف ففتح يساوودين وسمندريا و بلغراد ثم رجع الى القسطنطينية مظفرا منصورا

﴿ ذكر غزوة اخرى ﴾

وفى سنة الف ومائة واثنتين بلغ الدولة تقدم النيمسا فزحف عليهم مصطفى باشا بالعساكر المنصورة وتوفى السلطان سليمان فى رمضان من هذه السنة بداء الاستسقاء وعمره خمسون سنة ومدة ملكه ثلاث سنين وتسعة اشهر

﴿ ذكر ولاية السلطان احمد الثانى ابن ابراهيم واول غزوة من غزواته ﴾

وجلس على تخت السلطنة بعده اخوه السلطان احمد بن ابراهيم وكان الصدر الاعظم مصطفى باشا سائرا بالعساكر لمحاربة النيمسا وكانت عساكر الدولة تقدمت الى قرب بزرزدين واشتبك الحرب والقتال بين الجيشين و نهزم من جيش المسلمين رئيس العساكر الاكراد فلما شاهد ذلك مصطفى باشا صرخ عليهم بصوت عظيم واقتحم فى وسط المعركة يحرض العساكر على القتال والسيف بيده واذا برصاصة أصابته فى رأسه فوقع قتيلا رحمة الله عليه وبموته تغلبت عساكر النيمسا على العساكر الشاهانية ووقعت الهزيمة وقتل خلق كثير من المسلمين قيل ان عدد القتلى كان ثمانية وعشرين الفا وفى ذلك الوقت كانت عساكر المسلمين البحرية منصورة على الافرنج نصرا شديدا وبعد موت الوزير أقيم مكانه عربجى على باشا ثم عزل سنة اربع واقيم بقلو مصطفى باشا وحدث فى هذه السنة حريقة فى القسطنطينية أحرقت ربع المدينة

﴿ ذكر غزوة فى خلافة السلطان أحمد الثانى ﴾

فى ذى القعدة من هذه السنة توجه الوزير الى بلغراد لمحاربة النيمسا وكانت محاصرة بلغراد فلما بلغ النيمسا قدوم الوزير رفع الحصار وهرب من امامه فأمر الوزير بترميم الاماكن التى أخربتها عساكر النيمسا ورجع بعد ذلك الى أدرنة وبقى جيش الدولة محافظا هنالك وكانت دولة انكلترا تداخلت مع دولة هولندا فى اتمام الصلح مع الباب العالى والنيمسا ولم يتم وفى سنة خمس ومائة والف توجهت العساكر لمحاربة المجر وبسبب الامطار الكثيرة رجعوا الى بلغراد وفى سنة ست توفى السلطان احمد وعمره اربع واربعون سنة ومدة ملكه ثلاث سنين وثمانية أشهر

﴿ ذكر ولاية السلطان مصطفى الثانى وغزوة يتلوها غزوات ﴾

واقيم فى السلطنة بعده السلطان مصطفى الثانى ابن السلطان محمد الرابع ابن ابراهيم وبعد جلوسه عرض عليه قضية الصلح فلم يقبل بل أصدر فرمانا شريفا يقول فيه لا يجوز لعبيد الله ان يتمتعوا بالراحة وهم على تخت السلطنة فمن الآن وصاعدا احتم ان التلذذ والكسل يهجر من دولتى العلية لان الاعداء قد أحاطوا بمملكة الاسلام واستأسروهم

من ابراهيم بيك أمير الحج المصرى ان يمده بالعساكر فأرسل معه جريدة من الخيل والرجال لكن ليس للخيل فى ميدان الرصاص من خلف الجدر مجال واستمر الحرب بقية اليوم والليلة

(الوقعة الثالثة)

وفى صبيحة يوم السبت دق بابه زير الحرب واشتد القتال والضرب وعاد ثانيا مثقال أغا الى الصنجق لطلب الرصاص والبارود فأعطاه ست صناديق من الفشك وجانبا من الرجال فحملت القوم على القوم فما ظفر جماعة الشريف أحمد بشىء مما يريدون فلما ظهرت الغلبة عليهم واشتد الحصار طلبوا الامان وأخذ الشريف أحمد ذمة وبات ليلة فى المعابدة ثم خرج وأما العسكر فأمر مولانا الشريف سرور باخراجهم من البلد وان لا يبيت فيها منهم أحد الا عسكر اليمن فانهم كفوا أيديهم عن القتال فخرج العسكر منكسى الاعلام مفرقين بين يمن وشام وهذه الوقعة الثالثة للشريف أحمد مع الشريف سرور

وسوف آخذ ثارهم ان شاء الله تعالى واسير امام جيوشي لان جدي سليمان العظيم الذي تصاعد رائحة الطيب من قبره لم يكن يرسل وزرائه فقط للجهاد بل كان يخرج بنفسه للمبارزة في الجهاد المقدس حتى ان فخره ومجده قد انتشر في جميع الاقطار المسكونة وانا سوف اصنع نظيره فأطيعوا امير المؤمنين والسلام وكان السلطان مصطفى المذكور محبا للعلوم والمعارف متديناعادلا وعلى جانب عظيم من الرقة والحذق ثم اجتمع رجال الدولة واتفقوا على أن السلطان لا ينبغي ان يخاطر بنفسه فلم يلتفت الى كلامهم

﴿ ذكر غزوة من غزوات السلطان مصطفى ﴾

ثم عزم على الخروج بالعساكر فأمر بجمع الجيوش وارسل عمارة بحرية فضربت مراكب مشيخة البندقية بقرب ساقس وكسرتهم كسرة بسهولة وشتتهم في جهات البحر الابيض وتملكت عساكر الدولة جزيرة ساقس وسار السلطان بنفسه مع العساكر وعبروا نهر الطونة وقاتلوا عساكر النيمسا وملكوا جملة بلاد وقلاع وقطعوا رأس الجنرال فيتراني وكانت عساكره أكثر من عساكر الدولة بخمس مرات وأخذوا مدافعهم ومهماتهم وهدموا القلاع والحصون وعند دخول الشتاء رجع السلطان بجانب من العساكر الى ادرنة وترك الباقي يحارب النيمسا ثم دخل بالعساكر القسطنطينية في موكب حافل ومعه اسارى كثيرة ومدافع وبيارق من غنائم النيمسا وفي اثناء ذلك حاصر ملك المسكوف قلعة ازوف فكسرته عساكر الدولة تحت أسوارها وقتلت من عساكره ثلاثين الفا ورجع عنها بعد حصار ثلاثة أشهر وتملك المسكوف بحر ازوف وبنى على سواحله قلاعا

﴿ ذكر غزوة عظمى ﴾

بلغ السلطان ان النيمسا جمعت عساكر كثيرة وجعلت قائدها اوجين الفرنساوي وكان متدربا في الحروب فسار السلطان سنة ثمان ومائة وألف بمائة الف مقاتل الى مدينة أدرنة وارسل الجيوش منها لمحاربة النيمسا فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وكان النصر للمسلمين فقتلوا من النصارى عددا كثيرا وشتتوهم في جميع الجهات ورجع السلطان الى مقر ملكه

﴿ غزوة اخرى ﴾

في سنة تسع بلغ الباب العالي رجوع عساكر النيمسا مع الجنرال اوجين الفرنساوي فخرج السلطان بنفسه بالعساكر وصحب معه وزيره الصدر الاعظم محمد الماس باشا واستولوا في طريقهم على عدة قلاع ثم التقوا بجيوش النيمسا التي مع اوجين الفرنساوي ووقع بينهم وقعات ثم صارت الهزيمة على عساكر المسلمين وقتل الصدر الاعظم في ميدان الحرب واقيم مكانه حسين باشا ثم انهزم ورجع الى بلاد المجر وفي أثناء ذلك سعت دولة فرنسا وانكلترا وهولندا في الصلح واختاروا مدينة كرلوفر لانعقاد الجمعية بهذا الصدد والسبب ان الدولة كانت كلت وقلت النقود من كثرة الحروب فحصل القبول لهذه الجمعية فاجتمعت معتمد الدولة العلية ودولة فرانسا وانكلترا والموسكوف والنيمسا والبندقية وبولونيا وهولندا وبعد ستة وثلاثين جلسة في برهة اثنين وسبعين يوما تم الصلح

المفتي يحيى المتوفى في سنة أربعين فكانت مدة مباشرة المفتي علي للفتوى تزيد على الاربعين سنة وبعد وفاته تقلد الفتوى ابن أخيه المفتي عبد القادر بن المفتي يحيى بن المفتي عبد القادر الصديق وتوفي سنة احدى وتسعين وتقلد الفتوى بعده المفتي عبد الملك بن عبد المنعم القلعي ومكث فيها الى سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين وفي سنة سبع وثمانين خرج كثير من الاشراف منافرين لمولانا الشريف سرور وتفرقوا في كل الجهات ومنعوا السبل وقطعوا الطرقات

(الوقعة الرابعة)

وفي شهر ربيع الاول أقبل على مكة الشريف أحمد بن سعيد فجمع له مولانا الشريف سرور الجموع وحصل بينهما القتال ففي أول الامر حصلت هزيمة للشريف سرور وطلب ذمة ثم حمل بنفسه حملة أي حملة فانهزم الشريف أحمد وأخذ ذمة ثم توجه الى المعدن وهذه الوقعة الرابعة بينهما ثم رجع الشريف أحمد في ربيع الثاني وملك الطائف بغير قتال *(الوقعة الخامسة)* ثم قصد مكة فخرج له الشريف سرور بعبيده

في رجب سنة ألف ومائة وعشرة وانعقدت شروطه باتفاق الجميع وتلك الشروط تعرف بشروط كازلاوز وكان من جملة الشروط حصول الهدنة ومتاركة الحرب مع النمسا خمسا وعشرين سنة وأما المسكوف فلم يقبل الا بهدنة سنتين وبعد انعقاد الصلح هاجت الناس والعساكر بسببه وانتشر من ذلك فتنة عظمى وطالت الى ان قاموا على السلطان وخلعوه وقتلوا شيخ الاسلام فيض الله افندي قيل ان السلطان مصطفى لما بلغه انهم يريدون خلعه دخل على اخيه احمد وأخبره بذلك وترك له كرسي السلطنة فكانت مدة ملكه ثمان سنين وأربعة أشهر وكان خلعه سنة خمس عشرة ومائة وألف ومات في السنة التي بعدها فعمره احدى وأربعون سنة (ولاية السلطان احمد الثالث) وتسلطن بعده اخوه السلطان احمد الثالث ابن السلطان محمد الرابع ابن ابراهيم وكان من الصالحين المحبين للجهاد واقامة الحق ولما جلس على تخت السلطنة كان أهم شئ عنده اخذ القصاص من العصاة الذين كانوا سببا في تلك الفتنة وقتل كثيرا منهم

❁ ذكر غزوة في زمن السلطان احمد الثالث

ثم جهز عمارة بحرية لمحاربة البندقية في جهات المورة فملكوا اكثر الجزائر واستأسروا كثيرا من البندقية واستولوا على مراكبهم وفي سنة ست عشرة ومائة وألف قامت الحرب على ساق وقدم بين قيصر الروسية بطرس وكارلوس ملك السويد واسترسلت الى سنة فانكسر أخيرا كارلوس المذكور وفاز عليه قيصر الروسية بطرس الاكبر ولما انهزم ملك السويد دخل في حدود الدولة فأمر السلطان وقتئذ أن يكرم غاية الاكرام وأن تكون مصاريفه ومصاريف كل تبعته من خزينة الدولة ومكث في بلاد الدولة مداوما الالحاح عليها لمحاربة الروسية اعانة له فامتنعت الدولة من اجابته

❁ ذكر غزوة الى الروسية ❁

ثم أجابته في سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف وأشهرت الحرب على الروسية وجهزت جيشا تحت قيادة محمد باشا البلطجي فاشتبك القتال بين الطرفين عند نهر برث وبعد كفاح شديد تقهقر جيش الروسية وأمسى القيصر في خطر مبين ولولم تتدارك الامر زوجته كاترينا بحذقها ودرايتها لاصبح زوجها أسيرا فعقدت صلحا مع الوزير الاعظم تحت شروط منها ترجيع بحر أزوف الى الدولة وهدم الحصون التي على سواحل هذا البحر وبترك للدولة المدافع التي فيها وعدم مداخلة الروسية فيما يخص القزق وان تتعهد لملك السويد بحرية الرجوع الى بلاده وبعد المصادقة على هذه العهود من الطرفين أرسل الوزير يعلم السلطان بالنتيجة فغضب وأمر بعزله ونفيه فمات بعد شهر وأقيم مكانه يوسف باشا وتم رأى رجال الدولة على ابطال ذلك الصلح مع الروسية واشهار الحرب عليهم بعد قتل جملة اشخاص كانوا السبب مع ذلك الوزير في تلك العهود وكان يوسف باشا الصدر الجديد لا يريد الحرب فلذلك صار يؤخر في تجهيز المهمات الحربية واجتهد في تجديد الصلح مع الروسية على هدنة خمس وعشرين سنة فلما بلغ السلطان ذلك أمر بعزل يوسف باشا وأقام مكانه سليمان باشا وذلك سنة ألف ومائة وأربع وعشرين ثم ان ملك السويد

وهذه الوقعة الخامسة

(الوقعة السادسة)

ثم في شهر شعبان وصل السيد عبد الله الفعر الى الطائف واتفق مع السيد سليمان بن يحيى ان السيد عبد الله الفعر يخرج دراهم من عنده لجمع عربان يدعوهم لطلب مكة للشريف أحمد بن سعيد وهو في خليص فبلغه الخبر فتوجه للطائف فامتنع السيد عبد الله لفعر من اخراج الدراهم ثم نزل الشريف أحمد الى نعمان فبلغ الشريف سرورا وصوله فخرج له فذهب الى موضع هذيل يقال له ضبعة وأثار عليه الحرب فارتفع الى جبال شامخة رأى فيها حصانته فرجع الشريف سرور الى مكة وهذه الوقعة السادسة وكانت في رمضان

(الوقعة السابعة)

ثم توجه الشريف أحمد الى الهدا وجمع عربانا وأخذ الطائف بغير قتال وأخذ من أهله جملة من الاموال وتوجه قاصدا مكة بمن معه من البادية فخرج لقتاله الشريف سرور وحصل بينهما قتال ساعتين ثم انهزم الشريف أحمد وسار خلفه الشريف

أراد الرجوع الى بلاده وطلب من الدولة ألف كيس فأمرت له بها ثم طلب ألفا اخرى فأمرت له بها فغضب الوزير و أراد اخراج ملك السويد بالعنف وجرى بينه وبينه أشياء يطول ذكرها فعزل السلطان الوزير سليمان باشا وأقيم مكانه ابراهيم باشا ثم بعد عشرين يوما عزل وأقيم مكانه داماد على باشا فعقد الصلح مع الروسية على خمس وعشرين سنة وفى أثناء ذلك حضر الى ملك السويد كتاب من اخته تقول له ان حضوره لازم لأجل راحة المملكة فعزم على الرحيل واستأذن الدولة فى الرجوع فأمرت له بستمائة جاويش لأجل محافظته فى الطريق وأهدته ثمانية أفراس من جياد الخيل وصيوانا مطرزا بالذهب وسيفا مرصعا بالأحجار الثمينة فرحل من بلاد الدولة سنة ست وعشرين ومائة وألف شاكرا افضال الدولة على ماصنعته معه من الغيرة والمساعدة ونحو ذلك من الاعمال الممدوحة التى تستحق ان ترقم فى صحايف التواريخ لتكون تذكارا بين الملوك وأهل السويد لاينسون هذا الجميل الذى فعلته الدولة العلية فى حق ملكهم

﴿ ذكر غزوة عظمى ﴾

وفى سنة ست وعشرين ايضا فتحت الدولة الحرب على البندقية واستولت العساكر العثمانية على أكثر بلاد المورة وعلى جزائر البنادقة وذلك سنة سبع وعشرين ومائة وألف وكانت مشيخة البندقية استغاثت بملك النيمسا وهو اذ ذاك امبراطور المانيا فلبى دعوتها وبعث الى الدولة العلية يطلب منها ان ترسل معتمدا من طرفها الى حدود بلاد المجر لأجل المخابرة معه لجهة جمهورية البندقية وان أبت عن ذلك فانه مستعد ان يشهر الحرب عليها فلم تجب الدولة هذا الطلب

﴿ ذكر غزوة ﴾

بل أرسلت على الفور الصدر الاعظم بمائة وخمسين ألف مقاتل لمحاربة ألمانيا فوافاهم ثمانون ألفا من عساكر الالمان تحت قيادة الأمير أوجين الفرنساوى والتقى الجيشان عندكارلوفيتز والتحم القتال بين الفريقين مدة أيام وكان الصدر الأعظم داماد على باشا من أحسن أبطال زمانه فكان ينزل فى ميدان الحرب ويقاتل بنفسه أشد القتال فقدر الله انه قتل فى ميدان القتال فانهزمت الجيوش العثمانية انهزاما مهولا واستولت عساكر العدو على المهمات والمدافع ثم تقدموا الى مدينة تميفار وحاصروها شهرين وملكوها

﴿ ذكر غزوة أخرى ﴾

وولى الصدارة خليل باشا فجهز جيشا لقتال العدو وسار الى ادرنة ومنها الى بلغراد واشتبك القتال بين الجيشين سنة ١١٢٩ ولسوء تدبير هذا الوزير وقعت الهزيمة أيضا على جيش المسلمين وملك العدو مدينة بلغراد فعزل الصدر وأقيم مكانه محمد باشا وعزل بعد ثمانية اشهر وأقيم مكانه داماد ابراهيم باشا وكان جانب من عساكر الدولة مشتغلا بالحرب مع العدو فى جهة بوسنة ولما بلغت هذه الاخبار ديوان السلطنة فتحت المخابرة فى الصلح سنة ثلاثين ومائة وألف وكان السلطان يريد عقد الصلح مع كل من دولة المانيا وجمهورية البندقية على حدته فأجاب الأمير اوجين بأن الأمبراطور لايفتح المخابرة الابحت شرط عقد الصلحين

عبيده وخيله وعساكره وتركه فمكث بالحسينية ستة أيام وأراد التوجه الى اليمن فبلغ ذلك الشريف سرورا فبادره وأخذ جميع ماعنده من العبيد وما أبقى له شيأ فتوجه الشريف أحمد الى وادى مر ثم الى خليص ثم الى المدينة وهذه الوقعة السابعة وأقام بالمدينة الى ان وصل الحج فأرسل للباشا يطلب مواجهته فامتنع فمكث بالمدينة الى المحرم ثم توجه الى خليص وأقام بها وفى السابع والعشرين من ربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائة وألف نزل مولانا الشريف سرور الى جدة ومكث بها مدة وأهدته التجار وبعد رجوعه الى مكة اجتمع كثير من السادة الاشراف وطلبوا منه معاليمهم وشددوا فى الطلب فقال لهم اعطيكم ان قبلتم على دفتر الشريف مسعود فقبلوا منه ذلك وهو بالنسبة الى ماكان يعطيهم قدر الربع فأعطاهم على ذلك ولما قدم الحج أراد السيد عبد الله الفعر ملاقاة أمير الحج الشامى والاجتماع به فامتنع الباشا من ملاقاته لما علم أنه مغاضب لمولانا الشريف سرور فواجه أمير الحج المصرى فوعده بأنه يأتيه يوم عرفة ويصلح بينه وبين مولانا الشريف سرور فأتاه يوم عرفة فركب الصنجق وترجى عند الشريف فلم يقبل ذلك الرجاء وأبى

سواء تحت نظره وأردف هذا الطلب بأن يعطى له ماعدا مصاريف الحرب ومدينتى بلغراد وتميفارا قليابوسنة والسرب الواقعان فى الجهة اليمنى من نهر الدانوب والأفلاق من حدود بغدان الى نهر دنيستر وأن ترجع المورة الى البندقية فعظمت هذه المطالب على السلطان احمد وفضل فقد التاج على التسليم بشروط مجلبة للعار فتداخلت اخيرا دولتا انكلترا وهولندة فى نقض الخلاف وصار القرار على ان يبقى فى يد كل من الدولتين الأملاك التى تكون فى يدها عند امضاء المعاهدة وان يبقى أيالة المورة للدولة العلية وفى سنة ثلاث وثلاثين حدثت حريقة مهولة فى القسطنطينية أحرقت نحو ربعها وبعد نهاية الصلح جددت الدولة مع الروسية وملك بولونيا شروط الصلح وروابط العهود

ذكر غزوة الى بلاد العجم

فى سنة ثمان وثلاثين جاء جماعة من أهل السنة يسكنون فى حدود العجم الى السلطان احمد يشكون من المظالم والتعدى التى يجريها الشيعة عليهم ويستنجدون به ويطلبون خلاصهم من تلك المظالم فأجابهم السلطان احمد وسير جيشا الى بلاد العجم وفتحوا جملة حصون ومدينة ارمقان ونهاوند وتبريز وشتتوا جموع الأعاجم قتلا وأسرا وامتلأت أيديهم من غنائمهم فأرسل شاه العجم يخاطب الدولة فى الصلح فقبلت بشروط ان يرجع الى الدولة البلاد التى كان استولى عليها وفى اثناء ذلك مات شاه العجم حسين وملك ولده طهمسب فأرسل الى الدولة يطلب ترجيع الأملاك التى أخذت من ابيه وحاصر تبريز وملكها واستولى على ستمائة حمل جمل من الامتعة فصدر الأمر من السلطان احمد بتجهيز العساكر لحرب الاعجام وعند ما كانوا على هيئة الذهاب وذلك سنة ثلاث وأربعين ومائة والف هاجت العساكر الانكشارية وتمردوا وطلبوا من السلطان قتل الصدر الاعظم ابراهيم باشا وشيخ الاسلام وقبطان باش وكتخدا بيك لشكايا يشكون منها فلم يقبل السلطان منهم ذلك فقالوا نسمح عن شيخ الاسلام فقط ثم قتلوا الصدر الاعظم ابراهيم باشا وكتخدا بيك ثم ان بعض العسكر أنكروا أن المقتول ابراهيم باشا وقالوا ان المقتول رجل يشبهه وليس هو ورجعوا يطلبون من السلطان احضار ابراهيم باشا واخذوا يصرخون يعيش السلطان محمود وساروا يطلبون السلطان محمود فى المكان الذى هو فيه وأتوا به الى الديوان وأجلسوه على كرسى السلطنة وبايعوه بعد أن خلعوا عمه السلطان أحمد فكان خلعه سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف وتوفى سنة تسع وأربعين وعمره ستون سنة ومدة ملكه سبع وعشرون سنة واحد عشر شهرا

ولاية السلطان محمود الأول

وأما ابن أخيه الذى أقيم فى السلطنة بعده فهو السلطان محمود الأول بن مصطفى بن محمد بن ابراهيم هكذا ذكر هذه القصة فى كثير من التواريخ ورأيت فى تاريخ مكة لمرضى حكاية كيفية خلع السلطان أحمد المذكور وكيفية قتل الوزير ابراهيم باشا فقال فى تاسع عشرى شهر ربيع الاول من سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف كان جلوس السلطان الاعظم والخاقان الأكرم الافخم السلطان محمود ابن السلطان مصطفى بن محمد ورفع عمه السلطان أحمد ابن السلطان محمد المتولى فى سنة ألف ومائة وخمس عشرة وكان هذا الرفع والجلوس لاسباب

من الصلح مع المذكور وقال انلم يرتحل لأركبن عليه وأقبضه فارتحل قبل تمام المناسك وتوجه الى ليا فلما بلغ الشريف أحمد ماصار على السيد عبد الله الفعر ارتحل من خليص واستقر فى المعدن وفى أواخر جمادى الآخرة من سنة تسع وثمانين جمع الشريف سرور قبائل هذيل ومن معه من الرجال وتوجه الى الطائف بقصد اخراج السيد عبد الله الفعر أو يقاتله ان لم يرتحل ودخل السيد عبد الله الفعر فى حصن حصين له بالطائف ثم توسط بينهما جماعة من الاشراف وأتموا الصلح وعاد الشريف الى مكة فى رجب وفى شهر شعبان غزا قبيلة من هذيل يقال لهم الضبان فأخذ مواشيهم وحقن دماءهم حتى صاروا له كالعبيد

* (الوقعة الثامنة) *

وفى شهر رمضان بلغ الشريف سرورا ان السيد عبد الله الفعر نقض الصلح واجتمع بالشريف أحمد بن سعيد وجمعا قبائل وأقبلا على الطائف فاستعد لقتالهم وكيل الشريف بالطائف وجمع لهم جندا فنكصا على أعقابهما وهذه ينبغى ان تجعل ثامنة للوقعات وان لم يحصل فيها قتال

* (الوقعة التاسعة) *

ثم رجعا وهجما على الطائف فى الثالث عشر من شوال وقت الفجر وكان معهما السيد عبد الله بن مسعود وكان وكيل الشريف

وأمور اقتضت وقوع هذا الحادث العظيم والخطب الجسيم وهو أنه لما تكاثرت المظالم من وزير السلطان احمد ابراهيم باشا ومن كيخيته حتى زاد الحال على المسلمين اجتمع من أطراف العسكر اثنا عشر نفرا لا زيادة واستمروا عشرة ايام وهم في كل يوم يخرجون ويجتهدون في أن يعضدهم أحد من العسكر فلم يحصل ذلك وفي اليوم الحادي عشر تكاثرت الأمة عليهم فغاب منهم أحد عشر لا يدرى أين ذهبوا ولم يبق منهم الا واحد فصار ذلك الواحد أمير تلك الأمة المجتمعة فأركبوه جوادا وامتثلوا له جميع ما أمر وصار عدتهم فوق العشرة آلاف وفي أثناء ذلك والسلطان احمد حافظ للوزير وكيخيته وأمير البحر المسمى بالقبطان وهو في غاية الذلة والهوان أرسل اليه أمير الأمة المذكور بأن ادفع الينا الوزير والكيخيا نريد أن نقتص منه مظالم الخلق فاضطرب حالهم اضطرابا انجلى عن قتل الوزير لكيخيته بيده ثم قتل القبطان أيضا بيده ثم قتل الوزير بعض خدم السلطان وأرسل اليهم رؤس الثلاثة بناء على أن ذلك مرض لهم فزاد الحال وكثر الجدال وقالوا ان قتل القبطان كان ظلما لأنه لم يصدر منه ما يوجب ذلك وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه وأما قتل الوزير وكيخيته فلم يكن لنا به غرض بل كان مطلوبنا حضورهما حيين نطالبهما بحقوق العباد وما كان يصدر منهما في البلاد ثم صرخوا بعدم الرضا بالسلطان أيضا فعرض عليهم تولية ابنه السلطان سليمان فامتنعوا عن ذلك فرأى هو ومن لديه من اهل الحل والعقد انه لا يطفي هذه الثائرة الا اخراج السلطان محمود من الحبس وتوليته السلطنة فقام السلطان احمد بنفسه وذهب اليه في الحبس وأخرجه وأجلسه على التخت ثم أرسل اليهم بأن يتفرقوا فأبوا الا بعزل بعض الخواص عن مناصبهم وتولية غيرهم وقتل آخرين ونفي جماعة فتم لهم ما طلبوه ثم رغب منهم السلطان محمود التفرق فتوقفوا أيضا فأرسل اليهم شيخ الاسلام بأنكم اذا لم تتفرقوا والا أخرجت لواء النبي صلى الله عليه وسلم وأخذت عليكم فتوى ووجهت الجهاد عليكم فعند ذلك تفرقوا فطلب ذلك الرجل الذي كان أمير هذه الأمة المجتمعة فلم يوجد له خبر ولا أثر ولا يدرى أين ذهب واستقرت السلطنة العثمانية للسلطان محمود الأول وصدرت منه الأوامر العلية الى جميع ممالكه وزينت البلاد وكان من أغرب الاتفاق ان خرج تاريخ ذلك قوله تعالى فاعتبروا يا أولي الأبصار

ذكر غزوة الى بلاد العجم

وقد وقع في مدة السلطان محمود المذكور محاربات بينه وبين الروسيا والمانيا عدة سنوات وكذا وقعت ايضا محاربات بينه وبين العجم

ذكر غزوة الى العجم

منها أن العجم جهزوا جيوشهم وأغاروا على مواضع مما كانت في حكم الدولة وأخذوها وحاصروا بغداد فجهز السلطان محمود عليهم جيوشا سنة ست وأربعين ومائة وألف وأزالهم عن محاصرة بغداد وشتتهم في الجهات وقتل منهم مقتلة عظيمة ورجع بعض جيوش الدولة الى كردستان ليخلصها من أيدي الأعجام واشتبك الحرب وقتل رئيس العساكر العثمانية طوبال عثمان باشا في ميدان الحرب وقد كان في السنة التي قبلها عقد صلحا مع العجم على ان تبريز

بالمناة فنزل وحصل بينهم وبينه قتال شديد ووجد عشرون من بني سعد الذين كانوا مع الشريف سعيد مزودا

من البارود في بيت الوكيل فأرادوا اقتحامه فثارت فيه نار فقتلتهم فصال الوكيل على الشريف أحمد وحمل عليه بمن معه من القوم وأخرجه ومن معه من الطائف فولوا هاربين واستقر الشريف سعيد بالمعشن والسيد عبد الله النمر في ابلا وهذه الوقعة التاسعة ثم توجه السيد عبد الله النمر الى خليص لملاقاة أمير الحج الشامي فوجده قد زلف عنه وما أمكن مقابلته فارتفع الى الخيرة فبلغ خبره الشريف سرورا فأرسل سرية من الخيل والركاب ووكل عليها السيد ناصر بن منصور من آل بركات وأمره بقبض السيد عبد الله النمر الساحل فأدركته الخيل في طرف الخيرة فقبضوا عليه ومعه السيد بركات بن جود الله فأمر الشريف سرور بحبسهما في القنفدة ثم أمر باطلاق السيد بركات بن جود الله وبقي السيد عبد الله النمر محبوسا هناك مدة أشهر ثم أرسل الشريف سرور [illegible] به فلما كان في أثناء الطريق أرسل الامير فرحان من اللعية سفينة وعسكرا فأخذوا السيد

عبد الله النمر وأتوا به الى اللعية فأكرمه الامير فرحان فلما بلغ الشريف سرورا هذا الخبر أزعجه ثم أرسل لامام اليمن يقول

تكون تحت أيدى العجم فغضب السلطان محمود ولم يرض بذلك ولما قتل طوبال عثمان باشا انهزمت عساكر الدولة فلما بلغ الخبر الباب العالى جهز السلطان جيشا آخر لقتال العجم ولما وصل الجيش الى شط نهر كوبان صدهم الموسكوف عن المسير فراجعوا ودخلت عساكر الموسكوف فى بولونيا فشكتهم الدولة الى ملوك أوروبا لأن ذلك مخالف للشروط التى كانت بينهم فاعتذر الموسكوف بأن دخول عساكره فى بولونيا لمنع دولة فرانسا من تسليم أحكام بولونيا فلم تقبل الدولة هذا العذر وأشهرت الحرب على الموسكوف

۞ ذكر غزوة الى بلاد الموسكوف ۞

وسارت العساكر فى سنة تسع واربعين ومائة والف بعد أن عقدوا صلحا مع العجم غير الصلح الذى تقدم ذكره على شرط رجوع حدود الدولة على ما كانت أيام السلطان مراد الرابع وفى مدة عقد هذا الصلح تقدمت عساكر الموسكوف وأخذت بعض جهات من أراضى الدولة فلما تجهزت عساكر الدولة توجهت الى القرم واقتتلوا مع الموسكوف فانتصرت عساكر الدولة وهزموهم ثم أن الموسكوف اتحدت مع النيمسا وألمانيا وكانت ألمانيا تابعة للنيمسا ورجعوا واستولوا قلعة أزوف وانهزمت عساكر الدولة أمام هذه القلعة واستولت عساكر النيمسا على تمام مدن من بلاد الصرب والأفلاق وعلى قلعة نيش

۞ غزوة اخرى ۞

فرجعت اليهم عساكر الدولة وهزمت عساكر النيمسا قدام بالوغا وتشتتت فى جهات البلاد وامتد الانتصار الى أن طردت عساكر الدولة النيمسا من الأفلاق والبغدان وارصوفا واسترجعت قلعة نيش واحرقت لهم سبع مراكب حربية فى البحر تجاه قلعة البرابت وتوسطت فرانسا فى الصلح فلم يقبل السلطان فلم تزل فرانسا تراجع السلطان الى ان تم الصلح بشرط ان النيمسا ترجع بلغراد للدولة وكل ما استولت عليه من الأفلاق والصرب وغير ذلك وأن يكون الحد الفاصل بين المملكتين نهر الطونة وعقدوا هدنة طويلة وهى سبع وعشرون سنة واشترطت الدولة على الموسكوف أنه لا يكون لها مراكب حربية ولا تجارية فى البحر الأسود وبحر أزوف وأن الموسكوف يرجع الأماكن التى استولى عليها فى مدة الحرب وان يهدم قلعة أزوف وبعد هذا الصلح طلبت دولة السويد عقد معاهدة مع الدولة العثمانية بالاتفاق على حرب من يعاديهم فأجابتهم الدولة الى ذلك وعظم أمر السلطنة فى تلك السنة هذا تلخيص ما كان فى مدة السلطان محمود الأول وكان من اعظم سلاطين آل عثمان عقلا وهمة وتدبيرا ومحبة للجهاد ونصرة الدين واقامة الشريعة وتوفى رحمه الله سنة ألف ومائة وسبع وستين وعمره ستون سنة ومدة ملكه اربع وعشرون سنة (ولاية السلطان عثمان الثالث) وأقيم فى السلطنة بعده أخوه السلطان عثمان ابن السلطان مصطفى بن محمد بن ابراهيم ومكث قريبا من أربع سنين وتوفى سنة احدى وسبعين ومائة وألف (ولاية السلطان مصطفى الثالث) وأقيم بعده فى السلطنة السلطان مصطفى الثالث ابن أحمد الثالث ابن محمد الرابع ابن ابراهيم فلما استقر فى ملكه أخذ فى تنظيم ملكه وتقوية ماوهن منه وكان ذلك باسعاف وزيره الصدر الأعظم محمد راغب باشا المشهور بالعلم والتدبير وحسن السياسة وفى سنة

الفعر لصاحب مكة وأرسل للشريف سرور يخبره بأنه أمر باطلاقه وانه يرسل من يقبضه من الامير فرحان فأرسل عبدا يه الوزير بشير فأخذ منه وسجنه فى القنفذة حتى مضى عليه حول ثم أمر بنقله الى ينبع فسجن فى ينبع مضيقا عليه الى ان مات وقيل انه قتل فى السجن خنقا والله أعلم

(الوقعة العاشرة) وفى أواخر سنة تسع وثمانين أرسل مولانا الشريف سرور سرية من الركب والخيل وصبحوا بعض قبائل هذيل وفى سنة تسعين غزا بنفسه على الشيابين وصبحهم فأتوه صاغرين وفى أوائل سنة تسعين أيضا جاء الخبر لمولانا الشريف أن الشريف أحمد نزل على قبائل هذيل وجمع كثيرا منهم ونزل بهم وادى نعمان فأرسل الشريف سرور سرية أمر عليها السيد مبارك بن عجلان فلما أحس بهم الشريف أحمد ولى هاربا فاتبعوه ووقع القتال بينهم وبين هذيل ثم قتل من هذيل ثلاثة وصوب خمسة فرجعت السرية وبقى

الشريف أحمد عند هذيل مدة وهذه الوقعة العاشرة *(الوقعة الحادية عشرة)* ثم نزل الشريف أحمد بهم ثانيا الى نعمان فركب

ألف ومائة وست وسبعين توفى راغب باشا وبعد وفاته شبت نيران الحرب بين الدولة والروسية وفى هذه السنة خلعت كاترينا امرأة ملك الموسكوف بعلها عن كرسى السلطنة وجلست مكانه وسجنته ثم أمرت بقتله فقتل وأخذت تسعى فى اخراج اليونان عن طاعة الدولة العثمانية وحركت اليونان فى المورة والارنووط وأخذوا يستعدون لخلع الطاعة ونهض على بيك بمصر وتغلب عليها وعلى الشام وأراد الاستقلال وأرسلت الدولة من عساكرها أربعين ألفا لحماية البلاد على شاطئ نهر الطونة وأرسلت اليونان الى كترينا ملكة الموسكوف تستنجدها فبعثت لهم جيشا لم يغن شيأ فهزمتهم عساكر الدولة غير أن عساكر الموسكوف فى تلك الايام انتصرت على عساكر الدولة التى كانت على حدود الطونة واستولوا على بندر واكرمان واسماعيل وقلاع على شاطئ هذا النهر ولما بلغ الباب العالى هذه الوقايع صدر الامر بتكثير الجيوش وفى السنة الثانية تغلبت عساكر الدولة على عساكر الموسكوف فرجعت الى بلادها بعد أن فقد منها عساكر كثيرة فى الحرب وبالطاعون وحينئذ أخذت النمسا وروسيا فى التوسط فى الصلح وتوقيف الحرب ولكن لما رأت الدولة ان مطاليب الموسكوف غير مقبولة رفضت هذا الطلب وأشهرت الحرب

ذكر غزوة الى بلاد الموسكوف

وفى سنة ألف ومائة وست وثمانين سار الصدر الأعظم محسن باشا بالعساكر لمحاربة الموسكوف فضربهم على نهر الطونة وأخذ منهم ستمائة اسير وسار حسن باشا قبطان باشى بجانب من العساكر الشاهانية وضرب عسكر الموسكوف على نهر الطونة ايضا واخذ مدافعهم وذخائرهم وفى أثناء هذه الغلبات توفى السلطان مصطفى سنة الف ومائة وسبع وثمانين وعمره ثمان وخمسون سنة ومدة ملكه ست عشرة سنة

ولاية السلطان عبد الحميد الاول

وأقيم فى السلطنة بعده أخوه السلطان عبد الحميد الأول ابن احمد الثالث ابن محمد الرابع ابن ابراهيم وكان اخوه السلطان مصطفى قد ترك له نهاية الحرب الجسيم مع الروسية فأمر بانجاز الجيوش وتكثيرها

ذكر غزوة للسلطان عبد الحميد الأول

بعث مع الصدر الاعظم أربعمائة الف مقاتل والتحم القتال بينهم وبين الجيوش الروسية فحصلت لهم هزيمة وانحصروا فى شملة ووقعوا فى صعوبة كلية فاجتهد السلطان فى ارجاع قوة الدولة وكانت العساكر قد كلت من الحروب وحدث بين العساكر الانكشارية شغب فتركوا الصدر الاعظم فى ميدان الحرب بجانب قليل من العساكر فرجع الى شملة وأرسل يعلم الباب العالى بذلك فصدر الامر بعقد الصلح فتم على شروط تعرف بعهد كوجيك قينرجا وهى منطوية على استقلال التتر فى بلاد القرم واليوجك والكوبان وعلى سير السفن الروسية فى بحر الدولة وترك ازوف وكيل برون وبعض القلاع الى الموسكوف وقبول الدولة انقسا وبولونيا والموسكوف يترك للدولة الافلاق والبغدان والجزائر التى كانت فى يدها فى البحر الابيض وبعد امضاء هذه الشروط عاد الصدر الاعظم محسن باشا بمن معه من العساكر

الشريف سرور بنفسه الى العابدية وجمع معه كثيرا من الاشراف والقبائل وأقام بها أياما وتفرقت قبائل الشريف أحمد ورجع الى جبال هذيل وهذه الحادية عشرة من الوقائع وان لم يقع فيها قتال

(الوقعة الثانية عشرة)

وفى أول ربيع الثانى من سنة احدى وتسعين ومائة وألف خرج السيد لباس ابن عبد المعين الحمودى أخو السيد عبد الكريم ومعه جماعة من ذوى حمود وهذيل فأخذوا قافلة من طريق الطائف وفى شهر جمادى أخذوا أخرى من طريق كرى وكان الشريف سرور بالعابدية فجاءه الخبر فركب خلفهم فسار قليلا فلما رأوه طرحوا ما أخذوه وصعدوا رؤس الجبال فحمله وأرجعه لاصحابه ثم لم يزل الشريف سرور يترصد السيد لباس بن عبد المعين المذكور حتى أرسل له سرية وقبضوه فى الشرفية وحبسه فتوجه فى اطلاقه ذوو حمود فلم يقبل رجاهم وأرسله الى ينبع ليحبس فيها فضاق من ذلك أخوه الشريف عبد الكريم فخرج مغاضبا ومعه السيد بركات بن الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد وتوجه الى جبال هذيل فوجد الشريف أحمد بن سعيد قد اجتمع عنده

الى دار السلطنة وتوفى فى طريق مدينة ادرنة واقيم مكانه محمد عزت باشا وأخذ السلطان عبد الحميد فى اصلاح امور السلطنة وقمع العصاة الذين فى ممالكه ولم تقنع الروسية بما جرى من الصلح ولم تلتزم الشروط بل كانت تعدى من حين الى حين على حدود الدولة حتى انها أغارت على القرم واستولت عليها وكان السلطان عبد الحميد يتحمل تلك التعديات بمرارة عظيمة زمانا طويلا ويرى سلطنته مشرفة على وهدة السقوط وهو غير قادر على ان يأتيها بالعلاج الشافى ولما رأى ان كثيرا من ممالكه وقعت فى قبضة الاجانب شرع فى استعدادات جديدة للحرب

❊ ذكر غزوة أخرى ❊

وبعث جيوشا متعددة فنها جيش سار به حسين باشا القبطان فقتل كثيرا من العصاة وبعث برأس ظاهر العمر الذى تغلب فى جانب سورية وبرأس حاكم البغدان الذى كان يحاكيه فى الشقاوة

❊ غزوة أخرى ❊

ثم توجه حسين باشا المذكور لتأديب اليونان ساكنى المورة فسار اليهم وقتل منهم اصحاب الفتن والدسائس فأرعب قلوبهم وكسر عزائمهم وألزمهم الطاعة وطلب العفو لهم من الباب العالى وكانت كاترينا ملكة الروسية تجتهد دائما فى تخفيض قوة الدولة العثمانية وما اكتفت بتملك القرم فأرسلت اناسا فى كثير من الممالك يزرعون فيها الفتن فلما نظرت رجال الدولة تعدى الروسية على حقوق الدولة استشاطوا فى ذلك ونادوا بالحرب وكانت الانقليز تحرض الدولة على ذلك وتؤكد لها الاعانة وأن دولة اسوج وبلونيا ينهضان معها لاسعاف الاسلام وان بروسيا تقاوم النيمسا

❊ ذكر غزوة أخرى ❊

فصدر الامر الى الصدر الاعظم يوسف باشا فتوجه لحرب الروسية والنيمسا وكانت كاترينا ملكة الروسية حضرت الى بلاد القرم بجيش عظيم وحضر امبراطور النيمسا بجيش عظيم وكان قد تعاهد معها على محاربة الدولة وكانت فرانسا متفقة مع الروسية سرا فاقتتلت عساكر الدولة مع النيمسا فى محل يقال له فتح الاسلام والجزيرة الكبيرة فانتصرت العساكر الاسلامية واستولت على كثير من القلاع والحصون

❊ غزوة أخرى ❊

وتوجهت فرقة أخرى من عساكر الدولة لمحاربة الروسية تحت رياسة شاهين على باشا وعندما كانت العساكر العثمانية متغلبة على عساكر النيمسا حتى كاد امبراطور النيمسا يقع أسيرا تقدمت عساكر الروسية واستولت على البغدان وعلى كثير من القلاع والحصون ولم يحضر احد من باقى الدول الذين وعدوا بالمساعدة والنصر فلما شاهد الصدر الاعظم ذلك كتب الى الباب العالى يستأذن فى السعى فى عقد الصلح وفى أثناء ذلك توفى السلطان عبد الحميد سنة ألف ومائتين وثلاث وعمره ست وستون سنة ومدة سلطنته ست عشرة سنة

❊ ولاية السلطان سليم الثالث وغزوة من غزواته ❊

وجلس على تخت السلطنة بعده ابن اخيه السلطان سليم الثالث ابن مصطفى الثالث ابن أحمد الثالث ابن محمد الرابع ابن ابراهيم وبعد جلوس السلطان سليم وجه همته الى اصلاح حال

كثير من العربان فنزلوا جميعا الى وادى نعمان وخرج الشريف سرور الى المعابدة بما لديه من العساكر والرجال وأقام بها أياما حتى تفرق قوم الشريف أحمد وهذه الوقعة الثانية عشرة وان لم يقع فيها قتال وفى ثالث شعبان من هذه السنة أعنى سنة احدى وتسعين عدا جماعة من ذوى حمود فى طريق الطائف وهم الذين كانوا مع السيد لباس فركب خلفهم مولانا الشريف بنفسه فلحقهم وقتل ثلاثة منهم ورابعهم قطعت يده برصاصة وفى ثالث رمضان بلغ مولانا الشريف سرور ان جماعة من الاشراف الذين كانوا مع الشريف أحمد فارقوه من المعدن وأقبلوا على جبال هذيل يريدون الهجوم على مكة بمن يجتمع معهم وكان معهم السيد بركات بن محمد بن عبد الله بن سعيد والسيد عبد الكريم بن عبد المعين الحمودى والسيد عبد الله ابن مسعود بن سعيد والسيد مسعود العواجى وابنه فلما نزلوا بوادى نعمان أرسل لهم سرية من الخيل فلما أدركتهم هربوا الى الجبال الا السيد مسعود العواجى وابنه والسيد عبد الله بن مسعود فقبضوا عليهم فحبسهم مدة ثم أطلقهم فسافر العواجى الى مصر وأما السيد بركات والسيد عبد الكريم فتوجها الى

العساكر وتقوية العمارة البحرية وأمر بجمع الجيوش من جهات البلاد لتكثير الجيوش المجتمعة قبل ذلك فاجتمع فى وقت قريب نحو مائة وخمسين الف مقاتل وكان اجتماعهم فى مدينة صوفيا وكانت عساكر الروسية سارت مع عساكر النيمسا المحاربة العساكر الاسلامية التى كانت تحت رياسة الصدر الاعظم يوسف باشا وقبطان باشى حسين باشا فانتشب القتال بينهم وبين عساكر الدولة فى البغدان وبقى نحو شهرين فحصلت هزيمة لعساكر الدولة واستولوا على أكثر مدافعهم ومهماتهم وبسبب ذلك عزل الصدر الاعظم يوسف باشا وأحيلت رتبة الصدارة الى كتخدا حسن باشا ثم عزل وصار بدله جزايرلى حسن باشا سنة ١٢٠٤ فتوفى وصار بدله شريف حسن باشا وأما عساكر الروسية فتقدموا أيضا فى البلاد واستولوا على قلعة بلغراد وقلعة بندر وايالتى الافلاق والبغدان وكل المدن التى على شاطئ الطونة وكادوا يستولون على قلعة اسماعيل التى هى أعظم حصن فى بلاد الدولة التى فى تلك الجهات وبينما هم كذلك اذ حضر الخبر بموت امبراطور المانيا وكان متفقا هذا مع مملكة الروسية على محاربة الدولة وجلس فى مكانه أخوه فانفصل عن معاهدة الروسية وعقد معاهدة مع الدولة العلية بواسطة انكلترا وبروسيا وشرطوا عليه ان يرد للدولة ممالك الدولة التى افتتحها النيمسا فرد لها كل الاراضى التى افتتحها مع النيمسا وأبقى فى يده روكزيم الى حين تمام الصلح بين الدولة والروسية وسعى فى عقد الصلح بين الروسية والدولة فلم تقبل ملكة الروسيا كاترينا وكانت مواظبة على الحرب فتقدمت عساكرها الى قلعة اسماعيل وأقامت الحصار عليها وكان فى القلعة نحو ثلاثين ألفا فقطعوا عنهم الزاد والمهمات وصرخوا على عساكرهم الموت والا فلعة اسماعيل وهجمت عساكرهم على تلك القلعة وافتتحوها واشتد القتال من الجيشين حتى ملأ القتلى خنادق تلك القلعة ولما هجم الليل صعدت العساكر على جثث القتلى ودخلوا القلعة وحاربوا فيها حربا شديدا فكانت النساء والاولاد يجمعون سلاح القتلى ويهجمون على عساكر المسلمين ومازالوا كذلك حتى قتل رئيس العساكر مع كل الذين كانوا داخل القلعة ولم ينج منهم الا رجل واحد طرح نفسه فى النهر وذهب الى القسطنطينية وأعلمهم بأن الغلبة وقعت على عساكر الدولة لانهم مكثوا ثلاثة أيام وثلاث ليال والسيف دائر فيهم حتى أن الدم جرى كالسواقى وقتل من النساء والاطفال فى تلك المعركة خمسة عشر ألفا ولما وصل هذا الخبر الى القسطنطينية هاجت العساكر هيجانا عظيما وطلبوا من الدولة رأس حسن باشا صدرا أعظم قائد العساكر مع أنه كان من أعظم رجال زمانه فى الحروب البرية والبحرية ولكن النصر من عند الله ولا راد لقضاء الله وقدره ولأجل تسكين هذا الهيجان قتل حسن باشا وجئ لهم برأسه وأحيلت الصدارة الى يوسف باشا الذى عزل سابقا وبعد ذلك تقدمت عساكر الروسية وقاتلت العساكر الاسلامية فى الجهة الثانية من نهر الطونة وذلك فى سنة خمس ومائتين وألف فتوسطت دولة الانقليز والبروسيا فى الصلح فتم سنة ست ومائتين وألف على شروط وهى أن الروسية ترجع للدولة كل الاماكن التى فتحتها خلا اوكزاكوف والاراضى الواقعة بين بوغ وسليسترة حيث أقامت الملكة كاترينا مدينة

مبارك بن مزيبن من آل بركات وكان يقطع الطريق ويفرق ما يأخذه على من يكون معه من البوادى وتعب الشريف سرور فى أمره وكان يعطى النذور على القبض عليه وكان لا يستقر فى مكان فوضع الشريف سرور عليه الجواسيس ولم يزالوا يترصدونه حتى جاء الخبر فى رمضان بأنه مقيم فى أطراف الحرة فركب الشريف بنفسه فى معقوده من خيله وركابه حتى أصبح عليه وأدركه فقتله لحشمت له المقطة وكان نزيلهم فعدوا على الشريف سرور وقاتلوه وقتلوا أربعة من عبيده وأخذوا فرسين من جياد خيله ثم كر عليهم فاسترجع الفرسين وأخذ جميع مواشيهم ورجع الى مكة لثلاث بقين من رمضان وفى آخر شوال غزا الشريف على الحيلة من هذيل ويقال لهم القرح وأخذ ما وجده عندهم من المواشى والمال وتحصنوا هم برؤس الجبال وفى عشرين من ذى الحجة اجتمع صنجق الحج المصرى وبدوى بن عبد شيخ طوائف حرب

فى مجلس الشريف فأراد التوفيق بينهما فى المعلوم المقرر فأبى بدوى بن عبد وتهدد الصنجق وتوعده

اودنا سنة الف ومائتين وسبع تذكارا لنصرها وهى مدينة شهيرة اكثر سكانها نصارى على البحر الاسود سكانها نحو اربعين الفا ثم سعى السلطان سليم فى ترقية اسباب تقدم بلاده وعمرانها وأرسل يطلب من فرانسا مهندسين ومعلمى صنائع وضباطا الى غير ذلك فبعثت له بجانب عظيم ثم ان العلاقات الودادية تكدرت معها لما استولت على مصر سنة ثلاث عشرة ومائتين والف وأقاموا فيها الى سنة ست عشرة فالتزمت الدولة العلية ان تشهر حربها الى ان اخرجتها من مصر بمعاضدة انكلترا وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله

۞ ذكر غزوة فى مدة السلطان سليم الثالث ۞

وفى سنة الف ومائتين واربع عشرة وجه عمارة مع عمارة الروسية وفتحتا السبع الجزائر التى كانت لجمهورية البندقية وكانت فرانسا يومئذ متولية عليها وهذه هى المرة الاولى التى اتحد فيها هاتان الدولتان وفى سنة خمس عشرة صار الاتفاق ايضا بين الدولتين المشار اليهما فى صيرورة الجزائر المذكورة حكومة مستقلة خاضعة للسلطنة العثمانية تحت اسم جمهورية السبع الجزائر وفى سنة سبع عشرة ومائتين والف عقدت معاهدة صلح بين الدولة العلية وفرانسا

۞ ذكر غزوة الى بلاد الروسية ۞

وفى سنة احدى وعشرين اتفقت الدولة مع فرانسه على حرب الروسية فكان ذلك داعيا لتكدير خاطر انكلترا لانها كانت تسعى فى ملاشات شوكة نابليون امبراطور فرانسا ولكن لم تستطع انكلترا ان تمنع السلطان سليما من محاربة الروسية لأن جيوش الروسية كانت تجاوزت الحدود ودخلوا الافلاق والبغدان وذلك مخالف للعهود فاضطر السلطان سليم ان يحافظ على بلاده ويدافع عن حقوقه فجهز الجيوش وأرسلها تحت قيادة الصدر الاعظم مصطفى باشا چلبى ومصطفى باشا البيرقدار الى الاقليمين المذكورين فحاربوا الروسية ومنعوا تقويهم على الاراضى العثمانية ولما أيست انكلترا من ايقاع المنافرة بين الدولة العلية وفرانسا سارت مراكبها الى الاسكندرية وتملكوها فأخرجهم منها محمد على باشا حاكم مصر وكان من الاسباب فى حضور الانقليز لاخذ الاسكندرية ان الصناجق المماليك الذين كانوا متغلبين على مصر كان بينهم وبين محمد على باشا محاربات وشتتهم فى الارياف فأرسل كبيرهم محمد بيك الالفى للانقليز يستنجدهم فحضرت مراكبهم فى ثغر الاسكندرية فى أول محرم سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف وعدتها اثنان واربعون مركبا مشحونة بالعساكر وضربوا على الاسكندرية بالقنابر والمدافع الهائلة من البحر فهدموا جانبا من البرج الكبير وكذلك الابراج الصغار والسور فعند ذلك طلب أهل الاسكندرية الامان فرفعوا عنهم الضرب ودخلوا البلد ثم سيروا جيشا منهم الى رشيد فدخلوها ثم ثار عليهم أهل رشيد وقتلوا منهم خلقا كثيرا فرجع الباقون الى الاسكندرية منهزمين واستعد محمد على باشا لمحاربتهم واخراجهم من الاسكندرية وشرع فى تعمير القلاع واستنفر كافة الناس لقتالهم واستمر الحال الى أواخر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وتوجه محمد على باشا بعساكره الى جهة البحيرة والاسكندرية وحصل بينه وبين الانقليز الذين فى الاسكندرية مكاتبات

عما صدر منه فى حق الصنجق فى مجلس الشريف فأظهر الشريف انه قبل الرجاء ثم أمر بالقبض عليه وسجنه حتى مات بالجدرى فى السجن فتعصبت قبائل حرب عند موت شيخهم وخرجت عن طاعة الشريف فشيخ عليهم أخاه فرضوا به ظاهرا وسكتوا وفى آخر جمادى الآخرة من سنة اثنتين وتسعين جاء الخبر ان الشريف أحمد بن سعيد انتقل من المعدن الى جبال هذيل واجتمع معه خلق كثير

(الوقعة الثالثة عشرة)

فخرج الشريف سرور بعسكره ورجاله الى الزاهر ثم دخل الى مكة ليفرق على العبيد البارود فلما فرقه اخذ واحد منهم جمرة ليختبر البارود فأحرقه وثار شئ كثير أحرق نحو الاربعين فاغتم الشريف لذلك ثم ان هذيلا تفرقت عن الشريف أحمد فمكث بأطراف نعمان ثم انتقل الى الثنية ثم توجه الى جهة الشام فتبعه الشريف فجاء ان يدركه ففات عليه وتوجه الى المدينة فأكرمه أهلها كما

 هى عادتهم فى اكرام من وعدهم تصيفا لقربه تعالى بحيوم من عاجرابهم

ثم انعقد بينه وبينهم صلح على شروط فخرجوا من الاسكندرية وأخلوها في أوائل رجب من السنة المذكورة أعني سنة اثنتين وعشرين وتفصيل القصة طويل وهذا حاصلها بالاختصار وكان محمد بيك الالفي الذي استنجد بهم قدمات قبل مجيئهم الاسكندرية وفي هذه السنة ايضا كانت فتن كثيرة بدار السلطنة وخلعوا السلطان سليما وقصة ذلك طويلة سنذكر ملخصها فيما يأتي لكن ينبغي ان نقدم قبل ذلك ذكر اشياء كانت في مدة السلطان سليم المذكور منها فتنة الوهابية بالحجاز وفتنة الفرنسيس عند دخوله مصر ولنبدأ بذكر فتنة الوهابية لان مبدأها متقدم على فتنة الفرنسيس وان كان منتهاها متأخرا

ذكر فتنة الوهابية وتملك الفرنسيس مصر

اعلم أن السلطان سليما الثالث حدث في مدة سلطنته فتن كثيرة منها ما تقدم ذكره ومنها فتنة الوهابية التي كانت في الحجاز حتى استولوا على الحرمين ومنعوا وصول الحج الشامي والمصري ومنها فتنة الفرنسيس لما استولوا على مصر من سنة ثلاث عشرة الى سنة ست عشرة ولنذكر ما يتعلق بهاتين الفتنتين على سبيل الاختصار لان كلا منهما مذكور تفصيلا في التواريخ وأفرد كل منهما بتأليف رسائل مخصوصة اما فتنة الوهابية فكان ابتداء القتال فيها بينهم وبين امير مكة مولانا الشريف غالب بن مساعد وهو النائب من جهة السلطنة العلية على الاقطار الحجازية وابتداء القتال بينهم وبينه من سنة خمس بعد المائتين والالف وكان ذلك في مدة سلطنة مولانا السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى الثالث ابن أحمد واما ابتداء اول ظهور الوهابية فكان قبل ذلك بسنين كثيرة وكانت قوتهم وشوكتهم في بلادهم أولا ثم كثر شرهم وتزايد ضررهم واتسع ملكهم وقتلوا من الخلائق ما لا يحصون واستباحوا أموالهم وسبوا نساءهم وكان مؤسس مذهبهم الخبيث محمد بن عبد الوهاب وأصله من المشرق من بني تميم وكان من المعمرين فكاد يعد من المنظرين لانه عاش قريب مائة سنة حتى انتشر عنه ضلالهم كانت ولادته سنة ألف ومائة واحدى عشرة وهلك سنة ألف ومائتين وست وأرخه بعضهم بقوله بدا هلاك الخبيث ١٢٠٦ وكان في ابتداء أمره من طلبة العلم بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وكان أبوه رجلا صالحا من أهل العلم وكذا أخوه الشيخ سليمان وكان أبوه وأخوه ومشائخه يتفرسون فيه انه سيكون منه زيغ وضلال لما يشاهدونه من أقواله وأفعاله ونزغاته في كثير من المسائل وكانوا يوبخونه ويحذرون الناس منه فحقق الله فراستهم فيه لما ابتدع ما ابتدعه من الزيغ والضلال الذي اغوى به الجاهلين وخالف فيه أئمة الدين وتوصل بذلك الى تكفير المؤمنين فزعم ان زيارة النبي صلى الله عليه وسلم والتوسل به وبالانبياء والاولياء والصالحين وزيارة قبورهم شرك وان نداء النبي صلى الله عليه وسلم عند التوسل به شرك وكذا نداء غيره من الانبياء والاولياء والصالحين عند التوسل بهم شرك وأن من أسند شيأ لغير الله ولو على سبيل المجاز العقلي يكون مشركا نحو نفعني هذا الدواء وهذا الولي الفلاني عند التوسل به في شيء وتمسك بأدلة لا تنتج له شيأ من مرامه وأتى بعبارات مزورة وزخرفها ولبس بها على العوام حتى تبعوه وألف لهم في ذلك رسائل

وهذه الوقعة الثالثة عشرة وان لم يقع فيها قتال وفي هذه السنة في شعبان غزا مولانا الشريف على المقطة الذين حاربوه مع ابن مزيبن فأخذ مواشيهم ووقع بينهم قتال وبقيت رجاله وقتل له عبد وفرس وصوب خيال ثم رجع عنهم وأرسل اليهم سرية في شوال وحصل بينهم قتال ثم طلبوا الامان ودخلوا في الطاعة وفي نصف شوال نزل بالخبت جماعة من هذيل بقصد قطع الطريق فأرسل اليهم سرية فقتلوا منهم رجلين وأخذوا ابلهم فتفرقوا وفي ثامن ذي القعدة ركب عليهم بنفسه فوقع غلطا على آل خالد وقتل منهم أربعة وصوب ثلاثة وأخذ أغنامهم وقتلوا اهم أغاة من أغاوات العسكر ومعه عبد فغضب لذلك جميع هذيل فبانوه جهارا وصمموا على قطع الطرق فنهبوا قفلا فيه قاضي الطائف في خريق الرأس وأخذوا قفلا آخر في وادي نعمان وقتلوا أربعة وصوبوا ثمانية

(الوقعة الرابعة عشرة) ولما جاء وقت اقبال الحجوج جاء الخبر بأن الشريف أحمد أراد مواجهة الباشا أمير الحج الشامي فأبى فخرج من المدينة في اثره وانه يريد خليص فجهز الشريف سرور سرية وأمر عليها السيد ناصر بن مستور

(حتى)

حتى اعتقدوا كفر أكثر أهل التوحيد واتصل بأمراء المشرق أهل الدرعية ومكث عندهم حتى نصروه وقاموا بدعوته وجعلوا ذلك وسيلة الى تقوية ملكهم واتساعه وتسلطوا على الاعراب وأهل البوادي حتى تبعوهم وصاروا اجنادا لهم بلا عوض وصاروا يعتقدون أن من لم يعتقد ماقاله ابن عبد الوهاب فهو كافر مشرك مهدر الدم والمال وكان ابتداء ظهور أمره سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين وابتداء انتشاره من بعد الخمسين ومائة وألف وألف العلماء رسائل كثيرة للرد عليه حتى أخوه الشيخ سليمان وبقية مشائخه وكان ممن قام بنصرته وانتشار دعوته من أمراء المشرق محمد بن سعود أمير الدرعية وكان من بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب ولما مات محمد بن سعود قام بها ولده عبد العزيز بن محمد بن سعود ثم ولده سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود وكان كثير من مشايخ ابن عبد الوهاب بالمدينة يقولون سيضل هذا أو يضل الله به من أبعده وأشقاه فكان الامر كذلك وزعم محمد بن عبد الوهاب ان مراده بهذا المذهب الذي ابتدعه اخلاص التوحيد والتبري من الشرك وان الناس كانوا على شرك من منذ ستمائة سنة وانه جدد للناس دينهم وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على أهل التوحيد كقوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وكقوله تعالى ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك وكقوله تعالى والذين يدعون من لا يستجيب لهم الى يوم القيامة وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة فقال محمد بن عبد الوهاب من استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الانبياء والاولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فانه مثل هؤلاء المشركين ويدخل في عموم هذه الآيات وجعل زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والاولياء والصالحين مثل ذلك وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الاصنام مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال فان المشركين مااعتقدوا في الاصنام أنها تخلق شيأ بل يعتقدون ان الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فاحكم الله عليهم بالكفر والاشراك الا لقولهم ليقربونا الله زلفى فهؤلاء مثلهم ومما ردوا به عليه في الرسائل المؤلفة للرد عليه ان هذا استدلال باطل فان المؤمنين ما تخذوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الاولياء آلهة وجعلوهم شركاء لله بل انهم يعتقدون انهم عبيد لله مخلوقون ولا يعتقدون انهم مستحقون العبادة وأما المشركون الذين نزلت فيهم هذه الآيات فكانوا يعتقدون استحقاق أصنامهم الالوهية ويعظمونها تعظيم الربوبية وان كانوا يعتقدون انها لاتخلق شيأ وأما المؤمنون فلا يعتقدون في الانبياء والاولياء استحقاق العبادة والالوهية ولا يعظمونهم تعظيم الربوبية بل يعتقدون انهم عباد الله وأحباؤه الذين اصطفاهم واجتباهم وببركتهم يرحم عباده فيقصدون بالتبرك بهم رحمة الله تعالى ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة فاعتقاد المسلمين ان الخالق الضار النافع المستحق للعبادة هو الله وحده ولا يعتقدون التأثير لاحد سواه وان الانبياء والاولياء لايخلقون شيأ ولا يملكون ضرا ولا نفعا وانما يرحم

وأكد عليه ان يتربص الشريف أحمد ويقبض عليه فأدركته السرية على حين غفلة فحامت عليه الخيل فلما أحس بهم ركب فرسه وفر وقتل من السرية فرس وعبد فرجعت السرية وغضب الشريف على السيد ناصر بن مستور واتهمه انه قصر في القبض على الشريف أحمد وهذه الوقعة الرابعة عشر وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة أغارت هذيل على شريف من ذوي صامل ونهبوا امتاعه وضربوه ضربا أصاب منه المقاتل فمات بعد ذلك وفي السادس والعشرين أغاروا أيضا على جماعة من أهل الطائف وفيهم شريف من ذوي جازان فنهبوهم وضربوا الشريف ثم قتلوه وقتلوا معه رجلا من وقدان فانقطع بعدها الطريق وقويت شوكة هذيل

(الوقعة الخامسة عشرة)

الوقعة الخامسة عشرة من الوقائع التي جرت بين الشريف سرور والشريف أحمد بن سعيد وهي آخرها أنه في سنة ثلاث وتسعين في شهر جمادى الاولى بلغ الشريف سرورا أن الشريف أحمد مقيم برهاط وهو موضع بينه وبين مكة ثلاثة أيام فركب الشريف سرور بنفسه في قوة عظيمة فلم يفطن الشريف أحمد الا وقد أحاطت به الرجال من كل جانب فلم يتمكن من الفرار وقد جرت عليه الاقدار

الله العباد ببركتهم فاعتقاد المشركين استحقاق أصنامهم العبادة والالوهية هو الذي أوقعهم في الشرك لا مجرد قولهم مانعبدهم الاليقربونا الى الله لانهم لما اقيمت عليهم الحجة بأنها لا تستحق العبادة وهم يعتقدون استحقاقها العبادة قالوا معتذرين مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى فكيف يجوز لابن عبدالوهاب ومن تبعه ان يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل اولئك المشركين الذين يعتقدون الوهية الاصنام فجميع الآيات المتقدمة وماكان مثلها خاص بالكفار المشركين ولا يدخل فيه أحد من المؤمنين روى البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين وفي رواية عن ابن عمر ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال أخوف ماأخاف على امتي رجل يتأول القرآن يضعه في غير موضعه فهو وماقبله صادق على هذه الطائفة ولو كان شيء مما صنعه المؤمنون من التوسل وغيره شركا ما كان يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وسلف الأمة وخلفها ففي الاحاديث الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم كان من دعائه اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وهذا توسل لاشك فيه وكان يعلم هذا الدعاء أصحابه ويأمرهم بالاتيان به وبسط ذلك طويل مذكور في كتب السنة وفي الرسائل التي في الرد على ابن عبدالوهاب وصح عنه انه صلى الله عليه وسلم لما ماتت فاطمة بنت اسد ام علي رضي الله عنهما ألحدها صلى الله عليه وسلم في القبر بيده الشريفة وقال اللهم اغفر لامي فاطمة بنت اسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي انك ارحم الراحمين وصح انه صلى الله عليه وسلم سأله اعمى ان يرد الله عليه بصره بدعائه فأمره بالطهارة وصلاة ركعتين ثم يقول اللهم اني أسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يامحمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في ففعل فرد الله عليه بصره وصح ان آدم عليه السلام توسل بنبينا صلى الله عليه وسلم حين أكل من الشجرة لانه لما رأى اسمه صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وعلى غرف الجنة وعلى جباه الملائكة سأل عنه فقال الله له هذا ولد من اولادك ولولاه ماخلقتك فقال اللهم بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودي يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد في اهل السماء والارض لشفعناك وتوسل عمر بن الخطاب بالعباس رضي الله عنه لما استسقى للناس وغير ذلك مما هو مشهور فلا حاجة الى الاطالة بذكره والتوسل الذي في حديث الاعمى قد استعمله الصحابة والسلف بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وفيه لفظ يامحمد وذلك نداء عند التوسل ومن تتبع كلام الصحابة والتابعين يجد شيأ كثيرا من ذلك كقول بلال بن الحارث الصحابي رضي الله عنه عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله استسق لامتك وكالنداء الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور وممن ألف في الرد على ابن عبدالوهاب أكبر مشايخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردي مؤلف حواشي شرح ابن حجر على متن بافضل فقال من جملة كلامه يابن عبدالوهاب اني أنصحك لله تعالى ان تكف لسانك عن المسلمين فان سمعت من شخص انه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله فعرفه الصواب وأبن له الادلة على انه لا تأثير لغير الله فان أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك الى تكفير السواد الاعظم من المسلمين

وأسرع السير ونزل به الى بندر جدة ثم أركبه في سفينة في البحر وأمر بحبسه في ينبع وحبس معه ولديه السيد راجح والسيد الحسن وقاسوا في الحبس أنواع البلاء والمحن فانظر أيها المتأمل لهذه الدنيا وغدرها وما تفعل بالملوك مع حقارة قدرها كيف أسقته كأس الهوان وقد كان بالامس في ملك مصان وأعجب لفعلها بملك مطاع كانت تدلك الممالك منه بدون نزاع ملك ملك اقليم الحجاز وصار تحت قبضته بالحقيقة لا المجاز طال ما أمر ونهى وامتطى بالخصه هام السها فصيرته في السلاسل والاغلال وأذلته غاية الاذلال ان في ذلك عبرة لمن اعتبر وتبصرة لمن استبصر وهي الدنيا الدنية وأمورها كالاحلام القصية القاصد في الحريري فيما قال في قصيدته التي هذا أولها

يا طالب الدنيا الدنية انها شرك الردى وقرارة الاكدار
دار اذا ما أضحكت في يومها أبكت غدا تبا لها من دار

وهي طويلة ذكرها في المقامات فسبحان المعز المذل الذي لا يزول ولا يحول يفعل مايشاء ولا يسئل عما يفعل

وأنت شاذ عن السواد الاعظم فنسبة الكفر الى من شذ عن السواد الاعظم أقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية اهـ واما زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقد فعلها الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من السلف والخلف وجاء في فضلها احاديث افردت بالتآليف وما جاء في النداء لغير الله تعالى من غائب وميت وجماد قوله صلى الله عليه وسلم اذا انفلتت دابة احدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فان لله عبادا يجيبونه وفي حديث آخر اذا أضل أحدكم شيأ أو أراد عونا وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني وفي رواية أغيثوني فان لله عبادا لا ترونهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سافر فأقبل الليل قال يا أرض ربي وربك الله وكان صلى الله عليه وسلم اذا زار القبور قال السلام عليكم يا أهل القبور وفي التشهد الذي يأتي به كل مسلم في كل صلاة صورة النداء في قوله السلام عليك أيها النبي والحاصل ان النداء والتوسل ليس في شيء منهما ضرر الا اذا اعتقد التأثير لمن ناداه أو توسل به ومتى كان معتقدا أن التأثير لله لا لغير الله فلا ضرر في ذلك وكذلك اسناد فعل من الافعال لغير الله لا يضر الا اذا اعتقد التأثير ومتى لم يعتقد التأثير فانه يحمل على المجاز العقلي كقوله نفعني هذا الدواء أو فلان الولي فهو مثل قوله أشبعني هذا الطعام وأرواني هذا الماء وشفاني هذا الدواء فمتى صدر ذلك من مسلم فانه يحمل على الاسناد المجازي والاسلام قرينة كافية في ذلك فلا سبيل الى تكفير أحد بشيء من ذلك ويكفي هذا الذي ذكرناه اجمالا في الرد على ابن عبد الوهاب ومن أراد بسط الكلام فليرجع الى الرسائل المؤلفة في ذلك وقد لخصت ما فيها في رسالة مختصرة فلينظرها من أرادها ولما قام ابن عبد الوهاب ومن أعانه بدعوتهم الخبيثة التي كفروا بسببها المسلمين ملكوا قبائل الشرق قبيلة بعد قبيلة ثم اتسع ملكهم فملكوا اليمن والحرمين وقبائل الحجاز وبلغ ملكهم قريبا من الشام فان ملكهم وصل الى المزيريب وكانوا في ابتداء أمرهم أرسلوا جماعة من علمائهم الى الحرمين ظنا منهم أنهم يفسدون عقائد علماء الحرمين ويدخلون عليهم الشبهة بالكذب والمين فلما وصلوا الى الحرمين وذكروا لعلماء الحرمين عقائدهم وما تمسكوا به رد عليهم علماء الحرمين وأقاموا عليهم الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها وتحقق لعلماء الحرمين جهلهم وضلالهم ووجدوهم ضحكة ومسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة ونظروا الى عقائدهم فوجدوها مشتملة على كثير من المكفرات فبعد ان أقاموا البرهان عليهم كتبوا عليهم حجة عند قاضي الشرع بمكة تتضمن الحكم بكفرهم بتلك العقائد ليشتهر بين الناس أمرهم فيعلم بذلك الأول والآخر وكان ذلك في مدة أمارة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد المتوفى سنة خمس وستين ومائة وألف وأمر بحبس اولئك الملحدة فحبسوا وفر بعضهم الى الدرعية فأخبرهم بما شاهدوا فازدادوا عتوا واستكبارا وصار أمراء مكة بعد ذلك يمنعون وصولهم للحج فصاروا يغيرون على بعض القبائل الداخلين تحت طاعة أمير مكة ثم انتشب القتال بينهم وبين أمير مكة مولانا الشريف غالب بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد وكان ابتداء القتال بينهم وبينه من سنة خمس بعد

محبوسا في ينبع مدة ثم نقله الى حبس جدة ومازال محبوسا الى ان توفي في عشرين من شهر ربيع الثاني سنة خمس وتسعين ومائة وألف رحمه الله تعالى وكان أحد ولديه مات في السجن وأطلق الآخر وبعد أن قبض الشريف سرور على الشريف أحمد بن سعيد تتبع كثيرا من العتاة وقطاع الطريق وعاقبهم بأشد العقوبات وصار يتجسس بالليل والنهار على السراق والمفسدين وكان يعس في الليل بنفسه ومعه بعض العبيد من بعد صلاة العشاء الى الصبح يفعل هذا كل ليلة فحصل منه ارهاب لكل جبار عنيد وأنف من أفعاله الذين كانوا يعتدون واشمأزت نفوسهم من منعهم عما يألفون *(ذكر الجماعة الذين أرادوا قتل الشريف سرور)* فاتفق جماعة على أنهم يترقبون الفرصة لقتله واعتقدوا أنهم يتمكنون من ذلك في الليل حين يخرج يعس وليس معه الا القليل من الخدم بأن يجلسوا له في بعض الازقة والطرق وكان مع هؤلاء الذين اتفقوا على قتله السيد عبد المجيد بن سعيد بن علي فنم عليهم وجاء للشريف سرور وأخبره وقال له انه اتفق على قتلك سبعة من ذوي زيد ومعهم ما ينوف على الخمسين من ناس ملفقين وزعموا انهم يقتلونك في ليلة حالكة

المائتين والالف ووقع بينهم وبينه وقائع كثيرة قتل فيها خلائق كثيرون ولم يزل أمرهم يقوى وبدعتهم تنتشر الى ان دخل تحت طاعتهم أكثر القبائل والعربان الذين كانوا تحت طاعة أمير مكة وفي سنة سبع عشرة بعد المائتين والالف ساروا بجيوش كثيرة حتى نازلوا الطائف وحاصروا أهله في شهر ذى القعدة من السنة المذكورة ثم تملكوه وقتلوا أهله رجالا ونساء وأطفالا ولا نجا منهم الا القليل ونهبوا جميع أموالهم ثم أرادوا المسير الى مكة فعلموا أن مكة فى ذلك الوقت فيها كثير من الحجاج ويقدم اليها الحاج الشامى والمصرى فيخرج الجميع لقتالهم فمكثوا فى الطائف الى أن انقضى شهر الحج وتوجه الحجاج الى بلادهم ساروا بجيوشهم يريدون مكة ولم يكن للشريف غالب قدرة على قتال جيوشهم فنزل الى جدة فخاف أهل مكة أن يفعل الوهابية معهم مثل ما فعلوا مع أهل الطائف فأرسلوا اليهم وطلبوا منهم الأمان لأهل مكة فأعطوهم الأمان ودخلوا مكة ثامن محرم من السنة الثامنة عشر بعد المائتين والألف ومكثوا أربعة عشر يوما يستتيبون الناس ويجددون لهم الاسلام على زعمهم ويمنعونهم من فعل ما يعتقدون انه شرك كالتوسل وزيارة القبور ثم ساروا بجيوشهم الى جدة لقتال الشريف غالب فلما أحاطوا بجدة رمى عليهم بالمدافع والقلل فقتل كثيرا منهم ولم يقدروا على تملك جدة فارتحلوا بعد ثمانية أيام ورجعوا الى بلادهم وجعلوا لهم عسكرا بمكة وأقاموا لهم أميرا فيها وهو الشريف عبدالمعين أخو الشريف غالب وانما قبل أمرهم ليرفق بأهل مكة ويدفع ضرر أولئك الأشرار عنهم وفى شهر ربيع الأول من السنة المذكورة سار الشريف غالب من جدة ومعه والى جدة من طرف السلطنة العلية وهو شريف باشا ومعهما العساكر فوصلوا الى مكة وأخرجوا من كان بها من عسكر الوهابية ورجعت أمارة مكة للشريف غالب ثم بعد ذلك تركوا مكة واشتغلوا بقتال كثير من القبائل وصار الطائف بأيدهم وجعلوا عليه أميرا عثمان المضايفي فصار هو وبعض جنودهم يقاتلون القبائل التى فى أطراف مكة والمدينة ويدخلونهم فى طاعتهم حتى استولوا عليهم وعلى جميع الممالك التى كانت تحت طاعة أمير مكة فتوجه قصدهم بعد ذلك للاستيلاء على مكة فساروا بجيوشهم سنة عشرين وحاصروا مكة وأحاطوا بها من جميع الجهات وشددوا الحصار عليها وقطعوا الطرق ومنعوا الميرة عن مكة فاشتد الحصار على أهل مكة حتى أكلوا الكلاب لشدة الغلاء وعدم وجود القوت فاضطر الشريف غالب الى الصلح معهم وتأمين أهل مكة فوسط اناسا بينه وبينهم فعقدوا الصلح على شروط فيها رفق بأهل مكة فمن تلك الشروط ان أمارة مكة تكون له فتم الصلح ودخلوا مكة فى أواخر ذى القعدة سنة عشرين وتملكوا المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وانتهبوا الحجرة وأخذوا ما فيها من الأموال وفعلوا أفعالا شنيعة وجعلوا على المدينة أميرا منهم مبارك بن مضيان واستمر حكمهم فى الحرمين سبع سنين ومنعوا دخول الحج الشامى والمصرى مع المحامل مكة وصاروا يصنعون للكعبة المعظمة ثوبا من العباء القيلان الاسود وأكرهوا الناس على الدخول فى دينهم ومنعوهم من شرب التنباك ومن فعل ذلك واطلعوا عليه عزروه بأقبح التعزير وهدموا القبب التى على قبور الاولياء وكانت الدولة العثمانية فى تلك السنين فى ارتباك كثير وشدة قتال مع النصارى وفى اختلاف

الكبير والصغير وان السيد مسعود العواجى هو الذى يتقدم بهم بالقتل وياجيك قبل فلم يصدقه فى الحديث الذى رواه فأعاقه عن الخروج فى ذلك اليوم ولم يزل عنده حتى أزهرت النجوم فأرسل من يكشف له الخبر فعاد الرسول وأخبر بأنه وجد المذكورين فى الازقة والاسواق حاملين السلاح فثبت عنده صحة الخبر وبادر فى امساكهم من غير امهال فأمسكوا بعضا منهم وهرب البعض فممن امسكوا السيد مسعود العواجى وابنه لسيد مساعد والسيد محمد عمار ابن الشريف عبدالله بن سعيد وسالم بن على ومحمد بن جابر المخرج ونحو العشرين من العبيد فحبسهم نحو شهر ثم أخرجهم وقررهم فاعترفوا بما اتفقوا عليه فأمر بقطع أربعة من العبيد وقطع يد السيد مسعود وأمر على سالم بن على أن يصلب على عود وأرسل الباقين الى جدة ثم سفرهم الى الهند مع المراكب الهندية وأما البعض الذى هرب ففيهم السيد دباب وأولاد عبدالله ابن مسعود فأقاموا ببدر ثم سافروا مع الحج فمنهم من مات بمصر ومنهم من مات بالروم

 وفى شوال سنة ثلاث

فى خلع السلاطين وقتلهم كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى ثم صدر الامر السلطانى لصاحب مصر محمد على باشا بالتجهيز لقتال الوهابية وكان ذلك فى سنة ست وعشرين ومائتين والف فجهز محمد على باشا جيشا فيه عساكر كثيرة جعل عليهم بفرمان سلطانى ولده طوسون باشا فخرجوا من مصر فى رمضان من السنة المذكورة ولم يزالوا سائرين برا وبحرا حتى وصلوا الى ينبع فملكوه من الوهابية ثم لما وصلت العساكر الى الصفرا والجديدة وقع بينهم وبين العرب الذين فى الحربية قتال شديد بين الصفرا والجديدة وكانت تلك القبائل كلها فى طاعة الوهابى وانضم اليها قبائل كثيرة فهزموا ذلك الجيش وقتلوا كثيرا منهم وانتهبوا جميع ما كان معهم وكان ذلك فى شهر ذى الحجة سنة ست وعشرين ولم يرجع من ذلك الجيش الى مصر الا القليل فجهز جيشا غيره سنة سبع وعشرين وعزم محمد على باشا على التوجه الى الحجاز بنفسه وتوجهت العساكر قبله فى شعبان فى غاية القوة والاستعداد وكان معهم من المدافع ثمانية عشر مدفعا وثلاثة قنابر فاستولت العساكر على ما كان بيد الوهابية وملكوا الصفرا والجديدة وغيرهما فى رمضان بلا قتال بل بالمخادعة ومصانعة العرب باعطاء الدراهم الكثيرة حتى انهم اعطوا شيخ مشائخ حرب مائة الف ريال واعطوا شيخا من صغار مشائخ حرب ايضا ثمانية عشر الف ريال ورتبوا لهم علائف تصرف لهم كل شهر وكان ذلك كله بتدبير شريف مكة الشريف غالب وهو فى الظاهر تحت طاعة الوهابى وأما المرة الاولى التى هزموا فيها فلم يكونوا كاتبوا الشريف غالب فى ذلك حتى يكون الامر بتدبيره ودخلت العساكر المدينة المنورة فى أواخر ذى القعدة ولما جاءت الاخبار الى مصر صنعوا زينة ثلاثة ايام وأكثروا من الشنك وضرب المدافع وأرسلوا ابشائر لجميع ملوك الروم واستولت العساكر السائرة من طريق البحر على جدة فى أوائل المحرم من سنة ثمان وعشرين ثم طلعوا الى مكة واستولوا عليها أيضا وكل ذلك بلا قتال بتدبير الشريف غالب سرا ولما وصلت العساكر الى جدة فر من كان بمكة من عساكر الوهابية وامرائهم وكان سعود أمير الوهابية حج فى سنة سبع وعشرين ثم ارتحل الى الطائف ثم الى الدرعية ولم يعلم باستيلاء العساكر السلطانية على المدينة الا بعد ذلك ثم لما وصل الى الدرعية علم باستيلائهم على مكة ثم الطائف ولما وصلت العساكر الى جدة ومكة فر من الطائف أميرها عثمان المضايفى وفر من كان بها من عساكر الوهابية وامرائهم وفى شهر ربيع الاول من سنة ثمان وعشرين أرسل محمد على باشا مبشرين الى دار السلطنة ومعهم مفاتيح وكتبوا اليهم أنها مفاتيح مكة والمدينة وجدة والطائف فدخلوا بها دار السلطنة بموكب حافل ووضعوا المفاتيح على صفائح الذهب والفضة وأمامها البخورات فى مجامر الذهب والفضة وخلفهم الطبول والزمور وعملوا لذلك زينة وشنكا ومدافع وخلعوا على من جاء بالمفاتيح وزادوا فى رتبة محمد على باشا وبعثوا له أطواقا وعدة أطواخ بولايات لمن يختار تقليده وفى شهر شوال سنة ثمان وعشرين توجه محمد على باشا بنفسه الى الحجاز وقبل توجهه من مصر قبض الشريف غالب على عثمان المضايفى الذى كان اميرا على الطائف للوهابية وكان من أكبر أعوانهم وأمرائهم فزنجره بالحديد وبعثه الى مصر فوصل فى ذى القعدة بعد توجه الباشا الى الحجاز ثم ارسل الى دار السلطنة فقتلوه ووصل محمد على باشا فى ذى القعدة الى

وتسعين غزا الشريف الشيابين وأخذ ابلهم ومواشيهم ثم ركب على هذيل فحذرتهم العيون والجواسيس فأخذوا حذرهم وكمنوا له فى الشعاب والهضاب فلما أقبل عليهم بادروه بالقتال ومكث الحرب ساعتين فرجع ولم يبلغ منهم المأمول ثم ركب على الشيابين مرة أخرى فانذروا وولوا مدبرين فعاد ومكث سبعة أيام ثم ركب على الشلاوى بأطراف الفرق فأجد خيله وركابه وصبحهم فى اليوم الثالث واستدام الحرب بينهم نهاره بطال ثم ولوا مدبرين وتركوا الحلال والمال فأخذه فمن ذلك سبعة آلاف من الغنم ومائة وثمانون من حمر النعم سوى الادباش والسلاح وفى موسم ثلاث وتسعين أرسل مولاى محمد سلطان الغرب ابنته ليزوجها للشريف سرور وأرسل معها أخويها وأموالا عظيمة أهداها للشريف وصدقة للاشراف والسادة وأهل مكة فتزوج بنت سلطان الغرب بعد ان دعا للعقد جملة من السادة الاشراف والمفاتى والعلماء وباشر العقد له مولانا الشيخ المفتى عبد الملك القلعى وفى هذه السنة حصلت منافرة بين مولانا الشريف وسرادق صنجق الحج لمصرى بعد تمام الحج فأراد مراد بيك عزل الشريف وتولية السيد سليمان بن يحيى وجعل

كل ليلة يتردد على الصنجق وبلغ الخبر سيدنا الشريف سرور فاطرح العيون على السيد سليمان وأمر بالقبض
عليه فخرج ذات ليلة
متنكرا في زي سائس
فقبضوا عليه في طريق
الجون وحبسه بمكة
ثم أرسله الى ينبع وحبسه
هناك ولما بلغ الصنجق
القبض عليه اشتد غضبه
وأراد القتال فاستعد لذلك
مولانا الشريف ثم ان
الصنجق ثنى عزمه عن
القتال وارتحل وتعرضه
في الطريق جماعة من
حرب وكان معه جملة من
شيوخهم رهائن فخوفهم
بعد ما مر تلك الجهات
ولم يعطهم في ذلك العام
شيأ من المعاليم التي لهم
(ذكر زيارة الشريف
سرور سنة ١١٩٤)
وفي سنة أربع وتسعين عزم
مولانا الشريف على زيارة
النبي صلى الله عليه وسلم
بأهله فتجهز وخرج من
مكة في أحسن نظام كان
معه من الجمال ثلاثة آلاف
وخمسمائة ومن العربان
خمسة آلاف ومن مراجله
ألفان وخمسمائة من السادة
الاشراف ومن الخيل
مائتان وخمسون وصرف
على هذا الجند مبالغ جزيلة
من المال وتوجه من مكة
ليلة الاربعاء في اليوم
الحادي عشر من جمدى الاولى من العام المذكور ولما وصل الى بدر تلقاه اهلها بالترحيب لصدور

مكة وقبض على الشريف غالب بن مساعد وبعثه الى دار السلطنة وأقام اشرافة مكة ابن اخيه الشريف يحيى بن سرور بن مساعد وفي شهر محرم من سنة تسع وعشرين بعثوا الى دار السلطنة مبارك بن مضيان الذي كان اميرا على المدينة المنورة للوهابية فطافوا به في القسطنطينية في موكب ليراه الناس ثم قتلوه وعلقوا رأسه على باب السرايا وفعل مثل ذلك بعثمان المضايفي وأما الشريف غالب فأرسلوه الى سلانيك وبقي بها مكرما الى أن توفي سنة احدى وثلاثين ودفن بها وبنى عليه قبة تزار ومدة امارته على مكة ست وعشرون سنة ثم ان محمد على باشا وجه كثيرا من العساكر الى تربة وبيشة وبلاد غامد وزهران وبلاد عسير لقتال طوائف الوهابية وقطع دابرهم ثم سار بنفسه في أثرهم في شعبان سنة تسع وعشرين ووصل الى تلك الديار وقتل كثيرا منهم وأسر كثيرا وخرب ديارهم وفي شهر جمادى الاولى سنة تسع وعشرين هلك سعود امير الوهابية وقام بالملك بعده ولده عبدالله ورجع محمد على باشا من تلك الديار التي وصلها من ديار الوهابية عند قبائل الحج وحج ومكث بمكة الى رجب سنة ثلاثين ثم توجه الى مصر وترك بمكة حسن باشا ووصل الباشا الى مصر منتصف رجب سنة ثلاثين ومائتين والف فتكون اقامته بالحجاز سنة وسبعة اشهر وما رجع الى مصر الا بعد ان مهد امور الحجاز وأباد طوائف الوهابية التي كانت منتشرة في جميع قبائل الحجاز والشرق وبقي منهم بقية بالدرعية اميرهم عبد الله بن سعود فجهز محمد على باشا لقتاله جيشا وأرسله تحت قيادة ابنه ابراهيم باشا وكان عبدالله بن سعود قبل ذلك تكاتب مع طوسون باشا بن محمد على باشا حين كان بالمدينة وعقد معه صلحا على بقاء امارته ودخوله تحت طاعة محمد على باشا فلم يرض محمد على باشا بهذا الصلح فجهز ولده ابراهيم باشا وجعل امر العساكر اليه وكان ابتداء ذلك في أواخر سنة احدى وثلاثين فوصل الى الدرعية سنة ثنتين وثلاثين ونازل بجيوشه عبدالله بن سعود ووقع بينهما وقائع وحروب يطول ذكرها الى أن استولى على عبدالله بن سعود في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين ولما جاءت الاخبار الى مصر ضربوا لذلك الف مدفع وفعلوا شنكا وزينوا مصر وقراها سبعة ايام وكان محمد على باشا له اهتمام كبير في قتال الوهابية وأنفق في ذلك خزائن من الاموال حتى أخبر بعض من كان يباشر خدمته أنهم دفعوا في دفعة من الدفعات لاجرة تحميل بعض الذخائر خمسة واربعين الف ريال هذا في مرة من المرات كان ذلك الحمل من الينبع الى المدينة عن اجرة كل بعير ست ريال دفع نصفها امير ينبع والنصف الآخر أمير المدينة عند وصول الحمل ثم من المدينة الى الدرعية كان اجرة تلك الحملة فقط مائة واربعين الف ريال وقبض ابراهيم باشا على عبد الله بن سعود وبعث به وكثير من امرائهم الى مصر فوصل في سابع عشر محرم سنة اربع وثلاثين وصنعوا له موكبا حافلا يراه الناس وأركبوه على هجين وازدحم الناس للتفرج عليه ولما دخل على محمد على باشا قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه وقال له الباشا ماهذه المطاولة فقال الحرب سجال قال وكيف رأيت ابني ابراهيم باشا قال ماقصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ماقدره الله تعالى فقال له الباشا أنا أترجى فيك عند مولانا السلطان فقال المقدر يكون ثم ألبسه خلعة وانصرف الى بيت اسماعيل باشا ببولاق

(وكا...)

وكان بصحبة عبدالله بن سعود صندوق صغير مصفح فقال له الباشا ماهذا فقال هذا ما أخذه أبي من الحجرة أصحبه معي الى السلطان فأمر الباشا بفتحه فوجدوا فيه ثلاثة مصاحف من خزائن الملوك لم يرالراؤن أحسن منها ومعها ثلاثمائة حبة من اللؤلؤ الكبار وحبة زمرد كبيرة وشريط من الذهب فقال له الباشا الذى أخذتوه من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا فقال هذا الذى وجدته عند ابى فانه لم يستأصل كل ما كان فى الحجرة لنفسه بل اخذ ذلك كبار العرب وأهل المدينة واغاوات الحرم وشريف مكة فقال الباشا صحيح وجدنا عند الشريف أشياء من ذلك ثم أرسلوا عبدالله بن سعود الى دار السلطنة ورجع ابراهيم باشا من الحجاز الى مصر فى شهر المحرم من سنة خمس وثلاثين بعد ان أخرب الدرعية خرابا كليا حتى تركوا سكناها ولما وصل عبدالله بن سعود الى دار السلطنة فى شهر ربيع الاول طافوا به البلد ليراه الناس ثم قتلوه عند باب همايون وقتلوا أتباعه أيضا فى نواحى متفرقة هذا حاصل ما كان فى قصة الوهابى بغاية الاختصار ولو بسط الكلام فى كل قضية لطال وكانت فتنتهم من المصائب التى أصيب بها أهل الاسلام فانهم سفكوا كثيرا من الدماء وانتهبوا كثيرا من الاموال وعم ضررهم وتطاير شررهم فلاحول ولاقوة الا بالله وكثير من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم فيها التصريح بهذه الفتنة كقوله صلى الله عليه وسلم يخرج أناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية سيماهم التحليق وهذا الحديث جاء بروايات كثيرة بعضها فى صحيح البخارى وبعضها فى غيره لاحاجة لنا الى الاطالة بنقل تلك الروايات ولا لذكر من خرجها لانها صحيحة مشهورة ففى قوله سيماهم التحليق تصريح بهذه الطائفة لانهم كانوا يأمرون كل من اتبعهم أن يحلق رأسه ولم يكن هذا الوصف لاحد من طوائف الخوارج والمبتدعة الذين كانوا قبل زمن هؤلاء وكان السيد عبدالرحمن الاهدل مفتى زبيد يقول لاحاجة الى التأليف فى الرد على الوهابية بل يكفى فى الرد عليهم قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق فانه لم يفعله احد من المبتدعة غيرهم واتفق مرة ان امرأة أقامت الحجة على ابن عبدالوهاب لما أكرهوها على اتباعهم ففعلت امرها ابن عبدالوهاب ان تحلق رأسها فقالت له حيث انك تأمر المرأة بحلق رأسها ينبغى لك ان تأمر الرجل بحلق لحيته لان شعر رأس المرأة زينتها وشعر لحية الرجل زينته فلم يجد لها جوابا ومما كان منهم أنهم يمنعون الناس من طلب الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم مع أن أحاديث شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لأمته كثيرة متواترة واكثر شفاعته لأهل الكبائر من أمته وكانوا يمنعون من قراءة دلائل الخيرات المشتملة على الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ذكر كثير من أوصافه الكاملة ويقولون ان ذلك شرك ويمنعون من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم على المنابر بعد الاذان حتى ان رجلا صالحا كان اعمى وكان مؤذنا وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بعد الاذان بعد ان كان المنع منهم فأتوا به الى ابن عبدالوهاب فأمر به أن يقتل فقتل ولو تتبعت لك ما كانوا يفعلونه من أمثال ذلك لملأت الدفاتر والاوراق وفى هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم

وعرضوا عليه وقدموا له الهدايا ثم وسوس لهم الشيطان فادعوا ان لهم عوائد على الملوك اذا مرت بهم وقوانين وادعوا أنه أخذ عليهم من الصنجق معلوم ثلاث سنين فمكث يعالجهم على الصلح ثلاثة أيام فلم يقبلوا فثار الحرب بينهم من كل الجهات واستمر ثلاث ساعات فانتصر عليهم وقتل منهم أربعة عشر نفرا وفر من بقى فدخل بعض شيوخهم بين الفريقين بالصلح وأعطاهم مولانا الشريف سرور أربعة عشر ألف قرش وأعطوه رهائن فأخذ منهم أربعين رجلا رهائن ولما وصل الى الحمراء بلغه أن ولد نصار ابن عطية صعد الجبل وتوارى عنه فأرسل خلفه من أتى به فوضعه هو والرهائن كلهم فى الحديد وتأكدت العداوة بينهم غاية التأكيد ودخل المدينة فى اليوم التاسع من رجب فخرج أهلها وقابلوه ودخل بموكب وأناخ بالمناخة وسكن هو وأهله بها ثم توجه لزيارة القبر الشريف ونثروا بها من الذهب والفضة الكثير حتى التقطه من ذلك الكبير والصغير وأمارهائن حرب فشدد عليهم غاية التشديد فلما بلغ قومهم ذلك قطعوا الطريق ولما جاء الزوار من مكة على عادتهم زيارتهم فى

﴿ ذكر قتل الصناجق المماليك المتغلبين على مصر ﴾

اعلم أن المماليك المذكورين كانوا متغلبين على مصر فلما تمكن محمد على باشا من الممالك المصرية أحتال عليهم وقتلهم سنة ست وعشرين ومائتين وألف وكانوا هم وعساكرهم واتباعهم كثيرين ومازالوا يعارضون محمد على باشا فى كثير من شؤنه وهو يداهنهم ويحذر منهم فلما جاء الأمر السلطانى بتوجهه الى الحجاز لمحاربة الوهابى طلب من الدولة ان يأتيه فرمان بولاية ولده طوسون باشا صارى عسكر على العساكر التى يريد ان يرسلها الى الحجاز فجاءه فرمان سلطانى بذلك فجعل ذلك وسيلة الى جمع الصناجق وعساكرهم فى القلعة لقرآءة الفرمان المذكور وخروجهم بالآلاى الحافل مع ابنه المذكور الى العرضى الخارج للحجاز المنتصب خارج مصر عند قبة العزب فنبه على العساكر الصناجق فى الحضور الى القلعة فى الثالث من شهر صفر فى الساعة الرابعة من النهار ورتب فى القلعة عساكر خاصة به وجعلهم فى الابراج والمكامن التى فى القلعة وأمر البواب للقلعة انهم اذا استكمل دخولهم يغلق الباب وأمر العساكر الخاصة به الذين رتبهم فى القلعة ان يقتلوا كل من دخل منهم بعد غلق باب القلعة ففعلوا ذلك وصار القتل فيهم من وقت الضحى الى غروب الشمس فقتل منهم خلقا كثيرا ثم تتبع الباقين منهم فى مصر وبقية الارياف بالقتل حتى أبادهم عن آخرهم وذلك شئ كثير وعدد وفير والقصة طويلة لكن هذا حاصلها وتم له انتظام ملكه من غير معارض بعدان قتلهم وكانت ولايته مصر سنة عشرين واستمر فيها الى سنة أربع وستين ومائتين وألف وكان فى الاصل من العساكر الذين جاؤا مع يوسف باشا لما أخرج الفرنسيس من مصر سنة ست عشرة وأصله من بلاد قولة وجنسه من الارنووط فلما كان محاربة يوسف باشا للفرنسيس قاتل مع من قاتل واشتهر بالشجاعة فى تلك الحروب ثم ترقى فى مدة قصيرة الى رتبة قائم مقام الى ان تقلد زمام أحكام الديار المصرية سنة تسع عشرة ومائتين والف ولما خرج الفرنسيس من مصر ودخلها يوسف باشا ثم سافر يوسف باشا وأقامت الدولة وزيرا لمصر واليا عليها الوزير محمد خسرو باشا واستمر الى المحرم سنة ثمان عشرة فوقع بينه وبين العساكر فتنة بسبب طلب مرتباتهم وجوامكهم واتسعت الفتنة حتى أخرجوا الوزير المذكور من مصر واتفقوا على تولية طاهر باشا قائم مقام بمصر الى ان يأتى الامر من الدولة بتولية غيره فألبسه القاضى فرواسمورا وكان الرئيس الثائر فى تلك الفتنة محمد على باشا ثم بعد ست وعشرين يوما ثاروا على طاهر باشا فقتلوه وكان قد حضر من دار السلطنة الى مصر احمد باشا واليا على المدينة المنورة فولاه أهل مصر عليهم بعد قتل طاهر باشا فلم يذعن لذلك محمد على وقال ان احمد باشا لم يكن واليا على مصر وانما هو وال على المدينة المنورة وانما ولينا قبله طاهر باشا لكونه كان محافظا للديار المصرية من الدولة العلية فله شبهة فى التولية واما أحمد باشا فليس له تعلق بمصر فهو يخرج خارج مصر ونجهزه بالعساكر ويتوجه الى محل ولايته ثم اشتدت الفتنة وانتشرت بين العساكر الى ان أخرجوا أحمد باشا فكانت مدة ولايته بمصر يوما وليلة ثم نادى مناد بتسكين الناس وتأمينهم وان الامر يكون لابراهيم بيك كبير الصناجق وحاكم الولاية وأشركوا معه

(محمد)

رجب منعوهم من الوصول فرجعوا الى مكة من غير زيارة ثم بلغ الشريف أن حربا قصدهم الوصول الى المدينة لمحاربته فاستعد لهم وطرح عليهم العيون وصارت خيله كل ليلة تخرج خارج المدينة ليقبضوا على من يجدونه منهم فوجدوا ليلة نجابا خارجا من المدينة ومعه كتب من الكواخى لقبائل حرب يحثونهم على الاقدام عليهم بصدد الحرب على أنا نقاتله من داخل البلد وأنتم من الخارج فلما قرأها مولانا الشريف طلب شيخ الحرم والكواخى وقرأها عليهم فأنكروها وقالوا انها مزورة عليهم فقال لهم ان كنتم صادقين فأعطونى القلعة حتى يتضح لى الحال فامتنعوا فأعاقهم عنده وأرسل شيخ الحرم لاهل القلعة يطلبها منهم لتكون تحت يده يحصنها بمن يختاره فوجدهم قد ترسوها بالرجال وتعذروا من اعطائها الشيخ الحرم وتعذروا بأنا رمينا عند سيدنا بالزور والبهتان ولا نسلمها مالم تأتنا منه بالامان

(ذكر القتال الواقع بين الشريف مسرور وأهل المدينة)

فلما رجع وأخبر بالخبر أعطاهم الامان وأرسل مع شيخ الحرم من يحفظه فلم يقطعوا الا و الرصاص عليهم كالمطر ففرهو ومن معه عنهم وأصابوا واحدا

محمد على وقبضوا على الدفتردار وقطعوا رأسه ثم قامت العساكر على ابراهيم بيك لطلب
جوامكهم وانتشرت الفتنة وارادوا قتل ابراهيم بيك ونهبوا داره فهرب فقوى امر
محمد على وصار الحل والعقد بيده ثم جاءت الاخبار من دار السلطنة بولاية مصر لاحمدباشا
خورشيد حاكم الاسكندرية ووصل الى مصر فى ذى الحجة سنة ثمان عشرة وبعد وصوله
طلب من الناس أموالا جزيلة تكون معجلة عما يلزم الناس من خراج مصر فاشتد الامر على
الناس وارتفعت الاسعار وأغلقت الدكاكين والاسواق واجتمع الاطفال بالجامع الازهر
وصعدوا الى المنابر يصرخون ويتضرعون ويقولون يالطيف فسمعهم الباشا وهو
فى القلعة فأرسل الى نقيب الاشراف انا قد رفعنا عن الناس ما كنا طلبناه واما ابراهيم بيك
ومن معه من الامراء الذين أخرجوهم من مصر فانهم جمعوا جموعا من الارياف وجاؤا القتال
الباشا ومن معه بمصر فخرج اليهم بالعساكر ووقع القتال واشتد الامر وتقطعت الطرق
وشرح ذلك كله يطول ثم جاء امر من الدولة لمحمد على بولاية جدة فألبسه الباشا فروا ولما خرج
يريد الركوب ثارت على محمد على العساكر وطلبوا منه العلوفة فقال لهم هاهو الباشا عندكم
وركب هو الى داره وصار ينثر الذهب على الناس فى الطريق وأمسك العساكر احمدباشا ومنعوه
من الركوب الى بعد المغرب ثم لاطفهم وركب واشيع بين الناس انهم حبسوه وهو قد ذهب الى القلعة
ثم اشيع انه يريد وضع فردة على الناس فهاج الناس واجتمع كثير من الناس عند بيت القاضى
وصاروا يصرخون بقولهم شرع الله بيننا وبين هذا الباشا الظالم ومنهم من يقول يامتجلى أهلك
العثملى ومنهم من يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ومنهم من يقول لانريد هذا الباشا حاكما علينا
لابد من عزله وذهبوا الى بيت محمد على يقولون ذلك فقال لهم ومن تريدون ان يكون واليا
عليكم فقالوا لانرضى الابك لما نتوسمه فيك من العدالة والخير فامتنع اولا ثم رضى فأحضروا
له كركا وقام السيد عمر مكرم نقيب الاشراف والشيخ الشرقاوى فألبساه ونادوا بذلك
فى البلد وذلك يوم الاثنين سادس صفر سنة عشرين ومائتين والف ونادوا فى مصر بولايته
وأرسلوا الخبر الى أحمدباشا فقال انى متول من السلطان فلا اعزل بأمر الفلاحين ولا أنزل
من القلعة الا بأمر السلطان فكتب الناس سؤالا وكتب عليه المفاتى وحكموا بعزله وصحة
تولية محمد على باشا وحضروا فى بيت القاضى فحكم بمقتضى ذلك واستمر أحمدباشا فى القلعة
وأراد الحرب والقتال مع أهل مصر فحاصروه فى القلعة اياما الى أن أخرجوه منها وحصل
بينه وبين العلماء كلام كثير وقال لهم كيف تعزلون من ولاه السلطان عليكم وقد قال الله تعالى
أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الامر منكم فقالوا له أولوا الامر هم العلماء وجرت العادة من
القديم ان اهل البلد يعزلون الولاة حتى السلطان اذا جار عليهم يخلعونه والقصة طويلة جدا
يطول الكلام بذكرها وطال الامر بينهم الى ان جاء الامر السلطانى بولاية محمد على باشا واقرار
ما فعله العلماء وأهل مصر فى شهر ربيع الثانى فتم الامر لمحمد على باشا حتى كان من امره
ما كان وأكثر ما تقدم ذكره من القيام على الباشوات الذين تولوا مدة هذه الفتنة كان بتدبير
محمد على باشا وترتيبه ولم يزل فى ترق وعلو وارتفاع حتى حارب السلطان محمود وملك
عكا والشام فلما توفى السلطان محمود انعقد الصلح بينه وبين السلطان عبد المجيد سنة خمس

من العسكر فقبض مولانا الشريف على الثلاثة الكواخى وشيخ القلعة وجعلهم فى الحديد فابتدروا
بالرمى على بيته وقتلوا
رجلا وجملين فنقل أهله
الى بيت بعيد عن القلعة
ووقع القتال بينهم وبينه
من ليلة المعراج الى مضى
ثلاثة أيام وماتم لاحد
من الفريقين مرام فصنع
سلالم من الخشب الطوال
وأطلع عليها عبيده فى ليلة
من تلك الثلاث الليالى
فتنبهوا لهم فلم يملكوها
ورجعوا ثم أرسل لهم
بأنى قد سمحت عنكم
فاخرجوا ولكم الامان
فرضوا خديعة منهم
وأخذوا امهلة ثلاثة أيام
وأرادوا أن يدخلوا القلعة
من لم يكن دخل منهم فكف
الرمى من الطرفين وأرسل
عسكرا تترس البيوت التى
حول القلعة من كل جانب
وأمرهم أن يمنعوا من أراد
الدخول ومن أراد
الخروج يتركوه فلما علموا
أنه ترس البيوت التى
حولهم عرفوا أنه تنبه
لخديعتهم فأحرقوا
السلالم التى صنعها
فى الحال وشرعوا
يرمونه بالرصاص فأمر
عسكره بقتالهم واستمر
الحال يومين ثم ظهر عجزهم
فربطوا حبلا وصاروا
يتمسكون به وينحرجون
من القلعة خفية فجاءه الخبر فأمر برمى مدفع على بيت أغاة القلعة فانحرق وانهدم وأرسل خيلا تطلب الذين خرجوا من القلعة

وخمسين ومائتين وألف وترك الشام والحجاز وأعطوه ولاية الاقطار المصرية مؤبدة له ولاولاده وجعلوا عليه خراجا معلوما يدفعه كل سنة واستمر الى سنة اربع وستين فأصابه مرض اختل به عقله فولى ابنه ابراهيم باشا فى حياة ابيه فكانت مدة ولاية محمد على باشا نحو خمس واربعين سنة واستمر ابنه ابراهيم باشا نحو سنة ثم توفى فولى عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد على باشا واستمر الى سنة سبعين فتوفى مقتولا ثم ولى سعيد باشا بن محمد على باشا وتوفى سنة تسع وسبعين ثم ولى اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد على باشا وخلع سنة ست وتسعين وولى ابنه محمد توفيق باشا وهو الموجود الآن وانما ذكرنا هذا كله استطرادا تتميما للفائدة ليتصل الكلام بعضه ببعضه

﴿ ذكر استيلاء الفرنسيس على مصر ﴾

كانت مصر قبل ان تتملكها الدولة العثمانية بيد ملوك الجراكسة وكان لهم كثير من المماليك الذين هم ايضا من الجراكسة ومن غيرهم من الترك فلما تملكت الدولة العثمانية مصر لم تزل المماليك باقين وفى كل وقت يزدادون حتى بلغوا غاية الكثرة وكان منهم امراء ورؤساء فصارت لهم عصبية قوية فتغلبوا على الاملاك والاراضى والاطيان والمحصولات والخراجات والجمارك وكانوا اذا جاء الباشا المتولى على مصر من الدولة العلية ينقادون له فى الظاهر وفى الباطن هم متغلبون فكانوا يبقونه اذا أرادوا ويعزلونه اذا أرادوا ولا يصل الى الدولة العلية من محصولات مصر الا القليل والباقى بأيديهم وكان لهم رؤساء وعلى الجميع أمير كبير تحت أمر الوزير المتولى من السلطنة صورة وظاهرا فقط فلما تغلبوا هذا التغلب كثر منهم الظلم والعدوان على المسلمين وغيرهم من طوائف النصارى واليهود فيتعدون كثيرا عليهم لاسيما على تجارهم فكانت الدولة العلية مشتغلة عنهم بكثرة الحرب مع النصارى فطمع الفرنسيس فى تملك مصر وابعاد هؤلاء المماليك المتغلبين وأوهموا على المسلمين انهم انما يريدون تخليص مصر منهم وبقاء الحكم فيها للدولة العلية فجهز الفرنسيس عليها جيوشه بالسر والكتمان من غير اطلاع أحد على ذلك وجاءهم بغتة فتملكها على الوجه الآتى ذكره وكان ذلك فى شهر المحرم سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وكان الوزير المتولى على مصر من السلطنة العلية فى تلك السنة هو أبو بكر باشا الطرابلسى كانت ولايته من سنة احدى عشرة ومائتين وألف وكان للمماليك المتغلبين على مصر أميران رئيسان على جميعهم وهما ابراهيم بيك ومراد بيك كان تحت طوعهما جميع الصناجق والعساكر فلما شاعت الأخبار بقدوم الفرنسيس للاستيلاء على مصر خرج من مصر الوزير المتولى من السلطنة العلية وهو أبو بكر باشا المتقدم ذكره وتوجه الى غزة ثم منها الى دار السلطنة توجه من مصر يوم السبت سابع شهر صفر من السنة المذكورة وبقيت مصر بيد ابراهيم بيك ومراد بيك وصناجقهما والأمراء والعساكر التى تحت أيديهما وكان أهل مصر عند خروج أبى بكر باشا من مصر وقبل خروجه بأيام يسمعون اشاعات من مسير الفرنسيس الى تملك مصر ولم يقفوا على حقيقتها فلما كان العشرون من المحرم من سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وصلت مراكب للفرنسيس مشحونة بالعساكر وآلات الحرب وتقاتل من كان فيها من العساكر مع اهل الاسكندرية ولم يكن اهل الاسكندرية مستعدين

هار بين فطلب الباقون الامان فأعطاهم الامان ودخل العربان الذين كانوا معه القلعة ونهبوا مافيها من الاثاث والنقود وكان غالب أهل المدينة وضعوا أدباشهم الثمينة فى القلعة فذهبت شذر مذر وقبض على جملة ممن كانوا سبب هذه الفتنة ووضعهم فى السلاسل والحديد ووضع وزيره فى القلعة وهو رجل من عدوان ومعه عسكر وكان جملة من قبض عليهم من أهل المدينة نحو الخمسين صحبهم معه الى مكة لما توجه وأبرز فرمانا بعزل شيخ الحرم وأمره أن يسير معه الى مكة ثم أطلق رهائن حرب وأمرهم بالانصراف وقطع علائقه

(ذكر رجوع الشريف سرور من طريق الشرق) وتوجه من المدينة فى الحادى والعشرين من شعبان وأظهر انه يريد التوجه على طريق حرب الى ساعة السفر ثم توجه على طريق الشرق قصرا للشر فلما وصل الجريدة قل عليه وعلى من معه الماء وحصلت لهم شدة من العطش ثم فرج الله وجاءهم من أتاهم بالماء ولما وصل البركة توجه بأهله الى الطائف ودخله سابع رمضان ومكث أياما ثم توجه الى مكة ودخلها فى السادس والعشرين من رمضان ثم ورد له نجاب بأن أهل المدينة محاصرون للوزير

(لقتالهم)

قتالهم فلم يقدروا على دفعهم لاسيما وقد جاؤهم بغتة فقاتلوهم قليلا ثم طلبوا الامان منهم فأمنوهم ودخلوا الاسكندرية وملكوها فلما جاء الخبر الى مصر أخذ ابراهيم بك ومراد بك فى الاستعداد لهم وأبرزا جيشا من العسكر الى موضع يقال له الجسر الاسود وأخرجوا المدافع وآلات الحرب واضطربت الناس بمصر وكثر الهرج والمرج وتقطعت الطرق وارتفع السعر وكثر السراق ثم جاءهم مكتوب من الفرنسيس فيه بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك له فى ملكه وبعد ذلك كلام كثير من جملته انى اعبد الله واحترم نبيه والقرآن العظيم وأنهم مسلمون (يعنون أنفسهم) مخلصون واثبات ذلك انهم نزلوا فى رومية الكبرى وخربوا فيها كرسى البابا الذى كان دائما يحث النصارى على محاربة أهل الاسلام ثم قصدوا مدينة مالطة وطردوا منها الذين كانوا يزعمون ان الله تعالى يطلب منهم مقاتلة أهل الاسلام وكل ذلك من الكلام الذى يوهمون به على اهل الاسلام انهم موحدون لله تعالى وانهم يحبون اهل الاسلام ويحبون سلطانهم وانهم انما جاؤا لنصرة سلطان الاسلام وابعاد المماليك المتغلبين على ممالكه ودفع ظلمهم عن الرعية ومن جملة ما فى ذلك الكتاب خطابا للمسلمين وما جئتكم لازالة دينكم وانما قدمت اليكم لاخلص حقكم من يد الظالمين الصناجق المماليك الذين يتسلطون فى البلاد المصرية ويعاملون الملة الفرنساوية بالذل والصغار ويظلمون تجارهم ويؤذونهم بأنواع الايذاء والتعدى ويأخذون أموالهم ويفسدون فى الاقليم الحسن الأحسن الذى لايوجد فى كرة الأرض كلها مثله فأما رب العالمين القادر على كل شئ فانه قد حكم بانقضاء دولتهم وانى اعبد الله سبحانه أكثر من المماليك واحترم نبيه والقرآن العظيم وقولوا لهم ان جميع الناس متساوون عند الله تعالى وان الشئ الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط وبين المماليك والعقل والفضائل تضارب فما ذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يتملكوا مصر وحدهم ويختصوا بكل شئ أحسن فيها من الجوارى الحسان والخيل العتاق والمساكن المفرحة فان كانت الارض المصرية التزاما للمماليك فليرونا الحجة التى كتبها الله لهم ولكن رب العالمين رؤف وعادل وحليم ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعدا لاييأس أحد من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العلية فالعلماء والفضلاء والعقلاء منهم سيدبرون الأمور وبذلك يصلح حال الامة كلها وسابقا كان فى الأراضى المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر وماأزال ذلك كله الا الظلم والطمع من المماليك أيها المشايخ والقضاة والائمة وأعيان البلد قولوا لأمتكم ان الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون ومع ذلك فالفرنساوية فى كل وقت من الاوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثمانى وأعداء أعدائه أدام الله ملكه ومع ذلك ان المماليك امتنعوا من طاعة السلطان غير ممتثلين لأمره فما أطاعوا أصلا الا الطمع أنفسهم طوبى ثم طوبى لأهالى مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلو مراتبهم طوبى أيضا للذين يقعدون فى مساكنهم غير مائلين لأحد الفريقين المحاربين فاذا عرفونا بالأكثر تسارعوا الينا بكل قلب لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك فى محاربتنا فلا

ى فى القلعة ومن معه من العسكر فأرسل اليهم سرية نجدة لهم نحو ثمانمائة من الخيل والركاب فاتفق أن الوزير ومن معه لما اشتد عليهم الحصار طلبوا الامان وخرجوا بعد قصة طويلة فبلغ السرية عند وصولهم المدينة ان الوزير ومن معه قد خرجوا من القلعة بالامان فنزلت السرية خلف جبل أحد وأرسلوا للوزير يطلبونه للرجوع فلما بلغ أهل المدينة وصول السرية خرجوا لقتالهم ومعهم أربعمائة من حرب كانوا يقاتلون بهم الوزير فالتقى الصفان فى البساتين التى خلف البقيع فى غرة ذى القعدة ووقع بينهم حرب فظيع وقتل وصوب جماعة من كل من الفريقين ورجعت السرية من طريق الشرق كما ذهبت منه ووصلوا الى مكة فى الثانى عشر من ذى القعدة هذا حاصل ما كان فى زيارة مولانا الشريف سرور بغاية الاختصار والا فتفصيل ذلك وبسطه طويل وفى هذه السنة وقع بين جهينة والحاج المصرى قتال فانتصر عليهم وقتل منهم نحو الثمانين ولما رجع من الطريق الشرقى قعدوا له فى طريق القزاز فاقتتل معهم وقتل منهم أربعة وفازوا وأما الحج الشامى فانه لما وصل الى المدينة اجتمع بأمير أهل المدينة وأخبروه بما صار واعترفوا بالذنب

يجدون بعد ذلك طريقا الى الخلاص ولا يبقى منهم أثر وأن جميع القرى الواقعة فى دائرة قريبة بثلاث ساعات عن المواضع التى يمر بها عسكر الفرنساوية فواجب عليها ان ترسل للسرعسكر من عندها وكلاء كيما يعرف المشار اليه انهم أطاعوا وأنهم نصبوا علم الفرنساوية الذى هو أبيض وأكحل واحمر وان كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوى تحرق بالنار وان كل قرية تطيع العسكر الفرنساوى ايضا تنصب صناجق السلطان العثمانى محبنا دام بقاؤه والواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والأئمة انهم يلازمون وظائفهم وعلى كل احد من اهالى البلد ان يبقى فى مسكنه مطمئنا وتكون الصلاة قائمة فى الجوامع على العادة والمصريون بأجمعهم ينبغى ان يشكروا الله تعالى على انقضاء دولة المماليك قائلين بصوت عال أدام الله اجلال السلطان العثمانى أدام الله اجلال العسكر الفرنساوى لعن الله المماليك وأصلح حال الأمة المصرية وعلى المشايخ فى كل بلد ان يختموا حالا على جميع الارزاق والبيوت والأملاك التى للمماليك وعليهم الاجتهاد التام ان لا يضيع أدنى شىء منها وفى التاسع والعشرين من محرم قدموا الى مصر فاستقبلهم عسكر مصر عند الرحمانية وهزموا الى الجيزة والتقوا عند بشتيل وحصلت مقتلة عظيمة وقدر الله ان المسلمين هزموا ففر مراد بيك ومن معه الى الصعيد وفر ابراهيم بيك ومن معه فى البر الشرقى الى الشام وقيل لم يقع قتال كثير وانما هى مناوشة من طلائع العساكر بحيث لم يقتل الا القليل من الفريقين وكانت مراكب فى البحر لمراد بيك فاحترقت بما فيها من الجبخانة والآلات الحربية واحترق بها رئيس الطبجية واحترق ما فيها من المحاربين فلما عاين ذلك مراد بيك دخله الرعب وولى منهزما وترك الاثقال والمدافع التى فى البر وتبعته العساكر وركب ابراهيم بيك الى ساحل بولاق طرف البر الشرقى ورجع الناس منهزمين طالبين مصر فاجتمع الباشا والعلماء ورؤس الناس يتشاورون فى هذا الحادث العظيم فاتفق رأيهم على عمل متاريس من بولاق الى شبرا ويتولى الاقامة ببولاق ابراهيم بيك وكشافه ومماليكه وقد كانت العلماء عند ابتداء هذا الحادث يجتمعون بالازهر كل يوم ويقرؤن البخارى وغيره من الدعوات وكذلك مشايخ الطرائق وأتباعهم وكذا أطفال المكاتب ويذكرون اسم اللطيف وغيره من الاسماء ويوم الاثنين حضر مراد بيك الى برانبابة وشرع فى عمل متاريس هناك ممتدة الى بشتيل وتولى ذلك هو وصناجقه وأمراؤه وكان معه فى ذلك على باشا الطرابلسى ونصوح باشا وأحضروا المراكب الكبار والغلايين التى أنشأها بالجيزة وأوقفها على ساحل انبابة وشحنها بالعساكر والمدافع فصار البر الغربى والشرقى مملوءين بالعساكر والمدافع والمتاريس والخيالة والمشاة ومع ذلك فقلوب الامراء لم تطمئن بذلك فانهم من وصول الخبر الاول لهم من الاسكندرية شرعوا فى نقل أمتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة الى البيوت الصغار التى لا يعرفها أحد واستمروا طول الليالى ينقلون الأمتعة ويوزعونها عند معارفهم وثقاتهم وأرسلوا البعض منها لبلاد الارياف وأخذوا أيضا فى تشهيل الاحمال واحضار دواب للشيل واسباب الارتحال فلما رأى أهل البلد منهم ذلك داخلهم الخوف الكثير والفزع واستعد الاغنياء وأولو المقدرة للهرب ولولا ان الامراء منعوهم من ذلك لما بقى بمصر منهم

(أحد)

وسألوه أن يستعطف لهم مولانا الشريف ويطلب منه السماح وأن يطلق المرابط الذين عنده من أهل المدينة وكان أمير الحاج الشامى فى ذلك العام محمد باشا ابن العظم فلما بلغ الشريف ذلك أرسل المرابط الى العابدية فلما وصل الباشا ترجى فى اطلاقهم فلم يقبل رجاءه فلما وصل الباشا المدينة راجعا أخبرهم بما صار فقبلوا عذره وشاع عندهم أن مولانا الشريف مقبل عليهم بجنود لا قبل لهم بها فترسوا القلعة وغلقوا الابواب واستعدوا لقتاله فلما وصل الحج المصرى أخبرهم بأن ذلك غير صحيح فاطمأنوا وفى سنة خمس وتسعين فى غرة جمادى الآخرة ورد نجاب لمولانا الشريف من الدولة العلية جاء على مصر وأخبره أنه استضاف نصار بن عطية ووعد انه اذا رجع ومر عليه يصحبه معه الى مصر فأرسل الشريف لوزيره فى ينبع بأنه يترصد نصار بن عطية اذا رجع النجاب ويقبض عليه فترصده وأرسل له عشرين على خيل وركاب فأحاطوا بنصار بن عطية ووقع بينهم وبينه قتال فانتصروا عليه وقتلوه وجاؤا برأسه لوزير ينبع وهرب ابنه وذهب الى قبائل حرب واستصرخهم فاجتمع نحو خمسة آلاف وجاؤا الى ينبع وأحاطوا

أحد وفي يوم الثلاثاء نادوا بالنفير العام وخروج الناس للمتاريس فأغلق الناس الدكاكين والاسواق وخرج الجميع لبولاق فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خياما أو يجلسون في مكان خراب أو مسجد ويرتبون أمرهم فيمن يصرف لهم مايحتاجون اليه من الدراهم التي جمعوها ويجعلون قيما عليهم يباشر ذلك وبعض الناس يتطوع على بعض في الانفاق ومن الناس من يجهز جماعة من المغاربة والشوام بالسلاح والاكل وغير ذلك بحيث أن جميع الناس بذلوا وسعهم وفعلوا ما في قوتهم وطاقتهم وسمحت نفوسهم بانفاق أموالهم فلم يشح احد في ذلك الوقت بشيء يملكه ولكن لم يسعفهم الدهر وخرجت الفقراء وأرباب الاشائر بالطبول والزمور والاعلام والكاسات وهم يضجون ويصيحون بأذكار مختلفة وصعد السيد عمر مكرم نقيب الاشراف الى القلعة فأخرج بيرقا كبيرا اسمته العامة بيرق النبي صلى الله عليه وسلم فنشره بين يديه من القلعة الى بولاق وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنبابيت والعصي يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح ومعهم الطبول والزمور وغير ذلك وأما مصر فانها صارت خالية الطرق لاتجد بها سوى النساء في البيوت وضعفاء الرجال الذين لايقدرون على الحركة وغلا سعر البارود والرصاص جدا بحيث بيع الرطل البارود بستين نصفا والرصاص بتسعين نصفا وغلا جنس أنواع السلاح وقل وجوده وخرج معظم الرعايا بالنبابيت والعصي والمساوق وجلس مشائخ العلماء بزاوية على بيك ببولاق يدعون ويبتهلون الى الله تعالى بالنصر وأقام غيرهم من الرعايا بالبيوت والزوايا والخيام ومحصل الامر أن جميع من بمصر من الرجال تحول الى بولاق وأقام بها من حين نصب ابراهيم بيك المرضى هناك الى وقت الهزيمة سوى القليل من الناس الذين لايجدون لهم مكانا ولا مأوى فيرجعون الى بيوتهم يبيتون بها ثم يصبحون الى بولاق وأرسل ابراهيم بيك الى العربان المجاورة لمصر ورسم لهم ان يكونوا من المقدمة بنواحي شبرا وما والاها وكذلك اجتمع عند مراد بيك الكثير من عرب البحيرة والجيزة والصعيد والخبيرية والقيعان واولاد علي والقناوية وغيرهم وفي كل يوم يتزايد الجمع ويعظم الهول ويضيق الحال بالفقراء الذين يحصلون أقواتهم يوما فيوما لتعطل الاسباب واجتماع الناس كلهم في صعيد واحد وانقطعت الطرق وتعدى الناس بعضهم على بعض لعدم التفات الحكام واشتغالهم بما دهمهم وكذلك العرب أغارت على الاطراف والنواحي وقامت الارياف على ساق يقتل بعضهم بعضا وينهب بعضهم بعضا وصار قطر مصر من اوله الى آخره في قتل ونهب واخافة طريق وقيام شر واغارة على الاموال وافساد المزارع وغير ذلك من أنواع الفساد الذي لايحصى وطلب امراء مصر تجار الافرنج الذين بمصر وحبسوهم في القلعة وفي بعض اماكن غير القلعة من بيوت الامراء وساروا يفتشون في محلات الافرنج على الاسلحة وغيرها وكذلك يفتشون بيوت النصارى الشوام والاقباط والاروام والكنائس على الاسلحة والعامة لاترضى الا ان يقتلوا النصارى واليهود فيمنعهم الحكام عنهم ولولا ذلك المنع لقتلهم العامة وقت هذه الفتنة ثم في كل يوم تكثر الاشاعة بقرب الفرنسيس الى مصر وتختلف الناس في الجهة التي يجيؤن منها فمنهم من يقول انهم واصلون

وصل الوزير الى جدة كان مولانا الشريف بجدة فأخبره الخبر

(ذكر عزم الشريف سرور على قتال حرب وكثرة تجهيزاته سنة ١١٩٥)

فاشتد غضب الشريف على حرب وعزم على التجهيز عليهم ومحاربتهم وأمر وزيره بجدة أن يمسك جملة من أغربة اليمن وشحنها بالذخائر وتوجه الى مكة في غاية رجب وكتب الى جميع القبائل يطلبهم من كل مكان وواعدهم ان يصلوا اليه في رمضان ثم توجه الى الطائف لجمع القبائل أيضا فحضر عنده كثير من الشيوخ فأعطاهم الدراهم والبسهم الجوخ ثم رجع الى مكة وأراد التوجه في رمضان فتأخر بعض القبائل فأخر السفر الى شوال وأطلق خمسة وعشرين من أهل المدينة المسجونين وأبقى الباقين وصرف للقبائل شيأ كثيرا من المال أعطى كل رجل اثنى عشر محبوبا وللخيال عشرين محبوبا واستعد بشيء كثير من الذخائر والرصاص والبارود

فيها ويملكوها فلما وصلوا قريبا من ينبع خرج لهم جهينة في دواتهم مستعدين للقتال فانهزمت الاغربة

من البر الغربي ومنهم من يقول انهم واصلون من الشرقي ومنهم من يقول بل يأتون من الجهتين وليس لأحد من الامراء همة ان يبعث جاسوسا او طليعة تناوشهم القتال قبل قربهم ووصولهم الى فناء مصر بل كل من ابراهيم بيك ومراد بيك جمع عساكره ومكث في مكانه لا ينتقل عنه ينتظر ما يفعل بهم وليس هناك قلعة ولا حصن ولا معقل وهذا من سوء التدبير واهمال أمر العدو ولما كان يوم الجمعة سادس شهر صفر وصل الفرنسيس الى الجسر الاسود وأصبح يوم السبت فوصل ام دينار فعندها اجتمع العالم العظيم من الجند والرعايا والفلاحين والمجاورة بلادهم لمصر ولكن الاجناد متنافرة قلوبهم منحلة عزائمهم مختلفة آراؤهم حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم مختالون في ريشهم مغترون بجمعهم محتقرون شأن عدوهم مرتبكون في رؤيتهم مغمورون في غفلتهم وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم وقد كان الظن بالفرنسيس ان يأتوا من البرين بل اشيع ذلك فلم يأتوا الا من البر الغربي ولما كان وقت القيلولة ركب جماعة من العساكر التي بالبر الغربي وتقدموا الى ناحية بشتيل بلدة مجاورة لانبابة فتلاقوا امام مقدمة الفرنسيس فكروا عليهم بالخيول فضربهم الفرنسيس ببنادقهم المتتابعة الرمي وأبلى الفريقان وقتل ايوب بيك الدفتردار وكثير من كشاف محمد بيك الالفي ومماليكهم وتبعهم طابور من الافرنج نحو الستة آلاف وكان رئيسهم الكبير بونابارته لكنه لم يشهد الوقعة بل حضر بعد الهزيمة كان بعيدا عن هؤلاء بكثير ولما قرب طابور الفرنسيس من متاريس مراد بيك ترامى الفريقان بالمدافع وكذلك العسكر المحاربون البحرية وحضر عدة وافرة من عساكر الارناووط من دمياط وطلعوا الى انبابة وانضموا الى المشاة وقاتلوا معهم في المتاريس فلما عاين وسمع عسكر البر الشرقي القتال ضج العامة والغوغا من الرعية وأخلاط الناس بالصياح ورفعوا الاصوات بقولهم يارب يالطيف ويارجال الله ونحو ذلك وكأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم فكان العقلاء من الناس يأمرونهم بترك ذلك ويقولون لهم ان الرسول والصحابة والمجاهدين انما كانوا يقاتلون بالسيف والحراب وضرب الرقاب لا برفع الصوت والصراخ والنباح فلا يستمعون ولا يرجعون عما هم فيه ومن يقرأ ومن يسمع وركب طائفة كبيرة من الامراء والاجناد من العرضي الشرقي ومنهم ابراهيم بيك الوالي وشرعوا في التعدية الى البر الغربي في المراكب فتزاحموا على المعادي لكون التعدية من محل واحد والمراكب قليلة جدا فلم يصلوا الى البر الآخر حتى وقعت الهزيمة على المحاربين هذا والريح العاصفة قد اشتد هبوبها وأمواج البحر في قوة اضطرابها والرمال يعلو غبارها وتنسفها الريح في وجوه المصريين فلا يقدر أحد ان يفتح عينيه من شدة الغبار وكون الريح من ناحية العدو وذلك من أعظم أسباب الهزيمة كما هو منصوص عليه ثم ان الطابور الذي تقدم لقتال مراد بيك انقسم على ترتيب معلومة عندهم في الحرب وتقارب من المتاريس بحيث صار محيطا بالعسكر من خلفه وأمامه ودق طبوله وأرسل بنادقه المتتابعة والمدافع ترمي واشتد هبوب الريح وانعقد الغبار وأظلمت الدنيا من دخان البارود وغبار الريح وصمت الاسماع من توالي الضرب بحيث خيل للناس ان الارض تزلزلت والسماء عليها سقطت واستمر الحرب والقتال نحو ثلثي ساعة ثم كانت الهزيمة على العسكر الغربي فغرق الكثير

وعادت الى جدة وفي الرابع والعشرين من شوال توجه مولانا الشريف سرور من مكة بمن معه من الجنود وكان معه من عتيبة ستة آلاف وسبعمائة من السادة الاشراف ومن ثقيف وهذيل ثلاثة آلاف ومن مراجلة نحو الالفين فكان جيشه كله يبلغ اثني عشر الفا ومعه من الخيول الطوالع خمسمائة ومائة وخمسون من أرباب الصنائع من المعلمين والنجارين وعبيد العين وغيرهم ومعه من الجمال التي تحمل الذخائر نحو سبعة آلاف فلما وصل الى خليص وأراد التوجه منه امتنعت هذيل من التوجه فراجعهم وكرر عليهم المراجعة في المسير فامتنعوا وأغلظوا في الجواب فضرب واحد منهم بشعاب ضربة غير مؤلمة فعمد الى بندقة ورماه برصاصة تعمدها قتله فسلمه الله ثم كروا الى مكة راجعين ولم يبالوا فأرسل خلفهم السيد منصور بن عبد الله الجودي وأمره بتلطفهم ويقول لهم قولا لينا لعله يفيد فلما خاطبهم قالوا له ان ترد لنا مكة فامش معنا ونحن نحاربه الحرب الشديد ثم أخبره الخبر تحير في مروءته ودرو أمر برد الخزانة

(من)

الخيالة في البحر لاحاطة العدو بهم وظلام الدنيا والبعض وقع أسيرا في يد الفرنسيس وملكوا المتاريس وفر مراد بيك ومن معه الى الجيزة فصعد الى قصره وقضى بعض أشغاله في نحو ربع ساعة ثم ركب وذهب الى الجهة القبلية وبقيت القتلى والثياب والأمتعة والاسلحة والفرش ملقاة على الأرض ببر انبابة تحت الأرض وألقى كثير نفسه في البحر ولما انهزم العسكر الغربي حول الفرنسيس المدافع والبنادق على البر الشرقي وضربوها وتحقق اهل البر الآخر الهزيمة فقامت فيهم ضجة عظيمة وركب في الحال ابراهيم بيك والأمراء والعسكر والرعايا وتركوا جميع الأثقال والخيام كما هي لم يأخذوا منها شيأ فأما ابراهيم بيك والأمراء فساروا الى جهة العادلية وأما الرعايا فهاجوا وماجوا ذاهبين الى جهة المدينة ودخلوها أفواجا أفواجا وهم جميعا في غاية الخوف والفزع وترقب الهلاك وهم يضجون بالعويل والنحيب ويبتهلون الى الله تعالى من شر هذا اليوم الصعيب والنساء يصرخن بأعلى أصواتهن من البيوت وقد كان ذلك قبل الغروب فلما استقر ابراهيم بيك بالعادلية أرسل يأخذ حريمه وكذلك من كان معه من الأمراء فأركبوا النساء على الخيول والبغال والحمير والجمال والبعض ماش كالجواري والخدم واستمر معظم الناس طول الليل خارجين من مصر البعض بحريمه والبعض ينجو بنفسه ولا يسئل أحد عن أحد بل كل واحد مشغول بنفسه عن أبيه وابنه فخرج تلك الليلة معظم أهل مصر البعض لبلاد الصعيد والبعض لجهة الشرق وهم الأكثر وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه لايقدر على الحركة ممتثلا للقضاء متوقعا للمكروه وذلك لعدم قدرته وقلة ذات يده وماينفقه على حمل عياله وأطفاله ويصرفه عليهم في الغربة فاستسلم للمقدور ولله عاقبة الأمور والذي أزعج قلوب الناس بالأكثر أن في عشاء تلك الليلة شاع في الناس ان الافرنج عدوا الى بولاق واحرقوها وكذلك الجيزة وان أولهم وصل الى باب الحديد يحرقون ويقتلون ويفجرون بالنساء وكان السبب في هذه الاشاعة ان بعض عسكر مراد بيك الذين كانوا في الغليون لمرسى انبابة لما تحقق الكسرة أضرم النار في الغليون الذي هو فيه وكذلك مراد بيك لما ارتحل من الجيزة أمر بانجرار الغليون الكبير من قبالة قصره ليصحبه معه الى الجهة القبلية فمشوا به قليلا فوقف في الطين لقلة الماء وكان به عدة وافرة من آلات الحرب والجبخانة فأمر بحرقه ايضا فلما صعد لهيب النار من جهة الجيزة وبولاق ظنوا بل أيقنوا أنهم أحرقوا البلدين فهاجوا واضطربوا زيادة عما هم فيه من الفزع والروع والجزع وخرج أعيان الناس وأفندية الوجاقات وأكابرهم ونقيب الأشراف وبعض المشايخ القادرين فلما عاين العامة والرعية ذلك واشتد ضجرهم وخوفهم وتحركت عزائمهم للهرب واللحاق بهم والحال ان الجميع لايدرون أي جهة يسلكون وأي طريق يذهبون وأي محل يستقرون فتلاحقوا وتسابقوا وخرجوا من كل حدب ينسلون وبيع الحمار الأعرج أو البغل الضعيف بأضعاف ثمنه وخرج أكثرهم ماشيا أو حاملا متاعه على رأسه وزوجته حاملة طفلها ومن قدر على مركوب أركب زوجته أو ابنته ومشى هو على أقدامه وخرج غالب النساء ماشيات حاسرات وأطفالهن على أكتافهن يبكين في ظلمة الليل واستمروا على ذلك بطول ليلة الاحد

(ذكر القتال الواقع بين الشريف سرور وقبائل هذيل) وتوجه خلف هذيل بالعساكر والمراجل على خيل وركاب فأدركهم على موقدات صبيحة يوم الجمعة وحصل بينه وبينهم ملحمة من الاشراق الى الغروب وقتل كثيرا منهم وأخذ ما معهم من جمال وبنادق وسلاح ثم طلبوا منه الامان فأعطاهم وقتل في ذلك الحرب من عتيبة الذين معه أحد عشر رجلا وواحد من الاشراف ثم عاد الشريف الى الوادي وأقام به حتى لحقته الخزانة التي أبقاها في خليص ثم رحل الى مكة وأمر القبائل والعربان الذين معه بالانصراف وأخر الغزو على حرب الى سنة أخرى وفي عشرين من ذي القعدة أرسل من بقي من محابيس أهل المدينة الى القنفذة ليكون حبسهم هناك وجاءت الحجوج وكان أمير الحج الشامي محمد باشا ابن العظم الذي كان في السنة التي قبلها وجاء في قوة عظيمة وتوهم الناس منه حصول فتنة لما صار بينه وبين الشريف في العام السابق من كونه لم يقبل شفاعته في فكاك أهل المدينة ولم يحج أكثر

وصبحها وأخذ كل انسان ماقدر على حمله من مال ومتاع فلما خرجوا من أبواب البلد وتوسطوا الفلاة تلقتهم العربان والفلاحون فأخذوا امتاعهم ولباسهم وأحمالهم بحيث لم يتركوا لمن صادفوه مايستر به عورته او يسد جوعته فكان ماأخذته العرب شيأ كثيرا يفوق الحصر بحيث ان الاموال والذخائر التى خرجت من مصر فى تلك الليلة اضعاف مابقى فيها بلاشك لان معظم الاموال عند الامراء والاعيان وحريمهم وقد أخذوه صحبتهم وغالب مساتير الناس وأهل المقدرة أخرجوا أيضا ماعندهم والذى أقعده العجز وكان عنده مايعجز عليه حمله من مال أو مصاغ أعطاه لجاره أو صديقه الراحل ومثل ذلك أمانات وودائع الحجاج من المغاربة والمسافرين فذهب ذلك جميعه وربما قتلوا من قدروا على قتله أودافع عن نفسه ومتاعه وسلبوا ثياب النساء وفضحوهن وهتكوهن وفيهم الخوندات والاعيان فمنهم من رجع عن قريب وهم الذين تأخروا فى الخروج وبلغهم ماحصل للسابقين ومنهم من جاز متكلا على كثرته وعزوته وخفارته فسلم اوعطب وكانت ليلة وصباحها فى غاية الشناعة جرى فيها مالم يتفق مثله فى مصر ولاسمعنا بما شابه بعضه فى تواريخ المتقدمين قال الشاهد فاراء كمن سمعا ولما أصبح يوم الاحد المذكور والمقيمون لايدرون مايفعل بهم ومتوقعون حلول الفرنسيس ووقوع المكروه ورجع الكثير من الفارين وهم فى أسوء حال من العرى والفزع فتبين ان الافرنج لم يعدوا الى البر الشرقى وان الحريق كان فى المراكب المتقدم ذكرها فاجتمع فى الازهر بعض العلماء والمشايخ وتشاوروا فاتفق رأيهم على ان يرسلوا مراسلة الى الافرنج وينتظروا مايكون من جوابهم ففعلوا ذلك وارسلوه صحبة شخص مغربى يعرف لغتهم وآخر صحبته فغابا وعادا وأخبرا انهما قابلا كبير القوم وأعطياه الرسالة فقرأها عليه ترجمانه وافهم ان مضمونها الاستفهام عن قصدهم فقال على لسان الترجمان واين عظماؤكم ومشايخكم لم تأخروا عن الحضور الينا لنرتب لهم مايكون فيه الراحة وطمنهم وبش فى وجوههم فقالا نريد أمانا منكم فقال قد أرسلنا لكم سابقا يعنون الكتاب المذكور فيما تقدم فقالا وأيضا نريد امانا لاجل اطمئنان الناس فكتبوا لهم ورقة أخرى مضمونها انا أرسلنا لكم فى السابق كتابا فيه الكفاية وذكرنا لكم اننا ماحضرنا الا بقصد ازالة المماليك الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار وأخذ مال التجار ومال السلطان ولما حضرنا الى البر الغربى خرجوا الينا فقابلناهم بما يستحقونه وقتلنا بعضهم وأسرنا بعضهم ونحن فى طلبهم حتى لم يبق أحد منهم بالقطر المصرى وأما العلماء والمشايخ وأصحاب المرتبات والرعية فيكونون مطمئنين وفى مساكنهم مرتاحين ونحو ذلك من الكلام ثم قال لهم لابد أن المشايخ والشربجية يأتون الينا لنرتب لهم ديوانا ننتخبه من سبعة أشخاص عقلاء يدبرون الامور ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس وركب الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى وآخرون الى الجيزة فتلقاهم وضحك لهم وقال أنتم المشايخ الكبار فأعلموه ان المشايخ الكبار خافوا وهربوا فقال لاى شئ يهربون اكتبوا لهم بالحضور ونعمل لكم ديوانا لاجل راحتكم وراحة الرعية واجراء الشريعة فكتبوا منه عدة مكاتيب بالحضور والامان ثم انفصلوا من معسكرهم بعد العشاء وحضروا

الناس فنجح الناس فى أمن وسرور وجاءت الامور على خلاف القياس وسافر الحج الشامى على الطريق الشرقى والحج المصرى على طريق الفرع ولم يعط ماهو مرتب لحرب وجهينة وفى سنة ست وتسعين عصى على مولانا الشريف آل على بن سالم وهم بطن من هذيل وقطعوا طريق الطائف وتحصنوا فى جبال شامخة لايمكن الوصول اليهم فيها

(ذكر ابتداء عمارة القلعة التى فى جياد سنة ١١٩٦)

وفى هذه السنة شرع مولانا الشريف عمارة القلعة التى فى جياد بعدان اشترى ماحولها من البيوت وأنفق فى عمارتها مالا كثيرا ثم نقض بعد سنتين كثيرا من بنائها وأعاده على أحسن اتقان وفى ذى القعدة طلب الحبوبين من أهل المدينة من القنفذة وحبسهم فى جدة ثم جاءت الحجوج وحجت بالامن والسلامة الان الحج المصرى فى رجوعه حصل عليه أمطار وسيول أذهبت ثلث الحج وفى سنة سبع وتسعين جاءت صدقة من سلطان الغرب للسادة الاشراف والعلماء وخدمة البيت الحرام وكذا اهل المدينة وكانت هذه الصدقة ذهبا مطبوعا مقدار كل واحد وزن لريال لفضة مضروبا عليها والذين يكنزون الذهب

الى مصر واطمأن برجوعهم الناس وكانوا في وجل وخوف على غيابهم وأصبحوا فأرسلوا الامان الى المشايخ فحضر شيخ السادات والشيخ الشرقاوى والمشايخ ومن انضم اليهم من الناس الفارين من ناحية المطرية وأما عمر افندى نقيب الاشراف فانه لم يطمئن ولم يحضر وكذلك الروزنامجى والافندية وفى ذلك اليوم اجتمعت الجعيدية وأوباش الناس ونهبوا بيت ابراهيم بيك ومراد بيك وأحرقوهما ونهبوا أيضا عدة من بيوت الامراء وأخذوا مافيها من فرش ونحاس وأمتعة وغير ذلك وباعوه بأبخس الاثمان

﴿ ذكر دخول الفرنسيس مصر ﴾

وفى يوم الثلاثاء عدت الفرنساوية الى مصر وسكن بونابارته بيت محمد بيك الالفى بالازبكية الذى أنشأه الامير المذكور فى السنة الماضية وزخرفه وصرف عليه أموالا عظيمة وفرشه بالفرش الفاخرة وعند تمامه وسكناه حصلت هذه الحادثة فادخلوه بل تركوه بمافيه فكأنه انما كان يبنيه لأمير الفرنسيس وكذلك حصل فى بيت حسن كاشف بالناصرية ولما عدى كبيرهم وسكن بالازبكية كما ذكر استمر غالبهم بالبر الآخر ولم يدخل المدينة الا القليل منهم ومشوا فى الاسواق من غير سلاح ولا تعد بل صاروا ايضاحكون الناس ويشترون ما يحتاجون اليه بأغلى ثمن فيأخذ أحدهم الدجاجة ويعطى صاحبها فى ثمنها ريالا فرانسى ويأخذ البيضة بنصف فضة قياسا على أسعار بلادهم وأثمان بضائعهم فلما رأى منهم العامة ذلك أنسوا بهم واطمأنوا لهم وخرجوا اليهم بالكعك وأنواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وأنواع المأكولات وغير ذلك من السكر والصابون والدخان والبن وصاروا يبيعون لهم بما أحبوا من الاسعار وفتح غالب السوقة الحوانيت والقهاوى واطمأن الناس

﴿ ذكر ترتيب ديوان لفصل الخصومات ﴾

وفى يوم الخميس ثالث عشر شهر صفر أرسلوا يطلبون المشايخ والوجاقلية عند قائممقام سرعسكر فلما حضروا تشاور معهم فى تعيين عشرة أنفار من المشايخ للديوان وفصل الحكومات فوقع الاتفاق على الشيخ عبدالله الشرقاوى والشيخ خليل البكرى والشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى والشيخ محمد المهدى والشيخ موسى السرسى والشيخ مصطفى الدمنهورى والشيخ احمد العريشى والشيخ يوسف الشبرخيتى والشيخ محمد الدواخلى وحضر ذلك المجلس أيضا مصطفى كتخدا والقاضى وقلدوا محمد أغا السلمانى اغاة مستحفظات وعلى أغا الشعراوى والى الشرط وحسن اغا أمين احتساب وذلك باشارة أرباب الديوان فانهم كانوا ممتنعين من تقليد المناصب لجنس المماليك فعرفهم ان سوقة مصر لايخافون الا من الاتراك ولا يحكمهم سواهم وهؤلاء المذكورون من بقايا البيوت القديمة الذين لايتجاسرون على الظلم كغيرهم وقلدوا ذالفقار كتخدا بيك كتخدا بونابارته وسأل أرباب الديوان المذكورين عما وقع من النهب للبيوت فقالوا هذا فعل الجعيدية وأوباش الناس فقال لأى شئ يفعلون ذلك وقد أوصيناكم بحفظ البيوت والختم عليها فقالوا هذا أمر لاقدرة لنا على منعه وانما ذلك وظيفة الحكام ثم أمروا بالنداء بالأمان وفتح الدكاكين والاسواق والمنع من النهب فلم يسمعوا ولم ينتهوا

(ذكر سجن أهل المدينة أمين الصرة)

وفى هذه السنة تمرد أمير الحج المصرى عن تسليم معاليم أهل مكة وفعل مثل ذلك مع أهل المدينة فاحتالوا عليه وأدخلوه بيت العشرة وقالوا له ان لم تعطنا أنت مسجون فلما تيقن عدم الخلاص أعطاهم مايملكه من النقود وأبقى رهونا فى الباقى

(ذكر عزل وتولية)

وفى سنة ثمان وتسعين عزل حسن النائبة من شبندارية التجار وتولى أحمد القارى بأربعة آلاف ريال وعزل حسن الرشيدى عن نظارة السوق وتولاها محمد غزواى بثمانية عشر ألف قرش وعزله بعد ثلاثة أشهر وأعيد حسن الرشيدى بمبلغ من المال وتولى درويش بن صالح صبغة بيت المال بشئ من المال ومعه عشرة وجاب من عين سولة وفى سنة تسع وتسعين اتفق ان أمير الحج المصرى ترك الزيارة ولما وصل الى رابغ مال الى نخفوش ثم الى ينبع ولم يعط أهل المدينة ماهو لهم من الصر ولم يتفق ان الحج المصرى ترك الزيارة الا ذلك العام وفى هذا العام قبض مولانا الشريف على الشريف المسمى بالوبير وكان من قطاع الطريق وطال ماركب عليه المرة

واستمر غالب الاسواق والدكاكين معطلة والناس غير مطمئنين وفتح الفرنسيس بعض البيوت المغلوقة التى للامراء ودخلوها وأخذوا منها أشياء وخرجوا منها وتركوها مفتوحة فعند مايخرجون منها يدخلها طائفة الجعيدية يستأصلون مافيها ثم أن عسكرهم صارت تدخل المدينة شيأ فشيأ حتى امتلأت منها الطرقات وسكنوا فى البيوت ولم يشوشوا على الناس ويأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها وبعد أيام طلبوا سلفة خمسمائة الف ريال من التجار فأخذوا فى تحصيلها بعد مراجعتهم فى تخفيفها فلم يفعلوا ونادوا بالامان لنساء الامراء وأمروا كل من عندها شئ من متاع زوجها تأتى به وصالحت زوجة مراد بيك عن نفسها وأتباعها من نساء الامراء بمائة وعشرين ألف ريال واستخرجوا من الخبايا شيأ كثيرا ثم طلبوا من أهل الحرف والاسواق مبلغا من المال يعجزون عنه فاستغاثوا بالمشائخ فتشفعوا عندهم فلطفوها لهم ولما جاء وقت مولد النبى صلى الله عليه وسلم أمروا بصنعه على المعتاد وأعطوا من عندهم اعانة على ذلك ثلاثمائة ريال وصنعوا شنكا ليلة المولد وجائت مراكب الانقليز وحاربت مراكب الفرنسيس وأحرقوا لهم مركبا كبيرا واستمر أياما ثم ذهبوا وأما ابراهيم بيك ومراد بيك فذهبوا الى غزة ثم رجعوا الى جهة الفيوم وفى شهر ربيع الثانى طلبوا من الناس حجج أملاكهم وقيدوها عندهم ووضعوا عليها قدرا من الدراهم وأمروا المشائخ ان يكتبوا للسلطان كتابا مضمونه الثناء عليهم وحسن سيرتهم وانهم من المحبين للسلطان وانهم محترمون للقرآن والاسلام ففعلوا وفى عاشر جمادى الاولى جمعوا الناس وقرروا على الاملاك أموالا زيادة عما كان قبل ذلك وهاج عامة الناس ونادوا الجهاد ووقع قتال قتل فيه خلق كثير ثم صار النداء بالامان ثم تتبعوا كثيرا ممن كان قائما فى تلك الفتنة فقتلوهم وأما كيفية مجالسهم وبقية الترتيب فى نظامات دولتهم فهو طويل لاحاجة لذكره وكذا ماكان يجرى من الحوادث ولما جاءت اخبار دخول الفرنسيس مصر الى الحجاز قام شيخ عالم مغربى بمكة يقال له محمد الجيلانى واستنفر الناس للجهاد فاجتمع معه خلق كثير ووصلوا الى الصعيد وقاتلوا من وجدوه من الفرنسيس ولم يقدروا على استخلاص الاقطار المصرية منهم فقاتلوا حتى قتل أكثرهم ورجع القليل منهم ثم جهز الفرنسيس جيشا لمحاربة أحمد باشا الجزار فى عكا فملكوا كثيرا من قرى الشام وحاصروا احمد باشا فى عكا ثم عجزوا عن أخذها فارتحلوا عنها وأجروا عمل مايعتاده أهل مصر من مولد السيد أحمد البدوى وغيره على حسب المعتاد وكذا اخراج المحمل والحج وحصل بينهم وبين أهل الارياف محاربات كثيرة حتى ملكوهم كلهم وصاروا يتبعون الامراء من المماليك ويقتلون من ظفروا به وحضرت مراكب الى السويس فيها أموال وبضائع للشريف غالب فسمحوا عن عشورها وحصل بينه وبينهم مكاتبات ومهادات بهدايا عندهم ووضعوا الشيخ العريشى قاضيا للمسلمين يحكم بالشرع وتوجه بانوبرته الى بلاد الفرنسيس سنة اربع عشرة وجعل سارى عسكرهم نائبا عنه بمصر ثم ترقى بانوبرته حتى صار ملكا على كافة الفرنسيس وفى شهر رجب من سنة أربع عشرة جاء جيش من السلطان سليم يقوده يوسف باشا ومعه نصوح باشا جعلوه واليا على مصر وهو الذى يقال له أيضا ناصف باشا وساروا من جهة الشام حتى وصلوا الى العريش

بعد المرة فلم يظفر به وفى هذه المرة ركب عليه وقبضه فى المضيق وأخذ مراحه ومواشيه وأودعه السجن

(ذكر موت الوزير ريحان وماله من خيرات بين مكة والطائف وجدة سنة ١٢٠٠)

وفى سنة ألف ومائتين توفى الوزير ريحان فى الثامن والعشرين من رمضان وله كثير من الخيرات منها انه بنى مسجدا ببندر جدة ووقف عليه أوقافا تجرى منها مصالحه وعمر بالطائف مسجدا ووقف عليه بستانا فى وادى لية يقال له ليلاة ووقف عليه دارا بمكة فى خندريسة على قارعة الطريق مركبا على القناة التى تجاه دكة لرقيق نص على ذلك الشيخ عبد الله عبد الشكور فى تاريخه ثم قال وبنى بمكة زاوية بأول سوق أجياد وهى زاوية الحداد وهى فى الحقيقة مسجد بمصلاه وبيت من بيوت الله ووقف عليها جملة من الكتب النافعة

(ذكر انشاء بناء بيت عرفة سنة ١٣٠٠)

وفى شهر ذى القعدة أرسل مولانا الشريف ستين من المعلمين غير أتباعهم الى عرفة فبنوا له بيتا ولم يسبق لغيره بناء بيت فى عرفة

وفى هذه السنة كان أمير الحاج الشامى أحمد باشا الجزار وكان ظالما غشوما وكان تارة يدعى انه شريف

(فاستعد)

فاستعد الفرنسيس لقتالهم وخرج بجنوده الى الصالحية ثم توسط الانقليز فى الصلح على شروط كثيرة منها أن الفرنسيس يتنحى عن الديار المصرية بعد ثلاثة أشهر ففى تلك المدة صار الناس يحتقرونهم ويسخرون بهم ويقول بعضهم لبعض سنة مباركة ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة كل ذلك بمشاهدة الفرنسيس وهم يحقدون ذلك عليهم وكشف همج الناس نقاب الحياء معهم بالكلية وتطاولوا عليهم بالسب واللعن والسخرية ولم يفكروا فى عواقب الامور حتى أن فقهاء الاطفال كانوا يجمعون الاطفال ويمشون فرقا وطوائف وهم يجهرون ويقولون كلاما مقفى بأعلى اصواتهم بلعن النصارى وأعوانهم وافراد رؤسائهم كقولهم ينصر الله السلطان ويهلك فرط الرمان ولم يملكوا لانفسهم صبرا حتى تنقضى الايام المشروطة على أن ذلك لم يثمر الا الحقد والعداوة التى تأسست فى قلوب الفرنسيس وأخذ الفرنساوية فى أهبة الرحيل وشرعوا فى بيع أمتعتهم ومافضل من سلاحهم ودوابهم وسلموا غالب الثغور والقلاع كالصالحية وبلبيس ودمياط والسويس ثم ان العثمانيين تدرجوا فى دخول مصر وصار كل يوم يدخل منهم جماعة بعد جماعة ووصل الوزير يوسف باشا الى بلبيس والتحق بالامراء المصريين وأخلى الفرنساوية قلعة الجبل وباقى القلاع التى أحدثوها ونزلوا منها فلم يطلع اليها احد من العثمانيين وطلع كثير من العلماء والتجار للسلام على الوزير فى مدينة بلبيس فى رمضان فقابلوه وقابلوا الى مصر نصوح باشا وخلع عليهم خلعا وانصرفوا ثم فى شهر شوال وقعت حادثة كانت سببا للنقض وذلك ان جماعة من عسكر العثمانيين تشاجروا مع جماعة من عسكر الفرنسيس فقتل بينهم شخص فرنساوى فثار من ذلك فتنة ثم قتلوا ستة أنفار كانوا سبب الفتنة فسكنت لكن لم تطب نفوس الفرنسيس ثم ان الفرنساوية طلبوا ثمانية ايام مهلة زيادة على المهلة السابقة لاقرب تمامها فأعطوهم مهلة الثمانية ايام ونصبوا وجاق عسكرهم وخيامهم بساحل البحر متصلا بأطراف مصر ممتدا الى شبرا وترددوا الى القلاع وهى لم يكن بها أحد وشرعوا باجتهاد فى رد الجبخانة والذخيرة وآلات الحرب والبارود والقلل والمدافع واجتهدوا فى ذلك ليلا ونهارا والناس يتعجبون من ذلك وأشيع ان الوزير اتفق مع الانقليز على الاحاطة بالفرنساوية اذا صاروا بظاهر البحر وكان الفرنساوية عند ما تراسلوا وترددوا الى جهة العرضى تفرسوا فى عرضى العثمانيين وعسكرهم وأوضاعهم وتحققوا احالهم فعلموا ضعفهم عن مقاومتهم فلما حصل ماذكر تأهبوا للمقاومة ونقض الصلح والمحاربة وردوا آلاتهم الى القلاع فلما تموا أمر ذلك وحصنوا الجهات وأبقوا من أبقوه بها من عساكرهم خرجوا بأجمعهم الى ظاهر المدينة جهة قبة النصر والتشروا فى تلك النواحى ولم يبق منهم بالمدينة الا من كان بداخل القلاع وأشخاص ببيت الالفى وبعض بيوت الازبكية وغلب على ظن الناس انهم برزوا للرحيل فلما كان يوم الثالث والعشرين من شوال ركب صارى عسكرهم قبل طلوع الفجر بعساكره وصحبتهم المدافع وآلات الحرب وقسم عساكره طوابير فمنهم من توجه الى عرضى الوزير ومنهم من مال على جهة المطرية فضربوا عليهم بالمدافع فلم يسعهم الا الجلاء والفرار وتركوا خيامهم ووطاقهم وركب نصوح باشا ومن كان معه وطلعوا جهة مصر فتركهم الفرنساوية ولحقوا بالذاهبين الى جهة العرضى بعد ان نهبوا

من الجانبين وتارة يدعى انه المهدى المنتظر ولم يحصل فى الحج فى هذه السنة لله الحمد خلاف الا ان أمير الحج المصرى وهو راجع وقع منه أمر عجيب نشأ منه مصيبة أى مصيبة وذلك أنه لما وصل الى خليص قبض على بعض اللصوص من حرب فشفع فيهم شيوخ حرب فأبى ان يطلقهم حتى يسمهم بالنار ليعرفوا من بين الناس فأحمى المحاوير وكواهم على الخدود وأطلقهم فصرخ صارخهم وتلاحقوا بعد اجتماعهم وأدركوه بموضع يقال له قونزة وأرسلوا له يقولون ان أردت السلامة فاجعل مقررات لمن جعلت فى خدودهم العلامة فامتنع فصاحت الاعراب واجتمعت وجاءت على الحج حملة واحدة فظهر عليه الذل والانكسار ففر ومعه تجريدة من الخيل وجعل يطردها بالنهار والليل حتى دخل المدينة وترك الحجاج فى تلك الفجاج واستولى عليهم العربان قتلا ونهبا واستأصلوهم عن آخرهم وما سمع ولا رؤى ان حجا استؤصل الا هذا العام

(ذكر التجهيز الثانى لقتال حرب سنة ١٢٠١)

وفى سنة الف ومائتين واحدة عزم مولانا الشريف على التجهيز لقتال قبائل حرب الا انه كتم الامر وأرسل فى شهر جمادى الاولى لطلب

ماتى عرضى ناصف باشا من المتاع والاغنام وسمروا أفواه المدافع التى لنصوح باشا وهو ناصف باشا وتركوها وساروا الى جهة العرضى فلما قاربوه أرسلوا للوزير يأمرونه بالرحيل بعد أربع ساعات فلم يسعه الا الارتحال والفرانساوية فى أثره وعساكره متفرقون ومنتشرون فى البلاد والقرى والنواحى لجمع المال وظلم الفقراء وأما أهل مصر فانهم لما سمعوا صوت المدافع كثر فيهم اللغط والقيل والقال ولم يدركوا حقيقة الحال فهاجوا وركبوا الى أطراف البلد وخرج نقيب الاشراف وتبعه كثير من العامة وتجمعوا على تلول خارج باب النصر وبأيدى الكثير منهم النبابيت والعصى والقليل معه السلاح وتحزب كثير من طوائف العامة والاوباش والحشرات وجعلوا يطوفون بالازقة ولهم صياح بكلمات يقفونها من اختراعاتهم وخرافاتهم وقاموا على ساق ثم خرج الكثير منهم الى خارج البلد بتلك الصورة فلما تضحى النهار حضر بعض الاجناد المصريين ودخلوا مصر وفيهم الجاريح وطفق الناس يسألونهم فلم يخبروهم لجهلهم أيضا حقيقة الحال ثم لم يزل الحال كذلك الى العصر فوصل جمع عظيم من العامة ممن كان خارج البلد ولهم صياح وخلفهم ابراهيم بيك ثم بقية الامراء ثم نصوح باشا ومعه عدة وافرة من العساكر والسيد عمر نقيب الاشراف وصار نصوح باشا يقول للعامة اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم فعند ما سمعوا قوله هاجوا وماجوا ورفعوا أصواتهم ومروا مسرعين يقتلون من يصادفونه من نصارى القبط والشوام وغيرهم وساروا الى حارات النصارى يقتلون ويأسرون وينهبون فتحزبت النصارى واحترسوا وجمعوا كل ماقدروا عليه من الفرنساوية والاروام فوقع الحرب بين الفريقين وصارت النصارى ترمى من طاقات البيوت على المجتمعين بالازقة من العامة والعسكر يحامون على انفسهم والآخرون يرمون من أسفل ويكبسون البيوت ويتسورون عليها فلما أصبح الصباح أرسلوا الى المطرية وأحضروا منها ثلاثة مدافع فوجدوها مسدودة فعالجوها حتى فتحوها وأمر الباشا بجر المدافع الى الازبكية وضربوا منها على بيت الالفى وكان به أشخاص مرابطون من عساكر الفرنساوية فضربوهم أيضا بالمدافع والبنادق واستمر الحرب بين الفريقين الى آخر النهار فسكن الحرب وباتوا ينادون بالسهر وفى هذا اليوم وضع أهل مصر والعسكر متاريس بالاطراف كلها وشرعوا فى بناء جهات السور واجتهدوا فى تحصين البلد بقدر الطاقة وبات الناس فى هذه الليلة خلف المتاريس فلما أظلم الليل أطلق الفرنساوية المدافع والبنب على البلد من القلاع ووالوا الضرب فأجمع رأى الكبراء والرؤساء على الخروج من البلد فى تلك الليلة لعجزهم عن المقاومة وعدم آلات الحرب وعزة الاقوات لان غالب قوت أهلها يجلب من قراها كل يوم بيوم وربما امتنع وصول ذلك اذا تجسمت الفتنة فاتفقوا على الخروج بالليل وتسامع الناس بذلك فتجهز المعظم للخروج وغصت الطرق بالازدحام عند الخروج وازدحم الناس بالحمير والبغال والخيول والهجن والجمال وركب الناس بعضهم بعضا ووقع للناس فى هذه الليلة من الكرب والمشقة والخوف مالا يوصف وأناس من أهل خان الخليلى جؤا الى الجمالية وشنعوا على من يريد الخروج وأغلقوا باب النصر وبات فى تلك الليلة معظم الناس على مساطب الحوانيت وأزقة الحارات

حضروا أخبرهم أنه يريد قبائل حرب ووقع أيام اجتماعهم قتال بين عتيبة وهذيل ولم يمسكوا عن القتال حتى ركب على هذيل بنفسه وقرعهم وأمرهم بالنزول على الجبال فأطاعوه وقتل من كل الطائفتين أناس لم يعلم عددهم ولما تكاملت الجنود خرج الى الزاهر مولانا الشريف يوم الثالث عشر من رجب وأخرج العساكر والجنود والمدافع وجميع المهمات وكانت القبائل عددا كثيرا من جملتهم قبائل الشرق بلغ عددهم تسعة آلاف ومعهم مائتان من الخيل وتوجه منه يوم الحادى والعشرين من الشهر المذكور ولم يزل سائرا الى ان وصل الى مستورة فأرسل غزية على جبل صبح فغنموا مواشى أهل تلك الديرة ورجعوا وأما طائفة عتيبة فانهم كانوا وصلوا بدرا ينهبونه قبل وصول العسكر فأقام أياما على مستورة وأمر على عتيبة أن يقيموا بعيدا عن الجيش بسويعات فى محل مرتفع يقال له الحديبة وأما حرب فقد تجمعوا من كل جهة

كانوا نازلين بها مصممين على قتاله حتى وصلهم فاستبطؤه وطالت اقامتهم وانتظارهم اياه فظنوا أنه (فلما)

اتماتأخر حتى طالت المدة خوفا منهم وخطر بالهمان يدهموه فى محله فيظفروا به ويخزانه

فلما أصبح يوم السبت تهيأ كبراء العساكر والعساكر ومعظم أهل مصر ماعدا الضعيف الذى لاقوة له على الحرب وذهب المعظم الى جهة الازبكية وسكن الكثير فى البيوت الخالية والبعض خلف المتاريس وأخذوا عدة مدافع زيادة عن الثلاثة المتقدمة وأحضروا من حوانيت العطارين من المثقلات التى يزنون بها البضايع من حديد واحجار استعملوها عوضا عن القلل للمدافع وصاروا يضربون بها بيت سارى عسكر بالازبكية ثم فرقوا الناس فى اطراف البلد والمتاريس للاحتراس وكان كل من قبض على نصرانى أو يهودى أو فرنساوى ذهب به الى كتخدا واخذ البقشيش فيحبس البعض ويقتل البعض وأحضروا الحدادين لانشاء مدافع وجعلوا معملا لعمل البارود والقلل وغير ذلك من المهمات واهتموا لذلك اهتماما زائدا وأنفقوا أموالا جمة واما الفرنساوية فانهم تحصنوا بالقلاع المحيطة بالبلد وبيت الالفى وما والاه وأما الوزير فانه لما ارتحل بالعرضى ووصل الى الصالحية تكلموا معه فى الرجوع فاعتذر بعدم الاستعداد ثم ساروا الى الشام فرجع طائفة من عسكر الفرنساوية الذين ساروا خلف الوزير الى أصحابهم الذين بمصر نجدة لهم فقويت بهم نفوسهم ووقف جملة منهم بباب النصر ومنعوا الداخل والخارج وذلك كله بعد مضى ثمانية ايام من ابتداء الحركة وقطعوا الجالب الى البلد وأحاطوا بها احاطة السوار بالمعصم فعظم الكرب واكثروا من الرمى بالمدافع على البيوت من القلاع وعدمت الاقوات وارتفعت الاسعار وهلكت البهائم وتهدمت البيوت وكثر صريخ النساء والصغار وفى كل ساعة تهجم الفرنساوية الذين هم خارج البلد على جهة من جهات مصر ويملكون بعض المتاريس واستمر الحال الى عشرة ايام فرددوا الرسل للصلح فقال الفرنساوية لابد من خروج العثمانية من مصر ونعطيهم مايحتاجون من المؤنة حتى يصلوا الى جماعاتهم وخرج اليهم الشيخ الشرقاوى والمهدى والسرسى والفيومى وغيرهم وتمموا الصلح على ذلك فلما رجع المشايخ بهذا الكلام وسمعه عساكر الانكشارية العثمانية وسائر الناس قاموا على المشايخ وسبوهم وضربوا الشيخ الشرقاوى والسرسى ورموا عمائمهم وأسمعوهم قبيح الكلام وصاروا يقولون هؤلاء المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ومرادهم خذلان المسلمين وأنهم أخذوا دراهم من الفرنسيس وتكلم السفلة والغوغا بكثير من الفضول فأرسلوا للفرنسيس ان الباشا والعساكر والناس لم يرتضوا بالصلح ثم جاء مطر شديد وتوحلت جميع السكك فاشتغل الناس بتخفيف المياه والاوحال فاغتنم الفرصة الفرنسيس وهجموا على مصر وبولاق من كل ناحية وعملوا فتائل بالزيت والقطران وكعكات غليظة ملوية معمولة بالنفط ملوية على اعناقها مشربة بقطرات تشعل وتقوى لهبها وتابعوا رمى المدافع والبنبات من القلاع وصاروا يهجمون وأمامهم المدافع وخلفهم بواردية يرمون بالبندق المتتابع وطائفة بأيديهم الفتائل والكعكات المشتعلة بالنيران يلهبون بها السقائف والحوانيت وشبابيك الدور ويزحفون على هذه الصورة شيأ فشيأ والمسلمون بذلوا جهدهم وقاتلوا بشدة وزلزلوا زلزالا شديدا وصرخت النساء والصبيان ونطوا من الحيطان والنيران تأخذهم من كل جهة والامطار متوالية بالليل والنهار ومثل ذلك كان فى بولاق بل زيادة عن ذلك لانهم فى آخر الامر قتلوهم وحرقوا بلادهم

خزكم داعى الغى والهوى فأقبلوا من مواضعهم على عتيبة أولالكونهم بعيدا عن بقية الجيش وأرادوا استئصالهم فأحاطوا بهم من كل مكان فاقتتلوا معهم وفات من كل الفريقين من دنا أجله فعند ذلك صاح مستنجدهم بالشريف فنهض كما ينهض الاسد واستنجد الكماة من بنى عمه السادة الاشراف وكل من معه فى ذلك النادى من العسكر والبوادى وفرغ لهم الذهب الاصفر فرموا أنفسهم فى الموت الاحمر فلما رأوا عيون القوم قال كل من قطع رأسا فله خمسة من المشاخصة فتتابعوا للقتال كأنهم نشطوا من عقال فلم يكن الا كلمح البصر الا والرؤس بين يديه كالتلول وقتلوا فيهم القتل الشنيع فلما رأى كثرة القتل فيهم أخذته الشفقة فقال الربط منهم أولى ونادى المربوط دون المقتول فما وقع عليه القول فأخذوا الحبال وصاروا يربطون فيهم ويأتون بهم كالغنم فربطوا ماينوف عن الخمسمائة وهرب منهم من بقى أجله وكتب الله له السلامة من الربط وبعد فراغ القتال جعل يستعرض المربوطين ويسألهم عن أسمائهم ومن أى القبائل هم ويأمر بوضعهم فى الاغلال والسلاسل وجاءت البشائر

وأخذوا أموالهم وسبوا حريمهم وذراريهم والحاصل ان هذه الفتنة قد شاهد الناس فيها
من الهول مايشيب منه النواصي وصارت القتلى مطروحة في الطرقات والأزقة واحترقت
الأبنية والدور والقصور وهرب كثير من الناس عندما أيقنوا بالخذلان فنجوا بأنفسهم
الى الجهة القبلية ثم أحاطوا بالبلد واستولوا على الخانات والوكالات والحواصل والبضائع
والودائع وملكوا الدور ومابها من الأمتعة والأموال والنساء والخوندات والصبيان
والبنات ومخازن الغلال ومالاتسعه السطور ولايحيط به كتاب ولامنشور وكان جماعة
من المسلمين في هذه الفتنة يداهنون الفرنسيس وأخذوا منهم أمانا وهم مع المسلمين فاطلع المسلمون
عليهم فآذوهم وعذبوهم بأنواع العذاب وقتلوا بعضهم واتهموا الشيخ البكري بموالاة
الفرنسيس وأنه يرسل اليهم الأطعمة فهجم عليه طائفة من العسكر مع بعض أوباش العامة
فنهبوا داره وسحبوه مع أولاده وحريمه وأحضروه الى الجمالية وهو ماش على أقدامه
ورأسه مكشوفة وحصلت له اهانة بالغة وسمع من العامة كلاما مؤلما وشتما فلما مثلوه بين
يدي الكتخدا أهاله ذلك واغتم غما شديدا ووعده بخير وطيب خاطره وأخذه أحمد بن محمود
محرم التاجر مع حريمه الى داره وأكرمهم وكساهم وأقاموا عنده حتى انقضت الفتنة وكان
جماعة من الأمراء والرؤساء يذهبون ويجيئون من الفرنسيس الى المسلمين ومن المسلمين اليهم
يسعون في الصلح بين الفريقين واستمر الحال الى السادس والعشرين من الشهر حتى هلكت
الناس وتمنوا دخول الفرنسيس وخروج العثمانيين ثم تم الصلح على وقف الحرب وخروج
العثمانيين بعد مهلة ثلاثة أيام ثم خرجوا وارتحلوا وزودهم الفرنسيس وأعطوهم دراهم
وجمالا وغير ذلك وخرج أيضا ابراهيم بك وأمراؤه ومماليكه وخرج معهم بعض الرؤساء منهم
نقيب الأشراف والمحروقي رئيس التجار سنة ١٢١٥ وأما مراد بك فكان بالصعيد وكان
قد انعقد بينه وبين الفرنسيس صلح ومهادنة وكانت مدة الحرب والحصر بالثلاثة لأيام
الهدنة سبعة وثلاثين يوما وقع فيها من الحروب والكروب وعظائم الامور مالايحيط به الا الله
تعالى ودخل الفرنسيس مصر وضبطوها في أوائل ذي الحجة سنة خمس عشرة وأمنوا الناس
واستولوا على ماكان اصطنعه العثمانيون وأعدوه من المدافع والقنابر والبارود وآلات الحرب
وركب المشايخ في عصر ذلك اليوم وذهبوا الى كبير الفرنسيس فلما جلسوا أبرزلهم ورقة
مكتوب فيها الحمد لله الذي يريد أن المنصور يعامل بالشفقة والرحمة مع الناس وبناء على
ذلك يريد سر عسكر أن يتم بالعفو العام على أهل مصر ولو كانوا يخالطون العثمانيين
في الحروب ويأمرهم أن يشتغلوا بمعاشهم وحضاهم ثم نبه عليهم بالحضور الى قبة النصر
بكرة تاريخه ثم قاموا من عنده وشقوا المدينة وطافوا بالأسواق وبين أيديهم المناداة للرعية
بالاطمئنان والأمان فلما كان الغد ذهبوا الى قبة النصر وصنع لهم سماطا عظيما ضيافة وزينت
البلاد ثلاثة أيام ثم بعد أيام أمرهم بالحضور بدار الأزبكية فلما وصلوا جلسوا حصة طويلة
في الديوان الخارج ثم أدخلوا وجلسوا حصة فخرج اليهم سر عسكر وصحبته ترجمانه وجماعة
من أعيانهم فوضع له كرسي في وسط المجلس وجلس عليه ووقف الترجمان فكلمهم سر عسكر
بكلام طويل بلسانهم فالتفت الترجمان وأخبرهم بما قاله سر عسكر وملخص ذلك القول ان

الى مكة فزينت البلاد ونصبت أعلام النصر ودق الزير وبعد أيام جاءت المرابيط الى جدة في الزعائم
مصفدين وكبكبوا في الحبس
أجمعين ثم توجه مولانا
الشريف الى الفرع وملكه
بغير قتال وهرب أهله
فحرق بعض الدور وقطع
النخل ثم جاؤه يهرعون
اليه طالبين العفو والسماح
فعفا عنهم ثم رجع مستورة
ثم توجه الى بدر فلقيه أهلها
ذليلين طائعين فأعطاهم
الامان ثم ارتحل الى ينبع
النخل ثم الى السويق
وطلب أهله الامان
فأعطاهم ووقع هناك من
بعض أتباعه مع بعض
أهل السويق خصومة
آلت الى القتال فلما علم
بذلك كف أتباعه حتى جعل
يضربهم بالسيف فسكن الامر
بعد أن قتل من الطرفين
وقبض على سبعين ظهر له
عصيانهم وأرسلهم
في الحديد مصفدين ثم
ارتحل الى بدر ومنه الى
الخيف فوجد أهله
متترسين على رؤس الجبال
وقد جعلوا اردما بين جبلين
صيروه كالسد تمنعه من
العبور فأمر بهدمه وحرق
بعض الدور وقبض على
عشرين منهم وجعلهم
في الحديد ثم أرسل بشيرا
آخر الى مكة بهذا الفتح
الجديد وطلب مفتي مكة
الشيخ عبد الملك القلعي ليعوز بالزيارة لقبر النبي صلى الله عليه وسلم فامتثل أمره وتوجه وكان حول

سر عسكر يقول انالما حضرنا الى بلدكم هذه نظرنا أن أهل العلم هم أعقل الناس والناس بهم يقتدون ولأمرهم يمتثلون ثم انكم أظهرتم لنا المحبة والمودة وصدقنا ظاهر حالكم فاصطفيناكم وميزناكم على غيركم واخترناكم لتدبير الأمور وصلاح الجمهور ورتبنا لكم الديوان وغمرناكم بالاحسان وخفضنا لكم جناح الطاعة وجعلناكم مسموعين القول مقبولين الشفاعة وأوهمتمونا ان الرعية لكم ينقادون ولأمركم ونهيكم يرجعون فلما حضر العثملى فرحتم لقدومهم وقمتم لنصرتهم وثبت عند ذلك نفاقكم لنا فقالوا له نحن ماقمنا مع العثملى الا عن أمركم لأنكم عرفتمونا انكم ونحن فى حكم العثملى ان البلاد والأموال صارت له وخصوصا وهو سلطاننا القديم وسلطان المسلمين وما شعرنا الا بحدوث هذا الحادث بينكم وبينهم على حين غفلة ووجدنا أنفسنا فى وسطهم فلم يمكن التخلف عنهم فقال لهم لأى شئ لم تمنعوا الرعية عما فعلوا من قيامهم ومحاربتهم فقالوا لا يمكننا ذلك خصوصا وقد تقووا علينا بغيرنا وسمعتم مافعلوه معنا من ضربنا واهانتنا عندما أشرنا عليهم بالصلح فقال لهم واذا كنتم لا يمكنكم تسكين الفتنة فما فائدة رياستكم وأى شئ يكون نفعكم وحينئذ لا يأتينا منكم الا الضرر لأنكم اذا حضر أخصامنا قمتم معهم وكنتم واياهم علينا واذا ذهبوا رجعتم الينا معتذرين فكان جزاؤكم القتل وحرق البلاد وسبى الحريم والأولاد كما فعلنا بأهل بولاق ولكن حيث أعطيناكم الأمان فلا ننقض أماننا ولا نقتلكم وانما نأخذ منكم الأموال فالمطلوب منكم عشرة آلاف ألف ألف فرنك عن كل فرنك ثمانية وعشرون فضة يكون فيها ألفا ألف فرانسه عنها خمس عشرة خزنة رومى ثلاث عشرة خزنة مصرى منها خمسمائة ألف فرانسه على مائتين على شيخ السادات خاصة من ذلك خمسمائة وخمسة وثلاثون ألفا وعلى الشيخ الجوهرى خمسون ألفا وعلى أخيه الشيخ فتوح خمسون ألفا وعلى الشيخ مصطفى الصاوى خمسون ألفا وعلى الشيخ العنانى مائتان وخمسون ألفا جعلوا ذلك عليه وعلى الفارين مع العثملى مثل السيد عمر مكرم نقيب الأشراف والمحروقى ومابقى من المبلغ المطلوب تقررونه وتوزعونه على أهل البلد وتتركون عندنا منكم خمسة عشر شخصا انظروا من يكون منكم عندنا رهينة حتى توفوا ذلك المبلغ وقام من كرسيه من فوره ودخل مع أصحابه الى داخل وأغلق بينه وبينهم الباب ووقفت الحرسية على الباب الآخر يمنعون من يخرج من الجالسين فبهت الجماعة وانتقعت وجوههم ونظروا الى بعضهم وتحيرت أفكارهم ولم يخرج عن هذا الأمر الا البكرى والمهدى لكون البكرى حصل له ماحصل فى صحائفهم والمهدى كان يداهنهم وحرق بيته بمرئ منهم ولم يكن فيه الا الحصر لأنه كان قد نقل مافيه بداره التى فى الخرنفشى ولم تزل الجماعة فى حيرتهم وسكرتهم وتمنى كل واحد منهم أنه لم يكن شيأ مذكورا ولم يزالوا على ذلك الحال الى قريب العصر حتى بال أكثرهم على ثيابه وبعضهم شرشر ببوله من شباك المكان وصاروا يدخلون على نصارى القبط ويقعون فى عرضهم فالذى كان معهم ولم يكن معدودا من الرؤساء خرجوه فخرجوا مسرعين حتى ان بعضهم ترك مداسه وخرج حافيا وما صدق بخلاص نفسه هذا والنصارى والمهدى يتشاورون فى تقسيم ذلك وتوزيعه وتدبيره وترتيبه فى قوائم حتى وزعوها على أصحاب الحرف وأهل البيع والشراء وجميع الناس حتى

مولانا الشريف سرور المدينة فى السابع عشر من شوال فتلقاه أهل المدينة بالتعظيم والاجلال وأقام هنالك الى وصول الحج الشامى ولا تعرض أهل المدينة بنقض ولا حل ولا تولية ولا عزل ثم توجه من المدينة بعد خروج الحج منها بيوم ودخل مكة فى أوائل شهر ذى الحجة بمن معه من القوم ودخلت الحجوج سادس ذى الحجة وحج الناس فى أمن وسرور وورد فى هذه السنة صدقة لأهل مكة من الهند وقدرها أربعة وعشرون ألف مشخص وصدقة اخرى من سلطان الغرب وصدقة ثالثة من محمد على خان من الهند أيضا وفرقت جميع الصدقات وانتفع منها الكبير والصغير والغنى والفقير

(ذكر ختان أولاد الشريف سرور سنة ١٢٠٢)

ثم دخلت سنة ألف ومائتين واثنتين فعزم مولانا الشريف على ختان أولاده وأولاد أخيه باقامة فرح عظيم فأمر بالتهيؤ والاستعداد لذلك وكان ابتداء ذلك الختان والفرح فى اليوم العاشر من ربيع الاول من العام المذكور وتم فى ذلك الفرح ما لم يسبق مثله فألبس الملابس الفاخرة لكل من حضر الختان ونثر من الذهب والفضة أعظم لنثار وعرض عليه هل الحارات وأنعم عليهم بالملابس والعطايا

القريدانية جعلوا على كل طائفة مبلغا له صورة مثل ثلاثين ألف فرانسه وأربعين ألفا وجعلوا
على أجرة الأملاك والعقار أجرة سنة كاملة ثم استأذنوا للمشايخ الخالص منهم الذي ليس
عليه شئ يتوجه حيث أراد والمشبوك يلازمه جماعة من العسكر حتى يؤدي المطلوب منه
وأما الصاوي وفتوح والجوهري فحبسوهم ببيت قائم مقام والعنانى هرب فلم يجدوه وداره
أحرقت فأضافوا غرامته على غرامة شيخ السادات وانفض المجلس على ذلك وركب صاري
عسكر من يومه ذلك وذهب الى الجيزة ووكل يعقوب القبطي يفعل في المسلمين مايشاء ونزل
شيخ السادات وركب الى داره فذهب معه عشرة من العسكر وجلسوا على باب داره فلما
كان حصة من الليل حضر اليه مقدار عشرة من العسكر أيضا وأركبوه وطلعوا به الى
القلعة وحبسوه في مكان ثم تشفع له الناس وكفلوه لينزل الى داره ويحصل لهم المطلوب
منه فتحصل عنده من الدراهم ستة آلاف ريال وقوموا ماوجدوه من المصاغ والفراوي
والملابس فبلغ خمسة عشر ألف ريال فكان الجميع احدا وعشرين ألف ريال ثم صاروا
يفتشون داره ويحفرون الأرض الخبايا حتى فتحوا الكنف فلم يجدوا شيئا ثم نقلوه
الى بيت قائم مقام وضربوه وأهانوه وأودعوا زوجته وابنه عند أغاة الانكشارية ثم ان
المشايخ وهم الشيخ الشرقاوي والأمير والمهدي وغيرهم تشفعوا في نقل الزوجة الى بيت
الفيومي ثم وقعت المراجعة والشفاعة في غرامة الشيخ فتوح والصاوي فجعلوا على كل
واحد خمسة عشر الف ريال وردوا الباقي على الفردة العامة وأما الجوهري فاختفى
فلم يجدوه فنهبوا داره ثم وكلوا بالفردة العامة يعقوب القبطي وأعطوه عسكرا لتحصيلها
ودهى الناس بهذه النازلة التي لايصابون بمثلها وفرغت الدراهم من عند الناس وباعوا أمتعتهم
وجميع ماعندهم ولم يجدوا من يشتري الأثاث والفرش والملبوس بأبخس الاثمان ودفعوا
لهم ايضا جميع مايملكون من البغال والخيل والحمير ومنعوا المسلمين من ركوبها سوى خمسة
أنفار وهم الشرقاوي والمهدي والأمير والفيومي وابن محرم وتطاولت النصارى
من الشوام والقبط على المسلمين بالضرب والسب وفي كل وقت يشتد الطلب وتنبث المعينون
والعسكر في طلب الناس وهجم الدور وجرجرت الناس حتى النساء من اكابر وأصاغر
وبهدلهم وحبسهم وضربهم والذي لم يجدوه لكونه فر وهرب يقبضون على قريبه او حريمه
أو ينهبون داره فان لم يجدوا شيأ ردوا غرامته على أبناء جنسه وأهل حرفته ونالوا من الناس
أغراضهم وأظهروا حقدهم وصاروا يصرخون بانقضاء ملة الاسلام وأيام الموحدين هذا
والكتبة والمهندسون والبناؤن يطوفون ويحررون اجرة الاملاك والعقارات والوكائل
والحمامات ويكتبون أسماء أربابها وقيمها وخرج كثير من الناس من المدينة وأجلوا عنها
وهربوا الى القرى والارياف واستمرت الحوانيت مقفولة والعقول مخبولة والمصائب عميمة
والمطالب عظيمة والامر عظيم والخطب جسيم ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم وكذلك
أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد واستمر شيخ السادات محبوسا الى
غاية شهر صفر من سنة خمس عشرة فأفرجوا عنه ونزل الى بيته بعد ان غلق الذي عليه
واستولوا على حصصه وأقطاعه وقطعوا مرتباته وكذلك جهات حريمه والحصص

الجزيلة ومن بعد صلاة المغرب ينتصب الديوان بالعساكر والنوبة تضرب وعرض عليه السادة
الاشراف فألبسهم الملابس
الفاخرة وأعطاهم من
العطايا ماتقر به العين
وكذا حضر كثير من
أهل البادية وعرضوا
عليه وأنعم عليهم بالملابس
والعطايا وأولم للسادة
الاشراف والعلماء واعيان
الناس وليمة منظمة وضع
فيها أنفس المآكل وخيار
الاطعمة ثم أولم لبقية
الناس ولائم متعددة
وأولم أيضا لعساكره
وأشياعه وعبيده وأتباعه
ثم أطلق في الولائم
ولم يخص أحدا فما
بقي أحد الا وحضر
تلك الولائم واستمر هذا
الفرح من عشرة من ربيع
الى السابع والعشرين
منه وفي السابع والعشرين
أمر جميع عساكره وخيالته
أن يحضروا وأرباب دولته
وامارته وأمرهم أن
يطوفوا بأكناف البلاد
في موكب عظيم وألاي منتظم
فخرجوا بأفخر الملابس
ركبانا على الخيول المسومة
مصطفين كل أربعة خلف
أربعة مقدما أمام الجيش
سبعة من المدافع تسير معه
ولم يبق أحد من أهل
البلد الا خرج يوم الزينة
ولما رجعوا الى داره العامرة
ألبسهم الملابس الفاخرة ونثر يومهما من الدراهم ماأغنى به كل صعلوك وفي غرة ربيع الثاني جعل

(الموقوفة)

الموقوفة على زاوية أسلافه وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس وان لا يركب بدون اذن منهم ويقتصد فى أموره ومعاشه ويقلل اتباعه وفى شهر ربيع الاول من السنة المذكورة نادوا على الناس الفارين من مصر من خوف الفردة وغيرها بأن من لم يحضر بعد اثنين وثلاثين يوما من وقت المناداة نهبت داره وأحيل بوجوده وكان من المذنبين واشتد الامر بالناس وضاقت منافسهم وتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة ولا شفيع تقبل شفاعته أو متكلم تسمع كلمته ونزل بالمسلمين الذل والهوان وتطاولت عليهم الفرنساوية وأعوانهم وأنصارهم من نصارى البلد الاقباط والشوام والاروام حتى صاروا يأمرونهم بالقيام لهم عند مرورهم ثم شددوا فى ذلك حتى كانوا اذا مر بعض عظمائهم بالشارع ولم يقم اليه بعض الناس على أقدامه رجعت اليه الاعوان وقبضوا عليه وأصعدوه الى الحبس بالقلعة وضربوه واستمر عدة أيام فى الحبس ثم يطلق بشفاعة بعض الاعيان وأما الاموال المطلوبة فأخذوها ومابقى شئ للناس الا واستولوا عليه ومابقى جعلوه على الاطيان والفدادين ومشائخ القرى والبلدان وتفصيل ذلك كله طويل ولم يزل الناس معهم فى شدة وكرب الى ان قضى الله ماقدره وأذن بخروجهم وانقضاء دولتهم

❊ ذكر خروج الفرنسيس من مصر ❊

فى أواخر شوال من سنة خمس عشرة برز الامر من مولانا السلطان سليم بالتجهيز الى مصر براو بحرا أما العساكر التى من البر فهى بمعية يوسف باشا وأما البحر فتعهدت به الانقليز ثم فى اوائل ذى القعدة ورد جماعة من الانقليز بمراكب الى ثغر الاسكندرية وطلع جماعة منهم الى البر وتحاربوا مع أمير الاسكندرية ومن معه من الفرنسيس ثم فى أول ذى القعدة جاءت الاخبار الى الفرنسيس بمصر بأن يوسف باشا وعساكره وصلوا الى العريش فجمعوا المشائخ والاعيان بمصر وقالوا لهم انه يحب المسلمين ويميل اليهم بالطبع وخصوصا العلماء أهل الفضائل ويفرح لفرحهم ويغتم لغمهم ولا يحب لهم الا الخير لكن سياسة الاحكام تقتضى بعض الامور المخالفة للمزاج والآن بلغنا ان يوسف باشا وعساكر العثمانية تحركوا الى هذا الطرف فلزم الامر لتعويق بعض الاعيان وذلك من قوانين الحرب عندنا بل وعندكم ولا يكون عندكم تكدر ولا هم بسبب ذلك فليس الا الاعزاز والاكرام أينما كنتم ثم انفض المجلس على تعويق اربعة أشخاص من المشائخ وهم الشيخ الشرقاوى والشيخ المهدى والشيخ الصاوى والشيخ الفيومى فأصعدوهم الى القلعة فى الساعة الرابعة من الليل مكرمين وكان هؤلاء الاربعة من أهل الديوان المرتب فى مصر لفصل القضايا وكان معهم فى الديوان الشيخ الامير والبكرى والشربينى فأبقوهم فى الديوان على حالهم السابق ثم وقع حرب ايضا بالاسكندرية فى البر بين الانقليز والفرنسيس فى الرابع عشر من ذى القعدة وكانت الهزيمة على الفرنساوية وقتل منهم كثير وانحازوا الى داخل الاسكندرية وأرسل الفرنسيس من كشف عن متاريس الانقليز فوجدوها فى غاية الوضع والانقان ثم وقع قتال آخر فقتل فيه من الفرنسيس خمسة عشر ألفا ثم طلبوا عساكر من مصر نجدة لهم فأطلق الانقليز حبوس المياه المالحة حتى أغرقت طرق

فرحا عظيما للنساء وصنع لهم وليمة ودعا فيها المغنيات وكساهن أفخر الكساء ففرح نساء البلد متفرجات وأكل من الوليمة من حضرها من بواديها وحضرها والمغنيات يغنين بأنواع الالحان كتغريد الطيور على الاغصان واستمر فرح النساء على هذا النسق ثلاثة أيام وتم فى هذا الختان مالم يتم لغيره من السرور واذا تم أمر يخشى منه عواقب الامور كما هو مذكور فى المثل المشهور

اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

فلم يمض مقدار أسبوع بعد تمام هذا الفرح الا وتبدل السرور بالكدر

(ذكر مرض الشريف سرور) فمرض سيدنا الشريف سرور وحصل له اغماء غيبه عن الوجود فكتموا أمره عن الناس الى يوم الرابع عشر من ربيع الثانى فأغمى عليه اغماء شديدا ظنوا انه الموت فأعلنوا بالنحيب فاضطربت البلاد لعظم المشقة ووقع الجرى فى الاسواق والازقة ثم أفاق من ذلك الاغماء فاستبشر الناس واطمأنوا وعاش بعد ذلك أربعة أيام

(ذكر وفاة الشريف سرور سنة ١٢٠٢) ثم انتقل من دار الفناء الى دار البقاء فى اليوم الثامن عشر من ربيع الثانى سنة ألف ومائتين واثنين

وحزن عليه الخاص والعام والكبير والصغير وجهز وصلى عليه بعد الاشراق عند الكعبة ودفن بالمعلى بقبة السيدة خديجة رضى الله عنها رحمه الله رحمة واسعة وعمره نحو خمس وثلاثين سنة ومدة ملكه خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام وأعقب من الذكور عبد الله ويحيى ومعيدا وحسنا وحمدا ومحمدا

(ذكر ولاية الشريف عبد المعين بن مساعد سنة ١٢٠٢)

وتولى شرافة مكة بعده أخوه مولانا الشريف عبد المعين وأقام فيها أياما وقيل نصف يوم

(ذكر ولاية سيدنا الشريف غالب بن مساعد سنة ١٢٠٢)

ثم نزل عنها بلا حرب ولا قتال لاخيه سيدنا الشريف غالب بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبى نمى فاختاره الله لحماية هذا الحرم وجاءته الخلعة السلطانية فى التاسع والعشرين من شهر ذى القعدة من هذا العام وأدخلها مكة فى موكب عظيم ولبسها بعد قراءة الفرمان السلطانى بالحطيم وأجرى ماهو معتاد من الملابس لارباب الرتب والمناصب وأمر بالزينة ثلاثة أيام

(ذكر قتال الشريف غالب مع بعض اخوانه)

الاسكندرية وصارت جميعا لجة ماء ولم يبق لهم طريق مسلوك الا من جهة العجمى الى البرية وترس الانقليز قبالهم من جهة الباب الغربى ووقع فى مصر فى هذه السنة طاعون مات فيه خلق كثير منهم مراد بيك مات فى الصعيد رابع ذى الحجة من السنة المذكورة وكان قد اصطلح مع الفرنسيس وأعطوه أمارة الصعيد وهو من مماليك محمد بيك أبى الذهب ومحمد بيك مملوك على بيك وعلى بيك مملوك ابراهيم بيك كتخدا اشترى مراد بيك سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ثم أعتقه وترقى عنده وأكرمه وأنعم عليه بالاقطاعات الجليلة وقدمه على اقرانه ولما انفرد سيده محمد بيك بأمارة مصر كان مراد بيك وابراهيم بيك أكبر الامراء المشار اليهما دون غيرهما واتسعت لهما الاموال والاملاك والضياع ثم لما مات محمد بيك سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف صارت الرياسة فى ملك مصر لهما ولكن كان ابراهيم بيك مقدما وكان مراد بيك منعكفا على اللذات والملاهى وكان لكل منهما مماليك هم الصناجق والامراء وكانت وفاة ابراهيم بيك بدنقلة سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف

﴿ ذكر ما كان من استعداد الفرنسيس ﴾

فى خامس المحرم من سنة ست عشرة ومائتين وألف أكثروا من نقل الماء والدقيق والاقوات الى القلعة بمصر وكذلك البارود والكبريت والقلل والقنابر والبنب ونقلوا الاسوار والبيوت من الفرش والامتعة والاسرة الى القلعة ولم يبقوا بالقلاع الصغار الا مهمات الحرب وطلبوا الزياتين وألزموهم بألفى قنطار زيت وسمروا جملة من حوانيتهم لتحصيل ذلك واجتهدوا فى وضع متاريس خارج البلد وحفروا خنادق وطلبوا الفعلة للعمل وكانوا يقبضون على كل من وجدوه ويسوقونه للعمل وألقوا الاحجار العظيمة والمراكب ببحر انبابة لتمنع المراكب من العبور وهدموا جانبا من الجيزة من الجهة البحرية وبلغهم ان عساكر الانكليز القادمة من البر الغربى قربت ووصلت ترعة الفرعونية وان العساكر الشرقية وصلت الى بنها وأن طائفة من الانكليز فى جهة الاسكندرية وأن الحرب قائم بها وأن الفرنساوية محاصرون بداخل الاسكندرية ويحاربهم الانكليز ومن معه من العثمانية من الخارج وأن جماعة من الانكليز قعدوا فى الاماكن التى يمكن الفرنسيس النفوذ اليها وقطعوا عليهم الطرق من كل ناحية وأطلقوا الحبوس عن المياه السائلة من البحر المالح منه الا الجسر المقطوع حتى سالت المياه ودغت لاراضى المحيطة بالاسكندرية وخرج عن طاعة الفرنسيس الامراء الذين بالصعيد وردوا مكاتبهم التى أرسلوها لهم بعد مراد بيك وحضرت لهم الاخبار المتواترة بوصول القادمين من الانكليز والعثمانية الى الرحمانية وتملكهم القلعة وما بالقرب منها من الحصون وجاءتهم الاخبار أيضا بأنهم تملكوا رشيد ودمياط وفى العشرين من المحرم يوم الاثنين جاءتهم الاخبار بأن الوزير وصل دجوة فطلبوا مشايخ الديوان عند قائمقام فقال لهم ان الخصم قد قرب منا ونرجوكم ان تكونوا على عهدكم مع الفرنسيس وأن تنصحوا أهل البلد والرعية ان يكونوا مستمرين على سكونهم وهدوهم ولا يتداخلون فى الشر والشغب فان الرعية بمنزلة الولد وأنتم بمنزلة الوالد والواجب على الوالد نصح ولده وتأديبه

على الطريق المستقيم حتى يكون فيه الخير والصلاح فانهم ان داموا على الهدى حصل لهم الخير ونجوا من كل شر وان حصل منهم خلاف ذلك نزلت عليهم النار وأحرقت دورهم ونهبت أموالهم ومتاعهم وسبيت نساؤهم وتيتمت أولادهم وألزموا بالاموال والفرد التى لاطاقة لهم بها فقد رأيتم ماحصل فى الوقائع السابقة فاحذروا من ذلك فانكم لاتدرون العاقبة ولانكلفكم المساعدة لنا ولا المعاونة لحرب عدونا وانما نطلب منكم السكون والهدو لاغير فأجابوا بالسمع والطاعة وقرأ عليهم ورقة بمعنى ذلك وأمروا بالمناداة على الناس بذلك وأنهم ربما سمعوا ضرب مدافع جهة الجيزة فلا ينزعجوا من ذلك فانه شنك وعيد لبعض أكابرهم وأمروا ان يجتمع بالديوان فى الغد الاعيان والتجار وكبار الاخطاط ومشايخ الحارات ويتلى عليهم ذلك فكان كذلك وفى غاية شهر محرم جاءتهم الاخبار بأن الوزير وصل الى الشلقان وكذلك عساكر الانقليز فجمعوا المشايخ بالديوان وأعلموهم ان أرض مصر استقر ملكها للفرنساوية فيلزم اعتقادكم ذلك وأركزوه فى أذهانكم كما تعتقدون وحدانية الله تعالى ولا يغرنكم هؤلاء القادمون وقربهم فانهم لايخرج من ايديهم شئ ابدا وهؤلاء الانقليز ناس خوارج حرامية وصناعتهم القاء العداوة والفتن والعثملى مغتر بهم فان الفرنساوية كانت من الاحباب الخلص للعثملى فلم يزالوا حتى أوقعوا بينه وبينهم العداوة والشرور وأن بلادهم ضيقة وجزيرتهم صغيرة ولو كان بينه وبين الفرنساوية طريق مسلوكة من البر لانمحى أثرهم وانمحى ذكرهم من زمان مديد وتأملوا فى شأنهم وأى شئ خرج من ايديهم فان لهم ثلاثة اشهر من حين طلوعهم الى البر والى الآن لم يصلوا الى الفرنسيس عند قدومهم وصلوا فى ثمانية عشر يوما فلو كان فيهم همة أو شجاعة لوصلوا مثل وصولنا وكلام كثير من هذا النمط وفى ثالث صفر وصلت عساكر العثمانيين وانتصبوا الى العادلية فى الجهة الشرقية والى انبابة فى الجهة الغربية وجرى القتال بينهم وبين الفرنسيس وكان النصر لعسكر السلطنة العلية ثم انعقد الصلح على خروج الفرنسيس من مصر وتسليمها للدولة العلية فتجهزوا وخرجوا آمنين فى أواخر صفر ولما انعقد الصلح أطلقوا المشايخ الذين كانوا بالقلعة رهائن وهم الشيخ الشرقاوى والمهدى والصاوى والفيومى وكانت مدة حبسهم فى القلعة نحو مائة يوم وسافرت عساكر الفرنسيس على رشيد وأبى قير ودخل الوزير يوسف باشا مصر فى التاسع والعشرين من شهر صفر بموكب حافل وكانت مدة تملك الفرنسيس مصر ثلاث سنين وشهرا قال الشيخ الشرقاوى فى تاريخه وحقيقة حال الفرنساوية الذين حضروا الى مصر أنهم فرقة من الفلاسفة اباحية طبائعية يقال لهم نصارى كاثوليكية يتبعون عيسى عليه السلام ظاهرا وينكرون البعث والدار الآخرة وبعثة الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويقولون ان الله واحد لكن يقولون بالتعليل ويحكمون العقل ويجعلون منهم مدبرين يدبرون الاحكام ويضعونها بعقولهم ويسمونها شرائع ويزعمون ان الرسل محمدا وعيسى وموسى كانوا جماعة عقلاء وأن الشرائع المنسوبة اليهم هى قوانين وضعوها بعقولهم تناسب أهل زمانهم لذا جعلوا فى مصر وقراها الكبار دواوين يدبرون مايناسب اهل البلاد بحسب عقولهم وكان فى ذلك رحمة الله تعالى

وفى اليوم الحادى عشر من ذى الحجة فارقه بعض خوانه وخرجوا جنح ليل وتوجهوا بأتباعهم الى جبال هذيل فغابوا نحو ثمانية أيام وجاؤه بهذيل اليمن والشام وتترسوا بجبال المفجر وتلك الجهات فخرج لقتالهم بمن عنده من العسكر والاتباع وأمده أمير الحج الشامى ببرز من العسكر فالتقى الفريقان فى تاسع عشر الشهر وحصل بينهم وبينه قتال أسفر عن انتصاره عليهم ثم توجهوا الى الطائف وحاربوا معوكيله بالطائف فهزمهم وتحصنوا بالحصن فى العقيق ثم ترفعوا الى بسل وأقاموا أياما ثم رجعوا الى مكة طالبين القتال فلما تحقق الخبر أمر بتجهيز العسكر وبرز بالابطح وجعل يخرج كل ليلة ويبيت فى المعابدة ويرجع الى داره بمكة فى الصباح وفى ثمانية من ربيع الاول سنة ثلاث بعد المائتين والالف جاءه المستفزع الى داره يستصرخه ويخبره انهم وصلوا الى الميدان فركب من فوره فوجدهم قد اقتتلوا مع عسكره وهزمهم العسكر قبل وصوله وبعد انهزامهم قصدوا وادى الزيما ثم وادى لية ثم الاخيضر وأقاموا شهرا اويوما وفى نصف جمادى الاولى عاملهم عربان ثقيف وحاربوا الطائف وأخرجوا وكيل الشريف ومن معه ثم توجه الوكيل ومن معه الى مكة

بأهل مصر فانهم جعلوا من جملة ذلك ديوانا فيه جماعة من المشايخ وصاروا يراجعونهم فى بعض أشياء لاتليق بالشرع والسبب الذى أوجب لاهل مصر وقراها بعض الانقياد اليهم عجزهم عن مقاومتهم بسبب هروب المماليك الذين معهم آلات القتال وانهم عند قدومهم كتبوا كتبا وفرقوها فى البلاد وذكروا فيها أنهم ليسوا نصارى لانهم يقولون ان الله واحد والنصارى تقول بالتثليث وانهم يعظمون محمدا ويحترمون القرآن وانهم يحبون العثملى ولم يأتوا الا لطرد المماليك الظلمة لانهم نهبوا أموالهم واموال تجارهم ولا يتعرضون للرعايا فى شئ لكن لما دخلوا لم يقتصروا على نهب اموال المماليك بل نهبوا الرعايا وقتلوا جملة من من الناس لما قامت عليهم أهل مصر بسبب طلبهم تفريد غرامة على البيوت وقتل منهم مايقرب من الالف وهتكوا بعض الاعراض فى مصر وقراها فان كل قرية حاربتهم نهبوا أموالها وقتلوا رجالها وأخذوا نسائها وقتلوا من علماء مصر نحو ثلاثة عشر عالما ودخلوا بخيولهم الجامع الازهر ومكثوا فيه يوما وبعض الليلة الثانية وقتلوا فيه بعض علماء ونهبوا منه أموالا كثيرة وسبب وجودها فيه ان اهل البلد ظنوا ان العسكر لاتدخله فحولوا فيه أمتعة بيوتهم فنهبوها ونهبوا أكثر البيوت التى حول الجامع ونشروا الكتب التى فى فى الخزائن يعتقدون أن بها أموالا واخذ من كان معهم من اليهود الذين يترجمون لهم كتبا ومصاحف نفيسة وكان خروجهم بهمة مولانا سلطان سلاطين اهل الارض مولانا السلطان سليم خان لازال محفوفا برعاية الحنان المنان وبتدبير وزيره الاعظم وكان مكث بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية فى مصر سبعة اشهر ثم ذهب لقتال أحمد باشا الجزار بعكا ثم توجه الى بلاد الفرنسيس وجعل له نائبا منهم بمصر ولما وصل بونا بارته الى بلاد الفرنسيس ويقال له نابليون استعانوا به فى اصلاح خلل كان حاصلا ثم ساق جيوشا لمحاربة ايطاليا والنمسا وانتصر عليهم وفى سنة تسع عشرة ومائتين وألف أقاموه امبراطورا على فرانسا كافة وشن الغارات على دول اوروبا وحارب الروسية والنمسا والانقليز والبروسية ووقائعه طويلة افردت بالتأليف ثم تجمعت جميع ملوك اوروبا واتفقوا على حرب فرانسا فأصاب فرانسا من ذلك شدائد عظيمة وسئموا من كثرة الحرب فاتفقوا على خلع بونابرته ودعوا لويز الثامن عشر ليملكوه عليهم فلما علم ذلك بونابرته استعفى وذلك سنة ثلاثين ومائتين والف فملكوا لويز الثامن عشر وأعطوا بونابرته جزيرة الالب ليملك عليها ثم بعد سنة أتى باريس فهرب لويز الثامن عشر وعاد الى انكلترا فنهضت الدول لمحاربة بونابرته واعادة لويز الى ملك فرانسا وجرت امور يطول ذكرها وآخر الامر تنازل عن الملك الى ابنه فلم تقبل الدول المتحدة ان يتبوء الملك احد من سلالته فذهب بونابرته الى رشفورت وطلب من حكومة الانقليز ان تقبله ضيفا فى بلادها فأجابته اولا الى ذلك فركب الى احد المواني الانقليزية وقبل ان ينزل الى البر ارسلت اليه الحكومة الانقليزية تخبره انه اسير الدول المتحدة ثم شيعوه الى جزيرة هيلانه فبقى اسيرا الى ان هلك سنة سبع وثلاثين ومائتين والف وعمره اربع وخمسون سنة ولنرجع الى اتمام الكلام على ماكان فى بقية زمن السلطان سليم

وأخبر والشريف بأن اخوانه يجمعون له الجرود فأرسل مولانا الشريف للعربان وجمعهم من كل مكان وفى اليوم التاسع عشر برز الى المعابدة بالبيارق والعساكر ولما ثبت عنده انه فى غد يكون القتال سلم لكل واحد من العربان سبعة ريالات فوصله الخبر انه فى غد يكونون فى عرفة ثم مضى يومان وهم مقيمون فى نعمان ثم لما سمعوا ما جمعه مولانا الشريف من الجنود رجعوا الى الطائف

(ذكر الصلح بين مولانا الشريف واخوانه)

وفى الرابع والعشرين من الشهر المذكور أرسل مولانا الشريف غالب السيد ناصر بن مستور ونائب قاضى الشرع والمفاتى الاربع يتوسطون فى الصلح بينه وبين اخوانه فوصلوا اليهم فقابلوهم بالاكرام والاجلال وعرضوا عليهم الصلح فقبلوه واشترطوا شروطا قبلها مولانا الشريف فتمموا الامر على أحسن منوال ونزلوا جميعا الى مكة فخرج مولانا الشريف لملاقاتهم الى العابدية وقبلوا يديه وباتوا ثم دخلوا مكة فى ألاى أعظم ولله الحمد على ذلك

(ذكر وفاة السلطان عبد الحميد بن أحمد خان سنة ١٢٠٣) وفى هذا العام كانت وفاة

﴿ ذكر خلع السلطان سليم ﴾

سبب ذلك أنه كان السلطان سليم يرغب ان يلاشي وجاق الانقشارية ويقيم مكانه عسكرا جديدا على الطريقة الافرنجية لأن الانقشارية كانوا قد زعزعوا أركان السلطنة بعصيانهم وعدم انقيادهم وكان قد نظم في العام الماضي بعض الفرق من النظام الجديد فهاج الانقشارية من ذلك وأثاروا في القسطنطينية شغبا عظيما يطول الكلام بذكره واعتصبوا عصبة واحدة وكان موافقالهم على منع النظام الجديد عطاء الله افندي شيخ الاسلام وقائممقام صدر أعظم فقوى أمرهم به وقال لهم انه لا يجوز أن تكون عساكر الاسلام متشبهة بالكفار وحيث أحدثوا النظام الجديد كانوا متشبهين بالكفار فقويت هذه الحجة في صدورهم وقالوا سيروا بنا لنلاشي النظام الجديد وننتقم من الوزراء الذين أفسدوا طهارة الايمان بأفعالهم الشنيعة وتحالفوا على ملاشاة وجاقات العساكر الانقشارية الذين هم أعمدة مملكة الدولة العلية وبعد هذا الحديث أخرجوا ورقة فيها أسماء بعض أشخاص من رجال الدولة يريدون قتلهم أرسلها اليهم المفتي عطاء الله أفندي فأخذوا يتلونها ويسمون الاشخاص الذين يريدون قتلهم ثم ساروا يفتشون على أولئك الاشخاص فوجدوا بعضا منهم فقتلوهم واختفى كثير من أولئك الاشخاص في بيوت النصارى واليهود وقتلوا خلقا كثيرا واحضروا سبعة عشر رأسا من أعظم رجال الدولة وكان الدم جاريا في القسطنطينية ثلاثة أيام ثم صمموا على طلب السلطان سليم والقبض عليه ليخلعوه وصاروا يقولون يا أيها السلطان المغشوش بهذه التعاليم نسيت أنك أمير المؤمنين وعوضا عن اتكالك على الله القادر العظيم الذي يبدد بدقيقة واحدة الجيوش الكثيرة العدد وأردت أن تشبه الاسلام بالكفار وأغضبت الله فكيف يسوغ لك أن تكون أمير المؤمنين ومحاميا عن الدين فالعساكر المحافظة كرسيك لم يبق لهم ثقة بك والمملكة أضحت مضطربة فيجب عليك أن تلاحظ وتفضل على كل شئ شرف الايمان وسلامة الاسلام وبعد كلام كثير صارت قراءة الفتوى التي مضمونها أن السلطان الذي يخالف القرآن الشريف هل يترك على تخت السلطنة الجواب كلا ثم قال القارئ قد صار معلوما عندكم أنه تحتم عزل السلطان فاقول لكم الآن هل تسلمون له أن يفعل ما يخل بالاسلام فصرخت العساكر كلا ثم كلا لا نقبله سلطانا علينا فليعزل وصرخوا باسم السلطان مصطفى ابن السلطان عبد الحميد وقالوا ليعش السلطان مصطفى وأرسلوا المفتي للسلطان سليم ليتنازل عن السلطنة من دون مقاومة فدخل عليه متذللا منخفض الرأس قائلا يا مولانا اني قد حضرت بين يديك برسالة محزنة أرجوك قبولها لتسكين الهيجان وليس خافيا على مسامعكم الشريفة بأن العساكر الانقشارية قد نادوا باسم السلطان مصطفى ابن عمك سلطانا عليهم فالآن لا سبيل الى المقاومة فالتسليم لأمر الله أوفق من كل شئ فلم تظهر على السلطان سليم كآبة من هذا الحديث وقبل كلام المفتي ونزل عن السلطنة وكان ذلك في احد وعشرين من ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف فمدة سلطنة السلطان سليم ثمان عشرة سنة وثمانية أشهر واذا كان ذاهبا يختلي في مكان منفرد عن السرايا التقى بالسلطان مصطفى قادما ليجلس مكانه على تخت السلطنة فقال له يا أخي أهبطني الله من العرش لعتيد لأن

ابن أخيه مولانا السلطان سليم بن السلطان مصطفى ابن أحمد بن محمد بن ابراهيم

(ذكر قتل الخطيب)

وفي شهر رجب وقعت حادثة بمكة وهي انه يوم الجمعة كان الخطيب الشيخ عبد السلام الحرشي فتعرض له عند المنبر بقالي قيل مجنون قبل الصلاة وضربه سكينا قطع بها أمعاءه فكانت هي القاضية ووقع في المسجد ضجة عظيمة حتى أشاع بعض العوام ان المهدي المنتظر ظهر بين الركن والمقام وعما قليل زال الالتباس وتقدم خطيب آخر فخطب وصلى بالناس وأمر مولانا الشريف بصلب ذلك القاتل فصلب وفي شهر شعبان حصل اختلاف بين والي جدة عزة محمد باشا ووزير مولانا الشريف ألماس رمضان فأغلق الباشا الفرضة والقبان وقلد قاضي الشرع بالمقاليد لجعل القاضي ينزل الفرضة لجمع العشور ويضبط ما يتحصل من المال ويعرف ما يخص الباشا وما يخص مولانا الشريف غالبا ثم عزل مولانا الشريف الوزير الماس رمضان لانه السبب في هذه الفتنة الحاصلة بين مولانا الشريف ووالي جدة وجيء به الى مكة وسجن مقيدا بالحديد

تجلس عليه أنت لأنني أردت وضع تنظيمات لتقوية المملكة والدين وصلاح حال العسكر الذين جهلوا تعاليمهم وتركوا قوانينهم فهاجت على العساكر مع بعض رجال الدولة وأرسلوا يطلبون مني التنازل عن تخت السلطنة ونادوا باسمك وها انا ماض بكل رضا أعيش منفردا وأما أنت فانت سعيدا كثر مني فأرغب اليك ان تسلك معهم بالحكمة اللازمة الحسنى فلم يصغ السلطان مصطفى لكلام السلطان سليم وأراد السلطان سليم ان يعانقه فلم يمكنه من معانقته فلما وصل السلطان سليم الى المكان الذي يريدون وضعه فيه وجد السلطان محمود اخا السلطان مصطفى ماكثا في ذلك الموضع عليه آثار الرقة والنباهة وعند ماشاهد السلطان سليم التقاه فقبل يده ذارفا دموعا غزيرة فحرك السلطان سليم الى البكاء وجلسا في ذلك الموضع وطال ماكانا يتحدثان دائما بالأمور المشيدة أركان الدولة والدين هذا ما كان من أمر السلطان سليم والسلطان محمود

✻ ذكر ولاية السلطان مصطفى بن عبد الحميد ✻

وأما السلطان مصطفى فانه بوصوله الى امام اولئك العساكر فرحوا به فرحا عظيما واجلسوه على تخت السلطنة وبسبب هذه الحادثة العظمى والفتنة الظلماء حصل الخوف لجميع اهل القسطنطينية وقفلت الحوانيت ووقع الرعب في قلوب الجميع ثم اطلقت المدافع علامة على جلوس السلطان مصطفى ونودي في المدائن باسمه وتقدم المفتي شيخ الاسلام وقائمقام موسى باشا الى الجموع التي كانت مجتمعة في فسحة آت ميدان واخبروهم ان السلطان مصطفى قد وعد بابطال ما كان همّ به السلطان سليم من وضع النظام الجديد وبارجاع العوائد القديمة فلما سمع الجميع هذا الحديث تفرقوا وبعد أن جلس السلطان مصطفى على تخت السلطنة سلم زمام الأحكام بيد القائمقام كوسج موسى باشا والى المفتي شيخ الاسلام عطاء الله فندي ولما بلغت هذه الأخبار الصدر الأعظم چلبي مصطفى باشا وكان رئيس الجيوش التي خرجت لقتال الروسية كما تقدم حزن لذلك وغضب غضبا شديدا هو ومن معه من العساكر وكان من جملتهم مصطفى باشا البيرقدار فعقدوا صلحا مع الروسية ورجعوا بالعساكر ليتداركوا هذا الأمر وأرسلوا للعساكر الانكشارية الذين بالقسطنطينية يقولون لهم انهم قادمون لنجدتهم واقام رغبتهم ليطمئنوا بذلك وما دخلوا القسطنطينية الا بعد مشاق وأراد البيرقدار مصطفى باشا ارجاع السلطان سليم والقبض على السلطان مصطفى وطلب من الصدر الاعظم المساعدة على ذلك فأنكر عليه ذلك مبينا سوء عواقب الامور فغضب البيرقدار غضبا شديدا وأمر بحبسه وبلغ الخبر السلطان مصطفى فأرسل أناسا يقتلون السلطان سليما فدخلوا عليه وهو يصلي صلاة العصر فلم يمهلوه الى أن يتم الصلاة بل وثبوا عليه وطرحوه الى الارض فنهض حالا عليهم كالاسد وصرعهم وكان قويا جدا ثم تغلبوا عليه وخنقوه حتى مات ورجعوا بداعي السلطان مصطفى مسرعين وطرحوه ميتا امامه وكان ذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف وعمر السلطان سليم ثمان واربعون سنة ثم أرسل أناسا وأمرهم بخنق أخيه السلطان محمود وكان البيرقدار هجم بجماعة مسرعين لانقاذ السلطان سليم فوجدوه

جمادي الاولى من سنة أربع بعد المائتين والألف حبس مولانا الشريف يحي سلتوح وكان مقدما لأخيه المرحوم الشريف سرور فاطلع مولانا الشريف غالب على أشياء صدرت منه تكون سببا للفتنة بينه وبين أولاد أخيه الشريف سرور فقبض على يحي المذكور وحبسه في قبو تحت الارض في بيت ريحان الفروجي فأقام فيه برهة من الزمن ثم هدم بالوعة المطهر وهرب منها وتوارى في بيت أولاد المرحوم الشريف سرور فكان ذلك داعيا للفتنة والشرور ولم يعلم له مولانا الشريف غالب بمكان وتطلبه فلم يجده ثم أغرى يحيي سلتوح الشريف عبدالله بن سرور على طلب شرافة مكة وهو صغير عمره اثنا عشرة سنة وتكفل له بالاعانة فأرسل شرذمة من العبيد نحو الخمسمائة ورموا بالبنادق من المسجد على بيت مولانا الشريف غالب ثم ولوا مدبرين وترسوا بيت الوزير ريحان وبيت القطبي وما حوله من البيوت وثبت الشريف

في داره فوقع الحرب من البيوت بين الطرفين واستمر الى أربعة أيام وليال وانقطعت الناس عن

قد مات فاهتموا بأمر السلطان محمود وقال لهم البيرقدار عليكم بنجاة السلطان محمود لانه هو الوارث الوحيد لتخت السلطنة الباقى من سلالة آل عثمان فأخذت العساكر تطلب السلطان مصطفى وتبحث عن السلطان محمود لان السلطان محمود لما جاءه جنود السلطان مصطفى الذين يريدون قتله أراد الفرار فرشقه أحدهم بخنجر أصاب يده فهرب وصعد على سطوح السرايا فلما نظرته جماعة البيرقدار وضعوا له سلما فنزل الى صحن الدار حيث كان البيرقدار وعندما نظر اليه البيرقدار فرح فرحا عظيما وحمد الله تعالى على خلاصه من أخيه وصار يقبل قدميه

✽ ذكر ولاية السلطان محمود بن عبد الحميد ✽

ثم دخل به القاعة وأجلسه على تخت السلطنة وأرسل جندا قبضوا على السلطان مصطفى وأمر بحبسه فلما تم جلوس السلطان محمود جعل مصطفى باشا البيرقدار صدرا أعظم وسلمه زمام الاحكام فأخذ يجتهد فى أخذ الثار من الذين قتلوا السلطان سليما ثم شرع فى تنظيم العسكر الجديد وأرسل وطلب اجتماع أهل الحل والعقد من رجال الدولة فلما حضروا اخذ يبين لهم شدة الاضطرار لتعليم العساكر صناعة الحرب وانفاذ أوامر السلطان طالبا رأيهم فى ذلك فصادقوه مذعنين لامر السلطان وتعهدوا بالمساعدة فى كل ما يؤول لنجاح المملكة وفى الحال أخذ الصدر الاعظم فى وضع ترتيبات جديدة أوجبت الملام عليه من كثيرين واضمروا له السوء وصاروا يطعنون فيه جهارا ويدعونه بالكافر وعلقوا أوراقا فى الاسواق وعلى باب داره مكتوبا فيها قد قرب موت الصدر الاعظم وساروا بأسلحتهم يطلبون قتل العساكر الذين تعلموا التعليم الجديد فأخذوهم بغتة وشتتوهم وأحاطوا بمنزله وطرحوا فيه النار ووقعت أمور يطول الكلام بذكرها وانقسم الناس فريقين فريقا يريد التعليم الجديد وفريقا يكرهه وقتل بسبب هذه الفتنة خلق كثير واحرقت دور كثيرة وحاصروا الصدر الاعظم فى الدار التى كان فيها وأطلق عليهم الرصاص وقتل كثيرا منهم ثم ثار عليه صناديق بارود وكانت فى داره فمات بسبب ذلك وكان قد أخرج جواريه ونساءه من الدار قبل ذلك فأحيلت الصدارة الى يوسف باشا وكان ذلك فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف وعزل شيخ الاسلام عطاء الله افندى واحيلت المشيخة الى عرب ذاده محمد عارف افندى وكتب السلطان مصطفى وهو محبوس كتابا للعساكر الانقشارية يحرضهم على الغيرة وارجاعه الى السلطنة فوقع ذلك الكتاب فى يد بعض العلماء فذهب به الى شيخ الاسلام فجمع كثيرا من العلماء وأخذوا يتحدثون فى عواقب هذه الامور ويتشاورون فى اطفاء هذه الفتنة وأرادوا انه اذا بقى السلطان مصطفى فى قيد الحياة لا تنطفئ الفتنة فاختاروا رجلا من بينهم يقال له منيب أفندى كان قاضى اسلامبول ليعرض على السلطان محمود رأى العلماء ويلتمس منه قتل السلطان مصطفى فسار منيب افندى الى السلطان محمود وعرض عليه ذلك فأجابه السلطان محمود ان هذا امر محال وكيف يتصور ان يصدر أمرى بقتل أخى مع كونى قادرا على منعه من هذه الاعمال وصار بينه وبين السلطان محمود محاورة كثيرة فى ذلك

وخرج اولاد الشريف سرور مع أخيهم الشريف عبد الله وتوجهوا الى العابدية وخرج معهم يحيى سلتوح وعبيد أبيهم وجملة من الاشراف وجملة من البادية كانوا مختفين بناديهم فأخرج اليهم رتبة حاصروهم فى بيت العابدية فخرجوا البلاد وتوجهوا الى بلاد هذيل وجمعوا جموعا وأقبلوا على مكة

(ذكر القتال بينه وبين الشريف عبد الله ابن سرور سنة ١٢٤٠)

فخرج مولانا الشريف بمن معه من العساكر والجنود الى بركة السلم وحصل بينهم وبينه قتال خمس ساعات ثم انهزموا ورجعوا الى رهجان ورجع مولانا الشريف الى مكة ثم جاء الخبر انهم رجعوا الى العابدية فأرسل مولانا الشريف اليهم سرية أمر عليها أخاه الشريف عبد المعين ومعه مائة من الخيل وكثير من العساكر ثم اتبعه بجند آخر أمر عليه أخاه السيد عبد العزيز ففر القوم الذين بالعابدية حين علموا بخروج الجند اليهم وتوجهوا الى جبال

 هذيل ثم الى الطائف ودعا لهم ثقيف فحاربوا الوبيل وملكوا

الطائف ثم توجهوا الى رهاط لجمع بعض القبائل ثم أقبلوا بهم وبقبائل ثقيف فخرج مولانا الشريف لقتالهم بالابطح ووقعت ملحمة عظيمة ثم انهزموا وقبض مولانا الشريف باليد على السيد عبدالله بن سرور وأخيه محمد وتبدد ذلك الجمع فحبسهما أياما ثم أطلقهما وأرسلهما الى أمهاتهم واستقر الامر وهرب يحيى سلوح الى ديار حرب ثم الى المدينة ثم الى دمشق وزور عرضا للدولة تتضمن طلب الملك للسيد عبدالله بن سرور وذهب بها لابواب السلطنة فلم يصادف قبولا ثم عاد الى مصر وبقي بها الى ان مات وفي شهر المحرم من سنة خمس بعد المائتين والالف غزا مولانا الشريف الاشراف ذوي حسن سكان الشاقة لانهم كانوا يقطعون طريق اليمن فصبحهم وأخذوا مواشيهم وقتلوا منهم

(ابتداء فتنة الوهابية مع الرد عليهم بما يبطل ما ابتدعوه سنة ١٢٠٥)

وفي هذه السنة كان ابتداء الحرب والقتال بين مولانا الشريف غالب وطائفة الوهابية التابعين لمحمد ابن عبدالوهاب في عقيدته التي كفر بها المسلمين وينبغي قبل ذكر المحاربة والقتال ذكر بدء أمرهم وحقيقة حالهم فان فتنتهم من عظم الفتن التي ظهرت في الاسلام

وقال له منيب افندي في غضون تلك المحاورة قد جاء في الحديث الشريف اذا اجتمع خليفتان فاقتلوا أحدهما فشق ذلك على السلطان محمود وحول وجهه الى شباك هناك ولم يجبه بشيء لشدة أسفه على أخيه فقال منيب افندي ان السكوت اقرار ففي الحال أرسل منيب افندي الى كبير البستانجية وقال له ان مولانا السلطان قد صدر أمره الشريف بقتل اخيه السلطان مصطفى فاذهب وأتمم أمره فذهب البستانجي باشي ومعه جماعة من أعوانه الى الموضع الذي كان فيه السلطان مصطفى فأحس بهم السلطان مصطفى وعرف بقصدهم فاختبى بين فرش كانت هناك فدخلوا فلم يجدوه ورأوا امام تلك الفرش خفية فقلبوا تلك الفرش الى الارض فوجدوا السلطان مصطفى مختبأ فيه فقتلوه خنقا وكان العلماء الذين اجتمعوا عند شيخ الاسلام وأرسلوا منيب افندي للسلطان محمود ينتظرون رجوعه اليهم بالجواب فلما أبطأ عليهم ظنوا ان السلطان محمود لم يقبل ما رأوه فتوجهوا جميعا للسلطان محمود تقوية لمنيب افندي وتصديقا له فدخلوا على السلطان محمود يلتمسون منه اتمام ما عرضه عليه منيب افندي فاتفق انهم حين دخولهم قبل ان يبتدؤا بالحديث نظر السلطان محمود من الشباك فرأى اخراج جثة اخيه ميتا فتألم من ذلك جدا والتفت اليهم وعيناه ممتلئتان بالدموع وقال لهم أسرعوا واهتموا بتكثير الجيوش واحضار المهمات وارسال العساكر لانني انا اليوم بحزن عظيم على موت أخي فحينئذ علم العلماء موت السلطان مصطفى فتوقفوا عما كانوا يريدون عرضه عليه وأخذوا يدعون له بطول العمر ويعزونه ويسلونه على فقد أخيه وكان ذلك في شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف فمدة سلطنة السلطان مصطفى سنة واحدة وشهران وعمره ثلاثون سنة ولما استقرت السلطنة للسلطان محمود كانت أمور الدولة في غاية الارتباك والاضطراب فمن ذلك ان عساكر الروسية كانت تتقدم الى جهة الطونة مسرعة فبعث السلطان جيشا عظيما لمصادمتهم فلم يقدروا ان يوقفوا سيرهم فطلبت دولة فرانسا ان تتوسط في الصلح فرفض السلطان محمود مداخلتها لانه تأثر جدا من الشروط السرية التي عقدها نابليون ملك فرانسا مع أسكندر ملك الروسية في تيلسيت التي من شأنها اقتسام دول أوروبا فيما بينهم حتى بلاد الدولة العلية واستمر في مقاومة الروسية ومحاربتهم ولكن كانت الغلبة لهم فاستولوا على مدينة شملة وقلعة اسماعيل وعلى عدة مراكز حسنة وضايقوا العساكر العثمانية أشد مضايقة وبينما كانت المصائب محيطة بالدولة واذا بطالع سعيد بزغ في افقها وذلك ان نابليون الاول ملك فرانسا أشهر الحرب على الروسية سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين وسار اليها بجيوشه الجرارة فألزم ذلك الروسية ان تخرج جيوشها من حدود الدولة العلية وعقدت صلحا مع الباب العالي موافقا جدا للدولة العثمانية فاغتنم السلطان فرصة هذا الصلح لتسكين الثورات في ولايتي بغداد وايدين وغيرهما فانه في سنة ألف ومائتين وست وعشرين أظهر سليمان باشا والي بغداد العصيان فأرسل اليه السلطان محمود من قتله

﴿ ذكر حرب المورة ﴾

وفي سنة ألف ومائتين وسبع وثلاثين تحرك اليونان في المورة وجاهروا بالعصيان على الدولة

(وكانوا)

وكانوا يهجمون برا كبهم على سواحل البحر فيقتلون ويسلبون ويرمون الفتن في جميع الأطراف فشق ذلك على الدولة العلية وأرسلت العساكر لردعهم وادخالهم في الطاعة فشبت الحرب بينهما وقامت على ساق وقدم وبعث الباب العالي الى محمد على باشا والى ولاية مصر يأمره أن يرسل جيشا لمحاربتهم فأرسل ولده ابراهيم باشا المشهور بخمسة وعشرين الف مقاتل مع عمارة بحرية ولما وصل الى المورة انضم بجيشه الى جيش الدولة العثمانية ودارت نيران الحرب ولما أيس الاروام من النجاة ونوال الاستقلال استنجدوا بالدول الاروباوية فبادرت دولتا فرانسا وانكلترا الى التوسط في الامر والسعي بالصلح فلم يجب السلطان محمود سؤالهما فانضمت اليهما العمارة الروسية وبعثوا الى ابراهيم باشا أن يوقف الحرب فأجاب أنه لا يقدر على ذلك الا بأمر من السلطان فعند ذلك أطلقوا النار على عمارتي الدولة ومحمد على باشا فأحرقوهما وكان ذلك سنة ألف ومائتين واحدى وأربعين ولما بلغ الخبر السلطان محمود اضطر الى اجابة سؤال الدول المتحدة وأمضى الصلح بشروط مخصوصة فيها ابطال الحرب واستقلال الاروام

✲ ذكر قتل العساكر الانكشارية ✲

وفي سنة احدى وأربعين أيضا شرع السلطان محمود في تعليم بعض العساكر التعليم الجديد وشرع في تدبير الامر في تدمير الانكشارية وابطال وجاقهم فأبرز أمرا سلطانيا يتضمن القدح في وجاق الانكشارية وبيان الخلل الواقع منهم وتغلبهم على الدولة وقتلهم بعض السلاطين وأمر سليم باشا الصدر الاعظم أن يجمع العلماء في بيت شيخ الاسلام ويتلو عليهم الامر الشاهاني ففعل ذلك فأجابوا بالامتثال بما يصدر به الامر السلطاني وتعهدوا بانفاذه وكان مع الحاضرين جماعة يميلون الى الانكشارية فتعصبوا لهم سرا وأخبروهم بما صار عليه الاتفاق فهجموا على بيت الصدر الاعظم وبعض العظماء من رجال الدولة وأخذوا ينادون في شوارع اسلامبول ويقولون اليوم قتل العلماء ورجال الدولة وكل من كان السبب في وضع النظام الجديد ويقتلون كل من صادفوه منهم وينهبون البيوت ويطرحون فيها النار ففر الصدر الاعظم منهم وجاء الى السلطان محمود وأخبره بتلك الحوادث فأمره ان يجمع الطوبجية وسائر أهل الاسلام أمام باب السرايا فاجتمع في ذلك النهار جمع غفير من العلماء ورجال الدولة ينتظرون خروج السلطان اليهم فلما خرج اليهم أخذ يحدثهم بكلام يهيج به نخوتهم فأقسم جميعهم على انهم يهريقون دماءهم في صيانة أوامره وتنفيذها والتمسوا منه اخراج الصنجق الشريف النبوي ليهجموا على العصاة فأراد السلطان ان يكون معهم فتوسلوا اليه ان لا يتنازل الى ذلك وأرسلوا ينادون في شوارع المدينة ويدعون اهل الاسلام للاجتماع تحت الصنجق الشريف فلما علم بعض الانكشارية بذلك أرسلوا اناسا من جماعتهم ينادون لاجتماع الانكشارية فلما قرعت أصوات المنادين آذان أهل الاسلام أسرعوا الى فسحة السرايا أفواجا أفواجا ففرقوا عليهم

طاشت من بلاياها العقول وحار فيها أرباب العقول وكان ابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين واشتهر أمره بعد الخمسين فأظهر العقيدة الزائغة بنجد وقراها فقام بنصرته واظهار عقيدته محمد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب فحمل أهلها على متابعة محمد بن عبد الوهاب فيما يقول فتابعه أهلها وسيأتي ذكر شيء من عقيدته التي حمل الناس عليها وما زال يطيعه على هذا الامر كثير من أحياء العرب حي بعد حي حتى قوي أمره فخافته البادية وكان يقول لهم انما أدعوكم الى التوحيد وترك الشرك بالله فكانوا يمشون معه حيثما مشى ويأتمرون له بما شاء حتى اتسع له الملك وكانوا في مبدأ امورهم قبل اتساع ملكهم وتطاير شرورهم راموا حج البيت الحرام وكان ذلك في دولة الشريف مسعود ابن سعيد بن زيد فأرسلوا يستأذنونه في الحج وأرسلوا قبل ذلك ثلاثين من علمائهم ظنا منهم أنهم يفسدون عقائد علماء الحرمين ويدخلون عليهم الكذب والمين وطلبوا الاذن في الحج ولو بقرر يدفعونه كل عام وكان أهل الحرمين يسمعون بظهورهم في الشرق وفساد عقائدهم ولم يعرفوا حقيقة ذلك فأمر مولانا الشريف مسعود ان يناظر علماء الحرمين

السلاح وسلم السلطان الصنجق الشريف لشيخ الاسلام قاضى زاده طاهر أفندى وعادالى كرسيه الملوكى وكان يشرف على الجميع امام السرايا وسار سليم باشا الصدر الاعظم امام تلك الجموع التى كانت أكثر من خمسين الفا وشنوا الغارة على الانقشارية صارخين الله أكبر على الاشقياء وهجموا عليهم وأطلقوا المدافع والرصاص وكان يوما مهولا عظيما فقتلوا منهم نحو عشرة آلاف والباقون فروا الى قشلهم وتحصنوا فيها فهجم عليهم العساكر والاهالى وطرحوا فيها النار فاحترق كثير منهم ومن بقى ولوا الادبار ثم قبضوا على كثير منهم فقتلوهم وطرحوهم فى فسحة آت ميدان وبعد ذلك دعا السلطان اليه العلماء ووكلاء الدولة وأحضر لهم أثواب السلاطين العظام الملطخة بالدماء الذين قتلهم العصاة الانقشارية طالبا ثمن دم السلاطين فأجاب العلماء أن ثمن دم كل سلطان خمسة وعشرون ألف نفس فصدرت الاوامر بتدمير الانقشارية فى الاستانة العلية وفى جميع الجهات فقتل منهم عدد كثير وارتاحت الدولة والناس من مظالمهم وألحق بهم بعض الدراويش من البكطاشية لكونهم يميلون اليهم ويساعدونهم ويفعلون فى تكياتهم أفعالا شنيعة محرمة وبدعا مسترذلة فأمر السلطان بقتل أكثرهم وهدم تكياتهم وأخذت الدولة فى تكثير العساكر النظامية والجد فى تعليمهم وأبطلت وجاق الانقشارية وفى أثناء تلك المدة غير السلطان محمود لبسه ونزع العمامة والجبة وتزيا بزى العسكر الجديد على هيئة الاوروباويين وبالطربوش الصغير ولم يبال بأقوال المعترضين

۞ ذكر القتال مع الروسية ۞

فى سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف زحفت العساكر الروسية لمحاربة الدولة العلية عند نهر الطونة وسار جيش الى جهة الاناطول فأرسلت الدولة عساكر لمصادمتهم تحت قيادة الصدر الاعظم سليم باشا فوقع بين الفريقين حرب شديد وتغلبت عساكر الروسية وهزموا عساكر الدولة واستولوا على جملة اماكن وتقدمت عساكرهم الى شوملة وأقاموا الحصار على سليسترة واستولوا على مدينة وارنة فعزل السلطان الصدر الاعظم سليم باشا وأمر بنفيه وأقيم فى الصدارة محمد عزت باشا وسارت بعض عساكر الدولة الى جبل البلقان فتركت الروسية محاصرة شوملة وكانوا قد استولوا على سليسترة وكانت عساكر الروسية التى فى الاناطول تتقدم فملكوا القرص وبايزيد وطبراق وأرض روم واستأسروا صالح باشا وجاء جيش الروسية فيه مائة وستون ألف مقاتل وحاصروا أدرنة حصارا شديدا الى ان استولوا عليها ولما اشتد الامر على رجال الدولة وعلى السلطان محمود اضطربت الامور اضطرابا كثيرا الا ان السلطان محمود أظهر الثبات وقوة الجنان فى وسط تلك الاخطار المحدقة به وبدولته ثم تداخلت دول أوروبا فى الصلح وأتموه بشروط سنة خمس وأربعين ومائتين وألف ومآل تلك الشروط استقلال الاروام وتنازل الدولة عن اقليم الصرب والافلاق والبغدان للملوك من أهل تلك البلاد تحت نظارة ملك الروسية وعن بعض جزائر عند فم نهر الطونة وعن بعض أراضى فى الاناطول مع غرامة حربية

العلماء الذين أرسلوهم فناظروهم فوجدوهم ضحكة ومسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة ونظروا الى عقائدهم فاذا هى مشتملة على كثير من المكفرات فبعد ان أقاموا عليهم البرهان والدليل أمر الشريف مسعود قاضى الشرع ان يكتب حجة بكفرهم ليظهر ليعلم به الاول والآخر وأمر بسجن أولئك الملاحدة الانذال ووضعهم فى السلاسل والاغلال فسجن منهم جانب وفر الباقون ووصلوا الى الدرعية وأخبروا بما شاهدوا فعتا أميرهم واستكبر ونأى عن هذا المقصود وتأخر حتى مضت دولة الشريف مسعود وأقيم بعده أخوه الشريف مساعد بن سعيد فأرسلوا فى مدته يستأذنون فى الحج فأبى وامتنع من الاذن لهم فضعفت عن الوصول مطامعهم فلما مضت دولة الشريف مساعد وتقلد الامر أخوه الشريف أحمد ابن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة من علمائه كما أرسل فى المدة السابقة فلما اختبرهم علماء مكة وجدوهم لا يتدينون الا بدين الزنادقة فأبى أن يقرهم فى حمى البيت الحرام قرار ولم يأذن لهم فى الحج بعد ان ثبت عند العلماء أنهم كفار كما ثبت فى دولة الشريف مسعود فلما ان ولى الشريف سرور

(قدرها)

قدرها مائة وعشرة ملايين فرنك قال بعض مؤرخي الفرنج وربما استغرب القارئ كيف ان الدولة التي سادت على أغلب ممالك العالم وأوقعت الرعب في قلوب جميعهم لم تستقر في نموها وتقدمها حتى التزم سلاطينها الى ان يرتضوا هذه الشروط فاذا نظر الى هذا الامر بعين خالية عن الغرض يحق الاستغراب من وجه آخر وهو كيف أمكن هذه الدولة أن تحتمل هذه الصدمات الشديدة والمقاومات المريعة من أعدائها مع وجود الخلل في داخليتها بسبب أصحاب البغي والفساد وقلة الأموال ولم تتزعزع اركانها بل استمرت في سلك الثبات العجيب ولم تستطع قوة او سببا آخر ان يثنيها واذا ضممنا الى هذه الاسباب الخلل الذي أوقعه وجاق الانقشارية وعدم تمام انتظام الترتيب للعسكر الجديد وعدم تمرن الجيوش بفنون الحرب وملاقاة الاهوال لربما حق العجب كيف لم تنقرض هذه الدولة اصلا واستطاعت ان تناضل الى هذه الدرجة مستهينة بكل الموانع التي تعرضت لها فهذا اعظم برهان على عظمها وسطوتها انتهى كلامه وأقول أن ههنا سرا الهيا لتأييدها وهو سر بركة الاسلام وسر بركة النبي صلى الله عليه وسلم وسريان روحانيته لتأييد ملته واهل دينه والله سبحانه وتعالى أعلم

ذكر استيلاء الفرنسيس على الجزائر

وفي سنة خمس وأربعين وألف ومائتين استولت الفرنسيس بقوة جبرية على جزائر الغرب مدعين ان أهلها كانوا يقبضون على مراكبهم التجارية ويربطون عليهم البحر في تلك الجهات ويفتكون بهم فلما بلغ الباب العالي ذلك ارسل طاهر باشا قبودان باشا الى الجزائر يتعاطى الصلح بينهم وبين أحمد باشا والي الجزائر فلما وصل وأراد النزول الى البر منعته الفرنساوية فعاد راجعا الى القسطنطينية والجزائر المذكورة كانت في حكم الدولة العلية من حين تملكها السلطان سليمان فلما طالت المدة صار الولاة الذين فيها يتوارثون الولاية بالتغلب ويدفعون خراجا للدولة ويكونون تحت أمر الدولة ظاهرا ومتغلبين باطنا فلما أحدثت الدولة العساكر السلطانية بالتعاليم الجديدة امتنع والي الجزائر من تعليم عساكرها ولم يمتثل أمر السلطان في ذلك فقيل ان السلطان محمود هو الذي سلط عليه الفرنسيس لتأديبه فجاؤا بجيوش كثيرة وحاصروا الجزائر الى ان قبضوا على الباشا المتولي عليها وذهبوا به الى بلادهم وتملكوا الجزائر وحصنوها بالعساكر فلما تملكها الفرنسيس لم ترجع تلك الجزائر لحكم الدولة بل استولى عليها وبقي على ذلك الى عصرنا هذا

ذكر القتال بين محمد علي باشا والسلطان محمود

في سنة سبع واربعين ومائتين وألف وجه محمد علي باشا والي مصر جيوشه برا وبحرا لتملك الشام وجعل قيادتها لولده ابراهيم باشا فحاصر عكا وافتتحها مظهرا الانتقام من عبد الله باشا والي عكا لاسباب كانت بينهما وفتح في طريقه غزة ويافا وحيفا فلما بلغ الدولة ذلك غضبت وأرسلت تأمر محمد علي باشا برجوع العساكر وأنه اذا كان بينهما دعوى يقدمان الى الباب العالي فيحكم بينهما فلم يمتثل لاوامر الدولة فأبرزت الدولة فرمانا بعصيان محمد علي باشا وتنزيله عن ولاية مصر وصدر الامر السلطاني لوالي حلب بجمع العساكر

أرسلوا أيضا يستأذنونه في زيارة البيت المعمور فأجابهم بأنكم ان اردتم الوصول آخذ منكم في كل سنة وعام صرمة مثل ما أخذها من الاعجام وآخذ منكم زيارة على ذلك مائة من الخيل الجياد فعظم عليهم تسليم هذا المقدار وان يكونوا مثل العجم فامتنعوا من الحج في مدته كلها فلما توفي وتولى سيدنا الشريف غالب أرسلوا أيضا يستأذنون في الحج فمنعهم وتهددهم بالركوب عليهم وجعل ذلك القول فعلا فجهز عليهم جيشا في سنة ألف ومائتين وخمس واتصلت بينهم المحاربات والغزوات الى أن انقضى تنفيذ مراد الله فيما أراد وسيأتي شرح تلك الغزوات والمحاربات بعد توضيح ما كانوا عليه من العقائد الزائغة التي كان تأسيسها من محمد بن عبد الوهاب وقد عاش من العمر سنين حتى كان أن يعد من المنظرين فان ولادته كانت سنة ألف ومائة واحدى عشرة ووفاته سنة ألف ومائتين وسبع وأرخ بعضهم وفاته بقوله (بها هلاك الخبيث)

٦٤ ١١٤٣

(أعني سنة ١٢٠٧) فعمره اثنتان وتسعون سنة وخلف أولادا أخبث منه قاموا بنشر دعوته بعده وأولادهم عبد الله وحسن وحسين وعلي وكان عبد الله الاكبر فقام بالدعوة بعد أبيه وخلف

لمحاربة ابراهيم باشا وخرج حسين باشا بعساكر من الاستانة وحصل القتال بين الفريقين خارج طرابلس فهزمهم ابراهيم باشا واستولى على الاقطار الشامية وقبض على عبد الله باشا والى عكا وارسله الى الاسكندرية لأبيه محمد على باشا ولما وصل ابراهيم باشا الى داريا قرب دمشق خرج اليه على باشا وزير دمشق واشتبك الحرب بينهما فهزمهم ابراهيم باشا وخرج اهل دمشق يسألونه الأمان فأمنهم ودخلها وتقدم الى حمص واشتبك القتال بينه وبين والى حلب وكان يوما عظيما وحربا شديدا من أشهر الوقائع قتل فيه خلق كثير واستولوا على المهمات جميعها وانهزم والى حلب ورجع اليها فقفلت فى وجوههم الابواب فساروا الى انطاكية ولما وصل ابراهيم باشا الى حلب خرج اهالى حلب لاستقباله فدخلها وتسلم ما كان فيها من الذخائر والمهمات وأمن اهلها ثم سار الى انطاكية وحاربهم فيها ثم الى بوغاز بيلان ولما بلغ الباب العالى تقدم العساكر المصرية سير رشيد باشا الصدر الاعظم بالجيوش لحربهم فتقدم الى قونية والتقى الجيشان واشتبك القتال وانهزمت عساكر الدولة وقبض على رشيد باشا الصدر الاعظم وأتى به الى ابراهيم باشا فقابله بكل اكرام ثم خلى سبيله وامتدت هذه الفتنة والحروب الى سنة خمس وخمسين ومائتين و الف ثم صدرت الاوامر السلطانية الى حافظ باشا اليسير لمحاربة ابراهيم باشا فالتقى الجيشان بالقرب من مرعش واقتتلا ووقعت الهزيمة اولا على عساكر ابراهيم باشا وكان فى وادعسر فجمع العساكر وخرج بهم من ذلك الوادى وصعد الى تل كان تجاه معسكر حافظ باشا وأخذ يطلق عليهم المدافع فعطل أكثر مدافعهم وفرق صفوفهم ثم هجم عليهم بعساكر هجمة هائلة فانهزموا أمامه تاركين مدافعهم ومهماتهم عائدين الى مرعش وقتل من الفريقين خلق كثير وهذه الوقعة من أشهر تلك الوقائع التى وقعت فى تلك الحروب وأعقبها ابراهيم باشا بفتح أكثر الجهات فى تلك البلاد ولم تصل أخبارها الى القسطنطينية الابعد وفاة السلطان محمود بثمانية ايام ومن فتوحاته اخراج الخوارج الوهابية من مكة والمدينة وتطهير الحرمين منهم وقد تقدم ذلك عند ذكر السلطان سليم بن مصطفى لكون ابتداء القتال مع الوهابية كان فى مدة سلطنته لكن اتمام الامر ماكان الافى زمن مولانا السلطان محمود الثانى بن السلطان عبد الحميد فذلك من فتوحاته ومن فتوحاته المعنوية اعتناؤه بأهل الحرمين كمال الاعتناء فانه صدرت الارادة الشاهانية من دولته بتحرير ما كان يصرف لهم من قمح الجراية فوجدوا أكثر ذلك بيد الاغنياء والتجار كانوا يأخذونه من الفقراء بالفراغ بعوض حقير فصار الفقراء ليس لهم شئ فصدر الامر الشاهانى بنقض ذلك وابطاله وتجديد كتابة دفتر باسماء المستحقين فحصل تجديد ذلك فى المدة التى كان فيها محمد على باشا بمكة حين جاء لقتال الوهابية وكتب الله ذلك صدقة جارية فى صحيفة مولانا السلطان محمود وصحيفة كل من كان له اعانة وتسبب فى ذلك ومن حسنات السلطان المذكور وفتوحاته انه كان فى مدة سلطنته تجديد قبة مولد النبى صلى الله عليه وسلم وقبة السيدة خديجة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم وقبة السيدة آمنة والدة النبى صلى الله عليه وسلم وقبة سيدنا عبد الله بن عباس بالطائف فان القبب المذكورة هدمها الوهابى وجددها مولانا السلطان محمود وهدم الوهابى أيضا قبب

وثلاثين وعبد الرحمن قبض عليه وأرسله الى مصر فعاش مدة ثم مات بمصر وأما حسن بن محمد ابن عبد الوهاب فخلف عبد الرحمن وولى قضاء مكة فى بعض السنين التى كانوا يحكمون فيها بمكة وعمر عبد الرحمن هذا حتى قارب المائة ومات قريبا وخلف عبد اللطيف وأما حسين بن محمد بن عبد الوهاب فخلف أولادا كثيرين وكذا على بن محمد ابن عبد الوهاب خلف أولادا كثيرين ولم يزل نسلهم باقيا الى الآن بالدرعية يسمونهم أولاد الشيخ وكان القائم بنصرة محمد بن عبد الوهاب ونشر عقيدته محمد بن سعود ولما مات قام بعده بالامر ولده عبد العزيز ثم ولده سعود وكان محمد ابن عبد الوهاب فى ابتداء أمره من طلبة العلم وكان يتردد على مكة والمدينة وأخذ عن كثير من علماء المدينة وممن أخذ عنه من علماء المدينة الشيخ محمد بن سليمان الكردى مؤلف حواشى شرح مختصر بافضل فى مذهب الشافعى وأخذ أيضا عن الشيخ محمد حياة السندى من اكابر علماء الحنفية بالمدينة وكان الشيخان المذكوران وغيرهما من أشياخه الذين أخذ عنهم يتفرسون فيه الالحاد

كثيرة بالمدينة على قبور الصحابة وبعض الاولياء فجددها مولانا السلطان المذكور ومن خيراته وفتوحاته المعنوية انه جدد لاهل الحرمين خيرات ومرتبات زيادة على الذى كان مرتبا لهم من أسلافه وذلك انه فى سنة احدى و خمسين بعد المائتين والالف رتب مرتبات للعلماء والخطباء بالحرمين الشريفين وللقائمين بخدمة المسجدين الشريفين مثل المؤذنين والفراشين والكناسين والبوابين وجعل للجميع مرتبات جزيلة من النقود الجليلة بعضها شهريات وبعضها سنويات واشترى لذلك عقارات كثيرة وأوقفها ليصرف من غلاتها جميع المرتبات المذكورة فصارت حسنة جارية الى هذا الوقت يحصل منها كال النفع والاعانة للمذكورين على معاشهم ومن وقت هذا الترتيب كان ابتداء وضع المدير والمديرية بمكة والمدينة ولم يكن ذلك موجودا قبل ذلك ثم ان ولده مولانا السلطان عبدالمجيد ضم الى ذلك الترتيب مثله فى مدة سلطنته كما سيأتى ذكر ذلك عند ذكره وكانت مدة سلطنة السلطان محمود ثنتين وثلاثين سنة وعمره خمس وخمسون سنة وكانت وفاته تاسع عشر ربيع الاول سنة خمس وخمسين ومائتين والف

﴿ ذكر ولاية السلطان عبدالمجيد ﴾

وجلس على تخت السلطنة بعد موالده السلطان عبد المجيد فجهز الجيوش لقتال عساكر محمد على باشا واخراجها من الشام وأعانه على ذلك دولة انكلترا وكانوا عرضوا على السلطان محمود الاعانة فأبى فلما توفى وتسلطن ولده السلطان عبدالمجيد قبل اعانتهم فأعانوه وسير جيوشه الى الشام فهزموا عساكر ابراهيم باشا وأخرجوهم من الاراضى الشامية و أرادوا التوجه الى مصر والاسكندرية لاخراج محمد على باشا فتوسطت دولة انكلترا بالصلح الى أن أتموه بشرط ان تكون الاسكندرية ومصر واقطارها لمحمد على باشا ولاولاده من بعده وضربوا عليه خراجا معلوما يدفعه فى كل سنة ويرجع الى الدولة الشام والحجاز وتم الامر على ذلك وكانت مدة تملكه الاقطار الشامية قريبا من تسع سنين وفى مدة السلطان عبدالمجيد قوى الاتحاد مع دولتى فرانسا وانكلترا فحسنوا له احداث القوانين المسماة بالتنظيمات الخيرية فصدر منه الفرمان السلطانى بذلك سنة خمس وخمسين ومائتين والف وهى سنة جلوسه على تخت السلطنة

﴿ ذكر الحرب مع الروسية ﴾

فى سنة تسع وستين ومائتين وألف كانت الحروب العظيمة بين السلطان عبدالمجيد والروسية المسماة بحرب القرم وسببها انه وقع اختلاف بين طائفتى الروم واللاتين فى القدس من عدة سنين بسبب كنيسة القمامة وبعض الاماكن المقدسة فكانت كل طائفة منهما تدعى لنفسها حق الرياسة والتقدم على الاخرى باستيلاء مفاتيحها ثم أخذت هذه المسئلة تتعاظم بينهما وتمتد يوما بعد يوم الى ان آل الامر الى النزاع والجدال فى سنة ثمان وستين ومائتين وألف فوقع الباب العالى فى ارتباك وحيرة من جهة تسكينها واخماد نارها لان الروسية كانت تحامى عن حقوق الروم وفرانسا تحتشد لطرف اللاتين فتداخل سفير انكلترا فى صرف هذا المشكل ورسم ترتيبا لائتلاف الملتين المتخالفتين فقبلته فرانسة ولم تقبله الروسية لان مقصدها لتوحد ولم يكن مقتصرا على المحامات عن حقوق الروم بل كان لها غايات اخرى طالما كانت تجتهد

وكذا والده عبدالوهاب فانه كان من العلماء الصالحين فكان يتفرس فيه الالحاد ويذمه كثيرا ويحذر الناس منه وكذا أخوه الشيخ سليمان بن عبدالوهاب فانه أنكر عليه ما أحدثه من البدع والضلال والعقائد الزائغة وألف كتابا فى الرد عليه وكان فى أول أمره مولعا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبا كمسيلمة الكذاب وسجاح والاسود العنسى وطليحة الاسدى واضرابهم فكان يضمر فى نفسه دعوى النبوة ولو أمكنه اظهار هذه الدعوى لاظهرها وكان يسمى جماعته من أهل بلده الانصار ويسمى من اتبعه من الخارج المهاجرين واذا تبعه أحد وكان قد حج حجة الاسلام يقول له حج ثانيا فان حجتك الاولى فعلتها وأنت مشرك فلا تقبل ولا تسقط عنك الفرض واذا أراد أحد أن يدخل فى دينه يقول له بعد الاتيان بالشهادتين اشهد على نفسك انك كنت كافرا واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين واشهد على فلان وفلان ويسمى له جماعة من

اكابر العلماء الماضين انهم كانوا كفارا فان شهدوا قبلهم والا أمر بقتلهم وكان يصرح بتكفير الامة من منذ ستمائة سنة

على نوالها وتترقب الفرص لاستحصالها وهو ابعاد الدولة العثمانية من قارة اوروبا والاستيلاء على اقاليمها وولاياتها فانتهز امبراطورها نقولا تلك المنازعة فرصة مناسبة لنوال بغيته وبلوغ اربه فبعث سفيرا الى القسطنطينية لمقابلة السلطان عبد المجيد بعد ان كان بعث جيشا يبلغ مائة واربعة واربعين الفا الى نهر الطونة ليكون مستعدا لوقت اللزوم والحاجة فلما وصل السفير المذكور الى القسطنطينية رفض مواجهة فؤاد باشا وزير الخارجية ودخل رأسا على الحضرة الشاهانية وعرض عليه مطالب الامبراطور نقولا في المسئلة المتعلقة بالاماكن المقدسة وان جميع الروم الذين هم من تبعة الدولة العلية تكون تحت حمايته من الآن وصاعدا وان بطرك الروم القسطنطيني وباقي اساقفة الطائفة يكون انتخابهم وتغييرهم منوطا به وان الشكاوى والدعاوى التي تصدر عليهم من جهة تصرفاتهم تعرض عليه لينظر فيها فاستعظم السلطان هذه المطالب ورفضها لانها مخلة بناموس السلطنة ومغايرة للاصول وقوانين الدول فانثنى السفير راجعا من حيث اتى وأعلم الامبراطور نقولا بواقعة الحال فاستشاط غضبا أصدر امرا الى العساكر التي أرسلها الى اطراف الطونة ان تعبر النهر وتستولي على تلك الاطراف فاجتازت النهر وشنت الغارات على امارات الافلاق والبغدان واستولت عليها ولما تحقق الباب العالي قدوم ذلك الجيش الى اطراف بلاده علم أن مقاصد الروسية في تطلباتها لم تكن الا وسيلة لاشهار الحرب فجهز جيشا وأرسله الى تلك الحدود تحت قيادة عمر باشا المجري لردع الروسيين ولما تأكدت الدول الاوروباوية بغية الروسية ومقاصدها بادرت انكلترا وبروسيا والنمسا الى عقد جمعية للنظر في اجراء الوفاق بين الدولتين وأرسلت كل دولة منهما معتمدا من طرفها الى مدينة ثينا حيث واقام سفير من طرف الروسية وآخر من طرف الدولة العلية وعقدوا هناك مجلسا في سنة الف ومائتين وسبعين لم يأت بالمرغوب فلما لم يكن سبيل للصلح أشهر الباب العالي الحرب وصدم سليم باشا العساكر الروسية في الاناطول وانتصر عليهم في عدة مواقع وهاجمهم عمر باشا في الروم ايلي وانتصر عليهم ايضا وأما العمارة التي للروسية في البحر الاسود فصدمت العمارة العثمانية واستظهرت عليها بعد حرب شديدة فأتلفتها وكانت مؤلفة من سبعة فركاتات وباخرتين وثلاث مراكب حربية ثم ان انكلترا وفرانسا لما تيقنتا سوء نتايج هذه الحرب احتشدتا لمعونة السلطان وأعلنتا الحرب على الروسية في سنة احدى وسبعين ابتدأتا في نقل رجالهما ومهماتهما الى ساحة الحرب واشتبكتا في القتال واما باقي دول اوروبا فكانت محافظة على الحيادة وكانت دولة انكلترا قد أرسلت عمارة بحرية الى بحر بلتيك فاستولت على قلعة بومارستود ثم على جزيرة الاند ولكنها لم تقدر على استخلاص القلعة نظرا لحصانتها واذا كانت سيواسطبول أعظم قوات الروسية التي يعولون عليها في البحر الاسود وجهت انكلترا وفرنسا قواهما لافتتاحها والاستيلاء عليها فأرسلتا فرقا من عساكرهما عددها ستين الفا وكان اكثرها فرانساويين فنزلوا في بوياسرايا وفيما كانوا يتقدمون الى سيواسطبول صادفهم العساكر الروسية فاقتتل الفريقان قتالا شديدا الى أن دارت الدائرة على الروسيين فانهزموا عند نهر الماء وكان جيش عساكر الروسية يحاصر مدينة

وكان يكفر كل من لا يتبعه وان كان من اتقى المتقين فيسميهم مشركين ويستحل دماءهم وأموالهم ويثبت الايمان لمن اتبعه وان كان من أفسق الفاسقين وكان ينتقص النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا بعبارات مختلفة ويزعم ان قصده المحافظة على التوحيد فمنها انه يقول انه طارش وهو في لغة أهل الشرق بمعنى الشخص المرسل من قوم الى آخرين بمعنى انه صلى الله عليه وسلم حامل كتب مرسلة معه أي غاية أمره انه كالطارش الذي يرسله الامير أو غيره في أمر لاناس ليبلغهم اياه ثم ينصرف ومنها انه كان يقول نظرت في قصة الحديبية فوجدت بها كذا كذا كذبة الى غير ذلك مما يشبه حتى ان أتباعه كانوا يفعلون ذلك أيضا ويقولون مثل قوله بل يقولون أقبح مما يقوله ويخبرونه بذلك فيظهر الرضا وربما انهم تكلموا بذلك بحضرته فيرضى به حتى ان بعض أتباعه كان يقول عصاي هذه خير من محمد لانها ينتفع بها في قتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلا وانما هو طارش ومضى قال بعض العلماء ان ذلك كفر في المذاهب الاربعة بل هو كفر عند جميع أهل الاسلام ومن ذلك انه كان يكره الصلاة على النبي صلى الله عليه

(وسلم)

سلستزة ولم تقدر على أخذها فخرجت عليهم العساكر العثمانية من المدينة واقتحمتهم فانتصرت عليهم وفرقتهم فذهبوا عن المدينة خائبين وانضموا الى آخرين وقصدوا القرم لنجدة حصار قلعة سيواسطبول التي اليها وجهت الروسية كل قوتها من المهمات والعساكر والذخائر وصادم جيش من الانقليز جيشا للروسيين عند بالاكلا فانتصروا عليهم بعدما فقد منهم خلق كثير وكان جيش للروسية محاصرا في اقكرمان وعددهم ستون الفا فخرجوا من مكان حصارهم واقتحموا العساكر العثمانية والانقليزية والفرنساوية ودارت بينهم معركة شديدة الخسران على الفريقين وانجلت بانهزام الروسية وألزموهم حصن المدينة ولم يكن حينئذ في قوة الدول المتحدة الاستيلاء على سيواسطبول مع انهم كانوا يزيدون في قوتهم الحربية ويكثرون هجماتهم وقنابرهم ولم يقدروا على استخلاص تلك القلعة أو ان يمنعوا المساعدات التي كانت تأتيها من داخل البلاد ولقد قاست العساكر المتحدة لاسيما الانقليز في شتاء سنة احدى وسبعين وشتاء اثنتين وسبعين أهوالا وشدائد يكل اللسان عن وصفها وتعدادها فان الامراض والاوجاع قد أخذت في العساكر كل مأخذ وأهلكت كثيرا منهم فضلا عن الجوع والتعرض لبرد تلك البلاد والابخرة المنتنة التي كانت تتصاعد من جثث القتلى والحيوانات أما ايطاليا فقد هيأت جنودها للحرب وانضمت الى الدول المتحدة فأرسلت خمسة عشر ألف مقاتل بعدما تعهدت لها انكلترا بدفع مبلغ مليون ليره على سبيل الاعانة واشتهرت رجالها في تلك المجامع بالشجاعة والثبات وفي خلال ذلك هلك الامبراطور نقولا سنة اثنتين وسبعين ومائتين وألف وجلس ولده اسكندر الثاني مكانه وفي خلال ذلك وقعت واقعة هائلة بين الروسية والعساكر المتحدة كانت الدائرة فيها على الروسية واستولت جيوش فرانسا على قلعة ملاكوف واذلم يبق للروسية استطاعة على حفظ مراكزهم تركوا سيواسطبول في مساء ذلك النهار وعولوا على الهزيمة والفرار ودخلت العساكر المتحدة القلعة وامتلكتها فانفتحت حينئذ مخابرات الصلح وعقدت جمعية في باريز سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف حضرها اثنان من طرف كل دولة من الدول الست المتحابة وهي انكلترا وفرانسا والعثمانية والنمسا وبروسيا وسردانيا وأمضت شروط الصلح متضمنة أربعة وثلاثين بندا أخصها أن الدولة العلية يكون لها الامتيازات التي لباقي دول اوروبا من جهة القوانين والتنظيمات السياسية وأنها تكون مستقلة في ممالكها كغيرها من الدول وان البحر الأسود يكون بمعزل عن جولان مراكب حربية فيه من اى جنس كان ماعدا الدولة العثمانية والروسية فان لهما حقا في ادخال عدد قليل من المراكب الصغيرة الحربية لأجل محافظة أساكلها وان لايكون للدولة العثمانية ولا للروسية ترسانات بحرية حربية على شواطئ البحر الأسود الى غير ذلك من الشروط ثم انسحبت العساكر الى مواطنها وانتهت الحرب التي لم يكن لها داع سوى المطامع وفي سنة اثنتين وسبعين كانت فتنة عظيمة بمكة المشرفة بين اهالي مكة وعساكر الدولة بسبب ورود أمر بمنع بيع الرقيق وانتهت في رمضان بالقبض على الشريف عبد المطلب بن غالب أمير مكة وتولية الشريف محمد بن عون والكلام عليها طويل وفي سنة اربع وسبعين وقعت فتنة في جدة

يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب حتى انه قتل رجلا أعمى كان مؤذنا صالحا ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المنارة بعد الاذان فلم ينته وأتى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بقتله فقتل ثم قال ان الربابة في بيت الخاطئة يعني الزانية أقل اثما ممن ينادي بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المنائر ويلبس على اصحابه وأتباعه بأن ذلك كله محافظة على التوحيد فما أفظع قوله وما أشنع فعله وأحرق دلائل الخيرات وغيرها من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويتستر بقوله ان ذلك بدعة وانه يريد المحافظة على التوحيد وكان يمنع أتباعه من مطالعة كثير من كتب الفقه والتفسير والحديث واحرق كثيرا منها واذن لكل من اتبعه ان يفسر القران بحسب فهمه حتى همج الهمج من اتباعه فكان كل واحد منهم يفعل ذلك ولو كان لا يحفظ شيأ من القرآن حتى صار الذى لا يقرأ منهم يقول لمن يقرأ قرأ لي شيأ من القرآن وانا

 افسره لك فاذا قرأ له شيأ يفسره و أمرهم ان يعملوا بما فهموه منه وجعل ذلك

بين أهالى جدة والنصارى الذين بها بسبب اختلاف بعض أهل المراكب فى وضع بندية الاسلام او الانكليز على بعض المراكب والكلام عليها أيضا طويل وفى سنة ست وسبعين كانت فتنة بالشام بين النصارى وأهل الشام والكلام عليها ايضا طويل وفى سنة ألف ومائتين وسبع وسبعين حدثت فتنة عظمى بين الدروز والنصارى فى جبل لبنان آل الامر الى وقوع حرب بين الفريقين وكانت النتيجة ردية على النصارى بسبب اختلافهم وعدم انضمام بعضهم لبعض وعدم انقيادهم لبعضهم ففتكت بهم الدروز فأرسل الباب العالى فؤاد باشا ليمهد الامور وينتقم من المذنبين وأرسلت فرانسا عشرة آلاف جندى للمحافظة ومنع التعدى وكذلك باقى الدول الافرنجية منها من أرسل مراكب حربية ومنها من أرسل نوابا لاصطلاح الحال وتمهيد الامور وطلب اجراء مايلزم اجراؤه استحسنت الدولة العلية باتفاق الدول وضع نظامات جديدة لاهل هذا الجبل وان تحول احكامه لشير من الطائفة النصرانية من غير أهالى الجبل ليكون متصرفا بها ويخابر رأسا الباب العالى فتوجهت المتصرفية لداود باشا الارمنى ومن خيرات السلطان عبد المجيد وفتوحاته المعنوية تجديد مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة فانه كان على بناء السلطان قايتباى وكان مسقفا بالخشب فطالت مدته وحصل فيه خراب فصدرت ارادة مولانا السلطان عبد المجيد بهدمه وتجديده سنة ألف ومائتين وسبعين فهدم وجدد وجعل سقفه قببا وطواجن كالمسجد الحرام وتم عمارته بعد مضى أربع سنين فجاء على صفة لم ير الراؤن أحسن منها وله عمارات كثيرة فى الاماكن المأثورة بالحرمين الشريفين وله تجديد ميزاب للكعبة المشرفة سنة خمس وسبعين ومائتين وألف وتوفى السلطان عبد المجيد فى سابع عشر ذى القعدة سنة ألف ومائتين وسبع وسبعين وعمره اربعون سنة ومدة سلطنته ثنتان وعشرون سنة وستة اشهر

﴿ ذكر ولاية السلطان عبد العزيز ﴾

وأقيم فى السلطنة بعده أخوه السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود الثانى وفى سنة ثمان وسبعين أظهر العصيان أهل الجبل الاسود فسير السلطان عبد العزيز اليهم جيشا فقاتلهم وهزمهم ثم رجعوا الى الطاعة وفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف أظهر العصيان كثير من الاروام بجزيرة كريد وكثير من البندقية فجهزت الدولة عليهم جيوشا برا وبحرا وكذلك جهز صاحب مصر عساكر كثيرة برا وبحرا فكانت مع عساكر الدولة ووقع بينهم وبين العصاة حرب شديد كان النصر فيها لعساكر الاسلام وأذاقوا العصاة الوبال وأرجعوهم الى الطاعة وفى سنة تسع وسبعين توجه السلطان عبد العزيز الى الديار المصرية للتنزه والتفرج وكان ذلك فى ولاية اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد على باشا وفى سنة أربع وثمانين توجه السلطان المذكور الى باريز تخت ملك الفرنسيس للتنزه والتفرج أيضا ثم منها توجه الى بلاد الانكليز للتفرج والتنزه أيضا وكان فى رحلته هذه مر على أدرنه وعلى قلعة بلغراد وكان الصرب قد طلبها منه وقيل النساء أعطاها أياهم لحين ما ين تحصينها غضب لذلك وكانوا أخبروه أنها مهدومة وأنها مدينة كاسدة فأعطاها قبل أن يراها فلما

على الموحدين وقد روى البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت فى الكفار فجعلوها فى المؤمنين وفى رواية أخرى عن ابن عمر عند غير البخارى انه صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف على أمتى رجل متأول للقرآن يضعه فى غير موضعه فهذا وما قبله صادق على ابن عبد الوهاب ومن تبعه ومما يدعيه محمد بن عبد الوهاب انه أتى بدين جديد كما يظهر من أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا لم يقبل من دين نبينا صلى الله عليه وسلم الا القرآن مع أنه انما قبله ظاهرا فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره فينكشفوا عليه بدليل انه هو وأتباعه انما يؤولونه بحسب ما يوافق أهواءهم لا بحسب ما فسره النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير فانه لا يقول بذلك كما أنه لا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وأقاويل الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ولا بما استنبطه الأئمة من القرآن والحديث ولا يأخذ بالاجماع ولا

رأها ندم حيث لا ينفع الندم وفي سنة ثمان وثمانين وكانت فتنة عظمى ببلاد عسير فجهزت الدولة جيشا تحت قيادة رديف باشا فسار حتى صعد جبال عسير وقاتلهم وهزمهم وقتل أميرهم محمد بن عائض بن مرعي وقتل معه جماعة من عشيرته واسر كثيرا وارسلهم الى الاستانة وصارت بلاد عسير في حكم الدولة العلية منضمة الى ولاية صنعا واليمن وفي هذه السنة أيضا كانت فتنة عظمى بين دولة البروسية وفرانسا آل الامر فيها الى هزيمة الفرنسيس وأسر ملكهم نابليون الثاني والكلام عليها طويل مفرد بالتأليف وفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف في السابع من شهر جمادى الاولى خلع السلطان عبد العزيز ومات رحمه الله تعالى بعد خمسة ايام وعمره ثمان واربعون سنة ومدة سلطنته ست عشرة سنة واربعة أشهر

﴿ ذكر ولاية السلطان مراد الخامس ﴾

وأقيم في السلطنة بعد السلطان مراد الخامس ابن السلطان عبد المجيد ابن السلطان محمود الثاني ثم خلع بعد ثلاثة أشهر وثلاثة أيام في ثالث شعبان من السنة المذكورة أعني سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف والسبب في خلعه انه وقع له خلل في عقله بعد أيام مضت بعد بيعته فلما تحققوا الخلل في عقله استفتوا فيه شيخ الاسلام خير الله افندي فأفتى بخلعه لأن شرط الخليفة أن يكون متصفا بالعقل فخلعوه وبايعوا أخاه سلطان العصر مولانا السلطان عبد الحميد الثاني وبقي السلطان مراد المخلوع في داره وأما السلطان عبد العزيز فانه بعد خلعه بأيام قلائل أقل من الاسبوع توفي فأشيع انه قتل نفسه بمقص قص به عرقا في ذراعه فمات من ذلك وفي سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف نفي جماعة من الوزراء الى الحجاز فحبسوهم في قلعة الطائف منهم مدحت باشا ومحمود باشا داماد مولانا السلطان عبد الحميد ونوري باشا داماد مولانا السلطان عبد الحميد أيضا ومعهم جماعة آخرون غير هؤلاء منهم شيخ الاسلام خير الله افندي وفي سنة ثلاثمائة توفي مدحت باشا ومحمود باشا الداماد في القلعة المذكورة وكان خلع السلطان عبد العزيز سببا لاضطراب كثير وحوادث شتى وكان القائم أكمل القيام في خلعه حسين عوني باشا وكان السلطان عبد العزيز هو الذي رقاه وأعلى قدره الى ان جعله رئيسا على العساكر كلها بل صار مقدما على جميع اهل الرتب والمناصب فرتب الامور مع الوزراء وغيرهم وزعم ان السلطان عبد العزيز تداخل مع الروسية وانه يريد ان يملكهم دار السلطنة فمازال حسين عوني باشا وغيره يسعون في ذلك حتى تم لهم خلعه فقدر الله ان رجلا يقال له حسن جركس قتل حسين عوني باشا وذلك أن السلطان عبد العزيز كان متزوجا بأخته فأخذته حمية حين خلع السلطان عبد العزيز فصمم على قتل حسين عوني باشا فدخل عليه في دار صدر أعظم محمد رشدي باشا فوجده مع جماعة من الوزراء مجتمعين للمشاورة في بعض الامور وكان مع حسن جركس زوج من الطبنج ذوات الارواح المتعددة فضربه به ضربا متعددا وقتل جماعة من الحاضرين منهم حسين عوني باشا الساعي في خلع السلطان عبد العزيز ولم يتم لحسين عوني باشا شيء من مراده والله غالب على أمره ثم قبضوا على حسن جركس فقتلوه

أحمد بريء منه ولذلك انتدب كثير من علماء الحنابلة المعاصرين له للرد عليه وألفوا في الرد عليه رسائل كثيرة حتى أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة في الرد عليه وأعجب من ذلك أنه كان يكتب الى عماله الذين هم من أجهل الجاهلين اجتهدوا بحسب فهمكم ونظركم واحكموا بما ترونه مناسبا لهذا الدين ولا تلتفتوا لهذه الكتب فان فيها الحق والباطل وقتل كثيرا من العلماء والصالحين وعوام المسلمين لكونهم لم يوافقوه على ما ابتدعه وكان يقسم الزكاة على ما يأمره به شيطانه وهواه وكان أصحابه لا ينتحلون مذهبا من المذاهب بل يجتهدون كما كان يأمرهم ويتسترون ظاهرا بمذهب الامام أحمد رضي الله عنه ويلبسون بذلك على العامة وكان ينهى عن الدعاء بعد الصلا ويقول ان ذلك بدعة وانكم تطلبون أجرا على الصلاة وأمر القائم بدينه عبد العزيز بن سعود أن يخاطب المشرق والمغرب برسالة يدعوهم الى التوحيد وانهم عنده مشركون شركا أكبر يستبيح به الدم والمال فكان ضابط الحق عنده ما وافق هواه وان خالف النصوص الشرعية واجماع الائمة

❁ ذكر ولاية سلطان العصر أطال الله عمره ❁

هو السلطان المعظم المفخم سلطان سلاطين العرب والعجم حائز العلم والصلاح والكرم المتشرف بخدمة طيبة والحرم * صاحب السيف والقلم * ظل الله في العالم غياث بني آدم * نعمة الله على العباد وفضله على الحاضر والباد * ناصر الحق والدين * مؤيد شريعة سيد المرسلين * المحفوف بالسبع المثاني * أمير المؤمنين مولانا السلطان الغازي عبد الحميد الثاني أعز الله به سرير الملك والخلافة بوجوده * وأعد على القريب والبعيد آثار فضله وجوده * وأنفذ في جميع البلاد أوامره وأحكامه * وانشر على البرايا ألوية عدله وأعلامه * وأيده بتأييدك وأبده بتأبيدك واجعل سلالة تلك السلطنة العلية مسلسلة الى منتهى الدوران * مستمرة على مرور الليالي والأيام باقية الى آخر الأزمان * آمين يارب العالمين بويع أطال الله عمره لما خلعوا أخاه السلطان مراد في ثالث شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف فكانت سلطنته زينة وبهجة وسرورا وامتد بها في مشارق الارض ومغاربها ماملأهما نورا ومما كان من الحوادث في أول ولايته انه وقع عصيان من بعض النصارى الداخلين في رعية الدولة العلية في بلاد الروم ايلي وهم طائفة يقال لهم الهرسك فجهز عليهم مولانا السلطان المذكور جيشا فقاتلوهم وكانوا قوما ضعافا لايحتاج الاستيلاء عليهم وقهرهم الى كلفة ولا الى كثرة عساكر الاان الروسية تداخلت معهم وصارت تقويهم بأشياء كثيرة حتى اتسعت فتنتهم وانتشرت واعانهم طوائف من النصارى الذين كانوا قريبا منهم الى ان صارت المحاربة بين الدولة والروسية وصارت تلك الطوائف من النصارى مع الروسية وساقت الدولة بهذه الفتنة العساكر الكثيرة وأنفقت الخزائن الوفيرة فقدر الله بانهزام جيوش الاسلام وأسر كثير منهم في بلونة وذلك بسبب محاصرة عساكر الروسية لهم في ذلك البلد وعدم امكان وصول الميرة اليهم لشدة البرد وكثرة الثلج وممن أسر من كبار عساكر الاسلام الوزير عثمان باشا الغازي قومندان ذلك الجيش في بلونة ثم أطلق مع كثير ممن أسروا وكان اطلاقهم بعد انعقاد الصلح وتملك الروسية كثيرا من المدائن العظام الى ان وصلوا الى قريب ادرنة والكلام على هذه الفتنة طويل قد افرد بالتأليف وختام الامر ان بقية الدول توسطت في الصلح بين الدولة العلية ودولة الروسية وانعقد الصلح سنة خمس وتسعين على ان يبقى تحت يد الروسية ماتملكوه من البلاد وان الدولة العلية تدفع لهم غرامة الحرب وكان شيأ كثيرا وتبقى للدولة أدرنة وما يليها الى دار سلطنة الدولة العلية وكان هذا الخلل انما دخل على المسلمين بعد خلع السلطان عبد العزيز فلا حول ولا قوة الا بالله وفي سنة ست وتسعين ومائتين وألف أعطت الدولة العلية جزيرة قبرس للانكليز على ان تكون بأيديهم سنين موقتة بشروط ان يدفعوا للدولة العلية قدر الخراج الذي كان يحصل منها وقد تقدم في هذا الكتاب تكرر وضع اليد على قبرس من المسلمين والنصارى مرارا كثيرة اولها من زمن الصحابة حين افتتحها معاوية رضي الله عنه وبعد ذلك صار المسلمون والنصارى يتداولونها تارة تكون بيد هؤلاء وتارة بيد هؤلاء وفي سنة ست وتسعين ومائتين والف خلع والي مصر اسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا وقد كان محمد علي باشا لما نعقد الصلح بينه وبين مولانا السلطان عبد المجيد سنة خمس وخمسين ومائتين والف جعلت له مصر ولاولاده من بعده فلما صارت ولايتها

من أقوال الائمة الاربعة ليست بشيء وتارة يتستر ويقول ان الائمة على حق ويقدح في أتباعهم من العلماء الذين ألفوا في المذاهب الاربعة وحرروها ويقول انهم ضلوا وأضلوا وتارة يقول ان الشريعة واحدة فمالهؤلاء جعلوها مذاهب أربعة هذا كتاب الله وسنة رسوله لانعمل الابهما ولانقتدي بقول مصري وشامي وهندي يعني بذلك أكابر علماء الحنابلة وغيرهم ممن لهم تأليف في الرد عليه واحتجوا في الرد عليه بنصوص الامام أحمد رضي الله عنه وكان يخطب للجمعة في مسجد الدرعية ويقول في كل خطبة ومن توسل بالنبي فقد كفر وكان أخوه الشيخ سليمان ينكر عليه انكارا شديدا في كل مايفعله أو يأمر به ولم يتبعه في شيء مما ابتدعه وقال له أخوه سليمان يوما كم أركان الاسلام يامحمد بن عبد الوهاب فقال خمسة فقال بل أنت جعلتها ستة السادس من لم يتبعك فليس بمسلم هذا ركن سادس عندك للاسلام وقال رجل آخر يوما لمحمد بن عبد الوهاب كم يعتق الله كل ليلة في رمضان فقال له يعتق في كل ليلة مائة ألف

لاسماعيل باشا أراد حصر الولاية فى أولاده ومنع اخوانه وأولاد اخوانه منها فتوجه الى دار السلطنة فى مدة السلطان عبد العزيز سنة احدى وتسعين ومائتين والف فتم له مراده وجعلوا ولاية مصر له ولاولاده الاكبر فالاكبر وكان الصدر الاعظم فى ذلك الوقت فى دار السلطنة هو محمد رشدى باشا الشروانى ثم ان الله قضى وقدر ان عاقبة هذا الامر الذى فعله اسماعيل باشا اول ماظهر سوءه عليه فانه فى سنة ست وتسعين ظهر عليه كثرة ديون أخذها من الدول الأجنبية وأنفقها فى غير حقها فتشاور اهل الديون على انهم يضبطون خراجات مصر ومحصولاتها لأجل استيفاء ديونهم فلما أحس بذلك أراد ان يجعل له عصبية يمنعهم بها فتداخل مع العلماء واهل مصر وعقد بينه وبينهم عهودا ومواثيق على أن الامور كلها تكون بيد العلماء والاهالى وبمشاورتهم فلما أحس الانقليز والفرنسيس وغيرهما بانعقاد هذه العصبية سعوا فى خلعه ووافقهم على ذلك مولانا السلطان عبد الحميد فخلعوه فى سنة ست وتسعين وجعلوا ولاية مصر لولده الاكبر محمد توفيق باشا عملا بما تقرر قبل ذلك حين نفى اخوته وبنيهم من دخولهم فى الولاية من بعده وأن الولاية من بعده تكون لأكبر أولاده فأقاموا عليها ولده الاكبر وهو محمد توفيق باشا وتوجه والده اسماعيل باشا بعائلته وبقية أولاده الى نابولى من بلاد ايطاليا وجعل له مرتب من محصولات مصر وخزينتها وفى سنة سبع وتسعين ومائتين وألف استولت دولة الفرنسيس على تونس وأعمالها بالمكر والخديعة والحيلة فجهزت دولة الفرنسيس عساكر كثيرة وأظهرت أنها تريد تأديب بعض قبائل العرب العصاة منهم قبيلة يقال لهم الخمير فى أعمال تونس فوصلوا بعساكرهم اليهم وقاتلوهم وقهروهم ثم زحفوا بعساكرهم الى تونس ولم يستطع أحد ان يدفعهم الى أن قاربوا دخول تونس فاضطرب أهل تونس اضطرابا كثيرا ثم عقدوا معهم صلحا وأدخلوا طائفة من عساكرهم تونس وأبقوا الباى على ولايته بحسب الظاهر واستولوا فى الباطن على الاحكام والمحصولات والخراجات واستقبلوا الديون التى كانت على والى تونس وصارت الامور كلها بأيديهم فلا حول ولا قوة الا بالله وفى سنة ثمان وتسعين ومائتين والف كانت فتنة بمصر بين والى مصر محمد توفيق باشا وبين عرابى باشا وكان عرابى باشا من رؤساء عساكر محمد توفيق باشا واتسع الامر فى ذلك فجاء الانكليز بعساكرهم البحرية نجدة لمحمد توفيق باشا الى الاسكندرية وضربوا مدافعهم على الاسكندرية وقاتلوا الذين كانوا مع عرابى باشا وكان ذلك فى شعبان ورمضان سنة تسع وتسعين واتسع الامر بما يطول الكلام بذكره وكانت الغلبة لتوفيق باشا ومن معه من الانقليز وتملكوا الاسكندرية وذهب عرابى باشا ومن معه الى مصر ثم سارت الانقليز بعساكرهم لقتاله بمصر والكلام على ذلك طويل وفى آخر الامر أنه انهزم عرابى باشا ومن معه ثم دخلوا مصر وقبضوا على عرابى باشا وعلى كثير ممن كانوا معه فقتلوا جماعة منهم ونفوا جماعة نفيا مؤقتا وجماعة نفيا مؤبدا وصار العفو عن قتل عرابى باشا ونفوه مع بعض من كانوا معه الى جزيرة سيلان من أعمال مليبار من بلاد الهند وجعلوا اقامته ومن معه هناك ورتبوا لهم مرتبا يكفيهم واستولى الانقليز على القطر المصرى ووضعوا عساكرهم فى القلعة على صورة أنهم انما فعلوا ذلك اعانة لمحمد توفيق باشا وأبقوه على ولايته والانقليز مع ذلك كله يقولون ليس

وفى آخر ليلة يعتق مثل ما أعتق فى الشهر كله فقال له لم يبلغ من تبعك عشر عشر ما ذكرت فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم الله تعالى وقد حصرت المسلمين فيك وفيمن تبعك فبهت الذى كفر ولما طال النزاع بينه وبين أخيه خاف أخوه أن يأمر بقتله فارتحل الى المدينة وألف رسالة فى الرد عليه وأرسلها اليه فلم ينته وقال له رجل مرة وكان رئيسا على قبيلة لا يقدر أن يسطوا به ما تقول اذا أخبرك رجل صادق ذو دين وأمانة وأنت تعرف صدقه بأن قوما كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلانى فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا للقوم أثرا ولا أحد منهم جاء تلك الارض أصلا تصدق الالف أم الواحد الصادق عندك فقال أصدق الالف فقال له اذن جميع المسلمين من العلماء الاحياء والاموات فى كتبهم يكذبون ما أتيت به ويزيفونه فنصدقهم ونكذبك فلم يعرف جوابا لذلك وقال له رجل آخر هذا الدين الذى جئت به متصل أو منفصل فقال له حتى مشائخى ومشائخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون فقال له الرجل اذن دينك منفصل لا متصل فعن من أخذته فقال وحى الهام كالخضر فقال له اذن ليس ذلك محصورا

مرادنا الاستيلاء على مصر وانما مرادنا الاصلاحات والتأييد لمحمد توفيق باشا واذا استقامت
الامور وانتظمت احوال مصر نخرج منها ونخرج عساكرنا وفى سنة سبع وتسعين ظهر
رجل بالسودان يسمى محمد احمد يقال انه المهدى أو قائم طالب لاظهار الحق ولم يدع أنه
المهدى ويقال انه شريف حسنى وكان قبل ظهوره مشهورا بالصلاح ومن مشائخ الطرائق
قيل انه على طريقة الشيخ السمان وأول ظهوره أنه لما كثرت اتباعه ومريدوه وقع
اختلاف بينه وبين العساكر المصرية المتملكين للسودان عمالا لصاحب مصر محمد توفيق
باشا ثم اتسع الامر بينهم وبينه الى القتال وقاتلوه وقاتلهم مرارا وكانت الغلبة لمحمد أحمد
عليهم حتى استولى على كثير من بلاد السودان وأخرجهم منها فلما دخل الانقليز مصر
صار الانقليز هو الذى يجهز عليه العساكر ويقاتله بعساكر الانقليز ومعهم عساكر مصر
ووقع بينهم وبينه وقائع كثيرة يطول الكلام بذكرها والغلبة فى تلك الوقائع كلها له
عليهم فملك كردفان وكسلة والخرطوم وبربرة ودنقلة وغير ذلك وقتل منهم خلقا كثيرا
لايحصى عددهم وكان أمره معهم عجيبا يأتون اليه بالعساكر الكثيرة والمدافع والآلات
الشهيرة التى لايطيق أحد مقابلتها فيقابلهم بجيوشه السودانيين وليس معهم الا السيف
والرمح والسكاكين فيهجمون على تلك العساكر فى موضعهم ومحط جيشهم ولا يبالون
بمدافعهم وآلاتهم حتى يخالطوهم ويقتلوا اكثرهم من قرب طعنا بالرماح وضربا بالسيوف
والسكاكين ويشتتون شملهم ومنهم جماعة فى وارى سواكن قدولى محمد أحمد عليهم رجلا
يسمى عثمان دقنه فجاء بمن معه من السودان لمحاصرة سواكن واخراج الانقليز والعساكر
المصرية منها فخرجوا اليه بجيوشهم الكثيرة وآلاتهم ومدافعهم الشهيرة فهزمهم عثمان
دقنه ومن معه من السودان هزيمة بعد هزيمة وقتل الكثير منهم حتى أنهم جاؤه فى سنة ثنتين
وثلاثمائة بنحو من سبعين مركبا مشحونة بالعساكر الكثيرة والآلات والاستعدادات
الوفيرة وخرجوا لقتاله فى البر قريبا من سواكن فهزمهم وقتل أكثرهم وشتت شملهم وغنم
أكثر اموالهم ودوابهم وذخائرهم وأسبابهم والى هذا الوقت وهو شهر ذى الحجة من سنة ثنتين
وثلاثمائة وعثمان دقنه ومن معه من السودان فى نواحى سواكن محاصرون لها وفيها
عساكر للانقليز وصاحب مصر قيل ان جيوش محمد احمد تبلغ ثلاثمائة ألف أو يزيدون
وأما دعوى أنه المهدى فمختلف فيها فمن الناس من يقول انه يدعى أنه المهدى ومنهم من
يقول لم يدع أنه المهدى بل يقول انه قائم لاظهار الحق واقامة الشريعة واخراج الانقليز
من مصر والله اعلم بحقيقة الحال والاكثر من الناس يقولون انه رجل صالح على غاية من
الاستقامة ومنهم من يقدح فيه وينسب اليه خلاف ذلك ويقول ان جيوشه يقع منهم
فساد كثير وليس لهم غرض الا القتل والنهب وانهم فى استيلائهم على كردفان والخرطوم
وغيرهما قتلوا خلقا كثيرا من المسلمين فيهم العلماء والصلحاء والنساء والاطفال وقيل ان
وقوع ذلك كان من بعض المفسدين منهم ولم يرض بذلك محمد احمد ولم يأمر به والله أعلم
بحقيقة الحال وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بأن انتصار آخر هذه الأمة فى آخر الزمان
يكون بالسودان فيحتمل أنهم هؤلاء ويحتمل أن يكونوا غيرهم وانتصار المسلمين بهم فى آخر

(الزمان)

فيك كل أحد يمكنه ان يدعى وحى الالهام الذى تدعيه ثم قال له ان التوسل مجمع عليه عند أهل السنة
حتى ابن تيمية فانه ذكر فيه وجهين ولم يذكر ان فاعله يكفر حتى الرافضة والخوارج والمبتدعة كافة فانهم قائلون بصحة التوسل به صلى الله عليه فلا وجه لك فى التفكير أصلا فقال محمد بن عبدالوهاب ان عمر استسقى بالعباس فلم يستسق بالنبى صلى الله عليه وسلم ومقصد محمد بن عبد الوهاب بذلك ان العباس كان حيا وان النبى صلى الله عليه وسلم ميت فلا يستسقى به فقال له ذلك الرجل هذا حجة عليك فان استسقاء عمر بالعباس انما كان لاعلام الناس صحة التوسل بغير النبى صلى الله عليه وسلم وكيف تحتج باستسقاء عمر بالعباس وعمر هو الذى روى حديث توسل آدم بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يخلق فالتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم كان معلوما عند عمر وغيره وانما أراد عمر أن يبين للناس ويعلمهم صحة التوسل بغير النبى صلى الله عليه وسلم فبهت وتحير وبقى على عماوته ومن قبائحه الشنيعة انه
منع الناس من زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فبعد منعه خرج أناس من الاحساء وزار النبى صلى

الزمان مأخوذ مما ذكره الخازن في تفسيره عند تفسير قوله تعالى * ثلة من الأولين وثلة من الآخرين *
من سورة الواقعة فانه قال مانصه ثلة من الأولين يعني من المؤمنين الذين قبل هذه الأمة
وثلة من الآخرين يعني من مؤمني هذه الأمة ويدل عليه مارواه البغوي باسناد الثعلبي
عن عروة بن رويم قال لما أنزل الله عزوجل قوله تعالى ثلة من الأولين وقليل من الآخرين
بكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال يارسول الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو
منا قليل فأنزل الله عزوجل ثلة من الأولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عمر بن الخطاب وقال له قد أنزل الله فيما قلت فقال عمر رضي الله عنه رضينا
عن ربنا وصدقنا نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم
الينا ثلة ومنا الى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الا سودان من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله اه
ومثل ذلك في تفسير الخطيب الشربيني وفي التفسير المسمى بالدر المنثور للجلال السيوطي
ان عروة بن رويم روى هذا الحديث عن جابر بن عبدالله الانصاري رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم وان الحديث المذكور ايضا رواه ابن مردويه وابن عساكر لكن اللفظ
الذي ذكره في الدر المنثور قال في آخره وأمتي ثلة ولن تستكمل ثلتنا حتى نستعين بسودان من رعاة
الابل ممن يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اه فيحتمل ان المراد من السودان هؤلاء
القائمون مع محمد احمد وعثمان دقنه ويحتمل ان يكون غيرهم والله أعلم بغيبه وكل ما أخبر به
النبي صلى الله عليه وسلم لابد من وقوعه وروى ابن مكرم الافريقي في كتاب له سماه لسان
العرب حديثا لم يذكر من خرجه وقال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج في آخر الزمان
رجل يسمى أمير الغضب أصحابه محسورون محقرون مقصون عن أبواب السلطان ومجالس
الملوك يأتونه من كل أوب كقزع الخريف يورثهم الله مشارق الارض ومغاربها اه فيمكن أنهم
هؤلاء السودان القائمون مع محمد احمد أو غيرهم وقد ذكر كثير من العلماء الذين ألفوا رسائل
في ظهور المهدي وعلاماته ان من علامات ظهوره خروج السودان منهم الجلال السيوطي
والعلامة ابن حجر والعلامة المتقي والعلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي في كتابه المسمى
بالاشاعة في أشراط الساعة ففي رسالة الجلال السيوطي المسماة بالعرف الوردي في علامات
المهدي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه اذا خرجت السودان طلبت العرب ينكشفون
حتى يلحقوا ببطن الاردن أو ببطن الارض فبينماهم كذلك اذ خرج السفياني في ستين وثلاثمائة
راكب حتى يأتوا دمشق فلا يأتي عليهم شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفا والأحاديث
التي جاء فيها ذكر السفياني كثيرة شهيرة والكلام عليها طويل وهو يريد قتال المهدي
عند ظهوره ثم يخسف بجيش السفياني ويهلكه الله تعالى وفي رسالة ابن حجر المسماة
بالقول المختصر في أخبار المهدي المنتظر أن من علامات ظهور المهدي ألوية تقبل من المغرب
وأن خروج أهل المغرب الى مصر من أمارات خروج السفياني وذلك مما يكون عند ظهور
المهدي وجهة السودان بالنسبة الى مصر مغرب فيحتمل أنهم هؤلاء القائمون مع محمد احمد
ويحتمل ان يكون المراد غيرهم وكذا قوله خروج أهل المغرب الى مصر يحتمل ان يكونوا هؤلاء
لانه يصدق على الجهة التي ظهروا منها انها من المغرب بالنسبة لمصر ويحتمل أن يكونوا غيرهم

الله عليه وسلم وبلغه خبرهم فلما رجعوا امروا عليه في الدرعية فأمر بحلق لحاهم ثم أركبهم مقلوبين من
الدرعية الى الاحساء وبلغه مرة ان جماعة من الذين لم يتابعوه من الآفاق البعيدة قصدوا الزيارة والحج وعبروا على الدرعية فسمعه بعضهم يقول لمن تبعه خلوا المشركين يسيرون طريق المدينة والمسلمين يعني جماعته يتخلفون معنا والحاصل أنه لبس على الاغبياء ببعض الاشياء التي توهمهم باقامة الدين وذلك مثل أمره للبوادي باقامة الصلاة والجماعة ومنعهم من النهب ومن بعض الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط وكتأمين الطرق والدعوة الى التوحيد فصار الاغبياء الجاهلون يستحسنون حاله وحال أتباعه ويغفلون ويذهلون عن تكفيرهم الناس من منذ ستمائة سنة وعن استباحتهم أموال الناس ودماءهم وانتهاكهم حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بارتكابهم أنواع التحقير له ولمن أحبه وغير ذلك من قبائحهم التي ابتدعوها وكفروا الامة بها وقد اعتنى كثير من العلماء من أهل المذاهب الاربعة بالرد عليهم في كتب مبسوطة عملا بقول النبي
صلى الله عليه وسلم اذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وبقوله صلى الله عليه وسلم

والله أعلم بأسرار غيبه وأسرار احاديث نبيه صلى الله عليه وسلم ومن علامات ظهور المهدي الرايات السود التي تخرج من خراسان وجاء فيها أحاديث كثيرة قال في الاشاعة ويمكن انها هي التي خرجت في زمن المهدي العباسي ابن المنصور ويحتمل انها ايضا تخرج عند ظهور المهدي المنتظر وفي شرح الشجرة النعمانية للشيخ صلاح الدين الصفدي عبارات تفيد ان الدولة العلية العثمانية تبقى قوتها وسلطنتها الى ظهور المهدي وانهم يكونون من أعوانه وأنصاره بأنفسهم وأموالهم وخزائنهم وعساكرهم وآلاتهم وعددهم فيجب الدعاء للدولة العثمانية على كل مسلم والذي يقاتلهم يكون باغيا خارجا عليهم فالواجب على كل مسلم السعي في تشييد دولتهم وتثبيت قواعدها واعانتهم في اظهار الشريعة واحياء السنن واماتة البدع والدعاء لهم بالتوفيق فنسأل الله تعالى أن يوفقهم لكل خير وأن يلهمهم كمال الرشد والصلاح وكذا سائر وزرائهم وقضاتهم وعمالهم ثم ان هذا القائم بالسودان وهو المسمى محمد احمد اما ان يكون باغيا خارجا على السلطان فيجب قتاله وان لم يدع انه المهدي ويمكن أن الله أقامه لاخراج الانكليز من مصر اعانة للدولة العثمانية ولا يريد الخروج على السلطان وانما يريد ان يكون من جملة رعايا الدولة العثمانية ثم يكون لاعانة المهدي ويؤيد ذلك ما ذكره الجلال السيوطي في رسالته التي ألفها في علامات المهدي فانه ذكر فيها حديثا أخرجه نعيم بن حماد عن أبي قبيل قال يكون أمير بافريقية اثنتي عشرة سنة ويكون بعده فتنة فيملك رجل يملؤها عدلا ثم يسير الى المهدي فيؤدي اليه الطاعة ويقاتل عنه فيمكن أنه هو هذا الرجل المسمى محمد احمد ويمكن أنه غيره والله اعلم بأسرار غيبه وقيل ان الذين يشيعون انه هو المهدي انما هم بعض أتباعه ليرغبوا عامة الناس في اتباعه والدخول في طاعته وأما هو فانه لم يدع انه المهدي بل قال بعض من اجتمع به انه سمع منه بلا واسطة انه يقول اني لست انا المهدي المنتظر وانما انا قائم لاظهار الحق واقامة الشريعة واما ان ثبت انه يدعي انه هو المهدي المنتظر فالأمر مشكل لان المهدي المنتظر لا يدعي انه المهدي ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقاتل الناس لتحصيلها ولا يبايع الا وهو مكره بل لا يبايع الناس حتى يتهددوه بالقتل وذلك ان الله يطلع بعض من اختصه من صالحي عباده عليه وعلى علاماته فيدلون الناس عليه فيطلبونه فيفر منهم مرارا ثم يمسكونه ويكرهونه على البيعة ويتهددونه بالقتل ولا يكون ظهوره والبيعة له الا والناس بلا خليفة أخذا من حديث يحصل اختلاف عند موت خليفة وهو أصح حديث روي في هذا الباب واما الآن فالناس لله الحمد لهم خليفة وهو امير المؤمنين مولانا السلطان عبد الحميد بن المرحوم مولانا السلطان عبد المجيد وبيعته في أعناق المسلمين وسلسلة سلطنته من أحسن الدول الاسلامية مقيمين للشريعة السنية محبين للصحابة واهل البيت ناصرين اهل السنة المحمدية قامعين اهل البدعة الردية فلا يجوز خلع بيعته ولا الخروج عن طاعته ثبت الله دولته وابد سلطنته فمن خلع بيعته او ترك طاعته اوخرج عليه فهو باغ معتد وايضا من علامات المهدي المنتظر ان يكون من ولد فاطمة رضي الله عنها وان يكون ظهوره والبيعة له بمكة بين الركنين ولا يصح أن يكون ظهوره والبيعة له بغير مكة قال الجلال السيوطي في آخر العرف الوردي

ماظهر أهل بدعة الا أظهر الله فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه فلذلك انتدب للرد عليه علماء المشرق والمغرب من أهل المذاهب الاربعة وسألوه عن مسائل يعرفها أقل طلبة العلم فلم يقدر على الجواب عنها فممن ألف في الرد عليه العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق فانه ألف كتابا في الرد عليه سماه تهكم المقلدين بمدعي تجديد الدين ورد عليه في كل مسألة من مسائله التي ابتدعها وسأله عن أشياء تتعلق بالعلوم الشرعية والادبية بسؤالات كتبها وأرسلها له فعجز عن الجواب عن أقلها فضلا عن أجلها فمن جملة ما سأله عنه قوله أسألك عن قوله تعالى والعاديات ضبحا الى آخر السورة التي هي من قصار المفصل كم فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية وكم فيهما من مجاز مرسل ومجاز مركب واستعارة حقيقة واستعارة وفاقية واستعارة تبعية واستعارة مطلقة واستعارة مجردة واستعارة مرشحة وأين موضع الترشيح أو التجريد والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية وما فيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمركب وما فيهما من المجمل والمفصل وما فيهما من الايجاز والاطناب والمساواة والاسناد الحقيقي والاسناد

في علامات المهدي وأما قول القرطبي ان ظهور المهدي يكون من المغرب فهو باطل وقد تبع
السيوطي على ذلك العلامة العلقمي والعلامة الصبان في رسالته التي ألفها في علامات المهدي
فكل منهما قال كما قال السيوطي ان قول القرطبي ان ظهور المهدي يكون بالمغرب باطل وقال
بعضهم يمكن حمل كلام القرطبي على غير المهدي المنتظر فان كثيرا ممن ادعى كل منهم أنه المهدي
كان ظهورهم بالمغرب كمحمد بن تومرت وعبيد الله العبيدي جد ملوك افريقية ومصر وخلق
كثير غير هذين ادعى كل واحد منهم أنه المهدي بالمغرب وغيره وذلك لان المهديين متعددون
والمهدي المنتظر واحد وهو الذي يكون من ولد فاطمة ويكون ظهوره بمكة والناس بلا خليفة
ويبايع مكرها ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقاتل الناس لتحصيلها ويكون في زمنه خروج المسيح
الدجال ونزول عيسى عليه السلام ويجتمع به ومما يدل على ان المهديين متعددون والمهدي
المنتظر واحد ما ذكره العلامة ابن حجر في الصواعق المحرقة لأهل الضلال والزندقة حيث
قال حاكيا القول من قال ان المهدي من ولد العباس وهو والد هارون الرشيد واسمه محمد المهدي
ابن عبد الله المنصور بناء على الاحاديث المذكور فيها أن المهدي من ولد العباس عم النبي صلى الله
عليه وسلم وقال انه من أحسن خلفاء بني العباس وهو فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية ثم قال
ابن حجر موجها لقول هذا القائل ويمكن أنه مهدي من ولد العباس وهو غير المهدي المنتظر فان
المهدي المنتظر من ولد فاطمة رضي الله عنها ويكون في زمنه خروج الدجال ونزول عيسى عليه
السلام ويجتمع به فهذه العبارة صريحة في تعدد المهديين وجمع بعضهم بين الاحاديث
التي فيها أنه من ولد فاطمة والأحاديث التي فيها أنه من ولد العباس بطريق آخر فقال
ان المهدي المنتظر من ولد فاطمة من جهة ابيه ومن ولد العباس من جهة امه بأن تكون أمه أو
أم بعض آبائه من ولد العباس وكلام ابن حجر في رسالته التي في علامات المهدي يقتضي أيضا
تعدد المهديين وان المهدي المنتظر واحد فانه قال فيها والذي يتعين اعتقاد ما دلت عليه
الاحاديث الصحيحة من وجود المهدي المنتظر وهو الذي يخرج الدجال وعيسى عليه السلام في
زمنه وهو المراد حيث أطلق المهدي وأما من قبله فليس واحد منهم هو المهدي المنتظر ويكون
بعد المهدي أمراء صالحون لكنهم ليسوا امثاله فهو الأخير في الحقيقة وكذلك غير ابن حجر ممن
ألفوا رسائل في علامات المهدي كلهم يقتضي كلامهم تعدد المهديين وان المهدي المنتظر
واحد وانما قالوا بذلك التعدد لأنه قيل في محمد بن الحنفية انه المهدي وقيل في عمر بن عبد
العزيز انه المهدي وقيل في محمد النفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط انه
المهدي فهؤلاء أطلق على كل واحد منهم أنه المهدي فيثبت بذلك تعدد المهديين قطعا لكن ليس
واحد من هؤلاء هو المهدي المنتظر فالمهدي المنتظر واحد وهو لم يظهر الى الآن فيمكن حمل كلام
القرطبي على غير المهدي المنتظر ممن كان خروجهم بالمغرب ولا يمكن حمل كلامه على المهدي المنتظر
لأنه انما يظهر بمكة والناس بلا خليفة كما تقدم ايضاحه وكذلك لا يصح قول من قال انما
يكون ظهور المهدي المنتظر من ماسة بالمغرب فهو قول باطل لا أصل له كما نبه على ذلك العلامة
ابن خلدون في تاريخه فانه قال ان القول بظهوره من ماسة باطل لا أصل له وانما نشأ
ذلك من رجل من المتصوفة خرج بالسوس الأقصى وعمد الى مسجد ماسة وزعم انه الفاطمي

المجازى المسمى بالمجاز الحكمى والعقلى وأى موضع فيها وضع المضمر موضع المظهر وبالعكس
وأين موضع ضمير الشان
وموضع الالتفات وموضع
الفصل والوصل وكمال
الاتصال وكمال الانقطاع
والجامع بين جملتين
متعاطفتين ومحل تناسب
الجمل ووجه التناسب
ووجه كماله في الحسن
والبلاغة ومافيها من
ايجاز قصر وايجاز حذف
ومافيها من احتراس
وتتميم وبين لنا موضع
كل ماذكر وغير ذلك من
وجوه الاعجاز ومن طرق
التحدي التي اشتملت عليه
هذه السورة مما هو
منصوص على جميعه في
كتب العلماء فلم يقدر محمد
ابن عبد الوهاب على
الجواب عن شئ مما سأله
عنه الشيخ محمد بن عبد
الرحمن بن عفالق جزاه
الله خيرا وقد أخبر النبي
صلى الله عليه وسلم عن
هؤلاء الخوارج في أحاديث
كثيرة فكانت تلك
الاحاديث من أعلام نبوته
صلى الله عليه وسلم حيث
كانت من الاخبار بالغيب
وتلك الاحاديث صحيحة
بعضها في الصحيحين
وبعضها في غيرهما فمنها
قوله صلى الله عليه وسلم
الفتنة من ههنا الفتنة من ههنا وأشار الى المشرق وقوله صلى الله عليه وسلم

المنتظر تلبيسا على العامة هناك بما ملأ قلوبهم من الحد ثان بانتظاره هنالك وأفهمهم أن
من ذلك المسجد تكون أصل دعوته فتهافتت عليه تهافت الفراش طوائف من عامة
البربر ثم خشي رؤساؤهم اتساع نطاق الفتنة فدسوا اليه من قتله في فراشه وانطفأت
الفتنة والحاصل ان الذي تقتضيه الأحاديث النبوية وصرح به العلماء أن المهدي
المنتظر الى هذا الوقت لم يظهر وذكروا له علامات كثيرة بعضها مضى وانقضى
وبعضها باق لم يظهر ومن أعظم علاماته أنه يصلحه الله في ليلته وأنه من ولد فاطمة
رضي الله عنها وأنه يبايع مكرها لانه لا يطلب البيعة لنفسه ويقاتل الناس لتحصيلها بل لا يبايع
حتى يتهدد بالقتل وان ظهور البيعة له انما تكون بمكة بين الركنين وأن ظهوره انما يكون
عند وجود اختلاف بموت خليفة فلا يظهر ويبايع الا والناس بلا خليفة فهذه الاشياء هي أقوى
العلامات عليه وله علامات كثيرة غير هذه ذكرها الذين ألفوا الرسائل في تحقيق أمره لكن
تلك الاشياء ظنية ومختلف في كثير منها وذلك مثل اسمه واسم ابيه وموضع ولادته ومقدار
عمره ووقت ظهوره ومدة مكثه في الارض بعد ظهوره فكل هذه الاشياء مختلف فيها فما قيل
في مقدار عمره وقت ظهوره انه ابن أربعين وقيل انه ابن عشرين وقيل انه ابن ثمانية عشر وقيل
غير ذلك وقيل في مدة مكثه بعد ظهوره انها سبع أو تسع سنين وقيل انها أربعون وقيل
عشرون وقيل غير ذلك وقيل في اسمه انه محمد وقيل أحمد وهل هو من ولد الحسن أو الحسين
أو العباس وجمع بعضهم بأنه من ولد احد الحسنين من جهة ابيه ومن ولد الآخر من جهة أمه
وفي بعض امهاته من هي من ولد العباس والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة
متواترة فيها ما هو صحيح وفيها ما هو حسن وفيها ما هو ضعيف وهو الاكثر لكنها لكثرتها
وكثرة رواتها وكثرة مخرجيها يقوى بعضها ببعض حتى صارت تفيد القطع لكن المقطوع به أنه
لابد من ظهوره وأنه من ولد فاطمة وأنه يملأ الارض عدلا نبه على ذلك العلامة السيد محمد
ابن رسول البرزنجي في آخر الاشاعة واما تحديد ظهوره بسنة معينة فلا يصح لان ذلك غيب
لا يعلمه الا الله ولم يرد نص من الشارع بالتحديد وقد ذكر كثير من المتقدمين من العلماء تحديد
ظهوره في سنين عينوها بالظن والتخمين فلم يخرج فيها فأخطأوا في ظنهم وتحديدهم ويؤخذ
من قوله صلى الله عليه وسلم في المهدي انه يصلحه الله في ليلته أن المهدي لا يعلم بنفسه
أنه المهدي المنتظر قبل وقت ارادة الله اظهاره ويؤيد ذلك ان النبي صلى الله عليه
وسلم وهو أشرف المخلوقات لم يعلم برسالته الا وقت ظهور جبريل له بغار حراء حين قال له
اقرأ باسم ربك الذي خلق وأما قبل ذلك فكان يرى منامات كثيرة تأسيسا لرسالته وتقوية
لقلبه لكنه لم يعلم أن المراد منها تأسيس الرسالة حتى أنه كان كلما رأى مناما من تلك المنامات
يخبر زوجته خديجة رضي الله عنها ويشكو اليها حاله فكانت تثبته وتقول له كلاما
يقوى به قلبه كما هو موضح في كتب الحديث فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم بأنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بعد ظهور جبريل عليه السلام له وقوله له اقرأ باسم ربك
فبالا أولى أن المهدي المنتظر لا يعلم بأنه المهدي المنتظر الا بعد ارادة اظهاره ولذلك يمتنع
من البيعة حتى يتهدد بالقتل ويبايع مكرها فهذا هو سر قوله صلى الله عليه وسلم يصلحه

لايعودون فيه حتى يعود
السهم الى فوقه يعني
موضع الوتر سيماهم التحليق
وقوله صلى الله عليه وسلم
سيكون في أمتي اختلاف
وفرقة قوم يحسنون القيل
ويسيؤن الفعل يقرؤن
القرآن لايجاوز ايمانهم
تراقيهم يمرقون من الدين
مروق السهم من الرمية
لايرجعون حتى يعود السهم
الى فوقه هم شر الخلق
والخليقة طوبى لمن قتلهم
او قتلوه يدعون الى كتاب
الله وليسوا منه في شيء
من قتلهم كان أولى بالله
منهم سيماهم التحليق وقوله
صلى الله عليه وسلم يخرج
في آخر الزمان قوم أحداث
الاسنان سفهاء الاحلام
يقولون قول خير البرية
يقرؤن القرآن لايجاوز
حناجرهم يمرقون من الدين
كما يمرق السهم من الرمية
فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان
في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند
الله يوم القيامة وقوله صلى
الله عليه وسلم أناس
من أمتي سيماهم التحليق
يقرؤن القرآن لايجاوز
تراقيهم يمرقون من الدين
كما يمرق السهم من الرمية
هم شر الخلق والخليقة
وقوله صلى الله عليه وسلم

الله فى ليلته ليعلم من ذلك انه لم يعلم أنه المهدى المنتظر الاوقت ارادة الله اظهاره فكل من يدعى انه هو المهدى المنتظر ويطلب البيعة لنفسه اويقاتل الناس لتحصيلها فهو مخالف لما صرحت به أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وقد ادعى هذه الدعوى كثيرون فيما تقدم من الأزمان ولم تثبت دعواهم وكان لهم مع الخلفاء وقائع وحروب مذكورة فى التواريخ وقد جمعت أسماءهم ووقائعهم باختصار فى رسالة مستقلة ليعلم من وقف عليها أن كل من ادعى هذه الدعوى لاتتم له ولاتتم الااذا جاءت على طبق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم لانه الصادق المصدوق الذى لاينطق عن الهوى وقد ذكر العلامة ابن خلدون فى تاريخه كلاما فيه فوائد تتعلق بهذا المبحث فلنذكر ملخص ذلك تتميما للفائدة وحاصل ذلك ان الذين يدعون هذه الدعوى اما ان يكونوا موسوسين اومجانين فلا علاج لهم الا التنكيل بالقتل اوالضرب ان احدثوا فتنة والاسخر بهم وتذاع السخرية بهم والصفع فى الطرق او الاسواق واما ان يكونوا من طالبي الرياسة والملك فيجعلون هذه الدعوى وسيلة لذلك ويغفلون عما ينالهم من الهلكة واسراع الهلاك والقتل من الملوك والسلاطين عند احداثهم فتنة بهذه الدعوى وقد يكون بعض من ادعى هذه الدعوى من الصالحين ويريد اظهار الحق ويتخيل له انه هو المهدى فيخطىء ظنه ولايعرف مايلزمه ومايحتاج اليه فى اقامة الحق والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فان الله لم يكتب عليه فى ذلك اثارة فتنة وانما أمره الله تعالى به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه واحوال الملوك والدول قوية راسخة لايزحزحها ولايزلزلها ويهدم بناءها الا المطالبة القوية التى من وراءها العصبية بالقبائل والعشائر وهكذا كان حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى دعوتهم الى الله تعالى بالعشائر والعصائب وهم المؤيدون من الله تعالى بالكون كله لوشاء لكنه سبحانه وتعالى انما أجرى الامور على مستقر العادة وانه حكيم عليم فاذا ذهب احد من الناس هذا المذهب وكان محقا قصر به الانفراد عن العصبية فطاح فى هوة الهلاك واما ان كان من المتلبسين بذلك فى طلب الرياسة فأجدر ان تعوقه العوائق وتنقطع به المهالك لان امر الله لايتم الا برضاه واعانته والاخلاص له والنصيحة للمسلمين ولايشك فى ذلك مسلم ولايرتاب فيه ذو بصيرة وكل امر يجتمع عليه كافة الخلق لابدله من العصبية وفى الحديث الصحيح مابعث الله نبيا الا فى منعة من قومه واذا كان هذا فى الانبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم ان لاتخرق لهم العوائد فى الغلبة بغير عصبية والغفلة عن هذا هى اكثر احوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثيرا من المنتحلين للعبادة وسلوك طريق الدين يذهبون الى القيام على أهل الجور من الأمراء داعين الى تغيير المنكر والنهى عنه والأمر بالمعروف رجاء الثواب عليه من الله تعالى فيكثر اتباعهم والمتشبثون بهم من الغوغا والدهما ويعرضون انفسهم فى ذلك للمهالك واكثرهم يهلكون فى تلك السبيل مأزورين غير مأجورين وكثير منهم يدعى انه المهدى المنتظر ولم تصح دعواهم ويتبعهم كثير من العامة والاغمار ممن لايرجعون الى عقل يهديهم ولاعلم يفيدهم يستجيبون لكثير ممن يدعون هذه الدعوى لما اشتهر من ظهور فاطمى ولا

لايعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه سيماهم التحليق وقوله صلى الله عليه وسلم رأس الكفر من نحو المشرق والفخر والخيلاء فى أهل الخيل والابل وقوله صلى الله عليه وسلم من ههنا جاءت الفتن وأشار نحو المشرق وقوله صلى الله عليه وسلم غلظ القلوب والجفاء بالمشرق والايمان فى أهل الحجاز وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا فى شامنا اللهم بارك لنا فى يمننا قالوا يارسول الله وفى نجدنا قال فى الثالثة هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم مع المسيح الدجال وفى قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه لانهم كانوا يأمرون من اتبعهم ان يحلق رأسه لايتركونه يفارق مجلسهم اذا اتبعهم حتى يحلقوا رأسه ولم يقع مثل ذلك قط من أحد من الفرق الضالة التى مضت قبلهم ان يلتزموا مثل ذلك فالحديث صريح فيهم وكان السيد عبد الرحمن الاهدل مفتي زبيد يقول لايحتاج التأليف فى الرد على ابن عبد الوهاب بل يكفي فى الرد عليه قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم

يعلمون حقيقة الامر وأكثر مايكون ذلك فى الممالك القاصية وأطراف العمران بأفريقية والسوس من المغرب وتجد الكثير من ضعفاء البصائر يقصدون رباطا بماسة لما كان بذلك الرباط بالمغرب من الملثمين من كدالة واعتقادهم هو انهم قائمون بدعوة الفاطمى يزعمون ذلك زعما لامستند له الا البعد عن القاصية من مثار الدولة وخروجها عن نطاقها فتقوى عندهم الاوهام فى ظهور الفاطمى من ذلك الموضع لخروجه عن ربقة الدولة ومثار الأحكام والقهر ولا محصول لديهم فى ذلك الاهذا الوهم وقد يقصد ذلك الموضع كثير من ضعفاء العقول للتلبيس بدعوة تنشأ عن وسواس وحمق وقد قتل الملوك والرؤساء كثيرا منهم ثم قال اخبرنى شيخنا محمد بن ابراهيم الابلى قال خرج برباط ماسة لأول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن يعقوب المرينى رجل من منتحلى التصوف يعرف بالتوزيرى وادعى انه الفاطمى المنتظر واتبعه الكثير من اهل السوس من كدالة وكزولة وعظم امره وخافه رؤساء المصامدة وعلماؤهم فدس عليه السكسوى من قتله بياتا وانحل امره وكذلك ظهر فى غمارة فى آخر المائة السابعة فى عشر التسعين منها رجل يعرف بالعباس وادعى انه الفاطمى المنتظر وتبعه الدهما من غمارة ودخل مدينة فاس عنوة وحرق اسواقها وارتحل الى بلد المزمة فقتل بها غيلة ولم يتم امره وكثير من هذا النمط واخبرنى شيخنا المذكور بغريبة عن مثل هذا وهو انه صحب فى حجه رجلا من اهل البيت من سكان كربلا كان متبوعا معظما كثير التلامذة وكان يتلقونه بالنفقات فى أكثر البلدان وتأكدت الصحبة بيننا فى الطريق ثم كشف لى عن امرهم وانهم انما جؤا من مواطنهم بكربلا قاصدين ارض المغرب لاظهار دعوى انه الفاطمى المنتظر فلما وصل الى المغرب وعاين دولة بنى مرين وكان امير المسلمين يوسف بن يعقوب فى ذلك الوقت منازلا تلمسان فلما رأوا قوة ملكه قال ذلك الرجل لاصحابه ارجعوا فقد ازرى بنا الغلط وليس هذا الوقت وقتنا وهذا يدل على ان ذلك الرجل استبصر بأن الامر لايتم الا بالعصبية الكافية لاهل الوقت فلما علم انه غريب فى ذلك الموطن ولا شوكة له وان عصبية بنى مرين فى ذلك الوقت لايقاومها أحد من أهل المغرب استكان ورجع الى الحق واقصر عن مطامعه وبقى عليه ان يستيقن ان عصبية الفواطم وقريش اجمع قد ذهب لاسيما فى المغرب الاان التعصب لشأنه لم يتركه لهذا القول والله يعلم وانتم لاتعلمون وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القريبة نزعة من الدعاة الى الحق والقيام بالسنة لاينتحلون فيها دعوة فاطمى ولا غيره وانما ينزع منهم فى بعض الأحيان الواحد فالواحد الى اقامة السنة وتغيير المنكر ويعتنى بذلك ويكثر تابعوه واكثر مايعتنون باصلاح السابلة لما ان اكثر فساد الاعراب فيها لما فيها من طيب معاشهم فيأخذون فى تغيير المنكر بما استطاعوا الا ان الصبغة الدينية فيهم لم تستحكم لما ان توبة العرب ورجوعهم الى الدين انما يقصدون به الاقصار عن الغارة والنهب ولايعقلون فى توبتهم واقبالهم الى مناحى الديانة غير ذلك لانها المعصية التى كانوا عليها ومنها توبتهم وتجد ذلك المنتحل للدعوة والقائم بزعمه بالسنة غير متعمق فى فروع الاقتداء والاتباع وانما دينهم الاعراض عن النهب والبغى وافساد السابلة ثم الاقبال على طلب الدنيا والمعاش بأقصى قصدهم وشتان بين هذا الطالب للدنيا

التحليق فانه لم يفعله أحد من المبتدعة وكان محمد بن عبد الوهاب يأمر أيضا بحلق رؤس النساء اللاتى يتبعنه فأقامت عليه حجة مرة امرأة دخلت فى دينه وجددت اسلامها على زعمه فأمر بحلق رأسها فقالت له لم تأمر بحلق الرأس للرجال فلو أمرتهم بحلق اللحى لساغ لك ان تأمر بحلق رؤس النساء لان شعر الرأس للنساء بمنزلة اللحية للرجال فبهت الذى كفر ولم يجد لها جوابا لكنه انما فعل ذلك ليصدق عليه وعلى من اتبعه قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق فان المتبادر منه حلق الرأس فقد صدق صلى الله عليه وسلم فيما قال وقوله صلى الله عليه وسلم حين أشار الى المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان جاء فى رواية قرنا الشيطان بصيغة التثنية قال بعض العلماء المراد من قرنى الشيطان مسيلمة الكذاب ومحمد بن عبد الوهاب وجاء فى بعض الروايات ومنها يعنى نجد الداء العضال قال بعض الشراح وهو الهلاك وفى بعض التواريخ بعد ذكر قتال بنى حنيفة قال ويخرج فى آخر الزمان فى بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام وجاء فى بعض الاحاديث التى فيها ذكر الا ان قوله صلى الله عليه وسلم منها فتنة عظيمة تكون فى أمتى لايبقى بيت من العرب الادخلته تصل الى

(ومن)

وبين من أراد اصلاح الخلق لكل مايحتاجون اليه من أمر دينهم فاتفاقهما ممتنع لاتستحكم للاول صبغة في الدين ولايكمل له نزوع عن الباطل ويختلف حال صاحب الدعوة معهم في استحكام دينه وولايته في نفسه دون تابعيه فاذاهلك انحل امرهم وتلاشت عصبيتهم وقدوقع ذلك بافريقية لرجل من كعب من سليم يسمى قاسم بن مرة في المائة السابعة ثم من بعده لرجل من بادية رياح كان اشددينا من الاول واقوم طريقة في نفسه ومع ذلك فلم يستتب امرهما وبعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة يتشبهون بمثل ذلك ويلبسون فيها وينتحلون اسم السنة وليسوا عليها الاالاقل فلايتم لهم ولالمن بعدهم شيء من أمرهم واول ابتداء هذه النزغة في الملة ببغداد حين وقعت الفتنة بين الامين والمأمون ابنى الرشيد وقتل الامين وكان المأمون بخراسان فابطأ عن مقدم العراق وأراد انتزاع الخلافة من بنى العباس ونقلها للعلويين فجعل ولى عهده عليا الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق فهاج من ذلك فتن كثيرة ببغداد واجتمع بنوا العباس وكشفوا وجه النكير على المأمون وتداعوا للقيام وخلعوه وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدى فوقع الهرج وكثر القتل والنهب ببغداد وانطلقت أيدى الذعار بها من الشطار والحربية على اهل العافية والصون وقطعوا السبيل وامتلأت أيديهم من نهاب الناس وباعوها علانية في الاسواق ورفع اهلوها امرهم الى الحكام وقد ضعف امرهم فلم ينصفوهم فتوافر أهل الدين والصلاح وتعاقدوا على منع الفساق وكف عاديتهم وقام ببغداد رجل يعرف بخالد الدربوس ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فأجابه خلق وقاتل بهم أهل الذعارة فغلبهم واطلق يده فيهم بالضرب والتنكيل ثم قام من بعده رجل آخر يعرف سهل بن سلامة الانصارى وعلق مصحفا في عنقه ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فاتبعه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بنى هاشم فمن دونهم ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد ومنع كل من أخاف المارة ومنع الخفارة لاولئك الشطار فقال له القائم الاول وهو خالد الدربوس انالااعيب على السلطان فقال له سهل لكنى اقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائنا من كان وذلك سنة احدى ومائتين فجهز ابراهيم بن المهدى بعد ان بايعه بنوا العباس جيشا لقتال سهل بن سلامة فغلبه وأسره وانحل أمره سريعا وذهب ونجا بنفسه ثم اقتدى بهذا العمل بعده كثير من الموسوسين يأخذون أنفسهم باقامة الحق ولايعرفون مايحتاجون اليه في اقامته من العصبية ولايشعرون بمغبة أمرهم ومآل احوالهم ثم ذكر كثيرا من الاحاديث التى جاءت في المهدى وضعف كثيرا منها ثم قال والحق الذى ينقرر لديك انه لاتتم دعوة من الدين والملك الابوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم أمر الله فيه وقد قررنا لك ذلك من قبل بالبراهين القطعية وعصبية الفاطميين بل وقريش اجمع قدتلاشت من جميع الآفاق ووجد امم آخرون وقد استعلت عصبيتهم على عصبية قريش الامابقى بالحجاز في مكة وينبع والمدينة من الطالبيين من حسن وحسين بن جعفر منتشرون في تلك البلاد وغالبون عليها وهم عصائب متفرقة فان صح ظهور هذا المهدى فلا وجه لظهور دعوته الاان يكون منهم ويؤلف الله بين قلوبهم في

جميع العرب قتلاها في النار واللسان فيها اشد من وقع السيف وفي رواية ستكون فتنة صماء بكماء عمياء يعني تعمى بصائر الناس فيها فلايرون مخرجا ويصمون عن استماع الحق من استشرف لها استشرفت له وفي رواية سيظهر من نجد شيطان تتزلزل جزيرة العرب من فتنته وذكر العلامة السيد علوى بن أحمد بن حسن ابن القطب سيدى عبدالله ابن علوى الحداد في كتابه الذى ألفه في الرد على ابن عبدالوهاب المسمى جلاء الظلام في الرد على النجدى الذى أضل العوام من جملة الاحاديث التى ذكرها في الكتاب المذكور حديثا مرويا عن العباس ابن عبدالمطلب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم سيخرج في ثانى عشر قرنا في وادى بنى حنيفة رجل كهيئة الثور لايزال يلعق براطمه يكثر في زمانه الهرج والمرج يستحلون أموال المسلمين ويتخذونها بينهم متجرا ويستحلون دماء المسلمين ويتخذونها بينهم مفخرا وهى فتنة يعتز فيها الارذلون والسفل تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ولهذا الحديث شواهد تقوى معناه وان لم يعرف من خرجه ثم قال السيد المذكور في الكتاب الذى مر ذكره وأصرح من ذلك ان هذا المغرور محمد بن عبدالوهاب من تميم فيحتمل انه من عقب ذي الخويصرة

وسلم قال ان من ضئضئ هذا أو في عقب هذا قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد فكان هذا الخارجي يقتل أهل الاسلام ويدع أهل الاوثان ولما قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخوارج قال رجل الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم فقال علي رضي الله عنه كلا والذي نفسي بيده ان منهم لمن هو في أصلاب الرجال لم تحمله النساء وليكونن آخرهم مع المسيح الدجال وجاء في حديث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ذكر فيه بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب وقال فيه ان واديهم لا يزال وادي فتن الى آخر الدهر ولا يزال الذين في بلية من كذابهم الى يوم القيامة وفي رواية ويل لليمامة ويل لا فراق له وفي حديث ذكر في مشكاة المصابيح سيكون في آخر الزمان قوم يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم وأنزل الله في بني تميم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم

أتباعه حتى يتم له شوكة وعصبية وافية باظهار كلمته وحمل الناس عليها واما على غير هذا الوجه فلا يتم ذلك لما أسلفناه من البراهين الصحيحة انتهى ما اردت نقله من كلام ابن خلدون ورأيت في كثير من الرسائل المؤلفة في شأن المهدي انه لا يتم أمره الا بالقيام بالشريعة الغراء وانه يكون على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون ويفيض الله على الخلق نورا ببركته فيتبعونه ويقتدون به في جميع شؤنه وافعاله وأقواله وأحواله حتى يكون حالهم كحاله ووصفهم كحال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ووصفهم لان الناس على دين ملوكهم فاذا استقام خليفة المسلمين وصار كالخلفاء الراشدين فانهم كلهم يستقيمون واذا زهد في الدنيا يزهدون وملاك الامر كله هو الزهد في الدنيا وعدم التبسط فيها ومن الامثال القديمة الناس على دين ملوكهم وذكروا ان السبب في هذا المثل ان الوليد بن عبد الملك بن مروان كان مشغوفا بتشييد البنيان فكان الناس في زمانه ليس لهم همة الا تشييد البنيان والقصور وفي ذلك طول الامل والغرور ثم ولي بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بن مروان فكان مشغوفا بكثرة الاكل وتنويع الاطعمة وتكثير الالوان فكان الناس في زمانه يتفاخرون بالتوسعة في تنويع المأكولات وينهمكون في التلذذ بالشهوات وفي ذلك أعظم البليات ثم ولي بعد سليمان ابن عمه عمر بن عبد العزيز بن مروان الملحق بالخلفاء الراشدين فكانت همته في الاشتغال بالطاعات والعدل واقامة الدين فكان الناس في زمنه راغبين في فعل الطاعات مستكثرين من فعل الخيرات فقالوا الناس على دين ملوكهم فالخليفة الاعظم هو اقدوة لجميع المسلمين واعظم شئ يقتدون به هو فيه فيكون به صلاحهم وانتظام امرهم واتفاق كلمتهم والزهد في الدنيا والتناول منها بقدر الضرورة والحاجة وترك الفضول الذي لا يحصل الا بتعب وحاجة فان حب الدنيا رأس كل خطيئة وبلية والزهد فيها أصل كل خصلة سنية ولا يكون الزهد من العامة الا بعد زهد الخاصة فان الخاصة هم العمدة في ذلك والمراد من الخاصة الملوك والسلاطين والامراء والقضاة والعلماء وأولى من يطلب الزهد في الدنيا الخليفة الاعظم الذي أقامه الله لاصلاح امور الدنيا والدين واحياء الشريعة وقتال الكفار ودفع المفسدين قال الامام الطرطوشي في كتابه المسمى سراج الملوك ان الخليفة اذا عدل في بيت المال وساوى نفسه بالمسلمين في الاخذ من بيت المال بقدر الحاجة كان المسلمون كلهم عسكرا للاسلام اهـ والحاصل انه اذا زهد في الدنيا واقتصر على قدر الحاجة والضرورة في جميع الاحوال يتبعه على ذلك الوزراء والامراء والقضاة والعلماء وجميع الناس من الرجال والنساء والاغنياء والفقراء فاذا حصل ذلك يسهل حينئذ اقامة الشريعة والقيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتصير همة الجميع متوجهة لاتحاد الكلمة والاجتماع على منهج الشرع المطهر فتحيي بذلك السنن التي اميتت وتزول البدع التي اذيعت وتقبل الناس على جهاد الكفار وفعل كل الطاعات فان الكفار انما تغلبوا على المسلمين بسبب رغبة المسلمين في الدنيا واقتحامهم المعاصي لتحصيلها فلا يزيلون منكرا لان اكثر المنكرات يتوصلون بها الى تحصيلها وازالتها مخالفة لاغراضهم الذين هم بصددها فلا يمكن استقامتهم على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

لايعقلون وأنزل الله فيهم أيضا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي قال السيد علوي الحداد المذكور

ومادامو الم يكونوا كذلك لايستقيم لهم امر وقد صح عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله
عنه انه كان كثيرا مايقول في خطبه ومجالسه ان هذا الامر لايصلح آخره الا بما صلح به اوله
ولايحتمله الا افضلكم مقدرة واملككم لنفسه فهذه العبارة نص صريح في انه لايستقيم امر
المسلمين حتى يكونوا كما كان الصحابة رضي الله عنهم ومادام الخليفة الاعظم ينبسط في الدنيا
ويأخذ من بيت المال ماأراد مما زاد عن حاجته الضرورية ويتكرم في العطاء بما شاء على
من شاء ولا يراعى في ذلك القواعد المشروعة ولا يسلك مسلك الخلفاء الراشدين فان الناس
يتبعونه فلا يمكن حصول الاستقامة لهم ولا تتحد كلمتهم ولا ينتظم امرهم ولا يأمرون بالمعروف
ولاينهون عن المنكر بل يصيرون كلهم يطلبون الدنيا ويتلذذون بالشهوات ويرتكبون
لتحصيلها انواع الخطيئات لان الله تعالى اجرى عادته بين العباد ان يكون الناس على
دين ملوكهم فهذا هو السبب في عدم اتحاد المسلمين واتفاق كلمتهم واما في زمن المهدي فانه
يسلك هو مسلك الخلفاء الراشدين ويزهد في الدنيا ولا يأخذ من بيت المال الا بقدر الضرورة
والناس يكونون في زمنه على طريقته يفعلون كما يفعل فظهر بهذا انه اذا زهد الخليفة الاعظم
في الدنيا وعدل في بيت المال وأخذ منه بقدر حاجته الضرورية من غير زيادة له ولخدمه
وأتباعه واتخذ له من الخدم الذين يقومون بخدمته بقدر الحاجة الضرورية أيضا من غير
زيادة يتبعه على ذلك كافة الوزراء والامراء والقضاة والعلماء وجميع الابرار والفجار
والخليفة أمين على بيت مال المسلمين لايتصرف في شئ منه الا بحسب المصلحة العائدة النفع
على الاسلام والمسلمين فهو مثل قيم مال اليتيم لايتصرف الا بالمصلحة الظاهرة فان كان له مال
خاص به يستعفف به عن الاخذ من مال المسلمين فلا يأخذ شيأ وان لم يكن له مال يأخذ بقدر
الحاجة والضرورة كما قال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل
بالمعروف فاذا فعل ذلك اقتدى به الوزراء والامراء والقضاة والعلماء وكافة الخلق فتتحد
قلوبهم وتجتمع كلمتهم ويقبلون على فعل الطاعات ويعرضون عن فعل السيئات ويتركون
التلذذ بالشهوات فيتم اجتماعهم على نصرة الدين ويصيرون كلهم عسكرا لنصرة الاسلام
ويقوى عزمهم على قتال اعدائهم من القوم الكافرين وأما اذا انبسط الخليفة في مال المسلمين
وتبعه الوزراء والامراء والقضاة والعلماء فلا تطيب قلوب بقية المسلمين ببذل أموالهم
وأنفسهم وأولادهم في قتال الكافرين حيث يرون ملوكهم لم يساووهم وما كان انتصار
الصحابة على القوم الكافرين وفتحهم البلاد الواسعة مع الاتحاد واتفاق الكلمة الا بسبب
مساواة امرائهم لهم في جميع شؤنهم وماحصل افتراق الكلمة وعدم ائتلاف القلوب الالما
استبد الملوك بالاموال وتبسطوا فيها وترفعوا على بقية المسلمين وأكثروا من المكوسات والظلم
بأخذ أموالهم وصرفوها في غير مصارفها فشق على المسلمين تميزهم عنهم وترفعهم عليهم بأموالهم
التي أخذوها منهم بغير حق ولا يظن ظان ان الخلفاء الراشدين انما فتحوا الامصار وانتصروا
على الكفار بكثرة الصلاة والصيام بل انما كان ذلك بزهدهم في الدنيا وعدم تبسطهم بها
وعدلهم في بيت المال والحرص على مساواتهم للمسلمين فطابت قلوب بقية المسلمين فبذلوا
أموالهم وأنفسهم وأولادهم وجاهدوا الكفار وفتحوا البلاد حتى كان الغزاة يتجهزون

آنفا ان الذي ورد في بني
حنيفة وفي ذم بني تميم ووائل
شئ كثير ويكفيك ان
أغلب الخوارج وأكثرهم
منهم وأن الطاغية بن
عبد الوهاب من تميم وان
رئيس الفرقة الباغية
عبد العزيز من وائل وجاء
عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال كنت في مبدء الرسالة
أعرض نفسي على القبائل
في كل موسم ولم يجبني أحد
جوابا أقبح ولا أخبث من
رد بني حنيفة قال السيد
علوي الحداد لما وصلت
الطائف لزيارة حبر الامة
عبد الله بن عباس رضي
الله عنهما اجتمعت بالعلامة
الشيخ طاهر سنبل الحنفي
ابن العلامة الشيخ محمد
سنبل الشافعي فأخبرني أنه
ألف كتابا في الرد على هذه
الطائفة سماه الانتصار
للاولياء الابرار وقال لي
لعل الله ينفع به من لم تدخل
بدعة النجدي في قلبه وأما
من دخلت في قلبه فلا يرجى
فلاحه لحديث البخاري
يمرقون من الدين ثم
لايعودون فيه قال السيد
علوي الحداد وأما مانقل
عن العلامة الحفظي
ساكن الحجاز انه استصوب
بعض أفعال النجدي من
جهة البدو على الصلاة وترك النهب وازالة بعض الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط ومن تأمينه الطرق ودعوته الى التوحيد فهو

غلط حيث حسن للناس فعله ولم يطلع على ماذكرناه من منكراته وتكفير الامة من ستمائة سنة

للغزو من اموال أنفسهم و يجهزون منها غيرهم ان قدروا على ذلك ونفوسهم طيبة بذلك وتأبى نفوسهم ان يأخذوا من بيت المال شيأ اذ كان لهم مابقي بذلك لانهم يرون امراءهم مساوين لهم في جميع تلك الشئون واذا سلك الخليفة والامراء والعلماء هذا المسلك يرتفع عن المسلمين المكوسات والضرائب وينتفي عنهم جور الحكام لانهم انما يجوورن عليهم ليتبسطوا في أموالهم ويتلذذوا بها واذا ساوى الحكام رعاياهم وعدلوا في بيت المال تسخى نفوس الاغنياء باعطاء الفقراء ويواسونهم وتقنع نفوس الجميع بأقل القليل فلا يبقى في المسلمين فقير وينقاد الناس للحق وينصفون من انفسهم فيزول الخاصمات التي كانت بينهم وتقل مرافعاتهم الى الحكام ويحصل بينهم كمال المحبة والائتلاف ويرتفع كل شقاق واختلاف واذا عدل الخليفة في بيت المال وسلك في ترك التبسط في الدنيا طريق النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين كان قدوة للمسلمين ويكون له من الاجر مثل اجر من عمل بمثل عمله من المسلمين وكان سببا في اتحاد المسلمين وائتلاف قلوبهم واتفاق كلمتهم وانتصارهم على القوم الكافرين ويكون له في ذلك من الله الرضا والرضوان في الدنيا وجنات النعيم وتقر بذلك عين النبي صلى الله عليه وسلم فانه بالمؤمنين رؤف رحيم ويستحيل ان يحصل لهم شيء من ذلك والخليفة لم يكن كذلك لانهم انما يفعلون ما يفعل وحالهم عن ذلك لا يتحول والتبسط في الدنيا من أعظم اسباب الفسق الموجب للهلاك قال تعالى ﴿ واذ أردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾ وعدم التبسط في الدنيا هو ملاك الامر وليس على الخليفة في سلوك هذا الطريق مشقة ولا ضيق ولا منع من ادراك الحق ولا تعويق وينال بغيته من الاكل والشرب والنكاح بغاية الراحة والتلذذ والحاصل ان استقامة الخليفة حتى يكون كالخلفاء الراشدين في عدله في بيت المال هو السبب الاعظم في اجتماع كلمة المسلمين واتحادهم في جميع الأحوال وعدم عدله في بيت المال سبب الافتراق في الحال والمآل ولو صام النهار وقام الليالي الطوال وبدون استقامة الخليفة وعدله في بيت المال كالخلفاء الراشدين لا يرجى للمسلمين فلاح ولا يتم لهم اتحاد ولا نجاح ولنذكر لك نبذة مما كان من الزهد وترك التبسط في الدنيا مما كان صادرا من النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين لتعلم ان انتظام أمور المسلمين بدون ذلك محال واتحادهم بغير سلوكه مكابرة وجدال

﴿ خاتمة نسأل الله حسنها نذكر فيها ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من الاقتصاد وحسن السيرة ﴾

ذكر ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم من الاقتصاد في الدنيا وما كان عليه من مكارم الأخلاق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس وأعف الناس لم تمس يده قط امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل شيء ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو الى منزله حتى يتبرأ منه الى من يحتاج اليه لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله لا يسئل شيأ الا أعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى انه ربما احتاج قبل انقضاء العام ان لم يأته شيء وكان

واحراقه الكتب الكثيرة وقتله لكثير من العلماء وخواص الناس وعوامهم واستباحته دماءهم وأموالهم واظهار التجسيم للبارى سبحانه وتعالى وعقده الدروس لذلك وتنقيصه للرسل عليهم الصلاة والسلام وللاولياء ونبشه قبورهم وأمر في الاحساء ان تجعل بعض قبور الاولياء محلا لقضاء الحاجة ومنع الناس من قراءة دلائل الخيرات ومن الرواتب والاذكار ومن قراءة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المنائر بعد الاذان وقتل من فعل ذلك وكان يعرض لبعض الغوغاء الطغام بدعوات النبوة ويفهمهم ذلك من فحوى الكلام ومنع الدعاء بعد الصلاة وكان يقسم الزكاة على هواه وكان يعتقد ان الاسلام منحصر فيه وفيمن تبعه والخلق كلهم مشركون وكان يصرح في مجالسه وخطبه بكفر المتوسل بالانبياء والملائكة والاولياء بل يزعم ان من قال لاحد مولانا أو سيدنا فهو كافر ولا يلتفت الى قول الله تعالى في سيدنا يحيى عليه السلام وسيدا ولا الى قول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار قوموا لسيدكم (يخصف)

يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله ويقطع اللحم معهن وكان اشد الناس حياء لايثبت بصره في وجه أحد ويجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن او فخذ ارنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين يغضب لربه ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وان عاد ذلك عليه بالضرر او على أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة الى انسان واحد يزيده في عدد من معه فأبى وقال انا لا أنتصر بمشرك ووجد من فضلاء اصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وأن باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به وكان يعصب الحجر على بطنه مرة من الجوع ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال وان وجد تمرا دون خبز أكله وان وجد شواء أكله وان وجد خبز بر اوشعير أكله وان وجد حلوا او عسلا أكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا او رطبا أكله لا يأكل متكأ ولا على خوان منديله باطن قدميه لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تعالى ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين اعدائه بلا حارس اشد الناس تواضعا واسكنهم في غير كبر وابلغهم في غير تطويل واحسنهم بشرا لا يهوله شئ من امور الدنيا ويلبس ما وجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه في خنصره الايمن مرة والايسر مرة يردف خلفه عبده اوغيره ويركب ما امكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في اقصى المدينة يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة ويجالس الفقراء ويواكل المساكين ويكرم أهل الفضل في اخلاقهم ويتألف اهل الشرف بالبر لهم يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم لا يجفو على احد يقبل معذرة اليه يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا ينكره يسابق اهله وترفع الاصوات عليه فيصبر وكان له لقاح وغنم يتقوت هو واهله من البانها وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس ولا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى اوفيما لابد له منه من صلاح نفسه يخرج الى بساتين اصحابه لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاء مستويا قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحاري في فقر وفي رعاية الغنم يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة واخبار الاولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول وفقنا الله لطاعته في امره والتأسي به في فعله آمين يارب العالمين وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط لكن ان اعجبه اكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان في بيته اشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ان أطعموه أكل وما اعطوه قبل وما سقوه شرب وكان ربما قام فأخذ ما يأكل بنفسه اويشرب وكان أكثر طعامه الماء والتمر وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الاطيبين وكان يأكل خبز الشعير

علم النحو واللغة والفقه والتدريس لهذه العلوم ويقول ان ذلك كله بدعة ثم قال السيد علوي الحداد والحاصل ان المحقق عندنا من أقواله وأفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد الاسلامية لاستحلاله أمورا مجمعا على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ مع تنقيصه الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين وتنقيصهم تعمدا كفر بالاجماع عند الائمة الاربعة اه ولما أراد الله أن يضل محمد بن عبدالوهاب ويضل به خلقا كثيرا سلط عليه الشيطان فزين له ما ابتدعه من العقائد الزائغة فصار ينتقل في قرى نجد من قرية الى قرية ويلقي اليهم تلك العقائد شيأ فشيأ مزخرفة الالفاظ ظهر لهم انه يريد التوحيد الصحيح والتبري من الشرك فيصدقه الجاهلون ويتنبه لتلبيساته العالمون ومازال كذلك يحبه قوم ويكرهه آخرون فآواه أهل الدرعية وظن بعض منهم انه رسول لكافة البرية فصنف لهم رسالة سماها كشف

 الشبهات عن خالق الارض والسموات كفر فيها جميع المسلمين وزعم ان الناس

غير منخول و كان يأكل ماوجد وكان احب الطعام اليه ما كثرت عليه الايدى وكان اذا وضعت المائدة قال اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة و كان يأكل ممايليه ويأكل باصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يكن يأكل باصبعين ويقول ان ذلك أكلة الشيطان وكان لا يأكل الحار ويقول انه غير ذى بركة وان الله لم يطعمنا نارا فأبردوه و كان احب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد فى السمع وهو سيد الطعام فى الدنيا والآخرة ولو سألت ربى ان يطعمنيه كل يوم لفعل و كان يأكل الثريد باللحم والقرع و كان يحب القرع ويقول انها شجرة اخى يونس عليه السلام قالت عائشة رضى الله عنها و كان يقول ياعائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيها من الدباء فانه يشد قلب الحزين وكان يأكل لحم الطير الذى يصاد له و كان لا يتبعه ولا يصيده ويحب ان يصاد له ويؤتى به فيأكله و كان يلعق باصابعه الصحفة ويقول آخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق اصابعه من الطعام حتى تحمر وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه واحدة واحدة ويقول انه لا يدرى فى اى الطعام البركة واذا فرغ قال اللهم لك الحمد اطعمت فأشبعت واسقيت فارويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه وكان اذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه و كان يشرب فى ثلاث دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفى أخرها ثلاث تحميدات و كان يمص الماء مصا ولا يعب عبا واتى باناء فيه عسل ولبن فابى ان يشربه وقال شربتان فى شربة وادامان فى اناء واحد ثم قال صلى الله عليه وسلم لا احرمه ولكنى اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا واحب التواضع فان من تواضع لله رفعه الله وكان يعجبه الثياب الخضر وكان اكثر لباسه البياض وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق وكان قيصه مشدود الازرار وربما حل الازرار فى الصلاة وغيرها وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه فى غير الجمعة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره ويعقد طرفيه بين كتفيه وربما أم بها الناس على الجنائز وربما صلى فى بيته فى الازار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذى جامع فيه يومئذ وكان ربما صلى بالليل فى الازار ويرتدى ببعض الثوب مما يلى هدبه ويلقى البقية على بعض نسائه فيصلى كذلك ولقد كان له كساء اسود فوهبه لانسان فقالت له أم سلمة رضى الله عنها بأبى انت وأمى مافعل ذلك الكساء الاسود فقال كسوته فقالت مارأيت شيأ قط كان احسن من بياضك على سواده وقال انس رضى الله عنه وربما رأيته يصلى بنا الظهر فى شملة عاقدا بين طرفيها وكان صلى الله عليه وسلم يتختم وربما خرج وفى خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشئ وكان يختم به على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلى اليها وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على رضى الله عنه فربما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم اتاكم على فى السحاب وكان اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى الناس

كل مايقول محمد بن سعود أمير الدرعية واتخذه وسيلة لاتساع الملك وانقياد الاعراب له فصار يدعوهم الى الدين وأثبت فى قلوبهم ان جميع من هو تحت السبع الطباق مشرك على الاطلاق ومن قتل مشركا فله الجنة فتابعوه وصارت نفوسهم بهذا الاعتقاد مطمئنة وكان محمد بن سعود يمتثل ما يأمره به فاذا أمره بقتل انسان أو أخذ ماله سارع الى ذلك فكان محمد بن عبد الوهاب معهم كالنبى فى أمته لايتركون شيأ مما يقوله ولا يفعلون شيأ الا بأمره ويعظمونه غاية التعظيم ويبجلونه غاية التبجيل ومازال يطيعه حى بعد حى من أحياء العرب وقبائلها فاتسع ملك محمد بن سعود وملك أولاده بعده حتى ملكوا جزيرة العرب واذا أراد ان يغزو بلدة من البلدان كتب كتابا بقدر الخنصر فيجيء العربان وتلبى دعوته من كل مكان ويحملون على أنفسهم كل ما يحتاجون اليه من مأكل ومشرب وملبس ومركب ولا يكلفونه بشئ واذا نهبوا شيأ من

الناس يدفعون له الخمس ويأخذون الاربعة الاخماس ويسيرون معه أينما سار بهم لايستطيعون مخالفته فى نقير

واذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره وكان اذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول مامن مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لايكسوه الا الله الا كان فى ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان اونحوه وعرضه ذراع وشبر اونحوه وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقين تحته وكان ينام على الحصير ليس تحته شئ غيره وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مضجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرش له اضطجع على الارض وكان لايقوم ولايجلس الا على ذكر الله تعالى وكان اكثر جلوسه ان ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجالس اصحابه لانه كان حيث انتهى به المجلس جلس ومارؤى قط مادا رجليه بين اصحابه وكان اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولارضاع يجلسه عليه وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التى تحته فان ابى ان يقبلها عزم عليه حتى يفعل وما استصغاه احد الاظن أنه اكرم الناس عليه حتى يعطى لكل من جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وامانة قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولقد كان يدعو اصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به ويكنى ايضا النساء اللاتى لهن الاولاد واللاتى لم يلدن يبتدى لهن الكنى ويكنى الصبيان فيستلين به قلوبهم وكان ابعد الناس غضبا وأسرعهم رضا وكان ارأف الناس بالناس وخير الناس للناس وانفع الناس للناس ولم تكن ترفع فى مجلسه الاصوات وكان اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا أنت استغفرك واتوب اليك واستحب بعض العلماء زيادة وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم وكان اذا نزل به الامر فوض الامر الى الله تعالى وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول اللهم أرنى الحق حقا فأتبعه وأرنى المنكر منكرا وارزقنى اجتنابه وأعذنى من ان يشتبه على فأتبع هواى بغير هدى منك واجعل هواى تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسى فى عافية واهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم وكان على رضى الله عنه اذا وصف النبى صلى الله عليه وسلم قال كان اجود الناس كفا وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولابعده مثله وماسئل عن شئ قط على الاسلام الا اعطاه وان رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما سدت مابين جبلين فرجع الى قومه وقال أسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لايخشى الفاقة وماسئل شيأ قط فقال لا وحمل اليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ماعندى شئ ولكن ابتع على فاذا جاء شئ قضيناه فقال عمر يارسول الله ما كلفك الله مالاتقدر عليه فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل انفق ولاتخشى من ذى العرش اقلالا فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وعرف السرور فى وجهه ولما قفل صلى الله عليه وسلم

لاقطمير فاذا ملك قبيلة من العرب سلطها على من دنا منها واقترب وسلط الاخرى على مابعدها حتى تبدد شملها فملك أولا الشرق بأكمله ثم اقليم الحساء والبحرين وعمان ومسكت وقرب ملكه من بغداد والبصرة هذا حده من الشمال ثم رجع الى الجنوب فملك الحرار بأسرها ثم الخيوف ذوات النخيل وملك الحربية والفرع وجهينة ثم ملك جميع مابين مدينة النبى صلى الله عليه وسلم والشام حتى قرب ملكه من الشام وحلب وملك العربان الذين بين الشام وبغداد وملك عربان المشرق والحجاز والقبائل التى حول الطائف ثم ملك الطائف وكذا القبائل التى حول مكة ثم دخل بالصلح وكانت الحروب بينه وبين سيدنا الشريف غالب رحمه الله من سنة خمس الى سنة عشرين بعد المائتين والالف الى ان عجز مولانا الشريف غالب عن حربه ولم يبق أحد الا صار من حزبه فدخل مكة بالصلح سنة عشرين واستمر فيها الى غاية سنة سبع وعشرين حين جهزت الدولة العلية عليه بعساكرها المنصورة ووجهت الامر الى الوزير المفخم محمد على باشا صاحب مصر فأتاه بجيوش من العساكر المنصورة فطهر الارض منه ومن اتباعه ثم جهز ابنه ابراهيم باشا فوصل بجيوشه الى الدعية

سنة ثلاث وثلاثين بعد المائتين والالف فأفنى وأباد من بقي منهم

من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاة نعما لقسمته عليكم ثم لاتجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا صلى الله عليه وسلم وسيرته المذكور فيها محاسن صفاته صلى الله عليه وسلم طويلة وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ ذكر ماكان من ابي بكر الصديق رضي الله عنه من الاقتضاء في الدنيا وحسن السيرة ﴾

لما بويع ابو بكر رضي الله عنه بالخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم اصبح وعلى ساعده أبراد وهو ذاهب الى السوق فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه أين تريد قال السوق قال تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين قال فمن أين اطعم عيالي قال انطلق يفرض لك ابو عبيدة أي لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة ابو عبيدة ففرض له قوت رجل من المهاجرين ليس بأوكسهم ولا اكيسهم وكسوة الشتاء والصيف وقال اذا اخلقت شيأ رددته وأخذت غيره وفي رواية ففرض له نصف شاة وما كساه في البطن والظهر وفي رواية انهم قوموا ذلك بألف وخمسمائة من الدراهم وفي رواية ان عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما تذاكرا أيضا في ذلك وفرضا له بمثل ماقاله أبو عبيدة وفي رواية ان عمر وعليا لما فرضا ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه انما أنتما رجلان من المهاجرين لاأدري أرضى بذلك بقية المهاجرين أم لا فانطلق أبو بكر فصعد المنبر فاجتمع الناس فخطبهم وذكر لهم ذلك فقال الناس رضينا وأخرج بن سعد أيضا عن ميمونة قال لما استخلف أبو بكر رضي الله عنه جعلوا له ألفي درهم ثم نظروا فرأوا ذلك لايكفيه وعياله فزادوه خمسمائة فلعل الفرض الأول كان ألفا وخمسمائة ثم زادوا في ذلك حتى أوصلوه الفين وخمسمائة درهم في كل سنة وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي بكر بن حفص قال قال أبو بكر رضي الله عنه لما احتضر لعائشة رضي الله عنها يابنية انا ولينا أمر المسلمين فلم نأخذ لأنفسنا دينارا ولا درهما ولكنا أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وانه لم يبق عندنا من فيء المسلمين لاقليلا ولا كثير الا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة فاذا مت فابعثي بهن الى عمر بن الخطاب وأخرج الطبراني عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه قال ياعائشة أنظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها والجفنة التي كنا نصطبغ فيها والقطيفة التي كنا نلبسها فانا كنا ننتفع بذلك حين نلي أمر المسلمين فاذا مت فاردديه الى عمر فلما مات أبو بكر رضي الله عنه أرسلت به الى عمر رضي الله عنه فقال عمر رحمك الله ياأبابكر لقد أتعبت من جاء بعدك وفي رواية فبكى عمر رضي الله عنه حتى سالت دموعه الى الارض وجعل يقول رحم الله أبابكر لقد أتعب من جاء بعده ويكرر ذلك وأمر برفعه الى بيت المال فأراد عبد الرحمن بن عوف أن يرجعه عمر الى عيال أبي بكر فقال لعمر سبحان الله تسلب عيال أبي بكر عبدا وناضحا وسحق قطيفة ثمنها خمسة دراهم فلو أمرت بردها عليهم فقال عمر لا والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم لايكون هذ

وكان تاريخ خروجهم من مكة سنة ألف ومائتين وسبع وعشرين وقد أرخ ذلك مفتي مكة المفتي عبد الملك القلعي لما سأله مولانا الشريف غالب هل أرختم خروجهم فقال

قطع	دابر	الخوارج
١٧٩	٢٠٧	٨٤١

١٢٢٧

(لطيفة) كان رجل صالح من علماء البلدة التي تسمى بالزبير يسمى الشيخ عبد الجبار يصلي اماما في مسجد من مساجد تلك البلدة فاتفق ان اثنين تجادلا في شأن هذه الطائفة بعد ان جاء ابراهيم باشا الى الدرعية ودمرها ودمر من فيها فقال أحد الرجلين لابد أن يرجع أمر هذا الدين وهذه الدولة كما كانت وقال الآخر لايرجع أمرهم أبدا كما كان ولا ما كانوا عليه من البدعة ثم اتفقا انهما يذهبان في غد ويصليان صلاة الصبح خلف الشيخ عبد الجبار وينظران ماذا يقرأ في الركعة الاولى بعد الفاتحة ويكون ذلك فألا فيما اختلفا فيه فذهبا وصليا خلفه فقرأ بعد بعد الفاتحة في الركعة الاولى وحرام على قرية أهلكناها انهم لايرجعون وسيأتي ان شاء الله الكلام على محاربات مولانا الشريف غالب له

﴿ ذكر الشبه التي تمسك بها الوهابية ﴾

في ولايتي ولايخرج أبو بكر منه وأتقلده أنا وفي رواية أن عمر قال ورب الكعبة لا يتأثم بها أبو بكر في حياته وأتحملها من بعد موته اي لا يأمر بردها خوفا من الوقوع في الاثم وأتحمل اثمها بعد موته ثم قال رحم الله أبابكر لقد كلف من بعده تعبا وفي رواية وأوصى أبو بكر ان يرد بعد وفاته جميع ماأخذه من بيت المال لنفقته وفي رواية فلما حضرته الوفاة أوصى أن تباع أرض له ويصرف ثمنها عوض ماأخذه من مال المسلمين وروى أن زوجته اشتهت حلوا فقال ليس لنا مانشتري به فقالت أنا أستفضل من نفقتنا في عدة أيام ماتشتري به قال افعلي ففعلت ذلك فاجتمع لها في أيام كثيرة شئ يسير فلما عرفته ذلك ليشتري به حلوا أخذه فرده الى بيت المال وقال هذا يفضل عن قوتنا وأسقط من نفقته بقدر مانقصت كل يوم وغرمه لبيت المال من ثمن ملك كان له رضي الله عنه قال المسعودي في تاريخه المسمى مروج الذهب في صفة أبي بكر رضي الله عنه كان أزهد الناس وأكثرهم تواضعا في اخلاقه ولباسه ومطعمه ومشربه وكان لباسه في خلافته الشملة والعباءة وقدم عليه زعماء العرب واشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحلل والبرد المثقل بالذهب والتيجان والحبرة فلما شاهدوا ماعليه من اللباس والتواضع والتنسك وما هو عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم وكان ممن وفد عليه من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير ومعه ألف عبد دون ماكان معه من عشيرته وعليه التاج وما وصفنا من البرود والحلي فلما شاهد من أبي بكر ماوصفنا ألقى ماكان عليه وتزيا بزيه حتى انه رؤي ذو الكلاع يوما في سوق من ألاسواق المدينة على كتفيه جلد شاة فصرخت عشيرته وقالوا له فضحتنا بين المهاجرين والانصار قال أردتم أن أكون ملكا جبارا في الجاهلية جبارا في الاسلام لاها الله لاتكون طاعة الرب الا بالتواضع لله والزهد في الدنيا وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر وتذللوا بعد التجبر انتهى كلام المسعودي ولما دفن ابو بكر رضي الله عنه دعا عمر رضي الله عنه الامناء ودخل بهم بيت المال منهم عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه لادينارا ولادرهما وقيل وجدوا دينارا سقط من غرارة فترحموا عليه قال أبو صالح الغفاري كان عمر يتعهد امرأة عمياء في المدينة بالليل فيقوم بأمرها فكان اذا جاءها وجد غيره قد سبقه اليها ففعل ماأرادت فرصده عمر فاذا هو ابو بكر كان يأتيها ويقضي اشغالها سرا وهو خليفة فقال أنت هو لعمري ولما ولي الخلافة وارتدت العرب خرج شاهرا سيفه الى ذي القصة فجاءه علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وأخذ بزمام راحلته وقال له الى أين ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك لاتفجعنا بنفسك والله لئن أصبنا بك لايكون للاسلام نظام فرجع وأمضى الجيوش مع خالد بن الوليد رضي الله عنه قال ابن الاثير وكانت له قطعة غنم تروح عليه وربما رعيت له وربما خرج هو بنفسه فيها وكان يحلب للحي أغنامهم فلما بويع بالخلافة قالت جارية منهم الآن لايحلب لنا منايح دارنا فسمعها فقال بلى لعمري لأحلبنها لكم واني لأرجو أن لايغيرني مادخلت فيه فكان يحلب لهم وكان ذلك لما كان نازلا بالسنح في عوالي المدينة عند زوجته حبيبة بنت خارجة فكان يغدو على رجليه

وتلبيس على عوام الموحدين فمن شبهاته التي تمسك بها زعمه ان الناس مشركون في توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبغيره من الانبياء والاولياء والصالحين وفي زيارتهم قبره صلى الله عليه وسلم وندائهم له بقوله يارسول الله نسألك الشفاعة وزعم ان ذلك كله اشراك وحمل الايات القرآنية التي نزلت في المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين كقوله تعالى فلا تدعوا مع الله أحدا وقوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقوله تعالى ولا تدع مع الله الها آخر فتكون مع المعذبين وقوله تعالى ولاتدع من دون الله مالاينفعك ولايضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وقوله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال وقوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل

الى المدينة وربما ركب فرسه ويأتى المدينة فيصلى بالناس فاذا صلى العشاء رجع الى السنح فمكث على ذلك بعد أن بويع بالخلافة ستة أشهر ثم تحول الى المدينة وقال كان فى بعض الايام يغدوا الى السوق فيبيع ويبتاع فرأى ذلك يشغله ثم قال ماتصلح أمور الناس مع التجارة وما يصلح الا التفرغ لهم والنظر فى شأنهم فترك التجارة وأنفق من مال المسلمين مايصلحه وعياله يوما بيوم ومايحج به ويعتمر ثم أوصى ان تباع ارض له ويصرف ثمنها لبيت المال عوض ما اخذه من مال المسلمين وفى خلافته انفتح معدن لبنى سليم فكان يسوى فى قسمته بين السابقين الاولين والمتأخرين فى الاسلام وبين الحر والعبد والذكر والانثى فقيل له فى تقديم اهل السبق على قدر منازلهم فقال انما أسلموا لله ووجب اجرهم عليه يوفيهم ذلك فى الآخرة وانما هذه الدنيا بلاغ وكان يشترى الأكسية ويفرقها فى الارامل فى الشتاء ولما اسلم رضى الله عنه كان له اربعون ألفا أنفقها فى الله مع ما كسب من التجارة وأعتق فى أول الاسلام سبعة نفر كلهم كانوا يعذبون فى الله لما اسلموا منهم بلال وعامر بن فهيرة رضى الله عنهما وكان ابو بكر رضى الله عنه اجود الصحابة رضى الله عنهم لانه جاء بجميع ماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما ابقى لنفسه شيأ وتخلل بالعباء وكان ابو بكر رضى الله عنه يقول اكيس الكيس التقوى واحمق الحمق الفجور واصدق الصدق الأمانة واكذب الكذب الخيانة وكان رضى الله عنه اذا أكل طعاما فيه شبهة ثم علم به استقاءه من بطنه ويقول اللهم لاتؤاخذنى بما باشرته العروق وخالط الأمعاء قال الشعرانى فى الطبقات وكان رضى الله عنه يقول ان هذا الأمر لايصلح آخره الا بما صلح به أوله ولا يحتمله الا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه وهذا نص صريح فى أن أمر هذه الامة لايصلح الا اذا كانوا على سيرة الصحابة وكان خليفتهم كالخلفاء الراشدين فيسير بهم كسيرهم وكان رضى الله عنه يقول ان العبد اذا دخله العجب بشئ من زينة الدنيا مقته الله تعالى حتى يفارق تلك الزينة وكان رضى الله عنه يقول يامعشر المسلمين استحيوا من الله تعالى فو الذى نفسى بيده انى لاظل حين اذهب الى الغائط فى الفضاء متقنعا استحياء من ربى عزوجل وكان رضى الله عنه يقول ليتنى كنت شجرة تعضد ثم تؤكل وكان رضى الله عنه يأخذ بطرف لسانه ويقول هذا الذى اوردنى الموارد وكان رضى الله عنه اذا سقط خطام ناقته ينيخها ويأخذه فيقال له هلا أمرتنا فيقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن لاأسئل الناس شيأ وكان رضى الله عنه يقول للصحابة رضى الله عنهم قد وليت امركم ولست بخيركم فأعينونى واذا رأيتمونى استقمت فاتبعونى واذا رأيتمونى زغت فقومونى وغلب عليه الخوف حتى كان يشم فى فمه رائحة الكبد المشوى ولما بويع أبو بكر رضى الله عنه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخير منكم وان أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه وان أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه أيها الناس انما أنا متبع ولست بمبتدع فان أحسنت فأعينونى وان زغت فقومونى وكان رضى الله عنه لم يشرب خمرا قط لا جاهلية ولا اسلاما ولم يسجد لصنم قط ولما سمع الحسن البصرى قول أبى بكر رضى الله عنه قد وليت عليكم ولست بخير منكم قال بلى ولكن المؤمن يهضم نفسه ويروى أن ابا بكر رضى الله عنه

الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وأمثال هذه الآيات كثيرة فى القرآن كلها حملها على الموحدين قال محمد بن عبد الوهاب ان من استغاث أو توسل بالنبى صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الانبياء والاولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فانه يكون مثل هؤلاء المشركين ويكون داخلا فى عموم هذه الآيات وجعل زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم أيضا مثل ذلك وقال فى قوله تعالى حكاية عن المشركين فى اعتذارهم عن عبادة الاصنام ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فان المشركين ما اعتقدوا فى الاصنام انها تخلق شيأ بل يعتقدون ان الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وفى قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فما حكم الله عليهم بالكفر والاشراك الا لقولهم ليقربونا الى زلفى فهؤلاء مثلهم هكذا احتج محمد بن عبد الوهاب ومن

مر على طائر واقع على شجرة فقال طوبى لك ياطائر تطير فتقع على الشجرة وتأكل من الثمر وليس عليك حساب ولاعقاب ياليتني كنت مثلك والله لوددت أني شجرة الى جنب طريق فمر على بعير فأخذني فلاكني ثم ردردني ثم أخرجني بعرا ولم أك بشرا وأخرج ابن السماك والحافظ السلفي وغيرهما أن ابابكر رضي الله عنه بعدما بويع وبعد أن بايعه علي رضي الله عنه وأصحابه أقام ثلاثا يقول للناس قد أقلتكم بيعتكم هل من كاره فيقوم علي رضي الله عنه في اول الناس يقول والله لانقيلك ولانستقيلك قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذا الذي يؤخرك وقوله قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في الصلاة حيث قال مروا أبابكر فليصل بالناس فقال الصحابة رضي الله عنهم أفلا نرضى لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وفي رواية احتجب ابو بكر رضي الله عنه عن الناس ثلاثا يشرف عليهم كل يوم فيقول قد أقلتكم بيعتي فبايعوا من شئتم فيقول علي بن ابي طالب رضي الله عنه لانقيلك ولانستقيلك قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذا الذي يؤخرك وأخرج الحاكم عن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه ان أبابكر رضي الله عنه قال في خطبته بعد ان بويع والله ما كنت حريصا على الامارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت راغبا فيها ولاسألتها الله في سر ولاعلانية ولكن أشفقت من الفتنة ومالي في الامارة من راحة لقد قلدت أمرا عظيما مالي به من طاقة الابتقوية الله تعالى وقوله اشفقت من الفتنة يعني لما رأى الناس اختلفوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فيمن يبايع فأراد المهاجرون أن يكون منهم وأراد الانصار أن يكون منهم فخشي ابو بكر رضي الله عنه أن يفتتنوا فلما طلب منه ابو عبيدة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ان يبايعه الناس بايعهم خوفا من افتتانهم وقال في خطبته أيضا أطيعوني ما أطعت الله تعالى ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلاطاعة لي عليكم وكان ابو بكر رضي الله عنه قبل ان يبايعوه أخذ بيد ابي عبيدة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقال للناس بايعوا احدى هذين الرجلين في ضمن كلام كثير ذكره قال عمر والله ما كرهت من كلامه كلمة غير هذه ولان أقدم فتضرب عنقي فيما لايقربني الى اثم أحب الي من ان أؤمر على قوم فيهم ابو بكر رضي الله عنه وقال ابو عبيدة والله لانتولى عليك هذا الأمر وأنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة وهي افضل دين المسلمين ابسط يدك نبايعك فبايعه أبو عبيدة وعمر ثم بقية الناس واخرج الحافظ ابو ذر الهروي والدار قطني وغيرهما من طرق كثيرة عن ابي جحيفة رضي الله عنه قال دخلت على علي رضي الله عنه في بيته فقلت له ياخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مهلا ياأباجحيفة ألا أخبرك بخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر ويحك ياأباجحيفة لايجتمع حبي وبغض ابي بكر وعمر رضي الله عنهما في قلب مؤمن وكان أبو جحيفة من اخص أصحاب علي رضي الله عنه الملازمين له وهذا الذي ذكره عن علي رضي الله عنه من تفضيل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كان يخطب به علي رضي الله عنه على منبر الكوفة زمن خلافته ورواه عن علي رضي الله عنه سبعون رجلا من أصحابه وقيل رواه عنه نيف وثمانون رجلا من أصحابه واخرج الامام أحمد رضي الله عنه أن أبابكر رضي الله عنه بعد شهر من خلافته نادى

تبعه على المؤمنين وهي حجة باطلة فان المؤمنين ما اتخذوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الاولياء آلهة وجعلوهم شركاء لله بل هم يعتقدون انهم عبيد الله مخلوقون له ولا يعتقدون استحقاقهم العبادة ولاانهم يخلقون شيأ ولاانهم يملكون نفعا أو ضرا وانما قصدوا التبرك بهم لكونهم أحباء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم وببركتهم يرحم الله عباده ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة سنذكر لك كثيرا منها فاعتقاد المسلمين ان الخالق النافع الضار هو الله وحده ولا يعتقدون استحقاق العبادة الا لله وحده ولايعتقدون التأثير لاحد سواه وأما المشركون الذين نزلت فيهم الآيات السابق ذكرها فكانوا يتخذون الاصنام آلهة والاله معناه المستحق للعبادة فهم يعتقدون استحقاق الاصنام للعبادة فاعتقادهم استحقاقها العبادة هو الذي أوقعهم في الشرك فلما اقيمت عليهم الحجة بانها لاتملك نفعا ولاضرا قالوا مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى فكيف يجوز لمحمد بن عبد الوهاب واتباعه ان يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين الذين يعتقدون الوهية الاصنام اذ علمت هذا تعلم ان جميع الآيات المتقدم ذكرها وماماثلها من الايات خاص

في الناس الصلاة جامعة ثم خطب فقال أيها الناس وددت أن هذا الامر كفانيه غيري وفي رواية اني وليت هذا الأمر وانا له كاره والله لوددت ان بعضكم كفانيه الاوانكم ان كلفتموني أن اعمل فيكم بمثل عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أقم به كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا أكرمه الله بالوحي وعصمه به انما أنا بشر ولست بخير من احدكم فراقبوني فان رايتموني زغت فقوموني وفي رواية فاذا رأيتموني لااوثر في أشعاركم وابشاركم وفي رواية انما انامتبع ولست بمبتدع فان أحسنت فأعينوني وان أنازغت فقوموني قال الامام مالك رضي الله عنه لايكون احد اماما ابدا الاعلى هذا الشرط وكان عثمان بن عفان كاتب ابي بكر رضي الله عنهما وربما كتب له أيضا زيد بن ثابت وعبد الله بن الارقم وحنظلة بن الربيع رضي الله عنهم فلما مرض ابو بكر رضي الله عنه مرضه الذي توفي فيه استخلف على الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه ان يكتب صحيفة الاستخلاف وهذه صورتها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد ابو بكر بن ابي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند اول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب اني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا واني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي واياكم خيرا اي لم اقصر فيه وفي رواية فاني والله ما لوت من جهدي الرأي فان عدل فذلك ظني فيه وعلمي به وان بدل فلكل امرء ما اكتسب والخير اردت ولا اعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام عليكم ثم امر بالكتاب فختمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما وأخرج ابن عساكر عن يسار بن حسن قال شرف أبو بكر رضي الله عنه على الناس من كوة فقال أيها الناس اني قد عهدت عهدا أفترضون به وفي رواية أفترضون بمن استخلفته عليكم فاني ما استخلفت عليكم ذا قرابة فقال الناس قد رضينا ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال لانرضى الا ان يكون عمر بن الخطاب قال أبو بكر فانه عمر فبايع علي رضي الله عنه وبايع الناس ورضوا به فرفع ابو بكر رضي الله عنه يديه ودعا فقال اللهم اني لاأريد بذلك الا صلاحهم وخفت الفتنة عليهم فعملت بما انت أعلم به واجتهدت لهم رأيي فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليه وأحرصهم على مارشدهم وقد حضرني من أمرك ماحضرني فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك اللهم أصلح ولاتهم واجعله من خلفائك الراشدين وأصلح له رعيته ومما أوصاه به أبو بكر رضي الله عنه لما استخلفه ان قال له اني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أوصاه بتقوى الله تعالى ثم قال ياعمر ان لله حقا بالليل لايقبله بالنهار وحقا في النهار لايقبله في الليل وانه لايقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ألم تريا عمر انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيمة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق الميزان أن لا يوضع فيه غدا الاحق أن يكون ثقيلا ألم تر ياعمر انما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيمة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق الميزان أن لايوضع فيه الا باطل أن يكون خفيفا ألم تر ياعمر انما نزلت آية الرجاء ليكون المؤمن راغبا راهبا لايرغب رغبة يتمنى فيها على الله تعالى ماليس له ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه الى التهلكة ألم تر ياعمر

استحقاق العبادة لغيره وقد تقدم حديث البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين فهذا الوصف صادق على ابن عبد الوهاب وأتباعه فيما صنعوه ولو كان شيء مما صنعه المؤمنون من التوسل شركا كما كان يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الامة وخلفها فانهم جميعهم كانوا يتوسلون فقد كان من من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وهذا توسل صريح لاشك فيه وكان يعلم هذا الدعاء أصحابه رضي الله عنهم ويأمرهم بالاتيان به

✻ ذكر الدعاء المسنون عند الخروج من البيت الى الصلاة

فقد روى ابن ماجه باسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا اليك فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك ان تعيذني من النار وان تغفر لي ذنوبي فانه لايغفر

انما ذكر الله أهل النار بأسوء أعمالهم فاذا ذكرتهم قلت انى لأرجو أن لا أكون منهم وانه انما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سوء فاذا ذكرتهم قلت أين عملي من أعمالهم فان حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب اليك من الموت ولابد لك منه وان انت ضيعت وصيتي هذه فلا يكونن غائب أبغض اليك من الموت ولن تعجزه اللهم انى لا أريد بذلك الا صلاحهم وخفت الفتنة عليهم فعملت فيهم بما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأيي فوليت عليهم خيرهم واقواهم عليه وأحرصهم على ما يرشدهم وقد حضرني من أمرك ما حضرني فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك اللهم أصلح ولاته واجعله من خلفائك الراشدين وأصلح له رعيته وأخرج ابن سعد والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال أفرس الناس ثلاثة ابوبكر حين استخلف عمر بن الخطاب وصاحبة موسى عليه السلام حين قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين والعزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته اكرمى مثواه قال الزهرى استخلف ابوبكر عمر رضى الله عنهما فقام بالأمر أتم قيام وكثرت الفتوحات في أيامه كثرة عظيمة لم يقع نظيرها في أيام خليفة بعد وفتح الله في ايامه الشام ومصر والروم والاسكندرية والعراق وفارس وقد أشار الى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت كأنى أنزع بدلو على قليب فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم أخذها عمر بن الخطاب فاستحالت غربا فلم أر عبقريا يفرى فريه حتى ضرب الناس بعطن قال النووى في شرح مسلم ففي هذا الحديث اشارة الى خلافة أبي بكر وعمر رضى الله عنهما والى كثرة الفتوحات وظهور الاسلام في خلافة عمر رضى الله عنه وفي قوله في أبي بكر رضى الله عنه فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف اشارة الى قصر مدة خلافته وقوله والله يغفر له ليس فيه اشارة الى نقص أو تقصير او ذنب وقع منه وانما هى كلمة تقولها العرب عند الاعتناء بالأمر وقوله ثم أخذها عمر بن الخطاب فاستحالت غربا أي دلوا عظيما الى آخر الحديث اشارة الى طول مدة خلافته والى كثرة انتفاع الناس بها واتساع دائرة الاسلام بكثرة الفتوحات وتمصير الامصار وتدوين الدواوين وقوله عبقريا أي رجلا قويا شديدا من الناس يفرى فريه أي يعمل عمله حتى ضرب الناس بعطن أي رووا وضربوا بعطن والعطن ما تناخ به الابل اذا رويت ومن أعظم فضائل أبي بكر رضى الله عنه قتال العرب الذين ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم والذين منعوا الزكاة وقال والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدى وان منعونى عقالا أو عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمر رضى الله عنه وكيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فمن قالها عصم منى ماله ودمه الا بحقها وحسابه على الله تعالى فقال ابوبكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال وقد قال الا بحقها قال عمر فوالله ما هو الا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت انه الحق قال سيدى محيى الدين بن العربى في المسامرة لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب ابوبكر رضى الله عنه الزكاة كفر بها

السيوطى في الجامع الكبير وذكر أيضا كثير من الائمة في كتبهم عند ذكر الدعاء المسنون عند الخروج الى الصلاة بل قال بعضهم ما من أحد من السلف الا وكان يدعو بهذا الدعاء عند خروجه الى الصلاة فانظر قوله أسألك بحق السائلين عليك فان فيه التوسل بكل عبد مؤمن وروى الحديث المذكور أيضا ابن السنى باسناد صحيح عن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنه ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة قال بسم الله آمنت بالله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجى هذا فانى لم أخرج بطرا ولا أشرا ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك أسألك ان تعيذنى من النار وان تدخلنى الجنة رواه الحافظ أبو نعيم في عمل اليوم والليلة من حديث أبي سعيد بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة قال اللهم الى

 آخر ما تقدم في رواية ابن السنى ورواه البيهقى في كتاب الدعوات من

عليه وسلم وأمر أصحابه ان يقولوه ولم يزل السلف من التابعين واتباعهم ومن بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم الى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد في الدعاء به ومما جاء عنه صلى الله عليه وسلم من التوسل قوله صلى الله عليه وسلم اغفر لامي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي وهذا اللفظ قطعة من حديث طويل رواه الطبراني في الكبير والاوسط وابن حبان والحاكم وصححوه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت أسد رضي الله عنها وكانت ربت النبي صلى الله عليه وسلم وهي أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها وقال رحمك الله يا أمي بعد أمي وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده وأمره بحفر قبرها قال فلما بلغوا اللحد حفره صلى الله عليه وسلم بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لامي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من

قوم وقالوا قد كنا ندفع أموالنا الى محمد فما بال ابن ابي قحافة يسألنا والله لا نعطيه منها شيأ أبدا فاستشار ابو بكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجمع القوم على التمسك بدينهم في انفسهم وان يتركوا الناس مع ما اختاروه لانفسهم وتخيلوا أنهم لا يقدرون على من ارتد من المسلمين فقال أبو بكر رضي الله عنه لو لم أجد أحدا يوازرني لجاهدتهم بنفسي وحدي حتى أموت أو يرجعوا الى الاسلام ولو منعوني عقالا مما كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لجاهدتهم حتى ألحق بالله تعالى فلم يزل أبو بكر رضي الله عنه يجاهد بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عاد الناس جميعا الى الاسلام ودخلوا فيه كما خرجوا منه وبعث خالد بن الوليد الى بني اسد وغطفان فقتل من قتل وأسر من أسر ورجع الباقون الى الاسلام ثم بعث خالد ايضا الى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة ودام الحصار اياما ثم قتل مسيلمة الكذاب لعنه الله قتله وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وفي السنة الثانية من خلافته بعث العلاء بن الحضرمي الى البحرين وكانوا قد ارتدوا فقاتلهم ونصر الله المسلمين عليهم وقتل من قتل من المرتدين ورجع من بقي منهم الى الاسلام وبعث عكرمة ابن أبي جهل الى عمان وكانوا قد ارتدوا أيضا وبعث المهاجر بن أبي أمية الى طائفة من المرتدين وزياد بن لبيد الانصاري الى طائفة آخرين ومات وفي أبو بكر رضي الله عنه حتى رجع العرب كلهم الى الاسلام وابتدأ التجهيز لفتوح الشام وقتال الروم حتى أن فتح الشام كان ليلة وفاة أبي بكر رضي الله عنه ومن ثم أخرج البيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال والله الذي لا اله الا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله ثم قال الثانية والثالثة فقيل له مه يا أبا هريرة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جهز جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما ليسير في سبعمائة الى الشام وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يتوجه ذلك الجيش وارتدت العرب حول المدينة واجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا لابي بكر رضي الله عنه رد هذا الجيش كيف توجه هؤلاء الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فقال والله الذي لا اله الا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ما رددت جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء عقده فوجه أسامة فجعل اسامة لا يمر بقبيلة يريدون الارتداد الا قالوا لولا ان لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم فلقوهم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الاسلام واستدل العلماء على عظم علم ابي بكر رضي الله عنه بقوله والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة وبقوله والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه وقال العلماء ايضا ان أبا بكر رضي الله عنه كان اعلم الصحابة رضي الله عنهم لانهم كلهم وقفوا عن فهم الحكم في المسئلة الا هو ثم ظهر لهم بمباحثته ان قوله هو الصواب فرجعوا اليه واستدلوا بذلك ايضا على عظم شجاعته رضي الله عنه بتصميمه على قتالهم من قوله لاجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي ومما يدل على عظم شجاعته ثباته يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيته لجميع الصحابة ولم يثبت ذلك اليوم أحد غيره وما ثبتوا بعد ذلك الا بتثبيته والقصة مشهورة فلا حاجة لذكرها واخرج ابن عساكر عن علي رضي الله عنه يوم وفاة

أبي بكر رضي الله عنه دخل عليه وهو مسجى فقال ماأحب أن ألقى الله بصحيفة أحب الى من هذا المسجى وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من طرق كثيرة لو وزن ايمان أبي بكر بايمان الامة لرجحهم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه مخبرا عن نفسه انه ماسابق أبابكر الى خير الاسبقه أبو بكر رضي الله عنهما واخرج ابويعلى عن علي رضي الله عنه قال اعظم الناس اجرا في المصاحف أبو بكر ان أبابكر أول من جمع بين اللوحين لأن أبابكر رضي الله عنه لما كان قتال أهل اليمامة وقتل كثير من الصحابة قال أخشى أن يستحر القتل بالقرآء في المواطن فيذهب كثير من القرآن فأمر زيد بن ثابت بجمع القرآن من الرقاع والاكتاف والكتب وصدور الرجال فجمع في صحف الى أن كان زمن خلافة عثمان رضي الله عنه فجمع في المصاحف فما جمعه عثمان الامن الصحف التي جمعها أبو بكر رضي الله عنهما وكان رضي الله عنه جعل ولاية بيت المال في زمن خلافته لأمين هذه الأمة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وأخرج البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا يعني ثلاث حفنات فلما جاء مال البحرين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر رضي الله عنه من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أو دين فليأتنا فجئت فأخبرته فقال خذ فأخذت مقدارا فوجدت عدد تلك الدراهم التي أخذتها خمسمائة فأعطاني ألفا وخمسمائة وفاء بقول النبي صلى الله عليه وسلم هكذا وهكذا وهكذا ولما مرض أبو بكر رضي الله عنه مرض الوفاة قال له الناس ألا ندعو لك طبيبا قال قد أتاني وقال لي أنا فاعل ما أريد فعلوا مراده وسكتوا عنه وكان سبب مرضه انه سمه يهودي في أرز وقيل في خزيرة أهديت لأبي بكر رضي الله عنه فأكل هو والحارث بن كلدة طبيب العرب فكف الحارث وقال لأبي بكر ارفع يدك ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلنا طعاما مسموما سم سنة فماتا بعد سنة في يوم واحد وفي رواية والله ان فيها سم سنة وانا وأنت نموت في يوم واحد فرفع يده فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد وقيل سبب موته سم الحية التي لدغته في الغار تحرك عليه أثره قبل وفاته ولامانع من تعدد هذه الأسباب وأخرج الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان سبب موت أبي بكر رضي الله عنه وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمدا وحزنا فمازال جسده ينقص حتى مات وأخرج الحاكم عن الشعبي قال ماذا نتوقع من هذه الدنيا الدنية وقد سم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسم أبو بكر رضي الله عنه وكان ابتداء مرض أبي بكر الذي منعه من الخروج أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لايخرج وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وله من العمر ثلاث وستون سنة ومدة خلافته سنتان وثلاثة اشهر وعشر ليال وعن عائشة رضي الله عنها قالت لما ثقل أبو بكر رضي الله عنه قعدت عند رأسه فتمثلت بقول القائل

* لعمرك مايغني الثراث عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر *

فقال لاتقولي هذا ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ثم قال انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما فكفنوني فيهما فان الحي أحوج الى الجديد من الميت وصلى

فانك أرحم الراحمين وروى ابن أبي شيبة عن جابر رضي الله عنه مثل ذلك وكذا روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه ذكر ذلك كله الحافظ السيوطي في الجامع الكبير ومن الاحاديث الصحيحة التي جاء التصريح فيها بالتوسل مارواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف وهو صحابي مشهور رضي الله عنه ان رجلا ضريرا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يعافيني فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير قال فادعه فأمره أن يتوضأ فليحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يامحمد اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في فعاد وقد أبصر وفي رواية قال ابن حنيف فوالله ماتفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط وخرج هذا الحديث أيضا البخاري في تاريخه وابن ماجه والحاكم في المستدرك باسناد صحيح وذكر الجلال السيوطي في الجامع الكبير والصغير في هذا الحديث التوسل والنداء وابن عبد الوهاب يمنع كلا منهما ويحكم بكفر من فعل ذلك وليس لابن عبد الوهاب أن يقول ان

عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودفن ليلا الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة عائشة رضي الله عنها وكان آخر ماتكلم به توفني مسلما والحقني بالصالحين ولما توفي ابو بكر رضي الله عنه ارتجت المدينة بالبكاء ودهش القوم كيوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المحب الطبري في الرياض النضرة أخرج الامام أبو بكر محمد بن عبد الله الخوارزمي وابن السماك عن أسد بن صفوان وكان قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قال لما قبض أبو بكر رضي الله عنه ارتجت المدينة عليه بالبكاء كيوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول انا لله وانا اليه راجعون انقطعت خلافة النبوة حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر رضي الله عنه وهو مسجى فقال رحمك الله يا أبا بكر كنت الف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته كنت أول القوم اسلاما وأخلصهم ايمانا وأشدهم يقينا وأخوفهم لله وأعظمهم غناء في دين الله وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيمنهم على أصحابه وأحسنهم صحبة وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق وأرفعهم درجة وأقربهم وسيلة وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم هديا وسمتا ورحمة وفضلا وأشرفهم منزلة وأكرمهم عليه وأشفقهم عليه فجزاك الله عن الاسلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا كنت عنده بمنزلة السمع والبصر صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس فسماك الله في تنزيله صديقا فقال والذي جاء بالصدق وصدق به الذي جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه وأخرج البزار وابن عساكر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال في تفسير قوله تعالى الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم والذي صدق به ابو بكر رضي الله عنه وجاء مثل ذلك في آيات كثيرة من آيات القرآن العزيز فمن ذلك ما اخرجه الحاكم والطبراني ان ابا بكر رضي الله عنه اعتق سبعة كلهم يعذب في الله تعالى فأنزل الله تعالى وسيجنبها الأتقى الذي الى آخر السورة قال ابن الجوزي اجمعوا على أنها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وفيها التصريح انه بأتقى من سائر الأمة والأتقى هو الأكرم عند الله تعالى لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم والأكرم عند الله تعالى هو الأفضل فدلت الآية على انه افضل هذه الامة وجاءت احاديث كثيرة صريحة بأن سورة والليل اذا يغشى نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وفي امية بن خلف وذلك ان امية بن خلف كان يعذب بلالا رضي الله عنه لما اسلم فاشتراه ابو بكر رضي الله عنه واعتقه فأنزل الله السورة فقوله تعالى ان سعيكم لشتى اول داخل فيه ابو بكر رضي الله عنه وامية بن خلف اي ان سعي ابي بكر وامية مفترق افتراقا عظيما فشتان مابينهما ثم شرح ذلك وبينه الآيات التي بعد هذه الآية فقوله واما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى هو ابو بكر رضي الله عنه وقوله وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى هو أمية بن خلف وكذا قوله تعالى وما يغني عنه ماله اذا تردى وقوله لا يصلاها الا الأشقى الذي كذب وتولى كل هذه الآيات في أمية بن خلف وختمت السورة بقوله تعالى وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى

(ولسوف)

هذا انما كان في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لان الدعاء استعمله أيضا الصحابة والتابعون بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لقضاء حوائجهم فقد روى الطبراني والبيهقي ان رجلا كان يختلف الى عثمان رضي الله عنه في زمن خلافته في حاجة فكان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته فشكى ذلك لعثمان بن حنيف فقال له ائت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ثم قل اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك الى ربك لتقضي حاجتي وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان رضي الله عنه فجاءه البواب فاخذ بيده فادخله على عثمان فاجلسه معه وقال اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال له ما كان لك من حاجة فاذكرها ثم خرج من عنده فلقي ابن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته لي فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكني شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره الى آخر الحديث المتقدم فهذا توسل ونداء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي وابن أبي شيبة باسناد صحيح ان الناس اصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه

ولسوف يرضى وهو أبو بكر رضي الله عنه وتأمل قوله تعالى وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى فانها تدل على كمال اخلاص ابي بكر رضي الله عنه ولهذا عقب ذلك بقوله ولسوف يرضى ولاشيء أعلى من هذا الوعد من الرب الكريم ومن الآيات قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب هنا أبو بكر رضي الله عنه ومن ثم قالوا من أنكر صحبته فقد كفر بالاجماع ومن الآيات الدالة على صحة خلافته قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لايشركون بي شيأ قال ابن كثير هذه الآية منطبقة على خلافة الصديق رضي الله عنه وقد أخرج ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن عبد الحميد المهري أنه قال ان خلافة ابي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما في كتاب الله تعالى في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الآية ومن الآيات الدالة على خلافته رضي الله عنه قوله تعالى قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما فقد أخرج ابن أبي حاتم وابن قتيبة ان هذه الآية حجة على خلافة الصديق رضي الله عنه والقوم المذكورون في الآية هم بنو حنيفة الذين ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واتبعوا مسيلمة الكذاب وأبو بكر هو الذي دعا المخلفين من الأعراب الى قتالهم قال الشيخ أبو الحسن الأشعري امام أهل السنة سمعت أبا العباس بن سريج يقول خلافة الصديق رضي الله عنه في القرآن في هذه الآية قال لأن أهل العلم أجمعوا على انه لم يكن بعد نزولها قتال دعوا اليه الا والداعي اليه أبو بكر رضي الله عنه وأول مادعا اليه قتال أهل الردة ومانعي الزكاة فدل على صحة خلافة أبي بكر رضي الله عنه وافتراض طاعته لأن الله تعالى يقول فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وأخبر أن المتولى عن ذلك يعذب بقوله وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما قال ابن كثير ومن فسر القوم بأنهم فارس والروم فأبو بكر الصديق رضي الله عنه هو الذي دعا الى قتالهم وهو اول من جهز الجيوش الى قتالهم وتمام أمرهم كان على يد عمر وعثمان رضي الله عنهما فهما فرعان تفرعا من خلافة أبي بكر رضي الله عنه فان قلت يمكن أن يراد بالداعي في الآية النبي صلى الله عليه وسلم قلت لايمكن ذلك مع قوله تعالى قبل ذلك لن تتبعونا ومن ثم لم يدع اولئك الذين تخلفوا الى محاربة في حياته صلى الله عليه وسلم وأما علي رضي الله عنه فلم يتفق له في زمن خلافته قتال للكفار لطلب الاسلام بل كان قتاله لتحقيق أمر الامامة ورعاية حقوقها فتعين أن ذلك الداعي الذي يكون الأجر الحسن باتباعه والعذاب الأليم بعصيانه أحد الخلفاء الثلاثة وأبو بكر هو أولهم وافضلهم وأساسهم فيلزم صحة خلافته على كل تقدير والآيات الدالة على فضله وصحة خلافته كثيرة لاحاجة الى ذكرها فمن راجع تفاسير القرآن وكتب السنة وقف على ذلك وكان أبو بكر رضي الله عنه كثيرا مايقول في خطبه اين القضاة الحسنة وجوههم المعجبون بشأنهم أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها

هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام واخبره انهم يسقون وليس الاستدلال بالرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم فان رؤياه وان كانت حقا لكن لاتثبت بها الاحكام لامكان اشتباه الكلام على الرائي وانما الاستدلال بفعل بلال ابن الحرث في اليقظة فانه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاتيانه لقبر النبي صلى الله عليه وسلم ونداؤه له وطلبه ان يستسقي لامته دليل على ان ذلك جائز وهو من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وذلك من أعظم القربات وقد توسل به صلى الله عليه وسلم أبوه آدم قبل وجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حين أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها قال بعض المفسرين في قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ان الكلمات هي توسله بالنبي صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي باسناد صحيح في كتابه دلائل النبوة الذي قال فيه الحافظ الذهبي عليك به فانه كله هدى ونور عن عمر بن الخطاب رضي الله

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد الا ما غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم كيف

بالحيطان اين الذين كانوا يمطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا النجا النجا ولما اراد ابوبكر رضي الله عنه استنفار الناس اتجاه اهل الردة ثم لقتال الروم كتب الى اهل مكة بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله ابي بكر الى اهل مكة وسائر المؤمنين فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اما بعد فاني استنفرت الناس الى الجهاد وقد كتبت اليكم والى المسلمين ان تسرعوا الى ما أمركم ربكم تبارك وتعالى انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وهذه الآية انتم احق بها واهلها واول من صدق بها وقال بحكمها من ينصر دين الله فالله ناصره ومن بخل استغنى الله عنه والله غني حميد فسارعوا الى جنة عالية قطوفها دانية أعدها الله للمجاهدين والانصار ومن اتبع سبيلهم من الاولياء الاخيار وحسبنا الله ونعم الوكيل وختم الكتاب ودفعه الى عبد الله ابن حذافة السهمي رضي الله عنه فأخذه وسار حتى وصل مكة وصرخ في اهلها فاجتمعوا اليه فدفع اليهم الكتاب فقرؤه فلما سمعوا قال سهيل بن عمرو والحارث بن هشام وعكرمة بن ابي جهل وقالوا اجبنا داعي الله وصدقنا قول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة بن ابي جهل الى متى نبسط لأنفسنا وقد سبقنا القوم الى المواطن وقد فاز من فاز بالصدق وان كنا تأخرنا عن السبق فالحاق الحاق والسباق السباق فلعلنا نكتب في الحال ثم خرج عكرمة بن ابي جهل في بني مخزوم وخرج عمه الحارث بن هشام معهم وتلاحق اهل مكة حتى بلغوا خمسمائة رجل وكتب ابو بكر بمثل ذلك لأهل الطائف فخرجوا في اربعمائة رجل ثم كتب لأهل اليمن بعد فراغه من قتال المرتدين وصورة كتابه اليهم بسم الله الرحمن الرحيم من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من قرئ عليه كتابي من المؤمنين والمسلمين من اهل اليمن سلام عليكم اما بعد فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو فان الله كتب على المؤمنين الجهاد وامرهم ان ينفروا خفافا وثقالا قال الله تعالى انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله فالجهاد فريضة مفروضة وثوابه عند الله عظيم وقد استنفرنا من قبلنا من المسلمين الى جهاد الروم بالشام وقد سارعوا الى ذلك وشكروا وخرجوا وحسنت في ذلك نيتهم وعظمت في الخير حسبتهم فسارعوا عباد الله الى فريضة ربكم والى احدى الحسنيين أما الشهادة واما الفتح والغنيمة فان الله لم يرض من عباده بالقول دون الفعل ولا يترك أهل عداوته حتى يدينوا بالحق ويقروا بحكم الكتاب أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون حفظ الله لكم دينكم وهدى قلوبكم وزكى أعمالكم ورزقكم أجر المجاهدين والصابرين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعث بهذا الكتاب مع انس بن مالك رضي الله عنه قال انس فأتيت أهل اليمن جناحا جناحا وقبيلة قبيلة أقرأ عليهم كتاب ابي بكر رضي الله عنه فاذا فرغت من قراءته قلت الحمد لله واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فاني رسول المسلمين اليكم الا واني قد تركتهم معسكرين لم يمنعهم من الشخوص الى عدوهم الا انتظاركم فعجلوا الى اخوانكم رحمة الله عليكم ايها المسلمون قال وكان كل من قرأ عليه ذلك الكتاب ويسمع مني هذا القول

محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله يا آدم انه لأحب الخلق الي واذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك ورواه أيضا الحاكم وصححه والطبراني وزاد فيه وهو آخر الانبياء من ذريتك والى هذا التوسل أشار الامام مالك رحمه الله تعالى للخليفة الثاني من بني العباس وهو المنصور جد الخلفاء العباسيين وذلك انه لما حج المنصور المذكور وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم سأل الامام مالكا وهو بالمسجد النبوي وقال له يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ذكره القاضي عياض في الشفاء وساقه باسناد صحيح وذكره الامام السبكي في شفاء السقام في زيارة خير الانام والسيد السمهودي في خلاصة الوفاء والعلامة القسطلاني

محسن الرد علي ويقول نحن سائرون وكأن قد فعلنا حتى انتهيت الى ذي الكلاع ملك حمير فلما قرأت عليه الكتاب وقلت هذا المقال دعا بسلاحه وفرسه ونهض في قومه من ساعته ولم يؤخر ذلك وأمر بالعسكر فما برحنا حتى عسكر وعسكر معه جموع كثيرة من أهل اليمن وسعوا فلما اجتمعوا اليه قام فيهم فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس ان من رحمة الله اياكم ونعمته عليكم ان بعث فيكم رسولا وأنزل عليكم كتابا فأحسن عنه البلاغ فعلمكم ما يرشدكم ونهاكم عما يفسدكم وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ورغبكم في الخير ما لم تكونوا ترغبون ثم قد دعاكم اخوانكم الصالحون الى جهاد المشركين واكتساب الاجر العظيم فلينفر من أراد معي النفر الساعة فنفر بعدد كثير من أهل اليمن وقدموا على ابي بكر رضي الله عنه قال فرجعنا نحن فسبقناه بايام فوجدنا أبابكر رضي الله عنه بالمدينة ووجدنا ذلك العسكر على حاله ووجدنا أباعبيدة يصلي بأهل ذلك العسكر فقدمت حمير على ابي بكر رضي الله عنه ومعها نساؤها وأولادها ففرح ابوبكر رضي الله عنه بقدومهم ولما رآهم أبوبكر رضي الله عنه قال عباد الله ألم نكن نتحدث فنقول اذا أقبلت حمير تحمل أولادها ومعها نساؤها نصر الله المسلمين وخذل المشركين فأبشروا ايها المسلمون فقد جاءكم النصر من الله تعالى قال وجاء قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي وكان من فرسان العرب في الجاهلية ومن اشرافهم واشدائهم ومعه جمع كثير من قومه حتى اتى ابابكر رضي الله عنه فسلم ثم جلس اليه فقال ما تنتظر ببعثة هذه الجنود فقال ابوبكر رضي الله عنه ما كنا ننتظر الا قدومكم قال فقد قدمنا فابعث الناس الأول فالاول فان هذه البلدة ليست ببلدة خف ولا كراع قال فخرج ابوبكر رضي الله عنه يمشي فدعا يزيد بن ابي سفيان فعقد له ودعا زمعة بن الاسود بن عامر من بني عامر ابن لؤي واوصاهم وبعثهم وقد كان ابوبكر رضي الله عنه قبل بعث الكتب حدث نفسه بغزو الروم واسر ذلك في نفسه ولم يطلع عليه احدا فبينما هو في ذلك اذ جاءه شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه فقال ياخليفة رسول الله اتحدث نفسك ان تبعث الى الشام جندا فقال نعم قد حدثت نفسي بذلك وما أطلعت عليه احدا وما سألتني عنه الا لشيء عندك فقال اجل اني رأيت فيما يرى النائم كأنك في ناس من المسلمين فوق جبل فأقبلت تمشي معهم حتى صعدت على قبة عالية على الجبل فأشرفت على الناس ومعك اصحابك اولئك ثم هبطت من تلك القبة الى ارض سهلة دمثة فيها القرى والعيون والزروع والحصون فقلت يامعشر المسلمين شنوا الغارات على المشركين فاني ضامن لكم الفتح والغنيمة وانا فيهم ومعي راية فتوجهت الى قرية فدخلتها فسألوني الامان فأمنتهم ثم جئت فوجدتك قد انتهيت الى حصن عظيم ففتح لك والقوا اليك السلم وجعل لك عرشا فجلست عليه ثم قال لك قائل فاسئل يفتح الله لك وتنصر فاشكر ربك واعمل بطاعته ثم قرأ عليك اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال ثم انتبهت فدمعت عينا ابي بكر رضي الله عنه ثم قال اما الجبل الذي رأيتنا نمشي عليه حتى صعدنا منه الى القبة العالية فأشرفنا على الناس فانا نكابد من امر هذا الجند مشقة ويكابدونا ثم نغلب بعد ويعلوا امرنا وان نزولنا من القبة العالية الى الارض السهلة الدمثة والزروع والحصون والعيون والقرى فانا ننزل الى امر اسهل مما كنا فيه

في المواهب اللدنية والعلامة

ابن حجر في تحفة الزوار والجوهر المنظم ذكره وكثير من ارباب المناسك في آداب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم رواية ذلك عن الامام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه وقال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ورواها ابن فهد باسناد جيد ورواها القاضي عياض في الشفاء باسناد صحيح رجاله ثقات ليس في اسناده وضاع ولا كذاب ومراده بذلك الرد على من لم يصدق رواية ذلك عن الامام مالك ونسب له كراهية استقبال القبر فنسبة الكراهة الى الامام مالك مردودة واستسقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمن خلافته بالعباس ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا وذلك مذكور في صحيح البخاري من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه وذلك من التوسل بل في المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني ان عمر رضي الله تعالى عنه لما استسقى بالعباس رضي الله عنه قال يا أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله تعالى ففيه التصريح

من الخصب والمعاش واما قولي شنوا عليهم الغارة فاني ضامن لكم بالفتح والغنيمة فان ذلك توجيهي للمسلمين الى بلاد المشركين وامري اياهم بالجهاد في سبيل الله وأما الراية التي كانت معك فتوجهت بها الى قرية من قراهم فدخلتها فاستأمنوك فأمنتهم فانك تكون احد امراء المسلمين ويفتح الله على يديك واما الحصن الذي فتح الله على يدي فهو الفتح الذي يفتح الله على يدي وأما العرش الذي رايتني جالسا عليه فان الله يرفعني ويضع المشركين واما أمري بطاعة ربي وقراءة القارى على هذه السورة فانه نعى الى نفسي فان هذه السورة حين انزلت علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نفسه نعيت اليه ثم سالت عينا ابي بكر رضي الله عنه فقال لآمرن بالمعروف ولأنهين عن المنكر ولأجاهدن من ترك امر الله عزوجل ولأجهزن الجيوش الى العادلين بالله في مشارق الارض ومغاربها حتى يقولوا الله احد ويؤدوا الجزية عن يدوهم صاغرون فاذا توفاني ربي لم يجدني مقصرا ولا في ثواب المجاهدين زاهدا ثم انه امر الأمراء وبعث الى الشام قال عبدالله بن ابي اوفى رضي الله عنه لما اراد ابوبكر رضي الله عنه تجهيز الأجناد الى الشام دعا بعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وابي عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد ووجوه المهاجرين والأنصار من اهل بدر وغيرهم فدخلوا عليه وانا فيهم فقال ان الله تبارك وتعالى لاتحصى نعمه ولاتبلغ الاعمال جزاها فلله الحمد كثيرا على ما اصطنع عندكم قد جمع كلمتكم واصلح ذات بينكم وهداكم الى الاسلام ونفى عنكم الشيطان فليس يطمع ان تشركوا بالله ولا تتخذوا الها غيره فالعرب بنوا ام واب وقد اردت ان ابعثهم الى الروم بالشام فمن هلك منهم هلك شهيدا وما عند الله خير للأبرار ومن عاش منهم عاش مدافعا عن الدين مستوجبا على الله عزوجل ثواب المجاهدين هذا رأيي الذي رايت فأشار امرا علي بمبلغ رايه فقام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال الحمد لله الذي يخص بالخير من شاء من خلقه والله ما استبقنا الى شئ من الخير قط الا سبقتنا اليه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قد والله اني اردت لقائك لهذا الامر والراى الذي ذكرت فما قضى الله ان يكون ذلك حتى ذكرته الآن فقد اصبت وأصاب الله بك سبل الرشاد وابعث اليهم الخيل في اثر الخيل وابعث الرجال تتبعها الرجال والجنود تتبعها الجنود فان الله عزوجل ناصر دينه ومعز الاسلام واهله ومنجز ماوعد رسوله صلى الله عليه وسلم ثم ان عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قام فقال ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما الروم وبنو الاصفر حد حديد وركن شديد والله ما ارى ان تقحم الخيل عليهم اقحاما ولكن تبعث الخيل تغير عليهم في اداني اراضيهم ثم تبعثها فتغير ثم ترجع اليك فاذا فعلوا ذلك اضروا بعدوهم وغنموا من اداني اراضيهم فقووا بذلك على قتالهم ثم تبعث الى اقاصي اهل اليمن والى اقاصي ربيعة ومضر فتجمعهم اليك جميعا فان شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك وان شئت بعثت على غزوهم غيرك ثم جلس وسكت وسكت الناس فقال لهم ابوبكر رضي الله عنه ماترون رحمكم الله فقام عثمان بن عفان رضي الله عنه فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال اني ارى انك لأهل هذا الدين مشفق واذا رأيت رايا

بالتوسل وبهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقا سواء كان بالاحياء أوبالاموات وقول من منع ذلك بغير النبي صلى الله عليه وسلم لان فعل عمر رضي الله عنه حجة لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه رواه الامام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما ورواه الامام أحمد أيضا وأبوداود والحاكم في المستدرك عن أبي ذر رضي الله عنه ورواه أبو يعلى والحاكم في المستدرك أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه ورواه الطبراني في الكبير عن بلال ومعاوية رضي الله عنهما وروى الطبراني في الكبير وابن عدي في الكامل عن الفضل بن العباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان وهذا مثل ماصح في حق علي رضي الله عنه حيث قال صلى الله عليه وسلم في حقه وأدر الحق معه حيث دار وهو حديث صحيح رواه كثير من أصحاب السنن فكل من عمر وعلي رضي الله عنهما يكون الحق معه حيث كان وهذان الحديثان من جملة الادلة التي استدل بها أهل السنة على صحة خلافة الخلفاء الاربعة لان عليا رضي الله عنه كان مع الخلفاء الثلاثة قبله لم ينازعهم في الخلافة فلما جاءت الخلافة له ونازعه

لعامتهم رشدا وصلاحا وخيرا فاعزم على امضائه فانك غير ظنين ولا متهم فقال طلحة والزبير
وسعد وأبو عبيدة وجميع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين والانصار صدق عثمان فيما قال
ما رأيت من أمر فأمضه فانا سامعون لك مطيعون لا نخالف أمرك ولا نتهم رأيك ولا نتخلف عن
دعوتك واجابتك فذكروا هذا وشبهه وعلي بن أبي طالب رضى الله عنه في القوم لا يتكلم فقال
له ابو بكر رضى الله عنه ما ترى يا أبا الحسن قال رأيي انك مبارك ميمون الناصية وانك ان سرت
اليهم بنفسك أو بعثت اليهم نصرت ان شاء الله تعالى فقال له أبو بكر رضى الله عنه بشرك
الله بخير من اين علمت هذا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال هذا الدين ظاهرا
على من ناواه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرين فقال أبو بكر رضى الله عنه سبحان الله ما أحسن
هذا الحديث لقد سررتني سرك الله في الدنيا والآخرة ثم أن أبا بكر رضى الله عنه قام في الناس
فحمد الله وأثنى عليه وذكره بما هو أهله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس ان
الله قد أنعم عليكم بالاسلام واعزكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين فتجهزوا عباد الله
الى غزو بلاد الروم بالشام فاني مؤمر عليكم امراء وعاقد لهم عليكم فأطيعوا أمر ربكم ولا تخالفوا
امراءكم ولتحسن نيتكم وسيرتكم وطعمتكم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال
فسكت الناس فوالله ما أجابه أحد هيبة لغزو الروم لما يعلمون من كثرة عدوهم وشدة شوكتهم فقام
عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا معشر المسلمين ما لكم لا تجيبون خليفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا دعاكم لما يحييكم فقام خالد بن سعيد بن العاص رضى الله عنه فحمد الله
وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال الحمد لله الذي لا اله الا هو
بعث محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فان الله
منجز وعده ومعز دينه ومهلك عدوه ثم أقبل على أبي بكر رضى الله عنه فقال انا غير
مخالفين لك ولا متخلفين عنك وأنت الوالي الناصح الشفيق ننفر اذا استنفرتنا ونجيبك اذا
دعوتنا ففرح أبو بكر رضى الله عنه بمقالته وقال له جزاك الله من أخ خيرا فقد أسلمت
مرتضيا وهاجرت محتسبا وهربت بدينك من الكفار لكي يطاع الله ورسوله وتكون كلمة
الله هي العليا فسر رحمك الله فتجهز خالد بن سعيد بأحسن الجهاز ثم أتى ابا بكر وعنده
من المهاجرين والانصار أجمع ما كانوا فسلم على أبي بكر رضى الله عنه ثم قال والله لأن أخر من
رأس حالق وتخطفني الطير في الهوى بين السماء والارض أحب الي من أن ابطئ عنك
وأخالف أمرك والله ما أنا في الدنيا راغب ولا على البقاء فيها بحريص واني اشهدكم اني واخواني
وفتياني ومن أطاعني من أهلي حبيس في سبيل الله مقاتل للمشركين ابدا حتى يهلكهم
الله أو نموت عن آخرنا فقال ابو بكر خيرا ودعا له المسلمون بخير وقال له ابو بكر اني لارجو
ان تكون من نصحاء الله في عباده باقامة كتابه واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فخرج هو
واخوانه وغلمانه ومن تبعه من أهل بيته وكان أول من عسكر فأمر أبو بكر بلالا رضى الله
عنه فنادى في الناس أن انفروا الى عدوكم بالشام وارسل الى يزيد بن ابي سفيان والى ابي عبيدة
ابن الجراح ومعاذ بن جبل وشرحبيل بن حسنة فقال اني باعثكم في هذا الوجه ومؤمركم على
هذه الجنود وأنا موجه مع كل رجل من الرجال ما قدرت عليه فاذا قدمتم البلد ولقيتم العدو

غيره قاله ومن الادلة الدالة على أن توسل عمر رضى الله عنه بالعباس رضى الله عنه حجة على جواز قوله
صلى الله عليه وسلم لو كان
بعدي نبي لكان عمر رواه
الامام أحمد والترمذي
والحاكم في المستدرك عن
عقبة بن عامر رضى الله
عنه ورواه الطبراني
في الكبير عن عصمة بن
مالك رضى الله عنه وروى
الطبراني في الكبير عن
أبي الدرداء رضى الله عنه
ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اقتدوا
بالذين من بعدي أبي بكر
وعمر فانهما حبل الله الممدود
من تمسك بهما فقد تمسك
بالعروة الوثقى لا انفصام
لها وانما استسقى عمر رضى الله
عنه بالعباس ولم يستسق
بالنبي صلى الله عليه وسلم
ليبين للناس ان الاستسقاء
بغير النبي صلى الله عليه
وسلم جائز ومشروع
لا حرج فيه لان الاستسقاء
بالنبي صلى الله عليه وسلم
كان معلوما عندهم
فلربما توهم بعض الناس
انه لا يجوز الاستسقاء
بغير النبي صلى الله عليه
وسلم فبين لهم عمر رضى
الله عنه الجواز ولو استسقى
بالنبي صلى الله عليه وسلم
لافهم انه لا يجوز الاستسقاء
بغيره صلى الله عليه وسلم
ولا يصح أن يقال انما
استسقى بالعباس ولم يستسق بالنبي صلى الله عليه وسلم لان العباس حي والنبي

واجتمعتم على قتالهم فأميركم أبو عبيدة بن الجراح وان لم يلقكم أبو عبيدة ولقيكم حرب فأميركم يزيد بن أبي سفيان فانطلقوا فتجهزوا فانطلق القوم يتجهزون و كان خالد بن سعيد من عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكره الامارة واستعفى أبا بكر رضي الله عنه فأعفاه ثم ان الناس خرجوا الى معسكرهم من عشرة وعشرين وثلاثين وأربعين وخمسين ومائة في كل يوم حتى اجتمع الناس و كثروا فخرج أبو بكر رضي الله عنه ذات يوم ومعه رجال من أصحابه كثير حتى انتهى الى عسكرهم فرأى عدة حسنة ولم يرض كثرتها للروم فقال لأصحابه ماذا ترون في هؤلاء أترون ان نشخصهم الى الشام في هذه العدة فقال له عمر رضي الله عنه ما أرضى هذه العدة لبني الأصفر فأقبل ابو بكر رضي الله عنه على أصحابه فقال لهم ماذا ترون فقالوا نحن نرى أيضا ما رأى عمر رضي الله عنه فقال أبو بكر رضي الله عنه أفلا نكتب كتابا الى أهل اليمن ندعوهم الى الجهاد ونرغبهم في ثوابه فرأى ذلك جميع الصحابة رضي الله عنهم فقالوا له نعم ما رأيت فكتب اليهم فأجابوه واقبلوا كما تقدم بيان ذلك مفصلا وتجهزوا الى الشام فكان النصر والفتوح وكان أول جيش بعثه أبو بكر رضي الله عنه بعد وفات رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش أسامة وكان بعض الصحابة استصغروا اسامة بن زيد أمير الجيش وقالوا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه امض الى ابي بكر وأبلغه عنا واطلب منه ان يولي أمرنا اقدم سنا من أسامة فلما أبلغه عمر ذلك وثب ابو بكر رضي الله عنه وكان جالسا وأخذ بلحية عمر رضي الله عنه وقال ثكلتك امك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني ان اعزله ثم خرج ابو بكر رضي الله عنه حتى اتى ذلك الجيش وأشخصهم وشيعهم وهو ماش واسامة راكب فقال له أسامة يا خليفة رسول الله لتركبن اولا نزلن فقال ابو بكر رضي الله عنه والله لا نزلت ولا اركب وما علي ان اغبر قدمي ساعة في سبيل الله فان للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وسبعمائة سيئة تمحى عنه فلما اراد ان يرجع اوصى اسامة ومن معه فقال لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لأكله وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له وسوف تقدمون على قوم من حزب الشيطان وعبدة الصلبان قد حلقوا اوساط رؤسهم حتى كأنها افاحيص القطا وفي رواية وتركوا حولها مثل العصائب فاعلوهم بسيوفكم حتى يرجعوا الى الاسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون استودعكم الله اندفعوا باسم الله وفعل مع يزيد بن ابي سفيان عند موادعته مثل ما فعل مع أسامة واوصاه بمثل ما اوصاه وزاد بعضهم في وصيته ليزيد قوله اذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على اصحابك في سيرك ولا تغضب على قومك ولا على اصحابك وشاورهم في الأمر واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور فانه لا أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم واذا لقيتم القوم فلا تولوهم الادبار واذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولدا ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ولا تعقروا بهيمة الا بهيمة المأكول ولا تغدروا اذا عاهدتم ولا تنقضوا اذا صالحتم وقال في وصيته لخالد بن الوليد رضي الله عنه لما خرج لقتال اهل الردة سر

صلى الله عليه وسلم قدمات لان الاستسقاء انما يكون بالحي لان هذا القول باطل مردود بادلة كثيرة منها توسل الصحابة به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كما تقدم في القصة التي رواها عثمان بن حنيف وكما في حديث بلال بن الحرث المتقدم وكما في توسل آدم رواه عمر رضي الله عنه كما تقدم فكيف لا يعتقد عدم صحته بعد وفاته وقد روى التوسل به قبل وجوده مع انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره فتلخص من هذا انه يصح التوسل به صلى الله عليه وسلم قبل وجوده وفي حياته وبعد وفاته وانه يصح التوسل أيضا بغيره من الاخيار كما فعله عمر رضي الله عنه حين استسقى بالعباس رضي الله عنه وذلك من أنواع التوسل كما تقدم وانما خص عمر العباس رضي الله عنهما من بين سائر الصحابة لاظهار شرف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبيان انه يجوز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل فان عليا رضي الله عنه كان موجودا وهو أفضل من العباس رضي الله عنه قال بعض العارفين وفي توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما دون النبي صلى الله عليه وسلم نكتة أخرى أيضا زيادة على ما تقدم وهي شفقة عمر رضي الله عنه على

(على)

على بركة الله فاذا دخلت أرض العدو فكن بعيدا عن كله فانى لا آمن عليك الجملة واستظهر بالزاد وسر بالادلاء ولا تقاتل بمجروح فان بعضه ليس منه واحترس من البيات فان فى العرب غرة وأقلل من الكلام فان مالك ماوعى عنك واقبل من الناس علانيتهم وكلهم الى الله تعالى فى سرائرهم واستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه فسار أسامة قبل كل جيش جهزه أبو بكر رضى الله عنه وأوقع بقبائل من قضاعة كانوا قد ارتدوا وغنم وعاد وكانت غيبته أربعين يوما وكان نفاذ جيش أسامة من أعظم الامور نفعا للمسلمين فان العرب قالوا لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا ارادوا ان يفعلوه قال ابوبكر بن عياش سمعت ابا حصين يقول ماولد بعد النبيين مولود افضل من أبى بكر رضى الله عنه فقد قام مقام نبى من الانبياء فى قتال اهل الردة وقال انس بن مالك رضى الله عنه كرهت الصحابة قتال مانعى الزكاة وقالوا انهم أهل القبلة يعنون أنهم مسلمون فتقلد أبو بكر رضى الله عنه سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره وهذا دليل على شجاعة أبى بكر رضى الله عنه ثم أشار عليه على رضى الله عنه بالرجوع وأن يبعث الجيوش ففعل ما أشار عليه وتقدم أن عمر رضى الله عنه كان ممن توقف فى قتالهم ثم شرح الله صدره كما شرح صدر أبى بكر فقال بعد ذلك والله لقد رجح ايمان ابى بكر بايمان هذه الأمة جميعا فى قتالهم وقتال بقية المرتدين وكان من جملة مقالة عمر لما راجع أبا بكر فى قتالهم أن قال ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارفق بهم فانهم بمنزلة الوحش فقال له أبو بكر رضى الله عنه رجوت نصرتك وجئتنى بخذلانك جبارا فى الجاهلية وخوارا فى الاسلام بماذا شئت أتألفهم بشعر مفتعل أو بسحر مفترى هيهات هيهات قدتم الدين وانقطع الوحى أينقص وأنا حى والله لو خذلنى الناس كلهم لجاهدتهم بنفسى وقال له بعض الصحابة فى مراجعتهم اياه ارفق بالعرب حتى ينفرج هذا الأمر فان هذا الامر شديد غوره ومهلكة من غير وجه فلو أن طائفة من العرب ارتدت قلنا قاتل من ارتد بمن ثبت معك وقد اصفقت العرب على الارتداد فهم بين مرتد ومانع صدقة فهو مثل المرتد وبين واقف ينظر ماتصنع أنت وعدوك قد قدم رجلا وأخر أخرى وقالوا له ايضا قد شحت العرب على اموالها وانت لاتصنع بتفريق العرب عنك شيأ فلو تركت للناس صدقة هذه السنة وقدم عيينة بن حصن الفزارى واقرع بن حابس فى رجال من أشراف العرب فدخلوا على رجال من المهاجرين فقالوا انه قد ارتد عامة من وراءنا عن الاسلام وليس فى أنفسهم ان يؤدوا اليكم من اموالهم ماكانوا يؤدون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان تجعلوا لنا جعلا نرجع فنكفيكم من وراءنا فدخل المهاجرون والانصار على ابى بكر رضى الله عنه فعرضوا عليه ماعرضوه عليهم وقالوا نرى ان تطعم الاقرع وعيينة طعمة يرضيان بها ويكفيانك من وراءهما حتى يرجع اليك اسامة وجيشه ويشتد امرك فانا اليوم قليل فى كثير ولا طاقة لنا بقتال العرب فقال لهم ابوبكر رضى الله عنه هل ترون غير ذلك قالوا لا فقال ابوبكر رضى الله عنه انكم قد علمتم انه كان من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المشورة فيما لم يمض فيه أمر من نبيكم ولا نزل به الكتاب عليكم وان الله لن يجمعكم على ضلال وانى سأشير عليكم وانما أنا

ضعفاء المؤمنين وعوامهم فانه اواستسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم لربما تأخر الاجابة لانها معلقة بارادة الله ومشيئته فاذا تأخرت الاجابة ربما يقع وسوسة واضطراب لمن كان ضعيف الايمان بسبب تأخر الاجابة بخلاف ماذا كان التوسل بغير النبى صلى الله عليه وسلم فانه اذا تأخرت الاجابة لاتحصل تلك الوسوسة والاضطراب والحاصل ان مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبى صلى الله عليه وسلم فى حياته وبعد وفاته وكذا بغيره من الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين كما دلت عليه الاحاديث السابقة لانا معاشر أهل السنة لانعتقد تأثيرا ولا خلقا ولا ايجادا ولا اعداما ولا نفعا ولا ضرا الا لله وحده لاشريك له فلا نعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا للنبى صلى الله عليه وسلم باعتبار الخلق والايجاد والتأثير ولا لغيره من الاحياء أو الاموات فلا فرق فى التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا بالاولياء والصالحين لافرق بين كونهم أحياء أو أمواتا لانهم لايخلقون شيأ وليس لهم تأثير فى شئ وانما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى والخلق والايجاد والتأثير

رجل منكم تنظرون فيما أشرته عليكم وفيما أشرتم به فتجتمعون على أرشد ذلك فان الله يوفقكم أما انا فأراى ان نشـد على عدونا فن شـاء فليـؤمن ومن شـاء فليكفر وان لاترشوا على الاسلام احدا وان تتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فنجاهد عدوه كما جاهدهم والله لو منعونى عقالا لرأيت ان اجاهدهم عليه حتى آخذه من أهله وادفعه الى مستحقه فأتمروا يرشدكم الله فهذا رأيى فقالوا لأبى بكـر لما سمعوا رأيه أنت أفضلنـا رأيا ورأينا لرأيك تبع فأمر ابو بكر رضى الله عنه بالتجـهيز قال عبد الله بن مسعود رضى الله عـنه كرهنـا ذلك فى الابتداء ثم حمدنا عليه فى الانتهـاء وقال ابو هريرة رضى الله عـنه والله لولم يستخلف ابو بكر لما عبد الله وأخرج الدار قطنى ان ابابكر رضى الله عنه لمـا أراد قتـال اهل الردة اراد ان يخرج اليهم بنفسه فلما برز واستوى على راحلته اخذ على بن ابى طالب رضى الله عـنه بزمامها وقال الى اين ياخليفة رسول الله صـلى الله عليه وسلم اقول لك ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسـلم يوم احد سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لايكون للاسلام نظام ابدا فرجع وبعث خالد بن الوليد رضى الله عنه لقتال أهل الردة وكان الصحابة رضى الله عنهم قد شاهدوا من ابى بكر رضى الله عنه الثبات الذى هو أعظم من هذا وهو ثباته يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فان الناس قد تزلزلت أقدامهم وذهلت عقولهم يوم وفاة رسول الله صـلى الله عليه وسـلم وشـك بعضهم فى موته وكان ابو بكر رضى الله عنه غائبا بمنزله بالسنح فى عوالى المدينة وعمر حاضر فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر فقال ان رجالا من المنافقين يزعـمون ان رسول الله صلى الله عليه وسـلم قد مات وانه والله مامات ولكـنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمـران والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا انه مات وأخرس بعض واقعد بعض واضطرب النـاس فجاء ابوبكر رضى الله عنه من منزله بالسنح ثم دخـل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى مسجى فى ناحية البيت فكشف عن وجهه ثم قبله وقال بأبى أنت وامى طبت حيا وميتا أما الموتة التى كتب الله عليك فقد متها اذكرنى يارسول الله عند ربك ثم رد الثـوب على وجهه ثم خرج وعمر يكلم الناس فأمره بالسكوت فأبى فأقبـل ابو بكر على النـاس فلما سمع الناس كلامه اقبلوا عليه وتركوا عمر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس من كان يعبد محمـدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يمـوت ثم تلا قوله تعـالى وما محمد الارسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزى الله الشـاكرين فوالله لكأن الناس ماسمعوها الا منه وقد كان نزولها يوم احد فى السنة الثالثة من الهجرة فكأنهم نسوها لما اصابهم من الحزن بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر فوالله ماهو الا ان سمعتهـا فعقرت حـتى وقعت على الارض ماتحملنى رجلاى وعلمت حينئذ ان رسـول الله صـلى الله عليه وسلم قد مات فـمازال عنهم رضى الله عنهم ذلك الدهش الابتثبيت أبى بكر رضى الله عنه حـين خطب الناس فرجعت اليهم عقولهم وعرفوا حقيقة الأمر فدل ذلك على انه كان اشد الصحابة رايا وأكملهم عقلا واوفرهم علمـا واخرج البزار فى مسنده عن على بن ابى طالب

لله وحده لاشريك له وأما الذين يفرقون بين الاحيـاء والاموات فانهم يعتقـدون التأثير للاحيـاء دون الاموات ونحـن نقول الله خالق كل شئ والله خلقكم وماتعملون فهؤلاء المجوزون التوسل بالاحياء دون الاموات هم الذين دخل الشرك فى توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الاحياء دون الاموات فهم الذين اعتقدوا تأثير غير الله تعالى فكيف يدعون المحافظة على التـوحيد وينسـبون غـيرهم الى الاشراك سبحانك هـذا بهتان عظيم فالتـوسـل والتشفع والاستغاثة كلها بمعنى واحد وليس لها فى قلـوب المـؤمنين معنى الا التبرك بذكر أحباء الله لما ثبت ان الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحيـاء أو أمواتا فالمؤثر والموجد حقيقـة هو الله تعـالى وهؤلاء سبب عادى فى ذلك لاتأثير لهم وذلك مثـل السبب العادى فانه لاتأثير له وحياة الانبياء فى قبورهم ثابتة بادلة كثـيرة استدل بها أهل السنة وكذا حيـاة الشهداء والاولياء وليس هذا المحل بسط الكلام عليها وشبهـة هؤلاء المانعـين للتوسـل انهم رأوا بعض العامة يتوسعون فى الكلام ويأتون بألفاظ توهم انهم يعتقدون التأثير لغير الله تعـالى ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتا أشياء جرت العادة بانها لاتطلب الا من

رضى الله عنه انه قال يوما لاصحابه أخبرونى عن اشجع الناس فقالوا انت قال اما انا فما بارزت احدا الا انتصفت منه ولكن أخبرونى بأشجع الناس قالوا لا نعلم فمن قال ابو بكر انه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش لئلا يهوى اليه احد من المشركين فوالله مادنا منا أحد الا ابو بكر شاهرا سيفه واقفا على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوى اليه أحد الا أهوى اليه فهذا اشجع الناس ثم قال على رضى الله عنه ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اخذه قريش يعنى بمكة قبل الهجرة فهذا يجره وهذا يتلتله ويقولون انت الذى جعلت الالهة الها واحدا قال فوالله مادنا منا احد الا ابو بكر يضرب هذا ويتلتل هذا وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ثم رفع على رضى الله عنه بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال أمؤمن آل فرعون خير أم ابو بكر فسكت القوم فقال الا تجيبونى فوالله لساعة من ابى بكر خير من مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم ايمانه وهذا رجل اعلن ايمانه فهذا الذى ذكره مع ما انضم اليه من ثبات ابى بكر رضى الله عنه يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وثباته لقتال اهل الردة هو الذى حمل اهل السنة ان يجزموا بأن ابا بكر رضى الله عنه اشجع الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين واخرج فى الطيوريات عن الامام محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن على رضى الله عنهم قال قال رجل لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه نسمعك تقول فى الخطبة اللهم اصلحنا بما اصلحت به الخلفاء الراشدين فمن هم فاغرورقت عيناه بالدموع ثم اهملها فقال هما حبيباى ابو بكر وعمر اماما الهدى وشيخا الاسلام ورجلا قريش والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتدى بهما عصم ومن اتبع آثارهما هدى الى الصراط المستقيم ومن تمسك بهما فهو من حزب الله وحزب الله هم المفلحون واخرج البيهقى عن الشافعى رضى الله عنه قال ان الناس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجدوا تحت اديم السماء خيرا من ابى بكر رضى الله عنه فولوه رقابهم وأخرج ابو ذر الهروى والدار قطنى من طرق أن بعضهم مر بنفر يسبون الشيخين فأخبر عليا رضى الله عنه وقال له لولا أنهم يرون أنك تضمر ما أعلنوا ما اجترؤا على ذلك فقال على رضى الله عنه أعوذ بالله رحمهما الله تعالى ثم نهض فأخذ بيد ذلك المخبر وأدخله المسجد وأمر باجتماع الناس فصعد المنبر ثم قبض على لحيته وهى بيضاء فجعلت دموعه تتحادر على لحيته وجعل ينظر البقاع حتى اجتمع الناس ثم خطب خطبة بليغة من جملتها مابال اقوام يذكرون بسوء أخوى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية وصاحبيه وسيدى قريش وأبوى المسلمين وأنا برئ مما يذكرون وعليه معاقب صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجد والوفا فى أمر الله يأمران وينهيان ويقضيان ويعاقبان لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم كرأيهما رأيا ولا يحب كحبهما حبا لما يرى من عزمهما فى أمر الله فقبض وهو عنهما راض والمسلمون راضون فما تجاوزا فى أمرهما وسيرتهما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره فى حياته وبعد موته فقبضا على ذلك رحمهما الله تعالى فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما الا مؤمن ولا يبغضهما ويخالفهما الا شقى مارق

الله تعالى ويقولون للولى افعل لى كذا وكذا وربما يعتقدون الولاية فى اشخاص لم يتصفوا بها بل اتصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة وينسبون لهم كرامات وخوارق عادات وأحوالا ومقامات ليسوا بأهل لها ولم يوجد فيهم شئ منها فانما اراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعا للايهام وسدا للذريعة وان كانوا يعلمون ان العامة لا تعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا لغير الله تعالى ولا تقصد بالتوسل الا التبرك ولو أسندوا للاولياء شيأ لا يعتقدون فيهم تأثيرا فنقول لهم اذا كان الامر كذلك وقصدتم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الامة عالمهم وجاهلهم وخاصهم وعامهم وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا بل كان ينبغى لكم أن تمنعوا العامة من الالفاظ الموهمة وتأمروهم بسلوك الادب فى التوسل مع ان تلك الالفاظ الموهمة يمكن حملها على الاسناد المجازى مجازا عقليا كما يحمل على ذلك قول القائل هذا الطعام أشبعنى وهذا الماء أروانى وهذا الدواء أو الطبيب نفعنى فان ذلك كله عند اهل السنة محمول على المجاز العقلى فان الطعام لا يشبع والمشبع هو الله تعالى والطعام سبب عادى لا تأثير له وكذا ما بعده فالمسلم الموحد متى صدر منه اسناد الشئ لغير من

وحبهما قربة وبغضهما مروق ثم ذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر أن يصلي بالناس وهو يرى مكان علي ثم ذكر انه بايع ابابكر ثم ذكر استخلاف أبي بكر لعمر رضي الله عنهما ثم قال الا لا يبلغني عن أحد انه يبغضهما الا جلدته حد المفتري وكان أول من حمل على التكلم في الشيخين عبد الله بن سبأ وكان يهوديا فأسلم وكان اسلامه ظاهرا فقط وهو باق على يهوديته وانما اراد باسلامه التوصل الى ايقاع الافتراق بين المسلمين وادخال التشكيك عليهم فيما بينهم لأن الطعن في الصحابة طعن في الشريعة لأنها انما وصلت الى الامة من طريق الصحابة فاذا انتفت العدالة عنهم لم يوثق بصحة شيء من القرآن ولا الشريعة ولما بلغ عليا أمر ابن سبأ أحضره وسأله عما نسب اليه فأنكر وسيره الا المدائن وقال لا تساكني في بلدة ابدا وأخرج الدارقطني من طرق أن عليا رضي الله عنه بلغه أن رجلا يعيب أبا بكر وعمر فأحضره وعرض له بعيبهما لعله يعترف ففطن فأنكر فقال علي اما والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ان لو سمعت منك الذي بلغني ونبئته عنك اوثبت عليك لأفعلن بك كذا وكذا ومما استدل به أهل السنة والجماعة على صحة خلافة ابي بكر واعتراف علي بها رضي الله عنهما ماأخرجه الدارقطني وابن عساكر وغيرهما ان عليا رضي الله عنه لما قام بالبصرة قام اليه رجلان فقالا له أخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه تستولي على الامة أعهد من رسول الله عهده اليك فحدثنا فأنت الموثوق به والمأمون على ماسمعت فقال اما ان يكون عندي عهد من النبي صلى الله عليه وسلم عهده الي في ذلك فلا والله لئن كنت أول من صدق به فلا أكون أول من كذب عليه ولو كان عندي منه عهد في ذلك ماتركت أخا بني تيم ابن مرة وعمر بن الخطاب يثبان على منبره ولقاتلتهما بيدي ولو لم أجد الا بردي هذه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل قتلا ولم يمت فجأة مكث في مرضه أياما وليالي يأتيه المؤذن يعرفه بالصلاة فيأمر أبابكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني واني حاضر لست بغائب وفي رواية ومابي مرض ولقد أرادت امرأة من نسائه تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال أنتن صواحب يوسف مروا أبابكر فليصل بالناس فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمرنا فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وكانت الصلاة معظم الاسلام وقوام الدين فبايعنا أبابكر رضي الله عنه وكان لذلك أهلا لم يختلف منا اثنان وفي رواية فأقام بين أظهرنا الكلمة واحدة والامر واحد لا يختلف عليه منا اثنان فأديت لأبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده وكنت آخذ اذا أعطاني وأغزو اذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما قبض ولاها عمر فأخذها بسنة صاحبه ومايعرف من أمره فبايعنا عمر لم يختلف عليه اثنان منا فأديت له حقه وعرفت له وغزوت معه في جيوشه وكنت آخذ اذا أعطاني وأغزو اذا اغزاني واضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما قبض تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي وأنا اظن ان لا يعدل بي ولكن خشي أن لا يعمل الخليفة بعده شيأ الا لحقه في قبره فأخرج منها نفسه وولده ولو كانت محاباة لآثر ولده بها وبرئ منها لرهط أنا أحدهم وظننت أن لا يعدلوا بي فأخذ عبد الرحمن بن عوف مواثيقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ثم بايع عثمان فنظرت

هوله يجب حمله على المجاز العقلي واسلامه وتوحيده قرينة على ذلك كما نص على ذلك علماء المعاني في كتبهم وأجمعوا عليه وأما منع التوسل مطلقا فلا وجه له مع ثبوته في الاحاديث الصحيحة ومع صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الامة وخلفها فهؤلاء المنكرون للتوسل المانعون منه منهم من يجعله حراما ومنهم من يجعله كفرا واشراكا وكل ذلك باطل لانه يؤدي الى اجتماع معظم الامة على الحرام أو الاشراك لان من تتبع كلام الصحابة والعلماء من السلف والخلف يجد التوسل صادرا منهم بل ومن كل مؤمن في أوقات كثيرة واجتماع اكثرهم على الحرام أو الاشراك لا يجوز لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا تجتمع أمتي على ضلالة بل قال بعضهم انه حديث متواتر وقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس فكيف تجتمع كلها او اكثرها على ضلالة وهي خير أمة أخرجت للناس فاللائق بهؤلاء المنكرين اذا أرادوا سد الذريعة ومنع الالفاظ الموهمة كما زعموا أن يقولوا ينبغي ان يكون التوسل بالادب وبالالفاظ التي ليس فيها ايهام كأن يقول المتوسل اللهم اني أسألك وأتوسل اليك بنبيك صلى الله عليه وسلم وبالانبياء قبله وبعبادك الصالحين ان

فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي واذا ميثاقي قد أخذ لغيري فبايعنا عثمان فأديت له حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جيوشه وكنت آخذ اذا أعطاني وأغزو اذا أغزاني واضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما أصيب نظرت فاذا الخليفتان اللذان اخذاها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهما بالصلاة قد مضيا وهذا الذي أخذله ميثاقي قد أصيب فبايعني أهل الحرمين وأهل هذين المصرين اي الكوفة والبصرة فوثب عليها من ليس مثلي ولا قرابته كقرابتي ولا علمه كعلمي ولا سابقته كسابقتي وكنت أحق بها منه يعني معاوية رضي الله عنه

وصح من طرق كثيرة ان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ابسط يدك ابايعك فلا يختلف عليك اثنان فأبى علي رضي الله عنه ولو علم وجود نص لقبل ذلك ولم يتأخر عنه ولا سيما ومعه العباس والزبير وبنوا هاشم وغيرهم واقبح من كل قبيح قول الشيعة انه علم النص وكتمه تقية حاشا الله من ذلك والحاصل ان الاخبار عن علي رضي الله عنه بصحة خلافة ابي بكر وعمر وكونهما خير الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم تثبت عنه من طرق كثيرة بروايات كثير من الثقات العدول منهم ابنه محمد ابن الحنفية وغيره بحيث يجزم من تتبعها بصدور ذلك القول من علي رضي الله عنه جزما قاطعا ليس فيه شك ولا ارتياب قال الحافظ الذهبي تواتر ذلك عن علي رضي الله عنه ورواه عنه نيف وثمانون من أصحابه وصرح بذلك في الخلوة والملاء وخطب بذلك على منبر الكوفة زمن خلافته مع حضور الجمع العظيم ولهذا اتفق الائمة الاربعة وائمة الحديث مثل البخاري ومسلم وبقية اصحاب الكتب الستة وغيرهم وأئمة السلف وبقية أهل السنة والجماعة على اعتقاد صحة خلافته قال سفيان الثوري من قال ان عليا رضي الله عنه كان أحق بالخلافة من ابي بكر رضي الله عنه فقد خطأ ابابكر وعمر والمهاجرين والانصار وما أراه يرتفع له مع هذا الاعتقاد عمل الى السماء وأخرج الدار قطني عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما مثل ذلك ولم ينقل عن علي رضي الله عنه انه ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على خلافته بل اذا سئل عن ذلك أنكر واما الرافضة فانهم لما لم يمكنهم انكار ذلك ولم يمكنهم ايضا انكار اعتراف علي بصحة خلافة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لظهوره وانتشاره عنه بحيث لا ينكره الا جاهل بالآثار اومباهت مكابر قالوا انما قال ذلك تقية ومداراة وذلك منهم كذب وافتراء واحسن ما يقال في هذا المحل الا لعنة الله على الكاذبين وكيف يتوهم من له ادنى عقل اوفهم صدور ذلك من علي تقية ومداراة مع ما اعطاه الله من كمال الايمان وعظم الشجاعة والاقدام حتى انه لا يهاب احدا ولا يخشى في الله لومة لائم وكيف يتوهم عاقل ان يقول ذلك في الخلا وعلى رؤس الملا وفي زمن خلافته وعلى منبر الكوفة وهو في ذلك الوقت اقوى ما كان امرا وأنفذ حكما وذلك بعد مدة طويلة من وفاة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فما أحق ان يقال فيما افتروه سبحانك هذا بهتان عظيم ومن قبيح افترائهم زعمهم ان النبي صلى الله عليه وسلم اوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه وانه كتم ذلك وان الصحابة رضي الله عنهم خالفوا امر النبي صلى الله عليه وسلم وان عليا رضي الله عنه انما سكت على النزاع في امر الخلافة لان النبي صلى الله عليه وسلم اوصاه أن لا يوقع

تفعل بي كذا وكذا لأنهم يزعمون التوسل مطلقا ولأن يتجاسروا على تكفير المسلمين الموحدين الذين لا يعتقدون التأثير الا لله وحده لا شريك له ومما تمسك به هؤلاء المنكرون للتوسل قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فان الله نهى المؤمنين في هذه الآية أن يخاطبوا النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ما يخاطب بعضهم بعضا كأن ينادوه باسمه وقياسا على ذلك لا ينبغي ان يطلب من من غير الله تعالى كالانبياء والصالحين الاشياء التي جرت العادة بانها لا تطلب الا من الله تعالى لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى وخلقه بحسب الظاهر وان كان الطلب من الله على سبيل التأثير والايجاد ومن غيره على سبيل التسبب والكسب لكنه ربما يوهم تأثير غير الله تعالى فمنع من ذلك الطلب لدفع هذا الايهام والجواب ان هذا لا يقتضي المنع من التوسل مطلقا ولا يقتضي منع الطلب اذا صدر من موحد فانه يحمل على المجاز العقلي بقرينة صدوره من موحد فما وجه كونه حراما أو شركا فلو قالوا انه خلاف الادب وأجازوا التوسل وشرطوا فيه ان يكون بالادب والاحتراز من الالفاظ الموهمة لكان له وجه فالمنع مطلقا لا وجه له ومن الادلة الدالة على صحة التوسل به صلى الله

بعده فتنة ولا يسل سيفا وهذا منهم كذب وافتراء وحمق وجهالة مع عظيم الغباوة عما يترتب
على ذلك اذ كيف يعقل هذا الذي زعموه وكيف يعقل انه جعل اماما واليا على الامة بعده
ويمنعه من سل السيف على من امتنع من قبول الحق ولو كان ما زعموه صحيحا لما سل السيف
في حرب صفين والجمل وقتال الخوارج وقاتل هو بنفسه وقاتل معه أهل بيته واصحابه وجالد
وبارز الالوف من مقاتليه وحده أعاذه الله من مخالفة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايضا كيف يعقل انه يوصيه بعدم سل السيف على قوم زعم فيهم الرافضة انهم كفار مرتدون
تجاهروا بأقبح انواع الكفر مع ما أوجب الله من جهاد الكفار قال بعض ائمة أهل البيت
النبوي قد تأملت كلام هؤلاء الضالين فرأيتهم قوما اعمى الهوى بصائرهم فما يبالون
بما يترتب على مقالاتهم من المفاسد فأورثتهم غباوتهم العار والفضيحة ولم يبالوا بما يترتب
على ذلك من نسبة علي رضي الله عنه الى الذل والعجز بل ونسبة جميع بني هاشم الى ذلك
العار اللاحق بهم الذي لا أقبح منه وبنو هاشم اهل النجدة والشجاعة والانفة بل يلزمهم
ايضا نسبة جميع الصحابة رضي الله عنهم الى ذلك وكيف يتوهم مؤمن عاقل ان الصحابة
يطلعون على النص على خلافة علي رضي الله عنه فلا يعملون به ولا يرجعون اليه وهم اطوع
الناس لله واشد الناس وقوفا عند حدود الله تعالى وابعد عن اتباع حظوظ النفس وقد قال فيهم
النبي صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم كيف يكون ذلك وفيهم العشرة
المبشرون بالجنة ومنهم ابو عبيدة أمين هذه الامة بنص قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح لكل امة أمين وامين هذه الامة ابو عبيدة وكيف يتوهم فيهم شيء من ذلك وهم
بهذه الاوصاف الجليلة معاذ الله ان يتركوا العمل بما ثبت عندهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
لان ذلك خيانة في الدين فلا يجوز عليهم ذلك لا شرعا ولا عقلا ولا عادة لانه يلزم من وقوع
ذلك منهم تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم في شهادته لهم بالخير وثنائه عليهم وتكذيب
النبي صلى الله عليه وسلم كفر ووقوع الكذب منه محال لثبوت صدقه بالمعجزات فالمؤدي اليه
محال ايضا كيف يكون هذا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تجتمع امتي على ضلالة ولو جاز
وقوع مثل ذلك منهم لارتفع الامان والثقة في كل ما نقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من القرآن والاحكام ولم يحصل الجزم بشيء من امور الدين مع ان جميع الدين اصوله
وفروعه انما اخذته الامة عنهم ووصل اليهم بواسطتهم وفي نسبة الرافضة سيدنا عليا رضي الله
عنه الى الكتمان للنص غاية النقص لما يلزم عليه من نسبته الى الجبن والظلم والخيانة والكتمان
حاشاه الله من ذلك وبمقالة الرافضة هذه المقالة القبيحة توصل بعض الملحدة الى تكفير علي
رضي الله عنه اعتمادا على قولهم لانه كتم النص وكل ذلك زور وبهتان وكيف يسع من له
ادنى ايمان ان ينسب عليا وبقية الصحابة الى الكتمان مع ما استفاض وتواتر عنهم من غيرتهم
لنبيهم صلى الله عليه وسلم وشدة غضبهم عند انتهاك حرماته حتى قاتلوا دونه وقتلوا الآباء
والابناء في طلب مرضاته فلا يتوهم مؤمن بالله تعالى لحوق ادنى نقص لهم او سكوت
على باطل فقد طهر الله هذه العصابة من كل رجس ودنس ونقص وقد شهد الله لهم بالصدق
بقوله اولئك هم الصادقون واخبر انه رضي عنهم بقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد

عليه وسلم بعد وفاته ماذكره العلامة السيد السمهودي في خلاصة الوفاء حيث قال روى
الدارمي في صحيحه عن أبي
الجوزاء قال قحط أهل
المدينة قحطا شديدا فشكوا
الى عائشة رضي الله عنها
فقالت انظروا الى قبر
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاجعلوا منه كوة الى
السماء حتى لا يكون بينه
وبين السماء سقف ففعلوا
فمطروا حتى نبت العشب
وسمنت الابل حتى تفتقت
من الشحم فسمي عام الفتق
قال العلامة المراغي وفتح
الكوة عند الجدب سنة أهل
المدينة يفتحون كوة
في أسفل الحجرة وان كان
السقف حائلا بين القبر
الشريف والسماء قال
السيد السمهودي وسنتهم
اليوم فتح الباب المواجه
للوجه الشريف والاجتماع
هناك وليس القصد
الا التوسل بالنبي صلى الله
عليه وسلم والاستشفاع
به الى ربه لرفعة قدره عند
الله تعالى وقال أيضا
العلامة السيد السمهودي
في خلاصة الوفاء ان
التوسل والتشفع به صلى
الله عليه وسلم وبجاهه
وبركته من سنن المرسلين
وسيرة السلف الصالحين
وذكر كثير من علماء المذاهب
الاربعة في كتب المناسك
عند ذكرهم زيارة النبي صلى الله عليه وسلم أنه يسن للزائر أن يستقبل القبر الشريف ويتوسل الى الله

لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ووعدهم الحسنى بقوله وكلا وعدالله الحسنى وشهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بكل خير وتوفي وهو راض عنهم فلا يقدم على شئ مما افتراه الرافضة وأمثالهم الا عبد أضله الله وخذله فباء بعظيم الخسار والبوار وأحله الله نار جهنم وبئس القرار فنسأل الله السلامة مما وقع فيه هؤلاء الاشرار فما أقبح قولهم ان الصحابة علموا النص على خلافة علي رضى الله عنه فلم ينقادوا له عنادا ومكابرة بالباطل وأقبح من ذلك قولهم ان عليا ترك ذلك تقية كل ذلك كذب وزور توصلوا به الى تكفير الصحابة رضى الله عنهم وقد أخرج البيهقي عن الامام أبي حنيفة رضى الله عنه انه قال أصل عقيدة الشيعة تضليل الصحابة رضى الله عنهم وانما نبه على الشيعة لأنهم أول لحشا في عقائدهم من الرافضة وذلك لأن الرافضة يقولون بتكفير الصحابة رضى الله عنهم لأنهم على زعمهم عاندوا بترك العمل بالنص على الخلافة على رضى الله عنه بل زاد ابو كامل وكان من رؤس الرافضة فكفر عليا رضى الله عنه زاعما انه أعان الكفار على كفرهم وعلى كتمان الأمر بامامته بل تواتر عن علي رضى الله عنه الاعتراف بصحة خلافة ابي بكر وعمر وأنهما أفضل الامة وقبل من عمر رضى الله عنه ادخاله اياه الشورى بل تواتر عنه كما تقدم ذلك عنه وانما تخذ الملحدون كلام الرافضة والشيعة وأمثالهم ذريعة للطعن في الدين والقرآن لان ذلك انما وصل الينا من طريق الصحابة رضى الله عنهم ومن جملة ماقاله أولئك الملحدون كيف يقول الله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس وقد ارتدوا بعد وفاة نبيهم الانحو ستة نفس منهم في زعمهم وجعل سبب الارتداد امتناعهم من قبول النص بتقديم على رضى الله عنه فانظر الى كلام هذا الملحد تجده مأخوذا مما اختلقه الرافضة وأمثالهم قاتلهم الله انى يؤفكون بل هم اشد ضررا على الدين من اليهود والنصارى وسائر فرق الضلالة وقد جاء التصريح بذلك عن علي رضى الله عنه فانه صح عنه انه قال تفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة شرها من ينتحل حبنا ويفارق أمرنا ووجهه ما اشتمل عليه كلامهم من افتراء الكذب وارتكاب قبائح البدع والعناد حتى تسلطت الملحدة بسبب ذلك على الطعن في الدين وأئمة المسلمين بل قال القاضي ابو بكر الباقلاني فيما ذهبت الرافضة مما ذكروه ابطال للاسلام رأسا لانه اذا امكن اجتماع الصحابة رضى الله عنهم على الانكار للنصوص أمكن فيهم نقل الكذب والتواطئ عليه لغرض فيمكن ان سائر مانقلوه من الاحاديث كذب وزور وحاشاهم من ذلك وكذلك ماذكره سائر الائمة عن جميع الرسل يجوز الكذب فيه والزور والبهتان على زعمهم لانهم اذا ادعوا ذلك في هذه الامة التي هي خير امة اخرجت للناس فادعاؤهم اياه في باقي الامم أحرى واولى فتأمل هذه المفاسد التي ترتبت على ما أسسه هؤلاء الملحدة قاتلهم الله انى يؤفكون وقد اخرج البيهقي عن الامام الشافعي رضى الله عنه انه قال مامن أهل الاهواء أشهد بالزور من الرافضة وكان اذا ذكرهم عابهم أشد العيب وأخرج الدارقطني عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما قال من قال ان عليا رضى الله عنه كان أحق بالولاية من ابي بكر رضى الله عنه فقد خطأ ابابكر وعمر والمهاجرين والانصار وقال الامام مالك قوله تعالى في حق الصحابة ليغيظ بهم الكفار ان الرافضة كفار لان الصحابة يغيظونهم

عن العتبي وهو مروي أيضا عن سفيان بن عيينة وكل منهما من مشائخ الشافعي رضى الله عنه قال العتبي كنت جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال السلام عليك يارسول الله سمعت الله يقول وفي رواية ياخير الرسل ان الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي وفي رواية واني جئتك مستغفرا ربك عز وجل من ذنوبي ثم بكى وأنشأ يقول

(ياخير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم * نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم)

قال ثم استغفر وانصرف فغلبتني عيناي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام قال ياعتبي الحق الاعرابي فبشره ان الله غفر له فخرجت خلفه فلم أجده وليس محل الاستدلال الرؤيا فانها لاتثبت بها أحكام لاحتمال حصول

 الاشتباه على الرائي في الكلام كما تقدم ذلك وانما محل الاستدلال كون العلماء

ومن أغاظه الصحابة فهو كافر وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر هذه الآية ومن ثم وافقه الشافعي رضي الله عنه في أحد قوليه بكفرهم ووافقه أيضا جماعة من الأئمة قال ابن الاثير في تاريخه المسمى بالكامل في حوادث سنة ست وتسعين ومائتين عند ذكره ابتداء دولة العبيديين مانصه لما بعث الله سيد الأولين والآخرين سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عظم ذلك على اليهود والنصارى والروم والفرس وقريش وسائر العرب لانه سفه أحلامهم وعاب أديانهم وآلهتهم وفرق جمعهم فاجتمعوا يدا واحدة فكفاه الله كيدهم ونصره عليهم فأسلم منهم من هداه الله تعالى فلما قبض صلى الله عليه وسلم نجم النفاق وارتدت العرب وظنوا ان الصحابة رضي الله عنهم يضعفون بعده فجاهد ابو بكر رضي الله عنه في سبيل الله فقتل مسيلمة ورد أهل الردة وأذل الكفر ووطأ جزيرة العرب وغزا فارس والروم فلما حضرته الوفاة ظنوا ان بوفاته ينتقص الاسلام فاستخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأذل فارس والروم وغلب على ممالكهما فدس عليه المنافقون أبا لؤلؤة فقتله ظنا منهم ان بقتله ينطفي نور الاسلام فولي بعده عثمان رضي الله عنه فزاد في الفتوح واتسعت ممالك الاسلام فلما قتل ولي بعده أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فقام بالامر أحسن قيام فلما يئس اعداء الاسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع الاحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة العقول في دينهم بأمور قد ضبطها المحدثون وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه وكانوا يظهرون التشيع لآل النبي صلى الله عليه وسلم ليستروا أمرهم ويستميلوا العامة وتفرق اصحابهم في البلاد وأظهروا الزهد والعبادة يغرون الناس بذلك وهم على خلافه وأكثروا الطعن في الصحابة لانهم علموا ان الطعن فيهم طعن في الشريعة فان بطريقهم وصلت الى من بعدهم وأنفقوا مالا عظيما على من تبعهم لتنتشر مذاهبهم انتهى فعلم من ذلك كله ان أساس مذاهبهم الطعن في الصحابة ليتوصلوا بذلك الى ابطال الشريعة قاتلهم الله انى يؤفكون ولنرجع الى اتمام الكلام على مايتعلق بخلافة ابي بكر رضي الله عنه وذكر شيء آخر من محاسنه رضي الله عنه فمن ذلك خطبه التي كان يخطب بها وهي كثيرة منها انه خطب مرة فقال بعد ان حمد الله بما هو أهله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ان أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك فرفع الناس رؤسهم فقال مالكم أيها الناس انكم لطعانون عجلون ان من الملوك من اذا ملك زهده الله فيما بيده ورغبه فيما بيد غيره وانتقصه شطر أجله وأشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويسخط على الكثير ويسأم الرخاء وتنقطع عنه لذة البقاء لايستعمل العبرة ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم القسي والسراب الخادع جذل الظاهر حزين الباطن فاذا أوجبت نفسه ونضب عمره وضحى ظله حاسبه الله فأشد حسابه وأقل عفوه ألا وان الفقراء هم المرحومون الا من آمن بالله حكم بكتابه وسنة نبيه وانكم اليوم على خلافة نبوة ومفرق محجة وسترون بعدي ملكا عضوضا وملكا عنودا وأمة شعاعا ودما مباحا فان كانت للباطل نزوة ولاهل الحق جولة يعفو لها أثر الخير ويموت لها فالزموا المساجد واستشيروا القرآن واعتصموا بالطاعة وليكن الابرام بعد التشاور والصفقة بعد طول التناظر اي بلاد جوسه ان الله سيفتح لكم أقصاها كما فتح عليكم أدناها وقال رضي الله عنه في بعض خطبه ان الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم

استحسنوا للزائر الاتيان بما تقدم ذكره قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم وروى بعض الحفاظ عن أبي سعيد السمعاني أنه روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انهم بعد دفنه صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام جاءهم اعرابي فرمى بنفسه على القبر الشريف على ساكنه افضل الصلاة والسلام وحثى ترابه على رأسه وقال يارسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ماوعينا عنك وكان فيما أنزله عليك قوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي الى ربي فنودي من القبر الشريف أنه قد غفر لك وجاء ذلك عن علي أيضا من طريق أخرى ويؤيد ذلك ماصح عنه صلى الله عليه وسلم من قوله حياتي خير لكم تحدثون وأحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض على أعمالكم مارأيت من خير حمدت الله ومارأيت من شر استغفرت لكم ومما ذكره العلماء في آداب الزيارة انه يستحب أن يجدد الزائر التوبة في ذلك الموقف الشريف ويسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها توبة نصوحا ويستشفع به صلى الله عليه وسلم الى ربه عز وجل في قبولها ويكثر الاستغفار

للناس كافة رحمة لهم وحجة عليهم والناس يومئذ على شرحال فى ظلمات الجاهلية دينهم بدعة ودعوتهم فرية فأعز الله الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم وألف بين قلوبكم أيها المؤمنون فأصبحتم بنعمته اخوانا اوصيكم بتقوى الله العظيم فى كل امر وعلى كل حال ولزوم الحق فيما احببتم وكرهتم فانه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير من يكذب يفجر ومن يفجر يهلك واياكم والفخر ومافخر من خلق من التراب والى التراب يعود وهو اليوم حى وغدا ميت فاعلموا وعدوا انفسكم فى الموتى وما اشكل عليكم فردوا علمه الى الله تعالى وقدموا لانفسكم تجدوه محضرا فاتقوا الله عباد الله وراقبوه واعتبروا بمن مضى قبلكم واعلموا انه لابد من لقاء ربكم والجزاء باعمالكم صغيرها وكبيرها الاما غفر الله انه غفور رحيم فأنفسكم أنفسكم والمستعان الله ولا حول ولا قوة الا بالله ان الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اللهم صل على محمد عبدك ورسولك أفضل ماصليت على احد من خلقك وزكنا بالصلاة عليه والحقنا به واحشرنا فى زمرته وأوردنا حوضه اللهم أعنا على طاعتك وانصرنا على عدوك وقال فى خطبة اخرى بعد ان حمد الله وأثنى عليه اوصيكم بتقوى الله وان تثنوا عليه بماهو أهله وان تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الالحاف بالمسئلة فان الله أثنى على زكريا واهل بيته فقال انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ثم اعلموا عباد الله ان الله قدارتهن بحقه انفسكم واخذ على ذلك مواثيقكم وعوضكم بالقليل الفانى الكثير الباقى وهذا كتاب الله فيكم لاتفنى عجائبه ولايطفأ نوره فثقوا بقوله وانتصحوا كتابه وتبصروا فيه ليوم الظلمة فانه خلقكم لعبادته ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ماتفعلون ثم اعلموا عباد الله انكم تغدون وتروحون فى أجل قدغيب عنكم علمه فان استطعتم ان تنقضى الآجال وانتم فى عمل الله ولن تستطيعوا ذلك الا بالله فسابقوا فى مهل بأعمالكم قبل ان تنقضى آجالكم فتردكم الى سوء اعمالكم فان أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم فأنهاكم ان تكونوا أمثالهم فالوحا الوحا النجا النجا فان وراءكم طالبا حثيثا امره سريعا سيره وكان آخر دعاء ابى بكر الصديق رضى الله عنه فى خطبته اللهم اجعل خير زمانى آخره وخير عملى خواتمه وخير ايامى يوم لقائك وخطب مرة خطبة فقال أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتؤولونها على غير تأويلها ياأيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل الايوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده ومن كلامه رضى الله عنه أنه قال لخالد بن الوليد رضى الله عنه فر من الشرف يتبعك الشرف واحرص على الموت توهب لك الحياة ولما وفد عليه اهل اليمامة بعد قتل مسيلمة الكذاب قال لهم أبو بكر رضى الله عنه ماكان يقول صاحبكم يعنى مما يزعم أنه وحى قالوا اعفنا ياخليفة رسول الله قال لابد ان تقولوا قالوا كان يقول ياضفدع كم تنقين لا الشرب تمنعين ولا الماء تكدرين لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريش قوم لايعدلون فقال لهم أبو بكر رضى الله عنه ويحكم ماخرج هذا من الٍّ ولا برٍّ فأين ذهب بكم لال الله تعالى والبر الرجل الصالح ومن دعاء الصديق رضى الله عنه اللهم انى أسألك الذل عند النصف

والتضرع بعد تلاوة قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ويقولون نحن وفدك يارسول الله وزوارك جئناك لقضاء حقك والتبرك بزيارتك والاستشفاع بك مما أثقل ظهورنا وأظلم قلوبنا فليس لنا يارسول الله شفيع غيرك نؤمله ولا رجاء غير بابك نصله فاستغفر لنا واشفع لنا عند ربك وأسأله ان يمن علينا بسائر طلباتنا ويحشرنا فى زمرة عباده الصالحين والعلماء العاملين وفى الجوهر المنظم أيضا ان أعرابيا وقف على القبر الشريف وقال اللهم ان هذا حبيبك وأنا عبدك والشيطان عدوك فان غفرت لى سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك وان لم تغفر لى غضب حبيبك ورضى عدوك وهلك عبدك وأنت يارب أكرم من أن تغضب حبيبك وترضى عدوك وتهلك عبدك اللهم ان العرب اذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره وان هذا سيد العالمين فأعتقنى على قبره ياأرحم الراحمين فقال له بعض الحاضرين ياأخا العرب ان الله قدغفر لك بحسن هذا السؤال وذكر علماء المناسك أيضا ان استقبال قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقت الزيارة والدعاء أفضل من

القبلة وأما ما نقل عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه ان استقبال القبلة افضل فردود بما رواه الامام نفسه في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال من السنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر للقبلة وسبقه الى ذلك ابن جماعة فقال استحباب استقبال القبر الشريف عن الامام أبي حنيفة أيضا ورد قول الكرماني انه يستقبل القبلة وقال ليس بشئ قال في الجوهر المنظم ويستدل لاستقبال القبر أيضا بأنا متفقون على أنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره يعلم بزائره وهو صلى الله عليه وسلم لو كان حيا لم يسع الزائر الا استقباله واستدبار القبلة فكذا يكون الامر حين زيارته في قبره الشريف صلى الله عليه وسلم واذا تفقنا في المدرس من العلماء بالمسجد الحرام المستقبل للقبلة ان الطلبة يستقبلونه ويستدبرون الكعبة فبالك به صلى الله عليه وسلم فهذا أولى بذلك قطعا وقد تقدم قول الامام مالك رحمه الله للمنصور ولم تصرف

من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف ولما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجزبه قال أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله كيف الفرج بعد هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ياأبابكر ألست تمرض الست يصيبك الاذى ألست تحزن فهذا مما تجزون به يعني ان جميع مايصيبك يكون كفارة لذنوبك وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اذا مدح يقول اللهم أنت أعلم بي من نفسي وانا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يظنون واغفرلي مالا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون وروى الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافية فالأعطى احدا أفضل من العافية الااليقين وأشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية البدن ومن كلامه رضي الله عنه من استطاع أن يبكي فليبك ولم يستطع فليتباك ورأى رضي الله عنه مرة طائرا فقال ليتني مثلك ياطائر ولم اكن بشرا قال الامام الغزالي في الاحياء ان ابابكر رضي الله عنه حسب جميع ماكان أخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم فغرمها لبيت المال وشرب أبو بكر رضي الله عنه مرة لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت لقوم فأعطوني فأدخل اصبعه في فيه وجعل يقئ حتى ظنوا ان نفسه ستخرج ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء ولما اخبر صلى الله عليه وسلم بذلك قال اوما علمتم ان الصديق لايدخل جوفه الاطيبا وروى انه صلى الله عليه وسلم قال فيه يعني ابابكر انزل ولمن خاف مقام ربه جنتان ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عبدا خير بين الدنيا وماعند الله فاختار ماعند الله بكى ابو بكر رضي الله عنه وفهم ان العبد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وان ذلك اشارة الى قرب اجله صلى الله عليه وسلم ولم يفهم ذلك المعنى احد من الصحابة الحاضرين غير ابي بكر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك ياابابكر سدوا هذه الابواب الشوارع في المسجد الاباب ابي بكر اشارة الى انه الخليفة بعده وفتح بابه على المسجد ليدخل منه ويصلي بالناس ثم قال صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم امرأ عندي افضل في الصحبة من ابي بكر رضي الله عنه ولما مرض ابو بكر رضي الله عنه مرض الوفاة دخل عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال ياأبابكر أوصنا فقال ان الله فاتح عليكم الدنيا فلاتأخذن منها الابلاغك واعلم ان من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك وقالت عائشة رضي الله عنها عند موته

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ۞ ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر رضي الله عنه ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن المسيب لما احتضر ابو بكر رضي الله عنه أتاه ناس من الصحابة فقالوا ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زودنا فقال ابو بكر رضي الله عنه من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الافق المبين قالوا وما الافق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض الله وانهار وأشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه في ذلك المكان اللهم انك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم فجعلت منهم شقيا

وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به قال العلامة الزرقاني

وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك اللهم انك علمت ماتكسب كل نفس قبل ان تخلقها فلامحيص لها مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك اللهم ان احدا لايشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتك أن أشاء مايقربني اليك اللهم انك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شئ الا باذنك فاجعل حركاتي في تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما اهلا فاجعلني من سكان جنتك اللهم انك أردت بقوم الهدى وشرحت به صدورهم وأردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدري للايمان وزينه في قلبي وكره الي الكفر والفسوق والعصيان واجعلني من الراشدين اللهم انك دبرت الأمور وجعلت مصيرها اليك فأحيني بعد الموت حياة طيبة وقربني اليك زلفى اللهم من أصبح وأمسى وثقته ورجاؤه غيرك فأنت ثقتي ورجائي ولاحول ولاقوة الا بالله قال ابو بكر رضي الله عنه هذا كله في كتاب الله عز وجل وروى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ولي من امر المسلمين شيأ فأمر عليهم احدا محاباة فعليه لعنة الله لايقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم ومن اعطى حمى الله فقد انتهك من حمى الله ومن اخذ شيأ بغير حقه فعليه لعنة الله وروى ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد امرا قال اللهم خرلي واخترلي وروى ايضا ان رسول صلى الله عليه وسلم قال السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الارض ويرفع له كل يوم وليلة عمل ستين صديقا وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماترك قوم الجهاد الا عمهم الله بالعذاب وروى ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال النظر الى علي عبادة وسئل ابو بكر رضي الله عنه يوما عن آية في كتاب الله تعالى فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله مالا أعلم وقال رضي الله عنه في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة هي النظر الى وجه الله عز وجل وكان رضي الله عنه اذ عزى رجلا قال ليس مع العزاء مصيبة وليس مع الجزع فائدة الموت أهون مما قبله وأشد مما بعده اذكروا فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم تصغر مصيبتكم ويعظم الله أجركم وكان رضي الله عنه اذا صلى على الميت قال اللهم عبدك أسلمه الأهل والمال والعشيرة والذنب عظيم وانت غفور رحيم وغضب رضي الله عنه يوما على رجل فاشتد غضبه فقال له ابو برزة الاسلمي ياخليفة رسول الله اضرب عنقه فقال له ويلك ماهي لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ايضا رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين وروى ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اشدد الاسلام بعمر وروى ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم أبعث فيكم لبعث عمر وسيرة ابي بكر طويلة وفي هذا القدر كفاية والقصد من ذلك كله بيان أن ملاك الامر كله العدل في بيت المال وان سيرة الخليفة على المسلمين بسيرة الخلفاء الراشدين وقد تقدم في كلام ابي بكر رضي الله عنه انه قال لن يصلح أمر آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها فلا بد لاصلاح هذه الامة من خليفة يسلك مسلك الخلفاء الراشدين ولا يكون ذلك الا بالزهد في الدنيا وروى الحافظ ابن القيم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه استسقى فأتي بماء فيه

في شرح المواهب من كتب المالكية طائفة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلا له مستدبر القبلة ثم نقل من مذهب الامام أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله تعالى والجمهور مثل ذلك وأما مذهب الامام أحمد ففيه اختلاف بين علماء مذهبه والراجح عند المحققين منهم انه يستقبل القبر الشريف كبقية المذاهب وكذا القول في التوسل فان المرجح عند المحققين منهم جوازه بل استحبابه لصحة الاحاديث الدالة على ذلك فيكون المرجح عند الحنابلة موافقا لما عليه أهل المذاهب الثلاثة وأما ماذكره الالوسي في تفسيره من ان بعضهم نقل عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه انه منع التوسل فهو غير صحيح اذ لم ينقله عن الامام أحد من أهل مذهبه بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل ونقل المخالف غير معتبر فاياك ان تغتر بذلك وقد بسط الامام السبكي نصوص المذاهب الاربعة في استحباب التوسل في كتابه المسمى شفاء السقام في زيارة خير الانام فراجعه ان شئت وفي المواهب اللدنية للامام القسطلاني وقف اعرابي على قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انك أمرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وأنا عبدك فأعتقني من

عسل فلما أدناه من فيه بكى وأبكى من حوله ثم سكت فسكتوا ثم عاد فبكى حتى ظنوا ان لا يقدر
احد على مسئلته ثم مسح وجهه فأفاق فقالوا ما هاجك على هذا البكاء قال كنت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعل يدفع عنه شيأ يقول اليك عنى اليك عنى ولم أر معه أحدا فقلت
يارسول الله انك تدفع عنك شيأ ولا أرى معك احدا قال هذه الدنيا تمثلت لى بما فيها فقلت لها
اليك عنى فتنحت وقالت أما والله لئن انفلت منى لا ينفلت منى من بعدك فخشيت أن تكون
قد لحقتنى فذلك الذى أبكانى وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه دخلت على أبى بكر
رضى الله عنه فى مرض موته فقال والله لأن يقدم احدكم فتضرب عنقه فى غير حد خير له
من ان يسبح فى غمرة الدنيا قال الحسن البصرى لما ثقل ابو بكر رضى الله عنه فى مرض موته
جمع الناس اليه فقال انه قد نزل بى ما قد ترون وقد أطلق الله ايمانكم من بيعتى وحل عنكم
عقدى ورد عليكم امركم فأمروا عليكم من أحببتم فانكم ان أمرتم فى حياة منى كان أجدر ان
لا تختلفوا بعدى فقاموا فى ذلك وخلوا عنه فلم يستتم لهم رأى فرجعوا اليه وقالوا رأينا
ياخليفة رسول الله رأيك فقال لعلكم تختلفون قالوا لا وقال على رضى الله عنه
خليفة يارسول الله امض لما رأيت فانا سامعون مطيعون فقال فلعلكم تختلفون
قالوا لا قال فعليكم عهد على الرضا قالوا نعم قال فأمهلونى ونصر الله لدينه ولعباده
وفى رواية قال لهم قد حضر ما ترون ولابد من قائم بأمركم يجمع فيئتكم ويمنع ظالمكم من
الظلم ويرد على الضعيف حقه فان شئتم اخترتم لأنفسكم وان شئتم جعلتم ذلك الى فوالله
لا آلوكم ونفسى خيرا وفى رواية قال لهم أترضون بخلافة خليفة اعينه لكم والله ما أعين
لكم احدا من اقربائى قالوا قد رضينا من اخترت لنا ثم أرسل لكثير منهم واختلى بكل
واحد وحده فكانوا يشيرون عليه باستخلاف عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقبل اشارتهم
وأمر عثمان رضى الله عنه بكتابة الصحيفة التى فيها استخلاف عمر بن الخطاب رضى الله عنه
ثم امر عثمان ان تخرج للناس ويقرأها عليهم وقال لهم ابو بكر رضى الله عنه قبل قراءتها
أترضون بمن أستخلفه عليكم قالوا نعم وقال على رضى الله عنه لا نرضى الا ان يكون عمر
فقال هو عمر فقال على ياخليفة رسول الله امض لرأيك فما نعلم به الا خيرا وقال عثمان وسعيد بن
زيد واسيد بن حضير وغيرهم من المهاجرين والانصار انت أخبرنا به وهو أعلمنا تخير بعدك
يرضا للرضا ويسخط للسخط وسريرته خير من علانيته وليس فينا مثله ولن يلى هذا الأمر
أقوى عليه منه ثم قرئت عليهم الصحيفة فرضوا بما فيها وعن عاصم بن عدى قال جمع ابو بكر
رضى الله عنه الناس وهو مريض وأمر من يحمله الى المنبر وكانت آخر خطبة خطبها
بعد أن عهد بالخلافة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس
احذروا الدنيا ولا تغتروا بها فانها غرارة وآثروا الآخرة على الدنيا فأحبوهما فبحب كل
واحدة منهن تبغض الأخرى وان هذا الأمر الذى هو أثبت بنا لا يصلح آخره الا بما صلح به
اوله ولا يحتمله الا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه واشدكم فى حال الشدة وألينكم فى حال
اللين وأعلمكم برأى ذوى الرأى لا يتشاغل بما لا يعنيه ولا يحزن لما ينزل به ولا يستحيى من التعلم
ولا يتحير عند البديهة قوى على الامور لا يجوز لشئ منها حده بعدوان ولا يقصر رصدا لما

النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف ياهذا تسأل العتق لك وحدك هلا سألت العتق لجميع الخلق
يعنى من المؤمنين اذهب فقد أعتقتك ثم أنشد القسطلانى أحد البيتين المشهورين وشارحه الزرقانى البيت الآخر وهما
ان الملوك اذا شابت عبيدهم * فى رقهم أعتقوهم عتق أحرار * وأنت ياسيدى أولى بذا كرما * قد شبت فى الرق فاعتقنى من النار
ثم قال فى المواهب وعن الحسن البصرى قال وقف حاتم الاصم على قبره صلى الله عليه وسلم فقال يارب انا زرنا قبر نبيك صلى الله عليه وسلم فلا تردنا خائبين فنودى ياهذا ما أذنا لك فى زيارة قبر حبيبنا الا وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفورا لكم وقال ابن أبى فديك سمعت بعض من أدركت من العلماء والصلحاء يقول بلغنا ان من وقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقال صلى الله عليك يامحمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يافلان ولم تسقط له حاجة قال
الشيخ زين الدين المراغى وغيره الاولى أن يقول صلى الله عليك يارسول الله بدل قوله يامحمد للنهى عن

هو آت عتاده من الحدة والطاعة وهو عمر بن الخطاب ثم نزل فدخل داره رضى الله عنه وقال له قائل ماأنت قائل لربك اذا سألك عن استخلافك عمر وقد ترى غلظته فقال ابو بكر رضى الله عنه أجلسونى أبالله تخوفنى خاب من تزود من أمركم بظلم اقول اللهم استخلفت عليهم أفضلهم واقواهم وفى رواية قال ابالله تخوفنى اقول استعملت عليهم خيرهم واشدهم حبا لله تعالى فستعلمون اذا فار قتموه وتنافستموها وذكر صاحب الاكتفاء ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه التوى وامتنع من قبول عهد أبى بكر له بالخلافة وقال لا أطيق القيام بأمر الناس فقال ابو بكر لابنه عبد الرحمن ارفعنى وناولنى السيف فقال عمر أو تعفنى قال لا فعند ذلك قبل رضى الله عنه وفى رواية ان عمر راجع أبا بكر رضى الله عنهما وقال ياخليفة رسول الله لا حاجة لى فيها فقال ان لم تكن محتاجا اليها فهى محتاجة اليك وانى ماحبوتك بالخلافة ولكن حبوتها بك ومع ذلك فانى أحذرك نفسك فان النفس لأمارة بالسوء وأحذرك الناس واعلم انهم خائفون منك ماخفت الله عزوجل وآثرت رضاه جل جلاله على هواك وكتب ابو عبيدة الى ابى بكر رضى الله عنهما بعد توجه الجنود الى قتال الروم بلغنى ان هرقل ملك الروم نزل قرية من قرى الشام تدعى انطاكية وانه بعث الى اهل مملكته فحشدهم اليه وانهم نفروا اليه على الصعب والذلول وقد رأيت أن أعلمك ذلك فترى فيه رأيك والسلام فكتب اليه ابو بكر رضى الله عنه اما بعد فقد بلغنى كتابك وفهمت ماذكرت فيه من أمر هرقل ملك الروم فأما منزله بأنطاكيه فهزيمة له ولاصحابه وفتح من الله عليك وعلى المسلمين واما حشده اهل مملكته وجمعه لكم الجموع فان ذلك ما كنا وكنتم تعلمون انه سيكون منهم ماكان قوم أن يدعوا سلطانهم ويخرجوا من مملكتهم بغير قتال ولقد علمت والحمد لله ان قد غزاهم رجال بسيف من المسلمين يحبون الموت حب عدوهم الحياة يحتسبون من الله فى قتالهم الأجر العظيم ويحبون الجهاد فى سبيل الله أشد من حبهم أبكار نسائهم وعقائل اموالهم الرجل منهم عند الهيج خير من الف رجل من المشركين فالقهم بجنودك ولا توحش لمن غاب عنك من المسلمين فالله تعالى ذكره معك فأت ذكره معك وانا مع ذلك ممدك بالرجال بعد الرجال حتى تكتفى ولا تريد ان تزداد والسلام وقوله فأما منزله بأنطاكية فهزيمة لعله أخذ ذلك من انطا فانه لغة فى أعطى وكتب يزيد بن أبى سفيان رضى الله عنهما الى أبى بكر رضى الله عنه أما بعد فان هرقل ملك الروم لما بلغه مسيرنا اليه القى الله الرعب فى قلبه فتحول ونزل أنطاكية وخلف امراء من جنده على جند الشام وأمرهم بقتالنا وقد تيسروا لنا واستعدوا وقد نبأنا مسالمة الشام ان هرقل استنفر أهل مملكته وانهم جاؤا يجرون الشوك والشجر فرنا بأمرك وعجل علينا فى ذلك برأيك نتبعه نسأل الله تعالى النصر والصبر والفتح وعاقبة المسلمين والسلام عليك فكتب له ابو بكر رضى الله عنه أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه تحول ملك الروم الى انطاكية والقى الله الرعب فى قلبه من جموع المسلمين قال الله تبارك وتعالى وله الحمد قد نصرنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرعب وأيدنا بملائكته الكرام وان ذلك الدين الذى نصرنا الله فيه بالرعب هو هذا الدين الذى تدعوا الناس اليه اليوم فوربك لايجعل الله المسلمين كالمجرمين ولا من يشهد ان لا اله غيره كمن يعبد معه آلهة أخرى ويدين بعبادة آلهة

المروى عنهم فى الصحيحين وغيرهما من كتب السنن قال الزرقانى فى شرح المواهب اسمه محمد بن اسمعيل بن مسلم الديلمى مات سنة مائتين على الصحيح وهذا الذى نقله فى المواهب عن ابن أبى فديك رواه عنه البيهقى وفى شرح المواهب للزرقانى ان الداعى اذا قال اللهم انى استشفع اليك بنبيك يانبى الرحمة اشفع لى عند ربك استجيب له فقد اتضح لك من هذه النصوص المروية عن سلف الامة وخلفها ان التوسل به صلى الله عليه وسلم وطلب الشفاعة منه وزيارته ثابتة عنهم وانها من أعظم القربات وان التوسل به واقع قبل خلقه وبعد خلقه فى حياته وبعد وفاته ويكون أيضا بعد البعث فى عرصات القيامة وأحاديث التوسل به يوم القيامة فى الصحيحين وغيرهما فلا حاجة الى الاطالة بذكرها فبطل بما ذكرناه من النصوص جميع ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب وماافتراه ولبس به على المؤمنين قال فى المواهب ورحم الله ابن جابر حيث قال به قد اجاب الله آدم اذ دعا

به صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته أكثر من ان يحصى ﴿٢٢٤﴾ أو يدرك باستقصاء قال وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام للشيخ بن عبد الله ابن النعمان طرف من ذلك ثم ذكر في المواهب كثيرا من البركات التي حصلت له ببركة توسله بالنبي صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه ان أعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي به وأنشد أبياتا أولها

أتيناك والعذراء يدمى لبانها * وقد شغلت أم الصبي عن الطفل

الى أن قال في تلك الأبيات

وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الخلق الا الى الرسل

فلم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم هذا البيت بل قال أنس لما أنشد الاعرابي الابيات قام يجر رداءه حتى رقي المنبر فخطب ودعا لهم فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء وهو على المنبر وفي صحيح البخاري انه جاء الاعرابي وشكى للنبي صلى الله عليه وسلم القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر فقال صلى الله عليه وسلم لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي رضي الله عنه يارسول الله كانك أردت قوله وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

شتى فاذا لقيتهم فانبذ اليهم بمن معك وقاتلهم فان الله لن يخذلك وقد نبأنا الله تعالى ان الفئة القليلة منا تغلب الفئة الكثيرة باذن الله وانا مع ماهنا ممدكم بالرجال في أثر الرجال حتى تكتفوا ولا تحتاجوا الى زيادة انسان ان شاء الله تعالى والسلام وقال للرسول أخبره ان مدد المسلمين آتيهم مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وسعيد بن عامر الجمحي فلما قدم الرسول بالكتاب على يزيد قرأه على المسلمين فتباشروا وفرحوا ثم ان أبابكر رضي الله عنه دعا هاشم بن عتبة وبعثه في الف من المسلمين فسلم على ابي بكر وودعه ثم خرج من عنده فلزم طريق ابي عبيدة حتى قدم عليه فسر المسلمون بقدومه وتباشروا به وبلغ سعيد بن عامر الجمحي ان ابابكر يريد ان يبعثه فلما أبطأ ذلك عليه أتاه فقال يا ابابكر والله لقد بلغني انك كنت أردت ان تبعثني في هذا الوجه ثم رأيتك قد سكت فما أدري مابدا لك في فان كنت تريد ان تبعث غيري فابعثني معه وان كنت لا تريد ان تبعث أحدا فاني راغب في الجهاد فأذن لي رحمك الله كيما الحق بالمسلمين فقد ذكر لي ان الروم جمعت لهم جمعا عظيما فقال ابو بكر رضي الله عنه رحمك الله ارحم الراحمين ياسعيد فأمر بلالا فنادى في الناس ان انتدبوا أيها المسلمون مع سعيد بن عامر الى الشام فانتدب معه سبعمائة رجل في أيام فلما أراد سعيد الشخوص جاء بلال فقال ياخليفة رسول الله ان كنت انما اعتقتني لله تعالى لأملك نفسي وانصرف فيما ينفعني فخل سبيلي حتى اجاهد في سبيل ربي فان الجهاد احب الي من المقام قال ابو بكر رضي الله عنه فان الله يشهد اني لم اعتقك الا له واني لا اريد منك جزاء ولا شكورا فهذه الأرض ذات الطول والعرض فاسلك اي فجاجها أحببت فقال ايها الصديق كأنك عتبت علي مقالتي ووجدت في نفسك منها قال لا والله ماوجدت في نفسي من ذلك واني لأحب ان تدع هواك لهواي كيف وهو الى طاعة ربك قال فان شئت اقمت معك قال ماذا كان هواك في الجهاد فلما اكن آمرك بالمقام وغاردتك للأذان ولاوجدت لفراقك وحشة يابلال ولابد من التفرقة فرقة لا التقاء بعدها حتى يوم البعث فاعمل صالحا يابلال وليكن زادك من الدنيا مابذكرك الله ماحييت ويحسن لك الثواب اذا توفيت فقال له بلال جزاك الله من ولي نعمة ومن أخ بالاسلام خيرا فوالله ماأمرك لنا بالصبر على الجود والمداومة على العمل ثم قال وما كنت لأؤذن لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم وخرج بلال مع سعيد بن عامر أمر سعيد بن عامر مع من معه ان يلحقوا بيزيد بن ابي سفيان رضي الله عنهم فقام بلال في الشام بقصد الجهاد وتوفي بدمشق وقيل بحلب سنة عشرين او ثمانية وعشرين وقدم مرة المدينة للزيارة فطلب منه أهل المدينة ان يؤذن فقال لا أفعل بعد ان أذنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فألحوا عليه فصعد فاجتمع اهل المدينة رجالهم ونساؤهم وصغارهم وكبارهم وقالوا هذا بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يؤذن فهلموا نسمع اذانه فلما قال الله أكبر الله أكبر تذكروا زمن النبي صلى الله عليه وسلم فصاحوا وبكوا جميعا فلما قال اشهد ان لا اله الا الله ضجوا جميعا فلما قال اشهد ان محمدا رسول الله لم يبق في المدينة ذو روح الا بكى وصاح وخرجت العذارى والابكار من خدورهن يبكين وصاروا كيوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرغ من اذانه فقال ابشركم انه لا تمس النار عينا بكت على النبي صلى الله عليه وسلم واذن مرة بالشام فكان ايضا مثل ذلك وكان ابو بكر رضي الله

عنه يحب علي بن أبي طالب وكافة أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال النظر الى علي بن أبي طالب عبادة وروى مثله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من ان أصل من قرابتي وفي رواية والله لأن أصلكم أحب الى من أن أصل قرابتي لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج أبو الشيخ عن أبي بكر رضي الله عنه يا أيها الناس ان الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته فلا تذهبن بكم الأباطيل وكان أبو بكر رضي الله عنه كثيرا ما يعمل بما يشير به علي رضي الله عنه عند بعث الجنود للجهاد ولا يأذن له في الخروج مع المجاهدين حرصا على بقائه معه للانتفاع برأيه ومشورته وكذا لم يأذن في الخروج لعمر وعثمان رضي الله عنهما للاستعانة بكل منهم على تدبير امور المسلمين ولا يفعل شيأ الا بعد استشارتهم مع غيرهم من وجوه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال الجلال السيوطي كان أبو بكر رضي الله عنه يصوم الصيف ويفطر الشتاء وكأنه يختار الصيف للصوم لانه أشق على النفس وتقدم ان من دعاء الصديق رضي الله عنه اللهم انى أسألك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف قال في الاحياء اذا كان الصديق رضي الله عنه في كمال حاله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في ان فقد المال أصلح من وجوده هذا مع ان احسن احوال الغنى ان يأخذ حلالا وينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب عذب وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها وقال ان أردت اللحوق بي فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي قيصا حتى ترقعيه وكان ابو بكر رضي الله عنه جعل ولاية بيت المال في زمن خلافته لأمين هذه الأمة ابي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه وقد تقدم أنه جاءه في زمن خلافته مال من البحرين فقسمه بين الناس وقال من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة اودين فليأتنا فجاء جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فقال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم او جاء مال من البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا يعني ثلاث حفنات فقال ابو بكر رضي الله عنه خذ فأخذت مقدارا فوجدت عدد تلك الدراهم التي اخذتها خمسمائة فاعطاني الفا وخمسمائة وفاء بقول النبي صلى الله عليه وسلم هكذا وهكذا وهكذا ولم يأخذ أبو بكر رضي الله عنه لنفسه من ذلك المال شيأ وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ ذكر ما كان لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الاقتصاد في الدنيا وحسن السيرة ﴾

أخرج ابن سعد عن آصف بن قيس قال كنا جلوسا بباب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمرت جارية فقالوا سرية أمير المؤمنين فسمعهم عمر رضي الله عنه فقال ماهي لأمير المؤمنين بسرية ولا تحل له انها من مال الله تعالى فقلنا فاذا يحل له من مال الله تعالى فقال انه لا يحل لعمر من مال الله تعالى الا حلتين حلة للشتاء وحلة للصيف وما حج به واعتمر وقوتي وقوت اهلي

في ذلك اشعر الى الانكره ولم يطلب انشاده وكان سبب انشاء البيت من أبي طالب من جملة قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ان قريشا أصابهم قحط فاستسقى بهم أبو طالب وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم فاغدودق عليهم السحاب بالمطر وكان ذلك قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فأنشأ أبو طالب تلك القصيدة وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن قال في الجوهر المنظم فاذا كان له صلى الله عليه وسلم هذا الفضل والخصوصية أفلا يتوسل به وذكر القسطلاني في شرحه على البخاري عن كعب الاحبار ان بني اسرائيل كانوا اذا قحطوا استسقوا بأهل بيت نبيهم فعلم بذلك أن التوسل مشروع حتى في

 الامم السابقة وقال السيد السمهودي في خلاصة الوفاء ان العادة جرت ان

كرجل من قريش ليس بأفقرهم ولا بأغناهم ثم انا بعد رجل من المسلمين واخرج سعيد بن منصور وابن سعد وغيرهما من طرق عن عمر رضى الله عنه قال انى أنزلت نفسى من مال الله منزلة ولى اليتيم من ماله ان أيسرت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف فان أيسرت قضيت واتفق فى بعض السنين انه لم يأخذ من بيت المال شيأ حتى اصابته خصاصة وحاجة فاستشار الصحابة وقال مايصلح لى ان آخذه فقال على رضى الله عنه غداء وعشاء فأخذ بذلك عمر رضى الله عنه وذكر الجلال السيوطى فى تاريخ الخلفاء ان ذلك كان من عمر رضى الله عنه فى ابتداء ولايته فذكر انه فى اول ولايته لم يأخذ من بيت المال شيأ حتى اصابته خصاصة فقال مايصلح لى ان آخذه فقال على رضى الله عنه غداء وعشاء فأخذ بذلك عمر رضى الله عنه وقال ابن سعد قال محمد بن ابراهيم كان عمر رضى الله عنه ينفق كل يوم درهمين له ولعياله واحتاج مرة عسلا للتداوى به وكان فى بيت المال عكة من عسل فقال ان أذنتم لى والا فذلك على حرام فأذنوا له فأخذ من العكة بقدر الحاجة وكان رضى الله عنه يأكل خبز الشعير ويأتدم بالزيت ويلبس المرقوع ويخدم نفسه وكان يقول مانعبأ بلذات العيش ولكنا نبقى طيباتنا لآخرتنا ولما كلمته ابنته حفصة وابنه عبد الله وغيرهما قالوا له لو أكلت طعاما طيبا لكان أقوى لك على الحق قال أكلكم على هذا الرأى قالوا نعم قال قد علمت نصحكم ولكنى تركت صاحبى على جادة فان تركت جادتهما لم أدركهما فى المنزل ويعنى بصاحبيه النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه واجتمع مرة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد زهاء خمسين رجلا فقالوا أماترون الى زهد هذا الرجل والى حليته وقد فتح الله على يديه ديار كسرى وقيصر وطرفى المشرق والمغرب والعجم يأتونه فيرون عليه هذه الجبة وقد رقعها باثنتى عشرة رقعة فلو سألتموه معاشر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان يغير هذه الجبة بثوب لين فيهاب منظره ويغدى عليه بجفنة من الطعام ويراح بجفنة يأكل منها من حضره من المهاجرين والانصار فقال القوم بأجمعهم ليس هذا القول الالعلى بن ابى طالب رضى الله عنه فانه صهره لكونه زوجه ابنته ام كلثوم رضى الله عنها فقال على لست بفاعل ذلك ولكن عليكم بأزواج النبى صلى الله عليه وسلم امهات المؤمنين فانهن يجترئن عليه قال الاحنف بن قيس فسألوا عائشة وحفصة رضى الله عنهما وكانتا مجتمعتين فقالت عائشة أسأله ذلك وقالت حفصة ماأراه يفعل وسيتبين لك ذلك فدخلتا عليه فقربهما وادناهما فقالت عائشة رضى الله عنها أتأذن لى أن أكلمك فقال تكلمى ياام المؤمنين فقالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مضى الى جنة ربه ورضوانه لم يرد الدنيا ولم ترده وكذلك مضى ابو بكر على أثره وقد فتح الله عليك كنوز كسرى وقيصر وديارهما وحمل اليك أموالهما وذللت الطرفان المشرق والمغرب ونرجو من الله المزيد ورسل العجم يأتونك ووفود العرب تفد اليك وعليك هذه الجبة قد رقعتها اثنتى عشرة رقعة فلو غيرتها بثوب لين يهاب فيه منظرك ويغدى عليك بجفنة من طعام ويراح عليك بأخرى تأكل منها انت ومن حضرك من المهاجرين والانصار فبكى عمر رضى الله عنه عند ذلك بكاء شديدا ثم قال سألتك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شبع من خبز بر عشرة ايام او خمسة

هو أهل منه واذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة كما فى صحيح البخارى فى حديث الثلاثة الذين أووا الى غار فاطبق عليهم فتوسل كل واحد منهم الى الله تعالى بأرجى عمل له فانفرجت الصخرة التى سدت الغار عليهم فالتوسل به صلى الله عليه وسلم أحق وأولى لما فيه من النبوة والفضائل سواء كان ذلك فى حياته أو بعد وفاته فالمؤمن اذا توسل به انما يريد نبوته التى جمعت الكمالات وهؤلاء المانعون للتوسل يقولون بجواز التوسل بالاعمال الصالحة مع كونها أعراضا فالذوات الفاضلة أولى فان عمر رضى الله عنه توسل بالعباس رضى الله عنه وأيضا لو سلمنا لهم ذلك فنقول لهم اذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة فالمانع من جوازها بالنبى صلى الله عليه وسلم باعتبار ماقام به من النبوة والرسالة والكمالات التى فاقت كل كمال وعظمت على كل عمل صالح فى الحال والمآل مع ماثبت من الاحاديث الدالة على ذلك وعلى الاذن فيه ومثله سائر الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا الاولياء وعباد الله الصالحون

ايام أو ثلاثة أو جمع بين عشاء وغداء حتى لحق بالله عز وجل قالت لا قال أنشدك بالله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرب اليه طعام على مائدة فى ارتفاع شبر من الارض الا كان يأمر بالطعام فيوضع على الارض قالت اللهم نعم ثم قال أنتما زوجتا رسول الله صلى الله عليه وسلم وامهات المؤمنين لكما على المؤمنين حق وعلى خاصة وقد أتيتمانى ترغبانى فى الدنيا وانى لأعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس جبة من الصوف وربما حك جلدته من خشونتها أتعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقد على عباءة على طاق واحد وكان مسح فى بيتك ياعائشة يكون بالنهار بساطا وبالليل فراشا ينام عليه وكان يرى أثر الحصير فى جنبه الا ياحفصة انت حدثتنى انك ثنيت له المسح ليلة فوجد لينه فرقد عليه فلم يستيقظ الا بأذان بلال فقال ياحفصة ماذا صنعت ثنيت المهاد حتى ذهب بى النوم الى الصباح مالى وللدنيا وما للدنيا ولى شغلتمونى بلين الفراش ياحفصة اما تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مغفورا له ولم يزل جائعا ساجدا راكعا باكيا متضرعا آناء الليل والنهار الى ان قبضه الله تعالى الى رحمته ورضوانه لا أكل عمر طيبا ولا لبس لينا فله أسوة بصاحبيه ولا جمع بين أدامين الا الماء والزيت ولا أكل لحما الا فى كل شهر فخرجتا من عنده فأخبرتا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل كذلك حتى لحق عمر رضى الله عنه بالله عز وجل وكان رضى الله عنه يقول ان من ولى أمر المسلمين فهو عبد للمسلمين يجب لهم عليه ما يجب على العبد من النصح واداء الامانة ولما اصاب الناس القحط فى العام الذى كانوا يسمونه عام الرمادة ما أكل عمر رضى الله عنه فى ذلك العام سمنا ولا سمينا قال أنس رضى الله عنه قرقرت بطن عمر عام الرمادة من أكل الزيت فطعن بطنه باصبعه وقال ليس عندنا غيره حتى يحيى الناس ومن ثم تغير لونه فى هذا العام حتى صار أسمر وقال مرة لمن كلمه فى طعامه ويحك آكل طيباتى فى الدنيا واستمتع بها وقال لابنه عاصم وهو يأكل لحما كفى بالمرء سرفا ان يأكل كل ما اشتهى وكان رضى الله عنه يداوم على اكل التمر ولا يداوم على اكل اللحم ويقول اياكم واللحم فان له ضراوة كضراوة الخمر اى ان له عادة تنزع النفس اليها كعادة الخمر وعن جعفر بن ابى العاص رضى الله عنه قال اكلت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخبز والزيت والخبز واللبن والخبز والخل والخبز واللحم القديد واعلى ذلك اللحم الفريض اى الطرى وكان رضى الله عنه يقول لا تنخلوا الدقيق فانه كله طعام واتى مرة بخبز غليظ فجعل يأكل ويقول لنا كلوا فجعلنا نعتذر فقال مالكم لا تأكلون فقلنا لا كله انت والله يا أمير المؤمنين نرجع الى طعام هو ألين من طعامك وعن حفصة رضى الله عنها قالت دخل على عمر مرة فقدمت له مرقة باردة وصببت عليها زيتا فقال ادامان فى اناء واحد لا أذوقه أبدا حتى ألقى الله عز وجل وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال دخل علينا امير المؤمنين عمر رضى الله عنه ونحن على مائدة فأوسعت له عن صدر المجلس فقال باسم الله ثم ضرب بيده فى لقمة فلقمها ثم ثنى بأخرى ثم قال انى لاجد طعم دسم غير دسم اللحم فقال عبد الله يا امير المؤمنين انى خرجت الى السوق اطلب السمن لأشتريه فوجدته غاليا فاشتريت بدرهم من اللحم المهزول وجعلت عليه بدرهم سمنا فقال عمر رضى الله عنه ما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

رب العالمين وذلك كله سبب لكونهم من عباد الله المقربين فيقضى سبحانه وتعالى بالتوسل بهم حوائج المؤمنين وينبغى ان يكون ذلك التوسل مع الادب الكامل واجتناب الالفاظ الموهمة تأثير غير الله تعالى ومن أدلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضى الله عنه التى رواها الطبرانى فى الكبير وفيها ان سواد بن قارب انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته التى فيها

فاشهد ان الله لا رب غيره * وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك ياخير مرسل * وان كان فيما فيه شيب الذوائب
وكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله أدنى المرسلين وسيلة ولا قوله وكن لى شفيعا وكذا من أدلة التوسل مرثية صفية رضى الله عنها عمة النبى صلى الله عليه وسلم فانها رثته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بأبيات قالت فيها

ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا *

الا اكل احدهما وتصدق بالآخر فقال عبد الله يا أمير المؤمنين اذن فلم يجتمعا عندى أبدا الا فعلت ذلك وعن جابر رضى الله عنه قال رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا فى يدى فقال ما هذا يا جابر قلت اشتهيت لحما فاشتريت فقال عمر اوكلما اشتهيت اشتريت يا جابر أما تخاف الآية اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وجئ له مرة بلحم فيه سمن فأبى ان يأكله وقال كل واحد منهما ادام وكان رضى الله عنه يقول والله ما يمنعنا ان نأمر بصغار المعز فيسمط لنا ونأمر بلباب الحنطة فيخبز لنا ونأمر بالزبيب فينبذ لنا فنأكل هذا ونشرب هذا الا انا نستبقى طيباتنا لانا سمعنا الله يقول اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وكان رضى الله عنه يلبس وهو خليفة جبة من صوف مرقوعا بعضها بأدم وفى رواية من جراب ويطوف فى الاسواق وعلى عاتقه الدرة يؤدب الناس ويمر بالنوى فيلتقطه ويلقيه فى منازل الناس ينتفعون به وتأكله شياههم وقال أنس رضى الله عنه رأيت بين كتفى عمر رضى الله عنه اربع رقاع فى قميصه وقال ابو عثمان النهدى رأيت على عمر ازارا مرقوعا بأدم وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه رأيت عمر يطوف بالكعبة وعليه ازار فيه احدى وعشرون رقعة فيها أدم وقال الحسن خطب عمر الناس وعليه ازار فيه اثنتا عشرة رقعة فيها أدم ولما حج لم يتظلل الا تحت كساء أو نطع يلقيه على شجرة وكانت جملة نفقته فى حجته ستة عشر دينارا ومع ذلك يقول اسرفنا فى هذا المال وقال نافع العبسى دخلت دار الصدقة مع عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب وعثمان بن عفان رضى الله عنهم فجلس عثمان فى الظل يكتب ومعه على قائم على رأسه يملى عليه ما يقول عمر وعمر قائم فى الشمس فى يوم شديد الحر عليه بردان اسودان اتزر بأحدهما ولف الآخر على رأسه يتفقد ابل الصدقة يكتب ألوانها واسنانها فقال على لعثمان رضى الله عنهما قال الله فى كتابه ان خير من استأجرت القوى الأمين هذا هو القوى الأمين وخطب عمر رضى الله عنه الناس مرة فقال والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لو ان جملا هلك ضياعا بشط الفرات لخشيت ان يسألنى الله عنه وخطب مرة فقال ايها الناس انى لم ارسل اليكم عمالا ليضربوا ابشاركم ولا ليأخذوا أموالكم وانما ارسلتهم اليكم ليعلموكم امر دينكم وسنة نبيكم فمن فعل به شئ سوى ذلك فليرفعه الى فوالذى نفسى بيده لأقصنه منه وقال سلام بن مسكين كان عمر رضى الله عنه اذا احتاج شيأ اتى عبد الله بن مسعود وكان هو صاحب بيت المال فاستقرضه فربما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال ليتقاضاه فيلزمه فيحتال له عمر فيعطيه او يسأله الامهال حتى يخرج عطاؤه فاذا خرج عطاؤه قضاه قال سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان عمر اذا نهى الناس عن شئ جمع اهله فقال انى نهيت الناس عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم وأقسم بالله لا أجد أحدا فعله منكم الا اضعفت عليه العقوبة وقال محمد بن سيرين قدم على عمر صهر له من مكة فطلب ان يعطيه من بيت المال فانتهره وقال أردت ان ألقى الله ملكا خائنا ثم اعطاه من صلب ماله عشرة آلاف درهم وكان رضى الله عنه يقول احب الناس الى من رفع الى عيوبى وكان مرة يقسم مالا للمسلمين فدخلت ابنة له واخذت درهما فنهض عمر فى طلبها حتى سقطت الملحفة من احد منكبيه ودخلت الصبية الى بيت اهلها تبكى وجعلت الدرهم فى فيها فادخل عمر اصبعه فى فيها فأخرجه وطرحه على الخراج وقال ايها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر الا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم

وكنت بنابرا ولم تك جافيا * ففيها النداء مع قولها وأنت رجاؤنا * وسمع تلك المرثية الصحابة رضى الله عنهم ولم ينكر عليها أحد قولها يا رسول الله أنت رجاؤنا قال العلامة ابن حجر فى كتابه المسمى بالخيرات الحسان فى مناقب الامام أبى حنيفة النعمان فى الفصل الخامس والعشرين ان الامام الشافعى أيام هو ببغداد كان يتوسل بالامام أبى حنيفة رضى الله عنه يجئ الى ضريحه يزور فيسلم عليه ثم يتوسل الى الله تعالى به فى قضاء حاجاته وقد ثبت توسل الامام أحمد بالشافعى رضى الله عنهما حتى تعجب ابنه عبد الله بن الامام أحمد من ذلك فقال له الامام أحمد ان الشافعى كالشمس للناس وكالعافية للبدن ولما بلغ الامام الشافعى ان أهل المغرب يتوسلون الى الله تعالى بالامام مالك لم ينكر عليهم وقال الامام أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه من كانت له الى الله تعالى حاجة واراد قضاءها فليتوسل الى الله تعالى بالامام الغزالى وذكر العلامة ابن حجر فى كتابه المسمى بالصواعق المحرقة لاهل الضلال والزندقة ان الامام الشافعى رضى الله عنه توسل بأهل البيت النبوى حيث قال

آل النبى ذريعتى * وهم اليه وسيلتى * أرجو بهم أعطى غدا *

وكسح أى كنس ابو موسى الاشعرى رضى الله عنه بيت المال مرة بأمر عمر فوجد درهما فرآه ابن لعمر فأعطاه اياه فرأى عمر ذلك فى يد الغلام فسأله عنه فقال اعطانيه ابو موسى فقال يا أبا موسى ما كان من أهل المدينة أهل بيت أهون عليك من آل عمر أردت ان لا يبقى احد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال مع أن المال كان حلالا ولكنه خاف ان لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبرئ لدينه ويقتصر على الاقل امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ولقوله صلى الله عليه وسلم من تركها أى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه وعن طارق بن شهاب قال قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشام فلقيه الجنود وعليه ازار ورداء وخفان وعمامة وهو آخذ برأس راحلته يخوض الماء قد خلع خفيه وجعلهما تحت ابطه فقالوا له يا أمير المؤمنين الآن يلقاك الجنود وبطارقة الشام وانت على هذه الحال فقال عمر انا قوم أعزنا الله بالاسلام فلا نلتمس العز فى غيره وروى انه قال يوما وهو على المنبر يا معشر المسلمين ماذا تقولون لو ملت برأسى الى الدنيا كذا وميل رأسه فقام اليه رجل فاستل سيفه وقال نقول بالسيف كذا وأشار الى قطعه فقال عمر رحمك الله الحمد لله الذى جعل فى رعيتى من اذا تعوجت اقامنى وجاءته مرة برود من اليمن ففرقها على الناس بردا بردا ثم صعد المنبر يخطب وعليه بردان ازار ورداء فقال اسمعوا رحمكم الله فقام اليه رجل من القوم فقال والله لا نسمع والله لا نسمع فقال عمر لم يا عبد الله قال لأنك اعطيتنا بردا بردا وخرجت تخطب فى بردين فقال عمر أين عبد الله بن عمر فقال عبد الله هنا يا أمير المؤمنين فقال لمن احد هذين البردين اللذين على قال لى فقال للرجل عجلت على يا عبد الله انى كنت غسلت ثوبى الخلق فاستعرت ثوب عبد الله فقال الرجل قل الآن نسمع ونطيع ولما رجع رضى الله عنه من الشام ووصل الى المدينة تفرد عن الناس يوما ليعرف أخبارهم فر بعجوز فى خبائها فقصدها فقالت يا هذا ما فعل عمر لما رجع من الشام قال هو ذا قد أقبل من الشام ووصل الى المدينة قالت لا جزاه الله عنى خيرا قال ويحك لم قالت لأنه والله ما نالنى من عطائه منذ ولى الخلافة الى يومنا هذا دينار ولا درهم قال ويحك وما يدرى عمر حالك وانت فى هذا الموطن فقالت سبحان الله ما ظننت ان احدا يلى على الناس ولا يدرى ما بين مشرقها ومغربها فصار يبكى ويقول وا عمراه واخصوماه كل احد افقه منك يا عمر ثم لم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا فبينما هو كذلك اذ اقبل على بن ابى طالب وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما فقالا السلام عليك يا امير المؤمنين فوضعت المرأة يدها على رأسها وقالت واسوأتاه شتمت أمير المؤمنين فى وجهه فقال لها عمر لا بأس عليك يرحمك الله ثم طلب عمر رضى الله عنه قطعة فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولى الى يومنا هذا بخمسة وعشرين دينارا فما تدعى عند وقوفى فى المحشر بين يدى الله عز وجل فعمر منه برئ شهد على ذلك على بن ابى طالب وعبد الله بن مسعود ورفع الكتاب الى على رضى الله عنه وقال له اذا تقدمتك أى مت قبلك فاجعلها فى كفنى وعن الاوزاعى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج ليلة فى سواد الليل فرآه طلحة رضى الله عنه فتبعه فذهب عمر فدخل بيتا فلما أصبح طلحة ذهب الى ذلك البيت فاذا بعجوز عمياء مقعدة فقال لها ما بال هذا الرجل يأتيك فقالت انه يتعاهدنى منذ كذا وكذا بما يصلحنى ويخرج عنى الاذى

بن محمد بن هاشم باعلوى فى كتابه المسمى مجمع الأحباب فى ترجمة الامام أبى عيسى الترمذى صاحب السنن انه رأى فى المنام رب العزة فسأله عما يحفظ عليه الايمان ويتوفاه عليه قال فقال لى قل بعد صلاة ركعتى الفجر قبل صلاة فرض الصبح الهى بحرمة الحسن واخيه وجده وبنيه وأمه وأبيه نجنى من الغم الذى أنا فيه ياحى يا قيوم ياذا الجلال والاكرام أسألك ان تحيى قلبى بنور معرفتك يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين فكان الامام الترمذى يقول ذلك دائما بعد صلاة الصبح ويأمر أصحابه به ويحثهم على المواظبة عليه فلو كان التوسل ممنوعا لما فعله هذا الامام ولا أمر بفعله والمواظبة عليه وهو امام حجة يقتدى به بل هذا الامر أعنى التوسل لم ينكره قط أحد من السلف والخلف حتى جاء هؤلاء المنكرون وفى الاذكار للنووى ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر ان يقول العبد بعد ركعتى الفجر ثلاثا اللهم رب جبريل وميكائل واسرافيل ومحمد صلى الله عليه وسلم أجرنى من النار قال فى شرح الاذكار خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم فى قبول الدعاء والا فهو سبحانه وتعالى

فقال طلحة لنفسه ثكلتك امك يا طلحة أعثرات عمر تتبع رضي الله عنهما وعن محمد الباقر بن علي
زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم عن مولى لعثمان بن عفان رضي الله
عنه قال بينما انا مع عثمان في مال له بالعالية في يوم صايف اذ رأى رجلا يسوق بكرين
وعلى الارض مثل الفراش من الحر فقال عثمان رضي الله عنه ما على هذا لو أقام
بالمدينة حتى يبرد ثم تروح ثم دنا الرجل فقال انظر فنظرت فاذا هو عمر بن الخطاب رضي
الله عنه فقلت له هذا امير المؤمنين فقام عثمان رضي الله عنه فأخرج رأسه من الباب
فاذا لفح السموم فأعاد رأسه حتى حاذه فقال ما اخرجك هذه الساعة قال بكران من ابل الصدقة تخلفا
وقد مضى الراعي بابل الصدقة اردت ان الحقهما بالحما وخشيت ان يضيعا فيسألني الله عنهما
فقال عثمان رضي الله عنه هلم يا امير المؤمنين الى الماء والظل ونكفيك قال عد الى ظلك وسار فقلت
عندنا من يكفيك فقال عد الى ظلك ومضى فقال عثمان رضي الله عنه من احب ان ينظر الى
القوي الامين فلينظر الى هذا اخرجه الشافعي رحمه الله في مسنده ولما جهز الجيوش لفتح
العراق جعل الامير عليهم سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه فلما فتحت القادسية كتب سعد بن
ابي وقاص رضي الله عنه بالفتح وبعدة من قتل وبعدة من اصيب من المسلمين وارسل ذلك مع
سعد بن عميلة الفزاري وكان عمر رضي الله عنه يخرج خارج المدينة كل يوم يسأل الركبان
من حين يصبح الى انتصاف النهار يسأل عن أهل القادسية ثم يرجع الى اهله ومنزله فلقي هذا
البشير المرسل في يوم من تلك الايام التي كان يخرج فيها فقال له من أين فأخبره والرجل المرسل
راكب على ناقته يسير بسرعة وعمر رضي الله يخب على رجليه معه وهو يسأله والبشير لا يعرفه
فقال له عمر أخبرني يا عبد الله قال هزم الله المشركين فأخبره الخبر فلم يزل عمر سائرا تحت ناقة
ذلك البشير يسأله حتى دخل المدينة فاذا الناس يسلمون عليه بامرة المؤمنين فقال البشير هلا
أخبرتني رحمك الله انك امير المؤمنين قال لا بأس عليك يا أخي وعن الاحنف بن قيس قال
اخرجنا عمر رضي الله عنه في سرية الى العراق ففتح الله علينا العراق وبلاد فارس فاصبنا
فيها من بياض فارس وخراسان فحملناه معنا واكتسينا منها فلما قدمنا على عمر رضي الله عنه
أعرض عنا بوجهه وجعل لا يكلمنا فاشتد ذلك علينا فشكونا الى ابنه عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما فقال ان عمر زاهد في الدنيا وقد رأى عليكم لباسا لم يلبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا الخليفة من بعده فأتينا منازلنا فنزعنا ما كان علينا وأتيناه في البرد الذي يعهدها منا فقام
فسلم علينا رجلا رجلا واعتنقنا رجلا رجلا حتى كأنه لم يرنا قبل فقدمنا اليه الغنائم فقسمها
بيننا بالسوية فعرض في الغنائم شئ من انواع الخبيص من اصفر وأحمر فذاقه عمر فوجده
طيب الطعم والريح فأقبل علينا بوجهه وقال يا معشر المهاجرين والانصار ليقتلن منكم الابن أباه
والأخ أخاه على هذا الطعام ثم أمر به فحمل الى اولاد من قتل من المسلمين بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ثم ان عمر قام وانصرف ولم يأخذ لنفسه شيأ
من تلك الغنائم وعن الاحنف ايضا قال لما فتح العراق وحملت الى عمر خزائن كسرى قال له
صاحب بيت المال ألا ندخله بيت المال قال لا والله لا تأوي تحت سقف حتى أقسمه فبسط الانطاع
في المسجد وكشفوا عن الاموال فرأى شيأ عظيما من الذهب والجوهر فقال ان الذي أدى

رب جميع المخلوقات فأفهم ذلك انه من التوسل المشروع وفى بعد
ذكر كثير من الاخيار
اللهم انا نتوسل اليك
بهم فانهم أحبوك
وما أحبوك حتى أحببتهم
فبحبك اياهم وصلوا الى
حبك ونحن لم نصل الى
حبهم فيك فتمم لنا ذلك
مع العافية الكاملة الشاملة
حتى نلقاك يا أرحم الراحمين
(ذكر دعاء تنوير البصر)
ولبعض العارفين دعاء
مشتمل على قوله اللهم
رب الكعبة وبانيها وفاطمة
وأبيها وبعلها وبنيها نور
بصري وبصيرتي وسري
وسريرتي وقد جرب هذا
الدعاء لتنوير البصر وان
من ذكره عند الاكتحال
نور الله بصره وذلك من
الاسباب العادية وهي
لا تأثير لها والمؤثر هو الله
وحده لا شريك له فكما ان
الله تعالى جعل الطعام
والشراب سببين للشبع
والري لا تأثير لهما والمؤثر
هو الله تعالى وجعل
الطاعة سببا للسعادة ونيل
الدرجات جعل أيضا
التوسل بالاخيار الذين
عظمهم الله وأمر بتعظيمهم
سببا لقضاء الحاجات فليس
في ذلك كفر ولا اشراك
ومن تتبع اذكار السلف
والخلف وأدعيتهم
وأورادهم وجدها كلها
مشتملة على التوسل ولم ينكر ذلك أحد عليهم حتى جاء هؤلاء المنكرون ولو تتبعنا ما وقع من أكابر الامة من

(هذا)

هذا الامين فقالوا انت أمين الله وهم يؤدون اليك ماأديت الى الله تعالى فقسمه ولم يأخذ منه شيأ وفي صحيح البخاري قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا المال خضرة حلوة وقال الله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية وقال عمر رضي الله عنه اللهم انا لانستطيع الا ان نفرح بما زينته لنا اللهم اني اسألك ان أنفقه في حقه وفي رواية للدار قطني لما فتح العراق وجاء الى عمر خزائن كسرى وأمواله بكى وقرأ زين للناس الآية ثم قال اللهم انا لانستطيع الا أن نفرح بما زينته لنا فقني شره وارزقني ان انفقه في حقه وقسم تلك الاموال فما قام حتى مابقي منها شيء وكان رضي الله عنه لما جاءت تلك الاموال يبكي ويقول ان الله زوى الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه وفتحها لي فأخاف ان اكون مستدرجا وفي رواية رواها الشافعي رضي الله عنه لما قدم على عمر رضي الله عنه ما اصيب من مال العراق قال له صاحب بيت المال أدخله في بيت المال فقال لا ورب الكعبة لايأوي تحت سقف بيت حتى أقسمه فأمر به فوضع في المسجد ووضعت عليه الانطاع وحرسه رجال من المهاجرين والانصار فلما اصبح غدا ومعه العباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف فلما كشفوا الانطاع من الاموال رأى منظرا لم ير مثله من الذهب والياقوت والزبرجد واللؤلؤ يتلالى فبكى عمر فقال له احدهما انه والله ما هو بيوم بكاء ولكنه يوم شكر وسرور فقال والله ماذهبت حيث ذهبت ولكنه والله ما كثر هذا في قوم قط الا وقع بأسهم بينهم ثم أقبل على القبلة ورفع يديه الى السماء وقال اللهم اني اعوذ بك ان اكون مستدرجا فاني اسمعك تقول سنستدرجهم من حيث لايعلمون ثم قسم ذلك المال ولم يأخذ لنفسه منه شيأ رضي الله عنه وكان من جملة ماغنمه المسلمون بالعراق بساط كسرى ويقال له بهار كسرى والقطيف وهو بساط واحد طوله ستون ذراعا وعرضه ستون ذراعا كانت الاكاسرة ملوك فارس تعده للشتاء اذا ذهبت الرياحين شربوا عليه فكأنهم في رياض فيه طرق كالصور وفيه فصوص كالانهار ارضها مذهبة وخلاف ذلك فصوص كالدر وفي حافاته كالارض المزروعة والارض المبقلة بالنبات في الربيع والورق من الحرير على قضبان الذهب وزهره الذهب والفضة وثمره الجوهر وأشباه ذلك وكانت العرب تسميه القطيف فلما قسم سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه الغنائم بين الغانمين أراد ان يخرج خمس القطيف لبيت المال ويقسم اربعة اخماسه على الغانمين فلم تعتدل قسمته فقال للمسلمين هل تطيب انفسكم على اربعة اخماسه فنبعث به الى امير المؤمنين يضعه حيث شاء فانا لانراه يقسم وهو بيننا قليل وهو يقع من أهل المدينة موقعا فقالوا نعم فبعثه الى عمر رضي الله عنه فلما قدموا بالقطيف مع خمس الغنائم قال عمر رضي الله عنه بعد ان قسم الاموال أشيروا علي في هذا القطيف فمن مشير بقبضه وابقائه في بيت المال وآخر مفوض اليه فقال له علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يجعل الله علمك جهلا ويقينك شكا انه ليس لك من الدنيا الا ما أعطيت فأمضيت او لبست فأبليت او اكلت فأفنيت انك ان تبقه عن هذا اليوم لم تعدم في غد من يستحق به ماليس له فقال صدقتني ونصحتني فقطعه وقسمه بينهم قال في السيرة الحلبية فأصاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه قطعة منه فباعها بعشرين الف دينار ولم يأخذ عمر رضي الله عنه من ذلك

التوسل لامتلأت بذلك الصحف وفيما ذكر كفاية وانما أطلت الكلام في ذلك ليتضح الأمر للمتشكك فيه غاية الاتضاح لان كثيرا من أتباع محمد بن عبد الوهاب يلقون الى كثير من الناس شبهات يستميلونهم بها الى اعتقادهم الباطل فعسى أن يقف على هذه النصوص من أراد الله حفظه من قبول شبهاتهم فلا يلتفت اليها ويقيم عليهم الحجة في ابطالها قال في الجوهر المنظم ولافرق في التوسل بين ان يكون بلفظ التوسل أو التشفع أو الاستغاثة أو التوجه لان التوجه من الجاه وهو علو المنزلة وقد يتوسل بذي الجاه الى من هو أعلى منه جاها والاستغاثة طلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث من غيره وان كان أعلى منه فالتوجه والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وبغيره ليس لهما معنى في قلوب المسلمين غير ذلك ولا يقصد بهما أحد منهم سواه فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه نسأل الله العافية والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى وأما النبي صلى الله عليه وسلم فهو واسطة بينه وبين المستغيث فهو سبحانه وتعالى مستغاث به حقيقة والغوث منه خلقا وايجادا والنبي صلى الله عليه وسلم مستغاث به مجازا والغوث منه تسببا

لنفسه شيأ ولما فرض للمهاجرين الاولين العطا فرض لابنه عبدالله ثلاثة آلاف وكان من المهاجرين الاولين فقيل له انك فرضت للمهاجرين الاولين أربعة آلاف فلم نقصته من أربعة آلاف فقال انما هاجر به ابوه فليس هو كمن هاجر بنفسه وقسم مرة مالا فاعطى الحسن والحسين رضى الله عنهما الفا الفا واعطى ابنه عبدالله خمسمائة فقيل له يا أمير المؤمنين ان ابنك عبدالله كان يضرب بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين طفلان يدرجان في سكك المدينة تعطيهما الفا الفا وتعطيه خمسمائة فقال اذهب فأتني بأب كأبيهما وأم كأمهما وجد كجدهما وجدة كجدتهما وعم كعمهما وخال كخالهما وخالة كخالتهما فانك لاتأتي به اما ابوهما فعلي رضى الله عنه وأما أمهما ففاطمة الزهراء واما جدهما فمحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم واما جدتهما فخديجة الكبرى واما عمهما فجعفر بن ابي طالب وأما خالهما فابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم واما خالتهما فرقية وأم كلثوم بنتا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت صلته لاقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من غيرهم قال الزهري كان عمر رضى الله عنه اذا أتاه مال من العراق أوغيره لم يدع رجلا عزبا من بني هاشم الا زوجه ولارجلا منهم ليس له خادم الا أخدمه وعن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن ابي طالب رضى الله عنهم قال قدمت على عمر حلل من اليمن فقسمها بين المهاجرين والانصار ولم يكن فيها على قدر الحسن والحسين رضى الله عنهما فكتب الى صاحب اليمن ان يعمل حلتين على قدرهما ففعل وبعث بهما على عمر فالبسهما ولما دون الدواوين وفرض العطا بدأ ببني هاشم وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال اشتريت ابلا وارتجعتها الى الحما فلما سمنت قدمت بها قال فدخل عمر السوق فرأى ابلا سمانا فقال لمن هذه فقيل لعبدالله بن عمر فجعل يقول بخ بخ ياعبدالله ابن أمير المؤمنين قال فجئته أسعى فقلت مالك يا أمير المؤمنين قال ماهذه الابل فقلت ابل انضاء يعني مهازيل اشتريتها وبعثت بها الى الحما ابتغي مايبتغي المسلمون فقال أرعوا ابل ابن أمير المؤمنين اسقوا ابل ابن أمير المؤمنين ياعبدالله اغد على رأس مالك واتني بباقيه اجعله في بيت مال المسلمين ففعلت ذلك وفي رواية انما اخذ شطر الربح وجعله في بيت المال فكأنه غرمه شطر الربح وجعله بالاجتهاد قيمة للكلاء الذي للمسلمين وذكر بعضهم ان تلك الابل كانت لعبدالله واخيه عبيدالله شركة واخذ مرة ابناه عبدالله وعبيدالله مالا من ابي موسى حين ولايته بالعراق ليوصلوه الى عمر بالمدينة فاستأذنا اباموسى ان يتجرا في المال على سبيل القراض ويشتريا به شيأ يبيعانه في المدينة فأذن لهما فاخذ عمر رضى الله عنه ربح مال القراض وادخله بيت المال وقال لهما انما اعطيتما لكونكما ابني اى انما كان اعطاؤهما المال والاذن لهما في التجارة فيه لاجل انهما ابنا امير المؤمنين وعن قتادة قال بعث عمر رضى الله عنه رسولا الى ملك الروم فاستقرضت ام كلثوم بنت علي رضى الله عنهما وكانت امرأة عمر دينارا فاشترت به عطرا وجعلته في قارورة وبعث به مع الرسول الى امرأة ملك الروم فلما اتاها بعثت لها شيأ من الجواهر وقالت للرسول اذهب به الى امرأة عمر فلما أتاها افرغته على البساط فدخل عمر فقال ما هذا فاخبرته فأخذ الجواهر وخرج بها الى المسجد ونادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس اخبرهم الخبر وأراهم

تسببا وكسبا ولكن الله رمى خلقا وايجادا وكذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقوله صلى الله عليه وسلم ماأنا حملتكم ولكن الله حملكم وكثير اماتجيء السنة لبيان الحقيقة وتجيء القرآن الكريم باضافة الفعل الى مكتسبه ويسند اليه مجازا كقوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله مع قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فالآية بيان للسبب العادي الذي لاتأثير له والحديث بيان للسبب الحقيقي وهو فضل الله تعالى وبالجملة فاطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث باعتبار الكسب أمر معلوم لاشك فيه لغة ولا شرعا فاذا قلت أغثني ياالله تريد الاسناد الحقيقي باعتبار الخلق والايجاد واذا قلت أغثني يارسول الله تريد الاسناد المجازي باعتبار الكسب والتوسط والتسبب بالشفاعة ولو تتبعت كلام العلماء والائمة لوجدت شيأ كثيرا من ذلك ومنه مامر في صحيح البخاري في بحث الحشر ووقوف الناس للحساب يوم القيامة بثغاهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فتأمل تعبيره صلى الله

الجواهر وقال ماترون فى ذلك فقالوا انا نراها تستحق ذلك لانه هدية جاء تها من امرأة لاجزية ولاخراج عليها ولايتعلق بها حكم من احكام الرجال فقال لكن لزوجة زوجة أمير المؤمنين والرسول رسول أمير المؤمنين والراحلة التى ركبها المؤمنين وماجه ذلك كله لولا المؤمنون فأرى ان ذلك لبيت مال المسلمين ونعطيها رأس مالها فباع الجواهر ودفع لزوجته دينارا وجعل مابقى فى بيت مال المسلمين ويروى ان امرأة أبى عبيدة ارسلت الى امرأة ملك الروم هدية مثل تلك الهدية فكافأتها بجوهر فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فأخذه فباعه واعطاها ثمن هديتها ورد باقيه الى بيت مال المسلمين واتى عمر مرة بمسك فامر ان يقسم بين المسلمين ثم سد أنفه فقيل له فى ذلك فقال وهل ينتفع الا بريحه ودخل يوما على زوجته فوجد معها ريح مسك فقال ماهذا قالت انى بعت من مسك فى بيت مال المسلمين ووزنت بيدى فلما وزنت مسحت اصبعى فى متاعى هذا فقال ناولينى متاعك فأخذه فصب عليه الماء فلم يذهب فجعل يدلكه فى التراب ويصب عليه الماء حتى ذهب ريحه وعن سفيان ابن عيينة ان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه بعد ان فتح العراق وهو على الكوفة كتب الى عمر رضى الله عنه يستأذن فى بناء منزل يسكنه فكتب اليه ابن مايسترك من الشمس ويكنك من الغيث وعن أبى عثمان النهدى قال كتب عمر الينا ونحن باذربيجان مع عتبة ابن فرقد يقول ياعتبة انه ليس من كدك ولا من كد أبيك فأشبع المسلمين فى رحالهم مما تشبع منه فى رحلك واياكم والتنعم وزى اهل الشرك ولبوس الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبوس الحرير واخرج ابن السماك عن أبى جعفر محمد الباقر رضى الله عنه قال بينما عمر رضى الله عنه يمشى فى طريق من طرق المدينة اذلقيه على والحسن والحسين رضى الله عنهم فسلم عليه على رضى الله عنه واخذ بيده واكتنفهما الحسن والحسين عن يمينهما وشمالهما فعرض لعمر رضى الله عنه من البكاء ما كان يعرض له فقال له على رضى الله عنه مايبكيك ياأمير المؤمنين فقال عمر رضى الله عنه من أحق منى بالبكاء ياعلى وقد وليت أمر هذه الامة أحكم فيها ولاأدرى امسىء أنا أم محسن فقال له على والله انك لتعدل فى كذا وتعدل فى كذا فامنعه ذلك من البكاء ثم تكلم الحسن بماشاء الله فذكر من ولايته وعدله فلم يمنعه ذلك فتكلم الحسين مثل كلام الحسن فانقطع بكاؤه ثم قال أتشهدان لى بذلك يعنى العدل فقال على رضى الله عنه اشهدا وانا معكما شهيد وعن الشعبى ان على بن ابى طالب رضى الله عنه قال لأهل نجران ان عمر كان سيد الامة ولن أغير شيأ صنعه وعنه أيضا ان عليا رضى الله عنه لما دخل الكوفة قال ما كنت أحل عقدة شدها عمر وعن الحسن بن على رضى الله عنهما قال لااعلم ان عليا خالف عمر ولاغير شيأ مما صنعه وعن زيد بن على بن الحسين رضى الله عنهم ان عليا رضى الله عنه كان يشبه بعمر فى السيرة وعن ابى اسحاق عمن حدثه انه كان جليسا لعلى رضى الله عنه فبكى بكاء شديدا فقيل له مايبكيك ياامير المؤمنين قال ذكرت اخى عمر وهذا البرد على كسانيه خليلى وصفى وصديقى وصاحبى عمر بن الخطاب وقل مرة ان عمر ناصح نبيه صلى الله عليه وسلم فنصحه الله ثم بكى وكان على رضى الله عنه يقول اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر وكان على رضى الله عنه يقول لايبلغنى ان احد افضلنى على عمر

صلى الله عليه وسلم لمن أرادعونا أن يقول ياعباد الله أعينونى وفى رواية أغيثونى وجاء فى قصة قارون لما خسف به أنه استغاث بموسى عليه السلام فلم يغثه وصار يقول ياأرض خذيه فعاتبه الله تعالى حيث لم يغثه وقال له استغاث بك فلم تغثه ولو استغاث بى لاغثته فاسناد الاغاثة الى الله تعالى اسناد حقيقى والى موسى عليه السلام مجازى وقد يكون معنى التوسل به صلى الله عليه وسلم طلب الدعاء منه اذهو حى صلى الله عليه وسلم يعلم سؤال من يسأله وقد تقدم حديث بلال بن الحرث رضى الله عنه المذكور فيه انه جاء الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله استسق لامتك أى ادع الله لهم فعلم انه صلى الله عليه وسلم يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما كان يطلب منه فى حياته لعلمه بسؤال من يسأله مع قدرته على التسبب فى حصول ماسئل فيه بسؤاله ودعائه وشفاعته الى ربه عزوجل وانه صلى الله عليه وسلم يتوسل به فى كل

 خير قبل بروزه لهذا العالم وبعده فى حياته وبعد وفاته وكذا فى عرصات

صلى الله عليه وسلم له الجاه الوسيع والقدر المنيع عند سيده ومولاه المنعم عليه بما حباه وأولاه وأما تخيل بعض المحرومين ان منع التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد وان فعل ذلك مما يؤدي الى الشرك فهو تخيل فاسد باطل فالتوسل والزيارة اذا فعل كل منهما مع المحافظة على آداب الشريعة الغراء لا يؤدي الى محذور البتة والقائل بمنع ذلك سدا للذريعة متقول على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وكأن هؤلاء المانعين للتوسل والزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم فحيثما صدر من أحد تعظيم له صلى الله عليه وسلم حكموا على فاعله بالكفر والاشراك وليس الامر كما يقولون فان الله تعالى عظم النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم بأعلى أنواع التعظيم فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه نعم يجب علينا أن لا نصفه بشيء من صفات الربوبية ورحم الله الشيخ الابوصيري حيث قال

الاجلدته حد المفتري وخطب مرة علي رضي الله عنه خطبة طويلة وقال فيها وان الله تعالى صير الامر الى عمر في المسلمين فنهم من رضي ومنهم من سخط فكنت ممن رضي فوالله ما فارق الدنيا حتى رضي به من سخط فأعز الله باسلامه الاسلام وجعله للدين قواما وضرب الله الحق على لسانه حتى ظننا ان ملكا ينطق على لسانه وقذف الله في قلوب المؤمنين الحب له وفي قلوب المنافقين الرهبة منه سيرته سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن لكم مثله وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما توفي عمر وسجي رضي الله عنه وقف عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال ماعلى الارض رجل احب الي ان ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى زاد في رواية لابن السماك ثم بكى علي رضي الله عنه حتى اخضلت لحيته بالدموع وفي رواية أخرى ان عليا رضي الله عنه قال رحمك الله يا ابن الخطاب ان كنت لآيات الله لعالما وان كان الله في صدرك لعظيما وان كنت لتخشى الله ولا تخشى الناس في الله جوادا بالحق بخيلا بالباطل خميصا من الدنيا بطينا من الآخرة وعن اوس بن حكيم قال رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين موت عمر رضي الله عنه قد نكس رأسه ثم رفعه فقال واعمراه يا نقي الثوب قليل العيب واعمراه ذهب بالسنة وابقى الفتنة اصاب والله ابن الخطاب خيرها وانتحى شرها وروى ان ملك الموت لما دخل دار عمر ليقبض روحه سمعه عمر وهو يقول هذا بيت امير المؤمنين ليس فيه شيء كأنه القبر فأجابه عمر وقال يا ملك الموت من تكون انت خلفه هكذا يكون بيته واخرج أبو يعلى عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل آنفا فقلت يا جبريل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر منذ لبث نوح في قومه ما نفدت فضائل عمر وان عمر حسنة من حسنات ابي بكر رضي الله عنهما وربما ان العقول القاصرة تستبعد كثرة هذه الفضائل لعمر رضي الله عنه لكن من كان ذا بصيرة وامعن فكره فيما خص الله به عمر من الفضائل في نفسه وفيما أجراه الله على يديه وما حصل للاسلام وأهله بسببه من كونه أعز الله به الاسلام في ابتدائه ومن كثرة الفتوحات التي فتحها الله على يده حتى كثر العلم واتسع الاسلام وكثر المسلمون يتضح له أن كل خير وقع لأهل الاسلام منذ خلافة عمر رضي الله عنه الى يوم القيامة كله من فضائل عمر رضي الله عنه ومن حسناته ويكتب الله له مثل أجورهم وذلك كثير لا يمكن ضبطه ولا احصاؤه ولو مكث العبد منذ لبث نوح في قومه وأخرج عبد الله ابن الامام أحمد في زوائد المسند عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لأرجو لأمتي في حبهم لأبي بكر وعمر ما أرجو لهم في قول لا اله الا الله واخرج ابوذر الهروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان وهذا مثل ماقاله صلى الله عليه وسلم في حق علي رضي الله عنه حيث قال وأدر الحق معه حيث دار فكل من عمر وعلي رضي الله عنهما كان مع الحق ولهذا كان علي رضي الله عنه مع الخلفاء الثلاثة قبله في زمن خلافتهم ولم ينازع أحدا منهم لعلمه بأنهم كانوا مع الحق فكان هو معهم فلما جاءت نوبة خلافته رضي الله عنه ونوزع في ذلك قاتل من نازعه فلا يصح ان ينسب اليه ان سكوته في زمن خلافة الخلفاء الثلاثة كان تقية حاشاه الله من المحابات

دع ما ادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم فليس في تعظيمه بغير صفات (في)

في دين الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم قال المسعودي في تاريخه المسمى مروج الذهب في صفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان متواضعا خشن الملبس شديدا في ذات الله واتبعه عماله في سائر أفعاله وشيمه وأخلاقه كل منهم يتشبه به ممن غاب أوحضر وكان يلبس الجبة الصوف المرقعة بالادم ويشتمل بالعباء ويحمل القربة على كتفه مع هيبة قد رزقها وكان اكثر ركابه الابل ورحله مشدودة بالليف وكذلك عماله مع مافتح الله عليه من البلاد وأوسعهم من الأموال وكان من عماله على حمص سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي فلما قدم عمر الشام شكا أهل حمص اليه وسألوه عزله فقال عمر اللهم لاتضيع فراستي فيه ماذا تشكون منه قالوا لايخرج الينا حتى يرتفع النهار ولايجيب أحدا بليل وله يوم في الشهر لايخرج الينا فقال عمر علي به فلما جمع بينهم وبينه قال ماذا تنقمون منه قالوا لايخرج الينا حتى يرتفع النهار فقال ماتقول ياسعيد قال ياأمير المؤمنين انه ليس لأهلي خادم فأعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ واخرج اليهم قال وماذا تنقمون منه قالوا لايجيب بليل قال ماتقول ياسعيد قال قد كنت أكره أن أذكر هذا اني قد جعلت الليل كله لربي وجعلت النهار لهم قال وما ذا تنقمون منه قالوا له يوم في الشهر لايخرج الينا قال نعم ليس لي خادم فاغسل ثوبي ثم أجففه فأمسي فقال عمر الحمد لله الذي لم يضيع فراستي فيك ثم قال عمر ياأهل حمص ماتقولون فقالوا ما نريد غيره فأبقه لنا ياأمير المؤمنين فقال استوصوا به خيرا ثم بعث اليه عمر بالف دينار وقال استعن بها فقالت امرأته قد أغنانا الله عن خدمتك فقال لها الا ندفعها الى من يأتينا بها أحوج ماكنا اليه يعني يوم القيامة قالت بلى فصرها صررا ثم دفعها الى من يثق به وقال انطلق بهذه الى فلان وبهذه الى فلان يتيم آل فلان مسكين آل فلان حتى بقي منها شئ يسير فدفعه الى امرأته فقال انفق هذه وعاد الى خدمته فقالت له امرأته الا تبعث بذلك المال فتشتري لنا منه خادما فقال سيأتيك احوج ماتكونين اليه يعني يوم القيامة وذكر بعضهم هذه القصة وزاد فيها فقال وأرسل عمر رضي الله عنه الى سعيد بن عامر الف دينار فجاء الى اهله حزينا كئيبا فقالت امرأته أحدث امر قال أشد من ذلك ثم قال اريني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج وروى بعضهم هذه القصة فقال لمابعث عمر رضي الله عنه سعيد بن عامر واليا على حمص اشتدت فاقته حتى تحدث الناس بفقره فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فأرسل اليه بأربعمائة دينار وكتب اليه يعزم عليه لينفقها على نفسه وأهله فلماقرأ الكتاب اهتم هما شديدا حتى تبين عليه فقالت امرأته نفسي فداك مالي أراك مهتما ابلغك موت أمير المؤمنين قال أعظم من ذلك قالت أبلغك عن ثغور المسلمين شئ فقال أعظم من ذلك قالت وماهو قال ابتليت بالدنيا وقد كنت صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أبتل بها وصحبت ابا بكر فلم أبتل بها وابتليت بها في صحبة عمر ألا فشر أيامي أيام عمر قالت وما ذاك بأبي انت وأمي قال اني أخافك قالت اياي تعني قال نعم قالت فأنت آمن من هذا فقال فان أمير المؤمنين أرسل الي بأربعمائة دينار وعزم علي ان أنفقها علي وعليك واني سمعت رسول الله

تعالى كالانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين قال الله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب وقال تعالى ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ومن ذلك الكعبة المعظمة والحجر الاسود ومقام ابراهيم عليه السلام فانها أحجار وامرنا الله تعالى بتعظيمها بالطواف بالبيت ومس الركن اليماني وتقبيل الحجر الاسود وبالصلاة خلف المقام وبالوقوف للدعاء عند المستجار وباب الكعبة والملتزم ونحن في ذلك كله لم نعبد الا الله تعالى ولم نعتقد تأثيرا لغيره ولانفعا ولاضرا فلايثبت شئ من ذلك لاحد سوى الله تعالى والحاصل ان هنا أمرين أحدهما وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ورفع رتبته عن سائر الخلق والثاني افراد الربوبية واعتقاد ان الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه فمن اعتقد في مخلوق مشاركة الباري سبحانه وتعالى في شئ من ذلك فقد

أشرك كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الالوهية للاصنام واستحقاقها العبادة ومن قصر بالرسول صلى الله عليه وسلم عن شئ من

صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بأربعين خريفا والله ما احب ان لى بها حمر النعم وانى احبس عن الفوج الأول قالت فدونكها فاصنع بها ماشئت فقال هل من خرق فأعطته درعا لها خلقا فزقه خرقا ثم صرفيه ما بين اربعة الى عشرة ثم طرحها فى مخلاة ثم خرج الى باب الرستاق من حمص فجعل يعطى الناس صرة صرة حتى بقيت صرة فى المخلاة فدفعها والمخلاة الى رجل ثم رجع فذهب عنه ماقام به واستراح وذكر الحافظ أبو نعيم فى الحلية هذه القصة فقال مانصه قال خالد بن معدان استعمل علينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى فلما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه حمص قال يا اهل حمص كيف وجدتم عاملكم فشكوا اليه وكان يقال لاهل حمص الكوفة الصغرى لشكايتهم العمال قالوا نشكوا أربعا لايخرج الينا حتى يتعالى النهار قال أعظم بها قال وماذا قالوا لايجيب احدا بليل قال وعظيمة قال وماذا قالوا له يوم من الشهر لايخرج فيه الينا قال وعظيمة قال وماذا قالوا يغط الغطة بين الايام حتى تأخذه موتة يعنون انه يغشى عليه قال فجمع عمر بينهم وبينه وقال اللهم لايفل فيه رأيى اليوم ماتشكون منه قالوا لايخرج الينا حتى يتعالى النهار قال سعيد والله انى كنت لأكره ذكره ليس لأهلى خادم فأعجن عجينى فأجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ ثم اخرج اليهم فقال ماتشكون منه ايضا قالوا لايجيب احدا بالليل فقال ان كنت لأكره ذكره انى جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل قال وماتشكون ايضا قالوا ان له يوما من الشهر لايخرج الينا فيه فقال ليس لى خادم يغسل ثيابى ولا لى ثياب أبدلها فأغسل ثيابى وأجلس حتى تجف فألبسها ثم أخرج اليهم آخر النهار قال وماتشكون منه أيضا قالوا يغط الغطة بين الأيام فقال شهدت مصرع خبيب الأنصارى حين قبضت عليه قريش بمكة وقد بضعت اى قطعت قريش لحمه ثم صلبوه على جذع ثم قالوا ألا تحب ان محمدا مكانك فقال والله ما أحب انى فى اهلى وان محمدا يشاك بشوكة ثم نادى يا محمد فاذكرت ذلك اليوم وتركى نصرته وهو فى تلك الحالة وانا مشرك لاأومن بالله العظيم الاظننت ان الله لايغفرلى بذلك الذنب أبدا قال فتصيبنى تلك الغطة فقال عمر الحمدلله الذى لم يفل رأى فيك فبعث اليه بألف دينار وقال استعن بها على فقرك فقالت امرأته الحمدلله الذى اغنانا عن خدمتك فقال لها فهل لك من خير من ذلك ندفعها الى من يأتينا بها احوج ماتكون اليها قالت نعم فدعا رجلا من أهله يثق به فصرها صررا شديدا ثم قال انطلق بهذه الى ارملة آل فلان والى يتيم آل فلان والى مسكين آل فلان والى مبتلى آل فلان فبقيت منه ذهبة فقال انفق هذه ثم عاد الى عمله فقالت الاتشترى لنا خادما قال سيأتيك احوج ماتكونين اليه والظاهر ان القصة واحدة والاختلاف من تصرف الرواة الذين رووا القصة بالمعنى وروى ايضا ان عمر بن الخطاب كتب الى أهل حمص اكتبوا لى فقرائكم فكتبوا له أسماء الفقراء وكتبوا اله عمير بن سعيد ولعله ابنه كان اميرا بعده قال عمر لما قرأ اسمه قال من عمير بن سعيد قالوا اميرنا قال او فقير هو قالوا ليس اهل بيت افقر منه قال اين عطاؤه قالوا يخرجه كله لايمسك منه شيأ قال فوجه اليه بمائة دينار فأخرجها كلها فقالت امرأته لو كنت حبست لنا منها دينارا واحدا فقال لو ذكرتنى فعلت ذكر هذه الحكاية ابو طالب المكى فى القوت ونسبها لعمير بن سعيد وكتب لسعيد بن عامر عمر مرة يطلب قدومه الى المدينة فلم يرمه الا

مرتبته فقد عصى أو كفر وأما من بالغ فى تعظيمه بأنواع التعظيم ✻ ✻ ولم يصفه بشىء من صفات البارى عز وجل فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعا وذلك هو القول الذى لاافراط فيه ولا تفريط واذا وجد فى كلام المؤمنين اسناد شىء لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلى ولا سبيل الى تكفيرهم اذ المجاز العقلى مستعمل فى الكتاب والسنة فمن ذلك قوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فاسناد الزيادة الى الآيات مجاز عقلى لانها سبب فى الزيادة والذى يزيد حقيقة هو الله تعالى وحده وقوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا فاسناد الجعل الى اليوم مجاز عقلى لان اليوم محل لجعلهم شيبا فالجعل المذكور واقع فى اليوم والجاعل حقيقة هو الله تعالى وقوله تعالى *ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا فاسناد الاضلال الى الاصنام مجاز عقلى لانها سبب فى حصول الاضلال والهادى والمضل هو الله تعالى وحده وقوله تعالى حكاية عن فرعون ياهامان ابن لى صرحا فاسناد البناء الى هامان مجاز عقلى لانه سبب آمر فهو يأمر ولا يبنى بنفسه والبانى انما هم الفعلة وأما الاحاديث ففيها شىء كثير يعرفه من وقف عليها وكان (حكاذا)

عكازا وقدحا فقال له عمر ليس معك الاما أرى فقال له سعيد بن عامر وما أكثر من هذا عكاز أحمل عليه زادى وقدح آكل فيه وأشرب به وعبارة الاحياء فى هذه القصة نسبها لابنه عمير فقال ولما قدم عمير بن سعيد امير حمص على عمر رضى الله عنهما قال له ما معك من الدنيا فقال معى عصاى أتوكأ عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعى جرابى احمل فيه طعامى ومعى قصعتى آكل فيها واغسل فيها رأسى وثوبى ومعى مطهرتى احمل فيها شرابى وطهورى للصلاة وما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معى فقال عمر رضى الله عنه صدقت رحمك الله فهكذا كان الامراء فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنهم وأنفق بعض عمال عمر رضى الله عنه عنده عشرة دراهم لاتخاذ بيت خلاء لقضاء حاجته واخذها من بيت المال فعزله من امارته وقال أما وجدت موضعا تقضى فيه الحاجة حتى اخذت عشرة دراهم من بيت المال اتخذت بها بيت خلاء لقضاء حاجتك وكان رضى الله عنه اذا استعمل عاملا كتب ماله ليعلم بعد ذلك ما يكون عنده من المال وكان يأمر عماله بعد مضى مدة من اماراتهم يكتبون اموالهم فيأخذ شطرا من اموالهم ويدخله فى بيت المال احتياطا لهم وبراءة لذمتهم وكانوا يرضون بذلك ويرون المنة له عليهم وقال بعض العلماء أن عمر رضى الله عنه رأى ان كل ذلك لايستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافيا على حق عملهم وقدره بالشطر اجتهادا ومن عماله على المدائن سلمان الفارسى رضى الله عنه دخل عليه رجل وهو يعجن فقال ماهذا يا اباعبدالله فقال بعثنا الخادم فى شغل فكرهنا ان نجمع له عملين وكان يلبس الصوف ويركب الحمار بغير اكاف ويأكل خبز الشعير وكان ناسكا زاهدا فلما احتضر جعل يبكى ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فى الآخرة عقبة لايقطعها الا المخفون وأرى هذه الاساودة حولى فنظروا فلم يجدوا فى البيت الا اداوة ومطهرة وركوة ومن عماله رضى الله عنه ابو عبيدة بن الجراح كان أميرا على الشام وعلى جميع الاجناد وأمراء ها كان يلبس الصوف الجمانى ويأكل الخشن من الطعام فعير على ذلك وقيل له انت بالشام وحولنا الاعداء فغير من زيك واصلح من شارتك فقال ما كنت بالذى اترك ما كنت عليه فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فى منزله بالشام فلم يجد فيه غير سرج فرسه ورحل بعيره وسيفه ورمحه وركوة ومطهرة فقال له عمر أين متاعك يا ابا عبيدة لا أرى الالبدا أوشنا او صحفة وأنت امير الشام أعندك طعام فقام ابو عبيدة الى جونة فأخرج منها كسرات فبكى عمر رضى الله عنه فقال ابو عبيدة رضى الله عنه يا امير المؤمنين يكفى من الدنيا مابلغ المقيل فاحتقر عمر نفسه فى الزهد بالنسبة لابى عبيدة فقال غرتنا بعدك الدنيا يا ابا عبيدة وروى ان عمر رضى الله عنه صر اربعمائة دينار وقال للغلام اذهب بها الى ابى عبيدة ثم تلكأ فى البيت ساعة فقال ابو عبيدة يا جارية اذهبى بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى أنفذها ورجع الغلام الى عمر فأخبره ووجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل ففعل مثل ابى عبيدة الى ان بقى ديناران فقالت امرأة معاذ ونحن والله مساكين فأعطنا فرمى بهما اليها فرجع الغلام فاخبر عمر بذلك فقال هما اخوة بعضهم من بعض ووقف اعرابى على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال

ياعمر الخير جزيت الجنه ❊ يوم تكون الاعطيات ثنه

ذلك الاسناد من موحد كاف فى جعله اسنادا مجازيا لان الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد ان الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده فهو الخالق للعباد وأفعالهم لاتأثير لاحد سواه لالحى ولا لميت فهذا الاعتقاد هو التوحيد المحض بخلاف من اعتقد غير هذا فانه يقع فى الاشراك وأما الفرق بين الحى والميت مع اعتقاد ان الحى يخلق أفعال نفسه فهو اعتقاد المعتزلة فلو كان هؤلاء الذين يريدون المحافظة على التوحيد باعتبار زعمهم وأن مرادهم منع الالفاظ الموهمة وسد الذريعة يقتصرون على العامة عن الالفاظ الموهمة تأثير غير الله تعالى تأدبا ومع هذا فاذا صدرت منهم تحمل على المجاز العقلى ويجيزون لهم التوسل مع المحافظة على الادب لكان لكلامهم وجه وأما المنع منه بالكلية فهو مصادم للاحاديث الصحيحة ولفعل السلف والخلف فعليك باتباع الجمهور والسواد الاعظم قال الله تعالى *ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله

جهنم وساءت مصيرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواد الاعظم فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية وقال

* والواقف المسؤل بينهنه ❊ اما الى نار واما الى جنه *

فبكى عمر رضى الله عنه حتى اخضلت لحيته وقال لغلامه يا غلام أعطه قميصى هذا لذلك اليوم أما والله لا أملك غيره وكان رضى الله عنه يقول فى الخلافة من يأخذها بما فيها وكان يقول رضى الله عنه ليتنى لم أخلق ليت امى لم تلدنى ليتنى لم أك شيأ ليتنى كنت نسيا منسيا وأخذ مرة تبنة من الارض فقال ليتنى كنت هذه وكان يدخل يده فى دبرة البعير ويقول انى أخاف ان أسأل عنك وكان رضى الله عنه يدنى يده من النار ثم يقول يا ابن الخطاب هل لك على هذا من صبر وكان رضى الله عنه كثير البكاء حتى كان بوجهه خطان أسودان من البكاء وكان رضى الله عنه يقول ليتنى كنت كبشا أهلى سمنونى مابدا لهم ثم ذبحونى فأكلونى فأخرجونى عذرة ولم أكن بشرا وكان رضى الله عنه يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه فكان يعاد أياما وكان رضى الله عنه يقول من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع مايريد ولولا يوم القيامة لكان غير ماترون وقرأ مرة اذا الشمس كورت وانتهى الى قوله تعالى واذا الصحف نشرت فخر مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلى ويقرأ سورة والطور فوقف عمر رضى الله عنه يستمع فلما بلغ قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع نزل عن حماره واستند الى حائط ومكث زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون مامرضه ولما طعن رضى الله عنه وايقن بالموت كان يقول ويلى وويل امى ان لم يرحمنى ربى والله انى وددت أن أخرج من الدنيا كفافا لا أجر لى ولا وزر على وقال أيضا لو ان لى ما طلعت عليه الشمس وغربت لافتديت من هول المطلع وخرج عمر رضى الله عنه يوما من المسجد ومعه الجارود العبدى وبينما هما يمشيان اذا بامرأة على ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردت عليه السلام ثم قالت رويدك ياعمر حتى أكلمك كلمات قليلة قال لها قولى قالت ياعمر عهدى بك وانت تسمى عميرا فى سوق عكاظ تصارع الصبيان فلم تذهب الايام حتى تسميت عمر ثم لم تذهب الايام حتى تسميت امير المؤمنين فاتق الله فى الرعية واعلم ان من خاف الموت خشى الفوت فبكى عمر رضى الله عنه فقال الجارود قد اجترأت على امير المؤمنين وأبكيته فقال عمر دعها اماتعرف هذه ياجارود هذه خولى بنت حكيم التى أنزل الله فيها قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله فقد سمع الله قولها فعمر احرى ان يسمع كلامها قال ابن سعد اتخذ عمر رضى الله عنه دارا للدقيق والسويق والتمر والزبيب ومايحتاج اليه لاعانة المنقطع ووضع فيما بين مكة والمدينة بالطريق مايصلح به شأن من انقطع وهدم المسجد النبوى وزاد فيه ووسعه وفرشه بالحصى وكذا وسع مسجد مكة وأخرج اليهود من الحجاز الى الشام وأخرج أهل نجران الى الكوفة وقال أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرجت مع عمر بن الخطاب مرة الى موضع بظاهر المدينة فرأى نارا فقال يا أسلم انظر الى تلك النار هل هو ركب أضر بهم الليل والبرد فقلت لا أعلم ياأمير المؤمنين فقال انطلق بنا اليهم قال فخرجنا نهرول فاذا امرأة معها صغار ولها قدر منصوب على تلك النار وصبيانها يبكون فقال عمر السلام عليكم ياأهل هذا الضوء وكره ان يقول ياأهل هذه النار فقالت المرأة وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ادن بخير أو دع فقال لها مابال هذه الصبية يتضاغون فقالت من الجوع قال فما هذه القدر

(قالت)

صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وقد ذكر العلامة ابن الجوزى فى كتابه المسمى تلبيس ابليس أحاديث كثيرة فى التحذير من مفارقة السواد الاعظم منها حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه خطب فى الجابية فقال من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد وفى حديث عرفجة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يد الله على الجماعة والشيطان مع من يخالف الجماعة وحديث أسامة بن شريك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يد الله على الجماعة فاذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم وحديث معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة القاصية والناحية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة العامة والمسجد وحديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فان الله

قالت ماء جعلته فى القدر أسكتهم به حتى ينـاموا والله بيننا وبين عمر بن الخطاب قال يرحمك الله ومايدرى عمر بكم قالت يتولى أمرنا ثم يتغافل عنا قال أسلم فأقبل على عمر فقـال انطلق بنـا فخرجنا حتى أتينا الى دار الدقيق فأخرجنا عدلا من دقيق وكبـة من شحم فقال احمله على فقلت انا احمله عنك فقـال انت تحمل وزرى لا أم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه اليها وهو يهرول حتى أتينـا اليها فألقى ذلك العـدل عندها ثم أخرج قطعـة من دهن وألقـاها فى القدر وجعل يقول للمرأة ذرى من الدقيـق وأنا أحرك لك فكان يحـرك تارة وينفخ فى النار تارة أخرى قال أسلم فوالله لقد رأيت أمير المؤمنين وهو ينفخ فى النار والدخان يخرج من خلال شعر ذقنه حتى طبخ القدر ثم أنزله بيـده وقال للمرأة أعطنى شيأ فأتته بقصعة أو قال بصحفة فأفرغ الطعام فيهـا وقال لهم كلوا وأنا اسطح لكم ثم توارى عن المرأة وجعل ربض كما يربض الاسد وانا أقول يا أمير المؤمنين ماخلقت لهذا فلم يلتفت الى حتى رأيت الصغار يضحكون ثم قام عمر وهو يضحك ويحمد الله تعالى ثم جعل يده على يدى وقصدنا المدينة وقال لى يا أسلم ان الجوع عدو وقد رأيتهم وهم يبكون فأحببت أن أفارقهم وهم يضحكون وعن الاعمش قال أتى عمر بن الخطاب مرة باثنـين وعشرين الف درهم فلم يقم حتى فرقها بين المسلمين ولم يأخذ منها شيأ وكان اذا أعجبـه شئ من ماله تصدق به وكان كثـيرا مايتصدق بالسكر فقيـل له فى ذلك فقـال انى أحبه وقد قال الله تعـالى لن تنـالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكان رضى الله عنـه يأتى المجزرة ومعه الدرة فكل من رآه يشترى لحما يومين متتابعين يضربه بالدرة ويقول له هلا طويت بطنك لجارك وابن عمك وأبطأ يوما عن الخروج لصلاة الجمعـة ثم خرج فاعتذر للناس وقال انمـا حبسنى عنكم ثوبى هذا كان يغسل وليس عندى غيره وكان ازاره مرقوعا بقطعة من جراب وعدوا مرة فى قيصه أربع عشرة رقعـة احداهـا من أدم احمر وكان رضى الله عنه أبيض اللون يعلوه حمرة واغمـاصار فى لونه سمرة عام الرمادة حين اكثر من اكل الزيت توسعة على الناس ايام الغلاء فترك لهم اللحم والسمن واللبن وكان قد حلف لا يأكل غير الزيت فى تلك الايام حتى يوسع الله على المسلمين ومكث ذلك الغلاء تسعة اشهر وصارت الارض سوداء مثل الرماد وكان يخرج فى تلك الايام يطوف على البيوت ويقول من كان محتـاجا فليأتنـا وكان يقول اللهم لا تجعل هلاك امة محمد صلى الله عليه وسلم على يدى ومن كلامه رضى الله عنه من خاف الله لا يفعـل ما يريدولـو لا يوم القيـامة لكان غير ماترون ومـن كلامه رضى الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحـاسبوا وزنوا انفسـكم قبل ان توزنوا فانه أهون عليـكم من الحساب غدا والذى بعث محمدا بالحـق اوأن جملا هلك ضيـاعا بشط الفرات لخشيت الله يسألنى عنـه ولما طعن رضى الله عنـه دعا بلـبن فشربه فخـرج من طعنته فقال الله أكبر فجعـل جلساؤه يثنـون عليـه فقـال وددت ان اخرج منهـا كفافا كما دخلت فيها لو ان لى اليوم ما طلعت عليه الشمس وغربت لافتديت به من هول المطلع وجاء رجل شاب فى ذلك اليوم فقال ابشر يا أمير المؤمنين ببشرى من الله عز وجـل قد كان لك صحبة رسـول الله صلى الله عليه وسلم وقدم فى الاسلام ماقد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت ان ذلك كان كفـافا لا على ولا لى فلما أدبر الرجل اذا ازاره يمس الارض

تعالى لن يجمع أمتى الا على هدى فهؤلاء المنكرون للتوسل والزيارة فارقوا الجماعة والسـواد الاعظم وعمدوا الى آيات كثيرة من آيات القرآن التى نزلت فى المشركين فحملوها على المؤمنـين الذين تقـع منهم الزيارة والتوسـل وتوصلوا بذلك الى تكفير أكثر الامة مـن العلمـاء والصلحاء والعباد والزهاد وعوام الخلق وقالوا انهم مثـل أولئك المشركين الذين قالوا مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد علمت أن المشركين اعتقدوا الوهية غـير الله تعـالى واستحقاقـه العبادة وأما المؤمنون فلم يعتقد أحد منهم هـذا الاعتقـاد فكيف يجعلونهم مثـل أولئك المشركين سبحانك هـذا بهتان عظيم وشبهة هؤلاء الخوارج فى المنع مـن طلب الشفاعة منه صلى الله عليـه وسـلم انـهم يقولون ان الله تعالى قال فى كتابه العزيز من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالطالب للشفاعة من أين يعلم حصول الاذن للنبى صـلى الله عليـه وسـلم فى أنه يشفع له حتى يطلب الشفاعة منه ومن أين يعـلم انه ممن ارتضى حتى يطلب الشفاعة منهم واحتجاجهم هذا مردود بالاحاديث الصحيحـة الصريحـة فى حصـول الاذن له صـلى الله عليه وسلم فى أنه يشفع لمن قال بعد

فقال ردوا على الغلام فقال يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه أبقى لثوبك واتقى لربك ودخل عليه يوم طعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه يعوده فقعد عند رأسه وجاء ابن عباس رضي الله عنهما فأثنى عليه وقال كنت وكنت ووعده بخير من ربه فقال له عمر أنت لي بهذا أيا ابن عباس فأومأ اليه علي رضي الله عنه أن قل نعم فقال ابن عباس نعم فقال عمر لا تغرني أنت وأصحابك وفي رواية يا ابن عباس المغرور من غررتموه لو ان لي طلاع الارض ذهبا لافتديت به من هول المطلع والله وددت اني أخرج منها كفافا لا علي ولا لي وأن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لي وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما لما طعن عمر رضي الله عنه دخلت عليه فقلت ابشر يا أمير المؤمنين فان الله تعالى مصر بك الامصار ودفع بك النفاق وأفشى بك من الرزق فقال عمر أفي الامارات تثني علي يا ابن عباس فقلت وغيرها فقال والذي نفسي بيده لوددت أني خرجت منها كما دخلت لا أجر ولا وزر وقال حماد بن زيد قال ابن عباس رضي الله عنهما لما طعن عمر رضي الله عنه كنت قريبا منه فمسست بعض جلده وقلت هنيأ لك جلد لا تمسه النار فنظر الي نظرة جعلت ارثي له منها ثم قال وما علمك بذلك قلت يا أمير المؤمنين صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبته ففارقك وهو عنك راض ثم صحبت المسلمين وأحسنت صحبتهم فان فارقتهم فهم عنك راضون فقال أما ما ذكرت من صحبتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانما كان ذلك منا من الله عز وجل من به علي فلو ان لي ما في الارض من شيء لافتديت به من عذاب الله قبل ان اراه وقال صالح بن كيسان قال ابن عباس رضي الله عنهما دخلت على عمر رضي الله عنه في ايام طعنته وهو مضطجع على وسادة من ادم وعنده جماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رجل ليس عليك بأس قال لئن لم يكن علي اليوم ليكونن بعد اليوم وان للحياة لنصيبا من القلب وان للموت لكربة وقد كنت احب ان انجي نفسي وأنجو منكم وما كنت من أمركم الا كالغريق الذي يرى الجنة والنار وهو مشغول ولقد تركت زهرتكم كما هي ما لبستها فاخلقتها وثمرتكم يانعة في اكمامها ما اكلتها وما جنيت ما جنيت الا لكم ولا تركت درهما ما عدا ثلاثين او اربعين درهما ثم بكى وبكى الناس معه فقلت يا امير المؤمنين ابشر فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ومات ابو بكر وهو عنك راض وان المسلمين راضون عنك فقال المغرور والله من غررتموه اما والله لو ان لي ما بين المشرق والمغرب لافتديت به من هول المطلع قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ولما حضرت عمر الوفاة غشي عليه فاخذت رأسه فوضعتها في حجري فقال ضع رأسي بالارض لعل الله يرحمني فمسح خديه بالتراب وقال ويل لعمر ويل لأمه ان لم يغفر الله له فقلت وهل فخذاي والارض الا سواء يا أبتاه فقال ضع رأسي بالارض لا ام لك كما آمرك فوضعته في الارض فوضع عمر خده على الارض وقال ويل لعمر ولأم عمر ان لم يغفر الله له ويعفو عنه ثم قال فاذا قضيت فأسرعوا بي الى حفرتي وانما هو خير تقدموني اليه او شر تضعونه عن رقابكم ثم بكى فقيل له ما يبكيك قال خبر السماء لا أدري الى جنة ينطلق بي او الى نار قال عروة بن الزبير ولما طعن عمر رضي الله عنه قالوا له استخلف قال ان تركتكم فقد ترككم من هو خير مني وان استخلفت فقد استخلف عليكم من هو خير مني

الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة الى آخر الدعاء المشهور ولمن صلى على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ولمن زار قبره صلى الله عليه وسلم بل جاءت أحاديث كثيرة صريحة في شفاعته صلى الله عليه وسلم لعصاة أمته كقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي فكل من مات مؤمنا فانه يدخل في شفاعته صلى الله عليه وسلم فهي ثابتة لجميع المؤمنين ومأذون له صلى الله عليه وسلم فيها فالطالب للشفاعة كانه يتوسل الى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى أن يحفظ عليه الايمان حتى يتوفاه الله عليه فيشفع فيه نبيه صلى الله عليه وسلم فلا حاجة الى التطويل ببسط الدلائل في ذلك مع وضوح الامر الا لمن عميت بصيرته واما شبهتهم في المنع من النداء فقالوا ان النداء والخطاب للجمادات والغائبين والاموات من الشرك الاكبر الذي يباح به الدم والمال ولا مستند لهم في ذلك بل الاحاديث الصحيحة الصريحة في بطلان قولهم هذا وزعموا أن النداء للاموات والغائبين والجمادات يسمى دعاء وأن الدعاء عبادة بل الدعاء مخ العبادة وحملوا كثيرا من الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على

ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا لاستخلفته فان سألني ربي قلت سمعت نبيك صلى الله عليه وسلم يقول انه أمين هذه الأمة ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لاستخلفته فان سألني ربي قلت سمعت نبيك صلى الله عليه وسلم يقول ان سالما يحب الله حبا لو لم يخفه لم يعصه فقالوا له لو أنك عهدت الى ابنك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فانه لذلك اهل في دينه وفضله وقديم اسلامه فقال بحسب آل الخطاب ان يحاسب منهم رجل واحد عن امة محمد صلى الله عليه وسلم ولوددت انى نجوت من هذا الأمر كفافا لا على ولا لى ثم كلموه مرة أخرى فقالوا لو عهدت فقال كنت أجمعت بعد مقالتي لكم ان أولى رجلا أمركم يحملكم على الحق وأشار الى على بن أبي طالب رضي الله عنه ثم رأيت ان لا أتحملها حيا وميتا ثم دعا أصحاب الشورى الذين سيأتي ذكرهم فلم يكلم أحدا منهم غير على وعثمان رضي الله عنهما فقال يا على لعل هؤلاء القوم أن يعرفوا لك قرابتك من النبي صلى الله عليه وسلم وصهرك وما آتاك الله من الفقه والعلم فان وليت هذا الأمر فاتق الله فيه ثم دعا عثمان رضي الله عنه فقال يا عثمان لعل هؤلاء القوم أن يعرفوا لك صهرك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنك وشرفك فان وليت هذا الأمر فاتق الله فيه ولا تحملن بني معيط على رقاب الناس ثم جعل عمر رضي الله عنه الأمر شورى بين الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض كما روى ذلك ابن عمر وغيره وهم عثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص على ان يكون الخليفة واحدا منهم ان يتفقوا عليه فان اختلفوا فمن يتفق عليه اكثرهم فان تساووا يحكمون عبد الله بن عمر بينهم فان لم يرضوا بحكمه يقدم قول الحزب الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف وأمر ان يحضر معهم ابنه عبد الله بن عمر كالتعزية له وليس هو منهم في أمر الخلافة فلما خرجوا من عنده قال لو ولوها عليا سلك بهم الطريق فقال له ابنه عبد الله فما يمنعك يا أمير المؤمنين أن تستخلفه قال أكره ان أتحملها حيا وميتا وروى أن عمر رضي الله عنه عرض على عبد الرحمن بن عوف أن يستخلفه ويجعله ولي عهده فقال له عبد الرحمن أتشير على بذلك اذا استشرتك فقال لا والله فقال عبد الرحمن اذا لا أرضى أن أكون خليفة بعدك وبعد ان ذكر عمر رضي الله عنه الستة أصحاب الشورى قال ما أظن يلي الا أحد هذين الرجلين وأشار الى على وعثمان فان ولى عثمان فرجل فيه لين وان ولى على ففقيه وعابد وأحرى ان يحملهم على طريق الحق وان ولوا سعدا فهو أهل والا فليستعن به الوالي فاني لم أعزله عن ضعف ولا خيانة ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف فاسمعوا منه وأطيعوا وفي رواية قال عمر رضي الله عنه ما ارى أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى الستة وقال يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الأمر شئ فان أصابت الأمر سعدا فهو ذاك والا فليستعن به أيكم ما أمر فاني لم أعزله يعني عن امارة الكوفة عن عجز ولا خيانة ثم قال أوصى الخليفة من بعدي بتقوى الله تعالى وأوصيه بالمهاجرين والانصار واوصيه بأهل الأمصار ثم لما توفي عمر رضي الله عنه وفرغوا من دفنه عند النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه في حجرة عائشة رضي الله عنها تفرغ أصحاب الشورى للاجتماع فلما اجتمعوا قال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير

الموحدين وقد تقدم ذكر كثير من تلك الايات وهذا كله منهم تلبيس في الدين وتضليل لاكثر الموحدين فانه وان كان النداء قد يسمى دعاء كما في قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لكن ليس كل نداء عبادة ولو كان كل نداء عبادة لشمل ذلك نداء الاحياء والاموات فيكون كل نداء ممنوعا مطلقا وليس الامر كذلك وانما النداء الذي يكون عبادة هو نداء من يعتقدون ألوهيته واستحقاقه العبادة فيرغبون اليه ويخضعون بين يديه فالذي يوقع في الاشراك هو اعتقاد الوهية غير الله تعالى واعتقاد التأثير لغير الله تعالى وأما مجرد النداء لمن لا يعتقدون الوهيته ولا تأثيره فانه ليس عبادة ولو كان لميت أو غائب أو جماد وذلك كله وارد في كثير من الاحاديث الصحيحة والآثار الصريحة فقولهم ان نداء الميت والجماد والغائب دعاء وكل دعاء عبادة غير صحيح على اطلاقه وعمومه ولو كان كل نداء عبادة لامتنع نداء الحي والميت فانهما مستويان في ان كلا منهما لا تأثير له في شئ ولا يعتقد أحد من المسلمين ألوهية غير الله تعالى ولا تأثير أحد سواه والدعاء الذي هو مخ العبادة هو الرغبة للاله والخضوع بين يديه وما ذكر لك

جعلت أمري الى علي وقال سعد جعلت أمري الى عبدالرحمن بن عوف وقال طلحة جعلت
أمري الى عثمان وقيل ان طلحة كان غائبا وما حضر الا بعد تمام الامر ثم خلا هؤلاء الثلاثة
فقط وهم عبدالرحمن بن عوف وعلي وعثمان رضي الله عنهم فقال عبدالرحمن أنا لا أريدها
فأيكما يبرأ من هذا الامر ويفوض الامر اليه فيولي أفضل الرجلين الباقيين وليحرص على
صلاح الأمة فسكت الشيخان علي وعثمان رضي الله عنهما فقال عبدالرحمن بن عوف اجعلا
الامر الي والله علي والاسلام أن أجتهد فأولي أولاكما فقالا نعم ثم خاطب كلا منهما بما فيه
من الفضل وأخذ عليه العهد والميثاق لئن ولاه ليعدلن ولئن ولي عليه ليسمعن وليطيعن فقال كل
واحد منهما نعم ثم خلا بعلي فقال له أرأيت ان لم أولك فمن تشير علي به قال عثمان وخلا
بعثمان فقال له ان لم أولك فمن تشير علي به قال علي بن أبي طالب ثم تفرقوا ومكث عبدالرحمن
ثلاث ليالي يستشير الناس فيمن يوليه ويجتمع برؤس الناس وأمراء الأجناد وأشراف الناس
وغيرهم جمعا وأشتاتا مثنى وفرادى سرا وجهرا حتى انه ذهب الى النساء المخدرات في حجالهن
حتى سأل الولدان في المكاتب وسأل من يرد من الركبان والأعراب الواردين الى
المدينة في ثلاثة أيام بلياليهن قال فلم أجد اثنين يختلفان في تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما
الا ما نقل عن عمار والمقداد فانهما أشارا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قال بعض العلماء وكان
السبب في ذلك اي أن الاكثرين اختاروا عثمان ان عثمان رضي الله عنه كان فيه لين وعدم شدة
وكان علي رضي الله عنه يشبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الشدة ومضت مدة خلافة
عمر رضي الله عنه وهي عشر سنين ونصف سنة وهم منقادون له يسيرون بسيرته وفتحت
لهم الأمصار وكثرت عندهم الأموال فأحبوا ان يكون لهم بعض التخفيف من تشديد عمر
وعلموا أنه لو كان الامر لعلي رضي الله عنه لم يحصل التخفيف الذي يريدونه بل يسلك بهم
سبيل عمر ويسير بسيرته سواء أو أشد من ذلك هذا هو السبب في تقديمهم عثمان على علي رضي
الله عنهم وليس عندهم طعن في علي رضي الله عنه ولا كراهة لشيء من أخلاقه ولا يشكون
في حصول العدل منه هذا هو اللائق الذي ينبغي حمل أفعال الصحابة عليه رضي الله عنهم
أجمعين وربما ان الذي يقف على ما يذكره المؤرخون في شرح هذه القصة يفهم منه ان
كلا من علي وعثمان وبقية أصحاب الشورى كان لكل واحد منهم رغبة في ان تكون الخلافة
له فهذا ان صح فليحمل على ان كل واحد منهم يريد ان يكون منه القيام بالعدل واقامة الدين
والقيام بمصالح المسلمين لما في ذلك من الأجر والثواب عند الله تعالى ولا يتوهم من له قوة
ايمان ان يكون مرادهم الرياسة واستيفاء حظوظ النفس حاشاهم الله من ذلك بل لا يريد كل
واحد منهم الا القيام باظهار الحق كما شهد لهم الله سبحانه وتعالى بذلك في آيات كثيرة وأخبر
أنه رضي عنهم ورضوا عنه وكذلك الاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم
في حقهم تشهد لهم بذلك فاحذر ان تتوهم ظن سوء بأحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فان المظنة المتعلقة بأحد منهم مما لا يغفر كما جاء ذلك في أحاديث كثيرة والحاصل ان عبدالرحمن
ابن عوف رضي الله عنه اجتهد في ذلك ثلاثة ايام بلياليهن كل الاجتهاد بحيث انه لم يغتمض
بكثير نوم ولم يزل في صلاة ودعاء واجتهاد واستخارة وسؤال من ذوي الرأي وغيرهم حتى

كثيرا من الاحاديث والآثار التي جاء فيها النداء والخطاب للاموات والغائبين والجمادات وان
تقدم كثير من ذلك فلا بأس
باعادته فمنها حديث
الضرير الذي رواه عثمان
ابن حنيف رضي الله عنه
فان فيه يا محمد اني أتوجه
بك الى ربك وتقدم أن
الصحابة رضي الله عنهم
استعملوا ذلك بعد وفاته
صلى الله عليه وسلم وحديث
بلال بن الحارث رضي الله
عنه فان فيه أنه جاء الى
قبر النبي صلى الله عليه
وسلم وقال يا رسول الله استسق
لامتك ففيه النداء له بعد
وفاته والخطاب بالطلب
منه ان يستسقي لامته
والاحاديث الواردة عن
النبي صلى الله عليه وسلم
في زيارة القبور وفي كثير
منها النداء والخطاب
للاموات كقوله السلام
عليكم يا أهل القبور
السلام عليكم أهل الديار
من المؤمنين وانا ان شاء الله
بكم لاحقون ففيها نداء
وخطاب وهي احاديث
كثيرة لا حاجة الى الاطالة
بذكرها وتقدم ان السلف
والخلف من أهل المذاهب
الاربعة استحبوا للزائر أن
يقول تجاه القبر الشريف
يا رسول الله اني جئتك
مستغفرا من ذنبي مستشفعا
بك الى ربي وصح عن
بلال بن الحرث رضي الله عنه انه ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول وامحمداه

والمحداه وصح أيضا ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم

حاول ربات الحجال في خدورهن فلم يجد أحدا يعدل بعثمان زاد في رواية انه قال في آخر ليلة
للمسور بن مخرمة وكان ابنا لأخت عبد الرحمن بن عوف ادع لي الزبير وسعد بن أبي وقاص
فدخلا عليه فشاورهما ثم انصرفا ثم قال ادع لي عليا قال فدعوته فناجاه الى ثلث الليل ثم قام
من عنده وكان من جملة ما قال له أرأيت لو صرف هذا الأمر عنك من كنت ترى أحق به
قال عثمان قال المسور بن مخرمة فلما خرج من عنده قال ادع لي عثمان فدعوته فناجاه طويلا
حتى فرق بينهما مؤذن الصبح وقال له مثل ما قال لعلي رضي الله عنه لو صرف عنك هذا
الأمر من كنت ترى أحق به قال علي بن ابي طالب وقال للزبير كذلك فأشار بعثمان وقال لسعد
كذلك فأشار بعثمان وكذلك شاور المهاجرين والانصار وكلهم أشار بعثمان وجاء في رواية عن
المسور بن مخرمة رضي الله عنه انه قال فلما كانت الليلة التي يسفر صباحها عن اليوم الرابع من موت
امير المؤمنين عمر رضي الله عنه جاء عبد الرحمن الى منزلي وانا نائم فقال أنائم انت يا مسور والله لم
أغتمض بكثير نوم منذ ثلاث اذهب فادع لي عليا وعثمان قال المسور يا خالي بأيهما ابدأ فقال بأيهما
شئت قال فذهبت الى علي فقلت اجب خالي قال امرك ان تدعو معي احدا فقلت نعم قال من قال
عثمان بن عفان قال بأيهما بدأ قلت لم يأمرني بذلك بل قال ادع أيهما شئت اولا فجئت اليك
فخرج معي فلما مررنا بدار عثمان جلس علي حتى دخلت الى عثمان فوجدته يوتر مع الفجر
فدعوته فقال لي مثل ما قال علي سواء ثم خرج فدخلت بهما على خالي وهو قائم يصلي فلما
انصرف أقبل على علي وعثمان فقال اني سألت الناس عنكما فلم أجد احدا يعدل بكما
ثم أخذ العهد على كل واحد منهما لئن ولاه ليعدلن ولئن ولي عليه ليسمعن وليطيعن فقالا
نعم ثم خرج بهما الى المسجد وقد لبس عبد الرحمن العمامة التي عممه بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتقلد سيفا وبعث الى وجوه الناس من المهاجرين والانصار ليحضروا في المسجد
ونودي في الناس عامة الصلاة جامعة وامتلأ المسجد حتى غص بالناس وازدحم الناس
وتراصوا حتى انه لم يحصل لعثمان بن عفان موضع يجلس فيه الا في اخريات الناس وكان رجلا
شديد الحياء ثم صعد عبد الرحمن بن عوف منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على الدرجة
التي كان يجلس عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف وقوفا طويلا ودعا دعاء طويلا لم يسمعه
الناس ثم تكلم فقال أيها الناس اني قد سألتكم سرا وجهرا مثنى وفرادى وجمعا واشتاتا فلم أجد
احدا منكم يعدل بأحد هذين الرجلين اما علي واما عثمان فقم الي يا علي فقام اليه فوقف تحت
المنبر وأخذ عبد الرحمن بيده فقال له هل انت مبايعي على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم وفعل ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال علي على قدر جهدي وطاقتي قال فأرسل يده قال
قم يا عثمان فأخذ بيده فقال هل أنت مبايعي على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفعل
أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال اللهم نعم قال فرفع عبد الرحمن رأسه الى سقف المسجد وقال
اللهم اسمع واشهد اللهم اسمع واشهد اللهم اسمع واشهد اللهم قد جعلت ما في رقبتي من ذاك في
رقبة عثمان وبايعه وازدحم الناس يبايعون عثمان رضي الله عنه حتى غشوه تحت المنبر قال وقعد
عبد الرحمن بن عوف مقعد النبي صلى الله عليه وسلم وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية وجاء
الناس يبايعونه وبايعه علي بن ابي طالب رضي الله عنه اولا ويقال آخرا وما ذكرناه هو الثابت

وامحمداه وامحمداه وفي الشفاء
للقاضي عياض ان عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما
خدلت رجله مرة فقيل له
اذكر أحب الناس اليك
فقال وامحمداه فانطلقت
رجله وجاء الخطاب
وصورة النداء في التشهد
الذي يأتي به المسلم
في كل صلاة وعلمه
النبي صلى الله عليه وسلم
لاصحابه فان فيه السلام
عليك أيها النبي وكان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا
نزل أرضا قال يا أرض ربي
وربك الله ففيه الخطاب
والنداء للجماد وذكر
الفقهاء في آداب السفر أن
المسافر اذا انفلتت دابته
بأرض ليس بها أنيس
فليقل يا عباد الله احبسوا
واذا أضل شيأ أو أراد
عونا فليقل يا عباد الله
أعينوني أو أغيثوني فان
لله عبادا لا تراهم واستدل
الفقهاء على ذلك بما رواه
ابن السني عن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا انفلتت دابة
أحدكم بأرض فلاة فليناد
يا عباد الله احبسوا فان
لله عبادا يجيبونه ففيه نداء

وطلب نفع أي التسبب في ذلك من عباد الله الذين لم يشاهدهم وفي حديث آخر رواه الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال

في ولاية عثمان رضي الله عنه كما حققه العلماء المحققون من اهل السنة منهم السيد الشريف طاهر بن هاشم باعلوى في كتابه المسمى مجمع الأحباب ثم قال ولا نغتر بما سوى هذا مما ينقله الروافض فانه لا أصل له والله سبحانه وتعالى أعلم واعترض بعض المبتدعة على عمر بن الخطاب في عدم ادخاله العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشورى وأجاب أهل السنة عن ذلك بأن العباس رضي الله عنه كان صديقا لعمر ومع ذلك لم يدخله في أهل الشورى لان الأمر عندهم كان مبنيا على تقديم السابقية في الاسلام والعباس رضي الله عنه كان ممن تأخر اسلامه وكان صديقا لعمر رضي الله عنهما هذا عذر عمر رضي الله عنه في عدم ادخاله العباس رضي الله عنه في أهل الشورى ولم ينكر عليه ذلك العباس ولا أحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمهم بأن الأمر عندهم مبني على الأسبقية في الاسلام قال الامام محمد بن الحسن وانما لم يدخل معهم سعيد ابن زيد مع انه احد العشرة المبشرين بالجنة لأنه كان ابن عم لعمر بن الخطاب فخشي أنه اذا أدخله معهم يكون ذلك منه محاباة له لكونه من أقاربه فما أحب ان يتقلدها ابنه ولا أحد من أقاربه فهكذا كان احتياط عمر وورعه رضي الله عنه ثم ان الناس مكثوا ست سنين من خلافة عثمان وهم على غاية من الاتفاق والرضا كما كانوا في خلافة عمر رضي الله عنه بل قال بعضهم أحبوا عثمان اكثر من محبتهم لعمر رضي الله عنهما للينه ورفقه ثم في الست السنين الثانية وقع الاختلاف وأوقعه جماعة لم تكن لهم سابقية في الاسلام وكان الأصل في ذلك عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ظاهرا وليس له غرض في الاسلام الا قصد ايقاع الفرقة بين أهل الاسلام وادخل على الناس شبهة من حيث تولية عثمان كثيرا من اقاربه على كثير من الأمصار مع أن عثمان رضي الله عنه كان يفعل ذلك باجتهاد منه يراه هو الصواب ويرى ان أقاربه أقرب الى اعانته على العدل فلا لوم عليه في ذلك على ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك كله فكان في ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بذلك قبل وقوعه فوقع كما اخبر وكل ذلك كان بقضاء الله وقدره ليكتب له الشهادة ويتحقق قول النبي صلى الله عليه وسلم في عثمان انه يقتل مظلوما وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في عبد الرحمن بن عوف أمين في السماء وأمين في الارض فكفى بهذا حجة على صحة ما فعله واجتهد فيه رضي الله عنه قال القائلون بأن طلحة كان غائبا وقد جعله عمر رضي الله عنه من أهل الشورى قدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه عثمان فقيل له ان الناس قد بايعوا عثمان فقال أكل قريش رضوا به قالوا نعم فأتى عثمان فقال عثمان أنت على رأس أمرك قال طلحة فان ابيت أتردها قال نعم قال أكل الناس بايعوك قال نعم فقال طلحة قد رضيت لا أرغب عما اجتمع الناس عليه وبايعه ثم ان عمر رضي الله عنه بعد أن جعل أمر الخلافة للستة أصحاب الشورى حسب ما عليه من الدين فوجده ستا وثمانين ألفا ولزمته هذه الديون من انفاق كان ينفقه من ماله على الفقراء والمحتاجين لم يأكل منها خبيصا ولا لبس منها قميصا بل كانت جبته مرقعة بالجلود وباب منزله من الجريد لكنه أنفق هذا المال في سبيل الخير لا غير فلما فرغت حياته ودنت وفاته قال لابنه عبد الله وبنته حفصة رضي الله عنهما اني قد أصبت من مال الله شيأ واني أحب ان القى الله عز وجل وليس في عنقي منه شيء فبيعا فيه ما عندي من المال حتى تقضياه فان عجز عنه مالي فسلا في بني عدي فان بلغ والا فسلا في قريش ولا تعدوا قريشا فباع

اذا أضل أحدكم شيأ أو أراد عونا وهو بأرض وليس فيها أنيس فليقل ياعباد الله أعينوني وفي رواية أغيثوني فان لله عبادا لا ترونهم قال العلامة ابن حجر في حاشية ايضاح المناسك وهو مجرب كما قاله الراوي

(دعاؤني به في السفر اذا أقبل الليل)

وروى أبو داود وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول صلى الله عليه وسلم اذا سافر فأقبل الليل قال يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك أعوذ بالله من أسد وأسود من الحية والعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وذكر الفقهاء في آداب السفر أنه يسن للمسافر الاتيان بهذا الدعاء عند اقبال الليل وفيه النداء والخطاب للجماد وروى الترمذي عن عمر رضي الله عنهما والدارمي عن طلحة بن عبد الله رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال قال ربي وربك الله ففيه خطاب الجماد وصح انه لما توفي صلى الله عليه وسلم أقبل أبو بكر رضي الله عنه حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى وقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا اذكرنا يا محمد

عبدالله من معاوية دار عمر التى يقال لها دار القضاء بالمدينة وباع مالا كان له بالغابة فقضى دينه فلذلك قيل لتلك الدار دار القضاء وقد كان عمر رضى الله عنه كثير الانفاق على الفقراء والمحتاجين واذا لم يكن فى بيت المال شئ يستقرض الانفاق عليهم لاسيما فى عام الرمادة فانه كان منه رضى الله عنه العجب العجاب فى الاعتناء بالفقراء وأهل الحاجة وعن زيد بن أسلم عن أبيه أسلم قال لما كان عام الرمادة جائت العرب من كل ناحية لشدة الجدب والقحط فقدموا المدينة وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر رجالا يقومون عليهم ويقسمون عليهم الطعام فكان كل رجل على ناحية من المدينة وكانوا اذا اجتمعوا عند أمير المؤمنين يخبرونه بكل ما كانوا فيه فسمعت أمير المؤمنين قال فى ليلة وقد تعشى الناس عنده احصوا من يتعشى عندنا فأحصوا فوجدوهم نحو سبعة آلاف رجل فقال أحصوا العيلات الذين لا يأتون والمرضى والصبيان فأحصوا فوجدوهم أربعين ألفا ثم مكث ليالى فزاد الناس حتى صار من يتعشى عنده نحو عشرة آلاف رجل والآخرون خمسون ألفا وكانت تلك المجاعة التى أصابت الناس عام الرمادة مجاعة شديدة لم يعهد مثلها لشدة القحط والجدب وكانت الريح تسفى ترابا كالرماد فسمى عام الرمادة وكان ذلك كله فى سنة ثمان عشرة من الهجرة ومكث تسعة أشهر واشتد الجوع حتى جعلت الوحوش تأوى الى المواضع المأنوسة تطلب ماتأكله وجعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها واقسم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان لا يذوق سمنا ولا لبنا ولا لحما حتى يحيى الناس فقدمت السوق عكة سمن ووطب من لبن فاشتراهما غلام لعمر رضى الله عنه بأربعين درهما وجاء بهما الى عمر وكان ذلك عند ابتداء نجلاء القحط والشدة وقال يا أمير المؤمنين قد حيى الناس وأبر الله يمينك وعظم اجرك قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتعتهما بأربعين درهما فقال عمر تصدق بهما فانى اكره ان آكل اسرافا وكيف يعنينى شأن الرعية اذا لم يصبنى ما أصابهم وفى مدة ذلك القحط كتب عمر الى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها ويستمدهم فكان اول من قدم عليه ابو عبيدة بن الجراح بأربعة آلاف راحلة من طعام جاءبها من الشام فولاه قسمتها فيمن حول المدينة فقسمها وانصرف الى عمله وتتابع الناس واستغنى اهل الحجاز وأصلح عمرو بن العاص بحر القلزم وأرسل فيه الطعام الى المدينة حتى صار الطعام بالمدينة كسعر مصر ولم ير أهل المدينة بعد الرمادة مثلها حتى حبس عنهم البحر مع مقتل عثمان رضى الله عنه فذلوا وتقاصروا وكان الناس فى مدة الرمادة وعمر كالمحصورين عن أهل الأمصار فقال اهل بيت من مزينة لصاحبهم وهو بلال بن الحارث رضى الله عنه قد هلكنا فاذبح لنا شاة قال ليس فيهن مايصلح للذبح فلم يزالوا به حتى ذبح فسلخ عن عظم احمر فنادى يا محمداه فرأى فى المنام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فقال ابشر بالحياة ائت عمر فاقرأه منى السلام وقل له انى عهدتك وأنت فى العهد شديد العقد فالكيس الكيس ياعمر فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلامه استأذن لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عمر فأخبره ففزع وقال رأيت به مساة فقال لا فأدخله وأخبره الخبر فخرج فنادى فى الناس وصعد المنبر فقال نشدتكم الله الذى هداكم هل رأيتم شيأ تكرهونه قالوا اللهم لا ولم ذلك فأخبرهم ففطنوا ولم يفطن عمر فقالوا انما استبطأك فى الاستسقاء فاستسق بنا فنادى

عندربك ولنكن من بالك وفى رواية للامام أحمد فقبل جبهته ثم قال وانبياه ثم قبله ثلاثا وقال واصفياه ثم قبله وقال واخليلاه ففى ذلك نداء وخطاب له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ولما تحقق عمر رضى الله عنه وفاته صلى الله عليه وسلم بقول أبى بكر رضى الله عنه قال وهو يبكى بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا واتخذت منبرا لتسمعهم حن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بابى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك فى أولهم فقال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبى أنت وأمى يارسول لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد اتبعك فى قصر عمرك من لم يتبع نوحا فى كبر سنه وطول عمره فانظر الى هذه الالفاظ التى صدرت من عمر رضى الله عنه وقد تعدد فيها النداء له صلى

في الناس وخرج للاستسقاء وخرج معه العباس ماشيا فخطب وأوجز وصلى ثم جثى على ركبته وقال اللهم عجزت عنا أنصارنا وعجز عنا حولنا وقوتنا وعجزت عنا أنفسنا ولا حول ولا قوة الا بك اللهم فاسقنا وأحي العباد والبلاد وأخذ بيد العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه وان دموع العباس لتتحادر على لحيته فقال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم وبقية آبائه وأكبر رجاله فانك تقول وقولك الحق وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان أبوهما صالحا فحفظتهما بصلاح أبيهما فاحفظ اللهم نبيك صلى الله عليه وسلم في عمه فقد دلونا به اليك مستشفعين مستغفرين ثم أقبل على الناس فقال استغفروا ربكم انه كان غفارا وقد كان العباس رضي الله عنه قد طال عمره وابيضت لحيته فوقف وعيناه تذرفان ولحيته تجول على صدره وهو يقول اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة اللهم انت الراعي فلا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد صرخ الصغير ورق الكبير وارتفعت الاصوات بالشكوى وانت تعلم السر وأخفى اللهم فأغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فنشأت طريرة من سحاب فقال الناس ترون ترون ثم التأمت ومشت فيها ريح ثم هدأت ودرت فوالله ما تروحوا حتى اعتنقوا الجدار وقلصوا المآزر فطفق الناس بالعباس رضي الله عنه يمسحون اركانه ويقولون له هنيئا لك ساقي الحرمين فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب

بعمي سقى الله الحجاز واهله ❊ عشية يستسقي بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغبا ❊ اليه فما ان رام حتى اتى المطر
ومنا رسول الله فينا تراثه ❊ فهل فوق هذا للمفاخر مفخر

قال زيد بن أسلم عن ابيه كنا نقول لو لم يرفع الله عام الرمادة لظننا ان عمر يموت هما بالمسلمين قال ابن شهاب ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يدعو عام الرمادة ويقول اللهم اجعل ارزاقهم على رؤس الجبال فاستجاب الله له وللمسلمين فكانت تأتيهم ارزاقهم وقال حين نزل الغيث الحمد لله فوالله لو ان الله لم يفرجها ما تركت بأهل بيت من المسلمين سعة الا ادخلت عليهم أعدادهم من الفقراء فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يقيم واحدا وعن أنس رضي الله عنه قال كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عماله اكتبوا الي الزاهدين في الدنيا فان الله عز وجل وكل بهم ملائكة وضعوا أيديهم على افواههم لا يتكلمون الا بما هيأه الله تعالى لهم وألقى الله في قلوب العباد هيبة شديدة لعمر رضي الله عنه وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم قال بينا عمر رضي الله عنه يمشي وخلفه عدة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ بدا له فالتفت فلم يبق احد الا سقط لركبتيه جاثيا فأرسل عمر عينيه بالبكاء ثم قال اللهم انك تعلم اني منك أشد خوفا منهم مني وقال عمر رضي الله عنه لولا مخافة الحساب لامرت بحمل أي كبش يشوى لنا في التنور وعن سفيان قال كان عمر يشتهي الشيء لعله يكون ثمنه بدرهم فيؤخره سنة وعن أنس رضي الله عنه قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما وبيني وبينه حائط يقول مكلما

الله عليه وسلم بعد وفاته وقد رواها كثير من أئمة الحديث وذكرها القاضي عياض في الشفاء والغزالي في الاحياء والقسطلاني في المواهب اللدنية وابن الحاج في المدخل فيبطل بها وبغيرها قول المانعين للنداء القائلين ان كل نداء دعا وكل دعاء عبادة وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه ان فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه يا أبتاه الى جبريل ننعاه وفي رواية الى جبريل نعاه والنعي هو الاخبار بالموت وقد يكون الاخبار لعالم بموته تأسفا على فقده فكل من الروايتين صحيح في المعنى ففي هذا الحديث أيضا نداؤه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وفي المواهب ورثته عمته صفية رضي الله عنها بمراثي كثيرة قالت في مطلع قصيدة منها ألا يا رسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا ففي البيت نداؤه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ولم ينكره عليها أحد من الصحابة رضي الله عنهم مع حضورهم وسماعهم له ومما جاء من النداء للميت التلقين له بعد دفنه وقد ذكره كثير من الفقهاء واستندوا في ذلك الى حديث الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه واعتضد بشواهد (نفسه)

نفسه أمير المؤمنين بخ بخ والله يا ابن الخطاب لتتقين الله او ليعذبنك وزار عمر أبا الدرداء رضي الله عنهما فقال له أبو الدرداء أتذكر حديثا حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اى حديث قال ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب قال نعم قال فما فعلنا بعده يا عمر فما زالا يتجاوبان حتى اصبحا وعن نافع قال كان من دعاء عمر رضي الله عنه اللهم اوجب لي في موالاتك وموالات اوليائك ولايتك ومعونتك وأبرئني بمعادات عدوك من الآفات اللهم لا تكثر لي من الدنيا فأطغى ولا تقلل لي منها فأنسى فان ماقل وكفى خير مما كثر فألهى اللهم انى أعوذ بك ان تأخذني على غرة أو تذرني في غفلة أو تجعلني من الغافلين وعن قيس بن الحجاج قال لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص رضي الله عنه حين دخل بؤنة من أشهر العجم فقالوا له أيها الأمير ان لنيلنا هذا سنة لا يجري الا بها فقال لهم وماذاك قالوا اذا كان ثنتا عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وحملنا عليها من الحلي والثياب أفضل مايكون ثم ألقيناها في النيل فقال لهم عمرو بن العاص هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ماقبله فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى والنيل لا يجري قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء منها فلما رأى ذلك عمرو بن العاص رضي الله عنه كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك فكتب اليه عمر رضي الله عنه انك قد أصبت بالذي فعلت لان الاسلام يهدم ماقبله وكتب بطاقة في داخل كتابه وكتب الى عمرو بن العاص رضي الله عنه انى قد بعثت اليك ببطاقة في داخل كتابي هذا فألقها في النيل فلما قدم كتاب عمر الى عمرو رضي الله عنهما واذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجري من قبلك فلا تجر وان كان الله تعالى الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله تعالى الواحد القهار أن يجريك فألقى البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج لأنهم لا تقوم مصلحتهم الا بالنيل فلما ألقى البطاقة اصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة فقطع الله تلك السنة السيئة عن أهل مصر فتلك كرامة من كرامات عمر رضي الله عنه التي أكرمه الله بها ومن كراماته رضي الله عنه مارواه البيهقي وابو نعيم وغيرهما عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال وجه عمر رضي الله عنه جيشا ورأس عليهم رجلا يدعى سارية بن زنيم فبينما عمر يخطب يوم جمعة اذ جعل ينادي يا سارية الجبل ثلاثا من استرعى الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم لبعض فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليخرجن مما قال خبر فلما فرغ سألوه فقال وقع في قلبي أن المشركين هزموا اخواننا وانهم يمرون بجبل ان عدلوا اليه قاتلوا من وجه واحد وان جاوزوه هلكوا فخرج مني ماتزعمون انكم سمعتموه فجاء البشير بعد شهر فذكر انهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم قال فعدنا الى الجبل ففتح الله علينا وفي رواية لأبي نعيم عن عمرو بن الحارث رضي الله عنه قال بينما عمر رضي الله عنه يخطب يوم الجمعة اذ ترك الخطبة وقال يا سارية الجبل مرتين او ثلاثا ثم أقبل على خطبته فقال بعض الحاضرين لقد جن فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكان يطمئن اليه فقال له انك لتجعل لهم على نفسك مقالا بينما انت تخطب اذ أنت تصيح يا سارية الجبل أي شيء هذا قال اني والله ما ملكت نفسي اذ رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك ان قلت يا سارية الجبل

وصورته أن يقول للميت عند قبره بعد دفنه يا عبد الله ابن أمة الله اذكر العهد الذي خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان الجنة حق وأن النار حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور قل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالكعبة قبلة وبالمسلمين اخوانا ربي لا اله الا هو رب العرش العظيم ففي التلقين النداء والخطاب للميت وحديث نداء النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش المقتولين ببدر بعد القائهم في القليب مشهور رواه البخاري وأصحاب السنن وذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ويقول أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وأما ما جاء من الآثار عن الأئمة الاحبار والعلماء الاخيار والاولياء الكبار مما يدل على جواز ذلك النداء والخطاب فشيء كثير تنقضي دون نقله الاعمار ومضى على ذلك القرون والاعصار وما وقع منهم انكار فكيف يجوز الاقدام على تكفير المسلمين بشيء قام على ثبوته البراهين وفي الحديث الصحيح من قال لأخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما ان

ليلحقوا بالجبل فلبثوا الى أن جاء رسول سارية بكتاب ان القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى اذا حضرت الجمعة سمعنا مناديا ينادي ياسارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله تعالى وقتلهم وفي رواية ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال يا أمير المؤمنين هزمنا فبينا نحن كذلك اذ سمعنا صوتا ينادي ياسارية الجبل ثلاثا فأسندنا ظهرنا الى الجبل فهزمهم الله تعالى وكان ذلك الجبل بنهاوند من أرض العجم وأخرج الامام مالك في الموطأ عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل ما اسمك قال جمرة قال ابن من قال ابن شهاب قال ممن قال من الحرقة قال أين مسكنك قال الحرة قال بأيها قال بذات لظى فقال عمر رضي الله عنه أدرك أهلك فقد احترقوا فرجع الرجل فوجد أهله قد احترقوا واخرج ابن عساكر عن طارق بن شهاب قال ان كان الرجل ليحدث عمر رضي الله عنه بالحديث فيكذبه الكذبة فيقول احبس هذه ثم يحدثه بالحديث فيقول احبس هذه فيقول له كل ما حدثتك حق الا ما أمرتني ان أحبسه وأخرج ابن عساكر أيضا عن الحسن البصري ان كان احد يعرف الكذب اذا حدث به انه كذب فهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه واخرج البيهقي في الدلائل عن ابي هدبة الحمصي قال أخبر عمر رضي الله عنه ان أهل العراق قد حصبوا أميرهم فخرج غضبان فصلى فسها في صلاته فلما سلم قال اللهم انهم قد لبسوا علي فالبس عليهم وعجل لهم بالغلام الثقفي لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم يعني الحجاج قال ابن لهيعة وما ولد الحجاج يومئذ وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ان الله ضرب الحق على لسان عمر رضي الله عنه حتى ظننا ان ملكا ينطق على لسانه وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان اسلام عمر فتحا وكانت هجرته نصرا وكانت امارته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع ان نصلي عند البيت حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا فصلينا وقال حذيفة رضي الله عنه لما أسلم عمر رضي الله عنه كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قربا فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا بعدا وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما توفي عمر رضي الله عنه ذهب تسعة أعشار العلم ولو أن علمه وضع في كفة ميزان ووضع علم احياء الارض في كفة لرجح علمه عليهم فقيل له تقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال له لم أرد علم الفتيا والاحكام انما أريد العلم بالله عز وجل قال الامام الغزالي في احياء علوم الدين كانت شهرة عمر رضي الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة أعشاره بموته وبقصد التقرب الى الله عز وجل في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وذلك كله أمر باطن في سره وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ما علمت احدا هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده أسهما وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعا ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال شاهت الوجوه من أراد ان تثكله أمه ويوتم ولده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي قال فما تبعه منهم أحد وقال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قد علمت بأي شيء فضلنا عمر رضي الله عنه كان أزهدنا في الدنيا وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول

كان كما قال والا رجعت عليه قال العلماء ترك قتل ألف كافر أولى من اراقة دم امرئ مسلم فيجب الاحتياط في ذلك فلا يحكم بالكفر على أحد من أهل القبلة الا بواضح قاطع للاسلام وممن رد على محمد بن عبد الوهاب أحد أشياخه وهو الشيخ محمد ابن سليمان الكردي صاحب حواشي شرح مختصر بافضل ومن جملة ما قاله في الرسالة التي رد بها عليه يا ابن عبد الوهاب سلام على من اتبع الهدى فاني أنصحك لله تعالى ان تكف لسانك عن المسلمين فان سمعت من شخص انه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى فعرفه الصواب وأبن له الادلة على انه لا تأثير لغير الله فان أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك الى تكفير السواد الاعظم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الاعظم فنسبة الكفر الى من شذ عن السواد الاعظم أقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية اه والحاصل ان الذين اعتنوا بالرد عليه خلائق لا يحصون من مشارق الارض ومغاربها من أرباب المذاهب الاربعة في كتب مبسوطة

الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي ومنهم دون ذلك وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا اما أولته يارسول الله قال الدين وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا انا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى اني لأرى الري يخرج من أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب قالوا فما أولته ذلك يارسول الله قال العلم وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب والذي نفسي بيده مالقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال له النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد عمر أن يعتمر لاتنسانا يا أخي من دعائك قال عمر رضي الله عنه انها كلمة مايسرني ان لي بها الدنيا وروى مالك في الموطأ أن عمر رضي الله عنه كان يحمل في العام الواحد على اربعين ألف جمل يحمل الرجل الى الشام على بعير والرجلين الى العراق على بعير وكان عمر رضي الله عنه اول من جمع الناس لصلاة التراويح فكان علي ابن ابي طالب رضي الله عنه اذا مر على المساجد ورأى القناديل في رمضان يدعو لعمر ويقول نور الله على عمر قبره كما نور علينا مساجدنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له اقرأ على عمر السلام وأخبره ان رضاه وغضبه حكم وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا غضب عمر فان الله يغضب لغضبه ولما توفي عبد الله بن ابي رأس المنافقين سأل ابنه الحباب وسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله أن يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبيه رجاء ان الله يرحمه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابنه مؤمنا صادقا فأراد النبي صلى الله عليه وسلم تطييب قلب ابنه فتقدم ليصلي عليه وأراد عمر ان يمنع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه وقال يارسول الله انه فعل كذا وكذا وقال كذا وكذا فجذب النبي صلى الله عليه وسلم ثوبه من يد عمر وتقدم وصلى عليه وأنزل الله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره فجاءت الآية على رأي عمر رضي الله عنه واختصم منافق ويهودي في شيء فقال اليهودي للمنافق نذهب الى ابي القاسم فنتحاكم على يديه وقال المنافق بل نذهب الى كعب بن الاشرف وكان من رؤساء اليهود يأخذ الرشوة في حكمه فامتنع اليهودي من الذهاب الى كعب بن الاشرف وذهبا الى النبي صلى الله عليه وسلم فحكم على المنافق لليهودي فلما خرجا قال المنافق نذهب الى كعب بن الاشرف فامتنع اليهودي وقال نذهب الى عمر بن الخطاب فرضي المنافق فلما دخلوا على عمر أخبره اليهودي بما كان له من الدعوى على المنافق ثم أخبره بقضاء النبي صلى الله عليه وسلم على المنافق وانه لم يرض بحكمه وقال نذهب الى كعب بن الاشرف فلم أوافقه ثم اتفقنا على التحاكم اليك فقال عمر للمنافق أحق ماقال هذا فقال المنافق نعم فدخل عمر بيته وأخرج سيفه وضرب عنق ذلك المنافق وقال هذا جزاء من لم يرض بحكم النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان عشيرة ذلك المنافق شكوا الى النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وطلبوا القصاص منه واعتذروا بأن صاحبهم لم يكن منافقا وانما أراد بالمحاكمة الى عمر تأييد حكم النبي صلى الله عليه وسلم وألحوا على النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الدعوى وكاد يحصل من ذلك شر فأيد الله تعالى مافعله عمر وأهدر دم ذلك المنافق

مختصرة وبعضهم التزم الرد عليه بنصوص مذهب الامام أحمد ليبين له أنه كاذب متلبس في انتسابه لمذهب الامام أحمد رضي الله عنه وأما زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقد فعلها الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة وخلفها وانعقد الاجماع على استحبابها وجاء في فضلها والترغيب فيها أحاديث كثيرة منها ما رواه البيهقي وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زار قبري كنت له شفيعا وشهيدا وهذه شفاعة خاصة للزائر غير شفاعته صلى الله عليه وسلم للعصاة وروى الدارقطني وابن السكن وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من زار قبري وجبت له شفاعتي وفي رواية من جاءني زائرا لا تعمله حاجة غير زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا يوم القيامة وفي رواية لابن مندة من زارني في مسجدي بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي وفي رواية لابن عدي من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني والمراد من الجفاء غلظ الطبع والبعد والاعراض عن المحبوب والمراد انه فعل فعل الجافي لأنه جفاه جفاء حقيقيا لان ذلك أذى ولا يجوز أذاه صلى الله عليه وسلم وفي رواية للدارقطني من زارني

وأنزل في ذلك قوله تعالى ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك
يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت الآيات وختمها بقوله أولئك الذين يعلم الله مافي قلوبهم
فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا فكان في ذلك كله تأييدا لما فعل عمر
رضي الله عنه ولما قال عبدالله بن ابي لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وعنى
بالأعز نفسه وبالأذل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن
يذهب الى عبدالله بن أبي ويقتله فأبى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لايتحدث ان محمدا
يقتل أصحابه وأنزل الله تعالى ترضية لعمر قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون
ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون ولما أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بقتل
اسرى بدر وعدم قبول الفداء منهم واشار أبوبكر رضي الله عنه بقبول الفداء
وقال يارسول الله هم قومك وذوو رحمك ورجوا ان الله يهديهم للاسلام فقبل
النبي صلى الله عليه وسلم ماشار به ابوبكر في أخذ الفداء فأنزل الله تعالى ماكان لنبي
ان يكون له اسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله
عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم فيه عذاب عظيم فكانت الآية مؤيدة
لما أشار به عمر فجاء عمر رضي الله عنه والنبي صلى الله عليه وسلم وابوبكر رضي الله عنه يبكيان
فقال عمر يارسول الله أخبرني ماذا يبكيك انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم
اجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبكي للذي عرض على من الفداء
وفي رواية قال له النبي صلى الله عليه وسلم كاد يصيبنا في خلافك شر ثم أنزل الله امضاء أخذ الفداء
بقوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم ولما طاف النبي صلى الله
عليه وسلم بالبيت قال له عمر رضي الله عنه يارسول الله ألا نتخذ من مقام ابراهيم مصلى فأنزل الله
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فكان ذلك من موافقات عمر رضي الله عنه وكان رضي
الله عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فانه يدخل عليك البر والفاجر فأنزل
الله تعالى واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ولما أكثر نساء النبي صلى الله عليه
وسلم من التغاير بينهن دخل عليهن عمر رضي الله عنه وزجرهن وخوفهن بالطلاق وان الله
يبدل النبي صلى الله عليه وسلم خيرا منهن فأنزل الله تعالى عسى ربه ان طلقكن أن يبدله
أزواجا خيرا منكن وكان رضي الله عنه يكره شرب الخمر ويسأل الله ان يحرمه فأنزل الله
تعالى لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى فلم يكتف بذلك عمر رضي الله عنه وقال اللهم أرنا
في الخمر فأنزل الله تعالى انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه لعلكم تفلحون فحرم الله الخمر فكان ذلك موافقا لما كان مرغوبا لعمر رضي الله
عنه قال الشعبي لما سمع الناس قول عمر رضي الله عنه ورأوا امهاله فكان يمشي في الأسواق
ويطوف في الطرقات ويقضي بين الناس في قبائلهم ويعلمهم في أماكنهم ذكروا ابا بكر والنبي
صلى الله عليه وسلم ثم قالوا كان النبي صلى الله عليه وسلم أعلم بأبي بكر رضي الله عنه وكان
أبوبكر أعلم بعمر فجرى ابوبكر وعمر مجرى واحدا وقد كانوا يخافون من لين هذا وشدة هذا
فكان أبوبكر رضي الله عنه مع لينه أقواهم فيما لابد منه وألينهم فيما ينبغي وكان عمر ألينهم فيما

متعمدا كان في جواري يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة زاد في رواية
ومن سكن المدينة وصبر
على بلائها كنت له شفيعا
وشهيدا يوم القيامة
وفي رواية رواها ابن
جريج عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
من زارني في مماتي كان كمن
زارني في حياتي ومن
زارني حتى ينتهي الى قبري
كنت له يوم القيامة شهيدا
أو قال شفيعا والاحاديث
الواردة في ذلك كثيرة
لاحاجة لنا الى الاطالة
بذكرها مع اجماع السلف
والخلف على استحبابها
حتى ظهر المنكرون لها
المانعون منها وفي هذا
القدر كفاية ومقنع لمن
كان بمرأى من التوفيق
ومسمع وبمجموع ماذكرناه
يبطل جميع ماابتدعه محمد
ابن عبدالوهاب ولبس به
على المؤمنين واستباح
هو ومن تبعه دماءهم
وأموالهم ولم ينتدب
لمحاربته ومن تبعه أحد
مثل سيدنا الشريف غالب
رحمه الله تعالى فانه قام
بهذا الامر أتم قيام وبذل
فيه جميع وسعه سنين
متطاولة فجزاه الله عن
الاسلام والمسلمين خيرا
وتقدم أن الشريف
مسعودا او مساعدا او أحمد بن سعيد وسرورا كل منهم لم يأذن لاحد من أتباعه في الحج

(ينبغي)

ينبغي وأقواهم فيما لابد منه وقدم الأحنف بن قيس على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وفد من العراق قدموا عليه في يوم صائف شديد الحر وهو معتجر بعباءة فشرد بعير من أبل الصدقة فسعى خلفه وقال ياأحنف ضع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فانه من ابل الصدقة فيه حق لليتيم والمسكين والارملة فقال رجل ياأمير المؤمنين يغفر الله لك فهلا تأمر عبدا من عبيد الصدقة فيكفيك هذا فقال عمر وأي عبد هو أعبد مني ومن الاحنف بن قيس ان من ولى أمر المسلين فهو عبد للمسلين يجب لهم عليه مايجب على العبد من النصح وأداء الامانة وقال عمر رضي الله عنه من استعمل رجلا لمودة أو قرابة لايحمله على استعماله الاذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ومن استعمل فاجرا وهو يعلم انه فاجر فهو مثله ولما افتتح المسلمون سواد العراق قالوا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اقسمه بين الغانمين لانهم افتتحوه عنوة قال فالمن جاء بعدكم من المسلمين فاني اخاف أن تفاسدوا بينكم في المياه وأخاف ان تقتتلوا فأمر ان يقروا أهل السواد في أرضهم وضرب على رؤسهم الضرائب يعني الجزية وعلى أرضهم الخراج ولم يقسمها بينهم لتكون للمسلمين الذين يأتون بعدهم ولما قدم عمر رضي الله عنه مكة أقبل أهل مكة يشكون أباسفيان بأنه حبس سيل الماء عليهم فأقبل عمر ومعه الدرة فاذا ابو سفيان نصب أحجارا فقال ارفع هذا وهذا فرفعهما ثم قال وهذا وهذا حتى رفع أحجارا خمسة اوتسعة ثم استقبل عمر الكعبة فقال الحمد لله الذي جعل عمر يا أمر أباسفيان ببطن مكة فيطيعه وعن الحسن البصري قال حضرباب عمر بن الخطاب رضي الله عنه سهيل بن عمرو والحارث ابن هشام وأبو سفيان بن حرب ونفر من قريش من تلك الرؤس وصهيب وبلال ونفر من أولئك الموالي الذين شهدوا بدرا فخرج اذن عمر للموالي وترك أولئك فقال أبو سفيان لم أركاليوم قط يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه لايلتفت الينا فقال سهيل بن عمرو وكان رجلا عاقلا أيها القوم اني والله لقد أرى الذي في وجوهكم ان كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم دعى القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم فكيف بكم اذا دعوا يوم القيامة وتركتم وفي رواية فاذا كان هذا في دار عمر فكيف الجنة فجلسوا يبكون على تأخر دخولهم في الاسلام حتى ارتفعت أصواتهم فسمعهم عمر فأمر بادخالهم وكان صدر المجلس في زمن خلافته للسابقين في الاسلام فاذا سبقهم غيرهم ثم جاء أحد من السابقين يتأخرون عن صدر المجلس ليجلس فيه السابقون للاسلام ولو كانوا من الموالي وربما أنهم لايزالون يتأخرون حتى يكون غير السابقين في آخر المجلس ولو كانوا من أشراف قريش وعن الحسن البصري ان رجلا أتى أهل ماء فاستسقاهم فلم يسقوه حتى مات عطشا فأغرمهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ديته وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ جاء رجل من أهل مصر فقال ياأمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك قال ماشأنك قال أجرى عمرو بن العاص الخيل بمصر فأقبلت على فرسي فلما حضر الناس قام محمد بن عمرو بن العاص يقول هذه فرسي ورب الكعبة فلما دنامني قلت له هذه فرسي ورب الكعبة فقام يضربني بالسوط ويقول خذها وانا ابن الاكرمين قال فوالله مازاد عمر على ان قال اجلس ثم كتب الى عمرو بن العاص اذا

فنعهم وتهددهم بالركوب عليهم وأتبع القول بالفعل لانهم ظهر أمرهم وتطاير شررهم فأراد دفعهم عن الوصول الى حرم الله تعالى وفعل كل ماأمكنه حتى عجز فجزاه الله خيرا ولنذكر الوقائع التي كانت بينه وبين هذه الطائفة فانها تنوف عن خمسين وقعة من سنة خمس ومائتين وألف الى سنة عشرين ومائتين وألف

(الغزية الاولى)

فأول غزية كانت في سنة خمس ومائتين وألف أرسل عليهم خيلا وركابا وجنودا كثيرة من السادة الاشراف وغيرهم وكان الامير عليها أخاه السيد عبد العزيز بن مساعد وكانوا حين خرجوا من مكة سبعمائة فزاد عليهم في الطريق طوائف كثيرة من قبائل العرب يطول الكلام بتعداد تلك القبائل فسار بهم وصار يدخل تحت طاعته القبائل ويملك القرى قرية بعد قرية حتى وصل الى عربق الدسم فشرع يملك من قرى نجد بعضها بقتال وبعضها بدون قتال فاول ضربة وهي أول قرية من قرى نجد فذبح منها احد عشر رجلا وهرب منهم جماعة وأسر جماعة ثم ارتحل الى قرية يقال لها مسكة فهرب أهلها فصيرها ملكه

جاءك كتابي هذا فأقبل واحضر معك ابنك محمدا قال فدعا عمرو ابنه محمدا فقال هل أحدثت
حدثا أو جنيت جناية قال لا قال فما بال أمير المؤمنين عمر يكتب فيك فقدم عمرو وابنه على عمر قال انس
فوالله انا لعند عمر اذا نحن بعمرو وقد أقبل فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه محمدا فاذا
هو خلف أبيه فقال عمر أين المصري فقال ها أناذا قال دونك الدرة اضرب ابن الاكرمين
اضرب ابن الاكرمين اضرب ابن الاكرمين فضربه قال فضربه ثم اجعلها على صلعة
ابيه عمرو فوالله ما ضربك الا بفضل سلطانه فقال عمرو يا امير المؤمنين قد ضرب من ضربه
فقال اما والله لو ضرب من ضربه لما أقدمناك يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم
امهم احرارا ثم التفت الى المصري فقال انصرف راشدا فان رابك شيء فاكتب الي وكان
عمر رضي الله عنه اذا استعمل عاملا كتب عليه كتابا وأشهد عليه رهطا من الانصار ان
لا يركب برذونا ولا يأكل نقيا ولا يلبس دقيقا ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين ثم يقول
اللهم اشهد وعن الحسن البصري قال قال عمر رضي الله عنه لئن عشت ان شاء الله لأسيرن
في الرعية حولا فاني أعلم أن للناس حوايج تقطع عني اما هم فلا يصلون الي واما عمالهم فلا يرفعونها
الي فأسير الى الشام فأقيم بها شهرين ثم أسير الى مصر فأقيم بها شهرين ثم أسير الى البحرين
فأقيم بها شهرين ثم اسير الى الكوفة فأقيم بها شهرين ثم أسير الى البصرة فأقيم بها شهرين
وعن الزهري ان عمر رضي الله عنه جلد صبيغا التميمي عن كثرة مسائلته عن حروف القرآن
حتى اضطربت الدماء في ظهره وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه سمع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقول لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتوي ما يجد ما يملاء بطنه
من الدقل وعن هشام بن عروة قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رأيتم الرجل يضيع
الصلاة فهو والله لغيرها من حق الله تعالى أشد تضييعا وعن يحيى بن جعدة قال قال عمر
رضي الله عنه لولا ثلاثة لاحببت أن الحق بالله عزوجل لولا ان أسير في سبيل الله او أضع
وجهي لله تعالى واجالس أقواما يلتقطون طيب الكلام كما يلتقط طيب التمر وروى عن علي
رضي الله عنه انه كان يبكي عند موت عمر رضي الله عنه فقيل له في ذلك فقال ابكي على
موت عمر ان موت عمر ثلمة في الاسلام لا ترتق الى يوم القيامة وقال علي رضي الله عنه كان ابو بكر
اواها حليما وكان عمر مخلصا ناصحا لله فناصحه الله وان كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونحن متوافرون لنرى أن السكينة تنطق على لسان عمر وان كنا لنرى أن شيطانه ليهابه
ان يأمره بالخطيئة وشهد عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل فقال ائتني بمن يعرفك
فأتاه برجل فأثنى عليه خيرا فقال عمر رضي الله عنه أنت جاره الادنى تعرف مدخله ومخرجه
فقال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يسفر عن اخلاق الرجال ومكارم الاخلاق فقال لا قال
فعاملته بالدراهم والدنانير التي يتبين بها ورع الرجل فقال لا قال أظنك رأيته في المسجد يهمهم
بالقرآن يرفع رأسه طورا ويخفضه طورا قال نعم قال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب
فأتني بمن يعرفك وقالت عائشة رضي الله عنها من رأى ابن الخطاب علم انه انما خلق غناء أي
نفعا للاسلام وعن لاحق بن حميد قال بعث عمر بن الخطاب عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود
وعثمان بن حنيف رضي الله عنهم الى الكوفة جعل عمار بن ياسر على الصلاة وعلى الجيوش

ثم ارتحل منها وأناخ بقريه سواج فهرب أهلها ثم ارتحل الى الثلة ثم الى قرية وضاح فطلب أهلها
الامان وكذا أهل قرية
الكبيرتية ثم ارتحل ونزل
على عنيزة قرية
بسام وكان أهلها في حصن
حصين فحاصرهم أياما
ثم انتقل عنها لان المدة طالت
وسئم من كان معه من
الاشراف والجنود وأراد
كثير من الاشراف الرجوع
بل توجه كثير منهم بالفعل
قاصدين الرجوع الى ام
القرى لان المدة بلغت
نصف عام فهذه الغزوة
الاولى وهي أول الوقعات
وفي مدة هذه الغزوة غزا
سيدنا الشريف بنفسه على
ذوي حسن النازلين بالشاقة
وصبحهم وأخذوا مواشيهم
وقتل منهم وسبب ذلك
قطعهم الطريق ورجع
الى مكة سالما وهذه لم تحسب
من الغزوات التي كانت
على الوهابية أو بسببهم
فهي خارجة عن عدد تلك
الغزوات

(الغزوة الثانية)

وأما الثانية من الوقعات
المتعلقة بالوهابية فهي ان
سيدنا الشريف غالبا لما
طالت غيبة أخيه في الغزوة
الاولى شمر عن ساعد
الجد وجهز جيشا آخر
وسار فيه بنفسه فخرج من
مكة في الثالث والعشرين
من شعبان سنة خمس بعد المائتين والالف ولم يزل سائرا بجنوده حتى أناخ على الشعراء وهي قرية

وعبد الله بن مسعود على القضاء وبيت المال وعثمان بن حنيف على مساحة أرض الخراج وجعل
بينهم كل يوم شاة شطرها وسواقطها لعمار بن ياسر رضي الله عنه والنصف بين هذين قال
الراوي ولا أحفظ الطعام ثم قال أنزلتكم واياى من هذا المال منزلة والى اليتيم من كان غنيا
فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وماأرى قرية يؤخذ منها كل يوم شاة الا كان
سريعا في خرابها ولما قدم عليه أول عير عام الرمادة دعا الزبير رضي الله عنه وقال اخرج في أول
هذه العير فاستقبل بها نجدا فاحمل الى اهل كل بيت ماقدرت ان تحملهم ومن لم يستطع حمله
فمر لأهل بيت ببعير بما عليه فليكسوا كسائين من ذلك ولينحروا البعير فيجملوا شحمه وليقددوا
لحمه ليأخذوا كبة من قديد وكبة من شحم وحفنة من دقيق فيطحنوا ويأكلوا حتى يأتيهم
الله برزق فاعتذر الزبير من الخروج ثم دعا طلحة رضي الله عنه فاعتذر فأمر أباعبيدة رضي الله
عنه فخرج فلما رجع بعث له بألف دينار فقال ابو عبيدة انى لم أعمل لك يا ابن الخطاب انى عملت
لله عزوجل واست آخذ في ذلك شيأ فقال عمر قد أعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياء
بمثالها فكرهنا ذلك فأبى علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلها أيها الرجل فاستعن بها على
دينك ودنياك فقبلها ابو عبيدة رضي الله عنه وتصدق بها وقد قال صلى الله عليه وسلم ماجاءك
من هذا المال وانت غير مستشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك ولما جيء له بغنائم العراق
كان فيها تاج كسرى وأساوره وكان النبي صلى الله عليه وسلم وعد بذلك سراقة بن مالك لما
تعرض لان يمسكه لكفار قريش عام الهجرة فساخت به قوائم فرسه ثم سأل النبي صلى الله عليه
وسلم الأمان وعقد التوبة فخرجت قوائم فرسه فعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام
فأبى فقال له كيف بك ياسراقة اذا لبست تاج كسرى وأساوره ثم أسلم سراقة رضي الله عنه
عام ثمان من الهجرة بالجعرانة فلما جاءت غنائم العراق وفيها تاج كسرى وأساوره قال عمر
رضي الله عنه ائتوني بسراقة بن مالك لالبسه اياهما ليتحقق بذلك معجزة النبي صلى الله عليه
وسلم في وعده سراقة بذلك فجيء له بسراقة فألبسه التاج والاساور وقال له قل الله أكبر
الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم أعرابيا من بني مدلج وأركبه
جملا وطيف به في المدينة لاظهار تلك المعجزة وقال عمر رضي الله عنه لما جيء له بغنائم العراق اللهم
انى قد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يصيب مالا فينفقه في سبيلك وعلى
عبادك فزويت ذلك عنه نظرا منك واختيارا اللهم انى قد علمت ان أبابكر رضي الله عنه كان
يحب أن يصيب مالا فينفقه في سبيلك وعلى عبادك فزويت ذلك عنه نظرا منك واختيارا
اللهم انى أعوذ بك أن يكون هذا مكرا بعمر واستدراجا ثم قال بل يحسبون ان ما نمدهم به
من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قدمت
من عند أبي موسى الاشعري من العراق على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بثمانمائة الف درهم
فقال لي بماذا قدمت قلت قدمت بثمانمائة الف درهم قال قدمت بثمانين الف درهم قلت بل
قدمت بثمانمائة الف درهم قال ألم اقل لك انما قدمت بثمانين الف درهم فكم ثمانين الف درهم
فعددت مائة الف ومائة الف حتى عددت ثمانمائة الف درهم قال اطيب هو ويلك قلت نعم
وانما سأله عن طيبه تعجبا من كثرته فاستبعد ان يكون طيبا حلالا قال فبات عمر ليلته أرقا حتى

محصنة فأحاط بجوانبها الاربع وعاملها بالقنبرة والمدفع والحرب يزداد كل يوم ثم طلب أهلها الأمان
فأمنهم وأراد العود الى
مكة لقرب زمن الحج وأقبل
عليه أخوه السيد عبد العزيز
وهو مقيم على الشعراء
وأما الاشراف الذين
فارقوا السيد عبد العزيز
فانهم قابلوا مولانا الشريف
غالبا قبل ذلك في الطريق
فعاملهم بمزيد الانعام
ورجعوا معه الى الشعراء
ثم رجع هو وأخوه السيد
عبد العزيز وجمع من معهم
الى مكة ودخلوها في
الحادي والعشرين من
ذي القعدة من السنة
المذكورة

(الغزية الثالثة)

كانت في ربيع الثاني من سنة
ست بعد المائتين والالف
جهز جيشا وأمر عليه
أيضا أخاه السيد عبد العزيز
لقتال القبائل الذين دخلوا
في دين عبد العزيز محمد بن
سعود فوصل به الى تربة
ثم الى رنية ثم الى بيشة
وأطاعه جميع قبائل تلك
الجهات وخلعوا طاعة
عبد العزيز وسيأتي انهم
سيعودون الى طاعته ثانيا
وأقام مدة ببيشة ثم عاد بمن
معه الى مكة المشرفة

(ذكر فتنة بين وزير مولانا
الشريف وكواخي
البلكات وذكر وقوع
الفتنة بين شيخ الحرم وأهل المدينة سنة ١٢٠٧) وفي سنة سبع في شعبان وقعت فتنة بالمدينة بين وزير مولانا الشريف والكواخي

اذا نودى بصلاة الصبح قالت امرأته ما نمت يا أمير المؤمنين الليلة قال كيف ينام عمر بن الخطاب وقد جاء الناس مالم يكن يأتيهم مثله منذ كان الاسلام فايأمن عمر لو هلك وذلك المال عنده فلم يضعه فى حقه فلما صلى الصبح اجتمع اليه نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم انه قد جاء الناس الليلة مالم يأتهم مثله منذ كان الاسلام وقد رأيت رأيا فأشيروا على رأيت ان أكيل للناس بالمكيال فقالوا لا تفعل يا أمير المؤمنين ان الناس يدخلون فى الاسلام ويكثر المال ولكن أعطهم على كتاب وكلما كثر الناس وكثر المال اعطيتهم عليه قال فأشيروا على بمن أبدأ منهم فقال له على وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما ابدأ بنفسك انك والى ذلك فقال لا بل أبدأ بالعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الأقرب فالأقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان مجيء هذا المال سببا لفرض العطاء كل سنة وتدوين الدواوين للعطاء كل سنة فكتب الناس ودون الدواوين فهو أول من فعل ذلك فرتب ذلك أولا باعتبار التقدم فى الذكر والتأخر ثم باعتبار المقدار الذى لكل انسان أما باعتبار التقدم والتأخر فى الذكر فى ذلك الديوان الذى رتبه فبدأ ببنى هاشم والمطلب بن عبد مناف فأعطاهم جميعا ثم اعطى بنى عبد شمس بن عبد مناف ثم بنى نوفل بن عبد مناف وانما قدم بنى عبد شمس على بنى نوفل لأن عبد شمس كان أخا لهاشم من أبيه وأمه وأما نوفل فكان أخا لهاشم لأبيه فقط ثم استوت له عبد العزى وعبد الدار ابنا قصى بن كلاب فقدم بنى أسد بن عبد العزى وهم قوم خديجة رضى الله عنها لصهر النبى صلى الله عليه وسلم فيهم ثم انفردت له بنو زهرة بن كلاب بن مرة فدعاها تتلوا عبد الدار ثم استوت له بنو تيم بن مرة وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة فقدم بنى تيم لانهم كانوا من اهل حلف الفضول والمطيبين وفيهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن ابابكر رضى الله عنه من بنى تيم ثم دعا بنى مخزوم وما تلوهم ثم استوت له سهم وجمح ابنا هصيص بن كعب وعدى بن كعب وكان عمر رضى الله عنه من عدى فقالوا له ابدأ بعدى فقال بل اقر نفسى حيث كنت فان الاسلام دخل وامرنا وامر بنى سهم واحد انظروا بين سهم وجمح فقدم بنى جمح ثم بنى سهم فكان ديوان جمح وسهم كالدعوة الواحدة فلما خلصت اليه دعوته بعد بنى سهم وجمح كبر تكبيرة عالية ثم قال الحمد لله الذى اوصل الى حظى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيأتى ذكر ما فرض لنفسه لأن الكلام الآن فى الترتيب فى التقدم والتأخر فقط لا فى ذكر المقدار المفروض ثم دعا بنى عامر بن لؤى بن فهر وكان أبو عبيدة بن الجراح من بنى فهر فتكون دعوته بعد بنى عامر فلما دعا بنى عامر بن لؤى قبل فهر قال ابو عبيدة رضى الله عنه أكل هؤلاء يدعون أمامى فقال يا أبا عبيدة اصبر كما صبرت اوكلم قومك فمن قدمك على نفسه لم أمنعه فأما أنا وبنوا عدى فنقدمك ان أحببت على انفسنا فقال ابو عبيدة اصبر كما صبرت أنت ولا حاجة الى ذكر ترتيب القبائل لأنه يطول وبقى هذا الترتيب الذى رتبه عمر رضى الله عنه الى زمن خلافة بنى العباس فوقع تشاجر بين بنى سهم وبنى جمح فى خلافة المهدى بن منصور فافترقوا فقدم المهدى عليهما بنى عدى وأما بنو هاشم والمطلب فكانا على ترتيب عمر رضى الله عنه فى مرتبة واحدة لقول النبى صلى الله عليه وسلم انما نحن وبنو المطلب كشىء واحد فاذا كان السن فى الهاشمى قدمه على المطلبى واذا كان فى المطلبى قدمه

اختلاف بين شيخ الحرم وأهل المدينة وكادت ان تقوم الفتنة بينهم فأرسل مولانا الشريف السيد ناصر بن مستور فأصلح الامر وفى هذا الشهر أرسل مولانا الشريف للدولة العلية يخبرهم بظهور أمر الوهابية وأرسل لذلك السيد محسن بن عبد الله الحمودى والسيد حسينا مفتى المالكية فلم تكترث الدولة لهذا الخبر ولم تلتفت اليه (الغزوة الرابعة) كانت فى السادس والعشرين من ذى الحجة سنة ثمان بعد المائتين والالف وجعل تلك الغزوة أيضا على من دخلوا فى طاعة ابن سعود وتبعوه على ما تدعه محمد بن عبد الوهاب فجمع كثيرا من العربان من البقوم وعتيبة وغيرهم وأمر على هذه الغزوة عثمان المضايفى فصبح جماعة ابن قحطان بموضع يقال له عقيلان وصارت بينهم ملحمة عظيمة وحصل على عثمان هضيمة فانه بعد ان أخذ جميع ابل ابن قحطان وطلع الفجر وجاء صال ابن قحطان على عثمان وهزمه ولكنه لم ينتزع منه ما أخذ من ابله فتمنع منه عثمان حتى رجع الى مكة وفى سنة ثمان قبض مولانا الشريف على الشريف عبدالله بن

(وبقى)

سرور لامر بلغه عنه وأودعه السجن أربعة أشهر ثم تدلى بحبل وهرب

ويقى ذلك الى خلافة عبد الملك بن مروان فقدم بنى هاشم على بنى المطلب ثم ان عمر رضى الله
عنه بعد ترتيب القبائل فى الديوان الأقرب فالأقرب الى النبى صلى الله عليه وسلم فرض
المقدار الذى يعطى لكل انسان وجعل التفاوت على السابقة للاسلام واما أبو بكر رضى
الله عنه فكان يسوى بين المسلمين فى القسم ولا ينظر الى أسبقية الاسلام فراجعه عمر رضى الله
عنه فى ذلك فلم يقبل مراجعته فى ذلك وقال انما فضلهم عند الله تعالى وانما الدنيا بلاغ فلما
صارت الخلافة لعمر رضى الله عنه فاضل بينهم بالنسبة للاسبقية فى الاسلام ولا ينكر على
أحد منهما لان ذلك اجتهاد وجعل صفوان بن أمية والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو مع
من أسلم عام الفتح وكان ذلك أقل من عطاء من أسلموا قبل ذلك فامتنعوا من أخذه وقالوا لانعترف
أن يكون أحد أكرم منا فقال انما أعطيتكم على السابقة فى الاسلام لا على الاحساب قالوا فنعم
اذا وأخذوا وخرج الحارث وسهيل بأهليهما نحو الشام فلم يزالا مجاهدين وفرض لاهل بدر
خمسة آلاف كل سنة ثم فرض لمن بعد بدر الى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم فرض
لمن بعد الحديبية الى تمام قتال أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض لاهل القادسية وأهل
الشام ألفين ألفين وفرض لمن كان منهم مشهورا بالشجاعة ولاقى بلاء فى تلك الوقائع ألفين
وخمسمائة فقيل له لو جعلت أهل القادسية مثل هؤلاء بألفين وخمسمائة فقال لم أكن
لالحقهم بدرجة من لم يدركوا وقيل له قد سويت من بعدت داره بمن قربت داره وقاتلهم عن
فنائه فقال من قربت داره أحق بالزيادة لانهم كانوا رداء للحتوف وشجى للعدو فهلا
قال المهاجرون مثل قولكم حين سوينا بين السابقين منهم والانصار فقد كانت
نصرة الانصار بفنائهم وهاجر اليهم المهاجرون من بعد وفرض لمن بعد القادسية
واليرموك ألفا ألفا ثم فرض لمن بعدهم خمسمائة ثم للروادف بعدهم ثلاثمائة سوى
فى كل طبقة بين قويهم وضعيفهم عربهم وعجمهم وفرض للروادف بعدهم على
مائتين وخمسين ولمن بعدهم على مائتين وفرض للعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اثنى عشر ألفا والحق بأهل بدر أربعة من غير اهل بدر وهم الحسن والحسين وابو ذر
وسلمان الفارسى رضى الله عنهم وفرض لزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشرة آلاف عشرة آلاف الا من جرى عليها الملك كصفية ومارية وجويرية فقال نسوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلنا عليهن فى القسمة
فسو بيننا ففعل وفضل عائشة رضى الله عنها بألفين لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اياها فلم تأخذ الا مثلهن وامتنعت من أخذ الزيادة وجعل نساء اهل بدر فى خمسمائة خمسمائة
ونساء من بعدهم الى الحديبية فى اربعمائة ونساء من بعد ذلك الى تمام قتال اهل الردة فى ثلاثمائة
ثلاثمائة ونساء اهل القادسية مائتين مائتين ثم سوى بين النساء بعد ذلك وجعل الصبيان
سواء على مائة مائة ثم جمع ستين مسكينا وأطعمهم الخبز فأحصوا ما أكلوا فوجدوه يخرج
من جريبتين ففرض لكل انسان منهم ولعياله جريبتين فى شهر والجريب مكيال قدر اربعة
اقفزة فالقفيز مكيال يسع ثمانية مكاكيك والمكوك مكيال يسع صاعا ونصفا فتكون
الجريبتان ستا وتسعين صاعا ثمانية وأربعون له وثمانية وأربعون لعياله وأشار عليه

(ذكر السيل الذى كان بمكة سنة ١٢٠٨)

وفى شعبان من سنة ثمان كان السيل المشهور عند أهل مكة الذى خرب كل ناحية وسكة وهدم كثيرا من الدور وقتل من الخلق نحو الاربعين جرى عليهم المقدور

(الغزوة الخامسة)

فى شهر ربيع الآخر من سنة تسع جهز سيدنا الشريف غالب جيشا وأمر عليه أخاه مولانا الشريف عبد المعين فسار من الطائف ومعه كثير من القبائل والجنود وقصد موضعا يقال له رغوة فيه هادى بن قرملة وكان ممن تبع ابن سعود ودخل فى دينه فلما وصل ذلك الموضع وجده قد أنذر به وفر هاربا فقصد الشريف عبد المعين رنية بمن معه من العربان وكان فى رنية ممن تبع ابن سعود بن قطنان فحصره فى قصره حتى قبض عليه باليد وأرسله الى سيدنا الشريف غالب فلما وصل اليه طلب السماح والعفو فعفا عنه وعاهده وأطلقه فتوجه بعد توبته وعهده والغدر يلمع بين عينيه فلما وصل الى بلده
أظهر العصيان وقاتل فصنع له الشريف عبد المعين دسيسة وأرسل له جماعة أظهروا له انهم معه وعلى دينه فصدقهم فطلعوا عنده

بعض الصحابة ان يبقى في بيت المال شيأ من المال عدة لكون ان كان فقال عمر رضي الله عنه
هذه كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقاني الله شرها وهي فتنة لمن بعدي بل أعدلهم ما اعد الله
ورسوله طاعة الله ورسوله هما عدتنا التي بها أفضينا الى ما ترون فاذا كان المال ثمن دين
احدكم هلكتم وفي رواية قدم على عمر مال من العراق فقسمه فقام اليه رجل فقال يا أمير
المؤمنين لو أبقيت من هذا المال لعدو ان حضر او نازلة أو نائبة ان نزلت فقال عمر قاتلك
الله نطق بها على لسانك الشيطان لقنني الله حجتها والله لا أعصي الله اليوم ولكن أعدلهم
كما أعدلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال عمر للمسلمين في شأن نفسه اني كنت امرأ
تاجرا يغني الله عيالي بتجارتي وقد شغلتموني بأمركم هذا فما ترون أنه يحل لي في هذا المال
فأكثر القوم وعلي رضي الله عنه ساكت فقال ماتقول يا أبا الحسن فقال ما أصلحك وعيالك
بالمعروف ليس لك غيره فقال القوم ماقال علي فأخذ بما قال علي رضي الله عنه واشتدت
مرة حاجة عمر فاجتمع نفر من الصحابة منهم عثمان وطلحة والزبير فقالوا لو قلنا لعمر في زيادة
نزيده اياها في رزقه فقال عثمان هلموا فلنستبرئ ما عنده من وراء وراء فأتوا حفصة ابنته
فأعلموها الحال واستكتموها أن لا تخبر بهم عمر فلقيت عمر في ذلك فغضب وقال من هؤلاء
لأسوءنهم قالت لاسبيل الى علمهم قال انت بيني وبينهم ماافضل ما اقتنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بيتك من الملبس قالت ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد والجمع قال فأي الطعام ناله
عندك ارفع قالت حرفا من خبز شعير فصببنا عليه وهو حار اسفل عكة لنا فجعلتها دسمة
حلوة فأكل منها قال وأي مبسط كان يبسط عندك كان اوطأ قالت كساء ثخين كنا نربعه في
الصيف فاذا كان الشتاء بسط نصفه وتدثر بنصفه قال ياحفصة فأبلغيهم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قدر فضل الفضول فوضعها مواضعها وتبلغ بالترجية فوالله لأضعن الفضول
مواضعها ولأتبلغن بالترجية وانما مثلي ومثل صاحبي كثلاثة سلكوا طريقا فمضى الاول
وقد تزود فبلغ المنزل ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى اليه ثم اتبعه الثالث فان لزم
طريقهما ورضي بزادهما لحق بهما وان سلك غير طريقهما لم يجامعهما وكان فرض العطاء
وتدوين عمر الدواوين سنة خمس عشرة من الهجرة وخطب عمر رضي الله عنه بالجابية
لما كان بالشام فقال ان الله جعلني خازنا لهذا المال وقاسما له ثم قال بل الله يقسمه وانا بادئ بأهل
النبي صلى الله عليه وسلم ثم اشرافهم ففرض لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم الاجويرة
وصفية ومارية رضي الله عنهن ثم لما قالت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يعدل بيننا فعدل عمر بينهن رضي الله عنهن ثم قال اني بادئ بالمهاجرين الاولين الذين
اخرجوا من ديارهم ظلما وعدوانا ثم اشرفهم فمن اسرع في الهجرة اسرع بالعطاء ومن ابطأ
في الهجرة ابطأ به العطاء فلا يلومن رجل الا مناخ راحلته ولما قدم الشام استقبله الناس وهو
على بعيره قالوا يا أمير المؤمنين لو ركبت برذونا يلقاك عظماء الناس ووجوههم فقال عمر
لا أراكم ههنا انما الأمر ههنا وأشار بيده الى السماء خلوا سبيل جملي ودخل مرة على مزبلة
فاحتبس عندها فكأن أصحابه تأذوا بها فقال هذه دنياكم التي تحرصون عليها وقال نظرت
في هذا الأمر اذا أردت الدنيا أضر بالآخرة واذا أردت الآخرة أضر بالدنيا فاذا كان

ابن سعود ومنها موضع يقال
له بريم ثم قصد شعيا وغزا
على موضع يقال له سياج
الخيل نزل به أناس دخلوا
في دين محمد بن عبد الوهاب
فيهم جماعة من هتيم ومطير
فأما مطير فجاءهم نذير
فارتحلوا وأما هتيم فصكهم
صكة عجيبة وقتل منهم
كثيرا وأخذ مواشيهم
ثم رجع الى مكة في ثامن
رجب الاصم من العام
المذكور فهذه غزوة مشتملة
على غزوات

(الغزية السادسة)

كانت في شهر صفر من سنة
عشر جهز مولانا الشريف
غالب غزية من جنوده
وأمر عليها السيد ناصر
ابن سليمان وأمره بقصد
جماعات من القبائل الذين
دخلوا في دين ابن سعود
فغزاهم وتنقل في مواضع
كثيرة منها الثمانية عدا فيها
على آل روق وقتلهم قتلة
شنيعة وأخذ لهم قطائع من
الابل ورجع سالما

(الغزية السابعة)

كانت في الثالث من شهر
ربيع الثاني من سنة عشر
أيضا جهز مولانا الشريف
غالب جيشا وأمر عليه
السيد فهيد بن عبد الله بن
سعيد وأمره بقصد جماعة
من أتباع ابن سعود فأناخ
أولا بمن معه بالمبعوث فعرض عليه كثير من القبائل ثم أناخ بالحنو فعرض عليه القوم وقبائل كثيرة

الأمر هكذا فأضروا بالفانية وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان الله عزوجل جعل أبا بكر وعمر حجة على من بعدهما من الولاة الى يوم القيامة سبقا والله سبقا بعيدا وأتعبا من بعدهما تعبا شديدا وعن الامام مالك رضي الله عنه قال كان السلف يعلمون أولادهم حب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما يعلمونهم السورة من القرآن وعن شعيب بن حرب قال قلت لمالك اوصني قال اوصيك بحب الشيخين ابي بكر وعمر فقلت ان الله عزوجل اعطاني من ذلك شيأ كثيرا قال والله اني لارجو لك على حبهما ما ارجو لك على التوحيد وهذا الفرض الذي فرض عمر رضي الله عنه في العطاء غير الفرض الذي فرض ابو بكر رضي الله عنه فان أبا بكر سوى بين الناس في الفرض والعطاء نظرا لاستوائهم في الاسلام وأكثر مال جاءه عشرين درهما عشرين درهما وفضلت فضلة فقسمها للخدم خمسة دراهم خمسة دراهم وقال ان لكم خدما يخدمونكم ويعالجون لكم فرضخنا لهم فلما فتحت الفتوحات في خلافة عمر رضي الله عنه وجاءته الأموال قال ان ابا بكر رضي الله عنه رأى في هذا المال رأيا ولي فيه رأي آخر وفاضل بين الناس في الفرض كما تقدم وقال لا اجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه وفاضل بين اسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ففرض لأسامة اربعة آلاف ولعبد الله بن عمر ثلاثة آلاف فقيل له لم زدت لأسامة الفا وفضلته على ابنك عبد الله فقال ما كان لأبي عبد الله ما كان لأبي اسامة من الفضل وما كان لعبد الله ما كان لأسامة فان أبا اسامة كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابي عبد الله وكان اسامة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عبد الله وفرض لابناء المهاجرين والانصار ألفين ألفين فمر به عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زيدوه ألفا وقال اني فرضت له بأبيه أبي سلمة ألفين وزدته بأمه أم سلمة الفا فان كانت أمه كأمه زدناه الفا وجاءه طلحة بن عبيد الله بأخيه عثمان ففرض له ثمانمائة فمر به النضر بن أنس بن النضر فقال افرضوا له ألفين فقال له طلحة جئتك بمثله ففرضت له ثمانمائة وفرضت لهذا ألفين فقال ان أباهذا وهو أنس بن النضر لقيني يوم أحد حين أضرب الناس وصرخ الشيطان ان محمدا قتل فقال لي مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الناس يقولون انه قد قتل فسل سيفه وكسر غمده وقال ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فان الله حي لا يموت فقاتل حتى قتل فان كان أبو أخيك عثمان مثل أبيه نفرض له مثل ما فرضناه وجعل الفرض لم يفرض له من الصبيان من بعد الفطام من الرضاع ثم غير ذلك وجعل الفرض لمن يفرض له من الصبيان من حين الولادة وسبب ذلك أنها جاءت قافلة تحمل طعاما الى المدينة وغربت الشمس قبل دخول القافلة المدينة فباتت القافلة خارج المدينة فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فقال لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه اني أخشى على هذه القافلة من السراق اخرج بنا نحرسهم من بعد فخرج ومعه عبد الرحمن بن عوف يحرسان القافلة من بعد وقاما يتهجدان بالصلاة فسمع عمر رضي الله عنه بكاء صبي بالمدينة فقال لعبد الرحمن بن عوف احرس القافلة حتى أنظر سبب بكاء هذا الصبي فتوجه نحو الصبي وقال لأمه اتقي الله وأحسني الى صبيك ثم عاد الى مكانه فسمع بكاءه مرة ثانية فعاد الى امه فقال لها مثل ما قال

ثم أناخ بالقنصلية ثم أناخ دون رنية فعرض عليه بنوهاجر على رأس شبنان وقبض وهو في ذلك الموضع على ثلاثة جواسيس أرسلهم هادي بن قرملة فقطع رؤس اثنين منهم وأخبره الثالث بموضع القوم مخافة ان يقتله فعفا عنه وارتحل وأجد في السير بمن معه وفي اليوم الثاني وصل الى الموضع الذي فيه هادي بن قرملة فأدار عليه الرحى وأخذه أخذة الضحى وقتل من جماعته ما يقارب المائة وانهزم من بقي من تلك الفئة ثم توجه على طريق الفرشة فصادف جماعة من قحطان تحت امارة ابن قحصان ومعه كثير من الابل فأغار عليهم وأخذها وقتل من كان معها الامن فر ومن عجيب الاتفاق انهم صادفوا ابن شذر من شيوخ قحطان كان غازيا ببعض العربان وكان ابن قحصان ممن تابع ابن سعود فقتل السيد فهيد من جماعته خمسة وأربعين وأخذ ابن شذر وما معهم من الابل واقتلع من خيلهم خمس قلائع ومن جياد الركاب عشرين ذلولا وربط سبعة وأوصلهم الى رنية وأمر بقطع خصانهم ثم رجع الى الفرشة ثم الى تربة ثم الى الطائف وكان مولانا الشريف غالب اذ ذاك بالطائف

فى المرة الأولى ثم عاد الى مكانه فلما كان آخر الليل سمع بكاءه فعاد الى أمه فقال ويحك انى لأراك أم سوء مالى أرى ابنك لايقر منذ الليلة فقالت وهى لاتعرف انه عمر ياعبدالله انى أحاوله على الفطام فيأبى قال ولم قالت لأن عمر لايفرض للمولود الابعد الفطام فأريد ان أفطمه قبل أو ان فطامه ليفرض له عمر قال فكم له قالت كذا كذا شهرا فقال لاتعجليه ورجع الى عبدالرحمن بن عوف وهو يبكى ويقول يابؤسا لعمر كم قتل من أبناء المسلمين فلما صلى الفجر أمر مناديا ينادى ان لاتعجلوا على صبيانكم الفطام فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام من حين يولد وكتب بذلك الى الآفاق أن يفرضوا لكل مولود فى الاسلام من حين يولد وكان رضى الله عنه شديد الخوف من الله تعالى قوى الرجاء حتى كان خوفه ورجاؤه كجناحى طائر فى الاعتدال فكان يقول لونادى مناد من السماء لايدخل النار الارجل واحد لخفت أن أكون أنا ولو نادى مناد لايدخل الجنة الارجل واحد لرجوت ان أكون انا وكان رضى الله عنه مدة خلافته لاينام ليلا ولا نهارا الا خفقات يخفقها ويقول ان نمت ليلا أضعت نفسى وان نمت نهارا أضعت رعيتى وقرأ يوما اذا الشمس كورت حتى بلغ واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه أياما يعاد وأرسل مرة الى عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه يستسلفه أربعمائة درهم فقال عبدالرحمن تستسلفنى وعندك بيت المال ألا تأخذ منه ثم ترده فقال عمر انى أتخوف ان يصيبنى قدرى يعنى الموت فتقول انت واصحابك اتركوها لأمير المؤمنين حتى تؤخذ منى يوم القيامة ولكن استسلفها منك فاذا مت جئت واستوفيتها من ميراثى وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال والله لو اعلم ان كلبا يحب عمر لأحببته ووددت انى كنت خادما لعمر حتى اموت ولقد وجد فقده كل شئ حتى العضاه وان هجرته كانت نصرا وان سلطانه كان رحمة وقال ابن مسعود لابنه عبدالله وهو فى حلقة فى المسجد الحرام ياأباعبدالرحمن ما الصراط المستقيم الا الذى كان عليه ابوك ثابتا حتى دخل الجنة ورأى ربه وحلف ثلاث أيمان على ذلك وقال معاوية لصعصعة بن صوحان صف لى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كان عالما برعيته عادلا فى نفسه قليل الكبر قبولا للعذر سهل الحجاب مفتوح الباب متحريا للصواب بعيدا من الاساءة رفيقا بالضعيف غير صخاب كثير الصمت بعيدا من العبث وكتب عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص وهو على مصر رضى الله عنهما كن لرعيتك كما تحب لك أميرك وعن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال دخل عيينة بن حصن على عمر رضى الله عنه فقال هيه ياابن الخطاب فوالله ماتعطينا الجزل ولاتحكم بيننا بالعدل فغضب عمر رضى الله عنه حتى هم ان يوقع به فقال الحر بن قيس ياأمير المؤمنين ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ماتجاوزها عمر حين تلاها و كان وقافا عند كتاب الله عزوجل وعن الحسن البصرى قال يجيء الاسلام يوم القيامة فيتصفح وجوه الناس حتى يجيء الى عمر رضى الله عنه فيصعد فيقول اى رب كنت خفيا واهان وهذا أظهرنى وأنت اعلم قال فيجيء ملائكة فتأخذ بيده فتدخله الجنان والناس فى الحساب وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال كان عمر اذا نهى الناس عن شئ دخل على أهله أو قال جمع اهله فقال انى

السيد عبدالمعين فسار بمن معه حتى أناخ على بريم الى نصف القعدة وورد عليه كثير من القبائل وصار يرسل الجواسيس فوجدوا من يريدون من العربان قد ترفعوا وأبعدوا لما سمعوا بهذا الغزو فأبق رتبة فى تربة أمر عليه السيد سعد بن عرمطة واستأذن مولانا الشريف غالبا فى الرجوع فأذن له فرجع فوجده يستقبله فى الاخيضر ثم رجعا معا الى الطائف ثم الى مكة رابع ذى الحجة

(الغزوة التاسعة)

كانت فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة عشر أيضا جهز سيدنا الشريف غالب جيشا كثيفا أمر عليه السيد ناصر بن سليمان فتوجه حتى أناخ بعران وعرض عليه كثير من القبائل ثم انتقل الى موضع يقال له عفيف ثم الى موضع يقال له الشماس وتزايد عليه العربان فدهمهم جيش الوهابيين ومعهم ابن ربيعان وهادى بن قرملة والدوشان وخلق كثير فصار بينهم قتال وملحمة عظيمة وقتل من الفريقين خلق كثير وقتل من مراجل الشريف ثلاثة وأربعون وأخذ الوهابيون كثيرا من مواشى البوادى ورجع السيد ناصر بن سليمان ومن

عشرة ومائتين وألف جهزمولانا الشريف غالب جيشاوأمر عليه السيدفهيد بن عبدالله بن سعيدفتوجه بن معه من الطائف الى الاخيضر ثم الى ركبة وأرسل منها سرية الى الخرمة وأمر عليها السيدحسن بن غالب فأغار على أهل الخرمة وقتل منهم ورجع الى ركبة وجاءه قبائل من قحطان والبقوم وانضموا الى من معه وارتحل بمن معه وأناخ بكشب وأغار على قوم من حرب دخلوا فى دين الوهابى وأخذلهم خمسين من الابل ثم ارتحل الى موضع يقال له روغ النعام فدهمهم الجيلانى أمير الخرج ومعهم جند كثير من مطير وغيرهم فوقعت ملحمة عظيمة بينهم وقتل كثير من الطرفين ثم ارتحل السيدفهيدبمن معه الى الحناكية وهى قريبة من المدنة المنورة عرض عليه كثير من قبائل حرب ووفدعليه كثير من بنى حسين أهل السورقية ثم انتقل الى موضع يقال له صلبة وغزا بمن معه على هادى بن قرملة

قد نهيت الناس عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم كما ينظر الطير الى اللحم فان وقعتم وقعوا وان هبتم هابوا وانى والله لاأوتى برجل منكم وقع فيما نهيت الناس عنه الا أضعفت له العقوبة لمكانه منى فمن شاء منكم فليتقدم ومن شاء فليتأخر وعن ضبة بن محصن العنزى قال كان علينا أمير ابالبصرة أبوموسى الاشعرى رضى الله عنه فكان اذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وأنشأ يدعو لعمر رضى الله عنه قال فغاظنى ذلك منه فقمت اليه حيث لايذكر أبا بكر رضى الله عنه فقلت له أين أنت من صاحبه يعنى ابا بكر رضى الله عنه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب الى عمر يشكونى يقول ان ضبة بن محصن العنزى يتعرض لى فى خطبتى فكتب اليه عمر أن أشخصه الى قال فأشخصنى اليه وقدمت فضربت عليه الباب فخرج الى فقال من أنت فقلت انا ضبة فقال لامرحبا ولا أهلا قلت أما المرحب فمن الله وأما الاهل فلا أهل لى ولا مال فبما استحللت ياعمر اشخاصى من بلدى بلا ذنب أذنبته ولا شئ أتيته قال ماالذى شجر بينك وبين عاملى قال قلت الآن اخبرك انه كان اذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك فغاظنى ذلك منه فقمت له فقلت له اين انت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب اليك يشكونى قال فاندفع عمر رضى الله عنه باكيا وهو يقول انت والله أوفق منه وأرشد فهل انت غافر لى ذنبى يغفر الله لك فقلت غفر الله لك ياأمير المؤمنين قال ثم اندفع باكيا وهو يقول والله لليلة من أبى بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك ان احدثك بليلته ويومه قلت نعم قال أما الليلة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا ومعه ابو بكر رضى الله عنه فجعل يمشى مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذا ياابا بكر ماأعرف هذا من أفعالك فقال يارسول الله اذكر الرصد فأكون امامك واذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لاآمن عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه اى حتى لايظهر اثر قدميه فى الارض حتى حفيت فلما رأى ابو بكر رضى الله عنه انها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار فأنزله ثم قال والذى بعثك بالحق لاتدخله حتى أدخله فان كان فيه شئ نزل بى قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيأ فحمله فأدخله وكان فى الغار خرق فيه حيات وأفاع فألقمه ابو بكر قدمه مخافة ان يخرج منه شئ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه وجعلن يضربن أبا بكر فى قدمه وجعلت دموعه تنحدر على خديه من ألم مايجده ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له ياابا بكر لاتحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه اى الطمأنينة لابى بكر فهذه ليلته وأما يومه فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نصلى ولانزكى فأتيته لاالوه نصحا فقلت ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارفق بهم فقال لى اجبار فى الجاهلية خوار فى الاسلام فبماذا أتألفهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحى فوالله لئن منعونى عقالا كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الامر فهذا يومه ثم كتب الى ابى موسى يلومه وقال الاوزاعى فى وعظ وعظ به المنصور بلغنى ان عمر بن الخطاب

بموضع يقال له البقرة فصكهم صكة أى صكة وقاتلهم قتلة شنيعة وأخذ فرس ابن قرملة وابله ثم عاد الى صلبة ثم أراد غزو آخر

رضي الله عنه قال لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت ان أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك وحدثني يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرو الانصاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فرآه بعد ايام مقيما فقال له ما منعك من الخروج الى عملك أما علمت أن لك مثل أجر المجاهدين في سبيل الله قال لا قال وكيف ذلك قال انه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من وال يلي شيأ من أمور الناس الا أتي به يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه لا يفكها الا عدله فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا نجا باحسانه وان كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فيهوي به في النار سبعين خريفا فقال له عمر رضي الله عنه ممن سمعت هذا قال من أبي ذر وسلمان فأرسل اليهما عمر فسألهما فقالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه واعمراه من يتولاها بما فيها فقال ابوذر رضي الله عنه من سلب الله أنفه والصق خده من الأرض فأخذ عمر رضي الله عنه المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكاني وقال عمر رضي الله عنه لا يقيم أمر الناس الا حصين العقل أريب الفقه لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرة ولا تأخذه في الله لومة لائم وقال ايضا الأمراء اربعة فأمير قوي ظلف نفسه اي منعها وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة وأمير ظلف نفسه وارتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك الا أن يرحمه الله وأمير ظلف عماله وارتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده وامير ارتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا وقال عمر ايضا رضي الله عنه اللهم ان كنت تعلم اني ابالي اذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين وكان الخليفة المنصور مهابا شديد الهيبة لا يتجرأ احد ان يعظه بمثل ما وعظه الأوزاعي وانما تجرأ الأوزاعي على ذلك لانه طلبه واحضره من الشام الى بغداد وسأله ان يعظه فقال الاوزاعي اخاف ان تسمعه ثم لا تعمل به فصاح به الربيع وزير المنصور وأهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة قال الاوزاعي فطابت نفسي وانبسطت في الكلام ومن جملة ما قال له في ذلك المجلس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عبد جاءته موعظة من الله في دينه فانها نعمة من الله تعالى سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها اثما ويزداد الله بها سخطا عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة ومن كره الحق كره الله ان الله هو الحق المبين ان الله الذي لين قلوب رعيتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رؤفا رحيما مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس فحقيق بك ان تقوم فيهم بالحق وان تكون بالقسط له قائما ولعوراتهم ساترا لا تغلق عليك دونهم الأبواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما أصابهم من سوء يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين تملكهم أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعث منهم فئام وراء فئام وليس منهم أحد الا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه

(أو ظلامة)

فامتنع العسكر أشد الامتناع فرجع الى مكة كانت في العام المذكور بعد رجوع السيد فهيد جهز له مولانا الشريف غالب جيشا وأمره بالرجوع وان يغزو أهل رنية فسار بمن معه حتى أناخ بهم ووقع القتال بينه وبينهم فملكها وأخذ ما فيها من الغنائم وأحرق دورها ثم قصد بيشة فنزل منها موضعا يسمى الجنينة فقابله أهلها بالترحاب وأرسل الجواسيس ينظرون له قوما سماهم لهم أراد الاغارة عليهم فرجعوا وأخبروه أنهم ارتحلوا وأبعدوا ولم يبق منهم أحد فرجع الى رنية ثم الى تربة ثم الى مكة وفي هذه السنة أعني سنة احدى عشرة توفي السيد عبد العزيز ابن مساعد وهو أخو مولانا الشريف وكانت وفاته في الثاني والعشرين من جمادى الاولى ودفن في قبة السيدة خديجة على أخيه الشريف سرور في قبره وفي شهر رمضان ركب سيدنا الشريف بنفسه على بني عمرو أهل القفاع لقطعهم الطريق فقتل منهم ثلاثة وربط أربعة وأتلف مراحهم ورجع الى جدة ثم الى مكة وهذه خارجة من الغزوات المتعلقة بالوهابي

(ذكر الحريق الذي في دار أولاد الشريف سرور سنة ١٢١٢) وفي سابع عشر محرم من

أوظلامة سقتها اليه ياامير المؤمنين كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فأتاه جبريل عليه السلام فقال يامحمد ماهذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق أستارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه ياأمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده فأتاه جبريل عليه السلام فقال يامحمد لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الأعرابي فقال اقتص مني فقال الأعرابي قد أحللتك بأبي انت وأمي وما كنت لافعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسي فدعا له بخير ياأمير المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذلها الأمان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والارض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا ومافيها ياأمير المؤمنين ان الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك ولم يبق لغيرك ياأمير المؤمنين أتدري ماجاء عن جدك في تأويل هذه الآية مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن ياامير المؤمنين أتدري ماجاء عن جدك في تأويل هذه الآية ياداود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله قال الله تعالى في الزبور ياداود اذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك في أحدهما هوى فلا تتمنين في نفسك ان يكون الحق له فيفلج على صاحبه فأمحوك من نبوتي ثم لاتكون خليفتي ولا كرامة ياداود انما جعلت رسلي الى عبادي رعاء كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلاء والماء ياامير المؤمنين انك قد بليت بأمر لو عرض على السموات والارض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه ياامير المؤمنين قد سأل جدك العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ياعباس ياعم رسول الله نفس تحييها خير من امارة لاتحصيها نصيحة منه لعمه وشفقة عليه وأخبره أنه لايغني عنه من الله شيأ اذ أوحى الله اليه وأنذر عشيرتك الأقربين فقال ياعباس عم رسول الله وياصفية عمة رسول الله ويافاطمة بنت محمد اني لست أغني عنكم من الله شيأ ان لي عملي ولكم عملكم وقد بلغني ياامير المؤمنين ان جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة فقال له ياجبريل صف لي النار فقال ان الله تعالى أمر بها فأوقد عليها الف عام حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اصفرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لايضيء جمرها ولايطفأ لهبها والذي بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب اهل النار أظهر لأهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا من شرابها صب في مياه الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله تعالى وضع على جبال الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا أدخل النار ثم اخرج منها لمات أهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل عليه السلام لبكائه فقال أتبكي يامحمد وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ولم بكيت أنت ياجبريل وانت

سنة اثنتي عشرة حرقت دار باب القطبي لأولاد الشريف سرور فيها من الأدباش ماتضيق عنه السطور وهي خراب الى يومنا هذا وفي سنة اثنتي عشرة أيضا أرسل مولانا الشريف الشيخ أحمد تركي للدولة العلية يستنجدهم ويطلب منهم الاعانة على دفاع الوهابية فلم يجيبوا دعوته ولم يلتفتوا لذلك ولم يكترثوا به فمازال قائما بدفاعهم وحده

(الغزية الثانية عشرة)

كانت في الخامس والعشرين من محرم سنة اثنتي عشرة ومائتين وألف جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه أيضا السيد فهيد بن عبدالله بن سعيد فأغار على قوم موهبين من حرب في عريق الدسم وغنم ماعندهم من النعم ورجع سالما

(الغزية الثالثة عشرة)

كانت في الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتي عشرة أيضا جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه السيد مبارك بن محمد بن مساعد بن سعيد فأغار على قوم من حرب أيضا موهبين وكانوا في موضع يقال له العلم فأخذ مراحهم ومواشيهم ثم توجه مقبلا فصادف خمسة وأربعين من الوهابية خارجين ببضاعة اشتروها من المدينة المنورة فقبضهم ووضعهم في الحديد ثم أخذ أخبارهم وقتلهم جميعا واقبل راجعا فبلغ مولانا

الروح الامين أمين الله على وحيه قال أخاف ان ابتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهو الذى منعنى من اتكالى على منزلتى عند ربى فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله آمنكما ان تعصيا فيعذبكما وفضلك على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة عليهم السلام يا امير المؤمنين ان أشد الشدة القيام لله بحقه وان أكرم الكرم عند الله التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه وهذه نصيحتى اليك والسلام عليك ثم نهض الاوزاعى فقال له المنصور الى أين قال الى الولد والوطن باذن أمير المؤمنين ان شاء الله تعالى قال قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه استعين وعليه أتوكل وهو حسبى ونعم الوكيل فلا تخلنى من مطالعتك اياى بمثل هذا فانك المقبول القول غير المتهم فى النصيحة قلت أفعل ان شاء الله تعالى ثم امر المنصور للاوزاعى بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال انا فى غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتى بعرض من الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه فى ذلك وروى ابن المهاجر ان المنصور قدم مكة شرفها الله حاجا فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف فى آخر الليل يطوف ويصلى ولا يعلم به أحد فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاءه المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلاة فيصلى بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينما هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم انى اشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع المنصور فى مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل اليه فدعاه فأتاه الرسول وقال له أجب امير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذى سمعتك تقول من ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم فوالله لقد حشوت مسامعى ما أمرضنى وأقلقنى فقال يا أمير المؤمنين ان أمنتنى على نفسى انبأتك بالامور من أصولها والا اقتصرت على نفسى ففيها لى شغل شاغل فقال له انت آمن على نفسك فقال الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغى والفساد فى الارض أنت فقال ويحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى يدى والحلو والحامض فى قبضتى قال وهل دخل احدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين ان الله تعالى استرعاك امور المسلمين وأموالهم فأغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها منهم وبعثت عمالك فى جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة ان نسيت لم يذكروك وان ذكرت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العارى ولا الضعيف ولا الفقير ولا أحد الا وله فى هذا المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وامرت ان لا يحجبوا عنك تجبى الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا فأتمروا ان لا يصل اليك من علم اخبار الناس شئ الا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم امرا الا أقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر

عرمطة فتكون هذه

(الغزية الرابعة عشرة) فأقبل السيد سعد المذكور حتى اجتمع بالسيد مبارك ابن محمد على صلبة بتلك الجنود فارتحلوا وأقاموا على مران وأرسلوا العيون والجواسيس فرجعوا اليهم وأخبروهم أن الوهابى جمع لهم جموعا لا طاقة لهم بمقابلتها وأرادوا الرجوع الى مكة فمنعهم مولانا الشريف من الرجوع وخرج بنفسه وهى

(الغزية الخامسة عشرة ويقال لها غزية الخرمة التى كان فيها الوقعة العظمى)*

غزافيها مولانا الشريف غالب بنفسه وكانت فى الحادى عشر من شعبان سنة اثنتى عشرة أيضا جمع مولانا الشريف جمعا عظيما من أبطال الرجال وادخر الخزائن كأمثال الجبال وفرق على القوم الكثير من المال وأخذ معه جملة من أرباب الصنائع والحرف وتوجه وأناخ بوادى العقيق فاجتمعت عليه القبائل من كل مكان ثم توجه الى مران فوفد عليه السيد مبارك بن محمد والسيد سعد بن عرمطة ثم ارتحل الى المويه والبقرة وأغار على قوم من قحطان وأخذوا مواشيهم ثم أغار على ابن قرملة فى القنصلية

قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم عظمهم الناس وهابوهم وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذووا القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلأت بلاد الله من الطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركائك في سلطانك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول اليك وان أراد رفع صوته أوقصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فيبلغ بطاعتك سألوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وكانت للمتظلم بهم حرمة واجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا جهد وأخرج وظهر وصرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر ولا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام وأهله على هذا ولقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الا رجعت ظلامته اليهم فينصف ولقد كان الرجل يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا أهل الاسلام فيبتدرونه مالك مالك فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فينتصف له ولقد كنت يا أمير المؤمنين اسافر الى ارض الصين وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه مالك تبكي لا بكت عيناك فقال اما اني لست أبكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قال أما ان كان قد ذهب سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوبا أحمر الا المظلوم فكان يركب الفيل ويطوف طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وانت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رأفتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك فانك لا تجمع الاموال الا لواحد من ثلاثة ان قلت اجمعها لولدي فقد أراك الله عبرا في الطفل الصغير يسقط من بطن امه وماله على الارض مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه وليس تعطي بل الله يعطي من يشاء وان قلت أجمع المال لأشيد سلطاني فقد أراك عبرا فيمن كان قبلك ما أغنى عنهم ما جمعوه من الذهب والفضة وما اعدوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرك وولد ابيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد الله وان قلت أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي انت فيها فوالله ما فوق ما انت فيه الا منزلة لا تدرك الا بعمل صالح يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك بأشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله وما انت عليه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الاليم وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضمرته جوارحك فماذا تقول اذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغني عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا فبكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال ياليتني لم أخلق ولم أك شيأ ثم قال كيف احتيالي فيما خولت فيه ولم أر من الناس الا خائنا قال يا أمير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هربوا منك مخافة

وذبح فيهم ذبحة عظيمة وفر ابن قرملة منهزما ثم عاد مولانا الشريف الى رنية وحاربها وقطع نخلها وخربها فأطاعه أهلها وطلبوا الصلح فعفا عنهم وصالحهم ثم ارتحل الى بيشة فأقر بها جماعة أعطوه الطاعة وفر آخرون فأحرق دورهم ثم أبقى فيها رتبة وارتحل الى الخرمة فأبادها ولم يبق لها حرمة وأقام بها أياما ففي بعض الايام ورد عليه شريف من العبادلة اسمه لؤي وأخبره بقدوم الوهابيين كالسيل المنهمر والجراد المنتشر فاتهمه ولم يصدقه ظنا أنه تابع لتلك العصابة فامضى يوم ويومان حتى أقبلوا بجنود كالرمال فوقع القتال بينهم فكانت هناك ملحمة كبرى فقتل فيها من الفريقين ما ينوف عن الالفين وقتل من أغلب بدو الاشراف نيف وأربعون شريفا وكانت الغلبة يومئذ للوهابيين فرجع مولانا الشريف بعد انفضاض القتال الى مكة ودخلها لثلاث خلون من ذي القعدة وفي شهر جمادى الاولى من سنة ثلاث عشرة ورد فرمان من الدولة بتحصين الحرمين تحفظا من الفرنسيس بعد أخذهم مصر فقرئ الفرمان بمكة والمدينة فأمروا الناس بالاستعداد للكفاح تعلم الرمي وحمل السلاح وأصلحوا سور جدة وعمروه واستعد الناس لذلك غاية الاستعداد ولكن كفى الله

ان تحملهم على ماظهر من طريقتك من قتل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ الشئ مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وأنا ضامن لك على ان من هرب منك ان يأتيك فيعاونك على صلاح امرك ورعيتك فقال المنصور اللهم وفقني ان اعمل بما قال هذا الرجل وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلاة فخرج فصلى بهم ثم قال للحرسي عليك بالرجل ان لم تأتني به لاضربن عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا فخرج الحرسي يطلب الرجل فبينما هو يطوف في طلب الرجل ويفتش عليه فاذا هو بالرجل في بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال ياذا الرجل اما تتقي الله قال بلى قال ماتعرفه قال بلى قال فانطلق معي الى الامير فقد آلى ان يقتلني ان لم آته بك قال ليس لي الى ذلك من سبيل قال يقتلني قال لا قال كيف قال تحسن تقرأ قال لا فأخرج من مزود كان معه ورقا مكتوبا فيه شئ فقال خذه فاجعله في جيبك فان فيه دعاء الفرج قال ومادعاء الفرج قال لا يرزقه الا الشهداء قلت رحمك الله قد أحسنت الي فان رأيت ان تخبرني ماهذا الدعاء وفضله قال من دعا به مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه واعطى امله واعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت الا شهيدا تقول (اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ماتحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني ان اسألك مالا استوجبه مما قصرت فيه ادعوك آمنا واسألك مستأنسا انك المحسن الي وانا المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي بنعمتك واتبغض اليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك فعد بفضلك واحسانك علي انك أنت التواب الرحيم) قال فأخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم غير أمير المؤمنين فدخلت عليه فرفع رأسه فنظر الي وتبسم ثم قال ويلك اوتحسن السحر فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه امري مع الشيخ فقال هات الرق الذي اعطاك ثم جعل يبكي وقال قد نجوت وامر بنسخه واعطاني عشرة آلاف درهم ثم قال أتعرفه قلت لا قال ذاك الخضر عليه السلام وعن ابي عمران الجوني قال لما ولي هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار اليه من أمور الخلافة ففتح بيوت الاموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخيا لسفيان بن سعيد الثوري قديما فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هارون الى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك على هارون فكتب اليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين الى أخيه سفيان بن سعيد أما بعد ياأخي قد علمت ان الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم أني قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبلك ولم أقطع منها ودك واني منطوك على أفضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك في

وفي غاية جمادى الاولى من سنة ثلاث عشرة انعقد الصلح بين مولانا الشريف غالب وعبد العزيز بن محمد بن سعود بعد مكاتبات كانت بينهما وجعلوا حدود الممالك والقبائل التي تحت طاعة مولانا الشريف والتي تحت طاعتهم فكان ممن في حدوده وطاعته القبائل التي حول مكة والمدينة والطائف وبنو سعد وناصرة وبجيلة وغامد وزهران والخوا وبارق ومحائل وغير ذلك ثم دسوا الدسائس وصاروا يكاتبون القبائل خفية ويرسلون لهم من يفسدهم حتى انتقض الصلح وتبعوهم كما سيأتي بيان ذلك وقد ارتبط بينهم عهود ومواثيق على المسالمة وان الحرب بينهم موقوف وان يحج الوهابيون بيت الله الحرام ونادى المنادي بالأمن والامان ومنع الناس من التعرض لهم باليد واللسان فأقبلوا على مكة من كل مكان فسبحانه وتعالى كل يوم هو في شان وفي موسم هذا العام حج من علمائهم حمد ابن ناصر ومعه شرذمة من الوهابيين ولم يحج أميرهم لكون صاحب بغداد سليمان باشا جهز عليه جيشا ليس له حد وجعل اميره علي بك كتخدا الوزير المذكور فجاء لعرضي وأحاط بهم (وفي)

قلبي من المحبة واعلم ياأباعبدالله انه مابقي من اخواني واخوانك أحد الا وقد زارني وهنأني بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية مافرحت به نفسي وقرت عيني واني استبطأتك فلم تأتني وقد كتبت اليك كتابا شوقا مني اليك شديدا وقد علمت ياأباعبدالله ماجاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فاذا ورد اليك كتابي فالعجل العجل فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشونته فقال علي برجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال ياعباد خذ كتابي هذا فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور ثم اسأل عن سفيان الثوري فاذا رأيته فألق كتابي هذا وع بسمعك وقلبك جميع مايقول فأحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرني به فأخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد اليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال عباد فأقبلت الى المسجد فلما رآني قام قائما وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق الا بخير قال عباد فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رآني نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت فما رفع الى أحد رأسه وردوا السلام على رؤس الأصابع فبقيت واقفا فما منهم أحد يعرض على الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كمه ولفها بعباءته وأخذه فقلبه في يده ثم رماه الى من كان خلفه وقال يأخذه بعضكم يقرؤه فاني استغفر الله أن أمس شيأ مسه ظالم بيده قال عباد فأخذه بعضهم فحله كأنه خائف من حية تنهشه ثم فضه وقرأه وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوا واكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه فقيل له ياأباعبدالله انه خليفة فلو كتبت له في قرطاس نقي فقال اكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له مانكتب فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من العبد المذنب سفيان بن سعيد الثوري الى العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد الذي سلب حلاوة الايمان أما بعد فاني قد كتبت اليك اعرفك اني قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك فانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته في غير حقه وأنفذته في غير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عني حتى كتبت تشهدني على نفسك أما اني قد شهدت عليك أنا واخواني الذين شهدوا عليك قراءة كتابك وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى ياهارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل أم رضي بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والايتام أم هل رضي الله بذلك خلق من رعيتك فشد ياهارون مئزرك وأعد

حاصرهم أشد الحصار فضاقوا ذرعا من ذلك وأيقنوا بالهلاك لكن لما كان في علم الله ان مدتهم باقية لم تتم هيأ لهم أسبابا فوسطوا وسائط أفسدوا كثيرا من أهل العرضي فركب علي بيك نجائب السري ولم يطب له القعود وفر هاربا فتبدد شمل ذلك الجيش وتفرق ولم ينل منهم شيأ لأنهم لما كانت مدتهم باقية كانت الرشوة لهم واقية

(ذكر حج سعود سنة ١٢١٤)

وفي سنة أربع عشرة حج سعود بن عبدالعزيز ومعه قوم كأمثال الرمال واجتمع بمولانا الشريف في خيمة ضربت لهما بالابطح وفي الثامن والعشرين من ذي الحجة ارتحل وحج أيضا في سنة خمس عشرة ومعه جند عظيم وقدم سعود لمولانا الشريف هدية فقدم بها قبله حمد بن ناصر وهي خمسة وثلاثون رأسا من الخيل وعشر من النوق العمانيات فقبل ذلك مولانا الشريف وكافأهم على ذلك بما يليق بجنابه وكان مولانا الشريف قبل قدومهم الحج قد احترس وتحرز منهم خوفا من وقوع غدرهم فأمر أولا ببناء سور الطائف ثم ببناء الابراج التي في أطراف مكة فشيد مداخل مكة بالابراج وطلب كثيرا من القبائل من جميع الفجاج وترس

للمسلمين جوابا وللبلا جلبابا واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل فقد رزئت في نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الأخيار ورضيت لنفسك ان تكون ظالما وللظالمين اماما ياهارون قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون ويشربون الخمر ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك ياهارون غدا اذا نادى المنادي من قبل الله تعالى أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم أين الظلمة وأعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله عزوجل ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما الاعدلك وانصافك والظالمون حولك وأنت لهم سائق وامام الى النار كأني بك ياهارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك زيادة على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها واعلم أني نصحتك وما أبقيت لك في النصح غاية فاتق الله ياهارون في رعيتك واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم أن هذا الأمر لو بقي لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحدا بعد واحد فنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته واني أحسبك ياهارون ممن خسر دنياه وآخرته فاياك اياك أن تكتب لي كتابا بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام قال عباد فألقى الى الكتاب منشورا غير مطوي ولا مختوم فأخذته وأقبلت الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبي فناديت ياأهل الكوفة فأجابوني فقلت لهم ياقوم من يشتري رجلا هرب من الله الى الله فأقبلوا الى بالدنانير والدراهم فقلت لا حاجة لي في المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية قال فأتيت بذلك ونزعت ما كان على من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافيا راجلا فهزأ بي من كان على باب الخليفة ثم استؤذن لي فلما دخلت عليه وبصرني على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائما وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالي وللدنيا مالي وللملك يزول عني سريعا ثم ألقيت الكتاب اليه منشورا كما دفع الى فأقبل هارون يقرؤه ودموعه تحدر من عينيه ويقرأ ويشهق فقال بعض جلسائه ياأمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت اليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه في السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال هارون اتركونا ياعبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقي من أهلكتموه وان سفيان امة وحده فاتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هارون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله تعالى فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غدا من عمله فانه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولي التوفيق فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى ان يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخلصوا النية أثر كلامهم في القلوب

عشرين ألفا وفي أيام منى في اليوم الثاني عشر وقعت خصومة بين عربان سيدنا الشريف وقوم سعود آلت الى قتال وضرب بالرصاص فأزال مولانا الشريف يمنع عربانه حتى كف القتال واتصل الجرى الى مكة وفي كل ناحية وسكة ونزل الناس من منى قبل الزوال وفي اليوم السابع عشر من ذي الحجة توجه سعود بقومه الى الشرق وفي هذه المدة التي مضت بعد الصلح كان سعود راسل خفية كثيرا من مشايخ القبائل أرباب البغي والفساد فكاتب شيخ محايل سعدي بن شار وشيخ بارق أحمد بن زاهر فصارا يفسدان كثيرا من القبائل حتى كان منهما من الفساد ما حصل بسببه انتقاض الصلح وكان سببا في دخول جميع قبائل الحجاز في دين الوهابية ولما بلغ مولانا الشريف أن شيخ محايل كاتبهم على دينهم وخلع طاعة مولانا الشريف غالب أرسل لوزيره لقنفذة أبي بكر بن عثمان وكان مشهورا بالشجاعة وأمره أن يجمع كثيرا من

القبائل ويجمع ما أمكنه من القبائل ويذهب لقتال شيخ محايل فامتثل أمره وخرج بلقائه فوقع بينهما قتال

القاسية فلينها وأزال قساوتها واما الآن فقد قيدت الاطماع ألسن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعدا أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والاكابر والله الموفق ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال قرن من حديد لاتأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ماله من صديق وشرب عمر رضي الله عنه مرة من لبن ابل الصدقة غلطا فأدخل اصبعه وتقيأ روى ان عمر رضي الله عنه وصله مسك من البحرين فقال وددت لوان امرأة وزنت حتى اقسمه بين المسلمين فقالت امرأته عاتكة انا أجيد الوزن فسكت عنها ثم أعاد القول فأعادت الجواب فقال لا أحببت ان تضعيه بكفة ثم تقولين فيها أثر الغبار فتمسحين بها عنقك فأصيب بذلك فضلا على المسلمين وكان لعمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة زوجة كان يحبها فطلقها لما ولي الخلافة خيفة أن تشير عليه بشفاعة في باطل فيطيعها ويطلب رضاها وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسئل بعد المغرب فقال لو احد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمع ثانيا يسأل فقال الم أقل لك عش الرجل قال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدى ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لاتعد ولولا ان سؤاله كان حراما لما ضربه ولما أخذ مخلاته أما ضربه فتأديب وقد ورد الشرع بالتعزير واما أخذ مخلاته فان ما فيها جمعه بلا حق لان الذي أعطاه اعتقد أنه محتاج فهو مال ضائع لايعرف مالكه وأمره الامام يصرفه في المصالح واتى عمر رضي الله عنه مرة بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها وقد اقتدى في ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه لما اتى قبا أتاه اهل قبا بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال اما اني لست أحرمه ولكن اتركه تواضعا لله تعالى وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان اردت ان تلحق بصاحبيك فارفع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون الشبع وقال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر ومن تزيا بزي قوم فهو منهم وقال عمر رضي الله عنه كان لي صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بي غير طريقهما واني والله سأصبر على عيشهما الشديد لعلي أدرك معهما عيشهما الرغيد وقال رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد قال بعض الصحابة رضي الله عنهم تابعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الآخرة أبلغ من زهد في الدنيا وكان عمر رضي الله عنه يحب علي بن ابي طالب وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء عنه في ذلك شيء كثير فمن ذلك انه لما قال النبي صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه قال ابو بكر وعمر رضي الله عنهما أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة وحكم علي مرة على اعرابي بحكم فلم يرض بحكمه فتلببه عمر بن الخطاب وقال له ويلك انه مولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة وأخرج الطبراني انه قيل لعمر انك تصنع بعلي اى من التعظيم شيأ لاتصنعه مع احد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال انه مولاي والمراد من قوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه الولاية في المحبة والقرب والاتباع مثل قول الله تعالى ان أولى الناس

(الغزية السادسة عشرة)

وهي الغزية السادسة عشرة ثم بعد أيام بلغ الوزير بالقنفدة أنهم رجعوا وتجمعوا للفساد وصاروا يراسلون أهل تلك الاطراف فدخل في دينهم كثير من أهل تلك الاراضي ومن لم يطعهم يتهددونه بالسيف والسنان فعند ذلك أرسل الوزير لمولانا الشريف وعرفه حقيقة الامر

(الغزية السابعة عشرة)

فكانت الغزية السابعة عشرة وذلك ان مولانا الشريف جهز جيشا عظيما وأمر عليه السيد منديل بن أبي طالب فتوجه حتى وصل الى القنفذة واجتمع بوزير هاشم توجه بمن معه الى قوز أبي العير وعرض عليه بنو يعلى وبنو زيد ورجال وزبيد فغزاهم على بني كنانة وقتلوا فيهم قتلة شنيعة ورجع الى قوز أبي العير وفي هذا الاثناء جاء الخبر لمولانا الشريف ان أهل حلي دخلوا في دين الوهابي فأرسل غزية أخرى معينة للسيد منديل

(الغزية الثامنة عشرة)

وهي الغزية الثامنة عشرة

جهز جيشا وأمر عليه السيد ناصر بن سليمان فسار حتى أناخ على حلي ووقع بينه وبين أهله القتال فقتل منهم كثيرا وغنم من

بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا وأخرج ابن سعد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه علي أقضانا وأخرج ايضا عن سعيد بن المسيب قال قال عمر رضي الله عنه أعوذ بالله من معضلة ليس لها ابو الحسن يعني عليا رضي الله عنه واخرج ابويعلى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال عمر بن الخطاب رضي عنه لقد أعطي علي ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب الي من حمر النعم فسئل وماهي قال تزويجه ابنته صلى الله عليه وسلم وسكناه في المسجد لا يحل لي فيه مايحل له واعطاؤه الراية يوم خيبر وأخرج ابويعلى والطبراني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب من علي ابنته ام كلثوم رضي الله عنهما بنت فاطمة رضي الله عنها وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ماخلا سببي ونسبي وكل بني أنثى عصبتهم لابيهم ماخلا ولد فاطمة فاني ابوهم وعصبتهم ثم قال عمر واني وان كانت لي صحبة للنبي صلى الله عليه وسلم فأحببت ان يكون لي معها سبب ونسب وقصة تزوج عمر بأم كلثوم بنت علي رضي الله عنهم رواها الائمة من طرق كثيرة منهم الطبراني والبيهقي والدارقطني وأكثر طرق الحديث مروية عن اكابر أهل البيت النبوي منهم جعفر الصادق عن ابيه محمد الباقر عن ابيه زين العابدين رضي الله عنهم ان عليا رضي الله عنه عزل بناته لولد اخيه جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه فلقي عمر عليا رضي الله عنهما فقال يا اباالحسن انكحني ابنتك ام كلثوم بنت فاطمة رضي الله عنهما بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي قد حبستهن لولد أخي جعفر فقال عمر والله ماعلى وجه الارض يرصد من حسن صحبتها ماأرصد فانكحني يا اباالحسن فقال علي انها صغيرة فقال عمر ماذاك بك ولكن اردت منعي فان كانت كما تقول فابعثها الي وفي رواية انه لما قال له انها صغيرة قال له مابي حاجة الى الباءة ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ماخلا سببي ونسبي وكل بني أنثى عصبتهم لابيهم ماخلا ولد فاطمة فانا ابوهم وعصبتهم فأحببت ان يكون لي من رسول الله سبب ونسب وفي رواية وانه وان كان لي صحبة فأحببت ان يكون لي معها سبب فقال علي رضي الله عنه ان لي امراء حتى استأذنهم وفي رواية ان لي أسدين حتى استأذنهما يعني الحسن والحسين رضي الله عنهما فاستأذن ولد فاطمة فأذنوا له وفي رواية انه لما استأذن الحسن والحسين رضي الله عنهما وقال اني كرهت ان اقضي امرا دونكما فسكت الحسين لكون اخيه الحسن اكبر منه وتكلم الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا ابتاه فمن بعد عمر صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي وهو عنه راض ثم ولي الخلافة فعدل فقال له ابوه صدقت ولكن كرهت ان اقطع امرا دونكما ثم قال لها علي رضي الله عنه انطلقي الى أمير المؤمنين فقولي له ان أبي يقرئك السلام ويقول لك انا قد قضينا حاجتك وفي رواية فأعطاها حلة وقال لها قولي له هذا البرد الذي قلت لك فقالت ذلك لعمر فقال قولي له قد رضيت رضي الله عنه حصان كريم ماأحسنها واجلها ووضع يده على ساقها وفي رواية فضمها اليه فقالت تفعل هذا لولا انك امير المؤمنين لكسرت انفك ثم خرجت حتى أتت اباها فأخبرته الخبر وقالت بعثتني الى شيخ سوء فقال يابنية انه زوجك ثم زوجه اياها فجاء عمر الى

البقر والغنم والدقيق شيأ كثيرا وسبي بعض العسكر بعض أولادهم وباعهم بمكة بيع الرقيق ورجعوا الى مكة ودخلوها سابع عشر رمضان سنة ست عشرة ورجع معهم بعض أهل حلي تائبين مطيعين راجعين عن دين الوهابية وطلبوا من مولانا الشريف أن يرسل معهم جيشا يقيم بأرضهم وتعهدوا أنهم يؤونه وينصرونه وان يؤمر عليه واحدا من بني عمه ففعل ذلك وأرسل معهم جيشا وأمر عليه وعليهم السيد منديل بن أبي طالب

(الغزوة التاسعة عشرة)

فكانت هذه الغزوة التاسعة عشرة فلما أناخ بحلي استحسن أن يجعل عليها سورا للحفظ من العدو فاستأذن مولانا الشريف فأذن له فبناه وجمع عنده من الذخائر والخزائن شيأ كثيرا لمخافة هجوم العدو فلما تم له ثمانية أشهر بلغه أن الوهابيين مقبلون للقتال على رأس أمير اسمه حشر وكان فاجرا ختالا وقد أرسلوا لشيخ حلي واستمالوه فمال وانعقد بينهم الكلام على أنهم متى خرجوا لقتالكم تمنعهم من الدخول فلما أقبلوا وخرج السيد منديل لقتالهم غلب المراجل وبقي بنفسه في البلد ومعه خمسون مقاتلا فوقع بينهم قتال شديد وقتل من الفريقين جمع عديد ثم انهزم الوهابيون عن حذيفة وتقرير وجعلوا لهم كمينا

(مجلسه)

مجلسه بين الروضة والمنبر حيث يجلس المهاجرون والانصار وذكر لهم الخبر وفي رواية قال لهم رفوني اى قولوا لى بالرفا والبنين فقالوا بم يا أمير المؤمنين فقال تزوجت أم كلثوم بنت على رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر لهم الحديث السابق وجعل لها مهرا أربعين ألفا فولدت له زيدا ورقية ولم يعقبا ومات عمر عنها وتزوجها بعده ابن عمها عون بن جعفر بن أبي طالب فمات عنها ثم تزوجها بعده أخوه محمد بن جعفر فمات عنها ثم تزوجها بعده اخوه عبد الله بن جعفر فماتت عنده ولم تلد لأحد من الثلاثة شيأ واتفق الصحابة رضى الله عنهم على أن عمر رضى الله عنه كان متصفا بكمال الزهد والعلم والورع والعقل وكانوا يقولون هو أكرم من ان يخل وأعقل من ان يخدع وعن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم يطلبون أنواع الطعام وألوان الثياب ويتشدقون فى الكلام ودخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشريط فجلس فرأى أثر الشريط فى جنبه صلى الله عليه وسلم فدمعت عينا عمر رضى الله عنه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما الذى أبكاك يا ابن الخطاب قال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وأنت حبيب الله وصفيه ورسوله نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وسلم أما ترضى يا عمر ان تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك ودخل رجل على أبى ذر رضى الله عنه فجعل يقلب بصره فى بيته فقال يا أباذر ما أرى فى بيتك متاعا ولا غير ذلك من الأثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فقال انه لابد لك من متاع مادمت ههنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضى الله عنها فرأى على باب منزلها سترا وفى يديها قلبين اى سوارين من فضة فرجع فدخل عليها أبورافع وهى تبكى فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ابورافع فقال من اجل الستر والسوارين فأرسلت بهما بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه الى أهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها بأبى أنت وامى قد أحسنت ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة رضى الله عنها سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا أرسلى به الى آل فلان وفرشت له عائشة رضى الله عنها ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لها أعيدى العباءة الخلقة ونحى هذا الفراش عنى قد أسهرنى الليلة وكذلك أتته صلى الله عليه وسلم دنانير خمسة او ستة ليلا فبيتها فسهر ليلة حتى أخرجها آخر الليل قالت عائشة رضى الله عنها فنام حتى سمعت غطيطه ثم قال ماظن محمد بربه لو لقى الله وعنده هذه وقال الحسن البصرى رضى الله عنه أدركت سبعين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مالأحدهم الا ثوبه وماوضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا أراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه قال الحسن ودخلنا على صفوان بن محيريز وهو فى بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو

لهم ثم أظهر أهل حلى الخيانة وأمروا السيد منديلا بالخروج من البلد وترسوا الاسوار فأمعن السيد منديل بفكر فرأى ان العود أجدى فاختار الخروج فرجع الى مكة سالما

(الغزية المكملة عشرين)

الغزية المكملة عشرين حاصلها ان مولانا الشريف بلغه أن عربانا بساحل اليمن تجاه الاحسبة دخلوا فى هذا الدين المبتدع منهم قبيلة يقال لها دمينة وقبيلة يقال لها غامد الفرعا فارسل غزية من السادة الاشراف معهم كثير من العسكر والبوادى وأمر على هذه الغزية السيد سعد بن زيد القتادى فسار حتى نزل بموضع يقال له أم الخشب وأغار على آل دمينة وغامد الفرعاء وقتل فيهم وأخذ مواشيهم وربط منهم تسعة عشر رجلا ورجع الى أم الخشب

(الغزية الحادية والعشرون)

الغزية الحادية والعشرون كانت من وزير القنفذة أبى بكر بن عثمان وحاصلها أن المذكور كان قد أذاقهم الويل فى قتاله لهم فصاروا يترصدون له ويحتالون على اغتياله فأطاعه ثلاث

قبائل مكرا وخديعة وهم بالقرن وبنوسهيم وبالمنتشر وتجمعوا فى موضعهم وكاتبوه ان يقبل عليهم ليقاتلوا معه الوهابيين

أصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيامة وفى الخبر كل نفقة للعبد يؤجر عليها الا ما أنفقه فى الماء والطين وفى قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا قالوا انه الرياسة والتطاول فى البنيان وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذى شكا اليه ضيق منزله اتسع فى السماء أى فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة الا ما أكنه من حر أو برد ونظر عمر رضى الله عنه فى طريق الشام الى صرح قد بنى بجص وآجر فكبر وقال ما كنت اظن ان يكون فى هذه الأمة من يبنى بنيان هامان لفرعون يعنى قول فرعون فأوقد لى ياهامان على الطين يعنى به الآجر وأول من عمله هامان وان فرعون أول من بنى له بالآجر والجص فسموا الجبابرة وهذا هو الزخرف ورأى بعض السلف جامعا فى بعض الأمصار فقال أدركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأيته مبنيا من الرهص أى الطين الذى يبنى به فيجعل بعضه على بعض ثم رأيته الآن مبنيا باللبن فكان أصحاب السعف خيرا من أصحاب الرهص وكان أصحاب الرهص خيرا من أصحاب اللبن وكان فى السلف من يبنى داره مرارا فى مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله وزهده فى أحكام البنيان وكان منهم من اذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه فاذا رجع أعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهى عادة العرب الآن ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السقف قامة وبسطة قال الحسن البصرى كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدى الى السقف وقال ابن مسعود رضى الله عنه يأتى قوم يرفعون الطين ويدعون الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير دينكم قالت عائشة رضى الله عنها كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة من أدم حشوها ليف وكان عمر رضى الله عنه يقول لا أبالى أصبحت غنيا أو فقيرا لا أدرى أيهما خير لى وكان رضى الله عنه يقول ما ابتليت ببلاء الا كان لله تعالى على فيه اربع نعم اذلم يكن فى دينى واذلم يكن أعظم منه واذا أحرم الرضا به واذ أرجو الثواب عليه وسمع عمر رضى الله عنه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم يبكى ويقول بأبى انت وأمى يارسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك كانت أولى بالحنين اليك لما فارقتهم بأبى انت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان أخبرك بالعفو عنك قبل ان يخبرك بالذنب فقال تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم بأبى انت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الأنبياء وذكرك فى اولهم فقال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبى انت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أهل النار يودون ان قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبى انت وامى يارسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع الماء منها صلى الله عليك بأبى انت وامى يارسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الريح غدوها شهر ورواحها شهر فماذا بأعجب من البراق حين سريت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك

بادروه بالقتال واستضعفوا من كان معه فقاتلهم بمن معه وأظهره الله عليهم وقتل كثيرا منهم وأخذ كثيرا من مواشيهم ورجع وخيم بموضع قريب من القنفذة ثم انتقل الى أم الخشب واجتمع بالسيد سعد بن زيد القتادى ثم بلغه أن الوهابيين أقبلوا بجنود كثيرة وأنهم افترقوا فرقتين فرقة تقاتله خارج القنفذة ولما بلغه هذا الخبر توجه فى الاثر فأقبلت فرقة تقاتل السيد سعدا ومن معه ولما أشرفوا على الموضع الذى هو فيه عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوه وأما الفرقة التى أقبلت على القنفذة

(الغزية الثانية والعشرون)

فأدركهم الوزير بموضع يقال له دكان فقاتلهم وأثخن فيهم القتال ونهب مواشيهم وأثقالهم ولم يسلم منهم الا طويل العمر ثم رجع الى القنفذة وينبغى أن تجعل هذه الغزية ثانية لما قبلها فتكون هى الثانية والعشرين ثم ان معدى ابن شيخ محائل جمع جموعا من كنانة وأهل الحواة وغامد القرعاء ومحائل يبلغون اثنى عشر ألفا

وعزم هو ومن معه على انهم يتملكون القنفذة فأقبلوا بمواشيهم وأطفالهم ونسائهم وكان ذلك على (بالا بطح)

بالأبطح صلى الله عليك بأبي انت وامي يارسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله احياء الموتى فاذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك فقالت لك الذراع لاتأكلني فاني مسمومة بأبي انت وامي يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت بمثلها علينا لهلكنا كلنا لقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا القليل بأبي أنت وأمي يارسول الله لو لم تجالس الا كفوا ما جالستنا ولو لم تنكح الا كفوا ما نكحت الينا ولو لم تواكل الا كفوا ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا وآكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت الطعام على الارض ولعقت أصابعك تواضعا منك وقال عمر رضي الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء وكان عمر رضي الله عنه يقول لأبي موسى الاشعري رضي الله عنه ذكرنا ربنا وكان أبو موسى حسن الصوت حسن القراءة فيقرأ أبو موسى حتى يكاد وقت الصلاة ان يتوسط فيقال ياامير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا في الصلاة اشارة الى قوله تعالى ولذكر الله أكبر وكتب عمر الى امراء الاجناد اخلولقوا واخشوشنوا اي البسوا الخلق واستعملوا الخشن في الاشياء وأهدى عمر نجيبه اي نوى ان يجعلها هديا فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها ففعل اي لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وقال عمر رضي الله عليه اذا أصاب احدكم ودا من اخيه فليستمسك به فقلما يصيب ذلك وعن عبد الرحمن بن عوف قال خرجت مع عمر رضي الله عنهما ليلة في المدينة فبينما نحن نمشي اذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه فلما دنونا منه اذا باب مغلق على قوم لهم اصوات ولغط فأخذ عمر بيدي وقال أتدري بيت من هذا قلت لا قال هذا بيت ربيعة بن امية بن خلف وهم على شرب فاترى قلت أرى أنا اتينا مانهانا الله عنه قال تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه انك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم او كدت تفسدهم وقال صلى الله عليه وسلم يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لاتغتابوا المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو كان في جوف بيته وكان عمر رضي الله عنه ليلة يعس بالمدينة فسمع صوت رجل في بيت يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امرأة ودنا من خمر فقال ياعدو الله ظننت ان الله يسترك وأنت على معصيته فقال وأنت ياأمير المؤمنين فلا تعجل فاني ان كنت عصيت الله واحدة فقد عصيت الله ثلاثا قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال تعالى وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها وقد تسورت علي وقال تعالى لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وقد دخلت بيتي بغير اذن ولاسلام فقال عمر رضي الله عنه هل عندك من خير ان عفوت عنك قال نعم والله ياأمير المؤمنين لئن عفوت عني

حين غفلة من الوزير وذلك في أوائل سنة تسع عشرة فلم يمكنه أن يجمع كثيرا من العربان وعلم ان تأخير القتال ذل ووبال فخرج عليهم ودهمهم بغتة

(الغزية الثالثة والعشرون سنة ١٢٢٣)

فتكون هذه الغزية هي الثالثة والعشرين فوصل الى الموضع الذي هم فيه قبل الفجر ومعه سبعمائة رام وثلاثة عشر من الخيل وصاح فيهم كما يصيح الذئب في الغنم فقتل منهم قتلة تجل عن العدد حتى قال بعضهم لما سمع بهذه القتلة هذه هي داهية الغفلة قيل ان القتلى بلغوا أربعمائة والجرحى مائتين واخذ سلاحهم ومواشيهم وهرب الباقون وربط منهم نحو المائتين وهذه الوقائع المذكورة بعد الصلح كلها كانت في مدة الصلح لما وقع منهم من الغدر بافسادهم القبائل بوسائط أتباعهم الذين يوسوسون لهم ويدخلونهم في الطين حتى أفسدوا جميع اقليم اليمن ثم سرى الامر الى غيرهم ولما علم سعود أن اقليم اليمن سيصير تحت يده سلط سالم بن شكبان على قبائل زهران فشرع في افسادهم وسلط عربانه عليهم فلما علم بذلك سيدنا الشريف غالب أرسل كتابا للعبد العزيز وسعود يطلب منهما الوفاء بالعهود فأرسل كل منهما كتابا يعتذر بأعذار واهية وزعم ان هذه الشوائع أكاذيب من

لأعود الى مثلها أبدا فعفى عنه وخرج وتركه وقال عمر رضى الله عنه من أقام نفسه مقام التهم
فلا يلومن من أساء الظن به ومر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال
ياأمير المؤمنين انها امرأتى فقال هلا كلمتها حيث لايراك الناس وقال عمر رضى الله عنه
لايمنع من النكاح الا عجز أو فجور وكان رضى الله عنه يكثر النكاح ويقول انى لا اتزوج
الا لاجل الولد وقال عمر رضى الله عنه ما اعطى العبد بعد الايمان بالله خيرا من امرأة صالحة
وتزوج رجل على عهد عمر رضى الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه فاستعدى عليه
اهل المرأة الى عمر وقالوا حسبناه شابا فأوجعه عمر ضربا وقال غررت القوم
وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المغالات فى الصداق ويقول تزوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم واثاث بيت وكان ذلك الاثاث رحى وجرة
ووسادة من أدم حشوها ليف واولم على بعض نسائه بمدين من شعير وعلى اخرى بمدين من تمر
ومدين من سويق وخطب مرة ونهى عن المغالات فى الصداق وقال ماتزوج رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولازوج بناته بأكثر من اربعمائة درهم ولو كانت المغالات بمهور النساء مكرمة
لسبق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له امرأة كيف تنهى وقد قال الله تعالى وآتيتم
احداهن قنطارا فقال كل الناس أفقه منك ياعمر حتى النساء وفى رواية قال امرأة اصابت
واخطأ عمر وراجعت امرأة عمر رضى الله عنه فى الكلام فقال لها اتراجعينى يالكعا فقالت
ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة
وخسرت ان راجعته ثم دخل على حفصة فقال لها لاتغترى بابنة أبى قحافة فانها احب رسول
الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة وروى ان امرأة من نساء النبى صلى الله عليه وسلم
دفعت فى صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال صلى الله عليه وسلم
دعيها فانهن يصنعن أكثر من ذلك وجرى مرة بينه وبين عائشة رضى الله عنها يوما كلام
حتى أدخلا بينهما أبابكر رضى الله عنه حكما فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمى
أو اتكلم فقالت بل تكلم انت ولاتقل الا حقا فلطمها ابو بكر رضى الله عنه حتى دمى فوها وقال
ياعدوة نفسها أويقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف
ظهره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولاأردنا منك هذا وقالت له
مرة فى كلام غضبت عنده انك الذى تزعم انك نبى الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها انى لأعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه
قال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابراهيم قالت صدقت انما أهجر اسمك
قالوا اول حب وقع فى الاسلام حب النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها وكان
يقول لها كنت لك كأبى زرع لأم زرع غير انى لاأطلقك وكان يقول لنسائه لاتؤذونى فى عائشة
فانه والله مانزل على الوحى وانا فى لحاف امرأة منكم غيرها وقال انس رضى الله عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان وكان يمزح مع نسائه وينزل
الى درجات عقولهن مرة فى الاعمال والاخلاق حتى روى عنه انه كان يسابق عائشة رضى الله
عنها فى العدو وسبقت يوما وسبقها فى بعض الايام فقال عليه السلام هذه بتلك وفى الخبر

العربان رمى بها بعضهم بعضا لاجل نقض الصلح فأرسل مولانا الشريف السيد فاخر بن سلطان بن
حازم وأمره أن ينزل
عند زهران ويعرفهم باشان
وزان فأقام عندهم أياما
فظهر له تحقيق الخبر فعرف
بذلك مولانا الشريف غالبا
فارسل مولانا الشريف
الى الدرعية رحيمه عثمان
ابن عبد الرحمن المضايفى
ومعه من كبار الاشراف
السيد عبد المحسن الحرث
وجماعة منهم ابن حميد
شيخ المقطة لأجل تجديد
الصلح والعهود وربط
الامر واحكامه فتوجهوا
من الطائف وكان مولانا
الشريف اذ ذاك بالطائف
فلما وصلوا الى الدرعية
والتقوا بعبد العزيز قدموا له
المكاتيب فقابلهم بالبشاشة
والترحيب فأول مانطق
به عثمان أن قال ياعبد العزيز
بشرنى بالامارة وأبشرك
بمكة تملكها وأطلب منك
أن تخلى لى المجلس لامور
سأبديها فاختلى معه وحدثه
بكلام طاب له وأمره على
الطائف وماحوله من
العربان ولم يجتمع عبد العزيز
وسعود بالسيد عبد المحسن
وابن حميد فى مجلس آخر
الا يوم السفر فكتب لهم
جوابات مكاتيب الشريف
وجعلوا الكلام الذى فيها
مجاراة ظاهرية لكلامه
فى كتبه وكان ذلك مكرا
وخديعة وأمرهم بالتوجه وكان عثمان ذكر له أسماء شيوخ القبائل التى يريد التأمر عليهم فكتب لهم

انه صلى الله عليه وسلم كان من أفكه الناس مع نسائه وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عيد فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحبين ان تري لعبهم قالت قلت نعم فأرسل اليهم فجاؤا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين ومد يديه ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك واقول اسكت مرتين او ثلاثا ثم قال ياعائشة حسبك فقلت نعم فأشار اليهم فانصرفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله وقال صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لأهله وانا خيركم لأهلي وفي رواية خيركم خيركم لنسائه وانا خيركم لنسائي وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل ان يكون في أهله مثل الصبي فاذا التمس ماعنده وجد رجلا وقال رضي الله عنه خالفوا النساء فان في خلافهن بركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد زبر عمر رضي الله عنه امرأته عارا جعته وقال ماانت الالعبة في جانب البيت ان كانت لنا اليك حاجة والاجلست كما أنت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي في الجنة قصرا وبفنائه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر فأردت ان أنظر اليها فذكرت غيرتك ياعمر فبكى عمر رضي الله عنه وقال أعليك أغار يارسول الله وقال عمر رضي الله عنه أعروا النساء يلزمن الحجال لاتلبسوهن زينة وانما قال ذلك لأنهن حينئذ لا يرغبن في الخروج في الهيئة الرثة وبعث عمر رضي الله عنه حكما الى زوجين فعاد ولم يصلح امرهما فعلاه بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فعاد الرجل وأحسن النية وتلطف بهما فأصلح بينهما وقال عمر رضي الله عنه لايقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علم ان السماء لاتمطر ذهبا ولا فضة وقال رضي الله عنه مامن موضع يأتيني الموت فيه أحب الي من موطن أطلب فيه القوت لأهلي أبيع وأشتري وكان رضي الله عنه يطوف في السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لايبيع في سوقنا الا من يفقه والا أكل الرباشاء أو أبى قال قتادة لما قدم عمر رضي الله عنه الشام صنع له طعام لم ير قبله مثله فقال هذا لنا فالفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لايشبعون من خبز الشعير فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر وقال لئن كان حظنا هذا الطعام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بعيدا ومر عمر رضي الله عنه يوما ببناء يبنى بحجارة وجص فقال لمن هذا فقالوا العامل من عمالك بالبحرين فقاسمه ماله وكان رضي الله عنه يقول لي على كل خائن أمينان الماء والطين وكان رضي الله عنه اذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم واسعارهم وعمن يعرف من اهل البلاد التي قدموا منها وعن اميرهم هل يدخل عليه الضعيف وهل يعود المريض فان قالوا نعم حمد الله تعالى وان قالوا لا عزله وكتب له ان اقبل وكان يقول مثل السلطان اذا ولى العمال الظالمين مثل من يسترعى غنمه الذياب ومثل من يربط الكلب العقور ببابه وقد تقدم انه كان يشاطر العمال اموالهم فيأخذ نصف اموالهم فيجعلها في بيت المال وانما شاطرهم حين ظهرت لهم اموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم وولى اباهريرة رضي الله عنه عملا ثم رأى له مالا فقال له من أين لك هذا المال فقال ابوهريرة دواب تناتجت وتجارات تداولت واسهم من الغنيمة فقال أدالشطر وكأنه رضي الله عنه رأى انما اصاب العامل من غير رشوة وان كان حلالا

كله الأنهم لماخرجوا من الدرعية متوجهين الى مكة أنكروا على عثمان في كلامه فانه صاريمدح ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب من الطين ويثني عليه ويرغب في اتباعه والدخول في طينه ومازالو سائرين الى ان وصلوا العبيلاء وهو موضع بينه وبين الطائف يوم وله به حصن على جبل فجلس هناك وأمرهم بالتوجه الى مكة وأظهر لهم أنه يجئ في أثرهم ودخل الحصن ونصب له بيرقا ودق الزير وأظهر الامارة وأرسل بعض الكتب التي معه لبعض شيوخ القبائل القريبة منه فأطاعوه وعزم على شن الغارة وكان بالطائف الشريف عبد المعين وكيلا عن أخيه ولم يكن مع عثمان من الخيل سوى ثمانية جمعها من الطريق ولفقها تلفيقا ثم أرسل عثمان كتابا للشريف عبد المعين يأمره بالدخول في الطين وأول من أطاع عثمان من القبائل الطفعة ثم النفعة والعصمة فغزا بهم على الزوران فأطاعوه بعد قتال ثم غزا بهم أسفل وادى لية على عوف وطال بينهم وبينه القتال فكسروه فرجع

فانه لايستحق ذلك لأنه بالامارة قوة على ان ينال بالحلال مالاينا له غيره وفعله هذا مأخوذ من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ففي الصحيحين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن اللتبية عاملا على صدقات الأزد فلما جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك بعض مامعه وقال هذا لكم وهذا لى أهدى الى فقال صلى الله عليه وسلم ألاجلست في بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقا ثم خطب فقال مالى استعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا لى هدية ألاجلس في بيت أبيه وبيت أمه ليهدى له فو الذى نفسى بيده لايأخذ منكم احد شيأ بغير حقه الاأتى به يوم القيامة يحمله فلأعرفن احدكم يوم القيامة ببعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ثم قال اللهم قد بلغت وكان رضى الله عنه اذا قدم عليه العمال يأمرهم ان يدخلوا نهارا ولايدخلوا ليلا كى لايحجبوا شيأ من المال وقال عتاب بن اسيد رضى الله عنه لما ولاه النبي صلى الله عليه وسلم مكة والله ماأصبت في عملى الذى ولانى النبي صلى الله عليه وسلم الاثوبين معقدين كسوتهما مولاى كيسان وكان رضى الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الى أخيه عيوبه وقال رضى الله عنه مرة لسلمان الفارسي رضى الله عنه ماالذى بلغك عنى مماتكره فاستعفاه فألح عليه فقال بلغنى عنك أن لك حلتين تلبس أحداهما بالنهار والأخرى بالليل وبلغنى عنك انك تجمع بين ادامين على مائدة واحدة فقال عمر رضى الله عنه أماهذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما قال لا وانما قال عمر رضى الله عنه لسلمان فقد كفيتهما موافقة لسلمان فيما بلغه مع ان ذلك مكذوب على عمر رضى الله عنه لم يقع منه شئ من ذلك وسأل عمر رضى الله عنه بعض من قدم عليه من الشام عن أخ كان واخاه في الله تعالى فخرج الى الشام فقال مافعل أخى فلان قال ذاك اخو الشيطان قال عمر مه قال انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر فقال عمر اذا أردت الخروج فآذنى فكتب عند خروجه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لااله الاهو اليه المصير ثم كتب له بعد ذلك كلاما يعاتبه فيه ويعذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله وقد نصح لى عمر فتاب مما كان قد وقع فيه وكان عمر رضى الله عنه يحب عبدالله بن العباس رضى الله عنهما ويقربه ويدنيه ويستشيره ويقدمه على الأشياخ فقال العباس لابنه عبدالله رضى الله عنهما انى أرى هذا الرجل يعنى عمر رضى الله عنه يقدمك على الأشياخ فاحفظ عنى خمسا لاتفشين له سرا ولاتغتابن عنده احدا ولاتجرين عليه كذبا ولاتعصين له امرا ولايطلعن منك على خيانة قال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من الف وكان عمر رضى الله عنه يقول ثلاث يصفون لك ود اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته اولا وان توسع له في المجلس وان تدعوه بأحسن اسمائه اليه وكان عمر رضى الله عنه يوما جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت ثناياه فقال عمر يارسول الله بأبى انت وامى ما الذى اضحكك قال رجلان من امتى جثيا بين يدى الله عزوجل فقال احدهما يارب خذلى مظلمتى من هذا فقال الله تعالى رد على اخيك مظلمته فقال يارب لم يبق لى من حسناتى شئ فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شئ فقال يارب

وعاد الى حصنه ولما تحقق مولانا الشريف غالب أمره استدعى القبائل وأمرهم بالحضور في الطائف فاجتمع بالطائف من القبائل مايزيد على ثلاثة آلاف

(الغزية الرابعة والعشرون)

وهذه الغزية الرابعة والعشرون وكان عثمان قد خرج من حصنه في رمضان قاصدا قتال من بالطائف بمن معه من العربان فخرج الشريف عبدالمعين لاستقباله وقتاله بمن معه من القبائل وخرج معهم كثير من أهل الطائف والتقى مع عثمان وقومه بوادى العرج فاقتتلوا قتالا شديدا من أول النهار الى غروب الشمس فكان النصر للشريف عبدالمعين وقتل من قوم عثمان نحو الستين ولولا أنهم تحصنوا في جبل منيع ماسلم منهم أحد وأخذ ماكان معهم من الابل والذخائر ورجع الى الطائف واستشهد من جماعة الشريف عبدالمعين جماعة وهم السيد ابراهيم بن سعيد بن على وخمسة من أهل الطائف وثلاثة من ثقيف وأربعة من هذيل ثم رجع عثمان الى حصنه وماز ال يراسل القبائل فعزم مولانا الشريف غالب أن يتوجه اليه بنفسه فجمع كثيرا

(فليحمل)

فليحمل عنى من أوزارى ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال ان ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس الى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تبارك وتعالى للمتظلم ارفع بصرك فانظر فى الجنان فقال يارب أرى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأى نبى هذا أو لأى صديق أو لأى شهيد هذا فيقول الله تعالى لمن أعطى الثمن قال يارب ومن يملك ذلك قال انت تملكه قال بماذا يارب قال بعفوك عن أخيك قال يارب قد عفوت عنه فيقول الله تعالى خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة وروى ان عمر رضى الله عنه كان يعس ذات ليلة بالمدينة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس أريتم لو ان اماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا انما انت امام فقال على بن ابى طالب رضى الله عنه ليس ذلك لك اذن يقام عليك الحد ان الله لم يأمن على هذا الأمر اقل من اربعة شهود ثم تركهم ماشاء الله ان يتركهم ثم سألهم فقال القوم مثل مقالتهم الأولى وقال على مثل مقالته الأولى فكان عمر رضى الله عنه مترددا فى ان الوالى هل له ان يقضى بعلمه فى حدود الله تعالى فلذلك راجعهم فى مقام التقرير لا فى مقام الاخبار خيفة من ان لا يكون له ذلك فيكون قاذفا باخباره ومال على رضى الله عنه الى انه ليس له ذلك فأخذ عمر بقوله وهذا هو المختار عند الفقهاء فان من قال ان القاضى يقضى بعلمه استثنى من ذلك الحدود وروى النخعى ان عمر رضى الله عنه بعث مصدقين فأبطأوا عليه وبالناس حاجة شديدة فلما جاؤا بالصدقات قام عمر متزرا بعباءة يختلف فى اولها وآخرها يقسم تلك الصدقة ويقول هذه لآل فلان وهذه لآل فلان حتى انتصف النهار وجاع فدخل بيته فأكل من اكل بيته وقال فى مال الصدقة من أدخله بطنه أبعده الله قال العلامة الطرطوشى فى كتابه المسمى سراج الملوك كانت الخلفاء تعدل فى بيت المال فكانت الرعية هم الأجناد وهذه هى سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وكان جوعه اكثر من شبعه وتوفى صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة فى آصع من شعير واذا لم يكن العدل فى بيت المال ضعف الملك وقويت الاعداء كان الهرمزان من ملوك الفرس فأسره المسلمون وأرسلوه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما وصل الى المدينة وجد عمر رضى الله عنه فى المسجد مستلقيا متوسدا كوما من الحصا ودرته بين يديه فقال له عدلت فأمنت فنمت وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه على عاتقه قربة وهو يتخلل الناس فقلت مالك يا امير المؤمنين فقال لى لا تتكلم وأقول لك فسرت معه حتى صبها فى بيت عجوز وعدنا الى منزله فقلت له فى ذلك فقال انه حضرنى رسول ملك الروم ورسول ملك الفرس فقالا لى لله درك يا عمر قد اجتمع الناس على علمك وفضلك وعدلك فلما خرجا من عندى تداخلنى ما يتداخل البشر فقمت ففعلت بنفسى ما فعلت وحمل مرة أخرى قربة على عنقه فقيل له فى ذلك فقال ان نفسى أعجبتنى فأردت أن اذلها وقال له كعب الاحبار يوما انا نجدك فى كتابنا انك تكون على باب من ابواب جهنم تمنع الناس ان يقعوا فيها فاذا مت لم يزالوا يتقحمون فيها الى يوم القيامة وكان كعب الاحبار حبرا من احبار اليهود ثم هداه الله للاسلام فى زمن خلافة عمر رضى الله عنه وكان عنده علم كثير من التوراة وكتب بنى اسرائيل وكان فيها صفات النبى

(الغزية الخامسة والعشرون)

فكانت هذه الغزية هى الخامسة والعشرين فسار بالجنود قاصدا العبيلاء والتقى بأخيه الشريف عبد المعين قبل وصولها فلما نزلوا العبيلاء أحاطوا بالحصن من الجوانب الاربع ورموا عليه بالقنبرة والمدافع فامتنع عليهم فتحها وأخذها وجاء يوم العيد وهو بالعبيلاء فعيد هناك ثم دخل الطائف وأقام به أياما ثم رجع الى العبيلاء مرة ثانية وحاصرها

(الغزية السادسة والعشرون)

وهذه الغزية السادسة والعشرون ولم يرد الله أن يستولى عليها فرجع الى الطائف فلما كان اليوم الخامس والعشرون من شوال أقبل على الطائف عثمان بن معه من العربان وجاءه مددا أمير بيشة سالم بن شكبان ومعه من العرب عدد كالرمال فأحاطوا بالطائف ووقع القتال بينهم طول النهار فلما غربت الشمس عادوا وتباعدوا عن السور بعدما أهلكتهم المدافع والقلل

(الغزية السابعة والعشرون) وهذه ينبغى أن تكون الغزية السابعة والعشرين ولما أصبح الصباح أقبلت على الطائف طوائف

صلى الله عليه وسلم وصفات خلفائه وأصحابه وكثير من حوادث هذه الأمة فكان يجلس مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويخبرهم بها وقد رأوا كثيرا مما أخبرهم به من الحوادث التي تجري في المستقبل فرأوها كما اخبر وقال له عمر رضي الله عنه يوما خوفنا يا كعب فقال لعمر رضي الله عنه اعمل عمل وجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملهم مما ترى فنكس عمر وأطرق مليا ثم أفاق فقال زدنا يا كعب فقال يا امير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فنكس عمر ثم أفاق فقال يا كعب زدنا فقال يا امير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر على ركبتيه حتى يخر ابراهيم خليل الرحمن يقول يارب لا اسألك اليوم الا نفسي وقال معاوية رضي الله عنه لصعصعة بن صوحان صف لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كان عالما برعيته عادلا في قضيته عاريا من الكبر قابلا للعذر سهل الحجاب مصون الباب متحريا للصواب رفيقا بالضعيف غير محاب للقوي وغير جاف للقريب وعن سليمان بن داود عليهما السلام الرحمة والعدل يحرزان الملك وروى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى المسلمان وسلم كل منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشر والتقى مرة عمر وابو عبيدة رضي الله عنهما فصافحه أبو عبيدة وقبل يده وتنحيا يبكيان وأخذ عمر رضي الله عنه مرة بغرز زيد بن ثابت رضي الله عنه تعظيما له لعلمه وقال هكذا فافعلوا بزيد وأمثاله وكتب عمر رضي الله عنه الى عماله مروا الأقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك لأن التجاور يورث التزاحم على الحقوق وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم وكان عمر رضي الله عنه يذهب الى قبا والعوالي كل سبت ويتفقد عمل العبيد فاذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه منه وكان رضي الله عنه يقول خذوا بحظكم من العزلة والعزلة راحة من قرين السوء وعن الشافعي رضي الله عنه الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وقال صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس ان الله يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم وقال ابو الدرداء رضي الله عنه لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو خياركم فلا يستجاب لهم وتستغفرون فلا يغفر لكم وتستنصرون فلا تنصرون وقال صلى الله عليه وسلم ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجي وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على انكاره فلا ينكرونه وكان عمر رضي الله عنه يوما يعطي الناس عطاياهم اذ جاءه رجل معه ابن له فقال له عمر رضي الله عنه ما رأيت احدا أشبه بأحد من هذا بك فقال له الرجل أحدثك عنه يا أمير

الاحزاب وطال بينهم القتال حتى جاء الليل فرجعوا بعد أن قتل كثير منهم الى خيامهم

(الغزية الثامنة والعشرون)

وهذه الغزية الثامنة والعشرون ووقع هذه الليلة أمر غريب يحير فيه العاقل اللبيب وذلك ان عربان الشريف تفرقوا شذر مذر وعالجهم على القعود ويعطيهم ما أرادوا من المال فما وافقوه وظهر خلل كثير في السور والابراج واتفق السيد عبدالله بن سرور مع جملة من الاشراف أن يرتحلوا من الطائف ويتوجهوا الى مكة وفعلوا ذلك فلما أصبح الصباح أخبر مولانا الشريف غالب بالخبر وقيل له أيضا أن عثمان وسالم بن شكبان ومن معهم من العربان يريدون التوجه الى مكة فأرسل من يكشف له الخبر فجاء ذلك الرسول وأخبره انه رآهم نازلين من ريع الثمارة فتحقق الأمر عنده فعزم أن يجد السير الى مكة من الطريق الثاني فجاء من قصره الذي في حوايا الى الطائف وحرضهم على قتال العدو وأعطى للعسكر ومن بقي من البوادي كل واحد عشرة مشاخصة وتوجه الى مكة على طريق المثناة ولما انفصل وغاب عن الطائف انفشل اهل الطائف وذهلت عقولهم وتركوا الحصون والاسوار وخرج من الطائف رجل يسمى دخيل الله بن حريب

المؤمنين بأمرأني أردت أن أخرج الى السفر وأمه حامل به فقالت تخرج وتدعنا على هذه الحالة فقلت استودع الله مافي بطنك فخرجت ثم قدمت فاذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا نار على قبرها فقلت للقوم ماهذه النار فقالوا هذه النار على قبر فلانة يعنون زوجته نراها كل ليلة فقلت والله ان كانت لصوامة قوامة فأخذت المعول حتى انتهينا الى القبر فحفرنا فاذا سراج واذا هذا الغلام يدب فقيل لي ان هذه وديعتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها فقال عمر رضي الله عنه لهو أشبه بك من الغراب بالغراب وكان عمر رضي الله عنه كبقية أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يبالغون في تطهير قلوبهم وبواطنهم من الصفات الذميمة كالعجب والكبر ويتساهلون في الطهارة الظاهرة حتى ان عمر رضي الله عنه توضأ من ماء في جرة نصرانية وكان بعض المنافقين يؤم الناس ولا يقرأ الا سورة عبس لما فيها من العتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر رضي الله عنه أن يقتله ورأى أن فعله ذلك حرام وركب عمر رضي الله عنه مرة على فرس هملج ثم نزل عنه وقطع ذنبه لانه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مشيته وسمع عمر رضي الله عنه مرة رجلا يقرأ ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا شهرا وكان عمر رضي الله عنه يقول اذا أعطيتم فأغنوا وكان يعطي أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فافوقها وأعطى مرة أعرابيا ناقة بولدها وقال اللهم اجعل الفضل عند خيارنا وكان رضي الله عنه يقول ان الأعمال تباهت فقالت الصلة أنا أفضلكن وقال له رجل من أهل الكتاب في قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا لو نزلت هذه الآية علينا لجعلنا يوم نزولها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه أشهد لقد نزلت هذه الآية يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقد اتخذناه عيدا وكان رضي الله عنه يقول الحاج مغفور له ولمن يستغفر له في ذي الحجة ومحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول وحج رضي الله عنه فلما قبل الحجر الاسود قال اني لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك ثم بكى حتى علا نحيبه والتفت فرأى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورآه فقال يا ابا الحسن ههنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات فقال علي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمنين بالوفا ويشهد على الكافر بالجحود فقال عمر رضي الله عنه لا أبقاني الله في قوم لست فيهم يا أبا الحسن قال العلماء ولهذا المعنى الذي ذكره علي رضي الله عنه استحب للطائف ان يقول عند استلام الحجر اللهم ايمانا بك ووفاء بعهدك يشيرون بذلك الى العهد الذي ألقمه الله الحجر وكان عمر رضي الله عنه يقول أخشى أن كثرة المقام بمكة تسقط هيبة البيت الحرام من القلوب فكان يقول للحجاج اذا حجوا ياأهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم ولذلك هم بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت ان يأنس الناس بهذا البيت فتسقط هيبته من قلوبهم وقال رضي الله عنه لقد هممت أن أكتب الى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وقال عمر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه للدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه

فأسرع مجدا في طلب الوهابيين واسترجاعهم بعد أن ولوا مدبرين وأخبرهم بتوجه الشريف الى مكة فرجعوا مقبلين وتقدمهم رجل يقال له عبد الله البو يحيت وكان من كبارهم يمهد لهم الامور ويخبرهم بمن بقي في السور فدخلها مع دخيل الله بن حريب وجاء الى بيت ابراهيم الزرعة وكان من أعز أهل البلد وأغنياها فاتفق معه على مبلغ جزيل من المال يدفعه لسلامة أهل البلد

(ذكر قصة أهل الطائف وما وقع لهم من الوهابية)

فخرج البو يحيت على أن يأتيهم بالامان من عثمان وسالم بن شكبان فرماه برصاصة من منارة بعض أهل الطائف فكان فيها موته وهلاكه فلما علمت الوهابية بذلك حملوا على السور حملة واحدة ولم يوجد من له قدرة على قتالهم ومدافعتهم وكان جماعة من أهل الطائف خرجوا قبل ذلك هاربين فأدركتهم الخيل وقتلوهم وما سلم منهم الا القليل ولما دخلوا الطائف قتلوا الناس قتلا عاما واستوعبوا الكبير والصغير والمأمور والأمير والشريف والوضيع وصاروا يذبحون على صدر الام الطفل الرضيع وصاروا يصعدون البيوت يخرجون من توارى فيها فيقتلونهم ووجدوا جماعة يتدارسون القرآن فقتلوهم عن آخرهم حتى أبادوا من

وكان رضى الله عنه يقول يا أيها الناس عليكم بالعلم فان الله سبحانه وتعالى رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه فاذا أذنب استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه وقال رضى الله عنه موت الف عابد صائم النهار قائم الليل أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال رضى الله عنه من حدث حديثا فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل وقال رضى الله عنه ان أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا وعليما فقال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال رضى الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال رضى الله عنه ثلاث بهن ينهدم الدين احداهن زلة العالم وكان عمر رضى الله عنه يسأل حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما عن نفسه هل فيه شئ من النفاق فبرأه من ذلك وكان اذا دعى الى جنازة ليصلى عليها نظر فان حضر حذيفة للصلاة عليها صلى عليها والا ترك وكان حذيفة رضى الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنافقين والفتن وكان لا يحضر جنازة منافق وكان عمر رضى الله عنه يقول ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله وقال رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم وقال رضى الله عنه ان الرجل يشيب فى الاسلام وما أكمل لله صلاة فقيل له وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله عز وجل وقال رضى الله عنه ما كنا نعرف الاثنان زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رضى الله عنه لا تأخذه فى الله لومة لائم ولا يترك انكار المنكر ولا النصح للمسلمين فكان رضى الله عنه مرة يخطب للجمعة فدخل المسجد عثمان بن عفان رضى الله عنه فأنكر عليه تأخره الى ذلك الوقت وترك البكور الى المسجد فقال فى خطبته أهذه الساعة تجئ يا عثمان فقال عثمان مازدت بعد أن سمعت الاذان على أن توضأت وخرجت فقال عمر والوضوء ايضا اى اقتصرت عليه وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالغسل وأخر عمر رضى الله عنه مرة صلاة المغرب حتى طلع نجم فأعتق رقبة وسئل رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال وخطب رضى الله عنه مرة فقال أيها الناس انه قد أتى على زمان وانا ارى ان قراء القرآن يريدون به الله عز وجل وما عنده فخيل الى الآن ان قوما يقرؤنه يريدون به الناس والدنيا الا فأريدوا الله عز وجل بأعمالكم الا انما كنا نعرفكم اذ يتنزل الوحى واذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا من اخباركم فقد انقطع الوحى وذهب النبى فانما نعرفكم الآن بالقول فمن رأينا منه خيرا ظننا به خيرا وأحببناه عليه ومن رأينا منه شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه سرائركم بينكم وبين ربكم الا وانى انما أبعث عمالى ليعلموكم دينكم وسننكم ولا ابعثهم ليضربوا ظهوركم ويأخذوا أموالكم الا من رابه شئ من ذلك فليرفعه الى فوالذى نفسى بيده لاقصنكم منه فقام عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين أرأيت ان بعثت عاملا من عمالك فأدب رجلا من رعيتك فضربه أتقصه منه قال نعم والذى نفس عمر بيده لاقصنه منه فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه وخطب لما ولى الخلافة فقال يا ايها الناس انى داع فأمنوا اللهم انى غليظ فليني لاهل طاعتك

أو ساجد حتى أفنوا هؤلاء المخلوقات فويل لهم من جبار السموات ولم يبق من أهل الطائف الا شرذمة قدر نيف وعشرين انحازوا البيت الفتنى وترسوه ومنعوه بالرصاص أن يصلوه وجماعة فى بيت الفعر يبلغون مائتين وسبعين قاتلوهم يومهم بطال وشاغلوهم بكثرة النضال ثم قاتلوهم فى اليوم الثانى والثالث فعلم ابن شكبان ان لا سبيل الى هؤلاء الا بالمكر والخديعة فراسلهم بالامان وقال لهم انكم فى وجه ابن شكبان وعثمان وأعطوهم على ذلك العهود فكفوا عن القتال فأدخلوا عليهم جماعة وأخذوا منهم السلاح وقالوا لهم حوله للمشركين غير مباح ثم أمروهم بالخروج لمقابلة الامير فلما مثلوا بين يديه أمر بقتلهم جميعا ففازوا بالشهادة وكان قتلهم بقوز يسمى دقاق اللوز وكان جماعة مفرقون فى بيوت ذوى عيسى نحو الخمسين كانوا مترسين يرمونهم برصاص فأخرجوهم أيضا بالامان والعهود على سلامة الارواح والرقاب دون بقية الاسباب ثم أخرجوهم لوادى وج وتركوهم فى البرد والثلج وما زالوا مكشوفى السوأتين

بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقني الغلظة والشدة على اعدائك واهل الذعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم اللهم اني شحيح فسخني في نوائب المعروف قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة واجعلني ابتغي بذلك وجهك والدار الآخرة اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين اللهم اني كثير الغفلة والنسيان فألهمني ذكرك على كل حال وذكر الموت في كل حين اللهم اني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون الا بعزتك وتوفيقك اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء منك وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني والمحاسبة لنفسي واصلاح الساعات والحذر من الشبهات اللهم ارزقني التفكر والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر في عجائبه والعمل بذلك ما بقيت انك على كل شيء قدير وكان آخر كلام عمر الذي اذا تكلم به اذا عرف انه فرغ من خطبته اللهم لا تدعني في غمرة ولا تأخذني على غرة ولا تجعلني من الغافلين وكان الذين يكتبون له زيد ابن ثابت وعبد الله بن أرقم وعبد الله بن خلف الخزاعي الذي يقال له طلحة الطلحات كان على ديوان البصرة وكتب له على ديوان الكوفة ابو جبيرة بن الضحاك فلم يزل الى ان ولي عبد الله ابن زياد فعزله وولي مكانه حبيب بن القيسي روى ان عمر رضي الله عنه خطب امرأة من ثقيف وخطبها المغيرة بن شعبة فزوجوها المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا زوجتم عمر فانه خير قريش اولها وآخرها الا ما جعل الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وعن الحسن البصري قال ما فضل عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه كان أطولهم صلاة وأكثرهم صياما ولكنه كان أزهدهم في الدنيا وأشدهم في امر الله عز وجل قال ابن عباس رضي الله عنهما خرجت يوما أريد عمر في خلافته فألقيته راكبا على حمار قد أرسنه بحبل أسود وفي رجليه نعلان مخصوفتان وعليه ازار قصير وقميص قد انكشفت منه ساقاه فمشيت الى جنبه وجعلت أجذب الازار عليه فجعل يضحك ويقول انه لا يطيعك حتى أتى العالية فصنع له قوم طعاما من خبز ولحم فدعوه اليه وكان عمر صائما فجعل ينبذ الى الطعام ويقول كل لي ولك

﴿ ذكر مقتل عمر رضي الله عنه ﴾

قال الحسن كان لمغيرة بن شعبة غلام نصراني وقيل مجوسي يقال له فيروز ابو لؤلؤة وكان نجارا جيدا نقاشا يصنع الرحا وحدادا وكان خراجه ثقيلا عليه فشكا الى عمر ثقل الخراج وسأله أن يكلم مولاه أن يخفف عنه من خراجه فقال وكم خراجك قال درهمان في كل يوم قال وما صناعتك قال نجار نقاش حداد قال ما أرى هذا خراجا ثقيلا في مثل صناعتك فقد بلغني انك تقول لو أردت ان اصنع رحى تطحن بالريح لفعلت قال نعم لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب ثم انصرف عنه فقال عمر لقد اوعدني العبد الآن فلما كان الغد جاءه كعب الاحبار فقال له يا أمير المؤمنين اعهد فانك ميت في ثلاث ليال قال وما يدريك قال اجد ذلك في كتاب عندي قال عمر أتجد عمر بن الخطاب قال اللهم لا ولكني أجد حليتك وصفتك وانك قد فني أجلك وعمر لا يحس وجعا فلما كان الغد جاءه كعب فقال بقي يومان فلما

حتى رموا عليهم الطمار ابالية من الكسباء وجمعوا بين الرجال والنساء وصارت المخدرات في أسوء الحالات ثم عاهدوهم بعد ثلاثة عشر يوما على الدخول في الطين فصاروا يتكففون المسلمين فيعطون السائل الحفنة من الذرة ملء الكف بقضهما وصار العربان كل يوم يدخلون الطائف وينقلون الاموال الى الخارج فنهبوا النقود والعروض والاساس والفراش ويتهافتون على ذلك تهافت الفراش فصارت الاموال في مخيمهم كأمثال الجبال الا الكتب فانهم نشروها في تلك البطاح وفي الازقة والاسواق تعصف بها الرياح وكان فيها من المصاحف والرباع الوف مؤلفة ومن نسخ البخاري ومسلم وبقية كتب الحديث والفقه والنحو وغير ذلك من بقية العلوم شيء كثير ومكثت أياما يطؤنها بأرجلهم لا يستطيع أحد أن يرفع منها ورقة وأخبرهم بعض شياطينهم ان عزيز الاموال مدفونة في الخابي فحفروا حفيرة في بعض الحال فوجدوا فيها عزيز المال مخبأ فظنوا أن جميع الدور كذلك فحفروا جميع بيوت أهل البلد قاصيها ودانيها وأخربوها من أسافلها وأعاليها حتى حفروا بيوت الخلاء والبالوعات وأخربوا تلك الربوع التي كانت عامرة بالانس والمسامرة فسبحان

كان الغدجاءه كعب فقال مضى يومان وبقي يوم فلما أصبح خرج عمر الى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فاذا استوت كبر فاشتمل ابولؤلؤة خنجرا له رأسان محدد الطرفين نصابه في وسطه وكان عمر قد رأى في المنام ديكا أحمر ينقره ثلاث نقرات فتأوله بأنه رجل من العجم يطعنه ثلاث طعنات وكان عمر رضي الله عنه يوكل بالصفوف رجالا يسوونها فاذا استوت أخبروه فكبر وربما قرأ سورة يوسف او النحل اونحو ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فلما كان ذلك اليوم الذي طعن فيه كمن له ابولؤلؤة في المسجد في غمار الناس وأمهله الى ان كبر ودخل في صلاة الصبح فطعنه ثلاث طعنات وقيل ست طعنات احداهن تحت سرته هي التي قتلته فلما وجد عمر حد السلاح سقط وقال دونكم والكلب فانه جنى علي وفي رواية قتلني أو أكلني الكلب فماج الناس وأسرعوا اليه وصار العلج لايمر على احد يمينا اوشمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة حتى جاء رجل فاحتضنه من خلفه وقيل ألقى عليه برنسا فأدنى السكين الى حلقه فقتل نفسه وقال عمر عند ماسقط أفي الناس عبد الرحمن ابن عوف قالوا نعم هوذا فتناوله بيده وقال تقدم صل بالناس فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة وحمل عمر الى منزله ثم سئل عمن طعنه فقالوا له أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الاسلام ثم أذن للناس فدخلوا عليه ودخل في الناس كعب الاحبار فلما نظر اليه عمر أنشأ يقول

وواعدني كعب ثلاثا أعدها ❊ ولا شك ان القول ما قاله كعب
ومابي حذار الموت اني لميت ❊ ولكن حذار الذنب يتبعه ذنب

ثم أوصى بجعل الخلافة شورى بين ستة وتقدم الكلام على ذلك مستوفى ثم قال لابنه عبدالله انظر ماعلي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين الفا فقال ان وفى له مال آل عمر فأده من أموالهم والا فسل بني عدي بن كعب وان لم تف اموالهم فسل في قريش ولا تعدهم الى غيرهم فأدعني هذا المال ثم قال انطلق الى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فاني لست اليوم أميرا وقل يستأذن عمر ان يدفن مع صاحبيه فمضى وسلم واستأذن ثم دخل على عائشة رضي الله عنها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي فلما أقبل قيل هذا عبدالله قد جاء وهو متطلع اليه فقال ارفعوني فأسنده رجل اليه فقال مالديك قال الذي تحب ياأمير المؤمنين أذنت فقال عمر الحمد لله ما كان شيء من الامر أهم الي من ذلك فاذا أنا قضيت فاحملوني وقل يستأذن عمر بن الخطاب فان أذنت لي فأدخلوني وان ردتني فردوني وفي رواية والا فاصرفني الى مقابر المسلمين فلما توفي خرجوا به فصلى عليه صهيب بن سنان الرومي ثم حملوه واستأذنوا به على عائشة رضي الله عنها فأذنت فدفنوه في بيتها عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه وطعن يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن يوم الأحد صبيحة هلال المحرم سنة أربع وعشرين وعمره ثلاث وستون سنة ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام وفي تاريخ ابن الوردي مر يوما عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام

واستبصار لاولي الفكر والاعتبار ليعلم أهل الدنيا ان نعيمها زوال وزخرفها محال أي محال وان القاطن فيها على جناح سفر فيتخذها جسرا يمر ومن أراد الاعتبار فليعتبر بهذه القصة فقصة الطائف كانت على المسلمين أعظم غصة وكان حصول هذا الشر في ذي القعدة سنة ألف ومائتين وسبع عشرة وبعد جمعهم تلك الاموال التي أخذوها من الطائف أخرجوا منها الخمس للامير واقتسموا الباقي كما تقسم غنائم الكفار وتوجه سالم بن شكبان وارتحل عن البلاد وبقي عثمان أميرا على الطائف وأرسلوا كتابا الى سعود بما صار على الطائف من القضاء المو عود فسر بذلك غاية السرور وكان مبرزا بالدهنا راكبا على العراق بغزية له سبعة أيام عن الدرعية فأسرع مقبلا الى هذه الاطراف فالتقى بابن شكبان فأعاد معه من معه من العربان فلما وصلوا الى قرية يقال لها العبيلاة وهي الى مكة على ثلاث مراحل أناخوا بجنودهم على تلك القرية وهم كدود على عود فبلغ الخبر جيران بيت الله الحرام فحصل اضطراب لاهل مكة وحجاج المسلمين وكان ذلك في شهر ذي القعدة

لا تزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق مادام هذا بين أظهركم فاذا فارقكم انفتح ذلك الباب فكان كما قال عليه السلام لأن الفتنة كلها قد نجمت بعد مقتله واتصل بعضها ببعض ولا تزال الفتن كذلك الى يوم القيامة انتهى ذكر ما كان لعمر رضي الله عنه وذلك نزر يسير من سيرته رضي الله عنه

﴿ ذكر ما كان لسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه من الاقتصاد في الدنيا وحسن السيرة ﴾

كان عثمان رضي الله عنه زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة عادلا في بيت المال لا يأخذ لنفسه منه شيأ لأنه كان غنيا وغناه كان مشهورا من حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته وكان كثير الانفاق في نهاية الجود والسماحة والبذل في القريب والبعيد وأنزل الله فيه الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون وقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وكان يخطب الناس وعليه ازار غليظ عدني ثمنه أربعة دراهم أو خمسة وكان يطعم الناس طعام الامارة ويدخل بيته يأكل الخل والزيت قال الحسن البصري دخلت المسجد فاذا أنا بعثمان متكئا على ردائه فأتاه سقا آن يختصمان اليه فقضى بينهما وعن عبد الله بن شداد قال رأيت عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة يخطب وهو يومئذ أمير المؤمنين وعليه ثوب قيمته أربعة دراهم وسئل الحسن البصري ما كان رداء عثمان قال قطرى قالوا كم ثمنه قال ثمانية دراهم وكان رضي الله عنه شديد التواضع قال الحسن البصري رأيت عثمان وهو أمير المؤمنين نائما في المسجد ورداؤه تحت رأسه فيجيء الرجل فيجلس اليه ثم يجيء الرجل فيجلس اليه فيجلس هو كأنه أحدهم وروى خيثمة قال رأيت عثمان نائما في المسجد في ملحفة ليس حوله أحد وهو أمير المؤمنين وفي رواية أخرى لخيثمة أيضا رأيت عثمان يقيل في المسجد ويقوم وأثر الحصا في جنبه فيقول الناس هذا أمير المؤمنين وكان يلي وضوءه في الليل بنفسه فقيل له لو أمرت بعض الخدم لكفوك فقال لا الليل لهم يستريحون فيه وكان رضي الله عنه يعتق في كل جمعة رقبة منذ أسلم الا ان لا يجد ذلك تلك الجمعة فيجمعها في الجمعة الاخرى قال العلامة ابن حجر في الصواعق ان جملة ما أعتقه عثمان رضي الله عنه الفان واربعمائة ومن تواضعه رضي الله عنه أنه كان يردف غلامه خلفه أيام خلافته ولا يستعيب ذلك وكان رضي الله عنه يصوم النهار ويقوم الليل الا هجعة من أوله وكان يختم القرآن كل ليلة في صلاته وكان كثيرا ما يختمه في ركعة وكان اذا مر على المقبرة يبكي حتى تبتل لحيته وكان رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة ومن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو عنهم راض وكان من السابقين للاسلام فانه أسلم بعد أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة والزهد في الدنيا فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال رحمك الله يا عثمان ما اصبت من الدنيا ولا أصابت منك وكثرت الفتوحات في زمن خلافته رضي الله عنه فقد فتح في زمنها افريقية وسواحل الاردن وسواحل

وجاء الحج في هذا العام من أرض المغرب نحو خمسة عشر ألفا وحج امام مسكت سلطان بن سعيد وحج أيضا نقيب المكلي ولما وصلت الجيوش كان أمير الحاج الشامي عبد الله باشا ابن العظم ومعه كثير من العساكر وأمير الحج المصري عثمان بيك قرجي ومعه أيضا كثير من العساكر وكثرت الناس بمكة واشتد الزحام ولم يعلم قبل هذه السنة سنة فيها من المخلوقات مثل ما حضر في هذا العام وتراكم الناس بعضهم على بعض حتى ملئت بيوت مكة ونواحيها وجهاتها وضواحيها فلما كان يوم التروية ورد الخبر أن سعودا بجيوشه خيم بعرفة فحصل للناس خوف ووجل كثير فلما صعد الحجاج للوقوف وهي خائفة لم يجدوا أحدا من هذه الطائفة فحج الناس في أمن وأمان وكانت كثرة الحجاج في هذا العام هي السبب في تأخر تلك الطائفة عن الوصول زمن الحج ولله تعالى في كل شيء حكمة بل حكم كثيرة ثم بعد تمام الحج نادى منادي سيدنا الشريف ان يخرج الناس

الروم واصطخر وفارس وطبرستان وسجستان وغير ذلك وكثرت أموال الصحابة في خلافته رضي الله عنهم حتى بيعت جارية بوزنها وفرس بمائة الف ونخلة بألف وعن الحسن البصري قال كانت الارزاق في زمن عثمان وافرة وكان الخير كثيرا وأصاب الناس مجاعة في غزوة تبوك فاشترى طعاما يصلح العسكر واخرج ابو يعلى عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عثمان بن عفان ولي في الدنيا والآخرة وأخرج ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عثمان في الجنة وقال لكل نبي خليل في الجنة وان خليلي عثمان بن عفان وفي رواية لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان وقال صلى الله عليه وسلم ليدخلن بشفاعة عثمان سبعون ألفا كلهم قد استحقوا النار الجنة بغير حساب وأخرج أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه اول من هاجر الى الحبشة بأهله عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبهما الله ان عثمان لأول من هاجر الى الله تعالى بأهله بعد لوط ولما زوج النبي صلى الله عليه وسلم بنته ام كلثوم لعثمان رضي الله عنهما قال لها ان بعلك لأشبه الناس بجدك ابراهيم وأبيك محمد صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم اشد امتي حياء عثمان بن عفان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أوحى الى أن ازوج كريمتي يعني رقية وام كلثوم من عثمان وقال صلى الله عليه وسلم ان عثمان حيي تستحي منه الملائكة وقال صلى الله عليه وسلم انما يشبه عثمان بأبينا ابراهيم وقال صلى الله عليه وسلم مازوجت عثمان بأم كلثوم الا بوحي من السماء وقال صلى الله عليه وسلم لعثمان ياعثمان هذا جبريل يخبرني أن الله زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها وأخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن خباب قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان يارسول الله على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يارسول الله على مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يارسول الله على ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ماعلى عثمان مافعل بعد اليوم وعن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول ماضر عثمان ماعمل بعد اليوم ماضر عثمان ماعمل بعد اليوم وفي رواية عن حذيفة رضي الله عنه انها عشرة آلاف دينار فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول غفر الله لك ياعثمان ماأسررت وماأعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالي عثمان ماعمل بعدها وأخرج الواحدي ان الله أنزل بسبب ذلك في حق عثمان رضي الله عنه الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ماأنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ارتقبت النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من أول الليل الى أن طلع الفجر يدعو لعثمان بن عفان يقول اللهم عثمان بن عفان رضيت عنه فارض عنه فما زال رافعا يديه حتى طلع الفجر وأخرج البغوي عن جابر بن عطية رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ياعثمان ماقدمت وماأخرت وماأسررت وماأعلنت وماأخفيت وماأبديت وماهو كائن

بمن معه من العساكر فلما سمع سعود هذا الخبر تقهقر يومين عن موضعه وتأخر فعند ذلك جمع مولانا الشريف امراء الجيوش وعقد لهم مجلسا وأشار عليهم بالركوب على هؤلاء البغاة فما وافقه أحد على الخروج والركوب وتعللوا بعدم الذخائر وفوات الوقت للمسافر فتضمن وتعهد لهم بكل ما يحتاجونه من ماله بغير ثمن فما قبلوا قوله بل قالوا يكاتبه كل منا بكتاب ويرشده الى الصواب فان تأتى فهو المطلوب والا لحق عليه الركوب وأرسل كل أمير منهم من طرفه رسولا يحذره عن القدوم فلما وصلت اليه المكاتيب علم وتحقق انحصار عزمهم ووهنت وضعف عراها فأجاب لهم الجوابات وشحنها بكثير من تزويره وأباطيله وأكثر فيها من التهديدات وأشعرلهم انه في غاية القوة ولا يبالي بهم فلما وصلت المكاتيب للامراء علموا أنه لا مطمع في رجوعه عما يريد واضطربت آراؤهم وارتبكوا كل الارتباك وأشار عليهم مولانا الشريف ثانيا بالركوب عليه وقال لهم في ركوبنا ناموس للدولة العلية واكتساب عز وفخر وتكفل لهم بما يحتاجونه من النقود والذخائر وآلات القتال فقالوا لابد من اعادة المراسيل وراموا حصول

كائن الى يوم القيامة وأخرج الامام احمد عن أم عمرو بنت حسان وكانت امرأة صدق قالت سمعت أبي يقول ان عثمان جهز جيش العسرة مرتين ولما امر صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان رسول النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة فبايع الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عثمان فى حاجة الله وحاجة رسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى نيابة عنه فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لانفسهم وأخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما لعثمان رضى الله عنه وأخرج الترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه عن مرة بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة يقربها فمر رجل مقنع فى ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت اليه فاذا هو عثمان بن عفان فأقبلت اليه بوجهى فقلت هذا قال نعم وأخرج الترمذى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعثمان ان الله مقمصك قيصا فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى فلما حصره المنافقون وأرادوا منه ان يخلع نفسه امتنع لهذا الحديث وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى عهدا فأنا صابر عليه وروى الحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال اشترى عثمان الجنة من النبى صلى الله عليه وسلم مرتين حين حفر بئر رومة وحين جهز جيش العسرة ولما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة لم يكن بها ماء مستعذب غير بئر رومة فقال صلى الله عليه وسلم من يشترى بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها فى الجنة فاشتراها عثمان رضى الله عنه بخمسة وثلاثين الف درهم وجعلها للمسلمين وكانت بقعة الى جنب المسجد فقال النبى صلى الله عليه وسلم من يشتريها ويوسعها فى المسجد فله مثلها فى الجنة فاشتراها عثمان رضى الله عنه بعد ذلك فوسعها فى المسجد وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله عثمان تستحييه الملائكة وجهز جيش العسرة وزاد فى مسجدنا حتى وسعنا وعن ابى الفرات قال كان لعثمان رضى الله عنه عبد فقال له يوما انى كنت عركت اذنك فاقتص منى وألزمه ان يفعل فأخذ بأذنه ثم قال قصاص فى الدنيا لاقصاص فى الآخرة وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه وزن ايمان عثمان بايمان الامة فرجحهم وأخرج الطبرانى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت انى وضعت فى كفة وامتى فى كفة فعدلتها ثم وضع أبو بكر فى كفة وامتى فى كفة فعدلها ثم وضع عمر فى كفة وامتى فى كفة فعدلها ثم وضع عثمان فى كفة وامتى فى كفة فعدلها وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها قالت والله ماقال أبو بكر شعرا قط فى جاهلية ولا اسلام ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر فى الجاهلية وأخرج ابو نعيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعصمة بن مالك اذا انامت وابوبكر وعمر وعثمان فان استطعت ان تموت فمت وروى ابن عساكر عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القائم بعدى فى الجنة والذى يقوم بعده فى الجنة والثالث والرابع فى الجنة وروى ابن عساكر ايضا عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اربعة لايجتمع حبهم فى قلب منافق ولايحبهم الامؤمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وأتى صلى الله عليه وسلم مرة بجنازة رجل فلم يصل عليها فقيل له يارسول الله مارأيناك تركت الصلاة على

مر مستحيل فأرسلوا رسلهم بمكاتيب مرة ثانية فأعاد جواب كل بخلاف ماأمله وأخافهم حتى عالت المسئلة وتهدد كل واحد منهم بقوله من أقام بمكة غير ثلاثة أيام أقتله بالقتل العام وأجعله عبرة للانام ففزعوا وأدركهم الخوف وهموا بالفرار فعالجهم شريف مكة أشد العلاج على الثبات وما حصل لعلاجه انتاج فعند ذلك اجتمع أكابر مكة وأعيانها وذهبوا الى عبد الله باشا ابن العظم أمير الحاج الشامى وترجوا عنده ان يقيم بمكة عشرة أيام فأبى وسافر فى خامس المحرم سنة ثمانى عشرة وفى ثانى يوم توجه أمير الحج المصرى ثم توجه شريف باشا الى جدة فبقى الشريف وحده لما توجهوا كلهم هاربين فعند ذلك توجه هو أيضا الى جدة فبقيت الرعايا بمكة لايقر لها من الخوف قرار ونودى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ليس للبلاد حاكم ولا وزير ولا أمير ولا مشير قد استسلم أهل مكة للشهادة وطلبوا من الله الكريم الحسنى وزيادة لعلمهم ان هذا الرجل لايدخل أرضا الا أفسدها ولو لم يكن الا قصة الطائف ومافعله بأهلها لكان فى ذلك كفاية فعند ذلك أقام مولانا الشريف عبد المعين بن مساعد وأرسل كتابا الى سعود مع القائد حامد بن سليم اغا على فرس

أحد قبل هذا فقال انه كان يبغض عثمان فأبغضه الله عز وجل وروى الامام احمد والبخاري وغيرهما عن انس رضي الله عنه قال صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فضربه النبي صلى الله عليه وسلم برجله وقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان وتكرر مثل ذلك وهو على حراء وعلى ثبير وعن أبي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه قبض حصيات فسبحن في يده حتى سمع لهن حنينا كحنين النحل ثم ناولهن أبابكر فسبحن في يده وكذا في يد عمر وعثمان ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع أحد منا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله افترض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن أنكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج وقال صلى الله عليه وسلم لأبي موسى بشر عثمان بالجنة على بلوى تصيبه فلما أخبره قال الله المستعان وروى الشافعي بسنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت انا وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أنوارا على يمين العرش قبل ان يخلق آدم بألف عام وأصاب الناس مجاعة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فجاءت عير من الشام لعثمان رضي الله عنه تحمل برا وزيتا وزبيبا وكانت ألف بعير فأعطاه التجار لكل درهم خمسة دراهم فقال ان الله أعطاني لكل درهم عشرة أشهدكم أني جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله تعالى قال الزهري كان عثمان رضي الله عنه أحب الى قريش من عمر بن الخطاب لأن عمر كان شديدا عليهم فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم وكان عثمان رضي الله عنه حليما سخيا محببا الى قريش حتى كان يقال احبك والرحمن حب قريش لعثمان وكان لعثمان رضي الله عنه على طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه خمسون ألفا فقال له يوما قد تهيأ مالك فاقبضه قال هو لك معونة على مروءتك وكان رضي الله عنه شديد الشفقة على رعيته قال سليمان بن موسى دعي عثمان الى قوم كانوا على أمر قبيح فخرج اليهم فوجدهم قد تفرقوا ورأى امرا قبيحا فحمد الله اذ لم يصادفهم وأعتق رقبة كفارة لقيامه وخروجه وكان رضي الله عنه شديد الخوف من الله تعالى فكان اذا مر بقبر يبكي حتى تبتل لحيته وكان يقول ياليتني اذا مت لم أبعث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعثمان انك ستبتلى بعدي فلا تقاتل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يموت عثمان يصلي عليه ملائكة السماء ودخل عثمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت ركبته صلى الله عليه وسلم بادية فغطاها فقيل له دخل عليك أبوبكر وعمر وعلي فلم تغطها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأستحي ممن استحيت منه الملائكة وكان رضي الله عنه يقال له ذو النورين لأنه تزوج بنتي النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعلم احد أرسل سترا على ابنتي نبي غيره زوجه ابنته رقية فلما ماتت زوجه أم كلثوم فلما ماتت قال لو كان عندي ثالثة لزوجتكها وعن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أن لي أربعين بنتا لزوجت عثمان واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة وقال صلى الله عليه وسلم انما شبه بأبينا ابراهيم عليه السلام وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مر بي عثمان وعندي ملك من الملائكة فقال شهيد يقتله قومه انا نستحي منه وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

وطلب منه أمانا لجيران بيت الله الحرام وان لايخفر لسكان مكة ذمام وان يكون هو عامله فيها وان أهل مكة تحت طاعته وأرسل أهل مكة رسلا من أفاضل العلماء وأهل البيت النبوي منهم العلامة الشيخ محمد طاهر سنبل والعلامة الشيخ عبد الحفيظ العجيمي وشيخ السادة السيد محمد بن محسن العطاس والسيد محمد ميرغني والد مولانا السيد عبد الله ميرغني مفتي مكة بعد هذه المدة كل ذلك لأجل صيانة مكان البلد الامين وشفقة بالفقراء والمساكين فتوجه الجميع واجتمعوا بسعود بوادي السيل على مرحلتين من مكة وتكلموا معه بأفصح كلام وطلبوا منه الامان لجيران البيت الحرام وانهم يدخلون في طاعته فقال لهم انما جئتكم لتعبدوا الله وحده وتهدموا الاصنام والطواغيت ولاتشركوا بالله الذي يحيي ويميت فأجابه الشيخ طاهر بقوله والله ما عبدنا غير الله فدلهم بيده قال عاهدتكم على دين الله ورسوله توالون من والاه وتعادون من عاداه والسمع والطاعة فعاهدوه على هذا المقال من غير بحث ولاجدال فعند ذلك كاد يطير من السرور والفرح واطمأن بخروج الشريف وانشرح وقال أحمد لله شكرا فقد أولانا أرضه

(قال)

قال ان الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله وروى الامام احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقتل هذا مظلوما وأشار الى عثمان رضي الله عنه وروى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله سيفا مغمودا في غمده مادام عثمان حيا فاذا قتل عثمان جرد ذلك السيف فلم يغمد ذلك السيف الى يوم القيامة وفي الشفاء للقاضي عياض انه صلى الله عليه وسلم قال يقتل عثمان وهو يقرأ في المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه يسيل دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ولما حصروه استأذنه جماعة من الصحابة انهم يقاتلونهم فأبى وممن استأذنه ليقاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعبد الله بن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهم فامتنع أن يأذن لهم وكان علي رضي الله عنه يلعن قتلة عثمان ويقول اللهم اني ابرأ اليك من دم عثمان ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وكان علي رضي الله عنه يقول أيضا والله الذي لا اله الا هو ماقتلت عثمان ولاما ليت ولقد نهيت فعصوني وعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال كنت مع عثمان يوم الدار فقال أعزم على كل من رأى أن لي عليه سمعا وطاعة ان يكف يده ويلقي سلاحه فألقى القوم أسلحتهم وقال سمرة ان الاسلام كان في حصن حصين وانهم ثلموا في الاسلام ثلمة عظيمة بقتلهم عثمان لاتنسد الى يوم القيامة واخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن مهدي قال خصلتان لعثمان ليستا لأبي بكر ولا لعمر صبره على نفسه حتى قتل وجمعه الناس على المصحف وكان له عبيد عشرون حملوا السلاح ليقاتلوا عنه يوم حصره فمنعهم وقال من ألقى السلاح فهو حر لوجه الله تعالى فامتنعوا من القتال وألقوا السلاح ولما قتل رضي الله عنه فتشوا خزانته فوجدوا فيها صندوقا مقفلا ففتحوه فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها هذه وصية عثمان بن عفان يشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الله يبعث من في القبور ليوم لاريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث ان شاء الله من الآمنين وأخرج الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال لما بويع عثمان رضي الله عنه بايعنا خير من بقي وعن يزيد بن ابي حبيب قال بلغني ان عامة الركب الذين ساروا الى عثمان وحاصروه جنوا وعن حذيفة رضي الله عنه ان اول الفتن قتل عثمان وآخر الفتن خروج الدجال والذي نفسي بيده لايموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حب قتلة عثمان الا تبع الدجال أن ادركه وان لم يدركه آمن به في قبره وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بحجارة من السماء وقال ابن عباس ايضا لو امطرت السماء دما لقتل عثمان لكان قليلا له وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول ليغلبن معاوية وأصحابه عليا وأصحابه لأن الله تعالى يقول ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا وكانت آخر خطبة خطبها عثمان رضي الله عنه ايها الناس ان الله انما اعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة فلم يعطكموها لتركنوا اليها ان الدنيا تفنى والآخرة تبقى لاتبطرنكم الفانية ولاتشغلنكم عن الباقية فآثروا مايبقى على مايفنى فان الدنيا منقطعة وان المصير الى الله اتقوا الله فان تقواه جنة من بأسه ووسيلة عنده واحذروا

عزا لنا وفخرا وأمر كاتبه ان يكتب الامان ليحصل لاهل مكة الاطمئنان في كاغد لم يزد عن الخمس الاصابع وهذا ماهو مذكور فيه كما هو الواقع بسم الله الرحمن الرحيم من سعود بن عبد العزيز الى كافة أهل مكة والعلماء والاغاوات وقاضي السلطان السلام على من اتبع الهدى اما بعد فأنتم جيران الله وسكان حرمه آمنون بأمنه انما ندعوكم لدين الله ورسوله قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لانعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون فأنتم في وجه الله ووجه أمير المسلمين سعود بن عبد العزيز وأميركم عبد المعين بن مساعد فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله والسلام وكان وصول هذا الكتاب الذي جعل أهل مكة فيه مثل اليهود يوم الجمعة سابع شهر محرم الحرام عام ثمانية عشر بعد المائتين والالف فصعد به المنبر السيد حسين مفتي المالكية بعد صلاة الجمعة والناس مجتمعة وقرأ هذا الكتاب على رؤس الاشهاد فقالوا حبا وكرامة وحمدوا الله تعالى على حصول السلامة وفي ثامن محرم يوم السبت وصل سعود ودخل محرما فطاف وسعى ونحر من الابل نحو المائة وصعد بستان الشريف الذي في المحصب وفي ثاني يوم نادى مناديه

من الله الغيرة والزموا جماعتكم ولا تكونوا أخدانا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا قال عبد الله بن سلام أتيت أخي عثمان وهو محصور لأسلم عليه فدخلت عليه فقال مرحبا بأخي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة وهي خوخة في البيت فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم فأدلى الي دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى اني لأجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي ان شئت نصرت عليهم وان شئت أفطرت عندنا فاخترت ان افطر عنده فقتل ذلك اليوم رضي الله عنه وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان في الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا فقال ابن سلام والذي نفسي بيده لو دعا الله ان لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا الى يوم القيامة وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان فقال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني ان أشرب منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان المسجد كان قد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني ان اصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمكة ومعه ابو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك النبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله اكبر شهدوا لي ورب الكعبة اني شهيد وروى عن شيخ من ضبة ان عثمان رضي الله عنه حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني استعديك عليهم واستعينك على جميع اموري واسألك الصبر على ما ابتليتني قال المحب الطبري في الرياض النضرة ان الشيعة اختلقوا أشياء جعلوها طعنا في عثمان رضي الله عنه وهو بريء منها فمنها قالوا انه زوج ابنه بابنة الحارث بن الحكم وأعطاه مائة الف من بيت المال فقد كذبوا في ذلك فانه انما أعطى ذلك من ماله لا من بيت المال وهو مشهور بالغنا قبل ان يلي الخلافة وقالوا ايضا انكح ابنته ام ابان من مروان واعطاها مائة الف من بيت المال وذلك ايضا كذب محض بل انما كان ذلك من ماله وقالوا ايضا انه اعطى الحارث بن الحكم عشور أسواق المدينة وذلك أيضا غير صحيح وانما الصحيح ان الحارث المذكور جعله عثمان رضي الله عنه محتسبا على السوق ليحافظ الأسواق كي لا يقع التطفيف والخيانة والجور في المكاييل والموازين فقام بالأمر يومين او ثلاثة فاشتكى اهل المدينة منه وقالوا انه كان يشتري النوى ويمنع غيره من شرائه فلا يحصل من النوى شيء لابل المسلمين فعزله عثمان رضي الله عنه فورا ووبخه وأي عيب يعود على عثمان رضي الله عنه من ذلك بل هو عين الانصاف والعدل فان عزله له كان بمجرد سماع الشكاية مع أنه من قرابته وعابوا عليه ايضا انه ولى بعض اقاربه ولايات وذلك لا يعاب عليه فيه

(لانه)

بأن سكان البلد الحرام يجتمعون في المسجد غدا ضحوة النهار فاجتمعت الناس على طبقاتها وحضر الشريف عبد المعين ومن بمكة من السادة الاشراف والقاضي ومفتي مكة مولانا الشيخ عبد الملك القلعي وبقية المفاتي والعلماء ومازالت الناس في اجتماع وائتلاف وسعود المذكور في المطاف ثم أقبل وصعد بأعلى درج الصفا والناس أفواجا ينظرون له ويسمعون قوله فأخذ المفتي عن يمينه والقاضي عن شماله فحمد الله وأثنى عليه وقال الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأنجز وعده وأعز جنده لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون الحمد لله الذي صدقنا وعده ثم صحبته بهتة وجماعته ساكتة ثم قال يا أهل مكة أنتم جيران بيته آمنون بأمنه وسكنى حرمه وأنتم في خير بقعة اعلموا أن مكة حرام ما فيها لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يعضد شجرها وانما أحلت ساعة من نهار وانا كنا من أضعف العرب ولما أراد الله ظهور هذا الدين دعونا اليه وكل يهزأ بنا ويقاتلنا عليه وينهب مواشينا ونشتريها منهم ولم نزل ندعو الناس للاسلام وجميع من تراه عيونكم ومن تسمعون به

لانه كان باجتهاد منه وطلبا لاظهار العدل لانه رأى ان اقاربه يعينونه على اظهار العدل واقامة الحق وهكذا جميع الاشياء التي عابوه بها كلها كانت باجتهاد منه وله فيها أعذار ومخارج تدل على انه انما أراد بذلك العدل واظهار الحق وكلها مبسوطة في كتب اهل السنة ولما حصره المنافقون وقتلوه بايع الناس بعده علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبايعه ايضا القوم الذين حصروا عثمان وقتلوه فوقعت الفتنة بين الصحابة رضي الله عنهم لذلك فقال الذين امتنعوا من بيعته لانبايعك حتى تعطينا قتلة عثمان نقتص منهم فقال علي رضي الله عنه بايعوني اولا ثم بعد ذلك نتتبع قتلة عثمان فمن ثبت عليه شرعا موجب القصاص نقتص منه وأما الاقتصاص منهم قبل دخولكم في البيعة فانه عسر جدا لان لهم قبائل وعشائر يتعصبون لهم فتنتشر الفتنة وتزداد هذا هو السبب في الاختلاف الذي وقع بينهم فنشأ عنه وقعة الجمل ووقعة صفين وتمسك كل من الفريقين بحجج وأدلة وتعارضت الأدلة عند بعضهم فاعتزلوا الفريقين منهم سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر واسامة بن زيد ومحمد بن سلمة والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم وبقي الامر مشتبها بين الناس الى زمن الائمة الاربعة فنظروا في الحجج والأدلة التي تمسك بها كل فريق فظهر لهم واتضح تصويب اجتهاد علي رضي الله عنه وتخطئة اجتهاد غيره لكن لما كان ذلك الخطأ ناشئا عن اجتهاد لم يأثموا به لقول النبي صلى الله عليه وسلم من اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله اجر واحد فلا سبيل الى الحكم بتأثيم أحد منهم فلذلك كان مذهب أهل السنة السكوت عما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم وتأويله وحمله على احسن المحامل تحسينا للظن بهم لان الله تعالى أثنى عليهم وشهد لهم بالصدق وأخبر بأنه رضي الله عنهم ورضوا عنه وكذلك جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة فالقدح فيهم يوجب تكذيب الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ويوجب ايضا الحكم عليهم بالفسق فيستلزم ذلك اسقاط ماجاء عنهم من السنة والتشريع الذي نقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيستلزم ذلك ابطال الشريعة بخلاف ما اذا حمل ماوقع منهم على الاجتهاد الذي لا اثم فيه فمذهب اهل السنة هو المذهب الحق الذي من عدل عنه فقد زاغ وضل ومن تمسك به فقد نجا ومما يؤيد مذهب اهل السنة ان عليا رضي الله عنه سأله ابو سلامة الدلاني عن القوم الثائرين لطلب قتلته فقال أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم ان كانوا أرادوا الله بذلك قال نعم قال افترى لك حجة بتأخير ذلك قال نعم ان الشيء اذا كان لايدرك ان الحكم فيه أحوطه وأعمه نفعا قال فما حالنا وحالهم ان ابتلينا غدا قال اني لأرجو ان لايقتل منا ومنهم احد نقي قلبه لله الا ادخله الله الجنة واستشهد سيدنا عثمان رضي الله عنه لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة وقيل كان قتله أيام التشريق وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة الا اثني عشر يوما وكان عمره اثنين وثمانين سنة وقيل ثمانية وثمانين وقيل تسعين وقصة حصاره وقتله طويلة مبسوطة في التواريخ لا حاجة لنا بذكرها والله سبحانه وتعالى أعلم

ذكر ما كان لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الاقتصاد في الدنيا وحسن السيرة

كان علي رضي الله عنه شديد الزهد في الدنيا بل قال عمر بن عبد العزيز ان علي بن ابي طالب

من القبائل انما أسلموا بهذا السيف ورفع سيفه تجاه البيت الحرام حتى رآه الخاص والعام وقد كنت في هذا العام غازيا نحو العراق فلما سمعت ماوقع من المسلمين بغزوة الطائف وأقبلوا عليكم يغزونكم خفت عليكم من العربان والبادية فاحمدوا الله الذي هداكم للاسلام وانقذكم من الشرك وأنا ادعوكم ان تعبدوا الله وحده وتقلعوا عن الشرك الذي كنتم عليه وأطلب منكم ان تبايعوني على دين الله ورسوله وتوالون من والاه وتعادون من عاداه في السراء والضراء والسمع والطاعة ثم جلس ومد يده فأول من تقدم لمبايعته الشريف عبد المعين ثم مولانا المفتي عبد الملك ثم القاضي ثم بقية الناس على طبقاتهم وكان هذا من عادتهم فلما تمت المبايعة ركب فرسه وصعد الى المحصب وقال قبل ركوبه يا أهل مكة انتظروني بعد صلاة العصر بالمسجد الحرام بين الركن والمقام لابين لكم الدين وشرائط الاسلام فلما كان العصر اجتمعوا فجاء وصعد المقام الذي على ظهر زمزم والمفتي معه ففهمهم وبلغهم وتشدق وتكلم والناس تحته ملء الحرم وصار يعلمهم دين رعاة الغنم وأجهل أهل مكة من أكبرهم اعلم ثم وقف يخاطب المفتي عبد الملك ويعلمه الدين لايتوقف في قوله ولا يرتبك كلما علمه مسئلة يقول له علمها للناس حتى يعرفها الجهلة فكان أول ما علمه

رضي الله عنه كان أزهد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا وكذا قال سفيان بن عيينة وكان رضي الله عنه عادلا في بيت المال لا يأخذ منه الا بقدر حاجته وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا وان الله زينه بذلك فقد روى عمار بن ياسر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي رضي الله عنه ان الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب منها هي زينة الابرار عند الله تعالى الزهد في الدنيا فجعلك لا ترزأ من الدنيا ولا ترزأ الدنيا منك شيأ وحبب اليك المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعا ويرضون بك اماما واخرج الامام احمد عن علي بن ابي ربيعة ان عليا رضي الله عنه جاءه ابن التياح فقال يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء فقال الله أكبر ثم قام متوكيا على ابن التياح حتى قام على المال فنودي في الناس فأعطى جميع ما في بيت المال وهو يقول يا صفراء يا بيضاء غري غيري هاوها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين وفي رواية رواها الامام أحمد ايضا ان عليا رضي الله عنه دخل بيت المال فرأى فيه شيأ فقال لا أرى هذا ههنا وبالناس اليه حاجة فأمر به فقسم وأمر بالبيت فكنس ثم نضح فصلى فيه رجاء ان يشهد له يوم القيامة وكان ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم خازنا لعلي رضي الله عنه على بيت المال قال فدخل علي يوما وقد زينت ابنته فرأى عليها لؤلؤة كان قد عرفها لبيت المال فقال من أين لها هذه لأقطعن يدها فلما رأى ابو رافع جده في ذلك قال انا والله يا امير المؤمنين زينتها بها فقال علي لقد تزوجت بفاطمة ومالي ولها فراش الا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار ومالي خادم غيرها وقال هارون بن عنترة عن ابيه قال دخلت على علي بالخورنق في فصل الشتاء وعليه خلق قطيفة فقلت يا أمير المؤمنين ان الله قد جعل لك ولاهلك في هذا المال نصيبا وانت تفعل هذا بنفسك فقال والله ما أرزؤكم شيأ وما هي الا قطيفتي التي خرجت بها من المدينة وقال يحيى بن سلمة استعمل علي عمرو بن سلمة على اصبهان فقدم ومعه مال وزقاق فيها عسل وسمن فأرسلت ام كلثوم بنت علي رضي الله عنه الى عمرو تطلب منه سمنا وعسلا فأرسل اليها ظرف عسل وظرف سمن فلما كان الغد خرج علي واحضر المال والعسل والسمن ليقسم فعد الزقاق فنقصت زقين فسأله عنهما فكتمه وقال نحن نحضرهما فعزم عليه الا ذكرهما له فأخبره فأرسل الى ام كلثوم فأخذ الزقين منها فرآهما قد نقصا فأمر التجار بتقويم ما نقص منهما فكان ثلاثة دراهم فأرسل اليها فأخذها منها ثم قسم الجميع وقال عاصم بن كليب عن ابيه قدم على علي مال من اصبهان فقسمه على سبعة اسهم فوجد فيه رغيفا فقسمه على سبعة ودعا امراء الاسباع فأقرع بينهم لينظر ايهم يعطى اولا وقال سفيان ان عليا لم يبن آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وان كان ليؤتى بحبوبه من المدينة في جراب من ارض كانت تزرع له واخرج يوما سيفا له الى السوق فباعه وقال لو كان عندي أربعة دراهم ثمن ازار لم أبعه وعن أبي حيان التيمي عن ابيه قال سمعت علي بن أبي طالب ورأيته وهو يقول على المنبر من يشتري مني سيفي هذا فلو كان معي ثمن ازار ما بعته فقام اليه رجل فقال اسلفتك ثمن ازار ولعل هذه مرة اخرى غير المرة التي باع فيها سيفه بالسوق وكان رضي الله عنه يقول نما أحفظ المال للمسلمين وكان لا يشتري ممن يعرفه واذا اشترى قميصا قدر

الذي يعلمه البهائم والانعام

(ذكر هدم القبب)

ثم قال له قل لهم في غد اطلعوا للقبب واهدموها واطرحوا الاصنام وارموها حتى لا يكون لكم معبود غير الله فقالوا سمعا وطاعة وتفرق الناس فما أصبح الصباح الا وهم سارحون بالمساحي لهدم القبب فبادر الوهابيون ومعهم كثير من الناس لهدم المساجد ومآثر الصالحين فهدموا أولا ما في المعلى من القبب فكانت كثيرة ثم هدموا قبة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومولد سيدنا علي رضي الله عنه وقبة السيدة خديجة رضي الله عنها وتتبعوا جميع المواضع التي فيها آثار الصالحين وهم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل ويغنون وبالغوا في شتم القبور التي هدموها وقالوا ان هي الا أسماء سميتموها حتى قيل ان بعض الناس بال على قبر السيد المحجوب وأما أهل مكة فانهم لما حرضهم على الهدم وليس لهم قدرة على ترك الطاعة فارتكبوا

أخف الضرر فبعضهم جعل يلتقط الاحجار وبعضهم يمشي خلف أولئك الفجرة فما مضى ثلاثة أيام الا ومحوا

كه على طول يده وقطع الباقى ويقول الحمد لله الذى كسانى هذا من فضله وعن عبد الله بن أبى الهذيل قال رأيت عليا رضى الله عنه خرج وعليه قميص غليظ اذا مدكم قميصه بلغ الى الظفر واذا أرسله صار الى نصف الساعد وفى رواية رأيت على بن أبى طالب رضى الله عنه يخرج من مسجد الكوفة وعليه قطريان متزر بواحد ومرتد بالآخر وازاره الى نصف الساق وهو يطوف بالاسواق ومعه درة يأمرهم بتقوى الله وصدق الحديث وحسن البيع ووفاء الكيل وعن أبى سعيد الازدى قال رأيت على بن أبى طالب رضى الله عنه فى السوق وهو يقول من عنده قميص يباع بثلاثة دراهم فقال رجل عندى فجاء به فأعجبه ثم لبسه فاذا هو يفضل عن أطراف أصابعه فأمر به فقطع ما يفضل من أطراف أصابعه وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال اشترى على بن ابى طالب قميصا بثلاثة دراهم وهو خليفة فقطع كمه من موضع الرسغين وعن أم سلامة رضى الله عنها وقد سئلت عن لباس على رضى الله عنه فقالت كان لباسه الكرابيس السيلانية والكرابيس ثياب غليظة من القطن وغيره وعن زيد بن وهب ان الجعد بن بعجة عاتب عليا رضى الله عنه فى ملبوسه فقال مالك وللملبوس هذا أبعد من الكبر وأجدر ان يقتدى به المسلم وقيل لعلى رضى الله عنه لم ترقع قميصك قال يخشع القلب ويقتدى به المؤمن وكان رضى الله عنه يختم على الجراب الذى فيه دقيق الشعير الذى يأكل منه ويقول لا أحب أن يدخل بطنى الا ما أعلم وقال الشعبى وجد على رضى الله عنه درعا له عند نصرانى فأقبل به الى قاضيه شريح وجلس الى جانبه وقال لو كان خصمى مسلما لساويته فى المجلس وقال هذه درعى فقال النصرانى ماهى الا درعى ولم يكذب اميرالمؤمنين فقال شريح لعلى ألك بينة قال لا وهو يضحك وقيل انه استشهد بابنه الحسن ومولاه قنبر فلم يقبل شريح شهادتهما لكون الحسن ابنه وقنبر مولاه فأخذ النصرانى الدرع ومشى يسيرا ثم عاد وقال ان هذه احكام الانبياء أمير المؤمنين قدمنى الى قاضيه وقاضيه يقضى عليه ثم أسلم واعترف ان الدرع سقطت من علىّ عند مسيره الى صفين ففرح علىّ باسلامه ووهب له الدرع وفرسا وشهد معه قتال الخوارج ورؤى على رضى الله عنه وهو يحمل فى ملحفته تمرا قد اشتراه بدرهم فقيل له ياأمير المؤمنين الا نحمله عنك فقال أبو العيال احق بحمله وفى رواية ما ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فكان يشترى الشئ فيحمله الى بيته بنفسه فيقول صاحبه اعطنى احمله فيقول صاحب الشئ أحق بحمله وكان الحسن بن على رضى الله عنهما يمر وهو راكب على بغلته بالسؤال وبين أيديهم كسر فيقولون هلم الى الغداء يا ابن رسول الله فكان ينزل ويجلس على الطريق ويأكل معهم ثم يركب بغلته ويقول ان الله لا يحب المستكبرين وقال الحسن بن صالح تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز فقال عمر أزهد الناس فى الدنيا على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان رضى الله عنه يقول لعمر بن الخطاب ان أردت ان تلحق بصاحبيك فاقصر الامل وكل دون الشبع وارقع القميص والبس الازار واخصف النعل تلحق بهما ولما سئل فى خلافة عمر رضى الله عنه عما يستحقه الخليفة فى بيت المال فقال ما يشبعه وأهله غداء وعشاء وما يكسوه وأهله صيفا وشتاء من أوسط القوت والكسوة لا من أعلاها ولا من أدناها فعمل عمر

تلك الآثار وفى اليوم السادس من أيام اقامته نادى مناديه بابطال تكرار صلاة الجماعة فى المسجد الحرام فكان يصلى الصبح الشافعى والظهر المالكى والعصر الحنبلى والمغرب الحنفى والعشاء يصليه كل راكع وساجد وأمر أن يصلى بالناس الجمعة المفتى عبد الملك القلعى وفى اليوم الثامن أمر أن يأتيه الناس بالشيش وآلات اللهو ذوات الاوتار وأمر على ذلك جماعة من قومه ليحرقوها بالنار بعد كتابة أسماء أصحابها ليعرف من أطاعه ومن عصاه وكان ينزل من المحصب قبل الفجر ليحضر صلاة الصبح فسمع ليلة المؤذنين يؤذنون الاذان الاول ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم ثم سمعهم يقولون ياأرحم الراحمين ويترضون عن الصحابة فقال هذا شرك أكبر ومنعهم من ذلك كله ثم أمر علماء مكة أن يدرسوا بعقيدته التى ألفها محمد بن عبد الوهاب وسماها كشف الشبهات ووضع فيها شيأ من الكفريات فقرؤها ورأوا فيها من التلبيس الذى هو من وساوس ابليس ولم يقدروا على الانكار ثم طلب قبائل العرب التى حول مكة فبايعوه وأخذ منهم من المال شيأ كثيرا زعم انه نكالهم ووضع فى القلعة مائتين من بيشة وجعل عليهم أميرا

رضي الله عنه ٭ قال علي رضي الله عنه فلما صارت الخلافة لعلي رضي الله عنه عمل بذلك ايضا
وأخرج الامام أحمد عن عبدالله بن زرير قال دخلت على علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وهو أمير المؤمنين يوم عيد الاضحى فقرب لنا خزيرة فقلت اصلحك الله لو قربت لنا من
هذا البط يعني الاوز فان الله قد كثر الخير فقال يا ابن زرير سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لا يحل للخليفة من مال الله الا قصعتان قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يضعها بين
يدي الناس والخزيرة لحم يقطع صغارا على ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق فان لم يكن
فيه لحم فهو العصيد وعن زاذان قال رأيت عليا رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين يمشي في
في الاسواق فيمسك الشسوع بيده فيناول الرجل الشسع ويرشد الضال ويعين الحمال على
الحمولة وهو يقرأ هذه الآية تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم يقول هذه الآية نزلت في ذوي القدرة من الناس وعن أبي مطر
البصري أنه شهد عليا رضي الله عنه أتى صاحب تمر وجارية تبكي عند التمار فقال ما شأنك
فقالت باعني تمرا بدرهم فرده مولاي فأبى ان يقبله فقال يا صاحب التمر خذ تمرك وأعطها
درهمها فانها جارية وليس لها أمر فدفع عليا فقال المسلمون أتدري لمن تدفع قال لا قالوا
أمير المؤمنين فصب تمرها وأعطاها درهمها وقال لعلي رضي الله عنه أحب أن ترضى عني
فقال ما أرضاني عنك اذا دفعت للناس حقوقهم رواه الامام احمد كالذي قبله وكان
علي رضي الله عنه يقسم بيت المال في كل جمعة حتى لا يبقى منه شيأ ثم يرش له ويصلي فيه
ثم يقيل فيه وكان اذا دخل بيت المال ونظر الى ما فيه من الذهب والفضة يقول يا بيضاء
يا صفراء غري غيري قد طلقتك ثلاثا وأتي علي رضي الله عنه بفالوذج فوضع قدامه فقال
انه لطيب الريح حسن اللون طيب الطعم ولكني أكره ان اعود نفسي ما لم تعتد ولم يأكل منه
وقصة مفارقة أخيه عقيل له ولحوقه بمعاوية مشهورة رواها كثير من المحدثين بألفاظ متقاربة
ففي رواية انه كان يعطيه من الشعير كل يوم ما يكفي عياله فاشتهى عليه اولاده مريسا
فصار يوفر كل يوم شيأ قليلا حتى اجتمع عنده ما اشترى به سمنا وتمرا وصنع لهم فدعوا عليا
اليه فلما جاء وقدم له ذلك سأل عنه فقصوا عليه ذلك فقال اوكان يكفيكم ذاك بعد الذي
عزلتم منه قالوا نعم فنقص مما كان يعطيه مقدار ما كان يعزل كل يوم وقال لا يحل لي ازيدك من ذلك
فغضب عقيل فحمى له حديدة وقربها من خده وهو غافل فتأوه فقال تجزع من هذه وتعرضني
لنار جهنم فقال أذهب الى من يعطيني برا ويطعمني تمرا فلحق بمعاوية وقد قال معاوية يوما لولا
علم بأني خير له من أخيه ما أقام عندنا وتركه فقال له عقيل أخي خير لي في ديني وأنت خير لي
في دنياي وقد آثرت دنياي وأسأل الله خاتمة خير وأخرج ابن عساكر ان عقيلا سأل عليا فقال
اني محتاج واني فقير فأعطني قال اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين فاعطيك معهم فألح
عليه فقال علي لرجل خذ بيده وانطلق به الى حوانيت أهل السوق فقل له دق على هذه
الاقفال وخذ ما في هذه الحوانيت فقال عقيل تريد ان تتخذني سارقا فقال علي وانت تريد
ان تتخذني سارقا ان آخذ اموال المسلمين فاعطيكها دونهم قال لآتين معاوية قال انت وذاك
فأتى معاوية فسأله فأعطاه مائة ألف ثم قال اصعد المنبر فاذكر ما أولاك به علي وما أولاك

(فصعد)

فهيدا أخا سالم بن شكبان فأرسل كتابا لاهل جدة مع علي بن عبدالرحمن أخي عثمان المضايفي يطلب منهم
الدخول في طاعته فأجابوه
بأنا رعية سيدنا الشريف
غالب فطاعتنا من طاعته
واذا فرض انا نطيعك
ونعصيه هل تطلب منا
شيأ من الدراهم أم يصح
الدخول في دينك بدونها
فلما قرأ الكتاب فرح بما فيه
من الجواب وظن أنه حق
وهم يسخرون به فأرسل
يطلب منهم مائتي ألف
ريال وستين ألف مشخص
ومن القماش ما قيمته ستة
آلاف ريال ووجه لتلك
الاموال من يقبضها في الحال
وعزم على التوجه بجيوشه
الى جدة وكان ذلك يوم
الجمعة الثاني والعشرين
من المحرم سنة ألف ومائتين
وثماني عشرة ومدة اقامته
بمكة أربعة عشر يوما ولما
أناخ بجدة استعد له مولانا
الشريف غالب بالمدافع
والقلل فصار يشتتهم
ويفرقهم بذلك شذر مذر
فحملوا حملة رجل واحد
وراموا ان ينقزوا على
السور فاذا رمى عليهم
بالمدافع ينهزمون لموضع
شاسع ويعودون الى خيامهم
وفي اليوم الثاني يقدمون
على السور ويفعلون كما
فعلوا بالامس فيجدون
مثل ما وجدوا من الامس
فعلوا ذلك مرارا عديدة وقتل منهم خلائق لا يحصون فمضى عليهم ثمانية أيام ثم نادوا بالرحيل

فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انى اخبركم انى أردت معاوية على دينه فاختارنى على دينه وفى رواية ان عقيلا رضى الله عنه لزمه دين فقدم على على رضى الله عنه بالكوفة فأنزله وامر ابنه الحسن فكساه فلما أمسى دعا بعشائه فاذا خبز وملح وبقل فقال عقيل لعلى رضى الله عنه ماهو الاما أرى فقال على ماهو الاما ترى قال أتقضى دينى قال وكم دينك قال أربعون الفا قال على ماهى عندى ولكن اصبر حتى يخرج عطائى فأدفعه اليك فقال له عقيل بيوت المال بيدك وأنت تسوفنى بخروج عطائك قال على أفتأمرنى ان أدفع اليك أموال المسلمين وقد ائتمنونى عليها قال فانى آتى معاوية فأذن له فأتى معاوية فأعطاه خمسين ألفا ثم خمسين ألفا حتى كملت مائة ألف وجلس اياما عند معاوية ثم رجع الى أخيه على رضى الله عنهم وحضر مع معاوية وقعة صفين ولم يقاتل ولم يترك نصح اخيه والتعصب له وكان سريع الجواب روى ان معاوية قال يوم صفين لانبالى وأبو يزيد معنا يعنى عقيلا فقال عقيل وقد كنت معكم يوم بدر فلم أغن من الله شيأ وله فى سرعة الجواب أخبار كثيرة وكان على رضى الله عنه بعد نهب الدار عند مقتل عثمان يتحرى فى مأكله غاية التحرى خوفا من ان يدخل فى بطنه حرام فكان لا يأكل طعاما الا مختوما حذرا من الشبهة وكان على رضى الله عنه يقول أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم فقال على الهين اللين السهل وكان يقول ومن موجبات الغفران بذل السلام وحسن الكلام ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على على رضى الله عنه وهو مريض فقال له قل اللهم انى اسألك تعجيل عافيتك او صبرا على بليتك اوخراجا من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطى احداهن ورأى على رضى الله عنه مرة رجلين يقتتلان ففرق بينهما ثم مضى فسمع صوتا ياغوثاه فقصد الصوت وهو يقول أتاك الغوث فاذا رجل يلازم رجلا فقال ياامير المؤمنين بعت هذا ثوبا بسبعة دراهم وشرطت عليه ان لا يعطينى مغموزا ولا مقطوعا وكان ذلك شرطهم يومئذ فأتانى بهذه الدراهم فأبيت ولازمته فلطمنى فقال للاطم ماتقول فقال صدق ياأمير المؤمنين قال أعطه شرطه فأعطاه وقال للملطوم اقتص قال أو عفو ياامير المؤمنين قال ذلك اليك ثم قال يامعشر المسلمين خذوه فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب ثم ضربه خمس عشرة درة وقال هذا نكال ماانتهكت من حرمته وكان رضى الله عنه يقول لاشئ أحب الى الله تعالى من عدل امام ورفقه ولاشئ ابغض اليه من جوره وخرقه وكان رضى الله عنه يقول أصب المعروف فى أهله وفى غير أهله فان أصبت اهله فهو اهل وان لم تصب أهله فأنت من اهله وقال رضى الله عنه رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر وقال على رضى الله عنه شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله اليه يايحيى وجدت دارا خيرا لك من دارى أو وجدت لك جوارا خيرا من جوارى فوعزتى وجلالى يايحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بدل الدموع ولبست الجلد بدل المسوح وقال على رضى الله عنه ان الله أخذ على ائمة الهدى ان يكونوا فى مثل أدنى احوال الناس ليقتدى بهم الغنى ولا يزرى بهم الفقير ولما عوتب فى خشونة لباسه قال

والتفت سعود الى عثمان المضايفي يوبخه ويشتمه لكونه هو الذى أشار عليه بالنزول الى جدة ثم بعد ارتحالهم أناخوا بالوادى ولم يدخلوا مكة وأمر على أهل الوادى السيد ابراهيم ابن سليمان البركاتى ثم توجه من الوادى الى الزيماء ثم الى الشرق وبعد ارتحاله من الوادى ركب مولانا الشريف من جدة وغزا أهل الوادى لكونهم دخلوا فى الطين فقتل وأسر وأما أميرهم فانه فر ثم رجع مولانا الشريف الى جدة

(الغزية التاسعة والعشرون)

وهذه الغزية التاسعة والعشرون وفى ايام امارة الشريف عبد المعين على مكة صارت العرب تقطع الطرقات وتنهب الاموال فى كل ناحية وليس عنده من العسكر والجند مايدفعهم به وفى أيام امارته ورد عبد الرحمن ابو نقطة أمير عسير ومعه جنود كثيرة وظن انه يدرك سعودا وجنوده قبل رحيلهم فبلغه وهو بالحسينية انهم قد ارتحلوا فلم يدخل مكة وحدثته نفسه انه يقاتل أهل جدة ويأخذها بمن معه من الجند وكتب من الحسينية كتابا لمولانا الشريف عبد المعين وأرسل مع الكتاب خمسة عشر رجلا فقال فى كتابه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الوهاب أبى نقطة الى عبد المعين بن مساعد السلام عليك ورحمة الله وبركاته اعلم

هوأقرب الى التواضع وأجدر أن يقتدى به المسلم وقال ان لله تعالى عباد ليسوا بالمتنعمين
ورؤى فضالة بن عبيد وهو والى مصر اشعث حافيا فقيل له انت الأمير وتفعل هذا فقال
نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وأمرنا أن نحتفى أحيانا وقال علىّ لعمر رضى الله
عنهما ان اردت أن تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون
الشبع وقال رضى الله عنه اخشوشنوا واياكم وزى العجم كسرى وقيصر وقال رضى الله
عنه من تزيا بزى قوم فهو منهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شرار أمتى الذين
غذوا بالنعيم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون فى الكلام وكان علىّ رضى الله عنه
أصغر أولاد ابى طالب الاربعة فى السن وأفضلهم قدرا وهم طالب وعقيل وجعفر كان طالب أسن
من عقيل بعشر سنين وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين وجعفر أسن من على بعشر سنين وبعضهم
قدم جعفرا على عقيل فقال ان جعفرا أسن من عقيل بعشر سنين اما على وجعفر وعقيل واختاهم
فاختة وجمانة وقيل جمانة بالجيم وكلهم لام وأب أمهم فاطمة بنت اسد بن هاشم وأبوهم ابو طالب بن عبد
المطلب بن هاشم وفاختة اسمها هند وتكنى بام هانئ أسلمت وهاجرت رضى الله عنها وكان
زوجها ابو وهب هبيرة بن عمرو المخزومى مات مشركا وأما جمانة فكان بعلها سفيان بن الحارث
ابن عبد المطلب أسلمت وهاجرت رضى الله عنها وماتت بالمدينة زمن النبى صلى الله عليه وسلم
فلا خفاء فى اسلامهم وصحبتهم النبى صلى الله عليه وسلم وأما طالب فلا يعلم له اسلام يقال
ان الجن اختطفته فذهب وكان خرج مع كفار قريش يوم بدر فلم يعلم له خبر وكان على رضى الله
عنه قد أعطاه الله علما كثيرا وكشفا غزيرا قال ابو الطفيل شهدت عليا رضى الله عنه يخطب
وهو يقول سلونى من كتاب الله فوالله ما من آية الا وانا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم
فى جبل ولو شئت اوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم
فيه أنا مدينة العلم وعلىّ بابها فمن اراد العلم فليأته من بابه وقال ابن العباس رضى الله عنهما علم
رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم الله تبارك وتعالى وعلم علىّ رضى الله عنه من علم النبى
صلى الله عليه وسلم وعلمى من علم على رضى الله عنه وما علمى وعلم اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم فى علم على رضى الله عنه الا كقطرة فى سبعة أبحر ويقال ان عبد الله بن عباس اكثر البكاء
على على رضى الله عنه حتى ذهب بصره وقال ابن عباس ايضا لقد اعطى علىّ بن ابى طالب تسعة
اعشار العلم وايم الله لقد شارك الناس فى العشر العاشر وكان معاوية رضى الله عنه يسأله ويكتب
له فيما ينزل به فلما توفى على رضى الله عنه قال معاوية لقد ذهب الفقه والعلم بموت على بن ابى طالب
وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتعوذ من معضلة ليس لها ابو حسن وسئل عطاء أكان فى
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحد أعلم من على قال لا والله ما أعلمه وفضائله كثيرة قد جمعها الناس
ودونوها واجمعها لنعته ما وصفه به ضرار الصدائى اذ قال له معاوية صف لى عليا فقال
أعفنى يا امير المؤمنين قال لتصفنه قال أما اذا لابد من وصفه فكان والله بعيد المدى شديد القوى
يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش
من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته وكان غزير العبرة طويل الفكرة يعجبه من اللباس
ماقصر ومن الطعام ما خشن كان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه ويأتينا اذا استنبأناه ونحن والله

ان قصدى أخذ جدة وقد استعددت لها بالسلاح والقوم ومذ حللت بهذا الوادى نجح زادى
فخذ لى بخمسة ريالات
دقيقا وبخمسة ريالات سمنا
وخمسة ريالات عليقا
فلربما يطول علينا زمن
الحصار ويلحقنا من عدم
الزاد مضار وأرسل لنا قدر
مائة سلم نتقر عليها السور
ونهجم على البندر المذكور
فقرأ الشريف عبد المعين
كتابه بمحضر من اهل مكة
وأناس من جماعته
فأخذهم العجب من غباوة
عقله وحماقته ثم أرسل له
مع الرسول كل ما طلب
فوصل الى نصف طريق
جدة وحرض قومه على
القتال ثم تأخر وامتنع
عن الاقدام وعاد الى مكة
ونزل بالمحصب فسأله بعض
الناس وقال له لم رجعت
عن القتال فقال قد أسلم
على يدى كل من كان بجدة
وأطاع ولم يبق بيننا
قتال ولا نزاع فضحك الناس
من قوله وعبد الوهاب
أبو نقطة هذا قتله
الشريف حمود الخيراتى
بعد مدة حمل عليه فى وسط
مخيمه فقتله وخلف ولدا
يقال له دوسر أمسكه
سيدنا الشريف محمد بن
عون حين كان أميرا على
عسير لاستشعاره منه
بعض الفساد وأرسله
الى مصر فبقى بها مدة
ثم لما جهز محمد على باشا على عسير المرة الاخيرة أرسل دوسر المذكور مع الجيوش ثم رجع الى مصر

مع تقريبه ايانا وقربه منالا نكاد نكلمه هيبة له يعظم الدين ويقرب المساكين لايطمع القوى في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله أشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يادنيا غرى غيرى الى تعرضت أم الى تشوفت هيهات قد باينتك ثلاثا لارجعة فيها فعمرك قصير وخطرك قليل آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فبكى معاوية رضى الله عنه وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار قال حزنى حزن من ذبح ولدها في حجرها وسئل الحسن البصرى عن على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال كان على والله سهما صائبا من مرامى الله عزوجل ربانى هذه الأمة وذا فضلها وسابقتها وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بالنومة عن أمر الله ولا بالملومة في دين الله ولا بالسروقة في مال الله أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مؤنقة ذاك على بن أبي طالب رضى الله عنه وأعز من مدحه وأخزى من قدحه وكان رضى الله عنه لايستأثر من الفيء بشيء بل يقسم مافي بيت المال بين المسلمين ثم يأمر به فيكنس فيصلى فيه رجاء ان يشهد له يوم القيامة ويكفيه فضلا قول النبي صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه وقوله صلى الله عليه وسلم لايحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وهو أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل ابن عشر سنين وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أقضانا على رضى الله عنه وقال ابن مسعود رضى الله عنه أعلم أهل المدينة بالفرائض على بن أبي طالب رضى الله عنه كم لعلى رضى الله عنه من تشقيق في العلوم وترفيق وبصر بالحساب وتدقيق حتى كأنه ينظر الى الغيب من ستر رقيق وكم من قضية قضاها لما بلغت الى النبي صلى الله عليه وسلم أمضاها وربما تبسم صلى الله عليه وسلم اذ سمعها استصوابا ثم أنفذها اذ رآها صوابا وكم مسئلة بديعة دقيقة دقق فيها النظر فأتى بالعبر روى عن زر بن حبيش رضى الله عنه قال جلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة فلما وضعا الغداء بين أيديهما مر بهما رجل فسلم فقالا له اجلس للغداء فجلس وأكل معهما واستوفوا في أكلهم الارغفة الثمانية فقام الرجل وطرح اليهما ثمانية دراهم وقال خذا هذا عوضا مما أكلت لكما ونلته من طعامكما فتنازعا فقال صاحب الخمسة الارغفة لى خمسة دراهم ولك ثلاثة فقال صاحب الارغفة الثلاثة لاأرضى الا أن تكون الدراهم بيننا نصفين فترافعا الى أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه فقصا عليه قصتهما فقال لصاحب الثلاثة قدعرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه أكثر من خبزك فارض بالثلاثة فقال والله لارضيت منه الا مر الحق فقال على رضى الله عنه ليس لك في مر الحق الا درهم واحد وله سبعة فقال الرجل سبحان الله هو يعرض على ثلاثة فلم أرض وأشرت على بأخذها فلم أرض وتقول لى الآن انه لايجب لى في مر الحق الا درهم واحد فعرفني بالوجه في مر الحق حتى أقبله فقال على رضى الله عنه أليس الثمانية الأرغفة أربعة وعشرين ثلثا أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ولا يعلم الاكثر منكم أكلا ولا الأقل فتحملون في اكلكم على السواء قال بلى قال فأكلت أنت ثمانية أثلاث وانما لك تسعة أثلاث وأكل صاحبك ثمانية

ولم يطب له القرار بهذه الديار وبقي بمصر الى أن مات ولما نزل عبدالوهاب أبو نقطة بالمحصب طلع الشريف عبدالمعين الى الابطح لمواجهته ومعه نحو خمسمائة من أهل مكة تقلد كل منهم بالسلاح فسلم عليه وآنسه وحياه ثم صنع له ضيافة واستمر مقيما بالابطح أياما ثم ارتحل الى حيث آل وخلف من جماعته أربعمائة أسكنهم في بستان سيدنا الشريف غالب الذى بالابطح وفي الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول عزم سيدنا الشريف غالب على القدوم الى مكة واخراج من فيها من جماعة سعود وأبي نقطة

(الغزية المكملة ثلاثين)

فكانت هذه الغزية هي المكملة ثلاثين قال بعضهم وهي حرية بأن تسمى غزوة الفتح فتوجه من جدة ومعه الوزير شريف باشا صاحب جدة وكثير من العساكر والجنود وثلاث مدافع منها مدفع كبير أهداه له امام مسكت فنزل أولا بالزاهر ثم أرسل العساكر والعبيد وأحاطوا بالقلعة التى بجياد فيها من خلفهم سعود وترسوا البيوت التى تليها وحصروهم أشد الحصار ودخل مولانا الشريف مكة ومعه شريف باشا بعد الاشراق ولم ينازعه الشريف عبدالمعين فيما يروم ثم رتب بعض العسكر وأمرهم أن يحيطوا بالبستان الذى

أثلاث وله خمسة عشر ثلثا أكل منها ثمانيـة وتبقى سبعة وأكل لك واحـدا من تسعة فلك
واحد وله سبعة فقال الرجل رضيت الآن ومن كلام على رضى الله عنه أول ما يرى الحليم
من بركة حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل واما شجاعة على رضى الله عنه فيكفى فى
اثباتهـا مبارزته لعمرو بن ود الذى بلغ النامة فى الشهرة بالشجاعة وقتله اياه ذكر ابن اسحاق
ان عمرو بن ود خرج يوم الخندق فنادى هل من يبارزنى فقام عـلى بن أبى طالب رضى الله
عنه وهو مقنع بالحديد فقال انا له يا نبى الله فقال انه عمرو اجلس ونادى عمرو الا رجل يبارزنى
وهو يؤنبهم ويقول اين جنتكم التى تزعمون ان من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون لى رجـلا
فقام على رضى الله عنه فقال انا له يا رسول الله فقال اجلس انه عمرو ثم نادى الثالثـة فقال

ولقد بححت من النـداء * بجمعكم هـل من مبارز
ووقفت اذ جبن المشجع * موقف القـرن المناجز
وكـذاك انى لم أزل * متسرعا قبـل الهـزاهز
ان الشجـاعة فى الفـتى * والجود من خير الغرائز

فقال على رضى الله عنه فقال يا رسول الله أنا له فقال انه عمـرو فقال وان كان عمـرا فأذن له
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى اليه حتى اتاه وهو يقول

لا تعجلن فقـد أتا * ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نيـة وبصيـرة * والصـدق منجا كل فائز
انى لارجو ان أقيـ * ـم عليك نائحة الجنـائز
من ضربة نجلاء يبـ * ـقى ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو من أنت قال أنا على قال ابن عبد مناف وهو اسم ابى طالب قال انا على بن أبى طالب
قال غيرك يا ابن أخى من أعمـامك من هو أسن منك فانى أكره ان أهريق دمـك فان
أباك كان صديقـا لى فقـال له على رضى الله عنه لكننى والله ما أكره ان أهريق دمك
فغضب عمرو ونزل فسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو على مغضبا ويروى انه ما نزل عن
فرسه الا بعد أن قال له على رضى الله عنه كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل معى فنزل
عن فرسه ثم أقبل نحوه فاستقبله على رضى الله عنه بدرقته وضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف
وأصاب رأس على فشجه وضربه على رضى الله عنه على حبل العاتق فسقط وثار العجاج وسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فعرف ان عليا قد قتله ثم أقبل على نحو رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يتهلل فقال عمر بن الخطاب هلا سلبته درعه فانه ليس فى العرب درع خير منها فقال
على انى حين ضربته استقبلنى بسوأته فاستحييت ان أسلبه ثم خرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت
الخندق فمن هنا لم يأخذ على سلبه وقيل تنزه عن أخذها وقيل انهم كانوا فى الجاهليـة اذا قتلوا
القتيل لا يسلبونه ثيابه وكذا قصته عند فتح خيبر لما قال النبى صلى الله عليه وسلم لأعطين
الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفـرار فأعطـاه الراية فكان
كما قال النبى صلى الله عليه وسلم قال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجنـا
مع على بن ابى طالب حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته فلما دنا من الحصن

فيـه من خلفهم أبو نقطة وأثار الحـرب عليهـم وركب عليهـم المـدفع وصنع لهـم لغمـا تحت
الارض فلما أثاره ورفع البرج الى الجو بمن فيه من الجند ومع ذلك ما برحوا عن القتال فطلب مدفعا كبيرا من جدة لا يمكن سيره بدون خمسين بعيرا فلما وصل رموا به الى جدار البستان فصـار فى كل رمية يطرح جانبا من البنيان حتى وقع منـه شىء كثير فطلبوا الامان فأعطـاهم الامان واستأجر لهـم جـمالا يتوجهون عليها الى بلادهم وأما الذين فى القلعة فافتر العسكر عن قتالهم وكان يخرج جماعة منهم بالليل ويحرقون بعض العشش ويعـودون الى القلعة ونزل جماعة منهم يوما فى ضحوة النهار ونهبوا أغناما فتفازعت العساكر عليهم فرجعوا الى القلعة فوضع مولانا الشريف لهم حرسـا لئلا يخرج أحد منهم من القلعة وأمر على الحرس القائد أحمد ابن منقـال وبعـد ثلاث أو أربع ليال هربوا من القلعة جنح ليل بالخيبة والويل وما طلب الامان الذين كانوا فى البستان الا بعد علمهم بخروج الذين كانوا فى القلعة وكانت مدة الحصـار الجميع خمسة وعشرين يوما ثم أقبلت
قبائل هذيل لمبايعة سيدنا الشريف غالب وطلبوا الامان لثقيف فأبى أن يعطيهم الامان الا ان يأتوا عثمان

خرج اليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول على بابا كان عند الحصن وكان ذلك الباب من حديد فترس به نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه وراء ظهره من يده حين فرغ فكان بعده عنه حين ألقاه ثمانين شبرا قال ابو رافع المقدر أيتنى فى نفر معى سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه وعن جابر انه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون وفى رواية البيهقى فاجتمع عليه بعده سبعون رجلا فكان جهدا أن أعادوا الباب الى مكانه وفى شرح المواقف قال على رضى الله عنه ماقلعت باب خيبر بقوة جسمانية ولكن بقوة الهية وكان على رضى الله عنه اذا استعلى الفارس قده واذا اعترضه قطه وكانت درعه صدرا بلا ظهر فقيل له فى ذلك فقال اذا وليت فلا وألت أى لا رجعت يعنى انه كان لا يولى ظهره ابدا والموئل المرجع وفى حديث آخر كانت ضربات على أبكارا اذا استعلى قد واذا استعرض قط وقوله أبكارا يقال ضربة بكر أى لا تثنى ومن شجاعته رضى الله عنه انه يوم خيبر قتل أخا مرحب ثم مرحبا وكل منهما كان شجاعا مشهورا وذلك انه بارز أولا اخا مرحب فقتله فخرج اليه مرحب ولم يكن فى أهل خيبر أشجع منه ولم يقدر احد من اهل الاسلام ان يقاومه فى الحرب وخرج وهو يقول

قد علمت خيبر انى مرحب ❊ شاكى السلاح بطل مجرب
أضرب أحيانا وحينا اضرب ❊ اذا الحروب أقبلت تلهب
ان حامى للحمى لا يقرب

وكان قد لبس درعين وتقلد سيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهن مغفرا وحجرا قد ثقبه قدر البيضة على رأسه وله رمح سنانه ثلاث اسنان فبرز على كرم الله وجهه وهو يقول

أنا الذى سمتنى أمى حيدره ❊ ضرغام آجام وليث قسوره

وفى رواية بدل هذا المصراع

كليث غابات كريه المنظره ❊ عبل الذراعين غليظ القصره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

وفى رواية أكيلكم بالصاع كيل السندره قوله عبل الذراعين اى ضخمهما والقصرة اصل العنق والسندرة ضرب من الكيل كبير واسم امرأة كانت تبيع الحنطة وتوفى الكيل والنكتة فى ارتجاز على رضى الله عنه بهذا الرجز ان مرحبا كان قد رأى فى المنام ان اسدا يفترسه فلعل عليا رضى الله عنه اطلعه الله على رؤيا مرحب فأراد ان يذكر رؤياه ليقذف فى قلبه الرعب فلما اختلط أراد مرحب ان يضرب عليا فسبقه على بالسيف ذى الفقار فترس مرحب فوقع السيف على الترس فقده وقد الحجر والمغفر والعمامتين وفلق هامته حتى أخذ فى الاضراس فقتله ثم حمل المسلمون على الكفار وقتلوا ثمانية من رؤسائهم وفر الباقون الى الحصن وتبعهم المسلمون وكان ضرار بن حمزة الصدائى من اولياء على رضى الله عنه فكان لما تمت البيعة لمعاوية بنزول الحسن له عن الخلافة رضى الله عنه تباعد عنه معتزلا بعبدالله تعالى ثم ألجأته ضرورة فوفد على معاوية فقال له معاوية صف لى عليا فقال اعفنى يا أمير المؤمنين قال أقسمت عليك لتصفنه فقال كان والله بعيد المدى

فأظهر واصدق دعواهم لعداوته ونكثوا بعد ذلك ثم جهز مولانا الشريف غالب رتبة لمحافظة الزيماء وجهز جماعة لمحاصرة الطائف امانة لثقيف وأمر عليها السيد ناصر بن أبى طالب (الغزية الحادية والثلاثون) فكانت هذه هى الغزية الحادية والثلاثين فأحاطوا بالطائف مع ثقيف وضيقوا على عثمان أكثر من شهر ثم أمده الامير سعود من الشرق بالجنود وأمر عليهم سعد ابن قرملة فلما رأى السيد ناصر أمير الغزية هذا الجند مقبلا ارتحل الى قرن وأقام به أياما ثم رجع الى مكة ثم أرسل مولانا الشريف جندا الى قرن (الغزية الثانية والثلاثون) وهى الغزية الثانية والثلاثون فجاءهم جند كثير من عثمان فرجعوا الى مكة ودخل ثقيف فى طاعة عثمان فجهز مولانا الشريف غالب غزية أخرى (الغزية الثالثة والثلاثون وهى الغزية الثالثة والثلاثون وأمر عليها وزير القنفذة أبابكر بن عثمان فتوجه بجنود كثيرة حتى أناخ بركبة فوجد فيها القوم فنازلهم وقاتلهم ذلك اليوم واخذ حلتهم ومواشيهم وقتل منهم ورجع الى مكة وفى شهر رمضان من سنة ثمانى عشرة توجه عثمان وتلاه سالم بن شكبان لقتال هذيل الشام فنزلوا بوادى الزيماء والمضيق وأخذوا جماعة من

شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وينطق بالحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته وكان غزير العبرة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ماقصر ومن الطعام ماخشن وكان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه ويأتينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربنا منه لانكاد نكلمه هيبة له يعظم اهل الدين ويقرب المساكين لايطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله واشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم اى اللديغ ويبكى بكاء الحزين ويقول يادنيا غرى غيرى الى تعرضت ام الى تشوفت هيهات هيهات قد طلقتك ثلاثا لارجعة لى فيك فعمرك قصير وحظك قليل آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فبكى معاوية وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار فقال حزن من ذبح ولدها فى حجرها وسئل الحسن البصرى عن على رضى الله عنه فقال كان والله سهما صائبا من مرامى الله عز وجل على عدوه وربانى هذه الامة وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن متراخيا عن أمر الله ولا بالملومة فى دين الله ولا بالسر وقة لله اعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مؤنقة ذلك على بن ابى طالب رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم على مع القرآن والقرآن مع على لايفترقان حتى يردا على الحوض وقال صلى الله عليه وسلم النظر الى على عبادة وقال صلى الله عليه وسلم على امام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله وقال صلى الله عليه وسلم عنوان صحيفة المؤمن حب على بن ابى طالب وقال صلى الله عليه وسلم حب على يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وسلم ان السعيد كل السعيد حق السعيد من احب عليا فى حياته وبعد موته وقال صلى الله عليه وسلم من أحب عليا فقد أحبنى ومن أحبنى فقد أحب الله ومن أبغض عليا فقد أبغضنى ومن أبغضنى فقد أبغض الله وقال صلى الله عليه وسلم على يزهر فى الجنة ككوكب الصبح لأهل الدنيا قال ابن عباس رضى الله عنهما نزل فى على رضى الله عنه ثلاثمائة آية من آيات القرآن منها قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا قال محمد بن الحنفية لايبقى مؤمن الاوفى قلبه ود لعلى وأهل بيته ولما نزل قوله تعالى وتعيها اذن واعية قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها اذن على قال على رضى الله عنه مانسيت بعد ذلك شيأ وفضائل على رضى الله عنه وبقية الخلفاء الراشدين كثيرة مفردة بالتأليف والقصد من ذلك كله بيان عدلهم فى بيت المال وانهم انما فتحوا الفتوحات حتى اتسع الاسلام بالعدل فى بيت المال وقصة استشهاد على رضى الله عنه مشهورة لاحاجة لنا بذكرها وكان استشهاده سابع عشر رمضان سنة أربعين من الهجرة وعمره ثلاث وستون سنة ومما ينبغى ان يلحق بالخلفاء الاربعة فى العدل فى بيت المال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فان كثيرا من الائمة ألحقوه بالخلفاء الراشدين

﴿ ذكر ما كان لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه من الاقتصاد فى الدنيا وحسن السيرة ﴾

كان رضى الله عنه زاهدا عادلا فى بيت المال كانت نفقته التى يأخذها من بيت المال كل يوم درهمين وقال رجاء بن حيوة قومت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة باثنى عشر درهما

هذيل الشام ومن حل بذلك الوادى وسلبوا النساء وأهلكوا الرجال ثم أرسلوا لبنى مسعود وهم مجتمعون بجبلهم المعهود وطلبوا منهم الدخول واستعدوا للقتال فى الجبل وترسوه فأقبلوا عليهم بجنودهم وأحاطوا بهم من كل ناحية وثار القتال بينهم وأهلك بنو مسعود منهم جانبا عظيما قيل انهم سبعمائة ومع ذلك ماتركوهم حتى صعدوا خلفهم الجبل وقتلوا من أدركوه منهم ثم رجعوا الى مخيمهم ونادوا لمن يصل اليهم من بنى مسعود بالامان فى وجه سالم بن شكبان فصاروا يتسللون من كل حدب ويطلبونه بطلب وغير طلب ولما تملك منهم طلب النكال فما أمكنهم الخلاف فأخذ منهم شيأ كثيرا ثم ركب عثمان ومن معه على الاشراف بنى عمرو أهل القاع وصار بينه وبينهم قتال عظيم ثم تكاثروا بجنودهم على الاشراف وقتلوا ستة وعشرين شريفا ونهبوا احلتهم وسلبوا نساءهم حتى جردوهم من الثياب فطلبوا الامان وأطاعوه ودخلوا فى طينه ثم عاد عثمان الى المضيق واجتمع بسالم بن شكبان وصارا ينتظران عبد الوهاب أبا نقطة يأتيهم من أى ناحية وسكة لكونهم تواعدوا على حصار مكة فتأخر عن الوصول اليهم فارتحلوا فلما وصلوا لسيل نهبوا

لفه وقيصه ورداثه وقبائه وسراويله وعمامته وقلنسوته وخفيه وكان يلبس القميص مرقعا كما كان يفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سعيد بن سويد صلى عمر بن عبد العزيز بالناس الجمعة وعليه قيص مرقوع مجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ان الله أعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع رأسه فقال أن افضل الزهد القصد عند الجدة وأفضل العفو عند القدرة وقال عون بن المعتمر دخل عمر بن عبد العزيز يوما على امرأته فاطمة بنت عبد الملك فقال يافاطمة عندك درهم اشترى به عنبا قالت لا ثم قالت وانت أمير المؤمنين لاتقدر على درهم تشترى به عنبا قال هذا أهون علينا من معالجة الاغلال غدا في جهنم وقال أبو أمية الخصى غلام عمر دخلت يوما على مولاتى فغدتنى عدسا فقلت لها كل يوم عدس فقالت يابنى هذا الطعام مولاك أمير المؤمنين ولما أفضت الخلافة اليه وفرغ من دفن ابن عمه سليمان بن عبد الملك قربوا اليه من الخيل مراكب الخلافة يركب ماشاء منها وكانت مراكب كثيرة مزينه بأنواع الزينة فأبى أن يركب شيأ منها وقال تكفيني بغلتى وباع تلك المراكب وما كان عليها من انواع الزينة وجعل ذلك الثمن في بيت المال وكذا ما كان يصرف عليها من النفقات ومايصرف على خدمها القائمين عليها جعل ذلك كله في بيت مال المسلمين وامر بالستور فهتكت والفرش التى كانت تبعا للخلفاء فحملت وأمر ببيعها وادخال ثمنها في بيت مال المسلمين قال مالك بن دينار الناس يقولون مالك زاهد انما الزاهد عمر بن عبد العزيز وقال عبدالله بن المبارك لما قيل له زاهد قال لست بزاهد انما الدنيا زهدتنى وتركتنى الزاهد عمر بن عبد العزيز جاءته الدنيا فزهد فيها وتركها وكان ابن سيرين اذا سئل عن الطلا قال نهى عنها الامام المهدى يعنى عمر بن عبد العزيز وقال مسلمة بن عبد الملك دخلت على عمر بن عبد العزيز اعوده في مرضه الذى توفى فيه فاذا عليه قيص وسخ فقلت لأختى فاطمة بنت عبد الملك الا تغسلنه ثم رجعت مرة اخرى فوجدت القميص بحاله لم يغسل فقلت الا تغسلن قيصه فقالت والله ماله غيره وقال قيس بن جبير مثل عمر بن عبد العزيز في بنى امية مثل مؤمن آل فرعون وقال ميمون بن مهران ان الله كان تعهد الناس بنبى بعد نبى وان الله تعاهد الناس بعمر بن عبد العزيز وقال حسن القصاب رأيت الذئاب ترعى مع الغنم في البادية في خلافة عمر بن عبد العزيز فقلت سبحان الله ذئب في غنم لايضرها فقال الراعى اذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس وقال مالك بن دينار لما ولى عمر بن عبد العزيز قالت رعاء الشاء من هذا الصالح الذى قام على الناس خليفة عدل تكف الذئاب عن شائنا فقيل لهم وما علمكم بذلك فقالوا اذا قام على الناس خليفة عدل تكف الذئاب عن الشياه وكانت الشياه والذئاب ترعى في مكان واحد فبيناهم كذلك ذات ليلة اذ عرض الذئب لشاة فقالوا ما نرى الرجل الصالح الا هلك وكان ذلك في زمان موته فلما بلغهم خبر موته بعد نحو شهر حسبوا ذلك فوجدوا موته في تلك الليلة وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز اليه ان مدينتنا قد خربت فان رأى أمير المؤمنين ان يقطع لنا مالا نرمها به فكتب اليه عمر اذا قرأت كتابى هذا فحصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم فانه مرمها والسلام وكانت زوجته فاطمة بنت عمه عبد الملك بن مروان عندها حلى وجواهر لم ير مثلها أمر لها بها أبوها

بعد تفرق جموعهم حين فات أوان الربطة فأخذ أبو نقطة ينكل أهل الليث وغيرهم من العربان حتى اجتمع له من الاموال شئ كثير وزينت له نفسه أن يطلع على الجادلة وهم في الجبال لكونهم لم يصلوا له بشئ من المال فلما تمكنوا من نصف جبلهم الشاهق تصيدهم الجادلة بالبنادق وقتلوا منهم مائة وستين فرجعوا منهزمين فكسروهم كسرة شنيعة بعد القتلة الذريعة وفى موسم سنة ثمانى عشرة كان أمير الحاج الشامى سليمان باشا مملوك أحمد الجزار فبعد تمام الحج طلب منه مولانا الشريف ان يبقى جانبا من العسكر تحت يده ويرتب لهم العلائف والمقرر صيانة لحماية هذا البيت الامين فأبى وصمم على الامتناع فلم يقبل منه سيدنا الشريف ذلك الامتناع وقال لابد من أخذ شئ من ذلك فتوسط بينهما عثمان بيك أمين الصرة ان يبقى مائة وخمسين من خيار العسكر ومائة وخمسين من الجمال موسو من المهمات وآلات القتال فارسلها أمير الحج

حين زوجها به فلما أفضت الخلافة اليه قال لها اختاري اما ان تردي حليك الى بيت المال لأنه أخذ بغير حق واما ان تأذني لي في فراقك فاني أكره أن اكون انا وانت وهذا الحلي في بيت واحد فقالت بل اختارك عليه وعلى أضعافه فأمر به فحمل حتى وضع في بيت المال فلما مات عمر واستخلف اخوها يزيد بن عبد الملك قال لأخته فاطمة ان شئت رددته عليك لان عمر أخذه منك بغير حق وأدخله بيت المال فأبت ان ترده وقالت لا اطيب به نفسا في حياته وارجع فيه بعد موته فأخذه يزيد فقسمه بين اهله ولما ولي عمر الخلافة اخذ من بني عمه وقرابته اموالا كثيرة وضياعا وعقارات وادخلها بيت المال وقال أنهم اخذوها بغير حق وسمى ذلك مظالم ففزع بنو أمية الى عمته فاطمة بنت مروان وسألوها أنها تكلمه وتراجعه في ذلك فأتته فقالت له تكلمني انت يا امير المؤمنين فقال ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة ولم يبعثه عذابا الى الناس كافة ثم اختار له ما عنده وترك للناس نهرا شربهم سواء ثم ولي أبو بكر فترك النهر على حاله ثم عمر فعمل عملهما ثم لم يزل النهر يستقي منه يزيد ومروان وعبد الملك ابنه والوليد وسليمان ابناء عبد الملك حتى أفضى الامر الي وقد يبس النهر الأعظم فلم يرو أصحابه حتى يعود الى ما كان عليه فقالت حسبك قد أردت كلامك فأما اذا كانت مقالتك هذه فلا أذكر شيئا أبدا فرجعت اليهم فأخبرتهم بكلامه وقيل انها قالت له ان بني امية يقولون كذا وكذا فلما قال لها هذا الكلام قالت له انهم يحذرونك يوما من أيامهم تعني انهم يخرجون عليه ويقاتلونه فغضب وقال كل يوم أخافه غير يوم القيامة قد أمنت شره فرجعت اليهم فأخبرتهم وقالت أنتم فعلتم هذا بأنفسكم تزوجتم بأولاد عمر فجاء يشبه جده فسكتوا أي لأن ام عمر بن عبد العزيز هي ام عاصم بنت عاصم ابن عمر بن الخطاب واسمها حفصة وكان رضي الله عنه بوجهه شجة ضربته فرس في جبينه وهو غلام فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول ان كنت أشج بني مروان لسعيد وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول من ولدي رجل بوجهه شجة يملأ الارض عدلا فكان هو عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وفي رواية كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ليت شعري من ذو الشين من ولدي الذي يملؤها عدلا كما ملئت جورا وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول كنا نتحدث ان الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر فكان بلال بن عبد الله بن عمر بوجهه شجة فكانوا يظنون انه ذو الشين الذي ذكره عمر فلم يكن هو وما عرفوا ذا الشين حتى جاء الله بعمر بن عبد العزيز فولي الخلافة وسار بسيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن عبد الله بن مسلم عن ابيه قال دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده كاتب يكتب وشمعة تزهر وهو ينظر في أمور المسلمين فلما فرغ الكاتب وخرج اطفئت الشمعة وجيء بسراج الى عمر من ماله وكان سراجه على ثلاث قصبات فوقهن طين ولما ولي الخلافة أمر مناديا ينادي من كانت له مظلمة فليرفعها فقام اليه ذمي من أهل حمص ابيض الرأس واللحية فقال يا أمير المؤمنين اسألك كتاب الله تعالى قال وما ذاك قال العباس بن الوليد بن عبد الملك غصبني ارضي والعباس جالس فقال ما تقول ياعباس قال اقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لي بها سجلة فقال عمر ما تقول

والتحصين لمكة لئلا يدخلوها وعلم ان جدة لا يمكنهم أخذها فنادى مناديه في البلد الحرام بالنفير العام وأمر الناس بحمل السلاح والخروج الى الزاهر فخرج الناس على طبقاتهم الى الزاهر حاملين السلاح يبيتون من وقت المساء الى الصباح حتى مضى لهم سبع ليال على هذا المنوال

(الغزية الرابعة والثلاثون)

فهذه الغزية الرابعة والثلاثون ثم تحقق انكسار فرقة الضلال ورجوعهم عن جدة بالويل والوبال وجاء البشير من جدة مخبرا بارتحالهم وقال انهم أناخوا بساحل جدة ومعهم اثنا عشر ألف مقاتل وأحاطوا بالسور في كل يوم يحملون على البلدة حملة واحدة فيفرق جمعهم المدفع فيعودون الى الخيام حتى أفنى المدفع منهم الكثير فلما مضى لهم ثلاثة أيام ولم يظفروا بمرام ارتحلوا بالخيبة والويل وامتلأت من جيفهم الحفر والقنوات حتى صاروا يجدون العشرة والعشرين مدفونين في محل واحد وتوجه سالم بن شكبان على طريق الوادي واصبح بالمضيق وأخذ عثمان على خلاف هذا الطريق ومعه كثير من ثقيف وغيرهم

يا ذمي فقال يا أمير المؤمنين اسألك كتاب الله عز وجل فقال عمر كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك قم فاردد اليه يا عباس ضيعته فردها عليه وجعل لا يدع شيأ مما كان في يده ويد أهل بيته من المظالم الا ردها مظلمة مظلمة ولما ولى عمر بن عبد العزيز كان عمر بن الوليد بن عبد الملك غائبا فسمع ان عمر بن عبد العزيز أخذ أموالا من بني عمه وعشيرته وردها الى بيت المال فكتب كتابا لعمر بن عبد العزيز يقول فيه انك قد أزريت على من قبلك من الخلفاء وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بغضا لهم وشينا لمن بعدهم من أولادهم وقطعت ما أمر الله به أن يوصل اذ عمدت الى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها بيت المال جورا وعدوانا ولن تترك على هذا اى فلا بد ان يخرجوا عليك ويقاتلوك فلما قرأ كتابه كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عمر بن الوليد السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين أما بعد فانه بلغني كتابك وسأجيبك بنحو منه فأنا أول سائل فان كنت بن الوليد كما زعم فأمك بنانة بنت السكون كانت تطوف في سوق حمص وتدخل حوانيتها ثم الله عز وجل بها أعلم فاشتراها ذبيان من فيء المسلمين فأهداها لأبيك فحملت بك فبئس المحمول وبئس المولود ثم نشأت فكنت جبارا عنيدا تزعم انى من الظالمين لما حرمتك وأهل بيتك فيء الله الذى فيه حق القرابة والمساكين والأرامل وان أظلم منى وأترك لعهد الله سبحانه وتعالى من استعملك صبيا سفيها على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك ولم يكن له فى ذلك نية الاحب الوالد ولده فويل لك وويل لأبيك ما اكثر خصماءكما يوم القيامة وكيف ينجو والدك من خصمائه وان أظلم منى وأترك لعهد الله تعالى من استعمل قرة بن شريك أعرابيا جافيا على مصر وأذن فى المعازف واللهو والشرب ومن جعل لعالية البربرية سهما فى خمس خمس العرب فرويدا ابن بنانة فلو التقت حلقتا البطان ورد الفيء الى أهله لتفرغت لك ولاهل بيتك فوضعتكم على المحجة البيضاء فطالما تركتم الحق ومن وراء هذا ما أرجو ان اكون رأيته من بيع رقبتك وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل فان الكل فيك حقا والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ولا ينال سلام الله الظالمين وكان عمر بن عبد العزيز قبل ان يلى الخلافة على خير وعلم وصلاح وعبادة الا انه كان متنعما فى مأكله ومشربه وملبسه فلما ولى الخلافة اخشوشن وترك ما كان عليه من التنعم وكان قبل ان يلى الخلافة لا يأكل الا أحسن الطعام ولا يلبس الا أحسن الثياب وكان يشترى له الحلة بألف دينار فاذا لبسها استخشنها ولم يستحسنها وكان يؤتى له بالثوب الحسن الناعم فيلمسه بيده فيقول ما احسنه لولا خشونة فيه فلما جاءته الخلافة واخشوشن فكان يؤتى له بالقميص الخشن الذى لا قيمة له فيلمسه بيده فيقول ما أحسنه لولا نعومة فيه فسئل عن ذلك فقال ان لى نفسا تواقة لا تنال شيأ الا تاقت لما هو أرفع منه فلما نالت الخلافة اشتاقت الى الجنة وحدث الهيثم بن عدى قال كان لفاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز جارية حسناء وكان عمر بن عبد العزيز يهوى تلك الجارية فطلبها من زوجته فاطمة لنفسه قبل ان يلى الخلافة فامتنعت من اعطائها اياه فلما ولى الخلافة أرادت فاطمة التقرب اليه والحظوة عنده فأمرت باصلاح الجارية وأدخلتها عليه وأعطته اياها فى أحسن صورة وقالت هى لك قد طبت بها نفسا فسر بقولها وظهر

فقتلوا عربانا فى طريقهم وأخذوا ابلا لمولانا الشريف فلما بلغه الخبر أرسل خلفهم غزية فيها ماءتان من الخيل الجياد

* (الغزية الخامسة والثلاثون) *

فهى الغزية الخامسة والثلاثون وأمرهم ان يتوجهوا على طريق عرفة فاذا صادفوا عثمان ومن معه يقاتلونهم فلم يصادفوه فعند ذلك جهز مولانا الشريف غزية أخرى

* (الغزية السادسة والثلاثون) *

وهى الغزية السادسة والثلاثون جهزها من طريق البحر لتتوجه الى الليث فجهز من الداوات الكبار عشرة وشحنها بالذخائر والعساكر والمدافع الكبار والجبخانة وآلات القتال وجعل الامير عليها القائد مفرح عتيق الوزير ريحان وجهز جيشا آخر من طريق البر الى الليث أيضا

(الغزية السابعة والثلاثون)

فهى الغزية السابعة والثلاثون وفيها مائة من خيل الاروام مع كثير من الجند وجعل الامير عليها السيد حسن بن زين العابدين بن غالب وجعل أميرا على الاتراك حسين أغا تفكجى باشا فتوجهت غزية البر فلما وصلوا الليث وجدوا غزية البحر قد سبقتهم ودخل القائد مفرح البندر بجيشه وأطاعه أهل الليث بغير

الفرح فى وجهه ثم لما خلا بالجارية لم يمسها بل سألها وقال لها لمن كنت ومن أين أتيت ا فاطمة فقالت كان الحجاج أغرم عاملا كان له بالكوفة مالا وكنت فى رق ذلك العامل فأخذنى الحجاج فبعثنى الى عبد الملك بن مروان وانا صبية فوهبنى عبد الملك لابنته فاطمة قال وما فعل ذلك العامل قالت هلك قال وما ترك ولدا قالت بلى قال فا حاله قالت سيئ فكتب عمر الى عامله ان سرح الى فلان بن فلان على البريد فلما قدم عليه قال له ارفع الى جميع ما أغرمه الحجاج اباك فا رفع اليه شئ الا دفعه له ثم دفع اليه الجارية وقال له اياك واياها ولعل اباك قد وطئها فحرمت عليك فقال الغلام هى لك يا أمير المؤمنين وأراد اعطائه اياها قال لا حاجة لى فيها قال فابتعها منى قال اذا لست ممن ينهى النفس عن الهوى فمضى بها الفتى فقالت الجارية لعمر فأين وجدك بى ومحبتك لى فقال على حاله ولقد ازددت قيل فما زالت فى نفس عمر حتى مات وكان مسلمة بن عبد الملك بن مروان متنعما ينفق كل يوم على مائدته الف درهم فبعث اليه عمر بن عبد العزيز يوما ان يتغدى عنده فهيأله طعاما وأمر ان يحبس الطعام وان يقدم اليه قبل ذلك العدس لكن أخروا تقديمه حتى جاع مسلمة جوعا طويلا فقال عمر لخادمه ويحك ان ابا سعيد لا يصبر على الجوع فأتنا بما عندك فأتاه بالعدس فأكل مسلمة من ذلك أكلا عنيفا منكرا لشدة جوعه حتى شبع ثم جيئ بالطعام الذى هيؤه فقال عمر كل يا ابا سعيد فقال قد اكتفيت فقال عمر يا أبا سعيد تكفيك أكلة بدانقين على مائدتك الف درهم كل يوم فتاب واعطى الله عهدا ان لا يعود لمثل ذلك ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز فى مرضه الذى توفى فيه فقال يا أمير المؤمنين الا توصى قال وهل من مال اوصى فيه فقال مسلمة هذه مائة ألف أبعث بها اليك اوص فيها فقال له عمر او غير ذلك يا مسلمة قال وما هو يا أمير المؤمنين قال تردها من حيث أخذتها فبكى مسلمة وقال رحمك الله يا أمير المؤمنين لقد ألنت منا قلوبا قاسية وزرعت فى قلوب الناس لنا مودة وأبقيت لنا فى الصالحين ذكرا ثم قال مسلمة فأوص الى بنيك فقال عمر اوصى بهم الى الله عز وجل وهو يتولى الصالحين وفى رواية ان بنى احد رجلين اما رجل يتقى الله تعالى فسيجعل الله له مخرجا واما رجل مكب على المعاصى فانى لم اكن لاقويه على معاصى الله وفى رواية ان كانوا صالحين فالله يتولى الصالحين وان كانوا مجرمين فلن أكون ظهيرا للمجرمين ولما مات رضى الله عنه بلغت تركته سبعة عشر دينارا كفن منها بخمسة دنانير واشترى موضع قبره بدينارين وكان بنوه احد عشر ابنا فأصاب كل واحد من بنيه تسعة عشر درهما ومات هشام بن عبد الملك وخلف احد عشر ابنا فأصاب كل واحد من تركته الف الف ثم رؤى واحد من ولد عمر بن عبد العزيز جهز فى يوم واحد مائة فارس ورؤى واحد من ولد هشام يسأل الناس ويتصدق عليه وكان سليمان بن عبد الملك يقتل الخوارج كثيرا فكان عمر بن عبد العزيز يشير عليه بحبسهم حتى يتوبوا وينهاه عن قتلهم فجاء خارجى مرة لسليمان بن عبد الملك وقال له يا فاسق يا ابن الفاسق فقال سليمان علىّ بعمر بن عبد العزيز فلما جاء قال له سليمان اسمع مقالة هذا فأعاد الخارجى قوله يا فاسق يا ابن الفاسق فقال سليمان لعمر ماذا ترى فسكت عمر فقال له سليمان عزمت عليك لتخبرنى بما ترى فقال عمر أرى أن تشتمه كما شتمك فقال

(سليمان)

تفكجى باشا ان يخوزق ثلاثة من الاشراف المناديل فجعل لكل واحد خازوقا وأجلسه عليه أدخله فيما بين رجليه مع انهم دخلوا فى الطاعة مع أهل البلد وقد كانوا من جملة خدم الشريف وبنى عمه فقتلوا ظلما وفجورا وكان أمر الله قدرا مقدورا فمضى بعد ذلك ثلاثة أو اربعة أيام حتى هجم عليهم من طائفة الوهابية جند زهاء اربعة آلاف مقاتل فوقع القتال بينهم وبين جنود مولانا الشريف فكانت ملحمة عظيمة أسفرت عن انهزام الوهابيين بعد ان قتل منهم شئ كثير واستشهد ذلك اليوم السيد حسن بن غالب أمير الغزية السرية التى أرسلها مولانا الشريف من طريق البر وجمع بعض الاتراك رؤوس الوهابيين وأرسلها لمولانا الشريف بعد المعركة فحشاها بالتبن وأرسلها فأمر مولانا الشريف بتعليقها خارج البلد وهرع الناس ينظرون اليها وبعد أيام رجع الى مكة مفرح أغا وحسين أغا وكان مجيئ حسين أغا على خلاف مراد مولانا الشريف لانه أحب بقاءه فى الليث لكونه مشهورا بالشجاعة فاعتذر بان باعثه على الوصول نفاد

سليمان ليس الاهذا قال نعم ثم أمر سليمان بالخارجي فقتل بضرب عنقه فلما خرج عمر أدركه خالد بن الريان صاحب حرس سليمان فقال ياعمر كيف تقول لأمير المؤمنين ماأرى عليه الان تشتمه كما شتمك والله لقد كنت متوقعا أن يأمرني أمير المؤمنين بضرب عنقك قال ولو أمرك لفعلت قال اى والله فلما أفضت الخلافة الى عمر جاء خالد فقام مقام صاحب الحرس فقال له عمر ياخالد ضع هذا السيف عنك ثم قال اللهم انى وضعت لك خالد بن الريان فلا ترفعه أبدا ثم نظر الى وجوه الحرس فدعا عمرو بن مهاجر الانصارى وقال ياعمرو والله ليعلمن الله ان مابيني وبينك قرابة الا قرابة الاسلام ولكن قد سمعتك تكثر تلاوة القرآن ورأيتك تصلي في موضع تظن انه لايراك احد الا الله ورأيتك تحسن الصلاة وانت رجل من الانصار فخذ هذا السيف فقد وليتك حرسي فوضع الله ذكر خالد بدعوة عمر بن عبد العزيز حتى كان لايذكر ولايدرى أحي هو ام ميت قال يحيى بن يحيى فما رأيت شريفا خمل ذكره حتى لايذكر مثل خالد بن الريان حتى ان كاد الناس يقولون مافعل خالد أحي هو أو قد مات لخمول ذكره بدعوة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة قال لميمون بن مهران كيف لى بأعوان على هذا الامر أثق بهم فقال ياأمير المؤمنين لاتشغل قلبك بهذا فانك سوق وانما يحمل الى كل سوق ماينفق فيه فاذا عرف الناس منك النصح لم يأتوك الابالنصح فكان الامر كذلك وكان رضى الله عنه يجمع الفقهاء عنده كل ليلة فيذكرون الموت والقيامة ويبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة وكان رضى الله عنه يقول مالى فى الامور هوى سوى مواقع قضاء الله فيها وما كنت على حالة من حالات الدنيا فسرني انى على غيرها وبلغ عمر بن عبد العزيز ان ابناله اشترى فصا بألف درهم وتختم به فأمره ان يبيع الفص ويتصدق بثمنه وان يشترى فصا بدرهم وينقش عليه رحم الله امرأ عرف نفسه وعن الاوزاعى قال قال عمر بن عبد العزيز لجلسائه من صحبنى منكم فليصحبنى بخمس خصال يدلنى من العدل على مالا أهتدى له ويكون لى على الخير عونا ويبلغنى حاجة من لايستطيع بلاغها ولا يغتاب عندى احدا ويؤدى الامانة التى حملها منى ومن الناس فاذا كان كذلك فحيهلا به والا فهو فى حرج من صحبتى والدخول على وعن الزهرى قال كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة وقال ميمون بن مهران عمر بن عبد العزيز معلم العلماء أتينا عمر نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه ولما ظهر من عدله ماظهر وضع له جماعة من بنى امية من سقاه السم فقيل له تدارك نفسك فقال والله لقد عرفت الساعة التى سقيت فيها ولو كان شفائى ان أمس شحمة أذنى مافعلت وسأل الذى سقاه السم فأقر فقال له كم أعطوك فقال الف دينار فقال ائتنى بها فأتاه بها فوضعها فى بيت المال وقال له غيب وجهك عنى ولم يعاقبه وجاء رجل الى هشام بن عبد الملك فقال ياامير المؤمنين ان عبد الملك أقطع جدى قطيعة فأقرها الوليد وسليمان حتى استخلف عمر رحمه الله نزعها منى فقال هشام أعد مقالتك فقال ياامير المؤمنين ان عبد الملك أقطع جدى قطيعة فأقرها الوليد وسليمان حتى استخلف عمر رحمه الله نزعها منى فقال هشام والله ان فيك لعجبا انك تذكر من أقطع جدك القطيعة ومن أقرها فلا تترحم عليه وتذكر من انتزعها منك فتترحم عليه وانا قد أمضينا ماصنع عمر رحمه الله وقال سفيان الثورى والشافعى وكثير من الائمة الخلفاء خمسة ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز ولما عهد اليه سليمان بن عبد الملك

وهى الغزية الثامنة والثلاثون وجعل فيها كثيرا من عساكر العرب ومن الاشراف والعبيد ولم يجعل فيها أحدا من الاروام وجعل الامير عليها السيد حسن بن على ابن سعيد فتوجه بمن معه الى الليث فوجده قاعا صفصفا ليس فيه أنيس ولا من اليعافير والعيس فعادوا من يومهم الى مكة فضحك منهم سيدنا الشريف وتعجب من رجوعهم ثم جهز غزية أخرى الى جهة الوادى

(الغزية التاسعة والثلاثون)

وهى الغزية التاسعة والثلاثون ومعها كثير من السادة الاشراف ومن الاتراك نحو مائتين وخمسين فارسا وكثير من الرماة المشاة وجعل الامير عليها السيد شنبر ابن مبارك بن شنبر المنعمى وأمرهم ان يقيموا بقرية المدرة ليمنعوا العدو من الوصول لذلك النادى ويطمئن بهم أهل الوادى ففعلوا ما أمرهم به الاان الماء والهواء تغيرا على الاروام واعتراهم مرض وسقام ومع ذلك صابروا ومكثوا ثلاثة أشهر وهم حامون تلك الحوزة ورجع بعض منهم الى مكة ولم يبق بالوادى الانحو الاربعين فلما بلغ عثمان الخبر أغراه على الوصول اليهم داء الطمع فجمع أربعة آلاف مقاتل مابين راكب وراجل

بالخلافة امتنع من القبول فأكرهوه على البيعة فلما فرغوا من البيعة صعد المنبر فقال يا أيها الناس قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأى منى ولا مشورة من المسلمين وانى قد خلعت مافى أعناقكم من بيعتى فاختاروا لانفسكم فصاح المسلمون صيحة واحدة قد اخترناك ياأمير المؤمنين ورضيناك فى أمرنا باليمن والبركة فلما رأى الاصوات قد هدأت ورضوا به جميعا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال أوصيكم بتقوى الله الى ان قال ان هذه الامة لم تختلف فى ربها ولا فى نبيها ولا فى كتابها وانما اختلفوا فى الدنانير والدراهم والله لاأعطى أحدا باطلا ولاأمنع احدا حقا ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال ايها الناس من أطاع الله فقد وجبت طاعته ومن عصى الله تعالى فلا طاعة له أطيعونى ان أطعت الله تعالى فاذا عصيت الله تعالى فلا طاعة لى عليكم ثم نزل فدخل داره وكانت فاطمة بنت الحسين ابن على بن ابى طالب رضى الله عنهم تكثر من الترحم على عمر بن عبد العزيز فقيل لها فى ذلك فقالت دخلت عليه وهو أمير المؤمنين فأخرج عنه كل خصى حتى لم يبق فى البيت غيرى وغيره ثم قال والله ماعلى وجه الارض أهل بيت أحب الى منكم ولأنتم احب الى من أهل بيتى ومارئى حاجة الاقضاها وقال الامام محمد الباقر بن زين العابدين رضى الله عنه ان عمر ابن عبد العزيز نجيب بنى امية وانه يبعث يوم القيامة أمة وحده وعن حماد ان عمر بن عبد العزيز لما استخلف بكى فقال يافلان تخشى على قلت كيف حبك للدرهم قال لا احبه قلت لا تخف فان الله سيعينك وقال فى بعض خطبه ايها الناس انه لاكتاب بعد القرآن ولانبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم وانى لست بقاض ولكنى منفذ ولست بمبتدع ولكنى متبع ولست بخير من احدكم ولكنى أثقلكم حملا ان الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بظالم لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق وقال بعض علماء التابعين ان عمر بن عبد العزيز هو المهدى الذى أخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم انه يملأ الأرض عدلا لكن الصحيح الذى عليه جمهور العلماء انه مهدى من جملة المهديين واما المهدى المنتظر فانه من ولد فاطمة رضى الله عنها ويجتمع بعيسى عليه السلام ويكون خروج الدجال فى ايامه وذلك من أعظم علاماته ومما استدل به القائلون بان عمر بن عبد العزيز هو المهدى كثرة المال فى زمانه وزهد الناس فى الدنيا وذلك من علامات المهدى قال معمر بن اسيد والله مامات عمر بن عبد العزيز حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون فمايبرح حتى يرجع بماله كله وقد أغنى عمر الناس وقد علمت انه مهدى من جملة المهديين وليس هو المهدى المنتظر وان وجد كثير من علامات المهدى المنتظر فى زمانه وكان عمر بن عبد العزيز كثير العبادة والزهد والخوف والبكاء قال عطاء بن ابى رباح حدثتنى فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز انها دخلت عليه وهو فى مصلاه تسيل دموعه على خديه فقلت ياأمير المؤمنين اشئ حدث قال يافاطمة انى تقلدت امر أمة محمد صلى الله عليه وسلم أسودها وأحمرها فتفكرت فى الفقير الجائع والمريض الضائع والعارى المجهود والمظلوم المقهور والغريب الاسير والشيخ الكبير وذى العيال الكثير والمال القليل واشباههم فى اقطار الارض واطراف البلاد فعلمت ان ربى سيسألنى عنهم يوم القيامة فخشيت ان

ودهم بغتة فانتشب القتال بينهم وبينه وأنزل الله النصر على أولئك الاربعين حتى صار الواحد منهم يقتل العشرة والعشرين فهزموا ذلك الجند الذى جاء به عثمان وقتلوا فيهم قتلا ذريعا حتى وصلوا الى الزيماء هاربين ولا يلتفت أحد منهم الى أحد ولما بلغ مولانا الشريف الخبر أرسل خلفهم مائتين من الخيل تطرد خلفهم ولو أدركوهم لأذاقوهم كأس الويل

(الغزية المكملة أربعين)

فهذه الغزية المكملة أربعين ولما بلغ سعودا هذا الخبر قال كيف يفعل الاربعون هذا الفعل واستغربه غاية الاستغراب واعتبر وقال انها لاحدى الكبر نذير للبشر ثم رجع القوم من الوادى الى مكة فانعم عليهم مولانا الشريف بالدراهم والملابس الفاخرة وفى مدة هاتين الغزوتين وقعت غزوات أخر وذلك انه فى خلال هذه المدة جاءت الاخبار لمولانا الشريف ان عشرين من خيل الوهابية تصل الى المغمس يترقبون الفرصة فاذا غفل عنهم بادية الحرم نهبوا مايجدونه من النعم فجهز غزية عدتها أربعة عشر فارسا او نحو عشرين من الرماة

(الغزية الحادية والاربعون)

وهى الغزية الحادية والاربعون وجعل الامير عليها السيد راجح بن عمرو (لاتثبت)

لاتثبت لى حجتى فبكيت قال عطاء الخراسانى أمر عمر بن عبدالعزيز غلامه ان يسخن له ماء فانطلق فسخن قمقما فى مطبخ بيت المال فلما علم عمر أمر الغلام ان يشترى حطبا بدرهم ويجعله فى مطبخ بيت المال وأهدى اليه رجل من اهل بيته تفاحا طيب الطعم والريح فقال عمر ما أطيب ريحه وأحسنه ارفعه ياغلام للذى أتى به وقل له ان هديتك عندنا وقعت بحيث تحب وكان عنده عمرو بن مهاجر فقال ياامير المؤمنين ابن عمك ورجل من اهل بيتك وقد بلغك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يأكل الهدية فقال ويحك ان الهدية كانت للنبى صلى الله عليه وسلم هدية وهى اليوم لنا رشوة وقال مكحول لو حلفت لصدقت مارأيت أزهد ولاأخوف لله من عمر بن عبدالعزيز وقال سعيد بن ابى عروبة كان عمر بن عبدالعزيز اذا ذكر الموت اضطربت أوصاله واجتمع بنو مروان يوما وقالوا لعبد الملك بن عمر ابن عبدالعزيز قل لابيك ان من كان قبلك من الخلفاء يعطوننا ويعرفون لنا مواضع حقوقنا وان اباك قد احرمنا مافى يده فدخل على ابيه فأخبره فقال قل لهم انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم وقال أرطاة بن المنذر قيل لعمر بن عبد العزيز لو اتخذت حرسا واحترست فى طعامك وشرابك فقال اللهم ان كنت تعلم انى اخاف شيأ دون يوم القيامة فلاتؤمن خوفى وكتب اليه عامل خراسان ان أهل خراسان قوم ساءت رعيتهم ولايصلحهم الا السيف والسوط فان رأى امير المؤمنين ان يأذن لى فى ذلك فكتب اليه عمر امابعد فقد بلغنى كتابك تذكر ان أهل خراسان قد ساءت رعيتهم وانه لايصلحهم الا السيف والسوط فقد كذبت بل يصلحهم العدل والحق فابسط ذلك فيهم والسلام وكان رضى الله عنه اذا أملى على كاتبه يقول اللهم انى أعوذ بك من شر لسانى وبكى رضى الله عنه مرة فبكت لبكائه فاطمة زوجته فبكى أهل الدار لبكائهما ولايدرى احد منهم ماسبب البكاء فلما تجلى عنهم قالت له فاطمة بأبى انت يا امير المؤمنين ممابكيت قال ذكرت منصرف القوم من بين يدى الله عزوجل فريق فى الجنة وفريق فى السعير ثم صرخ وغشى عليه ورفع رضى الله عنه مرة بيده كفا من تمر وقال لمسلمة بن عبد الملك ان الماء على التمر طيب ارأيت لو ان رجلا أكل هذا ثم شرب عليه الماء أكان يجزيه الى الليل قال نعم قال فعلى م تدخل النار قال مسلمة فاوقعت منى موعظة موقعها وجاء ابن سليمان بن عبدالملك الى مزاحم مولى عمر بن عبدالعزيز وحاجبه فقال ان لى حاجة الى أمير المؤمنين عمر فاستأذن له فأذن له فلما دخل قال له يا أمير المؤمنين رد على قطيعتى التى أخذت منى فقال عمر معاذ الله ان أرد قطيعة أصبحت فى الاسلام فقال هذا كتابى وأخرج كتابا من كمه فقرأه عمر فقال لمن كانت هذه الارض قبلك قال للفاسق ابن الحجاج فقال عمر فهو اولى بدعواها قال فانها من بيت مال المسلمين قال فالمسلمون اولى بها قال يا امير المؤمنين رد على كتابى قال لا افعل لو لم تأتنى به لم اسألكه فأما اذا جئتنى به فلم ندعك تطلب باطلا فبكى ابن سليمان فقال مزاحم يا امير المؤمنين ابن سليمان تصنع به هذا قال ويحك يامزاحم انها نفسى اجادل عنها وانى لاجد له من الشفقة ما اجد لولدى وكتب سالم بن عبدالله بن عمر لعمر بن عبدالعزيز بعضا من سيرة عمر بن الخطاب لما طلب منه ذلك عمر ابن عبدالعزيز ثم قال سالم ان عمر بن الخطاب عمل فى غير زمانك وكان له مساعد ومعين على مايريد من الحق فان عملت فى زمانك بمثل ماعمل فى زمانه كنت افضل منه وارسل مرة عمر

الشنبرى فوصل هو ومن معه الى المغمس فلم يجد أحدا فاخذوا على طريق الزيماء فلما أقبل على سولة بدالهم مواطئ أقدام ماشية فاقبلوا مجدين فرأوا أعيانا جماعة ينوفون عن الخمسمائة فصاح السيد راجح صيحة الاسد الضارى واستنجد بمن معه فثار الحرب بينهم وبين القوم حتى صار صوت البنادق كالرعد ودفعت الخيل تركض على القوم واستمر الطعن والضرب وأفنوا الكثير من ذلك الحزب وماسلم الا من فر منهم وانهزموا هزيمة شنيعة وقتل فى ذلك اليوم سعد ابن قرملة وقاتله السيد راجح بن عمر والشنبرى وقتل فيها كثير من قحطان وغنم السيد راجح ومن معه كثيرا من الابل الطلائع والخيل الجياد والقلائع ورجعوا الى مكة حاملين للرؤس على الرماح ومعهم ماغنموه من الخيل والابل والسلاح وأصيب يومها السيد راجح فى يده صوبا خفيفا ومع هذا قتل فيهم قتلا عنيفا وفرح المؤمنون بنصر الله وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وفى شهر صفر جاءت الاخبار ان بداى شيخ حرب دخل ومن معه فى الطين واستولوا على ينبع ومعه ابن جبارة شيخ جهينة وخدما وزيرها بعد قتال وحصار وا غارة وكان وزير ينبع محمدا الجرى من عسكر اليمن ولم يكن له بمكابد الحرب دراية

ابن عبدالعزيز غلاما له يشوى له لحما فعجل الغلام بها فقال له عمر أسرعت بها فقال شويتها في نار مطبخ بيت مال المسلمين وكان للمسلمين مطبخ يغديهم ويعشيهم منه فقال عمر لغلامه اذهب فكلها يابنى فانك رزقتها ولم أرزقها وكان لعمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه سفط فيه دراعة من شعر وغل وكان له بيت في جوف بيت يصلى فيه لايدخل عليه فيه احد فاذا كان في آخر الليل فتح ذلك السفط ولبس تلك الدراعة ووضع الغل في عنقه فلايزال يصلى ويناجى ربه ويبكى حتى يطلع الفجر ثم يعيده في السفط وقال الامام الغزالى في الاحياء دخلت مولاة لعمر بن عبدالعزيز على عمر رضى الله عنه فسلمت عليه ثم قامت الى المسجد في بيته فصلت فيه ركعتين ثم غلبتها عيناها فرقدت واسترسلت في منامها ثم استيقظت وقالت ياامير المؤمنين انى والله رأيت عجبا قال وما ذاك قالت رأيت النار وهى تزفر على أهلها ثم جيئ بالصراط فوضع على متنها فقال هيه فقالت فجيئ بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فامضى الايسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى الى جهنم فقال هيه قالت ثم جئ بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فامضى الايسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى في جهنم فقال عمر هيه قالت ثم جيئ بسليمان بن عبدالملك فامضى عليه الايسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى في جهنم فقال عمر هيه قالت ثم جيء بك يا امير المؤمنين فصاح عمر صيحة وخر مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادى في اذنيه يا أمير المؤمنين انى والله رأيتك نجوت حتى نجوت قال فمازالت تنادى وهو يصيح ويفحص برجليه وكتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عماله وهو عدى بن ارطاة وكان قد ولاه البصرة فلما اراد عزله كتب له بعزله وقال له في كتابه امابعد فانك غررتنى بعمامتك السوداء وارسالك طرفها من ورائك ومجالستك القراء وانك اظهرت لى الخير فأحسنت بك الظن وقد أظهرنى الله على ما كنت تكتم والسلام وذكر الفضيل بن عياض ان بعض عمال عمر بن عبدالعزيز شكى اليه مشقة القيام بعمله فكتب اليه عمر يا اخى اذكر سهر اهل النار في النار مع خلود الابد واياك ان ينصرف بك من عندالله عز وجل فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء فلما قرأ العامل الكتاب ترك عمله وانصرف وطوى الارض حتى قدم على عمر فقال له ما أقدمك قال خلعت قلبى بكتابك لااعود الى الولاية أبدا حتى ألقى الله عز وجل ولما استخلف عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ومحمد بن كعب وهو كئيب حزين فقال لأحدهما عظنى فقال يا امير المؤمنين ان الله سبحانه وتعالى لم يجعل احدا من خلقه فوقك فلا ترضى لنفسك ان يكون احد من خلقه أطوع منك ولاترضى ان يكون احد اولى بالشكر منك فبكى عمر رحمه الله حتى غشى عليه ثم أفاق فقال هيه ياأباخالد لم يرض ان يكون فوقى فوالله لأخافنه خوفا ولأحذرنه حذرا ولأرجونه رجاء ولأحبنه محبة ولأشكرنه شكرا ولأحمدنه حمدا يكون ذلك كله غاية طاقتى ولأجتهدن في العدل والنصفة والزهد في الدنيا والرغبة في باقى الآخرة ودوامها حتى القى الله عزوجل لعلى انجو مع الناجين وافوز مع الفائزين ثم بكى حتى غشى عليه وقال له الآخر اجعل الناس ثلاثة الكبير بمنزلة الأب والوسط بمنزلة الأخ والصغير

ويصعب عليه الامور حتى طلب بواسطته الامان وهو في غاية التمكن والاحصان فاعطوه الامان ودخل ينبع بداى وابن جبارة مع كثير من حرب وجهينة واستباحوا قتل المسلمين بلا عقل ولا دين وتمكن من البندر ثم توجه وزير ينبع الى جدة في الداوات ثم طلع الى مكة ورماه بعض العسكر عند مولانا الشريف بانه وقعت منه خيانة في تسليم البندر فاجرى عليه ماحكم بالقضاء والقدر وأمر بسلبه ثم صلبه فسلب وصلب وتوجه يومها مولانا الشريف الى جدة لاخذ الثار فصادف ان رأى مركبين من مراكب الانكليز مجهزة للسفر فتكلم مع قبطانها ان يسير معهم جماعة للقتال ولو بأخذ ما يطلبه من المال فاطاعه ورضى ثم خان وغدر وسافر بمركبيه فقام مولانا الشريف بهمة قوية وعزمة هاشمية وجهز عشرة داوات من الدوات الكبار وشحنها بكثير من العساكر والذخائر وجعل نصف العسكر من عساكر الاروام والنصف الآخر من عساكر أهل الاقدام

بمنزلة الولد فبر أباك وصل أخاك واعطف على ولدك قال زياد مولى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجل له خصم ألد ما حاله قال سيء الحال قال فان كانا خصمين ألدين قال ذاك حاله أسوء قال فان كانوا ثلاثة قال ذاك حين لا يهنئه عيش قال فوالله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الا وهو خصمك قال فبكى عمر حتى تمنيت ان لا أكون قلت له وعن نعيم قال قلت لعمر بن عبدالعزيز وقد رأيته قاعدا يا أمير المؤمنين ما يقعدك ههنا قال أنتظر ثيابي تغسل لاصعد بها المنبر قلت وما هي قال قيص وازار ورداء قيمتهن أربعة عشر درهما وقال اسماعيل بن عياش قلت لعمرو بن المهاجر ما كان يلبس عمر في بيته قال جبة سوداء مبطنة وكان رضي الله عنه يقول ما تركت شيئا من الدنيا الا أعقبني في قلبي ما هو أفضل منه يعني بالزهد وما أنعم الله علي في ديني أفضل وقال احمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان الداراني وأبا صفوان يتناظران في عمر بن عبد العزيز وأويس القرني فقال أبو سليمان لأبي صفوان كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس فقال له ولم قال لأن عمر ملك الدنيا فزهد فيها فقال له أبو صفوان وأويس لو ملكها ازهد فيها مثل ما فعل عمر فقال أبو سليمان لا تجعل من جرب كمن لم يجرب ان من جرت الدنيا على يديه وليس لها في قلبه موقع أفضل ممن لم تجر على يديه وان لم يكن لها في قلبه موقع وكان في دار عمر بن عبدالعزيز درجة فيها لبنة تتحرك فكان كلما نزل او صعد ارتاع منها فعمد مولى له فشدها بطين فلما صعد عمر لم يرها فسأل عنها فقال له مولاه رأيتك ترتاع منها فشددتها فقال له عمر أعدها الى حالها فاني اعطيت الله عهدا ان وليت هذا الامر ان لا أضع لبنة على لبنة ولا آجرة على آجرة وكان رضي الله عنه يقول ليس لي في الامور هوى الا مواقع القضاء أي ما يقضيه الله علي وفي رواية ما كنت على حالة من حالات الدنيا فسرني اني على غيرها ومن دعائه رضي الله عنه اللهم اني أطيعك في أحب الاشياء اليك وهو التوحيد ولم أعصك في أبغض الاشياء اليك وهو الشرك فاغفر لي ما بينهما ومن كلامه رضي الله عنه ذكر الله عز وجل عظيم والفكر في نعم الله عز وجل افضل العبادة ومن دعائه اللهم أصلح من كان في صلاحه صلاح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وأهلك من كان في هلاكه صلاح لامة محمد صلى الله عليه وسلم ولما سقي السم قيل له تدارك نفسك فقال والله لقد عرفت الساعة التي سقيت فيها ولو كان شفائي ان أمس شحمة اذني ما فعلت وكان رضي الله عنه يبغض الحجاج على ظلمه بغضا كثيرا وكان يقول ما حسدت الحجاج على شيء الا على حبه القرآن واعطائه اهله وقوله حين حضرته الوفاة اللهم اغفر لي فان عبادك يزعمون أنك لا تفعل ولما حضرت الوفاة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال أجلسوني فأجلسوه فقال انا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ولكن لا اله الا الله ثم رفع رأسه وأحد النظر فقيل له انك لتنظر نظرا شديدا قال اني لأرى اناسا ما هم بانس ولا جن ثم قال تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ثم قال لا اله الا الله لمثل هذا فليعمل العاملون وقال يوسف بن ماهك بينما نحن نسوي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز اذ سقط علينا رق من السماء فيه بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله تعالى لعمر بن عبد العزيز ووفاء واستشهد رجل بالشام

الامير على الاروام رسول أغا وعلى العرب القائد مفرح وفي ليالي اقامته بجدة وردت زعية من ينبع واذا فيها ابراهيم الروبتي المتقدم ذكره الذي كان سببا في أخذ ينبع وخديعته للوزير حتى سلمها لهم وكان وصوله من عجيب الاتفاق فأمر مولانا الشريف باحضاره وسأله عن تلك القضية ووجد عنده أوراقا من بداي يفسد بها الرعية فأجاب مولانا الشريف بكلام كالعدم لا يخلو عن التهم فألان له الكلام حتى وقف على المرام ثم أمر بصلبه بعد سلبه فصلب ثلاثة أيام ولما تمم مولانا الشريف ارسال الغزية رجع الى مكة ثم جاءته الاخبار بأن البداوات وصلت بالسلامة وطرحوا مراسي ينبع وأحاطوا بها ورموا عليها المدافع الى مضي ثلاثة أيام ثم نزل الجند وحملوا على البلد حتى دخلوها وملكوها وقتلوا جماعة ابن بداي قتلا ذريعا ولم يكن ابن بداي هناك لانه بعد أن ملكها جعل فيها ابن عم له وخرج وبعد أن تمكن جند مولانا الشريف من ينبع أرسلوا بالبشائر فأرسل الخلع الفاخرة لمفرح أغا وأنعم عليه بوزارة ينبع وأكرم رسول أغا بفرو سمور وكثير من النقود له ولبقية الجنود

(الغزية الثالثة والاربعون)

الغزية الثالثة والاربعون كانت في شهر جمادى الاولى سنة تسع عشرة وذلك ان سيدنا الشريف في الشهر المذكور شمر عن ذيل عزمه وركب بمن لديه من السادة الاشراف والاتراك والعساكر وتوجه الى الطائف من طريق اليمانية وأرسل القائد أحمد بن مثقال من طريق كرا وأحاطوا بالطائف واجتمع معهم كثير من العربان وصار عثمان المضايفي محصورا في الطائف ولم يقدر على ملاقاة الشريف وحملت الجنود بالبنود والرايات على السور وصارت تنقبه بالمعاول في أحجاره فلم يرد الله عز وجل بلوغ المرام فاقام عشرة أيام ورجع الى البلد الحرام وفي أواخر شهر رمضان جاءت الاخبار بأن عبد الوهاب أبانقطة حل بأرض اليمن ثم تحقق وصوله الى الليث ومعه كثير من الجند فاستعد مولانا الشريف لقتاله وخرج بجنوده الى الحسينية ثم انتقل الى الشرفية

(الغزية الرابعة والاربعون)

وهي الغزية الرابعة والاربعون ثم انتقل الى السعدية فوجد جنود الوهابية نازلين بها ومعهم عدد كثير مال فالتقى الجمعان بعاشر شوال وتكاثر الفريقان واشتد القـ[...]ـتال وكانت النصرة في أول

فكان يأتي الى ابيه كل ليلة جمعة في المنام فيحدثه ويأنس به فغاب عنه جمعة ثم جاء في الجمعة الاخرى فقال يابني لقد تأخرت عني وشق علي تخلفك فقال انما شغلني عنك ان الشهداء أمروا ان يتلقوا عمر بن عبد العزيز فتلقيناه وكان ذلك عند موت عمر بن عبد العزيز وكانت وفاته رضي الله عنه سنة احدى ومائة وعمره تسع وثلاثون سنة وأشهر ومدة خلافته سنتان وخمسة أشهر ومناقبه كثيرة افردت بالتأليف رضي الله عنه وقد تقدم في مناقب السلطان صلاح الدين الايوبي انه كان زاهدا مقتصدا في الدنيا وانه لما مات لم يخلف سوى سبعة واربعين درهما ودينارا واحدا وقد خلف سبعة عشر ولدا ذكرا وانثى وتقدم ايضا في مناقب السلطان نور الدين محمود بن زنكي انه كان يقول في اموال بيت المال انما هي اموال المسلمين واني خازن لهم فلا اخونهم فيها وان زوجته قلت النفقة عنها فلم يعطها من بيت المال واعطاها ثلاث دكاكين بحمص كانت له اشتراها من ماله الذي خصه من الغنيمة وقد علم من ذلك كله ان الزهد في الدنيا والاقتصاد فيها هو ملاك الامر كله وان الخلفاء الراشدين والسلطان نور الدين والسلطان صلاح الدين انما فتح كل منهم مافتح من البلاد ومكن الله لهم في الارض بين العباد بالزهد في الدنيا والاقتصاد فيها والعدل في بيت المال قال العلامة القطبي في تاريخه لما أراد الله بأهل الارض احسانا وافضالا وقدر ظهور العدل والفضل فيهم اكراما لهم واجلالا وقضى باطفاء نيران الظلم والفتن ورفع مواد الفساد والمحن وتأييد دين الاسلام وتقوية أهل السنة السنية المتمسكين بسنن سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام واقامة الشرع الشريف على رغم الملحدة اللئام أطلع في أفق الخلافة العظمى شموس الآيات العثمانية وأسطع من أوج سماء السلطنة الكبرى كمال المعدلة الخاقانية واجلسهم على سرير الملك وملكهم أعظم ممالك الاسلام وفتح على أيديهم الممالك العظام ونشر بهم جناح الامن والامان لازالت دولتهم باقية الى آخر الزمان اهـ ثم ذكر في تراجمهم مايبهر العقول من محاسن الصفات ومن الزهد والعدل والجهاد وفعل الخيرات وقد تقدم في هذا الكتاب كثير من ذلك ومن تأمل في سيرة الملوك والسلاطين الذين كانوا بعد الخلفاء الراشدين يحصل له كمال اليقين بأن الدولة العثمانية أحسن الدول الاسلامية بين العالمين بعد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين لانهم اتصفوا بصفات لم يتصف بها كثير من دول الاسلام وجمعوا فضائل لم تكن لغيرهم على ممر الليالي والايام فمنها [...] كثير من الفتوحات الواسعة والغزوات الشهيرة في الاقطار الشاسعة حتى [...] الاسلام وانتشر العلم والامن والامان بين الانام ومنها ان عقائدهم [...] التسع بفتوحاتهم أهل السنة والجماعة ليس فيهم مبتدع ولا خارج عن الطا[...]هم صحيحة مطابقة لعقيدة اهل السنة وقائمون بشعائر الدين في كافة مدن الاسلام [...] ومنها انهم ناصرون لمذهب الدين واساسه ومطلع نوره ونبراسه فانهم موظفون [...] في الحرمين الشريفين اللذين هما منبع الدين ومظهرون شعار الائمة الاربعة الذين نحصـ[...]ـم لاهل الحرمين الوظائف التي بها قوام القائمين بوظائف الدين أعظم المرتبات ومنعمو[...] به تكثر الحسنات ومرتبون ايضا للاشراف [...] ولذفيهم مذهب اهل السنة والجماعة ومرتبون [...]ن عليهم بأنواع كثيرة من اصناف البر[...] [...]بع[...] والسادات والعلماء والصلحاء الابرار مايد[...]

(بدفاتيهم)

بكفاياتهم في المعيشة التي عليها المدار فأعانوا الجميع على القيام بالعبادة والاشتغال بالعلم النافع فقاموا بأداء الشكر لله تعالى وبذل الدعوات الخيرية للدولة العلية العثمانية في كل مسجد وجامع ومن محاسنهم الجليلة ومناقبهم الاثيلة أنهم دافعون كيد الكفرة الفجار والمبتدعة الاشرار بعساكرهم وخزائنهم في سائر الاقطار ومؤمنون الطرقات للحجاج والزوار والتجار والمسافرين باذلون غاية جهدهم في نصرة الاسلام وصيانة الدين فيجب على كافة المسلمين السعي في تشييد دولتهم وتثبيت قواعد سلطنتهم والدعاء لهم بدوام التوفيق والنصر الذي يكون به تأييد مملكتهم اللهم وفقهم لكل خير وادفع عنهم كل مكروه وضير ووفق سائر الوزراء والامراء والقضاة والعلماء والعمال للعدل ونصرة الدين وقد من الله على اهل هذا العصر الحميد بسلطنة واسطة عقد الدولة العثمانية الفريد من تشرفت بذكره في الحرمين الشريفين المنابر والمنائر وعمر مساجدهما فصدق عليه قوله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر السلطان الاعظم والخاقان الاكرم الافخم خير خلف خلفاء الرحمن اشرف سلف آل عثمان السلطان ابن السلطان ابن السلطان الملك المنصور المظفر المعان مولانا (السلطان الغازي عبد الحميد خان) ابن المرحوم مولانا السلطان الغازي عبد المجيد خان متع الله المسلمين بوجوده وأفاض عليهم سحائب فضله وجوده وأدام له النصر والتمكين وايده بروح القدس الامين فكان له من حين ولايته الى هذا الزمان من محاسن الصفات وفعل الخير ما يعجز عن بيانه اللسان فمن ذلك أنه عمر عمارة فائقة في الكعبة المعظمة وفرش باطنها بالرخام على أعجب الاوصاف المنظمة وبذل على ذلك كثيرا من الاموال وأنعم على مباشريها بما لا يخطر بالبال وكان ذلك في سنة تسع وتسعين بعد المائتين والالف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم ومن مآثره وخيراته الجليلة صدور أمره الكريم بوضع مطبعة في مكة المشرفة يطبع فيها كتب العلوم ليكثر انتشار العلم في موضع مهبط الوحي الذي هو مرجع الخصوص والعموم فيحصل له بذلك ثواب نشر العلم وتأييد قواعد الدين اللذين هما من اقوى أسباب التأييد والتمكين فكان وضع المطبعة المذكورة سنة ثلاثمائة بعد الالف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم فامتثل أمره وقام بوضعها واجتهد غاية الاجتهاد وبذل وسعه حتى كملت واشتهرت بين العباد الوزير المعظم والمشير المفخم دولتلو السيد عثمان نوري باشا والي ولاية الحجاز وشيخ الحرم المحترم لازال فعله مبرورا وسعيه مشكورا وأقام في المطبعة المذكورة مديرا شويكي زاده السيد عبد الغني أفندي الدمشقي فصارت الناس تهرع اليها من جميع المواضع لطبع كتب العلوم فيها ويطبع فيها باللسان العربي والتركي والجاوي ففاقت بذلك جميع المطابع فنسأل الله تعالى ان يديم هذه السلطنة السنية ويوفقها لكل خصلة مرضية ويزيدها توفيقا على ممر الزمان حتى تكون أهل هذه الملة بهذه الدولة في أعلى مقامات الاستقامة والاحسان ويتحقق بها ما تقدم عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه من قوله لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها ونسأل الله للجميع التوفيق والاعانة والاخلاص والقبول وحسن الختام بجاه سيدنا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه

لامر لمولانا الشريف ومن معه حتى صارت الاتراك تقطع في رؤس أولئك القوم قطع رؤس الكباش حتى فني من عسير جم كثير ثم انقلب الدور على الاتراك وقتل منهم كثير فكان القتلى من الفريقين نحو الالفين لكن قتلى الوهابية أكثر يقين ثم انهزموا وطرد خلفهم مدة جند مولانا الشريف ثم رجعوا ورجع مولانا الشريف ومن معه الى مكة وفي الخامس عشر من شوال وصل عثمان المضايفي الى الزيماء بجنود كثيرة وتلاه عثمان بن شكبان ثم انتقلوا الى عرفة ودخل في طينهم بعض قريش وهذيل فقتلوا من لم يطعهم ممن قدروا عليه وأسروا البعض وأتلفوا عين زبيدة بالتهديم والتكسير فقل الماء بمكة وصار الضعيف في جهد وضنك ثم انتقل كثير منهم الى وادي مر في عاشر ذي القعدة وصاروا ينهبون ويقتلون الوافدين الى مكة حتى غدا طريق جدة أيام اقامتهم أيام نحر وتشريق ولما جاء الحج الشامي لم يدخل الا من طريق جدة ولم يصل الوادي وكذلك الحج المصري ثم وصل شريف باشا صاحب جدة وحج الناس لكن لم يحج في هذا العام أحد من أهل مكة وجدة والمدينة ومصر والشام وجميع البلدان غير ما كان في الحج الشامي والمصري

الكرام وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وكان التمام للفتوحات الاسلامية يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر محرم الحرام سنة ثلاث بعد الثلاثمائة والألف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله الملك الحق المبين المنان * الذى قص على رسوله أحسن القصص بما أوحى اليه من القرآن * والصلاة والسلام على خير الانام * سيدنا محمد كاشف الظلام * وفاتح دين الاسلام * وعلى آله وصحبه الكرام * الذين قاموا باجراء شرائع الاحكام * واعلاء كلمة الله أشد قيام * امابعد فقد تم بعونه تعالى طبع الفتوحات الاسلامية مطرزا بخلاصة الكلام * فى بيان امراء البلد الحرام * كل منهما للامام العالم العلامة الهمام * وشيخ مشائخ الاسلام * ببلد الله الحرام * الوحيد الفريد فى أهل الزمان * الفاضل السيد احمد بن زينى دحلان * اسكنه مولاه فراديس الجنان * آمين فى ظل خليفة الله فى أرضه * المتحتم طاعته على العامة فى طول ملكه وعرضه * سلطان البرين والبحرين والممالك التى لاتحصى * المفتخر بخدمة الحرمين الشريفين والمسجد الاقصى * مولانا السلطان الغازى ❁ عبد الحميد ❁ خان * أدام اللهم له النصر والتمكين * ووفق وزرائه وعلمائه وعماله لنصرة الدين * واقامة شريعة سيد المرسلين * ولاسيما المشير المعظم * والوزير المفخم * ذا الرأى الثاقب والفكر الصائب * والى ولاية الحجاز الباشا احمد راتب * لازال راقيا أعلى المناصب والمراتب * آمين على ذمة ملتزم طبع ذلك ثانيا المكرم الممجد * الكتبى الشيخ فدا محمد * فى اوائل شهر جمادى الاولى سنة ألف وثلاثمائة واحدى عشرة الهجرية * على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية * مارتبت الحروف الهجائية * وعلمت المسائل الخبرية * آمين والحمد لله رب العالمين



بسبب هذه الفتنة والعربان محيطة بمكة محاصرة لها من جميع الجهات حتى ان أكثر البيوت بمنى كانت خالية أيام الحج وكان أمين الحج الشامى ابراهيم باشا والى الشام فتكلم معه مولانا الشريف أن يخرج لقتال هذا الخارجى فامتنع ثم طلب منه أن يرسل عساكر وجمالا الى جدة لاحضار شئ من الذخائر والقوت فوعد وأخلف ثم كرر الطلب عليه ثانيا وثالثا فلم يفعل وفى ليلة من الليالى التى هو مقيم فيها بالزاهر جاءه خمسة من الخيل فصاحوا فى أطراف العسكر وكبروا وجالوا بخيلهم ففزع وحصل له خوف كثير فكاتب عثمان المضايفى وارتبط بينهما حبل المودة والمواصلة فصار جماعة من قوم عثمان يأتون الى الخيام ويبالغ لهم فى الاكرام وفى ليلة عشرين من شهر الحج سافر عند طلوع الفجر ولم يأذن له عثمان فى الانتقال الا بعد أن دفع له مائتى كيس من المال وقد تقدم انه فى سنة ثمانى عشرة أبقى أمير الحج الشامى طائفة من العسكر لاعانة مولانا الشريف فأخذهم ابراهيم باشا فى هذا العام فنصحه العلماء والقضاة وحذروه من غضب السلطان فما ازدادوا الا عتوا ونفورا فقام مولانا الشريف باعباء تحمل الانتقال وسكن روع سكان البلد الامين بمن معه من العسكر والرجال وترس البلاد من الجوانب

الاربعة لكن اشتد على الناس بقطع الطرق الجوع ووقع الغلاء الذى تسيل له الدموع فلم يجد مايشتريه الجائع ولا مايبيعه البائع ودخلت سنة عشرين والناس فى بلاء مبين

﴿ ذكر ابتداء القحط بمكة وانتهائه ﴾

وكان ابتداء القحط والغلاء من أواخر ذى الحجة سنة تسع عشرة واستمر الى ذى القعدة من سنة عشرين ومضت هذه السنة وهو كل يوم فى ازدياد حتى انه فى آخر الامر بلغت كيلة القمح والرز مشخصين وبلغ الرطل من السكر والشحم والزيت ريالين والرطل من البن والتمر ريالا والرطل من السمن ريالا ونصفا وكيلة الزبيب ثلاثة ريالات ورطل اللحم الماعز والجمل نصف ريال وأخرج أهل مكة جميع مايملكونه من الحلى والثياب والاثاث يبيعونه بأبخس الاثمان ويشترون به ما يأكلون ثم عدمت الاقوات بالكلية ولا يجدونها بالاوقية فضلا عن الارطال وصار كثير من الناس يأكلون من أدوية العطار كبزر الخشخاش وزبيب الهوى والصمغ والنوى وبزر الجمر وشرب أناس الدم المسفوح وأكل بعض الناس الجلود والهرات والكلاب وكل حيوان على وجه الارض فهلك الفقير وافتقر الغنى وجعل الغلاء يطول ويمتدو أرباب العيال صاروا حيارى وترى الناس سكارى وماهم بسكارى وقاسى أهل مكة فى هذا العام مالم يقاسه أصحاب السبع الشداد وفى أثناء هذه المدة وقعت الخيانة من بعض الناس من الاشراف وغيرهم فكاتبوا عثمان ومن كان فى الجند من الامراء وانساب بعض منهم انسياب السيل وهرب جنح ليل ومنهم من ثبت وقعد ودخل معهم فى الخيانة بعض شيوخ العبيد الذين كانوا أمناء على القلعة فاراد الله لهم بالفضيحة واطلع مولانا الشريف على بعض مكائدهم القبيحة واطلع أيضا على مكاتبات من بعض الاشراف الكبار لاولئك الفجار فامر بسجن ابن أخيه السيد مساعد بن مسعود والسيد أحمد بن سرور وسجن كثيرا من غير الاشراف من العسكر والعبيد وقتل بعضا من شيوخ العبيد ودخل فى طاعة الوهابى كثير من الاشراف من ذوى بركات وذوى عبد الله وذوى الحرث والمناعمة وغيرهم ممايطول الكلام بذكرهم وقويت عزائم الخارجى بطاعتهم له ومازال الناس ينهالون وينسلون ويخرجون من مكة ويدخلون فى طاعة الخبيث لاسيما لما اشتد الغلاء والجوع وكانت الاقوات فى جيوش الخارجى كثيرة تباع بأبخس الاثمان ولما رأى الشريف يحيى بن سرور ماحل ببعض الاشراف من الحبس والاهانة ركب فرسه ليلا وفر ولم يزل سائرا حتى وصل وادى مرو عامل القوم كما عاملهم غيره ففرحوا به فما أقام عندهم غير ثلاثة أيام حتى جاء بعقودة من الخيل على رأسه ووصل بهم الى عمرة التنعيم وبعضهم أشرف على الزاهر فجاء الخبر لمولانا الشريف غالب فأمر الفرسان بالركوب خلفهم

﴿ الغزية الخامسة والاربعون ﴾

وهى الغزية الخامسة والاربعون ففروا هاربين ولم يدركوهم وأمر أهل البلاد فترسوا أطرافها وأكنافها وحصل فى ذلك اليوم ضجة أى ضجة وكان ذلك يوم الربوع لاثنين خلوا من شهر المحرم سنة عشرين وبعد يومين من هذه القضية ارتحل الجنود الذين كانوا بالوادى ونزلوا الحسينية واقبلوا على أطراف مكة وهم منتقلون فاشرف عليهم أهل مكة من رؤس الجبال وماكان منهم هذا الانتقال الالظنهم انهم يدخلون مكة لكن قاتلهم العبيد المترسون فى الابراج التى حول مكة ومنعوهم عن الدخول كرها واستمر القتال بينهم من الظهر الى الغروب وهلك من تلك الجنود سبعة فتوجهوا الى الحسينية وقتلوا احد عشر رجلا من أهلها وأخذوا مواشى أهل الحسينية وتوجهوا الى العابدية لانه بلغهم أن أبراجها حصينة وهى خلية لان العبيد تركوا الابراج وجاؤا الى مكة لطلب الزاد فلما وصلوا الى مكة غضب عليهم مولانا الشريف لتركهم الحصون وأعاد الجميع مبادرة فى الحال وزاد عليهم مثلهم بين راجل وخيال وأمر سراة من الفرسان ان يجدوا بخيلهم مسرعين يسبقوا العبيد الى الابراج قبل ان يستولى العدو عليها فلما أقبلوا عليها وجدوا الوهابيين مسارعين اليها فسبقوا الوهابيين وولجوها ومنعوهم عنها بالطبنجات لتأخر أهل البندق والرماة

﴿ الغزية السادسة والاربعون ﴾

وهى الغزية السادسة والاربعون فلما لم يتم للوهابيين أمر رجعوا الى وادى مر ثم ارتحل عثمان بكثير من الجنود وتوجه الى الطائف وكانوا قبل ارتحالهم بنوا حصنا بقرية المدرة وتركوا فيها عصابة من قومهم وأمر عليهم ابن جحى من عدوان وارتحل بعده

سالم بن شكبان وكانوا في مدة اقامتهم بالوادي بايعهم أكثر العربان الذين بأطراف مكة كالمطارفة وقريش وبعض هذيل والجحادلة ولحيان وأمروهم بقطع الجلب عن مكة ولما رأى مولانا الشريف ماحل بأهل مكة من القحط والغلاء والجوع أخذته الشفقة والمرحمة فاجتهد في جمع ماأمكنه من الجمال وأرسلها الى جدة لتأتي بالذخائر والأحمال وأرسل معها جماعة من الاشراف والعسكر والعبيد ومعهم نحو المائة من فرسان الخيل وأرسل معهم أحمد كتخدا وهرع معهم كثير من أهل مكة لما حل بهم من الجوع وصاروا كالجراد المنتشر بين مشاة وركبان وبلغ كراء البعير الى جدة سبعين قرشا الى ثمانين وفي ثاني يوم خروجهم من مكة بلغ مولانا الشريف أنه خرج عليهم بعض الوهابيين فأعقبهم بما ينوف عن مائة خيال من الصناديد الابطال وأمر عليهم السيد ماضي بن سليمان

﴿ الغزية السابعة والاربعون ﴾

وهذه الغزية السابعة والاربعون ثم جاء الخبر ان الذين خرجوا أولا لجلب القوت والذخيرة مع أحمد كتخدا لما بلغوا نصف الطريق خرج عليهم ثلاث من خيل ذلك الفريق وهم عيون وجواسيس توصل لهم الاخبار فركض عليهم بعض الخيل وبقي بعض منها لحراسة القافلة فتبع لهم نحو عشرين خيالا كانوا متوارين خلف تلك الجبال فركض عليهم خيل الهوارة فأصابوا رجلا وقتلوا رجلين واقتلعوا حصانا وقتلوا فرسين وفر بقية الاشرار للويل والدمار ولما وصلت القافلة للمنحنى وهو جبل معروف وجدوا في حصنه سبعة من الوهابيين فصعدوا اليهم بخيل ورجال من أهل مكة ومن العسكر فقتلوهم وقطعوا رؤسهم ودخلوا بتلك الرؤس الى بندر جدة المحروس وفي اليوم الثاني من دخولهم جدة وردت أغنام الى جدة فعدوا عليها وأخذوها فأرسل الوزير خلفهم جريدة من الخيل ليسترجعوها فلم يدركوهم ثم ان القافلة حملت أحمالها وأوثقت جمالها وتوجهت الى مكة ونالت البادية الحظ الاوفر من كراء الجمال وأكروا كل بعير بثلاثين ريالا وكان الشيخ عبدالله عبد الشكور صاحب التاريخ له حمل من القمح من تلك الجمال فاستولى عليه بمكة الناظر عثمان بلجو وفرقه على العسكر وحسب قيمته على مولانا الشريف وأخذها ولم يعط الشيخ عبد الله شيأ من الحمل ولا من قيمته فرفع فيه شكاية لمولانا الشريف وجعل الشكاية في منظومة طويلة مذكورة في التاريخ وبعد وصول القافلة الى مكة أقاموا يومين فأمرهم مولانا الشريف بالرجوع ثانيا ليأتوا بذخيرة اخرى وأمدهم بالعسكر وكراء الجمال على حاله كالرد الاول وكان أهل مكة يسمون تلك القوافل بالردود وجعل أميرا على هذا الرد السيد ماضي بن سليمان وهرع كثير من أهل مكة الفقراء مع هذا الرد فتوجه الجميع في الثالث والعشرين من المحرم ووصلوا الى جدة بالسلامة وحملوا الجمال وخرجوا بها وسلكوا غير الطريق المعتاد وحصل لهم تعب لعسر الطريق الذي سلكوه ووصلوا الى مكة بالسلامة وأقاموا أربعة أيام فأمرهم مولانا الشريف بالرجوع ثالثا وكراء الجمال على حاله وكثير من أهل الجمال يحملون كيلتين من البر بريال وأكثر الجمالة تحوم حول المنفعة فكانوا يشترون لانفسهم كيلة البر بشيء قليل من جدة ويبيعونها في مكة بأربعة ريالات وكان رجوعهم الى مكة سادس صفر وكانت تلك الردود سببا لارتخاء الاسعار عما كانت عليه ثم أمر بالرجوع أيضا الى جدة رابعا وخرج معهم في هذا الرد خلق كثير من أهل مكة قيل انهم نحو ثلاثة آلاف حتى قل الناس من مكة ولم يتكامل الصف الاول بالمسجد الحرام وما حملهم على ذلك الا الفقر وكثرة الجوع وكان معهم أيضا من العسكر مثل ما كان اولا والامير عليهم السيد ماضي المذكور وسمع أهل مكة من بعض أهل جدة كلاما شاقا في الازقة والاسواق يقولون لهم جئتم أرضنا لتحاشرونا في الارزاق فتعب لذلك الكلام أهل مكة وضاقت عليهم الارض بما رحبت وما صدر ذلك الكلام الا من بعض السفلة والاراذل وأما المعتمدون من أهل جدة يقع منهم شيء من ذلك بل كانوا يتلقونهم بغاية الاكرام وللشيخ محمد البناني مفتي المالكية بمكة قصيدة طويلة يذكر فيها ماوقع لأهل مكة من بعض أولئك الاراذل وهذه القافلة الرابعة أقامت بجدة ثلاثة أيام وحملت جمالها ورجعت لحمى البيت الحرام ولم تزل هذه الردود تسري الى ان انقطع الطريق بالكلية وأحاطت جنود الوهابيين بمكة من جميع الجوانب في شعبان ورمضان وفي تاسع صفر أرسل مولانا الشريف غزية على قوم من بني لحيان دخلوا في الطين

﴿ الغزية الثامنة والاربعون ﴾

وهى الغزية الثامنة والاربعون جهز فيها خيلا وركابا ومشاة وأمر عليها السيد راجح بن عمرو الشنبرى أمره ان يقصد يغزو قوما من بنى لحيان دخلوا فى طاعة عثمان وكانوا نازلين بشعب من وادى الطرفاء يسمى شعب الذئب فأغار بمن معه عليهم فقتلوا ثلاثة وأخذوا من ابلهم نحو الخمسين والباقى من القوم فرّ حين سمعوا سنابك الخيل ورجع السيد راجح ومن معه سالمين ثم اعاده سيدنا الشريف ومن معه وأمرهم ان يغزو المناعمة

﴿ الغزية التاسعة والاربعون ﴾

وهى الغزية التاسعة والاربعون فغزوا على المناعمة وعلى جماعة من المطارفة فولوا فارين مدبرين وأخذوا الممكن من مواشيهم وحلتهم ورجعوا سالمين وفى السادس من ربيع الاول جهز مولانا الشريف جيشا مكمل القوة والاستعداد فيه جملة من السادة الاشراف والعساكر والعبيد وأمرهم ان يغزوا الحصن الذى فى المدرة فيه جملة من الوهابيين

﴿ الغزية المكملة خمسين ﴾

وهى الغزية المكملة خمسين ومعهم مدفع كبير وقنبرة فساروا الى ان نزلوا المدرة وأحاطوا بالحصن وحاصروا القوم ورموهم بالمدفع والقنبرة فلما مضى ثلاثة أيام جاء قوم من بنى لحيان يريدون دخول الحصن اعانة لمن فيه فحمل عليهم عسكر مولانا الشريف وطردوا خلفهم حتى أصعدوهم رؤس الجبال وأرسل لهم مولانا الشريف مدفعا آخر وجاء قوم من بنى مسعود هذيل الشام يريدون أيضا دخول الحصن اعانة لمن فيه فمنعوهم أيضا من الدخول ووقع القتال بينهم حتى انهزموا وتعلقوا برؤس الجبال وقتلوا أناسا منهم وقتل عبد من عبيد مولانا الشريف ورجع القوم الى مخيمهم وفى هذه الايام هرب من مكة السيد ماضى بن سليمان وذهب الى الوهابيين وتبعهم على ما هم عليه فاختلفت أقاويل الناس فيه فمنهم من قال ان ذلك باطلاع سيدنا الشريف وله فيه مقصد ومرام ومنهم من قال ان الرجل غلب على قلبه الخوف منهم فعاملهم بعد ان كاتبوه وكاتبهم ثم ان القوم المحاصرين للحصن حملوا عليه وكان محيطا به خندق فأخذوا معهم أخشابا ليضعوها على الخندق ويعبروا عليها فقصر عن ذلك فرجعوا بعد ان أصابوا من القوم خمسة اشخاص وخرج من الترك مثلهم والجروح قصاص وكان الترك الذين هجموا معهم وصلوا الى باب الحصن فوجدوا على الباب نحو العشرة فقتلوا منهم ستة وفر أربعة ثم رجعوا الى مخيمهم فلما بلغ الخبر مولانا الشريف جهز لهم جيشا نحو المائتين وأمر عليهم القائد احمد بن مثقال ومعه مدفع كبير

﴿ الغزية الحادية والخمسون ﴾

وهذه الغزية الحادية والخمسون وكان أكثر هذا الجيش من شبان أهل مكة وجرّوا بالمدفع على نحو خمسين جملا ومدة سيره فى الطريق خمسة أيام وانكسر العجل فوصلوا المدرة والحصار على حاله ثم بلغهم ان عثمان المضايفى أمد المحاصرين بثلاثة آلاف وخيلهم نحو المائتين فأخذت جنود مولانا الشريف حذرها وجعلوا لهم متارس فلما أقبل القوم رموهم بالمدفع ووقع القتال بينهم الى آخر النهار وقتل من قوم عثمان نحو الخمسين ولم يقتل من جماعة الشريف أحد بل أصيب واحد فى يده ضربا خفيفا فلما جاء الليل أشار عليهم بعض من أدركه الخوف والفزع بالرجوع الى مكة وقال لهم قد تم لنا الغلب وطاب لنا حسن المنقلب فارتحلوا فأدركتهم خيل الوهابية قبل ان يصلوا مكة فلما أحسوا بسنابك الخيل فى عتمة الليل فر بعضهم وثبت البعض ووقعت بينهم ملحمة قتل فيها من عسكر الشريف نحو العشرة ومن الوهابيين جماعة ممن لهم شهرة واقتلع عسكر مولانا الشريف من خيلهم خمسة من أنجب الكحائل ورجعوا الى مكة وفى ربيع الآخر ورد الخبر بأن سالم بن شكبان حل الطائف بنحو خمسمائة من قومه واستقبله عثمان بمن عنده من القوم وخيموا بالقرب من جبال بنى سفيان وأرسلوا اليهم يأمرونهم بالدخول فى الطاعة وخوفوهم وتهددوهم فأطوعوهم خوفا بعد ان كانوا ممتنعين أشد الامتناع ونبذوا عهود مولانا الشريف وأرسلوا مشايخهم ليعرفوا المطلب لعثمان وابن شكبان فطوقوا أعناقهم بالحديد ثم وضعوا عليهم نكالا جميعا جعلوا على كل سفيانى عشرين ريالا واخذوا سلاحهم فعندما سمعت بذلك هذيل طارت قلوبهم من الخوف والفزع فأرسلوا اليهم

من يأخذلهم الامان وحملوا ماطلبوه لهم من النكال مع انهم لم يقاتلوه قط وغيرهم انما تبعه بعدقتال شديد فقبلوا منهم الدخول فى الدين من غير صلاة ولازكاة ولاحج ولاصيام بل بمجرد أخذ المال وقالوا لهم قد صح اسلامكم فقاتلوا أهل مكة المشركين حتى يدخلوا فى الطين فانزلوا من جبالكم واسكنوا تهامة فى العابدية والحسينية وامنعوا الخيرات الواردة الى مكة وأقام على كل قبيلة شيخها أميرا على جماعته وأمر بالتجبر على المشركين فى زعمه فلما بلغ سيدنا الشريف هذه الاخبار أمر ببناء أبراج فى الحسينية زيادة فى تحصينها ولما بلغ المقصود عثمان وابن شكبان من هاتين القبيلتين وحازوا السلاح وظفروا بالنقدين ارتحلا من الموضع الذى كانا مخيمين فيه وتوجه سالم بن شكبان الى بيشة وعثمان الى الطائف وقد تقدم ذكر الردود التى تأتى من جدة بالميرة مرة بعد اخرى

﴿ الغزية الثانية والخمسون ﴾

وفى شهر ربيع الثانى من سنة عشرين بلغ مولانا الشريف ان الوهابية عازمة على أخذ الرد فى الطريق بجموع اجتمعت لأخذها فجهز غزية زيادة فى الحفظ والحماية وهى الغزية الثانية والخمسون فأصبحت الغزية بالركانى وجاءها الخبر ان القوم بصروعة فالبثوا ان ملؤا القرب بالماء حتى جاءهم القوم كالغمامة الدهماء فحصل بينهم قتال وطالت الملحمة على ظهور الخيل وانحاز ثلاثون من عبيد مولانا الشريف على جبل شاهق وقتلوا كثيرا بالبنادق ثم انجلى الامر بانهزام الوهابيين وقتل سبع أوثمان من خيلهم وبعض من رجالهم وأخذت قليعة من خيامهم وقتل أميرهم بجى وصعد جماعة منهم وأحاطوا بالذين فى الجبل من العبيد واقتتلوا معهم أشد القتال فقتل من الوهابيين نحو السبعين ومن العبيد خمسة وعشرون ثم توجه جماعة الشريف بعد العراك الى الحرم فلقيت الرد سالما وعوض الله مولانا الشريف فجاءه من جدة من العبيد خمسة وأربعون وفى الرد الذى بعده خمسون وفى شهر جمادى الاولى من هذه السنة عقد سعود مجمعا عاما وطلب جميع الامراء فحضروا عنده منهم عبدالوهاب أبونقطة أمير عسير وسالم بن شكبان أمير بيشه وعثمان المضايفى أمير الطايف وما حوله وغير هؤلاء من الامراء وأمرهم ان يحاصروا أم القرى من جميع الجهات وان يمنعوا عنها جميع الوارد ويبالغ فى منعهم الاقوات وانصرفوا من المجمع على ذلك وفى عشرين من شهر جمادى الثانية وصل عثمان المضايفى فاستقبله خواص قومه وسألوه عما جاءهم به فقال قد أباح لنا سعود قتل هؤلاء المشركين فى الحل والحرم وان علماء الدرعية وجدوا هذا القول فى حاشية كتاب للشيخ محمد بن عبدالوهاب وهو صادق النقل فيما روى معصوم من الهوى فقروا عيونا وطيبوا نفوسا ولكن اكتموا هذا الامر فانه سر مكتوم ثم أظهر لبقية الناس خلاف ماأبطن وان سعودا أمره باصلاح عين زبيدة التى هدمها فأخذ يتجهز بشغل المعاول وحرق النورة وجمع المكاتل والرمل بطلب من القبائل لعمارة العين فما مضى برهة من الزمن حتى اجتمع عنده نحو خمسة آلاف من هذيل اليمن والشام وثقيف وغيرهم من الانام وتوجه بهم وخيم فى المضيق ثم ارتحل بهم ونزل فى حدود الحرم وفى شعبان أرسل عشرين خيالا فانتهت ركضا الى جبل المنحنا وأعلنوا بالتكبير وطلبوا البراز فركبت خيل الشريف خلفهم ففروا ولم يجدوا لهم أثرا وصاروا يفعلون مثل ذلك ثلاثة أيام ثم انتقل بجنوده قاصدا جدة واحاطوا بالسور ومعهم كثير من السلالم ومعاول الحديد ثم قربوا من السور حتى صعد بعضهم على بعض السلالم بعدوضعها على جدار السور فجاءهم من كانوا قائمين بحماية السور وأبعدهم عنه بالبندق والمدفع وقتلوا منهم خلقا كثيرا فرجعوا منهزمين الى مخيمهم وكان بعيدا عن وقع الرصاص ثم ارتحل الى المدرة بمن معه من الهجرة وأرسل يطلب من بقى من العربان فجعلوا يتسللون اليه من كل مكان فرتبهم لقطع الطرقات فجعل لمحاصرة جدة وقطع طريقها واهس شيخ زبيد ومعه جماعة من أهل الكيد فخيموا تجاه جدة بحيث يردون من آبار غليل ويغيرون على حول البندر بالنهار والليل وكم قتلوا حولها من الفقراء والمساكين وخضبوا أكفهم بدم الموحدين وفى كل يوم يصلون الى الحفر ويقطعون من يرد اليها وكثر العطب فى التكارنة الذين يجمعون الحطب ومابرحوا على هذا المنوال حتى انقطع الواصلون من جدة بالكلية وأمر الجحادلة وبعضا من هذيل ان يخيموا على الشرفية ويقطعون من يرد من طريق اليمن وأمر بعضا من هذيل ان يخيموا على وادى نعمان ومعهم العرب النازلون

بتلك الجبال من غير هذيل وأمر بنى لحيان وعربان الحرم ان يخيموا بالحصن الذى شيده بالوادى والمدرة ثم انتقل هو ومن معه مرة ثانية الى طريق جدة يقتلون ويأخذون من يمر عليهم من الحجاج وغيرهم وكم قتلوا من المحرمين الملبين بالتلبية ويقولون يامشرك مع انهم ماسمعوا منه لفظ الشرك الذى يزعمونه وماعرفوه قط ورأوه الاذلك اليوم فيقتلونه بدعواهم لاجل أخذ ماله

الغزية الثالثة والخمسون

وفى اليوم الثالث من رمضان أرسل عثمان جماعة من قومه نهبوا ابل الشريف التى كانت فى العكيشية فركبت خيل مولانا الشريف خلفهم لاسترجاعها فهى الغزية الثالثة والخمسون وساقوا خلفهم الى الشميسى فوجدوهم قد تعلقوا بها فى شواهق الجبال فرجعوا وفى اليوم الخامس من رمضان أمر عثمان أربعين من هذيل الندوية ان يقعدوا بين مكة والحسينية فجلسوا عند الشرفة التى عند جبل الثور يقطعون من يمر عليهم فمر عليهم أربعة من جماعة سيدنا الشريف فقبضوهم وأخذوا سلاحهم وحملوا ثلاثة منهم الى عثمان وأطلقوا الرابع وكان رجلا سليمانيا طاعنا فى السن فجاء الى مكة آخر الليل وأخبر بما وقع وبما فعلوه فى هذا الشهر المعظم انهم منعوا الناس من الاعتمار من التنعيم ومع هذا لم يمتنع كثير من الناس الاغراب حتى انهم قتلوا شخصا معتمرا عند الزاهر

الغزية الرابعة والخمسون

وفى العاشر من شوال ارتحل عثمان من طريق جدة قاصدا الحسينية فلما بلغ مولانا الشريف ذلك جهز جماعة من الخيل والفرسان والمشاة فهى الغزية الرابعة والخمسون فالتقوا بقوم عثمان بأسفل مكة عند بطحاء قريش فوقع القتال بينهم وصالت خيل مولانا الشريف عليهم فولوا على أعقابهم مدبرين وقتل منهم جماعة منهم ولد السيد ماضى بن سليمان ودخل قوم الشريف برأسه محمولا على رمح وعلق فى الاسواق وذبح من جياد خيلهم أربع واستشهد من جماعة الشريف السيد فواز الحسينى أمير المدينة وواحد من الهوارة وقتلت فرس وأصيبت أخرى ثم رجع قوم عثمان على الحسينية وأقاموا يحاربون من فيها يومين فلكوها قيل ان وكيل الشريف بالحسينية خان فملكهم اياها والافقد كان فى مكان حصين والامر لله يفعل مايشاء ولو شاء ربك مافعلوه وكان استيلاؤهم على الحسينية فى الثانى عشر من شوال فانثالت عليهم العربان من كل سهل وجبل وأرسل بهم سعود بذلك وفى هذا الاثناء وصل سالم بن شكبان بما يزيد عن خمسة آلاف من بيشة وشمران وغامد وزهران وقحطان وغيرهم من غصائب الشيطان ثم تلاه بالوصول عبد الوهاب أبو نقطة بنحو عشرة آلاف من عسير وعربان اليمن فتكاملوا فى الحسينية مع قوم عثمان فكانوا يبلغون ثلاثين ألفا فعند ذلك اشتد الكرب على المسلمين وضاق ذرع سكان البلد الأمين ووقع القحط الذى لامزيد عليه وارتفعت الاسعار حتى بلغت القدر الذى تقدم ذكره وبلوغها ذلك المقدار انما كان هذه المدة وأما الغلاء الذى كان قبل ذلك فانه لم يبلغ هذا السعر فبلغت فى هذه المدة الكيلة من القمح أو الرز مشخصين وبلغ الرطل من السكر أو الشحم أو الزيت ريالين وبلغ الرطل من التمر والبن ريالا ومن ناله بهذا السعر فقد بلغ الآمال وبلغ رطل السمن ريالين ونصفا ورطل العسل ريالا ونصفا ورطل اللحم من الماعز أو الجمال نصف ريال وكيلة الزبيب ثلاثة ريالات ورطل التنباك ستة ريالات ونصفا وقس على هذا فصار الناس يشترون حتى نفد ما بأيديهم من النقود فاشتروا بالاثاث والثياب والحلى ويبيعون ماقيمته مائة بعشرة وأقل ويشترون بالعشرة ماقيمته واحد فأقل حتى فنى القليل والكثير ومات كثير من الناس بالجوع وصار كثير من الناس يأكلون الجلود البالية والبطاط بعد حرقها بالنار ويأكلون شيأ يسمى الاخريط وهو نوع من النبات فأثر فى وجوه الناس وأرجلهم نفخا وورما ثم يموتون بعد ذلك فترى الناس يموتون وهم يمشون فى الاسواق وترى كثيرا من الاطفال موتى فى كل زقاق وشرب اناس الدم المسفوح واكل آخرون الهرات والكلاب وكل مايجدون من الحيوانات ومضى على الناس شئ لم يعهد قط ثم فنيت الاقوات فلم توجد بقليل ولا كثير فصار بعض الناس يأكلون أدوية العطار مثل بزر الخشخاش وزبيب الهوى والصمغ العربى ونوى التمر والجمر وكل شئ ألين من الحجر فهلك الضعيف وافتقر الغنى فلما ذهب النقد والنشب وفنيت الذخائر والمكتسب وتحققوا ان المآل الى العطب هرعت الناس الى الحسينية لان الاقوات بها

رخية وصاروا يمشون فى الطرق الصعاب وعلى رؤس الجبال خوفا من السطوة عليهم فى الطريق ومنهم من قتل ومنهم من مات جوعا قبل الوصول اليها ومنهم من دخلها محموما حتى لم يبق بمكة الا القليل ولا يتكامل الصف الاول اذا اجتمعوا للصلاة فى المسجد الحرام وغلقت الحوانيت واستمر هذا الحال الى السادس والعشرين من ذى القعدة سنة عشرين فوصل من الحسينية عبدالرحمن بن نامى احد علماء القوم المعتمد عليهم ومعه ثلاثة منهم فاجتمع بسيدنا الشريف غالب وتذاكرا فى الصلح وانحسام هذا الجرح ورجع فى يومه الى الحسينية يخبر بما وقع بينهما من الاتفاق وبعد يومين نهب عثمان ابلا للشريف كانت ترعى فى أرض الحرم فاركب مولانا الشريف ستة من الخيل تقتفيها وتأتيه بالخبر

﴿ الغزية الخامسة والخمسون ﴾

وهى الغزية الخامسة والخمسون فأحاط بهم نحو الستين من خيل الوهابية كانوا خلف الجبال وقتلوا ثلاثة وقبضوا على اثنين ونجا السادس وهو السيد راجح بن عمرو الشنبرى فعند ذلك أرسل مولانا الشريف نحو ستين خيالا

﴿ الغزية السادسة والخمسون ﴾ وهى الغزية السادسة والخمسون فلما وصلوا الى ذلك الموضع لم يجدوا أحدا

﴿ ذكر انعقاد الصلح بين مولانا الشريف وأحد علمائهم على دخول مكة ﴾

ثم رجع عبدالرحمن بن نامى من الحسينية واجتمع بمولانا الشريف وتم معه الصلح على ان الشريف يأذن لهم فى الدخول الى الحج ثم يتوجهون الى بلادهم وان الناس يدخلون فى الطاعة ويكون امر مكة واحكامها تحت نظر مولانا الشريف واشترط عليهم امورا منها اعادة الحسينية وغرامة ماذهب فيها من الكثير والقليل حتى دية المقاتيل وغير ذلك مما اشترطه فيما فيه الصلاح والرفق بأهل البلد الحرام واذن لهم بدخول مكة وانهم يرسلون مكاتيبهم الى سعود يخبرونه بما صار عليه الاتفاق وينتظرون الجواب فدخل بعد هذا كثير من اهل مكة الذين كانوا قد خرجوا الى الحسينية وتنازلت الاسعار واطمأنت القلوب ثم دخل عثمان وسالم بن شكبان لاربع بقين من ذى القعدة وفرج الله على المسلمين تلك الشدة ثم دخل اولئك الجيوش مكة وملؤا كل زقاق وسكة وجعلوا يركضون فى الطواف ويشيرون الى الحجر الاسود بالمشاعيب والبواكير ثم خيموا بالابطح وفى اليوم الثالث من ذى الحجة وصل عبدالوهاب ابونقطة بجنوده ونزل ايضا بالابطح وفى اليوم الثامن توجهوا الى عرفة ووصل الحج الشامى يوم الثامن وكان اميره عبدالله باشا ومعه قوة زيادة عن المعتاد وكان معه نحو الف وخمسمائة خيال وكان فى مجيئه وقع بينه وبين قبيلة حرب قتال شديد لانهم تعرضوه فى الطريق فجلس له بداى شيخ حرب ومعه قوم كثير وابن جبارة شيخ جهينة ومعه قوم كثير فى جبال النازية يمينا وشمالا فقاتلهم ورماهم بالمدفع وامر بعض العسكر ان تصعد لهم فى الجبال بخيولهم فقتل منهم خلقا كثيرا وأذاقهم العذاب الاليم وفى يوم العيد عرض قوم ابى نقطة على مولانا الشريف وبعد تمام الحج نزلوا بالمحصب وفى هذا الاثناء جاء ابونقطة لمنزل مولانا الشريف وسلم عليه وقدم له مولانا الشريف حصانا مرختا وألبسه فروا سمورا وشالا وسيفا وأقاموا بعد سفر الحجوج الى الحادى عشر من محرم ثم ارتحلوا وكانوا مدة اقامتهم بمكة مصابين بداء الجدرى فأفنى منهم خلقا كثيرا حتى صاروا يحفرون لهم حفرا ويضعون الموتى بعضهم لبعض ويدفنونهم فى الحفر وكان الكثير منهم مدة اقامتهم بمكة أيضا يوجرون أنفسهم فى مايحتاجه أهل مكة من الخدم كالاحتطاب وحمل القمائم ونزح الغائط من المراحيض ونحو ذلك فانظر كيف أعز الله جيران بيته وأذل أولئك القوم الذى جاؤا لقتلهم وسبى أطفالهم وأخذ أموالهم فمنعهم عنهم وسخرهم لخدمتهم ثم ان سيدنا الشريف فى افتتاح سنة احدى وعشرين رتب محاكمه فأرسل وزيرا الى ينبع ومعه خمسون خيالا ومائتان من العسكر وأرسل مأمنين من الاتراك الى سواكن ومثلها الى مصوع ونزل هو الى جدة واقام بها مدة ورتب أمورها وأمر باصلاح السور وعمارة الخندق وأمر ببناء برج على نفس باب البغاز المسمى بالعلم يمنع الداخل الى المرسى ان قصده عنوة وفى غاية صفر وصل من الدرعية عشرون رجلا وفيهم حمد بن ناصر احد علمائهم وكان مولانا الشريف بجدة فنزلوا الملاقاة فاجتمعوا به وأعطوه ما كان معهم من المكاتيب من سعود وفيها اتمام أمر الصلح ونزل حمد بن ناصر الى مسجد عكاش وأمر

بجمع الناس له وقرأ عليهم رسالة محمد بن عبد الوهاب التي يكفر فيها المسلمين وحضر التجار والاعيان وطلبة العلم وكافة الناس ثم أمر مولانا الشريف بهدم قبب الصالحين لتطييب قلوب أولئك المعاندين وأمر أهل جدة ومكة بالامساك عن شرب التنباك وان لايباع في حانوت وأمر الناس ان يدخلوا المسجد حين يسمعون الاذان لأداء صلاة الجماعة وأمر العلماء أن يقرؤا الرسائل التي ألفها ابن عبد الوهاب لتأسيس ما ابتدعه ونهى عن تكرير الجماعة في المسجد الحرام وان لايصلي الامام واحد وان يقتصروا على الاذان على المنائر ويتركوا التسليم والتذكير والترحيم واتما وافقهم مولانا الشريف وكافة الناس على ذلك كله مدارة لهم ودفعا لشرهم وأبطل مولانا الشريف ضرب نوبته ونوبة والي جدة فلما ظهر ذلك كله لحمد بن ناصر ظن ان ذلك فعلوه معتقدين فيه ظاهرا وباطنا فتوجه الى الدرعية يعرفهم بتلك الطاعة وأرسل معه مولانا الشريف من جهته شيخ السادة السيد محمد بن محسن العطاس فغاب شهرين ورجع بالجواب وسيدنا الشريف مازال مقيما بجدة فنزل اليه وأعطاه الجواب فاحتاج مولانا الشريف الى اعادة جواب آخر لهم فأرسل به محسنا الشبلي فغاب شهرا ويومين ورجع وفي الخامس والعشرين من شهر جمادى الآخرة وقع بمكة قتال شديد بين الاتراك والعبيد وسيدنا الشريف بجدة فأرسل وامرهم بالكف عن القتال فكفوا وكان من جملة القتلى ولد مرضى العميري وكان أخوه بجدة فجاء مكة لأخذ لثار فوجد تركيا فطعنه برمح فثار القتال مرة ثانية فبلغ مولانا الشريف الخبر وهو بجدة فعلم ان هذه الفتنة لاتسكن الا ان وصل بنفسه فجاء الى مكة في شهر رجب وأسكن تلك الفتنة وكان الفائت في تلك الفتنة نحو عشرين مابين قتيل ومصويب وكانت مدة الحرب اربعة ايام ولياليها ثم بعد وصول سيدنا الشريف سأل عن كانوا اصول هذه الفتنة فانتقم منهم بالتسفير والحبس والقتل لرئيس تلك الفتنة وهو محمد اوض باشا ولما وقعت هذه الفتنة فرح عثمان المضايفي ليجعلها قدحا في مولانا الشريف وعدم كفايته لضبط مكة فركب من الطائف الى الدرعية ليخبر سعودا بهذه القضية فكان توجهه في الخامس من رجب ورجع بعد خمسة وثلاثين يوم ولم يصادف لكلامه قبولا عند سعود

﴿ ذكر بناء قلعة الهندي سنة ١٢٢١ ﴾

وفي السابع والعشرين من رجب امر مولانا الشريف ان يبنى له حصن على رأس الجبل المسمى بجبل الهندي وتم بناؤه في عاشر رمضان فحصنه بالرجال والذخائر وفي آخر يوم من رمضان وقع قتال أيضا بين العبيد والاتراك وعزلت الاسواق وترس كل منهم بمكان مكين فشمر مولانا الشريف ساعده لاطفاء هذه الفتنة وما خرج الناس من صلاة المغرب الا وقد خمدت ولم يقتل من الطرفين سوى اثنين وعيدت الناس

﴿ ذكر وصول الشريف عبدالله بن سرور وتوجهه الى الدرعية وحبسه في السورقية ﴾

وفي ثالث شوال وصل الشريف عبدالله بن سرور من القسطنطينية بعد غيابه عن مكة أربع سنوات لانه خرج سنة سبع عشرة ورجع سنة احدى وعشرين بعد ان وصل الى أبواب السلطنة وأراد ان يولوه شرافة مكة فما كان له في ذلك نصيب ولما وصل مابين الحرمين لم يطب له دخول مكة مدة شرافة عمه لكونه تكلم فيه عند السلطنة فتوجه الى الدرعية واتجه بأميرها سعود وأعطاه على الدخول في دينه المواثيق والعهود درجاء ان يوليه شرافة مكة فلم يفعل ذلك سعود فطلب منه امارة الطائف حين أيس من أمارة مكة فلم يعطيه ايضا فطالت اقامته هناك وضاق به الحال واشتاق الى الوطن فطلب الاذن في الرجوع فلم يأذن له الا الى السورقية فرجع اليها كأنه محبوس فمكث ثلاث سنين وصار يكاتب سعودا ويستأذنه في الرجوع الى مكة فأذن له بعد مضى ثلاث سنين فلما أقبل على مكة وكان بين الجمالية وأبي الدود أرسل لعمه كتابا يستأذنه في الدخول فلم يأذن له فتوسط بعض السادة الاشراف بينه وبين عمه وكفلوا لعمه مايخشى منه من الفساد ومضى على ذلك ثلاثة أيام فلما سمع عثمان المضايفي بكل ما كان وكان قد بلغه أنه طالب امارة الطائف وتكلم فيه عند سعود أرسل جماعة من عدوان وأمرهم بالقبض على عبدالله بن سرور من أي مكان كان فوجدوه في ذلك الموضع فقبضوا عليه ونقلوه محمولا اليه فلما مثل بين يديه أمر بالسجن عليه ومعه جماعة من الاشراف قيل انه مكث في السجن سنة أشهر ثم أطلقهم

ثم ان الشريف عبد الله بن سرور مكث بعد ذلك في الجبال أكثر المدة والسنين وهو موضع قريب من الطائف ولما جاء محمد على باشا وقبض على مولانا الشريف غالب وولى مولانا الشريف يحيي بن سرور شرافة مكة كان أخوه الشريف عبد الله بن سرور غائبا بالجبال وكان أكبر من أخيه الشريف يحيي فكان يؤمل ان شرافة مكة تكون له مع كثرة طلبه لها ومحاولته عليها فلما تولاها أخوه الشريف يحيى ضاق ذرعه ونزل الى مكة وكان أخوه الشريف يحيي يعظمه ويجله كثيرا فلم تطب نفسه بذلك بل كان يحقر أخاه ويسفه عليه جهارا في وجهه فشكاه للوزير محمد على باشا فقبض عليه وأرسله الى مصر محبوسا فمكث فيها مدة ثم أطلق بشفاعة أخيه الشريف يحيي وقيل بل خرج هاربا خفية فرجع الى مكة ثم انتقل الى الجبال وأقام به الى ان توفى سنة تسع وثلاثين بالجبال فنقل منه الى مكة ودفن بها فانظر الى تقدير الله تعالى حيث لم يجعل له نصيبا في توليته شرافة مكة ومانفعه كثرة جده واجتهاده في ذلك فانه حارب عمه الشريف غالبا في أول مدة ولايته ثم توجه الى أبواب السلطنة فلم يصادف قبولا ثم الى الدرعية فلم ينل مايروم بل أعقبه ذلك الحبس والاهانة فعلى العاقل أن يستسلم لقضاء الله وقدره ويرضى بقسمته فان قدر له شيء يهيئ الاسباب لذلك الشيء حتى يكون ولما رجع عثمان المضايفي الى الدرعية ولم يحصل له من الطعن في مولانا الشريف طائل أمر العربان بقطع الطرق مشاققة لمولانا الشريف وكان عثمان أعطاه سعود أمارة العربان فغلت الاسعار بمكة ووقع للناس شدة وصار الناس كالمحصورين بمكة لقطع الطرق فأرسل مولانا الشريف الى سعود وعرفه بما هو حاصل لجيران بيت الله تعالى وعرفه الاسباب الموجبة لذلك فأرسل سعود لعثمان ومنعه عما كان ففرج الله على الناس تلك الشدة وكانت مدتها قليلة بالنسبة لما قاسوه من الحصر الذى كان في سنة عشرين قيل ان مدة الشدة هذه الاخيرة كانت ثمانية ايام فزالت لله الحمد بهمة مولانا الشريف ثم أن مولانا الشريف غالبا في جميع السنين التي كان فيها تغلب الوهابي على مكة كان يصانعهم ويداريهم بالاموال الجزيلة بحيث كانت هداياه تصل الى أكثر امرائهم وعلمائهم وأعوانهم يفعل ذلك مدافعة عن نفسه وحماية لبقاء ملكه ووقاية لاهل مكة أن ينالهم من أحد الوهابية مكروه ومع ذلك كان يكاتب الدولة العلية سرا ويحثهم على تعجيل تجهيز عساكرهم لانقاذ الحرمين من الوهابية واستمر الحال الى ان انقضت المدة التي قدر الله استيلاءهم على الحرمين فيها وكان سعود وكثير من أمرائهم يأتون في كل سنة الى الحج بجنود كثيرة فيكرمهم مولانا الشريف ويهيئ لهم الضيافات الكثيرة وفي سنة عشرين لما جاء الحج الشامي والمصرى الى مكة قال الامير سعود لامراء الحجين ماهذه العويدات التي تأتون بها وتعظمونها يعنى المحمل الشامي والمحمل المصرى فقالوا له قد جرت العادة من قديم الزمان باتخاذ المحملين يجعلونها علامة واشارة لاجتماع الحجاج فقال لاتفعلوا ذلك ولاتأتوا بهما بعد هذا العام وان أتيتم بهما فانى أكسرهما وكذا شرط عليهما ان لايصحبوا معهم شيأ من الطبل والزمر

﴿ ذكر رجوع الحج الشامي من الطريق من غير حج سنة ١٢٢١ ﴾

وفي سنة احدى وعشرين كان أمير الحاج الشامي عبد الله باشا فلما وصل هدية جاءته مكاتيب من الوهابي لاتأت الا على الشرط الذى شرطناه عليك في العام الماضى فلما قرؤا تلك المكاتيب رجعوا من هدية من غير حج

﴿ ذكر أمر سعود باحراق المحمل المصرى سنة ١٢٢١ ﴾

وأما المحمل المصرى فانه لما وصل أمر سعود باحراقه وأمر بعد الحج أن ينادى لايأتى الى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن وتلا المنادى في المناداة ياأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فانقطع مجيء الحج الشامي والمصرى من هذا العام

﴿ ذكر أخذ الوهابي مافي الحجرة الشريفة ١٢٢١ ﴾

وفي سنة احدى وعشرين أيضا أخذ الوهابي كل ماكان في الحجرة النبوية من الاموال والجواهر وطرد قاضي مكة وقاضي المدينة الواصلين لمباشرة القضاء سنة احدى وعشرين وأقاموا الشيخ عبد الحفيظ العجيمي من علماء مكة لمباشرة القضاء بمكة وأقاموا القضاء المدينة بعض علماء المدينة ومنعوا الناس من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ ذكر صدور الامر من السلطان سليم لمحمد على باشا بالتجهيز سنة ١٢٢٢ ﴾

فى سنة اثنتين وعشرين صدر الامر من مولانا السلطان سليم لمحمد على باشا صاحب مصر أن يجهز الجيوش والعسكر لقتال الوهابى واخراجه من الحرمين الشريفين وكان محمد على باشا قد تولى مصر سنة عشرين ووقع بينه وبين الصناجق المماليك الذين كانوا متغلبين على مصر محاربات ووقائع كثيرة والى هذا الوقت لم يصف له ملك مصر بل كان فى ارتباك كثير فلم يتيسر له ارسال الجيوش لقتال الوهابى بالحجاز وكانت تتكرر عليه الاوامر السلطانية بتعجيل التجهيز فلم يتيسر له ذلك الا فى أوائل سنة ست وعشرين فجهز جيشا عظيما وجعل سارى عسكره ابنه طوسون باشا وجعل معه من العلماء الشيخ المهدى والسيد أحمد الطحطاوى محشى الدر المختار ورئيس التجار السيد محمد المحروقى

ذكر وصول الجيش الى ينبع وقتاله مع الوهابى سنة ١٢٢٦

فتوجهوا من مصر فى رمضان سنة ست وعشرين ومائتين وألف فملكوا ينبع وما بعدها بسهولة الى ان وصلوا الصفراء وكان قد اجتمع فيها وفى جبالها ونواحيها كثير من قبائل العرب وأمرائهم وجاء عثمان المضايفى من الطائف ومعه قبائل كثيرة فوقع بينهم وبين العساكر المصرية فى ثالث عشر ذى القعدة من السنة المذكورة قتال شديد بين تلك الجبال فانهزم طوسون باشا ومن معه من العساكر وقتل كثير منهم واستولى العرب على أموالهم وذخائرهم وأكثر ما كان معهم وفرت العساكر هاربة فى كل ناحية ورجع من سلم منهم الى مصر وكذا المشايخ الذين كانوا مع ذلك الجيش وتأخر طوسون باشا بالقصير ينتظر الاذن من والده محمد على باشا ثم فى شهر المحرم افتتاح سنة سبع وعشرين شرع محمد على باشا فى تجهيز جيش آخر فبعث بعض العساكر من طريق البحر وجعل عليهم خزنداره المسمى بونابرته وامره ان يكون هو وابنه طوسون باشا فى ينبع لمحافظتها وجهز فى شهر صفر عساكر غيرهم لتسير من طريق البر وجعل عليهم صالح آغا السلحدار وجعله سارى عسكر العساكر المتوجهة من طريق البر ثم صار يوالى ارسال العساكر فى دفعات برا وبحرا فلما اجتمع كثير من عساكر البر والبحر فى ينبع معهم صناديق من الاموال أخذوا فى تألف العربان واستمالتهم ببذل المال وكان ذلك بعد مكاتبتهم مع شريف مكة مولانا الشريف غالب فكانوا يكاتبونه ويكاتبهم سرا فكانوا يعملون بتدبيره وبما يعتمد عليه فكان ذلك سبب اقبال مشايخ العربان عليهم وأرسلوا الى شيخ مشايخ حرب كافة فحضر فأكرموه فخلعوا عليه وعلى من حضر معه من أكابر العربان فألبسوهم الفراوى السمور والشالات الكشميرية ففرقوا عليهم من الشالات ملء أربع سحاحير وصبوا عليهم الاموال وأعطوا شيخ مشايخ حرب مائة ألف ريال فرانسة عينا ففرقها على المشايخ وخصه هو بمفرده من ذلك ثمانية عشر ألف ريال ثم رتبوا لهم علائف ونقودا تصرف لهم كل شهر فعند ذلك ملكوهم الارض وصاروا يسعون فى خدمتهم وتقدمهم الى أن أدخلوهم المدينة المنورة فى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة وأخرجوا من كان فيها من الوهابية وقبضوا على ابن مضيان الذى كان متأمرا فى المدينة وجاء الامير سعود فى هذا العام الى الحج ولم يطلع على مكاتبات الشريف غالب للعساكر المصرية فلما أتم الحج رجع الى بلاده بسرعة فكاتب الشريف غالب العساكر الذين فى ينبع فسار بعض العساكر من ينبع الى جدة من طريق البحر فلما وصلوا جدة فى أوائل المحرم من سنة ثمان وعشرين أدخلوهم وكان بمكة جماعة من الوهابية جعلوهم عسكرا فى القلعة يسمونهم المهاجرين فلما بلغهم وصول بعض العساكر الى جدة هربوا من القلعة فى الليل وأصبحت القلعة ومكة خاليتين منهم ثم توجه بعض العسكر من جدة ودخلوا مكة فقابلهم شريف مكة وأكرمهم فلما بلغ خبر هم الوهابية الذين بالطائف ألقى الله الرعب فى قلوبهم وهربوا من الطائف هم وأميرهم عثمان المضايفى ولما جاءت البشائر الى مصر باستيلاء العساكر على المدينة وجدة ومكة والطائف ضربت المدافع الكثيرة لذلك وأمر الباشا بالزينة خمسة أيام فى الاقطار المصرية فى شهر صفر سنة ثمان وعشرين وأرسل محمد على باشا مبشرا لدار السلطنة يبشرهم بفتح الحرمين وكان يسمى لطيف أفندى ولما وصل الى قرب اسلامبول خرج لمقابلته أعيان رجال الدولة وعند دخوله جعلوا له موكبا عظيما مشى فيه أعيان رجال الدولة وصحبته عدة مفاتيح قالوا انها مفاتيح المدينة ومكة وجدة والطائف ووضعوها على

صفائح الذهب والفضة وأمامها البخورات فى مجامر الذهب والفضة والعطر والطيب وخلفهم الطبول والزمور وضربوا لذلك مدافع كثيرة وعملوا شنكا وأنعم السلطان على لطيف أفندى وأعطاه خلعا وأنعم عليه بطوخين وجعله باشا وأهداه كثير من رجال الدولة وأنعمت الدولة على محمد على باشا بخلع وأطواق وخنجرين مجوهرين وسيف مجوهر وعدة أطواخ بولايات الباشوية لمن يريده ويختاره وسأل مولانا الشريف غالب مفتى مكة الشيخ عبد الملك القلعى وقال له هل جعلتم تاريخا لانتهاء مدة الوهابى فاجابه بقوله (قطع دابر الخوارج) فكان ذلك تاريخا فعد ذلك من بدائع المفتى عبد الملك ولا يدرى هل كان مهيئا ذلك قبل ان يسأله أو أنه استحضر ذلك حالا وعلى كل حال فهو من بدائعه فانه كان عالما متفننا متضلعا من العلوم رحمه الله تعالى ثم بعد استقرار كثير من العساكر بمكة والطائف شنوا الغارات على طوائف الوهابية الذين كانوا قريبا من الطائف وخرج الشريف غالب بنفسه مع العساكر وتلك الوقائع يطول الكلام بذكرها الى ان قتلوا كثيرا منهم وفرقوا جموعهم وقبضوا على كثير من امرائهم ومنهم عثمان المضايفى ولما قبضوا عليه سلموه لشريف مكة مولانا الشريف غالب فوضعه فى الحديد وحبسه ثم أرسله الى جدة ليوجهوه الى مصر وجاء البشائر لمحمد على باشا فى مصر بالقبض على عثمان المضايفى فى شهر شوال سنة ثمان وعشرين وكان محمد على باشا قد تهيأ الى التوجه الى الحجاز بنفسه فجاءته البشائر بالقبض على المذكور قبل توجهه ثم توجه فى الرابع عشر من شوال من السنة المذكورة ووصل الى جدة فى أواخر شوال ونزل مولانا الشريف غالب الى جدة لمقابلته وكان عثمان المضايفى قد بعثوا به الى مصر ومعه ابن مضيان قبل وصول محمد على باشا الى جدة فلم يلتق به ووصل عثمان المضايفى الى مصر فى منتصف ذى القعدة فأركبوه على هجين وأدخلوه فى ألاى لمرآه الناس ثم أرسلوه الى دار السلطنة ومعه ابن مضيان فطافوا بهما فى اسلامبول ثم قتلوهما ولما كان عثمان المضايفى فى مصر اجتمع به بعض رجال دولة محمد على باشا وحادثوه ساعة فرأوه فصيحا يجيبهم بجنس كلامهم بأحسن خطاب وأفصح جواب وفيه سكون وتؤدة فى الخطاب وعليه آثار الامارة والحشمة والنجابة ومعرفة مواقع الكلام حتى قال بعضهم لبعض يا أسفا على مثل هذا اذا ذهب الى دار السلطنة يقتلونه ولم يزل يتحدث معهم الى ان حضر الطعام فواكلهم وأقام عندهم ثلاثة ايام ثم وجهوا به الى دار السلطنة مع المحافظة عليه ولما وصل محمد على باشا لجدة جاءته رسل من الامير سعود يطلبون الافراج عن عثمان المضايفى ويفتديه سعود بمائة الف ريال وقالوا ان الامير سعودا يريد اجراء الصلح بينكم وبينه والكف عن القتال فتقابل هؤلاء الرسل أولا مع الشريف غالب وطوسون باشا وأخبروهما بما جاؤا لاجله ثم أوصلوهم الى مقابلة محمد على باشا فلما بلغوه رسالتهم بالمكالمة مشافهة وفهم مطلبهم فقال لهم أما عثمان المضايفى فقد توجه الى أبواب السلطنة وأما الصلح فلا نمتنع منه لكن بشروط منها ان يدفع لنا كل ما صرفناه على العساكر من ابتداء الامر الى وقت تاريخه وان يأتى بكل ما أخذه من الجواهر والاموال التى كانت بالحجرة الشريفة وكذلك ثمن ما استهلك منها وان يأتى بنفسه ويتلاقى معى وأتعاهد معه ويتم صلحنا بعد ذلك وان أبى ذلك ولم يأت فنحن ذاهبون اليه فقالوا له اكتب له جوابا فقال لا أكتب جوابا لانه لم يرسل معكم جوابا ولا كتابا وكما أرسلكم بمجرد الكلام فعودوا له كذلك فلما أصبح الصباح أمر باجتماع العساكر فاجتمعوا ونصب ديوانا وأجروا فيه تعليما على صورة الحرب وتابعوا الرمى بالبنادق والمدافع ليشاهد الرسل ذلك ويخبروا به مرسلهم ولما وصل محمد على باشا مكة احتفل به مولانا الشريف غالب غاية الاحتفال وبالغ فى ضيافته وأكرامه مع التحذر منه غاية التحذر وأنزله فى الشامية فى بيت القطرمى المعروف الآن ببيت باناعمة وأنزل ولده طوسون باشا فى الشامية أيضا فى بيت السقاط المقابل لبيت السيد على نائب الحرم الآن وكان محمد على باشا يعظم الشريف غالبا غاية التعظيم ويقبل يده ودخل معه الكعبة وتعاهد معه وكان محمد على باشا اذا ذهب اليه يذهب فى قلة من العسكر والاتباع ومن تحذر الشريف غالب منه انه حسن له ان العساكر الواردة ينبغى أنها اذا وصلت جدة من البحر تتوجه الى الطائف من جدة ولا تدخل مكة لئلا يحصل للناس ضيق فى الماء

لكثرة الحجاج الواردين في ذلك العام فوافقه محمد علي باشا على ذلك فكانت العساكر تتوجه من جدة الى الطائف ولا تدخل مكة ولم يكن في مكة الا العساكر الذين مع محمد علي باشا ومع ولده طوسون باشا بقدر الحاجة وكان عند الشريف غالب عساكر موظفون من أهل اليمن أربعمائة ومثلهم من الحضارمة ومثلهم من يافع ومثلهم من المغاربة ومثلهم من السليمانية الجميع نحو الالفين مفرقين في قلعات في أطراف مكة لأجل محافظة الاطراف وكان عنده من العبيد نحو الالف لمحافظة القلاع ولا يغني حذر من قدر وكان محمد علي باشا مأمورا من السلطنة بالقبض على الشريف غالب وارساله الى دار السلطنة فصار متحيرا في كيفية الوصول الى ذلك المطلب مع تحفظ مولانا الشريف هذا التحفظ ومع المعاهدة التي صارت بينهما فاستحسن ان يكون القبض عليه بمباشرة ابنه طوسون باشا لا بمباشرته وفاء بالعهد على زعمه فاظهر ان بينه وبين ابنه منافرة لسبب من الاسباب فتوجه ابنه الى جدة مظهرا انه مغاضب لوالده وأشيع ذلك بين الناس ثم كتب من جدة لحضرة مولانا الشريف ان يتوسط بالصلح بينه وبين والده وان يشفع له عند والده في حصول الرضا ففعل ذلك حضرة الشريف فقبل محمد علي باشا شفاعته فكتب حضرة الشريف لطوسون باشا بحصول قبول الشفاعة وطلب منه الحضور الى مكة ليجمع بينه وبين والده ليتم الصلح بينهما فتوجه الى مكة فلما وصل ذهب مولانا الشريف اليه في بيته للسلام عليه وليأخذه معه ويجمع بينه وبين والده ليتم الصلح بينهما وكان طوسون باشا قد عزم على القبض على الشريف اذا جاء اليه في ذلك اليوم باشارة من والده وكان ذلك بتدبير الشيخ أحمد تركي فلما وصل حضرة مولانا الشريف الى بيت طوسون باشا وجدا كثير عساكر محمد علي باشا مجتمعة مع عساكر ابنه طوسون باشا فلم ينكر ذلك لكون ذلك اليوم كان وصول طوسون باشا فظن انهم جاؤا للسلام عليه وكان مولانا الشريف في قلة من الخدم والاتباع فلما دخل الديوان عند طوسون باشا تفرق خدمه وأتباعه في الدهليز يتحدثون مع أتباع طوسون باشا ولما أقبل حضرة مولانا الشريف على الديوان خرج طوسون باشا لمقابلته وقبل يده وعظمه غاية التعظيم ودخل معه الديوان وجلسا يتحدثان ومنعا الناس من الدخول عليهما على عادة الامراء اذا اجتمعوا مع بعضهم وبعد قليل دخل عليهم من كبار العسكر عابدين بيك فدنا من حضرة الشريف وقبل يده وقبض على الجنبية التي تحزم بها مولانا الشريف ليأخذها من وسطه وقال له أنت مطلوب للدولة العلية فنظر مولانا الشريف فلم يجد عنده أحدا من أتباعه وباب الديوان مغلق بحيث لا يعلم من هو خارجه من العسكر وغيرهم ماهو حاصل داخله فلم ير مولانا الشريف الا الامتثال فقال له سمعا وطاعة ولكن أقضي أشغالي في ظرف ثلاثة أيام ثم أتوجه فقال لا سبيل الى ذلك فامتثل ما قالوه فأدخلوه في مخلوان الديوان وكان مهيأ مفروشا ولا يعلم أحد من العسكر وغيرهم ممن هو خارج الديوان بما صار في داخله وكان ذلك في أواخر ذي القعدة من السنة المذكورة أعني سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف ومكة ممتلئة من من الحجاج والاسواق قائمة بالبيع والشراء ولم يشعر أحد بذلك بل كان الناس يخوضون ويتحدثون في قدوم طوسون باشا من جدة لاتمام الصلح بينه وبين والده وفي وصول حضرة مولانا الشريف اليه للسلام عليه والذهاب به الى والده لاتمام الصلح بينهما ولم يخطر على قلب أحد شيء مما حصل ثم أن طوسون باشا كتب ورقة صغيرة وأرسلها الى والده يخبره بما فعل وينتظر بقية التدبير منه وكان الشيخ أحمد تركي عند محمد علي باشا حين مجيء الورقة اليه فتشاور معه فيما يفعلونه بعد ذلك فقال له الشيخ أحمد تركي ان الشريف غالبا له أولاد ثلاثة كبار فنخشى أن يحدثوا فتنة اذا علموا بالقبض على والدهم والقلاع بأيدي عبيدهم وعندهم كثير من العساكر الموظفة وهم تحت طوعهم فلابد من الاحتيال على أولاده حتى نقبض عليهم قبل ان يعلموا بالقبض على والدهم ثم ذهب الشيخ أحمد تركي الى مولانا الشريف غالب فدخل عليه وقبل يده وقال له ان أفندينا يسلم عليكم ويقول لا تهتموا ولا يكون لكم فكرة في شيء والقصد ان تقابلوا مولانا السلطان وترجعوا الى ملككم في أقرب زمن ويكون في مدة غيبتكم أحد أولادكم نائبا عنكم في مكة وقائما مقامكم فاذا طلبتموهم يحضرون عندكم وأخبرتموهم بحقيقة الامر لأجل ان يطمئنوا

ولا يحصل لهم تشويش فصدق مقالته وأمر بكتابة ورقة لأولاده ليحضروا عنده وختمها وأرسلها اليهم ولم يعلم أحد ممن هو خارج الدار بما هو حاصل باطنها فلما وصلت الورقة لأولاده الثلاثة الكبار حضروا فلما دخلوا دار طوسون باشا أدخلوهم في موضع لائق بهم قبل أن يصلوا الى والدهم ويجتمعوا به وأرسل طوسون باشا الى والده يخبره بذلك فتشاور محمد علي باشا مع الشيخ أحمد تركي فيمن يوجهون له امارة مكة قبل شيوع الخبر عند الناس ليحصل الأمن والاطمئنان فصار الاستحسان ان تكون الامارة للشريف يحيى بن سرور بن مساعد وهو ابن أخي الشريف غالب بن مساعد فأرسلوا من أحضره فألبسه محمد علي باشا فروا سمورا وشالا ثمينا وأحضر له صندوقا من المال وأركبوه على فرس مزين بالرخت ومشت القواسة بين يديه الى ان أوصلوه الى داره التي تجاه باب الصفا فحينئذ علم الناس بحقيقة الحال وارتجت البلد وعزلت الاسواق خوفا من حصول فتنة ولم يقع شيء من تلك الفتنة التي خافوا وقوعها وضربت النوبة عند دار الشريف يحيى وجاءت الاشراف ووجوه الناس للسلام عليه والتهنئة له وسكن اضطراب الناس هذه الرواية هي الصحيحة وقيل ان اولاده قبل القبض عليهم علموا بالقبض على أبيهم فأرادوا احداث فتنة فأرسل لهم محمد علي باشا يقول لهم ان وقع منكم حرب أحرقت البلاد وقتلت استاذكم ثم أرسل اليهم الشريف غالب وكفهم عن ذلك وجاءهم الشيخ أحمد تركي وقال لهم لم يكن هنا بأس وانما والدكم مطلوب في مشاورة مع الدولة ويعود بالسلامة وحضرة الباشا يريد ان يقلد كبيركم النيابة عن أبيه الى حين رجوعه ولم يزل بهم حتى انخدع كبيرهم لكلامه وقاموا معه فذهب بهم الى بيت طوسون باشا وجعلوا في موضع غير الموضع الذي فيه والدهم محفظا عليهم فلما كان الليل أركبوهم مع العسكر وتوجهوا بالجميع الى جدة وقيل كان ارسالهم الى جدة بعد القبض عليهم بثلاثة أيام وبعد القبض على الشريف غالب نهبت العساكر داره التي بجياد وأخذوا منها أموالا كثيرة وأخرجوا أهله منها بصورة شنيعة ثم بعد وصول الشريف غالب وأولاده الى جدة أركبوهم البحر وسيروهم على طريق القصير الى ان وصلوا الى مصر في شهر المحرم في سابع عشر من سنة تسع وعشرين فضربوا عدة مدافع اعلاما بوصوله واكراما له وقابله كبار رجال محمد علي باشا وقبلوا يده وعظموه وأنزلوه في منزل لائق به وأحضروا له ما يليق به من الاطعمة ولم يأذنوا لاحد من الاشياخ والتجار أن يأتوا للسلام عليه الا السيد المحروقي فانه كان رئيس التجار وكان معدودا من رجال محمد علي باشا وكان عندهم بمصر اقامة فرح لزواج اسمعيل باشا ابن محمد علي باشا فأعدوا مكانا على حدته في بيت الشرايبي وأحضروا فيه مولانا الشريف غالبا وأولاده ليتفرجوا على الملاعيب والبهلوانات نهارا والشنك والحراقات ليلا وعلى الشريف وأولاده الحرس ولا يجتمع بهم أحد على الصورة التي كانوا عليها بالمنزل الذي أنزلوا فيه أولا وصنعوا في ذلك الفرح أشياء يطول الكلام بذكرها ثم وصل في شهر صفر حريم للشريف غالب فعينوا له دارا يسكنها مع حريمه فسكنها ومعه أولاده وعليهم الحرس المحافظون وتجرى عليهم النفقات اللائقة بهم وفصل لهم كساوي من مقصبات وشمير وتفاصيل هندية وفي التاسع عشر من ربيع الاول من السنة المذكورة حضر الى مصر الشريف عبد الله بن سرور أرسله الباشا محمد علي منفيا من أرض الحجاز لاختلاف وقع بينه وبين أخيه الشريف يحيى قيل انه اذا جاء عند أخيه يتهاون به ويتعاظم عليه لكونه أكبر منه سنا ويخاطبه بغلظة وبكلمات فيها احتقار له فشكاه أخوه الشريف يحيى لمحمد علي باشا فقبض عليه ونفاه الى مصر فأنزلوه في منزل ولم يجتمع بعمه الشريف غالب ثم جمع به وفي الحادي عشر من شهر رجب هرب الشريف عبد الله بن سرور في وقت الفجر ولم يشعروا به الا بعد الظهر فلما بلغ كتخدا بك الخبر تكدر لذلك وأرسل الى مشايخ الحارات وغيرهم وبث العربان في الجهات فظفر وا به بعد ثلاثة أيام ففي ذلك الوقت ضيقوا عليه ومنعوه من الدخول والخروج بعد ان كان مطلق السراح يخرج من بيته الذي هو فيه ويذهب الى بيت عمه ويعود وحده فبعد هذا الهرب منعوه من الخروج وضيقوا عليه وعلى عمه أيضا وفي التاسع عشر من شعبان أنزلوا الشريف غالبا الى بولاق بحريمه وأولاده وعبيده وأعطوه خمسة آلاف كيس بدلا عما انتهب من أمواله بمكة بعد القبض عليه وكانت تلك الاموال كثيرة أكثر من

خمسمائة كيس التى أعطوه اياها وزودوه وأعطوه سكرا وبنا وأرزا وشرابات وغير ذلك ليتوجه الى سلانيك حسبما صدر الامر بذلك من السلطنة السنية و فى شهر ذى القعدة جاءت مكاتيب من محمد على باشا بارجاع الشريف عبدالله بن سرور الى الحجاز و كان ذلك بشفاعة أخيه الشريف يحيى فيه فوجهوه بعدان أعطوه أكياسا فقضى اشغاله وخرج مسافرا ورجع الى الحجاز وأما مولانا الشريف غالب فأقام بسلانيك الى ان توفى سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف رحمه الله تعالى وكانت مدة امارته على مكة نحوا من سبع وعشرين سنة ولنرجع الى ذكر اتمام الكلام السابق فنقول قد تقدم ان الشيخ أحمد تركى كان يشاوره محمد على باشا عند القبض على الشريف غالب وأولاده وسبب ذلك ان الشيخ أحمد تركى كان رجلا مطوفا وله دراية باحوال الحجاز وكان ذا عقل ومعرفة وكان أولا من خدم الشريف غالب المختصين به وكان يعتمد عليه فى مهمات أموره وكان يبعثه الى دار السلطنة فى المدة السابقة عند الاحتياج الى قضاء أشغاله فلما قدم محمد على باشا الى الحجاز جعله ملازماله فوجده محمد على باشا ذا خبرة ودراية بالامور فأحبه وقربه وصار يستشيره فى كثير من الامور ويعتمد على قوله ويعمل بما يشير به فيحصل النجاح بتدبيره ولما أراد الرجوع الى مصر أقام حسن باشا بمكة قائما مقامه وأمره ان يستشير الشيخ أحمد تركى فى مهماته وان يعتمد على مايقوله له فكان الامر على ذلك وكان الحل والعقد بيد الشيخ أحمد تركى وله أخبار وحكايات مشهورة بين الناس تشهد بعقله ودرايته بحسن السياسة وبقى الى ان توفى سنة خمس وثلاثين وصار له صيت وشهرة بين الناس وتقدم ذكر ولاية مولانا الشريف يحيى امارة مكة وهو ابن أخى مولانا الشريف غالب لانه الشريف يحيى بن سرور بن مساعد بن سعيد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبى نمى وكانت ولايته فى أواخر شهر ذى القعدة سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف بعد القبض على عمه مولانا الشريف غالب ولما ولاه محمد على باشا امارة مكة رتب له المرتبات الكثيرة من الدراهم والذخائر الا ان محمد على باشا كان يعتمد فى تدبير أمور الاشراف والعرب على الشريف شنبر بن مبارك المنعمى وكان ذلك بواسطة الشيخ أحمد تركى لانه كان بينه وبين الشريف شنبر المذكور محبة وصداقة فقربه وجعل تدبير أمور العرب بمعرفته وكان الشريف شنبر مشهورا بالعقل والديانة وحسن التدبير فصارت تلك الامور كلها بيده وكان ذلك سبب وقوع العداوة بينه وبين الشريف يحيى بن سرور الى أن قتله كما سيأتى وفى شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين جهز محمد على باشا ابنه طوسون باشا وعابدين بك بعساكر كثيرة ووجههم الى ناحية تربة وكان القائم بامارة تربة امرأة يقال لها غالية مشهورة بالشجاعة فى القتال واجتمع عندها كثير من أمراء الوهابية وجنودهم فوقع بينهم وبين العساكر المتوجهة اليهم مع طوسون باشا قتال شديد ثمانية أيام ثم رجع العسكر منهزمين ولم يظفروا بطائل لان العربان لما وقع القبض على الشريف غالب نفرت طباعهم من محمد على باشا وهاجر كثير من الاشراف وانضموا الى الاخصام وتفرقوا فى النواحى منهم الشريف راجح بن عمرو الشنبرى وكان مشهورا بالشجاعة فأتى من خلف العسكر وقت قيام الحرب وحاربهم ونهب الذخيرة والاحمال وقطع عنهم المددو قلت الجمال عند محمد على باشا وصار يشتريها من العربان المسالمين له بأغلى الاثمان ووقع غلاء شديد بمكة واحتكر الباشا الغلال الواصلة له من مصر لاحتياج العسكر وفى شهر ربيع الثانى من هذه السنة توفى سعود أمير الوهابية بالدرعية دار ملكه وتولى مكانه ابنه عبدالله وفى شهر ربيع الثانى أرسل محمد على باشا عساكر كثيرة الى ناحية القنفذة براوبحرا فاستولوا عليها وهرب من كان بها من الوهابية من قبائل عسير فلم يجدوا بها غيرأهلها وكان كبير العساكر المذكورة محمود بيك فقتلوا من وجدوه بها وقطعوا آذانهم وأرسلوها الى الباشا فأرسلها الى مصر ثم منها الى اسلامبول فلما سمع قبائل عسير بذلك تجمع كثير منهم وكان كبيرهم يسمى طامى أبانقطة وساروا الى القنفذة بعد مضى ثمانية أيام من دخول العساكر فيها وحاصروا العساكر وأحاطوا بالقنفذة ومنعوا العساكر من الماء فركبت العساكر وحاربوهم فانهزم العساكر وقتل كثير منهم وركب الباقون فى سفينة فغضب الباشا فارسل نجدة فحاربهم العرب فرجع العسكر أيضا منهزمين وفى شهر جمادى الثانية توجه محمد على باشا بنفسه الى الطائف لمحاربة الوهابية وابقى حسنا باشا بمكة ومازالت العساكر تأتيه من مصر متوالية دفعة بعد دفعة وكذا الذخائر وخزائن الاموال وورد الى جدة فى هذه السنة أموال كثيرة للتجار حتى بلغ قدر العشور التى أخذها الباشا أربعة وعشرين

لكافصار محمد على باشا رغب الناس ببذل الاموال وصالح الشريف راجحا الشنبرى وكثيرا من الاشرف ومشايخ العرب الذين كانوا فارين منه قيل انه أعطى الشريف راجحا مائتى كيس ورتب له مرتبات كثيرة فصار من جملة جنوده ثم توجه الباشا من الطائف الى كلاخ ورتب كثيرا من العساكر ووجههم الى جهات متفرقة ووجه ابنه طوسون باشا الى المدينة المنورة ثم رجع الى مكة وجعل عابدين بيك مع العساكر ثم أرسل اليه أيضا حسن باشا وبقى محمد على باشا بمكة الى ان حج سنة تسع وعشرين وبعد الحج توجه الى العساكر التى بالطائف وما فوقه فى افتتاح سنة ثلاثين وسار بهم بنفسه ووقع بينه وبين الوهابية حروب كان النصر فيها له عليهم فملك تربة ورنية وبيشة وتوجه الى بلاد عسير وكان معه كثير من الاشراف من أعظمهم الشريف محمد بن عون والشريف راجح الشنبرى وكان يستشيرهما فى كثير من الامور ويعمل بتدبيرهما فوصل الى بلاد عسير بعد ان ملك ماقبلها ثم ملكها وقتل فى محارباته كلها كثيرا من العرب وقبض على طامى كبير عسير وكان ذلك بتدبير الشريف راجح لم يزل ينصب الحبائل لطامى حتى قبض عليه فوضعه الباشا فى الحديد ثم أرسله الى مكة ثم منها الى مصر ثم الى دار السلطنة فقتلوه بها قيل ان الشريف راجحا جعل مالا جزيلا لابن أخى طامى وطلب منه القبض على عمه فصنع له وليمة فأتاه آمنا فقبض عليه وأرسله الى الشريف راجح فسلمه للباشا ولما دخلوا به مصر أركبوه على هجين وفى رقبته الجنزير مربوطا فى عنق الهجين وكان رجلا شهما عظيم اللحية وهو لابس عباءة ويقرأ القرآن وهو راكب لانه كان حافظا للقرآن وعملوا لدخوله شنكا وضربوا المدافع ثم أرسلوه الى دار السلطنة فطافوا به فى البلاد ثم قتلوه ولم يزل محمد على باشا يجول فى بلاد العرب ويقهر الخصوم ويبذل الاموال ويرتب الامراء فى كل موضع يستولى عليه الى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة أعنى سنة ثلاثين ثم رجع الى مكة ورتب بها مرتبات ومعاشات لكثير من الاشراف وغيرهم وهى باقية الى الآن لاولادهم وجدد ترتيب دفاتر الجراية المرتبة لاهالى مكة وكانت انقطعت فى مدة الوهابية ووجد محمد على باشا ترتيب تلك الدفاتر غير واقع موقعه لان كثيرا من الناس التجار والاغنياء استولوا عليها بالفراغات وصار كل واحد بيده نحو مائة اردب والناس الفقراء ليس لهم شئ فابطل ذلك كله ورتبها ترتيبا جديدا وهى باقية الى الآن ثم توجه الى مصر وأقام بمكة حسن باشا الارنووطى قبل توجهه الى مصر ووصل اليها فى النصف من رجب وأبقى ابنه طوسون باشا مع العساكر بالحجاز وفى شهر شعبان انعقد صلح بين طوسون باشا وعبد الله بن سعود على ترك الحروب والقتال وانه يذعن بالطاعة وتحقن الدماء وأرسل نحو العشرين من الوهابية لطوسون باشا لعقد الصلح فأرسل منهم الى مصر لمحمد على باشا فلم يعجبه هذا الصلح ولم يرتض به ولم يحسن نزل الواصلين اليه واجتمع به اثنان منهم فخاطبهما وعاتبهما على المخالفة فاعتذرا بأن الامير سعود كان فيه عناد وحدة مزاج وكان يريد الملك واقامة الدين وأما ابنه الامير عبد الله فانه لين الجانب والعريكة ويكره سفك الدماء على طريقة جده عبد العزيز فانه كان مسالما للدولة حتى ان الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة كان بينه وبينه غاية الصداقة ولم يقع بينهما منازعة ومخالفة فى شئ ولم يحصل التفاقم والخلاف لا فى أيام الامير سعود ومعظم الامر للشريف غالب بخلاف الامير عبد الله فانه أحسن السيرة وترك الخلاف وأمن الطرق والسبل للحجاج والمسافرين ونحو ذلك من العبارات والكلمات المستحسنات وانفض المجلس وانصرفا الى المحل الذى أمرا بالنزول فيه ومعهما بعض أتراك ملازمون لصحبتهما مع اتباعهما فى الركوب والذهاب والاياب فانه أطلق لهما الاذن الى أى محل أرادا فكانا يركبان ويمران فى الشوارع باتباعهما ومن يصحبهما ويتفرجان على البلدة وأهلها ودخلا فى الجامع الازهر فى وقت لم يكن به أحد من المتصدرين للاقراء والتدريس ومكثا بمصر أياما ورجعا الى الحجاز واستمر طوسون باشا فى الحجاز الى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة ثم رجع الى مصر بأمر من أبيه فكان وصوله الى مصر فى شهر ذى الحجة وضربوا لقدومه المدافع وزينت مصر وكان قد ولد له مولود فى مدة غيبته سموه عباسا وهو الذى تولى مصر لما كبر بعد عمه ابراهيم باشا كما سيأتى ان شاء الله تعالى وتوفى طوسون باشا سنة احدى وثلاثين بطاعون وقع بمصر تلك السنة وعمره نحو عشرين سنة وبقى أمر محمد على باشا نافذا بالحجاز وعساكره فى كل ناحية ونائبه بمكة حسن باشا ومستشاره بها الشيخ أحمد تركى والشريف شنبر المنعمى ولم ينقطع ارسال العساكر من مصر

الحجاز ثم أرسل محمد على باشا ابنه ابراهيم باشا الى الحجاز فى المحرم من سنة اثنتين وثلاثين لاستكمال محاربة الوهابى
للاستيلاء على الدرعية وهى دار الملك لعبدالله بن سعود واسلافه فتوجه ابراهيم باشا ومعه عساكر كثيرة زيادة
على ما أرسل قبل ذلك من العساكر وأصحبه من صنايف الاموال ما لا يدخل تحت الحصر ولم يزل سائرا حتى وصل
الى مكة ثم توجه بالعرضى الى الدرعية وملك كل أرض وصل اليها بلا معارض ومعه كثير من العرب الذين دخلوا فى الطاعة
الى ان وصل الى محل يقال له الموتان فى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة فوقع بينه وبين الوهابية قتال شديد
وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ منهم أسرى وخياما ومدافع ولما وصلت البشائر الى مكة ضربوا
لذلك مدافع وكذا فعلوا فى مصر لما جاءتهم البشائر ثم قصد ابراهيم باشا قرية تسمى الشقراء كان بها عبدالله بن سعود فلما سمع
بقرب ابراهيم باشا منه خرج هاربا الى الدرعية ليلا فجاء ابراهيم باشا الشقراء وملكها وكان بينها وبين الدرعية يومان ثم تقدم
الى ان حاصر الدرعية بعساكره ومن كان معه من العرب واتفق فى مدة الحصار ان ابراهيم باشا غاب مدة فى جهة من نواحى
الدرعية لأمر يبتغيه وترك عرضيه فاغتنم الوهابية غيبته وكبسوا على العرضى على حين غفلة وقتلوا من العساكر جملة
وافرة وأحرقوا الجبخانة فلما وصلت الاخبار الى مصر بذلك قوى اهتمام محمد على باشا وأرسل جملة من العساكر فى دفعات
ثلاث برا وبحرا تتلو بعضهم بعضا وأصحبهم كثيرا من الجبخانة والدراهم والذخائر ولم يزل ابراهيم باشا يغير على أطرافهم
ويشدد الحصار عليهم ولما وصلت العساكر المرسلة ازدادت قوته وقوى عزمه ووقع له معهم وقائع الى أن استولى على الدرعية
وملكها فى شهر ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف وجاءت البشائر الى مكة فضربت المدافع ولما وصلت البشائر الى مصر
فرح محمد على باشا بذلك وصار له سرور عظيم وضرب لذلك نحو ألف مدفع وصنعوا لذلك شنكا وزينة قيل ان عدد المدافع
التى ضربت فى أيام الزينة بلغت ثمانين ألف مدفع وكان محمد على باشا قبل ذلك مهتما بأمر ابراهيم باشا وكان يوالى ويتابع له
ارسال الذخائر والاموال من الذهب والفضة بالاحمال حتى أنهم فى مرة من المرات حملوا ذخيرة على جمال العرب خاصة من
ينبع الى المدينة بلغت أجرة تلك الجمال فى تلك المرة خمسة واربعين ألف ريال عن أجرة كل بعير ستة ريالات يدفع نصفها
أمير ينبع والنصف الآخر أمير المدينة عند وصول ذلك ثم صرفوا على تلك الدفعة بعينها من المدينة الى الدرعية مبلغ لمائة
وأربعين ألف ريال وكان مثل ذلك مستمر التكرار والبعوث ويحتاج الى كنوز قارون وهامان واكسير جابر بن حيان
واذا نظرت الى هذا والى ما أنفقه محمد على باشا من ابتداء التجهيز الى الحجاز الى آخره تعلم ان ذلك شئ لا يعد ولا يحصى ولا يمكن فيه
الاستقصا ولما استولى ابراهيم باشا على الدرعية قبض على عبدالله بن سعود أمير الدرعية وعلى كثير من قرابته وعشيرته
وأولاده واعوانه وأخرب الدرعية بحيث صارت لا تسكن فاستبدل من بقى من أهلها سكنى الرياض وجعلوها بدلا عنها
وتركوها آخر ايام ان ابراهيم باشا أرسل عبد الله بن سعود وكثيرا ممن قبض عليهم من عشيرته الى مصر
فى أوائل المحرم افتتاح سنة أربع وثلاثين وأدخلوه مصر وهو راكب على هجين وامامه كثير من العساكر
وخرج الناس افواجا للتفرج ركبانا ومشاة ونساء وأطفالا وكان يوما مشهودا لا يكاد يوصف ما وقع فيه من نصب الملاعب
وشدة الازدحام وضربوا عند دخوله مدافع كثيرة وذهبوا به الى بيت اسمعيل باشا ابن محمد على باشا ببولاق فأقام يومه
ثم ذهبوا به فى صبحها عند الباشا بشبرى فلما دخل عليه قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه وقال له ما هذه
المطاولة فقال الحرب سجال قال وكيف رأيت ابراهيم باشا قال ما قصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ما قدره المولى
فقال الباشا انا ان شاء الله ترجى فيك عند مولانا السلطان فقال المقدر يكون ثم ألبسه خلعة وانصرف الى بيت
اسماعيل باشا ببولاق وكان صحبة عبدالله بن سعود صندوق صغير مصفح فقال له الباشا ما هذا فقال هذا ما أخذه ابى
من الحجرة اصحبه معى الى السلطان وفتحه فوجد فيه ثلاثة مصاحف قرآنا مكللة ونحو ثلاثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبة زمرد
كبيرة وبها شريط ذهب فقال له الباشا الذى اخذه من الحجرة اشياء كثيرة غير هذا فقال هذا الذى وجدته عند
ابى فانه لم يستأصل كل ما كان فى الحجرة لنفسه بل اخذ كذلك كبار العرب واهل المدينة واغوات الحرم وشريف مكة

فقال الباشا صحيح وجدنا عند الشريف غالب اشياء من ذلك وفى التاسع عشر من محرم من السنة المذكورة سافر عبد الله بن سعود الى جهة الاسكندرية وصحبته جماعة من العسكر الى دار السلطنة ومعه خدم لزومه وفى هذه السنة أرسل محمد على باشا خليلا باشا ابن أخته بعساكر الى الحجاز فتوجه الى اليمن واستولى عليه صلحا ثم صار محافظا لمكة بدل حسن باشا وتوجه حسن باشا الى مصر ولما وصل عبد الله بن سعود الى دار السلطنة طافوا به البلدة ليراه الناس ثم قتلوه عند باب همايون وقتلوا كثيرا من أتباعه فى نواح متفرقة وفى شهر رجب من السنة المذكورة وصل كثير من الوهابية الى مصر أرسلهم ابراهيم باشا بحريمهم واولادهم نحو الاربعمائة ومعهم أيضا اولاد عبد الله بن سعود وكثير من عشيرته واقاربه فأسكنوا بالقشلة التى بالازبكية واولاد عبد الله بن سعود وخواصه بدار عند جامع مسكة وطفقوا يذهبون ويجيؤن من غير حرج عليهم وكانوا يترددون على المشايخ وغيرهم ويمشون فى الاسواق ويشترون البضائع والاحتياجات وبعد ان حج ابراهيم باشا سنة أربع وثلاثين توجه الى مصر فوصل حريمه اليها فى أواخر ذى الحجة من السنة المذكورة ووصل هو فى الحادى والعشرين من صفر سنة خمس وثلاثين ونودى بالزينة سبعة أيام وضربت المدافع عند قدومه ودخل فى موكب حافل وفى أوائل رجب من سنة خمس وثلاثين توفى خليل باشا بالحجاز فخلع محمد على باشا على أخيه أحمد بيك وقلده منصب اخيه بالحجاز عوضا عنه ثم صيره باشا بعد ذلك وطالت مدته بالحجاز حتى صار يقال له أحمد باشا الحجازى فانه تولى سنة خمس وثلاثين وعزل سنة اربع واربعين واعيد سنة ثمان وأربعين ومكث الى سنة ست وخمسين وسيأتى مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى وفى سنة ست وثلاثين قبض حسين بيك على كثير من كبار الوهابية وأرسلهم الى مصر وسبب ذلك انهم كانوا هربوا من ابراهيم باشا حين اخذ الدرعية فلما ارتحل ابراهيم باشا وعساكره من الدرعية رجعوا اليها وكان منهم عمر بن عبد العزيز واولاده وابناء عمه وتركى بن عبد الله بن أخى عبد العزيز وولد عم سعود ومشارى بن سعود لكن مشارى كان ممن قبض عليه ابراهيم باشا وهرب من العسكر الذين كانوا مع أولاد سعود وجماعتهم حين ارسلهم ابراهيم باشا الى مصر وكان هربه فى الحمراء وهى قرية قريبة من الصفراء وذهب الى الدرعية واجتمع عليه من فرحين قدمت العساكر مع ابراهيم باشا وأخذوا فى تعمير الدرعية ورجع أكثر أهلها وقدموا عليهم مشاريا ودعا الناس الى طاعته فأجابه الكثير منهم فكانت تتسع دولته وتعظم شوكته فلما بلغ محمد على باشا ذلك جهز له عساكر رئيسها حسين بيك فأوثقوا مشاريا وأرسلوه الى مصر فمات فى الطريق واما عمر وأولاده وبنو عمه فتحصنوا فى قلعة الرياض المعروفة عند المتقدمين بحجر اليمامة وبينها وبين الدرعية أربع ساعات للقافلة فنزل عليهم حسين بيك وحاصرهم وحاربهم ثلاثة أيام أو أربعة فطلبوا الامان لما علموا أنهم لا طاقة لهم به فأعطاهم الامان على أنفسهم فخرجوا اله الا تركيا فانه خرج من القلعة ليلا وهرب ثم صار له ملك بالرياض بعد سنين ثم ثار عليه رجل من آل سعود يقال له مشارى فقتله وكان لتركى ولد يقال له فيصل كان وقت قتل أبيه فى الغزو فلما بلغه مقتل أبيه جاء بمن معه من رجال الغزو فقتل مشاريا الذى قتل أباه واستقل فيصل بالملك وسيأتى ان شاء الله تمام الكلام عليه واما حسين بيك فانه قيد الجماعة وأرسلهم الى مصر فصاروا مع جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت وفى هذه السنة جهز محمد على باشا عساكر كثيرة الى السودان مع ابنه اسماعيل باشا فاستولى على سنار ومواضع من السودان ثم قتل فتابع محمد على باشا ارسال العساكر على السودان حتى استولى على كثير منها وقد تقدم ذكر ولاية مولانا الشريف يحيى بن سرور بن مساعد امارة مكة سنة ثمان وعشرين فى أواخر ذى القعدة بعد القبض على مولانا الشريف غالب وكانت مباشرة احكام الاشراف والعرب عند محمد على باشا وممن كانوا نائبين عنه بعد رجوعه الى مصر وكانوا يستعينون بالشريف شنبر بن مبارك المنعمى بواسطة الشيخ أحمد تركى لانه كان صديقا للشريف شنبر فقربه وادناه وتوفى الشيخ أحمد تركى سنة خمس وثلاثين كما تقدم وبقى الشريف شنبر مقربا عند أحمد باشا يفوض اليه اكثر أحكام الاشراف والعرب وما يتعلق بهم فاستحكمت العداوة بين الشريف يحيى والشريف شنبر وحصل بينهما معارضات ومنافسات

فى قضايا كثيرة واستمر الحال الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف والناس يوشون بينهما ويوقعون الفتن بنقل كثير من الكلام الذى يحصل منه تكدير النفوس فعزم الشريف يحيى وصمم على قتل الشريف شنبر فجاءه الشريف يحيى وهو فى المسجد عند باب الصفا بعد صلاة المغرب فقتله بيده بالسلاح ليلة الثانى عشر والعشرين من شهر شعبان سنة اثنتين وأربعين ومائتين والف فارتج المسجد والبلاد وعزلت الاسواق وفزع الناس فزعا شديدا وكانت ليلة مهولة فأحضر أحمدباشا العساكر وصب الرصاص وأحضر آلات الحرب وتترس الشريف يحيى فى داره التى عند باب الوداع وأراد أحمدباشا القبض عليه فلم يمكنه ذلك وأدار المدافع التى فى قلعة جياد على الشريف يحيى لقربها منه وتهدده بان يضرب بها داره وتردد الشيخ محمد الشيبي فاتح بيت الله الحرام بينهما الى أن تم الامر على أن الشريف يحيى يتوجه الى مصر من طريق البر وأقر واعترف بانه هو الذى قتل الشريف شنبرا بيده حتى انه قيل له أنكر قتله وأسنده الى بعض العبيد فأبى وقال بل قتلته بيدى ولا أنكر ذلك ثم لما أصبح الصباح أخذ فى التجهز للسفر وركب بعد الظهر على ركائبه ومعه بعض أتباعه وعبيده وتوجه على طريق الوادى فأدركه دخول شهر رمضان وهو ببدر فصام رمضان ببدر ونكص عن التوجه الى مصر وجاءه مشايخ حرب ووعدوه بالاعانة والنصرة له وانهم يقومون معه حتى يرجعوه الى دار ملكه فاغتر بقولهم ومكث فى بدر الى تمام السنة ولما دخلت سنة ثلاث وأربعين اخذ فى الشروع فى جمع القبائل ليرجع الى مكة وكان أحمدباشا بعد مقتل الشريف شنبر أنهى الامر الى محمد على باشا والتمس منه ان تكون امارة مكة للشريف عبدالمطلب ابن الشريف غالب وكان الشريف عبدالمطلب واخواه الشريف على والشريف يحيى حين صار القبض على ابيهم صغارا فكبروا وصاروا فى هذا الوقت رجالا وكان الشريف عبدالمطلب اكبرهم فاستحسن أحمدباشا أن تكون الامارة للمذكور وعرض ذلك لمحمد على باشا فأبطأ عليه الجواب الى تمام سنة اثنتين وأربعين فلما بلغه ان الشريف يحيى يجمع قبائل حرب ويريد المجئ للقتال استحسن ان يعجل بتولية الشريف عبدالمطلب ليجمع جموعا يقابل بها الشريف يحيى اذا جاء للقتال فعقد مجمعا فى ديوان الحكومة وأحضر العلماء وكبار الاشراف ووجوه الناس وأبرز صورة فرمان بولاية الشريف عبدالمطلب ونودى له فى البلاد وضربت المدافع وضربت النوبة عند داره وجلس للناس فجاؤه للسلام عليه والتهنئة له وكتب للقبائل وشرع فى جمعها ليقاتل بها الشريف يحيى بن سرور وفى أثناء ذلك جاءت الاخبار من مصر فى شهر صفر بأن محمد على باشا استحسن ان تكون امارة مكة للشريف محمد بن عبدالمعين بن عون بن محسن بن عبدالله بن حسين بن عبدالله بن حسن بن أبى نمى وانه أرسل يطلب له الفرمان السلطانى من مولانا السلطان محمود الثانى ابن عبدالحميد الاول وكان الشريف محمد بن عون اذ ذاك بمصر نزيلا عند محمد على باشا فى عز واكرام لانه لما كان محمد على باشا بالحجاز كان قد أقام الشريف محمدا المذكور أميرا على تربة ثم أقامه أميرا على قبائل عسير ومن يتبعهم من القبائل والقرى ثم بعد سنين من امارته فيهم وقع بينه وبينهم اختلاف فخرج عنهم وكتب الى مصر لمحمد على باشا يطلب منه تجهيز عساكر لمحاربة قبائل عسير فأرسل محمد على باشا عساكر كثيرة من العساكر النظامية وكان ذلك فى ابتداء حدوث العساكر النظامية فتوجه الشريف محمد بتلك العساكر لمحاربة عسير سنة تسع وثلاثين فوقع انهزام لتلك العساكر وقتل فى ذلك القتال الشريف راجح بن عمرو الشنبرى فرجع الشريف محمد بن عون الى مصر وبقى بها الى افتتاح سنة ثلاث وأربعين نزيلا عند محمد على باشا فى عز واكرام فلما وقع قتل الشريف يحيى للشريف شنبر المنعمى استحسن محمد على باشا ولاية الشريف محمد بن عون لما يعلم فيه من الشجاعة والكفاية واللياقة لامارة مكة فجعل الامر مكتوما وأرسل يطلب الفرمان من مولانا السلطان محمود فلما جاءت الاخبار بولاية الشريف محمد بن عون بعد ان ولى أحمدباشا الشريف عبدالمطلب حسبما تقدم ذكره وقع الاختلاف والتنافر بين أحمد باشا والشريف عبدالمطلب وكان أحمد باشا بالطائف وكذا الشريف عبد المطلب أيضا كان بالطائف يجمع القبائل لمحاربة الشريف يحيى بن سرور فلما جاءت الاخبار بولاية الشريف محمد وقع الاختلاف بين الشريف عبد المطلب

وأحدباشا وأراد أحدباشا التوجه الى مكة ثم بلغه ان الطرق كلها مقعود فيها وان الشريف مرزوقا بن عبد العزيز الحرث أمير المضيق وهذيل الشام جمع قبائل وجلس بها في الريعان ليمنع أحدباشا من العبور وشاع انه فعل ذلك باشارة من الشريف عبد المطلب فأخذ أحدباشا وجها من الشريف على بن غالب وطلب منه ان يسير معه الى ان يوصله الى مكة ففعل الشريف على ذلك ولما وصلوا قريبا من الريعان تحققوا ان الشريف مرزوقا الحرث في الريعان ومعه القبائل كما شاع فتقدم الشريف على وأرسل اليهم يقول ان أحد باشا في وجهه ومنعهم ان يتعرضوا له بشئ فامتنعوا عما كانوا ارادوا ان يفعلوه وبعد ان وصل أحدباشا الى مكة رجع الشريف على بن غالب الى أخيه الشريف عبد المطلب ثم عزم الشريف عبد المطلب على محاربة أحدباشا واخراج العساكر المصرية قبل قدوم الشريف محمد بن عون فضم الى القبائل التي كانت اجتمعت عنده قبائل غيرهم وتوجه بها الى مكة فوقع بينه وبين أحدباشا وقائع متعددة يطول الكلام بذكرها وقتل فيها كثير من العرب وكثير من عساكر أحدباشا وكانت تلك الوقائع بعضها في عرفة وبعضها في العابدية وبعضها في الحسينية وبعضها في منى واستمر الحال الى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان آخر الوقائع في جمادى الاولى تقوى فيها الشريف عبد المطلب وكثرت القبائل معه ودام الحرب ثلاثة أيام وأيس أحدباشا من النصر وطلع القلعة بأهله وحريمه وانحصر العسكر بعضهم في القلعة وبعضهم في البياضية وبعضهم في بيت بنت جعفر الذي عند القبور وأحاطت القبائل بجبال مكة وطرقاتها ونزل بعضهم من الجبال وعقر بعض الخيل التي كانت مربوطة في اصطبل خيل أحد باشا الذي في جياد وضربت العساكر من القلعتين بالمدافع المشحونة بالقلل على القبائل التي في الجبال كل ذلك كان يوم السادس والسابع والثامن من جمادى الاولى وخاف كثير من الناس الذين بمكة ان يقع النهب من القبائل اذا دخلوا مكة فادخلوا أموالهم في الخبايا تحت الارض وبنى بعض الناس متارس في بيوتهم وأحضروا البنادق والبارود والرصاص ليحموا أنفسهم ودورهم من نهب العرب اذا دخلوا مكة قيل ان عدد القبائل كان تسعة آلاف وشاع ان الشريف عبد المطلب تكاتب مع الشريف يحيى بن سرور وعقد صلحا معه واتفقا على ان تكون كلمتهما واحدة وان الشريف يحيى يأتي من طريق الوادي ومعه ثلاثة آلاف من قبائل حرب وغيرها وانه يدخل من أسفل مكة والشريف عبد المطلب من اعلاها وان دخولهما يكون في صبح التاسع من جمادى الاولى ووقعت اراجيف كثيرة فبات الناس بمكة في تلك الليلة في كرب شديد فلما أصبح صبح ذلك اليوم جاء الخبر بأن الشريف محمد بن عون وصل الهجالية وفي اثر ورود الخبر دخل مكة بنفسه بعد الاشراق ومعه سبعة خيالة من اتباعه وذلك انه وصل الى جدة يوم الثامن وأخبروه ان الحرب على مكة فحين نزوله من البحر ركب وتوجه الى مكة فلما وصل بعد الاشراق جلس اولا في بيت احدباشا الذي عند باب على وكان ديوانا للحكومة وطلب حضور أحدباشا ونزوله من القلعة فنزل وجلس معه قليلا ثم ركب هو والسبعة الذين جاؤا معه وتوجه الى الابطح موضع شدة الحرب وأمر باخراج العساكر المحصورة في البياضة وبيت بنت جعفر وصار يرتبهم للحرب وكان الشريف عبد المطلب عند المفجر وقد احضر الخيول الجنائب وصار يرتب الموكب الذي يريد دخول مكة به والحرب قائم والقلعتان يرمى منهما بالمدافع المشحونة بالقلل على قبائل العرب التي انتشرت في الجبال ولما طلع الشريف محمد بن عون الى الابطح ومعه السبعة الخيالة الذين جاؤا معه صار كثير من الناس يسخرون به ويقولون أين يذهب بهؤلاء السبعة الى هذه الجنود المجندة فبينما الامر كذلك اذ جاء للشريف عبد المطلب رجل من جنوده من شيوخ ثقيف يقال له مساعد الوحشي وكلمه سرا وقال له ان الشريف محمد بن عون قد وصل وان القبائل قد بادرت وطلبت منه الامان والحال انه لم يقع ذلك من أحد منهم وانما هذا شئ أراده الله وأنطقه به فصدق الشريف عبد المطلب مقالته وركب وتوجه الى الطائف من طريق كرى وترك القبائل والقتال وركب معه بعض خواصه وأتباعه فلما علمت القبائل ذلك أمسكوا عن القتال وأرسلوا للشريف محمد بن عون يطلبون منه الامان فأمنهم وأرسل الى أهل القلعتين وأمرهم بالكف عن رمى المدافع بالقلل ونصب له صيوان بالابطح وجلس

فيه فجاءه شيوخ القبائل مع قبائلهم وعرضوا عليه فكساهم الجوخ والشيلان وأعطاهم الجوا ئز ثم ركب ورجع الى مكة والقبائل يعرضون بين يديه وكان رجوعه قبيل الظهر ونزل فى دار الشريف يحيى بن سرور التى عند باب الوداع وضربت له المدافع وضربت النوبة عند باب داره وجاء الناس أفواجا للسلام عليه والتهنئة وأمنت البلاد واطمأنت العباد وعاد الخوف امنا وسرورا وكأن تلك الفتنة لم تكن فى لمح البصر وكان الشريف يحيى بن سرور قد أقبل بقبائل من الحربية على الامر الذى اتفق مع الشريف عبد المطلب عليه فلما كان بالوادى تحقق عنده قدوم الشريف محمد بن عون فى آخر النهار الذى وصل فيه الشريف محمد بن عون الى جدة فقيل له لو تقدمت بالقبائل التى معك الى طريق جدة لمنعته العبور الى مكة فامتنع وقال وصل الشريف محمد بن عون فالامارة له ولا أتعرض له ولا أمنعه العبور الى مكة ثم لما تحقق عنده هزيمة الشريف عبد المطلب وانه توجه الى الطائف فرق تلك القبائل واستحسن التوجه الى الطائف ليكاتب الشريف محمدا هو والشريف عبد المطلب وينعقد الصلح معه للجميع فلما وصل الى الطائف جاءتهم المكاتيب من الشريف محمد بن عون بالتأمين والاستعطاف وانه يترجى عند محمد على باشا فى العفو عن الجميع وانه يرتب لكل منهما الترتيب اللائق وان تكون اقامتهما حيثما أرادا امابالطائف أوبمكة أو المدينة المنورة فاستحسن الشريف يحيى انعقاد الصلح وامتنع الشريف عبد المطلب من قبول ذلك وقال ليس بيننا وبينه الا الحرب وحصن الطائف وتحصن به وأمر أهل الطائف بحمل السلاح وأن يقوموا معه فلم يقدروا على الامتناع وبعث أخاه الشريف عليا الى الحجاز ليجمع له قبائل بنى سعد وناصرة واهل بجيلة وغامد وزهران واظهر كل الجد والاجتهاد فى ذلك ولم يتمكن الشريف يحيى بن سرور من مخالفته لقلة من معه بالنسبة اليه فبقى معه بالطائف ومعه ولداه الشريف منصور والشريف حسن وبعض اولاد اخيه الشريف عبد الله بن سرور ومعهم ايضا الشريف عبد الله بن فهيد بن عبد الله بن سعيد بن سعد بن زيد وكان من كبار الاشراف ذوى زيد ومعهم ايضا السيد محمد بن محسن العطاس شيخ السادة العلوية وقبض الشريف عبد المطلب على بعض الاشراف العبادلة الذين كانوا بالطائف منهم الشريف زيد بن سليم بن عبد الله الفعر ووضعه فى الحديد وحبسه فى القلعة مع من قبض عليهم معه فلما جاءت هذه الاخبار للشريف محمد بن عون تجهز للمسير الى الطائف لقتاله وجاءته عساكر كثيرة من مصر من الخيالة والعساكر النظامية وعليها أمير اللواء سليم بيك فلما استكمل وصول العساكر والذخائر وخزائن الأموال فى صناديق كثيرة وسحاحير كثيرة فيها الجوخ والشيلان والفراوى السمور والقماقم وكان استكمال وصول الجميع فى شهر جمادى الثانية من السنة المذكورة توجه بها ومعه أمير اللواء سليم بيك وساروا الى أن وصلوا الطائف وجاء كثير من قبائل هذيل وثقيف وغيرهما ليكونوا معهم فأكرمهم الشريف محمد بن عون بالكساوى والجوائز والضيافات فانزلوا العرضى بالعقيق وهو قريب من الطائف بحيث تصل المدافع منه الى الطائف وأرسلوا للشريف عبد المطلب يعرضون عليه الامان فامتنع وكان عنده بالطائف بعض الطبجية فى قلعة الطائف فأمرهم بالرمى بالمدافع المشحونة بالقلل على العرضى فلم يقدروا على مخالفته ففعلوا ذلك وثار الحرب بين الفريقين ورميت المدافع أيضا من العرضى على الطائف وكان عنده بالطائف بعض قبائل بنى سفيان وهذيل أهل الشفاء من الطلحات وآل خالد فتسللوا وهربوا الى ان وصلوا الى العرضى وأخذوا الامان لهم ولقبائلهم وصاروا مع الشريف محمد بن عون ولم يبق معه بالطائف الا أهل الطائف وهو يأمرهم بحمل السلاح والقتال ولم يترك أحدا منهم حتى الشيخ عثمان القارى حمل البندق ولبس السلاح وكان من العلماء وكان من أصدقاء الشريف محمد بن عون فامتثل أمر الشريف عبد المطلب فكان مع أهل الطائف فى جميع ما يأمرهم به الشريف عبد المطلب وكانوا مفرقين فى الطائف وعند السور والابراج ليلا ونهارا وأصابهم فى ذلك غاية الجهد والعناء والشريف عبد المطلب يعدهم بحضور القبائل الذين ذهب أخوه الشريف على يجمعهم من الحجاز فمضت الايام والليالى ولم يحضر أحد منهم وكان للشريف محمد بن عون بيت بالطائف له فيه عيال من حين توجهه الى مصر سنة تسع وثلاثين وكان له معهم ابنه الشريف عبد الله وعمره اذ ذاك نحو ست سنين وذلك البيت

الذى كانوا فيه فى حارة وسط وهو المعروف ببيت محمد على طيب فوسط الشريف محمد من أتاه بابنه الشريف عبد الله خفية وأخرجوه اليه فى العرضى ولم يشعر بذلك الشريف عبد المطلب واستمر الحرب والرمى بالمدافع نحو اثنين وعشرين يوما وعجز أهل الطائف وقلت أقواتهم ونالهم غاية المشقة فخرج اناس منهم خفية ووصلوا الى العرضى وأخذوا الامان لأنفسهم ولأهل الطائف ووعدوا بانهم يفتحون الابواب لدخول العساكر فلما علم الشريف عبد المطلب بذلك تدارك الامر قبل وقوعه وأرسل وطلب الامان له وللشريف يحيى بن سرور ولكل من كان معهم فأعطاهم الشريف محمد بن عون وسليم بيك ذلك وأطلق الشريف زيد بن سليم الفعر وكل من كان محبوسا معه ثم خرج الشريف عبد المطلب والشريف يحيى بن سرور ومن كان معهما الى العرضى وتقابلوا مع الشريف محمد بن عون وسليم بيك ووقع بين الجميع عهود ومواثيق وتم الصلح ووعدهم الشريف محمد وسليم بيك بأنهما يشفعان عند محمد على باشا فى قضاء كل ما يريدون ثم رجعوا الى الطائف وكان ذلك فى شهر رجب من السنة المذكورة فلما كان الليل عزم الشريف عبد المطلب على الهرب والخروج من الطائف فشد بعض ركائبه وبعض خيله وركبها وخرج ومعه اخوه الشريف يحيى بن غالب وبعض أتباعه وكان خروجهم خفية من باب السور الذى عند ضريح ابن عباس رضى الله عنهما لانه لم يكن عنده شئ من حرس العسكر وبعد خروجهم بقليل علم بذلك الشريف يحيى بن سرور فاركب واحدا من اتباعه يقال له ناصر بن رشيد وأرسله للشريف محمد بن عون وسليم بك يخبرهما بذلك فلما أخبرهما بذلك أمر بركوب العساكر الخيالة ليسيروا على طريق لية خلف الشريف عبد المطلب ومن معه فساروا الى لية فلم يدركوهم ثم رجعوا الا انهم قبضوا على الشريف يحيى بن غالب لانه عثرت به فرسه وسقط عنها فظفروا به وقبضوا عليه وأتوا به ثم دخل الطائف الشريف محمد بن عون وسليم بيك وحصل الامن والاطمئنان للبلاد والعباد وعرضت القبائل وبعد ايام رجعوا الى مكة ومعهم الشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن غالب ومن كان معهم وكتب الشريف محمد بن عون وسليم بيك لمحمد على باشا بجميع ما صار فلما كان شهر شوال من السنة المذكورة صنع سليم بيك ضيافة للشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن غالب ومن كان معهما وكانت الضيافة فى دار سليم بيك التى كان ساكنا بها من حين وصوله مع العسكر من مصر وهى دار السيد محمد العطاس التى فى الشبيكة عند المحجوب فحضروا الضيافة وبعد تمام الطعام أبرز لهم سليم بيك أمرا جاءه من محمد على باشا مضمونه انه يطلب حضورهم الى مصر فامتثلوا الامر فقبض عليهم ووجههم الى مصر وهم الشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن غالب والشريف عبد الله بن فهيد والشريف حسن بن يحيى وبعض أولاد الشريف عبد الله بن سرور والسيد محمد العطاس وأما الشريف منصور بن الشريف يحيى بن سرور فكان قد توجه الى بلاد عسير حين كانوا بالطائف ولما وصل الى مصر هؤلاء الجماعة الذين قبض عليهم سليم بيك اكرمهم محمد على باشا وأحسن وأجرى عليهم ما يليق بهم من الطعام وغيره ثم بعد مضى سنة أذن بالرجوع الى مكة للشريف يحيى بن غالب بطلب من اخته الشريفة مزينة عرضت لمحمد على باشا تترجى عنده فى ارجاع أخيها فقوم بمصالحهم فقبل رجاءها وأذن له بالرجوع وبقى بمكة الى ان توفى سنة اثنتين وخمسين وكذلك أذن للشريف عبد الله بن فهيد ومحمد ابن الشريف عبد الله بن سرور والسيد محمد العطاس وبقى بمصر الشريف يحيى بن سرور وابنه الشريف حسن واستمر الشريف يحيى بن سرور بمصر الى ان توفى سنة أربع وخمسين فرجع الى مكة ابنه الشريف حسن وكذلك ابنه الشريف حسين بن يحيى وكان صغيرا لانه ولد للشريف يحيى وهو بمصر وتوفى بمصر أيضا سعد ومسعود وسرور أبناء الشريف عبد الله بن سرور وكانوا مع عمهم الشريف يحيى بن سرور وبقى الشريف منصور بن يحيى بن سرور فى بلاد عسير الى أن توفى والده بمصر فقدم الى مكة سنة ست وخمسين وأما الشريف عبد المطلب فانه بعد ان توجه الى الطائف مر على الحجاز واجتمع بأخيه الشريف على بن غالب وتوجها جميعا ومن كان معهما الى بلاد عسير وكان أمير عسير على بن مجثل فأكرمهما ومن معهما وأحسن نزل الجميع واقاموا عنده سنتين ثم توجهوا الى الشرق ثم الى

اد وتنقلوا فى بلاد كثيرة الى سنة ست واربعين ثم صار لهم عزم على التوجه الى الشام ليتوصلوا الى دار السلطنة فترقبوا رجوع الحاج الشامى بعد خروجه من المدينة ورافقوه وكان امير الحاج الشامى فى تلك السنة رؤف باشا فصار لهم صحبة معه وبعد وصولهم الشام توصلوا الى دار السلطنة فأقاموا بها فى عز واكرام فلما حصل الاختلاف بين محمد على باشا ومولانا السلطان محمود سنة سبع وأربعين ثم حصل القتال الذى تملك الشام بعده محمد على باشا ولى فى تلك المدة مولانا السلطان محمود الشريف عبد المطلب امارة مكة ولم يتمكن من ايصاله الى مكة بسبب تلك الفتنة بل كان فى كل سنة يبعث الخلعة وفرمان التأييد للشريف محمد بن عون وطالت تلك الفتنة الى أن توفى السلطان محمود سنة خمس وخمسين وتولى ابنه السلطان عبد المجيد واشترط على محمد على باشا ارجاع الشام والحجاز لمولانا السلطان فحصلت تلك الشروط فلما صار الحجاز لمولانا السلطان عبد المجيد أبقى مولانا الشريف محمد بن عون على امارة مكة كما كان وصار كل سنة يرسل له الخلعة وفرمان التأييد وولى ولاية جدة ومشيخة الحرم المكى لعثمان باشا وبقى الشريف عبد المطلب مقيما بدار السلطنة الى سنة سبع وستين وسيأتى اتمام الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى ولنرجع الى اتمام الكلام على امارة مولانا الشريف محمد بن عون فان ولايته كما تقدم كانت سنة ثلاث وأربعين فاستقامت له الامور وباشر احكام العرب والاشراف وغيرهم وانتظمت أحكامه على أتم النظام وأقام فى مشيخة السادة العلوية السيد اسحق بن عقيل وكان مجلس مولانا الشريف محمد دائما منتظما بالعلماء والادباء وطلبة العلم وتجرى فيه المذاكرات فى كثير من الفنون ومدحه كثير من الشعراء بالقصائد فأجازهم عليها بالجوائز السنية وغزا غزوات بناحية الشرق والحجاز وتربة ورنية وبيشة كان له فيها كلها النصر والظفر وكان محافظ مكة احمد باشا مقاما من محمد على باشا من سنة خمس وثلاثين كما تقدم ثم عزله محمد على باشا سنة اربع وأربعين وتوجه الى مصر وولى محافظة مكة سليم بيك أمير اللواء الذى كان مجيئه أولا مع العساكر التى جاءت مع سيدنا الشريف محمد بن عون فأقام سليم بيك فى محافظة مكة نحو شهرين ثم عزله محمد على باشا وولى عابدين بيك أمير اللواء واستمر الى ان توفى بمكة سنة ست واربعين بمرض الوباء بالاسهال والقئ وكانت تلك السنة هى أول السنين التى حدث فيها ذلك الوباء بمكة ولم يعرفه الناس قبل تلك السنة ثم بعد هذه السنة تكرر مجيئه بمكة مرات لكنه ماجاء فى السنين التى بعد هذه السنة مثل هذه السنة فانه كان شديد الكثرة مات فيه خلق كثير لا يمكن ضبطهم ولا احصاؤهم وكان ابتداؤه من شهر شوال من السنة المذكورة وكان ابتداء وقوعه فى التكرور والجبرت فلم يكترث الناس به ولم ينزعجوا منه ثم انه فى النصف من شهر ذى القعدة أصاب كثيرا من أهل مكة ومن الحجاج من كل صنف ولم يزل يتزايد واشتد أمره فى أيام منى حتى صار الموتى مطروحين فى الطرقات ونزل الناس من منى والجمال محملة من الاموات واشتد أيضا بمكة بعد النزول من منى وامتلأت الاسواق والطرقات من الاموات وعجز الناس عن تجهيزهم ودفنهم فخرج مولانا الشريف محمد بن عون بنفسه راكبا ومعه بعض أتباعه وسار يمر على بعض الطرقات والاسواق ويأمر الناس بتجهيز الموتى ودفنهم وأعطاهم مايحتاجون اليه من الاكفان وامتلأت القبور من الاموات فحفروا حفائر كثيرة وصاروا يضعون فى كل حفرة جملة من الاموات وقاسى الناس من ذلك الوباء هولا شديدا واستمر ذلك الوباء الى عشرين من ذى الحجة ثم ارتفع شيأ فشيأ وكان ممن توفى فى منى من ذلك الوباء عابدين بيك محافظ مكة فولى محمد على باشا بدله أمير اللواء خورشيد بيك ثم صار بعد مدة باشا فكانت ولايته فى افتتاح سنة سبع وأربعين ثم فى شهر رجب من السنة المذكورة حصل بينه وبين العساكر الخيالة والقرابة من الاتراك فتنة سببها أنهم أغلظوا عليه فى طلب جوامكهم ولم يكن عنده مايقوم بمطلبهم فحاصروا خورشيد بيك المذكور وتخلص ونزل الى جدة ثم سافر الى مصر وأبقى نائبا عنه بمكة اسماعيل بيك كبير العساكر النظامية ومعه شريم بيك أيضا من كبار العساكر النظامية والفتنة باقية بينهم وبين الاتراك الخيالة والقرابة وكان كبير تلك العساكر تركى بلماز ولهذا صارت هذه الفتنة تعرف بفتنة تركى بلماز

وأرسل محمد على باشا من مصر على أغا رزقلى لتسكين تلك الفتنة والاصلاح بين عساكر الترك والعساكر النظام فلم يمكن له ذلك بل ازداد الامر شدة لان عساكر الاتراك اشتد خوفهم من محمد على باشا فى احداثهم تلك الفتنة فصاروا يقترحون أشياء زادت بها الفتنة وكذلك سيدنا الشريف محمد بن عون أراد تسكين الفتنة والاصلاح بين الفريقين فلم يوافقوه فاعتزل الفريقين وطلع الى الهدا بعد ان حج فى تلك السنة ومكث الى أن انقضت تلك الفتنة ومحصل الحرب الذى وقع بين الفريقين وذلك انه فى شهر المحرم من سنة ثمان وأربعين ثار الحرب بمكة بين الفريقين عساكر الاتراك والعساكر النظامية وتغلبت عساكر الاتراك على العساكر النظامية وحصروهم فى البياضية بيت بنت جعفر الذى عند مقبرة مكة واستمر الحرب بينهم ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع خرجت العساكر النظامية من البياضية وقاتلوا الاتراك قتالا شديدا الى ان هزموهم هزيمة قبيحة وقتلوا كثيرا منهم فتوجه من بقى من الاتراك الى جدة ونزلت العساكر النظامية الى مكة وأمنوا الناس ولم يقع منهم خلاف على أحد الا أنهم دخلوا خان الترك الذى عند المروة وكسروا دكاكينه وأخذوا ما فيها ثم بعد مضى هذه الفتنة أعطى محمد على باشا أهل تلك الدكاكين قيمة أموالهم التى أخذتها العساكر النظامية من تلك الدكاكين على حسب ما ادعوه وكان الذى ادعوا به شيأ كثيرا فأعطاهم اياه ثم ان بلماز ومن معه من الاتراك لما انهزموا ونزلوا الى جدة أخذوا كثيرا من أموال الميرى وكان بمرسى جدة مراكب لمحمد على فأطلعوا الاموال التى أخذوها فى المراكب المذكورة وركبوا فيها وساروا الى اليمن وتملكوا الحديدة والمخا بالتغلب ثم خاف بجهز عليهم محمد على باشا فتركوا اليمن وتفرقوا فى كل ناحية والكلام على هذه الفتنة طويل ولكن هذا حاصلها ثم ان محمد على باشا ولى احمد باشا الجازى محافظة مكة كما كان فيها سابقا فجاء فى وسط سنة ثمان واربعين وفى سنة تسع وأربعين ولد سيدنا الشريف محمد بن عون ولده الشريف على وفى سنة تسع وأربعين أيضا صدر الامر من محمد على باشا بالتجهيز لمحاربة عسير وكان قد توفى أميرهم على بن مجثل وكان من بنى مغيد وأقيم بعده أميرا عليهم عائض بن مرعى وكان أيضا من بنى مغيد فاستفحل ملكه وتقوى وتغلب على بعض الممالك التى بقيت تحت طوع الدولة مثل بنى شهر وبيشة وبلاد غامد وزهران فجهز محمد على باشا عساكر كثيرة ليتوجه بها مولانا الشريف محمد بن عون ويستخلص تلك الممالك فتوجه بالعساكر وبقى أحمد باشا بمكة يمده بارسال الذخائر والخزائن ووقع بينه وبينهم وقائع واستخلص تلك المواضع التى تغلبوا عليها وأرجعها الى حكم الدولة فصارت بلاد غامد وزهران وبيشة وبنى شهر تحت طوعه وتقدم الى بلاد عسير ليتخلصها منهم ويرجعها كما كانت عند مجىء محمد على باشا الى الحجاز فحصل من أحمد باشا تقصير فى ارسال الذخائر والخزائن وما يحتاجون اليه فحصل للعساكر ضيق شديد من ذلك وهم محاصرون بلاد عسير فوقع الفشل فى الجيوش وأدى ذلك الى انهزام تلك العساكر فرجع الشريف محمد بن عون الى مكة وكذلك العساكر وكان ذلك سنة احدى وخمسين وأنكر أحمد باشا وقوع التقصير منه ونسب التقصير الى سيدنا الشريف محمد بن عون فطلبهما محمد على باشا ليحضرا عنده بمصر ليتحاكما فى ذلك فتوجها الى مصر فى سنة اثنين وخمسين وأبقى الشريف محمد بن عون وكيلا عنه بمكة الشريف مبارك بن عبد الله الحمودى العبدلى وأبقى أحمد باشا وكيلا عنه أمير اللواء أمين بيك فلما وصلا الى مصر تحاكما عند محمد على باشا وثبت ان التقصير انما كان من أحمد باشا ولم يثبت على مولانا الشريف محمد شىء من التقصير فأذن محمد على باشا لمولانا الشريف محمد بالرجوع الى مكة فوسط أحمد باشا وسائط لمحمد على باشا وبذل لهم فى ذلك مالا جزيلا على انه هو الذى يرجع الى مكة ويبقى مولانا الشريف محمد بمصر وتعهد أحمد باشا بأنه يستولى على عسير بالعسكر فى ثلاثة أشهر فحضر مولانا الشريف محمد عند محمد على باشا وأخبره بأن أحمد باشا يطلب الرجوع الى مكة وانه يتعهد بأنه يستولى على عسير فى ثلاثة أشهر فقال له الشريف محمد لا يقدر على ذلك ولا بعد ثلاث سنين فقال محمد على باشا نجربه وننظر ماذا يصير وتبقى أنت عندى بمصر ويتوجه هو فقال مولانا الشريف محمد لا بأس بذلك فبقى مولانا الشريف محمد بمصر ورجع أحمد باشا وكان معتمدا على بعض الاشراف مثل الشريف منصور بن زيد الشنبرى فانه كان مصطحبا مع أحمد باشا وكان يتعهد له بحصول هذا الامر وكان قد تولى أمارة غامد

زهران فى بعض السنين ويريد رجوعه الى أمارته وكان أحمد باشا أيضا معتمدا على سلطان بن عبدة العسيرى والمذكور كان أميرا على قبيلة من قبائل عسير يقال لهم علكم وكان قد وقع بينه وبين أمير عسير اختلاف فأراد ان يقتله فهرب وجاء الى مكة ملتجأ قبل هذه الوقائع بسنين فسعى له أحمد باشا عند محمد على باشا فى ترتيب معاش جزيل ومرتبات جزيلة فبقى بمكة مصطحبا مع أحمد باشا ويداهن مولانا الشريف محمدا ظاهرا وميله فى الباطن مع احمد باشا فكان يعده ان قبائل عسير لاتخرج عن طوعه وانه اذا توجه مع احمد باشا والعساكر يملكه بلاد عسير فلما رجع احمد باشا من مصر ابقى امين بيك قائما مقامه وتوجه هو بالعساكر الى الحجاز بلاد غامد وزهران ومعه الشريف منصور بن زيد وكثير من الاشراف وسلطان بن عبدة العسيرى فوقع بينه وبين عسير وقائع فى الحجاز وانتصر أحمد باشا فى وقعة منها فى سنة ثلاث وخمسين تسمى وقعة الباحة واستخلص منهم بلاد غامد وزهران ثم رجعوا بعد ذلك فأخذوها ولما حصلت له هذه النصرة أرسل البشائر الى مكة وضربت المدافع وأمروا بالزينة بمكة وجدة والطائف ثلاثة أيام وارسلوا الى مصر لمحمد على باشا وعظموا هذه النصرة مع انهم ماقدروا ان يتقدموا بالعساكر الى بلاد بنى شهر ولا الى بلاد عسير بل فى سنة اربع وخمسين رجع العسيرى الى بلاد غامد وزهران واسترجعها والحاصل انه استمر بلا نتيجة ولا فائدة الى سنة ست وخمسين ومولانا الشريف محمد بن عون مقيم بمصر ومعه ولده الشريف عبدالله والجميع فى عز واكرام وولد لسيدنا الشريف محمد بمصر ولده الشريف حسين فى أواخر سنة أربع وخمسين وأرسله الى مكة ليكون عند المراضع فوصل الى مكة فى المحرم سنة خمس وخمسين فلما كانت سنة ست وخمسين بعد انعقاد الصلح بين مولانا السلطان عبدالمجيد ومحمد على باشا كان من جملة شروط الصلح ان يترك محمد على باشا الحجاز والشام ويفوض الجميع لمولانا السلطان ويبقى له ولاولاده ملك مصر وأعمالها فأذن محمد على باشا لمولانا الشريف محمد ان يرجع الى مكة فى امارته كما كان وان يجهز له عساكره التى بالحجاز ويرسلها الى مصر لانه كان له عساكر كثيرة بالحجاز والحربية أعنى بلاد حرب وخشى انه اذا شاع زوال حكمه عن الحجاز يحصل اضطراب بالحجاز فيقع ضرر على عساكره ورأى انه لايحصل التسكين والامن فى الحجاز ويتسهل ارسال العساكر الا بمولانا الشريف محمد ابن عون وكانت العساكر التى فى حرب بمعية سليم باشا الملقب أطزبير وكان مخيما بعساكره فى الغازية والخيف وكان قد ملك تلك البنادر والخيوف وضايق قبائل حرب أشد المضايقة وقطع كثيرا من نخيلهم وفروا هاربين الى رؤس الجبال وصاروا منحصرين فيها وقطعت الطرق وحصل لاهل المدينة ضيق شديد وانقطعت عنهم الذخائر واشتد الغلاء عندهم حتى بلغ الاردب القمح ثلاثين ريالا فاستحسن محمد على باشا أن يكون توجه مولانا الشريف محمد اولا الى بلاد حرب لازالة هذه المشكلات وارسال عساكره التى هناك فتوجه من مصر فى سنة ست وخمسين فلما وصل الى موضع العساكر شاع خبر وصوله عند قبائل حرب المنحصرين فى الجبال فحصل لهم خوف شديد وأيقنوا بالهلاك والاستئصال فأرسلوا له يطلبون الامان وانهم يكونون تحت الطاعة على حسب مايشترطه عليهم فامتنع من اعطائهم الامان حتى يقهرهم بالسيف ويطلع الفقرة فتجهز بتلك العساكر وقصد الفقرة وهى أعظم جبل لهم يتحصنون فيه ولهم فى الفقرة نخيل ومزارع وأموال كثيرة فلما أقبل على الفقرة ماقدروا على قتاله بل فروا فى كل جهة فطلع الفقرة وأحرق فيها أماكن وقطع بعض النخيل وصار لقبائل حرب غاية الذل والهوان ثم أرسلوا يطلبون منه الامان فأمنهم فأقبلوا عليه افواجا وعاهدوه واشترط عليهم شروطا فقبلوها ثم رجع من الفقرة وأرسل العساكر الى مصر بغاية الامن والراحة ثم توجه الى المدينة وسلكت الطرق وارتخت الاسعار وزالت تلك الشدة ولما دخل المدينة كان بها عثمان باشا من طرف الدولة شيخا على الحرم النبوى وشريف بيك مديرا على الحرم ثم صار باشا بعد ذلك ولما دخلا على مولانا الشريف محمد يوم قدومه المدينة للسلام عليه والتهنئة بالقدوم قالا له أنت غوث الحرمين اغاث الله بك أهل مكة فى سنة ثلاث وأربعين وأغاث بك أهل المدينة فى هذا العام فأجابهم ارتجالا حالا بقوله وأنا ابن

عون وابن عون اذا صحف بكون أنت غوث فتعجبا من استحضاره لهذا الجواب ثم انه بعد قدومه المدينة حصل له مرض شديد وأرسل الى مكة وطلب اهله فأرسلوا اليه الى ان شفاه الله تعالى من المرض وتمم الاصلاحات المتعلقة بالمدينة وعمالها ورجع الى مكة فى آخر سنة ست وخمسين وفى آخر شهر ذى الحجة من السنة المذكورة كانت ولادة ابنه الشريف عون الرفيق كانت أمه حملت به وهم فى المدينة فهو مدنى مكى وسماه السيد اسحق شيخ السادة فى الدار التى بالشامية لسيدنا الشريف محمد بن عون المشهورة بدار الجيلانى وحضرت تسميته وكان فى مدة مكثه فى المدينة أرسل ابنه مولانا الشريف عبد الله الى مكة وكان ارسله له من مصر حين عزم على التوجه الى بلاد حرب فلم يتوجه معه ابنه المذكور الى بلاد حرب بل قدم الى مكة وصار قائما مقامه وكان عمره اذ ذاك نحو عشرين سنة فقام بالامر وكالة عن ابيه أتم القيام وحصل بعد قدومه تجهيز العساكر المصرية التى بالحجاز وأرسلت الى مصر فى غاية الامن والاطمئنان وتوجه أحمد باشا وامين بك الى مصر ثم وجهت الدولة ولاية جدة ومشيخة الحرم المكى لعثمان باشا الذى كان شيخا للحرم النبوى ووجهت مشيخة الحرم النبوى لشريف بك الذى كان مديرا بالمدينة وصار شريف باشا وقدم عثمان باشا مكة أيضا سنة ست وخمسين ثم قام عثمان باشا مولانا الشريف عبد الله بن سيدنا الشريف محمد بن عون قائما مقامه فصار قائما لمقام الامارة والولاية جامعا بينهما ولما رجع سيدنا الشريف محمد بن عون من المدينة أبقى فى المدينة الشريف محمد بن عبد الله بن سرور قائما مقامه واستمر الامر بين مولانا الشريف محمد وعثمان باشا بغاية الاتفاق والمحبة الى سنة ستين فوقع بينهما اختلاف سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى ولما توجهت العساكر المصرية الى مصر كان لمحمد على باشا بالحجاز كثير من الذخائر والمهمات والجبخانات فقومت جميعها بالقيمة واستقبلتها الدولة لتخصم من الخراج المقرر على محمد على باشا فى مقابلة ولايته مصر وكانت تلك الذخائر والمهمات شئ لا يمكن حصره ولا ضبطه من جملة ذلك أنه وجد له من صنف العدس بمكة وحده ثلاثة وعشرون ألف اردب وقس على ذلك بقية الاشياء وتقدم ان محمد على باشا لما كان بالحجاز رتب معاشات ومرتبات لكثير من الاشراف وغيرهم فاستقبل عثمان باشا ذلك كله وعرف به الدولة فأجازته وأمرت ببقائه وصيرته فى دفاترها وكذلك تقدم ان محمد على باشا جدد دفاتر قمح الجراية المرتبة لاهل مكة ورتبها على ترتيب غير الذى كانت عليه لانه وجدها بأيدى التجار والاغنياء بالفراغات وليس بأيدى الفقراء منها شئ فأبطل تلك الدفاتر ورتبها على ما هى عليه الآن فلما وصل عثمان باشا وصار الحجاز للدولة أبقى دفاتر الجراية على الترتيب الذى رتبه محمد على باشا وينبغى ان يذكر هنا تجهيز محمد على باشا على الدرعية والرياض لقتال فيصل بن تركى ابن عبد الله بن أخى عبد العزيز والد سعود فيكون عبد الله والد تركى ابن عم سعود كما تقدم وقد تقدم أيضا ان فيصل بن تركى ملك نجد بعد أبيه ثم قوى واستفحل ملكه ورجع الى اشهار الدعوى التى كان عليها اسلافه فلما بلغت الاخبار محمد على باشا أمر بتجهيز العساكر الى قتاله وجعل على تلك العساكر خورشيد باشا الذى كان محافظ مكة سنة سبع وأربعين ووقعت الفتنة بينه وبين تركى بلماز كما تقدم بيان ذلك فتجهز خورشيد باشا بالعساكر الكثيرة للمسير الى نجد وكان مسيره من المدينة المنورة سنة ثلاث وخمسين فلما وصل الى نجد وقع بينه وبين فيصل بن تركى وقائع حصل فيها قتال شديد يطول الكلام بذكره واستمر الامر بينهما الى ان قبض على فيصل واستولى على الدرعية والرياض وغيرهما وأرسل فيصل الى مصر لمحمد على باشا سنة أربع وخمسين وكان صحبة خورشيد باشا خالد بك بن سعود وكان خالد من الاسرى الذين قبض عليهم ابراهيم باشا سنة ثلاث وثلاثين وأرسلهم الى مصر فكبر خالد بن سعود وتربى بمصر فاستحسن محمد على باشا ان يجعله أميرا فى نجد بلاد آبائه فأرسله صحبة خورشيد باشا ورتب له المرتبات الجزيلة فلما قبض خورشيد باشا على فيصل بن تركى وأرسله الى مصر أقام خالد بن سعود أميرا فى الرياض ومهد له الامور الى ان استقر أمره ورجع خورشيد باشا بالعساكر فاستمر خالد بن سعود سنتين ثم ظهر منه عدم استقامته وعدم سلوكه على الطريقة التى ترتضيها أهل نجد فثار عليه رجل يقال له عبد الله بن ثنيان قيل انه ليس من آل سعود أهل الامارة وقيل

أنه منهم فتغلب وعاهده الناس وأراد الفتك بخالد بن سعود فهرب خالد وجاء الى مكة هاربا وكان يتردد بين مكة وجدة الى أن توفي وكان له معاش جزيل مرتب من محمد على باشا وصار أمر نجد لعبد الله بن ثنيان فلما بلغ الخبر فيصل بن تركي الذي أرسله خورشيد باشا الى مصر محبوسا صار فيصل يدبر الامر في هربه من مصر ليصل الى نجد وينتزع الملك من عبد الله بن ثنيان فسهل الله له ذلك باعانة عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد على باشا وكان الامر في ذلك الوقت لمحمد على باشا ولابنه ابراهيم وليس لعباس باشا شيء من الامر الا انه كان محببا عند جده محمد على باشا ومسموع الكلمة عند رجال دولته وكان يجتمع كثيرا بفيصل بن تركي وهو محبوس فقال له فيصل يوما ان نجد صارت بيد عبد الله بن ثنيان فلو أتخلص من الحبس وأصل الى نجد انتزع الملك منه ان شاء الله تعالى وأصير خادما للافندينا تحت أمره فوعده عباس باشا بأنه يدبر هذا الامر له وأمره بكتمانه ثم بعد أيام أحضر له ركائب وخيلا خفية ووضعها بموضع بعيد عن مصر واحتال في اخراجه من القلعة المحبوس فيها بمواطأة مع البواب سرا فخرج في ليلة ووصل الى المواضع التي فيها الركائب والخيل هو وبعض اتباعه وركبوها وتوجهوا الى نجد وبعد يومين بلغ خبر هروبه ابراهيم باشا فأركب كثيرا من العسكر يسيرون خلفه ليدركوه وكان ممن ركب معهم عباس باشا فساروا يومين فلم يدركوه فرجعوا ولم يزل فيصل سائرا هو ومن معه الى ان وصلوا جبل شمر وقصدوا ابن رشيد أمير جبل شمر فأضافهم وأكرمهم وأحسن نزلهم ثم سار بكثير من قومه معهم وقصدوا القصيم فلما وصلوا القصيم قابلهم أهله وأضافوهم وأكرموا نزلهم وساروا معهم بكثير من قومهم معهم فصار الجميع جيشا فقصدوا عبد الله بن ثنيان وهو في الرياض فقاتلوه وحصروه الى ان قبضوا عليه وحبسوه ثم قتل خنقا في الحبس وكان ذلك سنة ثمان وخمسين واستقل فيصل بالملك واستقامت له الامور واستمر الى ان توفي سنة اثنتين وثمانين وأصابه في آخر عمره غشاوة في عينيه فصار لا يبصر فكان يوقف عند بعض خدمه يعرفونه الناس ويخبرونه بكل من أقبل للدخول عليه قبل ان يصل اليه ولما توفي فيصل قام بالامر بعده ابنه عبد الله ثم وقع بينه وبين اخوته اختلاف فانتزعوا الامر منه وقام به أخوه سعود بن فيصل ثم مات ورجع الامر الى عبد الله وهو باق الى الآن أعني سنة ألف وثلثمائة الان ملكه صار ضعيفا جدا لان الدولة العلية انتزعت منه الحساء والقطيف وخرج عن طاعته أهل القصيم وصاروا تحت أمر الدولة وكذلك ابن رشيد أمير جبل شمر قوى ملكه وخرج عن طاعة عبد الله بن فيصل وصار تحت طاعة الدولة ويدفع لهم خراجا وكذلك أهل القصيم يدفعون للدولة خراجا وأميرهم منهم ولم يبق تحت طاعة عبد الله بن فيصل سوى القبائل القريبة منه ولنرجع الى اتمام مدة امارة سيدنا الشريف محمد بن عون وقد تقدم انه كان بينه وبين عثمان باشا غاية المحبة والالفة الى سنة ستين ثم حصل بينهما تنافر واختلاف سببه ان عثمان باشا أغراه بعض الناس على بعض الأمراء من الاشراف منهم الشريف سلطان بن شرف والشريف عبد الله بن زيد بن سليم وقالوا له انهم يأخذون أكثر المتحصل من الزكوات المتحصلة من رعاياهم ولا يدخلون الخزانة الا النزر اليسير فتهدد عثمان باشا بعض الامراء الذين قيل فيهم ذلك فلما بلغ الخبر مولانا الشريف محمدا غضب لذلك وحصل بينه وبين عثمان باشا التنافر ونزل عثمان باشا الى جدة وأقام بها وتوجه مولانا الشريف محمد الى الطائف ثم الى المبعوث واقام به وصار كل منهما ينتظر الجواب من دار السلطنة لان كلا منهما أنهى الى الدولة الشكاية وفي تلك المدة كثر القيل والقال وصار الناس أهل الفساد يثيرون الشر بينهما ويختلقون كثيرا من الاكاذيب وأمر عثمان باشا كرد عثمان كبير العساكر الخيالة ان يتوجه بالعساكر الى المبعوث ويكون في مقابلة سيدنا الشريف محمد وقصد بذلك التخويف والمحافظة عليه فلم يكترث بهم مولانا الشريف بل أذن لهم بالنزول في مقابلته وكان كرد عثمان يأتي اليه ويقبل يده ويجلس عنده وهو يقابله ويكرمه وأرسل عثمان باشا الى الدولة يطلب منهم ارسال الشريف على بن غالب الى مكة وأظهر ان القصد بذلك حضوره عند أهله لحفظ أموالهم فاذنت الدولة للشريف على بن غالب بالتوجه وكان مولانا الشريف محمد بن عون عرف محمد على باشا بما هو حاصل بينه وبين عثمان باشا وكان محمد على باشا

يحب الشريف محمدا لكونه السبب في أصل ولايته امارة مكة فصار محمد على باشا مجتهدا في نصرته وكان مسموع الكلمة عند الدولة ورجالها فلما توجه الشريف على بن غالب من دار السلطنة وجاءت الاخبار الى مكة بتوجهه كثرت الاراجيف بمكة وشاع بين الناس انه اذا وصل يتم مراد عثمان باشا ويقبض على مولانا الشريف محمد ويأتى بعد ذلك الشريف عبد المطلب أميرا على مكة وكثرت هذه الاشاعات ولما وصل الشريف على بن غالب الى مصر أكرمه محمد على باشا غاية الاكرام واحتفل به غاية الاحتفال وكان ذلك سنة احدى وستين ثم بعد ذلك بثلاثة أيام توفى وانتقل الى رحمة الله تعالى بمصر فقيل انه مرض وقيل مات مسموما والله أعلم بحقيقة ذلك ثم ان محمد على باشا عرف الدولة العلية بما هو حاصل من عثمان باشا من المضاررة للشريف محمد بن عون وطلب منهم ان يعزلوا عثمان باشا من ولاية جدة ويرجعوه الى مشيخة حرم المدينة وان شريفا باشا الذى في المدينة يكون واليا على جدة وشيخ الحرم المكى فاجيب محمد على باشا الى ذلك وصدر الامر من الدولة بذلك فلما جاءت الاخبار لعثمان باشا بما صدر به الامر اغتم ومات من ليلته وقيل انه سم نفسه وكان ذلك أيضا سنة أحدى وستين ثم جاء شريف باشا من المدينة بعد وصول الامر له من الدولة العلية ووقع بينه وبين مولانا الشريف محمد بن عون غاية المحبة والالفة واستقامت الاحوال على أتم النظام وفي سنة اثنتين أو ثلاث وستين توجه مولانا الشريف محمد بن عون الى نجد بأمر من الدولة العلية لاخماد فيصل بن تركى أمير الرياض لانه بلغ الدولة أنه استفحل ملكه ويخشى من تطاوله كما كان من أسلافه فصدر الامر من الدولة بتوجيه العساكر لقتاله واخماده وان يكون ذلك بمرافقة الشريف محمد بن عون وتدبيره فأخذ العساكر وتوجه بنفسه وكان توجهه من المدينة ولم يزل سائرا بالعساكر والقبائل تطيعه وسار معه ابن رشيد أمير جبل شمر بكثير من القبائل فلما وصلوا الى القصيم نزلوا به فقابلهم أهل القصيم وأعطوهم الطاعة ووعدوهم النصر فلما بلغ الخبر فيصل بن تركى دخله غاية الرعب وأرسل لاهل القصيم وطلب منهم ان يجتهدوا له في عقد صلح ويضعوا عليه خراجا فاجتهدوا مع مولانا الشريف محمد في الصلح الى ان رضى ووضعوا على فيصل بن تركى خراجا لكل سنة عشرة آلاف ريال فرضى بذلك فيصل وتم الصلح ورجع مولانا الشريف محمد بالعساكر في سنة ثلاث وكان رجوعه من الشرق الى الطائف واستمر فيصل يدفع ذلك الخراج سنين كثيرة الى ان توفى فيصل ثم انقطع دفع ذلك الخراج وتقدم ان وفاة فيصل كانت سنة اثنتين وثمانين وفي سنة أربع وستين تخلى محمد على باشا عن ملك مصر لمرض أصابه فقلده ولده ابراهيم باشا ومكث نحو احد عشر شهرا وتوفى في ذى الحجة من السنة المذكورة فاقيم في ولاية مصر عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد على باشا وفي رمضان سنة خمس وستين توفى محمد على باشا وعمره تسع وسبعون وفي سنة أربع وستين وجهت الدولة للشريف عبد الله بن مولانا الشريف محمد بن عون رتبة باشا ميرميران بنيشان ولاخيه الشريف على رتبة باشا أمير الامراء بنيشان ثم بعد مدة جاء مثل ذلك لاخيه الشريف الحسين ثم جاء بعد مدة مثل ذلك لاخيه الشريف عون الرفيق ثم بعد مدة جاء مثل ذلك لاخيه الشريف عبد الله ثم بعد مدة ترقى الجميع الى ان اعطوا رتبة الوزارة وفي سنة خمس وستين عزل شريف باشا وتولى بدله حسيب باشا وفي هذه السنة توجه الشريف عبد الله باشا بكثير من العساكر الى بيشة لاخماد عسير لانهم تطاولوا واستولوا على بيشة وبنى شهر فسار بالعساكر وأرجع تلك المواضع الى حكم الدولة وعقد صلحا مع عسير على أنهم لا يتجاوزون بلادهم وفي هذه السنة أيضا توجه سيدنا الشريف محمد بن عون الى الحديدة بكثير من العساكر الباقية بعد الذين توجهوا الى بيشة مع الشريف عبد الله وكان توجه مولانا الشريف محمد الى اليمن من طريق البحر وانتزع الحديدة والمخا وزبيد وبيت الفقيه من يد الشريف الحسين بن على بن حيدر لانه كان تغلب عليها وملكها فلما وصل مولانا الشريف محمد بالعساكر خاف الشريف الحسين وسلم البنادر المذكورة لسيدنا الشريف محمد بلا قتال ووعده بان الدولة ترتب له مرتبات في مقابلة ذلك ووفى له بذلك ثم بعد تملكه تلك البنادر رتبها وجعل فيها أمراء وجعل الشريف عبد الله بن شرف في المخا وكان قد أعطى رتبة باشا ومكث هناك أميرا الى ان توفى بعد سنة وأما سيدنا الشريف محمد فانه بعد تملكه البنادر أرسل العساكر الى صنعاء ومعها معاونه توفيق باشا والسيد اسحق شيخ السادة ومعهم محمد بن يحيى من أبناء

أئمة صنعاء فتملكوا صنعاء ووضعوا فيها اماما محمد بن يحيى ثم بعد أيام ثار عليه اهل صنعاء وقتلوه وقتلوا توفيقا باشا وبعض العسكر وأخرجوا الباقين وأما الحديدة وبقية البنادر فبقيت على مارتبها عليه سيدنا الشريف محمد بن عون ورجع من سنته وكان رجوع ابنه الشريف عبدالله من بيشة قبل رجوعه وفي مدة غيبتهما كانت أكثر الاحكام بتصرف حسيب باشا ورتب مجلسا من العلماء والمفاتي الاربعة في كل أسبوع وصار يصنع لهم طعاما من أفخر الاطعمة الملوكية في كل أسبوع وأظهر في أول الامر انه يريد التحقيق في الاحكام الشرعية واجراءها على طبق الشرع الشريف وقسم هدايا جزيلة على العلماء ثم ظهر بعد ذلك انه انما يريد انتزاع الاوقاف السلطانية من أيدي الناس الذين استولوا عليها بالفراغات الشرعية فلم يمكنوه من ذلك وقال له مفتي مكة السيد عبدالله المرغني لايسوغ ذلك بحال فعزله وقلد منصب الافتاء للسيد محمد الكتبي الحنفي الازهري وظن انه يوافقه على مراده فصار السيد محمد الكتبي متحيرا في هذا الامر وانعقد لذلك مجالس كثيرة في كل أسبوع فأراد حسيب باشا فتح دعوى على السيد عبدالله بن عقيل أخي السيد اسحق شيخ السادة لينتزع منه دارا بناها السيد عبدالله المذكور بالقرب من الصفا وأصلها من الاوقاف السلطانية فلما تحقق السيد عبدالله بن عقيل انه يريد فتح الدعوى عليه ركب بالليل على ركائب وتوجه من طريق البر الى مصر ثم منها الى دار السلطنة وكتب أهل مكة محضرا خفية عن حسيب باشا وبعثوا به الى السيد عبدالله بن عقيل ليقدمه الى مولانا السلطان وفيه جملة من أختام أعيان أهل مكة من العلماء والاشراف والسادة وغيرهم مضمونه الشكاية من حسيب باشا وانه يريد انتزاع الاوقاف السلطانية من أيدي أهلها الواضعين أيديهم عليها بالفراغات الشرعية فقدمه السيد عبدالله بن عقيل لمولانا السلطان وانعقد لذلك مجالس في دار السلطنة ثم برز الامر من السلطنة السنية بمنع حسيب باشا عن التعرض للاوقاف السلطانية وابقاءها كان على ما كان وتحرر لذلك فرمان سلطاني بطرة مولانا السلطان عبد المجيد ابن مولانا السلطان محمود وجاء به السيد عقيل وكان حسيب باشا بعد ان تحقق توجه السيد عبدالله بن عقيل الى دار السلطنة أمسك عن فتح الدعاوى في الاوقاف السلطانية ينتظر ماذا يكون بعد وصول السيد عبدالله بن عقيل فلما جاء السيد عبدالله بن عقيل بالفرمان المذكور بطل كل ما أراده حسيب باشا واطمأن الناس وكان الفرمان المذكور بالعربي والخطاب فيه لأمير مكة سيدنا الشريف محمد بن عون فقرئ الفرمان بحضوره وحضور حسيب باشا وجمع من وجوه الناس فامتثل ذلك حسيب باشا ورجع عما كان في عزمه وبقي هذا الفرمان محفوظا عند السيد عبدالله المرغني بعد ان سجل في سجل قاضي مكة ثم جاء الأمر من شيخ الاسلام عارف عصمت بيك لحسيب باشا بارجاع منصب الفتوى للسيد عبد الله المرغني ففعل ذلك ثم جاء بعد ذلك العزل لحسيب باشا في شوال سنة ست وستين وكان ابتداء ولايته في آخر سنة أربع وستين ووصل الى مكة في المحرم سنة خمس وستين فكانت مدة ولايته بمكة سنة وتسعة أشهر وولي بدله عبد العزيز باشا الملقب آقه باشا واشتهر بلقبه فوصل الى مكة في شوال سنة ست وستين وتوجه حسيب باشا الى المدينة للزيارة ثم منها الى دار السلطنة وكان معه شريف باشا لأنه لما عزل حسيب باشا لم يتوجه الى دار السلطنة بل بقي بمكة مصطحبا مع حسيب باشا الى أن توجها معا بعد عزل حسيب باشا ومجيء آقه باشا لمكة وفي سنة سبع وستين نزل الشريف عبدالله باشا الى جدة ومعه أخوه الشريف علي باشا لقضاء بعض أشغالهما فحضرا يوما عند آقه باشا وكان ذلك في شهر رجب من السنة المذكورة فأبرز لهما أمرا ساميا من الصدر الاعظم رشيد باشا مضمونه حضورهما مع والدهما سيدنا الشريف محمد ابن عون الى دار السلطنة فامتثلا الامر وطلبا المراكب وكتب آقه باشا الى والدهما سيدنا الشريف محمد بن عون بمضمون ذلك الأمر فامتثل الأمر ونزل الى جدة وركب مع ولديه في المركب وتوجهوا الى دار السلطنة ومعهم بعض العسكر من طرف آقه باشا وأقام آقه باشا في مكة الشريف منصور بن الشريف يحيى بن سرور قائمقام أمير مكة وشاع بين الناس ان الدولة تريد توجيه الامارة لسيدنا الشريف عبد المطلب وحسن السيد اسحق لآقه باشا انه يطلب توجيه الامارة للشريف منصور بن يحيى فكتب في ذلك وأصحبه محضرا من الاشراف وغيرهم

من اعيان الناس مضمونه طلب الامارة للشريف منصور فلم يصادف ذلك عند الدولة العلية قبولا بل وجهت الامارة لمولانا الشريف عبد المطلب فى شهر رمضان ووصل مكة فى ذى القعدة من السنة المذكورة ولما وصل مولانا الشريف محمد وأولاده الى دار السلطنة حصل لهم غاية العز والاكرام وانزلوا فى المنزل اللائق بهم وأجرى عليهم الضيافة اللائقة ثم الترتيب اللائق بهم مدة اقامتهم وولد للشريف عبد الله بمكة وهو فى دار السلطنة مولود تركه فى بطن امه سموه شرفا كانت ولادته فى آخر سنة سبع وستين وولد لاخيه الشريف على بدار السلطنة ولده الشريف حسين وكانت ولادته سنة سبعين وفى شهر المحرم من سنة ثمان وستين توجه سيدنا الشريف عبد المطلب لاصلاح قبائل حرب ولبناء قلاع فى الحربية فقابله قبائل حرب بالطاعة ومكنوه من بناء القلاع فبناها وأقام بها عسكرا ثم توجه الى المدينة وأقام بها مدة ورجع الى مكة فى آخر السنة المذكورة وقد وقع بينه وبين آقه باشا الاختلاف والتنافر وادعى على آقه باشا انه ضاره مدة اقامته فى الحربية فى ارسال الذخائر والخزائن والمهمات وانعقد بينهما مجلس فى شهر الحج فى دار أمير الحاج الشامى الذى جاء فى ذلك العام وهو أحمد عزت باشا الارزنجانى فأعان الشريف عبد المطلب وأثبتوا الخطأ على آقه باشا فأرسل مولانا الشريف عبد المطلب للصدر الاعظم رشيد باشا يطلب عزل آقه باشا وتوجيه ولاية جدة لاحمد عزت باشا الارزنجانى فأجيب الى ذلك لانه كان بين الشريف عبد المطلب ورشيد باشا صداقة فلما رجع أحمد عزت باشا بالحج الى الشام وجهت له ولاية جدة ومشيخة الحرم المكى وعزل آقه باشا فجاء أحمد عزت باشا المذكور الى مكة صحبة الحج الشامى فى شهر ذى الحجة سنة تسع وستين ومائتين وألف وأحمد عزت باشا هذا هو الذى بنى البيت الذى بالزاهر بالقرب من شهداء فخ فى مدة ولايته هذه وفى سنة سبعين توفى عباس باشا صاحب مصر وأقيم فى ولاية مصر سعيد باشا ابن محمد على باشا وفى سنة سبعين كان الشروع فى عمارة المسجد النبوى عمره السلطان عبد المجيد بعمارة عجيبة لم يزالوا يحسنونها واستمر فى تعميره نحو أربع سنين والبناء الذى كان قبله تعمير السلطان قايتباى سلطان مصر ثم ان أحمد عزت باشا المتولى ولاية جدة لما وصل الى مكة حصل بينه وبين الشريف عبد المطلب اختلاف ومنافرة بعد وصوله بأيام قلائل حتى صار الناس يتعجبون من سرعة وقوع الاختلاف بينهما ثم طلع كل منهما الى الطائف مع وجود تلك المنافرة فاتفق ان عزت باشا المذكور طلع يوما الى الوهط لزيارة عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما على مازعمه كثير من الناس والصحيح أن عكرمة مدفون بالشام فلما رجع عزت باشا من الوهط قرب المغرب صار عليه رمى بالبندق من الجبال القريبة من المثنى فقيل ان بعض الرصاص أصاب طربوشه وسلمه الله منها فوقع فى ظنه ان وقوع هذا الامر انما كان باغراء الشريف عبد المطلب فاستحكمت العداوة بينهما فنزل الى مكة ولم ينزل الشريف عبد المطلب فى تلك السنة من الطائف وكتب كل منهما الى الدولة العلية يشكو من صاحبه بشكايات فعزلت الدولة أحمد عزت باشا وولوا كاملا باشا فوصل الى مكة سنة سبعين فى شهر رجب فنزل الشريف عبد المطلب من الطائف قبل قدومه وقابله وأضافه وصار بينهما المحبة والالفة وكان بينهما محبة سابقة حين كان الشريف عبد المطلب فى دار السلطنة ثم بعد أيام صنع كامل باشا تعليم العساكر النظامية بالابطح وحضر هو والشريف عبد المطلب وغيرهما ممن يعتاد حضورهم وفى أثناء حصول ذلك التعليم جاء شخص للشريف عبد المطلب وأخبره بأنهم يريدون القبض عليه فى هذا اليوم فقام كأنه يريد قضاء حاجة وخرج من المجلس وغاب طويلا ثم جاء الخبر لكامل باشا أنه ركب وتوجه الى الطائف فتفرق الجمع الذين كانوا مجتمعين لحضور التعليم وكان تفرقهم بعد تمام التعليم على ما هو المعتاد ولم يعلم أحد بحقيقة الحال الا بعد مدة وبقى الشريف عبد المطلب بالطائف واستحكمت العداوة بينهما أكثر مما كانت مع عزت باشا وآقه باشا وكان الشريف عبد المطلب يتهم السيد اسحق لانه هو الذى يلقى العداوة بينه وبين الولاة لان السيد اسحق كان من أكبر المحبين للشريف محمد بن عون فلما تولى الشريف عبد المطلب نزل الى جدة واستقبله عند قدومه ومدحه بقصيدة وصار يصانعه ويظهر له الصداقة فلم يأمنه الشريف عبد المطلب لكونه يراه مصطحبا مع الولاة فان آقه باشا كان مقربا للسيد اسحق يستشيره فى كثير من مهمات الامور ثم صار بعده عزت باشا كذلك ثم كامل باشا كذلك

وكانت تأتيهم مكاتيب من الصدارة ومن شيخ الاسلام بالتوصية على السيد اسحق وكان استخراج تلك المكاتيب من الصدارة ومشيخة الاسلام بواسطة الشريف محمد بن عون وابنه الشريف عبد الله فلما رأى الشريف عبد المطلب شدة اتصال السيد اسحق بالولاة ورأى محبتهم له لم يأمنه وصار يظهر له الكراهة واذا حضر عنده لم يلتفت له كل الالتفات وكان قد عزله من مشيخة السادة سنة تسع وستين بعد عزل آقد باشا وتولية عزت باشا وأقام فى مشيخة السادة اخاه السيد عبد الله بن عقيل وبعد عزله زاد اتصاله بالولاة وزاد تقريبهم له ومحبتهم اياه لاسيما والمكاتيب من دار السلطنة يتوالى تكرارها عليهم فاستحكمت العداوة بين السيد اسحق والشريف عبد المطلب وزيادة على ذلك ان الناس الذين يسعون بالفساد صاروا يوشون بينهما وينقلون أشياء توغر منها الصدور ويشيعونها بين الناس ففى سنة احدى وسبعين والشريف عبد المطلب بالطائف وكامل باشا بجدة أرسل الشريف عبد المطلب من الطائف عسكرا من عسكر بيشة للقبض على السيد اسحق والاتيان به الى الطائف فجاؤا خفية من طريق الحسينية والسيد اسحق بداره المعروفة بالعبالية فوجدوه بالبستان المتصل بالدار وعنده نجار يصطنع له ساقية فقبضوا عليه وذهبوا به على طريق الخفار ثم على الحسينية وتوجهوا به الى الطائف فلما جاء الخبر الى مكة لقائم مقام كامل باشا أركب العساكر ليدركوهم ويخلصوه منهم فلم يدركوهم فلما وصل السيد اسحق الى الطائف أركبوه حمارا أسود قصيرا وكان السيد اسحق طويلا ذا هيئة بهية فكان ذلك تعزيراً له وطافوا به فى الطائف وسوقه وعسكر بيشة والعبيد محيطون به ثم حبسوه فى القلعة التى فى المثناة المسماة مشرفة تجاه دار الشريف عبد المطلب الكبيرة التى بناها فى العام الذى قبله ثم بعد ليلتين أخرجوه منها ميتا فصار بذلك تهمة على الشريف عبد المطلب فمن قائل انه مات خنقا وقائل انهم عصروا خصيتيه حتى مات والله أعلم بحقيقة الحال فلما بلغ خبر موته كاملا باشا وهو بجدة غضب غضبا شديدا وأرسل رمزى أفندى مدير الحرم الى دار السلطنة ليبلغ هذا الخبر وكثر فى ذلك القيل والقال وبقى الشريف عبد المطلب بالطائف ومانزل ولا فى وقت الحج وانقضت السنة والاراجيف كثيرة فلما كان شهر صفر من سنة اثنتين وسبعين وصل الى جدة من دار السلطنة باشا ربق يسمى راشد باشا وشاع بين الناس انه يريد القبض على الشريف عبد المطلب ويقيم الشريف عبد الله بن ناصر بن فواز بن عون قائما مقام الشريف محمد بن عون وكان متزوجا بنت الشريف محمد وأبوه ابن عم الشريف محمد وكان وكيلا على بيته وأمواله فى مدة غيبته واتفق فى تلك الايام التى قدم فيها راشد باشا انه ورد التنبيه من كامل باشا لقائم مقامه بمكة ان يجمع دلالى الرقيق ويمنعهم من بيع الرقيق بمقتضى أمر جاء لكامل باشا من الدولة ففعل قائم مقام الباشا ما امر به فصار للناس من ذلك انزعاج واضطراب وصاروا يقولون كيف يمنع بيع الرقيق الذى أجازه الشارع وهاج الناس هيجانا شديدا فاجتمع جماعة من طلبة العلم عند الشيخ جمال شيخ عمر وكان رئيس العلماء وقالوا نذهب الى القاضى ونذاكره فى ذلك ليراجع كاملا باشا وهو يراجع الدولة فى ذلك فاجتمع معهم وهم ذاهبون الى بيت القاضى خلق كثير من غوغاء الناس فلما دخلوا على القاضى فزع منهم وهرب ودخل الى بيت حريمه فزاد هيجان الناس واضطربوا بهم وهاج بسبب ذلك بعض العساكر الضابطية الذين كانوا فى دار الحكومة ورأوا بعض الناس حاملين السلاح ويقولون الجهاد فثار من ذلك فتنة عظيمة وصار الرمى بالبندق من الفريقين وانتشرت الفتنة ورمى البندق فى الاسواق والطرقات وصار القتل لكثير من العسكر وغيرهم وتوقف بعض العسكر مع بعض أهل البلد فى المسجد الحرام وصاروا يترامون بالبندق فى المسجد وقتل فى المسجد أناس من ذلك الرمى ففزع بعض الناس الى الشريف منصور ابن الشريف يحيى بن سرور وهو فى داره وسألوه تسكين هذه الفتنة فأطلق مناديا فى مكة لمنع الناس من الفتنة فامتثلوا أمره وأمن الناس وتحفظ على العساكر الشاهانية وأطلع كثيرا منهم القلعة وكذلك الشريف عبد الله بن ناصر أدخل كثيرا من العسكر فى دار الشريف محمد بن عون وسكنت الفتنة فلما جاء الخبر فى الطائف للشريف عبد المطلب جمع القبائل وقال انى أريد حماية أهل مكة لئلا يصيبهم ضرر من كامل باشا بسبب ما صار منهم فلما وصلت لكامل باشا الاخبار الاولى التى حصل منها الفتنة أرسل الى أهل

مكة بالامان وأنه راجع الدولة في أمر الرقيق فلم يطمئن الناس بذلك بل صاروا خائفين من سطوته ثم لما بلغه ان الشريف عبد المطلب جمع القبائل ويريد المجئ بهم الى مكة أرسل وطلب الشريف عبد الله بن ناصر الى جدة وكذلك طلب الشريف منصور بن يحيي وقيل ان الشريف منصور اتوجه الى جدة بلا طلب خوفا من الشريف عبد المطلب وتباعدا عن الفتنة ثم توجه الشريف عبد المطلب بالقبائل من الطائف وجاء بهم الى مكة وكان العساكر الشاهانية بالقلعة ومعهم أويس باشا قندان العساكر فأقام كامل باشا الشريف عبد الله بن ناصر قائما مقام أمير مكة الشريف محمد بن عون وكتب للشريف عبد المطلب انك معزول وان الدولة وجهت امارة مكة للشريف محمد بن عون وقد أقمنا الشريف عبد الله بن ناصر قائما مقامه فلم يقبل منه الشريف عبد المطلب ذلك وعقد مجمعا في داره التي في القرارة وأحضر فيه كثيرا من الاشراف والسادة والعلماء وأعيان الناس وأخبرهم أني جئت بالقبائل لحمايتكم ونصرة الدين وعقد عهودا ومواثيق بينهم وصار أهل الحارات حاملين للسلاح ويعسون في البلاد طول الليل ثم ان كامل باشا جهز عسكرا من جدة بعد ان أقام الشريف عبد الله بن ناصر قائما مقام امير مكة الشريف محمد بن عون وارسله مع العسكر الذين جهزهم الى بحره ومعهم ايضا راشد باشا الفريق الذي قدم من دار السلطنة فنصبوا العرضي في بحره وكتب الشريف عبد الله بن ناصر للامراء من الاشراف وللقبائل وأهالي مكة يخبرهم بحقيقة الحال ولم يقبل ذلك الشريف عبد المطلب وقال هذا كله تزوير واختلاق من كامل باشا وجهز كثيرا من القبائل وأرسلهم مع بعض الامراء من الاشراف وغيرهم لقتال العسكر الذين في بحره فهجموا على العرضي ووقع القتال بين الفريقين ثم انهزمت تلك القبائل ورجعت الى مكة وتكرر ذلك ثلاث مرات وهم ينهزمون كل مرة منها وتكررت مكاتبات الشريف عبد الله بن ناصر لكثير من الاشراف وشيوخ القبائل وبقية الناس فصاروا يتأخرون عن الشريف عبد المطلب ودخلهم الفشل وذهب كثير من الاشراف وشيوخ القبائل الى العرضي في بحره عند الشريف عبد الله بن ناصر فصار يكرمهم بالكساوي وعطايا الدراهم ثم انتقل بالعرضي الى الشميسي فلما تحقق الشريف عبد المطلب ان كثيرا من الناس تخلوا عنه وأخذوا الامان من الشريف عبد الله بن ناصر عزم على الخروج من مكة والتوجه الى الطائف وقال للاشراف ولاهل مكة ومن بقي معه من القبائل قد أعذرتكم فخذوا الامان لانفسكم من الشريف عبد الله بن ناصر اني أريد التوجه الى الطائف وأتجهز منه ثم أتوجه الى دار السلطنة من طريق البر ثم توجه الى الطائف ومعه بعض أتباعه وكان ذلك في آخر شهر ربيع الاول من السنة المذكورة ثم سار الشريف عبد الله بن ناصر وراشد باشا ومن معهما من العساكر من الشميسي ودخلوا مكة وأطلقوا المنادي بولاية سيدنا الشريف محمد بن عون امارة مكة وأمنوا الناس ولم يعاقبوا أحدا من الناس الذين قاموا في تلك الفتنة فاطمأنت البلاد وسكنت الفتنة ونصبوا العرضي الذي فيه العسكر الذين جاؤا معهم في الابطح وصار الشريف عبد الله بن ناصر يطلع في الليل يبيت في العرضي في صيوان نصب له هناك ويجلس فيه في النهار أيضا في بعض الاوقات وفي بعضها ينزل الى دار سيدنا الشريف محمد بن عون وصارت أحكام البلد كلها مفوضة اليه وأما الشريف عبد المطلب فانه لما وصل الى الطائف وهو عازم على التجهز والتوجه الى دار السلطنة من طريق البر جاءه بعض الناس ونقضوا عزمه عن التوجه الى دار السلطنة وحسنوا له ان يجمع قبائل الحجاز كبني سعد وغامد وزهران ويجعلهم مع قبائل الطائف كثقيف وبني سفيان ويقاتل بالجميع الشريف عبد الله بن ناصر ومن معه ويخرجهم من مكة فوافقهم على ذلك وترك التوجه الى دار السلطنة وأرسل للقبائل المذكورة وجمعهم ودفع لهم أموالا من عنده وكان في قلعة الطائف عسكر من عساكر الدولة فأخرجهم منها واستولى على القلعة ثم أمر عسكر الدولة الذين كانوا في القلعة ان يتوجهوا الى مكة وكانت الطرق كلها مخوفة لانتشار العربان والقبائل فيها وكان الشريف فواز بن ناصر أخو الشريف عبد الله بن ناصر في بلادهم تسمى رحاب ومعه اخوانه وأهله فخاف على عسكر الدولة الذين أخرجوهم من الطائف ان تتخطفهم الاعراب في الطريق فعارضهم بعد ان خرجوا من الطائف وذهب بهم الى رحاب وأضافهم وأكرمهم ثم سيرهم من أوصلهم الى الشريف عبد الله بن ناصر ولما اجتمع كثير من القبائل عند الشريف عبد المطلب في شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة أرسلهم الى مكة وجعل عليهم أمير الشريف

الحسين بن منصور الشنبرى ومعه جماعة من الاشراف الذين كانوا مع الشريف عبد المطلب فهجموا على العرضى الذى فى الابطح وثار الحرب بين الفريقين وكان الشريف عبد الله بن ناصر فى ذلك الوقت بمكة فلما جاءه الخبر ركب مسرعا وتواقف الفريقان الى ان جاء الليل فصعد القبائل التى جاءت من عند الشريف عبد المطلب الى الجبال وتحصنوا فيها وباتوا الى ان أصبح الصباح فأعادوا الحرب ثم انهزموا هزيمة شنيعة وقتل كثير منهم وجاؤا برؤسهم الى مكة ثم جهز الشريف عبد المطلب جيشا آخر من القبائل فى آخر شهر رجب وسيرهم كالاولين فخرج الشريف عبد الله بن ناصر بالعساكر الى عرفة حين بلغه اقبالهم ليقاتلهم هناك فلما أقبلوا انتشب القتال بعرفة ثم انهزموا مثل الهزيمة الاولى ثم جهز الشريف عبد المطلب جيشا آخر من القبائل فى اواخر شعبان وسيرهم كالذين قبلهم ومعهم الشريف حسين بن منصور الشنبرى وبعض الاشراف وقيل ان الشريف عبد المطلب سار معهم بنفسه فى هذه المرة فهجموا على العرضى الذى فى الابطح وقتلوا الى ان جاء الليل فتحصن القبائل بالجبال واتخذالهم متارس وبات الشريف عبد الله بن ناصر تلك الليلة فى العرضى بغاية الاحتراس خوفا على العساكر الشاهانية ان تهجم عليهم القبائل فى الليل وفى تلك الليلة جاء البشير من جده بخبر وصول سيدنا الشريف محمد بن عون الى جدة وكان ذلك فى ثامن شعبان فبات العساكر تلك الليلة فى العرضى فى فرح وسرور مظهرين الزينة فى العرضى حين ورد الخبر اليهم باطلاق المدافع والصواريخ وغير ذلك فلما أصبحوا انتشب القتال قليلا ثم انهزمت تلك القبائل هزيمة أقبح من اللتين كانتا قبل ذلك ورجعوا الى الطائف بعد ان قتل كثير منهم وجئ برؤسهم الى مكة ثم بعد يومين وصل سيدنا الشريف محمد بن عون الى مكة ومعه ابنه الشريف على باشا وأما ابنه الشريف عبد الله باشا فانه تأخر فى دار السلطنة ثم أعطى رتبة الوزارة وصار من أعضاء مجلس شورى الدولة ثم بعد وصول سيدنا الشريف محمد بن عون الى مكة بأيام تجهز بالعساكر وتوجه بهم الى الطائف ومعه ابنه الشريف على باشا والشريف عبد الله بن ناصر وكثير من الاشراف والقبائل وكان توجههم بعد ان أرسلوا للشريف عبد المطلب يعطونه الامان وان يترك القتال فامتنع وتحصن بالطائف واستعد للقتال وأمر أهل الطائف بحمل السلاح على مثل الحال الذى كان سنة ثلاث وأربعين وكان عنده بالطائف بعض من قبائل هذيل وثقيف وبنى سفيان فلما قرب الشريف محمد بالعرضى من الطائف هربوا من الطائف وذهبوا الشريف محمد بن عون ولما توجه الشريف محمد بالعرضى من مكة فى أواخر شعبان ولم يزل سائرا والقبائل تقبل عليه من كل ناحية يعرضون عليه ويطلبون الامان وهو يؤمنهم ويكرمهم بالضيافة والدراهم والكساوى من الجوخ والشيلان فلما قرب من الطائف أمر بنصب العرضى فى العقيق فى الموضع الذى نصب فيه سنة ثلاث وأربعين وحاصروا الطائف وضربوا عليهم المدافع ولم يبق عند الشريف عبد المطلب أحد غير أهل الطائف والشريف الحسين بن منصور الشنبرى وبعض الاشراف فلما اشتد الحصار على أهل الطائف خرج جماعة منهم بالخفية ووصلوا الى العرضى وقابلوا سيدنا الشريف محمدا وأخذوا منه أمانا لانفسهم ولاهل الطائف وللشريف الحسين بن منصور الشنبرى ومن معه من الاشراف ثم فتحوا باب السور وأدخلوا العساكر فأحاطوا بالدار التى كان فيها الشريف عبد المطلب ثم أعطوه الامان على نفسه وقبضوا عليه وأركبوه على فرس وأحاط به الشريف على باشا والشريف عبد الله بن ناصر وأتباعهما وساروا به الى ان أوصلوه العرضى وسلموه للشريف محمد بن عون وكان ذلك فى شهر رمضان من السنة المذكورة فأنزله الشريف محمد بن عون فى داره التى بالطائف عند باب الحرم وجعل عليه عسكر التحفظ واطمأنت الناس وزالت الفتنة وأمنت الطرق وفى شهر شوال أنزلوا الشريف عبد المطلب من الطائف الى مكة والعساكر محيطة به للتحفظ وبعد وصوله الى مكة أنزلوه الى جدة وسلموه لكامل باشا فأركبه البحر ووجهه الى دار السلطنة ومعه عساكر للتحفظ وشاع ان الدولة أمرت بتوجيهه الى سلانيك ثم توسل الشريف عبد المطلب الى الصدر الاعظم رشيد باشا يطلب ان تكون اقامته بدار السلطنة فاجيب الى ذلك فجئ به الى دار السلطنة ونزل بالدار التى كان فيها اولا فبقى فيها فى عز واكرام ولم تعاقبه الدولة على شئ مما كان وأقام سيدنا الشريف محمد بن عون فى مكة بعد هذه الفتنة سنتين والناس فى أمن وأمان وسرور وقدم لمباشرة أكثر الامور ابنه الشريف على باشا

ومعه الشريف عبدالله بن ناصر وفي سنة ثلاث وسبعين عزل كامل باشا وتولى بدله محمود باشا الكردي وكان والياً على اليمن وقبل ولايته اليمن كان فريقاً قبدان العساكر بمكة فلما ولي اليمن اعطي رتبة الوزارة ثم عزل من اليمن وأعطي ولاية جدة بعد ان عزل كامل باشا فجاء الى مكة ومكث نحو سنة ثم عزل وتولى بدله نامق باشا فوصل الى مكة في أوائل سنة اربع وسبعين

﴿ ذكر وفاة الشريف عبدالله بن ناصر سنة ١٢٧٤ ﴾

وقبل وصوله بأيام توفي الشريف عبدالله بن ناصر بعد أن مرض أياما

﴿ ذكر وفاة سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٧٤ ﴾

وفي الثالث عشر من شعبان في هذه السنة توفي سيدنا الشريف محمد بن عون وانتقل الى رحمة الله تعالى بعد ان مرض اياما رحمه الله تعالى وعمره نحو السبعين ودفن في قبة السيدة آمنة والدة النبي صلى الله عليه وسلم بجانب قبرها وخلف ستة من الذكور وهم عبدالله وعلي وحسين وعون وسلطان وعبدالله وكلهم في غاية الفطنة والنجابة والكمال وخلف اربعة من الاناث فلما توفي أقام نامق باشا الشريف علياً باشا وكيلاً للامارة الى ان يأتي الخبر من دار السلطنة

﴿ ذكر ولاية سيدنا الشريف عبدالله باشا سنة ١٢٧٤ ﴾

ولما بلغ الخبر بالوفاة دار السلطنة وجهت الدولة امارة مكة لابنه مولانا الشريف عبدالله وقد تقدم ذكر بقائه هنالك بعد مجيء والده الى مكة وانه وجهت له رتبة الوزارة وجعل من أعضاء المجلس الخاص وزيادة على ذلك اشتهر عند رجال الدولة بكمال العقل وحسن التدبير ومعرفة الاحكام وكان قد قرأ في علم النحو وصار له به دراية واشتغل كثيراً بمطالعة كتب العلم من التفسير والحديث والفقه والادب واقتنى من الكتب شيأ كثيراً وكان يكثر في مجلسه من مذاكرة العلم والادب ويحضر في مجلسه كثير من العلماء والادباء في كثير من الاوقات وكان يحبهم ويعظمهم ويكرمهم ويقضي حوائجهم وكان توجيه الامارة له في شهر رمضان بعد مجيء خبر وفاة والده ومكث في دار السلطنة بعد توجيه الامارة له شهوراً لقضاء مهماته وتوجه الى مكة في شهر ربيع الاول سنة خمس وسبعين ودخل مكة في موكب عظيم وفرح الناس بولايته وصارت له هيبة في قلوب الاشراف والعربان وكافة الناس لعلمهم بدرايته وحسن سياسته حين كان قائماً مقام والده في الولاية الاولى ولما قدم جاء معه بميزاب الكعبة محلى بالذهب لم ير الراؤن أحسن منه بعثه السلطان عبد المجيد وأرسلوا القديم الى دار السلطنة

﴿ ذكر فتنة جدة سنة ١٢٧٤ ﴾

وينبغي ان نذكر هنا الفتنة التي كانت بجدة قبل وصوله من دار السلطنة وكانت بعد وفاة والده لان الفتنة المذكورة كانت في السادس من ذي القعدة سنة أربع وسبعين وملخصها اجمالاً ان صالحا جوهر أحد التجار بجدة وكان له مركب منشور فيه بندرة الانكليز والبندرة هي البيرق فأراد ان يغيرها ويجعل فيه بندرة من بندرات الدولة العلية فسمع بذلك قنصل الانكليز فمنعه من ذلك فلم يمتنع وأخذ رخصة من نامق باشا فأذن له بوضع بندرة الدولة العلية وكتب له منشوراً بذلك فوضعها ونشرها وأزال بندرة الانكليز فطلع قنصل الانكليز البحر ودخل المركب المذكور وأزال بندرة الدولة التي نشرت ونشر بندرة الانكليز وشاع انه لما أزال بندرة الدولة وطئها برجله وتكلم بكلام غير لائق فغضب لذلك المسلمون الذين في جدة فهاجوا هيجة عظيمة وقصدوا دار القنصل وقتلوه وثار من ذلك فتنة عظيمة قتلوا فيها غيره من القناصل الموجودين ومن كان بجدة من النصارى ونهبوا أموالهم وأرادوا أن يقتلوا فرج يسر أحد التجار المشهورين بجدة لكونه كان محامياً عن قنصل الانكليز ومعدوداً من رعيتهم فاختفى فأراد عوام الناس ان ينهبوا داره فمنعهم من ذلك عبدالله نصيف وكيل مولانا الشريف محمد بن عون بجدة وكان نامق باشا بمكة والشريف علي باشا القائم مقام الامارة كان قد توجه الى المدينة المنورة لمقابلة الحج فلما جاء خبر هذه الفتنة لنامق باشا اهتم لذلك ثم توجه الى جدة وسكن الفتنة وقبض على بعض الناس الذين نسب اليهم القتل والنهب ووضعهم في السجن وأرسل الى الدولة العلية يخبرهم بما وقع في هذه الفتنة وطلع الى مكة لاداء الحج فلما كان الثالث من أيام التشريق والناس بمنى جاء الخبر من جدة بأنه جاءهم مركب حربي للانكليز وسار يرمي بالمدافع المحشوة بالقلل على جدة فخرج كثير من الناس من جدة هاربين

بنسائهم وأولادهم وأموالهم ركبانا ومشاة فانزعج الناس من ذلك انزعاجا شديدا فلما فرغ الناس من أداء مناسك الحج ونزلوا من منى عقد نامق باشا فى مكة مجلسا فى ديوان الحكومة أحضر فيه كثيرا من العلماء والتجار وأعيان الناس وأحضر كثيرا من تجار جدة الذين قدموا مكة لأداء الحج وكانوا حضروا وقوع الفتنة حين وقعت بجدة وأخبرهم بمجيء المركب الحربى الذى جاء من الانكليز وبضربه القلل على جدة وبخروج كثير من الناس منها وقال لهم القصد المشاورة معكم فيما يحصل به تسكين هذا الامر فقال له كثير من الحاضرين ان الاسلام لله الحمد قوى وأهله كثيرون وذكروا له عدد قبائل الحجاز مثل هذيل وثقيف وحرب وغامد وزهران وعسير وانكم اوتعطون الناس رخصة ينفرون نفيرا عاما فيجتمع من ذلك الالوف بل الكوك فيدفعون تعدى الانكليز ولا يرضون ان يقع عليهم هذا الذل فقال لهم نامق باشا هذا العدد الذى ذكرتموه من قبائل العرب صحيح بل يوجد مثله أضعافا مضاعفة لكن اذا اجتمعت هذه القبائل غاية مايقدرون عليه أنهم يصلون الى مكة وجدة وبعد ذلك يدفعون هذا المركب عن جدة فيحصل من الانكليز وغيرهم من النصارى تسلط على بقية مدائن الاسلام ويجتمعون على محاربة الدولة العلية وليس عند هؤلاء القبائل التى اجتمعت قدرة على الدفع عن بقية مدائن الاسلام لانه ليس عندهم مراكب يعبرون فيها ولا ذخائر ولا جبخانات ولا مدافع ولا شيء مما يحتاجون اليه وأيضا اذا دفع هذا الضرر الآن ولا يجتمع هؤلاء القبائل الا بعد مدة طويلة فلابد من التدبير الآن فى دفع هذا الضرر بالسرعة فقال بعض التجار الحاضرين يأذن لنا أفندينا فى تغريق هذا المركب الحربى الذى جاء يرمى بالمدافع المشحونة بالقلل على جدة فان كثيرا من أهل البحر الموجودين تحت أيدينا لهم معرفة وصناعة بتغريق المراكب يأتونها من تحت الماء ويغرقونها ببرامات يجعلونها فى المراكب فقال لهم ليس هذا صوابا فانكم اذا أغرقتم مركبا يأتيكم بعده عشرة مراكب واذا أغرقتم العشرة يأتيكم مائة وهكذا فيتسلسل الأمر ولا يزول الضرر وايضا ربما يتركون جدة ويتوجهون الى اضرار بقية مدائن الاسلام وانما الاحسن فى تدبير هذا الأمر انا نتداركه باللطف وحسن السياسة بأن نتوجه الى جدة انا وكثير من أعيانكم ونجتمع بقبطان هذا المركب ونعقد معه أمرا ينـدفع به الضرر فاستحسنوا رأيه فتوجهوا الى جدة وأخذ معه رئيس العلماء الشيخ جمال شيخ عمر ومعه من العلماء الشيخ صديق كمال والشيخ ابراهيم الفتا والشيخ محمد جاد الله وشيخ السادة السيد محمد بن اسحق بن عقيل وتجار جدة الذين كانوا جاؤا للحج فلما وصلوا الى جده صار اجتماعهم بالقبطان المذكور وعقدوا مجلسا صار القرار فيه على انه يصير تحقيق هذه القضية ويحصل الانتقام ممن وقع منه التعدى فى هذه الفتنة ويكون ذلك بعد رفع الامر الى الدولة العلية وانتظار الجواب منها بما يأمرون به ورضى الجميع بذلك وكتبوا به مضبطة وختموها بأختامهم فلما كان أواخر شهر محرم من سنة خمس وسبعين وصل الى جدة مأمورون من طرف الدولة ومعهم أناس من كبار الانكليز والفرنسيس وكان نامق باشا بجدة فعقدوا مجلسا معه واتفقوا على أنهم يحضرون الناس المتهمين فى احداث هذه الفتنة ويقررونهم ويستنطقونهم كل واحد وحده حتى يقفوا على حقيقة الامر ويعرفوا الذين قتلوا والذين نهبوا والذين هجموا فلما تم قرارهم على ذلك صاروا يعقدون مجالس لا يحضر فيها نامق باشا وانما يحضر هؤلاء المرخصون الذين جاؤا مرسلين من الدولة ومن الانكليز والفرنسيس وصاروا يقبضون على كل من صارت عليه تهمة ويحبسونه فى موضع وحده ثم يحضرون كل واحد منهم وحده ويسألونه ويستنطقونه بغاية التلطف والتعظيم والتبجيل ويحتالون عليهم بكل حيلة ويكتبون كل مايقول فكان ملخص تلك الاستنطاقات ان أهل جدة الذين هاجوا فى الفتنة وحصل منهم القتل والنهب قالوا انما كان ذلك منا بأمر من التجار وقاضى جدة الشيخ عبد القادر شيخ والاعيان وسموا أناسا منهم وقال الحضارم وأمرنا بذلك شيخ السادة السيد عبد الله باهارون وكبير الحضارم الشيخ سعيد العامودى وقال شيخ السادة وسعيد العامودى وقاضى جدة وبقية التجار والاعيان انما كان ذلك منا بأمر من عبد الله المحتسب وقال عبد الله المحتسب انما كان ذلك منى بأمر من ابراهيم أغا القائم مقام نامق

شا هذا ملخص استنطاقاتهم فانها تتضمن الاعتراف بما وقع والاعتراف بانهم تسببوا في ذلك الا انهم أسندوا ذلك لسعيد العامودي وعبد الله المحتسب والقائم مقام نامق باشا وكان نامق باشا وهو بجدة يرسل اليهم سرا ويقول لهم الحذر ان تقروا بشئ من ذلك فانه يصير عليكم ضرر كثير فلم يمتثلوا ذلك بل أقروا بذلك وسببه ان المرخصين الذين حضروا من الدولة والانكليز والفرنسيس كانوا يتلطفون بهم ويعظمونهم ويحتالون عليهم بكل حيلة ويقولون لهم اخبروا بالواقع ولا يحصل لكم ضرر ويسألون كل واحد وحده فاذا نطق بشئ مخالف للواقع يقولون له ان فلانا وفلانا أخبرانا بكذا وكذا وذلك يخالف ما تقول ولا يزالون به حتى يطابق كلامه كلام غيره فلما انتهت الاسانيد كلها الى ابراهيم اغا القائم مقام نامق باشا أحضروه وسألوه فأنكر جميع ما نسبوه له وكذبهم ولم يقر بشئ فاحتالوا عليه بكل حيلة فلم يقر بشئ فحبسوه في موضع وحده ثم حكموا عليه بالنفي مؤبدا ثم بحثوا أيضا عن الاشخاص الذين حصل منهم القتل والنهب فعرفوهم وحبسوهم ثم تشاور هؤلاء المرخصون المرسلون من الدولة العلية ومن الانكليز والفرنسيس فيما بينهم واتفقوا على انه يقتل عبد الله المحتسب وسعيد العامودي ونحو اثنى عشر نفسا من عوام الناس الذين وقع منهم القتل وانه ينفى من جدة شيخ السادة وقاضي جدة وبعض التجار بعضهم مؤبدا وبعضهم الى مدة مؤقتة ويحبس كثير من الذين وقع منهم النهب بعد ان أحضروا كثيرا مما أخذوه وان ما بقى من الاموال المنهوبة يأخذون قيمته من الدولة العلية فلما تم قرار مجلسهم على ذلك كتبوا به مضبطة وختموها بأختامهم وأعطوها لنامق باشا وطلبوا منه تنفيذ ذلك على ما جاؤه به من الامر من الدولة فانهم جاؤه بأوامر فيها الامر له بتنفيذ ما يتفقون عليه فنفذه فأخرجوا عبد الله المحتسب وسعيد العامودي من الحبس وقتلوهما في سوق جدة على رؤس الاشهاد وقتلوا الاثنى عشر الذين من عوام الناس خارج جدة وكان ذلك اليوم يوما مهولا في جدة اشتد فيه الكرب على جميع المسلمين ثم نفوا من حكموا عليه بالنفي فمنهم من قضى السنين التي أفتوها له ورجع الى جدة ومنهم من مات ولم يرجع اليها فمن الذين رجعوا الشيخ عبد القادر شيخ قاضي جدة والشيخ عمر بادرب والشيخ سعيد بغلف ومن الذين لم يرجعوا وتوفوا وهم منفيون السيد عبد الله باهارون والشيخ عبد الغفار والشيخ يوسف باناجه رحمهم الله تعالى وقبضوا من الدولة قيمة بقية الاموال المنهوبة وكان شيأ كثيرا هذا ملخص تلك الفتنة باختصار ولا حول ولا قوة الا بالله فان هذه القضية كانت من أعظم المصائب على أهل الاسلام وكان قدوم سيدنا الشريف عبد الله المتولى امارة مكة بعد تمام هذه الامور كلها وكان تأخره بدار السلطنة الى هذه المدة لاجل أن لا يناله شئ من الدخول في هذه القضية ولا يمكنه المعارضة لما يتفقون عليه ولما وصل الى جدة كان هؤلاء المرخصون الذين حضروا لتحقيق هذه القضية من الدولة والانكليز والفرنسيس موجودين بجدة لم يسافروا فحضروا عنده يوم وصوله جدة للسلام عليه وقالوا له صرنا ممنونين بقدومك الى جدة قبل ان نسافر لانا نريد الوصول الى مكة للتفرج عليها وخشينا أن يمنعنا أهل مكة من دخولها ولما حضرت أنت تحقق عندنا أن نتمكن من ذلك ولا يستطيع أحد أن يمنعنا لانك أنت الامير المطاع النافذ الامر قال انهم لما طلبوا منى ذلك تحيرت ولا يقبلون منى في الجواب الا أن أقول لهم ان ذلك ممنوع في شرعنا ولا يرضى المسلمون بذلك فألهمني الله لهم جوابا عقليا اقناعيا فقلت لهم أنتم رأيتم صورة مكة في الخرائط والجغرافيات ليس فيها بساتين ولا أنهار ولا شئ من الزخارف وانما هي واد غير ذي زرع بين الجبال فلو أتيتم اليها ما تكسبون شيأ زائدا عما علمتوه من صورتها التي رأيتموها في الخرائط والجغرافيات فأرى ان وصولكم اليها تعب لكم بلا فائدة فقنعوا بهذا الجواب وأعرضوا عن طلب الوصول اليها وتوجهوا الى دار السلطنة وكان سيدنا الشريف عبد الله باشا لما قدم أميرا على مكة معه معاون من الدولة يسمى زكي باشا في مرتبة فريق وفي سنة ست وسبعين غزا غزوة الى الشرق لقمع بعض المخالفين وعاد منصورا مظفرا وكان ذلك في مدة نامق باشا قبل عزله ثم عزل نامق باشا في آخر هذه السنة وتولى بدله على باشا الكتاهيلي وفي هذه السنة ولد لسيدنا الشريف عبد الله ابنه الشريف علي

﴿ ذكر زيارة سعيد باشا والى مصر المدينة سنة ١٢٧٧ ﴾

وفى سنة سبع وسبعين توجه سيدنا الشريف عبدالله الى المدينة لمقابلة سعيد باشا والى مصر ابن محمد على باشا حين جاء للزيارة ثم لما رجع الى مصر توجه معه الى مصر ورجع الى مكة فى شهر شوال من هذه السنة

﴿ ذكر وفاة السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٧ وتولية أخيه مولانا السلطان عبد العزيز ﴾

وفى آخر هذه السنة كانت وفاة مولانا السلطان عبد المجيد ابن مولانا السلطان محمود وكانت وفاته لسبعة عشر من ذى الحجة من سنة سبع وسبعين ومائتين والف وعمره أربعون سنة ومدة سلطنته اثنتان وعشرون سنة وستة اشهر وأقيم فى السلطنة بعده اخوه مولانا السلطان عبد العزيز وجاء الى مصر سنة تسع وسبعين بعد ولاية اسماعيل باشا وفى سنة ثمان وسبعين عزل على باشا الكناهيلى عن ولاية جدة ومشيخة الحرم المكى وتولى بدله عزت حقى باشا

﴿ ذكر وفاة سعيد باشا والى مصر سنة ١٢٧٩ وتولية ابن اخيه اسمعيل بن ابراهيم باشا ﴾

وفى سنة تسع وسبعين توفى سعيد باشا والى مصر واقيم بعده اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد على باشا ولما تولى عزت حقى باشا ولاية جدة سنة ثمان وسبعين وصل الى مكة فى شهر رجب من السنة المذكورة واستمر الى سنة احدى وثمانين فعزل وتولى بدله محمد وجيهى باشا وجعل له مشيخة الحرمين مكة والمدينة ولم تقع لغيره وفى هذه السنة ولد لسيدنا الشريف عبدالله ابنه الشريف محمد وأحضرنى فى التسمية فسميته

﴿ ذكر مسير سيدنا الشريف عبدالله لقتال عسير سنة ١٢٨١ ﴾

وفى هذه السنة أيضا كان مسير سيدنا الشريف عبد الله لقتال عسير وأميرهم محمد بن عائض لانهم تجاوزوا الحدود واستولوا على بعض محاكم الدولة وصدر الامر من الدولة العلية لاسماعيل باشا والى مصر بأن يرسل عساكر من مصر لاعانة مولانا الشريف عبدالله على قتالهم فامتثل الامر وارسل عساكر كثيرة ونزلوا على القنفذة وتوجه سيدنا الشريف عبد الله بمن معه من العساكر التى فى مكة على طريق الليث ثم وصل الى القنفذة وجعل العرضى فى ناحية الحواة ولاحسبة وارسل اليه عسير وأميرهم محمد بن عائض يطلبون الصلح فامتنع وترددت الرسل بينه وبينهم فى ذلك وبينما هم كذلك اذ جاءته مكاتيب من اسمعيل باشا والى مصر بطلب استرجاع عساكره بالسرعة ولم يمهل فى تأخيرها وتكررت منه تلك المكاتيب فلما رأى الامر كذلك عقد الصلح مع عسير وأميرهم واشترط عليهم ان لا يتجاوزوا محاكمهم فقبلوا ذلك فأرسل العساكر المصرية الى مصر ورجع الى الطائف من طريق الحجاز بعد ان أقام مدة فى بلاد غامد

﴿ ذكر وفاة الشريف سلطان ابن سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٨٣ ﴾

وفى آخر شهر ذى الحجة من سنة ثلاث وثمانين توفى بمكة الشريف سلطان ابن سيدنا الشريف محمد بن عون وعمره نحو أربع وعشرين سنة وخلف بنتا

﴿ ذكر وفاة محمد وجيهى باشا وتولية معمر باشا سنة ١٢٨٤ ﴾

وفى سنة أربع وثمانين توفى بالطائف وجيهى باشا والى جدة وشيخ الحرمين فى ربيع الثانى وتولى بعده معمر باشا ولم يجعل له مشيخة حرم المدينة كما كانت لوجيهى باشا بل ولاية جدة ومشيخة حرم مكة فقط ولما توفى وجيهى باشا دفن فى قبة الحبر سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما بجانب قبر الحبر رضى الله عنه ولما توفى أقام سيدنا الشريف عبدالله عزت أفندى الحاسجى مقامه الى ان وصل معمر باشا وكان وصوله فى شهر شوال من السنة المذكورة وفى سنة خمس وثمانين غزا سيدنا الشريف عبدالله ناحية الشرق ووصل الى رنية لتأديب بعض القبائل ورجع منصورا مظفرا

﴿ ذكر ابتداء حفر خليج السويس ١٢٨٦ ﴾

وفى سنة ست وثمانين كان ابتداء حفر خليج السويس ليتصل بحر الروم ببحر القلزم وكان تمام ذلك سنة احدى وتسعين

وكان القائم بذلك دولة الفرنسيس والانكليز واسماعيل باشا والي مصر وبعد تمامه جعلوا على المراكب التي تمر منه عوائد معلومة على قدر مافيها من الحمل وهذا الذي حفروه حتى تصل البحران كان هرون الرشيد أراد أن يفعله ليتهيأ له غزو الروم فمنعه يحيى بن خالد البرمكي وقال له ان فعلته تتخطف الافرنج المسلمين من المسجد الحرام فامتثل كلامه وترك ذلك والآن بعد ان فعلوه يخشى على الثغور التي على البحر في جزيرة العرب منهم فنسأل الله الحفظ وفي مدة معمر باشا كان ترتيب مجلس الادارة ومجلس التمييز بمكة والمدينة وجدة والطائف وذلك سنة ست وثمانين

﴿ ذكر وفاة سيدنا الشريف علي باشا ابن سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٨٧ ﴾

وفي سنة سبع وثمانين كانت وفاة سيدنا الشريف علي باشا ابن سيدنا الشريف محمد بن عون بدار السلطنة لانه توجه الى دار السلطنة سنة ثمان وسبعين وأعطي رتبة الوزارة وصار من أعضاء مجلس شورى الدولة ورجع الى مكة سنة خمس وثمانين ومكث شهورا ثم رجع الى دار السلطنة وتوفي بها سنة سبع وثمانين بعد ان مرض مدة وعمره نحو ثمان وثلاثين سنة وخلف ابنيه الشريف حسينا والشريف ناصرا وأربعا من الاناث وتقدم ان ولادة الشريف حسين ابن الشريف علي كانت سنة سبعين واما الشريف ناصر أخوه فولادته كانت سنة تسع وسبعين بدار السلطنة أيضا ثم أرسله أبوه الى مكة

﴿ ذكر عزل معمر باشا وتولية خورشيد باشا سنة ١٢٨٧ ﴾

وفي سنة سبع وثمانين عزل معمر باشا من ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي وتولى بدله خورشيد باشا ووصل الى مكة في شهر شوال من السنة المذكورة

﴿ ذكر فتنة حوا سنة ١٢٨٨ ﴾

وفي سنة ثمان وثمانين في مدة خورشيد باشا وقعت فتنة بمكة تسمى فتنة حوا كانت بين الاهالي والعسكر كانت في شهر صفر من السنة المذكورة كان سببها هذا الشخص المسمى حوا التضارب مع بعض العسكر في سوق المعلى فثار لذلك أهل السوق وقتلوا مع العسكر ثم انتشرت الفتنة في أطراف البلد من غير ان يعلموا السبب فيها وقتل بعض العسكر وعزلت الاسواق فركب سيدنا الشريف عبد الله بنفسه ومعه بعض أتباعه وخرج الى السوق وأطراف البلد وسكن الفتنة ثم قبضوا على كثير من عوام الناس الذين كانت منهم تلك الفتنة وحبسوهم ثم قرروهم بالاستنطاق وعقدوا لذلك مجالس حضرها مولانا الشريف وخورشيد باشا والقاضي والمفتي وكثير من العلماء وحكموا على كل من ثبت عليه شيء بمقتضاه وحكموا على بعضهم بالنفي سنين مؤقتة واطمأنت الناس وزالت الفتنة

﴿ ذكر استيلاء الدولة العلية على بلاد عسير سنة ١٢٨٨ ﴾

وفي أول سنة ثمان وثمانين أيضا كان تمام الاستيلاء على بلاد عسير وأصل تلك الفتنة ان محمد بن عائض أمير عسير طغا وبغى ونقض العهود والصلح الذي عقده معه سيدنا الشريف عبد الله سنة احدى وثمانين كما تقدم واستولى على كثير من الحاكم التي كانت تحت حكم الدولة كبلاد بني شهر وغامد وزهران ثم سار بجيش عظيم سنة ست وثمانين الى الحديدة والمخا وفعل أشياء يطول الكلام بذكرها ثم أصاب جيوشه مرض ووباء فانهزم فجهزت الدولة سنة سبع وثمانين الفريق رديف باشا ومعه عساكر كثيرة فتوجه من جدة الى القنفذة على طريق البحر في شهر ذي القعدة وجعل العساكر بالقرب من محائل وحشد عسير جنوده عند العقبة فتركها وصعد من عقبة أخرى وملك الصراة من بلادهم ونزل عليهم من خلفهم وقاتلهم وانتصر عليهم وقبض على محمد بن عائض وكثير من امرائهم وقتلهم وبعث بعضهم الى دار السلطنة

﴿ ذكر وفاة الشريف شرف ابن سيدنا الشريف عبد الله سنة ١٢٨٨ ﴾

وفي سنة ثمان وثمانين في رمضان توفي الشريف شرف ابن سيدنا الشريف عبد الله بالطائف وكان قد قرأ كثيرا من العلوم ونجب فيها فحزن عليه حزنا كثيرا رحمه الله تعالى وعمره نحو اثنين وعشرين سنة

﴿ ذكر عزل خورشيد باشا وتولية قاسم باشا الفريق سنة ١٢٨٨ ﴾

وعزل خورشيد باشا في شوال سنة ثمان وثمانين وتولى بدله الفريق قاسم باشا وكان أولا محافظا على المدينة ثم صار

محافظا لجدة قائمقام خورشيد باشا فى جدة ثم وجهت له الولاية بعد عزل خورشيد باشا مع بقائه فريقا ولم يعط رتبة الوزارة وجعل اقامته بجدة وأنزل معه الخزينة والكتبة ومكث سنة

﴿ ذكر عزل قاسم باشا وتولية محمد رشيد باشا الاكز سنة ١٢٨٩ ﴾

ثم عزل فى شوال سنة تسع وثمانين وتولى بعده محمد رشيد باشا ويلقب اكز وفى سنة تسع وثمانين كان استيلاء عساكر الدولة الذين فى اليمن على مدينة صنعاء واستمر محمد رشيد باشا الى سنة احدى وتسعين

﴿ عزل محمد رشيد باشا الاكز وتولية محمد رشدى باشا الشروانى سنة ١٢٩١ ﴾

فعزل وولى بعده محمد رشدى باشا الشروانى الداغستانى وكان عالما متفننا لانه كان فى سلك العلية وسبب انتقاله الى الملكية أنه طلب من شيخ الاسلام رتبة قضاء فامتنع وكان الشروانى صديقا للصدر الاعظم فؤاد باشا فأعطاه رتبة الوزارة وأدخله فى سلك الملكية وترقى الى ان ولى الصدارة بعد عالى باشا ومحمود نديم باشا ثم عزل من الصدارة وأعطى ولاية الحجاز فقدم فى شهر رجب من سنة احدى وتسعين وتوجه الى الطائف

﴿ ذكر وفاة محمد رشدى باشا الشروانى وتولية تقى الدين باشا الحلبى سنة ١٢٩١ ﴾

وتوفى فى أواخر شعبان بالطائف فكانت مدته أقل من شهرين ودفن فى قبة الحبر رضى الله عنه فى قبر وجيهى باشا وتولى بعده تقى الدين باشا الحلبى وكان مفتيا فى حلب كأبيه من قبله ثم وقعت فتنة فى حلب اتهم بالتسبب لها فوقع بينه وبين أهل حلب تنافر فعزل من الفتوى وتوجه الى دار السلطنة ودخل فى سلك الملكية وأعطى رتبة الوزارة وترقى وولى ولايات منها بغداد وليها سنة واحدة بعد نامق باشا ثم عزل من بغداد وجاء الى دار السلطنة ثم أعطى ولاية الحجاز سنة احدى وتسعين بعد وفاة الشروانى فقدم فى ذى القعدة من السنة المذكورة وفى سنة احدى وتسعين ولد للشريف عون باشا مولود سماه محمدا عبد العزيز واستمر تقى الدين باشا الى سنة أربع وتسعين

﴿ ذكر خلع السلطان عبد العزيز سنة ١٢٩٣ وتولية السلطان مراد خان ﴾

وفى سنة ثلاث وتسعين خلع السلطان عبد العزيز وأقيم فى السلطنة السلطان مراد ابن السلطان عبد المجيد وكان ذلك فى السابع من جمادى الاولى من السنة المذكورة ثم توفى السلطان عبد العزيز بعد خمسة أيام من خلعه ثم خلع السلطان مراد فى الحادى عشر من شعبان من السنة المذكورة فكانت مدته ثلاثة أشهر وثلاثة أيام وأقيم فى السلطنة أخوه السلطان عبد الحميد ابن السلطان عبد المجيد بن محمود وفى مدته كان الحرب بين الدولة العلية والروسية

﴿ ذكر ابتداء تعليم أهالى مكة الحركات العسكرية سنة ١٢٩٤ ﴾

فاستحسن سيدنا الشريف عبد الله ان أهل مكة يتعلمون حركات العساكر النظامية وكيفية رميهم بالبندق فصدر الامر منه بذلك لاجل ارهاب الروسية واظهار الاستعداد لهم فامتثل الناس ذلك وأحضروا لهم البنادق وصار يعلمهم بعض العساكر النظامية الموجودة بمكة فتعلم كثير من الناس فى أقرب زمن وكان ذلك فى أول سنة أربع وتسعين واستمر التعليم نحو أربعة أشهر ثم تركوا ذلك

﴿ ذكر وفاة سيدنا المرحوم المبرور سيدنا الشريف عبد الله فى ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٤ ﴾

وفى هذه السنة توفى سيدنا الشريف عبد الله ابن المرحوم سيدنا الشريف محمد بن عون بالطائف فى الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة رحمه الله تعالى ودفن فى قبة الحبر رضى الله عنه قريبا من قبر الحبر وكان مريضا بعرق النسا أصابه من سنة تسعين وعولج بعلاجات كثيرة وشفى منه لكن لم يحصل له تمام الشفاء وبقيت آثاره معه بحيث لا يستطيع الركوب على الخيل ولا يركب الا فى العربة ولا يستطيع المشى الا قليلا بشئ يعتمد عليه فى يده وما انقطع فى جميع المدة عن جلوسه فى الديوان ولا عن مقابلته للناس ولا عن سماع الدعاوى وفصل الاحكام وفى هذه السنة طرأ عليه داء الاستسقاء وتقوى عليه من شهر جمادى الاولى الى ان توفى رحمه الله تعالى سنة أربع وتسعين وعمره نحو ست وخمسين سنة ومدة امارته نحو تسع عشرة سنة وخلف اثنين من الذكور عليا ومحمدا وأربعا من الاناث وبعد وفاته بأيام أعطى ابنه

الشريف على رتبة باشا وكذا الشريف الحسين ابن الشريف على باشا وجاء الامر من الدولة بذلك ولما توفى سيدنا الشريف عبدالله أقام تقى الدين باشا أخاه الشريف عونا باشا وكيلا قائما مقام الامارة وكان أخوه الاكبر منه الشريف حسين باشا بدار السلطنة

ذكر توجيه امارة مكة لسيدنا الشريف الحسين وقدومه فى شعبان سنة ١٢٩٤

فوجهت اليه الدولة أمارة مكة فقدم فى شعبان من السنة المذكورة وتوجه الشريف عون الى دار السلطنة فى شوال من السنة المذكورة فأعطى رتبة الوزارة وجعل من أعضاء شورى الدولة

ذكر عزل تقى الدين باشا وتولية حالت باشا سنة ١٢٩٤ ووفاته بجدة سنة ١٢٩٦ وتولية ناشد باشا سنة ١٢٩٦

وفى شهر ذى القعدة من سنة أربع وتسعين عزل تقى الدين باشا من ولاية الحجاز وولى بعده حالت باشا واستمر الى جمادى الآخرة سنة ست وتسعين فتوفى بجدة فى شهر جمادى الآخرة وولى بعده ناشد باشا ووصل الى مكة فى شعبان من السنة المذكورة وكان سيدنا الشريف الحسين حين وصوله غازيا ناحية تربة ثم وصل آخر شعبان منصورا مظفرا واستمر سيدنا الشريف الحسين فى امارة مكة الى سنة سبع وتسعين وفيها توجه الى جدة فى أوائل ربيع الثانى فعند دخول جدة وهو سائر فى موكب حافل جاءه رجل أفغانى وقصده وهو راكب كأنه يريد تقبيل يده

ذكر طعن سيدنا الشريف الحسين ووفاته بجده ونقله الى مكة سنة ١٢٩٧

فطعنه بسكين فى أسفل خاصرته فاشتد عليه الالم فنزل عن جواده وكان قد قرب من الدار التى يريد النزول بها وهى [illegible] عاضد ببعض خدمه وأدخلوه الدار فلما علموا انه مطعون طلبوا ذلك الافغانى حتى وجدوه بين [illegible] عليه ثم توفى سيدنا الشريف الحسين بعد يومين ونقلوه الى مكة ودفنوه بها فى قبر والده فى قبة السيدة [illegible] صلى الله عليه وسلم رحمه الله تعالى وعمره نحو اثنين وأربعين سنة وشهور وخلف ثلاث بنات ولم يخلف ذكرا ثم ان ذلك الافغانى الذى طعنه قرر عن سبب قتله وعذب بأنواع العذاب فلم يقر بشئ ولم يقر بأن احدا أغراه على ذلك فقتل بعد ذلك

ذكر الامارة الثالثة لسيدنا الشريف عبد المطلب سنة ١٢٩٧

ولما وصل الخبر الى دار السلطنة وكان الشريف عبد المطلب بدار السلطنة وجهت اليه امارة مكة فتوجه من دار السلطنة فلما وصل الى ينبع توجه للمدينة المنورة وأقام فيها أياما ثم رجع الى ينبع وتوجه الى جدة ثم الى مكة ودخلها فى الحادى عشر من جمادى الثانية من السنة المذكورة ووالى جدة اذذاك ناشد باشا ثم وقع بينه وبينه اختلاف وتنافر لاسباب اقتضت ذلك وذلك ان الشريف عبد المطلب كان فى هذا الوقت طعن فى السن وكبر فصار كثير من اتباعه المباشرين للمصالح يحسنون له فعل بعض الاشياء فيوافقهم على مايقولونه ويأمر بها وينسب الناس اليهم انهم يأخذون من الناس رشوة فى مقابلة تلك المصالح فكثر بسبب ذلك القيل والقال ووقع التنافر بينه وبين ناشد باشا فمن تلك الاشياء التى أوجبت التنافر انهم أخبروه بأشخاص انهم يقع منهم كلام غير لائق فغضب فأحضر ثلاثة منهم وهم عبدالله بن قويحص ومحمد تركى ومساعد الهابط وكان احضارهم ليلا فأمر بضربهم فضربوا ضربا كثيرا ثم بعد أيام مات من ذلك الضرب عبد الله بن قويحص ومحمد تركى وشفى مساعد الهابط فكثر كلام الناس فى هذه القضية ومن ذلك انه رأى دارا تجاه داره التى فى القرارة فى مدة غيبته بناها الشريف مهدى بن أبى طالب الحمودى وكانت عالية مشرفة فقال ان هذه الدار تكشف على دارى وفى بقائها ضرر كثير لا أتحمله فأمر بهدمها بعد أن أحضر مشرفين أشرفوا عليها ووافقوه على ان فى بقائها ضررا وأحضر أولاد الشريف مهدى وقال لهم أدفع لكم أربعة آلاف ريال فى مقابلتها وكتب فى ذلك حجة عند القاضى ببيعهم اياها له فكانوا يقولون أنهم مكرهون فى ذلك وبعد هدمها كثر كلام الناس فى ذلك ومن أسباب التنافر بينه وبين ناشد باشا أيضا وكثرة كلام الناس انه كتب تقريرا للشريف دخيل الله العواجى فى دلالات الحلقة التى يباع فيها الفواكه والخضر فمنع دخيل الله أهلها الذين كانوا يباشرون الدلالات فيها ثم اشترى منه تلك الدلالات بمبالغ كثيرة وفعل مثل ذلك فى دلالات الفحم والحطب والحشيش وقرر فيها أشخاصا من

الاشراف وكذلك فعل مثل ذلك فى خراجات جال بعض بيوت مشايخ الجاوى فكثر كلام الناس فى ذلك كله وحصل أيضا اختلال فى الطرق وعدا كثير من الاعراب فى طريق الطائف وجدة والمدينة

﴿ ذكر عزل ناشد باشا وتولية صفوت باشا ١٢٩٧ ﴾

ثم ان الدولة عزلت ناشدا باشا ووجهت الولاية لصفوت باشا فوصل الى مكة فى أوائل شهر ذى الحجة من السنة المذكورة أعنى سنة سبع وتسعين وتوجه ناشد باشا الى دار السلطنة بعد ان حج واستمر صفوت باشا الى سنة ثمان وتسعين وكان الاتفاق بينه وبين الشريف عبد المطلب نحو شهر ثم وقع الاختلاف بينهما أكثر مما كان مع ناشد باشا للاسباب المتقدمة واسباب غيرها ومعارضات فى بعض القضايا واتسع الامر بينهما ﴿ ذكر عزل صفوت باشا وتولية أحمد عزت باشا سنة ١٢٩٨ ﴾ وعند تمام شهر الحجة من سنة ثمان وتسعين عزل صفوت باشا وتولى بدله أحمد عزت باشا الارزنجانى التى كانت ولايته سابقا فى سنة تسع وستين فى مدة الشريف عبد المطلب فى الولاية التى قبل هذه وقبل وصول أحمد عزت باشا وصل الى جدة الفريق عثمان باشا قندانا على العساكر وقائما مقام أحمد عزت باشا الى قدومه وتوجه صفوت باشا الى دار السلطنة فى أوائل سنة تسع وتسعين وقدم أحمد عزت باشا فى المحرم من السنة المذكورة واجتمع بصفوت باشا فى جدة قبل توجهه وكان أحمد عزت باشا المذكور قد طعن فى السن وبلغ نحو التسعين الا انه قوى البنية وكان بين ولايته هذه وولايته الاولى نحو ثلاثين سنة وكان عثمان باشا قندان العساكر يباشر كثيرا من الاحكام ويعارض الشريف عبد المطلب فى كثير منها

﴿ ذكر عزل أحمد عزت باشا وتوجيه الولاية لعثمان باشا سنة ١٢٩٩ ﴾

واستمر الحال على الاختلاف الى عشرين من شعبان من السنة المذكورة أعنى سنة تسع وتسعين فجاء الامر [illegible] بعزل أحمد عزت باشا وولاية عثمان باشا القمندان بدله وهو فى رتبة فريق كما كان فتوجه أحمد عزت باشا الى دار السلطنة فى رمضان من السنة المذكورة وبقى عثمان باشا واليا وكان لما توجه الى الطائف فى شعبان صحب معه مدافع كثيرة وجبخانات وكثر خوض الناس فى ذلك وصاروا يقولون انه يريد القبض على الشريف عبد المطلب ويريد ولاية الشريف عبد الله باشا ابن المرحوم سيدنا الشريف محمد بن عون امارة الحجاز

﴿ ذكر كيفية خلع الشريف عبد المطلب من الامارة وتوجيهها للشريف عبد الله باشا فى ٢٨ من شوال سنة ١٢٩٩ ﴾

فلما كان ليلة الثامن والعشرين من شهر شوال من السنة المذكورة أخرج بعد نصف الليل كثيرا من العساكر الى المثناة ومعهم مدافع وبعض من الاشراف ذوى عون وعمر باشا رئيس العساكر وطلعوا فى الجبال التى فى المثناة المحيطة بالدار التى فيها الشريف عبد المطلب وأطلعوا معهم المدافع ورتبوا ذلك كله بالليل ولم يشعر أحد بهم فلما طلع النهار أرسلوا للشريف عبد المطلب وأخبروه بأنك معزول ومطلوب حضورك لدار السلطنة وأنه ورد الينا تلغراف بذلك وبولاية الامارة للشريف عبد الله باشا وأرسلوا له صورة التلغراف الذى قالوا انه ورد اليهم فطلب مهلة الى أن يقضى أشغاله ونظر ورأى العساكر قد ملأت الجبال وأحاطت بداره فلم يعطوه المهلة التى طلبها وبعد ساعة خرج من داره وركب العربة وأحاطت به العساكر الى أن أوصلوه القشلة التى فيها العساكر بالطائف وهيؤا له فيها موضعا فنزل به ووضعوا العساكر للتحفظ عليه محيطة بالموضع الذى نزل به ثم أطلقوا امناديا بالطائف بولاية الامارة للشريف عبد الله باشا استقلالا وأرسلوا الى مكة وفعلوا مثل ذلك فاختلفت آراء الناس فبعضهم يقول انما جعلوا الامارة استقلالا للشريف عبد الله باشا لاجل تسكين العربان وأمن الطرق لانهم لو لم يفعلوا كذلك لم يحصل الاطمئنان للناس ولو قالوا انه وكيل ما حصل الاطمئنان ولا تصدق القبائل والعربان ولا تطمئن الا اذا كان الامر كذلك ففعل عثمان باشا كذلك استحسانا منه وأظهر انه انما فعله بأمر من الدولة وبعض الناس يقول بل جاء الامر تحقيقا من الدولة بوضع الشريف عبد الله استقلالا وأمنت الطرق واطمأنت الناس وأقبلت القبائل عليه طبق العوائد الجارية ثم نزل الشريف عبد الله الى مكة فى النصف من ذى القعدة وكذلك الوالى

عثمان باشا وبقي الشريف عبد المطلب وعنده بعض العسكر للمحافظة وبعد الحج اوصلوه الى مكة في داره عند أهله وعلى الدار عسكر للمحافظة ﴿ذكر ولاية سيدنا الشريف عون الرفيق باشا سنة ١٢٩٩﴾ ثم في أواخر شهر ذي القعدة جاءت الاخبار بالتلغراف من دار السلطنة بأن الدولة العلية وجهت امارة الحجاز لسيدنا الشريف عون باشا وكان مقيما بدار السلطنة كما تقدم وان الشريف عبد الله باشا وكيل عنه الى قدومه فامتثل الشريف عبد الله ذلك وأخذ يهيء الاسباب اللازمة لقدوم أخيه سيدنا الشريف عون الرفيق باشا وبعث لمقابلته من جدة أولاد أخيه الشريف حسين باشا ابن المرحوم الشريف علي باشا والشريف علي باشا بن المرحوم سيدنا الشريف عبد الله باشا وبقي الناس في انتظار قدومه الى يوم الثامن من ذي الحجة وكان كثير من الناس توجهوا الى جدة لمقابلته وبقية الناس صعدوا الى عرفة لاداء فريضة الحج وصعد أيضا الى عرفة الشريف عبد الله باشا فلما كان يوم عرفة وهو التاسع من ذي الحجة وصل سيدنا الشريف عون باشا الى جدة وكان يمكنه ادراك الوقوف بعرفة لو توجه من جدة مسرعا لكن كان معه شيخ الحرم النبوي وبعض من رجال الدولة ويشق عليهم التوجه الى عرفة بسرعة السير فرعاية لهم بقي معهم بجدة وفاتهم الحج ووصل الى مكة يوم النحر واستقبله بمكة أخوه الشريف عبد الله باشا ثم صعد والى منى جميعا عصر يوم النحر وقرئ فرمان ولايته الذي قدم به معه ثاني يوم النحر على مثل العادة التي جرت في كل سنة فانه في كل سنة في مثل ذلك اليوم يقرأ فرمان التأييد لأمير مكة فجرى الامر على مثل العادة الجارية وأقاموا بمنى الى انقضاء أيام منى ثم رجعوا الى مكة وحصل للناس غاية الامن والفرح والسرور ثم توجهت الحجوج والقوافل على طبق العادة الجارية كل سنة

﴿ ذكر فتنة عرابي بمصر سنة ١٢٩٧ ﴾

ولنذكر على سبيل الاستطراد الفتنة العظمى التي وقعت بمصر هذه السنة تتميما للفائدة وتسمى فتنة عرابي وكان انتهاؤها في شوال من هذه السنة أعني سنة تسع وتسعين وكان ابتداؤها في سنة ثمان وتسعين لكن الاصل الذي نشأت بسببه وتأسست عليه كان قبل ذلك وذلك ان الاصل الاصيل كان من مدة اسمعيل باشا لانه استدان ديونا كثيرة من الانكليز والفرنسيس وصار التراضي بينه وبينهم على انهم يجعلون أناسا منهم يباشرون المتحصلات من أموال مصر ويضبطونها ويجعلون قسطا منها لمقابلة ديونهم فعينوا أشخاصا من الفريقين لمباشرة ذلك سنة خمس وتسعين ثم ان اسمعيل باشا رأى منهم انهم صاروا يتداخلون في أكثر الامور ويريدون انه لا يفعل شيأ الا باطلاعهم ومعرفتهم فخاف من اتساع الامر وسلب الملك منه فاراد أن يجعل له عصبية من أهالي مصر وان يشكل منهم مجالس ويكون أعضاؤها من العلماء ووجوه الاهالي والعمد من مشايخ البلدان فشرع في ذلك ليكون الامر بيدهم صورة وانه لا يفعل شيأ الا بمشورتهم ليدفع بذلك تغلب الانكليز والفرنسيس وتسلطهم ففطنوا لذلك فسعوا في خلعه واقامة ولده محمد توفيق باشا بدله فما زالوا يجتهدون في ذلك حتى تم لهم

﴿ ذكر عزل اسمعيل باشا واقامة ولده محمد توفيق باشا واليا على مصر سنة ١٢٩٦ ﴾

فخلعوه بأمر من السلطنة السنية وأقاموا ولده توفيقا باشا بدله وتوجه وعائلته الى نابولي من بلاد ايطاليا كل ذلك كان سنة ست وتسعين ثم ان الدولة العلية أرادت ان تنقص توفيقا باشا بعض التميزات التي كانت لوالده اسمعيل باشا وتجدد في الفرمان الذي تحرر له شروطا فامتنعت دولة الانكليز والفرنسيس من تنقيص شيء واجتهدت في ان الدولة تحرر له فرمان الولاية على مثل ما كان لابيه ويكون عليه من الخراج مثل ما كان على أبيه ولم تزل الدولتان المذكورتان تجتهدان مع الدولة في ذلك الى ان استخرجتاله الفرمان على مثل ما كان لابيه وجعل رئيس الوزارة رياض باشا وكان رئيسا على العساكر أحمد عرابي بيك ثم ترقى وصار أحمد عرابي باشا فاتفق مع كثير من رؤساء العساكر على عزل رياض باشا في النصف من شوال سنة سبع وتسعين ولم يزل الامر في اتساع الى ابتداء شهر جمادى الثانية من سنة تسع وتسعين فحضر في مينا الاسكندرية كثير من الوابورات الحربية التي للانكليز والفرنسيس ووابورات لغيرهم لاعانة توفيق باشا ومنع عرابي باشا ومن معه من التغلب ومن التجهيزات التي شرع فيها وبقي الامر كذلك حتى انتشبت الحرب بين عرابي وعساكر

الانكليز وانتهت بدخول أولئك العساكر مصر وعقاب عرابي وبعض من معه بعقوبات مختلفة الانواع ومن الحوادث الغريبة التي وقعت سنة تسع وتسعين انه ظهر رجل ببلاد السودان التي هي في حكم صاحب مصر يقال له محمد أحمد اشتهر عند كثير من الناس انه المهدي وتبعه خلق كثير ووقع بينه وبين العساكر المصرية التي في تلك الاطراف قتال ووقائع كثيرة قتل فيها خلق كثير وملك من تلك البلاد كردفان ومواضع اخر وحاصر سنار امدة ثم انهزم عنها وبقيت العساكر المصرية مجتمعة في الخرطوم وبعث اليهم توفيق باشا صاحب مصر امدادات كثيرة من العساكر وغيرها من آلات القتال ومعهم كثير من الانكليز الذين لهم دراية بالحرب وانقضت سنة تسع وتسعين ودخلت سنة ثلاثمائة بعد الالف ومضى منها شهور ولم ينفصل الامر بينهم وبينه وفي شهر ربيع الاول من سنة ثلثمائة توجه الشريف عبدالله باشا الى دار السلطنة ومعه ابن اخيه الشريف ناصر ابن المرحوم الشريف علي باشا فلما وصلا الى دار السلطنة قوبلا بالعز والاكرام واعطيت رتبة الوزارة للشريف عبدالله باشا وجعل من أعضاء مجلس شورى الدولة وأعطى للشريف ناصر رتبة باشا وأعطى الشريف محمد ابن المرحوم الشريف عبدالله باشا أيضا مثله رتبة باشا وجاءته البشرى بذلك وقبل ذلك بأيام جاءت البشرى بترقية رتبة الباشوية للشريف حسين باشا ابن الشريف علي باشا والشريف علي ابن الشريف عبدالله باشا وصار في مثل الرتبة التي كان فيها الشريف عبدالله وفي شهر رمضان من هذه السنة أعني سنة ثلثمائة وألف كانت فتنة في أطراف مكة بخروج بعض العرب من قبائل زبيد وبشر ومعبد وسليم خرجوا في طريق جدة وصاروا ينهبون الحمل الذي يمر بهم وهجم جماعة منهم على جدة في ليلة العاشر من رمضان وحصل من ذلك اضطراب كثير ثم هربوا وكان سيدنا الشريف عون بالطائف فنزل في أواخر رمضان وجهز جيشا لغزوهم ووصل به الى عسفان ووقع قتال قليل ثم وقع الصلح وجاؤا طائعين وسكنت الفتنة وأمنت الطرق وسلكت واعتذروا بأن الفاعل لذلك بعض الجهال منهم ولم يرض الشيوخ به وان الحامل على ذلك أن الحكماء الذين بمكة وجدة يأخذون الغنم التي يجلبونها لمكة ويدفنونها في الارض لان فيها أثر الوباء الذي يسمونه بالكليرة وانه ذهب لهم بذلك أموال كثيرة وان النصارى الذين بجدة يأخذون رقيقهم ويطلقونه من أيديهم ويرفعون الرق عنه حتى عصى عليهم عبيدهم وقيل ان من أسباب ذلك حبس الشريف عبدالله بن زبن أحد الاشراف ذوي حسين فانه لما قبض على الشريف عبدالمطلب قبض عليه وعلى الشريف علي بن سعد السروري وحبسا وطالت مدة حبسهما ويدعى عليهما بدعاوى الله أعلم بصحتها وفي شهر جمادى الآخرة من سنة أحدى وثلثمائة وردت أخبار الى مكة بأن محمد بن أحمد القائم بالسودان استولى على الخرطوم وان قصده التوجه الى الصعيد ثم الى مصر وقبل ذلك وقع قتال بين بعض جيوشه وبين الانكليز في برسواكن وكان المقدم على جيش محمد بن أحمد في ذلك القتال عثمان دقنه وتكرر القتال بينه وبين الانكليز فيه وقائع وكلها يكون النصر فيها له على الانكليز وقتل منهم خلق كثير ثم انهزموا وبقيت جيوش عثمان دقنه في برسواكن

﴿ تم ﴾

هذا آخر ما انتهى اليه قلم المؤلف رحمه الله تعالى كما هو آخر مسودة هذا التاريخ والحمد لله رب العالمين